

محمد عبد الغني حسن

ابن سعيد المغربي

الاديب المؤرخ الرحالة المترجم

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

ان العبارة التي جاءت في كتاب « المغرب » لابن سعيد المغربي بقلمه في ترجمة حياته تقول عنه ان اسمه : « علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد »، ويقول عنه المؤرخ الاندلسي المقري صاحب « نفح الطيب » انه هو : « أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي »، ويقول عنه لسان الدين بن الخطيب في كتابه « الاحاطة » ان اسمه : « علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي المدلجي» والمدلجي خطأ مطبعي صوابه «المذحجي» نسبة الى مذحج بن أدد (١) . وهذه أطول تسمية ونسب لابن سعيد المغربي وقعنا عليه في كتاب ممن ترجموا له وأخبروا عنه . وان كان قد جاءت في مقدمة كتاب « عنوان المرقصات المطربات » لابن سعيد المغربي سلسلة من النسب تختلف عما جاء في كتاب « الاحاطة » بعض الشيء ، وان كان ابن شاكر الكتبي في كتابه « فوات الوفيات » قد جاء باسم الرجل ونسبه هكذا : « علي بن موسى بن سعيد المغربي » .

ولقد ترجم ابن سعيد المغربي لنفسه في كتابه « المغرب » ترجمة وجيزة جدا على نحو منهجه في التراجم ، ولكنه أطال مقدارها بما رواه لنفسه من الاشعار بعد ذلك . ولنستمع اليه وهو يقول عن نفسه : « هو مكمل تصنيف هذا الكتاب ، ولد بغرناطة في شوال سنة عشر وستمائة ، ورحل منها فجال مع أبيه في بر الاندلس ، وبر العدوة ، والغرب الاوسط ، وافريقية الى الاسكندرية ، وترك والده بالاسكندرية ورحل الى القاهرة، ثم عاد اليها فحضر وفاته ، ثم رجع الى القاهرة ، ثم رحل الى حلب في صحبة الصاحب الكبير المحسن كمال الدين بن ابي جرادة (٢) ، ثم عزم على الحج في هذه السنة وهي سنة سبع وأربعين وستمائة . يسر الله ذلك بمنه » .

هذا ما كتبه الرجل عن نفسه في كتابه « المغرب » ، ولكن تصادفنا في اختصار كتاب له آخر اسمه « القدح المعلى » ترجمة له وتعريفبه ، افتتحت بها تراجم الكتاب. ونكاد نجزم بأن هذه الترجمة ليست بقلم ابن سعيد المغربي ، لان رجلا ــ مهما كان رأيه في نفسه واعتداده بذاته ــ لا يقول عن نفسه انه : « بحر لا يمتطى ثبجه ، ولا تخاض لججه ، علامة الاعلام ، وراوية الجاهلية والاسلام ، مالك عنان البيان ومصرفه ... » ويلاحظ في الترجمتين الاولى والثانية انهما بضمير الغائب لا بضمير المتكلم ، فلا يقول : ولدت ، ورحلت ، ورجعت ، وعزمت، بل يقول : ولد ، ورحل ، ورجع ، وعزم .

ولد علي بن موسى بن سعيد المغربي في قلعة « يحصب » (٣) ، او قلعة بني سعيد بغرناطة سنة ٦١٠ هجرية (٤) . وكانت تعرف بقلعة « أسطلير » نسبة الى عين ماء قريبة منها .. وبيتهم عريق في الشرف والفضل والرياسة . ويكفي انهم يذهبون بنسبهم الى عمار بن ياسر الصحابي الجليل . أما جده محمد بن عبد الملك فكان وزيراً مقدما عند « ابن غانية » وتولى أعمال اشبيلية وغرناطة في عهد الموحدين ، وكان ممدوحا للرصافي شاعر الاندلس في وقته .

ويظهر ان اضطراب الامور في الاندلس لم يرض أباه ، ولم يرضه هو ايضا ، فقرر السفر شرقا الى مصر للحج أولا ، وللهجرة ثانيا ، فمرا في طريقهما بالمغرب وتونس ، ثم بلغا ثغر الاسكندرية سنة ٦٣٩ هـ ، فترك صاحبنا والده بالثغر ، وسافر الى القاهرة حيث ودعه أبوه بقصيدة كافية مشهورة تعد من أدب رسائل الآباء الى الابناء ومطلعها :

اودعك الرحمن في غربتك مرتقبا رحماه في أوبتك
فلا تطل حبل النوى انني والله اشتاق الى طلعتك

وعاد علي بن سعيد من القاهرة الى الاسكندرية ليحضر وفاة والده سنة ٦٤٠ هـ ، وانتقل صاحبنا الى القاهرة وحيدا ، وظل بها بضع سنوات ، وكان سلطان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصر حينئذ الملك الصالح نجم الدين الايوبي ، وليس عندنا ما يقطع باتصال ابن سعيد المغربي بالملك الصالح الذي كان منعزلا عن المجالس الادبية والعلمية ،ولكنا نعلم انه اتصل بجمال الدين بن يغمور الذي ناب عن السلطان في مصر ودمشق . وأعجب ابن سعيد بابن يغمور من حيث علمه وادبه ، وشجاعة قلبه ، وجلال قدره ، وتدبير رأيه ، فصنف له كتاب « رايات المبرزين » ، وابن يغمور هذا من مواليد الصعيد في مصر ، كما يذكر المؤرخ العماد الحنبلي صاحب شذرات الذهب » .

ووفد الى مصر القاضي العالم المؤرخ الوزير كمال الدين بن العديم سنة ٦٤٤ هـ رسولا من الملك الناصر يوسف الايوبي صاحب حلب والشام ، الى سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين ، وجمع الحظ الحسن بين الرجلين ، فاعجب كل منهما بصاحبه ، وزاد اعجاب ابن العديم بابن سعيد المغربي ، فوالاه برعايته وبره ، وعرض عليه السفر معه الى حلب ليتولى بنفسه تقديمه الى الملك الناصر ، واستجاب ابن سعيد لهذا العرض لما سمعه عن الملك الناصر وحبه للادب والشعر .

وسافر ابن سعيد المغربي بصحبة ابن العديم ، ودخل معه على الملك الناصر ، وانشده قصيدة لبقة كيسة المطلع حيث يقول :

جد لي بما لقي الخيال من الكرى لا بد للضيف الملم من القرى !

وطرب الملك الناصر ، كما طرب ابن العديم لهذا المطلع الذي يدل على مقصود الشاعر من اول بيت في القصيدة !! وانبسط الملك لابن سعيد بعد بشاشته لهذا المطلع ، وحدثه ابن سعيد عن نفسه ، وعن وطنه الاندلس الذي اخذ ملوك الفرنجة يقتطعونه بلدا اثر بلد ، واحب الملك استبقاءه واستظرف حديثه وحضور بديهته وخفة ظله ، ولقبه بلقب « البلبل » على عادته في تلقيب الشعراء بأسماء الطيور . ولقد استطاب ابن سعيد المغربي العيش في كنف الملك الناصر وحمايته لثلاث سنوات أو تزيد قليلا، ووجد الانس بحضرته، وسمع منه شعرا ، وأسمعه شعره ومدائحه فيه . ولقي ابن سعيد في بلاط الناصر جماعة من العلماء والادباء منهم عون الدين (٥) العجمي ، والشهاب التلعفري الشاعر ، والتاج ابن شقير ، وابن نجم الموصلي (٦) ، والشرف الاربلي وغيرهم ..

وانتقل ابن سعيد المغربي الى دمشق ، وكثيرا ما سمع من الشاعر ابن مفرج الاشبلي ــ وهما بالاندلس ــ وهو يطنب في الثناء على دمشق ويصف محاسنها ، فيمتلىء خاطر ابن سعيد من شكلها ، ويتمنى على الله ان يراها ، الى ان حقق الله أمله ... ثم دخل الموصل وبغداد ، وعاد الى دمشق . وهنا ــ وفي سنة ٦٤٨ هـ ــ لقي الملك المعظم توران شاه في طريق عودته من حصن كيفا الى مصر ، ليخلف اباه الملك الصالح على عرشها حينما احست شجرة الدر بدنو أجله ، وقد ادناه المعظم توران شاه منه وادخله مجلس خلوته .

ولقاء ابن سعيد المغربي للمعظم توران شاه في دمشق يثير في النفس كلمة ، فقد جاء في كتاب « الاحاطة » وعنه نقل صاحب « نفح الطيب » ان ابن سعيد المغربي « دخل مجلس السلطان المعظم بدمشق ، وحضر مجلس خلوته » ونقل الدكتور شوقي ضيف في مقدمته الثمينة لكتاب « المغرب » هذا الخبر قائلا : « اتجه الى دمشق ، وتعرف بها على السلطان المعظم توران شاه ، واصبح من ندمائه » فزاد الدكتور شوقي ضيف على المعظم قوله : « توران شاه » ، ولكن المرحوم الدكتور زكي محمد حسن في تقديمه الطويل لكتاب « المغرب » قسم مصر يثير الشك في هذا قائلا : « ان هذا كله لا يزال يحتاج الى تحقيق دقيق ، لان الملك المعظم توران شاه لم يكن في دمشق سنة ٦٤٧ هـ ، وانما كا نائبا عن أبيه في حصن كيفا ... » .

والحق اننا سنضطر الى الوقوف قليلا امام كلام الدكتور زكي محمد حسن . فالدكتور شوقي ضيف على حق حينما جعل الذي قابله ابن سعيد بدمشق هو المعظم توران شاه . ولا يمكن ان يكون « الملك المعظم عيسى » سلطان دمشق لانه توفي سنة ٦٢٤ هـ ، وابن سعيد المغربي وصل الى الاسكندرية سنة ٦٣٩ هـ قادما من الاندلس والمغرب ، فلا يعقل ان يلقى « المعظم عيسى » بعد انتقاله الى رحمة ربه سنة ٦٢٤ هـ . وقد ثبت أن لقاء ابن سعيد المغربي للمعظم سلطان دمشق كان سنة ٦٤٧هـ ، فلا يمكن ان يكون هذا المعظم ، الذي تحدث عنه صاحبا الاحاطة ونفح الطيب ، الا المعظم توران شاه الذي كان بدمشق في ذلك الحين عائدا من حصن كيفا ليتسلم عرش مصر من والده المريض مرض الموت : الملك الصالح نجم الدين أيوب . فقد ذكر المؤرخ الثقة ابو شامة في ذيله على كتابه « الروضتين » صفحة ١٨٣ ، ان الملك المعظم توران شاه جاء من حصن كيفا ودخل دمشق في رمضان سنة ٦٤٧ هـ ، ونزل بقلعتها ، واقام بها ، واستقبل اناسا كثيرين منهم المؤرخ ابو شامة نفسه ، واحسن اليه ــ كما يعترف ــ ثم سافر الى مصر في طريقه الى ملاقاة الصليبيين . وهنا كان لقاء ابن سعيد المغربي للمعظم توران شاه .

وبعد أن ادى ابن سعيد فريضة الحج عاد الى تونس سنة ٦٥٢ هـ ، واتصل بخدمة اميرها ابي عبد الله المستنصر الحفصي ، وكان يعرفه منذ مروره بها خارجا من الاندلس سنة ٦٣٩ هـ ، في عهد ابيه ابي زكريا الحفصي ، وظل قريبا من بلاط المستنصر اربعة عشر عاما ، الى أن عاوده الحنين الى المشرق ثانية ، فرحل اليه مرة اخرى سنة ٦٦٦ هـ (٧) وظل به زمنا ، ثم عاد الى تونس ، وبقي فيها الى ان ادركه أجله (٨) بها سنة ٦٨٥ هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهنا نود ان نقف مرة اخرى مع المرحوم الدكتور زكي محمد حسن لنصحح بعض الوهم الذي وقع فيه في اثناء تحقيقه لكتاب « المغرب لابن سعيد المغربي ـ القسم الخاص بمصر » ، فقد ذكر رحمه الله « ان ابن سعيد رجع من الحجاز الى تونس سنة ٦٥٢ هـ ، حيث نزل عند صديقه أبي العباس التيفاشي » . وهذا غير صحيح ، لان التيفاشي مات سنة ٦٥١ هـ ، فليس بمعقول ان يكون قد لقيه بعد وفاته ! والصحيح انه لقيه قبل هذا بكثير ، وهو في طريقه الى مصر والشرق مهاجرا من وطنه الاندلس ...

وقد يهون هذا الوهم الفليظ أمام وهم اخر وقع فيه الدكتور زكي محمد حسن في تحقيق كتاب « المغرب » لابن سعيد المغربي ... فقد ذكر ان ابن سعيد المغربي « حن الى المشرق ثانية فرحل اليه سنة ٦٦٦ هـ ، وسمع في الاسكندرية بأعمال هولاكو ، فأحب ان يسعى اليه ، وسافر الى حلب ومنها الى ارمينية حيث اقام فيها مدة ضيفا على هولاكو » . والذي نعلمه ويعلمه التاريخ الصحيح ان ابن سعيد المغربي لم يصادف في حياته المخرب التتري هولاكو صاحب احداث بغداد ولم يسع الى لقائه ، وانما الذي فعل ذلك هو الملك الناصر صاحب حلب والشام ، فانه ـ بعد ان ضاع ملكه على يد هولاكو ـ اتجه قاصدا اليه ، وسار نحوه ... فلما مر بمقر امارته حلب ، ونظر الى معاهدها فرآها على غير ما يعهد تحركت فيه نوازع الشعر فقال :

مررت بجرعاء الحمى فتلفتت ... لحاظي الى الدار التي رحلوا عنها
ولو كان عندي الف عين وقمتفي ... معالمها عمري لما شبعت منها

وصنع في نعيها اشعارا يغني بها المسمعون ، وكان الناصر شاعرا اديبا ذواقة ، ثم رحل الى صحراء يوشن في جهة طريق ارمينية ، فوجد هولاكو هناك في تلك المروج المشهورة بالخصب ، فأنزله هولاكو واقام الملك الناصر يشرب معه ، ومكث في ضيافته اياما ، الى ان جاءت الاخبار بهزيمة التتار على يد « المظفر قطز » في موقعة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٧ هـ ، فغضبت عليه بطانة هولاكو من التتر وقتلوه ...

ولقد دخل الوهم الى الدكتور زكي محمد حسن من قراءته للخبر في كتاب « نفح الطيب » (٩) ، فان الضمائر تعود كلها الى الملك الناصر ، فتوهم الدكتور زكي محمد حسن انها عائدة على ابن سعيد المغربي ، واسس عليها من النتائج غير السليمة ما أسس ، مما أوقعه في خلط كبير .

بقي ان نصحح خطأ قام حول تاريخ وفاة ابن سعيد المغربي ومكانها . وقد يحدث خطأ او يقع خلاف حول شخص ما في تاريخ وفاته ، أو في مكان الوفاة ، ولكن ان يقع الخلاف فيهما معا فهذا ما يصادفنا على ندرة في كتب التاريخ والتراجم والطبقات . فقد ذكر المؤرخ ابن خلكان صاحب « وفيات الاعيان » ان ابن سعيد المغربي توفي بدمشق في شهر شعبان سنة ثلاث وسبعين وستمائة . ويوافقه في هذا مؤرخنا المصري ابن تغرى بردى في كتابه « المنهل الصافي » ، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» . ولكن لسان الدين بن الخطيب ، والمقري صاحب « نفح الطيب » ، وابن فرحون المالكي صاحب «الديباج المذهب» يتفقون على انه توفي بتونس سنة ٦٨٥ هـ . اما المؤرخ المصري السيوطي فله موقفان من هذه القضية ، ففي كتابه « حسن المحاضرة » يذكر انه توفي بتونس سنة ٦٨٥ هـ ، وفي كتابه الاخر « بغية الوعاة » يذكر انه توفي سنة ٦٧٣ هـ .

ولقد وقف المستشرق الاسباني اميليو غرسيه غومس هذا الموقف في كتابه « الشعر الاندلسي » الذي ترجمه الدكتور حسين مؤنس ، فذكر التاريخين معا ولم يتعصب لواحد منهما او يؤثره بالرجحان ، وذكر التاريخين معا كذلك محرر مادة « ابن سعيد » في دائرة المعارف الاسلامية ، ويظهر من تقديمه لتاريخ ٦٧٣ هـ انه يؤثره على التاريخ الثاني ويجعله راجحا لا مرجوحا . وقد انفرد محرر هذه المادة بقول جديد عن مكان وفاة ابن سعيد المغربي ، وهو انه توفي في أثناء عودته الى دمشق ... أي لم تكن الوفاة في دمشق ذاتها ...

وقد ينفعنا في تحقيق هذه القضية النص الذي جاء في نهاية كتاب « الغصون اليانعة » لابن سعيد المغربي نفسه ، فقد جاء فيه ان هذا الكتاب ـ يعني الغصون ـ « كتب في التاسع والعشرين من جمادي الاخرة عام خمسة وثمانين وستمائة » أي انه فرغ منه

● هذا تلخيص فصل من كتاب (ابن سعيد المغربي) الذي صدر مؤخرا بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وهو اول كتاب في المكتبة العربية عن هذا الاديب الاندلسي المشهور الذي صان لنا كثيرا من أخبار الاندلس وتراجم رجالها . وقد صحح فيه المؤلف أوهاما كثيرة حول سيرة ابن سعيد ونواحي نشاطه ... (١) انظر جمهرة انساب العرب لابن حزم . (٢) هو المؤرخ المشهور ابن العديم صاحب «تاريخ حلب » . (٣) ورد اسمها في ترجمة دائرة المعارف الاسلامية هكذا : « يعصب » بالعين لا بالحاء ، وهو وهم من المترجم !! (٤) نقل محرر دائرة المعارف الاسلامية قولا آخر عن ولادة ابن سعيد المغربي سنة ٦٠٥ هـ ، وهو قول ضعيف . (٥) هكذا ورد هذا الاسم في نفح الطيب ، وأغلب الظن انه تحريف مطبعي ، وصوابه « عز الدين العجمي » . انظر تاريخ ابن الفرات طبع بيروت حـ ٧ ص ٣٨ وانظر الاعلام للزركلي (٦) لم نوفق الى العثور على ترجمة لابن نجم ـ او ابن نجيم ـ الموصلي ، ولكن ابن سعيد المغربي يروى له من الشعر المرقص في كتابه « عنوان المرقصات والمطربات » ويسميه فيه : شرف الدين بن نجيم الموصلي . (٧) هذا التاريخ يرويه ابن سعيد المغربي نفسه في كتابه « عدة المستنجز » ، وقد نقله عنه المؤرخ المقري صاحب « نفح الطيب » . (٨) جرى المؤرخ جرجي زيدان على أن وفاة ابن سعيد المغربي سنة ٦٧٣ هـ ، وروى سنة ٦٨٥ هـ بصيغة التضعيف . أما الدكتور جودت الركابي في كتابه عن الادب الاندلسي فلم يذكر الا سنة ٦٧٣ هـ لوفاة ابن سعيد ، وترك الرواية الراجحة .
(٩) نفح الطيب ، حـ ١ ص ٥٠٢ .

الدموع لا تجدي

يا باكيا في ربـوع القدس يبكينا ... وشـاكيا ألمـا مـا زال يشكينـا
نبكي ونشكو وما في ذاك من حرج ... لو كان فيه شـفاء من مآسـينا
لا يرجع الدمع شيئا ضاع من وطن ... ولا تبلغنـا الشـكوى أمانينـا
ومـن شـكا همـه الا لخالقـه ... ونفسه عاش طول الدهر مغبونـا

أنسال الحـق ممـن بات يهضمه ... قسرا وينزل فينا الخسف والهونا
أم نامل الخير من عادين قد شحذوا ... لذبحنا من وريـد العنق سـكينا
لا مجلس الامـن تجدينا محاضره ... ولا منظمـة الـدولات تحمينـا
عشرون عاما قرارات وليس لهـا ... جدوى سوى أنهـا زادت مآسينا
حتى تعدت على الاقصـى تدمره ... عصابة تجحـد الاخـلاق والدينا

ما نفعل الان ؟ هل نبقى على كمد ؟ ... نشكو ونذرف دمعـا من مآقينـا
أم نلهب الارض تحت الخصم تحرقه ... حرقا فيحسبها ثـارت براكينـا
ونمـلأ الجـو بالغارات تمطـره ... صواعق المـوت ترديه وتحيينـا
والجيش قد مهدت قبل الوثوب له ... كتائب الفتح فتحا في فلسطينـا
يعيد ذكرى انتصارات لنا سلفت ... في القادسية أو تلقـاء حطينـا

هم يحسبون بانا قد نلـين لهـم ... خابوا وخابت اذن أحلام صهيونا
فنحن من امـة كالطـود راسخة ... لم يلق منها العدى في دهرها لينا
تسعون مليون بل زدنـا على مئة ... فكيف نشكو اذى عاد يعادينـا
فاجعل لنا دولـة يا رب واحـدة ... منها تعيد لنـا أمجاد ماضينـا

حلب — محي الدين الحاج عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل وفاته بشهرين ان صح ان وفاته كانت في شـهر شعبان ...

ومن اطرف ما شهدناه من القضايا حول نسب ابن سعيد المغربي الاندلسي ان بعض المؤرخين ومؤرخي الادب نسبوه الى تونس ، فقالوا عنه انه « ابن سعيد التونسي » وذلك لطول اقامته في تونس مستظلا بحمايـة اميرهـا المستنصر الحفصي وابيه من قبله ، ونجد هذا النسـب الغريب في كتاب « عنوان الاريب » للعلامة المغفور لـه الشيخ محمد النيفر التونسي ، وقد يكون هذا من بـاب التعصب الاقليمي ...

وبهذا اجتمعت لابن سعيد مؤرخنا ورحالتنا لمشهور خمس نسب ، وهي : العنسي ، والمغربي ، والمذحجي ، والتونسي ، والاندلسي .

رحم الله ابن سعيد ، فقد كان وحده عصبة أمـم عربيـة !! ..

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

امـي

« حتى التي تلد الحياة تموت »

بقلم خليل الهنداوي

★

أمـاه ! .. لقد عـدت ...
كل شيء يدل على انك هنا ، ولكنك لست هنا !
هذه هي حجرتك مغلقة ، وهذا هو سريرك خاليا !
هذه صورة والدي لا تزال معلقة فوق سريرك الخـالي ، وهو يرنو بعينيه اللتين لا تغتمضان ، ولكن ، الـى من يرنو الان ؟
وتلك هي المئذنة الشاهقة التـي كنت تأنسين بصـوت الاذان ، ينصب بحنان ، في الاذان ، مرددا « اللـه اكـبر » .
ولا يزال يتردد ، ليدل على ان الانسان اصغر !
حسبتك لا تزالين حية ، تديرين عينيك هنا وهناك ، أمام وراء ، وانت شاخصة في الباب ، تسالين عني :
« هل عـاد ؟ انني اسمع صوته كعادته ، يجلجل ، حـين يدخل » ولكن ... هو الوهم ...
انه لم يعد ليراك حية ، يمتليء بك البيت ، كملاك ابيض ، باسط جناحيه علينا ، ولكنه عـاد ، ليرى ذلـك الملاك ، قد طوى جناحيه الى الابد .
كنت تخافين المستشفى ، تخافين لقاء الموت وحدك ، ولكن ... سبقت كلمة القدر :
لن تموتي في البيت الـذي تحبين ، بـل في المستشفى الذي تكرهـين !
لن تموتي هادئة كما كنت تريدين ، بل تحت تجارب الاطباء الذين أرادوا أن يروحوك الهواء ضخا ، ويعطـوك الغذاء مصلا ، ولكن جسدك المتهدم الذي ظل يجاهد ويكافح ثلاثا وثمانين سنة قد أبـى ان يستجيب ، وقلبك الهابط الذي ظل يخفـق حتى اعيا ، قـد اعتذر عن متابعة الخفقان !
همد الجسد ، وخفتت الانفاس ، وافتر الوجه الساكـن باسما بسمة الموت ، راضيا بقدر الله ، واطبقـت العينان ، كأنهما تهيأتا لنوم عميق ، امتنع عنك في لياليك الاخيرة ، فكان الالم نهاية للالم !

لقد كنت تحبين النور والشمس ، وكذلك احببتهمـا بعد الموت ، فاخترت المقبرة الضاحية للشمس ، الساطعة للقلوب الكسيرة .
واني لاذكر كيف خفت مرة ، حين شاهدت المقبرة المظلمة بظلال الصنوبر الكثيف ، فقلت :
« يا الهي ! ان هذه الظلال الممدودة السـوداء ، ترعـب الاحياء ، فكيف الموتى ؟
واخترت جدث اخيك الراحل قبلك ، ليكـون مثوى لك ، وكان قرة عين لك في الحياة ، فها انت قرة عينـه اليوم في الممات !

لم استطع ان اراك في نعشك الاخير .
وكل ما رايته ذلك التراب الذي وارك عني الى الابد !
لقد جئت ازورك في عماية الصبح ، حيث يمشي الزائرون والزائرات امثالي كالاشباح ، بين الارواح ، ووقفت على جدثك حانيا راسي ، مغرورقا بالدمع جفناي ، وكان التراب لا يزال نديا ، وقضب الريحان تهـتز يمنة ويسرة ، وعليك سرحة ممدودة تتمايل اغصانها مع الريح ، تنقل عصارة الاموات الى اعاليها ، وتحمل اعاليها نجوى الاحياء الى الراقدين على جذورها !
أهي وحدها ـ في مملكة الموت ـ رمز الحياة ؟

كل شيء في هذا السكون العميق يدل على انك تتكلمين .
وكل ما حولي ، يوحي الي بأنك حية ، تتحركين .
وما ذلك الا لانك كنت مؤمنة في الحياة بالحياة ، والحياة سرمدية ابدية لا تزول .
هذا شريط حياتك يمر امامي ، مذ كنت صغيرا ، حتـى صرت كبيرا ، على طريق طويل ، لا احسبه اليوم الا مصيرا .
والايام التي نحسبها كثيرة ، طويلة في حياتنا ، تنكمش بعد الموت في لحظة واحدة !
في حياتك ، كنت أشعر دائما بانني لا ازال ذلك الطفـل الصغير الذي كان يدرج بين يديك .
لقد اصبحت والدا ، وامسيت جدا ، ولكنني بين يديـك ، لم اكن اشعر الا بأنني ذلك الطفل الصغير دائما .
انت الام ، وانا طفلك الصغير !
اما كنت تقولين لي حين السفر :
« ضع معطفك عليك ! احذر البرد يا ولدي ! »
أم دائما امام طفلها الصغير ، وطفل صغير دائما امام امه الكـبرى ...

والان ، اصبح ذلك الطفل الصغير يتيما بدون أم .
ولا ادري : هل انا كنت ذلك الطفل ، ام انت كنـت تلك الطفلـة ؟
الا ما أضيق الحياة بدون أم !! .

خليل الهنداوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

ابن سينا والمريض العاشق

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

كانت شمس الظهيرة تشتعل في الصحراء اشتعالا يوقد الرمل ويلهب الصخر ، وقد احس الرجل بشواظ حار يلهب جسمه ، فيتصبب عرقا ساخنا ، ويجف ريقه فيجد به ملوحة مريرة ثم يدور بعينيه باحثا عن بئر دافقة بالماء فلا يجد غير الهجير المتقد يظمئه ويضنيه ، وقد هم ان يفترش الرمل الملتهب فيعجل بمصيره اليائس ، لولا أن لمح عن قرب شجرة ماثلة تظلل نبعا متواريا فتألقت عيناه بالفرحة ، واتجه الى الماء الفرات ، يبرد جوانحه ، ويكشف تباريحه ، ثم عن له ان ينزع ثيابه ويتبرد في الماء لحظات منعشة يستعيد بها نشاطه الذاهب .. حتى اذا بلغ ماربه نهض الى الظل الوارف فهيأ لراحته مضجعا آمنا ، واسلم جفنيه الى نوم عميق !! .

كان السائح المكدود في هم ناصب من شجونه وهواجسه ، فانطلقت احلامه تريه ما يتربص به مستقبله من الصعاب ، فيبصر السجون والاغلال تارة ، ثم ترجع به الى امسه الباسم تارة اخرى ، فيرى نفسه وزيرا خطيرا في همذان، يملك الامر والنهي ، ويحف به الحراس والحجاب ، حتى اذا غربت الشمس وداعبته الانسام الباردة ، هب من نومه ليجدنفسه وحيدا في العراء يسامره القمر وتحدثه النجوم .

ماذا يصنع الطريد الخائف في ليل الصحراء ؟ انه يستعرض تاريخ حياته ، فتمر بسمة باهتة على ثغره حين يتذكر صباه الغض ، وقد كان ممتعا به في قصر امير الدولة السامانية ، فهو طبيبه الحاذق ، يدفع عنه اذاة مرضه ، ويعد قائمة طعامه وشرابه ، فيزداد مكانة في قومه ، ويصبح الشفيع الاثير لدى صاحب الامر ، يسأل فيجاب ، ويتمنى فيحقق مبتغاه .

ثم يتابع ذكرياته ، فيستعرض جاهه في همذان ، ويرى كيف كانت وزارته معقد المنى لقومه ، وميدان السيطرة لنفسه ، وقد ترك له آل بويه كل سلطان ، فهو صاحب الكلمة العليا ، قرب وباعد ، واعز واذل حتى اذا قلب الدهر صفحته ، خرج هائما على وجهه ، ليجد نفسه وحيدا في الصحراء متنكرا في زي درويش بائس ، يلبس المرقعات ، ويطلق لحيته الكثة ، ويبحث عن الفتات التافه ، فلا يناله بغير المذلة والهوان !!! ثم هو بعد لا يأمن على نفسه ، فالموت يجثم له في كل مرصد ، تنطلق ورأءه العيون ، وتتساءل عنه الجواسيس !! وقد اعدت المكافآت السخية لمن يأتي به ! فالى اين يصير ؟!

فكر ابن سينا ليلته في امره ثم راى ان يفر الى اصبهان ، فله بها اناس يعرفون مكانته ، ويقدرون مواهبه! ولعل شمسه الغاربة تتمخض عن فجر جديد ، تمتد خيوطه اللامعة شيئا فشيئا ، حتى يستحيل الى صباح قشيب .

سار ابن سينا في طريقه فاتى اصبهان بعد رحلة شاقة عسيرة ، ووجد من اصحابه الاكرمين من اعزوا وفادته ، فنزل لديهم اطيب منزل واهناه ، وكان الاقدار كانت تختصر له طريق الحظوة فمرض نجل سلطانها العظيم « علاء الدولة » مرضا حير الاساة ، وادهش الناس وتساءل صاحب الملك عن نطاسي بارع يشخص الداء ، ويصف الدواء فتقدم ابن سينا وفي قلبه امل ، وعلى لسانه دعاء ! .

كان الامير المريض هزيلا نحيلا شحب لونه ، وغارت عيناه ، وتثاقل لسانه ، فما يطرد في حديثه الا تمتمات متقطعة لا تكاد تبين ، وقد فحصه الطبيب فحصا دقيقا ، فلم يجد اثرا للعلة العضوية في جسمه واستعان بخبرته الواسعة في عالم الطب ، فازداد يقينا بسلامة اعضائه وصحة بنيته فأخذ يتساءل عن هذا الشحوب الكالح وذاك الهزال الناحل فلا يجد سببا يستريح اليه في تعليله وتشخيصه ، وجال بفكره الثاقب جولة نافذة فعرف ان المرض نفسي لا جسمي .

ان المريض يرسل آهات حبيسة تمتد وتنقطع ، ثم يجول ببصره الزائغ في الحجرة كمن يبحث عن امر بعيد .. فاذا اطبق عينيه الصق يديه بأحشائه كمن يحتفظ بشيء يوشك ان يطير !! .. اتراه قد احب فكتم ثم ثقل به الحب الكظيم ، فأورثه ذلك الشحوب المرير !! لا بد من سبر دقيق لاغوار نفسه ، فقد ينجلي السر الكمين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجاء علاء الدولة الى الطبيب يسأله الرأي فيما شاهد وعاين ، فابتسم ابتسامة هادئة ، ثم قال له : « سأطلب منك يا مولاي شيئا تعده غريبا في موضوعه . ولكني مصر عليه » فقال علاء الدولة في هدوء : « لك ما تريد » فصاح ابن سينا : « اريد اجابة شافية عن ثلاثة اسئلة متقطعة كل سؤال في يوم » فقال السلطان : « ومن يجيبك ؟ » فقال الطبيب : « انسان خبير بمنازل اصبهان وشوارعها وساكنيها من رجال ونساء » فابتسم علاء الدولة وقال لصاحبه : « انتظر قليلا في مكانك فسأبعث اليك بمن تريد !! » .

ولم تكن غير لحظات حتى نظر الطبيب ، فوجد شرطيا كبيرا يتقدم اليه فيقول : « لقد بعث بي مولاي اليك ، وانبأني انك ستعقد لي امتحانا في مدى ثلاثة أيام ، ترفع نتيجته اليه ، فلعلي أحوز قبولك ان شئت . » فأدرك ابن سينا ، ما يتردد في صدره من الهواجس ، فمازحه قليلا وطيب خاطره ، ثم قال له : « أريد شيئا يسيرا !! اريد أن تكتب لي اسماء شوارع اصبهان في ورقة !! فهذا أول سؤال ! » .

تعجب الشرطي بعض الشيء !! ثم اخرج ورقة من جيبه ، ودون اسماء الشوارع ، وقدمها الى السائل فشكره ، ورجاه أن يحضر من الغد ليجيب على سؤال جديد !! وما كاد الطبيب يلم باجابة صاحبه حتى انتقل الى حجرة الامير المريض وبدأه بالتحية ، ثم أزاح ملابسه ، ووضع يده على صدره ، متسمعا ضربات قلبه ، واخذ يتلو اسماء الشوارع شارعا فشارعا ، فوجد الخفق يتوالى ويضطرب عند شارع معين ، فأسره في نفسه ، وتنقل بالحديث الى ناحية ثانية ثم ودع المريض .

وفي اليوم الثاني جاء الشرطي فطلب اليه ابن سينا أن يكتب أسماء أصحاب المنازل الذين يقطنون في الشارع المعلوم ! فتعجب الرجل كعجبه اول مرة ، وصدع بالامر كما أراد الطبيب ، ثم سار الى شأنه ، وفي نيته أن يعود غدا للمرة الثالثة ليفرغ من امتحانه الغريب !

اما الفيلسوف فقد سارع الى المريض ، وجاذبه أطراف الحديث ، ثم أزاح ملابسه ، ووضع يده المرهفة الحساسة على صدره وأخذ ينصت الى ضربات قلبه ، قارئا ما لديه من الاسماء فوجد الخفق يعلو دراكا مضطربا عند سماع اسم معين ، فأدرك طلبته ، ولم يشأ أن يشغل الامير بظن مريب ، فأفهمه انه يبحث عن مرض عضوي في صدره وسيبرأ منه عن قريب !

وفي اليوم الثالث جاء الشرطي فطلب اليه أن يكتب اسماء الانسات ممن يسكن هذا المنزل ، فأجاب على السؤال في دقة ، وأعلن الطبيب براعته في تأدية امتحانه ، فخرج دهشا لا يدري أيهزل أم يجد مع هذا الطبيب الغريب !! ولكن ابن سينا يطير الى المريض في سرعة عاجلة ، ويأخذ في مسامرته بعض الوقت ، ثم يضع يده المرهفة موضعها من صدره ، ويتلو أسماء الانسات فيخفق الامير خفقة تتبعها شهقة اذ ينطق الطبيب باسم « رباب » ثم يندفع في بكاء أليم !! .

واذن فقد عرف الطبيب سر مريضه !! فاتجه الى علاء الدولة ، واخبره بما اهتدى اليه ، فأطرق السلطان مليا ثم قال : « أتدري أن رباب خطيبة اخيه !؟ » فقال بن سينا : « ولذلك كتم حبه في نفسه كي لا يتحرج الموقف بين الشقيقين فآل به الكتمان الى مرض مميت !! »

زفر السلطان زفرة حارة ، ثم سأل ابن سينا : « كيف نخرج من هذا المازق العجيب ؟ » .

فقال الطبيب : « نريد أولا أن نتأكد من حب رباب للامير المريض !! » .

فسكت السلطان على غيظ ، ثم قال : « ومن يستطيع ان يدرك خبايا القلوب !! » فأجابه ابن سينا : « من أدرك قلب الامير » .

اعلن علاء الدولة رغبته في زيارة رباب وقد اصطحب معه طبيبه الماهر فلما مثلت بين يديه ، أثنى السلطان كثيرا على أدبها وجمالها !! ثم أشار الى ابن سينا قائلا : « هذا جوهري حاذق سيصنع لك سوارا ذهبيا ، وقد أتيت به ليأخذ مقاس ساعدك الجميل » !! ثم طلب منها أن تمد يدها اليه فوضعها الطبيب بين أصابعه الحساسة وهتف السلطان باسم فتاه المريض ، تنفيذا لخطة وضعها الطبيب ، فلاحظ ابن سينا ان نبض الساعد قد اخذ يعلو ويضطرب منبئا عن احساس حاد يعصف بصاحبته ، فترك يدها وقد أحاط عن يقين بما يضطرم في قلبها من حب عنيف !! فنظر الى السلطان طويلا ، وانسحبت رباب فأفضى اليه بسرها الخطير ! ولقد وضح اللغز المحجب بين قلبين ذائبين ، فكيف ينقذ علاء الدولة مريضه دون أن يخدش كبرياء اخيه !! انه ترك الامر لزوجته فهي والدة الشقيقين وعليها أن تتلمس الحل اليسير !! .

وفي أمسية هادئة استدعت الام الحنون خطيب رباب فخف اليها وفي وجهه غيوم تتجمع وتتفرق ، وفي عينيه ذهول شارد ! فصاحت به :

ـ علام يرهقك التفكير يا بني العزيز ؟

فقال الامير :

ـ أماه : اني أفكر في فراق رباب !!

فانتهزت الام هذه البادرة وقالت :

ـ ولم يا بني ؟ فأجاب في حيرة :

ـ لم تعد تخف الى لقائي كما اريد !! وتنتحل شتى العلل كي تفر الى بعيد !

فقالت الام :

ـ لعل لها عذرا .

فقال الامير :

ـ لا يا أماه ، لقد علمت انها تتضايق كثيرا ، حين يذكرها بي متحدث ! وبالامس قامت من النوم فزعة ،

الرسالة الثالثة

روحي على الشام ما تنفك حائمة ... شوقا اليك وفي الشهباء جثماني
كانها طائر غابت أليفته ... فطار في الجو يدعوها بتحنان
فلم تجبه وأمضى يومه جزعا ... يهوي ويصعد من عال الى دني
فتارة بين آكام وأودية ... وتارة فوق أشجار وغدران
كأن أصواته في الجو حشرجة ... مما يعانيه من هم وأشجان
وما درى ان طيرا جارحا لحما ... قد صادها وهي تبغي عشها الهاني
حتى اذا البحث أعياه وحطمه ... يأس وأقبل ليل المتعب الواني
مضى الى دوحتين قد تشابكتا ... زهرا بزهر وأغصانا بأغصان
وحط حيث رآها اولا وشكا ... لها الغرام وناجاها بألحان
وضم فضل جناحيه على جسد ... واه ومات ولم ينعم بلقيان

كانني ذاك أو قد مسني خبل ... من سحر عينيك عناني وأضناني
أهفو اليك على بعد ويحزنني ... ان يملك الحسن يوما غير فنان
لا يعرف الحب الا حاجة عرضت ... ولا يرى في الغواني غير ابدان
ولا يطيق صعودا فوق عالمه ... الى نجوم بعيدات وأكوان
وحامل النور بين الناس مطرح ... قد أنكرته البرايا أي نكران
يرى الجمال بعينيه ويحرمه ... ولا يقر على بأس وحرمان
فقلبه يتلظى في جوانحه ... كأنه حمم في جوف بركان
وكم شدا من اغان فيك ساحرة ... تبقى على الدهر ما كر الجديدان
حب وبعد أقاسي منهما عنتا ... يا طيب حسنك أحياني واشقاني

حلب — عمر ابو قوس

وصاحت : « لا أريده ، لا أريده » ثم أجهشت ببكاء مرير !! .

قالت الام :

ـ وماذا يقول الناس حين نتركها وقد علموا انها خطيبتك المصطفاة !!

قال الامير :

ـ ليقل الناس ما يقولون !!

فأجابت الام :

ـ لا بد ان نحفظ سمعتها في المدينة ، فاذا صممت على رفضها فهي لاخيك !

نظر الامير في اكتئاب وصاح :

هي له اذا أراد .

أسرعت ألام ، فأصطحبت زوجها الى المريض ، وبشرته بالنبأ العظيم ، فانتفض انتفاضة مدهشة وسقطت دموع الفرحة من عينيه ، وترقرق دم البهجة في وجنتيه الشاحبتين ثم صاح بوالده : ـ من حدثك عن سري يا أبتاه ! وهو في صدري سجين حبيس !! ؟ فقال علاء الدولة متضاحكا : ـ لقد أطلقه ابن سينا من محبسه فمزق الاغلال والقيود . قال الامير : ـ وهل علمت رباب ؟ انقذوها فقد آن ان تستريح !! .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

عدوة القمر

بقلم عيسى الناعوري

في جناح النساء في أحد مستشفيات الامراض العقلية ، رايت اصنافا من البشر يبدو لي انها « تنعم » بألوان من البلاهة تبين حقيقة انسانية الانسان حين يتعطل عمل العقل ، ويعيش الانسان انسانيته ـ الخيرة او الشريرة ـ بالفطرة البريئة وحدها . اتراها بهيمية الانسان عندما يفقد عقله الواعي ؟

يخيل الي انها شيء بين البهيمية والانسانية ، بل لعل البهيمة تملك السيطرة على تصرفاتها الى حد ما ، بينما لا يعود الانسان يملك السيطرة على تصرفاته حين يصبح آلة تدور بعيدا عن سيطرة العقل وادارته وتنظيمه ، ولا يعود يعرف الخجل من تصرفاته مهما بلغ من غرابتها .

كانت لي في المستشفى قريبة اكملت مدة علاجها ، وقد ذهبت الى هناك لكي اعود بها الى البيت . وحين دخلت البهو العريض الواسع رايتها تجلس في أحد الصالونات الانيقة المترامية في جوانب الممر الطويل . وكانت تجلس معها نساء اخريات : واحدة تقرا كتابا ، وثانية تطالع صحفا امامها ، وفتاة في نحو الثامنة عشرة تعزف على البيانو ، وثلاث عجائز يتحادثن حديثا عاديا في جو عائلي .

الفتاة التي كانت تقرأ كتابا نحيلة الجسم ، سمراء الشعر ، واسعة العينين ، ساهمة الوجه في كآبة شديدة . وكانت عيناها ما تكادان تهبطان على الصفحة المفتوحة امامها حتى تعودا فترتفعان عنها في ترقب وقلق . فما ان رأتني مقبلا حتى القت الكتاب من يدها على طاولة امامها واقبلت تلقاني في لهفة . وقبل أن أدخل الى الصالون كانت قد امسكت بذراعي ، ورفعت نحوي عينين ضارعتين ، وبادرتني تقول بالفرنسية :

ـ مسيو ! هل تتزوجني وتأخذني معك الى فرنسا ؟ سأكون خادمتك ! سأعطيك كل حبي ! سأكون عبدة لك ! هل ستأخذني الى فرنسا ؟

وفوجئت بهذا اللقاء ، ورحت أنقل عيني الحائرتين بين الفتاة التي تتوسل الي ضارعة ان أتزوجها وآخذها الى فرنسا ، وقريبتي التي نهضت واقبلت نحوي من الصالون بخطى وئيدة مترددة . واخيرا قلت للفتاة المتعلقة بي مترفقا :

ـ آسف يا انسة ! ولكنك ستجدين غيري أفضل مني ، وسيتزوجك ويأخذك الى فرنسا .

فانصرفت الفتاة عني كسيفة وعادت الى حيث كانت تجلس من قبل ، وتناولت الكتاب من جديد متجهة بوجهها دائما نحو الباب الذي معك الى فرنسا ؟ سأكون خادمتك ! سأعطيك كل حبي ! سأكون عبدة لك ! هل ستأخذني الى فرنسا ؟

وفوجئت بهذا اللقاء ، ورحت أنقل عيني الحائرتين بين الفتاة التي تتوسل الي ضارعة ان أتزوجها وآخذها الى فرنسا ، وقريبتي التي نهضت واقبلت نحوي من الصالون بخطى وئيدة مترددة . واخيرا قلت للفتاة المتعلقة بي مترفقا :

ـ آسف يا انسة ! ولكنك ستجدين غيري أفضل مني ، وسيتزوجك ويأخذك الى فرنسا .

فانصرفت الفتاة عني كسيفة وعادت الى حيث كانت تجلس من قبل ، وتناولت الكتاب من جديد متجهة بوجهها دائما نحو الباب الذي كنت قد دخلت منه .

وقالت لي قريبتي : ـ مسكينة ! هكذا تفعل مع كل رجل يدخل الى المستشفى .

ومن نافذة عريضة في طرف الممر ، مغلقة بقضبان حديدية ، وتطل على البحر ، جاء صراخ سيدة : « ها هو يعود ! آه يا حبيبي ! انه يعود الي من الكنيسة متأبطا ذراع عروسه في ثياب الاكليل البيضاء ! » .

وتركض السيدة ملهوفة مضطربة بين النافذة ووسط الممر ذاهبة آئبة ، وعيناها تحملقان في اتساع غريب ، ويداها تشيران الى البحر البعيد : « ها هو ! عروسه معه في ثياب العرس البيضاء ! » .

ونظرت الى قريبتي متسائلا ، فقالت وهي تسير الى جانبي نحو الصالون : « لقد غرق ابنها في البحر قبل زفافه بيوم واحد ، وعمره اثنان وعشرون عاما » .

وفي الممر الطويل كانت سيدة بدينة سمراء ، فارعة القوام ، تذرع الممر ذاهبة آئبة ، لا تتعب ولا تمل ، ولا تنتبه الى شيء مما يدور حولها : تسير الى احد طرفي الممر ، ثم تعود ، حتى اذا ما وصلت الى منتصفه استدارت نحو الجدار حيث تتدلى ايقونة كبيرة للسيدة العذراء ، فتركع امامها وتأخذ في الصلاة ويداها متشابكتان مرفوعتان الى فوق ، نحو الايقونة ، ومسبحة طويلة كبيرة الحبات تتدلى من بين أصابعها المتشابكة على ذراعيها العاريتين حتى أعلى الكتفين . ثم تنهض وتكمل ذرع الممر الى الطرف الآخر . ثم تنقلب عائدة حتى تصل الى منتصف الممر ، فتجثو من جديد امام ايقونة السيدة العذراء ، وهكذا طول النهار ، لا تكف عن ذلك الا في مواعيد الطعام والنوم ، حين تجيء الراهبات ليأخذنها في رفق وأناة الى المائدة او الى السرير ، ويمضين في مسايرتها كالاطفال حتى تفرغ من طعامها او حتى تغمض عينيها بتأثير حقنة مخدرة او حبتي دواء منوم .

كانت مشيتها عصبية : جريئة وسريعة . وكانت تسير وهي تتلفت كالحصان المذعور الى اليمين والشمال ، بعينين فيهما رعب ، واستغراب ، وشيء آخر لم أستطع ان اجد له وصفا حقيقيا : لعله التحدي ، او لعله الحقد والكراهية ، او لعله الرغبة في التحطيم والتدمير .. ولكن نظراتها العصبية كانت تهدأ وتتحول الى صلاة ضارعة ، ولكنها

متكبرة متحدية كذلك رغم ضراعتها ، حين تصل الى ايقونة العذراء المتدلية على الجدار في وسط الممر الطويل.

ولم احاول ان اتحدث الى السيدة ، فقد قالت لي قريبتي انها لا تطمئن الى الحديث مع احد غير الراهبات اللائي يعنين بها بمنتهى الرقة والرفق .

وفي الصالون كانت تجلس سيدة جميلة هادئة ، في نحو السابعة والثلاثين من العمر ، تطالع صحفا فرنسية . وهمست قريبتي في اذني بعد ان جلسنا في الصالون : « انها سيدة ايطالية تجيء الى المستشفى من حين الى اخر في مواعيد معينة يكون فيها القمر في تمامه ، فتقضي هنا اياما لا تخرج فيها في المساء لئلا ترى القمر الذي تكرهه » !

ـ تكره القمر ؟! حكاية لطيفة دون شك ، ولكنها لا تسر الشعراء ...

ـ ان زوجها يجيء ليزورها كل يوم ، ويبقى معها حتى المساء . وهي هادئة ، عادية السلوك ، الا اذا ذكر القمر امامها ، فعند ذاك تضطرب ، وتحملق عيناها مذعورتين ، ويرتعش جسدها كله من الخوف .

وشعرت بأنني انظر الى السيدة دون ارادة مني . وقالت قريبتي : « لم نستطع ان نعرف سبب كراهيتها القمر وخوفها منه . الطبيب نفسه ما يزال حائرا رغم المرات العديدة التي جاءت فيها الى المستشفى للعلاج » .

والتقت عيناي صدفة بعيني السيدة ، فابتسمت وحييتها بايماءة من رأسي . فردت بدورها على التحية بابتسامة ، ثم سألت :

ـ أانت شقيق الانسة ؟

ـ بل قريبها . قلت هذا بالايطالية .

فهتفت السيدة مسرورة : ـ آه ! وتتكلم الايطالية ! كم انا سعيدة لهذا ! أتأذن لي بالجلوس معكما ؟

وقبل ان اقول لها : ـ « تفضلي .. بكل سرور .. » كانت قد نهضت واقتربت من مكان جلوسنا ، ثم أخذت مكانها بيني وبين قريبتي . وقالت وهي تصافحني :

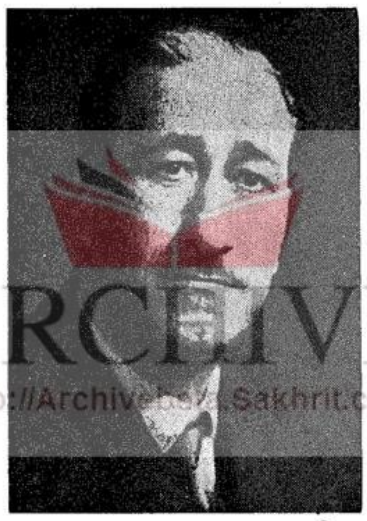
ـ اسمي جانا ... السيدة جانا غاندولفي .

ـ تشرفنا . واسمي سعيد . وقريبتي ...

فلم تدعني اكمل الاسم بل قالت :

ـ نحن صديقتان . منذ اسبوع ونحن نعيش معا هنا ، نتسلى معا في النهار ، ونتأمل آلام الاخريات بكثير من الالم لاجلهن .

ثم تابعت قائلة : ـ انني اجيء



عيسى الناعوري

•

الى هنا كلما احسست بالضيق النفسي . في هذا المكان الهادىء ، المنعزل على قمة الجبل ، والمطل من علو شاهق على البحر الفسيح الازرق ، والغارق في خضرة الصنوبر من قمته الى حدود البحر تحت قدميه ، اهرب من نفسي ومن شيء آخر يلاحقني ...

وخفضت رأسها في حزن خائف ، ولم تكمل كلامها . فقلت :

ـ أي شيء اخر تعنين ؟ هل لي ان اسأل هذا ؟

وغمزتني قريبتي سرا ، كأنما تريد ان تقول لي : ـ ليتك لم تسأل هذا السؤال !

بطأت السيدة في الجواب قليلا . فأدرت عنها عيني آسفا ، ورحت انظر الى قريبتي نظرة تحمل معنى الاعتذار والاسف . وبعد لحظات قالت السيدة جانا دون ان ترفع رأسها : ـ انني اكره القمر ! انه عدوي الوحيد في الحياة ! .

وصمتت قليلا . ثم رفعت رأسها ونظرت الي نظرة فيها ذعر وتحد وحقد ، وقالت :

ـ أنا سيدة متزوجة ، سعيدة كل السعادة ، وزوجي يحبني ويبذل لي كل مساعدة ورعاية . الشيء الوحيد الذي ينغص سعادتي هو القمر ! اذا اطل علي من نافذة احسست بأن لصا خطيرا يجيء ليسلب سعادتي ! ولذلك أكرهه .. أكرهه .. اكرهه ! ..

فقلت الطف من ذعرها ، وانا ابتسم واربت على كتفها :

ـ أنا آسف يا سيدتي . ولكنني استغرب ان يكون هذا شعورك نحو القمر ، وكأنك لست ايطالية !.

ـ لست ايطالية ؟ ! ماذا تعني ؟ وما دخل هذا بكراهية القمر ؟

فقلت : ـ معذرة مرة اخرى ! ولكن هل قرأت شيئا من شعر شاعركم العظيم ليوباردي ؟

فأجابت بعينين واسعتين مستغربتين : ـ ليوباردي ؟ طبعا ! ومن لا يعرف ليوباردي العظيم ؟

فقلت : ـ أتذكرين كيف يصف ليوباردي القمر في قصيدته « مساء يوم العيد » ؟ اسمعي :

الليلة صافية حلوة ، ولا رياح فيها . وعلى السطوح ، في وسط الحدائق ، يستريح القمر ساكنا منعشا . ومن بعيد تبدو جميع الجبال في أتم صفائها . فيا سيدتي الحبيبة ! لقد صمتت الدروب كلها ،

عينـــاك

★

عينان ، أم اسـطورتا عطـر ، أم عالمـان من الهوى العـذري
تتلفتان ، فينتشـي ولـه ، ويهيـم فـي غيبوبـة العمـر
النرجس الوســنان حلمهما والزنبـق المغموس في السحر
برئت مـن السـؤات غمزتـه فالطهـر يسري أينمـا تسري
ويرف جفن ، فالدنى ظمـأ لرفيـف جفـن ناعس يفـري

عينـــاك أدري ان بوحهمـــا حب ، وأي الحـب ؟ لا ادري
وتغربين الطـرف تـائهـة ، فيتيه صب ، موجـع الفكـر
من ذا معلمـك الهوى مرحـا ، لـولا يعلمنـي علـى الصـبر

أحببت فـي عينيـك دلهمـا وبـراءة تختـال بالطهـر
أحببـت أحلامـا بلمحهمـا أشتاقهـا في السـر والجهـر
فكـأن كـل تلفـت غنـج أرجوحـة للثغـر والنحـر
ولأنت عطر الزهـر أنشـقه ، فأضـل بـين العطر والزهـر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوزي عطوي

وفي الشرفات ، من خلال النوافـذ المفلقـة ،
يطل المصباح السماوي نـاعمـا خجـولا ..
وفي شبه هذيان ، أو خدر لذيذ ناعم ، رددت السـيدة : « يطـل المصباح السماوي ناعما خجولا ! » ثم همست : « ليوباردي ! »
فتابعت الضرب على الوتر عينـه الذي رايته اصاب السيدة بهـذا الخدر الحلو :
أوتذكرين ايضا ما قاله في قصيدة أخرى عنوانهـا « الـى القمـر » ؟ اسمعي ما يقول :
أيها القمر الجميل ، انني لاذكر الان ، وقد انطوى عام اخر من عمري ، أنني كثيرا ما جئت الى هذا التل مثقـلا بآلام نفسي
لكي أشاهد بهاءك .
وكنت تتدلى دائما فوق هذه الغابة ، كما تتدلى الان ، وتغمرها بالضياء .
... يا قمري الحبيب !
وفجأة نهضت السيدة متهللـة ، امام استغراب قريبتي ودهشتها ، وطوقتني في فورة عجيبة وهـي تقول :
ـ سأقبلك قبلتين : واحدة لـك والثانية لليوباردي ! .. لقد ادخلت في نفسي نورا حقيقيا ...
ثم كأنما أحسست بأنها أتت أمرا يستوجب الاعتذار ، فالتفتت نحـو قريبتي وقالت :
ـ معذرة ! كان الامر أقوى مـن ارادتي ! ..
فقلت : ـ المهم ان تزول كراهيتك للقمر ، لئلا يغضب ليوباردي ! .. هل استطيع أن اعتقد انها زالت ؟
فنظرت الي وفي عينيها دمعتان تهمان بالسقوط ، وعلى ثغرهـا ابتسامة عريضة تجمع بين الغبطـة والبكاء . وهزت رأسها الى اسـفل هزتين متتاليتين وهي تجيب من بين اسنانها :
ـ ايهـه ! ...

عمان عيسى الناعوري

اصـــداء

بقلم اديل الخشن

★

أراه ،
ويفرح قلبي ، يكبر
ويتوارى عنه الضباب ..
حياتي كلها تفيء اليه
تنداح مع وهج نبضاته
بخورا لاهثا على اهدابه

كـان خيطا دقيقـا
يبص كحشرة القطرب
في ليالي تشرين
اعطيته من كياني فتوقد
كنت وراءه كالدخان
الذي يواكب تحليق الطائرة
كنت وقوده
احترق ليضيء ،
وانتهي ليبـدأ .

وكان مصباحا هادئا
نـوره يعلـو
مع كل زفرة من صدري
زيته يندفـق ،
بعد كل نبضة في قلبـي
يلتهم اكداس العتمة حولي
ويشلح على الليل
انفاسا بيضـاء .

غمرتني فرحة مرنحة وانا احضنه
ضوءا سـاطعا
يتجذر في اعماقي
جائعا يتلهف ... اطعمه خفقاتي
ارنـو اليـه ،
فيتألق المجـد في عيني
وينتشي الاعتزاز على فمي .
ارقبه يتصاعـد
فأستطيب الغنـاء
وانصهر بالليـل ،
لاراه يكحل الشروق .

وهبت رياح قويـة
تراقص لها مصباحي
كانت السنة الضوء تتطاول
تحاول الانفلات من الزجاجة
تريد معانقـة الفضاء
الدخول في اللامحدود ...
الريح تنفـخ فيهـا
وتدفعهـا بهوس
خصلات الضوء امتزجت
مع خيوط الدخـان
وخشيت ان يطفأ النور المشع
أن يحجبه عن عيني
سـخام متراكم ،
فانحنيت ادرأ عنه اللفحات
اظلله بالاجفان
واكتم نداء الامواج ..
كنت كالفراشة ،
ادور واندفـع
لاحتجـز الضوء
وافنـى فيـه .

الدخان يخز عيني
يطلع منهما الليل ،
قلبي يلفه الغروب
ينغلـق كالصمت ،
المسافر على رؤوس الاجنحة ،
ويبقى مصباحـي
يتراقص في جنون !
عـد الـي ...
يا لهبا شرد من انفاسي
يا فجرا افتح عيني على لمساته
يا ضوءا يبهرني
ويفجر دموعـي ! .

الشويفات ـ لبنان

اديل الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لذكرى العقاد

مهداة الى ابن أخيه عامر العقاد والى صديقه طاهر الجبلاوي

★

ماذا صنعت بفنك الهامي ... بعد الحياة بعالم سامي

يا ليت تملك فيه قائلة ... لتجول في طرس وأقلام

كتب مئين تركت مجمعها ... يحيا بذكرك كر أعوام

غالبت دهرك في خوالدها ... أسفار آداب لعلام

من كل لون في الحجى سمقت ... آثاره آيات احكام

« العبقريات » التي بزغت ... من شمس عقلك ذات ألهام

والسيرة الغراء نافحة ... عهد الرسول بفيض اعظام

ومن الصحابة كل وارفة ... بعوارف تاريخها نامي

نسج الزمان على بواقعها ... أبراد أفراح وآلام

والشعر كنت بعطره عبقا ... أطلقت فيه جناح دوام

أغنيته فكرا ومعرفة ... وبطبع جود غير نظام

أما الخلاق فكنت حاليه ... من دون ما دس وآثام

ما قيمة الادب المهين ، وما ... جدوى الدنا يا قيد أفهام

قد عشت في بحر لواطمه ... نقد عليه جلادك الدامي

تبني وتهدم للعلى مثلا ... وسواك ينقد نقد هدام

ملء الضغينة قلبه وله ... نفثات تحريق واعدام

يمضي الخصوم كما مضيت ولا ... يبقى سوى حق هو الحامي

البستني (عباس) تكرمة ... فكتبت في جميل انعام (١)

أوجدت حسادي وان لهم ... فضلا علي بصفو أيامي

(١) اشارة من المحاسني الى المقال التحليلي الضافي الذي كتبه العقاد عنه لكتابه «شعر الحرب في أدب العرب » في كتابه « أشتات مجتمعات في اللغة والادب » » طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ .

دمشق ... زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



انـور الجنـدي

نـدوة احمـد حسين

بقلم انور الجندي

* * *

عفا الله عن استاذنا « احمد حسين » وكتب الله له الشفاء والعافية ، وكشف عنه الضر ، واعاد اليه موفور الصحة لتتجدد ندوته الطريفة العامرة بالشخصيات اللامعة ، والتي سعدنا فيها بلقاء عدد من الاعلام : .

الاساتذة الشيخ أبو زهرة وموسى صبري واحمد الشرباصي ومحمد صبيح وخالد محمد خالد ومحمود جبر والدكتور بدران وعبد العزيز الدسوقي وغيرهم كثيرون ادباء ومحامون وعلماء ، ورجال كثيرون قدموا من مختلف انحاء العالم والجامعات الغربية يدرسون مصر بين الحربين وسعوا الى مجلسه يستمعون منه التاريخ الحي ، ويراجعون معه صفحات من حياة مصر في الثلاثينات عندما لمعت في سمائها مشروع القرش ومصر الفتاة وجريدة الصرخة .

ومن الاستاذ احمد حسين استمعنا الى ذكريات عن اصدقائه الثلاثة الكبار عزيز المصري وصالح حرب والدكتور احمد علوش الذي كان يغشى الندوة كثيرا في أيام السبت منذ عام ١٩٦٥ حتى توفي الى رحمة الله في العام الاسبق .

ويحمل « احمد حسين » على اكتافه تاريخ طويل يمتد منذ شارك في ثورة ١٩١٩ يافعا صغيرا ثم برز تبريزا في عام ١٩٣٠ وهو ما زال طالبا في الجامعة ومعه فتحي رضوان ومحمد صبيح وحافظ محمود ، وجيل كامل شارك معه في تلك اليقظة التي عرفتها مصر في هذه الفترة مجددة حياتها الفكرية والسياسية بعد ان ضعف نفوذ الاحزاب السياسية وتكشفت عن تخلف عن مستوى المسؤولية الوطنية ، فكانت مصر الفتاة احدى الصيحات العالية : المصرية والعربية والاسلامية .

وما زال أحمد حسين منذ الثلاثينات يتدفق خطابة وندوة وكتابة ينتقل من مرحلة الى مرحلة ، ومن حلقة الى حلقة من حلقات الفكر السياسي والاجتماعي ، والثقافة الروحية والعقلية .

وهو منذ الثلاثينات لم يتوقف ولم ينقطع عن العمل ، في مجالات مختلفة ، وفي كل مجال من هذه المجالات قدم خلاصة فكره وعصارة روحه ، ونبض عقله ووجدانه معا ، واذا كان لنا ان نرصد هذه المراحل فاننا نسميها على التوالي :

« المرحلة الوطنية ـ المرحلة الروحية ـ المرحلة الانسانية ـ المرحلة الاسلامية » .

فقد بدأ حياته مجاهدا وطنيا يحاول ان يبني لقوميته وامته نهجا جديدا من الحياة السياسية والاجتماعية ، بعد ان اضطربت هذه الحياة حين تخلف عنصر « الايمان » فيها وبرز الساسة في الثلاثينات ، وقد تخففوا من قيم الاخلاق والاسلام . حتى ليمكن القول بأن الدعوة الى « المصرية » التي قادها احمد حسين ـ اذ ذاك ـ كانت تصحيحا اصيلا لمفهوم (المصرية) ومحررا لها من دعوات تريد ان تربطها بالفرعونية والوثنية ، ووضعها في مكانها الطبيعي ، باعتبار مصر جزءا من الامة العربية في اطار العالم الاسلامي .

فالدعوة الى المصرية قبله كانت دعوة اقليمية فرعونية مفرقة في الانحراف وتجافي الارضية الاسلامية العربية ، أما هو فقد اعادها الى مكانها الاصيل : مصر التي تتصل بجذورها العربية الاسلامية ، وتلك رسالة جوهرية ونهج هام في طريق حركة بناء الفكر العربي خلال تلك المرحلة ، هذا مع دعواته الى الجلاء والحياة وبناء الوطنية على قاعدة الايمان والاخلاق والدين .

ثم لم يلبث « احمد حسين » ان طور فكره مع الاحداث وحاجات الامم فأهدى لها مفهوم « العدل الاجتماعي » والبناء الاقتصادي القائم على العلم والعمل والمتصل بمفهوم الاسلام ، ثم خطا خطوة اخرى في مواجهة حملات المادية والالحاد ، فقدم كتابه الضخم « الطاقة الانسانية » وفيه يكشف اسرار العلم وادق دقائق « التكنولوجيا » ويردها الى مصادرها الطبيعية في مفهوم المؤمنين بالله ، ثم لا يلبث احمد حسين ان يتجه الى مفهوم « الانسان » نفسه كعامل جامع للامم والشعوب ، ستصل اليه الانسانية حتما بعد ان تخلص من صراعاتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأوهامها ، فارسل صيحته العميقة في كتابه الضخم الثاني « الامة الانسانية » .

ثم وصل سريعا الى الغاية التي كان لا بد ان يصل اليها منتهيا من حيث بدأ حيث كتب كتابه « الاسلام ورسوله بلغة العصر » ذروة لفكره وعصارة لايمانه بالله وبالاسلام .

وكان في أيامه القريبة وقبيل مرضه الذي يقدم اليوم بعون الله منه الى العافية ، غارقا في كتابة زبدة مشاعره وعقله : « محمد نبي الانسانية » .

* * *

في ظلال هذا الجو الذي عاش الاستاذ احمد حسين فيه سنواته الاخيرة التقينا في ندوته امسيات السبت منذ عام ١٩٦٥ حين كان مشغولا بكتابة ثلاثيته : « ازهار ، الدكتور خالد ، واحترقت القاهرة .. » التي صور فيها تجربته السياسية منذ عام ١٩٣٢ الى ١٩٥٢ تقريبا .

واني لاذكر كيف لقيت الاستاذ احمد حسين في دار الكتب في اواخر عام ١٩٦٣ يراجع الصحف اليومية فترة الحرب وجرى بيننا حديث عن السر في اختياره هذا المنهج في كتابة تاريخ مصر خلال هذه الفترة ، التي لم يؤرخ لها بعد ، وقد توقف العقاد عند سعد زغلول حتى وفاته سنة ١٩٢٧ وتوقف الدكتور هيكل في مذكراته حتى عام ١٩٣٦ وكتب عبد الرحمن الرافعي تاريخ هذه الفترة في كتابه « في اعقاب ثورة ١٩١٩ » .

وبقي أن تكتب هذه الفترة على نحو يكشف عن جوانب الصورة من وجهة نظر الذين شاركوا فيها فعلا ، وكان لهم في احداثها دور ، فلا شك ان دراسة هذه الفترة ضروري لفهم العوامل الاساسية التي من اجلها برزت الثورة المصرية العربية الكبرى التي انبعثت عام ١٩٥٢ وقد استطاع احمد حسين ان يقنعني بأن كتابة تاريخ مصر على هذا النحو الفني الذي اختاره في ثلاثيته هو النهج الاصلح وقد ارتضاه لأمرين :

الاول : ان القصة هي الفن الذي اختاره كبار الكتاب العالميين في اعطاء الاحداث التاريخية قوة الحياة في اطار صورة انسانية كاملة .

الثاني : ان المذكرات السياسية لا تلقى من القراء من يعنى بها الا صفوة قليلة من الباحثين ، اما القصة فانها تجد مجالا واسعا بين الشباب ومن الحق ان يقال ان تجربته الواسعة ، وعمق فهمه للاحداث ، من تحويل عصارة هذه المرحلة التاريخية الى عمل « احمد حسين » فتى ، ولعل مما يضيف الى هذا العمل اهمية كبرى ، ان المؤلف كان احد الاشخاص المتحركين على مسرح الاحداث نفسها ، وانه لم يكن مشاهدا يجلس بين صفوف النظارة ، وان الاحداث قد اطبقت اخيرا عليه من خلال ازمة من اضخم الازمات هي حادث « حرق القاهرة » .

ومن خلال ندوة الاستاذ احمد حسين كانت المناقشات تجري رخاء ، حول مفاهيم الادب والتاريخ والقصة والفن والمؤلفات العالمية والعربية الحديثة ، وكان صاحب الندوة كثيرا ما يقرأ لنا مقالاته او فصولا من ثلاثيته ، ويطالبنا بأن ننقد ونبدي الراي ، وشهد الله لقد كان سمحا اذ كان كثيرا ما يتقبل ملاحظاتنا ، ونحن تلاميذه ، ويعدل ويحور ..

ومن حق ان هذه اللقاءات قد أتاحت الفرصة للتعرف عن قرب الى شخصية عريضة ، فيها قدرة عجيبة على التطور والحركة ، مصممة على ان تحيا الحياة كاملة خصبة ، فهو عقل مفكر لا يكف ، واحساس نابه لا يتوقف ، ولا يجد نفسه منفصلا عن الحياة ، او متجمدا من خلال نظرية او رؤية ، لا ينعزل ابدا عن موكب البشرية او تطورها ، وهو متطلع دوما الى الفكر الانساني ، سائر معه ، يحاول ان ينقل منه لأمته ، منذ عرف الطريق الى العمل من اجل الوطن .

اما جذوره واسسه فهي واضحة قائمة لم تتغير ، انها مصدر هذه الحركة وهذه الحيوية ، فهو مؤمن بمصر والاسلام ، مؤمن بأن هذه الامة التي قادت الانسانية في فجر الحضارة اعظم مكانة من اكبر الدول العالمية اليوم شهرة ، ومن هنا فهي لا تزول ، ويجب ان تأخذ مكانها الحق ، وهذا الايمان عزه مرتبط بمفهوم « الانسانية » المستمد من خلفية الفكر الاسلامي اساسا ، اخاءا وحرية وايمانا بالله ، من خلال العلم والعقل دون ان يجعل للتهويسات او الظلال .

فرضوح الرؤيا عنده يجعل قلبه دائما مساويا لعقله ، ان عاطفته الكبيرة الجياشة تدفعه في قوة ، ولقد كانت تدفعه قديما في عنف ، ولكن الايام راضته فوضع مشاعره وعواطفه ، في ضوء العقل ، واقتنع بها . ومن ثم فليس لديه صراع بين العقل والقلب ، ولكنه يعيش بهما معا ، أما اعماقه فهي اعماق المصري العربي المسلم الاصيل : ومشاعره وتصرفاته مهما تغلفت بمفاهيم تولستوي الذي يحبه ، ذات جذور عميقة بالاسلام ، ومفاهيم هذه الامة في اعماق ضميرها ، فهو اصيل اصالة الفكر العربي الاسلامي ، وقد بلغ هذا العمق بالتجربة والرحلة والقراءة والبحث ، فقد أتاحت له الحياة تجربة عريضة على مستويات اربع :

الرحلة والسجن والناس والقراءة .

فهو في خلال ثلاثين عاما وتزيد قد جرى في هذه الآفاق فبلغ منها اقصى ما يمكن ان يبلغه ، فيه طابع الزعامة الفكرية التي غلفها اول الامر طابع الزعامة الوطنية ــ ولا أقول السياسية ــ فكانت صيحته تعبيرا عن ضمير الأمة في الثلاثينات ، حينما تطوح امر الحركة الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ ، وبلغ الامر في السياسة مبلغ الاحتراف ، فلما اعلن صيحته كان يمثل روح هذه الامة

وضميرها ومن خلال الواقع السياسي لمصر كان يفتح الطريق لرؤيا جديدة ، فقد حمل معه دائما فكرا مجددا ، كان ينظر الى الافق العالمي ، ويدعو هذه الامة لتأخذ بالوسائل والاساليب المجددة في سبيل اقامة نفسها في المكان الحق لها ، فكانت دعوته منوعة في مجال الاقتصاد والسياسة وبناء المصانع بقروش الشعب وبناء الشباب في مجال القوة ، وتوالت دعوته وتطورت في مضمونها وأساسها وكان قوامها اعطاء هذه الامة مكانها الحق ، وابلاغها موضع الكفاءة والجدارة .

واذا به يتطور مع النهضة فكلما بلغت مرحلة سبقها الى مرحلة اخرى ، حاملا لواء كل دعوة ، يرى انها ترفع من شأن هذه الامة وتعلي قدرها ، وتحقق لها النهضة والقوة والحياة . صحيح ان فترة الحماسة قد خف مظهرها بارتفاع السن ، ولكنها تحولت الى قوة فكرية ، كما تطور مجاله فلم تعد الجماهير الهادرة ، ولكن في دائرة المثقفين والممتازين ، والصفوة من القارئين والباحثين .

وما يزال مجاله الفكري مفتوحا الى باحة كبيرة يتطلب العمل فيها عمرا مديدا فقد توسعت آفاق فكره وآفاق تجاربه ومطالعاته ولقاءاته ومشاهداته في خلال رحلة العمر الطويلة العريضة التي امتدت الى اسيا وامريكا

وامتدت الى الوف الناس ومئات المثقفين والقادة في العالم كله ، والى قراءات لا حد لها في الفكر والسياسة والاجتماع في المجال العالمي كله . فاذا هو حي حياة المفكر القادر على العطاء ، وصاحب الرسالة التي لا تنتهي .

★ ★ ★

ولم يكن احمد حسين مؤلفا وكاتبا وسياسيا فحسب ، ولكنه كان من أساطين المحاماة والخطابة ، من ذلك الجيل الرائد الذي عرف ببلاغة البيان وعبقرية القانون والقدرة الاخاذة على احتلال ناحية التعبير والاقناع .

وهو كذلك في ندوته بارع ، مقنع ، يأخذ طرف الحديث فيصغي الجميع ، ويتسلل الى القلوب والعقول بمنطق بارع فيقنع ، وربما يكون الراي الذي اثير في أول الامر موضع المعارضة ، لظلام حوله ، او لخفائه في بعض جوانبه ، فاذا هو يجليه في براعة فائقة ...

يتحدث في ندوته وجميع من فيها من تلاميذه ومحبيه ، ولكنه لا يفرض الرأي ، ولا يسيطر ، بل يدع الكلمة تأخذ منطلقها والراي يجري كالماء النمير ، وفيما بين ذلك يعد الشاي الجميل الذي يغلى في « انائه » المغطى بالطاقية الصوف ، ثم تدور اكوابه الجميلة ، مرة ومرة ، من خلال حجرة مكتبه العامرة بالمجلدات ودوائر المعارف، وبين حديث ينقطع مرة ومرة لتلبية نداء الهاتف ، والداعي يتسم بالبشاشة ، والشباب ، وما زال وهو معتكف في بيته يعمل ويقرأ ، فلا ينقطع عن محبيه الا يومي الخميس والاثنين حيث يلجأ الى عزلته معتكفا صامتا ، صائما عن الطعام والكلام سجابة يومه ، وهو الى ذلك الحفي بالاصدقاء والاحباب ، يذكر فضل الله ان كتب له الحياة بعد ان مر بأزماته التي تخطاها واشدها هولا محاكمته بتهمة حرق القاهرة ، وموت القاضي فجأة قبل الحكم ، ثم تحرك الثورة المصرية التي قضت على العهد السابق كله ، ومن هنا يرى ان عمرا جديدا له قد كتب ، هنالك تحولت نفسيته تحولا كاملا الى السلام والتصوف الرفيع المستعلي على مطامع الحياة ومظاهرها ، وغرورها ، المنقطع الى العلم والقراءة ، في تسامح واخاء وحب يغمر كل شيء حوله ويضفي على أجوائه روحا من الوداد .

وكانت أمنيته الكبيرة التي عاش لها عامي ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ هي كتابة جديدة لتاريخ مصر منذ مطالع التاريخ الى اليوم ، وقد اشرك الدكتور احمد عبد الكريم واشركني معه ، ثم سابقنا كالريح ، فكتب اكثر من خمسة الاف صفحة من موسوعة جديدة لم تر النور بعد .

وفي ضوء الندوات أيام السبوت كان تاريخ مصر ، موضع العبرة ، وكانت الصور المتوالية التي يراجعها موضع الحديث ، فكنا نزداد اسبوعا بعد اسبوع علما ، وفهما وعمقا بتاريخ مصر ، الذي يحبه ويشغف به الى جوار شغفه بالانسانية كلها وبالاسلام ، وهو لا يرى في ذلك تناقضا فهي كلها جداول تلتقي في نهر هذه النفس الطموح المؤمنة بالله والانسانية والاسلام ومصر ، درة الانسانية والاسلام .

واليوم والاستاذ احمد حسين في ازمة مرضه تتصل رحمة الله به فترفع الضر يوما بعد يوم ، تتطلع القلوب الى عود ليس على الله ببعيد الى هذه الاسمار والامسيات العاطرة على ضفة النيل الخالد قبيل كوبري عباس من الروضة تتجدد فيه النفوس والارواح بزاد العقل والقلب ، وما ذلك على الله بعزيز .

القاهرة — انور الجندي

صحو

الراعي الشاب الذي كان يقص على رفاقه كل ليلة كيف انه يشاهد « جنية الحرش » بجمالها الرائع ، الذي لم تر مثله عين ، ويطيل في الحديث عنها ووصف فتنتها .
لقد عاد ذات ليلة وفمه لا ينطق بكلمة ..
ذلك انه .. رآها حقا !

حلب — علي الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عـاد آخـر

منـيرة فـارس

البـحريـن

هزة الرفض وآهات القبول
ودموع دربها راحت تطول
وصقيع أدفن الهم بـه
فيميت الشـوق فيَّ اذ يقول
عـاد آخـر
مـا لهـا الاشواق تصرخ :
عـاد آخـر

وا عذابي فيك ، لا أقبل آخر
قـل : لمـاذا ؟
قلت لي آخر من يعلم أنت
يـا لكلمـة ..
عصرت كل عروقي
وهوت تنقض كالحزن المروع
آخر من يعلم أنـت
كم تظاهرت باني ، في حبور
عندما عانقت ضيقي
عندما سـالت دموعي

أنت ما زلت احتضارا
في عروقي يتاجـج
وانتظارا كل شوقي فيه
مطروحـا ممـدد
كالمسافات التي تقصيك
مطروحـا ممـدد

كل طائر .. كل سائر
حوله كم حام تسألي حائر
أصحيح عاد آخـر
رفض الشوق سلاما فاترا
حاملا مر البشـائر
حاملا روعة يـوم
وتحيـات مسـافر

رفض الشوق سلاما ونبـا
ضاع في هجس الخواطـر
لا تلوموا .. لا تقولوا :
عـاد آخـر
فانا ما زلت انساني ناطر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الشيخ طـه الولي

رأس السنة في المسيحية والاسلام

بقلم الشيخ طـه الولي

* * *

يعتبر الناس ان اول يوم في شهر كانون الثاني هو بداية عام جديد فيمارسون فيه ضروبا من مظاهر السرور والفرح تفاؤلا بالمستقبل وابتهاجا بما هم فيه من حياة وصحة ونشاط .

وهذه العادة ليست شرقية ، بل عرفها الشرقيون على اثر احتكاكهم الملح باروبا ولا سيما بعد الحرب العالمية الاولى . ومن الملاحظ ان الاحتفال بالعام الجديد اخذ يتسم بطابع التقاليد الراسخة مع ما في هذه التقاليد من مراسم وطقوس يتوارثها الخلف عن السلف جيلا بعد اخر .

وقبل ان نتناول الحديث عن عيد رأس السنة بالذات يجمل بنا ان نذكر القارىء بأن الشعوب على اختلاف بلدانها والوانها عرفت في تاريخها الطويل مناسبات تختلف اهميتها بالنسبة لكل منا ، وان هذه المناسبات كانت الى حد ما محطات زمنية يرجع اليها الافراد في تحديد المواقيت التي تتصل بها ظروف حياتهم من خاصة او عامة . ويمكننا القول بان الاحداث التاريخية البارزة كانت حتى عهد قريب علامات فارقة يستعين بها المجتمع للانطلاق من زمن الى اخر في اطار حساباته الفردية الخاصة .

ولعل الكثيرين منا ، في لبنان بصورة خاصة ، ما يزالون يربطون زمنيا بين ضرب الطليان لبيروت وبين مواليدهم فيقولون مثلا : ولد فلان قبل الطليان او بعد ذلك ، لتعيين أعمار هؤلاء المواليد ، كما يقولون كذلك : فلان ولد في التلجه او بعد الاحتلال . وهم يقصدون بالتلجه ذلك اليوم الذي غمرت فيه الثلوج بيروت سنة ١٩٢١ او احتلال الحلفاء لبلادنا سنة ١٩١٨ .

ولا نكون مبالغين اذا اكدنا بأن ما تواضع عليه الناس من الاستعانة بالاحداث الكبرى لمعرفة التواريخ والاعمار ، يبدو اكثر وضوحا في اذهان العامة من تكرار الارقام التي كثيرا ما تشتبه على صاحب العلاقة ، فيقدم بعضها او يؤخره مما يوقعه بالارتباك والخطأ في اكثر الاحيان .

وليست هذه العادة شيئا جديدا علينا ، نحن العرب ، فلقد اعتمدها اجدادنا قبل ان تدركهم قاعدة العمل بالسنة الميلادية او الهجرية . وتحدثنا الاسفار القديمة بأن سكان الجزيرة العربية كانوا يؤرخون وفقا لحادثة أبرهة الحبشي الذي هاجم الكعبة المشرفة بجيش يتقدمه فيل ، فكانوا يقولون : حدث الشيء الفلاني قبل عام الفيل او بعده ، حتى انهم جعلوا من عام الفيل هذا ميعادا لمولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا : ولد محمد عام الفيل ، وهم يقصدون بالطبع العام الذي هاجم فيه ابرهة مكة والفيل على رأس جيشه ، ولعل العرب فوجئوا باستعمال الفيل للحرب وهو امر لم يكونوا يألفونه من قبل فاتخذوا من هذه المفاجأة موعدا زمنيا لهم فيما يعترضهم من شؤون وشجون .

واما غير العرب فلقد اتخذوا من « بدء الخليقة » حدا تاريخيا ينسبون اليه وقائعهم . وبقي استعمال « بدء الخليقة » شائعا في بعض كتب المؤرخين النصارى حتى عهد قريب الى جانب استعمال السنة الميلادية . واذا رجعنا الى كتاب تاريخ سورية للطبيب الذكر المطران يوسف الدبس فاننا نجده يستعمل التاريخين ، الخليقي والميلادي ، جنبا الى جنب في تحديد زمن الاحداث التي ذكرها في كتابه القيم .

وايا ما كان فان الرأي قد استقر اخيرا على اعتماد حادثين جليلين ليكونا منطلقا نهائيا في معرفة الازمنة التاريخية التي يتقلب فيها البشر .

اما الحادث الاول فهو ميلاد سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ، والجدير بالذكر ان التاريخ لم يحفظ لنا في اسفاره العديدة الزمن الحقيقي الذي ولد فيه السيد المسيح . وبقي هذا الزمن محل جدل كثير لا سيما بين المذاهب النصرانية مما ادى في الواقع الى عدم الاتفاق على توحيد المراسم الدينية المعتمدة في هذه المناسبة الجليلة .

ولم يكن هذا الاختلاف حديثا بل هو قديم جدا ، ويرجع الى بدء ظهور الديانة النصرانية في اول عهدها يوم انطلق الرسل للتبشير بها في انحاء العالم المعروف في ذلك الزمن .

ومن البديهي ان النصارى الاولين لم يكونوا يتخذون من ميلاد السيد المسيح طقسا دينيا ذي مراسم معينة . ولكن وجود العبادة الوثنية لدى الرومان وما كان يرافقها من مظاهر ومناسك ، حمل رواد الديانة النصرانية الجديدة على مواجهة المجتمع الوثني بتقاليد مماثلة تملأ الفراغ العاطفي لدى المؤمنين وتشدهم الى عقيدتهم الجديدة برباط وثيق من المظاهر والشكليات التي لا يستغنى عنها اي دين من الاديان . وهكذا كان ، فان آباء الكنيسة الاولين لم يجدوا حرجا في ان يجعلوا من عيد الشمس الذي كان شائعا يوم ذاك ، عيدا دينيا يرمز الى ولادة السيد المسيح ، واستمر الخلف على ما اخذ به السلف في هذا الصدد ، ولا نزال حتى اليوم نحتفل بيوم الشمس على انه يوم الميلاد دون ان نكلف انفسنا التدقيق والتمحيص ، لان المقصود في النتيجة هو الاحتفاء بذكرى عزيزة على القلوب لشخص له مكانته المقدسة بصرف النظر عن تقديم الزمن او تأخيره ، اذ لا اهمية في هذا مما نحن فيه .

وابتداء السنة ، او كما يقال تقليديا ، رأس السنة ، لم يكن دائما في اول كانون الثاني « يناير » بل كان النصارى في الزمن القديم يصرون على أن رأس السنة يجب ان يكون في يوم الميلاد بالذات وذلك لتكون الاشياء متفقة مع منطق الاحداث فلا يجوز ان ننسب السنة الى الميلاد ونبدأها في غير هذه المناسبة الهامة . وبالفعل فلقد اتخذ من يوم الميلاد رأسا للسنة الميلادية عند فريق من النصارى بينما اصر فريق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخر على اعتبار يوم الفصح رأسا للسنة الميلادية ، لان هذا اليوم بنظر هؤلاء يعتبر تجديدا للعالم لميلاد المخلص وقيامته ، على حد قولهم .

وبقيت الكنيسة موزعة بين الرأيين في تحديد رأس السنة الميلادية حتى اخذت اخيرا بالترتيب الذي وضعه احد اباطرة الرومان قبل ١٥٣ قبل الميلاد ، فهذا الامبراطور الروماني جعل مطلع العام جانوريوس ـ يناير المقابل لكانون الثاني ـ فلم تلبث الممالك المعاصرة ان تابعت هذا الحساب رويدا رويدا الى ان عم استعماله في اوروبا في اواسط القرن الثامن عشر للميلاد ، ومنها انتشر في اوساط النصارى حتى شملهم في كافة مجتمعاتهم وامصارهم .

ونظرا لمكانة اوروبا واميركا وغيرهما من القارات التي تنتشر فيها الديانة النصرانية اليوم فان التقويم الميلادي يكاد يفرض نفسه في جميع انحاء العالم على مختلف اديانه ومذاهبه واتجاهاته الفكرية .

ولقد بدرت عدة محاولات لتعديل التقويم الميلادي في اوروبا ولا سيما في فرنسا بالذات وذلك في بدء الثورة التي نشبت فيها سنة ١٧٧٩ . وكان الهدف من هذه المحاولات الاستغناء نهائيا عن السنة المسيحية وابدالها بسنة ثورية تستمد اسمها واسماء شهورها واسابيعها وايامها من معاني جديدة تتفق والروح التي كانت مهيمنة على القائمين بالثورة .

لكن هذه النزعة المتطرفة لم تلاق الصدى الايجابي فيما حولها ، لا في الاوساط الفرنسية ولا في غيرها من الشعوب المجاورة ، لذلك لم تلبث ان وئدت وهي في المهد دون ان يقدر لها الظهور والانتشار .

واستمر التقويم الميلادي القديم المرجع الوحيد لتاريخ وقائع الايام في فرنسا وكذلك في سائر اوروبا دون منازع !

واما الحادث الثاني الذي لفت انظار الناس وبصورة خاصة اولئك الذين كانوا يقيمون في شبه الجزيرة العربية وما حولها من بلدان الشرق الادنى ، فهو الدعوة الاسلامية التي حمل لواءها النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ولقد كان العرب قبل الاسلام يؤرخون بالنجوم، ومنه صار الكتابيقولون : نجمت عن فلان دينه أي تركته يؤديه في نجوم .. وكذلك كانت العرب بكل عام يكون فيه امر مشهور متعارف ، فارخوا كما قلنا من قبل بعام الفيل ، وفيه ولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان في السنة ٣٨ من ملك كسرى انو شروان ، وارخت العرب بعام الخنان والخنان وباء انتشر في الناس وقضى على كثير منهم وفي ذلك يقول الشاعر :

فمن يك سائلا عني فاني ... من الشبان ايام الخنان
مضت مائة لعام ولدت فيه ... وعز بعد ذلك رجحتان

وارخت العرب بموت هشام بن المغيرة المخزومي وذلك لجلالته فيهم . يقول الشاعر :

واصبح بطن مكة مقشعرا ... كأن الارض ليس بها هشام

وروي عن الزهري والشعبي ان بني اسماعيل ارخوا من نار ابراهيم عليه السلام الى بنائه البيت « الكعبة » حين بناه مع اسماعيل، وانهم كذلك ارخوا من بنيان البيت الى تفرق معد ، فكان كلما خرج قوم ارخوا بمخرجهم الى ان ارخوا زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سبب ذلك ان ابا موسى الاشعري احدالولاة أيامعمر كتباليه : «انهياتينا منقبل اميرالمؤمنينكتب ليس لها تاريخ ، فلا ندري على ايها نعمل ، وروي ايضا انه قرأ صكا محله شعبان ، فقال : « أي الشعبانين ، الماضي ام الاتي ؟ فكان سبب التاريخ من الهجرة بعد ان قالوا نؤرخ يوم الفيل ، وقالوا من المبعث ، اي بدء الدعوة الى الاسلام .

ثم اجتمع الرأي على الهجرة ، وقالوا : ما يكون اول التاريخ ؟ فقال بعضهم : شهر رمضان ، وقال بعضهم : رجب ، فانه شهر حرام والعرب تعظمه ، ثم اجمعوا على المحرم ، فقالوا : شهر حرام وهو منصرف الناس من الحج وكان آخر الاشهر الحرم ، فصيروه اولا لانها عندهم ثلاثة سرد « متوالية » ذو القعده ، وذو الحجة والمحرم والفرد رجب ، فكانت الاربعة تقع في سنتين فلما صار المحرم اولا وقعت في سنة واحدة .

وهكذا بدأت السنة الهجرية عند العرب وسائر المسلمين في العالم وما يزال العمل جاريا بها في الامصار الاسلامية حتى اليوم .

على ان التقويم المسيحي يعتمد في حساباته الزمنية على دورة الارض السنوية حول الشمس ولهذا يقال له التقويم الشمسي او السنة الشمسية بينما يعتمد التقويم الهجري الاسلامي على دورة القمر اليومية حول الارض لذلك يقال له التقويم الهلالي او السنة الهلالية ومن المعروف أن هاتين السنتين الشمسية والهلالية تتفاوتان في المدة اذ تزيد الاولى عن الثانية ثلاث سنوات في كل مائة سنة بسبب مطالع القمر الشهرية . وهناك قواعد حسابية يلتزمها الفلكيون عندما يريدون المقابلة بين السنتين في تحديد الوقائع التاريخية وفق كل منهما في الشهر واليوم .

والسنة الواحدة ، سواء اكانت ميلادية او هجرية عدتها الحالية اثنا عشر شهرا . غير ان هذا التوزيع الزمني للسنة لم يكن كذلك دائما عند عامة الشعوب ، بل تقلبت عليه الاحوال في الماضي السحيق، فكانت السنة عند فريق اربعة اشهر وعند غيرهم ستة ولقد جعلها روملوس عشرة شهور تبتدىء من مارس « شهر المريخ » وينتهي بديسمبر « الشهر العاشر » ثم زاد عليها توماس بامبيلوس وقيل تركينيوس شهري جاينورس وفابروارس المقابلين لشهري كانون الثاني وشباط من شهورنا المتعارفة . وهكذا جعل ابتداء السنة بشهر جاينوروس « يناير » او كانون الثاني بعد ان كان ذلك البدء بشهر نيسان « ابريل » ومن يتدبر كلمة نيسان يجدها مركبة من كلمتي نيو وسان ، ونيو باللغة الآرية القديمة تعني الجديد مما يدل على ان نيسان كان يعني اول السنة الجديدة .

ولقد تواضع علماء الدراسات الجوية على قسمة السنة في دورتها الزمنية الكاملة الى اربعة فصول مناخية ، وهي الفصول الاربعة المعروفة : الشتاء ثم الربيع ثم الصيف ، ثم الخريف ، وهي قسمة اعتبارية ترتبط بتاثر الارض بالحرارة التي تحيط بها على مدار السنة بكاملها .

اما الشهور فان عدد ايامها يتراوح في التقويم الشمسي الميلادي ما بين الثلاثين يوما والواحد والثلاثين ، ولقد فرضت هذا الاختلاف في عدد ايام الشهر الواحد عن الاخر ضرورة الاخذ بمبدأ الاثني عشر شهرا للسنة الواحدة حتى لا يبقى هناك أيام منفردة لا يفي عددها بقيام شهر مستقل ، اما قسمة الشهر الواحد الى اربعة اسابيع فيرجع الى العبرانيين الذين جعلوا كل شهر يتالف من اربعة اسابيع لان كل اسبوع عدته سبعة ايام وكان عدد « ٧ » من الاعداد المقدسة عندهم ، ولعل العبرانيين تأثروا بتقديس هذا العدد بمن سبقوهم من الاقوام الوثنية ومن الملاحظ ان هذا العدد « ٧ » ما يزال يحظى بمكانة قدسية الى اليوم لدى كافة اصحاب الاديان المختلفة ولو في حدود التقاليد والعادات المألوفة .

ولا تزال ايام الاسبوع بالعربية تشعر باصلها العددي الترتيبي المتداول حتى ايامنا هذه ، فان الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ما هي الا الفاظ عدل بها عن اليوم اليوم والثاني والثالث والرابع والخامس .

وليست هذه الاسماء كذلك في اللغات الاوروبية الدارجة اليوم ، لان الناطقين بهذه اللغات اخذوها عن اسماء ايام الاسبوع التي كانت متداولة عند قدماء المصريين في عهد الفراعنة ، اذ كان هؤلاء يخصون اليوم الاول بالشمس التي كانت المعبود الرئيسي لهم ، والثاني بالقمر والثالث بالمريخ والرابع بعطارد والخامس بالمشتري ، والسادس بالزهرة، كما يظهر ذلك لمن تدبر معاني اسماء الايام باللغة الفرنسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مثلا فان معنى Lundi يوم القمر ، او Mardi يوم المريخ الـــخ ...

على ان ايام الاسبوع السبعة ليست كلها سواء ، من حيث المكانة في نفوس الناس ، اذ يختلف هؤلاء بنظرتهم الى هذا الايام بحســب ما هم عليه من عقيدة وايمان . فاليهود مثلا يعتبرون السبت اليـــوم الذي ارتاح فيه الخالق عز وجل من عناء ايجاد الكون وما عليــه مــن عوالم وعلى هذا فهم يعطلون اعمالهم فيه ويعتبرونه عطلة الاســـبوع وميقات الصلاة الرئيسية لهم .

اما النصارى فانهم ارادوا مخالفة سابقيهم من اليهود بأن جعلوا من الاحد يوما لراحتهم وموعدا لطقوسهم الدينية الكنسية الاسبوعية . واطلقوا على اليوم الاول « الاحد » لقب يوم الرب اكراما لما يعتقدونــه من قيامة السيد المسيح فيه من قبره ويرتقي تقديس يوم الاحد عنــد النصارى الى اوائل ظهور الديانة النصرانية وهذا التقديس يرجع الى ما قرره الرسل ـ صحابة السيد المسيح عليه السلام ، وما جرى عليه تقليد آباء الكنيسة المسيحية منذ انشائها في القرن الاول للميلاد . وفي كتب النصارى المقدسة التي يتوارثونها فيما بينهم اشارة واضحة الى هذا فقد ذكر القديس يوحنا الحبيب يوم الاحد في كتاب الرؤيا (١ ـ ١٠) ودعاه « يوم الرب » .

وفي اعمال الرسل « ٢٠ ٧ » ان المؤمنين ـ النصارى ـ كانــوا يجتمعون فيه ، اي في يوم الاحد ليكسروا الخبز ، اي ليقدموا الاسرار ـ وفقا للتقاليد الدينية المسيحية .

ويؤخذ من رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتس « ١٦ ـ ١ ـ ٢ » ان جمع الحسنات للفقراء كان يتم يوم الاحد » .

اما الانجيل ، كتاب النصارى المقدس ، فانه يدعو الاحـــد اول الاسبوع وبعض آباء الكنيسة المسيحية كاغناطيوس الانطاكي وبريتاوس فانهم كانوا يدعون الاحد « رأس الايام » ويسميه بوتينوس ، على نحــو ما كان يسميه اهل زمانه أي (يوم الشمس) ويزيد انه في هذا اليــوم بالذات كان يجتمع المؤمنون ـ النصارى ـ لاخذ الاسرار ثم ما لبث ان شاع الاحد على انه « يوم الرب » في زمن قسطنطين الذي اصدر قانونا صريحا بهذا الصدد سنة ٣٢٢ م .

ويميل النصارى الى عدم القول بأنهم اتخذوا من الاحد بديلا عــن السبت يوما مقدسا رغبة منهم في مخالفة اليهود وانما هم فعلوا ذلــك لان الاناجيل الاربعة اجمعت على ان قيامة المسيح من الاموات ـ علــى حد قولهم ـ تمت صباح هذا النهار ، فهم لهذا يميزونه عن ســـائر ايام الاسبوع ، ويحتفون به في كنائسهم ويتخذونه يوم عطلة وراحـــة لانفســـهم .

اما المسلمون ، فانهم لم يكونوا اول عهدهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم يميزون بين ايام الاسبوع ولا يرجحون بعضها علـــى بعض بالفضل والقدسية ، وكانوا ، كما سبق ان ذكرنا ، يطلقون على أيام الاسبوع اسماء توحي بالتعداد والتسلسل يوما بعد يـــوم الـــى الجمعة ، فلقد كان العرب يطلقون على هذا اليوم في جاهليتهم اســـم يوم العروبة ، بفتح العين ، اي اليوم الفاصل بين الاسبوعين .. الى ان حدث ظهور الاسلام وتقررت فيه صلاة الجمعة الجامعة ، فاطلق على هذا اليوم اسم الجمعة لما يحدث فيه من تجمع الناس لاداء الصلاة فـي المسجد الجامع على نحو ما هو معروف في الدين الاسلامي .

وتروي كتب التاريخ الاسلامي انه حدث في زمن الخليفة الثانــي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان سمع يهودي مسلما يتلـــو الآيـــة الكريمة « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكـم الاســـلام دينـــا » .

فقال اليهودي للمسلم : « لو علينا معشر اليهود نزلت هذه الآية لاتخذنا من يوم نزولها عيدا » .

فلما نقل الخبر الى الخليفة عمر أجاب رضي الله عنه : انا معشر المسلمين قد علمنا متى نزلت هذه الآية واين .. انها نزلت يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يلقي خطبة الوداع في عرفات ...

ومن هنا رأى بعض الناس ان مكانة يوم الجمعة المتميزة بين سائر ايام الاسبوع ، انما جاءت من هذه الآية الكريمة وما لابسها من تبـادل الكلام بين اليهودي والمسلم مما جعل الدولة ، متمثلة بشخص امـير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تستجيب الى ما اشار به اليهودي من تعظيم اليوم الذي نزلت فيه الآية الكريمة .

بيد اني لا ارى في هذا الصدد الاخذ بهذا التعليل ، واغلب الظن ان المسلمين اختاروا لانفسهم يوم الجمعة دون موافقة أهل الكتـــاب من اليهود والنصارى على احد يوميهم ، السبت والاحد ، بدافـــع رغبتهم في ان يكون لهم يوم خاص بهم وهو امر يحتمه منطق الواقـع الجديد للدين الاسلامي الذي كان بحاجة قصوى لتحديـد معالمـــه الشخصية بما يجعله شيئا مستقلا عن بقية المذاهب والاديان الاخرى .

وبعد ، انه موضوع املته مناسبة نهاية عام واقبال عام اخر والله نسأل ان يكون فيما نستقبله من الايام الخير للامة والوطن وان تجـد فيه الانسانية على اختلاف اجناسها ومذاهبها ما يحقـق الرجـاء فـي عالم سعيد لا تشوبه مخاوف القلق ولا تسوده روح الاثـرة والانـانيـة والطمـع .

طـه الولـي

الادب المهجور

الى روح بدر شاكر السياب

صمتت جيكور
وتوارى النور
عن ماء ((بويب))
وتشكى عزلته الدرب المهجور .
وغناء الريف
أمسى في ركب الريـح صدى ناحل
أو شوقا في دوح ذابل
وليالي الصيف القمراء
ما رشتها أنغام عذراء
بل زخة ويـل !
والانجم لم تخفق في جدول حـب
أو تلهو بحنين الغدران ،
وبـوح القلب

ولت صبوات
ماتت رغبات
وانهارت تذكارات

دمشق رضوان عقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

راقصة الباليه

من الديوان المعد للطبع : عبير من دمشق

سطعت في عبقري من صباها ... أين منه الشمس وفي رأد ضحاها
فتن في كل قلب أيقظت ... فتنا للشوق ما أومت يداها
حركات الموج في أشكاله ... حققت أشكاله نسجا خطاها
لست تدري أخضما عاصفا ... كنت ما تبصر أم كنت تراها
ضربت كالنسر في أجنحة ... للهوى وانطلقت دون هواها
وانبرت تفتل في حلبتها ... كرياح عصفت ملء رباها
فيد مدت كمن تبغي قرى ... ويد أثقلها برح جواها

عمدت تجري على ابهامها ... لمدى يقصر شأوا عن مداها
وانثنت عاصفة في قطب ... عاصف يلهب من حمى لظاها
كل عضو شع من أعضائها ... كشعاع وانثنى طوع مناها
لطفت أعضاؤها واتسقت ... كدرار يسحر العين سناها
تلتوي منسابة في شاسع ... مثل أفعى تتلوى في سراها
من رآها خالها عاصفة ... من لهيب يقذف النار جذاها
أو كتيار جرى منهمرا ... بيد لم تال بذلا في نداها
أو كمثل النوط في ذبذبة ... ضل من كر ومن فر وتاها

حققت في فنها معجزة ... لم تقم في مثلها انثى سواها
حركات لم تشنها هجنة ... كانطلاق الموج نهجا واتجاها
وأفانين لها من فتن ... أشرعت للفتنة الكبرى ظباها
كاد من اعجابه حاسدها ... يرخص النفس على وجد فداها
مقل وسنى أطلت دونها ... فتن للحسن ليست تتناهى
لم تزل أعلامها منشورة ... في ميادين الهوى تروي هواها
أججت في كل قلب شعلا ... للضنى ما كان بالنذر ضناها

خلتها لما تراءت والدجى ... مطبق نيرة دون سماها
أو كطيف شارد في مقلة ... ذاد من وجد عن العين كراها
حالت البهرة شيئا عجبا ... يخلب الالباب من ورد بهاها
عطفت عطف صدود وانثنت ... كصريع أقصدته مقلتاها
رسمت ما راح يمليه الصبا ... صورا بالبشر منشورا لواها
جددت للنفس أوجاع الهوى ... وأثارت بالبكا عين فتاها
حسبها ما حققت من صور ... كست الفن فتونا وكساها
ليس رقصا ما جرت ترسمه ... بخطاها انه وحي صباها

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

اميل الغوري - صلاح الدين المباغ

خيري حماد - راجي صهيون

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ اميل الغوري

كان الشعار الذي آمن به الاستاذ الغوري وظل يردده في ندواته واسماره قول « شوقي » :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه بالخلد نفسي !

في بيت المقدس مدينة الطهر والحق ولد « اميل » سنة ١٩٠٧ وأتم دراسته الاولية في مدارسها الابتدائية ودراسته الثانوية في مدرسة المطران بالقدس وتخرج منها سنة ١٩٢٢ وحصل على شهادتها الثانوية وشهادة (اكسفورد لور سكول سرتيفيكت) وهي تعادل شهادة التوجيهية أو المترك .

وحمله مرض والده والالتزامات العائلية على العمل في مكتب شركة كوك للسياحة بالقدس وأمضى فيه سبعة أعوام ، وخلال هذه الفترة ساهم في الحركة العربية الفلسطينية وفي الحركة العربية الارثوذكسية مساهمة فعالة وانتخب لعدة سنوات سكرتيرا للنادي العربي الارثوذكسي بالقدس . وفي سنة ١٩٢٩ قصد الولايات المتحدة طلبا للعلم والتحق بجامعة سنسناتي (بولاية اوهايو) وتخرج منها بدرجة ماجستير سنة ١٩٣٢ في العلوم السياسية وقبلها حصل على شهادة بكالوريوس في « تاريخ الشرق الاوسط والقرون الوسطى » . وخلال وجوده في الولايات المتحدة دخل في مناظرات سياسية مع عناصر اميركية وصهيونية دفاعا عن قضية فلسطين .

وفي خريف عام ١٩٣٣ عاد الى فلسطين والحماس ملء اهابه وانبرى لدفع عوادي السياسة عن وطنه وعرضت عليه السلطات البريطانية وظائف عالية في حكومة الانتداب ، لكنه آثر العمل الحر فاختار الصحافة مسرحا لجهاده واصدر في القدس صحيفة اسبوعية باللغة الانكليزية اسماها : « ارب فديريشن » وبعد تسعة شهور من تاريخ صدورها أغلقتها السلطات البريطانية لمناوئتها الوطن القومي ولشجبها السياسة العشواء التي تنتهجها بريطانيا في سبيل تهويد فلسطين .

وفي خريف عام ١٩٣٣ انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني السابع فأسهم في الحركة الوطنية وشارك في أعمال الجهاد الفلسطيني وهنا اعتقلته السلطات البريطانية .

وليعوض على قضية البلاد بصحف حرة تنشر ظلامتها وتروي مأساتها أصدر في سنة ١٩٣٤ مجلة اسبوعية باسم « الشباب » وجريدة يومية باسم « الوحدة العربية » لكن المسؤولين البريطانيين عمدوا الى اغلاق هاتين الصحيفتين ومصادرة مطابعهما ، وهي ملك للاستاذ الغوري .

وليؤدي رسالته القومية على أحسن وجه التحق في سنة ١٩٣٤ بـ « معهد الحقوق الفلسطيني » ونال شهادة الحقوق ثم دبلوم الحقوق ، واجيز كمحام لكنه لم يزاول المحاماة بل انصرف الى السياسة وخدمة بلاده عن طريق الصحافة . وفي ربيع عام ١٩٣٥ انتخب سكرتيرا عاما للحزب العربي الفلسطيني ، لدى تأسيسه ، وظل يشغل هذا المركز حتى نهاية عهد الانتداب .

وعند اعلان الاضراب (١) الفلسطيني العام ونشوب الثورة العارمة عام ١٩٣٦ انتخب عضوا في الوفد الفلسطيني وقصد لندن مع رفاقه السادة : جمال الحسيني وشبلي الجمل والدكتور عزت طنوس .

وفي خريف عام ١٩٣٧ انتدبته اللجنة العربية العليا في فلسطين عضوا في وفدها الذاهب الى جنيف للدفاع عن القضية الفلسطينية أمام عصبة الامم ثم في لندن .

وفي ربيع عام ١٩٣٧ انتدبته اللجنة العربية في فلسطين لتأسيس المكتب العربي الفلسطيني في لندن للدعاية والاعلام وكان اول مكتب عربي انشيء للدعاية في الخارج ، وظل الاستاذ الغوري يدير شؤون هذا المكتب الى ان استدعته اللجنة العربية العليا في فلسطين فعاد الى القدس .

وفي صيف عام ١٩٣٧ بارح فلسطين مع الوطني المؤمن الخوري نقولا الخوري كوفد فلسطيني منتدب من اللجنة العربية العليا لزيارة تركيا واليونان ورومانيا وبلغاريا والصرب لشرح القضية الفلسطينية في الاوساط الارثوذكسية بالبلقان ولمقاومة مشروع التقسيم الذي اقترحته لجنة اللورد بيل الملكية ، وبعد ان انجز مهمته مع الخوري نقولا عاد الى القدس وتولى رئاسة تحرير جريدة « اللواء » اليومية ، وكانت تعتبر الصحيفة الناطقة باسم سماحة الحاج أمين الحسيني والحزب العربي الفلسطيني .

وانتدبت اللجنة العربية العليا الاستاذ الغوري لتمثيل فلسطين مع وفدها في المؤتمر العربي البرلماني المنعقد في القاهرة عام ١٩٣٨ ثم زار الولايات المتحدة عام ١٩٣٩ مع رفيقه الاستاذ محمد جميل بيهم لشرح القضية الفلسطينية « اليتيمة » ، وعندما اراد العودة الى فلسطين حالت السلطات البريطانية دون امنيته ... فهبط مصر وظل فيها مدة اربع سنوات ، يصرف أعمال مكتب الدعاية والنشر الذي اسسته اللجنة العربية العليا .

وفي سنة ١٩٤٢ عاد الى فلسطين بعد الغاء أمر اعتقاله وسمح له بالرجوع الى وطنه وسرعان ما استانف نشاطه السياسي ، بالرغم من ظروف الحرب العالمية الثانية القائمة ، واعاد في سنة ١٩٤٤ تشكيل « الحزب العربي الفلسطيني » الذي ظل يزاول نشاطه حتى سنة ١٩٤٦ عند تشكيل « الهيئة العربية العليا لفلسطين » (٢) .

وفي سنة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦ تولى رئاسة تحرير جريدة « الوحدة » التي كانت تصدر في القدس لاصحابها السادة : اسحق عبد السلام الحسيني وعمر الحسيني واميل الغوري .

وبعد تشكيل « الهيئة العربية العليا لفلسطين » خلال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية المنعقد في بلودان (بسورية) في حزيران ١٩٤٦ انتخب الاستاذ الغوري عضوا في هذه الهيئة .

وفي مطلع عام ١٩٤٧ انتدبته « الهيئة العربية العليا لفلسطين » عضوا في وفدها الى مؤتمر المائدة المستديرة المنعقد في لندن ، كما انتدبته سكرتيرا لوفدها الى الامم المتحدة (وكان الوفد العربي الفلسطيني الاول الى الامم المتحدة) لحضور دورتها الاستثنائية في أيار ١٩٤٧ .

وبعد صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ شارك في حركة الجهاد والثورة وفي قيادة المناضلين العرب في منطقة القدس في نيسان ١٩٤٨ اثر استشهاد المرحوم عبد القادر الحسيني في معركة القسطل يوم الاربعاء الواقع في ٨ نيسان ١٩٤٨ ، ومثل فلسطين (كعضو في الوفد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفلسطيني) في جميع دورات مجلس جامعة الدول العربية (من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨) .

وفي خريف عام ١٩٤٨ انتخب سكرتيرا عاما للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مدينة غزة ، وهو المجلس الذي أعلن قيام « حكومة عموم فلسطين » .

وفي سنة ١٩٤٩ اختارت « الهيئة العربية العليا لفلسطين » الاستاذ الفوري سكرتيرا للوفد الفلسطيني للامم المتحدة والى دول امريكا اللاتينية سنة ١٩٥٠ .

وبعد فراغه من اداء المهمة التي انيطت به انتدبته « الهيئة العربية العليا لفلسطين » قائما باعمالها في بيروت ، وظل يشغل هذا المنصب (من سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) عندما جرت محاولة لاغتياله ، فنجا منها باعجوبة وانتقل الى مصر وعمل في المكتب الرئيسي للهيئة العربية العليا كرئيس لدائرة الدعاية ورئيس للدائرة السياسية وهو المركز الذي ظل يشغله حتى عام ١٩٦٦ .

واشترك الاستاذ الفوري في الوفود الفلسطينية التي انتدبتها « الهيئة العربية العليا لفلسطين » لتمثيل فلسطين والدفاع عن قضيتها والدعاية لها ، في المؤتمرات التالية :

١ ـ عضو في الوفد الفلسطيني الى مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥

٢ ـ مندوب عن فلسطين في مؤتمر الدول غير المنحازة المنعقد في بلغراد عام ١٩٦١ .

٣ ـ رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٠

٤ ـ رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦١

٥ ـ رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٢

٦ ـ عضو الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٣

٧ ـ رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٥

٨ ـ رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٦ .

٩ ـ رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٧ .

١٠ ـ رئيس الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة عام ١٩٦٨ .

وكان يدلي ببيانات عن قضية فلسطين امام اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العمومية للامم المتحدة في كل دورة من دوراتها التي عقدت في الاعوام ١٩٦٠ ـ ١٩٦٨ .

وبعد هجرت قسرية فرضت عليه واستمرت ١٧ عاما عاد الى القدس في عام ١٩٦٥ واقام فيها واعيد تسجيله في لائحة المحامين الاردنيين المخولين ممارسة المحاماة .

وفي ربيع ١٩٦٦ انتخب بالتزكية نائبا للقدس ومنطقتها في مجلس النواب الاردني ، وفي صيف عام ١٩٦٩ عين وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل في الحكومة الاردنية .

من آثاره القلمية : منذ فتح الاستاذ الفوري عينيه على الظلامات التي أنزلها الانتداب البريطاني والصهيونية بعرب فلسطين ، وهو يرقب بدأب واهتمام تلك السياسة الجائرة التي انتهجتها بريطانيا في ذلك الجزء المظلوم ، ويشجبها بلسانه وقلمه ، ويصنف كتبا تناول فيها قضية فلسطين . ومن الكتب التي أصدرها :

١ ـ المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ـ (١٩٥٥)

٢ ـ حركة القومية العربية ـ (١٩٥٦)

٣ ـ حركة القومية العربية ومعركة قناة السويس ـ (١٩٥٧)

٤ ـ ١٥ أيار ـ (١٩٥٩)

٥ ـ فلسطين ـ (١٩٦١) .

٦ ـ المعذبون في أرض العرب ـ (١٩٦١) .

٧ ـ ملحمة الفداء الفلسطيني : جهاد الفلسطينيين ضد الاستعمار والحركة اليهودية ، من ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ ـ (١٩٦٨)

٨ ـ ثار أو عار ـ (١٩٦٩)

نموذج من نثره : « تقف الامة العربية اليوم أمام عهد جديد ، ودور مجيد من أدوار الجهاد الفلسطيني العتيد ، يستأنفه بصدق ، ويرفع لواءه بيقين ، أبطال ميامين من الفدائيين الفلسطينيين الصادقين، واخوان لهم من العرب ، انضموا الى قوافل الفداء ينشدون الاستشهاد على ثرى فلسطين ، ويسطرون جميعا ، في الارض الفلسطينية المحتلة ، وفي القدس زهرة المدائن ، صفحات جديدة من المجد والتضحية ، ويضيفونها دامية قانية الى سجل تاريخ الجهاد الفلسطيني الخالد ، بمقاومتهم الباسلة الضارية للاحتلال اليهودي الغاشم ، وبصمودهم الرائع في وجه الظلم والعدوان .

يستأنف الفلسطينيون جهادهم المقدس ، بعد فترة عشرين عاما من الزمن ، أبعدتهم خلالها هذه السياسة الخاطئة المتخاذلة ، عن ميدان قضيتهم ، وانتزعتها من أيدي أصحابها الصابرين الذين صانوا أمانتها ، ووفوا بعهودهم في الحفاظ على سلامتها ، وحرمت الفلسطينيين من المال والسلاح وسائر وسائل الكفاح ، وانكرت عليهم حقهم في القيام بواجبهم وتحمل مسؤولياتهم في الدفاع عن بلادهم ومقدساتهم ، والذود عن حياضهم . ووقفت هذه السياسة الخاطئة من الفلسطينيين المشردين اللاجئين ، مواقف غير كريمة وخالية من واجبات الاخوة والاعتبارات القومية ، فجعلت منهم طبقة « المعذبين » في أرض العرب .

أما النتائج التي أسفر عنها تنفيذ هذه السياسة فهي محزنة مؤلمة ، ولعل ألمها ان اليهود الدخلاء استطاعوا ان يحققوا في عام ١٩٤٨ وخلال أشهر قليلة محدودة ، معظم أهدافهم ، بعد ان عجزوا عن بلوغها مدة ثلاثين عاما ، بفضل صمود الفلسطينيين ونضالهم العظيم .

ان الاعمال الباهرة التي يقوم بها الفدائيون والبطولة النادرة التي يظهر ابناؤنا الذين يضعون أرواحهم على أكفهم في سبيل انقاذ فلسطين وتحريرها ، وصمود قومنا في المناطق التي ترزح تحت نير الاحتلال اليهودي الغاشم ، تشكل فصولا جديدة في قصة كفاح طويل ، ونضال عظيم ، وتعيد الى الذاكرة والاذهان ، بل يجب ان تعيد اليها ، صفحات ناصعة من الجهاد والفداء ، زانت تاريخ فلسطين والعرب وبيضت صفحاته بوقائع من البطولة ، وسير من الشجاعة ، ومسالك من التضحية ، قصة خالدة تبدأ فصولها الاولى القانية منذ عام ١٩١٨ ، ولا تنتهي باذن الله الا بعد بلوغ الاهداف المنشودة ، ونيل الاماني الغالية ! » .

٢ ـ الدكتور صلاح الدين الدباغ

ولد « صلاح الدين » في بيروت عام ١٩٣٦ من والد فلسطيني هو الاستاذ مصطفى مراد الدباغ ووالدة بيروتية هي السيدة وداد محمصاني شقيقة الشهيدين محمد ومحمود المحمصاني (٣) ، وترعرع «صلاح الدين» في فلسطين وتلقى علومه الابتدائية في « كلية النجاح الوطنية » بنابلس وفي مدرسة العامرية ببافا .

وفي عام ١٩٤٨ ، عام النكبة المروعة الاولى نزح « صلاح الدين » الى بيروت وتلقى علومه الثانوية في الكلية الثانوية العامة التابعة للجامعة الاميركية ثم التحق بالجامعة الاميركية نفسها ونال منها عام ١٩٥٦ شهادة بكلوريوس في علم الاقتصاد بدرجة الامتياز كما نال منها عام ١٩٥٩ شهادة استاذ في علم الاقتصاد ، والتحق بجامعة القديس يوسف (الجامعة اليسوعية) ببيروت وحصل منها عام ١٩٥٧ على

(١) أضربت فلسطين ساحلا وداخلا في ١٦ نيسان ١٩٣٦ ودام هذا الاضراب حتى اليوم الثالث عشر من تشرين الاول ١٩٣٦ .

(٢) تألفت « الهيئة العربية العليا لفلسطين » عامذاك من السادة : جمال الحسيني ، أحمد حلمي عبد الباقي ، الدكتور حسين الخالدي ، اميل الفوري واحتفظ برئاستها لسماحة الحاج امين الحسيني لوجوده في المعتقل بباريس . (٣) هذان الشهيدان من قافلة الشهداء الاولى وقد نفذ حكم الاعدام فيهما في ٢١ اغسطس ١٩١٥ .

شهادة الليسانس في الحقوق الفرنسية والليسانس في الحقوق اللبنانية عام ١٩٥٨ .

وواصل « صلاح الدين » دراسة الحقوق في الولايات المتحدة حيث التحق بجامعة (اس. ام. يو) في دالاس (بولاية تكساس) وحصل منها على شهادة الماجستير في القانون المقارن بدرجة الامتياز . وعقب عودته الى بيروت التحق بقسم الدكتوراه في جامعة القديس يوسف وفاز منها عام ١٩٦١ على درجة دكتوراه دولة في الحقوق بدرجة جيد جدا ، وكان عنوان رسالة الدكتوراه التي تقدمها لجامعة القديس يوسف باللغة الفرنسية : « الاصلاح الزراعي في الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) » .

وفي عام ١٩٦١ زاول مهنة المحاماة في بيروت ودرس الاقتصاد في الجامعة الامريكية والحقوق في الجامعة اللبنانية . وفي أعقاب عام ١٩٦٤ التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية في بيت المقدس كمدير عام للدائرة السياسية الخارجية .

وفي مطلع عام ١٩٦٧ استقال من المنظمة وأسس مكتبا للمحاماة في العاصمة اللبنانية كما عاد الى تدريس الحقوق في الجامعة اللبنانية وتدريس الحقوق في جامعة بيروت العربية .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور الدباغ مقالات مشبعة اتسمت بالعمق والشمول ، تناول فيها قضيةفلسطين من سائر ابعادها وجوانبها، وصنف كتبا جمعت بين القانون والسياسة والاقتصاد . ودونك اسماء المطبوع من مؤلفاته :

١ ـ السيادة العربية على خليج العقبة ومضيق تيران ـ بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (١٩٦٧) .

٢ ـ الاتحاد السوفييتي وقضية فلسطين ـ بيروت ، مركز الابحاث (١٩٦٨)

٣ ـ الاصلاح الزراعي في الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) .

٤ ـ دراسات في الدولة الاتحادية (الجزء الثاني) (مترجم عن الانكليزية) بقلم روبرت بوي مكارك فريدرك ـ بيروت ، الدار الشرقية للطباعة والنشر (١٩٦٥) .

٥ ـ الانماء الاقتصادي في الكويت ـ لبنك الانشاء والتعمير (مترجم عن الانكليزية) بيروت (١٩٦٦) .

٦ ـ مدخل الى فلسفة القانون (مترجم عن الانكليزية بقلم روسكو باوند) ـ بيروت (١٩٦٧) .

٨ ـ الدخل والعمالة والنمو الاقتصادي (الجزء الثاني) (مترجم عن الانكليزية) بقلم والاس بيترسون ـ بيروت (١٩٦٨) .

٩ ـ القضية الفلسطينية ، لندوة القانونيين العرب بالجزائر (مترجم عن الفرنسية) ـ بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (١٩٦٨) .

نموذج من نثره : « المجتمع الدولي على خلاف المجتمع المحلي داخل الدولة لا يزال مجتمعا بدائيا . والمقصود بذلك ان القوة ، بدلا من القانون ، لا تزال تقوم بدور كبير في تسيير مقدراته وفي الحسم في المنازعات الناشئة بين أشخاصه . ومن هنا ينشأ تفاوت في الواقع بين من يكون له الحق قانونيا ونظريا وبين من يقوم بممارسة هذا الحق فعليا ، وتكون السياسة المدعومة بالقوة أفعل بكثير ، في المحيط الدولي ، من الحق المجرد من القوة .

ومن البديهي أن سياسات الدول لا تتقرر وفق الاعتبارات القانونية وحدها . فالسياسيون يعملون على ما يبدو وفق ما تمليه عليهم مصالح دولهم ، ومن ثم يلجأون الى القانون لتبرير ما يتخذون من اجراءات ومواقف . وهكذا يصبح القانون مبررا ومفسرا ومسوغا ، لا هاديا ومسيرا وضابطا .

ويخطىء من يظن ، والمجتمع الدولي على ما هو عليه من بدائية تتصف بالرضوخ للقوة والامر الواقع ، ان اعتماد النهج القانوني وما يستتبع من تذرع بالحق في المجالات والاندية الدولية ، كف لتطبيق القانون ولوضع الحق في نصابه ، وان مثل من يظن هذا الظن كمثل القابض على الريح أو الحارث في الارض .

ولعل أكبر دليل على ما نذهب اليه هو الملابسات التي رافقت قضية الملاحة في خليج العقبة ومضيق تيران . ففي الصفحات التالية سيبدو جليا ان الحقوق الدولية المجردة ، مهما كانت واضحة وكاملة وثابتة ، لن تنفذ ، وان القانون الدولي يمتهن ويبقى حبرا على ورق أمام جبروت القوة وعتو العدوان وضغط المصالح ، وتسلط الرغبات والمنافع » .

٣ ـ خيري حماد

ظل الشعار الذي آمن به الاستاذ خيري ، ومضى يردده في ندواته ومجالسه قول الرئيس الفرنسي شارل ديغول : « مهما حدث فان شعلة المقاومة يجب ان لا تنطفىء ... وهي لن تنطفىء ! » .

ولد « خيري » في نابلس سنة ١٩١٩ وأنهى دراستيه الابتدائية والثانوية في « المدرسة الصلاحية » بنابلس ونال شهادته الثانوية منها سنة ١٩٣١ والتحق بـ « الكلية العربية » في بيت المقدس وأمضى فيها سنتين حاز بعدهما شهادة الاجتياز للتعليم العالي وكان ترتيبه الاول .

وفي سنة ١٩٣٣ دخل الجامعة الاميركية في بيروت ونال شهادة بكالوريوس اداب سنة ١٩٣٦ . وخلال دراسته الجامعية نشر اول مقال بقلمه في جريدة « النهار » بمناسبة وعد بلفور واسهم في تحرير « صفحة الطلبة » التي كانت تصدرها « النهار » يوم الثلاثاء من كل اسبوع وانتخب سكرتيرا للنادي الفلسطيني في بيروت وترأس تحرير مجلة « الكلية » ونشر فيها طائفة من المقالات . وابرز المقالات التي نشرتها مجلة « الرسالة » القاهرية بقلمه مسلسلة في تسع حلقات بعنوان « الكائنات الغيبية في شعر شكسبير » و « البطولة والابطال عند كارليل » في سبع حلقات .

وبعد فراغه من الدراسة الجامعية قصد العراق مدرسا وأمضى خمس سنوات موزعة على ثانويات بغداد والبصرة والسليمانية ، وعقب نشوب ثورة رشيد عالي الكيلاني (في ٢ مايو ١٩٤١) طلق التعليم وتولى في بغداد رئاسة تحرير جريدة « الاستقلال » اليومية لصاحبها المرحوم عبد الغفور البدري ، وكانت هذه الصحيفة لسان حال الحركة الوطنية في العراق ، ثم اعتقل «خيري» في بغداد مع المناضلين الفلسطينيين عبد القادر وعمر الحسيني وحسن وشكيب القطب جزاء المقالات التي كان ينشرها وعلاقته بثورة الكيلاني . ثم نقل الى معتقل «نقرة السلمان» في الصحراء وأمضى فيه سنة و ٤٣ يوما ، وبعد الافراج عنه عاد الى فلسطين في سنة ١٩٤٣ ، وتولى رئاسة تحرير جريدة « الدفاع » بيافا (من ١٩٤٣ ـ ١٩٤٦) . وفي عام ١٩٤٦ أصدر في القدس مجلة اسبوعية باسم « المستقبل » واصل اصدارها حتى تاريخ ٤ ديسمبر ١٩٤٧ وتولى رئاسة تحرير جريدة « الوحدة » المقدسية والتي كانت لسان حال الحركة الوطنية في فلسطين .

وفي أوائل مايو (أيار) ١٩٤٨ بارح القدس الى عمان (عاصمة الاردن) وأصدر نشرة اخبارية باسم « وكالة الانباء العربية » وتولى رئاسة تحرير جريدة «الاردن» اليومية وراسل جريدة «ديلي اكسبرس» اللندنية .

وبعد مصرع الملك عبد الله بن الحسين (يوم الجمعة ٢٠ تموز ١٩٥١) في المسجد الاقصى المبارك عمل الاستاذ خيري مستشارا صحفيا في الديوان الملكي في عهد الملك طلال بن عبد الله ثم مساعدا لمدير المطبوعات والنشر ثم مديرا عاما للمطبوعات والنشر ثم سكرتيرا لرئاسة الوزراء . وفي اعقاب عام ١٩٥٥ أقام في بيروت وراسل كبريات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الصحف الاجنبية ، وفي عام ١٩٥٧ استقر في دمشق وراسل صحفا اجنبية ثم عاد الى بيروت في اواخر عام ١٩٥٩ . وفي عام ١٩٦٢ انتقل الى القاهرة وعكف على التاليف والترجمة وما زال يشغل فيها :

أ ـ منصب الامين العام لاتحاد كتاب فلسطين .

ب ـ منصب الامين العام المساعد لاتحاد الادباء العرب .

ج ـ عضو اللجنة التنفيذية للمجلس الاعلى للفنون والاداب في الجمهورية العربية المتحدة .

وفي عام ١٩٦٤ نال « وسام الاستحقاق » من الجمهورية العربية المتحدة في عيد « العلم » تقديرا للجهد الذي يبذله في مجال الفكر العربي .

من آثاره القلمية : لم يذكر تاريخ أدبنا المعاصر كاتبا بارزا أثرى الخزانة العربية كما أثراها الاستاذ خيري حماد الذي أهدى هذه الخزانة ١٢٠ كتابا بين مؤلف ومترجم . ومن ابرز آثاره القلمية التي عرفناها :

١ ـ ثورة العراق (١٩٦٠)
٢ ـ قضايانا في الامم المتحدة (١٩٦٢)
٣ ـ أعمدة الاستعمار البريطاني في الوطن العربي (١٩٦٢)
٤ ـ كي نستعيد فلسطين (١٩٦٣)
٥ ـ أضواء وآراء في القومية والحرية (١٩٦٤)
٦ ـ صور من أوربا (١٩٦٥)
٧ ـ عبد الله فيلبي (١٩٦٣)
٨ ـ ادعاءات اسرائيل بين الحق التاريخي وحق السيادة (١٩٦٥)
٩ ـ أبعاد المعركة مع اسرائيل والاستعمار (١٩٦٧)
١٠ ـ حتمية الوحدة العربية (١٩٦٨)
١١ ـ الصهيونية : جذورها واهدافها (١٩٦٨) .
١٢ ـ حقوق الانسان في قضية فلسطين (تحت الطبع)

ومن ابرز آثاره المترجمة :

١ ـ تاريخ المانيا الهتلرية (تاليف وليم شيرر) (١٩٦٣) ـ أربعة مجلدات بلغت ٢٥٠٠ صفحة
٢ ـ مذكرات ونستون تشرشل ـ ثلاثة مجلدات (١٩٦٢)
٣ ـ مذكرات ايدن ـ مجلدان (١٩٦٠)
٤ ـ مذكرات ديغول ـ مجلدان (١٩٦٦)
٥ ـ مطارحات ميكافللي (١٩٦٢)
٦ ـ الامير لميكافللي (١٩٦٠)
٧ ـ لمن تقرع الاجراس ؟ لارنست همنجواي (١٩٦٢)
٨ ـ الشيوعية ـ لهارلد لاسكي (١٩٦١)
٩ ـ السلطان ـ لبرتراند راسل (١٩٦٢)
١٠ ـ ثورة الجزائر ـ لجوان غيلسبي (١٩٦١)
١١ ـ قضايا عربية ـ لأحمد الشقيري (١٩٦١)
١٢ ـ دفاعا عن فلسطين والجزائر ـ لأحمد الشقيري (١٩٦٢)
١٣ ـ فرق تخسر ـ لايونيدس (١٩٦١)
١٤ ـ الطريق الى السويس ـ بقلم ارسكن شايلدرز (١٩٦٢)
١٥ ـ سنوات في اليمن وحضرموت بقلم ايفا هيويك (١٩٦٣)
١٦ ـ المنفى والملكوت ـ لالبير كامي (١٩٦٢)
١٨ ـ معركة البترول ـ لاستانتون هوب (١٩٦٢)
١٨ ـ الرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية لجوزيف شومبيتر (جزآن) (١٩٦٣)
١٩ ـ كيف نجح عبد الناصر ؟ لكارنجيا (١٩٥٦)
٢٠ ـ حوار مع نهرو ـ لكارنجيا (١٩٦١)
٢١ ـ امراة غير ذات قيمة ومسرحيات اخرى لاوسكار وايد (١٩٦١)
٢٢ ـ الانسان عند الغزالي (مترجم عن الانكليزية) للدكتور علي عيسى عثمان (١٩٦٤)
٢٣ ـ السياسة بين الامم ـ لهانز مورغنتاو (١٩٦٥)
٢٤ ـ صور من مصر ـ لايشل مانين (١٩٦٥)
٢٥ ـ بينتو موسوليني ـ بقلم موسوليني (١٩٦٥)
٢٦ ـ الاصلاح الزراعي والانماء في الشرق الاوسط ـ لدوريـن وارنر (١٩٦٣)
٢٧ ـ اليهودي العالمي ـ لهنري فورد (١٩٦٨)
٢٨ ـ الازمة .. القصة السرية لمعركة السويس ـ لروبرتسون (١٩٦٧)
٢٩ ـ الفتوحات العربية الكبرى ـ لجون باجوت جلوب (١٩٦٣)
٣٠ ـ الامبراطورية العربية الكبرى ـ لجون باجوت جلوب (١٩٦٧)
٣١ ـ أهمية الحياة ـ للفيلسوف الصيني لين يوتانغ (١٩٦٧) .
٣٢ ـ مفارق الطرق الى اسرائيل ـ لكريستوفر سايكس (١٩٦٧)
٣٣ ـ الجندية في خدمة السلام مذكرات الجنرال فان هورن كبير مراقبي الهدنه ـ (١٩٦٨)
٣٤ ـ السد العالي في اسوان لتوم ليتل (١٩٦٨)

وللاستاذ حماد تحت الطبع :

١ ـ انحلال الامبراطورية العربية لجون باجوت جلوب
٢ ـ عصور الظلام ـ لجون باجوت جلوب
٣ ـ العرب : تاريخهم ومستقبلهم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك
٤ ـ الجوانب الاجتماعية للتنمية الاقتصادية ـ بقلم لي هانت
٥ ـ ثورة التصنيع في مصر ـ لباتريك اوبريان
٦ ـ تاريخ الحرب العالمية الثانية ـ لونستون تشرشل ـ ١٢ مجلدا في ٨٠٠٠ صفحة .

أما مؤلفات الجنرال جان باجوت جلوب الآنف ذكرها فتؤلف تاريخ العرب والاسلام منذ العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الخامس عشر ، وسيخرجها الاستاذ خيري في مجموعة واحدة تحت عنوان « تاريخ العرب والاسلام » .

نموذج من نثره : « الاديب صفة مطلقة ، تطلق على كل من يمارس حرفة الادب ، سواء أكان شاعرا أم كاتبا ، ناقدا ام شارحا ومفسرا ، ولكن هاوي الادب لا يصبح أديبا ، ولا يرتفع عن منزلة المتادب ، الا اذا كان منتجا وكان انتاجه الادبي يحمل ، بالاضافة الى ما يحمله من خير ونفع للمجتمع الذي يعيش فيه ، تفتحا قوميا وانسانيا ينقله من الحيز الاقليمي الضيق ، الى المجال القومي الواسع الافاق ، ومنه الى المدى العالمي الفسيح والشاسع الارجاء .

ولكن مهما سمت مكانة الاديب على المستوى العالمي ، ومهما حمل انتاجه الطابع الانساني الغزير الشمول ، فانه يظل مقيدا بواقع المجتمع الذي يعيش فيه ، بواقع ما يحمله هذا المجتمع من تطلعات نحو الحياة الفضلى ، والا فصم نفسه عن مجتمعه ، وتاه في بحور الانسانية المترامية الاطراف ، لا يعرف له مسلكا صحيحا فيها وان خيل اليه انه يؤدي رسالة انسانية تتسم بالخير ، فالاديب الذي يفصم نفسه عن مجتمعه ، كالمنبت لا أرضا قطع ، ولاظهرا أبقى ، تتقاذفه الامواج ، وهو في حيرة من أمره ، لا يعرف له مستقرا ، ويضيع وسط لججها المتلاطمة فينكر ذاته قبل ان ينكر المجتمع الذي ينتمي اليه .

ومن هنا يظل لزاما على الاديب ان يبقى وثيق الصلة بمجتمعه مهما علت مكانته الانسانية ، وان يعمل لخير هذا المجتمع وتحقيق تطلعاته واهدافه ، ومن هنا تصبح صفة المثقف الذي يشد نفسه الى جذوره في مجتمعه لازمة للاديب ، كما تتضح رسالته الحقة في الحياة التي يعيشها وفي المجتمع الذي ينتمي اليه ، وفي الكون الذي يؤلف واحدا من أفراده » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ـ راجي صهيون

ولد « راجي » في حيفا (بفلسطين) عام ١٩٢٠ ونافى دراسته الثانوية في كلية تراسانطه بالقدس وتخرج منها في عام ١٩٣٧ ونال شهادة المترك الفلسطيني وعمل اربع سنوات في حقل التربية والتعليم .

وفي عام ١٩٤١ بدأ عمله الاذاعي ، وهو الحقل الرئيسي في حياته ، مذيعا ومترجما في دار الاذاعة الفلسطينية بالقدس . وتدرج في مختلف مناصبها حتى اصبح مساعدا لمراقب البرامج العربية في عام ١٩٤٦ . وبعد وقوع النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ عين مساعدا لمدير دار الاذاعة الاردنية واستمر في عمله هذا حتى عام ١٩٥٢ ، وفي العام نفسه انتقل للعمل في بيروت مديرا للشؤون الذاتية في شركة طيران الشرق الاوسط ، فضابط علاقات عامة في وكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين .

وفي عام ١٩٥٤ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت لاتمام دراسته الجامعية وفي عام ١٩٥٦ نال شهادة (ب.ع) وفي عام ١٩٥٩ نال شهادة الماجستير من الجامعة نفسها في الادارة والعلوم السياسية .

والراجي نشاط صحفي واسع ، فقد كان احد العاملين في الصحافة الاردنية ، وفي اثناء عمله في شركة « طيران الشرق الاوسط » انشأ للشركة اول مجلة للطيران اسماها « اجنحة الارز » واصدرها باللغتين العربية والانكليزية .

وفي عام ١٩٦٠ انشأ مجلة « الرائد العربي » في بيروت لمعالجة الشؤون الاقتصادية والقانونية والعلوم وفي مطلع عام ١٩٦٣ نقلها الى الكويت .

وفي خريف عام ١٩٦٤ التحق بـ « منظمة التحرير الفلسطينية » وعين مديرا عاما للاعلام والتوجيه القومي ، وفي صيف عام ١٩٦٦ عين رئيسا لهذه الدائرة وعضوا في اللجنة التنفيذية وفي اعقاب عام ١٩٦٦ استقال من المنظمة وعين عام ١٩٦٧ مستشارا في وزارة الاعلام الاردنية، لكنه آثر العودة الى بيروت والعمل فيها .

من آثاره القلمية : كتب « راجي » الكثير من الخطب والمقالات والبيانات والبرامج والروايات في دور الاذاعة العربية وفي الصحف العربية والاجنبية ، وترجم عام ١٩٦٤ كتاب « مدخل الى الصحافة » للكاتب الاميركي ف. فريزر بوند .

نموذج من نثره : « يعني الاسلوب ، بالنسبة للصحفي ، اعطاء الحقائق بما يمكن من الدقة والسرعة واليسر والظرف . وافضل الاساليب الصحفية هو ذلك الاسلوب الذي يستدل عليه بافضل الموضوعات والاستهلالات . ولكن ، كيف يستطيع المخبر الصغير ان يمتلك هذا الاسلوب ؟ اذا هو تطلع الى مدرسة واحدة بحثا عن الجواب وجد ان الاسلوب هو الانسان . وذلك يعني ان الغريزة المغروسة في شخصية الانسان تنمو بممارسة الكتابة حتى النضج . فاذا بحث عن الجواب في غير هذا الموضع وجد ان الاسلوب لا يلعب سوى دور « الفرد المثابر » ، وذلك يعني انه لا يستطيع التمكن من الاسلوب الا بالكد والعمل الشاق في ترسم خطى كاتب اخر . وربما كان هناك شيء من الحقيقة في كلتا النظريتين ، ولكن لا الحقيقة بكاملها ، ولذلك لناخذ نحن موقفا وسطا بينهما ، ونفترض ان الاسلوب نصفه خلق ونصفه الاخر تقليد .

بالنسبة الى الجزء الخلاق الصرف ، يجب الا يتدخل أي عامل خارجي ، ذلك ان من حق الكاتب نفسه ان يحافظ على تلك النزعة الشخصية الضئيلة ، على ذلك القدر المجهول فيه ، تلك الشرارة او الومضة التي تسطع من داخل الكاتب نفسه وتؤكد شخصيته هو ولا أحد غيره ـ ومن حقه ان ينميها في نفسه . ويتوجب عليه أن يتعهد تلك الومضة ويغذيها بوقود من خياله ويحميها من العوامل المثبطة ، وان ينعشها بالتشجيع ، من جهة ، وبالنقد البناء ، من جهة اخرى .

ومن يدري ؟ فلربما اشتد الوميض مع الزمن فاصبح لهبا نابت اللمعان .

أما بالنسبة الى التقليد في الاسلوب ، فللكاتب الجديد نماذج ممتازة يسترشد بها ، وكأنها امامه لوحات الاشارة او نصب الامیال ترشده على مدى الطريق الذي يؤدي به نحو التمكن من الاسلوب الصحفي الجميل . بيد ان كل ما تستطيع هذه النماذج ان تفعله هو مجرد الانتصاب امامه وارشاده . أما عملية السير نفسها ، فيتوجب على المخبر الصغير نفسه ان يقوم بها . يجب عليه ان يكتب ، وان يكتب ، وان يكتب ! » .

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم

بيت الرمال

بيتي في لبنان
أذكره في الكورة الخضراء ، في بيروت
عشت لديه سفري محطة محطه
كانني عند ازدحام الناس
يوحشني السماع والعيان

مهاجر صباحي الافول
عكازي الاوهام والذهول
ملء جرابي نتف النسيان
في كل يوم ازرق تموت
من قلبي الاحلام .

مسافر في عاصف مريب
ليس له شط ولا رفيق
تدفعه الرياح عن ارض البشر
تذره الشمس على المغيب
وكلما عن له عمران
تحطم العكاز في الجفون
وجمدت في الخطوة الطريق

فاي بيت نسمة وريش
يمضي الى حيث تغيب الشمس
يحمله في جفنه درويش
بعض ثوانيه رماد الامس
ترصف كل لفتة من يأسه
آجرة كالحة في رمسه

علي شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العودة الى البيت

بقلم رياض نصور



اجتاز الوادي عائدا الى قريتي . منذ قليل لفظني القطار عائدا من المدينة بلا امل . تبددت احلامي . انتهت وها انا صريع الفشل . اعود الى قريتي وامي حاملا بين يدي شهادتي المضمومة كجريدة مهترئة عتيقة لن البث ان القي بها الى سلة المهملات .

الطريق وعرة شاقة واقدامي الواهنة تضرب الحصى والاحجار فتزعج الليل الساجي .

السحب الراكضة تلطخ وجه لافق وتحجب اشعة القمر ثم تمضي بعيدا . يطل القمر بوجهه من جديد مادا اشعته لتضيء الكون ، وتفتح لي طريق العودة الى الام والمنزل و لبيدر ... جائع انا ومتعب . قدماي مثقلتان اجرهما جرا . الدماء تمور ملتهبة في عروقي فاحس بوخز ابر تدق حنايا جسدي كله ..

ترى ماذا اقول لاهل قريتي عندما يلتفون حولي سائلين ؟؟ ...

لماذا عدت يا فريد ؟

الم تجد عملا في المدينة ؟

لماذا سهرت الليل تدرس على ضوء السراج الخافت لتنال شهادتك؟ التعود الى القرية لا عمل لك ؟كجذع سنديانة عتيقة ؟ كعجوز متعب اهمل حقله فاهمله الحقل ! .

انت لا تصلح للزراعة ولحياة القرية ... ساعدك لم يتمرن على العمل انه كساعد كعاب مسترخية ؟ اناملك رقيقة كاناملِ طفل رضيع .. لا تقوى على ضرب الارض لتشقها وتزرعها فتتفجر شعلة اخضرار ونور .

مكانك ليس بيننا يا فريد ! القرية خلقت لزنود الرجال العاملين ابدا في الارض .

ها انت تعود مكدودا ، مريضا جائعا ... لن تاكل من خبزنا ! لن تشرب من مائنا ! لن تكون عالة علينا ! ... اذهب بعيدا عنا .. عد الى كتبك ، واحش دماغك بهراء سخيف ! واسال نفسك بعد ذلك ماذا جنيت بعد تعب وسهر ودرس .. لا شيء ! بعد سنوات ستنسى ما اختزنته في راسك ... اما نحن فقد حشونا الارض فاعطتنا ما ناكل ونطعم لاخرين . استدانتمنا ووفت ما اخذت. لم تضق ذرعا بنا ولم نضق بها اعطيناها فتقبلت عطاءنا ثم اعطتنا فاجزلت في العطاء . اما انت فقد ضاق راسك المسكين بما اختزن لم تفرغ ، ولم تعط . ظللت كصندوق جدتنا الخشبي الكبير . كان مليئا دائما بالجوز والزبيب ، ومخلفات جدنا ، وثياب عرسها وحذائها ذي الكعب العالي القديم ... »

... يا انا ، يا صندوق جدتي العتيق ! يا راسي المثقل بالجوز والزبيب . ماذا تريد ؟ ومن انت ؟ والى اين انت ذاهب ؟ .. ستنام بعد قليل على فراش امك . وستمر بيدها الحانية الرقيقة فوق جبهتك ... بينما تنام هي على الحصير . سيعود والدك مرهقا من الحقل .. سيكون انسانا محطما بثقل السن وجهد العمل . سيقول لك اهلا وهو يفتح باب الدار . يطعمك عشاءه وينام على الطوى . اما انت يا صندوق جدتي العتيق ، ستظل عالة على الاب والام والقرية كلها يا ابن القرية . لا يمكنك ان تجد عملا .. دراستك لم تنهها بعد . شهادتك كجريدة عتيقة مهترئة يحملها الكثيرون . وانت لست وحدك .. انت كالكثيرين ، لم تخلص للارض التي احبتك . هجرتها ، بعتها بثمن رخيص ، بعتها بجريدة مهترئة ...

آه .. لو ظللت ازحف فوق ارضنا الحبيبة . اقبل ترابها . اتنسم اريجها . اتضوع رائحة زهورها . امتح من مياهها العذبة . ارش بخيراتها حبالا من نور . استضيء لهب شمسها ، واستحم اشعة قمرها واحتسي الدفء من شلالات ضوء ونور وتضوع عبير في مراتعها الثرة اللامتناهية . النور بكل هامات جبالها الشامخة ، والهواء يداعب اشجارها فتتراقص خيالات نور واضياء ظلال ... دعوني فلاحا في ارضي . دعوني اعب من نورها وثارها . دعوني افترشها واذيب كياني في ترابها ... واتركها امتداد اذرع خضراء ، تمتد الى السماء وتلتحم مع الافق .

دعيني يا ارضي يا قريتي اسقي ترابك بدموعي . دعيني اقول لافواج بنيك الهاربين ... لن تعودوا باكثر من ورقة وسخة مهترئة . اما هنا فلنا لارض والسماء . لنا كل شيء .. لنا الجبل الشامخ والينابيع المنفصدة من قلب الجبل ، جبال مرجان وعقيق .. لنا الكون اغنية طمانينة وسلام .

خاب الامل وعدت من المدينة تافها فارغا كنفحة صغيرة من زوبعة هائجة اجتاحت المدينة ، كذرة رماد ...

عشرات من المتسكعين والمتسكعات على اعتاب الوظيفة . ذات يوم كنا اكثر من خمسين شابا وسبع فتيات . نجح منهن خمس وسقط الخمسون . وكنا نحن الشباب ننظر الى بعضنا بعضا ، وقد تجمع في نفوسنا شيء من الضحك والبكاء ، من الهدوء والثورة ، من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التمرد والاستسلام ، من التساؤل والاحجام . كنا ننظر الى وجوهنا في المرآة فنراها خشنة تملؤها اخاديد من الالم . والذعر من المستقبل المجهول يرتسم في اعيننا باحرف من نار .. كنا ننظر الى ما تركه الزمن على وجوهنا من كآبة مسيطرة مخيفة . ظلال من يأس ومشاعر من قنوط تطفو فتحجب الضياء ، وتظلل العينين بافشية كثيفة من الم وظلام ... ويغشى نفوسنا القلق الممض ... ومع هذا ننظر اليهن لسى غريماتنا كزهرات ربيعية تتضوع عبيرا وجمالا .. احداهن تقدمت الى الامتحان بخطوات ثابتة . كانت اجملهن شكلا . خصلات شعرها الاسود تتهدل على كتفيها . عيناها البراقتان تتألقان كبيرتين جميلتين كعيني بقرتنا الحلوب . وجهها المدور ببشرته الناعمة كتفاحة حان قطافها وصدرها يتعالى ضاربا عيوننا الفارغة الآكلة وقلوبنا التي تحترق بصمت .. كانت تمر من امامنا وهي تضرب بقدمها الارض بعنفوان غير آبهة بعيوننا المتطايرة ... كم احببتها. وتصورت انني لو نجحت كالفارس الشجاع ساخلي لها مكاني قائلا : تعالي يا سيدتي الجميلة ، يا حوريتي ، خذي مكاني . خذي حياتي .. خذي ما حصلت عليه بالدماء والدموع . وتتربع حوريتي مكاني ، وانلاشى انا اتراجع اذوب . فلقد احببتها بخوف ورهبة كما تحب الارض الشمس .. ونجحت مع اربع فتيات اخريات . وبقي الشباب يتسكعون على الارصفة ببلاهة وشرود . لا امل لهم . لا واقع ولا مستقبل ... تافهون مهزومون امام واقع الحياة ..

وتساءل : كيف يحدث نفسه عن الحب بالرغم من انه لم يعرف الحب. عاشه في صمت مع نفسه ، مع خيالات تراءت له ، ومضت فبقي في كيانه شيء مجهول . حبيبته يتخيلها حسناء لا اجمل ، ولا ابهى. كتلة ضياء ونور . تتربع على عرش جمال . يرقص لها طربا وبهجة . ويعيش مع عروس احلامه في سبحات خاطفة غريبة ، لا موجودة، غير انها متناهية العذوبة والجمال .. كائن غريب لا حدود لجماله وابهته ونوره ...

ها هو وحده في طريقه من المدينة الى القرية . يسير على قدمين واهنتين . لم يعرف طعم القبلة ولا احس حلاوة الوجود . القرية كانت بدءه وهي منتهاه . القرية



رياض نصور

●

هي فردوسه المفقود . ابنة خالته الصغيرة الغضة كغصن لوز مزهر ستمنحه الدفء والحب والحنان . وسيجد اما كانسام الفجر رقة ووداعة ، كرقرقة مياه الجداول عذوبة . سيجد ابا وفيا كالارض التي علمته الوفاء . علمته ان يكون شديدا شدتها وقاسيا قساوة صخورها . علمته ان يكون وفيا مع ذلك طيبا فكان مثالا للطيبة والوفاء .

كل ما في القرية يهمس بعذوبة برقة لا متناهية . الهضبة توشوش الجبل . تحدثه قصة الوادي وما يجري في منحنياته وشعابه ، والطريق الى الوادي سلسلة اخضرار ونور وافياء وحياة . لقد خلف وراءه في المدينة صراخا وعربدة وجنون . ترك الناس يتعثرون ويندفعون في اتجاهات مختلفة بلا هدف ولا غاية . ضياع مجنون وابواق مسعورة وضجيج طويل . الفحيح المتواصل يصم الآذان وطرطرة بشعة قاسية تصدم الاذن ، تضربها بعنف وقساوة تقتلها ، تصمها ، لا تفتأ تضرب الرؤوس باستمرار . فؤوس تهوي بعنف .. تضرب وتضرب .. دراجات نارية ذات اصوات رهيبة قاسية كفأس الحطاب ، تقطع اوردة الراس، تميت الاعصاب ، وتقتلها ببطء . انانيات تتسلط على كيان الناس . المحبة فقدت .. ماتت منذ امد بعيد . ولا شيء يشبع نهم المدنية الجائعة العطشى الى كل شيء ... تبتلع وتمتص كل شيء . القوي يأكل الضعيف بلتهمه ... يزدرد ما يشاء ويمضي . القوة تسيطر دائما والحقوق تداس . لا شيء يبقى سوى الامل الغارب . الواسطة هي الدعامة التي يقفز عليها اصحاب الغايات الى اهدافهم .. لا شيء يبقى حتى الامل يندثر ، يتلاشى ، يموت .

وعندما مات كل شيء اندثر الامل وتلاشى الجسد ومات الرجاء . ظل ثمة نور بعيد يومض لي تعال ... وها انا آت اليه .. آت يا قريتي احمل الحقد على المدينة . احمل كراهية لا حدود لها لانانيات لا حصر لها .. لفساد وهمجية وعبث واستهتار . احمل لابناء قريتي قصصا عن المدينة الضائعة في خضم ضوضائها . المدينة الهمجية ، اللاهية ، اللاهثة ، العابثة بمصير بني الانسان . ارضكم لكم يا ابناء قريتي ، لزنودكم السمراء تسقونها

امي

★

في اعالي التل .. في الصمت المهيب
يرقد القلب الذي اعطى واعطى
ثم اغفى
ذلك القلب الحبيب

في اعالي التل صعدت اليك
وغبار الدهر غطى قدمي
اثقلتني حادثات الدهر
يا امـي
اهاضت جانحي
فحملت الياس والآلام
القيها لديـك

في اعالي التل .. لا احمل وردا
كنقائـك
قد غرست العشب كي يخضر
صيفا وشتاء
كعطائـك

خفت ان انسى ادوس التراب
يا اماه في ذاك المصلى
شئت ان يهتف بي العشب
اذا انسيت .. قف
واخلع حذاءك
وانحنـى
قد قدس الترب هنا
قدسه أعظم حب

في أعالي التل يا أماه
اجثـو
نافثا آلام قلبي
فاهيبي بي
انا يا حب ايامي
ويا بهجة حبي
ها هنا .. ما فرق الموت
سوى اجسادنا
والروح تهدي

اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتزرعونها فتعطي . لا تهجروها الى المدينة . لا تتركوها نهبا للاشـــواك البرية . لا تتركوها تموت وتيبس . القريةجنتكم .. فلاتستبدلوا جنتكم بجحيم المدينة . بادلوها وفـاءهـا وفاء ، وطيبتهاطيبة ، ونقاءها نقاء . لا تتركوها مرعى للبقر ، ومرتعـا للاعشاب البرية الآكلة . ارضكـم جنات زهر وطيـب وحنـان .. لا تستبدلوها بورقة قذرة تافهة . لا تقفوا ارتالا علىالابواب كالشحاذين بانتظار الوظيفة ، فالوظيفة لا يسعى لها الا الكســالى ، ومرضى التثاؤب والرتابة والضجر .

ولاحت بيوت لبنيـة متفرقـة . وهرت كلاب وفية . وانبعثت رائحة فياضة رهيفة ... دمعت عينـــاه وارتمى على الارض فقبل ترابهـــا ولم يقو على النهوض فزحف بجسده المتعب المتآكل والدموع تتســـاقط مدرارة من عينيه ... وازداد نباح الكلاب من خلف السور الشوكي .. فتح الباب اخيرا وظهر الشيخ علـى عتبته ... ومضى الابن زاحفا نحو ابيه كجريح آت من قلب المعركة .. ومد يده نحو ابيه فاخذه الشـــيخ بيديه ورفعه الى صـــدره وضمه بحنان بينما الصوت الناشج يقول : لقد عدت يا ابي سنعمل معا . ولـن امضي ثانيـــة الى المدينة مدينـة التثاؤب والموت والضجيج .

اللاذقية — رياض نصور



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

* * *

يوم سوف ياتي

مرت بنا من عهد ليس بعيدا ذكرى الاسراء والمعراج ، وهي ذكرى كنا نحتفل بها كل عام ، يوم كانت فلسطين ملكا لاهلها ، يملأون ارجاءها ، فيفيض بهم السهل والجبل ، وتمتليء بهم المدينة والقرية ومضارب البادية ، وكان الناس في كل بلد عربي — يومذاك — وفي كل قطر من اقطار المسلمين ، يتجهون بقلوبهم وابصارهم الى البقعة المباركة ، التي كان اليها الاسراء ، وكان منها المعراج ، فيزدادون تعلقا بها وتقديسا لها ، كلما اطلت عليهم هذه الذكرى ، واستدارت بها السنون تتلاحق سنة بعد سنة .

تلك كانت ذكرى الاسراء والمعراج ، يوم كانت فلسطين ملكا لاهلها ، ومتجها لاخوانهم من العرب والمسلمين في كل ناحية من اطراف الارض ، يشدون اليها الرحال وهم في طريقهم الى مكة حاجين ، او عند منصرفهم منها راجعين الى اوطانهم .

ولكنها اليوم تمر بنا هذه الذكرى وقد تبدل في فلسطين الحال عما كان عليه ، واصبحت بكل ما فيها من مقدسات وامجاد وذكريات ، وبكل ما فيها من خيرات وثروات ونعيم .. اصبحت ملكا لغير العرب والمسلمين ، بل ملكا لغير اهلها الذين شرد معظمهم في آفاق الارض ، واخرجوا من ديارهم كارهين مبعدين .

انها مأساة من مثل مأساة الحروب الصليبية ، ان لم تكن شرا منها ، وان تاريخ الامس الرهيب في بيت المقدس وما حولها ، يعيد نفسه اليوم على نحو اشد رهبة واشد قسوة ، ويسجل صفحة دامية على الارض الطهور ، وهو ينتزع فيها الوطن من اهله ، ويزيل معالم العمران هناك بكل ما يملكه من باطل ، ليمحو صفحة التاريخ العربي ، ويسطر بدلا منها صفحة مزورة من حاضره البغيض .

ليت هؤلاء الذين جاءوا ليغتصبوا البلاد من اهلها في القرن العشرين ، وقد شمل الوعي فيه ارجاء العالم ، يعتبرون بمأساة الحروب الصليبية وما آلت اليه ، ليتهم يذكرون ان الوطن الذي انبت امثال صلاح الدين الايوبي ومن سار في ركابه من ابطال العرب والمسلمين ، كفيل بأن ينبت من مثلهم المئين تلو المئين .

ونحن على ما هو انبت من اليقين ، بانه آت لا محالة ، ذلك اليوم الذي يسير فيه البطل المرتقب ومعه رهط المجاهدين من الاشداء ، وقد صدقوا النية فيما عاهدوا الله عليه ، لينتزعوا المسجد الاقصى وما حوله من الارض المباركة ، بما فيها من مقدسات ، من ايدي غاصبيها ، ويعيدوها الى اهلها الذين اخرجوا منها ظلما وعدوانا .

ولن تعيقهم المصاعب والارزاء عن بلوغ تلك الغاية ، ولن يردهم العدوان عن ذلك ، مهما سلحه الباطل ومده بالمال والذخيرة ، ولسوف يكون كل واحد فيهم « صلاح الدين » ، الذي كان في احدى معاركه يتلظى جسده بالحمى ، فقال له احد المقربين له : « افلا تريح نفسك ريثما تشفى ؟ » . فرد عليه قائلا : « لن تكون راحة لاحد قبل ان يملأ يديه بالنصر !! » . وسوف يكون هذا الذي قاله « صلاح الدين » ، شعارا يتردد به الهتاف عاليا مدويا .

تلك آمال تمتليء نها نفوسنا ، ولن يكون هذا الامل سرابا خداعا ان شاء الله ، ما دام كل يوم يطل علينا بما يدني ذلك الامل من الواقع ، ولن يكون بعيدا وراء المستقبل ذلك اليوم الذي نستقبل فيه ذكرى الاسراء والمعراج على ارض فلسطين الحبيبة الطهور ، وفي رحاب المسجد الاقصى موطن الاسراء والمعراج .

صحيفة الاخلاق

هنالك مشاهد كثيرة نبصرها في حياة كل يوم ، فلا نحفل بها ، ولا نقيم لها وزنا . ولا عجب في ذلك ، فلكل واحد منا من اموره ما يشغله ، ويصرفه عن امور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الناس . وكان من الطبيعي ان يكون هذا شأني منذ ايام . وانا اغشى احد هذه المجالس ، التي كثيرا ما تنتظم في مناسباتنا المختلفة ، فتحشد فيها السوان متنافرة من الناس ، يختلط بينهم حابل بنابل ، ويجتمع خلي بشجي على غير ميعاد .

وهناك ابصرت رجلا يتصدر ذلك المجلس ، ومن حوله جماعة يصغون اليه ، والفيتني اقلدهم في مثل اصغائهم آملا ان اجد فيما اسمع شيئا مما ينفع الناس . وانطلق الرجل يتحدث ، فيخوض في اخبار من لا اعرفهم فلا يدع لاحد منهم عيبا الا وينشره ، ولا يفوته ان يهول ويبالغ ويزيد ، ولم اره يخطيء مرة فيذكر خلال هذه المعايب حسنة واحدة ، كأنما هؤلاء الذين يتحدث عنهم جردوا من معاني الانسانية . وادهشني من الرجل شدة يقظته في تقصي هذه المعايب ، وعدم تفريطه بواحدة منها ، كأنما هو سجل امين لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة .

ولعلك تسأل : الا يحتمل ان يكونوا اعداءه فهو ينال منهم تشفيا وانتقاما ؟ ولقد خطر لي ان اسأل مثل هذ السؤال ، ولكن الذي اوضح الجواب عليه حديث الرجل نفسه ، فهو حين يذكر وحدا ممن يستغيب يقول متحرزا خلال حديثه عنه : « اقول هذا مع انه صديقي » . وهو حين يذكر آخر يقول متحفظا : « انه صديقي ولكن ذلك لن يمنعني ان اقول كلمة الحق فيه » . او يقول عند ذكر آخر : « انني أعرفه ومن اجل هذا اصفه بما اعرف عنه » !

اذن فهم اصدقاؤه ومعارفه ، فقيم نزوله في ساحتهم يا ترى ، ما داموا كذلك منه ؟ ولعل الجواب الشافي على ذلك ، انهم جميعا افضل منه ، وقد سبقوه كلهم في ميادين الحياة ، وبعد ان اعجزه اللحاق بهم والوصول الى مثل ما وصلوا اليه ، شعر في اعماق نفسه بان الحسد يمزقه ، بل شعر ان هذا الحسد يضرم في اعماقه نارا متأججة لا يخفف من ضرامها الا نيله منهم وتحامله عليهم .

انه الحسد اذن ، وهو السلاح الكليل الذي لا يجد غيره جماعة العاثرين من الناس ، فيجرحون به من سبقوهم الى مراتب النجاح ، ويتوهمون انهم ينالون به منهم ، ويحولونهم عما وصلوا اليه بالكد والدأب والسعي المرير ، وما كانوا ليبلغوا به ما يريدون .

انها علامة فارقة تستطيع ان تميز بها الناجحين من الفاشلين ، والمجدين من المتواكلين . ولن تجد ناجحا متفوقا ينصرف الى سواه من الناجحين لينال منهم ، وانما هي تعلة المحرومين من مثل نجاحه .

ان لكل انسان معايب وفضائل ، وان العين التي لا ترى الا المعايب لهي عين عميت عن الخير ، وان الذي لا يتحدث الا عن فضائل الناس ، انما يدلهم على معادن الخير في نفسه ، فهو لا يرى الا ما يحب من الفضيلة ، ويتجافى عما يكره من الشر . وانك لن تعدم ان تجد في اي انسان ــ كائنا ما كان ــ ناحية من نواحي الخير . فجدير بك ان تتحدث عنها حين تذكره عند غيره . وتلك بحديثك هذا تفسح لمن تحدثهم مجال الحكم عليك ، فان حديث الرجل صحيفة اخلاقه ، فلتكن هذه الصحيفة بيضاء مشرقة بما لا تنبو عنه الاسماع . .

الى أين المنطلق

فاجأني صاحبي بالسؤال قائلا :

« انت انسان تعيش في هذا البلد واحدا من اهله ، فدعني اسألك لتجيبني في حدود هذه المواطنة ، اجابة مواطن يشعر بشعور الاخرين ، لا اجابة مختص يعتمد على البرهان والدليل والشواهد » .

فقلت وانا اعجب لهذا التمهيد : « وعن اي شيء تريد ان تسألني ؟ » .

فقال : « اسألك عن (المسرح الاردني) ، عند اية نقطة يقف والى اي اتجاه يسير ، وما هو حاله اذا قيس بسواه ؟ » .

فقلت : « على ان لا تنتظر مني اجابة صاحب لاختصاص » .

فقال : « لا عليك . . لقد اعفيتك من ذلك » .

فقلت : « في حدود مايراه المواطن ، اظن ان المسرح في الاردن ما يزال حديث العهد قريب التاريخ ، ولكنه رغم ذلك استطاع ان يثبت وجوده ، وان يقف على قدميه وان يقدم في داخل الاردن وخارجه ثمرة جهده ، وحصاد جهاده ، فاذا هو موضع اعجاب اولئك الذين شهدوه ، ومحل تقديرهم واحترامهم .

وحين يذكر (المسرح الاردني) تتجه الانظار اول ما تتجه الى الاسرة الفنية التي تسمي نفسها « اسرة المسرح الاردني » ، والتي تتبناها « دائرة الثقافة والفنون » في وزارة الاعلام ، وذلك لانها استطاعت ان تثبت كيان المسرح الاردني وان تقف به على قدميه ، وان تبرز له شخصية يحس بها المواطنون في الاردن ، كما يحس بها اشقاؤنا العرب في كثير من الاقطار المجاورة .

وان الذين اتيح لهم عندنا في الاردن ان يشاهدوا مسرحية « الليدي وندرمير » التي كانت اول بواكير انتاج هذه الاسرة الفنية ، استطاعوا ان يعيشوا في غمرة من التفاؤل ، وان يتوقعوا لهذه الاسرة الفنية الناشئة كل فلاح ونجاح ، مع كل خطوة تخطوها في المستقبل .

ثم لم يلبث ان استحال هذا الذي توقعوه الى حقيقة مع المسرحيات التي عرضتها هذه الاسرة فيما بعد ، وكانت قد استكملت فيها جميع ما سجل عليها من المآخذ ، في المسرحية الاولى ، حتى ولو كانت هذه المآخذ بسيطة هينة ، مما لا يمس الجوهر او يدانيه .

وقد تجلت خطوات هذا النجاح وهي تتعاقب واحدة بعد اخرى في المسرحيات المتلاحقة التي كانت على التوالي : « الاشباح » و « الفخ » و « البيت السعيد »

الى القادم الغريب

●

رؤاك تحطم ما ادعي ... وصوتك وشم على مسمعي
برغم المسافات ما بيننا ... برغم رحيلك تبقى معي
وتهتف بي عبر كل زمان ... ايا ابنة الشرق لا تجزعي

تعال معي ان هذا الزحام ... دعانا اقتسارا .. فانك ظلي
تعال .. لعل اشتباك اليدين ... يحطم ضعفك يسحق غلي
تعال .. فقد لا تكون وحيدا ... وانت تنوء بثقل كثقلي

أتنساب عبر الربوع ((تعالي)) ... نداء تعيد صداه الجبال
أيقبل بعد الربيع المولي ... وتشرق شمس، وتجنى غلال
أألقاك..؟ أم كان محض احتمال ... ووهما يمر ببالي .. سؤال

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و « المشكلة » و « رجل القدر » و « كم انت جميل » و « مركب بلا صياد » و « افول القمر » و « موتى بلا قبور » و « بيت الدمية » و « الوعد » و « البرجوازي النبيل » . وكانت خلال سنوات ثلاث وفي مواعيد محددة .

وحين نقارن هذا الذي انجزته « اسرة المسرح الاردني » حتى اليوم على قصر مداه في عمر الزمن ، بذاك الذي انجزته اسرة المسرح العربي في اقطار عربية اخرى ، اجتازت مرحلة طويلة مع الايام ، نجدها قد وقفت به الى جانبها وقوف الند للند ، وتطاولت به تجاربها في مضمارها الذي سارت فيه السنين الطوال من قبلها . وقد لمس هذا الكثيرون واحسوا به احساسا لا يخالطه شك ، وانه ليس بالقليل الهين ، بل هو كثير يحفل به ، ويقام له كل وزن .

الى هنا وصل المسرح الاردني — في رايي — وتلك هي النقطة التي وقف عندها ، واما الاتجاه الذي يسير اليه ، فهو الاتجاه نحو الافضل والاكمل ، وما دام — بهذا الذي وقف عنده — بلغ هذا المدى من مجاراة الاخرين والسير معهم مسيرة الند والمثيل ، فهو في ذاك الذي يهدف اليه ، سوف يبلغ ما يكون به موضع الاعجاب والتقدير ، وان نهاية كل امر من الامور ، يستطيع ان يقدر معالم حدودها ، وان يخمن آفاق ابعادها على ضوء تلك الخطوات الناجحة التي سارت بها صعدا تلك البداية فيه .

ويخيل الي ان الامر سوف يكون كذلك مع الاسرة الفنية ، التي يقوم عليها عماد المسرح الاردني ، وما دام قد حالفها النجاح مع البداية ، فان الامل معقود على ان يكون مثل هذا النجاح حليفها ، مع كل انجاز فني تواجه به الجمهور في الاردن وخارجه ، حتى تبلغ ذروة الاجادة والابداع ، وما اظن ترقب ذلك منها افراطا في الامل ، ما دامت تسير منذ خرجت الى الوجود من الحسن الى الاحسن ، فمن جد نحو بعيد الغايات ادرك المسعى ، ومن سار على الدرب وصل .

عمان — الاردن — محمد سليم رشدان

الحقد الاخير

من ديوان « عودة السندباد » المعد للطبع

نفخ الصور فقام الميتون
من قبور الصمت والاوزار قام الميتون
ينزعون الكفن البالي وآثار المنون
يفركون الاعين الظمآى فتشتد الجفون
يسرجون الخيل والليل وآلاف النجوم
يحملون اللهب القاتل والريح السموم
يرفعون الراية النزافة الحقد الاخير
يتحدون جدار الموت والوجه الاجير
يصهرون الكسل المزمن والوهم الكبير
صوتهم جلجل في الافاق .. في عرس السحر
مرحبا يا أرضنا الخضراء يا ارض المطر
مرحبا بالموت في واديك .. في ضوء القمر
مرحبا بالنور نغشاه فرادى وزمر
مرحبا بالنور يغشى انفسا .. يغشى عيون
من قبور الصمت والاوزار قام الميتون
انهم بعض سرايا العائدين
انهم ميلادنا .. ميلاد فجر الثائرين

اتراهم مر عام يحلمون .. !
بصباح يخرج الفارس من ليل السجون
بنهار ثاقب الاضواء ، هدار اللحون
اتراهم مر عام يحلمون .. !
اتراهم حملوا المشعل في الليل وساروا
عبروا الف جدار وجدار
قطعوا الاهوال .. أرضا وبحار
فتحوا القمقم في وجه التتار
واغـاروا
فاذا المارد جيل العائدين
واذا هم ينظرون :
انهم قد آنسوا نارا تلوى من بعيد
عبر انفاق الدجى عبر متاهات الجليد
عبر كهف البؤس والتشريد والجرح الجديد
قبسا يجرح تاريخ الظلام
انه عاصفة الفتح وتيار الصدام
انه البرق الذي خلناه وهما وسراب
عندما كنا تراب
انه الميلاد يأتي بعد عشرين عجاف
انه عيد القطـاف
انه التاريخ قد هز قبور النائمين
انه يوم الحساب الحق والفتح المبين
انه صوت الرفاق العائدين ..
انه ميلادهم .. ميلاد فجر الثائرين

آه يا وجه حزيران الجديد
آه يا فارسنا الشرقي في درب الخلود
آه يا نجم السعود
انك الثار الذي ظل مع الغيب نشيد
آه يا وجه حزيران الجديد
سوف نحيلك لهيبا وحديـد
فلقد دوى مع الصبح النفير
ولقد هب من النوم الرقود
فاذا الحلم الشتائي حقيقة
واذا المارد شق اليوم للنصر طريقه
واذا الابطال في عزم يدكون الحصون
نفخ الصور فقام الميتون
من قبور الصمت والاوزار قام الميتون
ينزعون الكفن البالي وآثار المنون
يسرجون الخيل والليل والاف النجوم
يحملون اللهب القاتل والريح السموم
يرفعون الراية النزافة الحقد الاخير
يتحدون جدار الموت والليل المطير

دمشق — محمد منذر لطفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



كمال رستم

رواية اليوم في العالم

بقلم أنتوني بيرجيس

عرض وتحليل : كمال رستم

* * *

ما من شك في أن عالم الرواية يزخر بالاسماء الجديدة التي تلمع في سمائه كل يوم .. فكيف نكتسب معرفتنا بهؤلاء الكتاب الذين تظهر آثارهم في لغة نجهلها .

يجيب أنتوني بيرجيس الذي يأخذنا معه في سياحة حول العالم في كتابه « الرواية اليوم » ـ الذي نقدم هذا الفصل منه للقارىء ـ يجيب على هذا السؤال بقوله اننا يجب أن نتعرف على هؤلاء الكتاب من خلال ترجمة أعمالهم ، ولكنه لا يلبث أن يستدرك قائلا : انه بقدر عظمة الكاتب بقدر ما تكون صعوبة ترجمة أعماله ، ذلك لأن الكاتب يكون داخل لغته مستغلا نغماتها وايقاعاتها واصطلاحاتها وغوامضها .

فمثلا احدى القمم الروائية العالمية في الوقت الحاضر وهي رواية « دكتور زيفاجو » لبوريس باسترناك لا نستطيع أن نقدرها حق قدرها ما لم نقرأها بالروسية ، وذلك لان الرواية تزدحم بالرموز التي تنطوي عليها اللغة ذاتها ، حتى اسم البطل له مغزى خاص بالنسبة للقارىء الروسي ، فلفظة زيفاجو الروسية معناها « الحي » وهي تحمل ايحاءات ذات طبيعة طقسية دينية ، وبالمثل اسم زيفاجو الاول «بوري» فهو شكل من جورج وهدفه في الرواية أن يحطم التناقين .

ان رواية « دكتور زيفاجو » مليئة بالرموز والتوريات ذات الدلالة ففيها شيء من « فينجانزوبك » رواية جيمس جويس الا أن هذه الرواية الاخيرة بالرغم من محاولات بذلت لترجمتها الى لغات أخرى ظل معناها الحقيقي مستعصيا على الخضوع لاية لغة غير لغة جويس .

وكلما ابتعدنا عن لغات المجموعة الهندوجرمانية (الرومانية والالمانية والسلافية التي تعتبر شقيقات للغة الانجليزية) كلما ازدادت صعوبة ترجمة ادابها الى أدب انجليزي وهذا يفسر جهلنا النسبي بما يجري في الرواية اليابانية او الاندونيسية أو الصينية ، وطبيعي أن نلمس افتقارا كبيرا في المترجمين من هذه اللغات ، فمثلا الرواية اليابانية يكاد يكون الكاتب الياباني الوحيد المعروف في الغرب هو جوفيشيرو تانيزاكي واعماله « المفتاح » « والشقيقات الماكيونات » « ويوميات عجوز مجنون » مقبولة لانها تتناول اليابان « المستغربة » ولها خصوصا المفتاح محتوى جنسي .

واذا كنا نقرأ روايات صينية قليلة جدا فذلك يرجع بدون شك الى حقيقة ان الكتاب الصينيين في قبضة ايديولوجية قوية ولا يقبلون الحقيقة كلها عن الحياة ، وانما فقط الحقيقة كما يراها الحزب . ومثل هذا القول يصدق على الرواية في أغلب البلدان الشيوعية ، وبالرغم من انه توجد استثناءات من هذه القاعدة كما سنرى (١) .

ولا يوجد الا القليل من الروايات في الملايو سواء في شكلها الملايزي او ـ الاندونيسي ، فالقصة القصيرة او القصة الطويلة لم تتطور بعد الى رواية كاملة الطول ، ولكن مثل هذه الروايات كما ظهرت في أندونيسيا ، ما زالت تنتظر جمهورا غربيا ، والاستثناء الوحيد هو رواية مختار لوبيس الفريدة « الشفق في جاكارتا » وهي عريضة اتهام لنظام سوكارنو بعثت بمؤلفها الى السجن .

ان الكتاب التاميليين في ملايزيا كتبوا الكثير من الاشعار ، والعديد من القصص القصيرة ، الا انهم ابدا لم يكتبوا روايات طويلة ، وعلينا مع كل هذه اللغات البعيدة ان نواجه السؤال القاسي والضروري في وقت معا ، وهو : هل أنتج هؤلاء الكتاب اعمالا قيمة تستحق الترجمة ؟

الرواية في روسيا :

ان روسيا بلد من كبير المساحة وغزارة الانتاج بحيث تسمح لبعض الاعمال ذات الاهمية والجدارة الفنية بأن تمر من خلال النسيج الايديولوجي . وبالرغم من ذلك فان رواية من أعظم روايات القرن وهي رواية باسترناك نعد بها الزعماء السوفييت . ومع أن ناباكوف يقول انه « لا يوجد ادب سوفييتي » فلا نكران في أن هناك نهضة قوية تأخذ مكانها في حقل الشعر في روسيا ـ حركة شبان يرفضون الخط الايديولوجي الرسمي ، وحيث يزدهر الشعر فان الرواية في (بلد له تقليده الروائي العظيم) يجب أن تزدهر أيضا ، الا ان الكثيرين من الروس يشاركون الكسندر سولزنيتسين اعتقاده بان الرواية الطويلة لا مكان لها في عصر التكنولوجيا ، فالامسيات الطويلة التي تقضيها الاسرة الى جانب المدفأة في القراءة العائلية قد ولى عهدها ، ويجب الاعتراف بأن روسيا أنتجت بعض كتاب القصة القصيرة المجيدين وأغلبهم ينتمون الى تاروزا مستعمرة الكتاب خارج موسكو حيث وضع الكتاب قانونا لهم يقاومون به ضغوط « الخط الرسمي » وربما من الدلالات ذات المغزى ، ان صفحات من تاروزا وهي مختارات شيقة جدا جمعها كونستانتين بوستوفسكي سحبتها السلطات من التداول وان كان ذلك قد أتى متأخرا حيث كانت قد بيعت منها بضعة الاف نسخة وليس في المجموعة أي هجوم سياسي ، ولكن هناك شواهد على الفردية والشجاعة والافصاح والرغبة في التأثر بكتاب الغرب ، خصوصا ارنست هيمنجواي .

يرى اندروفيلد أن القصة القصيرة تطفو في روسيا ، لان الرواية الروسية استيقظت لتوها من سباتها الطويل وانه من الطبيعي ان تتخذ الخطوات الاولى في الرواية الجادة شكل مجال اكثر تحديدا ، وبالرغم من ذلك فقد حاول الكسندر سولزنتسين بطل شكل القصة القصيرة ، الخطوة الابعد نحو التوفيلا او الرواية المختصرة . فروايته المعروفة باسم « يوم واحد في حياة ايفان دينيسوفيتش » عبارة عن دراسة الحياة في معتقل ستاليني ، وقد أطربت هذه الرواية عالميا ولكن المرء لا يدري ان

كان الاطراء من اجل الموضوع المطروح للمناقشة ، أم من اجل الاسلوب والشكل . انها قطعة محكمة من الكتابة وان كان ثمة افتقار الى الحياة الفردية في شخصية ايفان دينسوفيتش نفسه ، انه مثل عمال المصانع ، وفلاحي المزارع الجماعية الذين نجدهم في الرواية السوفيتية ـ التقليدية المتفائلة ـ كنموذج أو تجريد . ان ما يفتقر اليه حقا هو الرواية التي تتحرر من عقد التاريخ السوفييتي ، لتؤكد للقراء الغربيين أن النهضة في الادب تتقدم حقا .

من هذه الروايات رواية « تذكرة نجمية » لفاسيلي اسكيونوف عن ناس حقيقيين وليست عن اخطاء ماضية او امجاد مستقبلة . انها ليست رواية عظيمة ولكنها علامة مشجعة للاتجاهات الجديدة . وهناك فلاديمير تيندرياكوف الذي يستطيع في أعمال مثل رواية « الفد » ان يحيل شخصية ايجابية (ملحد وعضو أمتل في الحزب) الى شخصية انسانية متسامحة ومتعاطفة . وربما نلمس أكثر العلامات المبشرة في رواية ابرام تيرتز القصيرة التي تمثل الاهتمام الغربي باستكشاف العقل الانساني ، وتشخيص الصراعات المختلفة .

ومن المؤكد ان موجة جديدة من الروائيين ستظهر في روسيا السوفياتية ، والى أن يحين ذلك الوقت علينا ان نتناول وجبتنا الخفيفة من القصص القصيرة .

الرواية في بولندا :

وبقية البلاد الشيوعية تصدر القليل جدا من الروايات . فالرواية الهامة التي وردت بعد الحرب من بولندا هي رواية « فردبدوك » اوبتولد جوميرويكز نشرت في وارسو قبل الحرب ثم صودرت في سنة ١٩٣٩ ثم ترجمت الى الاسبانية ونشرت في بيونس‌ايرس في سنة ١٩٤٧ وعندما دخلت مرة اخرى الى اوربا الشرقية تلقاها الناس بفتور . الا انه مع تقدم « الحركة » أعيد نشرها في وارسو في سنة ١٩٥٧ ، بعد عشر سنوات من ظهورها لاول مرة . وقد اختلط الامر في شأنها على اكثرية القراء فبعد ان قادتهم الى توقع ان يجدوا فيها هجاء لاذعا لمذهب الحكومة الكلية ، وجدوا بدلا من ذلك خيالا سيرياليا يلعب بكل النظريات ، ويناهض اليوتوبيين من خلال خفة الروح ـ الرابيلية (٢) . وفي سنة ١٩٥٨ صودرت رواية جوميرويكز مرة اخرى وكان عليها ان تنتظر ترجمة فرنسية لها في سنة ١٩٥٩ قبل ان يبدأ النقاد مرة اخرى في الحديث عنها باعتبارها عملا ذا اهمية قصوى و « تحفة غريبة » .

الرواية في المجر :

وربما كان اهم روائي مجري بعد الحرب هو الروائي الراحل « جوستاف راب » ، فهو ما زال ينتظر الاعتراف به في الغرب ، وهو يستحق هذا الاعتراف بقوة رواية واحدة له هي رواية « ساباريا » التي تدور فيها الصراع بين المسيحيةوالشيوعية . ففي مكان المدينة الرومانية القديمة « ساباريا » تقوم المدينة المجرية زومبائيلي وقد ذهب اليها في سياحة ثقافية ثلاثة رجال : قسيس وعالمحفريات وطبيب في امراض الرئة ، ولكنهم وجدوا انفسهم يواجهون حادثا غريبا ، امرأة عجوز نصف مجنونة تدعي انها سمعت صوت « القديس مارتين » يتحدث اليها من مكنة الخياطة . وقد اعتبرت الدولة هذا الحادث ملفقا بهدف الى قلب النظام الاشتراكي في المجر ، ومأساة الحياة في هذه الرواية تكمن في حقيقة ان الخير والشر يقيمان حيثما يريدان ، لا حيثما نقودنا الى توقعهما أية سلطة . وهذا هو احد شخوص الرواية يعتذر عن اخطائه ضد النظام فيقول : ليس هناك خطأ في الكذب على الشيطان ، والمفترض ان يقول : « ان الكذب خطأ دائما » الا ان الرواية بوجه عام كتبت بطريقة جميلة ومثيرة .

الرواية في اليونان :

والرواية اليونانية الحديثة يمثلها احسن تمثيل « نيكوس كازانتزاكيس » الذي راينا له منذ أعوام فيلم « زوربا اليوناني » . وربما كانت افضل رواياته هي رواية « الاغراء الاخير » التي تعرض حياة المسيح باعتبارها نضالا للتغلب على الشيطان الموجود في كل الناس (المجسد في اللحم والارادة والرغبة في الاشباع المؤقت والقوة) وللحصول على الخير الذي يمكن وجوده فقط في الروح .

ان الرواية حية بقوتها الديالكتيكية وكل صفحة تضج بالنقاش والعراك الذهني ، ان « الاغراء الاخير » من وجوه كثيرة تصور المرحلة الاخيرة من قتال كازانتزاكيس لكي « يصالح النقيضين ويوحدهما في شخصيته ذاتها » .

الرواية في ايطاليا :

وانتجت ايطاليا منذ أيام « دانيزيو » « وبيراندييللو » ادبا قليلا كان له صدىعالمي ، ولقد قيلان مورافيا وفيتوريني وبارتوليني روائيون مجيدون ولكنهم ليسوا أساتذة ، والانطباع الذي تخلفه أعمالهم هو الافتقار الى اليقين الذي بدونه يستحيل وجود أدب عظيم . ومع ذلك فايطاليا بعد الحرب كان لديها على الاقل الكثير مما تألم له ـ الحرب التي لم تكن تريد ان تخوضها ، والاضطهاد النازي ، وورطة المجتمع المحطم ، وادراك انه كان هناك فقر مدقع في جنوب ايطاليا وصقلية وكذلك الفهر الممتد على طول العصر ، ولكن فيما عدا رواية « كارلو ليفي » : « المسيح وقف عند ابولي » . كان هناك عدد قليل جدا من روايات زوال الوهم اللاذعة التي أثرت كثيرا في البلاد الناطقة بالانجليزية ، وبالنسبة للكثيرين من غير الايطاليين ، الرواية الايطالية تعنى بالدرجة الاولى البرنوموراليا وواقعية اعمال مثل « امرأة من روما » « وعصر اللامبالاة » « ومراهقتان » والفلسفة الناضجة والياسة في وقت معا فرواية الخواء او الضيق دراسة ممتازة لورطة الانسان الحديث ، وعجزه عن الاهتداء الى بدائل للقيم القديمة للحياة في مجتمع صحي . الخواء او الضيق مفروض في فلسفة مورافيا على جميع اعمال الانسان . ان كل ما يفعله الانسان هو محاولة للهرب من الخواء اكثر منه حصيلة واقع خلاق .

وروائي اخر له نفس اهمية مورافيا وهو ألبيو فيتوريني وهدفه الرئيسي ان يعرض فيروايات كرواية «اريكا وشقيقها» «ولاجاريبالدينا» محاولة الانسان ان يسترد كرامته وسعادته في عالم يمزقه التناحر الايديولوجي ، « وفاسكو برانوليني » اكثر وضوحا في ثلاثية تاريخ ايطالي ، انه لا يهتم بالانسان عموما ، ولكن بالانسان في ايطاليا ، وعلى وجه الخصوص العامل الايطالي ومساهمته في الحزب الفاشيستي الذي طالما عزى الى الطبقة الوسطى وحدها ، وفي ايطاليا يؤثر الوعي السياسي في الاحكام الفنية ، ولهذا السبب هوجمت رواية « الفهد » لجوسيب دي لامبيدوسا ، وهي صورة كريمة محكمة ، وان كانت ارستقراطية للمجتمع الصقلي باعتبارها رواية رجعية وحتى فاشية ، ولكن الفن العظيم يعلو دائما على مسائل العصبية .

الرواية في المانيا :

والمانيا هي شريكة ايطاليا في زوال وهم ما بعد الحرب ، وزوال الوهم اتخذ اشكالا بائسة المانية بالدرجة الاولى في الروايات الاولى لما بعد الحرب . فرواية « مدينة خلف النهر » لكاساك ورواية « الختم الذي لا يمكن ازالته » « لالبزابيث لانجاس » مليئة بشرؤى الفساد الانساني ، وكان هؤلاء الكتاب مصيبين عندما راوا في هبوط النازيين الى الهوة صورة لسقوط الانسان على وجه العموم . هل كان هناك اي

امل ياوح له ؟ ترى « اليزابيث لانجاس » ان الانسان يمكن فقط ان يخلص بنعمة الله ، وليس من خلال مجهوداته الشخصية لرد اعتباره . وكتاب مثل « هينريك بول » استملوا نظرة اقل غموضا واخذا بالتقاليد، واكثر معقولية لمرض المانيا . والعمل الاول الذي انشغل به (بول وهانس ويرنز ريشتر) وغيره من اعضاء جماعة الكتاب المسماة « جماعة ٤٧ » هو خلق لغة ادبية جميلة ، لغة نظيفة بارعة مطهرة من التزييفات النازية . بهذه اللغة الجديدة سجلوا حياة الجندي وزوال وهمه (ريشتر في المفهور وبول في اين انت يا آدم) وفتحوا اعينهم على عناصر الفساد في المانيا الجديدة التي عاد اليها الجنود . فرواية « ليس بالضبط في عيد الميلاد » تسخر مما يسمى بالمعجزة الاقتصادية الالمانية : يتساءل الماني عائد من المنفى في رواية « بلياردو في التاسعة والنصف » هل انا مخطيء اذا وجدت الالمان الحاضرين ليسوا اقل سوءا من هؤلاء الذين تركتهم ؟ .

ان هذه الرواية تعرض كل تاريخ الطبقة الوسطى الالمانية من قيصر لهتلر في مدى ساعات قلائل ، مستخدمة رمزية سهلة .

وفيما عدا الذنب والمرارة المستخلصة من تأمل الماضي ، لا تزال المانيا تستشعر عار تقسيمها والرمز الواضح له هو ذلك الحائط الذي يحيط بالمدينة التي كانت يوما مدينة متعجرفة . ورواية «بوي جونسون» « تأملات عن جاكوب » تعالج العلاقات بين شرق المانيا وغربها ، وبطلها جاكوب معانيا من هذا التقسيم الذي هو حالة الانسان المرهقة يقع بين قوتين ومن ثم فهو مشلول . ورواية جونسون الثانية « الكتاب الثالث عن آخيم » تروي محاولة صخفي من المانيا الغربية ان يكتب سيرة بطل رياضي مشهور من المانيا الشرقية ، ولكن السيرة لا يمكن ان تكتب لان الحقائق والاراء والشائعات عن آخيم ـ بسبب هذا التقسيم ـ في صراع لدرجة انه لا يمكن الاهتداء الى الحقيقة ، وهنا اسلوب جونسون وتركيبه نشيع فيهما الغوضى المتعمدة . وعموما فاهتمامه بالتجربة الذهنية يجعله صعب الترجمة ، وهو ليست له شهرة رواني آخر يساويه في المكانة هو جونتر جراس .

ورواية جراس الاولى « طبلة من الصفيح » عبارة عن السيرة الذاتية الخيالية لقزم مجنون يستطيع ان يتذكر الماضي الشائن للنظام النازي ، وذلك بان يضرب على طبلة مسحورة . وجراس يذكر لنا كل شيء ، ولكن روايته تفتقر الى ما يسمى « بالذنب الرمادي » الذي يبدو في العديد من الروايات التي كتبت عن هذه الفترة . وقد اسلم جراس سرده الى مخلوق من السذاجة الى حد انه يمتنع عليه اي موقف اخلاقي بالنسبة لاحداث التي يؤرخها . والرواية الثانية هي رواية « أعوام الكلب » عن الايام الاخيرة لهتلر وباكتشافنا لما حدث لكلب الفوهرر المفقود ، تركب من كل انواع المصادر غير المتصلة ، قصة القوة المنهارة ، والنهاية البائسة . وهنا ايضا تترك لنا هذه الرواية انطباعات الموهبة السانيريةوالسخرية وغموض اللغةوالشخصية القويةالحساسة ، ولكنها تفتقر الى الوحدة الفنية الحقيقية .

ان الرواية الانجلو امريكية لديها اشياء اخرى تقولها غير اصلاح الماضي او مهاجمة الشخصية الوطنية ، ان اعمال جراس وجونسون والاخرين الروائية هي تعليقات فذة على التاريخ ، ولكن الرواية يجب ان تكون شيئا اكثر من ذلك .

الرواية في فرنسا :

ان الروائيين الفرنسيين كان لديهم دائما تاثير على التقليد الانجلو أميركي أكثر من تاثير أي بلد من البلاد الاخرى ، باستثناء روسيا الامبريالية في الثلاثينات كان الاسم العظيم هو اندريه مارلو الذي اعتبر البعض روايته «الحالة الاجتماعية» علامة قصيرة الامد لنوع روائيجديد هو النوع الملتزم . وبعد الحرب قدمت أعمال الكتاب الوجوديين ، خصوصا جان بول سارتر والبير كامي نوعا جديدا من الرواية الفلسفية .

والموجة الجديدة الان في فرنسا مصحوبة بما يسمى الرواية المضادة ، تثير اتجاهات جديدة لفن الرواية وقد تناول الفرنسيون بجدية شيئين : الافكار والتكنيك . ان الرواية التي كتبها جان بول سارتر تمثل موقفا للحياة المشروطة بالاحتلال الالماني لفرنسا هذه الفترة التي كانت « عصر القتلة » الذي تنبأ به الشاعر ريمبو كما يقول سارتر في « ما هو الادب » .

لقد تعلمنا أن ناخذ الشر بجدية ، واذا كنا قد عشنا في وقت كان فيه التعذيب حقيقة يومية ، فليس ذلك نتيجة خطئنا ، ولا هو نتيجة جدارتنا . ولقد اوضح لنا شانوبريان وأورادور وداشو واوشويتز أن الشر ليس مظهرا ، وان معرفة سببه لا تذهب به ، وانه ليس مقابلا للخير كما تقابل الفكرة الغامضة الفكرة الواضحة ، وبالرغم منا نصل الى هذه النتيجة التي تبدو مؤلمة للنفوس العالية : « الشر لا يمكن اصلاحه » .

وقد يبدو من التناقض ان رجالا من أمثال سارتر استعادوا الشعور بكرامة الحرية الانسانية (ذلك الشعور الذي فقد خلال الفترة المرهقة للقرن التاسع العشر) في الوقت الذي كانوا فيه اقل حرية . كانت هناك المقاومة ، وكانت هناك الحرية الكاملة غير المنقوصة لان تقول لا الشر ولكن اذا كان الشر حقيقة فان الانسان يمتلك القوة لان يقول : « لا » لانواع اخرى من الحقيقة ، وفي عصر ساد فيه الالحاد (سارتر ملحد) يستطيع الانسان ان يقول « لا » ، لكل بناء الكون : للتاريخ وللطبيعة ولكل شيء عدا قدرته على الافكار .

ان الانسان « يكون » و « يوجد » لانه يستطيع ان يقول : « لا » (قال سقراط هذا منذ وقت بعيد) ، ولكن ماذا تعني الفاظ مثل (يكون) و (يوجد ـ ما طبيعة الوجود) ؟

في كتاب طويل هو « الوجود والعدم » الذي كتبه سارتر اثناء الاحتلال قال : أن هناك نوعين من الوجود : الوجود في ذاته ، والوجود لذاته . الوجود في ذاته هو الخاصية او الجوهر الذي تمتلكه الاشياء . ولكن الوجود لذاته هو جوهر الوعي الذي يمكن ان ينظر الى خارج حدوده متاملا المستقبل ، ناظرا الى الماضي كشاف حر بينما الشيء ليس حرا . هذا الوجود هو صفة الانسان الخاصة ، مجده العظيم ولكنه في نفس الوقت مفجع . الوجود متغير مزعزع يفتقد ثبات الشيء المستقل بذاته ، الممتلك للوجود في ذاته . الانسان يرى نفسه في كون هائل يتجاهله وجود لذاته يمكنه فقط ان يحصل على الحقيقة من خلال ممارسة الاختيار مثل قول : « لا » ، للشيء ولان الانسان حر في ان يختار فهو سيستخدم هذه الملكة ليظهر أنه موجود ، وقد يختار الطريق الصعب لانه باعتباره (موجودا حرا) فان الطريق الصعب لا نفرضه عليه اية قوة في الكون .

وماري مكارثي في روايتها « حرجات الاكاديمية » تعطينا مثالا خفيف الروح في كيف ان القدرة على الاختيار تعمل في حياتنا اليومية اننا نشعر بان الاغتسال يجب ان يتم ، واجب . التزام يواجهنا اذا رفضنا ان نقبل هذا الواجب (متذكرين حريتنا في الاختيار) . يمكننا الاقتراب من الاغتسال وجودا . اننا سنستعمله لاننا نمارس اختيارنا لعمله ، فالاعمال الحرة تبرر وجودنا .

ان تمثيليات سارتر وقصصه ورواياته هي تجسيدات انفعالية لفلسفته اكثر من كونها اعمالا اصيلة ، وفي روايته الاولى « الغثيان » التي تصور عصر اللئام او الاوغاد الذي سبق الحرب العالمية الثانية والدعوة للبطولة والعمل ـ اكتشف البطل « روكنتان » الوجود من خلال الاشمئزاز (ومن هنا العنوان) ولكن الاشمئزاز هنا فلسفي اكثر مما اعتدنا ان نراه في رواية . يرى « روكنتان » شجرة القسطل في حديقة ويسيطر عليه احساس بعبثيتها ـ كتلة هائلة من الوجود في ذاته تفتقد سبب وجودها انها تعبير عن الين (٣) أي القطب الانثوي ، فهي

ضخمة ومزدهرة ومثمرة ولكنها سالبة ، بينما « روكنتان » مثل خالقه في الجانب الاخر جانب اليانج (٤) أي ـ القطب الذكري ـ القوة الذكرية الخالقة الصلبة ، والبحث عن هذه القوة وتحقيقها ـ ارادة قبول الحرية ـ هو عقدة رواية « الطرق الى الحرية » (٥) .

وهي رواية ظهرت منها للان اربعة اجزاء . ان سارتر له مواهب عظيمة ولكننا نجد في كتابته تمدد وافراط شجرة القسطل . ان الشخصيات والحوادث تركب بعضها بعضا ، ونحن لا ندرك ابدا الهدف المنظم الفني للروائي الحقيقي . ان سارتر الفيلسوف هو المهم وتاثيره على الرواية اهم من انجازاته الفعلية كروائي .

والبير كامي مثل سارتر ، انضم الى الكتاب التقليديين كروائي عظيم وليس كفيلسوف عظيم ، فروايات كامي مثل « الطاعون » « وحالة حصار » « والقتلة العادلون » هي بالدرجة الاولى دراسات عن اناس حقيقيين واماكن حقيقية وهي تؤثر فينا كروايات ، وفقط بالدرجة الثانية كتعبيرات خيالية عن الافكار ، ان افكار كامي على درجة كافية من الوضوح ولكي نقدرها حق قدرها يجب ان نلم بعض الالمام بخلفية الكاتب . مولود في اسرة من طبقة العمال الفرنسيين الجزائريين ، عرف مبكرا الحرمان واختزل السل حياة اكاديمية كانت حرية بان تبشر بالامتياز . الحقيقة الوحيدة المؤكدة لديه هي الموت . ولكن من الممكن انقاذ شيء من اليأس كما يبدو ذلك في روايته الاولى « العرس » وقد قوى انهيار فرنسا تشاؤمه بالرغم من انه ، مثل سارتر ، وجد نوعا من الخلاص في الحركة وفي العمل من اجل المقاومة .

في « أسطورة سيزيف » يعرض الانسان كمخلوق محكوم عليه (مثل سيزيف في الاسطورة اليونانية) بان يدفع حملا ثقيلا الى اعلى تل فقط ليجده يهوي الى أسفل مرة ثانية . سيزيف في الجحيم محكوم عليه باداء هذا العمل البائس الى الابد ، والانسان يجد الانعتاق منه في الموت ، الكون الخاوي والانسان كعبث والحاجة الى العمل ـ هذه تشكل العقد الرئيسية لرواية كامي .

في العبث شيء بطولي و « الطاعون » تظهر ذلك ، ومن الممكن ان يؤخذ هذا على انه مجاز ، فالطاعون الذي يحل على مدينة جزائرية هو طغيان محتل ، والناس ، مبعوثين من خلال اللامبالاة والشجاعة ومقاومة الاحسان ، يتخلصون من العبث بالعمل « والغريب » (اولى روايات « كامي » وبعضهم يعتبرها احسن رواياته) هي عن رجل ينطلق من لامبالاته وفوضويته ـ لسبب غير واضح ـ باطلاق النار على رجل عربي واردائه قتيلا ، ويحكم عليه بالاعدام ، ويأتي قسيس ويلح عليه بان يؤمن بالحياة الاخرى . والان ولاول مرة يبدي انفعالا ، رافضا بكل قوة فكرة البقاء بعد الموت ، أدرك ان لامبالاته كانت نتيجة قبوله السلبي لحقيقة ان الموت هو نهاية كل شيء ، والان ينشط الى ان يقول هذه الحقيقة .

انها عنده الاساس الايجابي لملء الحياة . اذا كان الموت يجعل الحياة لا معنى لها فمن واجب الارادة البشرية ان تفرض المعنى ، ولكن ويا لسخرية الاقدار ، لقد فات الاوان لكي يبدأ الحياة من جديد .

وفيما عدا براعة كامي كروائي فاننا نعجب بالشجاعة والامانة اللتين يحاول ان يهاجم بهما العدمية . ان الحالة الانسانية عبث والعالم لا يبالي بالانسان فلماذا اذن ننتحر ؟ ان الانتحار عمل فردي قد يؤدي وقد لا يؤدي ولا يمكن ان يفرض كمبدأ فلسفي عام ، ونحن نترك ـ كما عند سارتر ـ مع ضرورة ان تكون انسانيين وهذا يعني اداء اعمال الكائن الحي ، وقد نظر كل من سارتر وكامي نظرة شجاعة صارمة الى الحقيقة .

ويبدو ان « جان جينيه » احتجز نفسه بعيدا عنها وشرنق . ولكن الحقيقة عند جينيه تعني المجتمع الذي نبذه كطفل يتيم ، وقسى عليه بان يعيش في الملاجيء . نزع جينيه الى ما يضاد الحياة الاجتماعية من الجريمة والشذوذ الجنسي ونعلم ان يعجب بالمجرمين وطريدي الحياة ، هؤلاء الذين يقاومون ما يدعوه العالم بالعادية والافضل تقديم لاعماله الانحرافية هي رواية : « سيدة الزهور » والتي يبدو ان هدفها هو ان تنقى وتعطر وتزين حيوات المسجونين والمنبوذين ولتحول كما يقول « عن طريق اللغة الشيء المشهور عنه انه منحط الى ما ينظر اليه باعتباره شيئا نبيلا » ان الشخصية التي تريد ان تذهب الى دورة المياه تتحدث عن « باقتيها من زهور البنفسج » والشخصية التي تنزع الشعر من انفها تقطف « اوراق زهور القراصية والبنفسج » هذا الاظهار للقذر يدل على رغبة في الانفلاق على النفس والابتعاد عن الحقائق الانسانية القذرة ، فان عمل المرء فيجب ان يعمل فقط من خلال الخيال ، وعمل جينيه الذي يعجب به سارتر لا يربطه الا القليل بالحركات الادبية الاكثر حداثة في فرنسا انه نسيج وحده .

الرواية الجديدة :

وكتاب الرواية الجديدة او الرواية المضادة ، كما تدعى في بعض الاحيان ، يدعون انهم حصلوا على اقترابهم من الحياة من « الغثيان » لسارتر « والغريب » لكامي . ان ما اخذوه هو عنصر العبث ، ولكن كتاباتهم تذهب الى ابعد من وجودية سارتر ، ولا مبالاة كامي . حقا يتجاهل الكون الانسان ، ولكن دعنا لا نفكر في الكون كتجريد بعيد . ان الاشياء ذاتها التي تحيط بالانسان ـ هي جزء من الكون ووجود الانسان ينطوي على تجاهل تام لها .

ان روايات « الان روب جرييه » خصوصا اشهرها « الغيرة » تهتم بالاشياء النابتة لا الهروب الفامض للتأمل الميتافيزيقي او الديني او السيكولوجي او السياسي . انها تمثل نهاية الفكرة الخاطئة القديمة والتي بها تردد الاشياء صدى راداريا لانفعالات الناس الخاصة .

ان عالم الناس وعالم الاشياء فقد الرابطة الخيالية وحتى العاطفية التي طرفتها الاثرة الانسانية . ففي رواية الغيرة وهي رواية انسانية مثيرة ، فان « روب جرييه » يكاد ان يكون هندسيا في اقترابه من العالم الخارجي . ان الاشياء هي ذاتها وليست رموزا ولا استعارات « وروب جرييه » يكرس نفسه للاشياء بدرجة يصح معها ان يطلق عليه اسم عالم الاشياء .

ومع التركيز على الاشياء تبطيء مسيرة الرواية ، وتبلغ اقصى درجات البطء في أعمال « ناتالي ساروت » التي تذهب الى ما وراء مجرد تصوير الاشياء ، وتوقف اهتمامها على ما تطلق عليه لفظة انتحاءات اي استجابات العقل الانساني للمثيرات الخارجية ، وقد نشرت رواياتها انتحاءات في سنة ١٩٣٩ ، وهي تسرد استجابات جماعة نساء الطبقة الوسطى للروتين اليومي لحياتهن . ولما كانت الاستجابة لا تهتم الا قليلا بجهاز الشخصية ، فقد أمكن « لناتالي ساروت » ان تعرض اذهان كل اولئك النسوة كذهن واحد . مكتشة سيكولوجية جماعية . وروايتها الاحدث هي رواية القبة السماوية تظهر عدة اوعية كل منها باسم ، وكل منها يتكلم عن نفسه ، دائرة كأنها كواكب متفردة، الى ان يحدث حادث مفاجيء وبسبب تصادمها .

اننا نبتعد مع كل من « ناتالي ساروت » « وروب جرييه » من ادراك الرواية بشخوصها الراسخة المميزة التي تشترك في عقد تقليدية على مستوى تام من الوعي الى عالم الاشياء التي ترى ، ولكن بغير

(١) لا حاجة بنا الى القول ان هذا هو رأي المؤلف . (٢) نسبة الى فرنسوا رابيليه شاعر فرنسي ساخر هجاء ١٤٩٤ ـ ١٥٥٣ . (٣) و (٤) لفظتان صينيتان . (٥) رواية من النوع الذي يطلق عليه بالانجليزية اسم « الرواية كنهر » وهو تعبير يستعمله المؤلف ليعبر عن الروايات الطويلة التي تصدر في اجزاء ولا تستمر على مدى حياة الكاتب وينهيها فقط الموت ، موت الكاتب أو موت القارىء .

وضوح ، او عندما نرى تقبل فقط باعتبارها رموزا .

ان الرواية المضادة باستطاعتها وهي تذيب الشخصية الى وعي خالص ان تذيب ايضا ذلك الزمن الذي تتحرك خلاله الشخصية معيدة صياغتـــه .

في روايات « ميشيل بيتور » (مثل مرور الوقـت) يمكننـا ان نعيش ذكرياتنا عكسا على طرد ، وسرعان ما يصبح من غير الضروري ان نرى الرواية نفسها (الكتاب المطبوع) كنموذج للعمل الرتيب القديـم المؤقت الكئيب (بان تبدأ بالصفحة الاولى الى ان تنتهي الى الصفحـة الاخيرة) ان الرواية يمكن ان تكون مثل القاموس او دائرة المعارف تفتح عند اي صفحة ، وما من شك في اننا نرحب باية محاولة توسـع مـن مفهومنا للرواية بان نجعل منها شيئامعاصرا ، وان نمتص الاراء الجديدة في العالم التي يحملها الينا العلماء ، ولكن من الخطر ان تحرك الرواية بعيدا عن دائرة الاستمتاع . ان اي عمل فني يجب ان يكون تراضيـا بين ما يمكن ان يعطيه الكاتب وما يمكن ان ياخذه القارىء ، والا فان كتابة الرواية تكون مجرد هواية خفيفة تمارس في دائرة اسرة صغيرة او في صالون جماعة من الاصدقاء المتعاطفين .

ان نوع التجريب الفرنسي في الرواية ليس جديـدا . لورانس ستيرن الذي يعتبره الكثيرون من الكتاب الاوروبيين استاذهم قلـب نسيج الرواية بطنا لظهر في رواية « تريسترام شاندي » في القـرن الثامن عشر ، وكانت « فرجينيا وولف » تلعب بالزمن والشخصية في العشرينات . « وفيليب تويني » في اواخر الثلاثينات حاول روايـة متعددة النظر ، هي « شاي » مع « مسز جودمان » .

وفيها الحادثة الواحدة ينظر اليها مرة واخرى ولكن من زوايـا مختلفة وفي رواية « حديقة تواجه البحر » نحصـل على تكسير الشخصية الذي يهتم به جدا « روب جرييه » بل ان « تويني » ذهب الى ابعد مما ذهب اليه الروائيون الفرنسيون من التحرر من النثر الى الشعر ، راجعا في ذلك الى تقليد اقدم هو تقليد رواية روبـرت برونج « الجرس والكتاب » وحتى كاتب شـعبي « كاريك لنكليتر » حاول في رواية « قائمة الشرف » رواية ذكريات ستالينية : مدرس محال على المعاش يفكر في بعض تلاميذه القدامى الذين ماتوا في الحرب وهو يفكر شعرا لا نثرا .

فـي انجلـــترا :

وبعض الروايات البريطانية الحديثة تظهر تاثرها بالمثال الفرنسي « فكرستين بروك روز » بعد روايات عـادية مثل « لغـة الحـب » « والوسطاء » انتجت رواية مضادة هي « خارج » التي تـدور حوادثها حول مستقبل خيالي لبريطانيا وقد حكمها الملونون ولكـن بـدلا مـن الانغماس في تجريدات الخيال ، تسجل بدقة سطح الحياة .

ان « كريستين بروك روز » مثلها مثل كتاب الرواية المضادة فـي فرنسا ، ولهذا السبب مثلها مثل « جيمس جويس » لا ترى لمـاذا ان ملاحظة نسيج الحياة يجب ان تسرع ، ومن ثم فقد زيفت بتجاوزهـا احتياجات الرواية العادية ذات العقدة بحدتها السريـع ، وعلاقاتهـا المدبرة ، وحلولها المـاهرة . ومثل هذا القول يصدق على الروايـة « الباب الموصل » « لراينر هابنستال » وهي المثال البريطاني للرواية المضادة منذ ان كتبت « راينر هيينستال » كتابا عن الموجة الفرنسية الجديدة هو « التقليد الرباعي » .

ومرة اخرى فان القاعدة هي نسيج وملاحظة قريبة للسطح ، ورفض للاسراع ، والبطل الراوي ليس له حتى اسم . ولا بد من الاشارة الـى « ويليام بيروز » المنفي برغبته طالما ان بعض رواياته صودرت لعـدة اسباب ، وقد وصفت اهمها بالفحش وهي رواية « العشاء العـاري » التي ظهرت اخيرا في انجلترا ، وهي عبارة عن هجاء مباشر ، معدومة الشكل ، تحس فيها لذع « سويفت » عن عالم يسكنه مدمن المخدرات ، عالم شره ياكل الضعيف (مدمن المخدرات) ويفتك بالمحتـاج (مدمـن المخدرات) ولكمن قوة « بيروز » في نثره الطليق وقدرته على مهاجمة الاعصاب ، ولكن هذا النثر في « العشاء العاري » في خدمة الهـدف التعليمي مثل هجاءات «سويفت» التي ليست روايات حقيقية « وليست نثرا فنيـا » .

وفي رواية « التذكرة التي انفجرت » يصول في وسيلة جديـدة وسيلة خيالية تماما لا مكانية ولا زمانية وفيها الجملة العادية تتكسر ، والمؤلف يهز القـارىء .

اننا نرحب بالتجريب في الرواية ، ويجب ان نسمح لها بان تذهب الى ابعد ما تريد في اتجاه عمل « بيروز »الذي له ثلاثة تيارات شعور مكتوبة في ثلاثة اعمدة متوازية ، او اضافة قصة الى النص الرئيسي ، وتعليق في الحواشي او في تحطيم الطريقة التقليدية للقراءة ، (كمـا في رواية بيتور) التي يجب ان نقرأ في نسختين في وقت معا ، واحدة للشعر واخرى للتعليق ، او في تحطيم الشخصية والعقدة والدبالوج وكل أمجاد الرواية التقليدية . ولكن سوف يكون امرا يؤسف له حقـا ان نلقي وراء ظهورنا بكل ما تعلمته الرواية خـلال القرون البطيئـة لتطورها . ان الرواية الثورية العظيمة حقـا « كيوليسيس لجيمس جويس » هي التي تغلق الماضي قبل ان تتقدم الى عتبات المستقبل .

واذا جاز لنا ان نضيف كلمة الى ما قاله انتوني برجس فهي اننا نهيب بكل من يمتلك عندنا ناصية لغة من اللغات التي كتبت بها هـذه الروايات التي اشار اليها برجس في هذا الفصل من كتابه ، ان ينقـل الى اللغة العربية هذه الاثار التي عرفت طريقها الى الغرب ، واقـروا لها هناك بالتفرد والامتياز ، وحتى لا نقف معلوماتنا عن الرواية في هذه الامم عند حد العناوين والاسماء ، بل تتجاوز ذلك الى النصوص ذاتها ، وهذا ما حفزنا الى تقديم هذا الفصل للقراء .

القاهرة

كمال رستم

آهـــة

لا تقربي الوتر الذبيـح فانـه
اضحى يصوغ لاصغري عذابا
وأترك زمام الود يمضي حيثما
دفن الوداد وعانـق الاطيابـا
وتناس عهدا قد رعيت فربمـا
ابقى الزمـان لمقلتـي سرابـا
خفـق الفؤاد بحبكـم فتلألأت
زهر النجوم كواكبـا وشـهابا
ومنحت ودي طاغيـا متأججا
فاضمت في عمر الربيع شبابا
ورشفت من كاس الحنان لأرتوي
فسقيت من كاس السموم شرابا
حكم الزمان بجوره فتظافرت
سحب الشقاء ، فأمعنت ارهابا
فذرفت من دمعي السخي لاشتكي
وكتبت من نزف الجروح عتابا

بغداد

مي الحسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طق ! طق ، طق ، هذا النقر على بلاط أرض العمارة التي يعمل فيها قاسم يسمعه في أوقات متباعدة . يسمعه وهو يسجل في السجل المفتوح امامه ، وكذلك حينما يعد كتابا موجها الى احد المراجعين في الدائرة . هذه الطقطقة التي يعزفها كعب الفتاة الضاربة على الالة الكاتبة على ارض الممر وهي خارجة من غرفتها او عائدة اليها ـ هذه الطقطقة ملأت قلب قاسم بالحان انثوية عذبة مخدرة اذهلت عقله لحظات سعيدة . ان الانسة غيداء تسير في براءة وبلا تفكير فيما تتركه نقرات كعبي حذائها من تأثير في قلب قاسم . وهو ينسج حول تلك الطقطقات صورة جميلة لوجهها الفاتن وقوامها الرشيق ، ثم يطلق تنهدة عميقة طويلة في صمت وهو يخط بقلمه في السجل . مرارا صادفها في طريقه وهو ذاهب الى المدير لمواجهته ، ولكنه كان يخجل تاديا ان يلقي نظرة عليها ، وان كانت بعض نظرات خفيفة موجزة تنطلق من عينيه شبه المغمضتين الى بعض مفاتنها . وهو لا يجرؤ ان يحييها او يسألها عن شيء . كان كلاهما يمر بزميله في صمت وهدوء كأنه لم يمر به . واخيرا يعود لى غرفته الواسعة التي تضم بضعة موظفين يعملون معه . موظفون رجال ليس بينهم امراة واحدة . اما غيداء فانها تعود الى غرفتها التي تعمل فيها فتيات أخريات ضاربات على الالة الكاتبة . الرجال يعملون وحدهم . والنساء يعملن وحدهن .

« أصوات من الخارج : ان قاسما شاب عصبي المزاج ـ انه لا يحتمل مزاحا ولا مداعبة ـ في بعض الاوقات يلين حتى يصبح كجدول لطيف يمر في ارض خضراء ، وفي بعض الاحيان يغضب ويصخب كالبحر الهائج ـ انه في حاجة الى زواج ـ الى زوجة تداعبه وتدلله وتزين له الدنيا . مسكين ! في الامس سخط على زميله يوسف حتى لقد مزق ورقة من سجل رسمي كان مفتوحا امامه . حينما يغضب لا يعرف ماذا يصنع » .

(قاسم شاب مثقف رقيق القلب مرهف المشاعر وان كان يبدو غليظ القلب جافا في ساعات غضبه . ان له بين زملائه في الدائرة اصدقاء اوفياء . وامه تحبه وتتفانى في سبيل راحته والاهتمام بشؤونه . وابوه لا يقف عثرة في طريق حريته . ومع ذلك فهو يشعر انه وحيد في هذه الحياة . ان الناس لا يعرفون لماذا يسخط قاسم ويغضب . وهو نفسه لا يعرف سبب ذلك ولا يعترف بأنه وحيد) .

حينما خرج قاسم من الدائرة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم عبد الحميد الانشاصي

سار في اسواق المدينة المزدحمة بالمارة من الرجال والنساء ، فوقعت عيناه على كثيرين من الرجال يسيرون وحدهم ، وعلى بعض النساء يسرن وحدهن . قلما وقعت عيناه على رجل يسير مع امراة . انه ما زال تابعا لعالم الرجال وحده حتى في الاسواق لا في الدائرة فحسب .

(أصوات من الداخل : انني حزين . انا ضال . انا غريب . انني أعرف كثيرين من هؤلاء الرجال الذين



يمرون بي فاحييهم او يحيونني . ولكنني لا اعرف هؤلاء النساء اللواتي يمررن بي . لا اعرف امتزوجات هن ام عذارى ، مع ان المدينة ليست كبيرة الى درجة يعسر علي عندها معرفة هؤلاء النساء . انهن يمررن بي في صمت وهدوء دون ان يحيينني . لماذا ؟ وهن ينتمين الى الشعب الذي انتمي اليه والى المدينة التي اقطن فيها . عجب ! لماذا لا اتعرف الى هؤلاء النساء واحادثهن؟ انا لا اريد ان انشىء علاقات غرامية بيني وبينهن ـ اعد بذلك . كل ما اطمع فيه هو العلاقات الودية ـ علاقات صداقة فقط) .

راى قاسم فتاة مقبلة نحوه في سرعة ونشاط واهتزاز منطلق حر . كانها كانت مقبلة عليه لتصافحه وتحادثه ، فابتسم لها ، ولكنها لم تبتسم اليه ، وان كان وجهها يبعث ابتساما خفيا مصدره جودة صحتها وخلو بالها من المنغصات . غير انها ما لبثت ان زوت ما بين حاجبيها في استياء من ابتسامه الفجائي ، وادارت وجهها عنه في نفور . وادار هو وجهه خزيا من تلك الصدمة . ولما ابتعدت عنه التفت وراءه مسرحا بصره فيها ، فالتقت عيناه عينيها وهي تلتفت وراءها نحوه في استغراب . وبعد ذلك راى قاسم شابين يتحادثان ويتغامزان عليه في ابتسام . فاسرع في مشيته مبتعدا عن تلك الفتاة وذينك الشابين .

وبينما كان قاسم يسير في سرعة ذاهلا هاربا اذ سمع صوتا ينادي :

ـ قاسم !

فتوقف قاسم عن المسير متلفتا حوله ومسرحا بصره في المارة باحثا عن مصدر الصوت . واخيرا وقع نظره على وجه يفيض ابتساما . انه وجه صديقه روحي . ثم اقترب منه روحي وصافحه في حرارة . وبعد ذلك قال ووجهه ما زال محتفظا بفيض ابتسامه :

ـ ما لك تسير مسرعا يا قاسم ؟ انك دائما عجلان .

فتوهم قاسم ان صديقه لاحظ ما جرى بينه وبين تلك الفتاة التي ابتسم اليها ورأى ذينك الشابين اللذين تغامزا عليه ، فاحمر وجهه خجلا ، واجاب بعد لأي :

ـ لا شيء . انني عائد الى منزلي .

(لا تسلط علي تلك النظرات الساخرة النافذة الى اعماقي . دعني وشأني . انصرف يا روحي ولا تزد نفسي عذابا) .

ثم زالت ابتسامة روحي ، وقال بنغمة جدية :

ـ هل انتهى وقت الدوام في الدائرة ؟

ـ نعم .

(اظن انك لا تعرف شيئا مما جرى لي الان مع تلك الفتاة) .

ثم هم بالقاء تحية الوداع على صديقه ، ولكن هذا استوقفه بقوله :

ـ لماذا لا تزورني في منزلي يا قاسم ؟ انك مولع بالوحدة . هل نسيت تلك الايام الحلوة التي قضيناها معا في الكلية ؟

(لقد كنا خير صديقين . ولكنك تبدو الان كرجل غريب عني) .

فهز قاسم راسه في اسى واجاب :

ـ انني منهمك في العمل يا عزيزي . دائما شغل . دائما شغل ، في الدائرة وفي خارج الدائرة . اقوم بالاعمال الرسمية حتى الثانية مساء . ولا اكاد أتناول غدائي حتى اذهب الى حانوت النوفوتيه حيث اجري حسابا مع شريكي ابي احمد . ولا اخرج من الحانوت قبل الثامنة مساء . هنيئا لك ! انك مستريح من مثل هذا التعب .

فمال روحي برأسه الى ناحية ، ثم قال بعد هنيهة :

ـ لماذا ترهق نفسك هذا الارهاق يا صاحبي ؟ الا يكفيك راتبك ؟

(لعلك تفكر في الزواج) .

ـ اريد ان اجمع ثروة لمستقبلي فان راتبي لا يكفيني .

(ان الزواج هو كل شيء في الحياة . انت متزوج ، ومعظم اصدقائي ومعارفي متزوجون ، فلم ابقى عزبا ؟)

فهز روحي راسه هزة الفاهم ، ثم قال بعد قليل :

ـ انك تريد ان تتزوج . أليس كذلك ؟

فهز قاسم راسه في صمت . ثم تابع روحي يده وقال :

ـ دعنا نسير معا على الرصيف قليلا .

وسارا في بطء . وقال روحي لصديقه :



عبد الحميد الانشاصي

●

ـ هل تطالع شيئا من الكتب في هذه الايام ؟

ـ كتب ؟ كلا .

(انا مالي وللمطالعة ؟ كل همي ان اصبح رجلا غنيا لكي اتزوج وابني لي دارا فخمة كغيري من اصدقائي)

ـ الا تتردد الى مكتبة المدينة من حين الى اخر ؟

ـ كلا . انا لا اقرا الا الصحف . اشتري صحيفة كل يوم .

فانبعثت نغمة آسفة من بين شفتي روحي ثم قال :

ـ ولكنك ان ظللت منقطعا عن قراءة الكتب النفيسة تلاشت معلوماتك التي تلقيتها في الكلية ولم تكتسب من المعلومات الضرورية ما ينير لك طريق الحياة .

(وبذلك تغدو شبه امي وبصدا عقلك) .

ـ ولكن وقتي لا يتسع للمطالعة . انه لا يكاد يكفي للقيام باشغالي الرسمية والتجارية كما قلت لك .

(انك متزوج ومستريح الان ، ولذا تجد وقتا للمطالعة) .

ـ يا للخسارة ! لقد شغلك الشوق الى الزواج عن المطالعة . غدا تضحي كاولئك الذين لم يتلقوا في المدرسة سوى دروس معدودة .

فانتفض قاسم في عصبية ، وقال بنغمة جادة :

ـ ماذا تعني ؟ هل تظن انني اغدو في المستقبل اميا ؟ انسك مغرور بنفسك . انت تتوهم انك اديب كبير او عالم جليل . اليس كذلك ؟

(انك تستحق مني صفعة ثقيلة)

ثم خلص يده من ذراع روحي قائلا بتهكم مر :

ـ ارحني من صحبتك ايها العالم الجليل .

ومضى في طريقه يهتز سخطا وثورة ، وصديقه ينظر اليه في ابتسام خفيف وسخر مكتوم بدون ان ينبس بكلمة .

وبعد ان تناول قاسم الغداء في منزله ذهب الى شريكه ابي احمد فوجده منهمكا مع امراة في المساومة في بلوزة وقع عليها اختيارها لتشتريها . ولاحظ ان شريكه كان يجادل المراة في لطف وهدوء ورحابة صدر . وبعد ان اشترت المراة البلوزة وانصرفت التفت قاسم الى شريكه قائلا في حدة مكتومة :

ـ حلمك عجيب يا ابا احمد . انك صبور ولطيف مع النساء .

(لعل سبب ذلك هو كثرة التحدث اليهن . ان نغمة حديثهن ورقة

كلامهن تنسيانك همومك وتبعثان في نفسك متعة ومسرة) .

فحدجه ابو احمد بمؤخر عينه ثم قال :

– وماذا تريدني ان افعل ؟ ان لم اساير النساء والاطفهن انصرفن عني دون ان يشترين مني شيئا .

(لو انك في مكاني تبيع النوفوتيه لما اشترت امراة واحدة شيئا منك)

وبعد قليل ابتسم قاسم الى ابي احمد وقال :

– آ ! لقد نسيت . لقد قلت لي مرة انك خطبت فتاة .

فقال ابو احمد بصوت منخفض :

– اجل .

– هنيئا لك ! لقد القيت عبء العزوبة عن ظهرك واسترحت .

(ان هذا هو سبب ملاطفتك للنساء . ليت لي خطيبة !) .

★

واخيرا جمع قاسم الثروة التي كان يطمح الى جمعها ، واخذ يفكر في اختيار فتاة ليتخذها شريكة له في حياته المقبلة . لقد اثنت اخته على صديقة لها اسمها رجاء . لم تتح له الفرصة لمحادثتها والتعرف بها ، ولكنه تمكن من ان يراها . وقد اعجب بها اعجابا شديدا ، ووافق اخته على التزوج بها ، فطلبت امه يدها .

رجاء فتاة عصرية نالت شهادتها الثانوية بتفوق . وهي واسعة العينين تطل بعينيها على من حولها وما حولها في اعجاب واستطلاع وحياة . تحب الحديث والاجتماع بصديقاتها وزيارة معارفها والاستمتاع ببهجة الحياة . لونها ليس ابيض ولا اسمر . انه مزيج من السمرة والصفرة الفاتنة . فيه نضج وحلاوة مدخرة وشيء من لون الياسمين الاصفر والعسل الاشقر . وحينما تتحدث يشعر من يصغي اليها ان كل هذه المميزات تسيل مع كلامها من ثغرها الصغير في سلاسة وهدوء .

وهي تمزج حديثها الطلي بضحك خفيف موسيقي هادىء لا يتطلب شيئا من الجهد فكانه ينبعث من ثغر خفي غير ثغرها ، وكانها تقع في غرام المعجب بها من الشبان في سهولة .

(رجاء فتاة قوية الشخصية معتزة بمميزات مفاتنها ، وتطمح الى التزوج برجل مرح وموفق في عمله ويعرف كيف يسليها ويبعث السرور والهناء في نفسها . وهي تعرف كيف تحول رقتها الى سلاح فتاك تقاوم به من يعتدي على كرامتها ويجرح شعورها) .

رضيت رجاء بقاسم زوجا لان اخته وهي صديقتها العزيزة قد اثنت على اخيها واكدت لها انها سوف تسعد معه ان تزوجته .

وقد احاطها قاسم بالوان مختلفة من الراحة ، وكان ينتظر تلك الساعة التي يعود فيها من الدائرة الى داره حيث يأخذ زوجته بين ذراعيه وينهال عليها تقبيلا . مضت ايام جميلة كشريط مؤلف من صور احلام الحب والسعادة . ولكن فيلم الاحلام الذي التقطته عين خيالهما قبل الزواج ودام قليلا بعد الزواج قد انتهى الان – بعد ان تحول الشوق الى متعة وتحولت المتعة الى الفة . واخذت الزوجة المحبة للاستطلاع والحياة تتردد الى صديقاتها وتجتمع بهن في منازلهن وتقضي معهن ساعات حلوة مسلية الى ما بعد المساء ثم تعود الى منزلها . وقاسم غيور يريد زوجته لنفسه ، ويريد ان يستغل وقتها دون ان يشاركه فيه احد حتى اعز صديقة عليها . وهو يخشى ان تخونه فقد سمع كثيرا من قصص الخيانة الزوجية قصها عليه زملاء له في الدائرة .

« – اين كنت ؟ – عند صديقتي رحاب . – ماذا كنت تفعلين هناك ؟ – لقد زرتها . مضى علي شهر دون ان ازورها . – لماذا لا تزورك هي بدلا من ان تزوريها ؟ – اوف ! لقد زارتني من قبل ، فرددت عليها الزيارة . ولم هذا التحقيق ؟ هل انا مجرمة حتى تحقق معي هكذا ؟ ماذا جرى لك يا قاسم ؟ – انك تعودين الى المنزل في ساعة متأخرة .

– وان يكن ؟ – اعني انك تعودين في الليل . – وان يكن ؟ – وان يكن؟ كل شيء « وان يكن » . ان من واجبات الزوجة نحو زوجها ان تراعي شعوره . ومن واجبات الزوج نحو زوجته ان يحقق رغباتها ويطلق لها شيئا من الحرية .

– الست سعيدة هنا في المنزل ؟ ولكن لسعادة هنا لا تغني عما اشعر به من متعة حينما اتفقد صديقاتي » .

وقد تبين لرجاء ان زوجها ليس من الخبرة بالحياة بحيث يستطيع ان يحدثها حديثا يدخل على نفسها البهجة والفرح . انه ليس بارعا في الحديث . ان شوقه الى عشرة المراة والتزوج بها حول كل جهده الزوجي الى التقبيل والعناق والضم والى النطق ببعض كلمات يثني بها على زوجته ويمتدح جمالها وفتنتها . هذا كل ما يعرفه في هذا الشأن . وهذا ما جعلها تشعر بالسأم من اطالة المكث في المنزل . تريد شيئا يسليها . تريد ان تستمع الى زوجها وهو يسرد عليها ما جرى له من حوادث يومية وان كانت ضئيلة بسيطة . ان المراة اوتيت موهبة استخلاص المتعة من ابسط الاشياء كما تستخلص النحلة الرحيق من اقل الازهار شأنا ثم تحوله الى عسل . ولكن قاسما رجل جدي لا يتحدث الا عما هو هام ولا يكترث للتوافه من الامور التي لا بد منها لاتخاذها حلقات وصل بين الامور الهامة . وانى لقاسم ان يعلم ذلك وهو كغيره من الرجال المنعزلين لا خبرة له بالنساء ؟

– حدثني . قل شيئا . ان زوج جارتي ساء يسليها بحديثه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عالم الضياء

★

طارديني في غربتي واستبدي ... واثيري عوامل الكون ضدي
وتحدي صبري الجميل فاني ... بت فوق الاحقاد فوق التحدي
فوق نكد الآلام تصدم روحي ... فوق ربد الآلام تنهش كبدي
رب داء كان الدواء لمضنى ... عاش ذبح النوى ، اليفا لسهد
وارى في الفناء صورة مهدي ... وارى في البقاء صورة لحدي
انا في عالم الضياء مسيري ... وانهمار الاضواء ، نهج لخادي
ومفاوي الحطام لم تزدهيني ... فاخذت الحياة زهدا بزهد
هدفي الحب والسماح طباعي ... وحصيدي من الآنام تعد
وارانى مستولدا من عذابي ... املا يفسح الطريق لقصدي
وارى وحدتي طريقا لربي ... وخلاصي من محرجات كؤد
فدعيني في وحدتي انفنى ... بقريض يحكي حلاوة شهد
فانا في الوجود خبزي غنائي ... فيه احيا وفيه شعة مجدي
ووراء الحياة عندي قصور ... من ضياء تجاوزت كل حد

وعذارى القريض يرقصن فيها ... والمواعيد من سناء وورد
فاذا تعصف الهموم بصدري ... والرزايا ما بين جزر ومد
رحت ارتاح في قصور خيالي ... واناجي الرؤى واحلم وحدي

لاباز ـ بوليفيا — جورج الكعدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشائق ؟ .

(اهكذا تجلس بجانبي صامتا لا تقول شيئا كانك صنم ؟) .

ـ ماذا اقول لك ؟ ليس لدي ما اقوله لك . حينما اسمع نكتة او ملحة او خبرا ممتعا احدثك واسليك .

(هل تريدينني ان اكون مهرجا لكي اسليك ؟) .

شعر قاسم ان زوجته اضحت رقيبة عليه . وشعرت هي ان زوجها ليس الا عائلا لا يعرف من الاعمال شيئا سوى قضاء حاجاتها من مطعم وملبس . فدب الشقاق بين الزوجين . وبعد ان كان قاسم ينتظر الساعة التي يعود فيها من الدائرة الى منزله صار يفكر في اللقاء البغيض الذي يتم بينه وبين زوجته بعد ان يعود الى منزله . وصار يختبر من طباع المراة واسرار انوثتها ما لم يخطر في باله . وصارت رجاء تنشز من زوجها في جفاء وتلوذ باهلها مؤثرة منزلهم على منزلها . فجعل قاسم يفكر في تطليق زوجته ليبدا حياة جديدة ويجرب حظه مع امراة اخرى مستعينا بالخبرة التي اكتسبها من زوجته الاولى .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



١ ــ أبــو القاســم الآمــدي

ــ ١٤٤ صفحة ــ قطع كبير ــ دار العربية ببيروت

٢ ــ النقد الادبي حول أبي تمام والبحتري

ــ ١٠٠ صفحة ــ قطع كبير ــ دار العربية ببيروت
تاليف محمد علي أبو حمدة

هذان كتابان يلتقيان عند موضوع واحد تقريبا : الاول منهما رسالة جامعية أعدها للماجستير محمد علي أبو حمدة ، تبحث في أبي القاسم الآمدي وكتابه « الموازنة بين الطائيين » ، والثاني يبحث بايجاز في « النقد الادبي حول أبي تمام والبحتري في القرن الرابع الهجري » ، وهو يكاد يكون ، في اغلبه ، بحثا في آراء الآمدي النقدية ، ولا سيما في كتابه « الموازنة » . وقد طبع الكتابان معا في عام ١٩٦٩ ، بحجم واحد ، واخراج متشابه . ويكاد القارىء يتساءل : لماذا اهتم المؤلف بوضع كتابين يكاد الثاني منهما يكون موجزا للأول ؟

كتاب « أبو القاسم الآمدي » بحث جيد في آراء الآمدي النقدية ، يعتبر الآمدي مجددا وسابقا في أسلوبه النقدي الذي يعتمد على ثقافة واسعة ، واحاطة شاملة بالشعر والشعراء ، وفنون الشعر ، ومذاهبه ، وعلوم العربية . فهو ، في هذا ، صاحب مذهب في النقد الادبي اقتفاه من جاء بعده من النقاد ، من أمثال القاضي الجرجاني ، وأبي هلال العسكري ، وعبد القاهر الجرجاني ، والشريف المرتضى ، وابن رشيق القيرواني ، والمبرد وغيرهم .

والمؤلف يرافق الآمدي في كتابه « الموازنة » خطوة خطوة ، ويناقش أحكامه ، فيتفق معه حينا ويمتدح ذوقه ورأيه ، وحينا يخالفه الى حد اتهامه في ذوقه وآرائه . فعلى الرغم من سعة اطلاع الآمدي ، ومحاولته البعد في الغالب عن اصدار الاحكام القاطعة في المفاضلة ، وابتداعه طريقة جديدة في النقد ، الا انه كان دائما ضمن حدود القديم ، لا يرى خيرا في الخروج على مذاهب الاولين ، ولذلك كان ميله مع البحتري ، ولو انه يستحسن أحيانا بعض ما في شعر أبي تمام من الشعر الجيد . وفي هذا يقول المؤلف : « كان الآمدي يحسن تذوق شعر أبي تمام مما يتضمن عمود الشعر والانماط المألوفة ، وما خرج عن ذلك من شعر أبي تمام ، فبينه وبين ذوق الآمدي حجاب » (ص ٦٢) .

ويضيف المؤلف : « لو سمح الآمدي لنفسه ان يتذوق شعر أبي تمام دونما نظرة مسبقة دفعته الى الغض منه ، لربما استطاع ان يحسن تقدير شعر أبي تمام ، بل لربما اعاد خطته في الموازنة على مقاييس جديدة » (ص ٦٣) . وهو يكرر هذا المعنى مرارا . ومن ذلك قوله : « ولو أن الآمدي أعاد النظر في اغلال العمود الشعري على ضوء من روائع أبي تمام ، لكان للموازنة عنده شان آخر » (ص ٦٩) .

وظاهر من هذه الاحكام النقدية أن المؤلف ــ على عكس الآمدي ــ جاء هواه مع أبي تمام ، فتعصب له على البحتري ، لانه يعتبره معبرا في شعره عن ذوق الحضارة الرقيق ، بينما يعبر البحتري عن شعر البداوة . وفي ذلك يقول : « لم يكن للبحتري ــ كما يبدو ــ الامكانات الكافية لتحرير افق تفكيره ، وبالتالي تطوير احاسيسه ومشاعره حتى يتفهم متطلبات عصره الذي تعقدت فيه الحياة وتطورت الحضارة ، ونمت الفلسفة ، وازدهرت العلوم ، لهذا ظل متمسكا بعمود الشعر والانماط الشعرية المألوفة ، فنال اعجاب المحافظين الذين لا يروق لهم اي تجديد . أما أبو تمام ، على النقيض من البحتري ، فالظاهر انه قد أتيحت له ، بفضل سعة اطلاعه ، وعمق دراسته ، وبعد فراسته ، فرص أوسع لتفهم حاجات عصره ، وتطلعاته للمستقبل ... الخ » (ص ١٣١) . لهذا نرى المؤلف يعتبر أبا تمام من « أهل الرؤى الكاشفة التي تلحقه بمصاف العباقرة المبدعين » (ص ٧٢) ويضيف قائلا : « ان البحتري ، الذي وقف الآمدي عند شعره معجبا مصفقا ، ليتضاءل أمام هذه الومضات العملاقة التي يحلق ابو تمام في اجوائها ، والتي لا يحلم البحتري في الوصول اليها » ثم يقول : « ان الآمدي لم يستطع بمقاييسه الشعرية الضيقة ان يبصر هذه الومضات الكاشفة في شعر أبي تمام ، فطفق يبحث له عن لفظة مستغربة ، او نسج مضطرب ، أو خطأ نحوي او عروضي » (ص ٩٤) . ويقول في مكان آخر : « ان مقاييس الآمدي النقدية قد قصرت عن تفهم استعارات أبي تمام » (ص٩٨).

وهكذا لا يكتفي المؤلف بالتعصب لابي تمام على البحتري ، بل تعصب له ايضا على الآمدي حتى ليتهمه في ذوقه وآرائه ، مع أنه في مواطن اخرى كان يضعه فوق كل من سبقه ، وفوق الكثيرين ممن جاؤوا بعده في صدقه ، وصواب آرائه ، وعمق ثقافته ، وما الى ذلك . والمؤلف بذلك يناقض نفسه كثيرا : ففي الوقت الذي يعترف فيه بأن الآمدي أدى هذه المهمة الشاقة في الموازنة بين الشاعرين في كل ما فيها من شعر على طريقة لم يسبقه اليها العرب من قبل » (ص ٧٥) ، ويقول أيضا : « ان منهج الآمدي في كتاب « الموازنة » لم يقتصر على تحديد خصائص الطائيين وتقييم شعرهما ، بل تجاوزه الى ذلك الفني الادبي ، والحشد الثقافي الزاخر الذي يعتبر صورة صادقة لما وصل اليه النقد الادبي في القرن الرابع عشر » (٥٤) ، ويقول كذلك : « من ذلك نرى أن الآمدي قد سبق الى تفهم الاسس التي تتفق الان وقواعد الروح العلمية في النقد الحديث بشكل يستحق التقدير » (٥٦) ، وايضا : يستوي الآمدي على مرتبة رفيعة من الثقة والاكبار في نفوس النقاد العرب وبلاغييهم ممن جاؤوا بعده » (ص ١٠٩) .

واكثر من ذلك ما قاله في كتابه الثاني « النقد الادبي حول أبي تمام والبحتري » وهو : « ... وبذلك تبدو شخصية الآمدي النقدية ، فهو يجمع بالاضافة الى الذوق الادبي الاصيل ، قدرة على التعليل والايضاح ، يعزز ذلك خبرة بالشعر ، وطول ملابسة له تقترب من الطمأنينة الى أحكامه النقدية ، وخاصة في ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة » ، ويضيف قائلا : « ان كتاب الموازنة يعتبر بحق اعظم ما وصل اليه النقد الادبي عند العرب : أحسن فيه الآمدي استخدام الثقافات في عصره ، وخطا بالنقد خطوات واسعة ، حيث نقله من دائرة الذوق الذاتي الذي تنقصه الدربة وتعوزه الادلة ... الى الذوق القائم على الدربة ... الخ » (ص ٧٩ ــ ٨٠) .

في الوقت الذي يقول فيه المؤلف كل هذا وأمثاله في الآمدي ، نعود فنراه يقول ان « مقاييسه الشعرية ضيقة » وانه بهذه المقاييس الضيقة » لم يستطع ان يبصر الومضات الكاشفة في شعر أبي تمام » (ص ٩٤) ثم يقول في ختام كتابه (أبو القاسم الآمدي) : « ولكن

نظرة الآمدي المحافظة ، ومقاييسه الضيقة قصرت به عن فهم شعر أبي تمام وتذوقه ، مما افقد احكامه النزاهة والاتزان ، وحرمه من التوصل الى نتائج جيدة وأحكام دقيقة ... لكن محافظته دفعته الى أن يصدر أحكاما جائرة بحق الفنان المبدع ، والشاعر العبقري أبي تمام الطائي » (١٣٢) . واذا لم تكن احكام الآمدي نزيهة متزنة ، بل كانت جائرة ، واذا لم يستطع أن يصل الى أحكام دقيقة ونتائج جيدة ، فماذا بالله بقي له ؟ وكيف يمكن اعتباره ناقدا على الاطلاق ، بل أن يكون الآمدي ذا « شخصية نقدية تجمع ، بالاضافة الى الذوق الادبي الاصيل ، قدرة على التعليل والايضاح » ؟ وكيف يمكن ان نراه « على مرتبة رفيعة من الثقة والاكبار في نفوس النقاد العرب وبلاغييهم ، وقد سبق الى تفهم الاسس التي تنفق الان وقواعد الروح العلمية في النقد الحديث بشكل يستحق التقدير » ، كما رأينا من أحكام المؤلف في ما تقدم ؟! انني لا ادري كيف تستوي هذه الاحكام المتناقضة من المؤلف وتستقيم ؟! ...

وشيء آخر لا أراه يستقيم مع مبادىء النقد السليمة : فالمؤلف يحكم على الآمدي بأن يقارن بين نظريته النقدية ونظريات النقاد الغربيين اليوم ، ولا سيما ت.س. ايليوت ـ على الرغم من تأكيده من قبل ان الآمدي « قد سبق الى تفهم الاسس التي تنفق وقواعد الروح العلمية في النقد الحديث » ـ وقد جاءت مقارناته هذه في مواطن متعددة من كتابه (ابو القاسم الآمدي) دون اعتبار لما بين الرجلين من عصور متطاولة : فالآمدي ابن القرن العاشر الميلادي ، وايليوت ابن القرن العشرين . وفي هذه القرون العشرة التي تفصل بين الناقدين تغير الكثير جدا من النظريات والمفاهيم في كل شيء .

والحقيقة انه اذا كان ايليوت صاحب مذهب جديد في النقد الادبي والجمالي في القرن العشرين ، فقد كان الآمدي اسبق منه بعشرة قرون الى ابتداع مذهب جديد في النقد الادبي والجمالي ، ظل مثار اعجاب الدارسين والنقاد الى اليوم . فهل ستعيش مفاهيم ايليوت مثل هذا الامد الطويل ؟ ؟ .

ومثلما وقع المؤلف في أحكام متناقضة في كتابه هذا (ابو القاسم الآمدي) وقع كذلك في تناقضات مشابهة في كتابه الاخر (النقد الادبي حول أبي تمام والبحتري) الذي قلنا انه اشبه بموجز للكتاب الاول ، تكررت فيه الدراسة والاحكام بشكل ملخص . وزاد في كتابه هذا تناقضا اخر في الفصل الاول من الكتاب عند الحديث على (الحياة الاجتماعية في القرن الرابع عشر) ص ١٧ ـ ١٨ ، والحياة الثقافية ـ ص ١٩ ـ فبينما يقول في الاول : « طبيعي في مثل هذه الاوضاع السيئة ان يتحمل اهل العلم والادب الوزر الاكبر من سوء الاحوال المعيشية : فكتب التراجم تعطينا صورة واضحة عن البؤس الذي أصاب الكثيرين من هؤلاء الاعلام » (ص ١٧) ويضرب على ذلك امثلة متعددة ، نقول في الثاني : « يبدو ان الانقسامات الكثيرة والخصومات السياسية كانت نعمة على الازدهار العلمي والادبي في هذا العصر : فقد تنافست الامارات المستقلة في اجتذاب العلماء والادباء ، وبالغت في اكرامهم » (ص ١٩) .

ولست ادري كيف لم يفطن المؤلف الى كل هذه التناقضات ـ وهي ابرز ما في كتابيه ـ ليخفف منها ، على الاقل ، ان لم يكن في وسعه ان يحول دون ظهورها في الكتابين . وليس من شأني ههنا ان اصحح هذه الاحكام ، وانما اردت ان انبه اليها فقط ، لعل المؤلف يتداركها اذا ما قدر للكتابين ان يعاد طبعهما مرة ثانية .

واذا تجاوزنا عن هذه الاحكام المتناقضة ، وتعصب المؤلف الشديد لابي تمام ، الذي تجاوز تعصب الآمدي للبحتري كثيرا ، بحيث اوقع المؤلف في اكثر مما اخذه على الآمدي مما يستحق المؤاخذة ، فان كتاب (ابو القاسم الآمدي) قد درس الآمدي دراسة جادة ، متمشيا مع خطاه في كتاب « الموازنة » خطوة خطوة ، ومبينا احوال عصره ، والنقد



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 Tel
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادبي في زمنه ، واثره في من جاؤوا بعده من النقاد والبلاغيين ، وثقافته الواسعة في الشعر وفنونه ومذاهبه ، وفي علوم العربية كلها ، والمذهب النقدي الذي ابتدعه . وكل هذا يدل على جهد وجلد جديرين بالتقدير .

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

•

بين المطرقة والسندان

مجموعات احاديث ولقاءات مع محمود تيمور ـ ١٨٨صفحة ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة

ترجع صلتي بالصديق الكبير الاستاذ محمود تيمور الى اكثر من ربع قرن ، فقد كتبت اليه ذات يوم وانا طالب على مقاعد الدرس ابدي اعجابي ببعض قصصه وآثاره ، فبعث الي رسالة شكر رقيقة مع طائفة من كتبه الثمينة ، فكانت بداية معرفة وصداقة متينة ، ثم تعاون وثيق في حقل الصحافة الادبية . كان الاستاذ تيمور لي نعم العون وخير سند ، عندما اصدرت مجلة « الصباح » الادبية في العام ١٩٤١ ، اذ كان يمدني على الدوام بآثاره القيمة وتوجيهه . ولم يقف عند هذا الحد من التعاون بل توجه بتقديم مسرحيتين هما « ابو شوشة » و « الموكب » فنشرتهما له في كتاب خاص . وعندما اصدرت مجلة « الدنيا » في العام ١٩٤٥ ظل على صلته الوثيقة بي ، يمدني بين الحين والحين بآثاره وقصصه ومسرحياته دون ان ينسى ان يتحفني بجميع ما اصدر ويصدر من كتب قصصية ومسرحية وروائية وفي غيرها من فنون الادب .

وكان اخر ما اطرفني به عميد القصة العربية كتابه الذي بين ايدينا اليوم ، والذي يجاوز به مجموع كتبه الاربعين على ما اقدر ، ترجم كثير منها الى الفرنسية والانكليزية والاسبانية والروسية والى غيرها من اللغات ، فلقيت ولا تزال تلقى كل ترحيب وتقدير ، اينما حلت ، وحيثما نزلت والى اية لغة نقلت او ترجمت .

ان محمود تيمور واحد من كتاب العربية القلائل ، الذين تعتز باثارهم المكتبة العربية ، وتفخر بهم آداب العرب من المحيط الى الخليج ، فله يرجع الفضل كل الفضل في بناء صرح القصة العربية وتقريبها من الاذواق والاذهان ، وجعلها لونا من الوان الادب العربي في العصر الحاضر بما قدمه الى القارىء من اقاصيص تقف جنبا الى جنب مع اقاصيص « موبسان » الفرنسي و « تورغنيف » ـ الروسي ، وقد تفوق نتاجهما في احيان كثيرة .

معذرة من القارىء فقد اردت ان اتحدث عن احد كتب صديقي تيمور ، فاذا بي اقتنعها مناسبة للحديث عن اشياء كثيرة ، لا علاقة لها بالكتاب ، ولكنها ذات صلة مباشرة بالكاتب .. الكاتب الذي لا يكاد القارىء العربي يرتوي من نتاجه لشدة أسره ، وحلاوة اسلوبه ، ورقة معانيه ، وتحليقه دائما في الآفاق . لقد اصدر تيمور عشرات الكتب في القصة القصيرة والرواية والمسرحية والرحلات والمقالة . حتى شؤون اللغة عالجها ، وكان له في اختيار وتعريب بعض الالفاظ مواقف مشهودة ، وكلمات مختارة شهد بحسن ترجمتها المجمع اللغوي في القاهرة وبعض مجامع اللغة في العواصم العربية الاخرى .

واديب كالاستاذ تيمور تتسابق الصحف والمجلات والاذاعات عادة الى التحدث اليه في شؤون شتى من الادب والفن والحياة العامة . وكانت حصيلة هذه اللقاءات مجموعة اسئلة واجوبة طريفة وقيمة ، بل هي بالغة حدا بعيدا من الظرافة والجودة ... ومن اجل ذلك آثر ادبنا الكبير ان يجمع هذه الاحاديث واللقاءات ، وفيها آراؤه وثمرات فكره ومعلومات على جانب كبير من الاهمية عن حياته ، وطفولته ، وكتبه الاولى ، وتجاربه في كتابة القصة ، ونصائحه الى الناشئين . وهذه الاحاديث نشر بعضها في صحف يومية وبعضها اذيع من الاذاعات ... وبعضها اذيع من (الاذاعة المرئية) كما اراد الاستاذ تيمور ان يسمي التلفزيون .

لقد احسن الاستاذ محمود تيمور في جمع هذه اللقاءات والاحاديث في كتاب ، لانها كما قلنا مجموع آرائه في طائفة كبيرة من قضايا الفكر والادب والفن والحياة خلال ربع قرن . وبقاؤها موزعة في ثنايا الصحف والمجلات حرمان للقارىء العربي من بعض آراء كاتبنا الكبير ، الذي نستزيد على الدوام من آثاره التي يكتبها او نكتب عنه ، فما بالك بآرائه وافكاره ونصحه وتوجيهه ، وهي من صميم حياته وفيض خاطره .

ان كتاب « بين المطرقة والسندان » اثر جديد لتيمور طريف في بابه ، جديد في لونه ، حلو في مادته ، وطريقة عرضه . فالى الصديق الكبير الذي فاق معظم ادباء العرب بوفرة نتاجه ، والذي حلق في قمة ادبنا العربي المعاصر ، تحية شكر واعجاب ، ودعاء الى الله العلي القدير ، ان يمتعه بالعمر المديد والصحة الوافرة ، ليزيد في ثروتنا العربية ، من نتاج قلمه العبقري ، وفيض خاطره الذي لا ينضب.

دمشق — عبد الغني العطري

•

محمود أحمد السيد رائد القصة الحديثة في العراق

تأليف الدكتور علي جواد الطاهر ـ ٢٠٠ صفحة ـ نشر دار الاداب

لله اناس يشرقون في الدنيا ثم يغربون عنها وشيكا ، لكنهم يتركون آثارا تشع نورا بعدهم فتبقى ذكراهم عالقة بالنفوس والافكار مقرونة بالتخليد والتكريم ، من هؤلاء الذين لمعوا في ادبنا الحديث وطلعوا بالحركات التحررية على ضفاف الرافدين رائد في القصة العراقية الحديثة هو الاديب محمود أحمد السيد الذي كانت من بواكير قلمه مقالات فكرية واجتماعية وقصص متطورة نشرت في صحف بغداد والقاهرة ، وفي مجلة « الحديث » الحلبية التي كانت في عصر هذا الرائد في القصة ، سباقة الى التجديد في التفكير والتعبير .

ولعل مجموعته الاخيرة « في ساع من الزمن » المنشورة عام ١٩٣٧ كانت افضل آثاره فنا وهدفا ، وان تضمنت مؤلفاته السابقة ادبا نقديا تجلى فيه الصدق والثورة على الحيف والانحراف في زمن ومجتمع شاع فيهما الرياء والولاء لذوي النفوذ الا ما كان من صرخات الاحرار الذين كان في طليعتهم الشعراء : الرصافي والزهاوي والشبيبي والجواهري وغيرهم من قادة الفكر والبيان في العراق .

ومن المحمود في تاريخ ادبنا المعاصر ان لا نضيع فيه نورات المصلحين والمفكرين ، مهما جار النسيان والاهمال او شغلت الناس قضايا التطور والوطنية ، وحوادث الساعات والبقعات ، فمما يحمد لاهل الوفاء من كتاب العراق أن لا نشغلهم عن ادباء التحرر الوطني في بلادهم والعالم العربي أطوار الحياة الثقافية والسياسية ، فكان من نصيب القصصي الرائد محمود احمد السيد ـ برحمه الله ـ ظهور مقالات وكتب في بغداد وبيروت تحدثت عنه وجددت ذكراه ، وكان من أصدقها قولا وبحثا وأسبقها الى النشر كتاب المحامي الاديب الاستاذ

محمود العبطة الذي قدمه في بغداد سنة ١٩٦١ وأهداه الى بعض النقاد والمؤلفين عام ١٩٦٥ في مؤتمر الادباء وكنت بينهم من المدعوين ، فشافني هذا الكتاب المتواضع وأعجبت بما احتوى ثم اطلعت على صفحات وسطور تناولت ادب القصصي الفقيد العراقي في كتب ودراسات عنيت بذكره واثاره ، فما فات باحث او دارس لفن القصة العربية الحديثة أن يذكر رائدا مجددا فيها هو محمود السيد الذي ترك مبكرا مؤلفات قيمة ، حتى وقع في يدي منذ ايام آخر كتاب ظهر في هذا الموضوع ، الفه الاستاذ الكبير الدكتور علي جواد الطاهر وعنوانه « رائد القصة الحديثة في العراق » فحسبته دراسة جديدة للفن القصصي عند الاديب الفقيد الذي عرفه القراء والاصدقاء كاتبا للقصة في بلاده ، ناقدا للمجتمع في عاداته البالية ورواسبه العديدة ، واذا بالكتاب كما قال العميد الاديب في بغداد الدكتور جميل سعيد : مؤلف لم يدرس رائد القصة في فنه او من ناحية محددة وانما درسه من كل وجه » فضاعت بهذا الاداء المعالم المخططة في كل دراسة منهجية يتوخاها التأليف الجامعي والفكر الحديث .

ولم يكن هذا الاتجاه في جمع « المعلومات » المكرورة أول بادرة في الدراسات الجديدة ، فقد وقف القراء والنقاد على عدة موضوعات العامية لمؤلفين جامعيين وباحثين محققين كان همهم في التأليف والدراسة العودة الى الصحف والدواوين لجمع « المعلومات » على اختلاف مصادرها واتجاهها وتكرار اخبارها فظهرت في كتب ضخمة وطباعة انيقة لم يعبأ مؤلفوها بتحري واستخلاص الجدير بالذكر والقاء الضوء على امور كانت خافية او مدسوسة ، فماذا يهم القارىء او الكاتب من نشر تقارير طبية وحكومية تتعلق بموظف اديب لا تقدم او تؤخر في موضوع البحث والدراسة في ناحية من نواحي تفكيره واثاره الا اذا كان في مضمونها ما يؤيد رايا او يدفع باطلا ، وكان عجبي لمقدمة المؤلف الاستاذ الطاهر الذي ذكر في صفحاتها الست انه بذل جهدا ووقتا طويلين في جمع « المعلومات » الكثيرة لكتابه ، ولم يكن فيها اي جديد الا التقارير الطبية والحكومية التي تتعلق بوظيفة رائد القصة ونقله من ديوان الى ديوان، وكان المرجو والمنتظر من استاذ كبير كالدكتور الطاهر أن يتناول في كتابه هذا الرائد المجدد في فنه كما ذكر عنوان الكتاب لا من جميع نواحيه حتى المرضية والخاصة ، فجاء تأليفه تكرارا وجمعا وكان كتاب سابقه الى هذا الموضوع الاديب العبطة شائقا طريفا حصر في مؤلفه لباب البحث والدراسة عن اديب القصة دون اعلان او ضجيج ، وقد ذكره الباحث الاستاذ الطاهر ذكرا يرفع العتاب ولا يحفظ اللباب وذلك في سرد الفهارس والاعلام والمراجع العديدة في الصحف والمجلات وقد يكون ازدحامها للاحصاء والارضاء .

وآسف المؤلف الكبير كما آسف أهل الاديب العراقي وأصدقاءه في حينه أن يمضي الرائد ويغيب في صمت وبعاد دون تنويه بفضله واثاره الا من سطور في بعض الصحف ، لكنه استثنى مقالا للمرحوم الاديب المصري محمد أمين حسونة نشره في مجلة « الصباح » معددا مآثر الفقيد القصصي ، فعجبت للمؤلف الذي طال بحثه وجهده كيف فاته الاطلاع على مقالي « ذكرى قاص عراقي » في مجلة « الرسالة » المصرية التي أشارت الى وفاته ووفاته ، وكان مقالي رثاء وتقديرا لادب الفقيد الذي كان يهدي مؤلفاته لاصدقائه في مصر والعالم العربي ، وكنت ناشئة في الادب اتمرس بالنقد والقصة لامضي في طريقهما فارسل الي كتبه ومجموعتين من قصصه طالبا ان أتناول بالدراسة مؤلفه الاخير « في ساع من الزمن » وذلك على صفحات « الحديث » التي شجعت أمثالي وحفزتنا للثقافة والاتقان ، فلما قمت بنقد الكتاب معززا بالحجة والبرهان منوها بسبق القصصي وموهبته الخصبة ومحتوى كتابه وأدبه غضب وثار وشق عليه ما جاء في نقدي وتجردي للحق فداور في رده العنيف زاعما بان الخطأ من اهمال المطبعة .

ولما توسد هذا القصصي الموهوب ثرى مصر التي بادلته وفاء بوفاء ، حزنت عليه ، وكان مقالي في « الرسالة » يفيض بالاسى والتعبير عن مواهب الفقيد وما كان يرجى من أدبه وتفكيره ، لكن المؤلف البحاثة الدكتور الطاهر لم ير المقال في المجلة التي نقل عنها نبأ الوفاة بمنظاره الكبير وقد رأى فيه جهده الذي لم يسبق اليه .

وبعد فان من الكتب ما يكون هامدا او فاترا في سطوره ومحتواه لانه من النسخ المتشابهة على حد قول المرحوم عمر فاخوري ، فلا تحس وانت تقرأ الكتاب المكرور او المنسوخ بحركة او روح دافقة كهذا المؤلف عن « رائد القصة العراقية » اذ خلا من الانطباعات الذاتية والتحليل الدقيق كان « الموضوعية » تبرأ من الذاتية وتفرض الجمود والحدود بين السطور والصفحات ، وأي كتاب خلا من الانطباعات والنقد والرأي فهو عليل كليل ، وان كتاب المحامي العبطة في رائد القصة يمزج بالحياة والثورة فقد جاء صدى صادقا لثورة القصصي العراقي الذي لم يكن نابغة عصره ومصره ، وانما كان انسانا صادقا في فنه وأدبه ، سكب موهبته وحياته على قلمه وكفاحه قصور المجتمع والوطن بآلامه وهمومه ، ومن يدري فربما كان أدبه الحر من بواعث الحركات القومية والتحررية على ضفاف دجلة ، وان نبأ يتدفق وينساب فيأتيه العطاش للارتواء شبيه بآثار الطليعة الفكرية والوطنية في أدبنا الحديث .

دمشق — وداد سكاكيني

•

المدرسة الظاهرية

بقلم السيدة أسماء الحمصي ـ ١١١ صفحة ـ مطبعة الترقي بدمشق ـ منشورات المجمع اللغوي بدمشق

يودي انه لو كان معي هذا الدليل المرشد ، ودخلت دمشق متجها الى دار الكتب الوطنية أو المدرسة الظاهرية ، ويودي كذلك ، انه لو كانت

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ احمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة

الادبية الكبيرة أسماء الحمصي ، قد امتد عمرها بعد ، فاتاحت فرصة الاطلاع على دليلها منذ ربع قرن ، حيث كان يرى الناس المكتبة في عهدها التنظيمي الجديد الذي قامت عليه الادبية ، مرتكنة الى عملها ، أو مستعينة بجهود الفضلاء من العلماء .

والذين يطالعون هذه الصفحات التي تعبت في ترتيبها وتبويبها وصياغتها « اسماء » لا يهولهم هذا الجهد بقدر ما يهولهم الحساب والعد والاحصاء واسناد التواريخ ، وتدوين المراجع ، حتى لا يشك في قول ، أو نقد تهمة النقل دون تمحيص الى ادبية ، ترید المحافظة ، على أسمها ، وتبقي المضي في طريق سليم نظيف .

نستعرض « أسماء » في بحثها الوثبة الثقافية التي تمثلت في « المدارس ودور الكتب العربية وخزائنها في الشرق والغرب » وتمس كل قرن هجري مر على الامة الاسلامية ، حتى ولت دولة العلم في العراق وبغداد على يد التتار ، وتكشف عن مدى الخطر الذي اصاب العالم الاسلامي من جراء الصليبية والوثنية ، وتناقش الدور الخطير الذي قام به جماعة من العلماء في الشام ومصر في دفع السلاطين والكبراء الى المؤازرة في انشاء دور التعليم التي تمثل الحركة العلمية كلها بما تضمه من مدرسين وطلاب ، وما تذهب به تعاليمها الى بث روح المنافسة فيما يكون من مدارس ومساجد وربط وخوافق وزوايا ، يقام فيها الدين ، او يقعد أهلها لتدريس الفقه على مذاهب الاربعة الكبار .

ولا شك في انه كانت لدمشق مراكز تعليمية كثيرة شانها شان غيرها من حواضر العالم الاسلامي التي كانت تمج بالربط التعليمية ، ودور الكتب التي بقي اثرها الى الان في كثير من حواضر العالم الاسلامي ، يتمثل اول ما يتمثل في هذه الدار التي خصتها الادبية الكبيرة بهذا الكتاب .

ولقد كان للمناقشات التي وقفت لها « اسماء » حول تحقيق اسم « الملك الظاهر » التي سميت المدرسة باسمه ، والتاريخ له ، من جملة الابواب التي اخذت حيزا في المناقشة التي كان اهم ما فيها : التفريق بين كلمة « ظاهر » لقب السلاطين المماليك الثمانية الذين عزى اليهم انذاك تقدم العلوم والفنون .

غير انه والحق يقال ، ان امينة المكتبة ، لم تنس دراسة مكتبتها على كل وجه من وجوهها . فاشارت الى بانيها ، وناقشت ابن كثير فيما ادعاه ، وأرخت ليوم عمارتها وافتتاحها ، وموقعها وشكل بنائها ، وأوقافها ، والتدريس فيها والمدرسين الذين تناوبوا عليها ...

وبعد ان انهت « أسماء » هذا العرض التاريخي ، ونهاية هذه المدرسة ، وما احاط بها عبر ذلك الزمن ، بدات تدخل مرحلة جديدة بنظرة اكثر جدة لهذا البناء التاريخي العظيم .

فما كاد القرن الثالث عشر الهجري ، ينطوي على علمائه الذين قصدوا للتدريس في هذه المدرسة ، حتى اخذت جملة مشاهد ، كان اقساها اولئك الصغار الذين كانوا يترددون على ابهائها : « حالين محل المربدين » بعد أن تضاءل شانها ، وصغر مقامها ، وذهب مركزها الذي تمتعت به اكثر من ستة قرون ، تتيه به على مراكز العالم الثقافية ، وتفخر على ما حولها من البلاد .

ولكن هل كتب لهذه المدرسة ان تظل على نهايتها التي اريدت لها .. ؟

تقول المؤلفة : ان نخبة العلماء الاجلاء الذين توافروا على اعادة مجد هذه الدار قد شكلوا ظاهرة النهوض ، متمثلة في جميع الكتب المخطوطة التي كانت متفرقة في دمشق ، او قابعة في المكتبة العمرية ، أو مكتبة سيد الله العظم ، أو مكتبة الخياطين ، او الملا عثمان ، او المكتبة السليمانية ، والمرادية ، والسميساطية او مكتبة بيت الخطابة ، والاوقاف ، والمكتبة السيافوشية ، وغير هذا من جملة المكتبات التي كانت نواة حية لانشاء مكتبة المجمع السوري الخالد .

وتحدثنا الادبية « أسماء » في كتابها التاريخي عن سياسة المجمع في هذه الدار بنفائس الكتب ، والعمل على النهوض بها ، واعادة مجدها بعد ان وضع في حسبانه أن بمسح ذلك الغبار الذي ران عليها حقبة طويلة من الزمن ، جملتها تثن لفرط ما اصابها من نكسة كادت تؤدي بها خلال فترة من العاديات ...

ولقد أحصت المؤلفة كل ما كان يتعلق بأمر هذه الدار ، ترتيبا وتنظيما وفهرسة وترقيما ونظاما حتى انها لم تدع ثغرة ينفذ اليها اي ناقد ، أو متردد على هذه الدار العظيمة ، فاثبتت القرارات الوزارية ، والنظام الداخلي لها وعدد الموظفين وتبعية الدار والقائمين عليها ، ومستودعاتها ، ونظام المطالعة والاعارة فيها ، عدا ما يدور بخلد الباحثين والمغرمين بالمطالعة ، والمكلفين أنفسهم حب المقابلة ، وجهد المراجعة .

وفي اعتقادي أن هذه الوثيقة التي اقدمت على تاريخها هذه الادبية ، لما تكتب لها يوم أن تعد الحسنات في باب التاريخ الادبي ، وتحصي أعمال الباحثين في نواحي العقل والنضج والاكتمال .

على أني لا استطيع ، وأنا اكتب هذه العجالة ، عن هذه الوثيقة الكبيرة أن أمضي دون أن اثبت قول المؤلفة الفاضلة نفسها وهي تختتم كتابها بهذا التواضع الذي احالته من نفسي محل الاعجاب فاحببت ان يكون شيمة الكتاب والباحث في كل ارجاء الوطن العربي الكبير :

« هذا جهد المقل ، قدمته لأمهد السبيل الى من يريد بحث تاريخ هذه الدار .. » اذ : لا تزال ... يشبوعا تر العطاء ، يقنع بالقليل ، ويقدم الكثير شان اهل الدار » .

القاهرة — أبو طالب زيان

•

ادب الاحاديث القدسية

تاليف الدكتور احمد الشرباصي ـ ٢٥٠ صفحة ـ مطابع الشعب بالقاهرة

هذا كتاب جديد للدكتور احمد الشرباصي حاول فيه عرض مجموعة من الاحاديث القدسية مشروحة باسلوب ادبي يجلو معناها ويعرب مغزاها ، ويوثق صلتها بكتاب الله عز وجل وبحديث رسول الله وهذا عمل جديد من أعمال الكاتب الجهير الذي يتسم فكره بالجمع بين الادب والدين وكل منهما قطاع من قطاعات الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، لا تنفصل .

وهو الذي جلا شخصيات شكيب ارسلان ورشيد رضا وعصرهما يعود مرة اخرى الى الابحاث الاسلامية فيقدم عددا من المؤلفات في مجال ادب الحديث النبوي وأدب التفسير للقرآن وادب الاحاديث القدسية ، وهي جميعها تشمل تلك الابحاث والاحاديث والمحاضرات التي قام الكاتب باذاعتها خلال السنوات العشر الاخيرة في مختلف الاندية والجماعات الادبية والاسلامية المختلفة .

وهو يفصل اهمية الاحاديث القدسية بانها الاحاديث التي رواها رسول الله واسندها الى الله عز وجل . والحديث القدسي هو ما اخبر الله تعالى به رسوله بطريق الوحي او بطريق الالهام او بطريق الرؤيا ، فاخبر رسول الله عن هذا المعنى بعبارة وفقه الله سبحانه اليها .

ويقول المؤلف الباحث ان الاحاديث القدسية ثروة جليلة عظيمة فيها تاديب وتهذيب وتوجيه وتعليم ، وعنده أن العلماء قد فرقوا بين القرآن الكريم والحديث القدسي بمجموعة فروق منها ان القرآن يتجلى فيه الاعجاز وتحدي البشر ، بخلاف الحديث القدسي ، وان القرآن هو كلام الله

المتعبد به الذي يتلى في الصلاة بخلاف الحديث القدسي ، لانه مروي عن طريق الاحاد ، وان القرآن الكريم لا يجوز روايته ولا تلاوته بالمعنى ، بخلاف الحديث القدسي فانه تجوز روايته بالمعنى عند الحاجة الى ذلك بشرط ان يكون الراوي عالما بمعاني الالفاظ والتراكيب علما يمكنه من اداء المراد .

وقد حرص الباحث على تفسير المقررات تفسيرا لغويا واصطلاحيا كافيا ثم صور المعنى العام ثم اكد معنى الحديث بآيات القرآن وما يشترك معه من الاحاديث النبوية وبالجملة فقد قدم عملا هاما نافعا في مجال الدراسات الاسلامية والادبية .

القاهرة **انور الجندي**

•

أعلام من الاسكندرية

تأليف نقولا يوسف ـ ٥١٢ صفحة من الحجم الكبير ـ نشر منشأة المعارف بالاسكندرية ـ به ١٥٠ من تراجم أعلام هذه المدينة منذ تاسيسها الى اليوم .

عندما كانت الاسكندرية في صورتها الكاملة ، عاصمة للقطر ثانية ، ونفرا يتبلج بالحضارة البيضاء المتوسطة ، ويفتح لها جميع الابواب والنوافذ ، كان امتلاؤها بالحيوية والشباب يشغلها عن جلال الماضي بغبطة الحاضر ، ويلهيها عن امسها بيومها ، تعيشه نشاطا حكوميا في الصيف ، ومجتمعا مؤنشبا زاخرا بالعمل والاداء في الشتاء وفي غير الشتاء .

فلا وقت عندها لتاريخ النفس ، والنفس مقعمة ، والوطاب ممتلىء .. وهكذا الشباب ...

وقد عاشت الاسكندرية الحديثة شبابا جاوز المائة وهو يفوق المألوف في اعمار الافراد ، ولكنه يعد جد قصير في أعمار المدائن حيث يدوم الشباب لبعضها مئين من السنين بعد مئين ...

وقد اتفقت الاسكندرية جل شبابها ، وهي تتحدث عن كل شيء ، وتطيل الحديث عن كل امر ، الا حديثها عن نفسها ـ كان سرواتها يتحدثون عن رحلات الشتاء والصيف الى عواصم الغرب ومغانيه ، وربما نشروا حديثهم عن ذلك في رسائل او كتب لها حظها من التاصيل التاريخي والنوافح الادبية . وكان عامتها يعيشون في ذلك الخليط المؤنشب من دنيا البحور والبرور المتجمعة في بلدهم ، بابلية الصبغة ، من ذلك الجذر التاريخي الذي كان يجعل من الاسكندرية منافسا لبابل على مركز القاعدة العالمية للعهد الهيليستي وحلم الحضارة الواحدة الذي فسق به الاسكندر عن امر أستاذه ارسطو ، وخرج به عن العصبية المطلقة للحضارة الاغريقية .

فلما انجابت عن الاسكندرية غواشي ذلك الشباب العجيب ، وصحا فؤادها على الحقائق الجديدة ، وهالها تدهور النمو المتوازن لدائرة الحضارة البيضاء المتوسطة ، وذلك الزلزال الذي احدثه هبوط جرم غريب على ساحل الليفانت تشير اليه نجمة اسرائيل الملتهبة بالعنصرية ...

اذا النفر من ذاته حيال ذات جديدة تودع الى حين مثالياتها العالية ، وتدرع بالقومية العربية الاصيلة في مقارعة القوميات المجلوبة ، واذا الاسكندرية غير ما كانت ، عندما كانت مراد الكل ، ومكان الجميع ...

راحت السكرة وجاءت الفكرة ، فاخذت عروس البحر الابيض تتحدث الى نفسها ، وتتذكر ماضيها ، فظهر في مدى عشرة اعوام من المؤلفات عن الاسكندرية ما لم يظهر مثله خلال مائة عام .. وضعت عنها المحافظة مدونة تاريخية اشترك في تاليفها مجموعة من اساتذة الجامعة ، وألف عميد لكلية الاداب بجامعتها كتابا عن اعلامها في العهد الاسلامي ، ووضع بعض الادباء السكندريين عن بعض هؤلاء الاعلام كتبا تتفاوت في أحجامها وموادها ما بين الامتلاء والتحافة ، والعمق والضحالة . وظهرت دراسات عن شعرائها القدامى والمحدثين ، وعن فنانيها المبرزين ، وفصول في تاريخ الحملات والمغازي التي تعرضت لها على مر القرون . وموسوعة عن اسماء شوارعها ، وترجمات لاصحاب هذه الاسماء ، ونصب لعظمائها في حديقة الخالدين .

وكان آخر ما ظهر من هذه الكوكبة من كتب التاريخ السكندري كتاب « اعلام من الاسكندرية » للاستاذ الجليل نقولا يوسف ـ وهو يمتاز عن غيره من الكتب بانه يؤرخ لهؤلاء الاعلام في العصور القديمة والوسيطة والحديثة بطريقة موسوعية اثرت عنه في مجتمع فصوله ومقالاته التي نشرت في كثير من الصحف والمجلات المصرية وغير المصرية .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد تاخر صدوره عما اسلفنا من كتب فانه ربما كان متقدما عن اكثرها في تاريخ التاليف والتوصيف ، لان واضعه صاحب سبق في هذا المضمار ، يشير اليه أنه انشأ في أوائل الخمسينات موسوعته الكبرى عن « تاريخ دمياط منذ اقدم العصور » بعد أن كان قد سجل فصولها مسلسلة باحدى صحائفها المحلية ...

وانما جاء التاخير ـ وكثيرا ما يجيء ـ لطيبة المشجعين ، وخبث المعوقين ، وصعوبات النشر ، وأكبر الظن أن ما نشر من موسوعة الاعلام هذه انما كان قوامها المختصر ، وبنيتها الاساسية . وان كثيرا من فصولها وشخصياتها قد ضغطته ضرورات الطبع والاخراج في زمن اذاب الفروق بين قيمة الورق وقيمة الورق فلم يعد يصدق فيه قول الشاعر القديم : ـ

اعطيني ورقا لم اعطني ورقا قل لي بلا ورق ما ينفع الورق !

وايا ما كان الحال ، فان ظهور هذا الكتاب بعد لأي وتناي ،

رحلة الى الاندلس

تأليف

ناجي جواد

كتاب يضم مشاهدات وانطباعات الكاتب والباحث العراقي المعروف الاستاذ ناجي جواد بعد زيارته لبلاد الاندلس وتجواله في المدن العربية ذات التاريخ الحافل بامجاد العرب وآثارهم الحضارية العريقة .

منشورات دار الاندلس في بيروت

وتأخير وتصمير ، يعد مفخما أدبيا كبيرا في ميدان التعريف بالاسكندرية عن طريق الترجمة لرجالاتها وأعلامها من حيث استيعابه لقديمهم وجديدهم ، ومن حيث الاضافات الكثيرة والمثيرة التي جاءت بها سعة الاطلاع . وأن المؤلف يجمع الى هذه السعة خصيصة تميز بها في كل ما يكتب ، وهي التعاطف مع الناس والاشياء ، والافضاء من هذا التعاطف الى الفهم وحسن الاداء .

* *

وهنا ـ وعند هذه النقطة بالذات ـ نلتقي بحقيقة الاستاذ نقولا يوسف . فالرجل ربما كتب في التاريخ والاجتماع ، وبحث في الثقافات الاوروبية والافراسية (١) ، وألم بصور من قضايا النقد . ولكنه قبل ذلك كله وبعد ذلك كله ، هو نقولا يوسف القصاص .

فها هنا ميدان موهبته الخلاقة ، وقدرته الذواقة ، وها هنا عوالمه المتميزة وشخوصه المتحركة بمظاهرها وسرائرها ، ومصادرها ومصايرها. وها هنا لقطاته الدقيقة لنماذج من البشر بموجون في شرق من الارض وغرب ، وفي مدن من القطر وريف ، تحسن خصالهم او تسوء ، وتعلو طباعهم او تسف . ولكنهم باؤون جميعا من طبيعته السمحة ، وجبلته الودودة ، الى ركن لا يعوزه دفء ولا حنان ...

« دراما سريعة رحيمة » ، تلك محصلته العامة ومنها على التحقيق اعماله في التراجم . لانه في مواكبه مع التاريخ مثل «مواكبه مع الناس»، رجل احساس وايناس والتناس . اذا غابت عنه المشاهد المعاصرة عاش مع المشاهد الدائرة .

ومع أن الاستاذ نقولا يوسف يعد في السكندريين اقامة ، ويعتبر علما من أعلام الادب والفن السكندري المعاصر فاني لا أراه في نفسي من نتاج هذا البلد رغم أنه تلقى دراساته الاساسية بمدارسه ، وكان من تلاميذ عبد الرحمن شكري في مدرسة رأس التين الثانوية .

ذلك بأني أتمثل للشخصية السكندرية سمات ليست هي سماته، وصفات ما تكون صفاته . فالاسكندرية هي وكل الحوف الغربي « مما يسمونه» الان غرب الدلتا» قد أخذت من فرع النيل عنفوانه وديناميكيته وطرحه على الضفتين صفات الجهارة والشطارة . انه أكبر فرعي النيل واكثرهما امواجا وقد طوى في مجراه الحالي الفرع الكانوبي القديم الذي كان يصب عند راقودة جذرة الاسكندرية القروي . وربما كانت أحماله من متشععات الغرين والدوبال الثارية في هضاب اثيوبيا وافريقيا الشرقية أكثر وفرة ومسئولية عن هذا الزخم ، فجل ما كان للاسكندرية في قديمها والحديث من حضارة وشخصيات بارزة يظهر عليه هذا المزاج : مدينة تجارة وفخارة ومنارة ، الاصوات فيها عالية ، والفنون مباشرة ، والطبائع مكشوفة ،واكثر المنسوبين اليها من رجالات الادب والفنون محمولون اليها على متون الهجرة من غرب ومن شرق ، ومن داخل ومن خارج ، حتى اشهر شعرائها المحدثين من أمثال شكري والنشار وشيبوب قدموا اليها من بور سعيد ودمياط واللاذقية .

وكذلك صاحبنا مؤلف « أعلام من الاسكندرية » ، فانه من أصدق النماذج لابناء النيل الشرقي الهادىء الوديع حيث تقوم مدائن المنصورة ودمياط وبلدان البحر الصغير . ويكثر ذلك النمط الجميل من أبناء مصر الدنيا صورا ونفوسا وعقولا ، وحيث نجد من بينهم في جيلنا المخضرم كوكبة فريدة من العاملين في الحقل الادبي والغني والفكري امثال لطفي السيد والعقاد « باصله الشمالي » وهيكل والزيات وعلي طه والاسمر والطناحي والعزبي والفاياتي وبنت الشاطىء وأم كلثوم .

فهذا هو محتد نقولا يوسف ، وهذه هي أوروبته ، دمياطي من اظافر قدميه الى شعر رأسه . وان له لشعرا يحسده عليه انداده في السن وفيهم من يقول :

وليت أن الشعر بالشعر يشترى الان لبدلت الشعر شعرا هو الشعر!

ينتمي الى مدينة الحرير وحاضرة الدمقس والايدي الصناع والآلات الدقيق ، و « الجبنة البيضاء » واللطائف الكثيرة ، وخوافي الفنون والاذواق !! ..

من روح النيل الشرقي نشأت خصاله الانسانية ، وتخلقت حركته الدرامية في مجاميعه القصصية ، وانسرحت على أكثر ما يكتب من تراجم ودراسات .

* *

وبعد ، فان كتاب « أعلام من الاسكندرية » على ميزانه في القسم اليوناني الروماني القديم والقسم العربي الوسيط ، يقدم دراسات جديدة عن شخصيات الاسكندرية في عصرها الحديث ، ويتيح الفرصة للاطلاع على جوانب كثيرة مجهولة من حيواتهم وجهودهم في ميادين التقدم الحضاري والثقافي بمضامينه الواسعة المتنوعة ...

وبذا يصل حاضر المدينة بماضيها ، ويقدم معرفة لطلاب المعرفة ووفاء لمحبي الوفاء ، وما أجمل الغايتين في دنيا الفكر وفي دنيا الشعور ...

الاسكندرية عبد الحكيم الجهني

(١) الافريقية الاسيوية ، خلافا للاستخدام الشائع عن ذلك وهو كلمة « أفروآسيوية » .

•

المعلقات العشر

تحقيق وتقديم وشرح فوزي عطوي ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ـ مطبعة الاديب الجديدة ببيروت

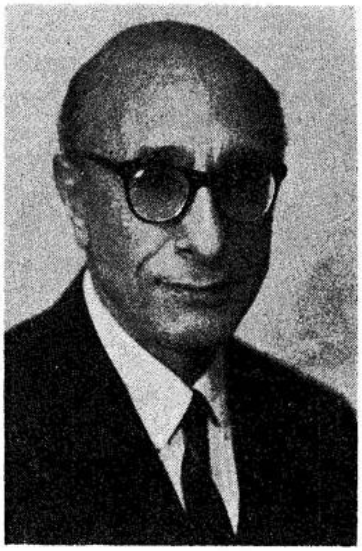
كنت أحس انقباضا في نفسي ، حين اطالع ديوانا شعريا تصدى لشرحه أديب أو متأدب او طالب شهرة يتعذر عليه احرازها بما يبتكر ، فينالها على حساب غيره .

ولطالما شعرت بمثل صدمة في صدري وأذني ، حين كان الشارح ينبري لتفسير بيت مختل الوزن ، جهلا منه بالعروض ، وبالمناخ الشعري ، مما يذكر بالذين ترجموا مزامير داود ، اول مرة ، وهم لا يبصرون انه الشعر العبراني ، وكذلك القول في الذين انتدبهم الخليفة المأمون لنقل فلسفة الاغريق الى لسان العرب ، فلقد ضلوا كثيرا في نادية المعاني ، على الرغم من معرفتهم بلغة الاغريق ، لانهم كانوا جاهلين بالفلسفة ، وبطرق التعبير عن المفاهيم الخاصة بها .

ولقد يسر الله للمعلقات شارحا ومحققا ، هو دكتور في الحقوق، وشاعر يستجيب نداء الطبع ، ساعة ينظم ، فيصور شعوره صادقا كما صدق الجاهليون في ابراز احاسيسهم ، وشؤون مجتمعهم ، حتى لكاننا نراهم في مرآة ، ومن هنا ازدادت قيمة اولئك الاعلام الطلائع ، في الشعر العربي ، فما كان ابعدهم عن تزوير المشاعر ، وعن النظم الهندسي الذي لا تختلج فيه حياة ، ولا يهتز له قلب ، فما اشبه قصيد الجاهليين بالزهر الطيب الشميم ، والماء الكوثر ، وما اشبه شعر عصور الانحطاط وبعض الشعر المعاصر بالورد الصناعي ، والماء المركب في المختبر ، مزاجا من الهيدروجين والاوكسيجين .

فشكرا للشاعر الوطني الدكتور فوزي عطوي الذي اثرى لشرح المعلقات ، فلم يدع في البحث والتعليق والكشف زيادة لمستزيد ، ولعله يثابر على جلاء تراثنا الادبي الغابر ، بمثل هذه الدقة ، وهذا الوضوح . جزاه الله خيرا ، وبيض بأمثاله وجه الادب .

بولس سلامة



محمد اديب العامري

الكنعانيون والعبرانيون والعرب

بقلم محمد اديب العامري

* * *

اتابع بعناية ما اخذت الصحف العربية تعالجه من ابحاث عن الكنعانية والكنعانيين ، وبخاصة في لبنان . وقد اثارت هذه الابحاث دعاوى الصهيونية « التاريخية » بفلسطين او ما هو اوسع من فلسطين ، كما اثارها البحث عن مرتكز تاريخي خاص للسير الحضاري الحديث في لبنان .

ولقد اتيح لي بعد نكسة حزيران ان اولي هذا الموضوع عناية خاصة ، معتمدا على ما كان يعنيني من موجات الهجرة العربية القديمة من قلب جزيرة العرب الى الهلال الخصيب .

وكان كتاب الدكتور فيليب حتي عن « تاريخ العرب » الذي صدر سنة ١٩٣٩ اول ما لفت نظري الى البحث المنسق الحديث في موضوع هذه الهجرات . اما موضوع الهجرات نفسه فقد اوردته بعض المراجع العربية قبل ظهور كتاب حتي النموذجي ، ومعظمها يعتمد على دراسات لباحثين غربيين مثل فنكر واوليري وهاملتون وغيرهم .

واول ما يلاحظ على الابحاث التي تعالج موضوع الكنعانيين انها لا تتعرض لاصولهم ، ولا لنوع العلاقة بينهم وبين العبرانيين ، وهما اهم ما يجب ان يعنينا لازالة الغموض الذي يكتنف هذا الموضوع .

وليس القصد من هذه الكلمة ان آتي بالتفصيل على اجوبة لهاتين النقطتين الاساسيتين ، وانما الغاية عطف البحث نحو جهة نرجو ان يتدارسها السادة الكتاب الذين يتعرضون له ، والا ظل الموضوع غامضا يضر قضيتنا كما قد اضر بها الى اليوم .

الكنعانيون هم من الموجات الكبرى من القبائل التي خرجت من جزيرة العرب قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة ، او اكثر . وقد انتشرت موجتهم في سائر ارجاء الهلال الخصيب ، وبخاصة سواحل سورية ولبنان وفلسطين . وكانت تلك القبائل قد هاجرت من شرقي جزيرة العرب ، وعلى التخصيص من المناطق المتاخمة للخليج العربي (الفارسي) . وقد اتى المؤرخ الكبير الدكتور فيليب حتي على هذا في كتابه « لبنان في التاريخ » ، واورد مقتطفات عن المؤرخين الاجانب القدماء تدل على الصلة بين لبنان وتلك المناطق العربية . ومن ذلك، بكلام حتي، « اسماء جزيرتين في الخليج الفارسي، اسم احداهما (صور) والاخرى (ارواد) ، فيهما هياكل تشبه الهياكل الفنيقية ... وفي احدى جزر البحرين الكبيرة عدد كبير من القبور التي تشبه القبور الفنيقية ... وقد زار نيارخوس ، امير البحر عند الاسكندر المقدوني، مدينة تسمى (صيدا) تقع على شاطىء الجزيرة العربية الشرقي (ص ٨٣) . وتورد مصادر اخرى عربية واجنبية امثلة عديدة لا تترك مجالا للريب في ان القبائل الكنعانية جاءت من قلب جزيرة العرب .. .

وكانت القبائل الكنعانية بطونا وافخاذا عديدة ، تشمل اليبوسيين الذين بنوا القدس لاول مرة في التاريخ ، والفينيقيين الذين سكنوا سواحل لبنان وبعض سواحل سورية وفلسطين كما اشرنا . وقد سكن العدد الاكبر من الكنعانيين اراضي فلسطين الواطئة ، السهلة والاغوار . ويبدو ان « كنعان » من الكانع او الخانع ، بمعنى الواطىء . وقد يرجع الاسم الى اصل يدل على الارجوان الذي اشتهر الفنيقيون بالمتاجرة به . وقد اطلق اسما كنعان وفنيقيا على تلك القبائل بعد خروجها من جزيرة العرب ، وهي اسماء وصفية كما تلاحظ تدل على المكان او الصناعة او غيرهما . ولا تدل على اسم القبيلة. وقد وقع مثل ذلك في اسماء العموريين والآراميين وغيرهم . اما اليبوسيون فيرتدون الى يبوس ، اسم جدهم الاعلى . واسم فنيقيا يوناني الاصل اطلقه اليونان على الكنعانيين الذين كانوا يتعاطون معهم تجارة الارجوان كما اشرنا .

فالكنعانيون والفنيقيون كما ترى قبائل عربية الاصول . ولا نحب ان نقول « سامية » كما يحب المؤرخون الاجانب ان يقولوا لاسباب واهية لا مجال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا فرحة قلبي

★

لـــو كنـــت رأيـــت محيـــاه ... لعـــذرت فـــوادا يهـــواه
يـــا احسن شيء فـــي الدنيا ... يـــا اجمل مـــا خلـــق اللـــه
أهـــواك كطفـــل يجهـــل مـــا ... دنيـــاه ويعشـــق دنيـــاه
يبكـــي مـــن شيء أفرحـــه ... ويقبـــل شيئـــا أبكـــاه
يـــا فرحـــة قلبي يـــا قمـــرا ... يرعـــى الافـــلاك وتـــرعـــاه
الملت سنـــاك شتيـــت رؤى ... والليـــل يلـــم بقايـــاه
يـــا ليت الارض بنـــا وقفت ... والنجـــم تـــوقـــف مســـراه
تمضـــي الايـــام وصورتـــه ... روض يتجـــدد مغنـــاه
هيهات يطيـــب لنـــا سمـــر ... وتفـــوز العـــين بمـــرآه
رحمـــاك فـــؤادا ذوبـــه ... ولهـــي وبجفنـــي أجـــراه

وديع ديب

لشرحها هنا .

وكما لم يستقر الفنيقيون في لبنان وحده ، فلم يستقر الكنعانيون في مكان واحد . وتمتد الاراضي التي سكنوها من الخليج العربي ، فتشمل اجزاء من العراق وسورية ولبنان وفلسطين وسيناء . ومنهم من انحدر الى مصر .

والتوراة تسمي فلسطين « ارض كنعان » . وقد غزا العبرانيون اجزاء من فلسطين حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م، في حين ان الكنعانيين والعموريين وغيرهم من القبائل العربية كانوا مستقرين في الاراضي نحو الفي سنة قبل غزوة العبرانيين . وفي نحو سنة ١٠٠٠ ق. م. اسس داود مملكة الاسرائيليين في القدس . ودامت هذه الدولة نحو سبعين سنة ثم تجزأت الى جزءين كما هو معلوم ، ولم يلبث هذان الجزءان أن اندثرا . فالعبرانيون جاؤوا متأخرين الى المنطقة ثم غابوا عنها بسرعة وظل شعبهم بلا سلطان سياسي على صورة جاليات في البلاد شأن الجاليات اليهودية في سائر ارجاء العالم . اما الكنعانيون فقد ظلوا سكان البلاد الاساسيين الى ان غاب اسمهم في التاريخ ، ثم اندمج بهم العرب المسيحيون ثم المسلمون . وقد ذكر أكثر من واحد من المؤرخين الاجانب ان فلاحي البلاد الحاليين في فلسطين وغيرها هم ورثة السكان العرب القدماء من كنعانيين وعموريين ويبوسيين وفينيقيين . وقد ظلوا متصلين بالارض لم ينفكوا عنها ولا اقتلعوا منها .

وما يزال بعض الكتاب يوحي بأن الكنعانيين جاؤوا بعد العبرانيين او ان الكنعانيين ورثوا تراث العبرانيين . ان الامر على العكس من ذلك تماما . ولكي يطلع القارىء على الشأو البعيد الذي بلغته حضارة الكنعانيين (والفينيقيين) وعلى ان العبرانيين اقتبسوا هذه الحضارة لغة وكتابة وأدبا وشعرا ، لكي يطلع على ذلك كله نحيله الى المؤرخ اللبناني الدكتور نسيب وهيبة الخازن في كتابه الرائد « اوغاريت » ، اذ عندما ظهر العبرانيون كجماعات بين سني ١٣٠٠ و ١٢٠٠ ق. م كانوا جماعات متنقلة مختلطة مرتزقة ، شبه بدوية همها القتال والسلب والنهب ، ولا سابقة لها في اي مظهر من مظاهر الحضارة ، زراعة كانت او صناعة او فنا . وما بدا عليهم بعد ذلك من مظاهر الحضارة (وهو قليل) فقد اقتبسوه عن الكنعانيين وغيرهم من سكان البلاد الاصليين الذين كانوا قد ضربوا بسهم وافر في الحضارة ، مما لا مجال للحديث عنه الآن .

عمان – الاردن — محمد اديب العامري



الدكتور محمد رجب البيومي

رجب البيومي في شعره الانساني

بقلم عبد الغني احمد ناجي

* * *

بدات مجلة الاديب في اعدادها الاخيرة تنشر قصائد فريدة للشاعر الدكتور محمد رجب البيومي الاستاذ بكلية اللغة العربية من زمن غير قريب – ولا ادري لماذا يصر على قرن اسمه بدار المعلمات بالفيوم مع انه بمنأى وظيفي عنها !! – فأجابت الاديب رغبة اكيدة في نفسي ، اذ كنت ارى مقالات الشاعر النثرية ترن في صفحات الاديب بعيدة عن خواطره الشعرية الرائعة فأطيل التساؤل عنها اذ كتب لي ان اقراه شاعراً قبل ان اعرفه ناثرا ، فلما جلت الاديب بعض قصائده جددت هزتي نحو شعره ، ودفعتني الى ان اسجل بعض خواطري عنه .

واذا كان ميدان القول في شعره يتسع ويمتد فسأقصر حديثي اليوم عن الجانب الانساني الساطع في الهامه مبتدئا بمقدمة يسيرة اعتبرها مدخل الحديث .

لقد كان الادب – عبر التاريخ ولا زال – المنهل الثر للقيم الانسانية ، والعامل الاول في ترقيق الشعور ، والتسامي بالغرائز والاحاسيس ، وجذب النفس الى مجالي الجمال في الوجود لبعث عواطف الخير في الانسان ، ورقرقة المعاني النبيلة في جداول النفس لابراز ما يصح ان يسمى بالجانب الملائكي في دنيا البشر.

وللشعر بخاصة أوضح الاثر في هذا الميدان لما يتفرد به من عذوبة النغم ، وحلاوة الجرس ، وجاذبية الموسيقى ، اذ هي – بداهة – عوامل قوية في اقرار المعاني في النفس ، وتحقيق ما يرنو اليه الشاعر الهادف من مشاركة مجتمعه له في احساسه وشعوره .

واذا كانت هذه هي وظيفة الادب بعامة ، والشعر بخاصة ، فاننا نؤيد من يذهب الى تقدير كل أدب يحقق تلك الوظيفة اذا بلغ مبلغه من جمال الصياغة وروعة التصوير .

ونحن في العصر الحديث الذي بلغ فيه الفكر الانساني أوجه من النضج والاستواء ، نجد الشاعر يوزن بميزان الاحساس الانساني فتظل كفته ترجح ، ودوحته تسمق كلما كان تعبيره عن تأثر نبيل ، واحساس مستظل بانسانية وارفة ، وتشيل كفته اذا جنح الى الانانية وتعامى عما يقع تحت بصره من مشاهد محركة للوجدان ، وملهبة للشعور .

ولا نغلو اذا قلنا ان المقلدين ، والموغلين في الانانية من الشعراء ليسوا بشعراء ، اذ الشعر احساس وتعبير.

واذا كان الانتاج الادبي لكل شاعر ممتاز يستحق الدراسة الواعية ، والتحليل الدقيق ، فان اهم جانب من ذلك الانتاج انما هو الجانب الانساني الذي يظهر تجاوب الشاعر مع مجتمعه الذي يعيش بين ظهرانيه ، ويبرز تفاعله مع الجو الحيوي الذي يبسط ويضغط فيه رئتيه ، كائنة ما كانت الكائنات التي يعايشها وتعايشه .

هذه المعاني التي ضمنتها ذلك التمهيد هي التي حدت بي – في رغبة جامحة – الى تجلية الجانب الانساني في شعر الشاعر الملهم الدكتور محمد رجب البيومي بعد ان قرأت شعره ، ووقفت على كثير من القصائد التي تترقرق فيها اللمسات الانسانية كالماء النمير – ان صح ذلك التعبير – .

ولقد عشت مع شعره مسحورا بجمال آسر ، آخذة علي فرائده كل سبيل كعاشق يتملى وجه حبيب ، ولكني تحسست نفسي آنذاك فوجدت القصائد الانسانية في شعره قد استحوذت على مشاعري ، ودفعتني دفعا لا المس منه فكاكا ، الى الكتابة عن هذه الزاوية المشرقة في شعر الدكتور رجب .

واذا كانت الانسانية في جوهرها ليست الا النظرة الرحيمة ، واليد الحانية ، والبسمة في وجه من يفتقدها – فان الشاعر الاصيل – بحكم شاعريته ورهافة حسه – أولى الناس بها ، اذ انه في دنيا الناس المشهد الجذاب ، والعطر المستطاب ، واشهد بأن شاعرنا الدكتور كان كذلك بما يحمل من أريحية الفنان ، وانسانية الشاعر ، واذا كانت هذه قضية يعوزها الدليل فلنعش فترة بين نماذج من شعره لنتبين صدق القضية بعد نصاعة الدليل .

فها هوذا يعبر عن احساسه العميق تجاه غريب ثوى في قبر بعيد عن أهله وخلانه فهو يرى القبور تزار

وينثر فوقها الزهر النضير ، وقبر الغريب في وحشة وانقطاع كأن الغربة ضربة لازب عليه حيا وميتا !! بهذا احس الشاعر فقال كمن يجمعه بهذا الغريب آصرة الرحم واسباب الاخوة ، فخاطب القبر كأنه حي يلتاع لبؤس من يضم ، ويألم لغربة من يثوى بين جدرانه :

لغيرك ليس ينقطع المزار ... وانت على اجتنابك لا تزار
يمر عليك من يجتاز مرا ... فلا نظر اليك ولا اعتبار
وتقمر غيرك الازهار حبا ... وليس عليك من زهر نثار
على جدرانك البكم التياع ... وفي الآجر ذل وانكسار
اسفت وللجماد اسى وبشر ... كما للناس صفو واعتكار
ومن يدري لعل فتاك راض ... وكان له بما تلقى الخيار

ويأسى شاعرنا لازورار الناس عن زيارة هذا الغريب في جدثه الكابي ، وينعى عليهم ذلك العمل الشائن مع اخ لهم في الانسانية ، وليس سوى الشاعر الذي يحس ذلك الاحساس الرحب ، فيرى الجماعة الانسانية أسرة متلاحمة الاطراف قوية الوشائج ، أستمع اليه يعبر عن ذلك في عمق وصدق :

بجافيك الانام وانت صنو ... لهم ، فعلام هجرك والنفار
قد اعتذروا بانك اجنبي ... فشان اخا المروءة الاعتذار
لقد جحدوا لدى الانسان معنى ... تؤكده الكرامة والنجار

ويتألم رجب الشاعر من واقع الناس الذي يذوي فيه الحب الوريف مخلفا جفاء لافحا ، وكراهية حارقة ، فينشد الحب في عالم الاموات ، ويسأل صاحب القبر الغريب عما لاقاه في عالمه الجديد :

دع الدنيا ومن فيها وحدث ... افي اخراكمو حفظ الجوار
ابينكمو وئام مستطاب ... تزور مجاوريك كما تزار
وهل في عالم الارواح حب ... يزول بله التطاحن والشجار

كما يصور لنا الشاعر احساس من تجمعهم بهذا الغريب اواصر القربى والرحم تصويرا يبعث اللوعة والاسى :

ومن يدري لعل هناك اهلا ... تعذبهم وقد شط المزار
لقد جهلوا مكانك حيث تغفو ... فليس لهم على الدنيا قرار
فخطوا في جوانحهم ضريحا ... وراحوا يحملونك حيث ساروا
اجل والله قد لطمت خدود ... مجرحة وقد شق الازار
وشر مصيبة للاهل ثاو ... تباعده المهامة والقفار

وتنداح انسانية الشاعر فتلفت في رحمة فيحاء الى كائنات حية أصابها ما يعصر القلب الرحيم ، فهي ذات اكباد رطبة ، والشاعر وحده بفنيته يلمس أساها ، ويكاد يفهم مآربهم من أنينها ، وهذه ميزة يتفرد بها قلب الشاعر على قلوب الناس ، ولنعش مع شاعرنا الانسان في قصيدة اخرى عن قط اعمى صادفه في تجواله فحرك شجونه ، واعتصر فؤاده ، وعاش في ذاكرته منظره الاليم لا يبرح ولا يريم . يقول في مطلعها :

ما برحت ذاكرتي صورة ... تذكرها العين لقط ضرير
قد سارت الاعوام من خلفها ... وطيفها الماثل ما ان يسير

وكم غير الشعراء من يمر بهذا المشهد دون ما تأثير ، ولو خفق قلب بعضهم لاعوزه الافصاح والتعبير . يعكس لنا الشاعر الانسان احساسه النبيل بهذا القط الاعمى ، اذ يترجم بشاعريته الفنية كل حركة او طرفة لهذا الحيوان المسكين ترجمة تفصح عن احساسه وشعوره وهو الحيوان الاعجم ، وكلما تبدر حركة من المسكين تهز وترا في فؤاد شاعرنا الرحيم ، فهو يخال شم القط للارض بحثا عن طعام ، ويرى العين تنأى به عن ادراك المرام ، ويحس في رفع راسه الشكوى والالتياع ، ويفسر مواءه بالتحسر والاصطراع ، واليك هذا المشهد الفاجع لقلب الانسان :

شاهدته عن كثب حائرا ... يشم ترب الارض كالفاحص
يلمس فيها مطعما انما ... قد بعد الدر عن الفائص

كم يرفع الراس كمن يشتكي ... فان وهى عن حمله اطرقا
له مواء شف عن حسرة ... كاد بها الاعمى أن ينطقا

مواؤه الضارع مسترسل ... تلمس فيه ذلة السائل

ويجيء حسن التعليل الشعري في تصوير آخذ ، وتخيل يداني اليقين . فيقول الشاعر في تفسير المواء الضارع للقط الضرير :

يحسبه يعطف بعض الورى ... لكنه يمضي بلا طائل

حتى صمت القط له عند شاعرنا تفسير فلسفي جميل ، استمع اليه يقول :

وربما يصمت في غفوة ... صمتا يدوي حزنه الواضح
كالجمر يغشاه الثرى برهة ... ووقده من حوله لافح

ثم تأتي التجربة القاسية التي يصلاها كثير من الناس فتحطم النفس وتعذب الفؤاد ، فمن منا لم يشهد عزيزا هان على من كان يروعهم بعد ان ذابت عزته ، وغاضت عظمته تحت ضربات الايام والليالي .. مشهد له في القلب اعتمال عاصر ، وفي النفس تحسر وانكسار .

يبصر شاعرنا الانسان هذا القط المسكين وقد وقف في ذلة ضارعة وحوله الفأر دائب القفز في نشوة واعتزاز فيعبر عن هذا الاحساس الاليم في قوله :

قد هان عند الفار واحسرتا ... فحوم الفار به لاهيا
راى به ذلا فلم يكترث ... وخف في فرحته شاديا

ويمضي القط خافض الراس في سير وئيد ، فيلهم الشاعر فلسفة الاسى والالتياع ، فيقطع بأن هذا الاعجم المسكين لم ينكس الراس منه الا لهيب احساسه ، وسعير شعوره ، ويضعه الشاعر بهذين فوق كثير من اناس هوت بهم بلادتهم الى حضيض الحيوانية . استمع الى هذه الفلسفة الانسانية في هذه الابيات الشاعرة :

لا ، فانكسار الراس في خطوه ... ينبيء عن احساسه الناقم
وصاحب الاحساس والهفتا ... من حسه بين لظى جاحم

قد يرتقي القط باحساسه ... الى سماء القمة العالية
وفي طغام الناس من يرتمي ... اذ يفقد الحس الى الهاوية

واذا تركنا مشاهد الالم المحركة للمشاعر الانسانية، والدافعة الى التعبير عن المشاركة الوجدانية ، وذهبنا الى مجال التجارب الصاهرة للافئدة والنفوس ، والموحية

اثر الخروج منها بفلسفات ذات بال لمن يتصدى لمثلها ، وجدنا شاعرنا الانسان يلج بنا ميادين الحب ليقفنا على نتيجة انصهاره في هذه البوتقة التي تعشق النفوس لهيبها ولظاها ، فيبهرنا في قصيدة عن « طريق الحب » برايه الجانح الى فلسفة المجرب الحكيم ، والعاقل الحصيف ، والفنان الجاذب بسحر فنه وخلابة تعبيره ، واخاله ممسكا بيد من يحب ، ومشيرا له ـ كشرطي المرور الامين ـ الى مزالق الخطر ، ومنحدرات الشرور ، ولكنه ـ تعبيرا عن احساسه المحرق ، وتجربته المرير ـ يكاد يغلق الطريق في وجه المحبين ، فيرشد في نزعة انسانية وارفة الى خطر المضي في هذا الطريق ، وخطر الوقوف في منعطفاته او العودة منه ايثارا للسلامة ، فالخطر مكتنف من يمد قدمه في طريق الحب ، واولى به في نظر الشاعر المصطلي بنيران هذه التجربة ، ان يقف بعيدا ففي هذا سلامته ومنجاه .

وشاعرنا الانسان آنئذ يريد أن يقي من تجمعه به آصرة الانسانية عذاب الحب وآلام الهيام ، وان يبصر غيره بما وقع فيه ، ولنعش سويا مع التجربة الفلسفية في هذه الابيات :

لا تمضين مع الهوى قدما فيرهقك المسير
فامامك الصخر العتي ودونك الشوك الكثير
متخبطا تهوى ولا تدري بمن ذا تستجير
فاذا وقفت لتستبين الخطو اتعبك الهجير
واذا انثنيت لقيت ما خلفت من رهق عسير
واذا مضيت بلا اكتراث فارتقب سوء المصير

ولحرص الشاعر الانسان على تجنيب غيره سوء ما لقي في هذا المسير نجده يجسد الخطر بتصويره الفني الرائع ، فطريق الحب غابة ذات آساد ووحوش ، والهلاك فيها محدق بمن يوقعه سوء مصيره في آجامها ، واذا كان التصوير الخالب وليد الاحساس الرهيف والعاطفة الصادقة ، فان انسانية الشاعر هنا هي التي لونت الاسلوب بهذا الجمال الصياغي ، والابداع الفني .

استمع اليه عاكسا احساسه ، ومنذرا من وقع في حمى الحب :

فلقد نزلت بغابة ... هاجت على صخب الزئير
رئبالها افترس الوحو ... ش فكيف بالقلب الكسير
قف او فعد او سر ... فلست تفر من شر خطير
تلك الثلاث صغيرها ... يردى ، وافدح بالكبير

ثم يجمل لوعته وأساه في صدق مر ، وافصاح أمر في قوله :

اني ارتطمت ببعضها ... نزقا وجاءني النذير

ويبدو أن الشاعر قد غاص في بحار الحب ، ولم يراوده ادنى امل في النجاة ، فهو يحدثنا في قصيدته : « الشوق الخالد » عن رغبته في فناء الحب وتلاشيه ، اذ هو سبب عذابه ، وحتى عندما يجاب بأن نيران حبه ستخبو ساعة يوسد التراب ، يشك في ذلك المنتهى موقنا بأن الحب سيصحبه الى مقره الاخير ، وأن قلبه سيظل يخفق بالهيام ، وبعد البلى ستهفو العظام الى العظام ،وهذه المعاني وان تناولها المجنون وغيره الا انها كانت عندهم لفتات جزئية لا تقف امام الصورة الكلية ذات الاطار العام الذي وضعه شاعرنا الدكتور رجب وضعها فلسفيا كسب خلابة المنطق مع رقة الشعور الحساس .

وهذا الذي يحب بعمق وصدق ، ولا يسلو ولو بالموت هو انسان صادق العاطفة نبيل الشعور ، يتأثر ويؤثر بوجدان انساني شفيف ، يقول شاعرنا الانسان في مطلع قصيدته : « الشوق الخالد » :

سالت أليس هذا الحب يفنى ... فاهدأ من تباريح الغرام
فقيل لكل شيء منتهاه ... وسوف تراح منه لدى الحمام
ومن لي ان اصدق ان حبي ... ستهدأ ناره تحت الرجام
ستخفق في الثرى نبضات قلبي ... وتشتاق العظام الى العظام

ويدفع الشعور الملتهب ، والعاطفة الجياشة ، والوجدان الانساني عند الشاعر الى روعة الخيال ، وحسن التعليل ، فوهج الحرور لدى القبور في مذهبه ليس الا ازفرات المحبين من الموتى في عالمهم الجديد :

الاطف بالقبور تجدك تدري ... بلا خبر قبور ذوي الهيام
تحس أمامها وهجا سخيفا ... كان لظاه زفرة مستهام
ولو كشف الغطاء سمعت شكوى ... لمهجور تململ في الظلام

ويسمو الشاعر الانسان فوق الجسم والمادة ، ويهوم في عالم الروح ، وينقلنا معه الى هذه العوالم التي لا تعرف في شرعتها سوى الحب الصادق ، والسلام الوريف ، استمع اليه يدعو الى هذا التسامي :

دع الجسم الدفين وطر لروح ... ترفرف فوق طيات الغمام
ففيم حنينها ان لم تواصل ... قديم غرامها بين الانام
تصدق انها تبقى فصدق ... هواها فهو ليس بذي انفصام
ارضى الحب في دار الرزايا ... وتجفو الحب في دار السلام

ولعلنا بعد هذه الجولة السريعة في تلك النماذج الشعرية للشاعر الانسان الدكتور محمد رجب البيومي نحس نبض النزعة الانسانية وخفق الوجدان الصادق ، ونجد انفسنا مدفوعين الى وضعه في عداد الشعراء الانسانيين في القديم والحديث ، وعلى الصعيد البشري المنبسط من الازل ، واذا كانت الموسيقى هي لغة العالم ، لان منافذها الذوق السليم ، وهو امر مشترك بين جميع البشر ـ فان الشعر الانساني ـ فيما ارى وربما اكون على صواب ـ يضارع الموسيقى في هذا المضمار .

واذا كانت النزعة الانسانية هي التي تكسب الفن بعامة والشعر بخاصة عالميتهما ، فان شعر الدكتور رجب الانساني يستأهل الترديد في آفاق رحبة .

وبعد ، فيطيب لي ان اقول : انني لم اكتب هذا المقال الا بعد اعجاب ، ولم اعجب الا بعد دراسة وتأمل .

والى لقاء آخر لتجلية جوانب اخرى من شعر شاعرنا الكبير .

الفيوم ـ دار المعلمات — عبد الغني احمد ناجي

اعن الى حماها

وقفتك يـــا فؤاد علـى هواها ... فلست احب في الدنيـا سواها
ولا استـــروح النسمـــات الا ... اذا هبت تدنـــدن مـن رباهـا
ولا استعـــذب الامـــواه الا ... اذا مـرت علـى ذاكـي ثراهـا
ولا يحلـــو لـــدي الشعر الا ... اذا استوحى المعاني مـن سماها
بـلادي ، والحنين الـى بـلادي ... يذود لظـاه عـن عيني كراهـا
أاطمـع بالايـاب اليـك يومـا ... فتنقع مهجتي الحـرى صداهـا
هجرت ملاعبي تحـــدو ركابـي ... مطامع ضاع ظني فـــي مداها
وبـــين جوانحي امـل يريني ... تهاويل السراب غنـــى وجاهـا
فلم اسمع حفيف المـوج حتـى ... تهاوت مهجتـي ووهت قواهـا
ولم اشهـد مسير الفلك حتـى ... تزلـزل صـرح آمـالي وشاهـا
ولـــم اذكـر دموع الام حتـى ... وددت الـروح لـو كانت فداها
فيا شوقي الـــى تلـك المغاني ... ويـا ظمأ الفـؤاد الـى نداهـا
ويـا وجدي الـى عهـد كسته ... حماقات الصبـا ازهـى حلاهـا
زمان اطيـر مـن غـاب لغـاب ... واستبق الفـراش الـى جناهـا
واهـــزأ بالمعلـــم وهـــو لاه ... واعبث بالمديـــر اذا تلاهـــى
واحشد مـن صغار الحي جيشا ... يصغـر تحت سلطاني الجباهـــا
علـى خيل مـــن القضبان دهم ... زكت اصـلا وان جهلت ابـاهـا
اغيـر بهـم علـى الكـرام ليـلا ... ونقتحم الغـــلاة علـى ظباهـــا
ونكمن للنسور علـــى الروابـي ... ونقتنص الافاعـي فـي كواهـا
ونلحـق بالرعاة الـــى المراعـي ... لنسمـع مـا يغنـون الشياهـا
ونبني مـــن ركـام الثلج بيتـا ... اذا مـا الشمس مسته تواهـى
حيـــاة لا يعكرهـا اضطـراب ... ولا يبـــدو عبوس فـي فضاها
مضت كالحلم لـم يفتـر حتـى ... طوته اليقظـة الشؤمى وراهـــا

يقول لـي الصحاب كفاك تهذي ... فقـد اشبعتنا آهـــا وواهـــا
اتشكو الضيم ـ ويحك ـ في بلاد ... تمـــاوج بالبشاشة جانباهـــا
تمـد الـى الشريد يـدي كريـم ... وتحتضن الطريـــد اذا رجاهـا
وتمسح دمعـــة العانـــي بكف ... يكاد يفيض فـــي الدنيا نداهـا
لانت اعـق مـن حملتـه ارض ... واكفر مـــن تظلل فـــي لواها
ـ بني امـــي كفاكم لا تزيـدوا ... علـى نفسي ، وتنتهكوا اساهـا
ايرمـى بالعقوق فتـى شجتـه ... طفولته فحـــن الـــى حماهـا
ايجحد نعمـــة الآسي عليـــل ... رجا فـــي ساعة اليأس الالهـا
احـن الـــى حمـاي واشتهيه ... ومن يهجر ربـى الخلد اشتهاها

الهـي ليس لـــي الاك ملجـــا ... اذا فغرت خطوب الدهـر فاهـا
حرمتني التمتـع مـــن بـلادي ... فـلا تحرم رفاتي مـــن ثراهـا

بوانس ايرس ـ الارجنتين — زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بولس سلامة

بولس سلامة سليل مرقد العنز

ومعاصر ما بين الحربين

بقلم خليل رامز سركيس

* * *

مضى على صداقتي لبولس سلامه ـ فضلا عما توثق بينه وبين والدي من أسباب المودة والاخاء ـ زهاء خمس وعشرين سنة كانت كلها عهد صفاء في امتداد ربيع . وتلك آية من نعم الوشائج المتواصلة ، اذ قليلا ما انقضى ، في ربع القرن هذا ، يوم الا تخاطبنا فيه . وغالبا ما سبقني هو الى ان يتلفن لي عند الظهر ، يرتقب فراغي من بعض الشواغل والملحات ، وكلما خاطبني ارادني ان اكون بأجمعي واياه مثلما هو انسان ، في صداقته ، شامل لا يتجزأ تمامه ابدا .

ولقد بلوت ، في ما بلوت من ملابستي له طوال هذه السنين ، انه ، فطرة ، سليل لمرقد العنز ، وانه ، مواقف سيرة ، معاصر لما بين الحربين . فهو لم يكد يجاوزهما ، لا قعودا منه عن عوامل التخطي ولا جمودا حيال مؤثراتها ، بل لاعتقاده ان الانسان ، على حركيته وتطوريته ، لا يستطيع ، في عمر واحد ، ان يعاصر بضعة اجيال معاصرة عميقة الغاية او يخدع نفسه ويخادع سواه . فأن يكتفي المرء بأبعاد بيئته ، فيغني اذ يغتني ، ذلك ـ عند صاحبنا ـ خير له من ان لا يفتأ متقلبا ، ما يستقر في حال من الاحوال .

ولست اغلو حين اذهب ، في القول ، الى ان السلالة اللبنانية التي نشأت بأجواء مرقد العنز ، قبل الحرب العالمية الاولى ، ربما حق لبولس سلامه ان يكون في طليعة من يمثلها ، لانه طبع اكثر جيله ، لا قريته وحدها ، بعد ما انطبع بأشياء قريته وجيله اي انطباع . ذلك ان صاحبنا ، وقد ولد في بتدين اللقش في السنة ١٩٠٢ ، عايش قريته الجنوبية ، ولا سيما في اولى المراحل الحاسمة التي تطبع الطفولة وتنطبع بها الرجولية كما لا يخفى . كان هو في سنته الخامسة لما استيقظ خاطره ، فابتدأ يدرك العوالم الخارجية ادراكا قوي الحافظة ، سريعا . ولقد طالما تذكر صورة والده فكتب يصفه في حكاية عمر (١) ، قال : « كان والدي رجلا طوالا عملاقا ، شمشوني العضل، عريض الالواح ، مهيب الطلعة. اما قوته البدنية فقوة الاسد . وان احدى معجزاته المخل الحديد ـ وما يزال محفوظا عندنا الى الساعة ـ فلقد امسك بطرفه مرة ، ورفعه بيده اليمنى كما ترفع القصبة الجوفاء ، وارشد الى الطريق منافسا قصده من مكان قصي » (حكاية عمر ، ص ١٠) ، فأحجم المنافس وعاد من حيث اتى .

والاظهر ان بولس سلامه ورث عن ابيه بطولة الجسد ، على متانة نفس بريئة الطوية وكرم بلا اسراف. وربما اخذ عن ابيه فجاة الغضب ، فان هو هب ، هابه من حوله ، فما يكاد يهدأ بعيدئذ ، حتى يفرخ روعهم وكأن ما اثاره لم يحصل قط .

وصاحبنا هو ، الى ذلك ، رجل مصارحة تبدأ بنفسها فلا يخجلها الا ما يخجل . أفلم يجهر بأن والديه كانا اميين لان الامية كانت شائعة في سواد الجبل ولاسباب اخر منها ، على حسب قوله ، « عزلتنا في ريف قد حفل بكل بهيج من مفاتن الطبيعة وخلا من المدارس » (حكاية عمر ، ص ١١) ؟ ثم ان تلك المصارحة كثيرا ما يوحي بها الحب فيذكيها الصدق والوفاء . قال من كلام له على والده : « كان حلمه الوحيد تعليمي مهنة حرة ، لما رسب في نفسه من مرارة الحرمان . وربما كان جدي افقر اهل القرية مالا ، بيد انه كان في طليعتهم ذكاء ، فأورث ابي فقره وذكاءه . الا ان ابي لم ينم على بؤس ، اذ ابى عليه طماحه ان يخلد الى الكسل . فبدأ حياته بائيا ـ وبيده شيد البيت الذي اصبح مصطافنا ـ ثم تاجرا مضاربا حتى انه بلغ ، بين تجار فيالج الحرير ، مقاما مذكورا ، يوم كان للحرير في لبنان شأن عظيم . فاعجب لتاجر قلما استكتب أحدا ، فكان دماغه الفذ اصدق سجل وادق محاسب مهما تبلغ الارقام » (حكاية

١ ـ حكاية عمر ، تاليف بولس سلامة ، (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٢) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمر ، ص ١١) .

وكانت طفولة بولس سلامة كطفولة لداته من سلالة مرقد العنز . أدخل مدرسة القرية وهو ابن خمس . وكانت هذه المدرسة اشبه بالزريبة، «ذات باب واحد ونافذة يتنازعها ، في الشتاء العاصف ، نور شحيح داخل ودخان كثيف خارج مصدره حفرة في الارض جعلت مدفأة ، وقد تحلق حولها صبيان عيونهم تفيض بالدمع لا خشوعا ، بل توجعا من الدخان ومن قضيب الرمان » (حكاية عمر ، ص ١٣) . فظل ابن الخمس مدة سنتين وبضعة اشهر يقاسي ايامه في تلك المدرسة النموذجية . ثم نقل الى مدرسة بكاسين ، وكانت ذات ثلاث غرف « مسقوفة بجذوع الصنوبر ، خشبية مقاعدها ، عريضة الواحها السود ، فنظرت اليها نظر طلاب اليوم اذ ينتقلون من مدرسة ابتدائية في الريف الى السوربون في باريس » (**حكاية عمر ، ص ١٤**) . ويقول بولس سلامه انه اصيب وقتئذ بصدمة نفسية عنيفة ما تزال اثارها تلزمه الى يومه الحاضر . وذلك ان معلم الحساب ضربه ، مرة ، برزمة **من قضبان السنديان ضربا مبرحا** كرّه اليه الارقام ، فأغلقت عليه الرياضيات بينا كان مجليا في سائر الدروس .

ولئن كانت الام الثانية قد نفرت تلميذها من علم الرياضيات ، فان الام الوالدة كانت لابنها مرفأ حب وحنان. قال من كلام له عليها : « ولكنه حنان تغشيه الحكمة فيبقى مكتوما . ولا اذكر انها فرطت في تأديبي . وكنت اخشاها اكثر مما اخشى والدي . شاجرت ابن الجيران ، مرة ، فأخذت قضيبا لاخوض به المعركة ، كما فعل خصمي . والتفت فلمحت والدي ، فأقدمت ، فاذا بوالدتي قد اطلت من النافذة ، فسقط القضيب من يدي . ولا اذكر اني تجرات على المزاح بحضرتها ، حتى بعد زواجي » (حكاية عمر ، ص ٢١) .

الم اقل ان صاحبنا من سلالة مرقد العنز ، السلالة **التي شبت ثم شابت على الطاعة والخضوع** ، فآثرت الدعة والسلام ، ولم تجنح الى ما جنحت اليه اجيالنا ، اجيال الصخب والعربدة درسا وعبثا ؟ كانت الملاهي ، في تلك الايام ، على غاية البساطة والبدائية . فمنها لعبة الكلة والطابة والسباحة في بركة القرية ، ومنها صيد الفراش والحجلان في وكورها . وربما كانت سهرات الشتاء هي من امتع ما في الجبل . قال من كلام له عليها :

« كنا ، نحن الصغار ، ننتظر العشايا بمثل الشوق الذي يحسه فتيان اليوم حيال الافلام السينمائية العارمة. فاذا اضيئت المصابيح ، وهدر المدفأ ، واندلع الدخان من انابيبه على السطوح ، رايت السامرين يؤمون بيتنا **جماعات ، ويلقون من الترحيب ما يلقاه الوافد بعد غربة** ، ذلك ان الانس كان متبادلا بين الزائر والمزور » (حكاية عمر ، ص ٢٥) .

وكانت الحكايات هي في احلى الاطايب عند اجيال مرقد العنز وعند غيرها من الاجيال على ما يحسب بول فاليري اذ يقول : « في البدء كانت الحكاية » ، وان هو رمى الى هدف آخر .

ثم ان بولس سلامه اعترف ان والده ، على قوة ارادته وعضلاته ، قد اخذت به ، امام تحصيل العلم واكتساب المعرفة، عقدة الدونية والنقص، وهي التي اخذت بكثير من الناس ، عندنا ، ولا سيما في ذلك العهد . فلما استطاع التلميذ الصغير ان يقرا المشكل قراءة لا لحن فيها ، ابتهج والده وافتخر في حضرة الكبار والصغار . قال صاحبنا : « فكان اذا تدجى الليل ، وغصت الغرفة المشتى بالساهرين ، وقد احومرت انابيب المدفأة ، وهدرت نرجيلته فسمع لها قرقرة ، اجلسني في الزاوية ، على شبه منصة ، لاكون بمرأى ومسمع من الحاضرين ، ثم كلفني القراءة بصوت عال . وكان تواقا للمعرفة ، شديد الرغبة في استيعاب اخبار الغابرين ، تعي ذاكرته كل ما يسمع فتعيده مفصلا . وكانت اولى القراءات العلنية اسفارا مختارة من العهد العتيق ، فيطيب له ، وللكهول اصحابه ، تلاوتي الفصول المحدثة بالفتح والبطولات ، نظير وقائع جدعون بن يوآش، ويفتاح الجلعادي، وشمشون الجبار ، ومصرع جليات الفلسطيني بحصاة من مقلاع داود بن يسى . وامثال هذه الاحداث . ولكن القصص المفضلة ، كانت سيرة عنترة والمهلهل وتغريبة بني هلال . وكان علي ان ارفع الصوت مرنما في تلك الروايات ، سواء أكان القصيد قريبا من اللغة الفصحى ، كما في سيرة عنترة ، ام كان عريقا في العامية ، كما في سيرة الزير وتغريبة بني هلال . ولا يخفى ان الانشاد في اذكاء الحماسة افعل ، وفي اشاعة الطرب اوقع » (حاية عمر ، ص ٢٩) .

في خطابيات هذا الجو الملحمي نشأ بولس سلامه ، فبلغ فاكتهل فكاد يشيخ . الا ان الفرض لا يتشرف ، ههنا ، للملحميات ، بل يقتصر على التلميذ الذي لم يطو ثلاث عشرة سنة بعد وقد فجاه نبأ كان بين الالم والامل : قيل للتلميذ انه سيدخل مدرسة الاخوة المريمين (الفرير) بصيدا ، فلا يتاح له الا قليل من اللعب في حرية مسورة الحدود . فلما وصل الى هناك ، شعر ، في اليوم الاول ، بانه فتى غريب . قال : « وبرغم التعب الذي اعتراني في الطريق ، لم انم في ليلتي الجديدة الا ساعة او بعضها . واني يوافيني الكرى وحولي زهاء خمسين سريرا يتخطر بينها ناظر مديد القامة ، اسود الثوب ، جهم الاسارير ، يأمر وينهي بلهجة عسكرية ، وبلغة افهم بعض معانيها منفردة واجهلها مركبة ؟ وما كاد يلتقي جفناي في الهزيع الاخير من الليل ، حتى سمعت جلجل الناظر داعيا الى

النهوض ، فقمت متثاقلا كالاسير يجر اغلاله . وغصت لهاتي بمثل زفرة مكبوتة . وذكرت الحرية الفقيدة ، وانس البيت والعائلة ، ورفق الوالدة في ايقاظي . واوحشتني تلك الغربة في المنام والطعام ، والسمع والبصر ، والدرس واللعب . ولكنه اغتراب لم يطل أمده ، فقد الفت حياتي الجديدة ، حتى اصبحت لا ابغي سواها » (حكاية عمر ، ص ٣٥) .

ثم قال : « وفي اخر السنة المدرسية (تموز ١٩١٤)، غادرت المدرسة الى الجبل ، وفي نيتي اتمام فرض العطلة الصيفية لاعود في تشرين تلميذا ادى واجبه ، وتأهب لمتابعة دروسه ، في خط صاعد ، لا عوج فيه ولا انحراف. ولكن ذلك الصيف كان اشأم حقبة اطلت على البشر . فقد اعلنت الحرب العالمية الاولى ، فاهتزت لها جوانب المعمور، واقفلت مدرستنا ابوابها . وجيء للقرية بمعلم يلم باللغتين العربية والفرنسية بعض الالمام ، فكان صائنا لنا من اللعب والنسيان اكثر منه مدرسا يأتينا بالجديد . وما ان اقبل الربيع حتى اقبلت معه ارجال الجراد ، فخرجنا، نحن التلاميذ ، مع الاهلين لمكافحته ، تارة بقرع الصواني النحاسية لابعاده ، وطورا باحراق او طمر ما تجمع منه » (حكاية عمر ، ص ٣٧) .

وكان وقوع الحرب وهجوم الجراد نذيري شؤم ، اذ ضربت لبنان جوائح ارهاب وموت . فأعرض الناس عن كل شيء ما خلا الدفع لاخطار المجاعة والاوبئة ، او كادوا يعرضون . فألجيء صاحبنا ، في من الجئوا ، الى وداع المدرسة . قال : « وكان لزاما علي ان اسهم في العمل بعد وداع المدرسة ، وحسبته فراقا الى بضعة اشهر فتمادى بضع سنوات ، فانقلبت حياتي راسا على عقب. وعهد الي والدي في مراقبة العمال ودفع أجورهم ، وبيع المحصول وما يتصل بذلك ، وانا يومئذ في مستهل العام الرابع عشر . وما كانت هذه الولاية تقتضي دقة في الحساب ، فمعرفة القواعد الاربع تكفي لهذه الشؤون . ولكني شعرت اني اصبحت رجلا قبل الحلم ، تلزمني التبعات والموجبات . واولتني هذه المرحلة الجديدة ضروبا من الخبرة جديدة . فتعلمت كيف استنهض همة العمال بالرفق والكلم الطيب ، وتمديد الاستراحة بعد الغداء ، وتخفيف التعب في اثناء العمل بالغناء البلدي ، والحداء في طريق العودة من الغابة الى البيت . وبالجملة فقد الفت حياة الريف بمشقاتها وبساطة مفاتنها . واهم تلك المباهج اندماج الانسان في الطبيعة » (حكاية عمر ص٤٢).

فلقد كان صاحبنا فتى جد ونشاط وراثة وعافية . قال : « ذلك النشاط الزاخر ، ومصدره العافية ، كبرى منن الله على الانسان الجسد ، كان في حاجة الى مصرف. ولقد اعتبرتني رجلا تام الرجولة يوم استطعت قرع الجرس الاكبر في دير مشموشة عشر ضربات متوالية .

وهنأني رفاقي حينئذ تهنئة الفاتحين . وقال بعضهم : « لا غروى ، انه ابن فلان » (...) في تلك الحقبة ، وهي مطلع الشباب الاول، كنا نسمع بالمرض من بعيد ونكاد لا نصدق به » (حكاية عمر ، ص ٥٢ و٥٣) .

اما الفكريات ، ولست اقول : الثقافيات ، فقد كانت ، في ما بين السنة ١٩١٤ والسنة ١٩١٨ ، ضعيفا شأنها لدى صاحبنا بل عند اكثر اللبنانيين . قال : « في هذه الفمرة من البلوغ والعمل والصيد ، وفي ذلك الجو المفعم بأشباح الموت ، لم اقبل على الكتاب كل الاقبال ، ولم اتخل عنه كل التخلي ، فكنت احمل في جعبتي الى الاحراج والوعور تارة سيرة عنتر ، وطورا كليلة ودمنة او مجاني الادب وفيه طائفة من اخبار العرب ونوادرهم ، وكل ذلك يمت بسبب الى القصص وتقويم الاخلاق وتمجيد البطولة . وما كنت املك سوى هذه الكتب وبعض كتب للقراءة الابتدائية الفرنسية . وشاء الله ان انفتح على كتاب كان له اثره البعيد في حياتي ، اذ نبهني الى المطالعات الدينية ، ذلك الكتاب هو التوراة » (حكاية عمر،ص٥٥).

في ذلك المناخ من طبيعة مرقد العنز ولد بولس سلامه ونشأ وقد حرم بهجة الفتوة واول الشباب . حتى اذا انطفأت الحرب الكبرى ، في أواخر السنة ١٩١٨ ، وجد نفسه على عتبة زمن تذهب فئة من أولي الراي الى انه مبتدأ القرن العشرين ولو متأخرا بضعة عشر عاما . وعندي من القول ، في هذه الناحية ، ان زمن ما بعد الحرب الكبرى خاتمة الاعصر الحديثة ومقدمة الاعصر الكونية الجديدة التي لم نعرف بعد من تفجر طاقاتها الا الشيء القليل .

ثم ان بولس سلامه ، في الاحوال التي سادت لبنان بعيد الحرب العالمية الاولى ، تابع التأهب للحياة . فدخل مدرسة الحكمة ، فلم يشعر انه اغترب عن الجبل ، لان جوها لبناني جبلي خالص . ثم انتقل الى مدرسة الاباء اليسوعيين ، فما لبث مديرها ان نصح له بطلب مدرسة اخرى . فنوى صاحبنا ان يطلق الحياة المدرسية . فعاد الى قريته فكانت له بها « ليلة حاسمة » . قال : « ولشد ما كانت دهشة شقيقتي حين استفاقت وشاهدتني ، وفي يقينها اني داخلي في الجامعة اليسوعية ، فمن اين هبطت في هذا الليل ؟ ثم دخلت والدتي وكانت في عيادة جارتنا المريضة ، فاعتراها ذهول عقد لسانها بضع دقائق ، ثم انفجرت حانقة في اشد غضبة شهدتها منها طول حياتي ، وربما تصرمت السنون ولا تغضب ، بل كانت مضرب المثل في الحلم والحنان . فلما رايتها على تلك الحال تولاني الذعر . وبادرتني بهذه العبارة : « ليتك مت في المدرسة، اشكر الله ان اباك غائب ، فلو كان حاضرا لقتلك ، اخرج من البيت وعد الى المدرسة » . قلت : « مطرود » . قالت: « اذهب الى اية مدرسة داخلية شئت ولكن هذا البيت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محرم عليك » . فقلت : « غدا » . قالت : « بل الان » . فاعتذرت بالجوع والتعب ، فقالت : « اخرج فتتعشى وتنام في العربة التي جاءت بك » . وللحال استدعت ناطور القرية واسلمته الحقيبتين وامرته ان يسرع الى جزين فيحجز لي مكانا في المركبة نفسها . ثم طوت بضعة ارغفة على كمية من الجبن والزيتون والتين المطبوخ بالسكر ، فوضعتها في منديل ودفعتها الي وقالت : « معك المال الكافي ؟ » فلت : « نعم » . قالت : « اذن اسرع قبل ان تفوتك المركبة » . فخرجت اتعثر بدموعي وبالظلام الصفيق وكان الليل قد انتصف . في تلك المعركة العاطفية الدامية، لم تكن البنوة كبش المحرقة بل الامومة . فلقد اعلمتني المرحومة والدتي ، بعد هذا بسنين ، انها ، بعد خروجي من الباب ، شعرت بأن قلبها ينسلخ منها ، فأغمي عليها ، ثم استفاقت وظلت مسهدة الجفن حتى الصباح ، وانها وضعت مستقبلي كله في الميزان . (...) بلغت المركبة ، وجيبني يتفصد عرقا ، واحسست بدوار لا عهد لي به من قبل ، فقد تلاقى علي الجوع والكرى والصدمة العصبية في ان واحد . فتناولت لقمات معدودات اسفت بعضها وغصصت بمعظمها ، ودخلت في سبات هو بالبحران اشبه ، فما نبهني الا صياح الديكة في ضواحي صيداء وقد اسبل الفجر على بساتينها وشاحا فبعث في الافق صباحا جديدا ومعه انسان جديد » (حكاية عمر ، ص ٧٤ و٧٥) .

ثم قال : « بين يدي رئيسي القديم ، في مدرستي القديمة ، القيت عدتي ، سلاح الجهالة والطيش ، فجثوت امامه واسلمته المسدس والخاتمين وعلبة التبغ الفضية وارادتي المتمردة . فابتسم وقال : « الحمد لله الذي اعادك وفي وجهك سيماء عرفتها بالامس البعيد ، فكن رجلا » . ولم يمر علي بضعة اشهر حتى اصبحت قطب الدائرة في مدرسة الفرير » (حكاية عمر ، ص ٧٥ و٧٦).

فبقي صاحبنا سنتين بالمدرسة في صيدا ، وبعض السنة في جونية ، ومنها انتقل الى مدرسة مشموشة . ثم دخل المعهد الفرنسي للحقوق في بيروت ، فتخرج فيه محاميا ، وما زال يمارس المحاماة الى السنة ١٩٢٨ ، اذ عين في سلك القضاء . فسلخ فيه بضعة عشر عاما . ثم احيل على التقاعد في السنة ١٩٤٤ وقد استوطنه الداء ، فسمره على الفراش زهاء عشرين سنة ، الى ان انهضته قوة ايمانه ، فعاد يمشي وكأن ايمانه قد مشى به اذ مشى فيه . ولن انسى ، ما حييت ، الساعة التي رأيت اليه فيها وهو يدرج اول مرة ، يطأ الارض همسا ، بعد ما كان قد قلبته الايدي ـ وتعهدته الايادي ـ على فراشه الاف الايام .

(اما جراحيات بولس سلامه ، وهي التي لم تؤس مقاطعها ، فمشهورة القصة حتى انها تكاد تكون في العجائب الشعبية ، فليس ما يقتضي الرجوع الى اخبارها ، الان في الاقل) .

وما غرضي ، ههنا ، ولا في اختصاصي التاريخ لسيره بولس سلامه فأسهب في دقائقها ، وان كنت قد افرطت في الاستشهاد بما يروي اشياء من حكايتها الحية، ـ بل المقصود هو ، على ما تقدم لي ذكره ، ان استخرج منها ما يقيم بعض الدليل على ان صاحبها سليل لمرقد العنز ومعاصر لما بين الحربين . فالامور ، التي شغل بها لبنانيو المرقد وما بين النارين ، هي انفسها تلك التي عاناها بولس سلامه ـ او عانى حِلها ـ معاناة ارى انها معاناة انسانية قبل ان تكون معاناة ادبية بحتا .

ثم ان اقبال صاحبنا على الحياة ، ومقاربته لها ، ومصارعته اياها ، غالبا ما تجري على الطريقة المحافظة . وذلك بأن سلامه لا يستطيع ان يكتنه الحياة ولا يريد ان يكتنه الحياة الا على هدي الاصولية المتوازنة السبب والنتيجة ، المتوازية الانسان والاخر . انها اصولية سلفي يتطور ، لا ثورية غدوي يتفجر كيفما كان ـ مع ان في سيرة صاحبنا كثيرا من مشابه البراكين .

حتى اذا غلبت على العالم ، عالم غيرنا فعالمنا ، ايام القلق والضياع والرفض والتمرد والانكار بعد ما اطبقت على الحضارات كوارث القتل والتدمير ، الفى صاحبنا نفسه غريبا عن تلك الايام ، والفى نفسه اجنبيا عن الاجيال التي اضرمت تلك الايام وعن الاجيال التي تحيا وتهلك في حمى تلك الايام وكأنها في عرس وجنازة معا .

لم يبذل بولس سلامه جهد الطاقة لكي يفهم اجيال الثورة والجحود ، ولا ازور عنها كل الازورار ، لكنه حاول ان يتصدى لها بسيوف مرقد العنز وبذرائع ما بين الحربين فعل من ينازل بعض المستقبل بسلاح الماضي ، فما يعنيه لمن تكون الغلبة في النهاية بقدر ما يعنيه ان لا يساير قوى يرى ان معظمها سلب هدام . بولس سلامه لم يتأت له ان يعايش اغوار الهيبيين الطويلة شعورهم ، القذرة هيئاتهم ، الشاذة اكثريات عاداتهم ، (مع كونه قد عايش دواهي علل وجراثيم) ، وذلك بأن اصوليات ايمانه وتراثيات انسانه تأبى عليه ان يحاورهم وتدعوه الى ان يقاومهم ولو في غير ميدانهم وغير ميدانه ولا ريب . وليس بولس سلامه وحيدا في موقفه المحافظ ، بل الوفر من الخلق ، على شرق وغرب ، لا حيدة لهم عن ذلك الموقف . بيد ان الاجيال الثورية الصاعدة ، او الهابطة ، ـ من يدري ؟ ـ لا يستطيع بنوها ان يفهموا موقف بولس سلامه ، ولا يريدون ان يفهموه ، لانهم يعانون من تفجر بعد الحربين ، في السياسيات والثقافيات والاقتصاديات وفي سائر موضوعات الكينونة والمصير ، ما يجعل من ارواحهم واجسادهم حمما لا تكاد تخمد نارها حتى تتأجج قضاياها في زلزال جديد .

بولس سلامه هو ، الى زمن لبناني بعيد ، خاتمة

اغـراق

★

وهناك .. خلف مرافيء الزمـن ... لـم تبـق اشرعتي ، ولا سفني
أنـا مبحـر ، لا ينتهي سفري ... وشواطئي مهجـورة المـدن
مزقـت اطيـافـا وأخيلـة ... تنهـل مـن قـارورة الـوسن
وسبحت من فوق الرؤى ، برؤى ... كون ، بغيـر الحس لـم يكـن
جمـع الوجود علـى كثافته ... وانساح فـي عينـي وفي أذنـي
فـاذا سمعت ، سمعت أغنيتـي ... واذا رأيـت رأيـت مفتتنـي
رنحـت اهوائـي وعاطفتـي ... وجهلت فيهـا مـا يرنحنـي
واظـل ارسم عالمـي بيـدي ... بهواجسي ... وهواي يرسمني

الوالهـون .. وربمـا حلمـوا ... بعرائـس الآلام والمحـن
تلـد الخرائب فـي خواطرهم ... عطـارة الاطـلال والندمـن
ويثور اعصـار الهوى شرسـا ... ويمـوت بـين الـروح والبـدن
رقص التراب على بساط يـدي ... وحملت غير الموت فـي كفنـي

صيغيـة الرغبـات ، ابدعهـا ... فـي اضلعي قلـب يعذبنـي
يـا لفح وسوسة الهـوى بدمي ... يخضر قلبـي حـين تحرقنـي
جردت قلبـي مـن عرائسـه ... ففدوت يـا قلبـي بـلا وتـن
وهجـرت حبـا ليس تبدعـه ... عينان مـن شعبي ومـن وطنـي

طرطوس ـ سورية

أحمد علي حسن

الاصولية اناة ورصانة كانتا اشبه بعمود الشعر العربـي التقليدي الاوزان والقوافي . فلا نعجب لصاحبنا اذا هـو لم يستسغ العطاء الذي يتحرر من مواقف سليل المرقد ومعاصر ما بين الحربين . حتى اذا انطلقت بانسان اليوم الحاضر ثوريات الابعاد الروحية والمادية ، وجد بـولس سلامه انه منها على ازمة تفصله عن سلفياته ولا تصلـه بمستقبلياته وصلا مأمون العواقب . ولست ازعم انبولس سلامه لم يشعر بهوة هذه الازمة ـ كيف لا وهو الشاعر قولا وفعالا ؟ ـ لكن يبدو لي ان صاحبنا جعل بينه وبينها حكايات لبنان الغابر وذكريات ما بين الحربين .

ولئن كان جل مقالي في بولس سلامه قد اقتصـر ، ههنا ، على ناحيته الانسانية فلم اجاوزها الى النـاحيـة الادبية ، فلانني اعتبر ان انسانه قمة ادبه ، اذ الانسان هو ، عندي ، الاصل ، واذ الادب فرع له ، زيادة على ان الكثير من الاقلام قالت فـي مؤلفات بـولس سلامـه ، فدرستها وكرمت صاحبها اي تكريم .

خليل رامز سركيس



الدكتور احمد الشرباصي

من سعد زغلول الى محمد عبده

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

كان سعد زغلول زعيما لنهضة مصر السياسية وحركتها الوطنية وثورتها الاولى سنة ١٩١٩ ، وكان سعد اكبر خطباء مصر السياسيين ، وقد ولد سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧م) وتوفي سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) ، وتعلم في الازهر الشريف قبل ان يتعلم التعليم المدني ، وقبل ان يتجه الى السياسة ، ويصل فيها ارقى مناصبها ، وهو منصب رئيس الوزراء ، وقد اتصل في شبابه بالسيد جمال الدين الافغاني حينا من الزمن ، ثم تتلمذ على يدي الاستاذ الامام محمد عبده عميد مدرسة البعث الفكري والادبي في العصر الحديث .

وقد اشتغل سعد محررا مع الاستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية ، وتأثر بأستاذه تأثرا بليغا ، وهناك كثير من الناس لا يعلمون ان سعد زغلول كان يقف من الاستاذ الامام موقف المريد من الشيخ الموجه ، او موقف التابع الامين من الاب الروحي المرشد ، وقد يدل على ذلك ان نجد الزعيم الوطني يقول لشيخه الجليل في احدى الرسائل:

« اني وما اعمل من خير مما صنعت أيدي مكارمكم ، فلا استحق شكرا ولا حمدا ، بل ان هناك ما يدعو الى المديح ، فالحمد راجع اليكم ، والشكر عائد عليكم ، واني أعد الفخار كل الفخار في خدمة جنابكم العالي ، وحسب تنبيهي الى القيام بأية خدمة نعمة سابغة من حضرتكم ، لا اقدر على الوفاء بواجب شكرها .

وعلى هذا فمولاي يرى ان في اسناد الفضل والتكرم والاحسان الي زيادة تنازل منه ، لا ارى نفسي جديرة بها ، وعهدي بالمولى الكريم ان يتحرى بكراماته مواقع الاستحقاق ، واظن حضرته يذكر اني في يوم من الايام التي نزلت بها في بيته ذاكرته في هذا المعنى ، ورجوت من مكارمه ان يجعل طلبه اي امر مني بصيغة الامر ، لا بلفظ الرجاء ، فاني ارى في الاول فوائد ترتاح نفسي اليها ، ولا اراها في الثاني » من رسالة بتاريخ ١١ جمادي الاولى سنة ١٣٠٠ هـ واصلها الخطي موجود عندي .

وقد اشترك سعد زغلول في الثورة العرابية المشهورة كما اشترك استاذه الكبير ، وعقب فشل الثورة تقرر نفي الاستاذ الامام الى بيروت ، وكان ذلك سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) ، وراسل الشيخ تلميذه فكانت بينهما مجموعة من الرسائل لها قيمتها التاريخية والادبية والاجتماعية ، ومن المؤسف انه لم يتيسر لنا جمع هذه الرسائل ونشرها ، ولو اننا فعلنا لوضعنا بين ايدينا وايدي المشتغلين بالبحوث التاريخية والادبية والقومية مصادر غنية بالمعلومات والاشارات التي تفسر كثيرا من مواقف الغموض في التاريخ والاحداث ، وتكشف الغطاء عن كثير من الحقائق الخفية المستورة .

وقد استطعت خلال بحثي عن الامور المتعلقة بجمال الدين الافغاني ومحمد عبده وشكيب ارسلان ورشيد رضا وعبد القادر المغربي وغيرهم من ابناء مدرسة الاستاذ الامام ان اعثر على كثير من الرسائل الخطية التي كتبها هؤلاء الاعلام ، او كتبها اليهم اعلام آخرون ، ومن بين هذه الرسائل حصلت على خمس رسائل كتبها بخط يده الزعيم سعد زغلول الى الاستاذ الشيخ محمد عبده حينما كان منفيا في بيروت ، وقد تهيأت الفرصة امام السيد محمد رشيد رضا ان ينشر اربع رسائل من هذه الخمس في كتابه الضخم « تاريخ الاستاذ الامام » . وهي في الجزء الاول منه ، صفحة ٢٧٥ و٢٧٦ و١٠٧٨ و١٠٨٠ .

وبقيت الرسالة الخامسة طي الاوراق والاضابير حتى وقعت عليها يدي ، فرأيتها تكملة طيبة لاخواتها الاربع ، وهذه الرسالة الخامسة التي لم يتسع لها مجال النشر كزميلاتها هي موضوع مقالي هذا .

ان هذه الرسالة بتاريخ ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ هـ ، اي منذ تسعين عاما من يومنا الحاضر ، وقد ارسلها سعد من القاهرة الى بيروت ، وهو يصور فيها مدى تأثره بالاستاذ الامام ، واحترامه له ، وتوقيره لمقامه ، ثم يجيبه فيها عما طلب الاجابة عليه في بعض ما ينشر من مقالات تتعلق بالوطن واهله ، ثم يذكر في الرسالة رموزا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واشارات مفهومة بين الشيخ وتلميذه ، ويدق علينا بعضها ، ثم يتحدث عن بعض المجلات والكتب ، ويبين لنا مدى حرص الاستاذ الامام على تتبع ما ينشر ، وعكوفه على امهات الكتب للدرس والبحث .

وتتحدث الرسالة عن طائفة من الاشخاص الذين تألقوا في مجتمعهم في وقت كتابة الرسالة ، ومن هؤلاء افراد تحدث عنهم التاريخ فصاروا معروفين ، ومنهم افراد ضن عليهم التاريخ بالترجمة ، فظلوا محتاجين الى عناية الباحثين للتعريف بهم .

وكذلك ترد في الرسالة الفاظ كانت شائعة في وقتها ، ثم حل محلها سواها ، وقد يكون بعضها ما زال مستعملا ، وذلك مثل كلمات : « استلمها ـ بمعيتكم ـ مرسولة ـ بوليصة ـ مسوكرة ـ البوستة » .

واذا كنت اضع نص الرسالة اليوم بين ايدي الباحثين من الادباء والعلماء ، فاني ارجو ان تكون عونا لهم على التعرف الى مزيد من شئون مجتمعنا الفكرية والادبية والتاريخية منذ تسعين عاما هجريا ، وان تكون مثار تعليق منهم يزيد موضوعها جلاء ووضوحا ، وهذا هو نص الرسالة:

« مولاي الافضل ، واستاذي الاكمل ، احسن الله مآبه .

اقبل اليد ذات الطول والانعام ، واقدم لسنا المقام واجبات الاخلاص والاحترام ، وبعد ، فقد ورد خطابكم الشريف ٢ جا (١) فتناولته بيد (٢) قرت بوفوده ، وتلوته فحمدت الله على ما افاده من الصحة والعافية ، والعيشة الراضية ، والحالة الراهية (٣) .

وبعد ، فقد طلبت اثار مقالة « الشورى في مصر » في الاذهان المصرية ، وافكار اهل الحل والعقد ، فلم اجد لها خبرا ، وانما رايت اذهانا خامدة ، وافكارا كاسدة ، كما تعهدون ، وفوق ذلك رايت ذهولا وسباتا ، وحيرة واندهاشا ، غير ان الذي يظهر من تأملات اولياء الامور وتوجههم ، وتأسفات متابعيهم ، ان ما بين لقواس تلك المقالة من الملاحظات ، يقع لديهم ـ لو اطلعوا عليه ـ موقع الارتياح والاستحسان ، واما غيرهم فهم الى الاصل اميل ، وقد فرحوا بتلك المقالات من وجه كونها موافقة لسابق افكارهم ، مصدقة لما كانوا به موقنين .

وعلى كل فوجود حضرتكم في تلك الديار ، وتمتع « بيدان » (٤) في ديارنا ، مما ينبه حضرة الفاضل صاحب « الثمرات » الطيبة الى ان لا يعاود المدافعة عن حقوق المصريين مرة اخرى .

اما صاحب الرسالة ذات الذنب الطويل ، والقول البارد الثقيل ، فهو حسن حسني طبل محرر « الزمان » سابقا ، وقد عنفه كثير من النبهاء على كتابتها ، واستوقحوه كما استوقحوا صاحب « الجوائب » (٥) ، واعتقدوا لؤم طبيعته ، وخبث نيته .

لم نجد « متن الاشارات » في الكتب التي عند الشيخ عبد الكريم (٦) ، مع كون اخي ابراهيم افندي جاء استلمها قبل السفر مني . اما « اساس البلاغة » فهو مع نسختين من مقدمة شركان مرسول لحضرتكم مصاحبا لهذا الخطاب ، والثالثة سنبعث بها عند حضورها من لدن احد الاصدقاء ، فان من عندهم هذا الكتاب أبوا عن (٧) ان يبيعوا المقدمة بدون التاريخ ، وان لم يحضرها ذلك الصديق ، فلا بد من شرائها وارسالها حالا ، وليست النسخة الثانية مبتاعة ، بل هي من كتبي ، وقد اهديتها لجنابكم الكريم .

نقدم واجبات الاحترام ، ونرفع ازكى السلام ، الى حضرات الذين عرفناهم بآثارهم ، وتشرفنا بمعرفة اسمائهم ، واخص من بينهم بأزكى التحيات حضرة البليغ الفاضل ، والاديب الكامل حسن افندي بيهم ، صاحب عبارة « الشورى في مصر » فيما نظن ، جزاه الله عنا احسن الجزاء ، واثابته الانسانية على قوة دفاعه عنا ببراعة يراعه ، وسلامة اختراعه .

حضرات الشيخ حسن الطويل ، والشيخ ابو النجا الشرقاوي ، والشيخ عثمان شعيب ، وغيرهم من الاساتذة الاولياء ، والمحبين الصادقين ، يهدون حضرتكم أزكى السلام ، ويقبل يديكم ولدكم الفاضل اخي الشيخ عامر اسماعيل ، واخواي شناوي وفتحي .

ونرجو تبليغ السلام الطيب والثناء الجميل الى حضرات : الصديق الاديب الفاضل ابراهيم افندي علي ، والمهذب الكامل عارف افندي ، والنبيه الثابت ابراهيم افندي جاد ، وحضرة الزكي المحفوف بعناية الله نجلكم الكريم ، وحضرات من بمعيتكم ، وجميع من تابعكم في السير الكمالي ، شرح الله صدر البلاد بعودكم جميعا الينا سالمين ، معترفا بقدركم غانمين ، مصدقا بمقاماتكم من الفضل ومحبة البلاد ، اراانا الله ذلك قريبا ، انه كان

١ ـ يعني : ٢ جمادى الاولى .

٢ ـ الكلمة في الاصل يمكن ان تقرا : بيد . ويمكن ان تكون : بعيدون .

٣ ـ مادة الرهوتفيد معنى السهولة والسعة والسكون والرفق ، والعيش الراهي : الرافة .

٤ ـ من رموز الرسالة ، ولعله يريد المحتل الاجنبي ، او الحاكم .

٥ ـ من الواضح ان هذه الاحكام من صاحب الرسالة قد صارت جزءا من التراث الادبي والتاريخي بعد فوات هذه العشرات من السنين ، ومن حق الباحث ان ياخذ منها كما يرد عليها ، حسب ما يتضح له من الحقائق .

٦ ـ يقصد الشيخ عبد الكريم سلمان الذي كان تلميذا وصديقا للاستاذ الامام .

٧ ـ هكذا بالاصل ، ولا حاجة الى كلمة « عن » .

٨ ـ هذا حاشية جاءت في ذيل الرسالة .

٩ ـ يقصد كتاب التعريفات للسيد الجرجاني .

١٠ ـ هذه حاشية اخرى .

١١ ـ يظهر انه يقصد كتب محمود سامي البارودي .

١٢ ـ هذا من رموز الرسالة .

رحلة الجرح الجديد

شدي علي فم الضماد ، أكاد أصرخ من جنوني
جرح يسيل على فمي .. جرح يسح على عيوني
والنار تغضب في العروق تكاد تعصف في سكوني
فوق الجراح أنا ، وفوق الموت والالم اللعين

سأظل أضرب في ليالي الريح أسأل عن سمائي
حمراء لوحها الكفاح ورش قبتها دمائي ...
ولقد زرعت نجومها خضراء في لون الرجاء
اسمي على الآفاق محفور كرغرغة الضياء
أطعمت عين الشمس حنجرتي ولم تسمع ندائي

يا أنت ، ذاهلة الضمير ، حذار يسمعنا الجدار
الصمت سيدنا الكبير ونحن يا كبدي صغار
أبتاه .. ان الدرب ثعبان وليس لنا فرار
هاتي أشد يديك قبرتين ، في قلبي القرار
نمضي معا في الوهم تسفعنا الرياح ولا نثار

جدة ـ السعودية — راضي صدوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سميعا مجيبا .

٢١ جا — ولدكم.: سعد زغلول

مولاي (٨) : بعد كتابة هذا ورد كتاب حضرتكم الى حضرة الوالد الشيخ احمد الليثي ، فتوجهت الى بيت الشيخ عبد الكريم ، وبحثت في الكتب التي هناك ، فوجدت متن الاشارات فيها ، ومقدمة ابن خلدون ، وتعريفات السيد (٩) ، وكلها مرسولة لحضرتكم مع اساس البلاغة ، والنسختين من مقدمة الشرلكان ، ولم يتأخر هذا الخطاب تلك المدة الا لاجل البحث عن النسخة الثالثة من المقدمة المذكورة ، ولما رأينا طول المدة تعجلنا بارسال ما وجدنا ، ولا نلبث ان نرسل النسخة الثالثة عند حضورها من عند الصديق المشار اليه ، او من لدن الباعة مع تاريخها .

٢٢ جا — ولدكم : سعد

الكتب المذكورة (١٠) وضعت بالبوستة مرسلة من الشيخ احمد الليثي باسم حضرة حسن الكبة ، وليس لها بوليصة ، لكونها غير مسوكرة ، فاذا وصل هذا الكتاب فاطلبوها من البوستة ، وهي تسلمها حسب الاصول المعتادة .

كتب سامي (١١) الي الان لم تشهر في المزاد ، ولا زلت اراقبها . البيك صاحب الكتاب (١٢) لم يحضر من بلده . وردت كتب الحضرة على بعض اصدقائه ، ولم نجد بينها كتابا ، ولا فيها سلاما ، فرابنا الريب ، وظننا ان الكتب التي ارسلناها عاقتها العوائق ، ولعلها تكون وصلت ، فنتشرف بكتب الاستاذ ، وما تأخير كتبنا عن حضرته لاشتغال عنه ، بل لتمام التوجه الى الحضرة العلية ، واختيار ما يليق بها على قدر الامكان ، والسلام .

هذه هي رسالة سعد زغلول الى الاستاذ الامام ، ولو فتحت باب التعليق عليها ، او التحليل لها ، من ناحية الشكل ، ومن ناحية المضمون ، ومن جهة الاشخاص المذكورين فيها ، لامتد حبل الكلام وطال ، وليت هذه الرسالة تثير همة الباحثين والادباء لتفضيل ما فيها من اشارة او اجمال .

جامعة الازهر — احمد الشرباصي

كانت اللحظة متفجرة بذاتها ، ولم اكن على استعداد لاقتنع بأن ما يحدث حولي انما هو من قبيل الخيال . وكان معنى الادراك غير وارد أصلا ، ومن هنا ، كان لزاما علي ان اقف ، واتشبث ، ثم لا اقول شيئا . عندئذ كانت النكتة تبدو مأساوية ، ولم اكن احس بشيء ، فقط ، كنت أخجل ، واطرق ، ثم انسحب وقد علا وجهي احمرار لا اعرف كيف اخفيه . وقد قيل لي بعد ذلك انني كنت رائعا مدهشا ، وبطبيعة الحال لم اصدق شيئا من هذا ، مجرد مجاملات لا تحمل في طياتها معنى حقيقيا . غير ان الموقف كان في الواقع ، ينبع من كوني لا أعي ما أقوم به . فقد كنت مضطرا الى الاشتراك في لعبة لا اكاد افهمها . ولم اكن من قبل قد احترفت اية مهنة ، فكنت كمن وضع في برميل من الزيت لا يستطيع ان يتحرك فيه الا بصعوبة بالغة . وكان الدفيء ، ذلك الخدر الذي حط علي في اليوم ذاته ، قد جعلني استشعر احساسا جديدا جدا . كنت غريبا ، اقرب ما اكون الى شخص منبوذ . وتلفت ابحث في العيون عن معنى ، فلم أجد غير الرثاء . واذ كنت احاول ان ابدو ظريفا ، فقد ادركت ان محاولاتي محكوم عليها بالفشل ، لغير سبب واضح . وكانت الغرفة ضيقة ، وكنا نجلس فيها متجاورين حسب الادوار . وكان القرد يقف عند الباب ، واذنه ليست معنا ، وانما هناك ، حتى اذا اقترب دور احدنا ، استدعاه باشارة طفيفة ، وسريعا ما يلبي دون ان ينطق بحرف . وكنت احسدهم : كان الواحد منهم يقف بلا ادنى اهتمام . ويتبختر في مشيته بالرغم من الضيق الذي يبدو واضحا على وجه القرد .

التفت الي جاري وسألني :

ـ ما هو دورك ؟.

لم اكن اعرف دوري تماما ، او الحق انني كنت اعرف ما الذي سأقوم به ، دون ان ادري شيئا عما قبله أو بعده . الشيء الوحيد الذي كان يعنيني ، هو تلك اللحظة التي كنت اقف فيها في الطابور لآخذ اجري . ولكنه لم ينتظر مني اجابة ، اشاح بوجهه عني بمجرد ان سألني . وتململت في جلستي ، وقلت في نفسي : علي ان أجيبه ، فان لم يستمع الي ، فربما قتلته . وامسكته من كتفه ، وادرت وجهه الي . بوغت ، كانت الدهشة قد رفعت حاجبيه الى أعلى ، وظل محدقا في ، ويبدو انه لم يفهم شيئا .

السؤال

بقلم مصطفى ابو النصر

سألته : ـ ماذا تعني ؟.

ظلت ملامحه متجمدة ، وكأنه قد وضع قناعا على وجهه. هل اعتقدت في هذه اللحظة ، انني امام انسان ابله ، لا يعي ما يقول ؟. ربما، ولكني كنت مصرا . كانت رغبتي الحقيقية في التزام الاحترام . ماذا ؟. الم اكن كواحد منهم .

ـ ماذا تعني ؟.

ـ انني لا افهم ، ماذا تريد ؟.

كانت الغرفة غارقة في الصمت، والضوء الشاحب المنبعث من المصباح المعلق في الوسط قد اسدل على ابصارنا غشاوة ، لا يكاد المرء يستبين شيئا محققا من خلالها . كان لا بد من التحديد، من وضع الامور في مكانها الصحيح . فاندفعت اهزه في عنف : « ماذا تعني ؟.. اقول ماذا تعني ؟. »

اطل القرد برأسه الاسمر من فرجة الستار الجانبية . لا بد ان صوتي كان قد وصل اليه ، او ان شيئا من الضجيج قد تسرب الى الخارج . كانت عيناه ترمقاني ، ولكني لم اهتم ، بل لم الق اليه بالا . وفجأة قال القرد : « دورك.. دورك » . كان يشير له بكلتا يديه، وكان واقعا تحت قبضتي . علي اذن ان اتصرف ، ان اقف واعلنها صراحة : لا يمكن قبول هذا . ولكن كان كل شيء قد اعد بنظام ، والدور هو الدور ، واي خلل ربما ادى الى فضيحة . عندئذ كان التعقل اساس التصرف كله . « ليكن ذلك غدا . » انفرجت اصابعي ، فقام من فوره واختفى .

احاطتني العيون من كل جانب . كنت المركز ، وكانوا المحيط . ربما ضاقت الدائرة ، وربما خنقتني . وجاءني الصوت حادا مباشرا ، لا عوج فيه : « ما الذي فعلته ، الا تدري أي مسؤولية كنت ستقع فيها ؟ » كان يجلس أمامي ، وكانت يمينه قابضة على رمح طويل تكاد ذؤابته تصل للسقف ، وصدره قد اختفى خلف زرد من الحديد الاسود ، وعلى رأسه خوذة نحاسية لامعة . كل هذا الهيلمان وهو بعد ما زال جنديا . وتصورت أن هذه الحربة ربما انغرزت في صدري ، وخرجت من ظهري . تلك حقيقة ربما صارت واقعة ازاء موقفنا هذا. العيون تخرج من مغاورها ، وانا المتلقي ذو الكلمة الواحدة . الصوت جهوري، والجميع في صمت مطبق. هل اضحك أم ابكي ؟. لتكن ضحكة مجلجلة ، وبعدها الصمت الكامل ، الصمت الاخير . ولكن ما شأنك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متاهة

★

أبراج شهب في الفضاء تدور ... بالضوء تومض تارة وتفور
وأرى السماء على بساط أزرق ... يطوي النسيم بعطره فيمور
ويجيش في نفسي الحنين لغيبها ... والغيب في سفر طوته صدور
عجبا من الدنيا ينوح جنينها ... وينوء من فرط الانين كبير
والارض ما دارت لتفقد ظلها ... بل خالق الكون العظيم يدير
والشمس ما فنيت بوقد لهيبها ... فالنور سر حياتها ، الاكسير
ان الكواكب في مدار مطافها ... غرر غرار الوهج وهي تسير
علقت بها نفسي وكنت خدينها ... طفلا وما زال الغرام يثير
عمري نشرت عقوده في لجة ... مخرت به الاوهام وهو قرير
واليوم تهصرني الهموم ولا سنا ... يبدو ، ولا طيف الحبيب يزور
سر يا شراعي في خضم متاهة ... غامت على الشط البعيد بدور

روما ـ ايطاليا — احمد عبد الجبار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انت ؟. انت جالس الآن ، في انتظار وقفة تكاد تشبه الجدار . اذا سولت لك نفسك الكلام ، او حتى النظر الى حيث لم تؤمر ، فقد انتهى كل شيء . هل اقول لك كلمة واحدة ، وبعدها ليكن ما يكون ؟.

عاد القرد ينظر في بلاهة معتوه. لم يقل شيئا ، كانت نظراته اسئلة صامتة ، وكنت صامتا ، جامدا ، اتأمل الزرد الاسود، محاولا اختراقه للوصول الى القلب . كان العمق لا نهائيا ، وبحركة واحدة قد اسقط في القاع . وانتابني تأرجح جعلني اشعر بأنني اتهاوى ، اتناثر . لا تخش شيئا. ولتقل كلمة واحدة، والمطلوب بعد ذلك ان تحدد الموقف، والا فما معنى هذا ؟. وقلت في صوت حاد ، اردت ان يكون وراءه شيء ما ، على انني لم اكن ادري ما هو هذا الشيء :

ـ سألني ، ثم اشاح بوجهه عني، لم ينتظر مني اية اجابة ، ماذا كنت استطيع ان افعل غير ذلك .

يبدو ان احدا لم يفهم شيئا ، وزحفت حية وجلست بجانبي ، في نفس المكان الذي خلى بقيامه ، وسألتني بصوت كالفحيح : « لماذا انت غاضب ؟ » نظرت اليها وفكرت الا اجيبها ، ولكني تذكرت موقفي : « تصوري الا اجيب عليك ، ما الذي ستفعلينه ؟ » . انطلقت منها ضحكة ، ما لبثت ان كتمتها وقالت:

ـ لا شيء .. لقد اعتدت على ذلك .

ـ كيف ؟

ـ اننا دائما هكذا .

ولكني لم اقتنع فقالت :

ـ الليلة بعد ان ينتهي دورنا ، سنذهب سويا ، اليس كذلك ؟

فأومأت لها براسي موافقا .

خرجنا سويا ، ذراعها في ذراعي . كنت سعيدا ، ولم اكن متأكدا من شعورها .

قالت لي بعد ان ابتعدنا قليلا :

ـ اما زلت غاضبا ؟

ـ كلا .. ولكني لا افهم شيئا .

ـ ما الذي تريد ان تفهمه ؟

ـ لا ادري .

ـ اننا نقف عند السفح ، ولا نستطيع ان نفعل شيئا سوى النظر الى اعلى .

ـ فعلا .. اننا نقف عند السفح، ولا نستطيع ان نفعل شيئا سوى النظر الى اعلى .

القاهرة — مصطفى ابو النصر

غروب ثلاثة من الكتاب السوريين

بقلم وداد سكاكيني

* * *

فقد ادبنا العربي الحديث هذا العام ثلاثة من المع الكتاب السوريين ، تشابهوا في بناء انفسهم ومواهبهم ، وتفاوتوا في الثقافة والوجهة والمزاج ، فأما اولهم واكبرهم سنا واسبقهم الى الظهور والغياب فهو ابن دمشق من حيها القديم « الامين » (١) الذي عاش فيه وجيه بيضون طفلا ورجلا ، كادحا دائبا وفارقه كهلا موسرا مشغولا في البناء لاولاده ووطنه .

كانت في حياة هذا الاديب العصامي غصص وحسرات فيها العبرة والعجب ، وفيها الانسانية الدائبة في تحقيق الذات والصفات ، على انني لست بسبيل التفصيل والتأويل لما رافق هذه الحياة الشاقة التي عاش فيها وجيه بيضون بعيدا عن الوجاهة والضوضاء ، حتى غدا سعيدا بعمله قانعا بما وصل اليه بجهده ودأبه .

لقد عاش محروما حنان الام لجهل الاب فانطوى على نفسه بأحزان وهوم كانت معلمته الاولى ، وكأن القدر خط له منهاج عمره وتفكيره ، فألقاه في معجزة الطباعة يمارس صفيف الحروف والسطور أمام الصناديق التي طالما احنت الظهور واذابت نور العيون وأكلت الاعمار بالتكرار ، لكن وجيه بيضون الذي تفتح وعيه على سر المطبعة وفضلها جعل منها مدرسة يفيد مما بين يديه من كتبها وفي رحابها ومع اهل الفكر والادب الذين علموه او صادقوه ، وكأي من طابع كان آلة تجاه آلة متحجر العقل خفيف الاصابع فانسلخت حياته في وقوف يومي لم يفد منه سوى لقمة العيش ، اما تلميذ المطبعة وجيه بيضون الذي تلقى ثقافته فيها كما تلقاها من الحياة التي علمته اكثر مما علمته المدرسة فقد استطاع ان يبني قلمه بالعربية البليغة وان يقتحم مدرسة اجنبية في حي باب توما درس فيها الفرنسية التي احبها وترجم عنها .

ولئن ضمن لوجيه بيضون الفتى اجر العامل في المطبعة اسباب المعيشة فان المثابرة والاتقان شقا له طريق النجاح ليكون صاحب مطبعة اتاحت له انشاء مجلته « الانسانية » ونشر مقالاته الادبية والاتصال بالمفكرين والادباء الذين عرفهم بشخصياتهم وآثارهم وعرفوه على حقيقته وعصاميته اديبا موهوبا متمرسا بالتعبير الفني في قصصه ومقالاته ، ولو ان وجيها عرف حق نفسه عليه لجاءت منه المؤلفات بالعشرات .

كانت « العبر » باكورة آثاره فيها محاكاة للاسلوب المنفلوطي الذي كان شائعا في ايامها ثم تحرر اداء الاديب بيضون من التقليد لكنه على بلاغته وتجديده بقي مشدودا الى قديم في اللغة لم يألفه الذوق الحديث وهذه اسماء بعض كتبه التي خرجت من مطبعته : العبر ـ فن الحياة ـ صراع مع الحياة ـ فن النجاح ـ اناتول فرانس ـ بين الصناديق ـ وغيرها .

ومن المؤسف حقا ان يمضي وجيه بيضون بصمت وان لا يعلم بموته اخوانه الادباء لولا اوراق النعي التي الصقت على الحيطان في الاحياء القديمة ولو انه كان يؤثر الشهرة والظهور لماجت مدينته بالحزن على غروبه يرحمه الله .

اما الاديب الثاني الذي كان يتفقده حيا اصدقاؤه وقراؤه حتى غاب عنهم وجهه فهو الكاتب الكبير محمد روحي فيصل الذي عرفه لبنان والعالم العربي بأكثر مما عرف الوجيه الذي سبقه والفؤاد الذي لحقه بعد شهور ، فمنذ بدأ محمد روحي فيصل الحمصي مولدا ومقاما دراسته العلمية في الجامعة اليسوعية ـ بيروت ، كان قلمه جوالا في الصحافة والادب حتى لفت الانظار والافكار الى دراساته الفكرية والنقدية في كبريات الصحف والمجلات وكأنه في مقالاته وبحوثه احد الجامعيين الاعلام ممن تمرسوا بالتدريس والتأليف ، وكان صافي النفس من اكدار الادباء المنطوين على طواياهم بالحسد والدسيسة والملق يؤثر القول الصراح في النقد والاسلوب، لكن هذه المنازع في موهبة الاديب المطبوع وفي اتجاهه وحياته قد اقصته عن المناصب التي تتطلب المصانعة فتجهمت له الحياة والاحياء ولم يلق بشاشة وبحبوحة لديهما ، فكابد الجفاء والعناء في عيشه ، ولم تمنحه الوظيفة الصغيرة والنفس الكبيرة سوانح الانطلاق فكبت طموحه وابداعه ليؤمن الكفاف بالزهيد لاسرته وبيته ، وقيل ان اديب حمص الذي كان مرجوا للادب الحديث كان مغلوبا على امره في ارضاء منازعه الفكرية والنقدية منساقا وراء قلمه الفياض الذي صرفه عن دراسته الجامعية ليمضي في درب محفوف بالشوك ، ولو قيض لمحمد روحي فيصل اليسر والطمأنينة في المعيشة لتعددت مؤلفاته واحتل المكانة التي بلغها من لم يؤت مثل سجاياه .

ففي عز شبابه وأدبه كاد الدكتور طه حسين ينشر على ضفاف النيل مقالاته الممتعة عن أعلام الادب الفرنسي الحديث وروائع الثقافة اليونانية القديمة فيتجاوب منها روحي فيصل على ضفاف العاصي وبردى ويبادر الى تقديم دراساته القيمة عن نوابغ الادب الذي وعاه على الحداثة ، وتعمق في اصوله وفنونه ناضج الفكر والتعبير،

١ ـ سمي هذا الحي باسم عميده الامام العلامة السيد محسن الامين العاملي .

جامعا بعض المختار منها في كتابه الصغير « من النقد الفرنسي » وفيها فصول لكبار المفكرين والشعراء منهم بول فاليري وغوستاف لانسون وآبل بونار .

وكان الفن القصصي في ادب بلاده يتفتح عن مواهب جديدة فكتب محمد روحي فيصل القصة ونقد منتوجها ، وكان اتجاهه للنقد الادبي اقرب الى نفسه ومقدرته ، وقد تجلى هذا في كتابه « تحت المبضع » الذي نقد فيه قصائد الشعراء الذين شاركوا في مهرجان المعري بدمشق عام ١٩٤٤ كما ظهرت ثقافة اديب حمص فيما تناول من دراسات تحليلية كان منها كتابه « مذهب في الشعر » دل على ذوقه وفنه .

ولولا أن الدواهي كانت تدهم هذا الاديب الناقد في حياته ووجهته لتعددت آثاره ، وامتدت اخباره فقد لقي الجفاء والبلاء حتى غاب عن الدنيا قبل الستين . وكان المنتظر من اديب الوفاء والمروءة عدنان الداعوق أن يدعو كعادته لذكرى هذا الكاتب الكبير الذي كان من بناة الادب الحديث .

اما الاديب الثالث الذي بغت موته بعيدا اهله واصدقاءه فهو فؤاد الشايب الذي انبتته « معلولا » الجميلة جارة صيدنايا وبلدة النواقيس والديارات من مصايف دمشق .

نشأ فؤاد الشايب مطبوعا على الفكرة العربية فحمل منذ صباه مودتها وتعلقت سيرته ودراسته بالادب الحديث والصحافة البانية اكثر مما تعلقت بالدراسة النظامية وهو الذي انطلقت مواهبه في قلم مبكر ثائر ، فانصرف الى التعبير عن أشواق الحرية والعروبة في قومه وبلاده ، وكانت الحياة النضالية تستهوي الشباب العربي الصاعد فاقبل فؤاد الشايب على هذه الحياة بكل ما أوتي من ثقافة وحماسة ومن قوة الكلمة والاداء مشاركا رجال السياسة والوطنية في مناضلة الاحتلال حتى انهزم مدحورا وتحقق الجلاء ، فكان من نصيب فؤاد الشايب الذي ادخل الادب على الصحافة ان يمارس التعبير في الوظيفة والاذاعة لما فيه خير العروبة والقومية فلمع نجمه في فلك السياسة واعلامها من وراء الخطب والمقالات التي كان يرددها مسؤول بعد مسؤول في عهد البناء بعد الجلاء .

وبمقدار ما تجافى وجيه بيضون ومحمد روحي فيصل عن السياسة ومتاعبها كان اقدام فؤاد الشايب على هذا المركب الحرج طوع طبعه لا اضطرارا وقسرا ، اذ وجد فيها السبيل الى منافذه في الادب والوظيفة ، وكانت الدماثة والكياسة تمهد له ما شق على غيره الوصول اليه فاغنته هذه السجايا والمزايا عن المؤهلات العلمية التي اختصر دونها الطريق .

وكانت طريق الادب التي سلكها في زهوة عمره تريه جدب الحياة اذا لم تمطرها السياسة فاقتحمها وقدم لها قلمه ليكون كاتبا فيها لا اديبا فيما خلق له وهو البادىء بالمقال والقصة المبدع فيهما ، وقد ابقت له مجموعته القصصية « تاريخ جرح » ذكراه في هذا الفن الذي كان يرتجي نتاجا خصبا من فؤاد الشايب ، لكن هذا الاديب لم يكن يجد السوانح والحوافز لمثل هذا التعبير ، وقد شغلته مجلة « المعرفة » عما كان يدور في خاطره وشعوره من موضوعات عاش فيها ليكتبها على رسله بعد الوظيفة ، ولعل بعضها في مطويات اوراقه وذكرياته ترتقب من يبعثها وينشرها .

وبعد فان فؤادا الشايب الذي كان موته لوعة وفجيعة لاهله وعارفي ادبه وفضله قد بلغ من دنياه منزلة رفيعة ادركها بمواهبه التي بناها بنفسه وبكفاحه الطويل الذي امتلأ بصور الاديب العبقري والصديق الصادق والانساني الرفيع ، وقد دل على ان اللباقة والذكاء يستطيعان اذا شاء القدر والزمن ان يغيرا المكتوب على جبين الاديب اذا لم يكن وارثا ، وكان ادب الشايب النضاح بنضرة الحياة والابداع جديرا بالبقاء ، ولعل الاصدقاء يتفرغون لجمع مقالاته وانطباعاته ونشرها في كتب أو مجموعات .

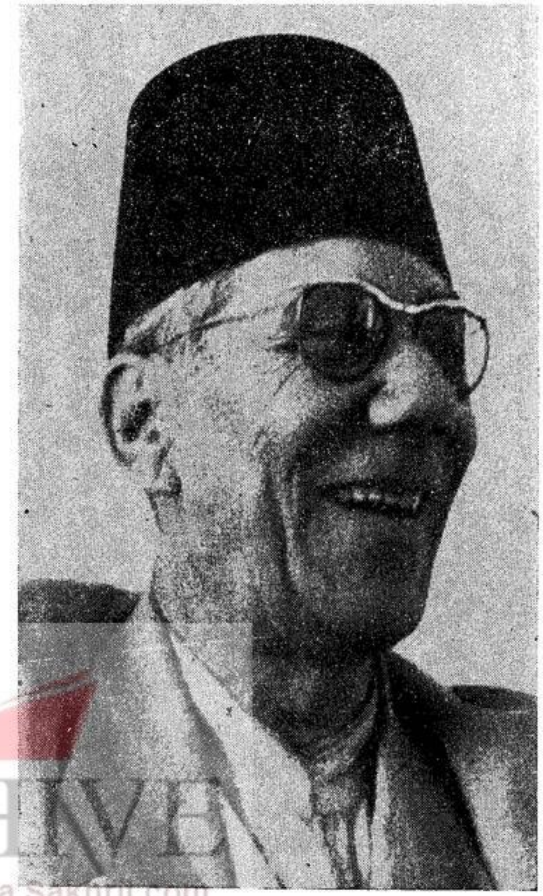
هؤلاء الكتاب الثلاثة بنوا انفسهم ومواهبهم وشاركوا في جهود غيرهم قد تفاوتت اقدارهم وآثارهم وتلاقت مصائرهم وسيبقى كل منهم عبرة وذكرى وامتدادا في محصولهم للادب الحديث ، فحياة كل منهم في سعيها وتحفزها مفعمة بالتجارب والاحداث ، فما احراهم بالدراسة والتكريم الذي يدل على الوفاء والتقدير .

دمشق — وداد سكاكيني

حب بلا أمل

لولا فؤاد لذكرى هاجريه هفا
ما كنت أشكو اليكم في الهوى سرفا
كم ذا شكونا ، ولكن رغم لوعتنا
لا رق جفن لشكوانا ، ولا عنفا
وما اللآليء تهمي من محاجرنا
الا أمان غدت من شجوها نتفا
يا من نحبهم حبا بلا أمل
أنتم جفوتم ، ولكن الفؤاد وفى
للعطر ما همست نجوى بخاطرنا
وللصبابات ما جفن الهوى ذرفا

فوزي عطوي



محمود ابو الوفا

غربة شاعر

بقلم وديع فلسطين

حين يخلو المرء الى نفسه ، لا مراجع لديه الا الذكريات وما تحكيه ، ولا معين ينهل منه الا الذاكرة وما تستوعبه ، تتوضح امامه صور الاشياء في اطارها الباقي وابعادها الحقيقية مستصفاة من دقائق التفاصيل ، مجلوة في الذهن كما ارتسمت على صفحته في ختام اشكالها .

فالذهن مهما اخصب وكثرت روافده ، ومهما اتسع ورحب ، يختصر الحادثات الجسيمات في الفاظ معدودات ، ويقتضب الحياة الحافلة في كلمة او عبارة يلخص فيها جماع الامر كله ، وهي القول الفصل .

ومن هذه الزاوية الذهنية المجردة ، اتأمل على البعد حياة شاعرنا الكبير محمود ابي الوفا الذي يدق اليوم ابواب السبعين ، فأرى حياته مجملة في لفظة واحدة هي « الغربة » ، لانه وان كان شاعرا لا طعام له ولا شراب الا الشعر ، فقد استغرقه الشعر حتى نحاه عن مشاغل الحياة واورثه هذه الغربة التي رافقت كل عمره ، وما اقساها من غربة .

ولقد صور الشاعر العظيم هذه الغربة من سنوات مديدة في قصيدة رثى بها نفسه لاستيثاقه من ان حياته ستمضي بغير رثاء ، وعمره سينقضي في صمت ان في الحياة وان في الموت ، فقال في مطلع تلك القصيدة الباكية الاسيفة :

في ذمة الله نفس ذات آمال ... وفي سبيل العلى هذا الدم الغالي
بذلته ، لم اذق في العمر واحدة ... من الهناء ولا من راحة البال

الى ان يقول :

كانني فكرة في غير بيئتها ... بدت فلم تلق فيها أي اقبال
او انني جئت هذا الكون عن غلط ... فضاق بي رحبه المأهول والخالي!

صورة تنبض كل لفظة من الفاظها بمرارة قاتلة : فالفكرة غريبة في بيئتها ، نبتت دون ان تصادف من الناس أي اقبال او احتفال ، والشاعر وفد على الكون عن غلط فضاق به ـ على رحبه ـ ما كان منه مأهولا او خاليا .

غربة في الفكر احس بها محمود ابو الوفا احساسا بلغ مبلغ اليقين ، وفي كل عمره دلته الحياة على انه « الشاعر المنسي » دائما ، فلا يذكره الناس حين يفاخرون بشعرائهم ، ولا يستنشده القوم حين يستبد بهم الشوق الى الشعر المتعالي القمم ، ولا مكان له الا على الهامش ، ولا يصدق فيه قول الشاعر القروي رشيد سليم الخوري « بشاعرها فلتفتخر كل أمة ... »

وقد صور ابو الوفا هذه الغربة في قصيدة اخرى تدور حول ذاته ، قال فيها :

امشي وقلبي على كفي اقول الا ... من راغب في فؤاد صادق حان
يحب حتى كان الارض ليس بها ... الا زنابق من آس وسوسان
وليس في الارض من بغض ومن احن ... وليس في الارض من زور وبهتان
فلا وربك هذا القلب ما التفتت ... عين اليه ، فيا للبائس العاني

وهو هنا يذكرنا بالجوابين من التجار الذين يذرعون الدروب طول اليوم ينادون على عروضهم وبضائعهم بأجمل الصفات والنعوت . وبضاعة ابي الوفا التي يحملها على كفه هي « قلبه » ، يمضي به ، كما هي سنن التجار الجوابين ، مناديا على البضاعة بأوصاف الحسن : فقلبه عامر بالحب مبشر بالوئام ، يطلب للارض ان تمتلىء بالآسى والسوسان والزنبق ، وان تخلو من البغض والاحن ومن الزور والبهتان ، فاذا انتهى الشاعر من طوافه في آخر النهار ، جلس يتقصى حساب الربح والخسارة ، فالفى بضاعته بائرة وسوقه كاسدة وقلبه المزجى امام الناظرين لم تلتفت اليه عين . فيا للبائس العاني ! شأنه في هذا شأن خليل مطران الذي توهم وهو يحاسب نفسه على حياته الشعرية حسابا عسيراً ، ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بضاعته معرض عنها ، فقال في قصيدته الشديدة الانين المدوية الرنين :

ورجعت من سوق عرضـ ـت بضاعتي فيهـا بغبن

زرت ابا الوفا ذات يوم ، وكان قد عاد لتوه من الدار الناشرة لديوانه ، فسألته : ما الاخبار ؟ فقال انه اجرى مع الدار حساب سنوات اربع ، وان صافي ما نقدته الدار من « ارباح » الديوان في تلك السنين الاربع هو سبعة جنيهات وكسور . فقلت له ان شعرك لا يقاس بمقاييس المال صاعدة وهابطة لان المال اسرع الى كل رخيص ومبتذل منه الى كل نفيس جيد . فقال : ولكن المال معيار لانتشار هذا الشعر او بواره ولاقبال الناس عليه او ادبارهم عنه ، ومع هذا فانا فرح بالقلة القارئة لهذا الشعر المؤدية عنه ثمنا . وبينما نحن جالسان ، جاء ساعي البريد وفي يده رسالة من الجابي تطالب الشاعر بمئات من الجنيهات عن ارباحه من الشعر ! فكان تعليق ابي الوفا : أيقاظ نحن ام في حلم ؟ ثم تذكرت بضاعته المعروضة، والسوق المنصوبة، وحساب الربح والخسارة، وكان الصمت بعد ذلك أبلغ تعليق .

ولعل ابا الوفا حين سعى وقلبه على كفه يعرض على الناس بضاعته ، انما كان يرمز بالقلب الى شعره ، بل الى شاعريته ، بل الى كل حياته ، فانتهى به يقينه الى ان الدنيا تجفوه ، او انه يعيش فيها غريبا ، وان مقامه فيها مقام الضيف العارض الذي يتعجل الانصراف مخافة ان يحمل عليه حملا .

ويواصل ابو الوفا تصوير مأساة حياته وغربته في ابيات وجهها الى الشاعر حافظ ابراهيم مترجم رواية « البؤساء » لفيكتور هيجو ، فيقول فيها :

يا صاحب البؤساء جاءك شاعر يشكو من الزمن اللئيم العاتي
لم يكفه اني على عكازة امشي فحط الصخر في طرقاتي
ثم انثنى يزجي علي مصائبا سودا كالوان الدجى جهمات
وغدوت في الدنيا ولا ادري أمن احيائها انا ام من الاموات

وصف صادق ينضح مرارة ، فيختلط الامر على الشاعر حتى يعز عليه ان يتبين اهو من الاحياء ام من الاموات !

وهو وصف يذكرنا بقول الشاعر بولس سلامة لعواده :

واذا الجريح اتيته لتعوده فلقد اتيت مقابر الاحياء

وفي مناسبة اخرى يعود الشاعر ابو الوفا الى الحديث عن غربته التي اورثته الهم وطردت البسمة من حياته والبسته اردية الحزن القاتم ، فيقول :

عهد الصراحة ما بال الصريح به لا يملك النطق الا بالكنايات
احب اضحك للدنيا فيمنعني ان عاقبتني على بعض ابتساماتي

حتى اذا فاض به الكيل وبلغت النفس مبلغها من الاسى ، نظم قصيدة عنوانها « امواج » ووجهها الى ميخائيل نعيمة والمرحوم الدكتور احمد زكي ابي شادي صور فيها الغربة الاليمة التي ليس هناك ما يبددها ، ثم تذكر طوفان نوح وما قد يجيء به من انقاذ ، ولكنه بدلا من ان يلعن الناس دعا لهم بالغفران ، قائلا :

نوح انا غير اني لا اريد لهـا طوفان نوح ، فهل ادعو بغفران ؟

فيا لسماحة نفسه وانسانية قلبه .

وليست مأساة الشاعر ابي الوفا نابعة من انه « لم يسترد الساقا » — على حد تعبير احمد شوقي القائل في ابي الوفا :

سباق آيات البيان جرى بـلا ساق ، فكيف اذا استرد الساقا

ولكن مأساته التي يهتدي الى مكمنها من يلقي نظرة عميقة نافذة الى حياته هي في تلك الغربة الفكرية التي لازمته العمر كله وتركت آثارها في شعره الذي يقطر حزنا وأسى .

ذهبت معه ذات مساء الى هضبة مرتفعة يهواها ويحن اليها ويجتمع فيها بالزبدة من اصدقائه قبل ان تفرقهم نوائب الحياة ، وكانت الامسية بليلة الهواء ، والريح تعبث بعباءته فتطيرها حتى لقد قلت له : أتصورك فراشة تريد ان تطير وتحلق بعيدا . فقال : بل انني يا صاحبي محلق دائما في اجواء الشعر ، منسلخ من دنياكم الغظة التي لا تطالعنا الا بواقعها الغليظ وماديتها الثقيلة . واحلامي كشاعر خير من واقعكم كماديين منكبين على الكسب متزاحمين على الارزاق .

وقد تعاظمت الغربة الفكرية لدى ابي الوفا عندما اخرج ديوانه الاول قبل اكثر من ثلاثين عاما ، واتفق صدوره مع صدور دواوين للمرحوم الدكتور ابراهيم ناجي والمرحوم علي محمود طه المهندس والشاعر محمد مصطفى الماحي . وكان الدكتور طه حسين مشتغلا بالنقد الادبي يحرر صفحة كاملة في يوم الاربعاء من كل اسبوع في جريدة « حزبية سيارة » وكان طه حسين يحب علي محمود طه ويؤثره على غيره من الشعراء ، فعقد فصلا حوله رفعه الى اعلى مراتب الشعر ، ثم تحول الى غيره من الشعراء كإيليا ابي ماضي وابراهيم ناجي ومحمود أبي الوفا وانكر عليهم الشاعرية انكارا كاملا ، وسخر من « ادعائهم » الشعر أبلغ سخرية ، ونصحهم بترك هذا الميدان لابطاله ، ولا ابطال هناك الا علي محمود طه . (وهذه الفصول النقدية جميعا منشورة في كتاب « حديث الاربعاء » للدكتور طه حسين) . وكان طبيعيا ان تترك هذه الحملة آثارها النفسية في اولئك الشعراء الطالعين . اما ابراهيم ناجي ، فركب أول سفينة مبحرة، وسافر الى انكلترا غاضبا حزينا مما صوره في قصيدته لدى عودته الى دياره وكانت ساقه انكسرت في الطريق ، فقال :

هتفت وقد بدت مصر لعيني رفاقي ، تلك مصر ، يا رفاقي
أتدفعني وقد هاضت جناحي وتجذبني وقد شدت وثاقي
خرجت من الديار اجر همي وعدت الى الديار اجر ساقي

اما ابو الوفا فقد كان وقع حملة طه حسين عليه اليما ، ففكر يومها في ترك الشعر والاشتغال بأي صنعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لانه غريب بين الشعراء ولان طه حسين لامه اشد اللوم على تطفله على دنيا الشعر .

واذكر بين قوسين ان الدكتور طه حسين عوتب من صديقه الدكتور فؤاد صروف على هذه القسوة ، فأبدى الدكتور طه اسفه لانه قال ما لم يعتقده ولان هؤلاء الشعراء ليسوا كما وصفهم . ثم ان الدكتور طه حسين سئل في بعض مجالسه الخاصة ـ وكنت انا السائل ـ حول شاعرية ابي الوفا وهل هو ما زال ينكرها ، فقال في دهشة المستنكر للسؤال : وهل انكر احد شاعريته ؟

وازداد امر الغربة الفكرية تعاظما لدى الشاعر بعد مطالعته الدنيا الادبية بملحمتيه الفريدتين « عنوان النشيد » و « النشيد » ، وفيهما دعوة اخلاقية واحلام شعرية حول الانسانية المطلقة والكون الهانيء السعيد . وكان الشاعر يحسب ان هذا المنحى الجديد في نظرته الشعرية الى الانسان يكسبه التصاقا اوثق والتحاما احكم بالجماعة الانسانية التي هو منتسب اليها . ولكن هذه الدعوة المتبصرة قد صادفت من القوم صدى من اثنين : اما انصراف عنها لان الشعراء ليس من صنعتهم تاويل الغايات وتعليل الظواهر ووصف المجتمعات الفضلى كما تتراءى لهم ، لان هذا شغل الفلاسفة ورجال الاجتماع كأفلاطون والفارابي وتوماس مور وكوندورسيه واخيرا وليس آخرا خليل رامز سركيس . وناهيك بأن المعاني الاخلاقية التي انبثت في شعر أبي الوفا قد ارتطمت هنا وهناك ببعض المسلمات والمواضعات مما كان يمكن التجاوز عنه بعلة ان للشعراء شطحات وبداوات في كل ميدان ، ولكن بعض أهل التزمت نفر من هذا المنحى الشعري ، فأحس ابو الوفا بمزيد من غربة الفكر .

ثم كان الصدى الآخر لهاتين الملحمتين الشعريتين ، وهو تحميلهما من المعاني الفلسفية والنفسية بل الفيزيولوجية اكثر مما تحتملان ، فتحول ابو الوفا في لحظة الى داعية لشيء شبيه « باليوجا » الهندية التي تخصص اليوم فيها الشاعر عمر ابو ريشة ، وهو امر لم يكن ليخطر لابي الوفا ببال . فازداد الشاعر احساسا بل يقينا بأنه « فكرة في غير بيئتها » لانه يؤمن بانه شاعر وحسب ، بينما الناس تحاول ان تصنفه بين المصلحين الاجتماعيين والفلاسفة الاخلاقيين والمفسرين المجتهدين والمربين الاجلاء ، وهي صفات لا ادعاء له بها ولا مطمع له في انتحالها .

وضاعف من غربة الشاعر الفكرية كونه يرى ان الشعر موهبة والهام وسليقة ، وليس حرفة يدوية تحترف او محاضرة خطابية تلقى او مقالة حماسية تحرر او كلاما يرتجل في مناسباته اليومية ويكلف الشاعر اعداده تكليفا . فليس لدى ابي الوفا حانوت لتوريد الشعر ولا لتوليده ، وهو لا يعرف كيف يفصل شعره على كل مقاس ويراعي فيه جميع المواصفات دون ان يتنكر « للموضة » السارية . فأبو الوفا لا يقل الشعر الا اذا انثال عليه هذا الشعر انثيالا تلقائيا لا ارادي ، والا اذا وافاه بعد اقتناع وتأمل وتدبر . وهو لا يملك « مصنعا » لانتاج الشعر ، وليست لديه « قوالب جاهزة » لنظم القصائد الصالحة للمناسبات العارضة . كل هذا جعل شعر ابي الوفا يدور في كثرته حول محور الذات ، فلا شعر له في رواد الفضاء ، ولا قصيدة له في رثاء « الدكتور سالازار » زعيم البرتغال ! واعتقد الناس ان ابا الوفا لا يعيش في هذه الدنيا ولا يساير الشعراء في الموضوعات التي يتناولونها ـ كذلك الشاعر الذي قال في احدى قصائده « وشربت شايا في الطريق » فصفق له النقاد لانه اتى بمعنى لم يسبق اليه أحد في العالمين !ـ وقيل ان ابا الوفا منبت الصلة بآلات« التيكرز » الصحفية التي تخرج منها الاخبار الدولية طوال اليوم ، وما على الشاعر الا ان يجلس الى جوارها ، فاذا قرأ خبرا نظمه شعرا واعلنه في مسامع الدهر !

فاذا تحدث الناس عن « البرج عاجية » فأبو الوفا قد انتبذ لنفسه اقصى الاماكن تطرفا واعتزالا في هذا البرج ، وان تكن جدرانه من الآجر لا العاج ! واذا تحدثوا عن الالتزام ، فأبو الوفا حالم ينشد اناشيد الحب والهوى ولا يقول شعرا في مشكلة « مياه المجاري » كأي ملتزم صارم الالتزام ! واذا تحدثوا عن التجديد ، فأبو الوفا ما زال ممسكا بقيثارة الموسيقى والاوزان ، وهي قيثارة تحطمت على أيدي المجددين على الرغم من صرخات الدكتورة نازك الملائكة ! واذا تحدثوا عن العنتريات ، ألفوا ابا الوفا داعية حب لا داعية خطب (بفتح الخاء وتسكين الطاء) ، وانه شاعر انساني يقول في بعض شعره :

وطني هو الارض، كل الارض لي وطن احبها كلها حبي لاوطاني

والناس في يومنا هذا لا تدين بهذا المذهب العالمي الذي كان من دعاته « وندل ولكي » بكتابه « عالم واحد». واذا تحدثوا عن العقائد الايديولوجية الحديثة التي لونت كل شيء بألوانها « القوس قزحية » ، وجد أبو الوفا عاريا منها لا تستره ورقة توت . وكان طبيعيا ان ينعكس هذا كله على نفس أبي الوفا ، فازداد احساسا بالغربة الفكرية ، تلك الغربة التي من اغلظ سماتها ان يسمع الشاعر بأذنيه اسمه وهو يذكر مسبوقا بصفة «المرحوم»، وان يقرأ هذا الاسم غير مرة مقترنا بعبارة « رحمه الله»، وهو ما تورط فيه حتى صديقنا الاديب الدؤوب البدوي الملثم يعقوب العودات ، سامحه الله وغفر له . فلقد بلغت الغربة منتهاها بهذا الانكار الفظيع لوجود الشاعر وهو بعد على قيد الحياة !

ومع ذلك ، فان الشاعر ابا الوفا في غربته التي فرضت عليه فرضا ولم يكن له فيها خيار او عنها محيص، يحشد في شعره معاني الحب والخير والوفاء ، وكلها عبارات لو فسرت على حقيقة معناها لكانت عتابا من

الشمس ومواسم الصقيع

أبوابنا الطينية الصفراء
مشرعة .. كدمعة على فم السماء
والشمس خلف صمتها العجيب
تحجبها الحراب والدماء ..

أبوابنا مشرعة كليلة كئيبه
والصمت والقوافل الغريبه
وبيتنا لم يغتسل في موجة الرياح
تغسله الدمـاء والجراح

شباكنا العتيق تحترق ببابه الدموع
والشمس لا تعودنا في موسم الصقيع
الشمس والرياح تبحثان في المجاهل العقيمه
عن مقلة الاطفال .. عن تاريخنا الجريح
الشمس والرياح تبحثان عن شواطىء الدماء
وعن جداول لا تعرف النحيب
وتبحثان عن سمائنا القديمه

بالامس مرت نسمة حارقة مجنونه
تسأل عن أمجادنا المدفونه
عـن شمسنا ..
عـن أرضنا الحنونه
تسألنا في رنة حزينة
نسقط نحن في قساوة الجواب
ونسأل النجوم والسماء والتراب
من يحمل الجواب يا ترى ؟

من يمسح التراب عن عيوننا
ويرفـع الحـراب ؟؟

يا خجلة الشعاع أن يشرق في ديارنا
وشمسنا تموت في النوافذ المصلوبه
تزحف في غابات رعبنا
سنابـلا منكوبـه
تأتين في تضرج الجراح
في موتنا ومن تفتح الاقاحي
وتحملين للاحبة الصغار
حفنات حب أو دمار
وتبذرين في ترابنا صواعقا ونار
يا أنت يا قوافلا لا تعرف النحيب

يا شمسنا .. سنشرع الابواب من جديد
نحطم السلاسل البليده
وكل قيد أو حديد
يا ريحنا .. يا شمسنا فلتشرقي في بيتنا الجديد
فنحن غرقى في نحيبنا
وانت المنقذ الوحيد
في زهرة تفتحت على فم الصغار
لنغسل النوافذ الطينيه
ونشرع الابواب للنهار

السعودية — سميحة التوبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر . ولكأنه يقول : اعطيتكم الحب والوفـاء والبـر فكان جزائي غربة في الفكر وغربة في الحياة وغربة حتى في الاغتراب . اليس هو القائل انه « لا يستقر على حال من القلق » ! فالقلق عنده متواصل القلق ، ولا استقرار له حتى على وتيرة واحدة من هذا القلق المفزع . أوليس هو القائل :

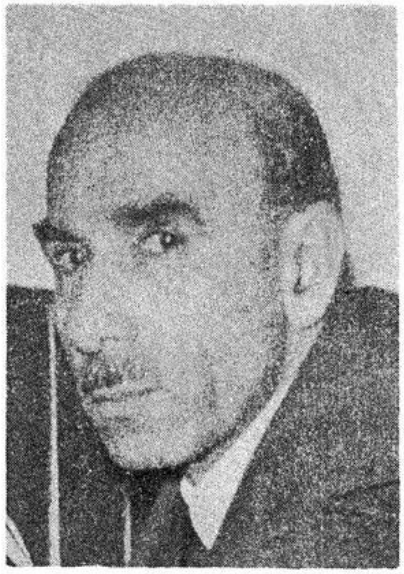
اريـد ومـا عسى تجدي اريـد علـى من ليس يملـك مـا يريد؟

وهو في هذا القول يسخر من القائلين : « اذا لـم يكن ما تريد ، فأرد ما يكون ؟ ! فهو يقر بأنه لا يملك مـا يريد ، اما الآخرون فيسفسطون ويتلاعبـون بالالفاظ ، ولا غير .

واختم هذا الحديث المرتجل الذي استعدت شعره من الذاكرة وربما ادى ذلك الى تحريف في بعض الفاظه ، بعبارة قالها قائل في صديق من اصدقاء العمـر للشاعر أبي الوفا ، فهو بها احق ، وهي في وصفه أصدق :

« محمود أبو الوفا ؟ قد يكون هذا الاسم غريبا على اسماع الجيل الجديد . ولا غرابة في غربته ، فنحن في امة اعتادت اغتراب مفكريها واعلامها » .

طرابلس الغرب ـ ليبيا — وديع فلسطين



الشيخ جلال الحنفي

معجم للعامية اليمانية

بقلم الشيخ جلال الحنفي

* * *

اثر انجازي معجم الالفاظ الكويتية الذي الممت فيه بجمهرة غير قليلة من الفاظ اهل الكويت المتداولة في الحياة اليومية ، وغيرها مما هنالك من مصطلحات وتسميات خططية وبيئية ، كنت كثير الرغبة في تدوين الفاظ اهل اليمن ، يحملني على ذلك ان الفاظهم تمتاز باستقلال خاص عن الفاظ معظم البلاد العربية ..

وذاك ان مصادر العامية في البلاد العربية كثيرة شتى ، لكون تلك البلاد مفتوحة مكشوفة يصل اليها الناس من كل فج .. وقد حكمت من قبل دخلاء سيطروا عليها بسلطانهم السياسي والادبي .. اما اليمن فانها كانت في منجاة من ذلك اللهم الا ما تسرب الى الفاظ لغتها من الشعوب المجاورة لها ، او التي تقيم على مقربة منها .. كما تسرب اليها شيء من الالفاظ التركية بسبب ان اليمن كانت يوما ما تنضم الى رقعة الممالك العثمانية .. وفي الالفاظ اليمنية شيء يسير من الالفاظ الانكليزية وفيها من الفاظ الصومال شيء كذلك .. وما عدا هذه المفردات اليسيرة فان لغة اهل اليمن تمتد بجذورها الى اصول يمنية قديمة مجهول كثير منها لدى سكان شمالي الجزيرة العربية ..

لم تتهيأ لي الفرصة لزيارة اليمن رغم ما بذلت من محاولات ومراجعات اخفقت كلها .. وما كنت احسبني احتاج لاكثر من شهرين او ثلاثة لانجاز المعجم الذي أرد تأليفه لالفاظ اهل اليمن لا سيما سكان صنعاء وما جاورها من المدن والانحاء ..

ان تدوين الالفاظ المحلية التي يتداولها سكان البلدان العربية ضرورة ماسة للبحث اللغوي المقارن الذي يستفاد منه الوصول الى جذور هذه الالفاظ وما يتفق منها وما يختلف .. للعمل في ضوء ذلك على التقريب في اللهجات العامية وتعريف كل قوم بأنماط الكلام المتداول لدى الآخرين ..

وقد علمت أن كتبا باللغات الاجنبية قد وضعت لقواعد اللهجة اليمانية ولعدد غير قليل من الفاظها .. ولكن كتابا بالعربية لم يوضع لالفاظ اليمن ولا دون لها معجم شامل يتناول جميع مفرداتها .. وهذا امر ربما حفلت به حكومة اليمن في مستأنف ايامها ، فانه لا يقل شانا واهمية عن اي عمل سياسي ترى الدولة انه من صميم عملها ..

وأود الآن ان اقدم للقارىء العربي نماذج من الالفاظ اليمانية التقطتها من افواه زملاء يمانيين كنا نعمل واياهم معا في بكين خلال السنوات الغابرة .. ليتجلى طابع لهجة القوم وسحنة اللفظ اليماني ..

ادلى اي اهون وأيسر .. ادور اي اصم لا يسمع .. البربري هو الكبش .. البرع : رقصة حربية .. بس : من الفاظ الزجر والطرد وفي امثالهم « اذا عندك ضيف لا تقول للدم بس » .. البشم : التخمة .. البعم: البليد القليل الفهم .. البلس : التين .. البلسن : العدس ..

تحيرف اي افلس .. وفي أمثالهم « من تحيرف ذكر دين ابوه » .. تريك : المصباح الكهربائي .. التكعم : التثاؤب .. التوكاب : أول نضج العنب ..

الثعل هو الثعلب .. الثومة : حزام من الفضة ..

الجاهل هو الطفل .. الجباء : السطح .. جحبل : جذب وسحب وجر .. الجحين : خبز الذرة .. الجرف: الكهف .. الجرم : كساء يتقى به المطر والبرد ونحو ذلك .. الجشرة : السعال .. الجعالة : حلوى للاطفال .. الجعفورة : الزوبعة الرملية .. الجعيل : البدين الضعيف التفكير .. الجفل : قراب الخنجر .. الجماش : الغطاء وتجمش : تغطى .. الجنبية : خنجر معقوف ..

الحالي : الجميل .. حريوة : العروس .. الحمر : التمر الهندي .. الحنبة وجمعها حنبات : البلية والمحنة ، وفي امثالهم « يمين الله ولا الحنبات » ..

الخريطة : كيس النقود الصغير ..

دز بمعنى كوى واحرق .. الدفالة : البصاق ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدقة : القلادة وجمعها دقق .. الدقعة : هي النونة التي تتزين بها النساء .. الدمة : القطة .. الدوح : حب الماء .. الديمة : المطبخ ..

الذرة : النملة وجمعها ذر ..

الرباح : القرود واحدها ربح .. الرجيز : التمر العراقي وقد سمي بذلك لانه يأتيهم مرجوزا اي مكبوسا .. الرحاحة : راحد اليد .. الروتي : الصمون ..

الزلط : النقود .. الزنة : الثوب الطويل ومنه الدشداشة .. الزنينة : المطر الخفيف .. الزولى : المرحاض ..

السابل : المطر الغزير ينقطع بسرعة .. سابوك : السوط الذي يستعمله الحوذي .. ساع اي مثل وقولهم « يا صاحبي صحبتك ساع اللبن » اي مثل اللبن ..

السبار : ظهي الطبيخ .. سكة : أي سلم ونجا ..

السليط : زيت الاضاءة .. السمة : الثدي .. السمسرة : مربض الجمال .. السملوخ : العقيق الاخضر ..

شام : الاذرة الصفراء .. شريم : المنجل .. شمز : القميص .. الشوصري : الصرصر – حشرة – ..

الصبرة : الهيم الذي تقلع به الاحجار وتكسر ..

الصبغ : الادام الذي يؤتدم به .. الصبيب : البذور تبذر للزرع .. الصراب : الحصاد وصرب حصد .. الصرحة : الحارة والمحلة .. الصرصار : الوعاء الذي يوضع فيه كوب الشاي وهي من الانكليزية .. الصعبى : هو الكر أي الحمار الصغير .. الصمح : الساق .. الصميل : العصا .. الصيد : هو السمك ..

الضرة : الثدي .. الضفعة : رجيع البقر ..

الضلعة : مرقاة السلم ..

الطبينة : هي الضرة التي يتزوجها الرجل على زوجته الاولى ..

العامل : مأمور القضاء أو الناحية .. العرج : الضبع .. العسيب : الحزام يتخذ للخنجر اليماني .. العصفري : العصفور .. العفاعف : اهداب العيون .. العكبار : هو الفأر .. العنبرود : الكمثري .. العنجزة : الشيخوخة .. العيلة : الحمام وجمعه عيل ..

الفتوى : اللفز والحزورة ، وافتيك احزرك ..

الفرسك : الخوخ .. الفنجة : الية المراة ..

القبع : شال مربع اسود يضعه اليمنيون على رؤوسهم .. القبيلي : الفلاح .. القحوط : نوع من خبز الذرة .. القحوف : حذاء من جلد غير مدبوغ .. القرم : نوع من خبز الذرة .. القشام : بائع البقل .. القصمة : العمود الفقري .. القعشة : قذال المراة .. القملى : البرغوث .. القوقعة : نواة المشمش وغيره من الثمار وفي امثالهم « القوقعة ترزح الدوح » وهو يشبه المثل البغدادي وفي معناه « نواية تسند حب » ..

الكتنة : نوع من البق .. الكدم : نوع من الخبز اليابس .. الكعب : الثدي .. الكعدة : الجرة من الفخار تستعمل لوضع الزبد .. الكعدفة : مثل خبز الصاج .. الكمل : الخصا ..

اللدافة : البلادة .. اللسيس : حبوب الذرة الخضراء تسلق بالماء ، وهي من مآكل الملقين .. اللصام : العلك ، والقطعة منه يقال لها لصامة .. لوى يلوي اي تجول ..

المبصرة : هي العوينات .. المذرة : الطريق الضيقة .. المرتك : الدبوس الرفيع .. المرفع : الطبل ذو وجه واحد .. المسب : الجراب وكيس المتاع .. المش : المخ .. المشعاف : خراعة الخضرة .. المصر : المنديل .. المقطب : قطعة من القماش غير مخيطة يلبسها الفلاحون .. المنقل هو الاسكافي .. الموجز : الهاون من حجر .. المهب : العصا الطويلة ..

النخرة : الانف .. نشم ينشم : اطرى ومدح .. النكاب : الاخذ والجني والالتقاط .. النكتاي : الرباط يشد في الرقبة .. نيس : الهر في لهجة صنعاء ..

الوبل : الحشائش .. الوزغة : القرط الذي تتحلى به النساء ..

الهج : نير البقر .. الهرينة : الارنب .. هنهن : ترنم ..

اليسرة : حزام من جلد ..

بغداد — جلال الحنفي

هذي والا..

اذا عشقت الا فاعشق من الغيد
موزونة القد والخدين والجيد
صبيحة الوجه ان صاحبتها ابتسمت
لك الحياة وماجت بالمواعيد
أو انت ما سيتها والعمر معتكر
صفا لك العمر في ليلاتك السود
كريمة النفس ان اثرت او افتقرت
في الحالتين فتاها غير مجهود
حديثها بين ناديها ومخدعها
حديث حسونة بين الاماليد
هذي والا صيام لا فطور له
لو أهلك الجوع أكباد المعاميد

سان باولو – البرازيل — نقولا معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السماء زرقاء صافيـــة والشمس ترسل بأشعتها الدافئة لتلسع ابدان الاطفال الذيـــن تجمعوا وراحـوا يلعبون لعبـــة الحـرب ، النساء تجمعن في حلقة كبيرة بينما انصرف الرجال او ما تبقى منهم يعملون في تنظيف الارض وحراثتهـا وتهيئـة اكوام الحب للبذار ، تصرخ احدى العجائز على الاطفال حين يشتـــد هرجهم وهم يتابعون لعبتهم المفضلة فيفسدون الجو علـى النساء .. لا يلبث احد الصغار ان يصرخ جائعـا فتنهض امه ، من بـــين النسوة ، تعود وبيدها كسرة خبـــز يسمـع صوتها بوضوح تتكسر في فم الطفل حين يأخذ بقضمها ، لـم يعد فـي القرية كثير من الخبز ، هز الشيخ رأسه بأسى ونظر الى الارض بعينين نديتين .

الثرى الاحمر يمتد من حوله ولن تمسه يد هذه السنة .. هكذا قال لهم الضابط اللئيم ، لم يبق لهم الا القليل من الارض وبالكاد تكفيهـــم غيلة الجوع ، شعـر الشيخ بثورة عارمة في صدره ، لـــن يجـــوع الصغار ، رفع بصره الـى السماء ، ليس فيها ما يبشر بقرب المطر حتى الطبيعة تناصبنا العداء — تنهـــد تنهيدة عميقة تحمل الكثير من الالم ، حمل حفنة من التراب بيده وفركها بين اصابعه فوجدها جافة لم تبلـل بعد وان كان بها شيء مـن الرطوبة بفعل الندى .

المحراث يشق طريقه في الارض قالبا ترابها ، صاح الشيخ علـى الثور يستحثه الاسراع في العمـل ... هيا ايها الثور الهرم هيا لـــم يبق الا القليل وتستريح ، ويستجيب الثور لنداء صاحبه فيعملان بجـد ونشاط .. العرق يتساقط عـــن وجه الرجل وجسد الثور فيختلط بالثرى الظاميء ، لـــم يكن الشيخ يتوقف عن العمل الا ليمسح عرقـه بباطن كفه ، او يتناول حجرا يرمي به العصافير التي تنقض على كومة الحب المهيأة للبـذار تلتهمها بنهم . استوقفه صوت محـــرك سيـارة قادمة من الطريق مخلفـــة وراءها سحبا كثيفة مـــن الغبار . وقفت السيارة بمحاذاته وقفز منها جندي بلباسه العسكري وازراره النحاسية تلمع تحت اشعة الشمس ، دنا من الشيخ وقال له :

— انت صاحب هذه الارض ؟

اذن فقد جـاء دوري الآن همس الشيخ لنفسه :

— نعم انها لي ماذا تريد ؟

— لا شيء الضابط يريدك فـي المكتب . هيا معي .

حاول الشيخ ان يمتنع ، يرفض او يحتج لكن الجندي دفعه بقسوة

الشيخ والارض

بقلم مصطفى صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صوب السيارة وفي داخلها وجـد جنديا آخر يحمل رشاشا وقـد صوبه الى صدر الشيخ حال دخوله السيارة .

وفي مكتب الضابط سمع فتـاة مجندة ذات شعر أحمر اللون ترتدي بنطلونا قصيرا وقميصا من الكاكي تقول له بصوت ناعم كلاما كثيرا لـم يفقه منه شيئـا ... كانت صورة الصغار والخبـــز الجاف والنسوة يتلهين بالحديث لينسين الم الجوع . الرجال بوجوههم الشاحبـة ماثلـة امام عينيه ولا يريد ان يرى شيئـا آخر غيرها . اعـاده لواقعه صوت الضابط يقول له بلهجة لطيفة لـــم يعهدها الشيخ من بني جلدته :

— أيها الشيخ الطيب .. ايهـــا الشيخ الطيب آن لـك ان تستريح من عناء العمل بالارض .

حدق الشيخ في وجـه الضابط ببلاهة تعمدها .. كانت كل ذرة في جسمه تعرف ما يريده هذا اللئيم .

— ليس لي من اولاد يعينوني في الارض واذا لـــم اعمل فانها لـن تعطيني شيئا .

وظهرت ابتسامة واسعة على وجه الضابط .

— لا .. لا نريـــدك ان تجـوع سنعطيك من المال ما يكفيك ويزيد عن حاجتك .

وبحركة سريعة فتح درج الطاولة أمامه واخرج رزمة مـــن الاوراق المالية كانت قد اعدت من قبل .

— خذ .. خذ انها لك .. كلهـا لـك .

نظر الشيخ اليه وبسمة هازئـة تعلو شفتيه . تجاهلهـا الضابط . اقتربت الفتاة ذات الشعر الاحمـر منه وقالت :

— عش في بحبوحة بقية عمـرك .. دعك من الارض فانها لن تفيدك شيئا .

وعندما لم يبد على الشيخ انـه سر لمرأى المال او اهتـم لـه قـال الضابط بصوت خلا من اللطف :

— اظنك ستكون ذكيا وتقبل هذا المال هيا ايها الشيخ هيا .

اقترب من الشيخ حتى واجهـه تماما .

— هـه .. مـاذا قلت .. هـل ستأخذ المال .. ها .. خذه فهـو انفع لك وعندما جوبـه الضابط بصمت غريب من الشيخ اقوى مـن الرفض صرخ في وجهه بلؤم :

— ايها الشيخ الخرف .. يا لك من غبي . أترفض المال مـن اجـل ارض لم تعد لك . سنأخذها منك شئت أم ابيت .

قال الشيخ في سره :

ـ اجل كما اخذتم ارض الحاج « ابو علي » فمات من القهر بعد اسبوعين لن تأخذها وانا حي .

وغاظ الضابط صمت الشيخ فأخذ يتهدد ويتوعد ولم ينبس الشيخ . فأمسك بتلابيبه واخذ يهزه بعنف ثم صفعه على وجهه المعروق النحيل صفعة قوية اظلمت الدنيا على اثرها امام عيني الشيخ للحظات ثم دفعه لجنديين انهالا عليه بالركل والرفس وقذفاه بشتائم بذيئة لم يسمعها من الالم ثم رموا به خارجا .

قفل الشيخ راجعا للحقل حيث ترك محراثه والثور لا زال واقفا ينتظر اوبة صاحبه ليستأنفا العمل . وجد العصافير تنقض على كومة الحب في موجات متتابعة فطردها بسيل من الحجارة قذفها بها فابتعدت خائفة وجلة . تجمع حوله رجال القرية يسألون ويستفسرون ، هزوا رؤوسهم بألم وغيظ انهم يعلمون تماما ماذا ينتظرهم ، سيجوع الصغار اكثر ، امسك الشيخ بمحراثه وصاح على الثور بصوت يفهمه هذا جيدا . سيعمل بسرعة انهم لن يتركوه في امان . فكر الشيخ لنفسه .. سأزرعها واحصدها وسوف ارى الصغار يأكلون الخبز الساخن . تذكر الضابط اللئيم .. يا له من صفيق ! ما اغرب ما ينطق به انها ارضي ورثتها عن والدي هنا ابصرت عيناي النور وهنا ستغمضان ، صاح على الثور بصوت مجلجل لم يعهده هذا من قبل ، فحاول ان يحتج لكن الشيخ نهره .. سأفرغ من حراثتها قبل المغيب قال الشيخ بعناد . اسرع الثور بالعمل في حين عجز الشيخ عن مجاراته وقف متحسرا يمسح عرقه بغيظ ، اين هو من ايام الشباب حين كان اول من يفرغ من العمل بالارض في القرية كلها التقط حجرا ورمى به عصفورا كان قد انقض على كومة الحب وقع الحجر في منتصف الطريق وبقي العصفور واقفا يلتقط الحب بمنقاره رافعا راسه بين الفينة ينظر الى الشيخ بحذر ، التقط حجرا ثانيا ورمى به العصفور فلم يكن حظه بأحسن من سابقه . ادهشه الوهن الذي اصابه ، علل ذلك بأنه لم يتناول طعاما منذ الصباح . هم يستأنف العمل ولكنه احس بدوار شديد وتراخ في عضلات جسمه . تعثر وكاد ان يقع على الارض . تحامل على نفسه وجر قدميه حتى وصل التوتة الباسقة ذات التمر الاسود اللون . اسند ظهره الى جذعها الضخم . تدحرجت حبات من العرق عن جبينه وسقطت على الارض . امسك بحفنة من التراب وقربها الى انفه . شمها بلذة عارمة ـ ان في التراب سرا لا يفهمه الا الفلاح ـ سقطت على راسه ورقة من الشجرة . تناولها ومسحها بباطن يده لاكها ثم بصقها . افلت الفراشة الملونة من يده بعد ان افرزت في كفه مادة بيضاء ـ حتى هذه المخلوقة الضعيفة لا تعدم وسيلة تتدافع بها عن نفسها ـ هبت نسمة هواء باردة فارتعش . شعر بخيط بارد من العرق ينساب ببطء على ظهره المحني . اخذ يسعل بشدة وقد وضع راسه بين كفيه ، تلاحقت انفاسه والحشرجة تزداد وضوحا في صدره .

اخذ الثور يرقب صاحبه باستغراب ، لم يعد يسعل كما ان انفاسه قد هدأت او تكاد . وفي اليوم التالي اعد الضابط الصهيوني قوة مسلحة ليستولي على الارض بالقوة ، أحضر مختار القرية ليشهد على عملية (البيع) وعندما توجه الى قطعة الارض فوجيء بضريح الشيخ يتوسط ارضه التي اتم حراثتها وباتت تنتظر البذار ...

عمان — مصطفى صالح

الشاعر المهاجر

فرقتنا ايدي سبا الايام ... ودهتنا الارزاء والآلام
شاعر بعثر الشباب هباء ... لم تحقق احلامه الاحلام
وغدا كالخلال نضوا هزيلا ... صدعته الادواء والاسقام
في بلاد كريمة ليس فيها ... صاحب مخلص وخدن همام
مولع موزع غريب كئيب ... عمقت من جراحه الايام
ضائع ينشد القريض وحيدا ... تتهادى من وقعه الانسام
وتمور الزهر تنشد ريا ... ها وتنشى الاسماع والافهام
ومن النهر أنة وحنين ... وعلى الروضى غبطة وسلام
فرأينا ما لا تراه عيون ... وانجلى عن نفوسنا الابهام
وأضاءت شمس القريض بليل ... رنحته الالحان والانغام
فله الحمد مبدىء ومعيد ... ولي الشعر مونق بسام

لاباز ـ بوليفيا — جورج الكعدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جولة للقصائد الاخرى

•

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاب يوسف سعيد

•

اكثر مـن مـرة
دابت الارض في احلامـي
المنهوكـة
بمادة القرف العالمي ،
تتجول في أزقة الادمغة الشمسية

ويعـود
كبذرة حملتها الرياح
الى حقلي الاسود
وفي النصف الاول
من ربيع الارقام والاعداد
أظهرت أسرارها الشتوية
في خمس وريقات خضراء

لكـي لا يبقـى الليل
مرهونـا
بنجمة حمراء
تبحث عن ضوء
مطرود من بحيرات اللحظة
أفتح في عنق الفجر أرصفة
لمارة يحملون أظلافا ليلية

أريـدك صوتـا
في مجمرة صفراء
تحمل دخان الزمن
اريدك ضوءا في محاجر
تستوعب اسرار ابتسامة العدالة

جسد يعبي في اوداجه
كهربـاء الشمس
يفرش جلده للتعب
الذي يصنع النعش للاموات

منـذ البارحة ،
والبرد تحجر
في خوذة محارب هارب
من يـد جليدية
تحمل أسلحة لساحة حرب
تمـوت فيـه
أفعال الكلمات اللغوية .
وبعدهـا ،
يزرع في أعين النسوة
رمـاد ظهيرة
مبللة بدمع العبودية .

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

علي طاهر الدجاني - يوسف الخطيب

موسى الخوري - صلاح الدين عنبتاوي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ علي طاهر الدجاني

ظلت الحكمة التي اختارها « علي » شعارا لـه وراح يرددها قـول رتشارد نكسون : « لقد تعلمت من فريق الكرة في المدرسة ، اننا لكي نصيب الهدف ونفوز ... فلا بد ان نرفض الهزيمة ! »

ولد « علي » في بيت المقدس سنة ١٩١٢ وبدأ دراسته الابتدائية في مدرسة البقعة (البقعة : احد احيـاء القدس الحديثة) وفـي مدرسة باب العتم بالقرب من الحـرم الشريف والتحـق بالمدرسة الرشيدية حتى سنة ١٩٢٧ ومنها انتقل الى الكلية الانكليزية (كليـة الشباب سابقا) ونال شهادة الدراسة الثانوية لجامعة اكسفورد سنـة ١٩٢٩ وقصد الجامعة الاميركية في بيروت وحصل منهـا سنة ١٩٣٢ على شهادة بكلوريوس علوم في الطبيعيات والرياضيات ، وعاد الـى القدس ليعمل في المجلس الاسلامي الاعلى ، وكان المجلس قد بدأ تنظيم حساباته وفق القواعد والاسس المتبعة في دوائر حكومة فلسطين ، وما لبث أن استقال وعين في قسم المختبرات التابع لمديرية الصحة العامة حتى نهاية عام ١٩٣٥ .

وفي مطلع عام ١٩٣٦ انتقل الى مكتب المطبوعات العامة لحكومـة فلسطين بعد نجاحه في مباراة خطية بالكتابة والترجمة ، وخلال عملـه هذا تعلم اللغة العبرية وحصل على جائزتين ماليتين من الحكومة فـي امتحانات عامة بين الموظفين العرب .

وفي حوادث ١٩٣٦ اخذ يراسل عـدة صحف بريطانية مثـل « التايمس » وينشر المقالات في جريدة « البالستاين بوست » التـي تصدر بالانكليزية في مدينة القدس ، موضحا وجهة النظر العربيـة ، وكانت اغلب مقالاته خلوا من التواقيع للحظر الذي فرضته حكومـة الانتداب على موظفيها ومنعهم من الخوض في الشؤون السياسية .

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية اتسعت دائرة المطبوعات فـي حكومة الانتداب فمال « علي » الى الكتابة في الصحف ، وكـان أول مقال نشره في جريدة « الدفاع » اليافية تحت عنوان « دنيا المشاريع» وقد شجعه هذا المقال المنشور على الكتابة باللغة الانكليزية .

وفي سنة ١٩٤٤ قام بزيارة للمملكة العربية السعودية ، حيث كان اول مبعوث اعلامي من فلسطين لتغطية انباء الحج ، واثر عودته الـى بيت المقدس نشر كتابا بعنوان « مشاهدات في الحج » وقـد وضع مقدمته الاستاذ صبري ابو علم احد رجالات الوفد المصري ووزير العدل الاسبق .

وبعد عام ١٩٤٥ استقال من دائرة المطبوعات وعين مديرا للغرفـة التجارية العربية بالقدس ، وبعد فترة عين مساعدا لمدير دائرة التجارة والصناعة في حكومة الانتداب وبقي في عمله هذا حتى نهاية الانتداب البريطاني في ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ .

وخلال عمله في الغرفة التجارية العربية المقدسية اصدر فـي القدس مجلة اسبوعيـة باسم « الهدف » بمشاركة جبرائيل شكـري ديب ، واستمرت في الصدور مدة ستة شهور .

وبعد زوال الانتداب البريطاني عن فلسطين انضم « علي » الـى جمعية الصليب والهلال الاحمر الفلسطيني التي كان يرئسها الدكتـور توفيق كنعان سنة ١٩٤٨ .

وفي أعقاب سنة ١٩٤٨ أعاد انشاء الغرفة التجارية بالقدس ثـم انتقل مديرا لغرفة تجارة عمان سنة ١٩٥١ وظل يصرف شؤون عملـه هذا حتى سنة ١٩٥٨ اذ عين مراقبا عاما لشركة كهرباء عمان ، وشارك في انشاء المؤتمر العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية حيث انعقد اول مؤتمر في مدينة الاسكندرية .

وفي سنة ١٩٦٢ عين مديرا لغرفة صناعة عمان واختاره الملـك حسين بن طلال عضوا في اللجنة الملكية المالية التي قامت بوضع تقرير مطول عن الشؤون المالية والضرائبية في الاردن .

وفي سنة ١٩٦٣ أسفرت الانتخابات النيابية فـي مدينة القدس عن فوزه نائبا في مجلس النواب الاردني ، وفي شباط ١٩٦٥ دعـي وصفي التل لتشكيل الوزارة الاردنية فعين « علي » وزيرا للنقل .

من آثاره القلمية : كتب « علـي » فصولا ومقالات بالعربيـة والانكليزية ونشر اكثرها في « الحياة » و « الديلي ستار » البيروتيتين و « الدفاع » حيثما صدرت في يافا والقدس وعمان ، وصنف الكتب التاليـة :

١ ـ مشاهدات في الحج . (طبع سنة ١٩٤٤)
٢ ـ الاقتصاد الاردني . (١٩٥٣)
٣ ـ محاضرات في الاقتصاد الاردني . (١٩٥٤) (القيت فـي معهد الدراسات العربية العالية)
٤ ـ الصناعة الأردنية (بالانكليزية) طبـع ثلاث طبعات ١٩٦٥ و ١٩٦٧ و ١٩٦٩

نموذج من نثره : اشتهر الصحفي الفلسطيني ابراهيم الشنطي بزاوية في جريدته « الدفاع » بعنوان « وجدانيات » واثناء غيابه في الخارج يكل أمر هذه الزاوية لـ « علي » فتارة ينشر نفثات قلمه تحت عنوان « خاطرة » وتارة ينشرها بعنوان « وجدانيات » .

فمن « الوجدانيات » قوله :

« أحنيت هامتي أمام استشهاد خمسة من ابطال « فتح » أمس الاول! أحنيت رأسي للفداء ... والفداء جود بالنفس.. اقصى غاية الجود!

من ذا الذي لا يحني هامته اجلالا وتقديرا للجود بالنفس ؟ »

الفداء قبس من نور الله ، يتولاه أفراد من الامة ، كي يجسدوا به آمالها في تحرير الوطن ، وانقاذه من غاصبيه !

لم يكن الابطال الخمسة الذين سقطوا على ثرى الوطن الطهـور أول من سقط في معركة الفداء ، ولن يكونوا آخر من سقط شهيـدا في الميدان ... فالنضال مستمر ... يتطلب مزيدا مـن الوقود ... تدفع به الامة المؤمنة بحقها الى ارض المعركة ، وتؤكد بـه اصالـة عروبتها !

ولولا هذه الاصالة ... ولولا ذلك الحنين ... لانتهى كـل شيء ... ولصدق ظن جون فوستر دالاس وزير الخارجية الاميركية الاسبق، بان عشرين سنة من التشرد كافية لان ينتهي جيل ... ويعقبه جيـل آخر لا يعرف فلسطين ... وتكون قضيته قد نسيت ، او انتهت !

كان ظنا سخيفا ... ورأيا فجا ! فكل جيل يعيش ويناضل مـن أجل الجيل الذي يليه ... وما الشبان الابطال الذين يخضبون ارض الوطن بدمائهم الا قبس النور الذي يضيء الطريق نحـو الحريـة والكرامة !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا نقول عزاء « فتح » بابطال سقطوا على ارض الفداء ... فكل ثمن من اجل الوطن يهون ما دامت المسالة هي : أن نكون ... او لا نكون !

ولقد أردتم لامتكم ان تكون ... فحملتم لواء الفداء ... وليس في حسابه خسارة او ربح !

٢ ـ يوسف الخطيب

استطاب « يوسف » قولا للانسان المفكر « سلامة موسى » واتخذه شعارا وظل يبشر بهذه الحكمة :

« ان ادب الكفاح ـ الكفاح الانساني ـ يجعل الكاتب يحس انه يحمل رسالة مقدسة يستهين معها بكل ما يقع له من الكوارث » .

ولد « يوسف » في قرية « دوره » بقضاء الخليل عام ١٩٣١ وانهى دراسته الابتدائية في مدرسة قريته ، ودراسته الثانوية في ثانوية الخليل ثم التحق بكلية الحقوق في الجامعة السورية بدمشق وتخرج منها عام ١٩٥٥ .

وخلال سني دراسته الجامعية وبعدها عمل على التوالي في اذاعات دمشق والقدس والرياض والقاهرة والكويت وامستردام وبغداد ، واخيرا عهد اليه ادارة الاذاعة والتلفزيون بدمشق وانصرف بكليته الى الانتاج الادبي وأسس في دمشق « دار فلسطين للتاليف والترجمة والنشر » وزاول العمل الصحفي في طائفة من الصحف والمجلات العربية .

من مآخذ البعض على « يوسف » تركيزه الشديد على القضية الفلسطينية في جل منظومه ومنثوره ، وفي نشاطاته الاذاعية والصحفية . وفي رأي هذا البعض الملتزمت ان افق القضية العربية أرحب بكثير من افق القضية الفلسطينية !

وتقريرا للواقع أقول لهذا (البعض) ان فلسطين هي قلب العالم العربي ومحور القضية العربية ، لانها في عرف من سبر غور التاريخ ووقف على انباء الفتوحات الاسلامية هي قلب هذا العالم العربي الممتد من المحيط الى الخليج ... واذا اصيب هذا القلب ووقف عن ضخه ... وقفت سائر الاعضاء عن اداء وظائفها ، ويغدو ذلك الجسد جثة هامدة لا حراك فيها !

ومن باب الانصاف وتقرير الواقع ان فلسطين تمثل سائر الاقطار العربية وهي منها في سويداء القلب . واذا قدر للعلج الصهيوني ان يزدردها ويجهز عليها ازدرد البسيط العربي واجهز عليه باكمله !

و « يوسف الخطيب » في تركيزه الشديد على الجانب الفلسطيني انما يركز في الحقيقة على اكثر قضايانا القومية حسا ... ليدلل للعربي المعاصر على ان النار مشبوبة اللظى داخل الدار ... واية قيمة للحديقة ... ما دامت الدار في حريق ؟!

من آثاره القلمية : عالج « يوسف » القصيدة والقصة القصيرة، وزود الخزانة العربية بالدواوين التالية :

١ ـ العيون الظماء للنور (ديوان) طبع عام ١٩٥٥

٢ ـ عائدون (ديوان) ١٩٥٨

٣ ـ واحة الجحيم (ديوان) ١٩٦٤

٤ ـ أكاد أؤمن ما شعلة البعث . ـ قصيدتان في كراس مطبوع عام ١٩٦٥ ، القى الشاعر الاولى بمناسبة اسبوع نصرة فلسطين والقي الثانية بمناسبة ذكرى تقسيم فلسطين .

٥ ـ عناصر هدامة (رواية) طبعت عام ١٩٦٤ وفيها تناول يوسف المأساة الفلسطينية من كافة جوانبها المتعددة .

٦ ـ لؤلؤة في الدم (رواية) سجل فيها يوسف تجربة العربي الفلسطيني في غزة عندما اجتاحها الاحتلال الصهيوني عام ١٩٥٦ .

نماذج من شعره : بعض الذين يقرأون شعر « يوسف الخطيب » في المجلات او يسمعونه على الاثير ... يأخذون عليه جنوحه الى الكلاسيكية ... وفي يقيني ان قيمة الشعر الحقيقية تكمن في مضمونه وليس في اطاره ... وعلى ضوء هذا الراي يجب التمييز ، بصورة حاسمة ، بين « الشعر الحديث » و « الشعر الحر » اذ ليس من الضروري أن يعني احدهما الآخر ، فقد يطالع القارىء « الشعر الحر» أحيانا بتراكيب وصيغ ممعنة في الكلاسيكية ... على حين قد ترقى « قصيدة عمودية » الى مستوى الشعر الحديث أو قل العالمي المعاصر ... وذلك بالاختلاف من شاعر الى شاعر او باختلاف الشاعر نفسه من حال الى حال !

والوزن والقافية في اعتقاد « الخطيب » يمنحان « الشاعر الحديث » القانون والضبط والنظام ، وهي أمور ان خلت منها عملية « الابداع الفني» انساحت هذه العملية وتسييت دون حدود، وبالتالي عجزت عن ان تعطي شكلا او مضمونا على السواء ، ودونك نماذج من شعره :

أكاد أومن، من شك، ومن عجب ... هذي الملايين ليست أمة العرب
هذي الملايين لم يدر الزمان بها ... ولا بذي قار شدت راية الغلب
ولا على طنف اليرموك من ومها ... توهج الصبح تياها على الحقب
ولا السفين اشتعال في المحيط، ولا ... جواد «عقبة» فيه جامح الخبب
أمتي ، يا شموخ الراس متلعة ... من غل راسك في الاقدام والركب
أانت انت ، أم الارحام قاحلة ... وبدلت عن (أبي ذر) (أبا لهب)
أكاد أومن، من شك، ومن عجب ... هذي الملايين ليست أمة العرب !
تهيج بي ذكر التاريخ جامحة ... ويعتريني الاسى حولي، فيقعد بي
توزعتني دروب لا لقاء لها ... الذل في الناس.. والعلياء في الكتب
كانما أنا جمع اثنين: سيف وغى ... معذب الروح في غمد من الخشب
أغزو عمورية في الليل احرقها ... وشلو اختي غذاء الطير في النقب

وخاطب الشاعر اطلال قرية فلسطينية ، دكها العدو وخلفها قاعا صفصفا :

أقريتنا ! سألت الريح ان مرت بأطلالك
وأسراب الصقور المتخمات ، سألت عن حالك
وأعلم ان راوية الطلول حديثه حر
كذلك حدثت عنك الرياح ، وأردف الصقر
تظل جدائل الزيتون طول العام مر خيسه
على دار لنا في وحشة الاطلال منسيه
يلوح ركامها المهجور أشباحا ضبابيه
وفيما يسقط الزيتون في الخريف الخريفيه
بلا أعقاب قنديل يعل سنا الالوهيه
تفيض بحيرة مسحورة الاضواء قدسيه
وحقل التين ، بعد البين ، ملعب ألف جنيه
توزع في محاريب الدجى اصداء مرثيه
أقريتنا ! سألت النجم ، كيف يعودك الليل
أما كوخ يضيء ، أما رؤى تهفو ، اما ظل ؟!
لمن تلك العظام الزرق ، ما ضمت الى حفره
يلاشيها البلى تسعين شهرا ، ذرة ، ذره
هناك أبي ، بقية فأسه ظلت على الزند
كذلك حدث النجم الكئيب ، وغاب في البعد
تظل البومة الحدباء ، والخفاش والغربان
تحوم على جدار ، كان للاحلام يوما ، كان
على آثار درب كان مغدى النهر والبستان
ووادي اللوز ، لا قطعان تثغو فيه ، لا رعيان
دواليه تذوب أسى ، تحن الى فم عطشان
وفي أعقاب عمر الصيف ، يكتر خيره الرمان
تدق الريح في الاجراس كل جنائز الانسان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقريتنا ، نفرت اليك اسراب العصافير
رسائل من كنوز الشوق خضراء التعابير
اقول لها ... اذا وافيت عند النهر فريستنا
فحطي بعض ساعات ، وبثي الدار لوعتنا
بانا ما نعيش اليوم الا بانتظار غـد
على وعد مع التاريخ سحري العبير ، ندي
لتحلم باللقاء العذب كل براعم الحقل
وكل مدارج الشنار ، من تل الى تل
أقريتنا ... وحق ثراك ما أغفى لنا جفن
يظل الشوق يسهدنا ، وينزف دمعنا البين
واقمار السماء ، نطل في مرآتها نرنو
نطالع وجهك المحزون ، كم أودى به الحزن
أقريتنا ... بلاك ، بلا ثراك الخصب ، من نحن
تكاد خيامنا ـ حتى الخيام ـ يربيها ـ الظن
سوى انا ، وان طال الزمان وشاخت السن
ففي أرحام نسوتنا ، بذور الثار ، نجتن

وصور « شاعر المأساة الفلسطينية » مأساة فتى فلسطيني تسلل بعد العدوان الثلاثي الى مدينة الخليل قادما من (غزة) الا انه سقط ميتا من شدة البرد والجوع والاعياء ، وبعد ايام عثر الرعاة على جثته في جبال الخليل واسم الفتى « عبد النور » :

كوردة حمراء في سفح الخليل
كفصن عليق يلوح في الاصيل
عظام « عبد النور » ، جرحه الطليل
وفي العراء نام ليله الطويل
ووسد الصخور رأسه النبيل
حطام زورق مغامر ضليل
على السفوح الخضر ذلك الصباح
لا بلبل غنى ، ولا ارتمى جناح
مصفقا ، على ملاعب الرياح
شهود موته ، براعم الاقاح
والسنديان ، والنسائم السماح
وشاح جبهة مريرة الكفاح

وكان ما يزال شعبنا العظيم
بصدره العالي ، وزنده الكليم
على قفار الشوك والردى يهيم
وكان صاحبي فراشة تحوم
في ليلة مخدورة بلا نجوم
ترود فجرا خلف داكن الغيوم

غبار غزة ، ووحشة الطريق
وجرحه ، وجرح شعبه العميق
يلوح في عينيه حبتي عقيق
وكل زاد دربه ـ بلا رفيق
أوراق تلميذ ـ ومعطف رقيق
ورسم اختـه الموقع الانيق

من غير أجراس تدق ، أو وداع
ترمدت في الطين جذوة الصراع
واغرورقت عيناه لحظة ، وضاع
رثاء عبد النور ، قصة الضياع
وبيت شعر في ملاحم الجياع
وكان جرحنا المداد واليراع

٣ ـ الدكتور موسى الخوري

الحكمة التي يعشقها الدكتور موسى الخوري ويتمثل بها دوما قول جبران : « قيمة الانسان فيما يبدعه وان كان قليلا ، وليس فيما يجمعه وان كان كثيرا ! » .

ولد موسى في عكا الفافية على زند المتوسط عام ١٩٢٢ وأتم دراسته الابتدائية فيها وتتلمذ على والده المعلم جبرائيل الخوري ، زميل ميخائيل نعيمة في السمنار الروسي بالناصرة ، وأكمل دراسته الثانوية في الكلية العربية بالقدس ، وكان في مراحل دراسته (الاول) بين لداته .

وتقديرا لنباهته وتوقد ذهنه منحته ادارة المعارف العامة بفلسطين بعثة مجانية لجامعتي اكستر ولندن فنال شهادة بكلوريوس آداب بمرتبة الشرف وعاد الى بيت المقدس وعين استاذا للغة الانكليزية في الكلية الرشيدية .

وخلال تدريسه فيها عكف على درس الحقوق بجامعة لندن فنال الليسانس في الحقوق وماجستير في الحقوق بمرتبة الشرف .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) نزح الى دمشق وعين محاضرا في الحقوق باللغة الانكليزية بالجامعة السورية وانصرف الى تأسيس قسم اللغة الانكليزية وآدابها في كلية الآداب وعين رئيسا له .

وفي عام ١٩٥٩ سافر الى الولايات المتحدة للتحضير لشهادة الدكتوراه وفي عام ١٩٦١ عاد الى دمشق يحمل الدكتوراه في الادب الانكليزي من جامعة فلوريدا .

من آثاره القلمية : قدم الدكتور الخوري ذخيرة من المؤلفات القومية والادبية للمكتبة العربية ، ودونك اسماء ما وقفنا عليه منها :

١ ـ دم ورعب (باللغة الانجليزية) (تبنى هذا الكتاب وقام بتوزيعه الوفد السوري في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥) .

٢ ـ وجهة النظر العربية في قضية فلسطين (باللغة الانكليزية) (تبنى هذا الكتاب وقام بتوزيعه الوفد السوري في مؤتمر القارات الثلاث المنعقد في هافانا (كوبا) في كانون الثاني ١٩٦٦) .

٣ ـ قضية فلسطين : (ترجم هذا الكتاب من العربية الى اللغة الانكليزية لمؤلفه الاستاذ اكرم زعيتر ، وعن الترجمة الانكليزية نقل الكتاب الى اللغتين الفارسية والاوردية) .

٤ ـ مقدمة في النقد الادبي (باللغة الانكليزية) (١٩٦٠) .

٥ ـ النقد الادبي في انكلترا (باللغة الانكليزية) ١٩٦٦ (يدرس هذا الكتاب في الجامعة السورية بدمشق) .

٦ ـ من سدني الى ت. س. ايليوت (باللغة الانكليزية) ١٩٦٦ (يدرس هذا الكتاب في الجامعة السورية بدمشق) .

٧ ـ الحشر والنشر في الكوميديا الالهية (وضع الاصل بالانكليزية المستشرق الايطالي غبرييلي ونقلها الى العربية الدكتور موسى الخوري ونشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق) .

٨ ـ قضية فلسطين (كتب هذا الفصل الدكتور الخوري ونشره في كتاب « دراسات المجتمع العربي » الذي يدرس في الجامعة السورية بدمشق) .

نموذج من نثره : « فلسطين وطن عربي تجمعه روابط القومية العربية بسائر الاقطار العربية التي تؤلف معها الوطن العربي الكبير ، وهي من هذا الوطن بمثابة القلب من الجسم ، وهي المدخل الذي انسابت منه الموجات العربية المتلاحقة الى جميع انحاء البلاد العربية، والقطر الذي سار في دروبه العرب يحملون رسالة الاسلام الخالدة . وهي البلد الذي تلاقت فيه الديانات السماوية وأسرى اليه بالنبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربي الكريم ، وفيه اولى القبلتين وثالث الحرمين .

وقضية فلسطين ليست مجرد قضية لاجئين او مسألة نزاع على الحدود او على مياه نهر الاردن او خلافا بين اسرائيل والدول العربية، بل هي قضية وطن اغتصب وشعب اجلي عن بلاده وأرضه ، وعدوان صهيوني استعماري ارتكب ضد الشعب العربي في فلسطين والامة العربية بأكملها .

وأهل فلسطين جزء من الامة العربية ، واهتمام العرب بقضيتهم أمر يمليه الواجب القومي ووحدة المصير العربي ، ذلك لان قضية فلسطين التي تآمر فيها الاستعمار والصهيونية على اجلاء الشعب العربي من وطنه ودياره هي قضية العرب اجمعين ، والخطر الصهيوني المتمثل في قاعدة العدوان الاستعماري ، اسرائيل ، هو خطر يهدد الامة العربية بمجموعها ، ومصير الامة العربية ، بل الوجود العربي بذاته ، رهن بمصير القضية الفلسطينية . ومن هذا الترابط ينشأ واجب الامة العربية بالسعي لتحرير فلسطين .

والوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان ، وقد كانت فلسطين الى ما قبل اربعين سنة فقط جزءا من سورية العربية . لذلك فالعمل للوحدة العربية يجب ان يسير جنبا الى جنب مع العمل لتحرير فلسطين . والنظرة السليمة الى قضية فلسطين يجب ان تقوم على أساس وحدة الشعب العربي ووحدة الوطن العربي .

والغزو الصهيوني لفلسطين يمثل الاستعمار المدمر المجلي بابشع صورة . واسرائيل هي ربيبة الاستعمار واداته الطيعة في الشرق العربي والقارتين الآسيوية والافريقية ، مما يجعل الكفاح ضد اسرائيل والصهيونية والسعي لتحرير فلسطين قسما هاما من كفاح شعوب العالم في سبيل الحرية وللتخلص من الاستعمار بجميع صوره واشكاله .

ان العرب الكنعانيين هم أول من سكن فلسطين كشعب كون حضارة مرموقة وترك اثرا بارزا في البلاد . وقد هاجروا اليها من الجزيرة العربية حوالي عام ٢٥٠٠ ق. م ، ودام سلطانهم فيها اكثر من عشرة قرون . وتعرضت فلسطين بعد عام ١٥٠٠ ق. م لغزوتين اصطدمت كل منهما بالكنعانيين ، الاولى قامت بها بعض القبائل الايجية التي نزحت من جزر بحر ايجه الى سواحل سورية الجنوبي واعطت فلسطين اسمها ، والثانية غزوة اليهود العبرانيين الذين سموا كذلك لعبورهم نهر الاردن عند مهاجمتهم البلاد من الشرق . واحتل العبرانيون فلسطين بالقوة من الكنعانيين ، سكانها الاصليين ، ولم يكونوا دولة وتنظيما سياسيا في جزء منها الا فترة قصيرة من الزمن لا تزيد على سبعين سنة أيام حكم داود وسليمان . ومن ثم انقسموا على أنفسهم وتلاشوا على يد شعوب غازية جديدة .

واحتل فلسطين بعد ذلك الفرس واليونان والرومان ، الا انها ظلت دائما رغم الامبراطوريات التي حكمتها عربية الصبغة . وفي عهد الامبراطور الروماني اغسطوس قيصر ولد المسيح في بيت لحم وعاش في الناصرة ، ولما أخذ يدعو لمبادئه وتعاليمه اغتاظ اليهود منه وسعوا للقبض عليه . وتم القضاء على اليهود في فلسطين في القرن الاول الميلادي عندما ثاروا على الرومان فهاجمهم القائدان طيطس وهادريان ، وطردوا من البلاد وهدم هيكلهم في اورشليم (القدس) وخلت فلسطين منهم منذ ذلك التاريخ وحتى الغزو الصهيوني الاستعماري في القرن الحالي .

وفي القرن السابع الميلادي جاء الفتح العربي الاسلامي وكانت فلسطين مهيئة له مرحبة به ، وسلمت القدس مفاليدها الى عمر بن الخطاب الذي حضر اليها بنفسه واعطى اهلها عهدا استجاب فيه لرغبتهم في ان لا يساكنهم اليهود ، وهذا يدل على ان القدس (وكان اسمها ايلياء) لم تكن يهودية وكذلك فلسطين . وتم فتح فلسطين كلها واخذت القبائل العربية تفد اليها وتسكنها واصطبغت بالطابع العربي المحض.

وفي العهد الاموي ظلت فلسطين تابعة لدمشق ، ومن اعظم آثار هذا العهد في فلسطين قبة الصخرة والمسجد الاقصى ، ويتالف منهما ومن الساحة الواسعة المحيطة بهما الحرم الشريف في مدينة القدس. وبنيت مدينة الرملة في عهد سليمان بن عبد الملك الذي اتخذ منها مقرا له . وكانت فلسطين مسرحا للحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين وانتهت باندحار الصليبيين وبقاء فلسطين عربية للعرب . ثم دخلت فلسطين في حوزة الدولة العثمانية ، وظلت طيلة العهد العثماني ، الذي استمر اربعة قرون ، محافظة على طابعها العربي .

من هذا يتبين ان فلسطين بلاد عربية توالت عليها الموجات العربية قبل الفتح الاسلامي وبعده ، وان اربعة عشر قرنا من الحكم الاسلامي الذي استمر حتى دخول الانكليز بعد الحرب العالمية الاولى قد زادت عروبة البلاد توطيدا . يضاف الى هذا ان العرب المسلمين لم يتسلموا فلسطين من العبرانيين الذين لم يكن حكمهم لجزء من البلاد الا فترة عابرة مرت على فلسطين كغيرها من الفترات ، ولم تدم الا امدا قصيرا. ولو حق لكل شعب حكم بلادا في وقت غابر ان يطالب بملكها الآن لحق للعرب ان يطالبوا بالاندلس وبعدد كبير من الاقطار الآسيوية والافريقية » .

٤ ـ الدكتور صلاح الدين عنبتاوي

أحب « صلاح الدين » المفكر العالمي برتراند رسل ، وعشق أفكاره ، واختار منها « شعارا » قوله :

« لقد بدا لي واضحا أن سعادة البشرية يجب ان تكون غاية كل عمل ، وكان من دواعي عجبي ، أن ألقى اناسا يفكرون غير هذا التفكير » .

ولد « صلاح الدين » في مدينة نابلس سنة ١٩١٨ وانهى دراسته الابتدائية والثانوية في « كلية النجاح الوطنية » سنة ١٩٣٥ والتحق بالجامعة الاميركية في بيروت ودرس الطب ونال شهادته سنة ١٩٤٢ وعاد الى مسقط رأسه وأسس عيادة طبية خاصة .

وفي السنوات الدراسية التي امضاها في بيروت حتى ١٩٤٢ اشترك في جمعية « العروة الوثقى » التي كان لها نشاط ملحوظ ، وشارك في اصدار صحيفة اسبوعية باسم « الرأي » وقد صدرت في عمان سنة ١٩٥٢ ونشر فيها مقالا بعنوان « الدجالون » .

وبالرغم من عمله الانساني في حقل الطب لم ينس « صلاح الدين » وطنه الممزق ، وشعبه المشرد ، فكان كلما ادلهمت الخطوب ، وهبت الاحداث على القطاع المتبقي من فلسطين خف الدكتور « صلاح الدين » الى الحض على التجنيد ومعالجة الجرحى والتوعية في الاندية والجمعيات .

وبعد أن لمس المسؤولون صلابة عوده وتسمية من كانوا السبب في ضياع فلسطين وتهويدها ... اعتقلوه ثلاث مرات واودعوه سجن معان، وفرضوا عليه الاقامة الجبرية بعد الاعتداء الاسرائيلي الاثيم على قرية السموع بفلسطين سنة ١٩٦٦ .

واسفر عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ واستيلاء اسرائيل على الضفة الغربية ، وسوريا والجمهورية العربية المتحدة عن ابعاده من نابلس الى عمان صباح ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٩٦٨ بتهمة الانتماء الى حركة سياسية محظورة ... والحض على الاضراب ، والتشجيع على المظاهرات احتجاجا على وجود اسرائيل في الضفة الغربية !

والحل الذي يراه الدكتور صلاح الدين لراب الشرف المعطوب هو اعداد حرب تحريرية طويلة المدى ، للاجهاز على الكيان المفروض . وهذه الحرب هي الخط الواجب السير عليه !

وفي رأيه كذلك ان لا بد من اعداد عسكري على مستوى الحكومات العربية ، دعما لحركة التحرير العربية ، وقيامها بالدور الحاسم الفعال في تصفية الكيان الاسرائيلي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليل العاشقين

يا بهجة الروح مالي عنك مصطبر ... فكيف اسلو اقلبي في الهوى حجر
يا بهجة الروح للذكرى هواجسها ... اذا تراءت رأيت الدمع ينهمر
كم من ليال سهرناها معطرة ... وفي ليالي التصافي يعذب السهر
ايام كنا وبين الزهر موعدنا ... كما يشاء الهوى واللطف والسمر
الفين قد اقسما الا تهزهما ... حتى الاعاصير او يفشاهما الكدر
يضمنا الليل ليل العاشقين فما ... نبقي الى غدنا شيئا ولا نذر
فما انقضى يا حبيبي للهوى وطر ... الا وجد لنا من حبنا وطر

هذي هي الذكريات الآن ماثلة ... امام عيني تجلوها لي الفكر
دنيا من الامنيات السمر باسمة ... قد جنّ فيها الفؤاد الصب والنظر
يموج فيها الصبا الريان تحسبه ... روض الجمال غزا تفاحه الخفر
فلست تلمح الا عالما طربا ... يطغى على ضفتيه بشره العطر
ولا ترى غير صب هائم ثمل ... متيم قد سباه الدل والحور
يا بهجة الروح كم لي فيك عاطفة ... كانها الورد فوق الورد ينتشر
يزفها لك قلب هائم طرب ... بنار حبك يا عيني يستعر
لم يرسل الآهة الحرى ويتبعها ... بآهة وظلام الليل معتكر
ويبعث الشوق انات مدلهة ... الا وترثي له الآهات والسحر

تعاود الخاطر المحزون هاجسة ... من امسنا رقصت من حولها الصور
رانت على السالفات البيض حالكة ... من البعاد فلا عين ولا اثر
ولت بشاشتها عني وعاجلها ... لؤم الزمان وابلى زهوها القدر

جامعة بغداد — باقر سماكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نموذج من نثره : « لقد عملت سلطات الاحتلال على ترحيل المواطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، مستخدمة شتى اساليب الارهاب والبطش ، تنفيذا لمخططها في اخلاء الارض من اصحابها ، وامتدادا لسياستها التي طبقتها يوم زرعت في وطننا جسما غريبا وقاعدة عدوانية استعمارية !

وكجزء من مخطط تفريغ الوطن من العرب وفي محاولة لاضعاف روح الصمود ، واخماد المقاومة ، لجا العدو الى ابعاد عدد وافر من رجال السياسة وممثلي قطاعات الشعب المختلفة عن بلدانهم الى الضفة الشرقية بداعي قيامهم باعمال تخل بالامن . ولقد استرسلت اسرائيل في الابعاد حتى امتد الى صفوف العمال والمدرسين والطلاب .

ولقد ظن الغزاة ان ابعاد هذه المجموعات من العناصر القيادية ستؤول الى اضعاف روح الصمود ، غير ان اشتداد المقاومة وامتدادها لتشمل كافة المناطق المحتلة جاء دليلا اكيدا على اصالة التحرك الشعبي في رفض الاحتلال والعدوان الصهيوني في فلسطين .

واذا كانت اسرائيل قد دأبت على الاستخفاف بالمواثيق الدولية ، وتحدي قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي ، استنادا الى دعم الاستعمار والامبريالية العالمية ، فان السكوت على تنكرها للقرارات والقوانين الدولية لا يمكن ان يكون مبررا او مقبولا ! »

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

الحماس

ويقولون : فلان كثير الحماس . والصواب : كثير الحماسة . ومعناها الشجاعة . وقد اطلق ابو تمام والبحتري على ديواني الشعر اللذين جمعاهما اسم « الحماسة » .

وتفرد التاج ـ من دون المعاجم الاخر ـ بان قال في مستدركه : الحماس (بفتح الحاء) : هو الشدة والمنع والمحاربة . ونقل عنه متن اللغة ذلك . اما الحماسة فقال انها الشجاعة والمنع والمحاربة كما قال اللسان . لذا علينا ان لا نستعمل الا كلمة (الحماسة) ، حين نريد الشجاعة .

أحماض

ويجمعون حمض (بفتح الحاء وتسكين الميم) ، مثل حمض الكبريت على أحماض . والصواب : حموض (بضم الحاء) ، لانه اسم على وزن فعل (بفتح الفاء وتسكين العين) ، ليست عينه واوا .

والحمض : مركب هيدروجيني ، يتحول الى ملح اذا استبدل الهيدروجين فيه بمعدن .

الحمام الزاجل

ويقولون : الحمام الزاجل . والصواب : حمام الزاجل أو حمام الزجال ، لان الزاجل او الزجال هو الذي يزجل الحمام الهادي ، أي يرسله الى بعد ، وسمي الزجال للمبالغة . والحمام اضيف اليه .

الحمولة

ويقولون : وضع الحمولة (بضم الحاء) على ظهره . والصواب: وضع الحمل (بكسر الحاء وتسكين الميم) . وجمع الحمل : احمال وحمال (بكسر الحاء) وحمول (بضم الحاء) وحمولة (بضم الحاء). ولا تقال (حمولة) الا لحمولة الباخرة او السيارة الشاحنة وما شابههما .

وفي التاج واللسان ومتن اللغة : الحمولة هي الاحمال باعيانها ، أو الاحمال التي تحمل على الابل . والبواخر والشاحنات وما شابهها تقوم مقام الابل اليوم .

حنايا الصدر

ويقولون : امتلأت حنايا صدره حقدا . والصواب : امتلأت أحناء صدره حقدا (مجاز) . والاحناء مفردها حنو (بفتح الحاء او كسرها) ، وهو الضلع . بينما مفرد حنايا هو حنية (بفتح الحاء وكسر النون وتشديد الياء) ، وهي القوس ، وقد قيل : خرجوا بالحنايا يبتغون الرمايا .

الحنجرة

ويقولون : أصيب بالتهاب في حنجرته (بضم الحاء والجيم وتسكين النون) . والصواب : في حنجرته او حنجوره (بفتح الحاء والجيم في الاولى وضمهما في الثانية) . وجمع الحنجرة : حنجرات وحناجر (راجع الآية ١٠ من سورة الاحزاب ، والآية ١٨ من سورة المؤمن) .

وجمع الحنجور : حناجر أيضا حسب رواية التاج والمحيط ومتن اللغة . بينما يجمع اللسان الحنجور ، ويجمع متن اللغة الحنجرة على حنجر (بفتح الحاء والجيم) .

والقياس هو ان نجمع الحنجور على حناجير . فهل لمجامعنا اللغوية أن تنقذنا من هذا التشويش في جمع حنجور ؟

أما جمع الحنجرة ففي الآيتين الكريمتين فصل الخطاب .

الحنفية

ويخطئون من يقول : ملأت الكأس من الحنفية . ويقولون : ان الصواب هو : ملأتها من الصنبور (بضم الصاد المشددة) . والصنبور قصبة يشرب منها ، سواء أكانت حديدا أو رصاصا أو غيرهما .

ويقولون : ان كلمة حنفية هي جمع ل حنيفي . والحنيفي هو الذي يتبع مذهب أبي حنيفة . وجمع حنيفي : حنفية (بفتح الحاء والنون وتشديد الياء) وأحناف .

ولكن مجمع اللغة العربية الملكي بمصر أقر في جدوله رقم ٣٣ كلمة (حنفية) وبذا انقذنا من استعمال كلمة (صنبور) التي يجهلها معظم الادباء .

حن لوطنه

يقولون : حن الفلسطيني لوطنه . والصواب : حن الفلسطيني الى وطنه ، أي : نزع اليه واشتاق .

أما حن عليه ، فمعناه : عطف عليه واشفق .

أحنى رأسه

ويقولون : أحنى رأسه ، أي : عطفه . والصواب : حنا رأسه يحنوه ، أو حنى رأسه يحنيه ، أو حنى (بتشديد النون) رأسه تحنية ، لان معنى أحنت المرأة على أولادها حنوا (بضم الحاء وتشديد الواو) : عطفت عليهم ، وأقامت معهم ، ولم تتزوج بعد أبيهم .

ومن المجاز : حنت (بفتح النون) المرأة على اولادها حنوا (بضم الحاء والنون وتشديد الواو) : لم تتزوج بعد أبيهم ، فهي حانية ، وهن حوان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأحنى عليه : عطف وأشفق .

حوالي ألف كتاب

ويقولون : عندي حوالي (الالف مقصورة) ألف كتاب . والصواب : عندي نحو ألف كتاب . وعندما نقول : قعدنا حواليه أو حواله أو حوله أو حوليه (بفتح اللام والياء فيها) ، فاننا نعني الجهات المحيطة به .

أما كلمة (نحو) فمن معانيها المقدار ، والقصد ، والطريق ، والجهة .

ما أحوجنا له

ويقولون : ما أحوجنا للتضامن ! والصواب : ما أحوجنا الى التضامن ! ومثله قولهم : اشتريت جميع ما أحتاجه من الثياب . والصواب : ما أحتاج اليه ...

حوله عن الكذب

ويقولون : حوله (بتشديد الواو وفتحها) التقى عن الكذب . والصواب : صرفه التقى عن الكذب . لان الفعل حوله معناه :

١ ـ نقله من مكان الى آخر .
٢ ـ حول فلان : انتقل .
٣ ـ حوله : جعله محالا .
٤ ـ حوله اليه : أزاله .
٥ ـ حول الشيء : غيره (بتشديد الياء المفتوحة) .

من حيث نشاطه

ويخطئون من يقول : خالد من حيث نشاطه (بكسر الطاء) . ويقولون : يجب أن نقول : من حيث نشاطه (بضم الطاء) . باعراب (نشاطه) مبتدأ ، وليس مضافا اليه كما تعرب الاسماء بعد الظروف.

هذا هو رأي معظم النحاة ، ولكن علي بن حمزة الكسائي ، رئيس المدرسة الكوفية في النحو ، يؤيده عدد لا باس به من النحاة ، يجيزون أن نضيف الظرف (حيث) الى الاسم بعده ، فنقول : من حيث نشاطه (بكسر الطاء) ، كما نقول : من حيث نشاطه (بضمها). فضم الطاء باضافة (حيث) الى الجملة الاسمية (ويجوز اضافتها الى الجملة الفعلية أيضا) . بينما الجملة الاولى التي كسرنا فيها طاء (نشاطه) ، مضافة الى المفرد ، وقد استشهد الكسائي بقول الشاعر :

ونطعنهم حيث الكلى بعد ضربهم ببيض المواضي حيث لي العمائم

بكسر الياء المشددة في (لي) .

واستشهد ابن عقيل بقول شاعر آخر :

أما ترى حيث سهيل طالعا نجما يضيء كالشهاب لامعا

بكسر اللام في (سهيل) وتنوينها .

ويعرب بعضهم (حيث) ، فيقولون : من حيث (بكسر الثاء) ، وانا لا أنصح بذلك .

يحيك الثياب

ويخطئون من يقول : فلان يحيك الثياب . وقد أجاز الليث وحده ذلك ، ثم وافقه عليه التاج واللسان والاساس والمحيط ومتن اللغة .

فنقول : حاك الثوب يحوكه حوكا وحياكا وحياكة ، وحاكه يحيكه حيكا (بتسكين الياء) وحيكا (بفتح الياء) وحياكة .

والفعل (يحوك) اكثر استعمالا من الفعل (يحيك) . ولا أرى بأسا باستعمال الفعلين الواوي واليائي ، ما دام في ذلك رفع عبء خفيف عن كاهل أدباء الضاد ، الذين يجدون مشقة عظيمة جدا في تجنب الاخطاء اللغوية ، وهيهات أن ينجوا من العثار .

خابره بالهاتف

ويقولون : خابره بالهاتف . والصواب : اخبره أو خبره (بتشديد الباء) أو حدثه ، لان معنى خابره : زارعه على نصيب معين كالثلث والربع . وجاء في الاساس في مادة بلي : خابره = اكترث له وبالى به .

الخبيزة

ويطلقون على البقلة المعروفة ذات الورق العريض اسم : خبيزة . والصواب : خبازى وخباز (بضم الخاء وتشديد الباء فيهما ، وانتهاء الاولى بالف مقصورة) .

المخدرات

ويقولون : يهرب فلان المخدرات (بتشديد الدال وفتحها) . وهذا خطأ ، اذا أريد بكلمة المخدرات المواد التي تخدر الاعصاب ، كالافيون والهروين وما شابههما . والصواب : المخدرات (بكسر الدال وتشديدها) . وهي جمع اسم الفاعل مخدر . وفعلها : خدر (بكسر الدال) يخدر (بفتح الدال) خدرا (بفتح الخاء والدال) .

واذا أريد بكلمة المخدرات (بفتح الدال وتشديدها) النساء اللواتي يقمن في خدورهن (بيوتهن) ، فالجملة صحيحة .

مكتب التخديم

ويقولون : مكتب التخديم . والصواب : مكتب الاستخدام . لان الفعل : خدم (بتشديد الدال المفتوحة) المرأة ، معناه : البسها الخدمة (بفتح الخاء والدال) ، وهي الخلخال .

وتخدم بفتح الاحرف الاربعة وتشديد الدال فلانا : اتخذه خادما . وقوم مخدمون (بفتح الخاء والدال المشددة) : مخدومون .

الخراج

ويسمون القرح أو الورم أو البثرة التي تخرج في البدن خراجا (بفتح الخاء وتشديد الراء) . والصواب : هو خراج (بضم الخاء). وجمعه : أخرجة وخرجان (بكسر الخاء) .

أما الخراج (بفتح الخاء وتشديد الراء) فهو الكثير الخروج .

ومن المجاز : فلان خراج (بفتح الخاء وتشديد الراء) ولاج (بفتح الواو وتشديد اللام) ، أي : كثير الظرف (بفتح الظاء وتشديدها) والاحتيال . وقيل : هو الذي لا يسرع في أمر ، لا يسهل له الخروج منه ، اذا أراد ذلك .

تخرج في المعهد

ويقولون : تخرج من معهد كذا . والصواب : تخرج (بفتح الراء وتشديدها) في معهد كذا ، لان تخرج (بتشديد الراء وفتحها) معناه: تعلم وتدرب . وهو خريج (بكسر الخاء وتشديد الراء وكسرها) وخريج (بفتح الخاء وكسر الراء) ومتخرج (بفتح التاء والخاء وكسر الراء وتشديدها) .

أما الذي يتعلم في معهد ، ويفوز بشهادته ، فنقول : انه تخرج (بفتح التاء والخاء وفتح الراء المشددة) في معهد كذا ، وفاز بشهادته .

الخرشوف أو الارضي شوكي أو الانكنار

ويطلقون أسم الخرشوف أو الارضي شوكي أو الانكنار على البقل المعروف . والصواب : الحرشف (بفتح الحاء وتسكين الراء وفتح الشين) . وقد عرفته العرب قديما ، وذكرته في معاجمها .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذات ليلة من ليالي الشتاء الباردة ، جلسنا سويا نديـر اسطوانتنـا المفضلة . وكـان لصاحبي مـزاج رومانسي، يشنف اذنيه بالانغام ، ثم يشرد مع خيالاته، فيتبدى لي وجهه الحالم وكأنه نائم ، وحين اواصل ما انقطع من حديث واجده غير منتبـه لمـا أقول ، الـوذ بالصمت وادع صاحبي في عالمه الوردي الجميل .

توطدت علاقتي برشدي من خلال عملي معه كمدرس للرياضيات . كان صارم الوجه ، لا تنفرج شفتاه عن ابتسامة . يحرص في المدرسة على ان تكون ملامحه جامدة ، حتـى ان التلاميذ كانوا يرتجفون خوفا لمجرد سماع اسمه . واشهد انـه طراز نادر ، فهو مثـال المدرس الكفء . كان يعمل مدرسا اعداديا ثم نـال ترقية منذ عامين فانتقل الى «بنها» ليعمل فيها مدرسا ثانويا . اما انا ، فقد كنت حديث عهـد بالمهنـة ، وتعرفت عليه حـين وطأت قدماي ارض المدرسة للمـرة الاولـى . وواجهتني مشكلة الاقامة في بلـد غريب . استضافني رشدي فـي شقته التي يقيم فيهـا بمفرده . وبرغم انه تجاوز الاربعين ، فما زال يفضل حياة العزوبة علـى الزواج . ولقد ارتـاح رشدي لمعاشرتـي ، وارتحت انا له ، الا انـه كان قليل الكلام ، كثير الصمت ، ولم اشأ ان اتطفل على عالمه الهادىء ، ولـو ان هذا العالم يتنافى مـع طبيعتي ، فأنا لا اطيق الصمت ابدا ويلذ لـي أن اتبادل مـع الرفاق أطـراف الحديث ، لكني ـ بحكم معاشرتـي لرشدي ـ اعتدت الصمت والهدوء. ولقد نجح رشدي في ان يغير مـن طبيعتي ، ويجعلني استحب هـذا الصمت واستطيبه وكـان يحلـو لصاحبي ان يدير اسطوانته المفضلة ويردد في تدله وهيام :

« لا تقل شئنا ، فـان الحـظ شاء » .

ادركت انه يتكتم على قصة حب، الا انها ماثلة في خاطره ، ويتهيأ لي انه يستعيدها مع كـل كلمة مـن كلمات الاغنية ، واحس بأن كـل مقطع من مقاطعها يشيع فـي نفسه انة من انات الحرمان ، وآهة مـن آهات الذكرى . كان مـن الصعب علي أن استدرجه في حديث يبوح فيه بشيء عن ماضيه ، فهـو يعتبر ذلك امرا خاصا به ، فلـم أشأ ان احاول معـه ، واكتفيت بتـذوق اغنيته المفضلة ، حتى كـدت أحس باللوعة عند فقرة مـا مثلما يحس هـو ، واحس باشتيـاق المحـروم وعذاباته . كـدت أحس بـذات الاحاسيس ، حتى ظننت اني اعاني مما يعانيه ، واكابد ما يكابده .

شمعة الحب

بقلم المهندس حسني سيد لبيب

رشف رشفات قليلة من قـدح الشاي ، ثم صعد عينيه حتى تلاقتا بعيني وقال :

ـ أتعرف ان الحب هـو اسمى المعاني وانبلها .

ـ حقا .. حقا ..

ـ وان الانسان اذا افتقد الحب، فانه يفتقد معنى الحياة .

ـ حقا .. حقا ..

ـ وان الحياة بـلا حب غيـر جديرة بأن تعاش ولو لحظة واحدة.

ـ حقا .. حقا ..

كنت اتحاشى الخوض معه فـي



حديث ، واكتفيـت بالانصات لمـا يقول . الا اني احسست بأنه يـود لو يقول شيئا ، وينبغي ان اشجعه على مواصلة الحديث والتطرق الـى موضوع يشغل خاطـره . اعرّضت عن موقفي السلبي وقلت استميله :

ـ الم تحب يا رشدي ؟.

صمت . لم يكن صمته يضايقني، وادركت انه ربما يستعيد شيئا مـا في ذاكرته قبـل أن يجيب ، قلت وأنا احس بالاقتراب منـه اكثـر فاكثر :

ـ اقصد هل صادفت في حياتك امراة تركت أثرا جميلا في نفسك ؟

اومأ بالايجاب ، فكان ذلك بداية مشجعة ، او قل انه لب الموضوع ، ولا ينبغي لي ان اطمع في اكثر مـن ذلك . ففي حياته امـراة احبهـا واثرت فيه تأثيرا كبيرا . ليس هذا بجديد ، فقد ادركته بفراستي ، لكن الجديد هو ان يقـره بنفسه ، ولا يتنكر لـه . احسست حينذاك ان الاستاذ رشدي قد تنازل قليلا عن خصيته الجامدة .

رشفت الرشفات الاخيرة مـن الفنجان ، ثـم جئت بكراريس التلاميذ الا انه نهرني :

ـ ما هذا ؟.. تفسد هذه الليلة الجميلة بالتصحيح ، دع عنك هـذا العمل الرتيب .

ـ حقا هو رتيب، لكنه ضروري.

ـ ليس الآن . اريـد ان اقص عليك قصتي ، ربما كانت تهمك .

كدت لا أصدق ما يقول ، الا ان نبرات صوته اكدت لي مـا يعنيه . ابعدت الكراريس ، وعـدت اجلس قبالته في لهفة :

ـ حقا هـي تهمني ، ويشوقني سماعها .

ابتسم لي ابتسامته الهادئة ، ثم بدأ يروي لي قصته بنبـرة هادئـة اشبه بالهمس :

ـ « منذ خمس سنوات تم اول لقاء بيننا . كنت أعمـل مدرسا بمدرسة اعدادية في بلدة صغيرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دعاني تلميذ الى البيت بناء على طلب والده ، فلبيت الدعوة . وحين التقيت به ، عرض علي اعطاء دروس خصوصية لابنته وهي بالثانوية العامة . ترددت في البداية لاني لم أدرس في المرحلة الثانوية بعد ، احسست انه عبء ثقيل قد اقصر في تحمل التزاماته، الا ان ابنته دخلت فجأة وحيتني . اسمها سهام .. تمليت النظر في وجهها النوراني ، الجمت النطق ، ولذت بالصمت ، فاعتبر والدها صمتي دليل الموافقة ، فاستأذن حتى نبدأ الدرس الاول . ولست ابالغ اذا ما قلت لك اني لم اصادف مثلها ، ولم تأسرني فتاة كما اسرتني هي . تعلقت بها ، وما ان تجمعني بها حلقة الدرس حتى اتحول الى شخصية اخرى غير الشخصية الجامدة التي اعتدت عليها . كانت فتاة حلوة الحديث ، حلوة العينين ، حلوة الطبع والسلوك .. كل شيء فيها حلو . ولا اخفي عليك اني احببتها ، ذلك الحب الروحي الطاهر . لكن عقدة الكبرياء حالت بيني وبين البوح لها بما يكنه الفؤاد ، فأنا استاذ وهي تلميذة ، ولا بد ان احافظ على العلاقة التي تربط بين الاثنين . خشيت البوح لها حتى لا اهبط الى مستواها ، او هكذا تبدى تفكيري ، شعرت اننا من طبقتين مختلفتين .. فانا اودع الشباب او تجاوزته بقليل ، وهي تستقبل الشباب او تتهيأ لاستقباله .. فهل يلتقي الخريف بالربيع ؟. لكنني عجزت عن مداراة احاسيسي، وعجز قلبي عن كبت مشاعره الفياضة نحوها ، فخفق بحبها وهتف في اعماقه باسمها .

وكانت سهام ذكية الى اقصى حد . فنظراتي كانت تترجمها وتفهم مقصدها . كما كانت تحلل كلماتي وتفسرها حتى كدت احس باحساس آخر ، احس بأنها تسترق السمع الى دقات قلبي وتحصيها ، تدرك مشاعر قلبي ، وتعي خفقاته ، وتتعرف على انينه المكتوم .

كانت سهام تستهويني، كما كنت استهويها ، او هكذا كان حدسي . وكانت تستشيرني في امور عديدة خاصة بها ، حتى تلك التوافه من الامور كانت تبوح بها ويلذ لها ان تقودني الى الخوض في الحديث عنها، وتلح في طلب الراي والمشورة، ثم ما تلبث ان تقتنع بما اقول وتعاهد نفسها ان تعمل بنصائحي. وكنت اسعد لذلك ، واعتبره نافذة مطلة على جانب آخر من حياتها وسلوكها . وذات يوم فاجأتني بقولها :

ـ سأنبئك بنبأ محزن .

ـ نبأ محزن !.

ـ سأتزوج ..

كانت الكلمات ثقيلة ، وكان النبأ محزنا حقا ، اليما جدا .. جمدت لحظات ، ثم قلت اداري شعوري :

ـ انه نبأ مفرح يا سهام . هل الزواج شيء محزن ؟.

ـ هذا الزواج . انه ضد رغبتي. ابي يريد تزويجي من رجل تجاوز الاربعين .

ـ أنا اقترب من الاربعين ، فهل اكون زوجا عجوزا ؟.

ـ انت ؟.. هناك فرق .. انه تاجر مسلى ، صوته اجش .

ثم قلدته ببضع كلمات تقليدا اضحكني برغم ما انا فيه من حزن . ثم اكملت :

ـ وله كرش .. انه لا يناسبني.

ـ وكيف يزوجك ابوك من رجل لا يناسبك ؟!.

ـ انهما صديقان ، الروح بالروح .

وضمت سبابتي يديها دلالة انهما صديقان مخلصان .

ـ اقول لك رأيي ..

ـ ما هو ؟..

ـ ارفضي هذا الزواج .

فضحكت ساخرة واعقبت :

ـ ارفض .. كيف ؟. انه كالقضاء .. ولا بد ان اطيع .

ـ اذا تقدمت لابيك طالبا الزواج ، اتوافقين ؟.

صمتت برهة ، احسست من خلال الصمت اني سفحت كبريائي امام تلميذتي الصغيرة وبحت لها بما لا يجب البوح به ، ولعل تاجر المسلى المتقدم في السن جعلني اتشجع واعرض عليها فكرتي الجريئة . لم اكن افكر في الزواج من قبل ، ولم اعد له عدتي . ان راتبي الشهري لا يكاد يغطي نفقات معيشتي ، فالاسعار مرتفعة لا تتناسب مع دخلي الضئيل . لا ادري كيف اندفعت بهذه الطريقة، ان الحب هو الذي املى علي هذا التصرف . قد اذل الحب كبريائي ، ودفعني الى البوح عن مكنون فؤادي .

كانت فترة الصمت شديدة القسوة على حسي المرهف ، كنت أود ان تقول شيئا حتى ينتهي هذا المشهد المتأزم .. قلت استعجلها :

ـ افهم من صمتك انك لا توافقين ..

ـ انا .. موافقة ..

نظرت الي بعينين براقتين رائعتين .. كانتا اجمل عينين رأيتهما .

لكنها استطردت قائلة :

ـ لكن ابي يا استاذ ...

ـ أيرفضني ابوك ويقبل تاجر السمن ؟.

ـ انه صديقه ، ولو انه قد يرضى بك اذا رآك اكفأ منه .

تعسر علي فهم مقصدها ، الا اني تبينته :

ـ تقصدين ماديا ؟.

ـ للاسف . قد تفصل المادة بيننا .

ومن جديد ، احس بكبريائي تلجمني النطق فلا ابوح. لكني تحت وطأة احساس طاغ ثرت على كبريائي الهوجاء ، وقلت استميلها :

ـ لا املك غير راتبي الشهري .

ـ فقط !.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ و ... حبي لك .

لم تعد سهام تلك التلميذة الصغيرة التي اخفي عنها ما انا فيه من حال ، تمليت سهام التي اسرتني بجمالها ، سهام التي احبها قلبي ..

جادت عيناها بدمعتين حارتين انسابتا على خديها المتوردين ، وظلتا واقفتين كحبتي لؤلؤ .

ـ وانا احبك .. الحب اغلى ثروة ، وابقى ..

اصبحت الآن شديد الثقة بنفسي ، وكان تصارحنا يعني اننا اقوى من اية عقبات .. واحسست في تلك اللحظة اننا يجب ان نتزوج ، مهما تعقدت الامور ، والتوت امامنا السبل ، فقد بحت لها بحبي ، ولا بد ان اعجل من زواجي بها .

ـ وما العمل ؟.

لاول مرة اسأل .. سهمت سهام قليلا ثم قالت :

ـ نهرب ..

ـ نهرب !.. اهذا معقول ؟.

ـ معقول جدا . فلست مستعدة لان اربط مستقبلي برجل اكرهه ، وامقته .

ـ يعني الهرب هو الحل الوحيد؟

اومأت براسها ولم تفه بكلمة .

ظل الصمت مسيطرا وفي داخلي احساس قلق . انها تلميذة صغيرة تفرض ابسط الحلول واسهلها . ان الهرب يتراءى لها فكرة سهلة ومخرجا من الازمة التي تعانيها. انها تلميذة غير مدركة . كيف نهرب ؟. ثم ماذا بعد الهرب ؟. تلميذة صغيرة هي ، ولا يجدر بي ان افكر بمنطقها، يجب ان اعالج المشكلة بطريقتي الخاصة .

ـ دعيني أتصرف .

ـ لا فائدة من اقناع ابي .

قلت لها حين هممت بالانصراف:

ـ لم نأخذ درسا اليوم .

ـ ما جدوى الدرس ؟.

ـ مستقبلك .

ـ مستقبلي معروف . اذاكر واتعب ثم اتزوج .. لن اكمل دراستي ، ولن اعمل .. وانما ادخل بيت الزوجية مسوقة اليه قهرا ، فما جدوى المذاكرة ؟.

لم اعقب على كلماتها المريرة ، وارجأت ذلك الى ان التقي بأبيها .

تم اللقاء في عصر اليوم التالي . استقبلني بكرمه الريفي المعروف ، وحفاوته المعهودة . كان يتوقع مني ان اقول شيئا ، فلم اعتد على مقابلته . لكنني جمدت، واحسست بدوامة هائلة تلف راسي فلا اكاد اتبين مقصدي بالضبط . كدت في آخر لحظة ان اتراجع عما انويت ، وازعم انني جئت للسؤال عن صحته .. تداركت الامر اخيرا ، وحدثته عن تفوق سهام ، وان مستقبلا مشرقا ينتظرها . سألته ان يولي ابنته بعض الاهتمام ، فقال ضاحكا :

ـ البركة فيك يا أستاذ ..

وحين صرحت له برغبتي في ان تواصل تعليمها ، عارضني بشدة ، واكد لي انه لا يطمع في التعليم العالي لابنته فالعريس مستعجل ، وسلزف اليه عقب انتهاء الامتحانات .

ـ ومن هو سعيد الحظ ؟.

ـ تاجر سمن مبسوط جدا ، يلعب بالمال لعبا ..

ـ المال ..

ـ اجل يا أستاذ ، تاجر كبير..

وضحك ضحكة عالية مضجرة ، ثم قال :

ـ اعرفت الآن كيف اسعى الى مستقبلها ؟.

لم اشأ ان ابوح بشيء . كيف اقدم نفسي له ، وهو يبحث عن المال ؟. كيف اقدم له حبي مهرا لابنته ، وتأمينا لمستقبلها ؟. لذت بالصمت ، وسرعان ما هممت بالخروج دون ان اتدبر شيئا او اصل الى ما أريد .

بدأت اقتنع بفكرة الهرب . لاحظت ان سهام قد تغيرت . لم تعد تبوح بشيء ، ولا تطمع في شيء . صارت جامدة الملامح ، كاسفة البال . لم تشأ ان تذكرني بما دار بيننا من حديث من قريب او بعيد ، وشاءت كبريائي ان اظل غارقا في صمتي الى أن تبدأ هي . اعطيتها الدرس في جمود . كنت واثقا من انها ما عادت تفهم حرفا واحدا . اوشكت ان ابوح لها باقتناعي بفكرتها ، بالهرب .. الا انني الجمت النطق وعجزت عن البوح . وحين هممت بالانصراف وقفت قبالتي ساهمة . احسست انها تكاد تقول لي شيئا ، التبس علي الامر وظننت انها قالت فعلا شيئا ما ، سألتها :

ـ اتقولين شيئا ؟.

ابتسمت ..

ـ انا غير مبسوطة .

عادت الحيوية تبسط ظلها المرح على ملامح وجهها بعد طول عبوس.

ـ لم ؟.

ـ لانك لم تسألني عن حالي ، واعطيتني درسا صعبا معقدا .

ـ الم تفهمي ؟.

ـ كيف افهم ؟.

ـ ربت على كتفها في حنان ، وطبعت قبلة على جبينها الوضاء ، وكأني أقدم بطاقة اعتذار عن صلافتي وجمودي . تفاديت النظر الى عينيها ، خشيت ان اراهما دامعتين . وانصرفت دون ان ازرع في قلبها الخافق بذرة الامل . لم اكن جاحدا ، وانما كانت تصرفاتي غير مرتبة او مجهزة . تصرفت بما يمليه علي الخاطر ، دون ان اتدبر أية خطوات اخرى ... » .

وصمت رشدي ...

لم اشأ ان استحثه على مواصلة الحديث برغم شوقي الى معرفة مصير شمعة الحب التي اضاءت سماء حياته ، وهل انطفأ نورها ام احترقت لتضيء ؟. لم اشأ ان استحثه على مواصلة الحديث برغم لهفتي على سماعه ، فقد ادركت انه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينوء تحت عبء نفسي كبير ، وكم هي اليمة تلك الكلمات التي فاه بها !.

وتذكرت ، اثناء صمته ، أختي .. كانت لي اخت حلوة كتلميذته العاشقة . الا انني وقفت حائلا بينها وبين من تحب. لم اكن اكره حبيبها، بل كنت اكره الحب ولا اومن به . كانت اختي عاشقة متدلهة ، فأوعز قلبها اليها ان تنتحر . وكان انتحارها صدمة اليمة جعلتني العن الحب ، امقته .. وحين روى لي رشدي قصة حبه وما فيها من صدق احساس ويقظة شعور ، تيقظ كامن شعوري وغامض احاسيسي . لم اشأ ان اثور على حبه أو اتنكر له ، فقد احسست من تجربته بأن الحب موجود حقا ، وان الحب شيء نبيل . عشت قصة حبه فآمنت بالحب . وليس يبتني الحب قصورا على الرمال او في الخيال كما كنت أعتقد ، وانما يبني عشا صغيرا جميلا في جزيرة الحب الخضراء . تعلقت بحبه النوراني وكدت احب سهام مثله . ان احاسيسها تكاد تتشابه مع احاسيس اختي .

ادار من جديد « البيك اب » ليستمع الى قصيدته الاثيرة « الاطلال » . قمت لاعد فنجانين من القهوة ، ثم عدت لاجده غارقا في عالمه الوردي الجميل ، قلت له :

ـ تركتني معلقا دون ان تروي ظمئي . كدت احب سهام مثلك .

ـ أأحببتها ؟.

ـ لا تخف ، انه حب بريء ، كحب أخ لاخته .

ـ انت تحب !.. يا من تكفر بالحب وسيرته .

ـ صاحبتك هي السبب . اخبرني عن حالها . هل تزوجت تاجر السمن ؟.. ام ماذا ؟.

أسهم قليلا ثم قال في صوت خفيض :

ـ ماتت .

لم اصدق ما قال . حسبت ان اذني اخطأت السمع والتقدير ، وظننت ان انتحار اختي قد اثر على توقعاتي . وكان رشدي جامد الملامح ، لم يرتجف ، ولم يتغير فيه شيء ينبيء عما يقول . قلت استحثه :

ـ اخبرني عن حال سهام .. هل تزوجت تاجر السمن ؟.

ـ قلت لك ماتت .

وغار قلبي . أحسست اني جثة هامدة مدفونة في هذه الشقة المظلمة ، كظلمة القبر . خلت قلبي يتوقف ، فلقد روعني ما سمعت .

ـ ماتت !! .. كيف يا رشدي؟.

اشعل لفافة دخان ، واشعلت اخرى . نفثت دخانا كثيفا تلاقى مع دخان لفافته . تثاقل الدخان ، كسحب الشتاء المتلبدة . الا انه سرعان ما تبدد ، وضاع في الظلام الغامض . راقبت سحب الدخان هذه وكأني اتلهى بلعبة طريفة ، الا ان السحب تبددت سريعا وافقت الى واقعي الاليم .

ـ انتحرت !.

لماذا توقعت ذلك ؟. اهناك تشابه ما بين حالها وحال اختي ؟.. ربما .. اجابني رشدي :

ـ لقد ماتت بعد ان تناولت مع اخوتها قطعا من الحلوى . كانت الحلوى مسممة . اما ابوها ، فقد نجا من الموت ، لانه لم يأكل من الحلوى ، كان مريضا بالسكر ، وامها كانت نائمة ولم تشأ ان تستيقظ لتشاركهم طعامهم الاخير . مات الاخوة جميعا ، وسهام ماتت ..

وبرغمي ، سالت دمعتان حارتان، وتساءلت :

ـ كيف ماتت سهام ؟.

ما زلت اكذب ما يقول ، كدت اجن . تنكرت لما قال . وفي اعماقي يصخب تساؤل مبهم : « لماذا تحترق شموع الحب هكذا سريعا ؟ » . لذت أنا الآخر بالصمت مهموما ، كاسف البال . قال رشدي في الم :

ـ يوافق اليوم الذكرى الخامسة لوفاتها ..

وحسبت انا ايضا ان اختي انتحرت منذ خمس سنوات . هممت بأن آخذ نفسا من سيجارتي، فالفيتها قد احترقت عن آخرها ، وتساقط الرماد على الارض . سيجارتي احترقت قبل الاوان .

القاهرة — حسني سيد لبيب

حياتي

★

حياتي غرسة نبتت بأرض .. صلبة .. كبرى
بها قلمي نما صلبا .. وجوف بالشذا أثرى
سقيت مكارم الاخلاق طفلا .. أمه حيرى
ووالده مقل العيش .. لا نعمى ولا بشرى
فلا عجب اذا ما كنت روحا هينمت شعرا

حمص — محمد مرعي مهنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مكتبة الأديب

قضايا النقد الادبي الحديث

تاليف الدكتور محمد السعدي فرهود ـ ٣٠٨ صفحات ـ مطبعة زهران بالقاهرة

يأخذ الدكتور محمد السعدي فرهود أستاذ النقد الادبي بكلية اللغة العربية نفسه ماخذ الجد الدائب فيما يعالج من بحوث أدبية وتراجم تحليلية ، فقد أخرج رسالة الماجستير عن عبد الله النديم ورسالة الدكتوراه عن عبد الرحمن شكري فابدى من الجلد الصابر ما يعز على الكثيرين ، اذ رجع الى المخطوطات والرسائل الخاصة ، وزار الاحياء من ذوي القربى بصاحبية ، وقرأ نماذج المسودات الادبية في اوراقها الاولى ، وعثر على المجهول المهمل من تراث الاديبين الكبيرين ، فجاء عمله الجامعي نمطا بالغ الدقة والاستيعاب ، وكنت أرمق جهده في اعداد رسالة شكري ، وانا لا أصدق أن طالب الدكتوراه يترهب هذه الرهبنة الخالصة المخلصة في دير العلم والبحث ، وقد أحسن الله صنيعه اذ حاز اعلى الدرجات العلمية جزاء دفاقا لما بذل .

وقد طالعت اليوم كتابه الجديد قضايا النقد الادبي الحديث ، وكنت مشوقا لموضوعه فرأيت الدكتور كمهدي به يحتشد لموضوعه احتشاد الصابر المناضل ، واسعدني أن اراه خبيرا بميدانه ، يعرف ثغرات الحلبة فهيىء لها من المادة ما يكفي للفوز والظفر ، فهو يفيض ويتسع عندما يرى الضرورة ملحة لبسط معارفه الجديدة ، ويوجز ويقتضب حين يرى المنهج الجامعي يفرض عليه بعض النواحي المدروسة، فيمر بها مرورا طائرا وكانه يقدم على المائدة طبقا لا يشتهيه ، ومما احمده له ان توسع كثيرا في الدراسة التطبيقية لاعلام القصة والمسرح، لان مجال التطبيق هو الذي يبرز جهد المؤلف ومعدته ، وكم من الباحثين من يغمرك بالنظريات العلمية والقواعد المنهجية فتظنه ذا بصر وسداد حتى اذا ترك القاعدة للتطبيق كشف عن عوار أليم ، اما الدكتور السعدي فقد امتع قراءه حين تحدث اليهم عن نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وشوقي حديث الدارس الملهم الذي يشارك الفنان قوة الاستبصار وعمق الادراك .

لقد بدأ الدكتور كتابه بالحديث عن المقاييس الادبية للنقد قديما وحديثا فاوجز القول اذ قدم مادة تعاقب عليها الكاتبون ، كما ألم الماما الطفراني بالجزع حين تحدث عن تاثر النقد الادبي بعلوم النفس والاجتماع والجمال وهو يختم كل باب من أبواب كتابه بتعقيب مرجح يوازن بين ما اسلف من الآراء مرجحا ما يختاره بالدليل ، وفي هذه التعقيبات المتتابعة يفصح السعدي عن معدن أصيل كما ينيء عن صدر متسع متسامح اذ ينظر لاصحاب الآراء المتناقضة نظرة عطف تدرك منازع الخلاف ، وتستر كل نزق شخصي يتترس بمذهب نقدي ، فليس السعدي من أصحاب الصولات العنترية الزائفة التي تنتهز كل غميزه لتسيطر مستعلية على الناس ، ولكنه اخ ودود لكل من تحدث عنه من السابقين واللاحقين .

وطبيعي ان يوجز القول في قضية اللفظ والمعنى من لدى الجاحظ الى عبد القاهر ، وان كانت جهود صاحب دلائل الاعجاز قد اجبرته على ان يقف عنده فيطيل بعض الشيء وهي اطالة اوجزت ما افردته المؤلفات الخاصة بصاحب اسرار البلاغة اجمل ايجاز، وقد مهد بذلك كله للحديث عن قضية الشكل والمضمون في النقد الادبي المعاصر من اوربي وعربي متنقلا الى مكان الابداع والعبقرية من الاثر الفني ، وموازنا بين المنحى الغربي والشرقي في تفسير العبقرية واخاله قد اطال بعض الشيء في دراسة مذهب فرويد النفسي ، وهي اطالة قد يحتاج اليها الطالب الجامعي وان اشتهر مضمونها لدى الدارسين من الكبار .

واذا كان موضوعا التجربة الشعرية والوحدة العضوية من قضايا النقد المعاصر فقد فسح لهما المؤلف مكانا طيبا من كتابه ، وقد تابعته متابعة يقظة وهو يلقي الاضواء على تاريخ هذه الوحدة العضوية من لدن ارسطو ، مسهبا في حديثه عن بعض من نلتمس في اقوالهم ما ينبيء عن ضرورة هذه الوحدة من نقاد العرب امثال ابن قتيبة وابن طباطبا والحاتمي متاسفا ان يكون ما حام عليه الحاتمي في هذا الصدد قد عدم الصدى القوي لدى معاصريه ومن وليهم من الناقدين ، وكاني به يريد ان يقول ان الحاتمي قد وضع يده على موضع البئر ودل على ماء القليب وقد هلك الناس ظمأ من بعده دون ان يردوا مورده العذب، هذا بالنظر للقدماء ، اما المعاصرون من امثال خليل مطران وابراهيم المازني وعبد الرحمن شكري والعقاد فقد اشبع المؤلف الحديث عن اتجاههم العضوي مفصلا ما يراه من الفوارق الدقيقة بين شاعر وشاعر من هؤلاء ، وكاني به قد ظلم مطران دون قصد حين رأى انه انحاز الى جانب شوقي دون ان ينحاز الى جماعة الشعب المشاكسين من امثال العقاد ، لان مطران كان ذا خلق مجامل لكل أديب سواء كان تقليديا كشوقي أم تجديديا كالعقاد ، وليست صلته بشوقي واضرابه بمانعة انفراده الفني في ابداعه ، وانا مع الدكتور فيما حكاه بعد ذلك عن المازني وشكري والعقاد ، وقد فرحت كثيرا بقوله التعقيبي في نهاية فصله الجيد « لنذكر دائما ان طبيعة الشعر الغنائي ان يكون انفعالات يتلو بعضها بعضا ، وليس انفعالا واحدا متصلا ، وتتعدد الانفعالات وتتباين نوعا وقوة وضعفا ، ولم تحقق الوحدة العضوية بالمعنى الحرفي في الشعر الغنائي لدى أي شاعر أبدا ، اللهم الا ما نظم في القصة الشعرية لان طريقة العرض القصصي تربط الموضوع وتحدد اجزاءه وترتبها وتنظم سياقها ، فلنثق ان الوحدة المطلوبة في الشعر انما هي الوحدة الفنية لا الوحدة العضوية ، وبتلك الوحدة الفنية يتكامل القصيد وتدب فيه الحياة » .

اقول فرحت كثيرا بهذا القول لانه يرد على قوم يطلبون من الشاعر ان يكون مهندسا عقليا يرسم القصيدة بالمسطرة والفرجار ، وكانه لا يصدر عن احساس يغلي ويجيش ويضطرم بحيث يستحيل ان يفكر الشاعر بطريقة من سجل المعادلات ، وذلك قوله لو اطلته لطال ولكني اسجل خواطري فقط دون استيعاب .

وقد جاء ما كتبه الدكتور السعدي فرهود عن الصورة الشعرية نموذجا للتاليف الجيد ، فكشف الغموض عما يدور حول الصورة والمضمون والشكل من ابهام ثم حلل عناصر الصورة الشعرية تحليلا ببحث اللفظة المفردة واللفظة في التعبير المكتمل مطيلا الكلام عن الوزن الموسيقي اطالة تتطلبها أهمية الموضوع ، وهو بحث لا تكفي القراءة العابرة لاستيعابه لان ما جمعه الكاتب من النصوص وما خلص اليه من الآراء يتطلب المعاودة والتحليل ، ولعلي بهذا الاستعراض الطائر قد افلحت في تشويق القارىء الى هذا الكتاب الجيد في عصر يحفل بفضول كثير في عالم الانتاج والتصنيف .

الفيوم ـ دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معالم الكرامة في الفكر العربي

تأليف الدكتور عادل العوا ـ ٢٣٧ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الامل بـدمشـق

عرفت الاستاذ الفيلسوف الدكتور عادل العوا زميلا فـي كلية الآداب بالجامعة السورية منذ عام ١٩٤٧ ، ومن دأبي أنني حين أعرف الافذاذ أداوم على الاعجاب بهم واتقيل ظلالهم وافرح بلقائهم ، ومنـذا الذي لا يفرح حين يلقى كنزا متوهجا بالذهب ، لا سيما ذهب الفكـر والمعرفة التي لا تفنى .

وكنت أسجو الى صوته الركين الوضاح حين كان يلقـي احاديث في الاذاعات ، وضرب الدهر بيني وبينه حينا ، ثم عدت الى لقائه في وزارة التربية رئيسا للجنة التربية والتعليم التي كنت من اعضائها . وخلال هذا اللقاء الذي لـم يدم طويلا توثقت بيني وبينـه المودة التي لا تنفصم . ثم اصبح بعد ذلك رئيسا لقسم الفلسفة ثم عميدا لكليـة الآداب بجامعة دمشق .

وكم ذا يطيب لي أن أكتب عمن عرفتهم لانني حين اتحدث فـي شؤونهم الفكرية والادبية أجدني مسامرا لهم على البعد ، وما حيـاة القلم والفكر لتعيش الا بمثل هذه الاسمار التي يبث بهـا المرء اعجابه باناس عباقرة لا يجود الدهر بامثالهم جودا كثيرا .

اما كتاب « معالم الكرامة في الفكر العربي » فأمره اثار خواطري وجلجل اعجابي اذ ان المؤلفات التي ظهرت فيما تحدر من السنين منذ منتصف القرن العشرين اخذت تعنى بالفكر العربي وموضوع الفكر ظهر مليا في اقلام الباحثين والكتاب عدا الشعراء فانهم لا يزالون حتى الان منصرفين عن قضية هذا الفكر وقد يحق لهم ذاك اذ أن للشعر مجـالا آخر في التأمل والشعور ولان الكلام على الفكر يدخل في حيز العلوم اكثر مما يدخل في دنيا الآداب ، لكن الدكتور المؤلف وجد معين الشعر العربي في الماضي والحاضر نبعا ثرارا لموضوعه وان قصيد المديـح لتربي على الوف الالوف من الابيات وكلها عند العرب تجري في مهيع الكرامة للفكر العربي . ولعلي اذكر ان اول ما وقع نظري على موضوع الدراسات الفكرية كان في كتاب الاديب السوربوني « دانيل مورنيه » استاذ المحاضرات في السوربون وكلية فرنسا الجامعة ، اذ سمى كتابه يومذاك بالفرنسية ومنذ ربع قرن « تاريخ الادب والفكر الفرنسي » .

وكم طاب لي أيضا ان أجد الصديق القديم العميد العوا يدخل في باب الفكر العربي زاوية جديدة هي كلامه على معالم الكرامة .

لقد اخذت اشق الصفحات في هذا الكتاب الذي تفضل بـأن اهدى الي نسخة منه ، وكنت احسبني وبيدي سكين الورق ان معـي ثمرة شهية افصل عنها قشرها لالتهم لبابها ، وفي هذا الضرب مـن الطباعة الحديثة في زمننا تسلية للقارىء المتمكن فـي تناول القراءات في المؤلفات .

والمؤلف النابغ لم يترك قراءه يفسرون عنوان كتابـه ويديـرون المعاني على موضوعه الجديد ، فلقد بادر الى شرح مشكلة الكرامـة الانسانية ، متخذا بادرة القول فيها من رسائل « اخوان الصفا وخـلان الوفا » اذ استطاع ان يستنبط من هذه الرسائل مشكلة الانسان مـع الحيوان وتفضيل الانسان نفسه على سائر الحيوان ، اذ ان الحيوان قد نبا ولم يطاطيء اظهره لركوب الانسان وعد الحيوان نفسه في جملة الاحرار الذين جاءوا الى الدنيا لينعموا بها كما ينعم الانسان . ففيـم يستعبد بنو آدم بني الحيوان ويغلبونهم على أمورهم . فحدثت المشكلة في اسطورة بجزيرة يحكمها مليك من الجن ذهب اليه الفريقان الانسان والحيوان يحتكمون اليه في امرهم هذا وقضيتهم الابدية .

وقد صابر المؤلف واوفى صحة البحث حتى انتهى كلامه فـي رسائل اخوان الصفاء فكان جديرا بالاكبار اذ اننا لم نجد حتى اليـوم



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من استغل هذه الرسائل واخرج منها الموضوعات التي تدخل الفائدة على البحث الفكري وتنفي عنه الضيم فيما لز بـه اخوان الصفاء . وكان صديقي الدكتور عمر فروخ من اوائل من عنوا بهـذه الرسائل الصفوية بالعصر الحديث .

ويعيدني الدكتور المؤلف الى جمهورية افلاطون حين كان يتساءل فيلسوف الدهر الاول ويقول :

ـ هل سيأتي يوم على الحيوان فيستريح فيه من ظلم الانسان؟..

ولو رد افلاطون واخوان الصفاء وبنو الانسان كمـا لـو ردت طوائف الحيوان التي ثارت على الانسان ظالمها في رسائل اخوان الصفاء فشاهدوا جميعا ما صار اليه عصرنا في القرن العشرين مـن استنباط السيارات بضروبها المكينة وما صنع الدولاب من الامر العجاب لتمنـوا جميعا من اناسي وحيوان ان لو عاشوا معنا في هـذا العصر حيث استراح الحيوان من ظلم الانسان وامتطاء اظهره . وهيهات فان قضية الحيوان لا تزال معقدة ولم يخلص الحيوان بعد كـل الخلاص مـن استعمار بني آدم ، فالخيول السلاهب لا تزال عدة للحرب وفي القرى والدساتر وفي جهات الارض البعيدة عن الحضارة يسام الحيوان شرور الهوان .

ثم يندفع المؤلف الجليل في مبتكر موضوعه الى الكلام على اشتات الجهات التي يجعلهـا محفـة بموضوعه مستعينا اول الامـر بالنظـرة الاسلامية وما ورد في الكتاب والسنة مـن اجـل الكرامة الانسانية والاشادة بقدرة الانسان وكرامة محتده وطيب منبتـه ويجعل المؤلف اللغة وبيانها مردفة للقرآن الكريم في استعمال الالفاظ الخاصة التي تدل على الكرامة وما جاء في كلام العرب منها كالمجتد والاروعة والمفرس والنجار والجرثومة ، ثم اخذ يتقصى بالتركيب البياني لكرامة الانسانية في لغة العرب كقول القدامى في ذلك : فلان معم مخول ، اي له مـن عمومته واخواله ما يدفع بهم الغوائل .

ويجعل المؤلف الفاضل الفصل الثاني في كتابه هذا المجيب بحثا في كرامة الاشخاص بدءا من شخصية الرسول محمد بن عبد اللـه صلوات الله عليه وسلامه ، فيما كان يشيد به من اخـلاق الشخوص وكرامتهم من الصحابة الاكرمين وما كان يعاين مـن اصول اعمالهـم الطيبة وصون كرامتهم عن مواطيء الدنيا حتى استحقت صفة الكرامة عنده مكانتها الرفيعة . ثم ابدى المؤلف تسلسل هذا الشعور خـلال عهد الرسول الذي كان الباني الاول لامثولة الكرامة العربية وتشييـد مكانتها الانسانية في الفكر العربي .

وكانت دراسة الدكتور العوا لمعاني الاسماء والنعوت التي وصف بها الرسول دراسة جديدة ومبتكرة استقصى بها كل النعوت والالفاظ الوصافة لارسول واخلاقه ، وكم كنت ارى ان ما ورد في القرآن الكريم من الفاظ الكرامة التي خلعها القرآن على محمد بن عبد اللـه فكانت مزيجا نابعا بحق وصدق من صفاته السنية البشرية التي اطاحت بقدره في العالم الاسلامي والعالم البشري . وان في اسماء اللـه الحسنى ما يطيب اشعاعه المترامي على كرامة الاسماء الانسانية التي افاض بها الخالق على المخلوق .

ثم ينتقل المؤلف الى الكرامة في اسماء الصحابة والتابعين ثـم الابطال والمجاهدين ثم العلماء والعاملين . ويسيـر ببحثه وشروحه مستفيضا كالبحر . ومن لي بالنجاة من بحره الخضم وقد كـدت ـ شهد الله ـ وانا اكتب هـذه الدراسة للكتاب مـن اجل مجلة « الاديب » العزيزة في جوف ليل هادىء يضمني وكانني فـي خضم زاخر ، فاخذت اردد قول صاحبي ابي العلاء المعري بقصيدته التـي مطلعهـا :

عللاني فـان بيض الامانـي فنيت والظـلام ليس بفانـي

قال صحبي فـي لجتين مـن الحندس والبيـد اذ بـدا الفرقـدان

نحن غرقى وكيف ينجدنـا نجمـان فـي حومـة الدجـى غرقـان

واني لكذلك كدت اغرق في خضم هذا السفر الجليل الذي تتبعت فيه متوغلا كرامة الفكر العربي وقد ابدى الاستاذ الكبير العوا مجهوده الضخم حتى تجلى له كما يتجلى بدراسته الموسوعية للقراء ان تاريخ الفكر العربي عاش مسربلا بالكرامة في السلم والحرب وفي العهـود والجهود وفي كل ما نشا له مـن التراثي والوجود خـلال العصور الاسلامية حتى العصر الحديث في دنيـا البحث والـدرس والادب والتاريخ ، مستشهدا بطرائف النثر واطارف الشعر .

وهذا الكتاب يقرر قيمة العروبة والاسلام فـي مواجهة التاريخ الامعي والاداب العالمية وفي سيرة البشرية في سلمها وحروبها وفـي عقلها وشعورها .

ولا يحسبن قرائي وقارئاتي الاعزاء في مجلتي « الاديب » انني ملزم بوضعهم جميعا على مائدتي الفكرية يلتهمون عليها معي اطايب هذا الكتاب المندور الذي الفه صديق العمر الدكتور العميد عادل العـوا ، فاني ما كنت لآخذ طعام غيري واقدمه سائغا هنيـا لقرائي وقارئاتي . وما كان مقالي هذا الا تشويقا لهم ليفدوا على الكتاب ذاته ويقتعـدوا منه على غوارب المعرفة والغذاء الروحي وسيجدون الخوان حافـلا بالفكر والتاريخ وبالادب والفن ، وبعد فانهم واردون على اجمل اسلوب وانقى عبارة فصاحبنا الفيلسوف العوا ما كفاه التحليق فـي دنيـا فلسفته ، فجاء الى عالمنا الادبي لا مزاحما وانما راحما وصديقا .

دمشق زكي المحاسني

●

حـول بيـت المقـدس

تاليف جماعة من الكاتبين ـ ١٠٨ صفحات ـ الحجم الكبير ـ مطبعـة الاهرام التجارية بالقاهرة ـ مـن منشورات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهـرة

في شهر اكتوبر سنة ١٩٦٩ اصدر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في الجمهورية العربية المتحدة كتابا بعنوان « حول بيت المقدس » ، وهـو يدور حول نكبة فلسطين ـ رد الله فلسطين على العرب والمسلمين ـ وقد اشترك في تاليف هذا الكتاب مجموعة من العلماء والادباء والباحثين هم الاساتذة : الدكتور احمد الحوفي ، والدكتور احمـد شلبي ، ومحمود كمال ، والدكتور يوسف عيد ، ومحمد دياب وعلي الجمبلاطي، وابراهيم عطوة ، وعبد الغني المنشاوي ، والدكتور علـي حسنـي الخربوطلي ، والدكتور احمد الشرباصي (كاتب هذه السطور) ، وعبد العزيز سيد الاهل ، وانور الجندي ، وعبده بدوي ، وعلي الجندي، ومحمود جبر ، والدكتور محمود دياب .

وعلى الرغم من كثرة ما صدر عن فلسطين وماساتها، لا زلنا بحاجة الى كثير من الكتب والدراسات التي تدور حول هذه القضية الكبرى من قرب او من بعد ، بطريق مباشر او غير مباشر ، ولذلك نعد اصدار هذا الكتاب حسنة من حسنات المجلس الاعلى للشؤون الاسلاميـة ، وثمرة من ثمرات « لجنة التعريف بالاسلام » ، وهي احدى لجان هـذا المجلس ، ولقد كان لهذا الكتاب وقع خاص ومذاق متميز بين امثالـه من الكتب التي تدور حول فلسطين ، ولعل السبب في ذلك هو اشتراك هذه المجموعة في تاليفه ، ومنهم العالم الديني المتخصص ، والاستاذ الجامعي المتمكن ، والمؤرخ العربي البصير ، والاديب البارع المتعمق ، والشاعر الموهوب المتالق ، حيث جال كل واحد منهم في ميدانه .

ولكني الاحظ ملاحظة اولية على الفصول التي تضمنها الكتاب ، وهذه الملاحظة هي قصر هذه الفصول غالبا ، مـع تناولها موضوعات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جليلة واسعة ، لا يسهل على باحثها ان يعرضها في صفحات تعد على اصابع اليدين ، ويبدو ان عنصر السرعة في اصدار الكتاب كان سببا في هذا الاختصار او هذا التركيز .

واذكر على سبيل المثال أن في الكتاب ثلاثة فصول عناوينها كالتالي : علماء من القدس ، علماء مدينة الخليل ، علماء نابلس ، ومجموع صفحات هذه الفصول كلها في حدود اربعين صفحة ، وقد تحدث اصحابها عن عشرات من هؤلاء العلماء الاعلام ، وكل علم منهم قد يحتاج ـ اذا انبسط عنه الحديث ـ الى هذا القدر من الصفحات الذي اخذته الفصول الثلاثة ، وكل كاتب من كتاب هذه الفصول يستطيع ببحثه ومعلوماته ان يمد حديثه عن كل علم من هؤلاء الاعلام .

كما يظهر ان الرغبة في اصدار هذا الكتاب الطيب عقب المأساة الخسيسة التي تمثلت في احراق الصهيونية للمسجد الاقصى في الثلث الاخير من شهر اغسطس سنة ١٩٦٩ دعت الى هذا الاختصار وذاك الايجاز ، فان المدة بين احراق المسجد الاقصى ، وظهور هذا الكتاب في اكتوبر سنة ١٩٦٩ نحو شهرين فحسب .

وقد جاء في صدر الكتاب نص الرسالة المؤثرة التي وجهها الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٣ اغسطس سنة ١٩٦٩ الى القوات المسلحة ، ومنها قوله في ختامها : « ان انظارنا تتطلع الآن الى المسجد الاقصى في القدس ، وهو يعاني من قوى الشر والظلام ما يعاني ، ومهما كان ما نشعر به في هذه اللحظات ، فان دعاءنا الى الله عز وجل ـ مؤمنا وخاشعا ـ هو ان يمنحنا الصبر والمعرفة ، والشجاعة والمقدرة ، لكي نزيح الشر والظلام .

ولسوف تعود جيوشنا الى رحاب المسجد الاقصى ، ولسوف تعود القدس كما كانت قبل عصر الاستعمار الذي حاول بسط سيطرته عليها منذ قرون ، حتى اسلمها لهؤلاء اللاعبين بالنار .

سوف نعود الى القدس ، وسوف تعود القدس الينا ، وسوف نحارب من اجل ذلك ، ولن نلقي السلاح حتى ينصر الله جنده ، ويعطي حقه ، ويعز بيته ، ويعود السلام الحقيقي الى مدينة السلام» .

وتأتي بعد هذه الرسالة الموجهة المذكرة تقديم الكتاب للدكتور احمد الحوفي رئيس لجنة التعريف ، وفي هذا التقديم عبارة ثائرة محركة يقول فيها : « ماذا ينتظر المسلمون بعد ان اعتدى اليهود على ديارهم ، وطمعوا في مقدساتهم ، وشردوا الاهلين من وطنهم ، وقتلوا الرجال والنساء والاطفال ، واغتصبوا الاموال ، وانتهكوا الحرمات ؟.

ماذا يرتقب المسلمون بعد ان اقترف اليهود جريمتهم الدنيئة ، فأحرقوا المسجد الاقصى اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومسرى خاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام ؟. أم يتوقعون ان يرتحل اليهود وهم يقيمون اقامة من لا يريد الرواح ؟ أم ينتظرون ان يقنع اليهود ، ومطامعهم تتوالد كما يتوالد الذباب في المستنقع البراح ؟. وهل من سبيل امام المسلمين غير الجهاد ؟ وهل من امل في غير التهافت على الاستشهاد ؟ » .

وهناك ملاحظة لها صلة بكاتب هذه السطور ، وهي ان كتاب « حول بيت المقدس » قد جاء فيه فصل بعنوان : « افساد بني اسرائيل » في سبع صفحات ، من صفحة ١٨٧ حتى صفحة ١٩٣ . وقد جاء هذا الفصل في الكتاب منسوبا الى « لجنة التعريف بالاسلام » ، وقد توقعنا هذه النسبة في حيرة ، لان هذا الفصل في الحقيقة لكاتب هذه السطور ، وقد نشرته مجلة « الحج » التي تصدر في مكة المكرمة في عدد ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١ يونيه ١٩٦٩ ، اي قبل صدور الكتاب الذي اتحدث عنه هنا بنحو خمسة شهور ، وعنوان المقال في المجلة هو : « افساد بني اسرائيل بقلم الدكتور احمد الشرباصي » .

ولعل الذي سوغ نسبة المقال الى لجنة التعريف ـ كما فعل المشرفون على نشر الكتاب ـ امران : الاول منهما هو ان الدكتور احمد الشرباصي عضو في لجنة التعريف المذكورة ، والامر الآخر هو أن كاتب هذه السطور هو الشخص الوحيد الذي توجد له ثلاثة فصول بقلمه في كتاب « حول بيت المقدس » فرأى المشرفون على النشر ان ينسبوا احد هذه الفصول الى لجنة التعريف ، وانما اردت بذكر هذه الحقيقة ازالة اللبس الذي قد يعرض لقارىء يرى مقال « افساد بني اسرائيل» منسوبا في مجلة الحج الى الدكتور احمد الشرباصي كاتب المقال فعلا، ثم يراه في الكتاب منسوبا الى لجنة التعريف بالاسلام .

هذا ، ولقد كنت اتمنى ان يوجد بين فصول الكتاب فصل مستقل واسع عن « المسجد الاقصى » ذاته ، لانه مركز الدائرة في قضية القدس من جهة ، ولان احراقه كان الشرارة التي اطلقت نار الغضب بين المسلمين ، وكانت سببا في اصدار هذا الكتاب .

القاهرة — أحمد الشرباصي

•

في الشعر المسرحي

تأليف عدنان بن ذريل ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق

كان الثناء ، أن لم يكن الحمد الذي اكتنف هذه الدراسة المشعة التي ألقت اكثر من ضوء على قضية الشعر المسرحي ، ممثلا في رواده الثلاثة : أحمد شوقي ، وعزيز أباظة ، وعدنان مردم بك حسب تقدير المؤلف الزماني في عده السنين .. وان عكس واقع الامر ، او أصالة الفن حدود هذا الزمان ، او عد السنين من آخرها ، فكان الشاعر الكبير عدنان مردم اولى في حسبان الطليعة الرائدة ، واقمن بالظهور والاشراق ...

يقول المؤلف : « كنت اعرف ان الشاعر الصديق عدنان مردم بك عنده حصيلة جيدة وقيمة في الشعر المسرحي كتبت عنها في عدة مناسبات ... ورغم الحاحنا عليه كان يضن على الناشرين وعلى القراء

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ احمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة

بمسرحياته ، وعلى الجمهور حتى اقتنع بضرورة نشرها وراح يطبعها الواحدة تلو الاخرى ابتداء من عام ١٩٦٦ » .

واذا كان شوقي (رائد المسرح الشعري غير مدافع) في حكم المؤلف فان عدنان مردم باعتراف ابن ذريل نفسه ، تال له او عقيبه في تاسيس هذا الفن الاصيل ، وان كان السبق في النشر لجيل قام على رأسه الشاعر عزيز اباظة ومن جاء بعده من الشعراء ..

وبالرغم من مخالفتي للاستاذ عدنان بن ذريل في بعض الاحكام التي تضمنتها هذه الدراسة الا انني اعد اللمسات التي ابتنى عليها أحكامه، من خير ما عمد اليه دارس في المسرح ، واغنى في باب البحوث والدراسات ..

تعرض المؤلف لشوقي واثبت له مكانته الشعرية التي اجمع عليها النقاد ، وفضله على الشاعرين اللذين ظهرا بعده ، يتمان رسالته ويواصلان فنه ويقودان الشبيبة الى حيث كان يريد شوقي ، او الى أين كان يتجه ، وتابع المؤلف في دقة مسرحياته واشار الى خلاف النقاد حول غنائية هذا الشعر ، والقى ضوءا على مصرع كليوباترة ، ومجنون ليلى ، وعنترة ، وعلي بك الكبير ..

وانتقل الى مسرح عزيز اباظة ، فوضع له ابن ذريل ما ليس فيه، او ما ليس له من مكانة في هذا الفن ، وان كان قد تتبعه ، «العباسة» بابا فبابا وفصلا ففصلا ، وخلع عليه من بيانه الادبي ما يصح ان يقال عنه انه يعد دعاية للشاعر وعنوانا على « الناصر » ، و « شهريار » ، وان تدارك المؤلف استعراضه او حكمه في آخر الدراسة وهذا العرض خوف الملام او النقد بهذه العبارة التالية التي وضعت حدا لهذه الدعاية ، او فلت من غرب هذا العنوان : « ولذلك يكرر ، أي عدنان بن ذريل ، أن تحميل شخصية شهريار التي يصطنعها المؤلف كرمز وواقع في نفس الوقت ، لتحريكها فوق طاقتها بمعان واسعة يقترحها غير موفق ، ومن هنا بهتت المسرحية وابتذل الرمز ، رغم الفن الواسع الذي بذل فيها » .

ولقد اختتم المؤلف هذه الدراسة بالشاعر المسرحي عدنان مردم بك فتناول مسرحياته غادة افاميا ، والعباسة ، والملكة زنوبيا ، مبينا اهداف كل مسرحية ، وشارحا اغراضها مع موازنته في العمل المسرحي الواحد بينه وبين نده عزيز اباظة ، وان كانت هذه الموازنة من حيث التقييم او الوزن في غير موضعها ، الذي يراد لها ، او ينتظر منها ..

ولست مجافيا الصواب ، او مجانبا الحق اذا انا اثبت للاستاذ ابن ذريل نص دراسته او موازنته في الصفحة الثامنة من كتابه حتى أنني لا احتاج الى رد او تفنيد لجملة هذه الاحكام ، يقول المؤلف ابن ذريل : « وقد تساءل النقاد والدارسون عن ند لعزيز اباظة ان لم نقل عن خليفة ، ولم يجدوا بالفعل غير عدنان مردم بك الشاعر المبدع الذي كان يتمرس على الشعر المسرحي منذ عام ١٩٣٦ قبل عزيز اباظة نفسه ، ثم لم ينشر بشكل جدي الا في اواخر الستينات .. » .

غير اني لا استطيع ان اهضم المؤلف حقه ، او انتقص من دراسته القيمة ، وبخاصة اذا كان له رأي عقيب عرضه لاي مسرحية من المسرحيات التي تناولها لهؤلاء الشعراء الثلاثة مما يدل على باعه في النقد ، واطلاعه الواسع في هذا الباب من ابواب الادب ، وان كنت لا اغفر له تاخير صديقه عدنان مردم بك في هذه الدراسة ، الا ان يكون ابن ذريل قد قصد الخاتمة النظيفة ، او خاف الاتهام بالصداقة، او التحيز للصديق فكان له ما اراد ..

ولكني لا ارى الا ان مسرح عدنان مردم بك : « هو مسرح الفضيلة والارادة الخيرة ، وهو مسرح ملتزم قضاياه وموضوعاته من تاريخنا وتراثنا وانساننا .. ذلك ان اصالة عدنان مردم بك جعلت قلمه الشاعري نظيفا مبدعا محبا للخير ينفر من الشر والظلم ويأبى التعسف في حقوق الانسان وعلى الخصوص حرياته وكرامته ، ان مسرح عدنان مردم بك هو مسرح الانسان المناضل من اجل الانسان .. انه اليوم يأمل ، وغدا هو فخر ان شاء الله » .

ولا يخامرني شك في ان الشاعر عدنان مردم بك سيكون له شان في شعر المسرح كما كان له في غيره ، وسيتوارى غيره من شعراء بعد بهم الصيت وشرق اسمهم وغرب يوم يكون لنا ميزان يزن هذه الاعمال الناجحة بالعدل ، وذلك ليس ببعيد في اعراف المهتمين بالمسرح والمعنيين بدراسة هذه الآداب ..

القاهرة — أبو طالب زيان

●

أنفاس السحر

ديوان شعر ـ الدكتورة عاتكة الخزرجي ـ ١٤٤ صفحة ـ القاهرة

نحن الآن امام شاعرة حقيقية ، تشكل ملامح صادقة في شعرنا العربي وخاصة شواعرنا .. حتى لقد عرفت شاعرتنا كيف تغرض نفسها من خلال شعورها الصادق .. واحساساتها العميقة من نبضات قلبها وفيض وجدانها .. فهي ولا ريب تمتلك الادوات الفنية التي جعلتها ان تسمو وتحلق في سماء الابداع .. وما سطورها الا نبضات قلب صادق يخفق للحب المحدود .. واللامحدود .. يخفق للجمال اينما وجد ..

وفي الحقيقة وجدت متعة ولذة في قراءة ديوانها .. حتى لقد سحت في عوالم وردية .. وعشت جوا آخر .. في حلم رائع ، حيث الرقة والعذوبة .

والآن نكون معا في تسبيحة الشاعرة الاولى في محرابها الادبي لنقرأ تسابيح الجمال .. وترانيم من الحياة حيث نجد فيها صدق اللهجة للحب .. للشعر .. حيث تقول :

أحبك للحب يا ملهمي وللشعر للشرد والسائرات
فانت الحبيب وانت القصيد وانت فتانك في الشاعرات

ونلمح نفسها موشاة بالحب .. قلبها رقراق بالصبابة .. وتستحيل حناياها الى صفاء كصفاء الانداء في ضوء الشمس .. في تهويمات هائمة .. وجفون ساهرة شاخصة الى عين من تحب .. لا تروم تحولا .. وما هذه التاكيدات بالقسم الا الشاهد الحق فيما تدعي :

بالذي رقرق الصبابة في القلب ووشى بالحب اثناء نفسي
والذي برأ الحنايا واصفاها صفاء الانداء في ضوء شمسي
انت عندي معنى به أجد الله حيالي في الصبح او حين امسي
شهد الله لم يغب عن جفوني شخصه لحظة ولم يخل حسي

وتستعذب الظلم من ظالمها فكانما هي بالظلم قد حصلت على غنيمة رغم توجعها .. وشكواها من سقم اوردها الجاني الظالم اياها دونما رحمة .. فهي تستعذب هذا الظلم :

اشتركوا في مجلة
الأديب
تساهموا في نشر الثقافة

افديك من سقمك يا مسقمي وان تجنيت ولم ترحم
اواه من شكواك يا سيدي يا ويلتاه من وخزها المؤلم
اصبت مني سيدي مقتلا هلا ترحمت على المعدم
ظلمك ما احلاه يا ظالمي كانما غنمي من مغرمي

وتبدو اللهفة شديدة .. والشوق عارم .. ولم يبق للقوس منزع .. الكبد تذوب .. ويستولي القلق الغامر من النوى على النفس القلقة المتلهفة للعودة .. اجل لعودة السيد الآمر .. والفارس العاشق .. ونرى التشنجات النفسية تشتد وتخفت .. تعلو وتهبط :

ومتى تعود ؟ متى اراك فنلتقي ؟ الشوق يضني والتصبر لا يقي
يا سيدي عد لي فديتك انها كبد تذوب فلا تجر وترفقي
اني اخاف علي من هذا النوى افلا ترق الا تخاف وتتقي

ويذهب كل شيء .. ويحل اليأس والقنوط محل الامل والشوق واللهفة ويذوب الصوت بلهجته التهديدية الى استهزاء من الاعماق وفي الاعماق .. وخيبة من هوى عارم الى هدوء ظاهر :

يا سيدي عوفيت من هذا الهوى وضنيت وليذهب هواك بما بقي

ونجد انفعالات نفسية حادة .. نرى الاختناق عبر لذعات نار جمر الهجر .. فالتازمات خانقة .. هناك استجارة ورحمة من عذاب وشقاء محيطين بطفلة مدللة .. وحسناء فاتنة .. تود منه ان يضمد جرحها في لجونها بظل صدره .. وترد عنها الظماء بارتوائها من فيض طهره :

الموت الا يوم هجرك والنار الا نار غدرك
يا سيدي هذي فتاتك تشتكي لذعات جمرك
رحماك هذي طفلة اولى بعطفك او ببرك
بك تستجير من الزمان فكيف تفجؤها بجورك
احيا لعلي ان اراك واجتلي لألاء فجرك
واضمد الجرح الخفي اذا لجات بظل صدرك
وارد عن روحي الظماء وارتوي من فيض طهرك

عتاب يصعد من قلب دام .. الانتظار يقتلها والوجد والحسرة حبيسة في الصدر .. والتساؤلات مستمرة لا تنفك تشوبها الضراعة :

لا صوتك العذب الجميل يرن في أذن المسرة
أوجهك السمح النبيل يشع في روحي المسرة
هذي فتاتك في السرير تذوب من وجد وحسرة
ماذا جنيت ؟ وفيم ذا ؟ انني اكاد أجن حيرة
ماذا عليك اذا عطفت وزرتنا في العمر مرة

وفجاة صحت من الحلم اللذيذ .. صحت من غفوة الامس .. وتفقدت تلك النشوة .. وتساءلت .. عن الاحلام .. في لحظة فقدت تلك السعادة .. تلك الاحلام ففدت حيرى في متاهات ضاعت فيها الاحساسات والخدر الحلو اللذيذ :

كنت حلما في حياتي لاح في غفوة أمس
واراك اليوم يقظى ملء عيني ونفسي
انا حيرى في متاهات بها ضيعت حسي
من انا ؟ ما كنت ؟ ما صرت ؟ أيومي غير امسي

وما الاحساسات سوى ذكريات من ماض بعيد بعيد تظل فيه بقايا نشوة غاضت في جفاف بين قوافل الايام الماضية .. لكنها تعلل النفس لغد بيد انه حلم بعيد :

ان امسي لم يعد مني سوى ماض بعيد
وغدي حلم لعيني رف في يومي الوليد

وتتوتر الاحاسيس .. وتنفعل النفس .. وتبدو الحقيقة لاهبة ساطعة .. ويبدو السراب الخادع .. وتنكشف الظلمة عن الغد المجهول بهوله .. مصحوبا بالتعلل والرجاء يرافقه الخوف :

ويا غدي لا تدن من يومي وباعد في سراكا
انا ارجوك واخشاك واخشى ان اراكا

ويحين الرحيل وتطوى المراحل الشعورية .. ويعلو صوت الغربة يهتف في الاعماق .. وتستقطب الشاعرة ابعادها وما يحيط بها من قلق .. وتغيب الوجوه في الماضي .. ويبدو التعب .. وامارات النوى تلوح على قسمات الوجه .. ويبوح « موطن الاسرار » بابعاد واضحة وامضة صارخة :

تطوى المراحل بيننا وتغيب في الافق البعيد
واظل بعدك يا حبيبي نهب شوق مستزيد
ونواك تسعر في الحشا نار التذكر من جديد

وتخفق تلك التوجعات بكلمة « مولاي » حيث تدعوه للرفق بعد ان قسا .. ويتجدد الاستعطاف بكلمة « رحماك » ثم تعطي الدلالات الواضحة النابضة بالحياة ، فالقساوة على اضالع لا على حديد :

مولاي رفقك قد قسوت وما قسوت على جليد !
رحماك هذي مهجة واضالع لا من حديد

وننتهي معا الى « معتبر » نقف عنده .. بعد ان وضح كل شيء وبان على حقيقته .. بعد رحلتنا عبر العنف والانفعال .. والهدوء والاسترخاء .. والاستعطاف في مواطن كثيرة سيطر الجمال عليها .. وشمنا خلالها عطور الحب .. ورائحة الصبا .. وسمعنا من خلالها نبضات قلب واله .. واحتسينا رشفات من فيض الوجدان .. وينابيع من دنيا عارمة بلذة لا تعرف القرار نخضع لحكم القدر .. ونحن لا حول لنا :

فكيف نصنع والايام دائرة بنا ؟ كذاك علينا يحكم القدر !

ومهما يكن فهذه لمحة سريعة عن جانب واحد من انفاس السحر ، وعسى ان اوفق في القريب العاجل الى بحث جوانب اخرى من الانفاس للكشف عن عوالم جمالية اخرى .. ومهما يكن ايضا فالشاعرة الرقيقة الدكتورة عاتكة الخزرجي تبقى في طليعة شواعرنا .. فهي ذات نضج شاعري حقيقي .. وعطاء ثر ..

فتحية اكبار واعجاب للشاعرة الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي وشكرا على هديتها القيمة التي اتحفتنا بها ..

الكوفة ـ العراق صاحب خليل ابراهيم

صدر حديثا :

من تاليف الدكتور جلال الخياط

الشعر العراقي الحديث

مرحلة وتطور

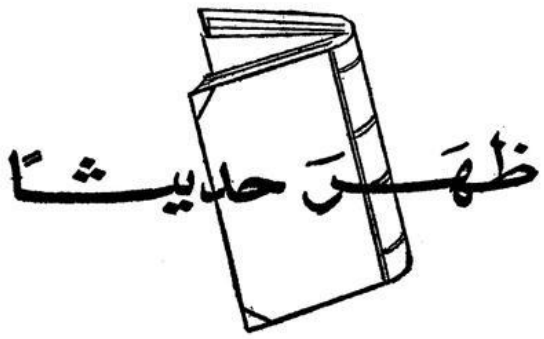
منشورات دار صادر ببيروت

•

التكسب بالشعر

منشورات دار الاداب ببيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● السجون اللبنانية في ضوء النظريات الحديثة في معاملة السجناء ـ تأليف الدكتور محمود نجيب حسني استاذ القانون الجنائي في جامعتي القاهرة وبيروت العربية ـ ١١٨ صفحة باللغة العربية ـ ٤٦ صفحة باللغة الفرنسية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دراسات في الاحصاء ـ تأليف الدكتور عبد العزيز فهمي هيكل استاذ الاحصاء بجامعة بيروت العربية ـ ٥٠ صفحة باللغة العربية ـ و ٦ صفحات باللغة الانجليزية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● انشودة الخبز ـ مجموعة شعرية ـ للشاعر الارمني طانيل وارجان ـ دراسة وترجمة نظار ب. نظاربان ـ ١٥٤ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ مطبعة الضاد بحلب سورية .

● معجم بني امية ـ استخرجه من تاريخ دمشق وزاد فيه : الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٢٦٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سفر نامه : رحلة ناصر خسرو الى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري ـ نقلها الى العربية : الدكتور يحيى الخشاب ـ طبعة ثانية ـ ١٨٤ صفحة حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ مطابع دار القلم ببيروت .

● ديوان ابي محجن الثقفي ـ صنعة ابي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ـ نشره وقدم له : الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● القصيدة اليتيمة ـ برواية القاضي علي بن المحسن التنوخي ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٧ في سلسلة رسائل ونصوص ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت ـ مطابع الامان بدرعون لبنان .

● تحت سماء آسيا ـ مجموعة شعرية ـ الياس الفاضل ـ مصمم الغلاف مصطفى ارناؤوط ـ الخطوط لسهيل ميدع ـ ١٤٨ صفحة ـ منشورات دار الاجيال (دمشق) ـ مطبعة العلوم والاداب (دمشق) .

● اوراق من الحياة ـ مجموعة احاديث فكرية هادفة قدمت من اذاعة دمشق ـ تأليف اسكندر لوقا ـ تصميم الغلاف للمؤلف ـ الخطوط لسهيل ميدع ـ ١٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الجمهورية بدمشق.

● سطور مع العظيمات ـ تأليف محمد كامل حسن المحامي ـ ١٥٠ صفحة حجم كبير ـ منشورات دار البحوث العلمية (بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في بيروت) .

● سطور مع العظماء ـ تأليف محمد كامل حسن المحامي ـ ٢٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار البحوث العلمية (بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في بيروت) .

● القرآن والقصة الحديثة ـ تأليف محمد كامل حسن المحامي ـ ١٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار البحوث العلمية (بيروت) ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● كربلاء المقدسة .. كما رأيت ـ تأليف علي الكاظمي ـ ترجمة جعفر الحائري ـ ٦٤ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات دار الوعي الاسلامي ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كتاب التاج في اخلاق الملوك للجاحظ ـ حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت ـ مطابع الامان في درعون لبنان .

● مهنة المتاعب : تجارب ربع قرن في الصحافة ـ تأليف اديب مروة ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع الامان في درعون لبنان .

● في الشعر المسرحي : احمد شوقي ، عزيز اباظة ، عدنان مردم بك ـ تأليف عدنان بن ذريل ـ مصمم الغلاف نعيم اسماعيل ـ الخطوط لنجاة علي ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الاجيال (بدمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ازهار ليلك ـ مجموعة شعرية ـ نبيهة حداد ـ ٨٨ صفحة ـ مطابع التوجيه المعنوي في وزارة الدفاع بدمشق .

● معالم الدراما في العصر الحديث ـ تأليف يوسف عبد المسيح ثروة ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دراسة عن التعليم وتطور المناهج في المرحلة الابتدائية العالية في لبنان ـ تأليف عبد الحميد فايد استاذ طرق تدريس اللغة العربية والمناقشات التربوية بجامعة بيروت العربية ـ ١٤٢ صفحة باللغة العربية و٩ صفحات باللغة الفرنسية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مهنة الرقابة الخارجية على حسابات الشركات والمؤسسات في الجمهورية اللبنانية : دراسات تحليلية مقارنة ـ تأليف الدكتور عبد المنعم محمود عبد المنعم استاذ مساعد بكلية التجارة في جامعتي القاهرة وبيروت العربية ـ ٧٠ صفحة باللغة العربية ـ و١٠ صفحات باللغة الانجليزية ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● ابو عمرو الداني الاندلسي ورسالته في الظاءات القرآنية ـ بقلم الدكتور محسن جمال الدين ـ ٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة من المخطوطات الاندلسية في مكة المكرمة رقم ١ ـ مطبوعات الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● الحب الاسود ـ رواية ـ تأليف وحيد كامل ميرزا ـ ١١٦ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ صدرت في بيروت .

● التكسب بالشعر ـ تأليف الدكتور جلال الخياط ـ ١١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاداب ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

● رفيق العمر ـ مجموعة قصص ـ تأليف رستم كيلاني ـ تقديم محمود تيمور ـ الغلاف بريشة محمد زكي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار الكتب الجامعية ـ مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة .

● قاموس احياء الالفاظ ـ تأليف اسامة الطيبي ـ الجزء الاول ـ طبعة ثانية ـ ١٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الاحسان بدمشق .

● تراجم الاعلام ـ تأليف محمد الفاضل ابن عاشور ـ ٣٥٦ صفحة ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطابع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● الحلل السندسية في الاخبار التونسية ـ تأليف محمد بن محمد الاندلسي الوزير السراج ـ تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ـ الجزء الاول ـ القسم الثالث ـ ٣٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطابع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان كبيراً بمحبته

●

ساعة ادرك ان العنف يوجد العنف ويتواصل معه في سلسلة الالم والخيبة ، تلمس نفسه في المحبة انسانا كبيرا ، واستقام له قصد التغيير الذي رغب به لامته وشعبه عبرها .

لقد ادرك بثاقب نظره ان ثمة مجتمعا قد بولد مرفها وكبيرا ومتأصلا في العصر بدون محبة ولكنه مجتمع يظل انانيا . قاتلا ومقتولا في ذات الوقت وهذا ما لا يريده لمجتمعات امته .

كانت الثورة في اعماق عبد الناصر تحمل هاجس الامة للتغيير منذ اجيال واجيال ، وكانت تنتظر من يحمل اليها حقها في الحياة الكريمة الحرة ومن ينصب العدل الاجتماعي رائدا لمسيرة الشعب الى غده الاكبر .. وكان ان تحقق الحلم به وصارت الثورة بانسانها الكبير كبيرة بمحتواها ومرماها ، لانها تأكدت وعبر العديد من خطب عبد الناصر واقع محبة وعدل « اننا نحقق العدالة الاجتماعية ونعمل من اجل محو الامتيازات الطبقية بوسائل سلمية وبدون عنف » .

ان الامة التي لا تتطور ولا تريد التغيير الذي يضعها في العصر امة تحكم على نفسها بالموت ، ولكن الامة التي تلتزم الموت سبيلا الى التغيير لن توفر لنفسها امكان البقاء ايضا ، ولذلك سعى عبد الناصر الى التغيير « بالوسائل السلمية ، بدون حرب اهلية ، بدون دماء ، بدون انتقام » وهذا ما يعطي « ثورته الجديدة في التاريخ » سمتها المميزة الرائعة .. وعسى ان نتواصل بها امة خير ومحبة .

ب. ح.



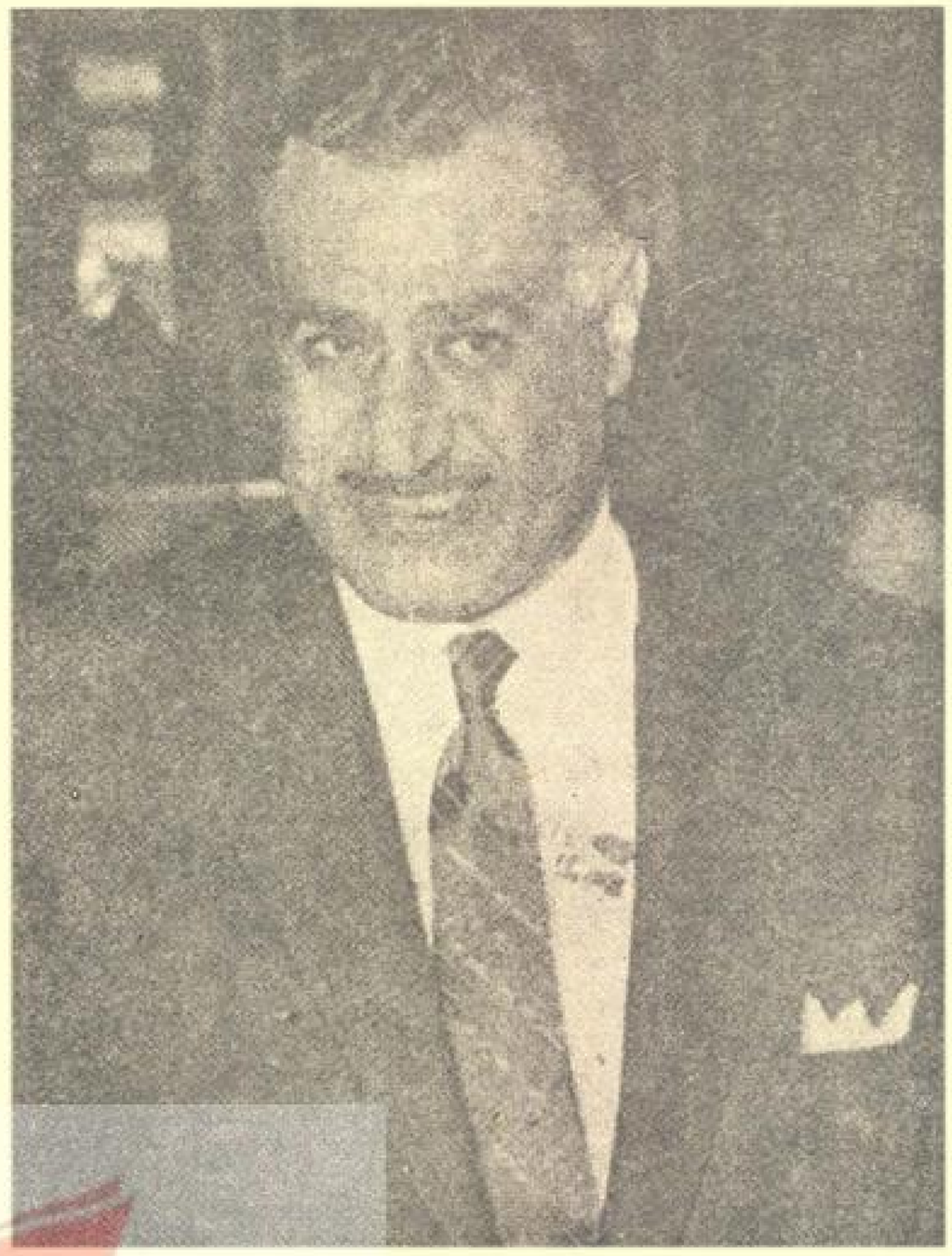
لا ... لم تكن ...

بلنـد الحيدري

في ليلة مثل ليالي الناس
مألوفة بغيمهـا
بنجمهـا
بكل ما في رحمها
من هاجس يسأل عن ولادة
وهاجس ينظر في الاجراس
ولدت مثـل الناس
كبرت مثـل الناس
ومثل كـل الناس
سمعت وقع خطوك المهيب في دروبهم
ركضت خلف وقعه
تتعبك الركض وراء وقعه
وعبر ما في وقعه المهيب
ادركت ان دربهم ، حكاية في لحظة
وضحكة فـي لحظة
والف الف لحظة كان الطريق ملتقى كئيب
عرفتهم ... حبيتهم
ارخيت في قلوبهم ... كفيك
ادرت عن عيوبهم
عينيـك
وكنت في غيوبهم
الموعـد الحبيب
واليوم اذ ترحل عن دروبهم
لا ترحـل
فصوتك المجلجل
يغور في قلوبهم .. يطل من غيوبهم
الدرب والضحكة والحكايه
والبدء .. لا النهايه
بـدء بـلا نهايه

ولدت مثـل الناس
ولم تكن كالناس
لا ... لم تكن ..
مذ جاوزت رؤاك ما في هاجس
يسأل عـن ولادة
وهاجس ينظر في الاجراس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جمال عبد الناصر

بقلم فوزي عطوي

تنام ، وامة ثكلى تضام سلام ، ايها الثاوي ، سلام
تحلق فوق أجنحة المنايا ، فلا أمل يطوف ، ولا ابتسام
اذا أجهدت من دنياك حقا ، فعذرا أيها البطل الهمام
سنبني من مآسينا ضريحا على أشلاء بلوانا يقام

في العظماء رجال يصنعون الاحداث ، او رجال تصنعهم الاحداث ، فيجسدون آمال الامة ، او تجسد الامة آمالها فيهم ، واما جمال عبد الناصر فلم يكن ، في العظماء ، صانع احداث او صنيعة احداث ، وحسب ، بل كان الرجل ، بحد ذاته ، هو الحدث الكبير .

على امتداد ثمانية عشر عاما ، من التاريخ العربي المعاصر ، اختصر جمال عبد الناصر تاريخ العروبة ، قديمها وحديثها ، فحمل بين برديه شخصية البطل — الاسطورة الذي طالما استهوى تاريخنا القديم ، كما حمل في قلبه وعقله ووجدانه كله ، مطامح العرب وتطلعاتهم ، فاعلنها ، مخلصا ، في كل ما قال وخطب وكتب ، وجسدها ، مخلصا ، في كل ما أتاه من جليل الاعمال .

ولم يكن طموح عبد الناصر — وهو طموح المئة مليون عربي — ليقف عند حدود تبديل نظام حكم بنظام حكم آخر ، والا لكانت حركته دارت في اطار الانقلاب العسكري الصرف ، وانما آمن عبد الناصر أن ممارسة الحكم الدستوري ، في مصر ، يجب ان تقترن به ممارسة اخرى للقيادة القومية ، والريادة الوطنية . ذلك أن تجسيد اهداف الامة ، وبعث أمجادها ، قلما تأتيا لرجل ، بصفته حاكما فقط ، الا اذا كان في شخص هذا الحاكم من المواهب القيادية ، والكفاءات الطبيعية ، ما يستهوي الجماهير ، فيسيطر على مشاعرها ، ويوجه تحركاتها ، ويقودها الى الهدف الذي رسمته الامة ، على امتداد الاجيال ، فجاء يتبنى الهدف ، ويسلك اليه ، مع الشعب ، سواء السبيل .

كانت كلمة جمال عبد الناصر ، وستبقى الى سنوات غير قلائل ، هي الحكم الفصل في كثير من القضايا والاشخاص : ما يباركه الرجل ، يعتبره العرب مباركا ، ومن يصمه بمذمة ، فهو الذميم الذي تنصب عليه لعنات الشعوب .

ولم تكن هذه الاستجابة من الشعب لارادة القائد دليلا على انعدام ارادة الشعب ازاء ارادته ، وانما ، على العكس من ذلك ، كانت الاستجابة من الشدة ، والعصف ، والاطلاق ، بمقدار ما كان الايمان قائما بأن ارادة القائد هي ارادة الشعب ذاته ، بل هي الارادة الاقوى ، لانها الارادة اسمى .

وقبل عبد الناصر ، كانت الشعارات كثيرة ، واكثر منها المباديء والافكار التي تملأ بطون المؤلفات ، او التي تتراقص على شفاه الخطباء والادباء والشعراء ، او التي تجول في صدور العرب اجمعين . ولكن بروز عبد الناصر ، بالصورة التي عرفها التاريخ المعاصر ، على الصعيدين الدولي والعربي ، كان مرده الى حاجة الشعب العربي المتطلع نحو كثير من القيم والمثل والاهداف ، لقائد بطل يحطم اسطورة التخلف ، ليبني الكرامة القومية ، وليكون رمزا لمطامح كثيرة ، وعنوانا لعبقريات فذة ، تجسدت فيه ، بعد اذ كانت متناثرة في رحاب التاريخ العربي ، وبذلك كان الرجل من فلتات الزمان التي لا يجود الدهر بمثلها الا نادرا .

كان جمال عبد الناصر خالص الوطنية ، صافي العروبة ، مؤمنا بحق اصغر فرد في اصغر بقعة من العالم الواسع ، ايمانه بحق ابنه او حفيده ، بالحياة الكريمة التي لا يجوز أن تشوهها تقسيمات طبقية موتورة ، او ظروف اجتماعية قاسية .

اما ان جمال عبد الناصر اسطورة ، فذلك صحيح ، وهو امر لا يحتمل نقاشا ، ولا ينساق الى جدال .

جمال عبد الناصر حرر مصر ، وطرد المستعمر من بلاده ، وساعد على طرده من كل شبر عربي يئن تحت سياط غاصبيه وجلاديه ، فكانت بداية الاسطورة .

ثم انتصر جمال عبد الناصر ، وانتصر العرب مع جمال ، في معركة السويس ، بعد تأميم القناة ، فاندحر اشرس عدوان ثلاثي عرفته مصر ، وسقط زعماء ، وانهار حاكمون ، في دولة كبرى ، وبقي عبد الناصر منتصرا ، في استعادة حق مصر ، فكان الفصل الثاني من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسطورة ، حيث تبدل مقياس العلاقة بين العرب والمستعمرين ، فلم يعد الحق يشحذ او يطلب ، وانما غدا الحق يؤخذ ويستعاد ، بالسياسة اذا اجدت السياسة ، وبالقوة اذا لم يرتفع ، في الميدان ، الا ضجيج القوة .

بعدئذ ، سطر جمال عبد الناصر الفصل الثالث من الاسطورة ، اذ حقق احلاما واسعة كان العرب يتوارثونها منذ مئات السنين ، فانعقد له ، وللشعب العربي معه ، لواء الوحدة العربية بين مصر وسوريا ، فكانت الجمهورية العربية المتحدة باقليميها ، قبلة انظار العرب الذين بدأوا يتحسسون قيمة اتحادهم ، ومدى قوتهم ، كما كانت شوكة في حلق الاستعمار الذي ادرك ان العرب بدأوا يكتبون له بداية نهايته ، فكانت ردة الفعل قوية ، وكانت المؤامرات والتحديات والحزازات التي أودت بالوحدة ، فكان الجرح بليغا ، وكان الالم القومي اكبر من احتمال ابناء الامة .

وفصل الاسطورة الرابع، سجله جمال عبد الناصر، في نكسة حزيران سنة ١٩٦٧ ، يوم وقف الشعب العربي على امتداد ارضه ما بين المحيط والخليج ، يتقبل النكسبة بروح صابرة صامدة ، ولكنه يرفض تخلي القائد عن الشعب ، في احلك ايامه المصيرية ، حتى اذا عاد عبد الناصر عن استقالته ، كانت حقيقة الانتصار ، اكبر واعظم واشرف من خرافة الانكسار .

وللاسطورة ، في عبد الناصر ، فصول وفصول . ولكن آخرها وآلمها ، اسطورة موته المفاجيء ، بعد ان جمع العرب في داره ، واصلح بينهم ، وودعهم في محبة ووداعة ، ثم اغمض جفنيه ، مستسلما لنعاس طويل لا يفيق منه الا في رحاب الخلود .

ويقينا ان اذكى كاتب مسرحي ، لو حاول ان يخترع احداث الفصل الاخير من اسطورة عبد الناصر ، وان يصل الى الخاتمة المفجعة التي وصل اليها العرب ، يوم الحزن الكبير ، لما صدقه الناس . ولهذا ، فكثير منهم لا يصدق ، الى الآن بموت الاسطورة البطولية الخالدة ، لولا ان الموت حق على العباد .

واذا كان جمال عبد الناصر ، في اطلالته البطولية، اسطورة ، فهو ، في حقيقته الانسانية ، رجل من طينة البشر ، عاش آمالهم وآلامهم ، وعانى ، في بلاده ، مرارة الاحتلال والاغتصاب ، وكابد اوجاع الكبرياء الجريح .

رجل لم تخلبه اضواء الحكم ، ولا افسدته بهارج السلطان ، ولا ابعدته عن امنيات قومه ، رسميات وشكليات تقتضيها ممارسة السلطة ، على مستواه ، بل بقي عبد الناصر انسانا وادعا ، ضعيفا ، مؤمنا ، يصيخ لهتاف العقل ، كما يستجيب لنداء العاطفة .

كان عبد الناصر انسانا وادعا ، يخالط العمال والفلاحين والطلاب ، ويستمع اليهم ، ويستجيب لمطالبهم ، حتى ربيت على يديه اجيال تعتبر اسمه ، وحده ، مبدأ وشعارا .

وكان عبد الناصر مؤمنا ، يقيم الصلاة لربه ، ويؤدي قسطه نحو شعبه ، وكان يستوحي في انجازاته ما يحقق مصلحة شعبه، ومن هنا انه كان صانع البطولة، وسيبقى اسمه ملهبا لحماس الابطال ، على مر التاريخ .

ولقد تميز عبد الناصر بطاقة بشرية قل ان تدانيها طاقة بشري ، سواء في عمله ، او في مطالعاته ، او في خطبه ، او في تصريفه لشؤون الدولة ، او في اهتماماته العربية والعالمية ، حتى اختزن من الثقافة والعلم والسياسة ما جعله في طليعة رجال الفكر المعاصرين . ولو جمعت جميع خطب عبد الناصر وتصريحاته واحاديثه ، ولو قننت التشريعات الاصلاحية التي استحدثها ، لاصبحت في حرز من عوامل الزمان ، لا سيما وهي جزء هام من التراث العربي والانساني .

فيا ايها الكبير الذي رحل ،

ظلم لك ان نعدد ، يوم ذكراك ، بعض مآثرك ، لاننا نعجز عن تعدادها جميعا ،

ويا ايها العظيم الذي غاب ،

نستعير من بريق عينيك بريقا نقاوم به الدموع التي نسفحها كلما ذكرناك ، وكلما نقل الاثير الى اسماعنا شذرات من صوتك الحبيب ، وكلما وقعت ابصارنا على نثرات من عبقري عطائك .

ونستعير من مديد قامتك مددا ، نطل به على الدنيا اطلالتك ، يا ماردا بطلا غدا في الخالدين ،

ومن قبس رسالتك، نستلهم قبسا نكمل به شوطك، وانت من علياء ربك ، ترقب مسيرة شعبك الظافر ،

ومن روحك الفذة ، نستمد كرامة العمل ، وشرف النضال ، تحت اللواء الذي ما طاطأ ، في يدك ، ولا وقع.

انا لنغبط ابناء الخلود ، اذ غدوت بينهم ، لانهم ربما استأهلوك اكثر مما استأهلناك ، هنا ، على الثرى الفاني ، فأعادك ربك اليهم بطلا خالدا ، لا يضيع اجره .

وعهد علينا ان نكمل ما بدأت به ، وان نمحو آثار عدوان هز منك الضمير ، واقلق الوجدان ، واسكت القلب الكبير الى الابد .

وسنذكرك ، يا جمال ، ايها الحبيب الذي حق لنا بكاؤه ، يوم حزننا العظيم .

سنذكرك كلما هبت على العروبة نسمة تحمل ذرة من سفوح الاهرام ، او طيبا من شذى النيل الساحر ،

سنذكرك كلما شعت عين صقر ، وكلما رف جناح نسر يقلق الاجواء بالمطامح والامنيات ،

سنذكرك كلما تبسم الجرح في ثغر العروبة ، في انتصاراتها ، وكلما تجهم الامل ، في ضمير الامة ، في لياليها الحوالك ،

سنذكرك ، يا جمال ، عظيما مر كالحلم في بلادنا ، فجعل الاجيال القادمة تحسدنا على اننا عشنا في عصره، ورأيناه ، وعرفناه عن بعد وعن كثب ،

وعهد علينا ذكراك ، يا بطل !!

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علمتنا ملحمـة الرحيل

الى جمال عبـد الناصر

•

ثريـا ملحس

يا ليل .. يا ليل .. يا ليل
حول النهارات الى ليل
أطفىء العيـون
أطفىء النار والحديد
يـا ليل .. يـا ليل
لم أطفأت أعز صوت علينا
بالهم .. بالوهن .. بالانهيار
كل شيء تسمر في الجدار
حروفنا صلبناها على اللسان
اللسان سد طريق الهواء
أمتي منكوبـة الحظ
الحظ .. أي حظ « يا بصارة براجه »
يـا عرافة .. يـا زاجرة الطير
أي حظ .. أي شقاء .. أي نكبة
يـا أيها الذي عقد منا اللسان
لم تركتنا في شوارع المدينة يتامى
نام الاشلاء شلوا شلوا ؟
يـا أيها المختار
يـا أيها الذي كنت بالامس مالىء الديار
أقفرت الديار
يـا أيها الذي تركت وجوهنا صفراء
أقفرت الديـار
لماذا تركت « البصارة » تداعب الغيب
تقول ما لا يقال
تفتح عينيها .. تحدق الى الغيب ؟
الغيب أسود مثل غربان الخراب
مدينتي سوداء .. خبرني الغراب
مقبرة السنونو والعندليب
عيوننا تسافر مـع عينيها
ترحل في كل واد .. تشهق .. تركض .. تطير
يـا الله .. أبعد الكأس عنا يـا الله
طلعت علينا من جبين الغيب
من عروقه ، من العصب
عدت الى عالم الغيب كالمستحيل
طارت قلوبنا وراءك نحو الفضاء
تصطادك مرة أخرى
تلـم كـل حرف
تعيد لنا صوت ناصر

نـاصر .. نـاصر .. نـاصر
عادت قلوبنا الـى التراب
تنزعك مـن التراب
بين الفضاء والتـراب
حيرة الانسان منذ البدء
يـا الله .. حملتنا ثقلا ووهنا
أبعد الكأس عنا ألف مرة
طلعت علينا من جبين الغيب
فكنت مـاردا جبـارا
كبوت .. عرفت كبوة الابطال
كالجواد عدت الى الطريق
في الطريق ، يحدوك أمل جديد
وآخر جديد .. جديد
عرفت بدايـة الطريق
عرفت الرحيل .. عناء الرحيل
في الرحيل كانت الايدي على القلوب
عيوننا ترحل وراءك مع الرحيل
تعيد لنا صوت ناصر
نـاصر .. نـاصر .. نـاصر
وراءك أيهـا البطـل
كنا في البداية .. في النهاية
فـي نصف الطريق
غبت كما تغيب عنا الحكاية
كأننا لا نستحق حتى الحكاية
حتـى نهايـة الحكايـة ..
الحكاية ظلت بـلا نهاية ..
يسألنا الصغار قبـل الكبـار
أحال ربي عقدة من لساني .. تسمرت في حلقي
في حلق أطفالنا والكبار
نحكي الحكاية للصغار
لعل واحدا يطلع من جبين الغيب
طلعت من جبين الغيب
أين الغيب بعدك أيها المختار ؟
عند نباك مثلما يعذب الابن أباه
خدعناك مثلما خدع التلميذ المعلم
عذبنـاك .. خدعنـاك ..
أحببناك مثلما تحب الام وليدها
غربـاء نحـن ، غربـاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نملأ الدنيا أخبارا وأخبارا سوداء
تنعق في مدينتي السوداء
بعد مخاض دام آلاف السنين
بعد رحيل .. رحيل
عرفت قومك .. أمتك .. العالم
نصبت الحوار شراعا شراعا
ثم أبحرت مثل الابطال
تجر وراءك الملايين بالعزم والكرامة
كنا نردد مع الصدى ناصر
ناصر .. ناصر .. ناصر
يا أيها الموت الجبار
يا أيها الجبار الذي قسا وقسا
يا أيها الذي خطفت أعز اشارة
من بلادي الحزينة ..
من بلادي الكسيرة ..
من بلادي التي شوهها اغتصاب الارض والتراب
هدها الكفر بالانسان
كانتا أيدي المفول والشر ..
ما الذي خبأت لنا المحارة في الملايين ؟
مرة أخرى نلوب على المحارة
في عمقها اضعنا الصدارة والمهارة
يا ملايين .. يا مئة مليون
اركعوا على الشواطىء
سواعدكم يا مئة مليون
لملموا الاصداف .. مئة مليون محارة
لا تقتلوا المحارة
أعيدوها الى البحار
لعلها تطلع من جبين الغيب « دانة »
سمروا عيونكم في أعماق المحارة
يا بحارة
جئت بالامس من جبين الغيب
فكنت راية الاماني
دانة البحارة
على رأس المحارة ..
شددنا السواعد حتى النهاية
عيوننا بيضاء .. قلوبنا واجفة
كأسطورة .. نصدق .. لا نصدق
نجمع من البراري الاقحوان :
نصدق .. لا نصدق
نجعل منها الاكوام
فجعت بأمي مرة
بقلبها الكبير .. بحبها
في بيتها .. في اقليمها الصغير كانت حكاية
حكايتها صغيرة
كانت كل شيء
تشدنا .. تشد أركان بيتنا
فجعت مرة أخرى
فجيعة كبرى .. فجيعة عظمى
بحكاية كتبها بطل الرواية
بملحمة طويلة
كانت في الغيب .. في المخاض

في ظن الزمان ...
ما سارت قدماي للوداع
ما كتبت اسمي مع الاسماء
خجلت من الدنيا
من مئة مليون أخ
غسلت يدي من الجريمة
هربت من كل فرد
من مئة مليون أخ
ثلاث مرات سرنا وراء نعوشنا
سلخناه عنا ثلاث مرات
« تبت يدا أبي لهب وتب » ..
تبت أيد حملت الدمار
هربت من الخزي والعار
أفلا نستحق ملحمة الكبار ؟
يا الله .. يا الله ..
أفلا نستحق ملحمة الكبار ؟
كالصرح هوى في وجه الشمس بصلابة الايمان
بحنان الاب والام في جمع الشمل
كرامكم في « المقال »
هويت أيها البطل بين أيدينا
حولك نحن كالنمال
نحاول نزعك من قبضة الموت
لعلك عدت الى جبين الغيب
تساعد الغيب .. تسندنا
تصد الشر عنا .. تدفعنا
تبعد الكأس عنا .. ترحمنا
ترعى صغارنا
تظل ترحل .. ترحل معنا
تتصدى للشر في الارض والفضاء
لا تصدق أننا كفرنا بك في الهزيمة
لا تصدق أننا سلخناك عنا مرة
لا تصدق أننا قتلناك ثلاث مرات
لا تصدق أننا بعثنا هولاكو من القبر
لا تصدق أننا مفول وتتر
أنت في جبين الغيب مرة أخرى
كن كما كنت ترعانا
تابع رحيلك من أجل الصغار
قلوب الصغار بيضاء
عيونهم كاتساع الفضاء
حكايتك معهم مثل الكتاب
ملحمة بطل من أبطال امتي يحفظها الصغار ...
من أجل الصغار .. من أجل عيونهم
ظل في جبين الغيب ترعانا
من أجل الصغار .. من أجل عيونهم
من أجل حبهم للحكاية
حكاية البطل الذين يحدق اليه الصغار حتى النهاية
الصغار الطاهرون هم البداية
علمهم ملحمة الرحيل
من البداية حتى النهاية

ثريا ملحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وديـع فلسطين

الموت في حيـاة الادباء

بقلم وديـع فلسطين

تتنافر الالفاظ في عنوان هذا الفصل تنافـرا واضحا ، فكيف يكون الموت في الحياة ، بينما الموت هو آخر الحياة ومنتهاها وخاتمة جميع فصولها ؟ وهل يقال : الظلام في نور الصباح ؟ او الصحة في المرض ؟ وانما توخينا اختيار هذا العنوان ذا الاضداد لحكمة تتبين من مطالعة هـذا الفصل ، وكل مادته مستخرجة مـن معين الذاكـرة ، ويا لها من ذاكرة جد خؤون . والفصل حديث مستطرد فيه منعرجات وشعب ، ولا ينضبط بأي منهاج الا منهاج السرد وحي اللحظة والالهام .

لصديقنا الراحل طاهر الطناحي كتاب اصدره مـن سنوات مديدة عنوانه « على فراش الموت » روى فيه مـا عرفه من اخبار اللحظات الاخيرة لكبار الكتاب والمفكرين والمشتغلين بالحياة العامة . وقـد نفدت طبعته الاولى فأعاد طبعه واختار له عنوانا آخر لتشاؤمه مـن العنوان السابق ، والح علي في الا اشير الى عنوان كتابه السابق في ما ارويه من اخبار الادب حتى لا اذكره واذكر الناس بما يكره .

وفي اخريات ايام الطناحي ، اصيب بفالج بلبـل لسانه ، فنقل الى المستشفى ، وخيف عليه من وطـأة الداء ، ولكنه تغلب عليه بارادة حديدية . ولما زرته بعـد ايام ، كان يحاول الكلام فيتلعثم اللسان ولكنه لا ييأس من المحاولة ، ولا يعييه آخر الامر ان يعبر عما يريد . ولـم اجرؤ على ان اشير الـى موضوع الموت مـن قريب او بعيد ، ولكن صديقا عابث الطناحي بقوله : كيف كـان شعورك يا طاهر وانت تدق ابواب الابدية ؟ فقال بلسانـه المعوج: لا تذكرني بالموت فلا اريد ان اراه انه شيء فظيع.

وقد استطاع الطناحي ان يستقوي على المرض وان يعوود الى منزله ، وسمعت صوته فـي الهاتف يرجوني بلسانه العيي ان اعمل على ارجاء حفل كنا اعتزمنا اقامته لتأبين صديقنا الراحل الدكتور امير بقطر ريثما يستـرد صحته الكاملة لانه نظم قصيدة من اربعين بيتا في هذه المناسبة ويريد ان يلقيها بنفسه (وقـد سلمني انجـال الطناحي بعد وفاته نص هذه القصيدة التي الهتنا الايـام وحادثاتها عن نشرها بل عن تأبين الدكتور بقطر والطناحي الذي لحق به) . بل ان يقظة الموت اغرت اخانا الطناحي بزواج جديد بعد وفاة زوجته وام اولاده . وحسب طاهر ان محنته الصحية قد انتهت ، فنهض ذات صباح مـع الفجر يؤدي فروض الصلاة ، ثم تهيأ في لباسه الكامـل للذهاب الى عمله في « دار الهلال » ، فهوى دون حراك !

ومن الادباء من نعي وهو على قيد الحياة . ومن ذلك انني كنت ازور الصديق الراحل الامير مصطفى الشهابي، وكان قد عاد لتوه من حضور مؤتمر مجمع اللغة العربية، وكانت في يمينه مجموعة من ثلاثة كتب اصدرها المجمـع في مناسبة انقضاء ثلاثين سنة على انشائه . وبدأ الامير يتصفح اول الكتب وعنوانه « المجمعيون في ثلاثين عاما » فرأى فيه قائمة باسماء جميع الاعضاء العاملين والمراسلين في المجمع ، ثم وقف مشدوها امام اسمه ، قائلا : لقـد نعاني زملائي وانا عائد لتوي من رفقتهم ! ولـم افهـم مقصده حتى اراني الكتاب وكان اسمه فيه مقرونا بعبارة (١٨٩٣ – ١٩٦١) !! وكان طبيعيا ان يغضب الاميـر الشهابي لهذا الغلط الغريب وقال : انني مع شيخوختي العالية حريص كـل الحرص على شهود كـل دورة مـن دورات مؤتمر المجمع ، فلا اكاد اصل حتـى يستقبلني الدكتور طه حسين بالترحاب والدكتور منصور فهمـي باشا بالعناق والدكتور ابراهيم بيومي مدكور بالتحيـة الحارة . ولي في كل مؤتمر كلمة وفي كل مناقشة راي وتعليق تشهد به محاضر الجلسات . ومع ذلك يصدر عن المجمع كتاب عليه اسم الدكتور مدكـور كمؤلف ، ويعدني واضعوه من الاموات ؟ اذا كانت تلك هـي الدقة العلمية لدى المجامع اللغوية ، فكيف يطمأن الى دقة الافـراد اذا الفوا او صنفوا ؟

ولما عاتب الامير الشهابي الدكتور ابراهيم بيومـي مدكور (مؤلف الكتاب) سعى اليـه معتذرا بلباقتـه الدبلوماسية الفائقة وكياسته المتناهية ورقته المفرطـة والقى اللوم على البيروقراطية المتبقرطة وعلـى المطبعة اللعينة ! فقبل الشهابي عذره بروحـه السمحة وصدره الواسع ومد الله في حياته عامين او ثلاثة بعد هذا الحادث.

واذكر بهذه المناسبة انه عند وفاة الامير الشهابي في ١٣ من مايو ١٩٦٨ بادر كثيرون من اهل العلم والفضل الى تعزيتي لانهم كانوا يعلمون منزلة الشهابي في نفسي ومنزلتي في قلبه . حتى السيدة الفاضلة ثريا الحافظ ابنة زوجة الامير الشهابي التي رباها بعد استشهاد ابيها على ايدي الجلادين الترك وصارت كواحدة من بناته . . . حتى هي اتصلت بي معزية في هذا الرزء ، وكأن الشهابي ابي انا وليس اباها هي بالتبني . والوحيد الذي شذ عن ذلك هو توامي الدكتور محمد رجب البيومي (واقول توامي لاننا خرجنا الى الدنيا في يوم واحد من شهر واحد وسنة واحدة) . ذلك بأن الاخ رجب ـ سامحه الله ـ كتب الي رسالة استكبرت صدورها منه وتقززت نفسي من مطالعتها لانني شممت فيها رائحة الشماتة مما يفيظ الحليم ، وكان مما قاله في رسالته انه بعيد وفاة علامة العراق صديقنا الراحل محمد رضا الشبيبي ، نظم قصيدة في هذه المناسبة ختمها بقوله: والعقبى للشهابي!

ولعل الدكتور رجب البيومي كان حانقا على المجامع والمجمعيين لانهم لما راوه يقتض الجوائز الادبية في كل سنة ويكتسح المتسابقين عاما بعد عام ، عدلوا قوانين الجوائز تعديلا يخرج البيومي من عداد الفائزين ولو الى حين . ومن ثم كان قصاراي ان اطوي النفس على احزانها ، فلا اجادل صديقا في امور هي الى الاخلاقيات اقرب منها الى الادب .

ومن الذين نعوا وهم على قيد الحياة الاستاذ احمد حسن الزيات ، عليه الرحمات . اما قصة ذلك فهي ان الكاتب الساخر محمد عفيفي كان وما زال يحرر صفحة من الكلام الذي يغلب عليه الهزل عنوانها « ابتسم من فضلك » في بعض المجلات المصورة . وكان مما قاله في احدى كلماته اننا تعلمنا الادب في مجلة « الرسالة » لاستاذنا الراحل الزيات ؛ وكان الزيات يومها ملء الحياة، وان كان ضعف بصره الهاه عن قراءة الصحف وفوت عليه فرصة تكذيب هذه الواقعة في حينها . وطرأ يومها ان اكتب الى الاستاذ عفيفي منبها الى هذا الخطأ الفليظ لان الزيات حي يرزق ، ولكنني وقد جربت مصير جميع رسائلي الى الصحف ـ وهو سلة المهملات المباركة ـ نهيت نفسي عن هذه المحاولة . وللزيات معجبون كثيرون في الحجاز ، فما قراوا عبارة عفيفي حتى امتلأت صحف السعودية بالمرثيات شعرا ونثرا ، بل ان مجلة « الجزيرة» اصدرت عددا خاصا بهذه المناسبة امتلأ بدراسات الادباء وقصائد الشعراء في الركن الذي انهد بوفاة الزيات . وكانت جميع الصحف السعوودية تنصب بين يدي ، فأدهشني تورطها في مثل هذا الامر الذي لا يصح السكوت عليه . واتفق ان زارني المحرر الادبي لجريدة الاخبار ، وهو الاستاذ اسماعيل النقيب ، فرجوته التنبيه الى هذا الغلط في جريدته . ثم زارني بعده مباشرة الاستاذ محمد عبد الله السمان الذي تطوع بحمل الصحف بنفسه الى الزيات في داره فأعفاني من ان اكون رسول شؤم اليه . ففزع الزيات من هذا الامر فزعا شديدا ، وبادر بارسال برقيات تكذيب الى الصحف السعودية ، ونشر في غيرها من الصحف انه حي يرزق. ثم جلس يستمع الى من يقرأ عليه مرثيات الادباء والشعراء متلذذا بعبارات التقدير والاجلال !

وكان صديقنا البير اديب بدوره من المنعيين وهم احياء ، فقد حدث في اضطرابات عام ١٩٥٨ ان قتل في بيروت صحفي لبناني يدعى « ألبر ديب » فطيرت وكالات الانباء اسمه خالطة بينه وبين البير اديب ، واضافت الى ذلك انه صاحب مجلة « الاديب » الكبرى !

وكنت يومها شديد المتابعة لاخبار الادب في لبنان، ولاحظت غير مرة ان صديقنا البير اديب نبه الى اللبس الذي يحدث بينه وبين هذا الصحفي . ولهذا لم اصدق الخبر على الرغم من المرثيات التي قراتها في صحف المهجر والصحف العربية ، وكتبت الى البير رسالة ـ لعلها ما زالت ضمن أضابيره ـ اقول فيها ما معناه انني على تمام اليقين بأنني اكتب الى رجل حي لا الى رجل ميت ، فالبير اديب فوق كل الشبهات ولا يقدم عاقل ولا مجنون على انهاء حياته .

ولما اتاني منه رد يؤكد كذب هذه الشائعة ، استبحدت بالصديقين حبيب جاماتي ـ يرحمه الله ـ واسعد حسني ـ مد الله في عمره ـ واستطعنا تصويب الخبر في الصحف المختلفة . ثم بعثت الى البير اديب بما تلقيته من مرثيات قيلت فيه ينشرها تباعا في «الاديب»!!

ومن الادباء الذين سمعوا نعيهم وهم احياء صديقنا الشاعر جورج صيدح . فقد حدث في عام ١٩٤٩ ان كان صيدح هابطا درج مصلحة البريد في بوانس ايرس متأبطا حمل بعير من المطبوعات والمراسلات ، فانزلقت قدمه واصيب بخدوش هينة حالت دون حضوره حفلة مقررة في مساء ذلك اليوم . فأول المرجعون غيابة شر تأويل ، وطار النعي برقيا الى كراكس (فنزويلا) واخذت قرينته تتلقى برقيات التعزية وزوجها قربها حي يرزق . وعندما سمع صديقنا بلسان صيدح عنوانها « بث الحنين » قال فيها :

قد نعوني ولم أمت ... انا ما زلت في الحياة
لي خطو على العشي ... ورف على الغداة
أزدع الورد في الدروب ولا أتقي الجناة

الى ان قال :

قلت للموت خذ ثيابي ولا تلمس الدواة
في جراحي ماء الوجود ، وفي أحرفي النواة

فجاوبه صيدح بقصيدة عنوانها « يا نعاتي » هذا نصها بعد ان اجرى عليه قلمه الاحمر بالتهذيب والتشذيب والتنقيح والتجميل :

من مجيري من النعاة ... رسل الموت في الحياة

سابقوا ربهم على ... أجل في الكتاب آت
موعد فيه يستوي ... ذو لجاج بذي أناة
يا لها من رواية ... شؤمها حاق بالرواة
سيروها وطيروها ... شعاعا الى الجهات
والردى سائر الى ... حيث لا يشتهي الحداة
من يريني رفاتهم ؟ ... لا أراني لهم رفات
انا في الارض روضة ... حسدتها الارض الموات
ان نعوها الى الرب ... كذبت بالجنى الجناة
لطف الله بالشذى ... سلم الزهر والنبات
قسما بالذي قضى ... بسقوطي وبالنجاة
لم يرعني بوقعه ... نبأ روع العقاة
يا نعاتي ، مرادكم ... عز ، مهلا الى الفداة
صلة بيننا الحياة ... فلم تقطع الصلات
غركم انني فتى ... أطمع الضأن بالرعاة
يا نعاتي ، أخذتم ... لي ثارا من الحياة
ان مجدي رهينة ... لا يفيها سوى الممات
جرعة الموت فرجت ... غصة الحق في اللهاة
فجرى اللين في القساة ... وسرى العدل في الطغاة
يا نعاتي ، أنصفتموني ، ... وجرتم على العداة
كم وجيع اذا شكا ... قطعت مهجتي الشكاة
وشجي حنينه ... حنة الشعر والصلاة
ووفي دموعه ... شوقتني الى الوفاة
عظم الله أجرهم ... ووقاهم اذى النعاة

اما صديقنا الشاعر محمد مصطفى الماحي ، فقد اختصر عمره « المفتش المراجع » بيقظته وعينه الساهرة! ذلك بأن هناك كتابا للنصوص الادبية مقررا على طلاب المدارس ، فيه مختارات من الشعر والنثر لشعراء مختلفين منهم الماحي . وقد حرص واضعو الكتاب ومصنفوه ومحققوه وشارحوه ومراجعوه على ان يثبتوا لكل قصيدة هامشا فيه سطران من حياة الاديب وكتبه ومنزلته الادبية . وظل كتاب النصوص يطبع سنة بعد سنة بملايين من النسخ وفاء بحاجة الطلاب في البلاد العربية المختلفة ، دون ان ينال طبعاته تغيير الا من حيث الموضوعات التي تتقادم بانتفاء مناسباتها او بذهاب « موضتها » . وظل الماحي يمثل صفحته الاثيرة من الكتاب دون ان يناله سوء في الطبعات المتتالية ، الى ان عهد الى مفتش مراجع يقظ في ان يراجع كتاب النصوص ليستوثق من ان مادته تطابق المواصفات من جميع الجوانب ولكي يستدرك أي ثغرة في الكتاب . ووقف المفتش المراجع عند صفحة الماحي ، فاستهول ان يقرأ في ترجمة حياة الشاعر عبارة (١٨٩٥ ـ) ومن مؤداها ان الشاعر قد بلغ الآن الخامسة والسبعين من العمر ، وهو امر مستبعد ! فبادر المفتش المراجع الى تصحيح هذا الهامش قائلا ان الشاعر ولد في عام ١٨٩٥ ثم توفي عن ديوان شعر !

وكان اول من تنبه الى هذا الخطأ حفيد الشاعر الماحي وهو من الطلاب الذين يدرسون كتاب «النصوص» ضمن مقرراتهم! وسرعان ما تنبه اصدقاء الماحي الكثيرون الى هذا الخطأ في طبعة النصوص التي صارت ملايين من نسخها في ايدي الطلاب من الخليج الى المحيط ! وبادروا بالاتصال بجهات الاختصاص لتصويب هذا الخطأ . ولكن المفتش المراجع اصر على انه على صواب وان السادة المستدركين على خطأ . ولم يعدل عن رايه الا بعدما راى بأم العينين صديقنا الماحي (بلحمه وشحمه) وتحقق من شخصيته وراجع هويته ، وعندئذ ، وعندئذ فقط ، بعث بمنشور دوري الى المدارس وامناء المخازن ينبه فيه بضرورة تصحيح هذه العبارة لانه قد ثبت ان الشاعر الماحي ما زال على قيد الحياة !

والشاعر محمود ابو الوفا سمع منعاته وقراها غير مرة! بل انه نعى نفسه في قصيدة مشهورة قال في مطلعها:

في ذمة الله نفس ذات آمال ... وفي سبيل العلا هذا الدم الغالي

وفيها أشتد بالتعنيف على والديه لانهما انجباه للبؤس فقال :

أبي وفي النار مثوى كل والدة ... ووالد أنجبا للبؤس امثالي
ما كان ضرك لو من غير صاحبة ... قضيت عمرك شأن الزاهد السالي

ولعل من اسباب توهم الادباء ان الشاعر محمود ابا الوفا قد فارق الدنيا ، ذلك الخلط الناشيء بينه وبين شاعر آخر هو المرحوم محمود رمزي نظيم الذي كان يكني نفسه « بأبي الوفا » وكان يوقع جميع شعره ونثره بامضاء « محمود رمزي نظيم ـ ابو الوفا » . وقد عرفت محمود رمزي نظيم في دار « البلاغ » على عهد صاحبها الراحل عبد القادر حمزة باشا ، فابتدرني طالبا رؤية بسراي ، ثم اخذ يقرأ كفي قراءة خبير فقيه . وهو شاعر وزجال من طبقة عالية ، وهو شديد المرح حلو الفكاهة ، وكنت اصادفه كثيرا في المراح والمغدى في حافلات الاوتوبيس لانه كان يسكن حي « منيل الروضة » وكنت اجتاز هذا الحي الى ضاحية الاهرام . وقد اضطلع استاذنا الشاعر الكبير علي الجندي العميد الاسبق لكلية دار العلوم بطبع ديوانه « الرمزيات » بالاشتراك مع زميلنا السابق محمد علي ابي طالب ، ثم ترجم لسيرته ترجمة واسعة في كتاب مستقل .

وما زال الناس يخلطون بين محمود ابي الوفا الشاعر الذي غنى له محمد عبد الوهاب اغنية « عندما يأتي المساء » وبين الشاعر الراحل محمود رمزي نظيم المكني بأبي الوفا . ولم ينج من هذا الخلط حتى صديقنا البدوي الملثم يعقوب العودات .

ويسوقني حديث الموت والحياة الى شيء من الاعتراف . فقد كنت في عام ١٩٥١ أحرر في جريدة « المقطم » لصاحبها العلامة الدكتور فارس نمر باشا . وفي اواسط دسمبر من تلك السنة استدعاني الدكتور نمر الى رؤيته وهو في فراش مرضه ، واخذ يحدثني عن ذكرياته ويمحضني نصائحه وهي نصائح رجل نيف على التسعين واجمع الاطباء على ان عمره الباقي ايام قليلة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واجلسني الدكتور نمر بالقرب منه ، واخذ يتحدث بكامل وعيه ويقظته اكثر من ساعة انصرفت بعدها وبي شعور بان هذا هو اللقاء الاخير معه ، وكان في حديثه يكرر عبارة « انا مول » ، « انا ذاهب » ، « انا ماض » . وفي صباح اليوم التالي عرفت من كريمة الدكتور نمر ، وهي زوجة جورج انطونيوس صاحب كتاب « يقظة العرب » المشهور ، ان والدها ذهب في غيبوبة بمجرد انصرافي ، وان وفاته صارت متوقعة في كل لحظة . وكان طبيعيا ان تتأهب جريدته لاستقبال هذه المناسبة الحزينة بما يليق بمنزلة منشئها لا سيما وهو رجل مرموق المكانة في الحياة العلمية والعامة . ومن ثم الح علي زملائي في الجريدة ان اكتب رثاء للدكتور نمر ، واتبعه بترجمة حياته تهيؤا لاستقبال ما لا مفر من وقوعه . وفعلا اعددت فصلا ضافيا عنه نضدت حروفه وبقيت في المطبعة تنتظر يومين كاملين . فلما فاضت روح نمر باشا بعد الغيبوبة العميقة ، خرجت الجريدة مجللة بالسواد ، تحمل في صدارتها هذا الفصل ، وهو الفصل الذي اعتمدته الدكتورة بنت الشاطيء (محررة باب الوفيات يومئذ في جريدة « الاهرام ») عند رثائها للدكتور نمر ، كما اعتمده صديقنا الراحل سامي (سبيرو) جسري عند رثائه لنمر باشا في « المقتطف » . وقد اعيد نشر هذا الفصل في « الاديب » في فبراير ١٩٥٢ ان لم تخني الذاكرة .

ويفضي بنا حديث الموت في حياة الادباء الى ما كان من امر الشاعر الراحل الدكتور عزيز فهمي الذي كان يجمع في شخصيته متناقضات غريبة . فهو من اسرة مترفة ، وكان ابوه عبد السلام فهمي حمصة باشا رئيسا لمجلس النواب لسنوات طويلة ، ولكنه كان يعيش في رفقة الصعاليك ورواد مقاهي الفن . وكان شاعرا موهوبا شهد بشاعريته الدكتور طه حسين حين قدم لديوانه ، ولكنه كان منصرفا عن الشعر ببوهيميته الغريبة . وكان حزبه السياسي محافظا ، ولكنه كان من المنافحين عن الحريات بصوت مدو حتى صار من المطاردين .

وكان الدكتور عزيز فهمي محاميا . وذات يوم وكل في دعوى في الريف ، وكان عليه ان يستيقظ مبكرا ليلحق بأول قطار ويتسنى له حضور الجلسة في موعدها المحدد . ولكن اعتياده السهر فوت عليه القطار في آخر لحظة ، فركب سيارة اجرة وامر سائقها بأن يسرع بأقصى سرعة للحاق بالقطار في المحطة التالية ، فأفلت منه القطار بثوان . وعندئذ امر السائق بأن ينطلق كالصاروخ ليلحق بالقطار في المحطة التي بعدها . وكانت سيارة الاجرة تسلك طريقا زراعية محاذية لمجرى مائي امتلأ بماء الفيضان ، وفي لحظة ضعف تعذر على السائق السيطرة على السيارة فانقلبت في القناة وغرق الدكتور عزيز فهمي .

وطلع علينا صديقه وراوي شعره عبد الرحمن الخميسي بكلمة رثاء ، كان مما قاله فيها ان عزيز فهمي تنبأ بموته ووصفه ادق وصف في قصيدة له عنوانها « قاريء الكف » قال في مطلعها :

يا قاريء الكف ماذا خبأ القدر وما عليك اذا لم يصدق الخبر

وبعدما عدد عزيز فهمي اسباب المنايا المحتملة ، قال عن سبب آخر :

او ان في مسبح الحيتان منقلبي يوم الرحيل اذا ناداني القدر

وها هو قد انقلب في مسبح الحيتان عندما آذن يومه برحيل .

وقد اصبحنا في زمان يموت فيه الاديب فلا يسمع احد خبره الا عرضا كما حدثنا الصديق الدكتور احمد الشرباصي وهو يصور الدكتور محمد العلائي الذي زاملني بعض الوقت في الدراسة الجامعية . وقد الفت ان اتلقى رسائل من باحثين يسألونني عن ادباء معاصرين وهل هم على قيد الحياة او انتقلوا الى الرفيق الاعلى . فالعلامة يوسف اسعد داغر سألني عن عزيز خانكي وسامي الجريديني وهل هما باقيان على قيد الحياة أو لا . كما سألني المرحوم الدكتور احمد زكي ابو شادي عن حبيب عوض الفيومي ، وكان اديبا مكينا غابت اخباره في خضم الريف ، وكان ابو شادي يشتغل يومذاك باعداد كتاب عن الادباء الاقباط نشر فصولا منه في « الهدى» النيويوركية ولم يستكمل هذه الفصول . وكان آخر السائلين الدكتور عدنان الخطيب الذي استفسر مني عن اخبار الخطاط نجيب هوادني وآثاره . وكنت اتحرى اخبار هؤلاء وامثالهم اما بالرجوع الى اوراقي الخاصة ، واما بالبحث في الصحف القديمة ، واما بالاتصال بأفراد عائلاتهم واما بزيارة المقابر لنقل التواريخ المدونة على الاضرحة!

فاذا كان المعاصرون من الادباء نخلط في تواريخ وفاتهم وتعاهم وهم احياء ، كما تقدم في هذا الكلام المستطرد ، فكيف يطمئن الباحث الى ما سجله المسجلون من تواريخ وفاة السابقين من رجال الادب والفكر والعلم ؟ فالناس في حياتها اليومية تتلهى بمشاغل الساعة ، وتصرفها احداث السياسة عن الاهتمام بالادباء واخبارهم وسيرهم ، حتى ان الشاعر شوقي عندما رثى مصطفى لطفي المنفلوطي المتوفي يوم قيام ثورة سنة ١٩١٩ في غفلة من اعين الصحف ورواة الاخبار ، سجل هذه الظاهرة في مطلع قصيدته فقال :

اخترت يوم الهول يوم وداع ونعال في عصف الرياح الناعي !

وكان الاديب المترجم الكبير عباس حافظ قد كتب مقالا في مجلة « الرسالة الجديدة » جعل عنوانه « نحن الادباء نموت فطيس » فلا يدري بموتنا احد ولا يرثينا احد . وبعد أقل من شهرين مات عباس حافظ «فطيس» ولم يرثه الا يوسف السباعي ، وبينهما مصاهرة !

وبعد ، معذرة للقارئين عن الاستطراد في هذا الحديث المقبض . فان قيل ان لاهل النثر شياطين كأهل الشعر ، فلعل اكبر اللوم في تسطير هذا الحديث يقع على تلك الشياطين « الملاعين » !! .

طرابلس – ليبيا **وديع فلسطين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحداد

كاد الحديد لفصة يتنهد ... من موقد نيرانه لا تخمد
وتجهمت قسماته مربدة ... دون اللظى وتوردت تتوعد
وشكا بشاهد حاله عن شجوه ... فأصاب غاية ما يروم ويقصد
أوليس في صمت الشجي شواهد ... من دونها يعيا البيان ويفسد
قد يبلغ الصمت العميق على الجوى ... ما ليس يبلغ من فؤاد منشد

بسط الحديد يد الذليل الى اللظى ... من رهبة وكأنه يتودد
وتراه للحداد أسلس طائعا ... بزمامه وهو الحرون الانكد
ما كان بدعا ان تهالك صاغرا ... دون اللهيب وما يفيد تمرد

راحت يد الحداد دون تبرم ... تسعى مع العمر المرير وتجهد
تستوقد النيران وهي على المدى ... تشقى بما توري وما تتقلد
تهوي على زبر الحديد بمطرق ... فيحل من زبر الحديد معقد
لانت طرائقها وشف جليلها ... دون اللظى وتعطفت تتأود
زبر على السندان جلجل صوتها ... مما ألم بها وضج يعربد
وتئن صارخة ولم تفغر فما ... تحت المطارق من أسى يتجدد
هتفت كما هتف الشجي على الجوى ... والنار في احشائه تتوقد
لو اعطيت حر الكلام لاعربت ... بلسان صدق معرب لا يجحد

وكأنما السندان في اطرافه ... دنف الم عليه داء مجهد
ركزت قوائمه على شعف الثرى ... فأقام لا يشكو ولا يتمرد
ألف الوقوف على الثرى وكأنه ... وهو الصحيح من الزمانة مقعد
وازاءه الحداد هب مشمرا ... عن ساعد ليست بعبء تجهد
تهوي على السندان كالقدر الذي ... تهوي جوائحه ولا تتردد
فيلين صلد دونها وكأنه ... غصن تعابثه النسائم أملد
خضدت من الفولاذ عود شماسه ... فانقاد صعب شامس لا يخصد
وهوى يرفرف خانعا بجناحه ... كذبيحة بيد الاذى تستشهد

عجبي لحداد أطال وقوفه ... دون اللظى مستعطيا يسترفد
ما انفك يثقف ناقدا بيمينه ... زبر الحديد كما الصيارف تنقد
والنار تلفح وجهه بجوائح ... مسمومة كالسوط ساعة يجلد
حمم تصعد دونه من موقد ... وبقلبه حمم الجوى تتصعد

دمشق

عدنان مردم بك



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الآداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

* * *

تاريخ لا ينسى

يوم كانت بلادنا ما تزال في بداية الطريق .. ويوم كانت تسير الهوينا في خطوات كليلة ، وهي تتعثر خلالها مثل من يسير على عكاز ، وقد ترابطت انحاؤها في مسالك غير معبدة ، وقامت فيها مدرسة ثانوية واحدة ، يتوافد اليها طلاب المعرفة من مختلف ارجائها بين قريب وبعيد . ولم يتوفر فيها من الخدمات العامة غير النزر اليسير في ابسط اشكاله وايسر احواله .

يوم ذاك .. كان الذين يتولون زمام الامور فيه قبضة من ابنائه وقبضة يسيرة .. ضئيلة تحصي افرادها فلا تخطئهم عدا ، وقد وكل اليهم من المسؤوليات الجسام فيه ، ما تعجز عن حمله الكثرة الوفيرة ، وما يضيق به ذرعا ذوو الحول والطول ، الذين يجدون بين ايديهم من المدد ما لا ينضب له معين .

وتحتم على هؤلاء الذين وضعت في ايديهم المقاليد ان يصنعوا تاريخ هذا البلد ، وان يبداوا الطريق من اوله ، يواجههم فيه من المصاعب ما لا حصر له وتعترضهم العقبات التي فرض عليهم اجتيازها ، وما في حوزتهم من اجل ذلك حيلة ولا وسيلة .

وسارت القافلة في مشيها الوئيد تتجه نحو الغاية البعيدة ، وكلما وصلت هدفا تطلعت الى هدف آخر من ورائه ، دون ان يجهدها بعد المدى ودون ان يقعدها عناء السير المتلاحق الذي كان لا بد من متابعته ، ولا مهرب من الاصرار عليه ، ما دام اولئك المجاهدون المستبسلون يصرون على ان يحققوا فيه ما يشبه المعجزة ، وقد فعلوا .. ومضى بهمتهم بلدنا الصغير في مسيرة الحياة ، يجاري سواه من الاقطار المتطورة ، وهي تمضي صعدا في معارج النهضة والازدهار .

ولما كانت لكل بداية نهاية .. ولما كانت سنة الحياة تقضي بان تطوي صحائف الاحياء ، لذا فقد جعل هؤلاء الرواد يتلاحقون الى نهايتهم ، ويغيبون عنا واحدا تلو اخيه ، فمضى مع الخالدين منهم عدد عديد ، فيهم من العلماء ورجال التربية : الشيخ محمد صالح مريش ، والشيخ عبد الحليم زيد ، واديب وهبة ، وجريس القسوس ، وعيد قاقيش ، والاب بولس سلمان .. وغيرهم .

وفيهم من الوزراء ورجال السياسة : الدكتور مصطفى خليفة ، ونجيب ابو الشعر ، وعبد الله الشريدة ، وعبد الحليم التمر ، ومصطفى وهبة ، ومحمد المحيسن ، وعلي خلقي .. وغيرهم .

وفيهم من الحكام والاداريين : صالح التل ، وعودة القسوس ، وخلف التل ، وذوقان الحسين ، ومحمد الظاهر ، ورفعت الصليبي ، وشاهر المحيسن .. وغيرهم .. وغيرهم

وان معظم هؤلاء الرجال الاعلام ادوا رسالتهم حتى نهايتها ، وادركتهم المنية بعد ان خلدوا الى شيخوختهم فمضوا مشكورين محمودين ..

ولقد ذكرني بهم واحد من رفاقهم ، لحق بهم منذ ايام بعد ان ادى رسالته ـ مثلهم ـ نائبا ووزيرا ، واسهم كما اسهموا في بناء بلده ، وشارك معهم في صنع تاريخه ، واقصد بذلك السيد قاسم الهنداوي ، الذي تبع ذلك الركب الماجد ، ومضى يشاطرهم سدة الخلود هناك .

اولئك هم النفر الطيب من الرواد في بلدنا الصغير الناهض ، الذين صنعوا حاضر الاردن ، ووصلوا به الى المرحلة التي جعلوه معها يؤدي رسالته نحو فلسطين ، يوم نزلت به النازلة ، على النحو الكريم الذي يؤدي به المرء جهد طاقته ، وكامل ما تصل اليه قدرته ، وينتهي عنده مداه .

للغد المشرق

هذا الجيل الذي بين ايدينا .. انهم طلائع المستقبل ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذين يبدأون الطريق الى الغاية البعيدة ، ويسيرون في مقدمة الذين يتجهون نحوها ، ويذللون المصاعب التي ما فتئت تعترض الطريق اليها ، منذ وقف اولئك الشهداء الابرار ، في ساحة الشهداء في بيروت ، وفي ساحة المرجة في دمشق ، وفي الساحات العامة في بغداد ، وبيت المقدس ، وغزة ، والطائف وصنعاء ، وسواها .. وهم يرددون قبل ان يرتقوا ارجوحة الابطال بملء افواههم :

بلاد العرب اوطاني ... من الشام لبغدان
ومن نجد .. الى يمن ... الى مصر .. فتطوان
فلا حد .. يباعدنا ... ولا دين .. يفرقنا
لسان الضاد يجمعنا ... بغسان .. وعدنان

ولا بد من ان يتنبه ابناء جيلنا الصاعد عندها ... الى ان بلوغ هذه الغاية ضرورة لا بد منها ، وذلك اذا ما ارادوا ان يقام لهم وزن راجح ، حين توضع اقدار الناس في الموازين ، واذا ما ارادوا ان تكون لهم في وطنهم العزة والمنعة ، ليخشى ذوو المطامع جانبهم ، فيتجنبوا التطاول عليهم ، والعبث بمصالحهم .

ولا بد من ان يتنبهوا كذلك .. الى ان امتهم الماجدة حين صنعت تاريخها المشرق كانت تحذر اشد الحذر ان يحمل ابناؤها الذل او ان يستكينوا له ، لانها علمت علم اليقين ان قبولهم ذلك سوف يكون مؤذنا بزوال تلك الامجاد .. وقد ذل العرب حين تكالب عليهم المستعمرون من كل جانب ، ووقع لهم ما كان يحذره اسلافهم .

فلا بد ـ اذن ـ للجيل الصاعد من ان ينجي عن العرب ثوب الذل ، ويلبسهم بدلا منه ثوب العزة والمهابة ، وذلك باجتماع الكلمة ، وتوحيد الصف ، وحشد الطاقات والثروات والامكانات كلها لصالح الجماعة متكاتفة متساندة .

وعند ذلك فقط .. سوف يعيدون لامتهم سالف عزتها وسابق امجادها ، فيبسطون اكفهم القوية القادرة ، الى اولئك الذين تجمعهم واياهم اخوة اللغة واخوة التاريخ ، او اخوة الدين والمصالح المشتركة ، فاذا هم يزدادون بهم بأسا ، واذا هم يستظهرون بهم فيزيدونهم منعة ، فيصبحون جميعا قوة لا تضاهى ، ولا يماثلها غيرها في البسطة والعدة والعدد .

ذلك هو الهدف البعيد .. الذي يجب ان يتطلع اليه جيلنا الصاعد ، وهو يستعد لتحمل الاعباء الكبيرة ، التي سوف تلقى عليه ، في سائر انحاء وطننا العربي الكبير ، وفي مختلف اقطاره قريبها وبعيدها .

وان الواجب المحتوم يملي عليه ان يفعل ذلك ، لان العالم من حوله يموج بالاحداث ، وهي كفيلة بان توقظ النائمين ، وان تبصرهم بما يحيط بهم من اخطار مهما كان نومهم عميقا ، ومهما بلغت بهم الغفلة ، ومهما تناءى بهم الضياع والتخلف .

ثم ان الواجب المحتوم يملي عليهم كذلك ، ان يثبتوا وجودهم في دنيا الاحياء ومثل هذا الوجود لا يثبته غير القوة والمنعة ، والصف الواحد الذي لا تمزقه الاهواء ..

الطريق الواضح

في ليلة مطلع العام الجديد .. كان بين يدي كتاب يتحدث عن افريقيا عنوانه « افريقيا الخضراء » ، وكنت ادفع به الملل الذي احاط بي بعد ان استمعت الى الاخبار وكانت في مجملها لا تسر احدا ..

ومضيت في الكتاب اتصفحه على غير هدى ، ثم رايتني اقف عند موضع طريف ، كان يتحدث فيه المؤلف عن حياة الغابات ، ويصف خلاله صوار البقر الوحشي ، وهو يمضي قطعانا متقاربة ، فاذا ما تعرض لها وحش كاسر ، تحلقت من حوله ، وجعلت تضيق عليه الخناق ، حتى تجعله في متناول قرونها ، فما تزال تطعنه بها مجتمعة ، حتى تخمد انفاسه وتقضي عليه ..

يا سبحان الله ما اعجب خلقه .. !! حتى جماعة البقر الوحشي لا يغيب عنها منطق الحياة الصحيح ، الذي يفرض على المتفرقين ان يجتمعوا في صف واحد ، ليكونوا بهذا الصف قوة تغلب الاقوياء ..

اما نحن يا اخي القارىء .. نحن في عالمنا العربي .. عالم المئة مليون ، فاننا لم نهتد الى هذا المنطق ، ولم نعرف الطريق اليه بعد ، بل لعلنا لم نحاول ان نعرف هذا الطريق محاولة فعالة ذات جدوى ، ثم تعجب اشد العجب حين تسمع احاديث الشعوب العربية وهتافاتها ، المختلفة ، في اقطارها المتعددة ، فاذا هي جميعا تدعو الى الوحدة ، وتطالب بانجازها ، وتلح اشد الالحاح في هذه المطالبة ..

وليس ذلك فقط .. بل حين تسمع احاديث المسؤولين في هذه الاقطار المتعددة ، فاذا هي كلها تدعو الى وحدة الامة ، والى جمع الكلمة ، والى انتظام الصفوف المتفرقة في صف واحد ، لتقابل العدوان الذي تتعرض له صباح مساء ، بانتقام اشد واعنف ..

وتقف مشدوها ذاهلا حيال ذلك .. وانت فاغر الفم دهشة واستغرابا وتعجبا ، وتسأل نفسك بعدها . وما لهذه الوحدة لا تتحقق اذن ؟ ما لها لا تنتظم فورا لتصبح معها الصفوف الهزيلة الضئيلة المتخاذلة المغلوبة ، صفا واحدا قويا ، لا يجرأ المعتدي على اقتحامه وتخطيه والتغلب عليه ؟

ومن الذي يحول دون هذه الوحدة يا ترى ، ما دام كل مسؤول عربي يدعو اليها ، وما دام كل شعب عربي ـ ومن الدار البيضاء الى صنعاء ـ يلح بطلبها ، ويجأر بهذا الطلب في الاجتماعات والمظاهرات ، حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لبنـان

★

لبنـان أبعـث بـالاشـواق تحنانـا ... اليـك ممزوجـة حبـا وريحانـا
اذ انت لي وطن ، بوركت من وطن ، ... اهديك من خاطري روحا ووجدانـا
ومن تباريح قلبي قد نسجت هـوى ... لمـا تعشقت بيروتـا ولبنانـا
أبث مـن خلجـات القلب خاطـرة ... حـرى اطرزهـا نـورا ونيرانـا
لكـل اهليك بـل للوافدين الـى ... سهولك الخضر ، نيشانـا وتيجانـا
لي في ربوعك ذكـرى كلهـا ارج ... كالمسك تعبـق انغامـا والحانـا
يا موطن البسمة السمحاء، ما فتئت ... نفسي تذوب بربـع كـان اضنانـا
اعلـل النفس بالآهـات اكتمهـا ، ... علـي ابـدد احزانـا واشجانـا
عبـأت كـل قـوى نفسي ومقدرتي ... لكـي أزورك يـا لبنـان احيانـا
يهزنـي الشوق للقيـا وان بعـدت ... دنيـا المسافات أقلاعـا وايذانـا
لبنان يـا جنـة الدنيـا وزينتهـا ... وموطن الـي انت الحب مذ كانـا
فالعيش عندي اصفى من صفاء سني ... عنـد اللقـاء وعشبي صار بستانـا
ان يذكر الجود كنت الجود، مذوجدت ... ارض الخليقة لمـا زلـت عنوانـا
افديك ما ملكت نفسي ومـا حملت ... مني اليدان ومـا قـد نلتـه الآنـا
فانـك البيـرق السامي عالـى قمم ... مـن الجبال تضيء الافـق نيرانـا
لو استطعت بقيت العمر فـي كهف ... من ارض لبنـان جذلانـا ونشوانـا
قد كان اشفق مـن اهلي ومن بلدي ... عند الملمات حتى كـان مـا كانـا

بغداد — صبيحة منير المدرس

لتوشك ان تتمزق منه الحناجر ؟

ان عدونا يقول على رؤوس الاشهاد : لقـد تغلبنـا على العرب لانهم صفوف متفرقة ونحـن صف واحـد ، والعرب جميعا يعلمون هذا ، ويلمسون أثـره وقلوبهـم تتفطر اسى ، ورغم ذلك كله فنحن ما نزال نقف عنـد حدود الكلام خلف المذياع ، الكلام الذي لا تصاحبه خطوة ـ ولو خطوة فقط ـ نحو الوحدة ..

ان الوحدة التي نسمع عنها اليوم هـي : الوحـدة القومية بين فئات الشعب الواحد ، احيانـا بين الشمال والجنوب .. واحيانا بين المذاهب المختلفة ، واحيانا بين الكتل والفئات الى آخر ذلك ..

تلك هي الوحدة التي نسمع عنها اليوم .. وترتفع الدعوة لها .. !!

اما وحدة الامة الواحدة بسائـر مذاهبها الدينيـة والسياسية ، بسائر اقطارها التي تفصل بينها حـدود وهمية صنعها الاستعمار لخدمة مآربه الخبيثة .. امـا هذه الوحدة التي يسوغ قيامها تاريخ واحـد مشترك ، ولغة واحدة ، واعراف واحدة ، ومصالـح مشتركة .. اما هذه الوحدة فاننا لا نسمع عنها شيئا ، رغم وجـود العدو الذي يهدد هذه الامة ـ هو ومن يسانده ـ بالزوال والدمار ..

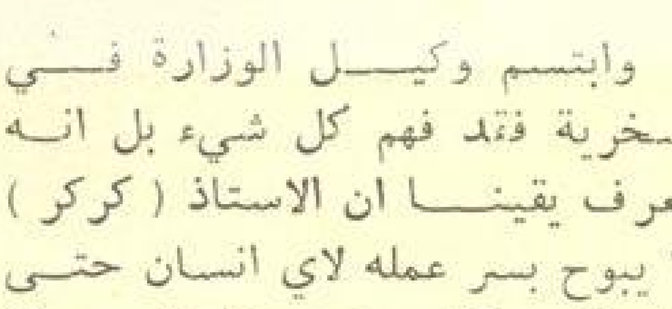
ترى .. الى متى نظل في هذه المتاهة نهيم فيهـا على غير هدى ، والطريق بين ايدينا واضح لا يخفى على ذي عينين ..؟ ترى .. الى متى ..؟

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

نهاية كل شيء

بقلم السيد ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نهاية غريبة .. ولكن كيف حدث ذلك .. لماذا وصلت الامور الى هذا الحد من الذي هزم الاخر .. بل من المهزوم ومن المنتصر ؟. لعبة غريبة .. هل هي ضربة حظ .. ام سخرية اقدار .. ام اسطورة تحولت الى واقع ؟!

اسئلة قفزت الى ذهني وانا استمع الى مصير المعركة التي احتدمت لفترة طويلة ، والتي اصبحت الشغل الشاغل لمعظم المطلعين على بواطن الامور في الشركة .. فجاة ثار البركان الخامد .. فجاة سمع الناس في جميع اقسام الشركة ان الاستاذ رمزي وكيل الشركة يطالب بحقه في الادارة والاشراف والمكافآت والاعتمادات ، وان الاستاذ كرم المدير الذي يسيطر على كل شيء قد اذهله الطلب المفاجيء .. فقد اخذ على غرة .. لم يكن يعتقد انه سياتي اليوم الذي سوف يطالبه فيه الاستاذ رمزي بحقوقه.. فقد نسيها هو تماما ولكثرة ما تناساها اصبح لا يعترف بها وهذا ما سبب له ارتباكا وذهولا في بداية الامر ، ثم سرعان ما سيطر على اعصابه ..

وبهدوء شديد وادب اشد ومن خلال شفتين زرقاوين خرجت الكلمات في نغم ممطوط .. وبصوت هادىء اثار في نفس الاستاذ رمزي الما لا يطاق ، فهو يعرف ان برود الاستاذ كرم يقصد الاستاذ (كركر) المدير العام كما يحب ان يدعوه وكما يدعوه الاولاد في اجتماعاتهم واحاديثهم الضاحكة ... البرود السكسوني الرهيب الذي تعلمه بل يكاد يجزم بانه رضعه من ثدي امه ... رجل بارد هادىء لا يثيره اي شيء .. واذا فقد اتزانه ولو للحظة واحدة ، فسرعان ما يعود اشد برودا واكثر حذرا والتوا من البداية .

كان يخافه ويخشاه .. نجح الاستاذ (كركر) في السيطرة على الشركة ونجح بالتالي في انكار دوره كوكيل له ... ما من سر من اسرار العمل يعرفه .. هل ينسى يوم ان استدعاه وكيل الوزارة لمناقشته في موضوع هام من اختصاص شركته .. ساعتها شعر بالعرق البارد يبلل جسده كله .. اصفر وارتعش .. واطرق خجلا ثم قال لوكيل الوزارة ...

ـ آسف يا بيه .. الموضوع عند الاستاذ (كركر) .

وتساءل وكيل الوزارة في دهشة وهو يقول : الاستاذ مين ؟!

وسرعان ما وجد نفسه يقول :

ـ اصدي الاستاذ كرم .. المدير بتاعنا .

وابتسم وكيل الوزارة في سخرية فقد فهم كل شيء بل انه يعرف يقينا ان الاستاذ (كركر) لا يبوح بسر عمله لاي انسان حتى ولو كان وكيله .. لا يأتمن الا شخصا واحدا هو ذاته .. اما الآخرون فهم ادوات فقط لتنفيذ اغراضه .. وتذكر الاستاذ رمزي وهو مطرق والافكار تطحنه الاجتماعات الديمقراطية التي كان يعقدها مع الزملاء وقوله وعيونه تلتمع خبثا ودهاء ..

ـ انا جمعتكم النهار ده علشان نتناقش في امور الشركة .. دي روح ديمقراطية لازم كلنا نحس اننا (تيم) واحد .. هدفنا العمل .. العمل فقط .. علشان الشركة تنجح ودورها يبقى بارز .. على فكرة الكلام دا انا بانفذه حرفيا .. باعلمكم الادارة .. باعلمكم القيادة .. ايوه اتعلموا .. لازم كل واحد يعبر عن رايه .. يقول .. يقترح .. اي اقتراح مفيد حانفذه فورا..

ويقترح الاولاد .. يقصد الزملاء، ولكن الاقتراحات كلها تسفه .. تسقط .. ترفض .. تسجل في محاضر الجلسات كأنها نفايات تافهة ولا ينفذ الا ما يريده وما يقرره .. بل ما هو مقرر اصلا .. ويكتشف الزملاء اعضاء الادارة ان تلك الاجتماعات صورة مزيفة لديمقراطية خيالية ليس لها وجود الا في راس المدير الدكتاتور ، وبالطبع تتعارض الديمقراطية مع افكار وآمال وتطلعات الدكتاتور وكان موقفه كوكيل موقفا لا يحسد عليه .. كان اعضاء الادارة ينتظرون منه رايا .. كلمة تشيع .. وقفة في سبيل الحق ولكنه كان لا يستطيع .. كان الرجل يشل حركته .. حتى بضحكته المصطنعة .. بابتسامته الصفراء .. بوجهه الاسود .. بعيونه الضعيفة التي تغطيها نظارة ذات زجاج ابيض لم ينجح في اخفاء الدهاء الذي يحرك الاهداب والعيون الزجاجية الى اعمق الاعماق الماثلة امام المدير .

من اين تعلم ذلك الرجل اسلوبه في الحياة .. كان لا يريد انسانا على وفاق مع انسان آخر .. كل ما يهمه ان تشتعل الشركة نارا وان يشجع الزميل على كتابة شكوى .. بل ويصر على ان تكون شكوى كتابية حتى تكون مستندا له ضد الشاكي والمشكو في حقه وحتى لا ينجح اي فرد في التملص من قبضته .. (اسلوب ميكيافللي) ملتو .. فرق تسد .. ويضحك

ضحكته الناعمة الشوهاء ، ثم يقول بصوته الاجش : الشغل شغل يا استاذ رمزي .. لازم تكون حازم .

اسلوب غريب في الادارة .. الالتواء طابعه والشر وسيلته .. اذا وجد جماعة من الزملاء تدخل بينهم حتى ينفض ذلك الاجتماع.. اذا وجد اتفاقا لم يذق طعم الراحة الا وهو انقاض .

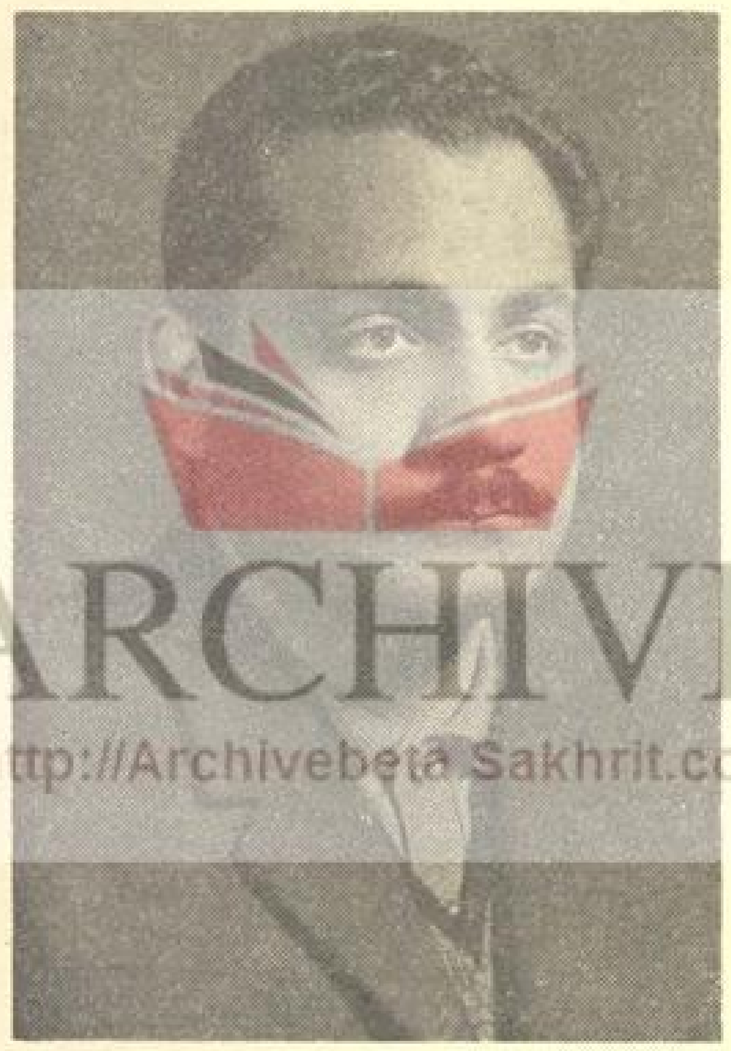
هل ينسى يوم ان دس بين زميلين وحرضهما على بعضهما ثم استشاره وعندما وقف في صف الحق ارتعب صاحبنا .. ربما لاول مرة لان حقيقته ستنكشف ، ولكي يداري الموقف عمل على نقلهما بسرعة حتى لا ينكشف امام الادارة .. رائحته فاحت ولكن لكل شيء نهاية .. منذ ان انكشف موقفه امام وكيل الوزارة وهو يحاول ان يعود الى هدوئه السابق ولكنه لم يستطع .

لكل شيء نهاية ولكن النهاية التي فرقعت اليوم كانت نهاية غريبة رغم انها تأخرت كثيرا .. لاول مرة يقف موقفا صلبا .. يطالب بحقه.. بنصيبه في العمل بتقسيم وظيفي .. لاول مرة يحس انه اصبح موجودا وان له كيانا وانه انسان .. والغريب ان تلك الوقفة لم تأت فجأة كما يعتقد معظم الناس .. ابدا ..

حتى اول امس كان قد قرر ان يترك له الشركة ولكن الاولاد ، يقصد الزملاء ، الذين يحبونه لطيبته لم يعجبهم منه ذلك الموقف الضعيف .. تكالبوا عليه .. وقفوا امامه وقفة خالدة .. حاولوا ان يثنوه عن تقديم طلب النقل .. قدمه.. ولكن الاولاد كتبوا يتمسكون به وقد كان .. ونجحت الادارة العامة في وقف طلب النقل .. كان عذابا ولكنه الآن اصبح مطالبا بأن يثبت وجوده .. لقد أثبت الاولاد وجودهم على الاقل تمسكوا به وكتبوا في ذلك للمدير العام ونجحوا في محاولاتهم .. لم يخشوا العدو ... لم يخشوا المدير .. قد يصيبهم ضرر بسبب تلك الحركة .. مقالب مثلا .. تقارير .. اشياء كثيرة برع فيها صاحبنا ولكنهم وقفوا ضد الضعف .

نعم انا ضعيف .. المدة الماضية كلها لم ارفع رأسي .. اليوم سأرفع رأسي .. اليوم فقط لا بد ان ارفع رأسي .. اليوم يسمعها الجميع مدوية .. انا وكيل الشركة .. أريد حقوقي .

حسب كثير من الناس ان



السيد ابراهيم

★

التراجع سيكون سريعا ولكن الجميع لا يعرفون ان وراء قراري زملاء يحبونني ويرتبطون بي .. شباب.. صورة من صور المستقبل .. صورة من صور بلدي .. لن أكون ضعيفا مهما حدث .. أنا وهو موظفان ، والعمل يحتاج لكلينا .. لماذا ينفرد به وحده .. لماذا يسيطر عليه وحده .. لماذا اكون ضعيفا ؟.

كان الموقف في البداية سيئا .. المفاجأة اذهلته .. اذهلتني انا نفسي .. لم اكن اشعر بقوتي .. كنت هشا .. ضعيفا .. ولكن اصالة عنصري هي واقعي .. هي قوتي .. هي صمودي .. مقالب .. حركات .. تحركات .. لا يهم .. كل شيء بقضاء .

وعاد صاحبنا الى اسلوبه الملتوي .. الى ابتسامته المزوقة .. الى نعومته .. اصبح أشد نعومة من الاول .. لو استطاع ان يفرغ في جسدي انيابه السامة لتوكلت على الله .. انا قوي .. بايماني .. وبزملائي .. الشر محاصر حتى ولو كان في نعومة (كركر) .. كان يريدني ان اقول له وداعا .. اترك له موقعي .. لا .. لست ضعيفا .. أنا قوي بانسانيتي .. بفهمي لكل شيء .. يكفي ما قاله الساعي .. كان يكاد يبكي وهو يقول للمدير نفسه :

ـ انا مضيت مع الموظفين علشان الوكيل ميتنقلش .

وسأله ساخرا : ليه ؟!

فقال الساعي ـ لانه بيضحك في وشنا ـ .

رد بليغ من انسان بسيط .. القمه حجرا فسود وجهه.. القلوب تعانق الخير .. أنا الضعيف أصبحت رمزا للخير .. للنضال.. لقوة الانسان .. لقوة الحق .. الرجل يرفع راسه .. يخرجني من أفكاري .. ماذا يريد ان يقول ..؟

ـ رمزي بيه انت غلطان .. ازاي تتقدم طلب نقل .. وازاي تخلي الاولاد يكتبوا لوكيل الوزارة انهم متمسكين بيك .. على اي حال انا كلمت وكيل الوزارة وقلت له انا متمسك بالاستاذ رمزي بس مش معنى كدا انك تطالب بحقك .. اختصاصاتك .. اختصاصات ايه؟! انت مش كدا .. اصدي يعني لحد الوقت مستريح ؟.. شاغل نفسك ليه ؟.. مش تسيب الهم لينا ؟. على اي حال اتفضل .. الشغل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملعب الحب

أنـا مـن أدمى جراحاتي الهـوى ... وتلهـت بتباريحـي السنـون
وانطوى مـا قد زرعنا مـن منى ... وانتهى ما قـد حصدنا من فتون
أنت من أودى بـك الحب وقـد ... كنت فـي أسر الاماني والحنين
للاقاتي فـي جنـح الدجى ... وعناقي في ربى الحب الحنون
كم سكبت الدمع فـي الليل وكم ... واكب الدمـع شهيـق وأنـين
لا تظنـي قلبـي المضنى سـلا ... وتوارى خلف أستـار الظنـون
ومشى مـن خلف آفاق الهوى ... وتناهت فـي حناياه الفنـون
أنـا مـن يحنـو علـى آلامـه ... ويلاقـي باسمـا هـول المنـون
فجراحاتـي التـي أحيـا بهـا ... تحمل الكبـر وتأبـى أن تهـون
ملعبي في الحل مخضل الجنـى ... وسمائي فـوق آفاق العيـون

اسلام آباد – باكستان — يعقوب الرشيد

اهو .. أنـا تحـت امـرك ..
اختصاصاتك هي اختصاصاتي ..
أنا يسعدني انك تشيل الحمل ...
اف ...

وذهل الاستاذ رمزي .. (كركر) استسلم بسرعة مذهلة .. لا بد انه تعرض لضغط كبير .. لـم يكـن يفهم .. المهم اتفضل .. واعطـاه ملفا مليئا بالاوراق ، واسرع الـى مكتبه .. وهناك وجد معظم الاوراق تحقيقات مـع الموظفين .. ولاول وهلة فرح بها وظـل يعمـل ويعمل والسعادة تخيم على جوه المكتبي ..

ومر يوم وأيام ثم وجد نفسه في عزلة .. لم يعد احد من الزملاء يقترب من مكتبه .. أصبح مكروها .. ما الذي حدث ..؟

كان يمارس عملـه في صدق .. لم يكن يفعل شيئا سوى مـا يحوله **له المدير** .. مـا الذي يريـده الزملاء ؟.. ولكن الزملاء لم يتكرموا بالرد .. تجاهلوه وتقـرب اليـه المدير أصبح يجالسه .. أصبـح يحبه .. اصبح يحرضه على الزملاء .. كثرت التحقيقات والشكاوى.. احس رمزي بأنه معزول .. مكروه .. كان يتحاشى الاضرار بأي موظف فكان الرجل يعيد الاوراق ويبتسم ويقول له : .. تعلـم .. خليـك جامد .. الشغل شغل ..

وتحت شعار الشغل شغل نجح في خلق هوة هائلة بينه وبين الاولاد كما كان يدعوهم ..

واخيرا تنبه الاستاذ رمـزي.. خطة شيطانية لم يمانع المديـر .. اعطاه السلطة .. سلطـة الشر .. واندفع هو وفقد الاولاد .. فقـد الاخوة .. فقد الزملاء فقد الحب.. واحس انه وحيد .. انه في حاجة للاخوة .. للزملاء .. لحبهـم .. لضحكاتهم .. لتكتلاتهم اللطيفة .. لمؤامراتهم الطفوليـة .. احـس بالوحدة .. شعر انه في حاجة لهم ولكنه كان يحس انـه اساء للجميع وانه في حاجة للجميع .. اصبـح يحس بالخجل .. أصبح لا يستطيع ان يراهم .. لقد خدعه المديـر .. كان يحسبه قد انهزم ولكنه كـان ذكيا خبيثا .. اعطاه سلطة القهـر ليقضي عليه ... ولكن مـا زال هناك امل .. لا بد من المقاومة .. سحقا للوظيفـة وللتخصصات .. الزمالة ابقـى .. الحب أعظم .. العمل الذي يكون دستوره الـدس الخبيث والصـراع ، ليس فـي حاجة له .

ومرت أيام وفوجىء الجميع بأن الاستاذ رمزي قد استقال .. ترك وظيفته .. واحس الجميع بهزة .. اسرع اليه الاولاد وقبل ان يسالـوه دمعت عيناه وهو يقول :

– آسف يا اولاد .. انـا كنت ساذج .. الراجل عمل في فصل.. انا كنت فاكر انـه اتعلم .. لكـن معليش .. كدا احسن .. زمالتكم ابقى .. حبكم اخلد .. اما السلطة .. القهر .. الصراع ، فالى زوال .. الى الجحيم ..

ثم فاضت عينـاه بدمـوع .. دموع حقيقية .. نابعة من قلبه .. احس الاولاد بالدموع تحرق اعماقهم .. تكـوي احساساتهم .. فاضت دموعهم .. بكـى الاولاد ... بكـى الجميع .. كان مـا يربطهم برمزي ابقى من الوظيفة .. اقـوى مـن السلطة ... اقوى من الالم ...

القاهرة — السيد ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد العزيز جادو

قـوك المـدخـرة

بقلم عبد العزيز جادو

* * *

ان ما يسميه وليم جيمس « النفس الثاني » لا يحدده الجهاز التنفسي بمفرده ، لاننا نرى انه يعبر عن نفسه بأشكال أخرى من الفعل والاحتمال والجلد . و « النفس الثاني » يعني بكل بساطة اننا صرنا الى ما نحن عليه من عادة التبصر في غاية جهدنا في الظروف العادية .

و « النفس الثاني » يقصد به البدء في اجتذاب قوتك المدخرة . فنحن نرى من حين الى آخر اننا اجتزنا لا شعوريا حدود التفكير « العادي » ، واننا في دهشة من أنفسنا . ولقد امكننا ان نفعل الآن ذلك كلما اردنا وبهدم الحدود التي فرضها التفكير ، امكننا شيئا فشيئا ان نضيف الى قوانا مزيداً من القوة .

ولا شك أن كثيراً من القراء سيبادرون بالسؤال : « انني أرى ان هناك افرادا بعينهم ممن يقلون عني في كل شيء ، ممن لم يبذلوا جهدا كبيرا يستنفد قواهم ، يمكنهم بكل سهولة ان يصلحوا من حالهم باستعمال قدراتهم استعمالا ذكيا ، عاقلا ، اما قدراتي فضعيفة جدا ، كما اني واهن العزم ، خائر القوى ، ضعيف ، فاقد الامل ، اشعر شعورا اكيدا بأن حالتي تختلف اختلافا بينا عن حالته » . واني أجيب على هذا بأن أساس هذه الفكرة هو الافتقار الشديد الى الفهم .. وانت في حاجة ماسة الى ادراك صحيح للقوة التي تمتلكها ؛ او انك لم تحاول قط ان يكون لديك مثل هذا الفهم والادراك .

هل تعلم ان جسمك وعقلك يمتلكان قوى مدخرة عجيبة لم تستنفد منها شيئا حتى الآن ؟ وان هذه القوى، اقوى بكثير من اية قوة يمكن ان يستهلكها أي فرد الى حد استنفادها ؟

واستمسك الناس منذ أجيال بتحديد الافكار التي اقامت الحواجز الحقيقية . ولقد قيدتنا التربية ببعض الطرق والاساليب . فالقدماء لم يكونوا يعرفون شيئا عن السيارات والطائرات ، وغير ذلك من الآلات الصناعية الحديثة التي نراها اليوم ، ولكنهم مع ذلك كانوا يعرفون اشياء كثيرة لا نعرفها اليوم ، بل اننا نقف ازاءها عاجزين عن ادراك غوامض اسرارها ، ولقد عاشوا حيوات اطول مما نحياها اليوم ، وكانت أجسامهم اقوى بكثير من اجسامنا ، واشد احتمالا منا ، وربما كانوا اسعد حالا من حالنا .

لا شك ان اسباب الراحة والترف والرفاهية التي ننعم بها ، ضررها اكثر من نفعها ، فانها تجعل الحياة اسهل منالا واكثر هونا ، ولكن سبق ان قلنا من قبل انه ليس هناك الا طريق واحد يؤدي الى الترقي والنضج والنماء ، وهذا الطريق هو كيفية استعمالنا ملكاتنا .

وبمرور الاجيال ، جيلا بعد جيل ، وبمر العصور ، تحول عقل الانسان الى الاتجاه الذي جعل حياته اكثر بساطة واكثر سهولة ، وزاد عليها من اسباب الراحة والرفاهية الشيء الكثير . وكان عليه ان يستعمل عقله بحيث يمكنه ان يواجه المنافسة الحادة التي تصادفه اليوم وان يعيش ويواجه الحياة بمحتوياتها واعبائها .

يقول ايمرسون : « سوف ينتهي كل امرىء الى وقت يدرك فيه ان الجسد جهل ، وان التشبه انتحار ، وانه ينبغي للمرء ان يأخذ نفسه على علاتها ، ويرضى بها كما قسمها الله له . ويعلم أن الارض على امتلائها بالخيرات ، لن تهبه حبة من شعير ما لم يبذل الجهد على تعهد الارض التي تنبت الشعير ، وان القوة التي اودعها الله فيه فريدة في نوعها ، فلا احد غيره يعلم كنهها ، ولا هو نفسه يحيط بمداها ما لم يضعها موضع التجربة » .

ان الثبات والاحتمال يجعلانك تنمو قويا ، متينا .

ولقد وهبك الله قوى وقدرات لكي تستعملها وتستغلها . فاذا اخفقت في استعمالها بحق وعلى اتم ما يكون الاستعمال فالخطأ انما يرجع اليك وحدك . ولقد سلمنا من قبل باننا جميعا نقع تحت سيطرة التحديدات الموروثة التي تقيد هويتنا وتعرقل قوتنا . ولكن هذا لا يعني اطلاقا اننا نعترف بالقسمة والنصيب ولا يجعلنا نستسلم للبخت والحظ . ولقد قيل ان رجلا مثل « اديسون » لم يكن يستعمل سوى ٧٥٪ من خلايا مخه. ويقول لنا العلماء اننا نمتلك ملايين من خلايا المخ لم

نستعملها ولم ندربها قط .

وليس المقصود ، بطبيعة الحال ، اننا نستعمل طاقتنا كلها في كل وقت ، في حين انه من الضروري أن يكون لدينا قوة احتياطية ، مدخرة ، يمكن ان نلجأ اليها حين يتعذر علينا امر من الامور . ولا بد هناك من لحظات يتحتم علينا فيها ان نستنجد بقوتنا المدخرة .

تنفس بعمق

ولا ينبغي لنا ان ننسى او نتناسى اننا اعلى واسمى صورة في الحياة . وهذه الفائدة العرضية قد تمدنا بالثقة التي يمكن ان تتيح لنا القدرة على التصدي لاي مشكلة من المشكلات ، ومجابهة اي قضية من القضايا ، بارادة قوية ، وعزيمة ثابتة ، وقلب رابض رابط ، وحماس دافق .

خذ مثلا ، الرجل المتوسط او المرأة المتوسطة ، فهما يتنفسان تنفسا سطحيا . ويحتمل ان يكون السبب ناتجا عن العادات الكسولة التي كونها او كونتها . مع ان هناك حدودا معينة خاصة للتنفس في غاية الاهمية . فنحن في حالة المرض نكون في اشد الحاجة الى احتياطي ، فاذا لم نكن نتنفس بعمق فقد نتسبب في جعل هذا التنفس صعبا على الخلايا النامية في وقت المرض . ولسنا نبالغ اذا قلنا اننا نمرن فقط نصف خلايا الرئة . ومعنى هذا ان النصف الآخر يبقى في حالة ضعف ووهن . ومن هنا يأتي المرض او الداء الذي يجعل التنفس صعبا ، فيجعلنا نثقل على هذا الجزء النامي من الخلايا بما يجب ان تتحمله كل الخلايا . ونتيجة لذلك نجد أناسا كثيرين عاجزين عن مواجهة هذه الازمة .

وانك لتعرف ان التنفس يلعب دورا في غاية الاهمية في حياتك . فهو تلك الوظيفة التي تطرد كثيرا من المواد العادمة ، وتنقل الى الدم اخصابا يعتبر من اهم ضرورات الحياة .

ولا تخف من ان يفرغ الهواء من عندك بالتنفس العميق كالشاب الذي جاء ذات مرة يسألني : « لقد مارست التمرين الخاص بالتنفس العميق حسب تعليماتك مرة واحدة ، انتابني بعدها دوار شديد واحسست كأني فقدت نفسي » . نعم ، قد يحدث في بعض الاحيان ان يصاب الفرد بشيء من الدوار حين يبدأ في ممارسة منهاج التنفس العميق ، وذلك لان الاجزاء لم تتعود بعد على هذه الزيادة الاضافية من الهواء الذي يغمر حتى هذه اللحظة الجهاز التنفسي . وحتى هذه اللحظة ايضا يزيد في تنبيه الاعصاب ويبالغ في اثارتها ، فيشعر الفرد بهذا الدوار . ولكن ليس هناك اي ضرر من هذا وليس ثمة ما يثير مخاوفنا . وغاية الامر انه بذلك يبين ان رئتي الشخص ضعيفتان ولذلك فهو في حاجة قصوى الى مثل هذا التمرين . واذن فليس للفرد ان يخشى شيئا البتة من فقد تنفسه .

والرئتان مزودتان بثلاثة اقسام منفصلة من الهواء الاحتياطي : هناك الاحتياطي الذي نستعمله في الشهيق والزفير ، ثم هناك الاحتياطي الذي نسميه بالهواء المكمل ، الذي نلجأ اليه حين ينفد القسم الاول بمجرد حدوث صدمة مفاجئة ، او سقوط اثر ضربة شديدة كالتي نسميها في الملاكمة (الضربة القاضية) ، ثم هناك ايضا ما يسمى بالهواء المتبقي او الراكد في الرئتين بعد الزفير . اذن فانت ترى اننا مزودون بما يجعلنا قادرين على مواجهة اي طارىء مفاجىء .

وبنفس هذه الطريقة لدينا قوة احتياطية مدخرة في كياننا كله ..

ألم تعد ذات مرة الى بيتك بعد تعب يوم مضن في عمل شاق الى أبعد حدود المشقة ، ولسان حالك يقول : « لقد هلكت ، وانقطعت انفاسي ، ولا يمكنني ان اخطو اية خطوة اخرى لانقاذ حياتي ، خلاص .. انتهيت » ؟.. ثم يطرؤ على حين فجأة شيء غير عادي ، كأن يشب حريق في منزل مجاور لمنزلك ، يجعلك تقفز من مكانك ، وتلبس نعلك بأسرع ما يمكن ، وتجري بأقصى سرعتك ، لتشهد اللهب واعمال الانقاذ وفي نفسك تحفز للمشاركة فيها ؟.. لا شك انك ستقف عدة ساعات تتنابك فيها عدة عوامل ، ثم تعود بعد ذلك الى بيتك أقل تعبا مما كنت . بل ربما تكون قد نسيت تماما ما كنت تشعر به من تعب شديد . فالتهيج والاستفزاز والاستثارة قد استنجدت جميعها ببعض قوتك المدخرة ، وتفير التفكير هدم التحديدات الثابتة التي كنت تستمسك بها . فانت عندما عدت من عملك استمسكت بفكرة محدودة ، هي : « لا يمكنني ان اذهب الى ابعد من ذلك » واصررت على هذه الفكرة ، ولكنك رايت ان هذه الفكرة المحدودة قد انتقلت توا في تلك اللحظة وارتحلت بعيدا .

وهاك مثال آخر : لنفرض ان لديك بعض مهام كريهة الى نفسك ، تنفر من القيام بانجازها وتضطرك الى السير على قدميك مسافة تبلغ خمسة اميال لمقابلة احد الرؤساء . فانت في هذه الحالة تسير وتتابع السير ، مستغرقا في التفكير في الواجب الذي يتعين عليك انجازه . وكلما واصلت السير زاد اكتئابك وزادت عزيمتك فتورا ، وتشعر بقدميك تثقلان شيئا فشيئا ، فتبطؤ خطواتك وتتقطع انفاسك ، ويخيل اليك انك لن تستطيع الوصول الى النهاية . حتى اذا بلغت نهاية الشوط يكون التعب قد انهكك وارهقك ، وتشعر وكأنك ستسقط في مكانك ، او انك « ستقع من طولك » كما يقولون .

ودعنا الآن نسير هذه المسافة من هذا « المشوار » في ظروف اخرى مختلفة عن سابقتها ، بصحبة فتاة نحبها ـ مثلا ـ او مع صديق مؤنس ودود . لا شك انكما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ستمضيان معا طول المسافة تتسليان بالحديث الممتع الشائق ، وتتسامران كأحسن ما يكون السميران ، لا يهمك من امر نفسك شيء بقدر ما يهمك من أمر الشخص الآخر ، يا لها من سعادة ويا لها من بهجة تلك التي تستشعرها وأنت تمضي الخمسة اميال دون ان تحس بطول المسافة ودون ان تشعر بانتهائها .. من المؤكد ان رفيقين او صاحبين كهذين تحت ظروف او حالات كهذه يمكنهما ان يقطعا هذه المسافة ذهابا وايابا اكثر من مرة . .

والتفاوت او الاختلاف هنا ، بين الحالتين كما ترى، ناتج كله عن اختلاف الميل او الاتجاه في التفكير . ففي الحالة الاولى نجد افكارا غامة ، محزنة ، تسعى سعيها وتؤدي دورها اقوى ما يكون الاداء ، فكنت لذلك مرهقا تعبا ، اما في الحالة الثانية فان الافكار المنعشة ، المنبهة ، المشجعة ، هي التي كانت موجودة لديك ، مسيطرة عليك ، وهي التي أثارتك وحفزتك ، بل اضافت اليك مزيدا من القوة وامدتك بروافد من القدرة .

طاقات لا تنضب

وما يزال هناك مثال آخر يرينا كيف نحدد انفسنا جميعا ونحصرها في خطوط فيزيقية . فالشخص الذي يذهب عقله فجاة ويصاب بنوبة جنون مفاجئة ، يمتلك في تلك اللحظة قوى تعادل قوة شخصين او ثلاثة اشخاص عاديين . ولقد رأينا جميعا حالات تستدعي الاستعانة بأربعة اشخاص للامساك برجل واحد .

اذن فمن اين جاءت كل هذه القوة الهائلة في الدقائق القليلة التي مرت بين فترتي صحة العقل والجنون ؟.. هذا لانه عندما انتهى الى حالة الجنون نسي نفسه تماما ، وبذلك هدم كل حدود الفكر واستعمل « كله » .. كل كيانه .. او بمعنى آخر ، استعمل جسمه كله ككتلة .. انه يمتلك تلك القوة دائما كل الوقت وفي كل وقت ، وهي كائنة فيه لا تفارقه .. ولكن نظرا الى تلك القيود وتلك الحدود فهو لا يستطيع استعمالها . ولقد كان ذلك كله اختلافا وتباينا في الاتجاه العقلي . فهو حين كان صحيح العقل كان يشعر في قرارته بأنه لا يمكنه ان يقوم بعمل اشياء بعينها . ولكنه في حالة الجنون زايلته هذه الفكرة وامحت تماما ..

ان اتجاهنا الطبيعي هو ان نعمل اقل ما يمكن عمله. وان نسلك الطريق السهل ، ونتبع الاساليب التي لا تستدعي جهدا . وهذا هو التفكير الخاطىء الذي يفرض (كضريبة) في الوقت المناسب على حدود الفكر لطبيعة العادة . والعادة ، كما نعرف ، من الصعب تركها او الاقلاع عنها .

تخيل الطاقة كما لو كانت شيئا عاما ، عالميا ، مباحا للجميع .. شيئا يمكنك ان تسحب منه بحرية ما تشاء وقتما تشاء .. مستمسكا بالفكرة التي تؤكد ان الزاد وفير ، والامداد كثير ، وهما من الصراحة والوضوح بحيث يراهما ويلمسهما كل راغب مريد .. ثم تصور مخك وجسمك كما لو كانا واسطة او وسيلة تعبر عنهما هذه الطاقة العامة .. اشعر نفسك بأنه في مقدورك ان تأخذ من هذه الطاقة ما تشاء ، وان تستغلها لمنفعتك ، وان تشغلها وتجعلها تسعى جادة كادحة للحصول على الاشياء التي تعتقد انك في حاجة اليها . وهذا اشبه تماما بالغذاء الذي نتزود به فانه يتحول عن طريق الاعضاء والانسجة المختلفة خلال الفعل الذكي ، المدرك ، لمجموعة الخلايا المختلفة الى الاستمراء اللازم والى فضلات بواسطة التركيب العضوي .

ويشاهد الفعل المماثل في تحول الطاقة ـ عن طريق الفن الآلي الحديث ـ الى ضوء وحرارة وقوة محركة حسب الارادة . والطاقة في كل حالة من هذه الحالات انما هي في الاصل ذات الشيء .

وعند التامل في قواك اريد منك ان تذكر ان ليس هناك سوى طاقة واحدة عامة ، شائعة في الكون كله . وهذه الطاقة تتمثل في حواسنا بصور واشكال متفاوتة ، متنوعة ، وتعبيراتها الفردية تعينها اسماء مميزة . وسواء أكانت تبدو واضحة في الجاذبية والاستطارة (١) والبناء (٢) ، او كانتقاض (٣) كالكهرباء والضوء والقوة والبصر ، او كفكر ، فهي دائما ـ بعناصرها ـ واحدة .. وهي دائما نفس الشيء .

والانسان هو الذي يحدد نفسه في جميع مراحل حياته ـ عقليا ، وماديا ، وجسديا ، واجتماعيا ، وماليا ـ والفرد يمكنه ان يحجب عن نفسه تماما اشعة الشمس اذا وضع قطعة صغيرة من النقود على كل من عينيه . وبمثل هذه الطريقة الحمقاء يحدد الشخص رؤى قوته الحقيقية ، وامكانياته المستقبلة .

اما فيما يختص بالاعمال التجارية فالرجل المتوسط يفكر بطرق واساليب بسيطة ، اذ ان تأثره النظري وثقته بنفسه تحددهما بدرجة عظيمة مناهج تفكيره الضيق .

كما ان كثيرا من المرضى ينسون القوة التي يمتلكونها ، ويرفضون في أغلب الاحيان ان يفتحوا الابواب لامهم الرءوم ـ الطبيعة . لقد تركوا انفسهم نهبا للهواجس حتى وهن العزم منهم ، وخمدت همتهم ، واستسلموا للضعف والوصب ، وهذا الامر كاف لان يقيم امامهم جدارا حجريا يجدون انفسهم حياله في عجز عن اجتيازه .

١ ـ الاستطارة : او الطيرورة ، احساس الشخص كانه طائر .
٢ ـ البناء : او الانابولزم ـ التجدد الخاوي في الاجسام الحية.
٣ ـ الانتقاض : او الكاتابولزم هو الدثور الخلوي في الاجسام الحية . والايض أي الميتابولزم في علم الاحياء ، هو مجموع العمليات البنائية والانتقاضية في التمثيل الغذائي الحيوي في الجسم .

وبجانب ذلك ، الحالات الفيزيقيـة او الجسمانية ، فالشخص الذي وصل الى منتصف الحياة يبدأ يهتم بنفسه ويرعاها ويعمل على وقايتها بشتى السبل ، حتى انه يعتقد ان ليس في مقدوره القيام بعمل اشياء فيزيقية معينة قام بعملها مرة قبل ذلك . فهو لذلك يشيخ قبل الاوان . وبعدم استعماله لعضلاته تضعف شيئا فشيئا ، وتزداد ضعفا الى ان يفدو ، بطبيعة الحال ، في اشد الحاجة الى حيويتها ، ومرنتها ، وصحة بنيتها ، لاداء وظيفتها . وهو لذلك اذا حاول تجربة شيء فانه يشعر بالالم والعجز عن تحريكها كما يجب ، فتنطبع فكرة الضعف في عقله بعمق ، ويتملكه الاسى والاسف والحسرة .

رايت منذ زمن قريب اربعة من اللاعبين المتمرسين يعرضون حركات بهلوانية كانوا يمارسونها فيما مضى على المسرح ـ من رقص وانثناء والتواء وغير ذلك من حركات تستدعي خفة الحركة والمرونة . لقد كانوا جميعا فوق السبعين من سني حياتهم . كان الواحد منهم « عجوزا » ولكنه كان نشيطا ، رشيقا ، يؤدي بسهولة حركات من العسير اتيانها كان يضع كلتا قدميه خلف راسه ويمشي على يديه ك. ومعظم الناس الذين يستطيعون القيام بتأدية هذه الحركات بالذات حرصوا كل الحرص على اعداد انفسهم حسب الاصول الطبيعية لكي يكونوا صالحين لمثل هذا العمل ، خليقين به ، وظلوا يتمرنون السنين الطوال . ولقد اتاحت لهم هذه السنون الطويلة اكتساب خبرات لم تتهيأ للاخرين . والامر كله لا يعدو شيئين هما : الثقة ، والممارسة او المران . .

الطريق الى الرضا

اذن ، ليس لدينا الا ان يعمل كل منا في جوه الخاص به ، وفي محيطه ، وفقا للحكمة التي يمكنه بحذقه ومهارته ان يجتذبها من المخزن العالمي ، العام . ومن البديهي أن هذا لن يتأتي له الا بالاحترام اللائق المتبادل بينه وبين رفاقه ومن يعايشونه بل العالم على الاطلاق .

اصنع عالمك الذي تريد ان تعيش فيه ، وليكن هذا العالم مليئا بالخير ، وحب الخير للغير ، والحماس ، والاستقامة .

تتبع الميل العام لدوافعك الطبيعية كما يكيفها ويحورها ويوجهها عقلك ، بدون خوف او وجل ، وبدون اختلاف في الراي ، بنفس راضية ، وبروح سمحة ، حرة ، مستقلة ، فيها عزم وحزم وتصميم . وتأكد ان كل ما تحتاج اليه من اجل تأدية العمل المناسب تحت امرك دائما . واعلم ان وجودك في الحياة لا بد ان تكون له ضرورة جوهرية تدعوك لان تنشد الكمال في كل الاحوال.

اما الافعال الفردية الخاطئة فلن يكون لها أي اثر يذكر ، ما دام سلوكك وتصرفك ـ بصفة عامة ـ يقومان على نية صادقة ، وقصد سليم . وستنال من الآخرين التقدير ، والثناء وحسن الجزاء .

وهناك درس آخر له اهمية فريدة فذة ، لمن لديهم الرغبة كل الرغبة في ان يتعلموا ـ هي ان الجهة الوحيدة التي يجب علينا ان نتوجه اليها خاشعين ، متبتلين ، هي قلوبنا ، والكشف عن القيمة التي لا تقدر لقلوبنا الكبيرة ، المؤمنة ، انما يكون بالهدوء ، والصفاء النابع من نفوسنا. .

وثمة درس آخر له من الاهمية مثل ما لسابقه لمن اراد المزيد من العلم هو : ان كل ما يحتاج اليه الفرد في دنياه لكي يحيا حياة حرة ، كريمة ، كاملة ، عظيمة ، انما هو موجود فيه ، في طويته .

لا تغلق عقلك عن نقاش الآخرين وجدلهم وتعليلاتهم. دعه مفتوحا الاقتناع . ولكن لا تقبل اي بيان او تقرير ولا تسلم بأي موضوع ما لم يرق لك ، وما لم يتفق مع قوة استدلالك .

ابن فلسفتك الخاصة بك بما يمكن ان تجمعه شيئا فشيئا مما تراه منطويا على الحقيقة والصدق ، من هنا ومن هنالك ، ومن كل مكان . ثم صنها في حقيقة كبيرة واحدة تلتقي مع كل حاجة من حاجاتك .

ان قواك ستزداد عن طريق الاستعمال فقط . وستظفر بالاتصال بعقلك الباطن ، وبمخزن معلوماتك ومعارفك ، وبقوتك وقدرتك ، عن طريق واحدة هي ان تجعل نفسك تألف هذي القوى وتعتادها ، وتدخل معها في صلات ودية ، مخلصة . فهناك .. في داخلك ، امكانيات كبيرة للغاية ، في انتظار الوقت الذي تكون عندك فيه الرغبة والارادة لطلبها ، والجد في السعي للحصول عليها ..

وهل تعلم ، ان نفسك اللاشعورية ، اذا دربتها بصدق واخلاص ، فانها ستحل لك معظم مشكلاتك الصعبة ؟.. اني اكرر لك مرة اخرى واخيرة ما سبق ان قلته من قبل ، وهو ان تذكر جيدا ، وتضع نصب عينيك دائما ان كل ما سبق ان قرأته وسمعته ورأيته وشعرت به مخزون كله هناك .. في نفسك اللاشعورية .. انه مكان اشبه شيء « بدار الحفظ » في الجرائد الكبيرة ـ مليء بمعلومات من جميع الموضوعات .

هل تريد الحصول على قرار حاسم في امر معين ؟.

هل تريد ان تقطع بشيء في رأي او عمل ؟..

اذن يتعين عليك ان يكون لديك كثير من الحقائق تضعها امامك موضع البحث والفحص حتى يمكنك ان تحكم فيها بحكمة وفطنة وتعقل . وانت لا يمكنك ان تسترجع كل هذه الحقائق شعوريا ، ولذلك فان الشيء الذي يجب ان تفعله هو أن تقرأ الموضوع اولا ، اذا كان جديداً عليك ، ثم حوله كله الى عقلك الباطن حتى يمكنك

رائف يقص لي حكايات

هذه قصيدة ثالثة اكتبها ، مناغيا بها حفيدي « رائف » ابن بنتي ذكاء ، وقد نشرت الاوليان في « الاديب » لاشهر عام ١٩٧٠

يقص لي (رائف) أحلى الحكايات
كذاك يقلب من فني وآياني

أنا الذي رحت أروي قصة خلبت
له وأريه بعض لعباتي

يفديه حضني وزندي لف قامته
فيلمس السحر في قواي ولفتاتي

حتى اذا نام والاملاك تحرسه
حملته لسرير ملء لهفاتي

وقال : (جدو) أنا الآتيك في قصصي
لكي تنام عليها دون هزات

وصار يخترع الاحداث واهية
حينا وآونة تسبي بفتنات

وقد أنام ولي حلم بمبسمه
يطيف بي في الدجى بين السموات

عكست آية روحي في الفنون فكم
نسجت لي قصة تحوي محاكاتي

صرت الصغير على معشوق خاطرها
وصار (رائف) كهلا في الروايات

قالت معمرة في الاهل تعرفني
طفلا وكانت تواتيني بقصات

أراك أشبهت في الخلق الحفيد وما
وجدت مثلك في هذي السجيات

فقلت ليت اعود اليوم بعد عنى
كمثله وأرى أمي بمرآتي

دمشق
زكي المحاسني

ARCHIVE

ان تبت فيه فيما بعد . وبالتمرين والتمرس على هذه الخطوط سيأتي اليوم الذي يمكنك فيه أن تعتمد اعتمادا كليا على العقل الباطن لكي يعطيك الحكم الصائب حسب الوثيقة المعدة ، والمؤسسة على التجارب الماضية . فاذا تم لك ذلك فان عقلك الباطن سيمضي الى السجلات والاضابير الكثيرة العقلية حيث تختزن الحقائق ، ثم يجمعها ويرتبها وينسقها ، بحيث يجعلها معدة لتتسلمها عن طريق انفعال او انطباع ذهني يفيد ان هذا او ذاك هو الشيء الذي يليق بك ان تفعله . انها طاقة مدخرة اخرى لم يحاول الشخص المتوسط ان يستغلها او ان يجد في طلبها لاستخدامها .

يقول وليم جيمس : « اذا قسنا انفسنا الى ما يجب ان نكون عليه ، اتضح لنا اننا انصاف احياء . فاننا لا نستخدم الا جانبا يسيرا من « مواردنا » الجسمانية والذهنية . او بمعنى آخر ، يعيش الفرد منا في حدود ضيقة يصطنعها داخل حدوده الحقيقية . انه يمتلك قوى كثيرة مختلفة . ولكنه عادة لا يفطن اليها ، او يخفق في استخدامها » .

وان دراسة جادة منظمة في حياتك العملية عن البشرية ، وعن الانسان ، كما بينا لك من امثال ، قمينة بأن تفتح لك آفاقا رحبة ، وتتيح لك امكانيات عجيبة ، وتجعل حياتك اكبر واوسع واجدى مما هي عليه في جميع الاحوال .

تمعن جيدا في هذه الحقائق الواضحة قبل ان تواصل السير في هذه الرحلة العقلية في الطريق الى الرضا .

ولقد حاولت جاهدا في هذا البحث ان اعرض عليك طريقة السير لسلوك السبيل السوي الذي يجدر بالشخص العاقل ان يتبعه ، بعد ان يكون قد تأهب للقيام بجميع المستلزمات الضرورية التي لا بد منها لمثل هذه الرحلة الشاقة .

وآمل ان يكون ادراكك او تصورك للطريق الوعر ، الشاق ، الذي امامك ، قد وضحت معالمه ، واتضحت مسالكه ، بهذه المحاولة المتواضعة التي عرضتها عليك — قارئي العزيز — واني لعلى يقين من انك ستسير قدما ، بخطوات حثيثة ثابتة ، متوجا باكليل الفوز والظفر والانتصار ، الى غرضك الاسمى :

الرضا الكامل ، او منتهى الرضا .

الاسكندرية
عبد العزيز جادو

ماسح الاحذية

في وجنتيه طلاقة وتورد ... وعلى اصابعه خضاب اسود
ضاقت به الدنيا فلم يحفل بها ... شتان عبد في الحياة وسيد
ضاقت فوسع بالبشاشة ضيقها ... وطفت فروضها فؤاد اصيد
ما هاضت البلوى جناح رجائه ... او شل همته الكفاح المجهد
ابدا يدندن ثغره اغنية ... تحلو على تكرارها وتجدد
ايان جاع فزاده في كيسه ... نعم الرفاق لفافتان ومزود
وينام حيث تناله سنة الكرى ... سيان لينة لديه وجلمد
لا يستقر به المكان كانما ... في نفسه دنيا تقوم وتقعد
طورا تراه في المحطة جاثما ... يستقبل الافادين او يتصيد
وتراه طورا في المقاهي حائما ... كالطير لاح لمقلتيه مورد
فرشاته من هدب كل مليحة ... وطلاؤه تبر اذيب وعسجد
والخرقة الصفراء فضلة فضلة ... من شال كسرى لم تدنسها يد
ويداعب المتقاصديه مراعيا ... أدب الكلام مجانبا ما يوجد
هذا يقول له حذاؤك كالح ... فاضحك لعل همومه تتبدد
ويعيب هذا ان سير حذائه ... كالمقود المحبوك او هو مقود
نكت تصب على الكفاح حلاوة ... وتصد عادية الملال وتبعد

يا ضاربا في الارض يزرع قوته ... عند الصباح وفي العشية يحصد
لا القر مهما اشتد يخمد عزمه ... يوما ولا حر الظهيرة يقعد
يهنيك انك لا تفكر في غد ... ان التعاسة ان ينغصنا الغد
قل للغني اذا وقفت ببابه ... انا لو علمت اعز منك واسعد
تخشى الكساد فلا تلذ بمأكل ... وتخاف عدوان اللصوص فتسهد
اما انا فانام ملء محاجري ... ويطيب في فمي الرغيف الاسود
داري الفضاء وباب داري مشرع ... للطارقين . وكهربائي الفرقد
ماذا اخاف وراسمالي عدة ... عجفاء لا يفرى بها متشرد
وعلام اخشى والنعال كثيرة ... والشمس تلفح والغمامة تجلد

يا غامرا بالبشر احذية الورى ... سلمت يد من افقها سحت يد
لا يهم فضلك في نطاق ضيق ... ان الكريم يجود ، لا يتقيد
بعض الوجوه وانت تعرف امرها ... جف الحياء بها وشاه المشهد
فامسح بفرشاتيك كالح لونها ... فلعلها تبيض او تتجدد

بوانس ايريس ـ الارجنتين

زكي قنصل

الدراسة النفسية للادب

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

البلاغيون المحدثون ، وفي طليعتهم صاحب فن القول ، العلامة الجليل امين الخولي ، ثم الدارسون والنقاد المتمرسون ، امثال : الاساذة عباس محمود العقاد ومحمد خلف الله ومحمد النويهي واسماعيل عز الدين وغيرهم ، عندما تصدوا لدراسة صلة علم النفس بالادب والبلاغة نظريا ، اي في البحث والتأصيل ، او عمليا اي في الدراسة الادبية والتطبيق ، وجدوا ضرورة تكريس الجانب النفسي اليوم في دراسة الادب والبلاغة ، سواء اعجب هذا التكريس اذواق الادباء او لم يعجبها ، واعتبروه شيئا من العلم ومنهجيته ووقائعه ..

وفي نظرنا لا ينبغي ان تكون صلة علم النفس بالادب ، والبلاغة ، موضع مساومة الاذواق الادبية ، او موضع القناعة النقدية التي تؤثر السلامة عادة على ان تخوض غمار العلم ، ومشاقه .. وذلك انها صلة طبيعية قائمة ، هي الصلة التي بين الصنيع والصانع ، بين الاثر الفني والادبي ومبدعه ، بين اللونيات الاسلوبية والملكات النفسية الادبية عند الاديب ، فكيف تكون موضع المساومة او القناعة ؟!..

ولذلك وجدنا بالفعل تجربة المؤصلين المؤسسين العلماء في البلاغة والنقد الادبي والادب اليوم تدفعهم الى الاعتراف بالجانب النفسي ، واصطناع المنهج العلمي النفسي الذي يجلوه ويوضحه لطالبيه .. فهل نلومهم على ذلك ، أم نحمل عليهم له ؟!. في حين الاجدر بنا ان نوطد النفس والذوق لتقبل العلم ، وخاصة علم النفس في دراسة الادب ، والبلاغة اليوم ..

ان الفضل الجدي في التأصيل الواضح والوطيد حقا في هذا المجال يرجع الى العلامة امين الخولي ، الذي صير البلاغة الى فن للقول ، واطلق عليها مصطلح « فن القول » في مؤلف ضخم وجليل حقا يحمل نفس العنوان « فن القول » مصر ، ١٩٤٧ ..

وقد استلزم امين الخولي مقدمة نفسية للدراسة البلاغية على حد قوله ، والمصطلح شائع اليوم ، وهو له ، وتدرس القوى الانسانية التي لها اثر في الفن والادب ، اولها صلة بماهية الفن والجمال .. هذه المقدمة النفسية تطلبت على الخصوص التعريف بالوجدان ، والخيال والذاكرة والاحساس والذوق ، ثم التعريف بمادة المعاني الادبية ، والخوالج النفسية في الحب والبغض والفرح والغيرة والحزن والانتقام وغيره (١) ..

وكنت وقتها نشرت في اواخر الاربعينيات ، ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ عدة مقالات علمية نفسية في « مجلة علم النفس » المصرية ، لصاحبها استاذنا الدكتور يوسف مراد ، عن : سيكولوجية الرمزية ، سويتها في منظور علمي عام ، اي مستقى من علم النفس العام (٢) ..

ووقتها اخرج الاستاذ حامد عبد القادر دراسته في علم النفس الادبي ، وقد اسماها ـ دراسات في علم النفس الادبي ـ ، مصر ١٩٤٩ ، ومعظمها معارف نفسية قديمة ، في تمثل نفسي قديم للموضوعات .. كما اخرج محمد النويهي كتابه : ـ ثقافة الناقد ـ مصر ١٩٤٩ ، وفيه قبسات من تأصيل نفسي في الادب والنقد . في حين دراسات محمد خلف الله احمد التي صدرت وقتها تقريبا ـ من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده ـ مصر ١٩٤٨ كانت اكثر حداثة وتحررا ولاقت معارضة من كثيرين ..

ومؤخرا اصدر عبد الحميد يونس ، وهو من المريدين المخلصين للعلامة امين الخولي ـ الاسس الفنية في النقد الادبي ـ ، مصر ١٩٥٨ ، وفيه مواضيع نفسية، مصبوغة بصبغة جمالية ظاهرة ، مثل الابداع الفني ، التجربة والتسلية والترمية والذوق وغيرها .. كما اصدر شكري عياد وهو ايضا من المريدين المخلصين للعلامة الخولي « البطل في الادب واساطير» مصر ١٩٥٩، وفيه توفيق دقيق نفسي واجتماعي ، بين نظرات نفسانية واجتماعية انثروبولوجية ، شائعة اليوم في البحث الادبي والفني والجمالي ايضا : كما اصدر عز الدين اسماعيل كتابه « التفسير النفسي للادب » مصر ١٩٦٣، وهو كتاب كرسه المؤلف على حقائق علم النفس التحليلي .. وهكذا دواليك ..

في المقابل كلنا يذكر النقدات الشهيرة التي كان يوجهها طه حسين الى الدارسين حين يصطنعون النظرات النفسية ، نقداته لعباس محمود العقاد ، ومحمد النويهي (٣) ..

ذلك ان عباس محمود العقاد درس في اوائل الثلاثينات « ابن الرومي » مصر ١٩٣١ ، وحاول تفسير وسوسته وتطيره بدراسة نفسية عامة ومقارنة ، ثم درس أبا نواس « ابن هاني » مصر ١٩٥٤ ، في اواسط الخمسينيات، فيصطنع التحليل النفسي ليشرح نرجسية ابي نواس ..

وقد رفض طه حسين الاتجاه والمنهج ، ورأى ان علماء التحليل النفسي لهم مذاهب متعددة يخطئون فيها ويصيبون ، وهو من اختصاصهم ، في حين الادباء مقلدون لهؤلاء العلماء دون طائل وليس التحليل من شيمتهم واختصاصهم .. وقد رد العقاد عليه بما معناه :

ـ ان دراسة الاديب لعلم النفس ، او دراسة الادباء والشعراء في ضوء علم النفس امر ضروري ، لان ذلك

سيمكنه من فهم ما يصدر الادباء والشعراء عنه من تجارب واحاسيس وانفعالات ، ويساعده على فهم ادبهم وشعرهم (٤) ..

ومثل ذلك حملات الناقد المصري محمد مندور على الدراسة النفسية ، وتسفيهه نتائج العلم او المناهج الجمالية ، فقد وجه حملته في ذلك الى دراسات محمد خلف الله .. فقد رأى محمد مندور ان هذا المنحى النفسي في الدراسة الادبية من شأنه ان يصيب حياتنا بالعقم ، ويبتلي الاذواق بالفساد ، ان ذلك سيقتل الادب، في حين لا يمكن للادب ان يتجدد الا بعناصره الداخلية ، اي الادبية البحتة ..

وفي رأي محمد مندور ان الظن ان علم النفس ، او علم الجمال او غيرهما من العلوم مفيدة للادب ودراسته ، هو ظن خاطىء ووهم بعيد ، لان علينا في نظره معرفة هذه الابحاث شريطة الاحتفاظ بها لانفسنا ، لا ان يزج المرء بها في الادب ونقده فيفسد بها دراسته ويفسد الاذواق على العموم (٥) ..

وهل هذا الكلام صحيح ؟.. هل تضر الدراسة النفسية في الادب ودراسته ؟!.

واي ضير في دراسة الادب نفسيا ؟!.. ما دام ان الادب نتاج انساني فني يصور عقل الاديب وشعوره وحيوات الناس ، أي ضير في تبين ظروف هذا النتاج الانساني ، وعمليات ابداعه وعناصره ؟!.

على العكس ، ان دعوة محمد مندور الى نبذ الدراسة النفسية للادب ، او الى الاستغناء عن علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم التاريخ وغيره لا اساس لها من الصحة ، وهي تعصب محدود للذوق الادبي وخير منها التنوير العلمي المفيد والصائب .. وكيف يحتفظ الدارس لنفسه بحقائق العلم والمعرفة ، والاولى تقديمها في مجال نفسي نقدي وبلاغي يخدم الادب ، ولا يضره ، فتنور الراغب في التعمق عن الاسباب والعلل ..

وكان حاول صديقنا محمد يوسف نجم حصر الدراسات النفسية في الادب ، او اثرها في الدراسات النقدية (٦) ، فنوه بدراسات محمد خلف الله ، وعباس العقاد ، وحامد عبد القادر ، ومحمد النويهي ، وشكري عياد وغيرهم .. ولكن دلت تعليقاته على منجزات هؤلاء الرواد انه بالاحرى متحفظ ازاء هذا الاتجاه ، لا يستسيغ منهجية العلم فيه ..

فمثلا يقول في دراسات حامد عبد القادر « جاءت ولها مظهر الصواب وليس لها معناه ، ومضت دون ان تحرك ساكنا ، او تترك اثرا (٧) ، او يقول في الاسس النفسية للابداع ، للاستاذ اسماعيل سويف « والمؤلف متخصص في علم النفس .. ولم يسعفه ذوقه الادبي على التحليل والنقد » (٨) ثم يتدارك نفسه ، فيقول :

« على ان هذا الكتاب يعتبر فتحا في الدراسات النفسية النظرية وهو بهذا المعنى مفيد للنقاد ، على ان يحسنوا استغلاله والافادة مما فيه من نظريات ومعلومات » (٩) .

في حين يقول في منهج النويهي في كتابه ثقافة الناقد :

« ليس فيه الا المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة ، والتكلف والتوعر والتقعر ، يحيل الدراسة الادبية الى دراسة في الحواس والغدد والجهاز العصبي والجهاز الجنسي والجهاز التنفسي وما الى ذلك ، ويتطلب من الناقد ان يكون مستحضرا للارواح في بعض الاحيان » (١٠) .

والمسألة كما قلت مسألة اقتناع علمي ، وتهيؤ للبحث النفسي في نقد الادب ودراسته .. فأما ان نكرس دراسة نفسية للادب ، او لا نكرس ذلك ، في حين الاذواق واستيعابها وقائع علم النفس ومناهجه مسألة رديفة ، لا ينبغي ان تتعارض مع البحث النفسي ..

وليت شعري كيف تكون النظريات والمعلومات ، التي ينوه بها يوسف نجم ، مفيدة للنقاد ، في حال حسن استغلالها ، والنظريات هي النظريات والمعلومات هي المعلومات !؟. ثم لماذا لا تلم الدراسة الادبية باحوال الحواس والغدد والاجهزة المختلفة في الجسم الانساني ، ما دامت ذات علاقة مباشرة واساسية بالادب وابداعه ؟!.

قد يستشف من الحملات على الدراسة النفسية للادب ، او التعليقات عليها ، الاستياء من التطبيق العشوائي المقلد او الارعن ، وبالتالي تضليل القراء وافساد اذواقهم .. ولكن من منا لا يستاء من مثل هذا التطبيق ؟. ومن منا لا يخشى على القراء واذواقهم ؟!..

ان الدراسة النفسية في مجال نفسي بلاغي لعمليات الابداع الادبي على العكس دراسة ضرورية ، وليس فقط مفيدة ، انها تصلنا بالاسس والمرتكزات التي للابداع الادبي في الطبيعة الانسانية ، فتتحاشى كل تعنت او افتئات ..

دمشق **عدنان بن ذريل**

١ ـ « فن القول » امين الخولي ، مصر ، ١٩٤٧ ، ص ٢١٥ ، وانظر ص ١٤٠ وما بعدها وص ١٩٨ وما بعدها ...

٢ ـ وقد انجزت في اواسط الستينيات كتاب « علم النفس والبلاغة » ، حالت ظروف الطباعة وقتها دون نشره فانصرفنا الى غيره وهو الآن قيد الطبع ..

٣ ـ راجع في ذلك « خصام ونقد » لطه حسين ، بيروت ، ص ٢٢٨ ـ ٢٤٤ ، وراجع فيه ايضا حملة طه حسين على محمود امين العالم وعبد العظيم انيس في موضوع تطبيق المنهجية العلمية في الادب، وتمثله ..

٤ ـ راجع في ذلك مجلة « الهلال » ، ابريل ، عدد خاص عن العقاد ، ثم « عباس العقاد ناقدا » لعبد الحي دياب ، مصر ، ١٩٦٦، ص ٦٦٧ وما بعدها ، ونحن نوافق العقاد على رأيه في ذلك ..

٥ ـ الميزان الجديد ، لمندور ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ ـ بحث « الفنون الادبية » لمحمد يوسف نجم، في مجموعة الادب العربي في آثار الدارسين بيروت ١٩٦١ ، ص ٣١١ وما بعدها ثم ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيون الخطب العربية في عيون الاخبار

بقلم سكينة الشهابي

* * *

من المراجع الهامة التي لا نستطيع ان نستغني عنها في مكتباتنا كتاب « عيون الاخبار » لابن قتيبة الدينوري المتوفي سنة ٢٧٦ هـ . هذا الرجل الذي كان موسوعة من موسوعات القرن الثالث الهجري في الادب والنقد واللغة .

والحقيقة انني كنت أسرع الى عيون الاخبار كلما اردت الحصول على نص من النصوص الادبية قبل ان اسرع الى اي كتاب آخر يتوفر فيه ذلك النص ، لاعتقادي ان ابن قتيبة يمكن ان نضعه في مقدمة من نأخذ عنهم ، وربما تولدت عندي هذه الفكرة منذ قرات كتابيه « تاويل غريب القرآن » و « مشكل القرآن » ، وبعد ان اطلعت على خطوط حياته الرئيسية وتجلى لي بوضوح مبلغ ما كان يتحلى به من استقامة .

وكعادتي امتدت يدي الى عيون الاخبار حين احتجت الى نموذج من الخطب السياسية في عصر صدر الاسلام ، وفي الجزء الثاني منه قرات خطبة ابي بكر الصديق يوم ولي الخلافة . ولاحظت وانا اقرا ذلك الاختلاف الكبير بين الخطبة كما اعرفها وبين ما وجده امامي ، ودعاني الامر وقتها الى نظرة سريعة في كثير من الخطب الواردة في الكتاب عقدت العزم بعدها على العودة اليه في اقرب فرصة تتاح لي لكي اقرا بامعان ولكي اقارن ما اقرا بروايات اخرى له في كتب اخرى وما اكثر الكتب التي روت الخطب العربية الشهيرة .

وما من شك ان لكل مؤلف طريقته وان ابن قتيبة لا تهمه الخطبة بقدر ما يهمه بعضها يسرده على انه اهم ما فيها ، وعمله هذا يتمشى مع الغاية التي هدف اليها في كتابه وهي اختياره من كل شيء اهمه ، فمن خطبة أبي حمزة الخارجي مثلا التي رد فيها على اهل مكة حين غيروه بأصحابه يختار ما يجده متعلقا بفرض الخطيب ويحذف من اولها حديث ابي حمزة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر .

وهكذا فانني لا اعني بالاختلاف طريقة ابن قتيبة الفنية وانما اقصد تفاوت الخطب بالشكل والمضمون بينه وبين غيره ، هذا التفاوت الذي اعادني الى عيون الاخبار متأنية متمعنة لاقارن ما ورد فيه من خطب شهيرة بالشكل الذي وردت عليه في امهات الكتب العربية .

لقد وجدت ان ما اثار انتباهي في خطبة ابي بكر يتأكد بقوة مع الاستمرار في القراءة والمقارنة . فخطبة الحجاج المشهورة في اهل الكوفة لا نجد منها في عيون الاخبار الا جزءا يسيرا وبشكل مختلف تماما مما لا نستطيع معه ان نثبت بلاغة الحجاج المعروفة . فالشعر الذي بدأ به الحجاج خطبته والذي تزعم الروايات انه ملأ نفوس السامعين بالرعب لا نجد منه عند ابن قتيبة الا هذا البيت :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

ثم يأتي بعده :

« ان امير المؤمنين نكب عيدانه بين يديه فوجدني امرها عودا واصلبها مكسرا فوجهني اليكم ، الا فوالله لاغصبنكم عصب السلمة ولالحونكم لحو العود ولاضربنكم ضرب غرائب الابل ، حتى تستقيم قناتكم وحتى يقول القائل : انج سعد فقد قتل سعيد الا واياي وهذه السقفاء والذرافات ، فاني لا أوتى بأحد الجالسين في ذرافة الا ضربت عنقه » .

هذه خطبة الحجاج المشهورة في كتب الادب والتاريخ كما رواها ابن قتيبة ! ومن الواضح انها بهذا الشكل لا تثبت للحجاج شيئا من البلاغة التي عرف بها . وحين نقارنها بالشكل الذي روتها عليه كتب الادب لا نجد ما يتفق مع تلك الروايات باللفظ والمعنى الا هذه العبارات ! « فوجدني امرها عودا واصلبها مكسرا . . » التي تتفق مع رواية الكامل للمبرد . ثم « فوجهني اليكم » التي تتفق مع رواية البيان والتبيين للجاحظ . وكذلك عبارة « لاضربنكم ضرب غرائب الابل » التي تتفق مع رواية كل من الكامل والبيان والتبيين .

اما هذا المثل : انج سعد فقد قتل سعيد . فكلنا يعرف ان زيادا قاله في خطبته البتراء الشهيرة والتي سنمر بها لنرى ماذا حصل لها عند ابن قتيبة .

ويبدو لنا ان ابن قتيبة متأكد من صحة ما يرويه حتى اذا وصل الى شيء سمعه بروايتين اورد الروايتين . فهو يقول بعد : « الا واياي وهذه السقفاء والذرافات » .

هكذا حدثنيه احمد بن سعيد عن ابي عبيد في كتابه غريب الحديث . وقال غيره هو : واياي وهذه الشفعاء .

والرواية الثانية التي اوردها ابن قتيبة هي المتعارف عليها في كتب الادب .

وقد أشار الزمخشري الى ان السقفاء قد وردت في الحديث من قبيل التصحيف وانما هي الشفعاء والحية انني وقفت عند خطبة الحجاج كما وردت في « عيون الاخبار » ذاهلة .

هل يعتقد ابن قتيبة ان ما اورده هو كل ما قاله الحجاج ام انه اورد جزءا من الخطبة يعتقد انه افضلها ولكن اين الشيء الذي يشير الى ذلك !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولو افترضنا ان ما اورده ابن قتيبة هو بعض ما قاله الحجاج فلماذا لا يتفق مع رواية رجلين احدهما توفي قبله وهو الجاحظ (توفي الجاحظ سنة ٢٥٥) والثاني توفي بعده وهو المبرد (توفي المبرد سنة ٢٨٥). واذا ذهبنا الى ان هذا كله ما قاله الحجاج في خطبته فان راينا هذا لا يتفق مع الحقائق التاريخية والادبية التي تؤكد مجمعة ان خطبة الحجاج كان لها اثر بلاغي قوي في نفوس اهل الكوفة المتمردين واتخذت مثلا على قوة البيان ورجاحة التفكير ، وما نراه امامنا لا يعطينا نموذجا رائعا من كلام خطيب يعرف كيف يؤثر في نفوس الجماهير .

ثم ان تواتر الروايات بشكل متقارب وتفرد عيون الاخبار بشكل خاص من الرواية يدعونا الى الحذر والقلق الطويل قبل ان نصل الى حل يتفق مع المنطق والتاريخ ، وربما زاد هذا القلق قول ابن قتيبة : خطبة للحجاج في البصرة !

والخطبة كما هو معروف وهو ما تجمع عليه المصادر لم تقل في البصرة وانما قيلت في الكوفة . اهذه خطبة اخرى غير خطبته في الكوفة .. اذا هل من المعقول ان يفضلها ناقد مثل ابن قتيبة على خطبة الكوفة العظيمة !؟

ان ما استطعنا لمسه عند ابن قتيبة في خطبة ابي بكر يوم ولي الخلافة ازداد نموا واتساعا في خطبة الحجاج . ولو وقف الامر عند هاتين الخطبتين لما كان هناك ما يثير الدهشة والتساؤل الكبير ، ولكن عيون الاخبار حريص على ان يورد كثيرا من عيون الخطب بشكل لا مثيل له في الكتب الاخرى ، وبما ان ابن قتيبة هو من هو في عالم الادب والرواية يحق لنا ان نسير معه في طريق المقارنة والتمحيص مع اعتقادنا ان الوصول الى نهاية الطريق عملية شاقة لا يمكن ان تتحقق لنا بهذه السهولة ، فهي تحتاج الى الكثير من البحث والمزيد من التنقيب . وفي بحث قصير كهذا لا بأس ان نقف عند خطبة اخرى تدفعنا خطوة الى الامام في سبيل ما نريد وربما كانت خطبة زياد بن ابي سفيان المعروفة بالبتراء من خير ما نختاره في هذا المجال .

يورد ابن قتيبة هذه الخطبة ويقتطع قسما كبيرا منها يأتي به على انه خطبة اخرى لزياد . وهذا القسم الذي اقتطعه تجمع المصادر الادبية على انه جزء من الخطبة ما عدا ابي علي القالي في كتابه « النوادر » .

واذا كان ابو علي القالي وابن قتيبة قد اتفقا في جعل الخطبة الواحدة خطبتين فاننا لا نستطيع ان نجد عندهما بالاضافة الى هذا العمل اتفاقا في شكل الرواية، اذ ان ترتيب العبارات والافكار يأتينا بشكل متفاوت لا يمكننا معه ان نجزم باتفاق الرواية الا بالمعنى . ففي كل من عيون الاخبار والنوادر يرد في الخطبة البتراء ما يشير الى تصحيح معاوية لنسب زياد وتأكيده انه ابن ابي سفيان ولكن بعبارات مختلفة وترتيب مختلف .

جاء في النوادر بعد شيء من الخطبة : « ان معاوية قد قال ما بلغكم وشهدت الشهود بما قد سمعتم واني امرؤ قد رفع الله مني ما وضعوا وحفظ مني ما ضيعوا».

وجاء في عيون الاخبار مطلعا للخطبة : « اما بعد فقد قال معاوية ما قد علمتم وشهدت الشهود بما قد سمعتم وانما كنت امرءا حفظ الله منه ما ضيع الناس ووصل ما قطعوا » .

وهكذا يبدو لنا الاختلاف في اللفظ والاختلاف في ترتيب الافكار مع الاتفاق في المعنى هذه خطبة زياد في الكتابين المذكورين وهي تختلف تمام الاختلاف عما وردت عليه عند الجاحظ وهو اسبقهما فقد رواها الجاحظ في بيانه ململمة الاجزاء منسقة العرض متسلسلة الافكار ، تتفق مع هذه الشهرة الادبية التي نالتها بين خطب العصر الاموي . وبالاضافة الى ذلك فرواية الجاحظ متفقة اتفاقا يكاد يكون تاما مع بقية المصادر الادبية العربية . والجدير بالذكر ان تصحيح نسب زياد لا يوجد الا في روايتي القالي وابن قتيبة .

ان البحث يطول ويطول مع مزيد من الاستعراض والمقارنة ولكن السؤال الكبير الذي يحق لنا ان نسأله قبل ان نتابع الطريق هو :

الى اي شيء نرجع ذلك التفاوت في الروايات بين ابن قتيبة ومعظم مصادرنا الادبية ؟ أيحق لنا ان نرجعه الى اختلاف الرواة الذين كان يأخذ عنهم ادباؤنا ولدينا ما يؤيد شيئا من هذا وهو خطبة معاوية قبيل وفاته التي رواها كل من الجاحظ في بيانه وابن قتيبة في عيونه برواية شبيب بن صفوان . لقد جاءت هذه الخطبة في الكتابين متفقة تمام الاتفاق لفظا ومعنى . كنا نستطيع الجزم نتيجة لمقارنة نصي الخطبة في الكتابين بأن رواتنا لم يكونوا ينقلون ما ينقلونه لنا باللفظ والمعنى ، وهذا المعنى الذي ربما حرصوا عليه قلما يرد سليما ، نعم كنا نستطيع الجزم بشيء من هذا لولا ما رأيناه من التقارب بين الرواة في المصادر المختلفة وتفرد ابن قتيبة بشكل خاص من الرواية .

والحقيقة ان للرواة الدور الكبير في هذا الاختلاف والاستمرار في مقارنة النصوص لا يكفي اذا لم ترافقه دراسة وافية لحياة هؤلاء الذين اخذت عنهم مصادرنا ومعرفة درجتهم من الثقة .

وقبل مثل هذا العمل لا نستطيع تفضيل رواية على اخرى .

ويجب الا ننكر ان الاهمية الكبيرة تبقى لراي هؤلاء الادباء الكبار الذين يأخذون عن الرواة ويبقى على رأسهم ابن قتيبة الذي كان علما من اعلام السنة واللغة .

دمشق

سكينة الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فـــراشـــة

اسمى طوبي

الرابية ـ لبنان

•

وكانت فراشه
مذهبة الجانحين
تزين دنيا الربيع
كحلـم بديـع
تميس فيا حرقة الناظرين
فوآد .. وعـين
ويا شوق خفف فان الفراش
بعيد المنال على الطامعين

وطارت وعلت فشب اللهب
وحاصر ذاك الجمال الفرير
ومس الجناح المذهب
فضل النهـى
تهاوت على الارض صنو شقاء
وشلوا معذب

واقبلت النحل من كل صوب
تعيث وتنهش ذاك الجمال
فيا روعة الحسن كيف تهاوت
وكيف تولى الثقاء وزال

وفي الليل .. في ليله المظلم
ايغفو .. وقاضيه لا يغفل
اعتديت .. اهضت الجناح
قتلت بريئا ولـم ترحم

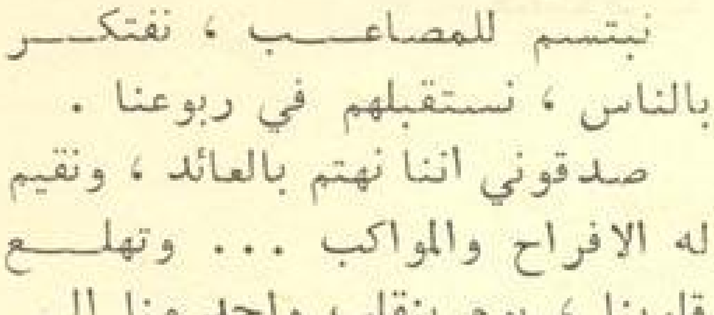
وقال يهدىء من روعه
انا ... انا ما فعلت
سوى ان لمست الجناح .
وقال المعذب في صدره
استبحت من الطهر ما لا يباح

وظل يقاضيه من لا يحابي
فويح جنون الشباب المعذب
وويـح الفراش
فالف فراشه
تجنى عليها جناح مذهب
واغـواء معجب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كرامة الارض

بقلم نصرت توفيق خريش



كل شيء في الجنوب ، كان عاديا حولنا ، لولا الحرب .

الشمس كانت تشرق كعادتها ، كما اعتدناها متشابهة .

والصباحات الندية ، كنا نستقبلها بالحمد ، ونكملها بالعمل والعزم .

في قرانا لم نكن نهتم الا باشغالنا ...

اشغالنا كانت قضيتنا ...

حبة القمح ، التي كان يحملها الفلاحون في مآزرهم ، يبذرونها في قلب الارض : كانت املنا .

شتلة التبغ ، التي كنا نقطفها ورقة ورقة ، كانت قبلة اقتصادنا، فمنها كنا نسدد قروضنا ، التي نستدينها من المصارف .

شجرة الزيتون كانت موضع محبتنا ، من حبوب زيتونها كنا نشغل عمالنا ونفتح معاصرنا ، ونملأ خوابينا ، ومن زيتها نسرج ايامنا .

سنابل القمح ، كانت توسع حقولنا ، وتزيد مواشينا ، وتعمر دورنا ، وترسل اولادنا الى المدارس والجامعات، وتحرك مطاحننا، وتمد افراننا بالخبز .

كل شيء حولنا ، كان عاديا ، فزراعتنا ومواردنا وحركة عملنا ، كلها كانت لولا الحرب ، مزدهرة .

ومع اننا لم نكن باغنياء ، واحوالنا عادية ، الا ان مواسمنا كانت مقبولة ، وبعضنا كان يستدين ، والحمد لله كنا نوفي ...

★

قرويون نحن في الجنوب .

اية ارقام نحن في خواطر الناس، قبل الحرب وبعدها ، لست ادري.؟

انحن في منزلة الآحاد ام العشرات ام المئات ، ام الآلاف لست اعلم ؟

كل ما اسمعه اننا اصفار، وبعض ما اعرف ان اصفارنا تعمل الملايين ... اصفارنا ليست كالمومياء ...

لسنا جامدين ، وان كنا نتوسد التربة الجامدة ، ونجعل من حجارة الحقل ، تحت ظلال الاشجار الوارفة ، متكأ لرؤوسنا . ولسنا باردين ، وان كنا نفترش الحصباء ، ونمد عليها زواداتنا ، ونستمريء الطعام بعد العمل ، ونستمع الى اغاني السنابل في الحقول الذهبية ... اننا حركة دائمة نستيقظ مع النسور والعصافير ، ونؤنس الشمس ، ونعمل مع الصحو والريح والمطر . اصدقاؤنا الفصول، وامنا الارض واخوتنا الايام .

لولا الحرب ، قرويون نحن ، نقبل على العمل ، نفرح بالوجود ، نعشق الغاب ، نهيم بالحرية ، نتغزل بلون السماء ، نسخر من السأم ، يصدح الامل في ارجائنا ، سواعدنا تهيمن على الارض والشجر .

قرويون نحن ،

نبتسم للمصاعب ، نفتكر بالناس ، نستقبلهم في ربوعنا .

صدقوني اننا نهتم بالعائد ، ونقيم له الافراح والمواكب ... وتهلع قلوبنا ، يوم ينقلب واحد منا الى مهاجر طواف في ديار الناس ...

نولي الغائب اهتماما ، نرسل اليه سلال العنب والتين ... نحله في احلامنا ... نحادثه في منامنا . الحياة عندنا ، لولا الحرب ، لها معنى ... فيها لذة ... فيها وفاء.

ايها الناس يوم تفتقدون لذة الحياة ، عودوا الى الارض ، واغرفوا منها طعم اللذة الحقيقية ، ويوم تضجرون ارتموا في احضان الطبيعة ، فهنالك لا وجود للضجر واليأس ... اما يوم تحصون الناس في جداول التعامل فافردوا للقروي خانة الوفاء .

★

كل شيء حولنا كان عاديا ، الى ان وقعت الحرب ...

واذا بالايام التي اعقبت الحرب ، تكون علينا اشد قسوة من الحرب نفسها ... فلا يمضي اسبوع الا ونرى القنابل المضيئة توحش لياليا ... اكثر من مرة ... وفيما نكون منصرفين الى اعمالنا الزراعية نهارا ، غالبا ما تصرفنا طلقات الرصاص والمدافع عن متابعة اعمالنا ... وشيئا فشيئا لونت الحرب ، او ما يشبه حالة الحرب ، على حدودنا ، لونت ايامنا بلون صامت حزين ، ارتحلت البهجة عن روابينا، واقلق زماننا هذا الغموض الذي يخبئه القدر لنا ... وصار القلق يقاسمنا نهاراتنا ، ويخنق حناجرنا، وتحرق القنابل والصواريخ المعادية اكتاف تلالنا ، ويشقق اليأس سواعد رجالنا ، وترتجف اليد التي تغرس شتلة زرعنا .

كل شيء كان عاديا ، حولنا ... لولا هذه الحرب .

شمسنا صارت تغيب قبل موعدها ... وفسد هواؤنا بدخان القنابل ورائحة الحرب والدمار .

بعضنا لم يشأ ان يرى ارضه محروقة ، وتلاله عريانة ، فانضم الى قوافل النازحين يهجر الارض والتراب ... وتحولت القرية الى مكان شبه منسي ... هامد الحركة والظل ... حتى العصافير ، طارت الى امكنة اخرى واختفت من دوي المدافع ، تحرمنا من صداقتها ، ولا تعود تبثنا زقزقتها المرحة ... يكفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان تتخيلوا عالما من دون طيور ، لتدركوا الحالة التي نحن فيها ...

القنابل التي القيت على تلالنا ، قتلت اطفالنا وهم بين اوراق الزنبق يلعبون .

وبما اننا ملك لهؤلاء الاطفال قررنا ان نحمي الباقين منهم .

لاننا حين نهرب ، نكون جبناء تجاه انفسنا .

ونكون قد تخلينا عن ارضنا التي زرعنا فيها عمرنا .

ونكون قد تركنا بيوتنا ، التي لا تنفع القصور بعدها ، وشرعنا للتشريد بابا اين منه باب آخر !

ولكن ما حيلتنا ، اذا كانت الحرب تفسد مفهوم القيم الجمالية والحياتية ، وتنشيء الحقد عند سوانا ، وتحول الانسان الى قاتل ، طريقه المصلحةالشخصية والتوسع، لا طريق العدالة والمحبة .

عجبا كيف يستأثر الانسان باخيه الانسان ، في وقت يحتاج احدهما الآخر لبناء عالم يتعشق سحر المجتمع والعمل .

عجبا كيف يتخلى الانسان عن حبه لاخيه الانسان ، ويؤثر المادة والظلم والتسلط على كل شيء عداها ...

ان في لك قضاء على القيم الصافية . التقدم المادي لو سخره البشر من اجل خدمة الانسانية ، لقضى على الجوع والجريمة، واشاع السلام في الارض ...

لم يعد في يدنا نحن المسالمين ، حيلة .

فكان لا بد من سلاح اتقاء للشر ... القروي المسالم يحتاج الى سلاح ، عندما يفسرون مسالمته ضعفا .

حتى ولو كانت البندقية لا تسقط الطائرة النفاثة ، ولا تمنع قنابل النابالم ، فهي على الاقل تحمل العدو على التفكير بان من يستعديه له كرامة ، يدافع عنها ولو بابسط وسائل الدفاع .

فتوجهنا الى السلاح يحقق حمايتنا .

ونحمي به ارضنا وبيوتنا واطفالنا .

ونشهره في وجه الطامعين بنا ، فنريح ضميرنا بواجب الدفاع ، ونموت شجعانا ، اذا ما كتبت لنا الشهادة .

★

كنا ذلك الصباح من ايلول ، اشد حماسة من اي يوم مضى ... كان لنا قضية اخرى غير حبة القمح وشتلة التبغ .

كان لنا قضية الدفاع عن الارض التي تنبت كل هذه المواسم .

ذلك الصباح من ايلول ، كنا نعانق اخوتنا العائدين الذين نزحوا هربا من وجه القنابل ، وقد عادوا اليوم الى الجنوب ، لتكون لهم في الدفاع ، حصة .

ذلك الصباح كنا نهلل للسلاح ، توزعه السلطة علينا ، على الرغم من بساطته ومقارنتهبالفانتوم والنابالم .

لقد كنا في حماس ووعي لتوجيهات المدرب وهو يتولى تعليمنا فنون الرماية وحفر الملاجيء واتقاء الغارات : اذا ما فرضت علينا .

وغدا ستشهد الارض ، ليس المحراث والمعول وصناديق التبغ واكياس الزيتون ، وسلال العنب والتين فحسب ، ستشهد البندقية على اكتافنا ، وسيختلط ازيز رصاصنا ، ولو كان بسيطا ، مع قصف مدفعية جنودنا ، ونحن نتآزر ،اذا ما عادت القنابل المعادية تحرق تلالنا ، وتقتل اطفالنا في فم الزنبق ... فللارض معزة توازي معزة الابناء نحوطها بالوسائل الموجودة ، مهما بلغت قوة المعتدي من تفوق . اجل ان للارض كرامة نتقيها باجسادنا اذا ما عز السلاح .

لبنان الجنوبي — **نصرت خريش**

الميت الحي

ترامت رؤاي فلا يحتويها — مكان وقد لا يعيها زمان
ترامت .. وما من سبيل اليها — يلوح ولست طليق العنان

أنا واقف لست أملك دربي — ضباب يحد امتداد الطريق
أنا عاجز وتمرد قلبي — رياح تدوي بكوخ عتيق
ظلام وصمت وقفر مقيم — ووهم ظلال ووهم رفيق

تمنيت أنك كنت رفيقي — فتحملني عبر كل مدار
ومهما تمادت صعاب ، معالا — بنالي ، ومهما تناءت ديار
معا قد نواجه كل احتمال — معا قد نجاوز كل جدار

أجل يا غريب انتظرت طويلا — وها قد ألفت فراغ الدنان
ألفت احتباس السماء بأرضي — أما آن يا درب ـ بعد ـ الاوان

دمشق — **سلافة العامري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

اسكندر الخوري البيتجالي - عميد الاعلام

علي هاشم رشيد - مصباح العابودي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ــ اسكندر الخوري البيتجالي

في بيت جالا « بفلسطين » فتح عينيه لنور الحياة عام ١٨٩٠ ونشأ في بيت ديني محافظ . وفي حداثته درس المزامير وكتابا للصلوات والالفباء اليونانية في مدرسة الروم الارثوذكس ببيت جالا لكن والده ابى هذا المرتع الجاف لولده فتمكن من ارساله الى المدرسة الروسية الداخلية في الناصرة حيث قضى فيها بضع سنوات ومنها انتقل الى مدرسة السالزيان الداخلية في بيت لحم ليتعلم اللغة الفرنسية فامضى فيها سنة واحدة ، وعلى اثرها بعث به والده الى انكليزية البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت ليبرع باللغة العربية وآدابها على يد علامة عصره الشيخ عبد الله البستاني استاذ الادب العربي في تلك الكلية .

ولاح على البيتجالي ، منذ حداثة صباه ، شغفه بالادب العربي وقرض الشعر وقد نشرت له صحيفتا « المحبة (١) » و « المنار (٢) » البيروتيتان وقتئذ قطعا ادبية ، وبعد تخرجه قصد القاهرة تطلعا الى مجال اوسع لحرية الفكر ، والدولة العثمانية على ما يعرفه الجميع من التضييق على حرية الفكر فشغل وظيفة كتابية في قلم التلغراف المصري ونشر بعضا من نفثات قلمه في الصحف والمجلات .

وعلى اثر الانقلاب العثماني واعلان الحرية (١٩٠٨) عاد الى فلسطين وانتخب عضوا في الوفد العربي الذي قررت الطائفة العربية الارثوذكسية ارساله الى الاستانة للمطالبة بالحقوق العربية التي غمطها رجال البطريركية الارثوذكسية بالقدس . وبعد عودته عين مديرا لمدرسة الكرك الارثوذكسية وما لبث ان عاد الى القدس معلما للعربية والافرنسية في مدرستي المطران والفرير وفي مدرسة البنات الروسية .

وفي الاحتلال البريطاني عين كاتبا في ديوان المستشار القضائي بالقدس ودرس الحقوق في معهد الحقوق الفلسطيني ثم عين رئيسا لكتاب محكمة الاستئناف فقاضيا للصلح وتنقل في اغلب المدن الفلسطينية . وفي عام ١٩٤٥ أحيل على التقاعد فزاول المحاماة وانصرف الى النظم والكتابة ونشر خواطره في كبريات المجلات والصحف العربية .

١ ــ صدر العدد الاول منها في ١٢ كانون الثاني ١٨٩٩ ومنشؤها فضل الله فارس أبو حلقة .

٢ ــ صدر العدد الاول منها في ١٥ كانون الثاني ١٩٠٣ ومنشؤها المطران ارسانيوس حداد .

بعد النكبة : وعلى اثر الجلاء البريطاني عن فلسطين وما اصاب البلاد المقدسة من نكسات اضطرت العرب الى النزوح عنها لتخاذل الدول العربية امام العصابات اليهودية ، نزح مكرها عن عقار له في حي القطمون « بالقدس » تاركا فيه ما ادخره من مال واقتناه من رياش ، واقام في بيت جالا حيث عين مستشارا قانونيا للصليب الاحمر الدولي في منطقة بيت لحم والخليل فمفتشا لمدارس ابناء اللاجئين الفلسطينيين ومعلقا في زاوية « احاديث الناس » بجريدة « الدفاع » المقدسية ، ثم استقال من عمله هذا اثر انتدابه للسفر الى اميركا الجنوبية لجمع التبرعات لملجأ المرضى والمقعدين في بيت المقدس من الشطر المغترب .

وبعد ان أدى مهمته الانسانية عاد الى وطنه وزاول المحاماة وعهد اليه بزاوية « من هنا وهناك » وبصفحة « يوميات الجهاد » في جريدة « الجهاد » المقدسية ، وبانتفاضات جريئة اتسمت بالصراحة صور البيتجالي آلامه ومشاعره للنكبة الكبرى التي أصابت المواطنين في صميمهم ودكت آمالهم ، وبددت أشواقهم القومية

واخيرا عزف شاعرنا عن اجتماعات عامة يكثر فيها القول ... ويقل العمل ... وكره ان تسلط الاضواء البراقة عليه ، وقد اتخذها البعض وسيلة للظهور والشهرة والاعلان عن النفس ، وعزاؤه الوحيد، مهما برحت به الهموم وحزت في نفسه الآلام أن يرى السعادة في تأدية الواجب في خير يعمل وحقيقة تبحث ووطن يخدم !

نموذج من نثره : « غسيل فج ينشر من حين الى آخر فوق الاسطحة ، وكلما استبشرنا بجفافه عاد الى رطوبته شاكيا نقص الحرارة ... حرارة المثل التي تقضي على هذه الرطوبة ، وتكفي أصحاب الغسيل شرها !

ترى : أهي اسطورة : « اتفق العرب على الا يتفقوا ! » أهي الرطوبة الحائلة دون جفاف هذا الغسيل ؟ ان صح هذا لماذا نلوم الغسيل ان ظل فجا يؤذي العيون مشاهدته ، وتزكم الانوف رائحته ؟ ولماذا نلوم الاعداء ان هم رددوا الاسطورة القائلة : « اتفق العرب على الا يتفقوا ؟ »

كلنا واع وكلنا مسؤول ... وقبل ان يلوم احدنا الآخر او ان يلوم الاستعمار والصهيونية على بث بذور التفرقة والانقسام بيننا ، يجب علينا ان نلوم انفسنا اولا ، فلا ندع المصلحة الشخصية تحول دون اتفاقنا ، ولا لبذور التفرقة والانقسام ان تبيض وتفرخ في ارضنا!

ونحن ، بغير حرية الفكر لن نستطيع التعبير عن افكارنا اقترابا من الحقيقة ، كما اننا لا نستطيع بغير تشخيص الداء وصف الدواء ! فداؤنا قديم يشفع فيه الجهل والتخلف ... فما عذرنا اليوم والعلم والتقدم يغزوان عالمنا العربي ؟

ما عذرنا والاعداء من خلفنا وامامنا يتربصون بنا خشية يقظتنا على استثمارهم اراضينا واستغلالهم ثرواتنا ؟

ما عذرنا والعدو جاثم فوق صدورنا يخاف وحدتنا ويحرص على ان نبقى منقسمين ، وعن فلسطيننا غافلين ؟

اللهم هيء لغسيلنا الفج جوا يعجل في جفافه ويقينا شر رطوبته ! »

نماذج من شعره : اتسمت فلسطين في كافة عهودها بالحشمة والقداسة والوقار ، وما عرفت العري والشعور المقصوصة ، والهالات المعقوصة الا في عهد الانتداب البريطاني ... فانقلبت موازين الوقار ، واختلت مقاييس الحشمة ، وخرجت فتيات اليهود بازياء نابية تسيء الى قدسية فلسطين وتشيع الرجس والفساد بين الشبان العرب .

هالت هذه الظاهرة « المستوردة » كل عربي شريف واشاعت الفزع والتساؤل في نفس شاعرنا البيتجالي فقال :

بارزات النهود ، حمر الخدود عاريات الصدور ، ضمر القدود
يتخطرن في الشوارع تيها بحلى من أساور وعقود

وبرود شفافة من دمقس ... شف عما اختفى وراء البرود
يتلفتن تارة في ازدراء ... ويقهقهن تارة كالوليد
بينهن الحسناء من خادعوها ... بهدايا الهوى وحلو الوعود
والتي قارعت وما خادعوها ... ببياض وحمرة في الخدود
من بنات اليهود جئن الينا ... من بعيد بكل زي جديد
مشهد من مشاهد القدس هذا ... بين «باب الخليل» و « العامود »

وجزع شاعرنا لهول الحرب العالمية الثانية او قل مجزرة الانسانية في القرن العشرين فارخها شعرا ونثرا مع الرسوم في ملحمة اسماها « الحرب العالمية الثانية » ومن قوله في وصفها :

ان انس لا انسى ماضينا ومافعلت ... بنا الوغى يوم قاربت الثلاثينا
ما جف دم الالى خاضوا معاركها ... كلا ولا جف دمع في مآقينا
عادت الينا فعاد الويل ثانية ... وها انا اليوم اصبحت ابن خمسينا
شمطاء ما شاب قرناها وما وهنت ... وقد وهنا وقد شابت نواصينا

ومنها :

يا وحدة العرب هل حلم نحققه ... بعد ابن مروان هل حقا تعودينا
اهلا بها وحدة للشمل جامعة ... الخير فيها اذا ضمت فلسطينا
هذي الشهيدة كم لاقت وكم شهدت ... من المصائب من فرسان صهيونا
ثارت وثرنا وما كلت عزائمنا ... وقد صبرنا مدى خمس وعشرينا
ماذا دهاكم بني التاميز هل ضعفت ... احلامكم بعدما كنتم اساطينا
الم نعنكم على الاتراك يوم دوى ... صوت الحسين وقد كانوا موالينا
قمنا نحاربهم بالسيف وقتئذ ... ثرنا لعزتنا ، عفنا السلاطينا
وقد نسيتم عهودا بيننا قطعت ... وما عهدناكم للعهد ناسينا
وما نسينا واحسنا ضيافتكم ... وكنتم عندنا الاهل العزيزينا
حتى تبدل ذاك العز وانقشعت ... تلك الغمامة عن ظلم القريبينا

ومنها في وصف معركة برلين :

هنا قصور يناطحن السحاب هوت ... في لحظة وهناك الهام تهوينا
تكدست جثث الهاوين وانبعثت ... منها الروائح تحكين الطرابينا
وانهر جثث القتلى مصادرها ... جرين ينسبن كالحيات يجرينا
مشاهد ليس رائيها كسامعها ... كلا وليس رواة مثل رائينا
يا أخت رومية ماذا اصابك هل ... اودت بهتلر مما اودى بنيرونا
الله اكبر ! لا رب سواه ولا ... كبير الاك يا اقوى القويينا

وكلما داوى شاعرنا ندوبه وهدهد من فورة الامه وتناسى الوطن السليب برزت له صورة مسلرح طفولته ومدارج صباه ... في اطياف قل : هي اشباح اللاجئين ، فينشد نفسه ، تسرية لهمه ، وطردا لغمه :

ولقد ذكرت الدار شط مزارها ... والاهل فيها قعد وقيام
تتجاوب الاعراس في داراتها ... وتميس في ساحاتها الآرام
أيام عز ما تجدد ذكرها ... الا تجدد في الفؤاد ضرام
وتبينت لي « الطالبية » وانبرت ... لي القدس عن كثب وليس ترام
عبثت بها أيدي الدمار وطوحت ... بقبابها وشبابها الالفام
ولمحت في «القطمون» دار اقامتي ... والورد في جنباتها اكمام
ليلى هنا أوحت الي قصائدي ... فكانني وكانها احلام
وهناك حول الدار مسرح طفلتي ... وهناك ابنائي حبوا واقاموا
فتجرحت للذكريات حشاشة ... حرى وما للذكريات ختام
ورأيت صول الوغد حين يهزه ... نصر وصول الحر حين يضام
أعواصم الاعراب هل هذا الذي ... يرضى به الخلفاء والاسلام
انا لا اسائل هيئة الامم التي ... توحي الذي يوحي به «الحاخام»
لا من يجيب عن السؤال مطمئنا ... طال السكوت بنا وعز كلام
اشكو واسال لا ملام يصدني ... من كان في المي فليس يلام

ورغم كر الشهور وانصرام الاعوام ظل شاعرنا اليتجالي طول تسعة عشر عاما يندب ملكا دال ، ومجدا زال ، ويجسد لوعته شعرا يتنزى بالعبرات ، ويعج بالحسرات ، ويفيض بالتساؤل عن الوطن المغصوب ، والشرف المعطوب :

صاح اين الرجال تزخر كالبحر المدوي في عصفه ورياحه
اين هذا الحمى يعج باهليه ... ويزهو بخبوده وملاحه
أين هذي القصور تنعم بالفيد ... وابن الخدور سرح رواحه
يا جيوشا لها قعدنا وقمنا ... هوذا الربع في يدي سفاحه
اي رعب هذا الذي اكتسح العرب ولم يصمدوا امام اكتساحه
لاجيء يهبط المدائن مفجو ... عا بآماله
ضاربا في الفضاء طولا وعرضا ... باحثا عن ملاجيء في بطاحه
شردته يد السياسة حتى ... طوحته في حربه وكفاحه
شيد للامن مجلس الامن لكن ... عصف الشر منذ يوم افتتاحه
وفلسطين والعروبة فيه ... تنعيان الصلاح في صلاحه
ان بستانهم جميل شهي ... غير ان السموم في تفاحه

وفي عام ١٩٥٢ بارح الشاعر القطاع المتبقي من وطنه السليب جوا الى اميركا الجنوبية انجازا لمهمة انسانية ، لكنه ، رغم بعد الدار وشط المزار ، لم ينس فلسطين واهلها المشردين المناكيد فاسمعه يقول:

هممت في الفضاء تقتحم الاجواء ... في هيبة وفي اعجاب
وتهادت فوق الغيوم عروسا ... تتجلى في يومها المستطاب
خلت نفسي فيها عن الارض تسمو ... والى الخلد أستحث ركابي
لست بالخلد عن فلسطين ارضى ... لا ولا عن احبتي وصحابي
انما الخلد في الكرامة نبني ... من جديد وفي اشتباك الحراب
في فلسطين، في الدفاع عن العرض ... وفي زحمة الوغى بالشباب

من آثاره القلمية : احسن شاعرنا اليتجالي ست لغات حية هي: العربية والتركية واليونانية والروسية والفرنسية والانكليزية ، ولا عجب اذا سخا على الخزانة العربية بطائفة من الدواوين الشعرية والروايات هذه اسماء بعضها :

١ ـ حقائق وعبر ـ مقالات في اللغة والادب والاجتماع .
٢ ـ الحياة بعد الموت ـ رواية تاريخية غرامية وقعت حوادثها في فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى .
٣ ـ غريبلا الحسناء ـ ترجمها عن الفرنسية في جزءين ضخمين وهي من اشهر الروايات التاريخية الغرامية .
٤ ـ المفقود ـ ديوان شعر .
٥ ـ الطفل المنشد ـ قصائد للصغار .
٦ ـ المثل المنظوم ـ قصائد منها ما هو على السنة الطير والحيوان ومنها ما جرى مجرى المثل .
٧ ـ الحرب العالمية الثانية ـ تاريخها نظما ونثرا مع الرسوم .
٨ ـ في الصميم ـ بحث عامر في الزواج بقالب روائي جذاب .
٩ ـ آلام وآمال ـ شعر في نكبة فلسطين .
١٠ ـ أدب وطرب ـ نوادر وطرائف ارسلها العرب في مجالسهم.
١١ ـ الفتاة للفارس ـ من الروايات الروسية التاريخية وقد تجلى فيها الحب النبيل .
١٢ ـ جولة في امريكا اللاتينية .

٢ ـ عميد الامام

ولد « عميد » في يافا بفلسطين عام ١٩٢٥ وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية في « كلية الفرير » بيافا والتحق بالجامعة الاميركية في بيروت ونال درجة بكلوريوس في الآداب والعلوم السياسية ، وشغف بالصحافة منذ حداثة سنه ، ومال الى الكتابة الصحفية ، ونشر خلال دراسته في الجامعة الاميركية ببيروت بعض نفثاته القلمية في الصحف اللبنانية . وبعد تخرجه من الجامعة الاميركية عاد الى يافا وشرع ينشر نتاج قلمه في امهات الصحف الفلسطينية مثل « فلسطين » و « الدفاع » و « الشعب » .

وفي عام ١٩٤٦ اصدر في القاهرة مجلة اسماها « الوحدة

العربية » فكانت في طليعة المجلات التي تبنت الدعوة الى فكرة الوحدة العربية في وادي النيل ، كما كانت منبرا للقضية الفلسطينية والدعاية لها . وفي هذه المجلة شجع « عميد » على الوعي القومي وتعبئة الراي العام العربي لمناصرة القضية العربية الفلسطينية . ولقد اختار ان يصدرها في القاهرة ايمانا منه بان قاهرة المعز لدين الله ليست عاصمة مصر وحدها انما هي عاصمة العالم العربي بأسره ، وان ما ينشر فيها من مقالات توجيهية يقرأ في سائر انحاء العالم العربي .

وفي مجلة « الوحدة العربية » هذه حارب « عميد » بقلمه النظام القائم عهد ذاك في مصر ، لكن الساهرين على ذلك النظام تنبهوا للاسلوب الذي درج عليه « عميد » في مجلته فامروا بتعطيلها عن الصدور . وبعد احتجابها رجع « عميد » الى يافا وزاول اعمالا خاصة وعاد ينشر مقالاته في الصحف الفلسطينية ويوافي جريدة « اخبار اليوم » القاهرية بالمقالات السياسية .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) نزح « عميد » الى القاهرة واستقر فيها وعمل فيما بين عامي ١٩٤٩ سكرتيرا لتحرير مجلة « روز اليوسف » القاهرية .

وعندما قررت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ اصدار جريدة يومية تنطق باسمها في سنة ١٩٥٣ اختاره المسؤولون ليكون في عداد اعضاء هيئة التحرير التي كلفت تأسيس جريدة يومية فترك عمله في «روز اليوسف» في شهر ايلول من تلك السنة ، وشارك في اصدار جريدة «الجمهورية» اليومية التي صدر العدد الاول منها في القاهرة صباح ٧ ـ ١٢ـ١٩٥٣، وعمل سكرتيرا لتحريرها ثم اصبح نائبا لرئيس تحريرها . وفي عام ١٩٥٨ اعتزل العمل الصحفي المكتبي وقرر التفرغ للكتابة الصحفية .

وخلال عمل « عميد » في « الجمهورية » نشر تحقيقات صحفية عن البلاد التي زارها كما نشر مقالات في عدد من المجلات القاهرية بالاضافة الى « الجمهورية » التي يعمل فيها بانتظام . ومن هذه المجلات « التحرير » و « الرسالة الجديدة » و « الكاتب » ، وهذا الثالوث الصحفي كان يصدر عن « دار التحرير للطباعة والنشر » وهي الدار التي تصدر عنها « الجمهورية » . والكثير من مقالاته ترجم ونشر في جريدة « البورص اجبسيين » الفرنسية وجريدة « اجبشان جازيت » الانكليزية . وهاتان الصحيفتان تصدران عن « دار التحرير للطباعة والنشر » . وعلاوة على هذه الصحف كان ينشر مقالاته في مجلة « الجندي » الدمشقية و « المجلة » و « الشهر » القاهريتين .

ومعظم مقالاته المنشورة في الصحف مقالات سياسية تناول فيها « عميد » القضية العربية الفلسطينية ، كما ان له مقالات كثيرة في الادب والفن والفكر ، ودرج اسبوعيا على نشر « اليوميات » بانتظام في « الجمهورية » منذ سنة ١٩٥٤ ، وهي خواطر حرة وتعليقات غير مقيدة بموضوع معين ، تتناول مختلف الشؤون العامة ، وله مقالات تنشرها « الجمهورية » تحت عنوان « احاديث سريعة » .

ويكتب « عميد » بانتظام تعليقات وبرامج سياسية وثقافية لمختلف اذاعات القاهرة ، لا سيما اذاعة « صوت العرب » والاذاعة الموجهة باللغة الانكليزية ، واذاع له « صوت العرب » خلال عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ برنامجا يوميا لطيفا تحت عنوان « قاموس العودة » ، وفي هذا القاموس سجل بالتفصيل تاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ الحركة الصهيونية العالمية في مختلف ادوارها ومراحلها .

من آثاره القلمية ـ كتب « عميد » الكثير من المقالات ، وكثيرا ما تنقل وكالات الانباء العالمية مقتطفات من كتاباته ، وتنشرها في مختلف الصحف في العالم العربي وفي الخارج . ودونك اسماء ما وقفنا عليه من آثاره القلمية المطبوعة :

١ ـ الصلح مع اسرائيل ـ طبع عام ١٩٥٤ (اعيدت طباعة هذا الكتاب في السنة نفسها وفيه يناقش موضوع الصلح مع اسرائيل من خلال عرض شامل للقضية الفلسطينية) .

٢ ـ الافريقي وقصص اخرى ـ طبع عام ١٩٦٢ (ضم هذا الكتاب ملخصات لعدد من القصص الطويلة من الادب العالمي) .

٣ ـ اسرائيل ـ الدولة الفاشستية ـ طبع عام ١٩٦٧ (وضعه بالانكليزية ونشرته مصلحة الاستعلامات في الجمهورية العربية المتحدة).

٤ ـ هل باريس تحترق ؟ (مترجم) (وضعه الصحفي الاميركي لاري كولنز والصحفي الفرنسي دومينيك لابيير) .

نموذج من نثره : « في السادس من ابريل ١٩١٧ ـ وبعد طول تردد ـ دخلت الولايات المتحدة الاميركية الحرب العالمية الاولى في جانب الحلفاء ، ولكنها اعلنت الحرب على المانيا فقط في ذلك التاريخ، ولم تعلنها على تركيا حليفة المانيا ، وكان السبب في ذلك هو ان اميركا طمعت في اخراج تركيا من الحرب ، وفي اقناعها بعقد صلح منفرد مع الحلفاء ... وبذلك تحرم المانيا من شريكتها الكبرى ، وتجعل محاربتها أيسر .

وتنفيذا لهذه الخطة ، فكرت اميركا في ان تتقدم الى تركيا بعرض سري ، تقترح عليها فيه ان تعقد صلحا منفردا مع الحلفاء ، في مقابل ان يعترفوا لها بحق الاحتفاظ بكافة الممتلكات التي كانت تضمها الامبراطورية العثمانية ... وعرضت اميركا فكرتها على حليفتيها الرئيسيتين بريطانيا وفرنسا ، فوافقتا عليها .

ولكن بينما كانت موافقة فرنسا حقيقية وصادقة ، لم تكن موافقة بريطانيا الا موافقة صورية ! فلم تكن بريطانيا تستطيع ان تواجه حليفتيها برفض هذه الفكرة التي من شانها ـ لو نجح تنفيذها ـ تقصير أمد الحرب وزيادة احتمالات النصر ، ولكنها في الوقت نفسه لم تكن تريد لهذه الفكرة ان تتحقق ، لان تحقيقها كان يتعارض مع ما كانت تضمره من اطماع استعمارية ! فقد كانت بريطانيا تطمع في ان تستولي بعد الحرب على اجزاء عديدة من ممتلكات الامبراطورية العثمانية ، في مقدمتها « فلسطين » ... وكان تحقيق فكرة اميركا معناه حرمان بريطانيا من الحصول على ما كانت تطمع فيه .

ولم تكن بريطانيا تطمع فقط في وراثة بلاد كثيرة من تلك التي كانت تابعة للامبراطورية العثمانية في ذلك الوقت ... ولكنها كانت قد بدأت فعلا في اعداد المشروعات وحياكة المؤامرات التي تهدف على المدى البعيد الى تثبيت احتلالها لما تطمع في الاستيلاء عليه من مخلفات الامبراطورية العثمانية .

وكان على رأس تلك المؤامرات ، المؤامرة الرهيبة التي كانت قد وضعت أسسها بالاشتراك مع زعماء الحركة الصهيونية العالمية ، والتي كانت ترمي الى تنظيم تعاون الطرفين في استعمار فلسطين معا بعد انتزاعها من الامبراطورية العثمانية .

ولم تكن بريطانيا قد قبلت ان تشاركها الصهيونية في احتلال فلسطين في المستقبل بدون مقابل بطبيعة الحال ... ولكنها كانت تتطلع الى ان تعود عليها هذه المشاركة بمنافع جمة ، وفي مقدمة هذه المنافع ان يضمن لها تحقيق اطماع الصهيونية في فلسطين ، استمرار الاحتلال البريطاني لتلك البلاد لمدة طويلة جدا ... وان يضمن لها كذلك بقاء احتلالها للبلاد العربية الاخرى التي كانت تحتلها فعلا في ذلك الحين او تطمع في ان تحتلها بعد زوال السيطرة العثمانية عليها.. فقد كان محور الاتفاق البريطاني ـ الصهيوني ، الذي سجلته رسميا بعد ذلك ، الوثيقة التي اشتهرت باسم « وعد بلفور » والتي صدرت في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ ، كان محور ذلك الاتفاق هو ان تفتح بريطانيا أبواب فلسطين لهجرة يهودية غير محدودة بعد احتلالها لها ، وان تمكن الصهيونية من انشاء وطن قومي يهودي فيها ، في مقابل عدة شروط اهمها :

أ ـ ان تساعد الصهيونية العالمية بريطانيا في الحصول على فلسطين بعد نهاية الحرب وذلك (١) بتاليب يهود العالم ـ بما فيهم يهود المانيا على المانيا وشركائها وحملهم على تأييد قضية الحلفاء (٢)

باستخدام النفوذ اليهودي لدى الحلفاء انفسهم في سبيل اقناع الحكومات الحليفة بالموافقة على التنازل عن فلسطين وجعلها من نصيب بريطانيا عند توزيع غنائم الحرب .

ب ـ ان تستغل الصهيونية نفوذها في اميركا ، لحمل تلك البلاد على دخول الحرب الى جانب بريطانيا وحليفاتها .

ج ـ ان تجعل الحركة الصهيونية الوطن القومي اليهودي المزمع انشاؤه في فلسطين ، قاعدة دائمة للاستعمار البريطاني في المنطقة .

وكانت الصهيونية قد بدأت من جانبها تنفيذ شروط الاتفاق حتى قبل ابرامه رسميا بصدور « وعد بلفور » .. فدعت يهود العالم الى الانحياز الى الحلفاء والى معاداة المانيا وشركائها ، كما لعبت دورا اساسيا في دفع اميركا الى دخول الحرب الى جانب الحلفاء .

وازاء وجود هذا الاتفاق السري بين بريطانيا والحركة الصهيونية العالمية ، وازاء طمع بريطانيا في الاستحواذ على فلسطين وعلى غيرها من البلاد العربية التابعة للامبراطورية العثمانية ... احست بريطانيا بالخوف من الاقتراح الامريكي الخاص بمحاولة اخراج تركيا من الحرب مع ترك امبراطوريتها لها ! وبمجرد ان تظاهرت بالموافقة عليه ، شرعت في البحث عن وسيلة لاحباط تنفيذه !

اما اميركا فقد شرعت في تنفيذ فكرتها بمجرد ان وافقت عليها حليفاتها الرئيسيتان بريطانيا وفرنسا . وفي شهر يونيو ١٩١٧ شكلت وفدا مهمته ان يسافر سرا الى اسطنبول عن طريق القاهرة ، ويعرض على حكامها الاقتراح الاميركي ، واسندت اميركا رئاسة هذا الوفد الى هنري مورغانتو سفيرها السابق لدى الحكومة التركية ، الذي كانت قد سحبته من اسطنبول قبل ذلك باسابيع قليلة ، والذي كان يعرف الاوضاع جيدا في العاصمة العثمانية كما كان يعرف حكامها ! »

٣ ـ علي هاشم رشيد

ولد « علي » في غزة هاشم بفلسطين سنة ١٩١٩ ونشا في بيئة شعرية، فوالده من رواة سيرة عنترة بن شداد ، وشقيقاه : هارون واكرم شاعران ، وشقيقته « سهام » شاعرة وشقيقته الاخرى كاتبة اديبة !

انهى شاعرنا دراسته الابتدائية في مسقط راسه ودراسته الثانوية في المدرسة الرشيدية بالقدس سنة ١٩٤٠ وفاز بشهادة امتحان المعلمين الاعلى متخصصا باللغة العربية وآدابها ، وعمل مدرسا في معارف فلسطين وسلخ اربع عشرة سنة في بناء النفوس وتنشئة العقول .

في سنة ١٩٥٤ بارح غزة واقام في القاهرة ليعمل في اذاعة « صوت العرب » مشرفا على « ركن فلسطين » فرئيسا لقسم البرامج والتمثيليات الخاصة باذاعة « صوت العرب » فمديرا عاما لاذاعة « صوت منظمة التحرير الفلسطينية » في اذاعة « صوت العرب » فادى رسالته القومية على احسن وجه ، واتصل بادباء فلسطين المنتشرين في بقاع الارض ، فزودوه بالوان من الادب الفلسطيني شعرا ونثرا وقصة ومسرحية ، وسهل له عمله الاذاعي الوقوف على الحركة الفكرية في دنيا العرب والاسهام في تيارها ومراقبة الاحداث السياسية التي لاحت تباشيرها في الافق العربي ، فغذت شاعريته ووسعت افقه .

مثل فلسطين في مهرجان الشعر المعقود في دمشق سنة ١٩٥٩ وفي مؤتمرات اخرى .

من آثاره القلمية : تفتحت شاعرية « علي » بعد النكبة على صور مفزعة للشعب العربي المشرد في فلسطين ، وعلى مناظر رهيبة للوطن السليب ، فتفجر بشعر يصور المأساة التي عاشها شعبه المنكوب ، وطاف على الجيل الفلسطيني المولود في خيام بالية مهلهلة ... بعيدا عن وطنه المغصوب ، بشعر يروي المؤامرة التي نسج خيوطها المستعمرون والسائرون في فلكهم ، وسجل قريضه بالآثار القلمية التالية :

١ ـ أغاني العودة (ديوان شعر) طبع سنة ١٩٦٠ .
٢ ـ رصيف الدموع (مجموعة قصص) ١٩٦٠ .
٣ ـ شموع على الدرب (ديوان شعر) ١٩٦٧ .
٤ ـ السبعة الذين شنقوا (قصة طويلة مترجمة) .

ولعلي الشاعر الآثار المخطوطة التالية :

١ ـ فجر الربيع (ديوان من الشعر الوجداني) .
٢ ـ الطوفان (ديوان شعر) .
٣ ـ سر الراعي (مجموعة قصص من تاليفه) .
٤ ـ قلب انسان (مجموعة قصص مترجمة) .

نماذج من شعره : دمرت النكبة كل عربي واع ... فكيف به اذا كان شاعرا كعلي هاشم رشيد الذي حطمته المأساة ، اسمعه يقول :

من شعوري وخاطري وجناني ... خفقات ترف في أوتاني
يا صحابي عذرا اذا حطمتني ... نكبة الوطن الحبيب المعاني
اننا أمة نعاف حياة ... جرعتنا كؤوسها بالهوان
خنق الشدو في الفؤاد جراح ... ودماء تسيل من أوتاني
فاذا المنطق الفصيح عيي ... واذا بي وقد اضعت بياني
كنت بالامس شاديا اتغنى ... وانا اليوم والانين شجاني
فبلادي مهد السنا والمعالي ... حطمتها حبائل الطغيان
موطني ، والزمان يزخر غدرا ... مزقت مجده يد الحدثان
بالدم الحر قد سقيناه حبا ... وحميناه من هوى الشيطان
لهف نفسي على فخار تقضى ... وطوت طيفه يد النسيان
قومي الغر شتتوا ليبادوا ... وغزا الكفر كعبة الايمان
انا والموطن الحبيب جريحان ... اصيبا وفي الشقا تائهان
وابلاداه صيحة تملأ الافق ... وتدوي بلوعة الحرمان

وسفه « علي » قول من قال « ضاعت فلسطين ! » فهي عائدة باذن الله ... طال الزمان ام قصر :

لا تقل ضاعت فلسطين فما ... بعدت عن عزمة للعاملين
ان نسر نحو حمانا بالفدا ... سوف نلقى النصر وضاح الجبين
واذا شتتنا الباغي ففي ... غدنا نمحوه بالنصر المبين
فاكتب الثار بنار ودم ... فالدم الفاني مداد الخالدين

ومر « علي » بلاجئة فلسطينية تلفها الكآبة وتتشح بالاحزان ، فاشجاه منظرها الدامي وانشا يقول :

تفتحت في قلبها الشجون
وهومت في نفسها الظنون
في ليلة مقرورة كئيبة كآبة الضياء
في الشمع حول ميت ... فقير !
تفتحت شجونها القريبة
وداعبت ظنونها البعيدة
وامتزجت في قلبها الصور وهومت فكر
من واقع تعيشه اليم وذكريات كلها نعيم
وامتزج الذكر مع الشقاء مثل امتزاج الليل بالضياء
لكنما كآبة الظلال في المساء
قد اطلقت في نفسها الشجون
في قلبها الحنون
فابصرت بانها تعيش لكنه العدم
فكوخها جدرانه صفيح
قد شفها البلا
فاصبحت وكلها ثقوب
وخلفها يزمجر الاعصار وتهطل الامطار
والكوخ لا تشع فيه نار
والام ضمت ابنة وحيده
يتيمة ... لاجئة ... شريده
كامها ... كشعبها ... طريده !

وضرب « علي » في متاهات الحياة ... واوغل في اسفاره ... وحمله الحنين الى بيت المقدس لزيارة الاقصى المحزون ... فانبرى يقول :

سمعت صوتا مبهما في الحنين ... يرف كالهمس بسر الوجود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول : هيا واخط عبر السنين واكتب بآي الشعر سحر الخلود

وطار بي الشوق لارض السلام ومهبط الوحي ومهد الكماه
نزلت بالقدس وسرب الحمام يبث للازهار نجوى هواه

صليت في الاقصى وكان المقيل تحت ظلال الدوح قبل الرواح
زيتونها يزهو بثوب الاصيل والورد يرنو كابتسام الملاح

يا موطني يا قبلة العاملين للثار والعود رغم الطغاه
لن يطفىء الجذوة مر السنين فتربك الطاهر انا فداه !

٤ ـ مصباح العابودي

ولد « مصباح » في مدينة طبريا بفلسطين عام ١٩٠٨ وتلقى مبادىء القراءة والكتابة وعلوم العربية والدين على والده المرحوم الشيخ سليمان العابودي ، وانهى دراسته الثانوية في مدرسة طولكرم الاميرية ، ثم ارتحل الى القاهرة ليلتحق بالازهر الشريف ، لكنه تحول الى كلية الآداب في جامعة القاهرة ، وعكف مدة ست سنوات على امهات كتب الادب والتاريخ في (دار الكتب العربية) ثم عاد الى فلسطين ليعمل في قطاع الصحافة الفلسطينية الا ان الظروف السياسية التي كانت تسود بلاده حملته على العزوف عن الصحافة ليعمل في القطاع الحر الى ان عين في بنك الامة العربية وبقي يعمل في هذه المؤسسة العربية حتى عام النكبة الاولى فهاجر عام ١٩٤٨ الى القاهرة والتحق باحدى كليات الازهر ونال شهادتها عام ١٩٥٥ . وفي اعقاب هذا العام عاد الى الاردن والتحق بوزارة التربية والتعليم وعين مديرا لثانوية الزرقاء ، وظل يتنقل بين امهات المدن الاردنية مديرا للمدارس الثانوية ، وفي عام ١٩٦٢ عين مفتشا للغة العربية في محافظة القدس.

نموذج من نثره : وعلى هامش نكبة العرب في الخامس من حزيران كتب « مصباح » يقول :

« في الحياة امثلة كثيرة على مرونة طبيعة الانسان وقدرته على التكيف وفق مقتضيات الظروف .

ولئن تفاوت الناس في هذا المضمار فانما يتفاوتون فيه بقدر تفاوتهم بالمؤثرات التربوية العامة ، تفاوتا ما تكاد تمتد اليه يد الاحداث حتى تتركه بددا تتلاشى آثاره وتمحي معالمه . ولا احد يشك في اننا نحن العرب كغيرنا اعضاء فيما يسمونه بـ « الاسرة الانسانية » وان ما يجوز على من يشاركوننا هذه الانسانية من احكام يجوز علينا .

اذن فنحن قادرون على هذا التكيف وفق مقتضيات ظروفنا الراهنة ، هذه الظروف التي لم تعرف مثل شراستها وضراوتها امة معاصرة من أمم هذه الارض ، وخير لنا ان نفعل الآن ما نقدر فعله بمحض ارادتنا واختيارنا ، فنفيد منه ، من ان نرغم غدا على فعله مع الخسارة الماحقة ، خسارتنا وجودنا كامة وتاريخيا كتراث وامجاد .

لنبدأ جميعا ساسة وجماهير رياضة طبائعنا بما يتفق وضراوة المعركة وشراسة العدو . لنتداع الى ان نكون على مستوى الاحداث وصعيد الخطوب ، فتختفي من نفوسنا ومن بين صفوفنا كل العوامل التي تكسب الخصم ثمرات النصر ، وتضع في يده كل أسلحة الغلبة .

ان موطن العلة في كل ما نعاني منه ، وفي كل ما دهمنا من مآس وويلات هو الخلق ، هذا الخلق الذي أصبح مرتعا خصبا لديدان مدنية الغرب العفنة ، وجراثيمها الفتاكة . ديدان اتت على هممنا ، وقتلت في نفوسنا كل معاني العزة والكرامة ، وأحالتنا رجالا ونساء الى دمى فارغة وقوارير هشة ، والى مستنقع من العواطف الرخيصة والرغبات الدنيا ، حتى كان من امرنا ما حصدناه اليوم من ذلة . وما لم نرعو فسنكون كلنا حصاده في الغد ! » .

نماذج من شعره : قرض « مصباح » الشعر في سن مبكرة ، وله ديوان ما زال مخطوطا ، وشعره تاريخ صادق للجهاد العربي بفلسطين، وديوانه حافل بالكثير من الشعر الوجداني والوصفي وشعر الاخوانيات.

أفزع « مصباحا » هذا القلق الشامل الذي يلف العالم ويجعل البشرية تعيش في دوامة من الاضطراب والهلع فصور هذه الظاهرة العالمية بقوله :

شعوب تذوب بفعل الحديد واخرى تسير الى المعمعه
سماء تثور ، وأرض تمور ودنيا لكف الفنا مسرعه
فسحقا لعلم شقينا به ومرحى لجهل أمنا معه

وتطلع « مصباح » الى زحوف اللاجئين الفلسطينيين ... هائمين على وجوههم ، مشردين عن ديارهم ، فخاطب هذا الشعب الصامد الخالد بقوله :

لئن شردوك فلا تكتئب وان عذبوك فلا تنتحب
وان أنكروك فصل ودهم وخل اليهم كريم النسب
وحاذر فديتك ان تشتكي صروف الزمان ووقع النوب
وصبرا جميلا على حكمها فانك « كبش الفدا » للعرب

فيا موقدا جمرة المشرق بمصر تلظى وفي جلق
ويا سيدا أعتق الموثقين وما زال في القيد لم يعتق
ينن فيبكي الثرى تحته وقلب العروبة لم يخفق

ثباتا فمثلك من يثبت وتأبى الهزيمة روح البطل
فغيظك هذا الذي نكبت سيغدو شواظا اذا ما اكتمل
وكهفك هذا الذي تنحت لسوف يهز شفاف الجبل
ونشؤك فيه الذي تنبت محط الرجاء ونبع الامل

بلادي (فديتك) لا تجزعي كبار الاماني لمن يصبر
لئن كان في الوكر من يمكر وان كان فيه الذي يغدر
فما زال فينا الذي يزأر وما زال فينا الذي يثار
شباب بحب الردى يفخر ونشء يموت ولا يقهر

بلادي بنوك على عهدهم وفاء بحبك يا غاليه
قلوب تذوب حنينا اليك ، فما قط سال ولا ساليه
سترسلها مثل قصف الرعود غدا صيحة صيحة عاليه
ففي كل قلب دماء تفور ونفس تطير الى الغاشية
وفي كل برد صلاح وهند يعدان للجولة الثانية

بلادي ! اطمئني فانا هنا نصوغ اليك عقود المهج
بلادي ! استعدي ليوم اللقاء ، فيوم اللقاء وليد درج

ولم ينس « مصباح » وهو الشاعر الرقيق العاطفة ان يصور « الشاعر » بشعر وجداني جاء (لوحة) غنية بالاصباغ ، حافلة بالتلاوين :

خفقة القلب وهمس الخاطر وشجي اللحن دنيا الشاعر
جاء للدنيا كطيف عابر ثم يمضي مثل طيف عابر

فهو احساس ونجوى ووتر ترقص الدنيا على انغامه
وهو ان فاه فانفاس السحر او عبير الزهر في اكمامه

ومنها :

يسكب الروح على اعتابه هادئا حينا ، وحينا ثائرا

سابح كالنجم في آفاقه بين أطياف عذارى من رؤاه
بين جنبيه وفي اعماقه سكرت بالحب أعطاف الحياه

ومنها :

فهو للناس على الارض ذكاء تبعث الدفء ونور للبصر
وهو للمحزون سلوى وعزاء ولصادي الروح ظل ونهر

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدنـاني

اغـلاط شـائعـة

بقلم محمد العدناني

* * *

خـــراف

ويجمعون الخروف على خراف (بكسر الخاء) . والصواب : اخرفـة (بفتح الهمزة والفاء وتسكين الخاء وكسر الراء) واخرفان (بكسر الخاء وتسكين الراء) . اما الخراف (بكسر الخاء) فهـــو : وقت اختراف النخل . (اخترف الثمرة : جناها) .

خـرنـوب

ويخطئون من يستعمل كلمة (خرنوب) بدلا من (خروب) . وكلتـــا الكلمتين صحيحة . والخرنوب (بضم الخاء وفتحها لغية) ، واحدها (خرنوبة) بضم الخاء وجواز فتحها . اما الخروب فهو بفتح الخـــاء دائمـا .

خصوبة الارض

ويقولون : خصوبة الارض . والصواب : خصب (بكسر الخاء وتسكين الصاد) الارض ، او اخصابها او اختصابها .

نقول : خصب (بفتح الخاء وكسر الصاد) المكان يخصب (بفتح الصاد) خصبا (بكسر الخاء وتسكين الصاد) . وخصب (بفتح الخاء والصاد) يخصب (بكسر الصاد) خصبا (بكسر الخاء وتسكين الصاد)، فهو : خصب (بكسر الخاء وتسكين الصاد) ، وخصب (بفتح الخـاء وكسر الصاد) ، وخصيب .

واخصب المكان ، فهو : مخصب (بضم الميم وكسر الصاد) . اما الارض المخصاب (بكسر الميم) ، فهي التي لا تكاد تجدب .

لا يختص بـه

ويقولون : هذا الامر لا يختص به . والصواب : لا صلة له بهذا الامر، او لا شان له به ، او هذا الامر ليس من شانه .

فالعرب تخص الشخص بالامر ، لا الامر بالشخص . اما المعاجم فتقول عن الفعل (خص) : خصه بالشيء ، وخصصه ، واختصـه ، واخصه فتخصص به واختص ، اي : فضله على غيره فانفرد بـــه . (راجع الآية ١٠٥ من سورة البقرة) . ويقول لسان العرب : اختص فلان بالامر وتخصص له : اذا انفرد .

الخضـــار

ويقولون : فلان يحب الخضار (بضم الخـــاء) او الخضروات (بضم الخاء) . والصواب : يحب الخضر (بضم الخاء وفتح الضاد) والخضر (بضم الخاء وتسكين الضاد) ، مفردها : خضرة (بضم الخاء وتسكين الضاد) . ويجوز أن يكون المفرد خضراء ، وجمعه خضراوات (بفتـح الخـاء) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : ليس في الخضراوات صدقـة . يعني بها الفاكهة الرطبة والبقول . وهناك حديث آخر ورد فيه : أتي (بضم الهمزة) بقدر فيه خضرات (بفتح الخاء وكسر الضاد) ، أي : بقول ، واحدها : خضر (بفتح الخاء وكسر الضاد) .

خطـــاب

ويقولون : ألقى فلان خطابا بديعا . والصواب : ألقى خطبة (بضـم الخاء) وجمعها خطب (بضم الخاء وفتح الطاء) ، لان الخطاب هـــو المكالمة ، او المواجهة بالكلام ، او ما يخاطب بـــه الرجل صاحبه ، ونقيضه الجواب .

خطبـة

ويقولون : أعلنت خطبة (بضم الخاء) فلان . والصواب : خطبـــه (بكسر الخاء) فلان ، اي : طلب زواجه بفتاة ، فهي خطبه وخطبتـــه (بكسر الخاء فيهما) وخطبته (بضم الخاء) ، وخطيبـــاه وخطيبته (بكسر الخاء والطاء المشددة فيهما) .

اما الخطبة (بضم الخاء وتسكين الطاء) فمعناها : (١) ما يلقـى من على المنابر . (٢) خطبة الكتاب : مقدمته . (٣) لون كـــدر مشرب حمـرة .

ولا تسمى الفتاة المخطوبة خطيبة ولا الشاب خطيبا ، بل نسميه خطبا (بكسر الخاء وتسكين الطاء) ، او خاطبا .

خطيـر ، خطـورة

ويقولون : موقف خطير . والصواب : موقف ينذر بالخطر او شديـد الخطر ، لان لكلمة (خطير) معاني كثيرة ، منهـا الرفعة والشرف . فنقول : رجل خطير ، اي : رفيع الشأن ، شريف . ومثلها (خطـورة) بضم الخاء ، فنقول : خطر (بضم الطاء) الرجل خطورة ، أي : كان شريفا ، وذا مقام رفيع .

رسم خطـــة

ويقولون : رسم خطة (بضم الخـاء) للمستقبل . والصواب : خط خطة (بفتح الخاء في الاولى وضمها في الثانية) ، او : اختط خطة .

خطف اللص الحقيبة

ويخطئون من يقول . خطف (بفتح الطاء) اللص الحقيبة ، ويقولون : ان الصواب هو : خطف (بكسر الطاء) يخطف (بفتـــح الطـاء) . والحقيقة هي ان كلا الفعلين جائز ، ولكـــن المعاجم تقول بأن خطف (بفتح الطاء) يخطف (بكسر الطاء) جائزة ، ولكنها لغة قليلة رديئة، رغم ان الاخفش قد حكاها ، ورغم أن يونس ، وأبا رجاء ، ويحيى بـن وثاب ، ومجاهدا قرأوا بها قوله تعالى في الآية ٢٠ من سورة البقرة.

اما جميع المصاحف التي بين أيدينا ، فتكتب الفعل خطف (بكسر الطاء) يخطف (بفتح الطاء) كما جاء في الآية العشرين مـــن سورة البقرة ، وكما جاء في الآية ١٠ من سورة الصافات . لـــذا أرى أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطف (بفتح الطاء) يخطف (بكسر الطاء) جائزة ، ولكنها ضعيفة .

أسعار مخفضة

ويقولون : يبيع فلان أثاث بيته بأسعار مخفضة (بتشديد الفاء وفتحها). والصواب : يبيعه بأسعار مخفوضة او منخفضة او مختفضة . لان معنى : خفض الشيء: ضد رفعه. انخفض السعر او اختفض : انحط.

أما الفعل خفض (بتشديد الفاء وفتحها) ، فمن معانيه :

١ ـ خفض القول : لينه .

٢ ـ خفض الامر : هونه ، ومنه قولهم : « خفض عنك » ، أي : هون عليك .

٣ ـ خفض رأس البعير : مده الى الارض ليركبه .

تخفيض الراتب

ويقولون : عاقبوه بتخفيض راتبه . والصواب : عاقبوه بنقص راتبه ، لان التخفيض هو مد رأس البعير الى الارض . ويسمح لنا المجاز أن نقول : عاقبوه بخفض راتبه ، لان الخفض ضد الرفع . ومن يسمح بقول : رفعوا راتبه ، بدلا من زادوه ، عليه ان يسمح بقول : خفضوا راتبه ، بدلا من نقصوه . وما علينا الا ان نقول : نقصوا راتبه أو خفضوه (القاف والفاء في الفعلين مفتوحتان دون تشديد) ، دون أن نخاف العثار .

لا يخفى عن القراء

يقولون : لا يخفى عن القراء . والصواب : لا يخفى على القراء .

راجع الآية ٥ من سورة آل عمران . والآية ٣٨ من سورة ابراهيم. والآية ١٦ من سورة المؤمن . والآية ٤٠ من سورة السجدة .

وراجع التاج واللسان والصحاح والاساس .

ولا أدري على من اعتمد الشريف الرضي حين قال :

وتلفتت عيني ، فمذ خفيت عنها الطلول ، تلفت القلب

ولو قال : (بعدت) بدلا من (خفيت) ، لاستقام المعنى والوزن معا .

اما الفعل أخفى (بالالف المقصورة) فانه يعدى ب (عن) و (على) ، فنقول : لا أخفي (بضم الهمزة) عنك ، ولا أخفي عليك.

دار في خلده

ويقولون : دار في خلد (بضم الخاء وتسكين اللام) فلان ، أي : في باله أو قلبه أو نفسه . والصواب : دار في خلد (بفتح الخاء واللام فلان كذا وكذا . وجمعه : أخلاد .

خلاسي

ويطلقون كلمة خلاسي (بضم الخاء) على الولد من أب أبيض وأم سوداء ، أو أب أسود وام بيضاء . والصواب : خلاسي (بكسر الخاء). ومنه الدجاج الخلاسي : الذي بين الهندي والفارسي . واستعمال كلمتي (خلاسي) هنا هو استعمال مجازي .

خلسة وخلسة

ويقولون : دخل المنزل خلسة (بكسر الخاء) ، وهذه خلسة فانتهزها. والصواب : دخل خلسة (بضم الخاء) ، وهذه خلسة (بضم الخاء ايضا) .

ومعنى الخلسة (بضم الخاء) : الفرصة السانحة . النهزة .

خلس الشيء يخلسه (بفتح اللام في الماضي وكسرها في المضارع) خلسا (بفتح الخاء وتسكين اللام) : سلبه بمخاتلة وسرعة وغفلة .

ومنه قولهم : الخلسة (بضم الخاء) سريعة الفوت ، بطيئة العود .

لا أخلاق له

ويقولون : فلان لا أخلاق له . والصواب : لا خلاق (بفتح الخاء) له. أي : ليس له نصيب وافر من الخير والافعال الحسنة المحمودة . راجع الآية ٧٧ من سورة آل عمران .

أما كلمة « الاخلاق » فتعني الصفات الحميدة والذميمة في الانسان ، وليس في الدنيا من لا توجد فيه بعض الصفات الحميدة أو الذميمة . وهنالك أحاديث كثيرة جاءت في مدح حسن الخلق كقوله (صلى الله عليه وسلم) : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق . وهنالك أحاديث عديدة في ذم سوء الخلق .

وتاتي (الاخلاق) جمعا ل (الخلق : بفتح الخاء واللام) ، وهو البالي .

مباحث أخلاقية

ويخطئون من يقول : مباحث أخلاقية . ويقولون ان الصواب هو : مباحث خلقية ، لان البصريين يرون أن ننسب الى المفرد ، عندما نريد النسب الى جمع التكسير ، الباقي على دلالة الجمعية . فينسبون الى بساتين وكتبة ومدارس : بستاني وكاتبي ومدرسي .

فان لم يبق جمع التكسير على دلالة الجمعية ، بأن صار علما على مفرد ، او على جماعة واحدة معينة ، مع بقائه على صيغته في الحالتين، وجب النسب اليه على لفظه وصيغته ، فيقال في النسب الى القطر العربي الجزائر ، وعلماء ، وقراء ، وأخبار ، وأهرام ، ومماليك ، وأنصار : جزائري ، وعلمائي ، وقرائي ، وأخباري ، وأهرامي ، ومماليكي ، وانصاري . ولا يصح هنا النسب الى المفرد ، منعا للابهام واللبس ، اذ لو قلنا : جزيري أو جزري (بفتح الجيم والزاي) مثلا، لالتبس الامر بين النسب الى القطر الشقيق الجزائر ، والنسب الى جزيرة او جزرة (بفتح الجيم والزاي) .

أما الكوفيون فيجيزون النسب الى جمع التكسير الباقي على جمعيته مطلقا ، سواء أكان اللبس مأمونا عند النسب الى مفرده (نحو : انهاري ، في النسبة الى نهر) ، أم غير مأمون (نحو : جزائري في النسبة الى بلاد الجزائر) .

وحجة الكوفيين أن السماع الكثير يؤيد دعواهم ـ وقد نقلوا من أمثلته عشرات ـ ، وان النسب الى المفرد يوقع في اللبس كثيرا .

وقد ارتضى المجمع اللغوي القاهري رأي الكوفيين ، وجاء في الصفحة الرابعة من محاضر جلسات المجمع في دور انعقاده الثالث :

« ان النسبة الى الجمع قد تكون في بعض الاحيان أبين ، وادق في التعبير عن المراد من النسبة الى المفرد » .

وقد تضمنت الصفحتان العاشرة والحادية عشرة من محاضر ذلك الدور الادلة العلمية ، والدواعي للقرار السالف ، وجاء في ختام تلك الصفحات :

« أهل الكوفة يخالفون أهل البصرة في مسألة النسبة الى الجمع برده الى واحده ، فيجيزون أن ينسب الى جمع التكسير ، بلا رد الى واحده » .

« وهذا هو الاصل العام ، فيقال مثلا في النسبة الى الملوك : الملوكي ، وفي النسبة الى الدول : الدولي (بضم ففتح) ، وفي النسبة الى الكتاب : الكتابي (بضم الكاف وتشديد التاء فيهما) ، فلا تستوي النسبة الى الجمع والنسبة الى واحده » .

« والمجمع انما ينسب الى لفظ جمع التكسير عند الحاجة ، كالتمييز بين المنسوب الى الواحد ، والمنسوب الى الجمع ... » .

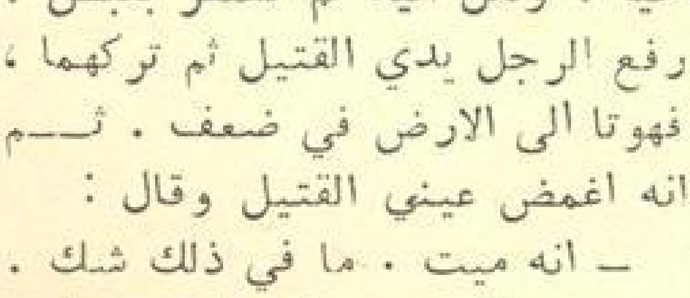
فالمذهبان الكوفي والبصري صحيحان ، لا يفضل احدهما الآخر في سياق معين الا بالوضوح والبعد عن اللبس ، فاذا أمن اللبس ، فالافضل محاكاة المذهب البصري ، لانه اكثر في الوارد الفصيح .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غريب في وطنه

بقلم عبد الحميد الانشاصي



كان متمردا على الاعشاب المخضرة قليلا التي احاطت بجذع شجرة زيتون كثيرة الاغصان كثيفة الاوراق كأنها خيمة تأويه . وكانت الطبيعة من حوله صامتة في جو مشبع بالغموض الشبيه بالوجوم ، الا من حفيف جناحي طائر كان ليتنقل بين الاغصان دون ان يسمع له تغريد . وكانت اشعة الشمس تغتنم فرصة انحسار بعض اوراق الشجرة عن القتيل المتمدد من تحتها بسبب هبوب النسيم اللطيف عليها ، ثم تنحدر تلك الاشعة متناثرة ومقسمة الى اقراص منيرة على جبينه وصدره كأنها قطع معدنية مدلاة من شرط او سمة جادت بها الطبيعة على ذلك الشهيد جزاء له على اعمال مجيرة قام بها . وكان جثمان الشهيد يقع على مقربة من مسلك شقه المزارعون العرب في بساتينهم واراضيهم لكي يتمكنوا من ان يصلوا الى ما يملكون من اراض وبيارات للقيام بأعمال زراعية فيها .

وكانت اصوات عدد من اولئك المزارعين تقترب من المكان الذي تمدد فيه الشهيد شيئا فشيئا ، والطيور تفر نافرة امامهم . وكانوا من حين الى آخر يتمازحون او يتحدثون عن حوادث غريبة وقعت لهم في ماضي حياتهم . ولما انتهوا الى البقعة التي تمدد عليها جثمان الشهيد صاح احدهم قائلا :

ـ ما هذا ؟

(ان هذا الرجل قتيل ، فان هناك دما يسيل منه) .

فتوقف المزارعون عن المسير . وقال احدهم :

ـ ما المسألة ؟

ثم اشار الرجل الاول باصبعه الى الشهيد قائلا :

ـ انظروا ! هذا رجل قتيل .

فاتجهت نظرات الجماعة الى المكان الذي اشارت اليه الاصبع ، وقال بعضهم :

ـ قتيل ؟!

(اجل انه قتيل . هناك دم يسيل منه) .

ثم قال احدهم :

ـ لا شك انه قتيل ، فان دمه يسيل منه .

وتحلق المزارعون حول الشهيد ، واخذوا يجيلون انظارهم فيه .

« ـ ان الدم يسيل من فخذه .

ـ انه ميت ، لا شك انه ميت .

ـ انه رجل غريب ، ليس من ابناء هذا الجهات . ـ هذا الرجل ليس من المزارعين . ـ لعله لص . ـ من قتله ؟ ـ لماذا قتل ؟ ـ يجب ان نعرف من هو . ـ فتشوه لعلكم تعثرون على بطاقة هويته في جيبه » .

وامتدت يد احدهم الى صره ، ثم انبسطت راحتها على قلبه ليتحقق صاحبها ان قلب الرجل ما زال يخفق وان صاحبه ما زال حيا . ولكن اليد لم تشعر بنبض . رفع الرجل يدي القتيل ثم تركهما ، فهوتا الى الارض في ضعف . ثم انه اغمض عيني القتيل وقال :

ـ انه ميت . ما في ذلك شك .

وبعد ذلك دس الرجل يده في معطف القتيل الداخلي ، واخرج بعض الاوراق المطوية وصورة لصبية حسناء لم يشك انها زوجة ذلك الرجل . ثم وقع نظره على بطاقة ، ففتحها فبدت له صورة القتيل وقد فاض وجهه صحة ونظراته ابتساما وشبابا وعزما . وقد بدت على وجهه سمات الاناقة والوجاهة والتهذيب . وقرأ اسمه في البطاقة بصوت مرتفع : « جواد القادري » . فتحلق المزارعون من حوله ، وراحوا يحدقون في صورة القتيل . ثم قال صاحبهم بصوت مرتفع ايضا : « من مدينة رام الله » . وقد حاول احدهم ان ينتزع البطاقة من يده ، ولكنه لم يتمكن من ذلك فقد كان صاحبه ممسكا بها في قوة . ثم نشر هذا الاوراق المطوية بين يديه ، واخذ يقرأ بعض ما كتب فيها بصوت غير مسموع ثم قال : « اهذا رجل فدائي . وهذه مذكراته » . والقى نظرة سريعة على ملابس القتيل ثم قال : « ولكن ملابس الرجل ليست ملابس فدائي » . ثم فتش ثيابه فوق خاصرتيه فلم يجد شيئا من الاسلحة ـ لا مسدسا ولا خنجرا ـ واخيرا جعل يقرأ مذكرات الشهيد بصوت مرتفع ، واصحابه يستمعون اليه :

في ١٥ ـ ١٠ ـ ١٠٦٨

« لقد ذكرتني مدينة رام الله بمسقط راسي . كثيرا ما وقفت على احد مرتفعات هذه المدينة ، واطلقت نظرة طويلة نحو مسقط راسي ، فوقعت عيناي على بعض الابنية الشامخة فيها : المئذنة وجرسية الكنيسة . ثم اطلقت تنهدة عميقة حارة في صمت وتألم . انني اذكر كل شيء في مسقط راسي وان كنت صبيا حينما خرجت منها بعد سقوطها في يد الاعداء . انني اذكر دارنا الفخمة وبيارتنا الواسعة الفناء وبستاننا الحافل باشجار المشمش والكروم والتين والجميز والبرقوق والتفاح واللوز . مرارا ذهبت مع اصدقائي من اولاد حينا الى بستاننا وقطفنا بعض الاثمار الشهية . مرارا اصطفنا فيه انا ووالداي واخوتي . وكنت اضطجع على رمله الاحمر النقي واترجح في ارجوحة بين غصنين من اغصانه . وانا اليوم اقيم بعيدا عن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسقط راسي ، وارى هنا من حين الى آخر بعض الاسرائيليين يروحون ويغدون تارة في سياراتهم العسكرية واخرى مشاة . وحينما انظر اليهم اشعر بغصة في نفسي وبثورة في قلبي تحفزني الى الانتقام من اولئك الذين شردوني انا وامي واخوتي . كان ابي ، وهو مدفون في مقبرة مسقط راسي ، ما زال حيا يدعوني الى العودة اليه ، فانني افكر كثيرا في منزلنا الذي اخليناه هناك ، وتتردد ذكريات المقبرة الى ذهني .

لن انسى تلك الايام التي كنت اذهب فيها مع رفاقي الى اشجار السرر النابتة في المقبرة فنقطف عنها ثمارا حمرا ناضجة وناكلها . وكانت امي تحذرني من قطف شيء من اثمار شجرة السدر التي تظلل قبر والدي . ولما سالتها ما السبب لم تذكره لي . ان الكنز الذي يدخره الانسان في سني طفولته هو ساعات اللعب والمأكل ، والكنز الذي يدخره في سني شبابه هو متع الحب ، وكنزه في عهد رجولته هو النجاح والتغلب على المصاعب ، وكنزه الذي يحتفظ به في عهد شيخوخته هو الخبرة والتجارب » .

في ٢ – ٥ – ١٩٦٩

« لم استطع ان اغضي على ذلك النداء الذي يدعوني الى القتال . لماذا يقاتل الفدائيون وانا ساكت اتسمع اخبارهم ؟ اليس من واجبي ان البي نداء الوطن وافتك بالاعداء الذين فتكوا بنا مرارا ؟ كيف ارضي انا وامثالي المتقاعسون عن القتال ان يخوض عدد معلوم من ابناء وطني باسم الفدائيين معارك ضارية مع العدو دون ان نشاركهم في مهمتهم؟ انهم لا يفتدون وطنهم بارواحهم فحسب بل يفتدون عددا كبيرا من المواطنين الكسالى او الجبناء ايضا. هل نحن قطع جامدة تؤلف اجزاء من الارض الجامدة ؟ اننا بذلك نخون امنا الارض التي خلقنا منها ، وعدم افتدائنا اياها معناه التفريط فيها وعدم الاهتمام بها . لقد تعرفت بفدائي شهم، وطلبت منه ان يعطيني بعض الاسلحة لمقاومة الاعداء وان يدربني على استعمالها . فأعجب بحماستي ، ولم يجد في ذلك باسا » .

في ١٢ – ٨ – ١٩٦٩

« واخيرا تدربت على استعمال المسدس والرشاش وقذف القنابل اليدوية وزرع الالغام . خرجت من المدينة متلثما ، ومشيت مسافة طويلة مبتعدا عنها . ولما انتهيت الى الطريق التي تؤدي الى معسكر الاعداء زرعت لغما فيها ، ثم مضيت



عبد الحميد الانشاصي

★

الى شجرة ضخمة لفاء ، واختبات خلف جذعها . وانتظرت ريثما لاحت لي سيارة قادمة من بعيد ، واستعددت لاطلاق الرصاص اذا اضطررت الى ذلك . ولما اقتربت السيارة وجدتها مدنية . وكان ركابها من العرب . فوقفت في عرض الطريق وصحت بأعلى صوتي قائلا : « قفوا ! قفوا ! قفوا مكانكم ! »

ثم اشرت لهم الى طريق فرعية ، وطلبت منهم ان يسيروا بسيارتهم فيها مبتعدين عن الطريق الرئيسية مؤقتا اذ لا بد ان يعودوا اليها بعد قطع مسافة قصيرة من الطريق الفرعية . ولم يسالوني ما السبب في ذلك فقد وقعت عيونهم على الرشاش الذي تنكبته ، وادركوا انني من رجال المقاومة . ولما مضت السيارة عدت الى الشجرة واختبات وراءها . وبعد مضي نحو نصف ساعة قدمت سيارة عسكرية ، فشعرت بغبطة عظيمة ، واستعددت لاطلاق النار ان اقتضى الامر ذلك. وما هي الا بضع دقائق حتى سمعت دويا هائلا ، ورايت قطع السيارة واشلاء الركاب تنطلق متناثرة في الهواء في جو من اللهب والدخان . شعرت في تلك اللحظة ان جانبا كبيرا من همومي قد اختفى من ذهني ، فان بعض همومي قد تمثل في تلك السيارة المحطمة » .

في ٧ – ٩ – ١٩٦٩

« في هذه المرة احتطت للامر . عدلت عن زرع الالغام في طريق المعسكر لئلا تقع سيارة ركابها من العرب في فخ اللغم . صممت في هذه المرة على استعمال القنابل . اختبات وراء صخرة مشرفة بعيدة عن المكان الذي تحطمت فيه سيارة الاعداء وقريبة من الطريق وانتظرت، وبعد ربع ساعة تقريبا رايت احد الجنود الاسرائيليين يقترب مني ، فاستغربت مجيئه الي . قلت له : « ماذا تريد ؟ » . فقال في هدوء : « اعطني بطاقة هويتك » .

– « لماذا ؟ » .

– « اريد ان اطلع عليها » . اخرجت البطاقة من جيبي وناولته اياها . ولما فتحها واطلع على اسمي وصورتي قال : « تعال معي » .

– « الى اين ؟ » . وقبل ان تمتد يده الى مسدس موضوع على جنبه تناولت مسدسي واطلقت عليه ثلاثة عيارات نارية اردته قتيلا . ثم جررت جثته الى حفرة والقيتها فيها ، وقلت في نفسي : « ان احد

واشين اطلع السلطات الاسرائيلية على حقيقة امري » . ولكنني لم افقد شجاعتي بل عدت الى الصخرة التي كنت مختبئا وراءها . وبعد قليل قدمت سيارة عسكرية كبيرة فغافلت من فيها من الجنود وقذفت عليها قنبلتين يدويتين قتلتا وجرحتا عددا كبيرا من الجنود . وسمعت بعض الرصاص يطلق نحوي ، ولكنني فررت وتمكنت من النجاة» .

في ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٩٦٩

« ان نشوة الانتصار على اعدائي حدثني على الفتك بعدد آخر منهم . وفي ذات يوم كنت أسير في احد الشوارع ، ولم اكن في ذلك الوقت مسلحا . وما هي الا دقائق معلومة حتى رايت شخصا مرتديا ملابس مدنية قادما نحوي . ولما ناداني طلب مني ان اقف . وسمعت صوت رجل آخر يصيح من ورائي : « اياك ان تهرب . ان هربت قتلتك في الحال » . فلم اجد بدا من الاستسلام . وقد تبين لي بعد ذلك ان الرجلين هما جنديان اسرائيليان متخفيان ببدلتين مدنيتين . مضيا بي الى السجن لتعذيبي كما يعذب غيري من رجال المقاومة .

ولما دخلت السجن وضعت في غرفة مظلمة كريهة الرائحة قذرة الارض . ثم جاءني احد الاسرائيليين المحققين ، واخذ يستجوبني بنغمة هادئة تبدو ودية ، ولكنه لم يفز بطائل ، فلم يجد بدا من تهديدي . ولكنني لم اعبأ بتهديده . جردني بعض رجال الشرطة من ثيابي واخذوا يلذعون جسمي بأطراف السجائر المتقدة . فشعرت بألم شديد ولكنني صبرت . ثم انهم ضربوني بالسياط ، **فالتهب جسمي** من الضرب ، وكدت اقع مغمى علي . وبعد ذلك اراحوني قليلا ، وعاد المحقق لاستنطاقي . غير ان ذلك لم يعد عليه بنفع ، **فضربني** رجال الشرطة بقضبان من الحديد . فشعرت ان عظامي تتكسر تحتها ، ووقعت على الارض منهوك القوى ضئيل الحركة وكدت اعترف . ثم اراحوني بعض الوقت ريثما استرد وعيي .

وبعد ساعة عاد المحقق الي مرة ثالثة ، غير انه فشل في مهمته . وفي هذه المرة اطلقوا علي كلبا شرسا ضخما . وكنت قد استرددت جانبا كبيرا من قواي . فقاومت الكلب في شجاعة غريبة لم اكن اتوقعها . وراح رجال الشرطة يضحكون من الصراع الذي جرى بيني وبين الكلب . غير انني اصبت بخدوش عميقة في اجزاء عديدة من جسمي . ولما اظهرت لرجال الشرطة ثباتا غريبا امام الكلب ذروا الملح على جروحي واخذوا يفركونه في قوة فصحت متألما . وبعد بضع دقائق اعيد التحقيق ، ولكن بلا جدوى . واخيرا وضعوني في حفرة في مثل طولي ارتفاعا ، ثم طمروا جسمي بالتراب ما عدا راسي فقد ابقوه خارج الحفرة ، وراحوا يركلون راسي باقدامهم ويصفعون علي . وقد شعرت باختناق شديد وضيق لا مثيل له . واخذت اصيح بصوت مختنق . احسست بأنه لم يبق بيني وبين الموت سوى لحظات ، وان الحفرة التي القيت فيها هي في الواقع قبري وقد دفن جسمي فيها ولم يبق الا ان يدفن راسي . وكدت انفجر من الضيق والغيظ . واستغربت ان تبلغ الوحشية بمعذبي هذا المبلغ .

ان التحقير الذي صبوه علي والوان العذاب التي اذاقوني اياها حولتني الى كتلة ضخمة من السخط ، ولو كنت في تلك الساعة منطلقا خارج الحفرة لهجمت على اعدائي لاخنقهم جميعا دون ان ابالي بالنتيجة . ولكن عجزي عن القيام بذلك العمل ويأسي من تخلية سبيلي كادا يطلقان صوتي بكلام اعدهم به ان اعترف بكل شيء . غير انني عاهدت نفسي ان افتدي الوطن بروحي . ليقتلوني . ليميتوني . لقد استشهد كثيرون من رجال المقاومة من قبلي . فلأمت كما ماتوا . لقد قمت بواجبي وفتكت بعدد كبير من الاعداء فاستراحت نفسي . فان مت مت مستريح البال مطمئن النفس .

واخيرا ازالوا عني التراب واخرجوني من الحفرة ، ومضوا بي الى حجرتي في السجن . وعاد المحقق الي وبذل جهدا عظيما في اقناعي بضرورة الاعتراف له بما فعلت . ولكنني اكدت له انني بريء من ذلك . فلبثت في السجن خمسة اشهر . ولما عجزوا عن الفوز بدليل يثبت ما اسندوه الي من التهم خلوا سبيلي » .

في ٥ ـ ٤ ـ ١٩٧٠

« لقد ظننت انني افلت من السلطات الاسرائيلية ، ولكنني ما لبثت ان ادركت انهم يتتبعون اخباري ويسعون لانزال المزيد من التعذيب بي . منذ يومين نسفوا منزلي الذي شيدته بالمال الذي خرجت به من مسقط راسي وبالمال الذي اكتسبته من الاتجار بالملابس الداخلية وقطع الملابس الصغيرة في « رام الله » . وها قد اصبحت بلا مأوى . ومما زادني الما ان منزلي تهدم على جميع ما فيه من أثاث وعلى نقودي التي خبأتها في خزانتي . وفقدي لمنزلي في رام الله ذكرني بمنزلي الذي فقدته في مسقط راسي . فصممت على وضع زوجتي واولادي في منزل احد اخوتي مؤقتا ريثما اسافر الى مسقط راسي لاتفقد منزلي هناك واري ما حل به وببيارتنا وبستاننا واراضينا » .

في ٤ ـ ٦ ـ ١٩٧٠

« سافرت الى يافا ومنها الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسقط راسي . تجولت هناك قليلا، ثم توجهت الى منزلنا لارى ما حل به . كنت أسير في شوارع الحي في بطء متلفتا حولي في انتباه واهتمام . لم يقع نظري على باعة الهريسة والنمورة من العرب الذين كانوا ينادون على بضاعتهم قبل ان يحتل الصهاينة القسم الغربي من فلسطين . لم أسمع صوت محمود أيوب وهو يدعو الاطفال الى شراء قضبان الحلوى منه بصوته الجهوري الرنان . رأيت بدلا منهم رجالا ونساء غرباء يروحون ويغدون بوجوههم البيض وقبعاتهم وبنطلوناتهم الكاكية القصار . لم اصادف في طريقي احدا من المزارعين الذين كانوا يقصدون اراضيهم لفلاحتها وزراعتها ، او يعودون منها بأحمال من الحطب او الاغصان محمولة على دوابهم . لم ار اطفال الحي وهم يلعبون في الشوارع والساحات في فرح وابتهاج .

مشيت في الشارع الذي يقع فيه منزلي ، ولكنني لم التق احدا من جيراني : ابي يوسف العاملي وعثمان حسنين ولطفي رشاد وهم خارجون من منازلهم لمزاولة اعمالهم او عائدون اليها لقضاء حاجات لهم . المنازل كما هي لم يتغير منها شيء سوى الاصوات العربية التي كانت تعمرها . سمعت الآن اصواتا يهودية تملأ اذني . شعرت انني غريب وان كانت المنازل التي حولي عربية الحجارة والابواب والنوافذ . وقفت امام منزلي مجيلا بصري في جدرانه وبابه ونوافذه . انه كما هو . غير انه اضحى الآن ملك رجل آخر بعد ان كان ملكنا . ومما غاظني انه ليس في امكاني ان ادخل داري واتفقدها . لقد اشتقت الى الجلوس في غرفة الاستراحة التي تعودت الجلوس فيها ، والى الاضطجاع في غرفة النوم التي تعودت ان انام فيها . ترى ماذا جرى لسريري ولخزانة ثيابي وطاولة الطعام والكنبات والكراسي التي الآن فيه ؟ وهل اشجار الحديقة المثمرة كما هي ؟ هل النبتات المزهرة على ما كانت عليه من قبل ؟

انطلقت التنهدات العميقة من فمي ، وحبس شيء من الدمع في عيني . ثم ادرت وجهي عن المنزل في تألم ، وسرت مبتعدا عنه ومتوجها نحو بستاننا واراضينا الواقعة في خارج المدينة . بلغت البستان وكلي شوق الى قطف شيء من اثماره . القيت نظرة على ارضنا الملاصقة له فوجدتها زاخرة بسنابل القمح الشقر . وكانت تتمايل في بطء كرؤوس مثقلة بالاحزان . تجولت في البستان وقطفت قليلا من المشمش واخذت التهمه في لذة وشره . لم أجد في البستان احدا من الصهاينة . تفقدت الكروم وشجرة الجميز الضخمة واشجار التوت وتناولت شيئا من ثمارها . وتفقدت شجرة التين التي كنا نصطاف تحتها . ثم جلست على الرمل الاحمر النظيف كما كنت أفعل وأنا طفل ، وتناولت منه ملء كفي واخذت أتأمله في شوق وغبطة واعجاب .

وبعد ذلك خرجت من البستان ، ورحت اتفقد ارضنا المزروعة قمحا . ان هذا القمح لقوم غرباء ولكنه نابت من أرضنا . واخذت اتساءل في نفسي : « بأي حق ينبتون هذا القمح من ارضنا ؟ انهم يستغلون ارضا ليست لهم . انني لا اطيق صبرا على رؤية هذا القمح نابتا من ارضي » . ثم خطرت لي فكرة . لم لا احرق هذا القمح كله . يجب الا ادع الاعداء يستفيدون منه . ثم اعملت فكري مليا وتخيلت المسجد الاقصى واللهب والدخان يتصاعدان منه . لقد غاظني ان يتمكن الاعداء من احراقه . حريق المسجد الاقصى حفزني الى احراق سنابل القمح . نعم لا بد من احراقها فهي نابتة من أرض عربية . اخرجت علبة الكبريت من جيبي ، ثم تناولت منها عودا واشعلته . وبعد ذلك القيته على سنابل القمح الجافة فسرت النار فيها في سرعة مدهشة . راحت النار تلتهم السنابل وسيقانها زاحفة على الارض ونافثة دخانها في السماء . وكنت واقفا اتفرج على الحريق مغتبطا متشفيا .

واخيرا ظهر رجل — لم اشك انه اسرائيلي — في الجانب الآخر من الارض ، فراى ما جرى للزرع . ولما وقع نظره علي صاح قائلا : « ماذا تفعل هناك ؟ » . ولكنني لم اجبه . ثم وليته ظهري وفررت عائدا . فأطلق علي رصاصتين اصابتني احداهما في فخذي ، فلم استطع مواصلة الركض ، ثم اضطررت الى التمدد على الارض والدم يسيل من فخذي . غير انني ما زلت قادرا على كتابة مذكراتي حتى اللحظة الاخيرة وان آلمني جرحي واصابت يدي رعشة الضعف . وذيلت مذكراتي بكلمة وجهتها الى من يصادفني في طريقه بعد موتي ورجوته فيها ان يدفن جثماني في قبر ابي . وقد وصفت القبر وموقعه من المقبرة . ثم طويت اوراق مذكراتي ووضعتها في جيبي الداخلي في صعوبة ، وانتظرت اللحظة التي افارق فيها الحياة . وكنت في تلك اللحظة راضيا عما قمت به من واجب تجاه وطني ، ومرتاح النفس لاضطلاعي بالمسؤولية التي القيت على عاتقي » .

لم يكد المزارع يفرغ من قراءة المذكرات وذيلها حتى انقبضت وجوه اصحابه من شدة الاسى والاسف ، وجعل بعضهم ينظر الى بعض مثنين على الاعمال المجيدة التي قام بها الشهيد ، جواد القادري ، ومرددين كلمات ملؤها الاسى والاسف على موت ذلك الشاب المقدام الذي ضحى بنفسه في سبيل مبدئه وخدمة امته . واخيرا حملوا جثمانه وعادوا الى المدينة ليدفنوه في القبر الذي دفن فيه والده .

عمان — الاردن عبد الحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



وفيات الاعيان

تاليف ابن خلكان ـ تحقيق الدكتور احسان عباس ـ المجلد الاول ـ ٤٩٢ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطبعة الغريب ببيروت

وفيات الاعيان كتاب جليل ـ ولا أزيد . وقد طبع مرارا دون أن تنهيا الطبعة اللائقة به . وكان استاذنا الدكتور مصطفى جواد يستحسن طبعة طهران . اما الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد مفتش العلوم الدينية والعربية بالجامع الازهر فقد استفله ـ شانه ـ عفا الله عنه .

اما طبعة وستنفلد (١٨٣٥ ـ ١٨٥٠) ففيها شرائط التحقيق العلمي ، ولكنها اصبحت قديمة ، عرف بعدها من المخطوطات الكثير ، وجد من المصادر الاكثر . ولو كان وستنفلد حيا في زماننا لما ارتضى لطبعته ان تقف حيث وقفت ولاتحفنا بجديد يعتمد مخطوطات جديدة .

وظل الناس بانتظار الطبعة المتقنة الكاملة ، ولعلهم يأملون أن تتضافر جهود مجموعة من المحققين لانهم يعلمون ان وفيات الاعيان خضم متلاطم الامواج . وظلوا ينتظرون وكانت فجيعتهم بمصطفى جواد مما عكر هذا الانتظار وكدره .

والدكتور احسان عباس باحث محقق معروف ، ولم تكن لتشغله الاندلس عن العلم بقدر « الوفيات » وحاجة الناس اليه ، فتصدى للامر وحده ، ولا بأس ، فان الرجل متعدد النواحي كثير الصبر عارف بالمصادر ... ولكن الخشية فيه ان تكون وراءه دار نشر تستعجله لعلمها بالسوق وجهلها بالعلم . وقد حدث هذا كثيرا ، ولكن المسالة مع الدكتور احسان عباس تبقى أقل خطرا ما هي عليه مع غيره ، فجاء المجلد الاول من تحقيقه الوفيات مقبولا وكان ممكنا ان يكون جيدا وجيدا جدا .

اعتمد الدكتور احسان عباس طبعة وستنفلد اساسا رئيسيا لعماله أو انه لم يتخذ غيرها ولم يحد عن نهجها ، ولكنه بدل أن يصورها بالاوفست زاد عليها فوائد الضبط بالشكل لاشياء يحسن شكلها ، وهوامش على التراجم تبين أهم المصادر الاخرى لتلك الترجمة قبل ابن خلكان وبعده ، ومقابلة هنا ومقابلة هناك .

هذا مقبول ومطلوب ، ولكنه دون المنتظر من الدكتور احسان عباس ، وكان الموقف يقتضي قليلا من الانتظار وقليلا من البذل ، وان يصدر المجلد الاول سنة ١٩٧٠ (او بعدها) بدل ان يصدر سنة ١٩٦٨ . وفي هذين العامين ما يلزم للنضج وخدمة الباحثين والمحققين والقارئين . واذا استوفى الوليد مدة الحمل جاء سليما معافى ... صحيحا ، وسار نموه كذلك : تعب قليل في البداية يوفر وقتا وجهدا في المجلدات التالية .

ماذا كان يمكن أن يعمل الدكتور احسان عباس خلال هذين العامين ؟ اشياء كثيرة . منها ، من اهمها : العلم بالنسخ المخطوطة في العالم ، وجد في الحصول على صور لها ربما في ذلك ما يمكن الحصول عليه من نسخ وستنفلد ـ وهذه النسخ موجودة في المكتبات، معروفة في انكلترة وتركية والقاهرة وغيرها، واذكر اني رايت منها شيئا ينفع في باريس وطهران .

ولم يعد الحصول على صور للنسخ مستحيلا ، كما لم يعد التحقيق دون الاطلاع على المخطوطات ودراستها واعتماد الاصح منها ... تحقيقا .

وفي هذين العامين ، يدرس الدكتور احسان عباس الطبعات السابقة ـ وليكن عددها ما يكون ، لان قارىء الطبعة الجديدة يريد ان يعرف فضل طبعة على أخرى ونقص طبعة عن ثانية . ثم ان المحقق قد يجد في هذه الطبعات ما لا يجد في المخطوطات التي بين يديه . وقد يجد فيها من الخطأ ما يرى أن ينبه القارىء اليه .

وفي هذين العامين ، يدرس الطبعة التي ازاءه ، أي طبعة وستنفلد ، فقد يرى في ترتيبها ما يحسن أن يتدخل فيه ، لا سيما انه لا يعتزم اعادتها كما هي ، وانما هو يعيدها كما يريد ان ينتفع بها القارىء . وقد يرى ان يعيد الملحقين الذين وضعهما وستنفلد ـ لظروف خاصة ـ في آخر الكتاب الى صميمه موزعا اياهما على المواد المتصلة بها او في ذيل قصير لتلك المواد ـ بعد التاكد من صحتها ، بالطبع .

ثم يدرس طبعة وستنفلد ، فقد يرى فيها اشياء اخرى ، وقد يضرب عن ان يتخذها أساسا. ولم يتخذها أساسا وهو يعتزم التحقيق؟ والتحقيق لا يعتمد المطبوعات . ولم يتخذها ؟ وقد توافرت لديه ـ خلال البحث والعمل والانتظار والتامل ـ مخطوطات تكفي لان تكون هي الاساس ، وتكون ـ معها ـ طبعة وستنفلد مساعدا يرجع اليه استئناسا .

ولكن المجلد الاول من « وفيات الاعيان » قد صدر على الشكل الذي صدر عليه : طبعة وستنفلد مع فوائد . ولم يكن الدكتور احسان عباس غير مدرك لمتطلبات معنى التحقيق الصحيح وطلبات القراء العارفين ، مما دفعه الى القول انه بذل جهدا في الحصول على مخطوطات اخرى ، وانه استانس في مراجعة المجلد الاول من عمل وستنفلد بالمخطوطة التي رمز اليها بالحرف « م » (نسخة المتحف البريطاني ، رقم ١٥٠٥ ...)

ولكن هذا لا يقنع أهل العلم ، بل انه قد يفتح باب الملاحظة على مصراعيه ، لانه لو قال اني وجدت تحقيق وستنفلد جيدا فعملت على ان اقدمه للقارىء كما هو مع فوائد مناسبة ، لما طالبه مطالب بالزيادة. أطالبه مطالب يوم أعاد ـ بالاشتراك مع الدكتور محمد يوسف نجم ـ طبع « الشعر والشعراء » بتحقيق دي غويه ؟ اما وقد قدم وفيات الاعيان على أنه تحقيق ، وانه جد في البحث عن المخطوطات ، وانه وجد منها ما رمز اليه بالحرف « م » ... فقد عرض نفسه للمطالبة بالشرائط .

ثم أين هي الاستفادة من النسخة « م » ؟ اين هي « م » في الحواشي ؟ تبحث عنها فلا تراها ـ ولا تكاد تراها ان اردت الاحتياط لنفسك .

وتسأل ، وتطالب باشياء أخرى يجرك الى المطالبة بها النهج الذي اختاره المحقق في التحقيق .. ارجو ان يتسع الوقت لبيانها اسهاما بالممكن في خدمة « وفيات الاعيان » وطمعا بالاقتراب من التحقيق الامثل . والا فالدكتور احسان عباس علمه وخبرته وذكاؤه ، وان كنا نود لو كان خضوعه لاصول التحقيق أقوى من استجابته لدار النشر .

الا ان بالمجلد الاول من وفيات الاعيان حاجة الى اعادة الطبع محققا . وقد يتولى الدكتور احسان عباس نفسه هذه المهمة . ولم لا ؟

بغداد ـ كلية الآداب

علي جواد الطاهر

فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ١٩٢٨ ـ ١٩٦٨

تأليف محمد حسين الصغير ـ (؟) صفحة ـ دار الصادق ببيروت١٩٦٨

شهدت السنوات العشر الاخيرة محاولات متعددة لدراسة صدى مأساة فلسطين في الادب العربي المعاصر ، وملامح المقاومة فيه، وفي مقدمتها: « في شعر النكبة » لصالح الاشتر (دمشق ، ١٩٦٠) ، و « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » لكامل السوافيري (القاهرة : ١٩٦٤) ، و « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٦ » لغسان كنفاني (بيروت : بلا تاريخ) ، و « ديوان الوطن المحتل » جمعه وقدم له يوسف الخطيب (دمشق : ١٩٦٨) . ولعل من اهم متطلبات دراسة فبيرة ، ان لم تبن كل شيء بالنصوص الادبية ، محاولين الوقوف على ما قيل في المأساة من قصائد ، او الف من قصص وروايات ومسرحيات وغيرها من الاعمال ، سواء نشرت في كتب مستقلة ام تناثرت في الصحف والمجلات . ونحن لا نزال نفتقر الى محاولة شاملة لمسح ادبنا المعاصر من هذه الوجهة ، وبسبب هذا الافتقار وحده ، علينا ان نرحب بأي جهد يسهم في تحقيق هذا المسح . ومن الجهود التي لفتت نظري ، دراسة الاستاذ محمد حسني الصغير : فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ١٩٢٨ ـ ١٦٦٨ . وتهدف الدراسة ـ كما يدل عنوانها ـ الى التعريف بما انتجه شعراء النجف المعاصرون من قصائد تعكس مأساة فلسطين خلال اربعين عاما (١٩٢٨ ـ ١٩٦٨)، ولم يجد صاحبها بدا من اخضاع هذا النتاج الشعري الثر الى اتجاهات خمسة اسماها بالاتجاه الفلسطيني ، الاتجاه العربي ، الاتجاه الاسلامي ، الاتجاه العربي ـ الاسلامي ، والاتجاه الوجداني .

١ ـ ويعني المؤلف بالاتجاه الفلسطيني ما اتخذ كفاح الفلسطينيين اساسا لحل القضية الفلسطينية ، وان كان لا يهمل مسؤولية الاقطار العربية الاخرى في دعم كفاحهم ـ والشعراء الذين تناولهم المؤلف كممثلين لهذا الاتجاه : محمد مهدي الجواهري ـ محمد جمال الهاشمي ـ حسني محمد الصغير ـ عبد الهادي الشرقي ـ محمد رضا آل صادق . (ص ٥٧ ـ ٩٤) .

٢ ـ الاتجاه العربي وهو ما يقوم « على اساس علاج القضية الفلسطينية وتقليص آزمتها عن الطريق العربي كمشكلة قومية لا تحل الا على الصعيد القومي » ، وممثلو هذه الاتجاه : عبد الحسين الحلي ـ محمد مهدي الجواهري ـ محمود الحبوبي ـ عبد الغني الخضري ـ ابراهيم الوائلي ـ ضياء الدين الخاقاني ـ (ص ٩٧ ـ ١٩٦) .

٣ ـ الاتجاه الاسلامي وهو ما يتجاوز البعد العربي في معالجة المشكلة الى اعتبارها موضوعا اسلاميا يهم الدول الاسلامية كافة ، نظرا لمنزلة فلسطين الدينية . والشعراء الذين أكدوا على هذا الجانب ـ ومعظمهم من رجال الدين ـ هم : حسين بحر العلوم ـ محمد آل حيدر ـ جعفر الهلالي ـ محمود البستاني ـ محمد صالح جعفر الظالمي (ص ١٧٣ ـ ١٩٨) .

٤ ـ الاتجاه العربي ـ الاسلامي وقد عرفه المؤلف بانه « يتناول القضية الفلسطينية على صعيد عربي اسلامي بآن واحد ، ويرى شعراؤه ان حل المشكلة لا يتاتى الا بتضافر جهود العرب والمسلمين » وتميله من الشعراء : محمد علي اليعقوبي ـ عبد المهدي مطر ـ صالح الجعفري ـ علي الصغير ـ عبد المنعم الفرطوسي ـ احمد الوائلي (٢٠١ ـ ٢٦٦) .

٥ ـ الاتجاه الوجداني وهو يقوم ـ حسب مفهوم المؤلف ـ « على أساس تجديد الارادة ، واثارة الحمية واعداد القوة ، وتجسيد مآسي النازحين ، وما آلت اليه الحالة في فلسطين ، وما عليه ابناؤها من بؤس والم وتشريد » وشعراء هذا الاتجاه : محمد الخليلي ـ عبد الكريم الدجيلي ـ احمد الموسوي الهندي ـ عمار سميسم ـ عبد



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 / المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصاحب الدجيلي ـ جواد شبر ـ يحيي الصافي ـ محمد بحر العلوم ـ احمد الصغير ـ حميد فرج الله (٢٦٩ ـ ٣١١) .

وبالاضافة الى هذه الاتجاهات ، خصص المؤلف جزءا من الكتاب لفلسطينياته ـ وهي خمس قصائد قيلت في مناسبات مختلفة ـ وقد ذكر نصوصها من غير تحليل (٣١٥ ـ ٣٤٠) . كما انه تناول في المقدمة (١٥ ـ ٥٥) منهج البحث ، والهدف ، وتاريخ فلسطين ، وتاريخ النجف السياسي والفكري المعاصر . ومن مزايا دراسته انها ضمت فهارس تفصيلية منوعة ك « فهرس الاسر والقبائل والاجناس » و « فهرس الاعلام » و « الجوامع والجامعات والجمعيات » ، و « تراجم الشعراء » و « البلدان والبقاع والانهار والدول » و «تطالع القصائد»، فهيأت للقاريء أداة تغنيه مشقة البحث عما يهمه من الموضوعات .

ومما لا شك فيه ان الاستاذ الصغير قد اسهم مشكورا في توضيح اصداء القضية الفلسطينية في جزء مهم من نتاجنا الادبي المعاصر ، وانه قد بذل جهدا كبيرا في جمع مواد دراسته التي شملت « ٣٢ » شاعرا ، واعد مصدرا قيما لمن يريد الوقوف على مدى الاستجابة او عمقها في معالجة الشعر العربي المعاصر لمأساة فلسطين ، غير ان لدي بعض الملاحظات او الاسئلة حول منهجه واسلوب معالجته لبعض الموضوعات ، وفي مقدمتها ما يتصل ببدء معالجة الشعر النجفي لمشكلة فلسطين .

ان تحديد المعالجة الاولى : (١٩٢٨) يدعو الى التساؤل ـ ان لم يكن الارتياب ـ نظرا لما يعنيه من تاخر نسبي في استجابة شعراء النجف ، اذ ان هنالك بين وعد بلفور ١٩١٧ وهذا التاريخ احدى عشرة سنة ظهرت خلالها قصائد عربية اخرى تتناول المشكلة كقصيدة الشاعر اللبناني وديع البستاني « الدولة الرضيع » التي قيلت في ١٩١٧ (١) وبعض قصائد الشاعر السوري خير الدين الزركلي التي يرجع تاريخها الى سنة ١٩١٩ (٢) ، وقصيدة الشاعر العراقي الرصافي الموجهة الى هربرت صموئيل عام ١٩٢٠ (٣) . ومما يثير الاستغراب ان بعض شعراء النجف المعروفين كمحمد رضا الشبيبي وباقر الشبيبي وغيرهما قد عاصروا الاحداث العربية التي اعقبت الحرب العالمية الاولى ، وتناولوها في شعرهم ، وان مدينة النجف لعبت دورا مهما في الثورة العراقية ، ولم تكن بمعزل عن القضايا العربية الاخرى . ولهذا يخيل الي ان من الضروري الوقوف مليا عند هذا التاريخ (١٩٢٨) وتفسير ظاهرة التأخر في استجابة الشعر النجفي للمشكلة ان لم نعثر على ما يشير الى معالجته للموضوع قبل هذا التاريخ .

والملاحظة الثانية ذات علاقة بمنهج المؤلف . لقد ذكرت انه آثر اخضاع الشعر النجفي الى خمسة اتجاهات ، ولكن اذا تاملنا في النماذج التي اختارها كامثلة لتلك الاتجاهات لوجدنا ان من العسير التمييز بين اتجاه وآخر وليس هذا بمستغرب لسببين اولهما رؤية الشعراء النجفيين انفسهم التي تجمع بين العروبة والاسلام والثاني علاقة فلسطين الوثيقة بالدين والعروبة ، ولهذا نجد ان الشعور القومي والحس الديني يظهران متلازمين في كثير من القصائد التي عالجت فلسطين ، واذا جاز لنا ان نعتبر مدى التاكيد على كل من العروبة والدين معيارا لتقسيم الشعراء ، لكان من الافضل تناول معظمهم وفق الاتجاهين الديني والقومي . ولنأخذ امثلة توضح صعوبة تطبيق معايير المؤلف الخاصة بالاتجاهات الخمسة . فهو يعتبر مثلا عبد الغني الخضري من ممثلي الاتجاه العربي ، ولكن العنصر الديني في شعره يبدو اكثر وضوحا فهو يتحدث بلغة دينية عن المشركين الكفر ، وعن خصوم طه والمسيح ، والقبلة الاولى ، ومعراج النبي ، وغير ذلك من الصور الدينية التي تستدعي اعتباره ممثلا للاتجاه الديني او ممثلا لما اسماه بالاتجاه العربي ـ الاسلامي .

ولا ادري الحكمة في ان يعد علي الصغير ممثلا للاتجاه العربي ـ الاسلامي ، وتأكيده على الدين كحل يلفت النظر اكثر من نهج اولئك الذين اعتبروا ممثلين للاتجاه الاسلامي . انظر هذه الابيات المتفرقة من قصيدته « المجاهد العربي » (٤) :

ويرون جامعة بغير تمسك ... في الدين ليس تيم منها مقصد
ويرون (جامعة) بغير (محمد) ... يدعى لها وبدينه تسترشد
ويرون جامعة (النبي محمد) ... اسمى وارفع في الجهاد وأحمد
ولقد اقول لمن تفرق شملهم ... الدين وحد شملكم فتوحدوا

والقصائد التي ذكرها المؤلف (٥٧١ ـ ٥٧٧) لاحمد الهندي ، ومحمد الخليلي وعبد الكريم الدجيلي ضمن الاتجاه الوجداني يمكن اعتبارها عربية الاتجاه ، فهي تتحدث عن المجد العربي ، وعن الوحدة العربية كأساس لحل المشكلة . ثم عناصر هذا الاتجاه « تجديد الارادة، واثارة الحمية واعداد القوة ، وتجسيد مآسي النازحين » .. الا نجدها متناثرة هنا وهناك في قصائد الشعراء الذين لم يشملهم هذا التقسيم؟ ان هذه الامثلة ، وهناك امثلة اخرى ، تتطلب في اعتقادي اعادة النظر في منهج المؤلف ، واسس هذه الاتجاهات الخمسة .

ومما يتصل بمنهج المؤلف المعايير التي اتبعها . في اختيار «٣٢» شاعرا ، وهي لا تبدو واضحة . أهي معايير كمية ؟ نوعية ؟ ام معايير فرضتها ظروف سياسية معينة ؟. لماذا اهمل ذكر عدد من الشعراء اهمالا تاما كشاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم ، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، وعلي البازي وغيرهم ممن تناولوا في شعرهم مأساة فلسطين ؟ ولماذا اوردت اسماء عدد من الشعراء من غير امثلة شعرية ذات علاقة بالموضوع كالشاعرين احمد الصافي النجفي وعلي الشرقي ؟ لقد ذكر الاستاذ عبد الكريم الدجيلي (٥) بعض الامثلة التي تشير الى اهتمام هؤلاء الشعراء (باستثناء الصافي النجفي) بمأساة فلسطين ، وبعضهم نماج اخرى ـ فلسطينية الموضوع ـ وكلها تستحق الدراسة او على الاقل الاشارة اليها . ومن الطريف ذكره اننا لا نعثر على امثلة شعرية لغير شاعرين من مجموع سبعة شعراء اعتبرهم المؤلف (ص ٤٧) رائدي التطور الحديث للشعر النجفي المعاصر اما الرواد الخمسة الآخرون : محمد رضا الشبيبي ، أحمد الصافي النجفي ، علي الشرقي ، باقر الشبيبي ، وحميد السماوي ، فقد اكتفى بذكرهم مما يوحي للقاريء غير المطلع بأن هؤلاء لم يتناولوا فلسطين في شعرهم او ان اهتمامهم بها كان عابرا ، وقد يكون هنالك ما يبرر هذا الايحاء غير ان ذلك لا يمنع المؤلف من التحدث عنه بصراحة ، والاشارة ـ ان امكن ـ الى اسباب عدم اهتمام هؤلاء الشعراء بالمشكلة . واعتقد ان هذا الامر جدير بالانتباه خاصة عند دراسة الشاعر الكبير احمد الصافي النجفي الذي ظهرت له حتى الآن (على الاقل) عشر مجموعات شعرية (٦) .

لقد احسن المؤلف في التطرق الى دور المجلات المتعددة التي صدرت في النجف ، وذكر اعمال الشعراء الذين تناولهم ، ولكن معلوماته عن المجلات والاعمال جاءت ناقصة في كثير من الحالات ، فهو لا يشير دائما الى تاريخ احتجاب عدد من المجلات بل يكتفي بالاشارة الى انها محتجبة او استمرت على الصدور عدة سنوات (ص ٤٨ ـ٤٩) ولا يشير كذلك في معظم الحالات الى تاريخ صدور اعمال الشعراء ..

١ ـ ناصر الدين الاسد محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن (القاهرة : ١٩٦١) ص ٩٧ .

٢ ـ سامي الدهان الشعر الحديث في الاقليم السوري (القاهرة: ١٩٦٠) ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

٣ ـ معروف الرصافي الديوان ج ٦ (القاهرة : ١٩٦٢) ص ٤٢٩ .

٤ ـ الصغير ، ص ٢٤١ .

٥ ـ عبد الكريم الدجيلي « الشعر العراقي الحديث » (القاهرة: ١٩٥٩) ١٠٣ ـ ١١٥ .

وعدم الاهتمام بالزمن ، بالتاريخ ، عند ذكر المطبوعات او نشرها يمثل ظاهرة عامة نلمسها في كثير من الكتب العربية وهي تدعو الى التذمر، والشكوى ، لدى الباحثين او المعنيين بالدراسات العربية لما تسببه من متاعب ـ لا مبرر لها ـ في البحث عن تاريخ نشر كتـــاب ، او صدور مجلة ، او قصيدة . ومن اشارات المؤلف الفامضة الـــى تاريخ بعض القصائد قوله « ونشرتها مجلة الرسالة سنة ١٩٥٠ » (٧) من غير ذكر معين ، او تاريخ دقيق ، او صفحة .

اما مصادر الكتاب فهي وافية لاغراض بحثـه ، وان كنت اود ان تحوي كتبا اخرى مماثلة في موضوعها ككتاب السوافيري الذي نوهنـا به في بدء المقال ، حيث يجد القاريء لعدد من شعراء النجف مكانـة مرموقة (٨) .

ومهما يكن من أمر ، فان هذه الملاحظات وامثالها تبدو ذات قيمـة ثانوية تجاه ما قام به الاستاذ محمد حسين الصغير من جهـــد مشكور للتعريف بأثر فلسطين في الشعر النجفي المعاصر .

امريكا ـ جامعة انديانا **صالح جواد الطعمة**

٦ ـ بعد قراءة سريعة لسبعة من اعمال الصافي النجفي المتيسرة لدي (الامواج ، الاوغار ، التيار ، الحان اللهيب ، شرر ، الشلال ، اللفحات) لم المس في شعره صدى واضحـــا مباشرا لمأساة فلسطين . انظر مثلا البيتين اللذين نظمهما « ردا على غولدا مايـــر عندما قالت كان الهجوم اليهودي على الجيش السوري حملة تأديبية » :

سلوا عنـــا اليهـــود الجاحدينا فقد شهدوا لنـــا النصر المبينـا
الـــى تاديبنـا جـاؤا سراعـــا فعـــادوا مسرعـــين مـؤدبينـــا

احمد الصافي النجفي : الشلال (بيروت : ١٩٦٢) ص ٢٢٣

٧ ـ انظر كتاب : ص ١٤٩ .

٨ ـ السوافيري ص ٥٢٧ ـ ٥٣٠ .

●

فـــي الادب والحيـــاة

تأليف وحيد الدين بهاء الدين ـ ١١٢ صفحة ـ طبع بمطبعة دار البصري ببغداد وساعدت نقابة المعلمين العراقية على نشره . عام ١٩٦٩

كنت قد ارسلت في البريد الادبي لمجلة « الاديب » الاغر تحية بشعري لصديقي الكاتب العربي العراقي الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين ، وهو اديب متالق الاخلاق متفوق الروح تجل نفسه عـــن الدنايا ، ولطالمـا كاتبني وكاتبته حتى لكأننا كنا في دنيا الادب نبتغي ان تمزج ماء بردى بماء دجلة ونشرب فيهما كؤوس الصفاء التي لا تفنى .

كنت في القاهرة ملحقا ثقافيا بالسفارة السوريـة وكان صاحب ودي وشاغل قلبي بعلمه وفكره وادبه العظيم اخي الدكتور محمد بديـع شريف الملحق الثقافي بالسفارة العراقية فكان ـ امتعه اللـــه بالعمـر المديد وتجليه السعيدين الغاليين ـ يمر بي بسيارته ليوصلني الى دار سفارتنا بالزمالك ، وكنت اقول له ويقول لي :

ـ نحن على الصفاء ، على الدوام ، نمزج ماء بردى بماء دجلـة العذب المصفى ونكرع منهما كؤوس المودة التي لا تفنى ويؤلف بيننا أدب اقمناه مقام القربى كما يقول ابو تمام .. ويشاء صاحبي الاستاذ وحيد الدين مؤلف كتاب « في الادب والحياة » أن أخرج عن طوري في تحليل الكتب وعرضها ، فكتب الي أن اكون قاسيا في نقدي كتابه ، وهو نسي قول الشاعر « واذا ضربت أصابني سهمي » .

الا يا صاحبي ، ان ابغض ما علي الهدم والتجريح ولست ادري كيف خرجت عن طوري ذات مرة ، اذ نصحت لصديقي القديم نابغـة ادب العرب بلبنان الاستاذ الدكتور عمر فروخ يوم اصدر مجلته «الامالي» وارسل لي الشاعر محمد علي الحوماني لكي اطوف به على المجمع العلمي ودور الجامعة وبيوت الصحافة والنشر تعـــريفا بمجلة « الامالـي » فنصحت يومئذ للاستاذ فروخ بقولي :

اذا شئتم ان تشقوا طريقا سوية وضاحة لمجلتكم هذه ، فامسكوا بالادباء الكبار وجرحوهم واجلدوهم ، واجعلوا كتبهم كالمصفاة والمناخيل ممزقة ، وبالغوا في تسفيهها يلتفت اليكم الجمهور ويقبل على مجلتكم .

وتلك نصيحة سوء لست ادري كيف نصحت بها ، ففعل محـــررو الامالي ذلك واجروا اقلامهم عصيا للضرب ، فانفتح سوق مجلتهـــم وراجت وربحت ارباحا ، وقعدت بعد ذلك نادما ، انظر في اخلاق البشر، وانا اعرف ادباء في الشرق والغرب كانوا مسالمين فما ند لهم صيت ولا نث لهم خبر وعاش منهم ناس وذهبوا من دنيانا دون ان يحدثوا اثـــرا يهـز كيـان الادب ...

واعرف اخرين ، هم اولاد الامس ، لكنهم حملوا بديل الاقـــلام الخناجر فطعنوا بها الحناجر واذا الجمهور يقبل على اثارهم وكانـــه يتشفى بمأدبة الاسود .

وتلك طبيعة الانسان ـ على ما ظهر لي ـ وان لم اكن من علمـــاء الاجتماع ، فان هذه الظاهرة الوبئة صحيحة القياس في الناس، جربها الجاحظ ابو عثمان في نفسه فقال في مقدمة المحاسن والاضداد ـ وانا أنسبه اليه حتما ـ اذ تمرست بأدبه وعرفت مواقع الاصالة فيه :

« ربما الفت الكتاب السديد المكين باسمي فلمزه اللامزون واعرض عنه المعرضون وجفوني فيه واجتووني ولكني حين اؤلف الكتاب وانسبه الى ابن المقفع او الى فلان وفلان من كبار النكاب فارى الناس مقبلـين عليه متهافتين فوقه » .

ولهذا نرى كتابا يرمزون الى اسمائهم باسماء مستعارة لكـــي لا يصيبهم ضيم من الناس الذين عرفوهم ، وقديما قيل في امثالنا « مـن عرفك صغيرا لم يوقرك كبيرا » .

ولكني بحمد الله عرفت الكاتب النابغ الاستاذ وحيد الدين بهاء الدين كبيرا ولو قد عرفته صغيرا لما اثر في النظر لادبه ونبوغـه فـــي الفكر والادب والخلق .

ولقد اعجب بالكاتب وحيد الدين من قبلي يافعة الجامعة العراقية الصديق الدكتور صفاء خلوصي اذ قال في مؤلف هذا الكتاب :

« لست من قراء الاسماء والتواقيع ، ولكني كلما رأيت مقالا او بحثا بتوقيع وحيد الدين بهاء الدين اسرعت الى قراءته بلا تردد ، ذلك لان له اسلوبا عذبا وافكارا طريفة جديدة ونزعة الى النقاء اللفـــوي الذي افتقده عند الكثيرين من الكتاب » .

وبعد ، فهذا الكتاب اعده كتاب الساعة اذ يمارس موضوعـــات

اشتركوا في مجلة
الاديب
تساهمـوا فـي نشـر الثقافة

بأمتي راهنة يعيش اليوم العرب في ابانها وديدنها ، فهو يقرد بمقال افتتاحي لكتابه امر الادب ونوبته في معركة التحرير والمصير ، وكي تحز بي كلمة المصير .. أفيصل الامر بأمتي العربية العريقة التي ملأت الارض مجدا وعدلا وفتوحا ، ولم تعرف معنى الاستعمار والدمار وانها كانت باقية ، للشعوب التي افتتحت ارضها ـ الى ان تفكر بالمصير في معركة التحرير ! وبهذا المقال وحده يحمل المؤلف النابغ كتابه سجلا تاريخيا لمعركة اليوم مع اثام الصهيونية العادية . ويعالج الكتاب قضايا الفكر ويسمي الكاتب مقاله فيه « حرية الفكر والتفكير » . واعجب له كما اعجب لسواه في اقوالهم « حرية الفكر » الا ان الفكر حر لا تستطيع سلاسل الدنيا واصفادها تقييده فكم حر بفكره وقف امام الطغاة يدير في رأسه ما يشاء من القول والهمس النفسي ولا يدري به ظالموه ، فانا افكر اذن انا موجود ذلك ما كان ينشره ديكارت في مذهبه الفلسفي ، فالفكر اساس الوجود ولا سلطان لاحد على الفكر الحر ، اما الاقوال والافعال فتلك التي ارتضى لها هذا القياس ، فيقال « حرية القول وحرية العمل » لان القول والعمل حادثان ملموسان اما حرية الفكر فحادث معنوي يدور في اذهان الاحرار ورؤوسهم .

واجاوز مقالات الكاتب الفائقة الى مقال سماه « الى ابنتي » وانا الذي اعيش بسبيل اولادي الثلاثة افديهم بالمال والروح وانفس ما املك في الحياة وبعد الحياة . وقد بدأ كلامه بمطالع فلسفة وبتراكيب ممعنة في متانتها كقوله مخاطبا ابنته الوليدة :

« انبثقت مختلجة سادرة تهتكين ضمير المجهول رمزا لصراع تتفاقم على ترادف الايام حدته ، تخطين في لوح الزمن الباقي حروفا نورانية ايذانا بميلاد ليس اول ولا بآخر ، تزفين لمسمع التاريخ الرهيف بداية قصة تتمثل في صميمها الذاتية والانسانية تنثين في تربة الحياة المترعة ، بذورا نامية ، تعبيرا عن مقومات وجود » .

يا لله هذه الجمل النفسية التي يخاطبك بها الكاتب بسلامة اسلوبها المكين ، فلقد جمع الكاتب اسباب الحياة والوجود وبذور الانسانية المقبلة في مناجاة وليدته التي اتت الى الدنيا انثى ولم تأت ذكرا . ومن هنا اخذ يدافع عن الاناث ويصف الوجوه التي تتجهم لاستقبالهن بعد الولادة .

لقد كتب مقاله هذا في شهر نيسان ١٩٦٢ وانا اكتب عن كتابه في هذا الشهر نفسه لعام ١٩٧٠ فابنته اذن ـ حفظ الله عمرها ـ هي الان بنت ثمان ، فما احيلى كلامها وما اطرف وجودها ، اني اعود الى ابنتي ذكاء وسماء المحاسني يوم كانتا بهذه السن منية روحي وشغاف قلبي وبلسم جراحي ، مع اخيهما ذكوان .

وكان بوسع الكاتب الكبير وحيد الدين بهاء الدين ان يلوذ بالقرآن الكريم في هذه القضية (سورة النحل) .

ويعرف قرائي وقارئاتي حيثما كتبت انني اذوق طعام الكتب ولا آتي على اكلها وانما ادعوهم الى مآدبها الفنية ليمعنوا فيها غذاء الروح ومشرب النفس التي لا تروى . فالى مأدبة الاستاذ السخي وحيد الدين التي تحمل المن والسلوى في الادب والحياة .

دمشق — زكي المحاسني

●

عدالة السماء

مجموعة مسرحيات ـ تأليف ناجية ثامر ـ ١٢٠ صفحة ـ دار الكتب الشرقية بتونس

كنت عرضت في مقال سابق للمجموعة القصصية « اردنا الحياة » للاديبة ناجية ثامر واعود الان لاتحدث عن مجموعتها المسرحية « عدالة السماء » التي تضم ثلاث مسرحيات قصيرة . الاولى بعنوان « عدالة السماء » والثانية « بين اثنتين » والثالثة « اللقاء الاخير » ولا تزيد هذه المجموعة على (١٢٠) صفحة من القياس الصغير وتكاد تتساوى المسرحيات الثلاث في طولها .

تحكي المسرحية الاولى قصة فتاة بائسة عاشت بعد وفاة امها، مع ابيها وزوجته في ظلم شديد وحاولت زوجة الاب ان تزوجها من رجل مسن لا ترغب هي به ، وما كان من الفتاة الا ان هربت مع شاب اغراها وزعم انه يحبها ويريد لها الخلاص . ولكن تبين لها انه متزوج وله ولد ، ولا يجرؤ على اعلان زواجه منها ، فعادت صاغرة الى بيت ابيها ومعها الطفلة التي رفض ذلك الشاب ان ينسبها اليه . وحينذاك قبلت الفتاة ان تتزوج الشيخ المسن بغية ان يمنح ابنتها اسمه . ونشأت الطفلة في كنف امها ورعايتها ، وتعلمت واصبحت محامية تدافع عن المظلومين . وبينما هي ترافع في قضية ظلم تشبه ما نال امها من ابيها اذا بشاب يسمع المرافعة ويعجب بصاحبتها المحامية اللامعة ويطلب يدها ، ولكنها تمانع بشدة ، ثم تضطر امام الحاحه الى ان تطلعه على حقيقة نسبها فلا يغير ذلك شيئا من رأيه فيها ، ويبقى مصرا على رغبته ثم يطلبها رسميا من امها ، وتجري الاستعدادات للزفاف ويستدعي اباه البعيد عن مدينته ليحضر الزفاف ، وتخشى الفتاة وامها ان يكون حضور والد الشاب عامل فشل لهذا الزواج بعد ان يتعرف حقيقة ماضيهما . ولكن يحصل ما لم يكن بالحسبان اذ يتبين ان والده هو والد الفتاة ذاته الذي سبب لها ولامها هذا الشقاء ، فتموت الام لعظم المفاجاة ، ويطلق الاب على نفسه الرصاص بعد ان شعر باثمه وانه كان سيتسبب بزواج اخوين لولا عدالة السماء التي ابعدت هذا المنكر .

اما المسرحية الثانية فتصور امرأة كانت عاملة في متجر واستطاعت بذكائها ونشاطها ان تصبح مالكة لهذا المتجر نفسه . وكانت تقوم على تربية ابنة اخت لها توفيت عنها امها وهي صغيرة ، فكانت هي لها بمثابة الام تمنحها اكبر العطف . وحين شبت الفتاة ودخلت الجامعة تعرفت على شاب فرغب بها وجاء الى خالتها ليخطبها منها ، وحدث ما

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

●

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ احمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة

لم يتوقع ، اذ احب الرجل خالة الفتاة حبا شديدا لتقاربهما في الميول والسن ، ولم يعد يرغب بابنة اختها ، وكذلك هي احبته ولكنها ضغطت على عواطفها ورفضت قبوله زوجا لها رغم علم ابنة اختها بالامر ورغبتها الصادقة بتنفيذه . وبقيت الخالة على موقفها المثالي من الرفض ولو ادى ذلك الى تحطيم قلبها وتمزيق عواطفها وعواطف الرجل الذي بادلها الحب .

واما الثالثة والاخيرة فترتكز على وشاية ملفقة ينفذها شابشرير يسبب بواستطها شقاء واي شقاء لعائلة سعيدة . وخلاصة المسرحية ان هذا الرجل الشرير احب زوجة قريبه وصديقه ، واغراها بشتى الوسائل لتلبي رغباته الدنيئة ، ولكنها رفضت كل ذلك اباء وشرفا . ورغم كل الاكاذيب التي لفقها لها عن مساوىء زوجها وخيانته لها ، ورغم الوعود التي قدمها بان يهيىء لها جنة نعيم تضمهما معا ، ورغم كل تهديداته ان رفضت ترغيبه واغراءه فانها لم تتاثر بشيء من ذلك . وحينذاك لجأ الى تنفيذ خطته الشنيعة ، فاعطى خادمها رسالة مكتوبة على لسانها اليه ، واغراه بمبلغ كبير من المال ، واوصاه بان يستغل وجود زوجها ويتظاهر بانه يريد ان يضع هذه الرسالة في البريد بأحرفها . وينفذ الخادم الحيلة ، ويطلب الزوج الرسالة ويقرأها فتثور ثائرته ويخيل اليه ان زوجته تريد خيانته مع هذا القريب . ولا يعرف ماذا يصنع . ثم يلجأ الى حل يقوده اليه عقله فيبعد الزوجة عن الدار ، ويجري لها مرتبا شهريا ، ويبقى هو وحده في البيت يقوم على رعاية طفلته الصغيرة ، وتشب الفتاة وتتمنى امها رؤيتها ولكنها محرومة من ذلك الا من خصاص الباب . اما هي فلا تعرف الا ان امها ماتت منذ زمن . وفجاة يقع الخادم في سكرات الموت ويتذكر جريمته التي ارتكبها مع سيدته فيعمد الى الاعتراف امام سيده ، ويدهش السيد فعلا ، ويسرع الى زوجته مع ابنته ، ولكن الام لا تحمل المفاجاة السارة فتسقط ميتة ، وتكون الفتاة قد وجدت امها وفقدتها في يوم واحد .

من خلال هذه الخلاصة للمسرحيات الثلاث ندرك ان موضوعها كان اجتماعيا اصلاحيا هادفا ، كانت غاية الكاتبة من المسرحية الاولى ان تصور البؤس الذي يعانيه الاولاد من زوجات الاب ، وكيف يقود هذا الظلم الى الانحراف ، ثم هي تحذر الفتيات من الانسياق وراء الشباب المستهترين الذين يغررون بهن ، وتود لو يرتدع الرجال عن هذه الطرق المتلوية في حياتهم اللاهية التي لا تبغي الا استراق الملذات ولو على اشلاء الضحايا البشرية والقيم والمثل الاخلاقية . اما الثانية فانها تحبب القارىء بالعمل النشيط الذكي الذي يرفع صاحبه الى احسن المستويات . وتعرض صورة لامراة مثالية عاقلة تغلب عقلها على عواطفها ، وتضحي في سبيل ابنة اختها بكل ما تملك ، وهي في الوقت نفسه تظهر في بعض زوايا المسرحية استهجانها لاحتراف المراة بعض الهوايات الخاصة كالتمثيل والغناء والرقص ، وترى ان تبقى سيدة البيت هاوية فقط من غير ان تحترف .

اما الهدف الاصلاحي الذي يكمن وراء المسرحية الثالثة فانه لا يكاد يبتعد كثيرا عن هدف المسرحية الاولى ، اذ تظهر لنا انانية بعض الرجال وسعيهم الى الايقاع بمن لا تستجيب الى نزواتهم الدنيئة .

وبذلك نحس ان هدف الكاتبة من مسرحياتها كان راقيا ، وان الشخصيات المحورية فيها هي شخصيات مثالية تصور الصراع بين الخير والشر ، وتقوم هي بدور الخير المطلق . اما الشخصيات المعارضة فيظهر عليها الشر واضحا . فكما مالت ناجية ثامر الى تصوير المثالية في قصصها تميل الى ذلك ايضا في مسرحياتها . ولكن يخيل الي هنا ان هذه المثالية المفرقة في ترفعها تكاد تبعد بعض جوانب الشخصيات عن الواقع . واظن انه يصعب على رجل يكتشف نسب الفتاة الذي رأيناه في المسرحية الثانية ان يبقى مصرا على زواجه منها .

ومن اين لنا برجل مثل ذلك الزوج في المسرحية الثالثة يلمس خيانة زوجته في مثل تلك الرسالة ثم هو يبعدها عن البيت ولكن بحكمة اذ يجري عليها نفقة شهرية حتى لا تنقاد الى المذلة والمهانة . ويحدب على ابنته الى ان تشب ، ويعيش حياة اقرب الى نسك الزهاد في الصوامع . ان مثل هذه الشخصيات يكاد يكون وجودها نادرا في المجتمع . وكان الكاتبة قد صورتها مشذبة مهذبة على بعض النساس يستحونها فيفتدون ببعض تصرفاتها .

ويبدو من خلال هذه المسرحيات ان حياة المراة التونسية لا تكاد تختلف في شيء عن حياة المراة في مشرقنا العربي . فهي تعاني ما تعانيه اختها من شظف العيش وقسوة الظروف وجفاء بعض الرجال واهمالهم واستهتارهم . وهذا ما يجعل المؤلفة متعصبة لبنات جنسها ضدهم كما يبدو في هذه العبارة من المسرحية الاولى ص ٣٢ : «صدقني يا ولدي مهما تكن الام انانية قاسية فهي اشفق على اولادها من غيرها .. هناك امهات قاسيات انانيات يصرفن اوقاتهن كلها في التبرج والتزين .. ولكنهن والحمد لله نادرات » يرد ذلك على لسان المراة التي استطاعت ان تربي ابنتها وتعلمها رغم كل ما احاط بها من شقاء وسوء. واذا فالام اشفق على اولادها من اي انسان اخر حتى من الاب الذي يفترض فيه مشاركتها شعورها وعطفها واحساسها ، ولكن انانيته وانسياقه وراء ملذاته كثيرا ما ينسيانه كل شيء حتى زوجته واولاده ، ويجعلانه متعلقا باطراف حب جديد مزعوم يشقي به المحبوبة الجديدة اكثر مما يسعدها ، هذا فضلا عن الشقاء الاول الذي خلفه للزوجة الاولى .

اما اسلوب الكاتبة فانه سهل سلس رشيق ، ولكن الحوار يبدو في بعض الاحيان غير مناسب للموقف ولا معبر عن المراد منه . ففي المسرحية الاولى حين يغرر الرجل بالفتاة البائسة ويأخذها من بيت اهلها يعمد الى بعض المحاولات ليطلق زوجته الاولى التي تبدو غاية في المثالية . يقول الرجل واسمه زكي لزوجته احسان : « انك خير زوجة وافضل ام وفيك من الصفات ما يندر وجوده في غيرك من النساء ، ولكن سلي قلبي فهو الذي قد خان ، وهل نستطيع جبر القلوب على قبول ما لا ترضاه » .

صدر حديثا :

من تاليف الدكتور جلال الخياط

الشعر العراقي الحديث

مرحلة وتطور

منشورات دار صادر ببيروت

•

التكسب بالشعر

منشورات دار الاداب ببيروت

احسان : « حسنا ، ماذا تريد ؟ »

زكي : « اريد ان توافقيني على الطلاق وسارسل لك شهريا كل ما يلزمك من نفقات انت وولدك » .

في اعتقادي ان الحوار في هذه النقطة وعلى هذه الشاكلة غير موفق ابدا . فالرجل اذا لم يعد زوجته سوف يرى كل شيء فيها سيئا ، ولن يعترف لها بأية فضيلة ، وهو بذلك يخلق لها من المشكلات ما تعجز عن تحمله والصبر عليه ، اما ان يأتيها بكل هذه البساطة والسذاجة ويقول لها انه لم يعد يحبها ويريد ان يطلقها فاظن ان ذلك لا يمكن ان يحدث . واذا حدث فلا بد ان يكون هناك تناقض في شخصية هذا الزوج .

وكذلك نقرأ مثل هذا الحوار المثالي حين تلجأ المرأة الى الحديث مع نفسها وتصمم على الا تحرك ساكنا ولا تسعى الى الانتقام ولا تدعو على زوجها باللعنة . وهي تبدو متعظة بما تراه امامها دوما من حوادث الزواج والطلاق . ان مثل هذا الموقف الهادىء الرصين كذلك مبالغ فيه وكأن المرأة ارتفعت الى صف الملائكة وتخلت عن طبيعتها البشرية التي تعتبر في كثير من الاحيان زواج زوجها اكبر كارثة يمكن ان تحل بها . وضمن هذا الحوار النفسي المستفيض في هدوئه نسمع الحاكم مثل : « وقد تثقل المرأة الفاضلة بميزانها الكاملة على الرجل الذي تعود على الدناءة والرذيلة ، كما تثقل المرأة الرذيلة على الرجل الفاضل ان هذه الحكم رغم جمالها تزيد من فتور الحوار لانها تضرب على وتر المثالية ذاته .

الا ان المؤلفة كانما تستدرك هذا الموقف المثالي الذي صورته ، وصورت معه نفور الزوج من زوجته المثالية فتقول على لسانه يصف زوجته : « كانت عاقلة جدا وهي مع ذلك جميلة ونظيفة وعفيفة وكل ما كنت انتقده عليها سكوتها ورضاها بكل شيء » حتى يقول : « لقد مللت منها تلك الطيبة المتزايدة وذلك السكوت المستديم » . ولكن الغريب هو مله من سكوت زوجته الاولى ، وبالمقابل ضجره من نقاش وحديث المرأة الثانية التي غرر بها ، وعودته من جديد الى الاولى .

وهكذا بالاضافة الى البطء في الحوار نجد القصور فيه كذلك نتيجة للالحاح على ظاهرة الترفع والابتعاد عن كل شائنة لدى الشخصيات المحورية .

اما من حيث العقدة والحل فقد كانت الكاتبة موفقة الى درجة كبيرة في ايجاد التشويق وخلق العقدة والسعي حثيثا الى الحل الملائم. ولم تعمد الى الفصول والمشاهد وانما كان لديها ما تسميه الفواصل بين الفقرة والاخرى .

ومهما قيل في هذه المجموعة فانها تبقى مسرحيات جيدة بفكرتها وهدفها وقدرتها على تصوير مشكلات مجتمعنا التي نعيشها جميعا ونسعى الى التخلص منها . فشكرا لكاتبتها ، والامل واسع بأن تواصل طريق نشاطها الادبي معطية ايانا لوحات معبرة عن نوع الحياة التي يحياها اخوتنا واخواتنا في تونس الخضراء الحبيبة .

دمشق — لطفية الشهابي

•

مسافر في التاريخ

ديوان شعر ـ محمد احمد العزب ـ ٢٣٣ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ مطبعة وزارة الثقافة السورية بدمشق

قدمت وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية هذا الديوان الجديد للشاعر المصري المعروف الاستاذ محمد احمد العزب ، فقالت عنه « انه شعر من المتحدة ، هو حصاد امد يمتد من عام ١٩٦٣ الى عام ١٩٦٩ ، رؤى متماسكة لا تفيم بين قديم وجديد ، يرسم ابعادها اسلوب ذاتي تجديدي ، يضع العزب في طليعة شعراء المرحلة .. يصور الشاعر بعفوية غنائية محببة ، جو الحالة النفسية التي يعيشها ، يستعيدها القارىء مشاركا بتجربة اللحظة ، وفي الافق الذي يرتسم تلاوين من نفسه ، ينبض فيها صدق انساني ساذج عميق في آن .. مسرح الشعر الجو العربي بما فيه من تطلع وتخبط ومآسي ومدارات . والشاعر امين لهذا المسرح ينقل الكثير من وساوسه وتطاماته واحزانه في اطارها النفسي العاطفي » .

واذا ما عدنا اليه وجدناه يشتمل على تسع وثلاثين قصيدة ، من بينها ثماني قصائد من حصاد عام ١٩٦٩ ، وثمان اخرى من حصاد عام ١٩٦٨ وثمان كذلك من حصاد عام ١٩٦٧ وثلاث قصائد من عام ١٩٦٦ وخمس من عام ١٩٦٥ وست من عام ١٩٦٤ وقصيدة من عام ١٩٦٣ .

والقصائد ذات مضمون قومي ووطني وانساني ، وهي كلها من الشعر الحر من ناحية ، ويجمعها كلها ضباب رمزي شديد ، قل ان تستطيع معه النفاذ الى اعماق الشاعر ومحور فكره فيها ، وبذلك وضع الشاعر العزب نفسه وشعره مع الشعراء الرمزيين ، الذين تعرفهم وتقرأ لهم ، من امثال بودلير ، ومالرميه ، ورامبو ، وستيفن سبندر ، وبول فاليري ، ومن مثل بشر فارس وغيرهم .

واذا كان احد النقاد قد قال عن مالرميه انه خلق شيئا فشيئا رياضيات الكلمة ، وفن الايحاء الذي برز في عنفوانه في اخريات قصائده ، فاني اقول عن العزب انه صنع الضباب الكثيف حول قصائده ، وغلف كلماته باغلفة سميكة ، انت محتاج معها الى الوقوف طويلا امامها ، حتى تنفتح لك ابواب المعنى ، وتدلف فيها الى رحاب الفكرة الواسعة التي ارادها .

ومن حيث الشكل ايضا تجد شاعرنا العزب ينفرد في هذا الديوان بتسميات جديدة لبعض قصائده فيسمي بعض قصائده بكائية ، وبعضها حوارية وبعضها عتابية .

ففي الصفحة الثالثة عشرة من الديوان يقرأ قصيدته « بكائية من مناطق الصحو » وفي مطلعها يقول :

تخاصرنا
وغنينا

صدر حديثا

مهنة المتاعب

تجارب ربع قرن في الصحافة

تأليف اديب مروة

سفر حافل بالذكريات والمغامرات والتجارب
والمشاهد والمقابلات المثيرة

منشورات عويدات ـ بيروت

مواويـلا مواويـلا
كنزنا الليل احضانا ودغدغة وتقبيلا
دفنا حزننا الموبوء خلف الشال والمعطف
وارهقنا المناديـلا

والقصيدة ذات مضمون انساني نبيل .

وفي الصفحة ١٣٩ قصيدة اخرى عنوانها « بكائية مـن شاعـر جبان » ، وفيها صور جميلة يصور فيها شاعر اناني نفسه ومشاعـره وذاتـه .

وهذا الديوان الجديد يحمل طابع الشاعر نفسه وحياته وتطلعاته وهو يمثل حياته في كثير من قصائده .. ويتصدره اهداؤه « الـى : ع زوجتي وحبيبتي ، والى رائد ووائل ، احلى ما اعطتنا الايام » .

ويتضمن قصائد : ثلاث اغنيات الى خطيبتي (١٥٥) ، موعد مع الكلمات الخضراء (١٦١) ، موت امي (٢١١) ، العودة الى القريـة (٢١٥) .

ولنقف عند قصيدة عام ١٩٦٤ وهي « موت امي » ذات المضمون الانساني الجميل الرفاف :

امـي مـاتت
واحدق خلف عيون الناس فلا ابصر حزنا
يا قسوة عين لا تبكي احزان الناس
امـي مـاتت
لكن حمائم جارتنا تمضي عني
مثنـى مثنـى
وانا اتحسى كلمات ذابلة الوجه بلا معنى
مـاتت .. متنـا
ويتمتم شيخ ثلجي الاحساس
أجل .. يرحمها اللـه
يـا شيخ تألم لي
صعد حتى من شفتيك الآه
ما اقسى قلبك .. ما اقساه

ويستمر به الحزن الى الحيرة والتساؤل ومحاولة فهـم فلسفة الحياة . يبدأ به تساؤله :

ما جدوى ان احيا .. او يحيا الاخر

ثم يعود الى تساؤلات اخرى :

ولماذا لا نحيا دنيانا الحلوة في هذا البيت
ما حكمة أن نحصد من حقل العالم اعناق الازهار
كي نطعم آلاف الديدان

ويصل الى المقبرة الحزينـة ، فماذا يقول الشاعـر ؟ ينادي بملء فيه :

يا أبت .. قم رحب بالضيف القادم من وادي العدم

وينتهي الموقف الدامع .. ويصور الشاعر العودة من المقبرة

ونعود مع الشفق الغارب
اطلال جدار منهار
ضيعنا الكنز وعدنا نبكي كالاطفال

ويبدو له شبح المأساة على البيت الصامت وحده مـن بين الدور .. وعلى نوافذ منزله بين نوافذ بيت الجارات هناك ، التـي ترقص ذهلى بستائرها البيضاء اللاعبة على صدر الريح :

واكـاد اصيـح
ياكل ستائرهن الا تبصرن ستائرنا سوداء
بعضا مـن حـزن

والقصيدة صورة حية نابضة لاحساس الحزين الدامع الذي رأى احزانه في كل شيء ، ورأى من حوله الحياة ضاحكة في كل شيء .

وقصيدة العودة الى القرية وهي من حصاد عام ١٩٦٣ تعطيـك شاعرا اعطى كل حبه للقرية ولحبه فيها ولاهلها الطيبين الفقراء فـي اكواخها .

وماذا تقول عن قصيدته : ثلاث اغنيات الى خطيبتي ؟ ، وموعد مع الكلمة الخضراء ، وهما من حصاد عام ١٩٦٥ .. هي كلهـا انسام رفافة اهداها عطرة الى اجمل موعد مع السعادة والحب والحياة .

فاذا ما عدنا الى عام ١٩٦٧ ، وجدنا عدة قصائد منها : الفدائي، اغنية للمقاومة ، الليل والفارات ، الشهيد ، ٢٣ يوليـو ، الصيف الرجيم ، التعري .. وهي كلها قصائد ذات نزعة وطنية جارفة ، كانت كلها من وحي احداثه ، والهاما من نبع تياره .

ونقف مع عام ١٩٦٨ ، لنقرأ للشاعر قصيدته مسافر فـي التاريخ (ص ٥٩) ، ولها مضمونها الثائر القومي المعربد فـي احداث تاريخنا المعاصر .

ومن حصاد عام ١٩٦٩ تهزنا قصائده ـ اغنية الى بيان عسكري ، مأساة فاوست الجديد ، وهي قصائد لهـا ثقلها الفنـي والعاطفي والانساني والوطني . ولاترك ذلك كله الى قصيدته الزحام (١٦٧) . وهي قصيدة رائعة ، رائعة حقا ، بمضمونها ، بانسانيتها ، بصورها ، بكل جمالها :

في قلب مدينتنا لا يعرف انسان فينا ظله
الظل تسلق اكتاف الاشياء واكتاف الاحياء
ظلي لا يسقط فوق الارض لكي يرتاح من الاعياء
ابدا مصلوب فوق وجوه الاغيار
حتى ان لامس وجه الارض
وطأته اقدام الناس
وانا ايضا في سعيي احمل ظل الناس
لكني لا اطـأ الظل

وهنا تستبد بالشاعر نفسه وذاته وانسانيته ويقف وحده ، بكـل معانيه وافكاره وحياته بعيدا عن افكار مجتمعه وانانيتهم .

والقصيدة هذه من ارفع ما يمكن ان يقرأه احـد لشاعر معاصر ، واحب لك يا قارئي العزيز ان تعود اليها مرة ومرة ومرة لتتذوق كـل مضامينها الجميلة العالية .

وفي ختام هذه الكلمة احيلك مرة ثانية الـى قصيدته « وجهـا لوجه » ص (١٩٧) بانسانيتها ، بموسيقاها ، بحلاوتها ، بعذوبـة نغمتها ، بكل جمالها وجلالها .

وبعد فماذا اقول عن الديوان وعن الشاعر وعن الفنان ، وهـي كلها قطعة حية تمثل انسانا في الثلاثينات ، يحمل اثقـال العصر ، واوزاره ، ويغني ، ويسير يغني دائمـا للحب وللجمال ولانتصارات الانسان ، ولاحزان امته العربية ، في وداعة الطفل ، وبراءة الربيع ، وصفاء الشفق ، وجلال الحكيم .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي

صدر حديثا

قضايا ومجامر

مجموعـة شعريـة

ثـريـا ملحس

٢٨٠ صفحة حجم كبير — ٦ ل. ل.

دار الكتـاب اللبناني ـ بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظهر حديثاً

● معركة الاصالة والزيف ـ تاليف حسين المغربي ـ ٩٠ صفحه ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل بتونس .

● موقف الاسلام من كرامة الانسان ـ تاليف علي الشابي ـ ٤٨ صفحة ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل بتونس .

● البترول في الاقتصاد والسياسة ـ تاليف محمد بكار ـ ٦٠ صفحة ـ سلسلة اعلم رقم ٤ ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطابع الاتحاد العام التونسي للشغل بتونس .

● قصة الكهرباء ـ تاليف عبد الرحمن عمار « ابن الواحة » ـ ٨٠ صفحة ـ سلسلة اعلم رقم ٥ ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ مطابع الاتحاد العام التونسي للشغل بتونس .

● آه ..! ـ قصيدة ـ ميخائيل ابو عقدة ـ ٤٨ صفحة ـ مطبعة الثبات بدمشق .

● الضياع الحزين ـ مجموعة شعرية ـ شكري هلال ـ تقديم رفيق فاخوري ـ الرسوم بريشة معتصم دالاتي ـ الخطوط بقلم الشاعر ـ ١٧٤ صفحة ـ مطبعة الاندلس بحمص سورية .

● الاغاريد ـ مجموعة شعرية ـ محمد بن علي السنوسي ـ تقديم محمد سعيد العامودي ـ ١٢٠ صفحة ـ مطابع دار الاصفهاني وشركاه بجدة السعودية .

● زورق الرحيل ـ مجموعة شعرية ـ محمد زين جابر ـ ٧٤ صفحة ـ (طبع في بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الحماسة في حياتنا وتراثنا : دراسة ميدانية للنخوات والهوسات ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية بسورية ـ ٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٨ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ (طبع في دير الزور بسورية) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام ـ تاليف البروفيسور رينولد نكلسن ـ ترجمة الدكتور صفاء خلوصي ـ ٤٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشر الكتاب ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● جلنار ـ مجموعة شعرية ـ ابراهيم خليل العلاف ـ تقديم الدكتور جمال الدين الرمادي ـ ٩٦ صفحة ـ طبع بمؤسسة مكة للطباعة والاعلام بمكة المكرمة .

● التعليم الابتدائي بين الامس واليوم ـ ١٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وزارة المعارف السعودية ـ مطابع مؤسسة منطورة للطباعة ببيروت .

● تقرير عن التعليم الخاص لتربية المعاقين وتاهيلهم ـ ٤٠ صفحة باللغة العربية و ١٦ صفحة باللغة الانجليزية ـ مع عدة صور ـ حجم كبير ـ منشورات ادارة التعليم الخاص بوزارة المعارف السعودية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ازهار ـ مجموعة شعرية ـ منير سليمان ـ الرسوم لمحمد نصور ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ديوان علقمة الفحل بشرح الاعلم الشنتمري ـ حققه لطفي الصقال ودرية الخطيب ـ وراجعه الدكتور فخر الدين قباوة استاذ الادب العربي في جامعة حلب ـ ٢٦٦ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب الاول في سلسلة كنوز الشعر العربي ـ منشورات دار الكتاب العربي بحلب ـ مطبعة الاصيل بحلب .

● بابل .. والضوء الجديد ـ مجموعة شعرية ـ محمد منذر لطفي ـ الغلاف ـ الفنان نعيم اسماعيل ـ الخطوط لزهير زرزور ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ـ مطبعة الشباب بدمشق .

● حكايات دبلوماسية ـ تاليف نجدة فتحي صفوة ـ ١٢٨ صفحة ـ مع عدة صور ـ (صدر في بيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اساطير شعبية من قلب جزيرة العرب ـ المجموعة الرابعة ـ تاليف عبد الكريم الجهيمان ـ ٤١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .

● الانتاج الزراعي في لبنان في عشر سنوات ١٩٥٨ / ١٩٦٨ ـ تاليف الدكتور علي علي البنا من قسم الجغرافيا جامعة عين شمس وجامعة بيروت العربية ـ ٦٨ صفحة و ٨ صفحات باللغة الانجليزية ـ حجم كبير ـ مطبوعات جامعة بيروت العربية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الادب الديني : دراسات ادبية عن القرآن والدين ـ تاليف الدكتور زكي المحاسني ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة .

● قضايا ومجامر ـ مجموعة شعرية ـ ثريا ملحس ـ الغلاف للمهندس نائل ملحس ـ ٢٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ توزيع دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ مطابع مؤسسة خليفة بالبوشرية بيروت .

● وجه على رصيف روماني ـ مجموعة قصص ـ تاليف محمود الظاهر ـ ٧٦ صفحة ـ منشورات مكتبة بغداد ـ مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد.

● غسل الدماغ ـ تاليف الدكتور فخري الدباغ ـ ٤٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ المؤسسة اللبنانية للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● يوميات سياسي محترف ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ ١٠٤ صفحات ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عيون الطلاب الميتة ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ مصمم الغلاف مصطفى الحلاج ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ملائكة وشياطين ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ صمم الغلاف مصطفى الحلاج ـ طبعة ثالثة ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عشرون قصيدة من برلين ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ ٧٢ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● المجد للاطفال والزيتون ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● اشعار في المنفى ـ مجموعة شعرية ـ عبد الوهاب البياتي ـ مصمم الغلاف مصطفى حلاج ـ طبعة خامسة ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور محمد رجب البيومي

مقدمة ومقدمة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

قارىء « الاديب » صديقي ، افكر كثيرا فيما اقدمه اليه ، ولا اكاد اتركه في بعض الشهور الا مضطرا ، ومن حقه علي ان اروي له بعض ما اشهد في الحقل الادبي من غرائب ، او بعض ما اقرأ من نوادر ، وقد اجتمع لدي مما شهدت وما قرأت معا ما يصلح ان يكون موضع الحديث النافع هذا الشهر فلابادر بتقديمه دون امهال .

اعرف زميلا أديبا يكتب كثيرا ، ويقرأ كثيرا ، ولكنه يكتب اضعاف ما يقرأ ، لذلك تأتي آثاره هشة خفيفة عليها طابع الارتجال ، وليس هو من البلاهة بحيث يحتاج الى تنبيهه وتوجيهه فهو — في رأيي الخاص — يعرف أخطار السرعة العاجلة في دنيا الانتاج الفني ، ولكنه يؤثر ان يميل اليها بعيدا عن الاتئاد ، لامور تحبب اليه أن يتداول ذكره وان يرق صداه .

جاءني ذات عشية . ومعه اوراق مطبوعة ، تضم كتابا ينقصه التجليد ، وسألني ان اقرأ ما بيديه لاكتب له مقدمة وافية ، وقد دهشت بادىء ذي بدء لما طلب ، فلست بالكاتب الجهير الذي يضع المقدمات ، ولا اظنه فيما بينه وبين نفسه يراني أهلا لان اقدم كتابا يؤلفه ، ولكن الكتاب بين يديه ، وصوته يرن في سمعي وجها لوجه ، وليس في ملامحه ما يوحي بالفكاهة والعبث .

اخذت الاوراق في تؤدة فعرفت من النظرة الاولى انها تتحدث عن حياة شاعر اندلسي كثر عنه الحديث ، فقلت في نفسي ماذا عسى ان يقول صاحبي في شاعره ؟ وليس من دأبه التؤدة الدافعة على الدرس الجيد ، والاستنباط السديد ، انه سيعمد الى كتاب أو كتابين أو ثلاثة الفت عن الشاعر فيقراها في اسبوع ، ليخرج منها بكتاب رابع يقل كثيرا عن اقل هذه الثلاثة ، وليس الذنب مما يعود الى قصور لديه ، ولكنه ذنب العجلة الطائرة التي تركبه حماها الساخنة فلا تدعه يرتاح الى تحليل وئيد ، ماذا عسى ان يقول صاحبي في كتاب سوده دون تحقيق ومعاناة ثم ماذا عسى ان اقول في مقدمته ؟ من يدري لعل الرجل خالف نهجه فاطمأن وصدر في كتابه هذا عن روية ؟ ان من حقه علي ان اقرأ ، ولن استطيع النكول عن كتابة مقدمته وقد شرفني — في اعتقاده — بكتابتها ، ويا له من تشريف !

اخذت الكتاب ، وتركني صاحبي لافرغ لشأني وشأنه ، فلم أكد اقطع الصفحات الاولى حتى تأكد ما ظننت اذ أن المؤلف قد لزم الجمع التقليدي السريع ، فكتب كثيرا كثيرا ، ولكنه لم يقل شيئا يحسب له ، وكأنه ظن انه يقوم بشرح مدرسي لكتاب مقرر في حجرة من حجرات الدرس فحصر جهده في قراءة الكتاب ليعيد التعبير عنه لتلاميذه البادئين ، بل ان مدرس الفصل قد يلم بنقد ما لما يشرح من حقائق الكتاب المقرر اذا وجد ما يدعو الى النقد ، اما صاحبي ، فقد كرر واعاد ، وسود الصفحات في غير غناء !

سيطر علي هذا الشعور منذ الصفحات الاولى من الكتاب واخذت براهينه تتوالى بتتابع القراءة حتى فرغت من عبء قراءته لاستقبل عبء الحديث عنه ، ويا له من عبء مرهق شاق لم اجد بدا من حمله ، فاستعنت بالله وخططت مقدمة توضح الموضوع للكتاب وتعرض أبوابه ، وكأني فرغت من مهمة شاقة حين اذن الله ففرغت من كتابتها ، وجاء صاحبي ليقرأ في عجلة ما كتبت ، فراعني ان يقطب ويعبس ، وان يصيح بي غاضبا منددا بما ظنه تهاونا في حقه وانتقاصا لجهده ، ثم علا صوته حين قال : ان فلانا الاديب الذائع قد وعده بكتابة مقدمة شافية تشرف الكتاب ، وهو مضطر الى ترك ما سودت من هراء ، والخطأ خطؤه اذ نزل بالكتاب عن مستواه حين ترك تقديمه لمن يزن الحديث بالدانق والقيراط .

مضت أيام ، وظهر الكتاب للناس فسارعت لقراءة ما خط الاديب الذائع في المقدمة فلم أجد غير مقدمة جديدة كتبها المؤلف نفسه لكتابه ، فحمدت الله في نفسي أن عجز صاحبي عن ان يحمل احدا على تسطير زيف يجامل ، ثم اندفعت لقراءة ما كتب ، فاذا استعلاء مفرط للناس ، وانتقاص كريه لسابقيه ممن بحثوا الموضوع ، وادعاء عريض لجهد بذل في تقرير حقائق جديدة ، واكتشاف آراء سديدة ، وتفصيل مجمل غامض ، مع ان

البحث ـ علم الله ـ لا يخرج عن بسط سقيم لترجمة ادبية في مثل كتاب « الوسيط » تشفع باستشهاد ممل يكاد ينقل ديوان الشاعر دون تحليل هادف او تهد بصير!

وقد قرات ما كتب صاحبي وانا اعجب بشجاعته الخارقة حين واجه الدارسين برايه في نفسه متطاولا مفترا ، وقد ظن ان الناس يعيشون في مثل قرى النمل لا يقرءون ولا يبصرون ، فله الحق ان يصيح في وجوههم بما يشاء !

هذا مثال شهدته عن عيان ، وقد وعدت القارىء في مطلع هذا المقال ان احدثه عن بعض ما شهدت وبعض ما قرات ، فلانتقل معه الى الشق الثاني فاعرض مثلا رائعا مما قرات يقف على النقيض مما وقع موقع التجربة الشخصية مني ! وسيكون بلسما شافيا لجراح الذين يتألمون من الادعاء الزائف والتبجح العريض حين يعلمون ان الحياة لا تزال عامرة بأفاضل امناء من ذوي الكمال الخلقي ، والسمو النفسي ، والتواضع العلمي ، وان كانوا من القلة بحيث يشغب عليهم أصحاب الضجيج المفتعل والصخب الكريه ، وقديما قال الشاعر :

تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل

لقد وقع في يدي كتاب « الجغرافيا التاريخية الاسلامية » لمؤلفه الاستاذ محمد أحمد حسونة بك استاذ التاريخ الاسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وهو أول كتاب عربي طبع في موضوعه ومؤلفه مؤرخ فاضل له نشاطه في ميدان التربية والتأليف ، وكتبه المدرسية وغير المدرسية ومحاضراته التاريخية كلها موضع التقدير ، وقد جاوز الستين قبل ان يخط كتابه ، فقطع بذلك عمرا مباركا في دنيا العلم والتعليم ، وقع في يدي الكتاب فبدات بقراءة مقدمته على علم مني بمكانة المؤلف الكبير العلمية والرسمية بين الناس ، فراعني ان يقول ما نصه :

« وبعد فان كلية دار العلوم رات ان يدرس لطلابها شيء من الجغرافيا التاريخية الاسلامية يعينهم على تفهم التاريخ الاسلامي وما يرتبط به ، وقضت الظروف ان يسند الي تدريس هذه المادة الجديدة التي لا اعلم لها كتابا في اللغة العربية ولما كنت عديم الخبرة بهذا الموضوع فقد رجوت بعض علمائنا الفطاحل في الجغرافيا ان يكتبوا فيه ولو كانت كتابتهم مقصورة على العناصر المهمة ولكنهم اعتذروا بضيق وقتهم ،وهو عذر حقيقي بسبب ما يضطلعون به من مهام الدولة ، ومن ثم عكفت على تتبع آثارهم وجعلت اساس عملي رسالة قدمها الاستاذ حسن بك جوهر فاحتذيتها احتذاء يكاد يكون كليا واستعنت بما كتبه سعادة الاستاذ مصطفى عامر بك وكيل وزارة المعارف ، وحضرة الاستاذ الدكتور عباس بك عمار، ولم اتورع عن الاخذ من كتابات هؤلاء العلماء الاعلام ، وكثيرا ما نقلت افكارهم بأسلوبهم خشية أن أضل اذا انا حاولت تغيير الصيغة التي اختاروها ، ورحم الله امرا عرف حدود جهله ووقف عندها ، فما جاء في هذه الوريقات من صواب فمرده الى هؤلاء العلماء وامثالهم، وما ورد فيها من خطأ فمرجعه الى تقصيري ، ورجائي ان يكون هذا الخطأ من الجسامة بحيث يحفز احد هؤلاء المتخصصين الى التأليف في موضوع حان الوقت لتدريسه » .

قرات هذه المقدمة وقد صدرت بتاريخ ٢٥ من جمادي الآخرة سنة ١٣٦٩ الموافق ١٣ من ابريل سنة ١٩٥٠ ، لان بعض الكتب الخاصة بموضوع الكتاب قد ظهرت في المكتبات بعد هذا التاريخ ، وهو ما تجدر ملاحظته ، اقول ، قرات هذه المقدمة فدفعتني سريعا الى قراءة الكتاب لالمس جهدا قويا في التأليف وكدا مثمرا في البحث اذ تعرض الكاتب بافاضة الى الحديث عن جغرافية بلاد العرب ثم الى الحديث عن طرق القوافل في الجزيرة حديثا مركز المعنى واضح الاتجاه فاذا فرغ من ذلك في اكثر من عشرين صفحة انتقل الى الحديث عن الظروف الجغرافية التي هيأت فتح العراق وفارس فأفاد واجاد ثم تابع القول في هذه الظروف التي مهدت لفتوح الشام ومصر وبلاد المغرب والسودان والاندلس والهند في تحليل علمي تؤيده التواريخ وتدعمه الاحصائيات ويأخذ من وصف البيئة الجغرافية بتضاريسها وسهولها وانهارها وجبالها وحقولها وسدودها ما يشرح عقبات الفتوح ويوضح طرق تذليلها توضيحا تمده البصيرة الكاشفة والحدس الخبير .

قرات ذلك كله في اعجاب بالغ لاقول في نفسي بل لله ! استاذ كبير في ملئه يقدم كتابه الى تلاميذه الكبار بالليسانس والدراسات العليا ليقول لهم بعد ان بذل ما بذل ، وكابد ما كابد ما ملخصه « انا عديم الخبرة بالموضوع وقد رجوت العالمين ان يكتبوا فاعتذروا فاعتمدت على مؤلفاتهم ولم اتورع عن الاخذ من كتاباتهم وكثيرا ما نقلت افكارهم بأسلوبهم خشية ان أضل اذا حاولت تغيير الصيغة التي أختاروها ، ورحم الله امرا عرف حدود جهله فما جاء في كتابي من صواب فمرده الى هؤلاء العلماء وما ورد من خطأ فمرجعه الى تقصيري ، ورجائي ان يكون هذا الخطأ من الجسامة بحيث يحفز احد هؤلاء المتخصصين الى التأليف في الموضوع !! » .

وهو قول يدل في رايي على ثقة الكاتب في نفسه ، وكأن مكانته بين الطلاب الكبار والقراء المتخصصين اثبت وارسخ من ان يزلزلها تواضع جاوز قدره حتى كاد يكون في راي السطحيين اعترافا بالقصور ، وهو عند المتعمقين دليل التمكن والرسوخ وآية الفضل والكمال .

لقد كان في مقدور المؤرخ الفاضل ـ لو تضخمت لديه نفسه تضخم الغرور ـ ان يكتب مقدمة غير ما كتب ، فيقول ما فحواه انه يدرس الموضوع الجديد ، فيخوض ميدانا يحتاج الى جهاد ، وقد الم ببعض المراجع

تحية وذكرى

الى صديقي القديم الكاتب العظيم ميخائيل نعيمة

★

يا خالد الذكر في صدق وانصاف — آثارك الغر زهر ملء افواف
(نعيمة) يا نياط الفكر في أدب — كأنه درر في غير أصداف
لبنان يحويك لكن القلوب غدت — في العرب مسكنك الحالي بأطياف
جاوزت «سبعين» من عمر يزيدهدى — وانما عشت من عمر بآلاف
أذاكر أنت لقيانا بمؤتمر — عاشت « بلودان » فيه ذات أعراف
قد كنت كالطود لا ريح تزعزعه — ولا قرون وعول رهن ايجاف
ما بت تحتاج دفعي غير أن على — مقامك الفذ ناداني لاسعاف
خاطبت شخصك في اجلال عارفه — أيا (معلم) لا تعبأ باخلاف
حتى مضى شانيء يأوي لمستتر — وباء بالكيد ذو سوء والحاف
ان كل فيك بصير او يد رجفت — فكم رأيت نجوما طي اسجاف
وكم كسحت اضاليلا وشرذمة — من البغاة لقد عاشوا بارجاف
قالوا : وشرحت « جبرانا » بجثته — بمبضع فت في رأس واطراف
وما دروا ان مين الفن مثلبة — لا يعتريها كريم صنو اشراف
حرية الفكر أغلى من مجاملة — لا يعتريها سنوى آداب اخياف
له أمسية في الشام بت بها — تشعشع النور في ديجور أسلاف
يزورك الشوق في « بسكنتة » وله — تحنان قلب على الاحباب هفهاف
ولي رفيق على لبنان أجعله — بالروح والجسم في اسفار رفاف

دمشق

زكي المحاسني

فانتفع بها ! ثم يقتصر على ذلك دون ان يجد ملامة من انسان ، ولكنه ـ في رايي ـ اراد ان يقدم انموذجا من ادب النفس قبل ان يعطي شيئا من علم الدرس ، فلم يعبه ان يهتف بتلاميذه قائلا « وكثيرا ما نقلت افكارهم باسلوبهم خشية ان اضل اذا حاولت تغيير الصيغة التي اختاروها ، ورحم الله امرأ عرف حدود جهله فوقف عندها » .

هذا بعض ما قرات ، اقدمه للقارىء المنصف ليوازن بين مقدمة صاحب الكتاب الاول ومقدمة المؤرخ الاستاذ محمد احمد حسونه ، فيرى كيف ارتفع الفضل بانسان وهبط الادعاء بغافل ، وشهد الله اني لا اريد ان انتقص احدا ، ولكني وجدت في مقدمة « الجغرافيا التاريخية » موضعا للعبرة فدللت عليه ، مخففا من الم يعتادني حين اتذكر ان صاحب الشعر الاندلسي قد رماني بالحسد والحفيظة لاني حاولت الا اغرر بقارىء يثق في رايي ، ولا اقل من كلمات في مقال تشفي من غيظ وتبرد من اوام .

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

عـادل الغضبـان

الوتر المشدود بين التقليد والتجديد

بقلم غالي شكرى

* * *

لعلني لست مخطئا اذا قلت ان النقـد العربي الحديث ، يخطيء في حق نفسه وفي حق الادب خطأ فادحا عندمـا يقتصر في اداء واجبه على متابعة الخطوط العامة التـي استقر عليها الراي ، دون التفاصيل التي تحتاج الـى تكوين الراي . ولا شك ان الاطمئنان الـى راي قديم ، أيسر منالا من الاجتهاد بـراي جديد . ولكـن ، لـو ان الاطمئنان كان سبيل الادب والادباء ، لمـا تطور الفن ، ولولا الاجتهاد والتجديد لما بقيت هـذه العلاقة القديمة الجديدة بين الانسان والفن .

وفي نقدنا العربي الحديث ، جهود غير منكرة فـي باب الاجتهاد ، غير انها من الندرة بحيث ان معظم النقـد آثر الاسترخاء في باب الاطمئنان . ولذلك كثـر حديث المعاصرين عن القدامى ، ولكن دون ان يضيفوا الى ما قيل عن هؤلاء في زمن القديم شيئا اصيلا موهوبا . وعندمـا يولي نقادنا ظهورهم للقديم ، ويتجهون بالتقويم لادبـاء المعاصر ، فان غالبيتهم تقتات على موائـد السابقين فـي مناهج التحليل .

لكل ذلك نرى الكثير من المؤلفات حـول جهابذة التراث العربي في الشعر لا تضيف الـى مراى عيوننـا شعاعا جديداً على ما ارتآه الجرهاني وابن قتيبة وابـن الاثير وابن المعتز وغيرهم . كما نرى كثرة المؤلفات التي تدور حول البارودي وشوقي وحافظ من المحدثين ، فـلا نجد لمحة لم تخطر يوما ببال طه حسين او العقاد . وهكذا يكاد النقد في بلادنا ان يدور في حلقة مفرغـة حصادها إقل من القليل .

ان رؤية الغابة مـن بعيـد ، لا تكلفنـا سوى شراء المنظار ، ولكن رؤية الاشجار واحدة واحدة تحتاج منـا الى مزيد من الجهد ، اكبر كثيرا من شراء منظار قديم . اقول ذلك وقد اصبحت مجموعة مـن « الاعلام » فـي حياتنا الادبية من المسلمات النقديـة التـي نتداولهـا ـ بصوابها واخطائها ـ في يسر يسير ، بينمـا حياتنا الادبية اغنى كثيراً من هذه التعميمات التي درجنا اليهـا حتى بتنا من امرنا في عسر عسير .

في مقدمة هذه التعميمات ، ذلـك التقسيـم او التصنيف للاتجاهات الادبية الـى كلاسيكية ورومانسية وواقعية ، وهو التقسيم او التصنيف المأخوذ برمته عـن الغرب .. او ذلك التقسيم والتصنيف الى جميل وقبيح ولفظ ومعنى وشائع ومبتكر ، مما اخذناه هـو الآخر ، برمته ، عن اسلافنا العرب . ولا ريب انـه ينبغي لنـا ـ ويحق ـ ان ننفتح علـى تجارب الآخريـن ، قدامـى ومعاصرين . ولكن الانفتاح شيء والنقل الحرفـي شيء آخر . فالانفتاح هو احدى لحظات « الثقافـة » وليس بالثقافة كلها ، هو التفاعل بالاخذ والعطاء ، امـا النقل الحرفي فهو اجتناب السير في طريق مجهول وايثـار السلامة بالسير في درب مطروق .

تلك رؤوس موضوعات تحتـاج الى عنـاء الدرس والتحصيل ، وهي الآن بالنسبة لي اكثر مـن جملـة خواطر وانطباعات دارت برأسي وانا اتوقف بين صفحات ديوان العرب عند شاعر ظلم نفسه قبل ان يظلمه غيـره ، شاعر يضع النقد امام الاحساس بالذنب في موقف بالـغ الحيرة والتعقيد ، ذلكم هو الشاعر عادل الغضبان .

ومن المفارقات حقا ، ان هـذا الرجل بتواضعـه المسرف ـ فهو لم ينشر ديوانه بعد ـ قـد ادى فـي الماضي ، ولا يزال يؤدي في الحاضر ، والارجح ان اثـره سيمتد الى المستقبل ، ما لا سبيل الى نكرانه في حقـل الثقافة العربية . ولو اكتفينا في هذا المقام بمـا قدمته يداه لجيل الاربعينات من هذا القرن ، بمجلة « الكتاب » التي احتجبت عام ١٩٥٣ ، ثم للاجيال التاليـة ، بمجلـة « اقرأ » التي تواصل الصدور ، ثم للادب العربي قديمـه وحديثه بمواقعه في « دار المعارف » .. لو اكتفينا بهـذا الحصاد الغزير والخصب معا دون بقيـة نشاطاته فـي مختلف الارجاء ، لاستطعنا بضمير مستريح ان نعـده واحدا من اهم المعالم البانية والباقية في تاريخنا الادبي.

وسوف اقتصر هنا ـ الى حين ارجو ان يكون قريبا لافيه حقه من التقييم ـ على جانب واحد مـن جوانب حياته العريضة الثرية ، هو فن الشعر . وذلك بالرغم من ان تراثه المنشور قد اغفل « الشعر » ـ باستثناء « مـن وحي الاسكندرية » ـ وآثر القصة والمسرحية والنقـد ، فمن « احمس الاول » الى «ليلى العفيفة» الى «تيودورا» الى « ماروسيا » الـى « الشيخ نجيب الحداد » الـى مؤلفاته ومترجماته في حقل التربية والتعليم ، كلها قـد عرفت طريقها الى النور . اما الشعر ، فلسبب ارجو ان تفصح عنه هذه الدراسة الموجزة ، فقد عانى على يـدي صاحبه تجاهلا واعتكافا ، مما اوقع النقد فـي حيـرة خففت ـ فيما اظن ـ من وطأة الاحساس بالذنب .

ولقد تلقى عادل الغضبان حاسة الـذوق الادبـي ـ وربما ملكة الخلق ايضا ـ عـن اسرة عرفت بسعـة الاطلاع ومحبة الثقافة ، مما وفر له في طفولته وصبـاه الباكر مناخا ادبيا صالحا لاستنبات مواهبه فـي الخطابة

وقرض الشعر . وهو يذكر في هذا الصدد جده لوالدته، فقد رعاه طفلا وكان يصطحبه في غدواته ونزهاته ، وهو الذي أتاح لـه العدد الكبير من الكتب للمطالعة ، وهـو الذي عني بتحفيظه الشعر في سن مبكـرة ، فكانت اول قصيدة حفظها عنه يائية ابن الفارض ، كما كانت القصيدة الثانية ميميته . ومثـل هاتين القصيدتين ليس فـي متناول الاطفال لا روحا ولا لفظا . ولعل عزلة جده هـي التي حدته لان يؤثر هذه القصائد ، ثـم اتبعها بقصائـد اخرى . اما في مرحلة التفتح فقد اشتد عوده ، علـى ايدي الاب خليل اده اليسوعـي ، والخوري جـرجس شلحت ، والشاعر قسطاكي الحمصي ، ان حلمـه الاول كيف يكتب وقد كان معتـدا بنفسه لتفوقه في اللغـة العربية ، وعلمه الثاني بحور العروض الستة عشر ومـا يطرأ عليها من علل وزحافات ، ووطد الثالث لديـه حب اللغة . وسوف نلحظ الآثار العميقة المدى لهؤلاء الثلاثـة على بنائه الشعري ، بالاضافة الى ثقافته الفرنسية التي تلقاها وهو بعد تلميذ في المرحلة الثانوية ، اذ قرأ عيـون الرومانتيكية والكلاسيكية لاربابهما مـن امثال : رونسار وبوالو وكورني وراسين وشاتو بريان وهوجـو ولامرتين والفريد دي موسيه وجوته وشكسبير ، وغيرهم . ولـم تصادف اعمدة الرمزية والسريالية هوى من نفسه ، وان ظل منفتحا على آيات الابداع الفني أيا كان اتجاهه ، وايا كان مصدره . ولقد ترك التراث الانساني عامة ، والعربي خاصة ، بصماته واضحة علـى شعـر عـادل الغضبان ، ولكنها بصمات التفاعل الحي الخلاق الذي اثمـر شيئا لا يمكنك رده ببساطة الى احدى الخانات التقليدية للنقد الاوروبي الحديث ، او العربي القديم ، على السواء .

اذا صحت القاعدة النقدية القائلة بأن لكـل فنـان عالمه الخاص ، وان ثمة « مفتاحا » لهذا العالم ، لو عثر عليه الناقد لاستطاع ان ينفذ الى اخفى الخفايا ، ولامـد قارئه وشاعره معا بأعمق الاسرار واروعها .. اقـول اذا صحت هذه القاعدة ، فاني ارجو ان يصدق خدسي بـأن مفتاح عالم عادل الغضبان الشعري ، هو ذلك البيت الذي اختتم به قصيدة عنوانها « وطني » قال فيه :

العمـر فـان والحيـاة قصيـرة والخالـدان عقيـدة وشعـار

في هذا البيت يوجز لنـا عـادل الغضبان ملمحـا رئيسيا في فنه، هو هذه المطاردة الخفية التي يستشعرها امامه وفي اعقابه ، ولكنه في اطار هذا الحصار المحكم ، لا يرى سوى « الصمود » طوق نجاه مـن هـذه الدائرة التي تضيق وتتسع كلما حلا لها كجبر صارم اشبه مـا يكون بالقدر المحتوم . وبالرغم من ان هذا البيت قد ورد في ختام قصيدة « وطنية » الا انه يصدق علـى مختلف المستويات التي تسبح عليها شعره . فنحـن نستطيع ان نتتبع هذا الطراد ـ مع لهاثنا ـ فـي قصائده العاطفية والاجتماعية والوجودية ان جاز التعبير عـن ذلـك اللون الفلسفي الذي اضفاه على شعره كما يتضح في معارضته لابن سينا « النفس » . تتجسد هذه المطاردة الاليمة في قصائده الوطنية بأن يظل الصراع بين الشعب والاستعمار في حدود الدائرة المعذبة من النضال الـى الهزيمـة . وتتجسد في قصائده العاطفية بين العاشق والحبيبة في حدود الدائرة المضنية من الوجد الى الهجر .. وتتجسد في قصائده الوجودية بين الانسان والكون فـي حدود الدائرة الفولاذية من المهد الى اللحد . وهكـذا تنسكب على شعره ، ايا كان موضوعه وايا كانت اوزانه وبحوره ، نغمة اسيانة تسري الحانها الحزينة في الصورة الشعرية فتكسبها حرارة الدمع المحتبس .

يفتتح قصيدة « وطني » بقوله :

وطني متى القاك مرعي الحمـى والاهل فيـك اعـزة والجـار
أولست مهـدا للحضارة والعـلا من قبل ما شابت بـك الاقدار
فـي كـل محراب وكـل كنيسة اثـر تقصـر دونـه الآثـار

وهي مقدمـة تشي بعصب الرؤيـة الرومانسية للحضارة والتاريخ : النظر الى الوراء حين تقيم الدنيـا ويكاد المستقبل لا يبني ، فأمجاد الماضي الباهرة «تعوض» ـ مؤقتا ـ عن الحاضر المستباح ، والكئيب . وتتكامـل القصيدة فكرا ووجدانا ، فيتخللها الكفاح فـي ساحات الوغى ، ولكن سرعان ما تختتمها كآبة اليأس :

والنفي أهون مـن لزوم مواطن ضربت عليهـا ذلـة وصغـار
العمـر فـان والحيـاة قصيرة والخالـدان عقيـدة وشعـار

وكآبة اليأس لا بد وان تقود الـى هـذه « المقولة » التي نستخلصها من قيثارة عادل الغضبان مهمـا اختلفت النغمات على أوتارها المشدودة ، واعني بها مقولة « الفكر اسبق وابقى من المادة » . تلـك هـي نـواة الفكرة الميتافيزيقية الغالبة على شعره وتكوينه النفسي . وهـي مقولة العزاء الرومانسي عندما تحكم الدائرة قبضتها على عنق الشاعر ووطنه . ولعل ذلك ما يكسر نـداءه الـى « الغرب » في قصيدته « صوت العرب » :

كفاك يـا غـرب طغيانا ومفسدة ورميك الشرق بالويلات والحرب
لولا تعهده روض النهى قدمـا لم تزه فيك غراس العلم والادب

هنا تستكمل الرؤية الرومانسية للوطنية معالمهـا ، فأمجادنا القديمة ذات فضل عـلى الحضارة الغربيـة المعاصرة التي بادلتنا نورا اخذته عن ماضينا ، بظلام يهدد حاضرنا ومستقبلنا . ولا شك انها وجهة نظر اخلاقيـة تستمد عصارتها الفلسفية مـن الفكر المثالـي الصرف ، وتكاد تشيح وجهها عن الاسس المادية للواقـع الموضوعي المحيط بظاهرة الاستعمار الغربي . ولكنها وجهة نظـر متسعة الى ابعد الحدود مع الشكل الرومانسي الـذي آثره الشاعر ، والمضمون الميتافيزيقي الذي يستهويـه . وللدارس الحق في نبش الجذور « الصوفية » للشاعـر في بيئته العائلية اولا ، وبيئته الدراسية ثانيا حيث تلقى تعليمه الباكر بمدارس الجيزويت . ولكن هذه البصمات الواضحة للينابيع الاولـى ، لا تلبث ان تخضع للمزاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحزين ، فقد عرف الشاعر ووطنه ، كثيرا من المحن عبر عنها في قصيدة « امانينا » بقوله :

طالت علينا الليالي وهي داجية كانها لم تلد صبحا لياليا

ولا يجد من ثم نصيرا الا في ذلك « الفادي » الذي استطاع بقوة روحية عظيمة ان يطلب المغفرة لجلاديه .. هكذا تطل الرؤية الميتافيزيقية من قلب الموقف الوطني ، كما نلحظ في خاتمة قصيدته « خواطر » .

ولكن هذا الحزن المرير لا يصل بشاعرنا ـ مطلقا ـ الى حافة الاستسلام ، وانما هو يثق في « النصر » ثقة تكاد هي الاخرى ان تكون ثقة ميتافيزيقية .. انه النصر القادم على هيئة معجزة ، من الارض او السماء ، لا يهم . وانما لا بد وان تحدث المعجزة يوما . وهو تفكير منطقي يتفق مع الميل الحاد من جانب عقل عادل الغضبان وقلبه الى « المطلقات » . ولنذكر ان الدائرة التي يتوسطها صراعه ، هي في حد ذاتها « مطلق » ، والطراد الهائل الذي يلاحقه ، لذلك ، طراد مطلق لا رحمة فيه ولا هواة . الا تفسر لنا دائرة المطلق هذه ، حدة العواطف والانغام والافكار التي تشيع في عالمه الشعري ؟ من وهج العواطف المتقدة تذكو الرؤية الرومانسية في عالم عادل الغضبان ، ومن اضطرام انغامه تتدعم بنيته الكلاسيكية ، ومن عنف افكاره الثابتة تتدفق اخيلته الميتافيزيقية .

واعود الى القول بأن حزن عادل الغضبان هو حزن مطلق السراح من الاستسلام ، فالاستسلام هو لحظة تردد ، والتردد لحظة نسبية ، ولكن عادل الغضبان لا يستسلم امام حزنه ومرارته الكاوية للاعماق ، وانما هو يؤمن بالنصر ايمانا مطلقا ، كانما معجزة لا بد وان تحدث لتغير من مسار الهزيمة .. فهذا هو ناموس الكون وقانون الوجود ، هكذا ينظر الى « العرب » في قصيدته « النصر المبين » :

بالامس كانوا للعظائم محورا وغدا يدور الكون حول المحور

فبين الامس والغد « دائرة» من المطلقات الرومانسية تستلهم التاريخ وامجاده المدبرة ، دائرة محورها اليقين الميتافيزيقي بأن الحق ، لمجرد كونه حقا ، سوف يمحق الشر ، لمجرد كونه شرا . ولكن هذا المعنى في شعر عادل الغضبان ، لا يخدر الحواس بانتظار المعجزة في خميلة ظليلة من ورود المنى ، بل لا بد من استمطار المعجزة ، ولا بد من ان نثبت جدارتنا على استحقاقها . وهذا ما يطالعنا به في قصائد مثل « جرد سيوفك » و « ايها الجندي » ونشيد « لبيك امة العرب » . في الاولى يقول :

يا شرق لا تسكن الى دعة المنى فالغرب كثر عن نيوب ذئاب

وفي الثانية يخوض مع « الجندي » اهوال البحر والبر والجو ، قائلا له :

قم الى الحرب وخض منها العبابا وامتط الفولاذ في الروع ركابا

ان صبح النصر مهما يك غابا فغدا تلقاه قد شق الحجابا

يبدو للباحث في شعر عادل الغضبان ان احزان الوطن تغلب ما عداها من احزان ، ولكن هذا السيل العارم الفوار من الغضب على الاستعمار والمستعمرين ، لا يحجب احزانه واشواقه الاخرى . كم التاع قلبه وفاض اسى يوم اجتاح وحش الكوليرا ارض مصر .. وبين الدموع الرقراقة النازفة من قلب جريح ، تراه ثاقب النظر الى علة العلل وداء كل الادواء . انه يمسح عن عينيه وعيون مواطنيه غشاوة الهم الثقيل ، ليروا خلف توابيت الموتى وندب النادبات ، ابا الهول المخيف ، اكثر مدعاة للرعب من وحش المرض الجاثم ، وقد تمثل ذلك قرب المنتصف في قصيدة « محنة » :

مصر لولا الجهل والفقر لما عاش في ارجائها الداء المقيم
كم بها من خير سمح وكم من غنى ضيق الكف لئيم
هو شر من وباء الكوليرا

هنا ، المأساة الاجتماعية للبشر تزلزل كيان الشاعر بعد طول روية وتمهل ، فليس ميكروب الهلاك الا ضيفا شريرا أحسنت استقباله بيئة ينخر في عظامها سوس الظلم ، ولكن الفكرة الاجتماعية عند عادل الغضبان لا تتخلى عن محورها الميتافيزيقي في رؤية الكون ، كما تتجلى هذه الرؤية في قصيدته « منابع الرزق » ، وكان الشاعر قد مر ببحيرة تحيط بها الجبال الشماء والسهول الخضراء ، وقد نشر احد الصيادين شبكته بين شجرتين حتى تجف ويعود بها الى صيد الاسماك طلبا لرزقه ورزق عياله فأوحى هذا المنظر الى الشاعر بهذه الابيات :

برى الله هذا الفضاء الفسيح وداول فيه السنى والحلك
وارسى على الارض شم الجبال ومد البحار وشق الفلك
واودع فلسوت خليقاته طباق الثرى ومياه البرك
وسخر هذا الفنى كله لمن يطلب الرزق في المعترك
فسبحان ربي : ساع يلم الـ نضار وساع يصيد السمك
ورزق همي كسيول الغمام وآخر ضاق مضيق الشبك

على هذا النحو يرى عادل الغضبان الحل الاجتماعي، او الحل الروحي لمشكلة البشر ، وهي رؤيا ميتافيزيقية كاملة ، مدارها الفلسفي الايمان المطلق بالخير الكامن في الطبيعة ، ومدارها الواقعي الايمان المطلق بالعمل الانساني ..

لا يختلف الامر ـ عند عادل الغضبان ـ فيما يتصل بتجاربه العاطفية . وهو كشأن الغالبية العظمى من ادباء الوطن العربي ، نادر « الاعتراف» بخوالج القلب وهمسات الحب . ولكن هذا « التقليد » لا يمنعه من الاقرار بفضل سيدتين في حياته : اولاهما تعرف عليها في عهد الشباب ، وكانت تكبره سنا ، وعلى جانب كبير من الثقافة والذكاء فاستفاد من لقاءاته بها واثر فيه توجيهها وما كانت تنثره على مسمعه من احاديث وآراء في العلم والفن والادب . ولما بلغ مبلغ الرجال كان لزوجته الاولى التي احترمها الموت في نضارة الشباب ، ولزوجته الثانية التي اختارها شريكة لحياته بعد عشر سنوات من وفاة الاولى ، كان

لكل منهما اثر في حياته الادبية « بما كانت تبذلانه من مشاركة روحية ورأي سديد وشورى كريمة في اعماله الادبية » . بهذه الكلمات البخيلة ، ينتهي « الاعتراف » في حياة عادل الفضبان العاطفية وهي لا تشفي غليل الناقد الذي يود ان يستشف ما وراء الاخيلة الوارفة الظلال على قصيدتين من اهم قصائده الوجدانية ، وهما « تحت الكرة » و « المراة والشاعر » . وبينما تنحو هذه الاخيرة نحو التجريد والتعميم ، تتجه الاولى نحو التجسيد والتعيين . وهما ، معا ، لا يخرجان على اطار الحلم الرومانسي في الحب ، وان اختلفت التجربة الذاتية بحرارتها الدافقة ، عن التجربة « العامة » بوقارها الصارم .

في قصيدة « تحت الكرمة » يبتهل شاعرنا الى الليل ان يتستر على خلوتهما ، فيترك السحب تطوي النجوم وتغيب القمر وتطارد اشعة الفجر . ذلك ان المحبوبة قلما توافيه في موعدها ، وها هي عين الرقيب قد غفلت عنهما ، واغصان الشجر جنت عليهما :

ليل قضيناه في سحر وفي سمر — والحارسان علينا الطهر والادب
لم نصح من غفلة كانت تحيط بنا — الا على عبرات الفجر تنسكب
فودعتني ودمع العينين منهمر — والقلب مثل جريح الطير يضطرب
يا صبح فرقتنا من بعد خلوتنا — يا ليته لم تزح عن وجهك الحجب

ان « سذاجة » البناء الشعري ، جزء لا ينفصل من الديكور العام للقصيدة ، بصورها البسيطة وانغامها السيالة ، فالشاعر هنا لا يتناول « الرخام » ويصنع منه تمثالا مهيبا للحب . وانما هو يرسل النفس على سجيتها ، وفي احدى لحظات صدقها « الفطري » مع الحياة ، لذلك جاء في هذه الحيوية وهذه العذوبة ، واكرر هذه السذاجة الحلوة ، عنوان البراءة الاولى . اما القصيدة الاخرى فهي تمثال رخامي شامخ ، وقلما تعثر فيه على اللفة الشخصية ، فالمراة هنا هي « المثال » وليست امراة بعينها :

هي من تسبي فتاها بالجمال — وتناجيه بسحر ودلال
كلما اذكت به العزم مشى — يطلب المجد ولو كان محال
قوة قدت من الضعف وكم — خلقت من ذلك الضعف رجال

ولان المراة هنا « نموذج » يلخص نظرة الشاعر للجمال الاسمى ، فان الصورة الشعرية تصبح مجموعة من المجردات ، على عكس الصورة الشعرية في القصيدة الاخرى حيث تتجسد في جزئيات الحياة والواقع : الصورة الاولى تتصف بالجلال الساكن لا يملك الانسان ازائها الا الخشوع الصامت ، اما الصورة الاخرى فتتصف بالالفة والمودة ولا يملك الانسان ازائها الا التعاطف الحار . غير ان الشاعر في كلا الحالين كان ينطلق من رؤيا واحدة للمراة والحب والجمال ، هي الرؤيا الصوفية التي تنفذ من المشخص الى المجرد ، فتجسد التجريد وتجرد الجسد في آن ، حتى ليمسيا شيئا واحدا هو الوجود . وتلك هي الرؤيا التي بلغت درجة عالية من التبلور والتركيز في القصيدة السامقة التي صاغها عادل الفضبان معارضا الشيخ الرئيس ابن سينا في قصيدته عن « النفس » ، وهي القصيدة التي تحتاج من القارىء ان يعود الى نصها الكامل ، لان اجتزاء مقتطفات منها يفسد ذلك الجو « الهيكلي » ان جاز التعبير عن بنائها المتشابك المعقد . ويكفي القول انك — وانت تقراها — تلهث خلف ذكريات متباعدة ، من دانتي الى رؤيا يوحنا الى ابي العلاء المعري .. حتى تمسك بأطراف ذلك الهيكل وقد نسجه الشاعر ، بصبر ايوب او صبر بنيلوب لست ادري ، نسجا شديد الوهج حتى لتكاد تفشى عيناك لو حدقت النظر، وعميق الظلمة حتىلتكاد ان تضل الطريق. وكان شاعرنا يود ان يقول لك : هذه دنياك ، النور الوهاج والظلمة الظلماء جنبا الى جنب ، فأين انت من الشعرة الخفية التي تفصل بينهما .

من نافل القول ان نتساءل في ختام هذه الدراسة الموجزة عن الصياغة الجمالية في شعر عادل الفضبان ، فالحق ان المطالعة المتانية للنماذج القليلة التي امكن عرضها في هذا البحث ، تضع ايدينا في غير اجهاد على شاعر كلاسيكي البناء رومانسي المضمون . ولذلك قلت منذ البداية اننا لا نستطيع — ولا يحق لنا — ان نصنف شعر الفضبان في احدى الخانات التقليدية للنقد الاوروبي الحديث او النقد العربي القديم ، على السواء . فهذه القوالب المعدة سلفا لتجارب غيرنا ، يجب ان نفيد منها المنهج العام ، لا ان ننقلها بحذافيرها . وها هو ذا شاعر يتحدانا بشعره ان نفسره في خانة دون سواها . انه باختياره للفظة العربية الرصينة والمنتقاة ، والتزامه الصارم بالعمود الخليلي ، ولهاثه وراء المطلقات وكأن طرادا عنيفا يلاحقه ، هو شاعر كلاسيكي بكل معنى وهو باختياره لاهواء الذات وتجارب العاطفة وامجاد التاريخ الغابر موضوعا للشعر ، بارتدائه هذه الحلة الفاخرة من الحزن والمرارة واللوعة ، شاعر رومانتيكي لا غش فيه . وهو في كلاسيكيته ورومانسيته جميعا ، ابن وفي للتراث الانساني عامة والعربي خاصة ، ولكنه اكثر وفاء للارض التي حملته والسماء التي ظللته ، مهما تعارض هذا الوفاء مع مقاييس النقد ومعايير النقاد . ولعل المسافة — التي جسدت هذا التعارض — بين شعر عادل الفضبان ونقد النقاد ، ليست في نهاية الامر الا هذه المسافة الواقعة بين النقد عامة والادب العربي الحديث مما يعبر عنه بعضهم احيانا قائلين ان هناك « ازمة » في النقد . انها بغير شك ازمة الانفصال عن واقعنا الادبي بملابساته المختلفة في الكثير عن ملابسات الآداب الاخرى ، وملابسات تراثنا ، وهي المنابع التي يؤثر نقادنا الاخذ عنها سواء روت زهورنا الادبية او قتلتها عطشا . والخطأ الفادح الذي يقع فيه عادل الفضبان اكثر من غيره انه يضيق من اطار الازمة حتى ليخالها خاصة به وحده ،

مرثية البدر الاخضر

بمناسبة ذكرى وفاة الشاعر بدر شاكر السياب

يا بدرا عانق ليلي رغم الظلمة
من فمك المكدود المتعب ..
... تلفظ كلمة ..
تحمل خبزا يكفي الجائع في ليل الحرمان
تحمل فجرا أخضر للانسان .
في ليل الاحزان تقابلنا .. اثنين ..
بدرا يسبح في سحب الحرمان
.. وربيعا يسقط اوراقه ..
.. وتلاقينا .. في غربتنا ..
املا ينمو في الاحشاء ..
ونسيما .. في جوف دخان ..
تسالنـي :
كيف البسمة جفت في الريعان
كيف الحب النابض يغفو في قيعان الظلمة
كيف تجف البسمة ؟
والامل النابض يجهض
ونسيم في جوف دخان ..
يا بدرا ... أعرفه حقا ...
لم أعرفك يسوعا تشفي العاني ...
لم أعرفك رضيعا .. تنطق من فمك الحكمة..!
.. تنصح فيها الكاسل .. والمتواني
بل أعرفك في حرمانك ..
تؤمن كيف يكون الحب رداء العاري
هل تعرفني ؟
أسهر في منتصف الليل الاسود وحدي
في دنيا حرماني أمضي ، او اتعثر
لا ادري .. يا قمري الاخضر
قالت عيناك لعيني ظامىء حب
الناس حيارى في دنيانا ...
أمضيت العمر غريبا في دنيا احزان .
والوحش الكاسر ينشب ..
... في الاحشاء المخلب ..
فنفني في غثيان : « .. ديسمبر ..
يا ليل الاحزان الاسود ..
بلبلنا .. غاب .. عانقه الصمت
ديسمبر .. يا ليل الاحزان الاسود »
يا بدرا يغفو في ظلمات البرد الحيرى في ديسمبر
يا غصنا من زيتون اخضر !..
هذي كلماتي ..
... باقة ورد ، في ذكراك
يا قمري الاخضر ، يا احزاني ،
يـا أشلائي ،
أيـن أراك ؟
والليل الاسود مصباحي
وطريقي ادمته جراحي ..
قل لي بالله حبيبي ..
أين أراك ؟ كيف اراك ؟

القاهرة — حسين علي محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بينما هي في الحقيقة ظاهرة عامة . من حق عادل الغضبان ـ وغيره كثيرون ـ ان يعرف مكانه من خريطة الشعر العربي ، ولكن استلاب هذا الحق على ايدي نقاد لا يعون واجبهم لا يمنحه حقا ـ بديلا ؟ ـ في حجب قيثارته عن الناس . فليس من العدل في شيء ان يحول ادراكه الجزئي لظاهرة اعم تتجاوز شخصه ، دون ان يقدم لقرائه ديوانه كاملا .

يصف عادل الغضبان « شاعرا » ما لا تصعب علينا معرفته قائلا :

خطرات النسيم من نفثاته — واحمرار الاصيل رمز جراحه
ودموع الصباح من عبراته — ونواح الطيور رجع نواحه
وخرير الغدير من خفقاته — وحميا العيون افضل راحه
هو لولا الهوى وصلب قناته — لم يفز خصمه برمي سلاحه

وهي ابيات توجز ايجازا امينا روح ذلك الشاعر ، او ذلك الوتر المشدود بين التقليد الكلاسيكي العريق ، والتجديد الرومانسي الشفيف . وهو وتر اصيل عزف لامتنا من الالحان ما يدعني اقول بضمير مستريح ان عادل الغضبان صوت باق في ديوان العرب .

القاهرة — غالي شكري

جرح جديد

فؤاد الخشن

الشويفات ـ لبنان



هاك جرحا فوق ذاك الجرح فانعم
بالذي تسكب افواه الجراح
ايها القلب الذي ينضجه
موقد الشمس ... وتذروه الرياح
يا شقيا بهوى طفل سماوي يشاء
صخرة الوديان تاجا للقمم
ويرى في فحمة الليل السدومي المتاح
ماسة الدهر التي تخزن شلال الصفاء .
همك الدائب يا او ليس ما زال يطوف
سائلا ، عبر سلالات الحروف ،
عن دم الحرف الذي استعصى على كل السيوف
باحثا عبر وحول الرجس عن جوهرة الطهر الفريدة
حالما في باب عشتار المباح
باساطير جديدة !
ايها الآتي من الماضي وجنات رؤى
لم تعش يوما بغير الكتب
اتظل العمر مسلوبا ، خياليا غبي
ومغيرا بسيوف الخشب
لتقاتل
في حقول القمح هامات السنابل
وتشك الرمح في كل طواحين الهواء !
استرح يكفيك يا كيشوت هذا العصر
ما جرعت من خل التجارب
وسقوط في تراب الحزن والخيبة مما
رحت في ارض الاباطيل تحارب
ان عصر الحب والفرسان ولى
وزمان الورق الوردي والسكب من الاعراق غاب
زهرة الحلم التي تولد من قلب المحار
لم تزل في الصدف المرصود في جوف البحار
فلتعش في تربة الواقع يا من
ينشد العنقاء والخل الوفي
ودع آلال الذي يحسب ماء واكتف
يا انجذابا بالبراءات التي تذكي ولوعه
يبتني من حبه الطفل بحبات الرمال
لخلود الذات جدران الهرم
ويقضي العمر تطواف حنين وارتحال
نحو « يوتوبيا » المثال
ثم لا يجني من الوهم سوى دمع الفجيعه
ولظى ينساح في الهدب اكتئاب
ونقابا من غمامات الندم

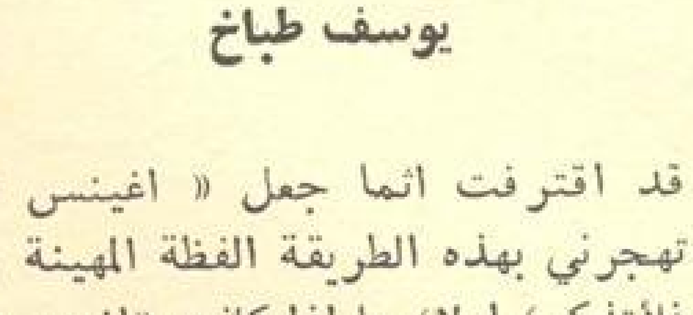
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا تبحث عن السر

تأليف البرتو مورافيا

ترجمها عن الانكليزية

يوسف طباخ



كان في وسع « اغينس » ان تصارحني ، بدلا من هجرها لي على هذا النحو ، وكانها تتعمد فيه اثارتي ! انا لا ادعي الكمال ، ولكن حبذا لو اخبرتني بالذي تنوي ، اذن لبحثنا الامر سويا . انها ، خلال سنتي زواجنا ، لم تفه بكلمة احتجاج واحدة . واذا هي تنتهز فرصة غيابي ، في صبيحة احد الايام ، لتنسل كخادم عثرت على مكان افضل . اجل ، غادرتني ، وعلى الرغم من غيابها ستة اشهر ، لم استطع ادراك السبب .

في ذلك الصباح ، بعد تبضعي اللوازم البيتية من سوق قريب (في الحق ، تلذ لي هذه المهمة : انني لأحفظ الاسعار عن ظهر قلب، واجيد المساومة ، بقدر حرصي على ان اعرف من اي حيوان سأقتطع شرائح اللحم ، ومن اية سلة ستكون تفاحاتي !) .. اقول : خرجت ، ثانية ، لابتياع ياردة ونصف من « الهداب » لستارة غرفة الطعام . عرجت على عدة محلات ، اتقاء لكل غبن يمكن ان يلحق بي ، وذلك قبل ان اعثر على طلبي في محل صغير في شارع « اوميلتا » . ولما عدت في الحادية عشرة ، دخلت غرفة الطعام لاقارن الهداب بالستارة ، فوقع نظري على المحبرة والريشة فوق الطاولة ، والى جانبهما رسالة . لقد صعقت ، حقا ، لوجود المحبرة على خوان الطاولة . بحق السماء ، أكان عليها ان تكون خرقاء الى هذا الحد؟ لقد بقعت الخوان. رفعت ما على الطاولة، واخذت الخوان الى المطبخ حيث تمكنت من ازالة بقعة الحبر بفضل الليمون والدلك الحثيث . ثم ، بعد نشره على الطاولة ، تذكرت الرسالة. كانت موجهة الي: الفريدو . فضضتها وقرات :

« نظفت البيت . يمكنك ان تعد طعامك بنفسك ، لانك معتاد على ذلك . وداعا ، فأنا عائدة الى بيت والدتي . اغينس » .

لم استوعب ما جاء في الرسالة ، فاعدت قراءتها كرة اخرى ، فاتضح لي ان « اغينس » هجرتني بعد سنتين من زواجنا ! وضعت الرسالة في درج جانبي، حيث احتفظ، عادة، بالايصالات والرسائل ، وجلست على كرسي قرب النافذة . كنت مضطرب الخاطر ، غير مهيأ للتفكير، وبصعوبة صدقت ما حل بي . وبينما اقلب الرأي وقع نظري على ريشة بيضاء ، انسلت من منفضة الغبار في اثناء تنظيف « اغينس » للبيت ، فالتقطتها ورميت بها خارج النافذة . ثم اعتمرت قبعتي وغادرت البيت . .

كنت اطأ بقدمي بلاطة واتجاوز اخرى لاطأ التي تليها ، لعادة متأصلة عندي. وانا اسائل نفسي : اذا كنت قد اقترفت اثما جعل « اغينس » تهجرني بهذه الطريقة الفظة المهينة . فلأتذكر، اولا، ما اذا كانت «اغينس» قد لاحظت اية بادرة مني مهما وهت على خيانتي لها .

وههنا ابادر فأجيب نفسي: لا شيء من هذا قط . وصراحة انا لم اكن مغرما بالنساء ، لانني لا افهمهن ولا يفهمنني . ويمكنني ان اجزم بانهن قد تلاشين من حياتي منذ تزوجت . ولقد كانت « اغينس » تحاول ان تثيرني بسؤالها من فترة لاخرى : « ماذا تفعل لو انك وقعت بهوى امرأة سواي ؟ » فكنت اجيبها: « لا مستحيل ، انني احبك مدى حياتي » ، والان اتذكر ان « مدى حياتي » هذه لم تكن تبهجها ، بل كانت تقطب وتزور عني عائدة الى صمتها .

لقد كنت قلقا من ان اكتشف ، مصادفة ، ان تكون «اغينس » قد هجرتني لاسباب مالية ، او بسبب معاملتي لها بوجه عام . الا ان ضميري كان مرتاحا : فمن ناحية المال ، صحيح انا لم اعطها الا لماما ، ولكن ما حاجتها الى المال ؟ لقد كنت مستعدا لان اقوم بواجب الدفع على الدوام . واما معاملتي لها ، فلم يكن يزعجها شيء مني ، ويمكنكم ان تحكموا بأنفسكم . كنا نرتاد السينما مرتين في الاسبوع ، ومرتين للمقهى ـ مع حقها بأن تتناول « البوظة » او تحتسي القهوة ، حسب هواها ـ واشتري لها مجلتين مصورتين شهريا اضافة للصحف اليومية ، وفي الشتاء كانت الاوبرا موضع اتفاقنا ، واما في الصيف فقد كنا نقضي العطلة في مارينو بمنزل ابي .

هذا بالنسبة للهو ، اما الملبس ، فلم يكن لها الا اليسير من الاعتراض، ان كان ثمة اعتراض . فعندما تحتاج لشيء ، منهدة او جورب او منديل، اكون على استعداد لان اصطحبها الى المتاجر ، واساعدها في الاختيار، ومن ثم ادفع دون تذمر . اما الخياطات ، او بائعو القبعات ، فلم اكن احملها على ان تقول : « اريد ثوبا ، او قبعة » ، دون ان اجيبها : « هلمي نذهب معا » ، بل اقر بأنها لم تكن كثيرة الطلبات : فبعد السنة الاولى من زواجنا كفت عن اقتناء الملابس . ولقد كنت الفت نظرها الى حاجتها لثوب او اي شيء اخر . الا انها اعتادت ان تجيبني بأن لديها من العام الفائت ما يكفي ، حتى لقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتقدت انها تختلف عن النساء اختلافا بينا ، فلم تكن تحفل ببهرج الثياب .

اذن فليس السبب ماليا او عاطفيا . لم يعد ثمة الا ما يدعوه رجال القانون « عدم الانسجام » . واتساءل : ومن اين يتأتى « عدم الانسجام » ، ونحن لم ندخل في نزاع او جدال طوال السنتين .

كنا دائما متفاهمين ونعيش تحت سقف واحد . ولو كان هناك شيء من « عدم الانسجام » اذن لبدا ذلك . ولكن « اغينس » لم تكن لتعارضني، واستطيع الجزم بانها لم تكن تتكلم قط . ونادرا ما كانت تنطق ونحن نقضي امسياتنا في المقهى او البيت، لانني كنت اقوم بدور المتكلم . وليس لي ان انكر انني احب التحدث والاصغاء الى نفسي ، وبخاصة اذا كنت اجالس من تربطني به صلة ود . وان حديثي ليتميز بالهدوء والانسياب والسلاسة واعتدال النبرة ، وان طرقت موضوعا فصلته ايما تفصيل . والاحاديث عن شؤون البيت هي المفضلة عندي : فمثلا اهوى الحديث عن الاسعار ، وترتيب المفروشات ، والطبخ ، والتدفئة ، وما شابه .. واني لاجدني ، احيانا، ابدي في هذا واعيد ، دون ان احس مللا . ولنكن منصفين ، فهذه الاحاديث هي الملائمة للمرأة: والا فاي حديث يمكن الخوض فيه مع امرأة ؟ وبالنسبة الي لقد اعتادت «اغينس» ان ترهف سمعها لحديثي على الاقل هذا ما بدا لي ــ الا اني لاحظت في مرة واحدة فقط ، وانا اشرح لها كيف يعمل مسخن الماء الكهربائي ، انها تهوم . فأيقظتها : « هل مللت؟»، لكنها تعللت بأنها متعبة ، وان نومها في الليلة التي سبقت كان غير مريح.

وان من عادة الازواج الخروج مع رفاقهم ، في اوقات فراغهم . اما انا فقد كانت «اغينس» هي صديقتي. فما كنت ابارحها ، وكنت البث في جوارها ــ ربما تدهشون ــ حتى في اثناء اعدادها الطعام . ومن فرط ولعي بالطهي كنت اشد المريول الى وسطي وانا اساعدها . كنت اقشر البطاطا ، وافرط البازلياء ، كما كنت اراقب طناجر الضغط . وقد كانت تقول لي احيانا : « انظر .. لقد اصابني الصداع ، سأستلقي » . عندئذ اتابع وحدي ، واقوم بمساعدة مرشد الطبخ بتحضير اطباق جديدة. ولسوء الحظ ، لم تكن « اغينس » اكولا ، وقد فقدت اخيرا شهيتها للطعام واصبحت لا تكاد تمسه . وانها لتقرعني ذات مرة ــ مداعبة طبعا ــ : « لقد اقترفت خطأ يوم ولدت رجلا .. انك امراة، ربة منزل»!

ولم يكن قولها هذا ليخلو من الحقيقة : فالى جانب الطهي ، كنت احب الغسيل ، والكي ، والخياطة ، وفي اوقات فراغي ، كنت اعيد تطريز المناديل . ومصداقا لما اقول، لم اكن اتركها ، حتى عندما تحضر صويحباتها لزيارتها ، ويوم تراءى لها ان تتعلم الانكليزية ، بذلت انا الاخر جهدي لتعلم هذه اللغة الصعبة ، لكي اظل برفقتها ، كنت الازمها ملازمة الظل ، حتى لقد جعلت من نفسي اضحوكة : ففي المقهى مرة تبعتها الى « المغاسل » كي استوضحها ما همست لي به ، فحال المراقب بيني وبين الدخول ، اذ كانت خاصة بالسيدات .

نعم .. ان زوجا يحمل خصائصي لا يسهل العثور على مثله . واحيانا كانت تخبرني : «انني مضطرة لارتياد محل كذا ، لكي اقابل فلانا الذي لا تميل انت اليه » ، فكنت اجيبها : « لا عمل لدي .. سأرافقك » . عندئذ كانت تجيبني : من ناحيتي تعال ، ولكنني احذرك من انك ستمل » . الا ان شيئا من الملل لم احسه قط . واني لاقول لها : « لم امل » ، كنا في الحقيقة متلازمين .

وصلت دكان ابي وانا اقلب الراي في هذه الامور عبثا ، اذ لم هجرتني؟ كان حانوت ابي على مقربة من ساحة « مينرفا » معدا لبيع الاشياء المقدسة . كان والدي شابا ، اسود الشعر اجعده ، وتحت شاربيه الاسودين ابتسامة غامضة . انه رقيق الحاشية ، هادىء ، دمث ، لتعامله مع رجال اتقياء . اما والدتي التي تعرفه جيدا ، فتقول انه « مستخف في ثيابه » ! مررت بواجهة العرض الحافلة بالمسوح والاواني ، الى غرفة خلفية حيث مكتبه . كان كعادته يدقق حساباته ، قارضا شاربيه متفكرا . بادرته مبهور الانفاس :

ــ ابي ! اغينس هجرتني .

رنا الي وكأنه يبتسم ابتسامته المعهودة ، هكذا خيل الي . ورد علي:

ــ انني آسف ، آسف جدا .. لكن كيف حدث هذا ؟

رويت له ما حدث بالتفصيل ، منهيا كلامي :

ــ طبعا انني مفتاظ من فعلتها .. ولكني اريد ان اعرف لماذا هجرتني ؟

فبدت الدهشة عليه :

ــ الم تعرف ؟

ــ لا .

صمت قليلا ، ثم تنهد :

ــ الفريدو .. انني آسف ، لكن لا ادري ما اقول لك .. انت ولدي ، وانا معجب بك ، واحرص على مؤازرتك .. ولكنها زوجتك .. وهذا من شانك ..

ــ صحيح ، ولكن لماذا هجرتني ؟

هز راسه :

ــ لو كنت مكانك ، لما بحثت عن السر . دعها وشأنها . ما يضيرك الا تعرف السبب ؟

ــ يهمني كثيرا ان اعرف السبب .. يهمني اكثر من كل شيء .

ودخل الحانوت قسيسان، فنهض ابي للقائهما وهو يخاطبني :

ــ عد الي فيما بعد .. فنتحدث .. انني مشغول الان .

غادرت الحانوت ، وقد ايقنت الا فائدة ترجى .

توجهت الى بيت ام « اغينس »

الزورق العائد

سيعود ليحملني الزورق ... وسأبصر حلمي قد أورق
وستزهر في قلبي الافراح ... ح ويمضي اليأس وقد اخفق

ملاحي .. أطلق اشرعتي ... ما القلب بشاطئه موثق
فأنا للرحلة مرتهن ... وشراعي يوما لن يخاق
وسأمضي، والابحار هوى، ... ان غاب النجم وان أشرق
ودروبي تهفو للرؤيا ... والشوق يلج وان اشفق
فأنا يا قلب على سفر ... أبدا سأكون على زورق
وحكاياتي قيد السما ... ر ، يطوف بها ليل مرهق

سيعود ليحملني الزورق ... وسأبصر حلمي قد اورق
ان تسمع يا صوت الحرما ... ن تعربد في الصدر المغلق

دمشق — سلافة العامري

القريب ، في ساحة « فيتوريو » ، وقد دخل في روعي ان « اغينس » هي الوحيدة التي يمكنها ان تميط اللثام عن هذا السر ! ادخلتني حماتي بدلا من « اغينس » ، غرفة الاستقبال . كانت حماتي تمتلك حانوتا ، وهي امراة لا اقدر على احتمالها ، بشعرها الاسود المصبوغ، وخديها الموردين ، وابتسامتها المصطنعة الماكرة . كانت ترتدي مبذلا قد زين صدره بوردة . وقد خاطبتني ، اذ راتني ، بود مزيف :

ـ الفريدو ، ما تفعله هنا ؟

اجبتها :

ـ انت تعرفين ما حملني على المجيء ، لقد هجرتني اغينس .

ردت بهدوء :

ـ نعم ، انها هنا . وماذا يمكننا فعله من اجل هذا ، يا ولدي العزيز؟ انها امور تقع وحسب .

ـ ماذا ؟ اهذا هو الجواب الوحيد الذي عندك ؟

امعنت بي النظر :

ـ هل حدثت والديك بامرك ؟

ـ نعم حدثت ابي .

ـ وماذا قال لك ؟

فكرت : وما يعنيها ان تعرف ما قال ابي ؟ وبامتعاض اجبتها :

ـ انت اعرف بأبي .. لقد قال لي : « من الافضل الا ابحث عن السر » !

ـ فانبرت تقول :

ـ انه على حق ، يا ولدي ، لا تبحث عن السر .

صرخت وقد انتابتني حميا :

ـ لماذا هجرتني ؟ ما فعلت لها ؟ اخبريني .

وفي سورة غضبي ، وقع نظري على الطاولة ، المغطاة بخوان ، في وسطة دائرة مزركشة ، وقد وضعت عليه مزهرية قرنفل احمر . كانت الدائرة منحرفة عن المنتصف . فقفزت ، بحركة تلقائية ، بينما كانت حماتي ترمقني مبتسمة بصمت .

رفعت المزهرية ، وشددت الخوان ، حتى جعلت الدائرة في منتصف الطاولة . عندئذ قالت :

ـ احسنت صنعا ، الدائرة الان في المنتصف تماما .. انا لم الحظها، ولكنك لاحظتها في الحال .. احسنت صنعا .. والان من الافضل ان تذهب ، يا ولدي العزيز !

انتصبت واقفا لحظة ان رأيتها تنهض . وددت لو اسأل ان كان في وسعي رؤية « اغينس » ، لكني تصورت ان ذلك عبث ، فضلا عن ان خوفا قد ساورني من ان افقد اتزاني ، اذا ما واجهتها ، فآتي بعمل احمق . لذلك غادرت البيت .

ولم ارها حتى هذا التاريخ . الا انها ربما عادت الي ، يوم تدرك ان ازواجا مثلي لا يمكن مصادفتهم كل يوم من ايام الاسابيع .

ولكنها لن تطأ عتبة بيتي ما لم تبين سبب هجرها لي .

دمشق — يوسف طباخ

روحي الخطيب - توفيق ابو شريف
موسى مزاوي - موسى علي الغول

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ روحي الخطيب

لمئات خلت من السنين ، شوهد « ريوجنيس » يطوف شوارع اثينا في وضح النهار ، وفي يده قنديل مضاء يستعين به ليحظى بشيء يفتش عنه ... وكان من الطبيعي أن يثير تصرفه هذا مواطنيه فسألوه : « عما تفتش ؟ » فأجابهم : « افتش عن الانسان ! » ولو قدر لي أن أعاصر ذلك الفيلسوف اليوناني لاومأت باصبعي الى « الانسان » الذي ينشده ... في اهاب روحي الخطيب !

ولد « روحي » في بيت المقدس عام ١٩١٤ من اسرة عريقة في عروبتها وهي اسرة « الكناني » التي استوطنت القدس منذ ثمانية قرون وتولت الخطابة في المسجد الاقصى جيلا بعد جيل .

وفي سن دراسته دخل المدرسة الرشدية وانهى فيها الصف الثانوي الاول والتحق بالكلية الانكليزية وامضى فيها ثلاث سنوات وحصل على شهادة امتحان اوكسفورد وكمبردج عام ١٩٢٩ وعين معلما في دار الايتام الاسلامية بالقدس . وفي عام ١٩٣١ عين موظفا في دائرة الهاجرة والسفر وعمل في عدد من المدن الفلسطينية وقدم خدمات لرجال الحركة القومية في فلسطين ، ممن كانت السلطة البريطانية تحاول القبض عليهم واعتقالهم في سجونها لئلا يقوموا بنشاط عدائي ضدها خارج فلسطين .

وفي عام ١٩٤٣ نقل الى دائرة شؤون العمل وظل يعمل فيها مدة عامين ، وبعد الشروع في تأسيس المكاتب العربية استقال من عمله الحكومي مضحيا بتقاعده وعين رئيسا لديوان المكتب العربي في القدس عام ١٩٤٦ وظل يعمل فيه حتى عام ١٩٤٨ كما عمل في المشروع الانشائي . وبعد حلول النكبة المروعة الاولى في فلسطين التحق باللجنة القومية في القدس وقام بواجبه المدني اثناء القتال العربي ـ الاسرائيلي ثم كموظف اداري في مكتب الارتباط الخارجي التابع للجيش الاردني وبعده عين مديرا لمكتب تصاريح السفر في القدس ، وظل يصرف شؤونه حتى شهر نيسان ١٩٤٩ ، فهجر العمل الحكومي وانصرف للاعمال الاقتصادية والعمرانية في المدينة المقدسة، فاسس مع نفر من اخوانه بضع شركات منها « شركة الفنادق العربية» برأس مال تعاوني زهيد مقداره ستة آلاف دينار مقسمة على ٦٦ مساهما وانتخب رئيسا لمجلس ادارتها ومديراً عاما لغاية ٨ ـ ٣ ـ ١٩٦٨ ، وكانت باكورة مشاريع هذه الشركة « فندق الزهراء » وهو أول فندق عربي ، بل اول مشروع اقتصادي اقيم في القدس بعد النكبة الاولى ، وكان الناس ينظرون الى هذه المجموعة من الشباب نظرة تهور وطيش وجنون ... لان الاوضاع السياسية في فلسطين كانت مضطربة

وايمانا من « روحي » بان للمدينة المقدسة واجبا عليه ، فقد وجه بعد نكبة ١٩٤٨ ، كل عنايته وجهده لدعم الوجود العربي في المدينة ومضاعفة عدد السكان العرب فيها ، عن طريق المشاريع التعاونية كخطوات أولية لبعث النشاط والحركة فيها .

ومن ابرز المشاريع التي اسهم في تأسيسها ورعايتها :

١ ـ شركة الفنادق العربية : تأسست عام ١٩٤٩ وكان لانشائها الفضل الاول في تشجيع عرب القدس اولا ثم اخوانهم الفلسطينيين والاردنيين في الداخل والخارج ثانيا والحكومة الاردنية ثالثا ، في استثمار اموالهم في انشاء فنادق اخرى في المدينة حتى بلغ عدد الفنادق العربية في أول ١٩٦٧ سبعين فندقا ، منها فندق الامباسادور ، ثاني فندق انشأته هذه الشركة ، والتي كان « روحي » رئيس مجلس ادارتها ومديرها العام منذ تأسيسها عام ١٩٤٩ ، وحتى تاريخ ابعاده من قبل سلطات الاحتلال الاسرائيلية عن المدينة في ٧ ـ ٣ ـ ١٩٦٧ .

٢ ـ شركة القدس العقارية : تأسست عام ١٩٥٠ ، ووجهت عنايتها مبدئيا لتعمير الابنية المدمرة ثم انشاء اول حلقة من المخازن التجارية خارج سور القدس ، مما شجع اصحاب الاملاك والمال على استثمار اموالهم في عمران البلد ، وكان من نتيجتها انشاء اسواق تجارية جديدة واخرى سكنية امتدت شمالا حتى رام الله ، وشرقا حتى قرى الطور والعيزرية وابو ديس واتصلت بالمدينة المقدسة . وفي عام ١٩٦٥ تسجلت هذه الشركة رسميا ووسعت اعمالها لشراء الاراضي في قرى النبي صمويل والعيزرية لاقامة ضواح سكنية عربية جديدة فيها . وكان « روحي » امين سر هذه الشركة منذ تأسيسها في عام ١٩٥٠ وحتى ابعاده من المدينة المقدسة على أيدي سلطات الاحتلال الاسرائيلي في ٧ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ .

٣ ـ شركة كهرباء محافظة القدس : تأسست عام ١٩٥٦ برأسمال اشتركت فيه بلديات محافظة القدس التالية : القدس ، رام الله ، البيرة ، بيت لحم ، بيت جالا ، بيت ساحور ، اريحا وعدد من قرى المحافظة وآلاف من سكانها العرب المقيمين والغائبين . ولقد سعت هذه الشركة لتعريب الشركة البريطانية القائمة منذ ١٩٢٨ واشترت امتيازها وحلت مكانها ، وتمكنت خلال الاعوام العشرة التي تلت تأسيسها من بناء محطة توليد جديدة وايصال شبكاتها وتيارها الكهربائي الى جميع مدن المحافظة والى ثلاثين قرية منها ، كما شجعت على المزيد من اعمال البناء وانشاء المصانع والمستشفيات والمدارس والمشاريع العمرانية الجديدة ، وكان « روحي » ينتخب باستمرار رئيسا لمجلس ادارتها وعضوا منتدبا لها منذ تأسيسها عام ١٩٥٦ وحتى تاريخ ابعاده عن المدينة المقدسة الى عمان في ٧ ـ ٣ ـ ١٩٦٧ وفي عام ١٩٥١ انتخب سكان القدس العربية الاستاذ روحي عضوا في اول مجلس بلدي منتخب للمدينة بعد النكبة الاولى .

وفي ١٩ ـ ١ ـ ١٩٥٧ اختارته الحكومة الاردنية رئيسا لبلدية القدس (ويقضي قانون البلديات الاردني بتعيين الرئيس من قبل الحكومة شريطة ان يكون من الاعضاء الاثني عشر الناجحين في الانتخابات) .

ولقد وجه « روحي » خلال رئاسته جهودا مرموقة في توفير الخدمات الرئيسية للسكان والحجاج والسواح ، وفي مقدمتها النظافة والتنظيم والمياه والكهرباء ، كما وثق علاقات البلدية بالحكومة والبعثات الشعبية والطوائف الدينية والجمعيات الخيرية والمعاهد الثقافية والنقابات العمالية وبعض الهيئات في البلاد العربية والصديقة ، الامر الذي اكسبه محبة الجميع وعاد بكثير من التقدم والتطور على القدس وسكانها ، وشجع الاهلين على اعادة انتخابه عضوا في كل من الدورات الانتخابية الثلاث : ١٩٥٥ و١٩٥٩ و١٩٦٣ كما شجعت الحكومة الاردنية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على اعادة تعيينه رئيسا للبلدية بعد كل دورة انتخابية تلت ذلك .

وعندما اعتبرت السلطات الاردنية « القدس » عاصمة روحية للمملكة استبدلت اسم « بلدية القدس » باسم « امانة القدس » كما استبدلت اسم « رئيس بلدية القدس » باسم « امين القدس » وهو الاسم الذي حمله الاستاذ الخطيب فيما بعد وعمل جاهدا للاخلاص له.

ومن ابرز الاعمال والمشاريع التي ساهم « روحي » في تحقيقها كرئيس وأمين للقدس الاعمال والمشاريع التالية :

١ ـ صيانة شبكة المجاري والطرق القديمة داخل السور .

٢ ـ انشاء شبكة مجار وطرق جديدة خارج السور .

٣ ـ تقوية مشاريع المياه القائمة ، وصيانة محطاتها وشبكاتها وايجاد مصادر جديدة للمياه في الخليل وينابيع القلط والفوار وانشاء محطات ضخ جديدة على كل منها ، وبناء مستودعات واسعة في كل محطة وانشاء خزان كبير يتسع لثلاثة)لاف متر مكعب شمال القدس ، وربط الجميع مع القدس بشبكات انابيب ضاعفت كميات المياه للقدس ثلاث مرات عما كانت عليه في نهاية عام ١٩٤٨ ، ووفرت لسكان القدس وحجيجها وسواحها وتقدم عمرانها حاجتهم من المياه الصالحة .

٤ ـ استملاك قسم من الاراضي المجاورة للسور شراء وتحويلها الى متنزه يجمل المدينة .

٥ ـ انارة القسم الشمالي من سور المدينة ليلا لاضفاء جاذبية سياحية على السور ، واستكمال المخططات وشراء المعدات الكهربائية اللازمة لانارة الجهتين الشرقية والجنوبية من السور ايضا .

٦ ـ استكمال انشاء موقف الباصات الجديد وسوق الخضار خارج السور .

٧ ـ التشدد في منع البناء على اقسام واسعة من جبل الزيتون حفاظا على قدسيتها لدى المسيحيين والمباشرة بزراعتها بثلاثة آلاف شجرة زيتون ، مهداة للمدينة المقدسة من كل من روما وتونس واثينا ، موفقا بذلك الصلات بين القدس والاردن من جهة ، وبين ايطاليا والفاتيكان وتونس واليونان من جهة اخرى .

٨ ـ استملاك أرض في وسط المدينة وشراؤها نقدا بمبلغ مئة وعشرين الف دينار وتجهيز مخططات هندسية لانشاء أول موقف تكسيات عليها في المدينة يتسع لمئة وخمسين سيارة تحت الارض ومئة فوقها ، وعدد من الطوابق التجارية وللمكاتب ، تبلغ تكاليف انشائها حوالي ستمئة الف دينار اردني ، والغاية من هذا المشروع ابعاد السيارات الصغيرة من مواقفها العادية امام ابواب السور (حفاظا على جمال السور وابوابه) وتجميعها في مكان يتوسط المدينة ويخدم مصالح سكانها ، ثم الاستملاك وتجهيز المخططات لهذا المشروع ، وكان من المنتظر طرح البناء للمناقصة في النصف الثاني من عام ١٩٦٧ ، لكن المشروع تجمد باحتلال المدينة .

٩ ـ استملاك اراض اخرى في شمالي المدينة وشرقيها لانشاء محطتين للباصات ، الاولى للباصات الوافدة من المدن والقرى الشمالية والثانية للمدن والقرى الجنوبية ، وقد تم الاستملاك كخطوة اولية ، وتوقفت المراحل الاخرى بسبب الاحتلال ايضا .

١٠ ـ استئجار اراض وقفية داخل السور ، بني على احداها مدرسة للبنات في حي المغاربة ، وشرع في بناء مدرسة اخرى للاطفال في حي السعدية لكن العمل توقف بسبب الاحتلال .

١١ ـ استملاك اراض اخرى لبناء مدارس وانشاء ملاعب خارج السور ، واحدة في حي الشيخ جراح والثانية في وادي الجوز ، وقد تمت اجراءات الاستملاك ، وتوقفت المراحل الاخرى بسبب الاحتلال الاسرائيلي .

١٢ ـ قيادة حملة تعريب شركة الكهرباء البريطانية والمساهمة في تأسيس شركة كهرباء محافظة القدس العربية بمبلغ ستين الف دينار ازدني والعمل على تطويرها ودعمها وتمديد شبكاتها وتخفيض أسعارها.

١٣ ـ انشاء نواة مكتبة وشراء ارض ووضع مخططات لانشاء مكتبة تليق باسم القدس في وسط حي باب الساهرة .

١٤ ـ وضع مخطط جديد لتوسيع حدود المدينة وتطوير تنظيمها بالنسبة للسكان والخدمات والحفاظ على المقدسات والآثار .

١٥ ـ تشجيع عقد المؤتمرات العربية والدينية والسياحية والقومية لدعم القدس عربيا ودينيا .

١٦ ـ المساهمة كعضو في اللجنة التحضيرية الفلسطينية التي اوصت باختيار اول مجلس وطني فلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ وكذلك في اللجنة الثانية التي اوصت باختيار المجلس الثاني عام ١٩٦٨ .

ورغبة من الاستاذ روحي في دعم الضفة الغربية بالاعمال العمرانية وتنشيط حركة السياحة فيها دعا اخوانه من اثرياء الكويت عام ١٩٦٦ للاصطياف في رام الله وضواحيها والتملك فيها وانشاء المساكن على قطع من الاراضي تقع في جبل الطويل بمدينة البيرة ، فاقبل الاثرياء على الشراء ، وقامت امانة القدس بتنفيذ هذا المشروع، لكن النكبة الثانية التي عصفت بفلسطين عام ١٩٦٧ جمدت هذا المشروع الحيوي .

وللاستاذ الخطيب نشاطات ذات اثر في القطاع العام ، فكان عضوا في « لجنة اليتيم العربي » التي انشات المعهد الصناعي الثانوي بالقدس وممثلا لمجلس امناء « المعهد العربي الاردني الكويتي » الذي تم تأسيسه عام ١٩٦٣ في قرية « ابو ديس » احدى ضواحي القدس ، لتثقيف ابناء الشهداء العرب وتعليمهم مهنا حرة ، ورئيسا لرابطة المناضل الجريح بالقدس وغيرها من الجمعيات القومية .

وبعد الاحتلال الاسرائيلي البغيض حلت السلطات الاسرائيلية مجلس بلدية القدس العربية وانهت خدمات رئيسه الاستاذ الخطيب بتاريخ ٢٩ ـ ٦ ـ ١٩٦٧ لكن عملية ضم القدس العربية وما تبعها من اجراءات عسكرية وادارية ، في عدادها حل المجلس البلدي وانهاء خدمات رئيسه ، لم تعترف بها الجمعية العمومية في هيئة الامم في قراريها المؤرخين في ٤ ـ ٧ ـ ١٩٦٧ و ١٤ ـ ٧ ـ ١٩٦٧ .

وفي ٧ ـ ٣ ـ ١٩٦٨ اعتقلت السلطات الاسرائيلية الاستاذ الخطيب وابعدته الى مدينة عمان في الضفة الشرقية تخلصا من صموده ومقاومته للاحتلال الاسرائيلي . وبعد وصوله الى عمان عقد مؤتمرا صحفيا شرح فيه اهداف اسرائيل التوسعية وما تبيته لفلسطين وعربها من مخططات جهنمية ، كما عقد مؤتمرا مماثلا في مدينة بيروت حضره مندوبون عن الصحافة العربية والعالمية ، وظل منزله ندوة للمخلصين العاملين للقضية الوطنية ، ومحجة للصحفيين المستطلعين أخبار القدس واحوالها .

وفي عام ١٩٦٨ زار الاستاذ الخطيب قداسة البابا بولس السادس في الفاتيكان وشرح له الخطر الصهيوني الجاثم على صدر عرب فلسطين والاماكن المقدسة من جراء الاحتلال الاسرائيلي ، كما زار في هذا العام مدينة نيويورك للمشاركة مع الوفد الاردني في جلسات مجلس الامن اثناء مناقشة قضية القدس ، وفي هذه الزيارة تحدث الاستاذ الخطيب في مجلس الامن ، حول اعتداءات اسرائيل على مدينة القدس العربية وشروعها في تغيير معالمها .

وفي عام ١٩٦٩ زار نيويورك للغرض نفسه كما زار باريس واسهم في شرح قضية حريق المسجد الاقصى الذي قام به الاسرائيليون يوم الخميس المصادف ٢١ آب ١٩٦٩ ، كما اسهم مع الوفد الاردني في اليونسكو في شرح الاعتداءات الاسرائيلية ضد الممتلكات الثقافية في القدس .

وفي عام ١٩٦٨ عقد في بيروت المؤتمر الاول لمنظمة المدن العربية وانتخب الاستاذ روحي عضوا وامينا عاما لهذا المؤتمر . وفي ١٩٦٩ زار ماليزيا وحضر المؤتمر الاسلامي المنعقد في كوالالمبور واشترك مع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوفد الاردني في شرح ظلامة فلسطين ، والقى كلمة في الوفود الاسلامية حول اعتداءات اسرائيل المتواصلة على القدس والاماكن المقدسة .

وفي عام ١٩٧٠ عقد المؤتمر الثاني لمنظمة المدن العربية في البحرين فانتخب الاستاذ الخطيب نائبا للرئيس ، وقد وزع على اعضاء ذلك المؤتمر كتابه القيم « تهويد القدس » الذي روى فيه مأساة المدينة المقدسة .

وفي منتصف نيسان ١٩٧٠ ادلى في عمان بشهادة قيمة امام اللجنة الخاصة التابعة للامم المتحدة والمكلفة التحقيق بانتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان العربي في الاراضي العربية المحتلة .

وفي ربيع عام ١٩٧٠ انتدبته جامعة الدول العربية لزيارة اسبانيا وجمهوريات امريكا اللاتينية ليشرح القضية الفلسطينية بصورة عامة وقضية تهويد القدس بصورة خاصة ، فزار اسبانيا والبرازيل واروغواي والارجنتين والشيلي والبيرو وكولومبيا وفنزويلا وغويانا ، وكشف للجمهوريات اللاتينية مآسي الحكم الاسرائيلي وما يلحقه بعرب البلاد المقدسة من جور واضطهاد واغتصاب للاملاك والعقارات العربية ، وما يوقعه بالعرب من ظلم وتشريد ، مستهدفا تحويل البلاد من بلاد مقدسة الى بلاد صهيونية عنصرية عسكرية توسعية ارهابية شبيهة بالحكم النازي .

وفي صيف ١٩٧٠ انتدبته منظمة المدن العربية ليرئس وفدها الى مؤتمر المدن الموحدة العالمي المنعقد في مدينة لينغراد بالاتحاد السوفياتي .

من آثاره القلمية : نشر الاستاذ الخطيب عشرات المقالات عن القضية الفلسطينية على وجه التعميم وعن القدس على وجه التخصيص، وكشف للعالم عن المخططات الجهنمية التي أعدتها الصهيونية العالمية لازدراد قلب العالم العربي .

وبعد الاحتلال الاسرائيلي صنف كتابا باسم « تهويد القدس » ونشره عام ١٩٧٠ وفيه صور مراحل تهويد المدينة المقدسة .

وتقديرا من مركز الابحاث الفلسطيني في بيروت قام بترجمة هذا الكتاب النفيس الى اللغة الانكليزية وصدر عام ١٩٧٠ ، وهو في سبيل ترجمته الى الفرنسية والاسبانية والالمانية .

نموذج من نثره : « ليست عملية تهويد القدس التي تقوم بتنفيذها سلطات الاحتلال العسكرية الاسرائيلية منذ السابع من حزيران ١٩٦٧ ، الا سلسلة حلقات من مخططات اسرائيلية رهيبة قامت باعدادها عقول صهيونية متآمرة حاقدة على البشر والانسانية على مدى الاجيال ، مستخدمة في تنفيذها ، أقصى ما وصلت اليه وسائل الارهاب والبطش والاستعباد من تجارب وفنون ، وآخر ما وصل اليه العلم الحديث من أجهزة ومبتكرات ، سائرة في تطبيقها بسرعة الذرة ، مخالفة جميع الشرائع الانسانية والقانونية والدولية ، مستهدفة في سبيل ذلك اغتصاب الارض العربية بشتى الطرق والوسائل ، وتشريد اصحابها وتصفيتهم ، والاستيلاء تدريجيا على المقدسات الاسلامية ، وتحويل المدينة المقدسة في مدى قصير ، وقبل ان يتحد العرب ويتجاوب معهم المسلمون والمسيحيون ، وقبل ان يصحو الضمير الانساني والعالمي ، مركزة على تهويد القدس وتصفية الوجود العربي وبخاصة الوجود الاسلامي في المدينة ، كما تعمل في الوقت نفسه على عزل المدينة المقدسة عما جاورها من القرى والمدن العربية ، وبالتالي مجابهة العالم بالامر الواقع .

لقد وضعت التصميمات الاولية لهذه المخططات الرهيبة في المؤتمر الصهيوني العالمي الاول المنعقد في مدينة بازل بسويسرا ١٨٩٧ برئاسة الدكتور تيودور هرتزل ، وجرى تنفيذها على مراحل كان أبرزها ما يلي:

أ ـ اعلان وعد بلفور في ٢ ـ ١١ ـ ١٩١٧ من قبل الحكومة البريطانية ومنح اليهود وطنا قوميا في فلسطين .

ب ـ تعيين السير هربرت صمويل ، الصهيوني الانكليزي ، في ١ ـ ٧ ـ ١٩٢٠ اول مندوب سام انكليزي في فلسطين ، ليضع الاسس الفعلية لتنفيذ وعد بلفور .

ج ـ تسهيل الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي تحت الحراب البريطانية اولا وبالمساعدات الاميركية والالمانية ثانيا ، ما بين ١٩٢٠ و ١٩٤٨ ، حتى ارتفع عددهم من (٥٦) الفا في سنة ١٩١٨ الى (٦٥٠) في ١٥ ـ ٥ـ ١٩٤٨ ، بينما ارتفع عدد يهود القدس من بضعة آلاف في سنة ١٩١٨ الى (٩٠) الفا في سنة ١٩٤٨ .

د ـ قرار هيئة الامم بتقسيم فلسطين بتاريخ ٩ ٢ـ ١١ ـ ١٩٤٧، وما تبعه من احتلال المنظمات الارهابية الصهيونية لمعظم احياء القدس قبل انسحاب جيوش الانتداب البريطانية في ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ .

هـ ـ اعلان دولة اسرائيل في ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ ، واعتراف هيئة الامم بها ، وتشريد معظم السكان العرب من المدينة المقدسة واغتصاب املاكهم بموجب ما أسموه « قانون املاك الغائبين » .

و ـ اعلان القدس عاصمة لاسرائيل في ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٥٠ ، ونقل برلمانهم اليها ، وزيادة الهجرة والاستيطان اليهودي فيها ، بحيث أدى ذلك الى ارتفاع عدد السكان اليهود من (٩٠) الفا في سنة ١٩٤٨ الى (١٩٠) الفا في سنة ١٩٦٧ .

ز ـ واخيرا الاحتلال العسكري لما تبقى من المدينة في ٧ ـ ٦ ـ ١٩٦٧ ومباشرة تنفيذ مراحل التهويد النهائية فيها ، ضمن عدد من الاجراءات العسكرية والارهابية والتشريعية والادارية ، اوردها فيما يلي ، مسلسلة حسب وقوعها ، معتمدا في ذلك على مشاهداتي الشخصية اثناء اقامتي مدة تسعة اشهر في المدينة المقدسة بعد الاحتلال ، وعلى ما جمعته من معلومات فيما بعد ، من الوافدين ، ومما تكتبه الصحف والمجلات والكتب الصادرة في المناطق المحتلة ، بالعربية والعبرية ، وعلى مجموعة من الوثائق والخرائط والصور .

القتل والاعتقال والتدمير والنهب : كانت اولى وسائل التهويد التي استعملتها السلطات العسكرية حين احتلال القدس هي نفس الاساليب التي لجأت اليها منظماتهم الارهابية في دير ياسين وكفر قاسم والمناطق المحتلة سابقا ، فقد امطرت القوات الاسرائيلية المدينة وسكانها المدنيين ، اثناء القتال في اليوم الاول ، وبعد انسحاب القوات الاردنية في اليومين التاليين ، بوابل من القصف المتواصل بالقنابل المحرقة ، جوا وارضا ، وبموجات من رصاص الرشاشات ، مما ادى الى استشهاد (٣٠٠) من المدنيين ، وكان في عدادهم عائلات بكاملها داخل المنازل ، وبعضهم في الطرقات والازقة ، اثناء فزعهم وهربهم من جحيم النيران المنصبة عليهم . وقد دمرت القنابل مئات من العقارات السكنية والتجارية خارج السور وداخله كما احرقت عشرات المخازن خارج السور ، والحقت اضرارا فادحة بعدد من الجوامع والكنائس والمستشفيات ، منها كنيسة القديسة حنة (المعروفة بالصلاحية) وكانت تضم (٣٠٠) من اللاجئين الوافدين اليها من خارج السور وكنيسة كلية شميدت خارج باب العمود ، والمسجد الاقصى ، ومئذنة باب الاسباط ومستشفى اوغستا فيكتوريا على جبل الزيتون ، وكان مكتظا بالجرحى والمرضى .

وقد استولى الجيش الاسرائيلي على معظم الابنية الكبيرة في المدينة ، وفي مقدمتها المدارس والفنادق ، وقام بنهب محتوياتها ومحتويات المتاجر ودور السكن والسيارات وذلك بعد اعلان وقف القتال .

ولجأت السلطات المحتلة الى فرض نظام منع التجول ساعات طويلة ، وفي فترات متلاحقة كانت تقوم بتجميع سكان الاحياء لساعات طويلة ليلا وتبقيهم تحت أشعة الشمس الحارة نهارا ، وتسوق مئات من السكان الى معتقلات مجهولة ، وتحجزهم غير مبالية بالسن ، وتخضعهم لانواع شتى من التعذيب النفساني والجسدي ، ولم يعرف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصير الكثيرين منهم حتى اليوم . وتسببت هذه الموجات من انجرائم والارهاب الوحشي بنزوح حوالي (٥٠٠٠) مدني ، معظمهم من اللاجئين التعساء » .

٢ ــ توفيــق أبــو شريف

شعاره منذ وعى ظلامة امته .. وعاش مأساة شعبه ... قوله البليغ : « في العالم قاعدة تقول « حين يتوقف الكلام يلجأ المرء عادة الى زنده ... ليعيش موفور الكرامة ! » .

ولد « توفيق » في قرية كفرعقب (من اعمال قضاء رام اللــه) وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة البيرة للبنين ودروسه الثانوية في كلية روضة المعارف لمؤسسها المرحوم الشيخ محمد الصالح ، والتحق بالجامعة الامريكية سنة ١٩٣٣ واحرز منهــا شهادة بكلوريوس فــي السياسة والاقتصاد سنة ١٩٣٧ وكان من زملائه ثلاثة من اعلام الشعــر العربي المعاصر هم عبد المنعم الرفاعي ومحمود الحوت وسعيد العيسى.

وبعد عودته الى بيت المقدس عين استاذا في « مدرسة النهضة » لمؤسسها المربي المرحوم خليل السكاكيني والتحق بمعهد حقوق القدس وعمل في الاذاعة الفلسطينية في عهد المرحوم ابراهيم طوقان مــدة اربع سنوات .

وفي اعقاب عام ١٩٤٢ التحق بمؤسسة البنك العربي وعين مساعدا لمدير البنك العربي في حيفا وفي ١ ــ ٨ ــ ١٩٤٣ نقل مديرا للبنــك العربي في اربد وفي عام ١٩٥١ نقل مساعدا لمدير البنك العربي فــي عمان وفي عام ١٩٦٦ عين مديرا للبنك العربي في محطة مدينــة عمان ، وله نشاطات اجتماعية وقومية في جمعيتي اصدقاء القدس ورعاية أسر المعتقلين والاسرى العرب في سجون ومعتقلات اسرائيل .

من آثاره القلمية : مارس « توفيق » الكتابة في الصحف والمجلات العربية واول مقال نشره سنة ١٩٣٢ فــي مجلــة « روضة المعارف » بالقدس حول تاريخ سبسطية وآثارها ، كما نشر في جريدة « النهار » خلال دراسته في الجامعة الامريكية ببيروت بحثــا مطولا عــن انواع الحكومات والانظمة السياسية في العالم ودلل في بحثه هذا على الفارق بين الحكم الصالح والحكم السيء وتمنى لبني جلدته نظاما صالحا يوفر لهم الطمأنينة والعدالة .

وخلال دراسته في الجامعة الامريكية كــان مــن محرري مجلــة « العروة الوثقى » وخازنا لجمعيتها ومن مقالاته في هذه المجلة مقــال بعنوان « العلم عند العرب » . وقد اسهم في جمع ونشر ديوان الشاعر المرحوم عبد الرحيم محمود المطبوع سنة ١٩٥٨ كما اسهم في جمع ونشر كتاب « مختارات من شعر المقاومة » المطبوع سنة ١٩٦٨ ولــه مــن المؤلفات المخطوطة الكتب التالية : (١) ابطال من بلادي ، (٢) القدس العربية ، (٣) أحكام الدية .

نموذج من نثره : « أحب الحياة ... وأحب الناس جميعا
أحب الجمال وأراه في اكثر نواحي الحياة ومظاهر الطبيعة
أراه في زرقة السماء الصافية
أراه في ضفائر الشمس الذهبية التي ترسلها الى الارض فــي الصباح والاصيل !
أراه في انسياب ماء الغدير وهو يروي الارض العطشى وفي تدفق مياه النهر وهي تحمل فوقها القوارب
أراه في ثنايا الخمائل يفوح منها العبير فيعطر اريجه الطبيعة
أراه في الجبال الشاهقة والوديان السحيقة والاشجار الباسقة
أرى الجمال في الامواج المتكسرة على الشاطىء
أراه في البحر الثائر وعلى الشاطيء الغافي
أراه في الليل الهادي والنجم الساطع !
أراه في نسمات الهواء تداعب غصون الاشجار
أراه في الراعي يسير بقطيعه في الصباح الى الغابة وهو يعزف على نايه اعذب الانغام !
أراه في بسمة الطفل وفي انحناءة الشيخ الكبير
أراه في نشاط الشباب واندفاعهم في سبيل أوطانهم ، وفــي جلال الشيوخ وحكمتهم في تصريف شؤونهم
أراه في المرأة التي ترعى بيتها واطفالها وتنشىء الجيل الصاعد عدة المستقبل وعماد الوطن
أراه في المرأة التي تكافح في سبيل الوطن والحياة الكريمة
أراه في المرأة التي تعمل في الحقل الانساني فتساعــد الفقيــر وتغيث الملهوف
أراه في العمل الدؤوب والوطنية الصامتة التي لا تتكلم
أراه في الجهاد المتواصل دون كلل او ملل
أراه في التسامح والصفح ، واراه في عزة الاباء والشمم ! »

٣ ــ موسى الياس المــزاوي

ظل « موسى » مباها معتزا بقول انتوني ناتنغ وزيــر الدولة البريطاني السابق للشؤون الخارجية : « ان اعظم حدث تاريخي في تاريخ العرب الحديث انطلاق المقاومة الفلسطينية . فمنذ ايام صلاح الدين الايوبي لم تشاهد المنطقة انطلاقة مثل هذه الانطلاقة التي حدثت قبل حــرب عــام ١٩٦٧ » .

ولد « موسى » فــي مدينة « حيفــا » بفلسطين عام ١٩٢٥ وانهى دراسته الابتدائية في المدرسة الاميرية بحيفا عــام ١٩٣٧ ودراسته الثانوية في المدرسة الاسقفية الكاثوليكية وفي مدرسة الفرير بحيفــا عام ١٩٤١ ، وبعد تخرجه عين موظفا في المحكمة المركزية هناك واقتــرن بالسيدة (مي) الصباغ كريمة المناضل الفلسطيني الشريف المرحــوم يوسف الصباغ .

وفي مطلع عام ١٩٤٦ قصد بريطانيا لدراسة الحقوق وعمل فــي المكتب العربي بلندن وكان رئيسه عهد ذاك الاستاذ موسى العلمي .

وفي عام ١٩٥٠ تخرج الاستاذ المزاوي محاميا من معهد (جرايزان) بلندن وعمل مستشارا حقوقيا لحكومة (برقة) في بنغازي اي قبيــل استقلال ليبيا .

وفي عام ١٩٥٧ حصل على شهادة بكلوريوس في القانون مــن جامعة لندن وعلى شهادة استاذ في القانون من الجامعة نفسها عــام ١٩٦١ وكان اختصاصه القانون الدولي العام .

وفي لندن زاول الاستاذ موسى المحاماة وشغل وظائف مختلفة في اذاعتي قبرص ولندن واخيرا استقر في التدريس وهــو الآن كبيــر المحاضرين في القانون الدولي في (كلية هولبورن) بلندن .

ومنذ نزوحه الى لندن وهو ينشر عشرات المقالات ويذيع عشرات الاذاعات في المواضيع القانونية والاجتماعية والسياسية باللغتين العربية والانكليزية ، ومن الامثلة على اتساع نشاطه ، وتشعب جهاده ، انــه في الوقت الذي كان فيه يدافع عن القضية الفلسطينية فــي الصحف والاذاعة والتلفزيون البريطاني ، ويرسل صوته مدويا على امواج الاثير في بريطانيا والعالم باللغة الانكليزية كان يذيع في نفس اليوم بل فــي نفس الساعة حديثا أدبيا وسياسيا من اذاعة لندن باللغــة العربية ، وكانت اذاعة لندن نفسها تبث له في البرامج الاجنبية كذلك حديثــا باللغة الانكليزية عن النقاط القانونية في النزاع القائم حول روديسيا وهو يعد كتابا شاملا عن هذا الموضوع .

واذا كان الاستاذ المزاوي هــو المناضل الفلسطيني والخبيــر السياسي والقانوني الاختصاصي والاديب الاجتماعي في آن واحد فــان هناك ناحية هامة من النشاط الذي بذله خلال الخمس والعشرين سنــة الماضية يمكن اعتبارها بحق وحقيق ذروة نتاجه وجهاده ومصدر فخره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واعتزاز له وهي تفانيه في خدمة القضية العربية على وجه التعميم والقضية العربية الفلسطينية على وجه التخصيص ، مضافا الى ذلك كله سعيه لتحسين سمعة الادب في الخارج وشجبه للبغي الصهيوني والعدوان الاستعماري .

وخلال عمل الاستاذ المزاوي في المكتب العربي بلندن عام ١٩٤٦ كتب الكثير حول ضرورة دعم وسائل الاعلام العربي في الخارج بالكفاءات والوسائل الجدية لتحسينه ، وتضاعف نشاطه في هذا المضمار قبيل العدوان الاسرائيلي على الاجزاء الباقية من فلسطين في ٥ حزيران ١٩٦٧ . وبعد انهيار الجهاز الاعلامي العربي في بريطانيا اثناء ذلك العدوان وبعده نتيجة لانسحاب الكثيرين من الدبلوماسيين العرب أصبح الاستاذ موسى مثل السيف فردا ... وظل وحده في الميدان الناطق المعبر عن وجهة النظر العربية ، يكتب في امهات الصحف والمجلات البريطانية ويتحدث في الاذاعة والتلفزيون ويلقي المحاضرات والخطب ، ويشترك في المناقشات والمناظرات وينظم الاجتماعات . وقد اعترف له بذلك المراقبون السياسيون في بريطانيا ، راندولف تشرشل وابنه ونستون في كتابه « حرب الايام الستة » الواسع الانتشار بقولهما : « ان الاذاعة البريطانية المحلية لم تستطع ان تبرز وجهة النظر العربية ، وقد يكون العرب انفسهم الملامين على ذلك ... وفي لندن باستثناء بعض الصحفيين الروس وشخص لا صفة حكومية او رسمية له هو الاستاذ موسى المزاوي المحامي الفلسطيني لم يكن هناك من يمثل وجهة النظر العربية » .

وفي النكبة الفلسطينية الثانية (٥ حزيران ١٩٦٧) قام الاستاذ المزاوي يدافع دفاعا مشكورا عن وجهة النظر العربية في الصحف البريطانية وفي الاذاعة والتلفزيون بلندن ، وقد ترك دفاعه المجيد هذا في نفوس العرب المقيمين في بريطانيا صدى مستجيبا ، اراد ان يعبر عنه الطبيب الشاعر الدكتور فؤاد حداد المقيم في لندن بقوله :

سلم اللسان وبوركت شفتاكا ... بالحق تنطق آه ما اسماكا
اطربتنا والحق يطرب سمعه ... فاكثر وردد يا أخي مغناكا
ما كنت احسب ان صوتك مطربي ... هل « معبد » في صوته حاكاكا
بالامس قبلنا الحدود محبة ... واليوم نرجو لو نقبل فاكا
فطلعت شمسا في سماء دجنة ... كنت المزيل لافكهم هناكا
لا تنطلي اقوالهم وفعالهم ... لو حاك دساس لهم ما حاكا
« موسى » تقبل من أخيك تحية ... ملء الفؤاد المنتشي بثناكا
واضرب بسيف الحق كذب مقالهم ... ابقاك ربي سالما ورعاكا

وفي السنوات الثلاث الاخيرة نشط الاستاذ المزاوي في تنسيق وتقوية المشاريع الاعلامية العربية ، وكان من مؤسسي « مجلس تعزيز التفاهم البريطاني ـ العربي » وقوامه نخبة من الشخصيات البريطانية الكبرى . وقبل استقالته من هذا المجلس عمل رئيسا للجنة التوجيهية فيه مدة سنتين كاملتين قام خلالهما بالاتصال بالشخصيات العربية والبريطانية والقاء المحاضرات والخطب في الاجتماعات والمهرجانات العامة .

من آثاره القلمية : ونشر « مجلس تعزيز التفاهم البريطاني ـ العربي » بلندن كتابين من تصنيف الاستاذ المزاوي ، الاول عن وعد بلفور والثاني عن قضية اللاجئين الفلسطينيين ، ووزع الكتابان على نطاق واسع ولقيا استحسانا كبيرا . وقد كتب المؤرخ والفيلسوف البريطاني المعروف « ارنولد توينبي عن الكتاب الخاص باللاجئين الفلسطينيين يقول : « ان كتاب الاستاذ المزاوي احسن واقوى بيان قرأته عن وجهة النظر العربية في هذه القضية » .

ومن الادلة على تأهب الاستاذ المزاوي في الدفاع عن العروبة والاسلام ان صحيفة التايمز اللندنية نشرت في عددها المؤرخ في ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ مقالا تضمن تجريحا للاسلام وتشهيرا بالمسلمين وفي ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ نشرت هذه الصحيفة كلمة دفاع واحتجاج شديدة اللهجة بقلم الاستاذ المزاوي وتلتها رسائل اخرى من هيئات اسلامية في بريطانيا ومظاهرة قام بها المسلمون في بريطانيا احتجاجا على المقال المغرض ، وحريق اضرمه الطلبة في احدى المدن بالباكستان بمكتبة المعهد البريطاني هناك تعبيرا عن سخطهم على ذلك المقال ، كما صدرت مقالات عنيفة في مختلف الاقطار العربية والاسلامية احتجاجا على المقال الذي نشرته صحيفة التايمس ، فاضطر السفير البريطاني في الهند الى الاعتذار عن هذا المقال .

وفي اغسطس (آب) ١٩٦٩ اشترك الاستاذ المزاوي في مؤتمر عقدته منظمات الصليب الاحمر الدولية في استانبول كمستشار قانوني لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني وعرض على المؤتمر طلب جمعية الهلال الانتساب اليه ، وبعد جهد قبل ذلك المؤتمر رئيس الجمعية كمراقب في المنظمة الدولية ، وكان هذا أول اعتراف دولي عام بكيان مستقل لهيئة فلسطينية .

نموذج من نثره : للاستاذ المزاوي في كل اسبوع حديث طريف يرسله من القسم العربي في محطة الاذاعة البريطانية عنوانه « البرلمان البريطاني في اسبوع » وفيه شرح لاعمال البرلمان وتعليق على الشؤون البرلمانية والسياسية عامة ، بالاضافة الى حديث اسبوعي آخر بعنوان « خمس دقائق » عن القانون البريطاني . ودونك نماذج من نثره :

« ان الدور الذي يجب أن يؤديه القانون الدولي في مجال العلاقات بين الدول هو نفس الدور الذي للقانون العادي بشأن العلاقات بين الافراد في المجتمعات صغيرها وكبيرها. فالقانون يجب ان يحقق العدل للجميع ويؤمن النظام والامن والاستقرار ، فهل حقق القانون الدولي هذه الغاية ؟ ان قيام حربين عالميتين خلال القرن الحالي واشتعال نار الحرب في الشرق الاوسط بعد فشل محاولات طويلة لاقرار حقوق العرب في فلسطين دلائل للكثير من الناس وللامة العربية خاصة على ان في القانون الدولي خللا وانه لعاجز عن الوصول الى الغاية المتوخاة منه ! »

« ان وجهة النظر العربية لم تعط حقها من العناية والاهتمام في الصحف والمجلات في بريطانيا ، بينما وجهة النظر الاسرائيلية قد ظهرت بقالب مستساغ وجذاب ... وفي الاجتماعات والمهرجانات العامة طغت وجهة النظر الاسرائيلية وسرح انصار اسرائيل ومرحوا في غير مقاومة تذكر . ومن امثلة ذلك انني تكلمت في مهرجان كبير لثماني جامعات بريطانية في مدينة نوريش وقد انتدبت السفارة الاسرائيلية اثنين من المتحدثين وكنت انا وحدي أمثل وجهة النظر العربية ، وقد أخبرني القائمون على أمر المهرجان انهم اتصلوا بجميع السفارات العربية هنا ولكنهم لم يوفقوا في الحصول على متحدث ، بينما السفارة الاسرائيلية استجابت لطلبهم فورا . وفي جامعة في شمال بريطانيا دارت مناقشة حول مشكلة الشرق الاوسط ، وقد مثل سفارة اسرائيل متحدثان بينما لم تقدم السفارات العربية احدا ، وقد روى لي مسؤول من جامعة « كيل » انهم عقدوا اجتماعا كبيرا قبل اسبوعين حول النزاع العربي الاسرائيلي وسعوا أربعة ايام متواصلة للحصول على متحدث عربي فلم يوفقوا الى ذلك بينما بعث الاسرائيليون باثنين من المتحدثين، وهذا في رأيي تقصير من الدول العربية لا مبرر له ، ففي بريطانيا عدد لا يستهان به من الطلبة العرب وغيرهم ، وفي الوسع تنسيق جهودهم والافادة منهم في توعية الرأي العام البريطاني عن قضايانا » .

« ان من واجب بريطانيا ، بصفتها عضوا في الامم المتحدة وبوصفها الدولة التي خلقت المشكلة من أساسها بوعد بلفور المشؤوم ان تتصرف بجرأة اكثر وتبدي رأيها بامانة وبلا لف ودوران في مختلف اوجه النزاع العربي الاسرائيلي . وفيما يختص بقنال السويس فان بريطانيا تستهدف كل شهر لخسارة اكثر من عشرين مليون جنيه استرليني ، واسرائيل المسؤول الاول عن اغلاق القنال واستمرار اغلاقها ، فلماذا لا تحتج بريطانيا ضد اسرائيل ؟ تذكرون عندما أمم

الرئيس جمال عبد الناصر القنال سنة ١٩٥٦ لـــم تكتف الحكومـــة البريطانية بالاحتجاج بل حاولت احتـــلال مصر عسكريا ، امـــا الآن فبريطانيا لا تنبس ببنت شفة !

وفيما يتعلق باللاجئين العرب الذين شردوا من ديارهم في حزيران ١٩٦٧ فان على بريطانيا ان تضغط على اسرائيل لتفتح ابـواب العودة لهم ... وعندما قصد مستر ويلسون رئيس وزراء بريطانيا موسكو طلب اليـه زعماء الهيئات اليهوديـة فـي بريطانيا ان يبحث مـع السلطات السوفيتية احوال الجالية اليهودية في الاتحاد السوفيتي وكنت اتمنى لو ان مستر ويلسون اغتنم هذه المناسبة وذكر قادة الجالية اليهوديـة في بريطانيا والوزراء الاسرائيليين الذين زاروه بان للاجئين العرب كذلك حقوقا يجب عدم التغاضي عنها ، وان منعهم من العودة الـــى ديارهم جريمة نكراء بحق الانسانية جمعاء ! » .

٤ ـ موسى علـي الغـول

كان شعاره منذ وعى مأساة فلسطين وعاش احداثها المروعة :

« لن يموت شعب يدافع عن اصالته وقوميته ، ولن تفنى أمة آمنت بحقها في الحياة والكرامة والحرية . لا ... لن يقع ذلك ولو طوقت يد الشر والطاغوت خصر الثورة ، وارادت أن تعتصر روحها ، او تفرغها مـن جوهرها ! » .

ولد « موسى » في بلدة سلوان جارة بيت المقدس سنـة ١٩٢٠ ، وتلقى تعليمه الابتدائي في كلية روضة المعارف الوطنية بالقدس ، وتخرج في الكلية العربية بالقدس سنة ١٩٣٩ وحصل على شهادة الانتر ميديت سنة ١٩٤١ وعلى شهادة المعلمين الاعلى سنة ١٩٤٧ وشهادة انتـر ميديت لندن في الاقتصاد سنة ١٩٥٢ ، وعمل معلما في مدارس اميرية بفلسطين (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وموظفا في دائرة المهاجرة والسفر (١٩٤٥ ـ ١٩٤٨) وبعد النكبة العربية الفلسطينية ادار شركة تجاريـــة بعمـان (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) فمدرسا في كلية الحسين ومديرا لمعهد العلوم الاسلامية بعمـان (١٩٤٩ ـ ١٩٥٢) فمفتشا للمعارف معارا لليونسكو في وزارة التربيـة والتعليم الاردنية (١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) وما لبث ان انصرف بكليته الـى القطاع الاقتصادي وشغل المراكز التالية :

أ ـ مديرا مساعدا للبنك العربي في عمان (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦) وفي الخرطوم بالسودان (١٩٥٦ ـ ١٩٥٧) .

ب ـ مديرا لبنك الرياض في الدمام بالسعودية (١٩٥٧ ـ ١٩٥٩) وفي مكة المكرمة (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) .

ج ـ مديرا لبنك الاردن في عمان منذ تأسيسه (١٩٦٠ ـ ١٩٦٥) فمساعدا للمدير العام .

د ـ مديرا للبنك العقاري العربي في عمان (١٩٦٦ حتى الآن) .

من آثاره القلمية : عالج « موسى » في مقالات نشرها في طائفة من الصحف الفلسطينية الاردنية موضوعات في التربية والتاريخ والريف كما صنف كتبا مدرسية للصفوف الاعدادية والثانوية عرفنا منها :

أ ـ الاساس في التربية الوطنية (بالاشتراك مع الاستاذين ذوقـان الهنداوي وفايز الغول) صدر سنة ١٩٥٤ .

ب ـ الجغرافية الاقتصادية للصفوف الثانوية (بالاشتراك مـــع الاساتذة ذوقان الهنداوي ، سالم الخوري ، ابراهيم الحباشنة) صـدر سنة ١٩٥٤ .

ج ـ الجغرافية العامة للتوجيهي (بالاشتراك مع الاستاذ حسنـي فريز) صدر سنة ١٩٦١ .

د ـ الجغرافية العامة للاعدادي (بالاشتراك مـــع الدكتور عباس الكرد وطاهر النمري وعبد المحسن جابر) صدر سنة ١٩٦٦ .

نموذج من نثره : « الجهاز المدرسي معمل لانتاج المواطنين تمثل فيه المدرسة البوتقة ، ويمثل الطلاب المادة الخام ، ويقوم المعلم بالدور الفني من صهر وتشكيل حسب المطلوب لذلك كان المعلم أهـــم عناصر الجهـاز المدرسي وكان يتوقف على اخلاصه واستعداده للقيام بمهمته مدى نجـاح عملية انتاج المواطنين . فليس يصلح للتعليم من لا يعرف اصول التربيـة وفن التدريس او من يرى انه يعدد اياما ويقبض راتبا ، وليس يصلـح لتثقيف النشء من يعتقد ان مهمته تنتهي عند دق الجرس ، او من يعتقد انه يشتغل لمهنة التعليم لاعالة نفسه وان عليه أن يهتـــم بنفسه قبـل الاهتمام بغيره . ولا يعد ناجحا المعلم الذي يعالج عجينته الحساسة بنوع من الاحتقار والسخرية او يسلق طلابه بالسنة حداد .

أليس بيننا الكثيرون ممن لا يحبون ان يسمعوا كلمة واحدة عـــن المدرسة والتدريس بعد دق جرس الحصة الاخيرة فـي يومهم المدرسي ؟ وكذلك اليس بيننا من لا يجدون بينهم حديثا سوى مدرستهم وطلابهـــم واختباراتهم حتى صار يقال « مثـل المعلمين ليس لهـــم حديث سوى المدرسة والطلاب » ولكن .. هل ينقطع الحديث عن الدرجات والترقيات؟ لا ... فالمعلم شخص مرهق راتبه اقل من جهة ، وليس له احيانا مـــا ينفس به عن نفسه سوى التهكم على الطلاب وفي ذلك خروج على فـــن التدريس وعن قصد السبيل مما يجعل الكثيرين غير صالحين للاعتنـــاء باطفال الامة اذ لا نريد محو الامية فحسب بل نريد تهذيبا ورفعا للمستوى الخلقي والنفسي . وقد آمن المسؤولون في جميع بلاد العالم بان المعلـم يجب ان يكرم ويجب ان يشعر بانه مقدر وانه ينال تعويضا لائقا عـــن تضحيته في اختيار هذه المهنة الشاقة . لانه مسؤول عن خلق جيل نافع لغيره ولنفسه يقدر جمال الكون ويعمل لخير الانسانية ، وهـــو عمـل لا يستطيع أن يقوم به معلمون غارقون في الديون أو لا يشعرون بتقديـر سام في المجتمع اذ ان فاقد الشيء لا يعطيه .

فمن حق المعلم والمعلمة ان يتبواء مركزيهما في المجتمع وان يشعـرا بذلك ومن حق الامة عليهما ان يكونا أهـــلا لذلك التقديـر والاحترام المادي والادبي .

سمعتم الكثير وطالعتم الكثير عن واجبات المعلم في الصف ووسائل اعداد درسه وطريقة الاعداد تمشيا مـــع اهداف التربية وسمعتم عـن التجارب الحديثة في علم النفس التربوي والتعليم الجديد وستسمعـون عن ادارة الصف ومركز المعلم بالنسبة للصحة المدرسية والقروية وهـــي امور كلها ذات قيمة بالنسبة للمعلم ولكنها تبقى نظرية اذا لم تعرف كيف نستفيد منها في تنشيط المجتمع ومحاولة ايجاد النواحي العملية ستكون بمثابة اجوبة لكثير من الاسئلة التي سالتموها لزملائي الذين سبقوني في التحدث اليكم مثل السؤال عن مبلغ تعاون البيت مع المدرسة وعدم هدم البيت ما تبنيه المدرسة وعلاقة المواضيع المدرسية ببعضها البعض .

ان مساهمة المعلم الفعالة في هذا المضمار تكون الحسنة والاخلاص في الارشاد والتوجيه ، وهي مطاطة سنفهمها عند بحث نواحي النشاط المدرسي .

اما الطالب فان اثره في تنشيط المجتمع مستمد من اثـر المدرسة والمعلم فيه ومن مقدار ما حبب اليه من مثل ومبادىء وطرق نافعة لـــه ولغيره في الحياة .

نحن في مدرسة القرية وقد سلمنا بوجوب جعل التعليم اعـــداد للحياة وان للتربية اهدافا نطلبها ، وان علينا ان نفكر ولو قليلا في مـا سنعمله غدا وان علينا خلق مشاكل بسيطة للطالب نتعاون واياه علـــى حلها وان للمعلم رسالة يؤمن بها ، كل هذا يجري فـــي غرفة الدرس ، ونحن اذ نخرج للعمل في مجالات القرية لا نخرج عن هذه القواعد ولكننا نستعمل طرقا غير التي نسير بها داخـــل جدران المدرسة ... لدينـا حديقة المدرسة ، شكل القرية وتربتها . ومضافتها وجامعها من الاشيـاء الموجودة ، ولدينا المحاضرات والكشافة والانديـة والمكتبـــة والمعارض والرحلات مما يجب علينا ايجادها ولدينا فوق كل ذلك مواسم واعيـاد خاصة وعامة .

فحديقة المدرسة لا تجعلها وسيلة ايضاح ، او حديقة زهور تشتغل

يـا ابا المحـاسن

تحية الى استاذي الدكتور زكي المحاسني بمناسبة احالتـه علـى المعاش

أأقـول أذكـره ، وهـل ينسى ... مـن أنشـأ الالبـاب والنفسا
واذا عرفـت صنيعـه فذكرتـه ... فالمـرء يـدرك ذاتـه حسـا
قد كان ذا روض ، وكنت شجيرة ... فاسأل بربـك مـن سقى الغرسا
ان الزمان اذا أشار الـى امرىء ... يومـا باصبـع مـادح همسـا
فلسوف يهتـف معليـا أستـاذه ... ويمدهـن ـ مصافحـا ـ خمسا
لـولا المعلـم ، ما عرفت حقيقة ، ... ولظـل ايمانـي بهـا حـدسا

لله أنت ، أبا المحاسن كـم زكت ... فيـك المحـاسن وانتشت أنسـا
عشقتك كل فضيلة ، وعشقتها ، ... فخطبتها ـ ترضي الهوى ـ عرسا
ومهرتهـا الآداب تزهـر جنـة ... مهـر العذارى لـم يكـن وكسا

فيها وحدك امام الطلاب او تشغل فيها عاملا آخر ، بل استغلها فـي تشغيل الطلاب وايجاد العمل اللازم لهم وبذلك تعوض علـى الكثيرين منهم ما فقدوه من وسائل اشغال انفسهم بالطرق المفيدة بعد المدرسة. كل طالب يزرع مع فريقه قسمهم الخاص ويشرف عليه ، انه يشعـر بالملكية ، انه يشعر ان الماء ليس من حقه وحده فتضعف انانيته ، انـه يشعر ان جمال الحديقة كلها مرتبط بجمال قسمه ، انه يبدأ لا شعوريا يقدر قيمة عمله الطيب في صلاح مجموعة اعمال من حوله هذه الحديقة وقفا على الطلاب وحدهم ، افسح المجال لاهل القرية بزيارتها والتمتع بجلسة هادئة فيها ، حضر اماكن لجلوس الناس وساحات مكشوفة بين الاشجار ، اطلب الى الناس زيارتها في اوقات فراغهم واثناء المناسبات التي تقام في المدرسة كالمحاضرات والمعارض وغيرها .

ولعلك تقول ... زيارة واحدة من الناس لحديقة المدرسة لا تبقى فيها فولة ولا زهر ولا حبة مشمش ولا خسة او زهرة قرنبيط .

نعين للمدرسة حارسا ولا يحميها فكيف بالله عليك نسمح للناس ان يجوسوا خلالها ولعل مجيبا يقول نعلق لافتات نكتب عليها ممنـوع الاعتداء على موجودات الحديقة او نعين لها حارسا او الخ لا هـذا ولا ذاك فالامر ايسر مما تظنون ... اجعل دعوة الناس بوساطة ابنائهـم الطلاب واجعل كل طالب دليل اهله وبذلك تحل المشكلـة ، فالطالب مدفوعا بحس الملكية والحرص على سلامة قطعته لن يسمح لاهله بالتعرض لموجودات قسمه ، وترى الاهل انفسهم يتعصبون لا شعوريا لقطعـة ولدهم ويحرصون على سلامتها وهكذا تحقق اغراضا كثيرة تجعل الاهالي يشعرون ان المدرسة منهم واليهم وتجعلهم يشعرون بواجبهم في احترام حق الغير ، وتقدير المعلم دون وعظ او ارشاد وقد يتبرع بعضهم بعمل سور للحديقة خوفا من اعتداء الحيوانات عليها ، واخر يهديها اشتـالا جديدة او يعمل للحديقة مقاعد حجرية الخ .

لا تحاول ان تجعل الحديقة مستنبتا للتجارب بحسب ولا تجعل منها كذلك مجرد حقل للانتاج التجاري ، بل نم الحس التجاري بـين الطلاب بحيث تعمل سجلا فيه صفحة خاصة بقطعة كل فريق تظهر فيها مبيعات تلك القطعة ونم فيهم حب الخير والتبرع لمصلحة المجموع بـان تصرف اثمان مبيعات الحديقة في ما يعود على المدرسة بالنفع وعلـى الطلاب بالفائدة كشراء الكتب وعمل المعرشات وشراء الاغراس وغير ذلك مع ملاحظة اشعار الطلاب بوجوه الصرف ولا تمنع الطلاب من الاستفادة الانية من الحديقة كاكل خسة او لعق قليل من العسل لان طبـاخ السم كما يقولون يذوقه .

بهذا تكون قد خلقت للطالب عملا فيه لـذة وعلمته دون وعظ او ارشاد ان من جد وجد وان من يزرع يحصد وعلمته احترام الغير دون انانية او حرمان وعلمته الناحية الاقتصادية وكيفيـة الحصول علـى المادة وقيمة عمله .

ان شكل الحديقة مربوط بشكل القرية ولعل نوع المنتوجات مقيد بتربتها كان تكون جبلية لا تصلح لغير الحراج والمراعي استغل عيـد الشجرة واخرج بطلابك كل سنة وحرجوا جبلا او بقعة خاصة واعلموا دائرة الحراج لتتولى حراستها من الحيوانات الاهلية .

لعلكم الآن قد لمستم دون وعظ او ارشاد او تلقين الغاية التـي نرمي اليها وبعض وسائل تحقيقها فهي غاية واضحة لا تتعدى المساهمة الفعلية في اصلاح المجتمع عن طريق القدوة الصالحة والمساعدة عـلى تغيير المفاهيم لا عن طريق الوعظ والارشاد . لذلك لن اتعرض في بحث الكشافة والاندية والمحاضرات الى الانظمة اللازمة للغايات النبيلة التي توديها هذه العناصر فان لك متيسر في الكتب التي تبحث فيها بـل ساكتفي بذكر بعض الوسائل التي تجعل هذه المجالات فعالة محبوبة لدى الناس ليقبلوا عليها وتعم منها الفائدة .

فمضافة القرية مكان للتحدث في شتى الشؤون والمواضيع تـردد عليها كثيرا وكلما سنحت لك فرصة ادر دفة الحديث من لغو القـول الى ما يهمك الوصول اليه مما ينطبق والرسالة التي تحملها نحو اصلاح المجتمع اختر موضوع البحث قبل الذهاب للمضافة او الساحة اختـر مشكلة من مشاكل المجتمع وحضر لها اسئلة في مخيلتك اطرحها علـى الحضور واسمع لهم وناقشهم ثم اجمل آراءهم وقرر النتيجة وارشدهم الى الطريقة التي يؤمنون معهم بصلاحها لحل تلك المشكلة استغل هـذه الاجتماعات للتعرف على آباء الطلاب وللتعاون معهم على حـل مشاكل الطلاب اجعلهم يثقون بك بان تشككهم في اساليب تربية ابنائهم فـي البيت بحيث يطلبون اليك ان ترشدهم الى الوسائل الفعالة قل لهـم سأحدثكم يوم كذا على ان تخبروا الناس بالحضور لقاعـة المدرسة او الجامع بعد الصلاة . ثم اخرج عليهم خطيبا متخذا عناصر موضوعك من كتب التربية الموجودة لديك فانت لست اكثر من ناقل ناصح علمهـم حقائق تجعلهم يقولون بعد كل عبارة منها : صحيح والله صحيح » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

فافخر بفنك ، انه لحديقة ... فاحت شذى ، وتنوعت جنسا
ويحار من تجني الحديقة كفه ... أو نرجسا يجني أم الورسا
أم يجمع المنثور من ريحانها ، ... أم يجتني عنقودها لمسا
كل امرىء فيما يعاني درسه ، ... أتركت فنا لم يكن درسا
واسأل دمشق أفي رباها نبتة ... لم تستق منك الندى رغسا (١)
من لم يصخ سمعا لوسوسة الحلى ... نهب النفيس ، وقلت لا بأسا
فافض ، ولا تلق اليراع فانني ... لأراه أبيض ذلك الطرسا
كتبوا ، وأنت كتبت بعض سطوره ... واخالكم لم تملؤوا سدسا
والعلم بحر ما اغترفت يفض جدى ... ويسيل من اقلامكم نفسا
ونفوسنا عطشى، وما أزكى الربى ... الا السحاب ، تبلها ضرسا (٢)
واذا استرحت مراحلا فلمرجع ... ولكم جلست لمرجع حلسا (٣)

ولقد سمعتك تندب الشعر الاصيـ ... ـل ، بدت على قسماته بؤسى
لا تخشين على القريض ، فانه ... يبقى على أهل النهى حبسا
في السوق ألف قصيدة، وخريدة، ... وتباع ، ـ الا هذه ـ بخسا
أعياهم قول الفصيح ففمغموا ... وكأنهم نطقوا به خرسا
وأتوا بلحن لا يساغ ، ووزنه ... في أن يقاس بشبرهم قيسا
يهذون ، لا ادري ، أكان بحلمهم ... هذيانهم ، أم كان ذا مسا
والشعر معنى ، دربه لقلوبنا ... أذن ، وتأبى ما نبا جرسا
كالغيد تزهى بالرداء مطرزا ... أرأيتها تزهى به طلسا
قد شوهوا الثوب الانيق ، فليتها ... تعرى ، وبالاسمال لا تكسى
قالوا التطور ، قلت هذا سنة ... أو مصبح من لم يكن أمسى
ان الحياة ، ولا تبدل سنة ، ... تعلي اذا ما ارست الأسا
والدهر أحزم لا يحيد قطاره ... كانت مطايا ركبه شمسا
ما عاند الايام قط معاند ... الا ومرت فوقه دهسا
نحن ابتدأنا بامرىء القيس القريـ ... ـض ، فزاودوا ، أو أنجبوا قيسا
وعلام نهدم ما بنوه ، ولا نرى ... نعلي له الابراج والقوسا
مثل التي غزلت وتنقض غزلها ... واشد حمقا من مشى نكسا
وأضل من يسعى ويحسبه الهدى ... من راح يركض لاهثا عكسا

للشعر ، والهة الغرام ، ولا ترى ... ـرغم الهوى ـ تعطي الهوى سلسا
لانت ، فأطمع وصلها ، وتمنعت، ... فازور عن حلم المنى هجسا
لا أظلم الالحاظ ، تأسى كلما ... فتكت ، وربت قاتل يأسى
فتنوا بها ، فتوهموا جنية ، ... والانس يفتن بعضها الانسا
عجبا ، أنجحد أنها بدوية ... كانت ترود مفازة أمسا
جف الغدير ففربت لمناهل ... والماء حيث تسيفه يحسى
وبدت على الشطآن شمس ربوعها ... فهفت لربع يطلع الشمسا
حنت ، ونفس الحر تنزع دائما ... للدار ، والاوطان لا تنسى
لا تعجبوا أني أتيه بحبها ، ... وأميس في برد الهوى ميسا
كانت ، وكنت ، أليفها وأليفتي ... نضحي معا أو نلتقي ممسى
ما رحت قط ، أمد زندي نحوها، ... الا والقت فوقه رأسا

١ ـ الرغس : النماء والخير ، ٢ ـ الضرس : المطر الخفيف ، ٣ ـ الحلس : الملازم .

دمشق — وحيد العطار



كمـال رستم

ادب الاطفال بين الواقع والخيال

بقلم كمـال رستم

* * *

في ظني أن الكتابة للاطفال ستظل في مصر وفي غيرها من البلاد العربية من المواضيع التـي يطول فيهـا النقاش شانها شأن كل المواضيع التي تتنازعهـا وجهتان للنظـر مختلفتان . لذلك لم أدهش كثيرا حينما اطلعت في عدد شهر سبتمبر من « الاديب » الاغر على مقـال « رباب وادب الاطفال » للدكتور محمد رجب البيومي الذي يعيد فيه طرح الموضوع من جديد .

ولقد سبق ان اثير هذا الموضوع منذ وقت غيـر بعيد على صفحات بعض الصحف وعلى شاشة التلفزيون العربي ، وابديت وقتذاك رايي فيه لسببين :

الاول ، اني اتيح لي اطلاع متواضع على بعض كتب ادب الاطفال وبعض نماذجه العالمية ـ والثاني ، انني الفت عددا لا بأس به من تمثيليات الاطفال التي اذيعت من ركن الطفل باذاعة الجمهورية العربية المتحدة . وكـان المحـور الذي دار حوله النقاش اذ ذاك هـو : هل نقـدم الواقع للطفل ، ام نقدم له الخيال وكان مـن راي فريق مـن المشتركين في النقاش ان نقدم الواقع للطفل بينمـا راى فريق آخر ان نقدم له الخيال ، وكنت مع القائلين بهـذا الرأي الاخير الذي تضمنه مقالي « راي فـي ازمة ادب الاطفال » المنشور بمجلة « الفن الاذاعي » التي تصدرها اذاعة الجمهورية العربية المتحدة بعددها رقم ٥١ الصادر في شهر ابريل سنة ١٩٧٠ .

واذا كان الدكتور محمد رجب البيومي يتبنى وجهة النظر التي تقول بتقديم الواقع للطفل فسوف استأذنه في ايضاح وجهة نظري في شيء من الايجاز ولـه ان شاء مزيدا من التفاصيل أن يرجع الى مقالي سالف الذكـر . واود ابتداء ان اعترف للدكتور الفاضل بأنـي اتفق معـه تماما في كل ما جاء بالشطر الاول من مقاله الذي نبه فيه الى خطورة غمر الاسواق بقصص للاطفال لا يتوافر علـى كتابتها المتخصصون والدارسون والى ضرورة الحد مـن نشاط بعض المطابع ودور النشر التي تتخذ مـن قصص الاطفال سلعة رائجة لا تبغي مـن ورائها الا الربح وان عادت على اطفالنا بأبلغ الضرر وهذا ما سمعت ان الجهات المسؤولة ستعمل على تلافيه .

واذا كانت مسؤولية الفوضى المتفشية في هـذا اللون من الادب لا تقتصر على دور النشر وحدها بل تقـع كذلك على كاهل مراقبات الاطفال في الاذاعة والتلفزيون فأن المأمول ان يعمل اتحاد الاذاعة والتلفزيون الذي تقرر انشاؤه مؤخرا على تدارك الاخطاء التي لا تخفى على احد ليس فقط في القصص والتمثيليات بل في برامج الاطفال بكافة فقراتها ، كما ان في تصورنا ان الاتحاد سوف يطهر جو الاذاعة والتلفزيون من الادعيـاء والمنتفعين الذيـن يسدون المنافذ على الدارسين والموهوبين الذين يمكن ان تتطور البرامج علـى ايديهم بفضل جهودهم المخلصـة ونواياهم الطيبة .

الى هنا كما قدمت ، اشعر بانني متفق تماما مـع الدكتور الفاضل فانا مثله اعاني من صعوبة الاهتداء الى الناشر الواعي الدارس ـ غير التاجـر ـ الـذي يمكن ان اقدم له العديد من القصص والتمثيليات التي اذيعت لي من اذاعة الجمهورية العربية المتحدة بل ان الامر بالقياس الي قد تجاوز دور النشر الى الاذاعة ذاتها بعد ان اتسعت شقة الخلاف بيني وبين المسؤولين في ركن الطفل حتـى توقفت نهائيا عن الكتابة له لاسباب ليس اقلهـا شانـا المعاملة غير الكريمة التي يلقاها « اولئك الذين يجازفون بالكتابة للاطفال » كحد تعبير الدكتورة لطيفـة الزيات المديرة السابقة لمركز ثقافة الطفل .

اما بعد ذلك فاني اختلف مع الدكتور الفاضل فـي كل ما قاله ابتداء من قوله « لقد حسبوا ـ يقصد مـن اسماهم بالادعياء ـ ان الخيال لا ينمو لدى الطفل الا عن طريق الغرابة في الاحداث والروعة في المفاجئات والمبالغة في الاخطار فعمدوا الى المترجمات المخيفة التي تتحـدث عن الوحوش والغيلان .. الخ » الـى قولـه « ان قصص البطولة الحقيقية لا تكون فـي حيوات الاسكندر ونابليون وقيصر وامثالهم ممن سيروا الوحوش الى دمار الانسانية

وراء انانية مريضة تود الاستعلاء الكاذب على دماء القتلى واشلاء الشهداء .. الخ » ، مرورا بقوله « اليس في قصص المروءة والنجدة وغوث اللهيف ما يخلق اجيالا واما تدعو الى الخير وتنشد السلام » .

اما الخيال فهو جوهر الكتابة للاطفال ، وكاتب الاطفال الحق هو « الكاتب الذي وهب عقلية الطفل اي العقلية الخصبة المحلقة التي لا تقف عند حدود الواقع والمنطق الجامدين ، ويكفي ان نتأمل اية قصة للاطفال ونقيسها بمقاييسنا لكي نحكم عليها بالاغراق في الخيال والاغراب في الشطط ، والخطأ هنا يكمن في اننا لم نحاول ان نتعرف على عقلية الطفل وبالتالي لم نحاول ان نقترب من الموضوعات التي تشد انتباهه وتثير خياله ، ومن هذا الخطأ تنطلق الاتهامات التي تدفع الكتاب الذين تصدوا للكتابة للاطفال بالمبالغة والتهويل والاغراق في الخيال مع أن هذه الصفات عينها هي الصفات التي يجب توافرها في الكاتب لكي يصبح كاتبا مجيدا للاطفال» (١).

واما اعتراض الدكتور الفاضل على الوحوش والفيلان فقد قلت في الرد على مثيريه « ان ما يؤخذ على كتاب الاطفال من لجوئهم الى بساط الريح وخاتم سليمان والقزم والحورية وحورية الماء والجن والشيطان والغول والتنين والبطل .. الخ هو في الحقيقة اعتراض على العناصر الاولية التي تتألف منها قصة الاطفال ، فلا قصة للاطفال تخللو من احد هذه العناصر ، وتكفي نظرة واحدة الى قصص الاطفال في اي لغة من لغات العالم للتحقق من ان هذه العناصر تشكل قاسما مشتركا بينها » .

يقول ملتون راجاف عن القصص التي تعتمد على هذه العناصر « وهذه القصص تعتمد أساسا على الخوارق ، فالعوائق تزول والعقل ينعزل والمنطق يتخلف ان هذه القصص تحتاج الى السحر ، فالابسطة تطير والطيور ترجم بالغيب والطواقي تمنح الاخفاء ومفارش المائدة تقدم الطعام ، والحقائب تحتوي على الريح ، والمرايا تقول الحقيقة ، والامشاط لها قوى سحرية ، والاوز تضع بيضا ذهبيا والموتى يبعثون والكلمات تقال ثلاث مرات فتعمل المعجزات والمصابيح تدعو الجن والجن يدعون أي شيء يهفو له القلب (٢) » ، وتقول كاتبة امريكية من كتاب قصص الاطفال ان جيل الاطفال القارىء لبساط الريح والخاتم المسحور ولعالم الجن .. الخ هو الجيل الذي ابتكر الصاروخ وسفن الفضاء ، وما كانت هذه الابتكارات الفذة لتتحقق ما لم يتوافر لها مسبقا خيال خلاق .

ويعترض الدكتور على تقديم سير مشاهير التاريخ من امثال الاسكندر ونابليون وقيصر .. للاطفال للاسباب التي ذكرها ، ومع انني لا اعلم بل ولا اتصور ان امثال هذه السير تقدم للاطفال الصغار من الاذاعة والتلفزيون ، فانني لا اجد ضررا من تقديمها لجماعة الاطفال التي يمكن ان تتقبل هذه السير التي تدخل ضمن مناهج الدراسة التي يتلقونها في مدارسهم ، ويبدو ان الامر التبس على الدكتور الفاضل فلم يفرق بين ما يعرف « ببرامج الاطفال داخل المدرسة » « وبرامج الاطفال خارج المدرسة » وهي ما ارجو ان اتناولها بالتفصيل في مقال قادم . ففي البرامج الاولى يمكن تقديم هذه السير واشباهها بل يجب تقديمها باعتبار ان اصحابها رجال دخلوا التاريخ من اوسع ابوابه ، والبرامج هنا جزء متمم لما يتلقاه التلميذ في محجرة الدراسة فأن طالبنا بمنع اذاعتها جازت المطالبة بحذف الفصول التي تتناول سير هؤلاء المشاهير من كتب التاريخ .. وهذا غير معقول ..

ويشفق الدكتور على اطفالنا من استماعهم او مشاهدتهم لبعض التمثيليات التي تدور فكرتها حول الجريمة والعنف والجنس وانا اطمئنه بأن هذا الموضوع قتل بحثا في الخارج واستقرت قوانين الاذاعة والتلفزيون في العالم اجمع على ان « عرض هذا الجزء من العالم يساعد الطفل على التعرف على الوسط الاجتماعي المحيط به والذي سيواجهه ويتعامل معه في المستقبل » (٣) .

ويتساءل الدكتور قائلا : اليس في قصص المروءة والنجدة وغوث اللهيف ما يخلق اجيالا واما تدعو الى الخير وتنشد السلام . ولا اعتراض لنا على هذه الاهداف النبيلة بل انها الافكار الرئيسية التي تدور حولها كل قصص الاطفال سواء كانت قصص تنانين وغيلان ام قصص آدميين وحيوانات ... كل ما في الامر ان الدكتور الفاضل يريد من كتاب قصص الاطفال ان يعرضوا هذه الافكار بطريقة مباشرة بينما ارى ان هذه هي اسوأ طريقة لعرض هذه الافكار وهذه ظاهرة استرعت انتباهي اثناء تعاملي مع الاذاعة وكتابتي لها ، وقلت في مقالي المشار اليه بالحرف الواحد :

« وينبغي هنا التفرقة بين مغامرات السوبرمان التي نحبذ ايقاف اذاعتها ونشرها ، وبين قصص الرواد التي اشرنا اليها . فهذه القصص الاخيرة (قصص الفيري والفولكلور) لا تخلو من مضامين جيدة تنطوي على دروس قيمة تدعو للفضائل والقيم الانسانية العليا عن طريق غير مباشر ، ولا يفوتنا بهذه المناسبة ان نذكر الفارق بين ما اعتدنا ان نقدمه لاطفالنا من قصص مباشرة تثقل حركتها العبارات المسجوعة ويركز فيها صراحة على مضمون القصة والمعنى المستخلص منها وبين ما يقدم للاطفال في الخارج من قصص تعتمد على التلميح دون الالتجاء الى الوعظ والارشاد وهو فارق مهم جدا يجب

١ ـ كمال رستم : ازمة ادب الاطفال ـ مجلة الفن الاذاعي ـ العدد ٥١ الصادر في ابريل سنة ١٩٧٠ .

٢ ـ المصدر السابق .

٣ ـ برامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون مقال للكاتب تحت الطبع.

صرنا اضحوكة

تطاول ليلي فلم ارقد ... كاني أنام على موقد
افكر فيما مضى وانقضى ... افكر في أجلي والغد
وما قد لقيت من المزعجات ... وما سوف ألقى من المجهد
ولاد عذاب وعيش عذاب ... وكل حياتي فؤاد صدى
أهف الى عاليات الامور ... واسعى الى بين المقصد
أحلق سفسافها بثة ... وامشي مع المجد للموعد
شغلت فؤادي بكل عظيم ... وحلقت في عالمي الابعد
ونكبت عن عشرة الارذياء ... وعن اجنبي الهوى مفسد
وكرست نفسي لحب بلادي ... فلم ألق بالا الى حسدي
تغلغل في خاطري حبها ... وقاسمني طيفها مرقدي

وان العروبة بنت السماء ... وحصن من الشرف الامجد
رمتها الليالي باحداثها ... فضل بنوها صوى السؤدد
تعادوا لاجل نتين الحطام ... وضلوا عن المهيع المرصد
فصرنا بذي الكون اضحوكة ... لكل ريبب الخنى ، تعدد
وان الصهاين جازوا المدى ... وسادوا حمانا ولم نهتد
وفي الصبر اما تمادى ممات ... يطمع في عرضنا المعتدي

اما حان ان تجمعوا امركم ... وان تتلاقوا على موعد
اما ظمئت للحسام النفوس ... اما حان أوطاننا نفتدي
فقد ضحك الناس من نومنا ... وناح الحياء على الهجد

لاباز ـ بوليفيا

جورج الكعدي

ان يتوافر المختصون من رجال التربية وعلم النفس عندنا على دراسته لبيان السبب في وجوده » .

وبعد فاننا لكي نستطيع ان نقدم ادبا جيدا للاطفال، لا بد لنا من تأمل ودراسة الكتب العديدة للاطفال التي وضعها رواد هذا الادب من امثال الاخوين جريم وهانز كريستيان آندرسن وشارل بيرو وولتر دي لامار وانطوان جالان ولا بأس ايضا من تأمل ودراسة وتمثل النماذج التي يقدمها كتاب معاصرون من مثل الكاتب الانجليزي المعاصر لويس كليف ستابلز وسواه .

أما الوقوف عند ما قدمه الاساتذة كامل كيلاني ومحمد سعيد العريان والسيد شحاته ومحمد عطية الابراشي كما عددهم الدكتور محمد رجب البيومي فلا يؤدي بنا ابدا الى ما نرجو لهذا الادب من تطور وارتقاء لسبب بسيط وهو ان من اصطلحنا على اعتباره رائدا لادب الاطفال في مصر وهو المرحوم كامل كيلاني لم يكن اكثر من ناقل ومقتبس وممصر لبعض الآثار العالمية .

وما لنا نذهب بعيدا والجائزة التشجيعية لادب الاطفال نالها هذا العام كما نشرت بعض الصحف كاتبان لم يكن لهما من فضل سوى تمصير قصة « ملابس الامبراطور » لهانز كريستيان اندرسن ، ولا ضير من ذلك اطلاقا ما لم يكن الناقلان قد تقدما بهذه القصة المعروفة على انها من تأليفهما وهذا مثال واحد يكشف لنا عن مدى دراية بعض اللجان المتخصصة التي تمنح الجوائز على مستوى الدولة بأدب الاطفال ، وانها لمأساة !

القاهرة

كمال رستم

الموسيقى المغربيـة الاندلسية

بقلم محمد اديب غالب

* * *

في عام ١٩٦٢ كنت اتصفح وانا بدمشق ، احدى الصحف المغربية الصادرة في مدينة رباط الفتح بالمغرب الاقصى ، فوقع نظري على نص المحاضرة التي كان القاها فضيلة العلامة الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس ، بمناسبة افتتاح الموسم الثقافي العربي يومذاك ، وهي تتعلق بموضوع الموسيقى المغربية المسماة بالاندلسية . وبعد ان انتهيت من مطالعة المحاضرة المذكورة، واستوعبت ما جاء فيها من علم المحاضر الوسيع ، قلت في نفسي : « والله هذا الرجل لو لم تذكر الصحيفة المغربية اسمه ، لحق للقارىء ان يقول ، ان المحاضرة لابي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (٢٦٠ ـ ٣٣٩ هـ الموافق ٨٧٤ ـ ٩٥٠ م) الفيلسوف ، الحكيم ، الرياضي ، العالم، الموسيقار ، الملقب بارسطو الثاني » .

بل وزاد العلامة المغربي على الفارابي الفيلسوف المعروف بزهده وعلمه ، ان نافسه بنفس الزهد والتواضع الجم الاصيل ، وراح وهو رئيس الجامعة ، والوزير ، والمعلم الاول في المغرب ، ينقل امام سامعيه ، من البراهين والحجج في الايقاعات والانغام ما كان يأخذ بالالباب والعقول ، والتي كانت تؤديها الجوقة الموسيقية المغربية التي استحضرها الى جانبه ، لتعطي الدليل تلو الدليل على سياق المحاضرة الموسيقية ، وما تخللها من تحليل لشتى الانغام التي جاء على ذكرها آنذاك .

ولقد اختتم المحاضر العلامة محاضرته بقوله : «لعلكم الآن بعد استماعكم لمختلف النغمات التي يتركب منها مجموع هذا التراث الفني الفريد ، الذي رغم اجزائه الكثيرة التي ضاعت ، لا يزال لدينا ذخيرة ذات بال تقدرون معي اهميتها ، والذي اريد ان اوجه فيه المشتغلين بالفن الموسيقي في بلادنا ، ولا شك انه سيكون لنشر الثقافة الموسيقية في المدارس والمعاهد الخاصة اثر كبير في احياء روح الابتكار بين الموهوبين » .

ولقد اتضح لي من خلال زيارتي للمغرب ، ان الشعب المغربي في اصالته ، تصاحبه الموسيقى حيث كان ، فهو في صلواته ، يرتل القرآن الكريم ، ترتيلا مفعما بالحنان ، وفي اذكاره التي تقام في المساجد ، والزوايا التي تعد بالالوف ، وفي البيوت ، والبساتين ، فان الزائر لكل هذه الاماكن ، لا بد له ان يستمع الى تجويد الاصوات وترتيلها ، تتعالى بالقراءات الساحرة الخاشعة ، وتطفح بالالحان الرتيبة في الموشحات الاندلسية . كما ان حفلات الزواج ، والموالد النبوية ، والختان ، والمواسم السنوية ، والشهرية ، والاسبوعية التقليدية ، تكاد تمتلىء بالموسيقى ذات النغم الشجي الجميل .

لقد رأيت بأم العين هذه الاحتفالات الدينية ، والمناسبات الاجتماعية ، مما حملني على الاعتقاد الصحيح ان الشعب المغربي من اكثر الشعوب حبا للفنون الموسيقية ، وان في المغرب تراثا موسيقيا ،لو جمع بكافة اشعاره من فصيح وملحون (الزجل) وايقاعاته ، والحانه من شتى الموازين والانغام ، لجاء بمميزات كبيرة ، خاصة اذا اضيفت الى ذلك ، تلك الرقصات الشعبية التي تختص كل مدينة وقبيلة بها سواء اكانت تربض على الشاطىء او في اعالي الجبال .

ولقد بلغ من اهتمام رئيس الجامعة ، الوزير الاستاذ محمد الفاسي ، ان قام عام ١٩٦٧ بنشر « اغاني النساء بفاس » وهي مجموعة من رباعيات الفرام التي تتغنى بها النساء . والمسحة الغالبة على هذه الاشعار ، هي الحنان ، والوجد ، وما يقارنها كما يقول المختصون ، باناشيد الفرام اليابانية المدعوة « جيشاس » بل ان هذه الاغاني القديمة الرباعية او « العروبي » كما يطلق عليها ، هي انعكاس للروح الاسلامية المفعمة بروح الايمان ، والتي تمنح الامل وتساعد على تحمل آلام الفرقة والغربة ، وهي تجمع في عمقها بين الفلكلور الخالد ، والكلمة الصافية الجميلة .

ومن غرائب المصادفات انني كنت ذات يوم ازور بعض المكتبات في الرباط ، فوقع نظري على كتاب فرنسي عنوانه « تاريخ الموسيقى » لمؤلفه العلامة اميل فيلرموز فأخذت اقلب صفحاته مستطلعا عناوين فصوله، وشدتني انظاري الى موضوع عن الموسيقى الشرقية . وكم كان سروري يوم رايت هذا العلامة الغربي يقول في الموسيقى الشرقية ، ما لم يقله اكبر اساتذتها العرب حتى الآن . وحيث جاءت اقوال العلامة الفرنسي صاحب التآليف الموسيقية ما يؤكد ، نظرية العلامة الاستاذ محمد الفاسي ، في الموسيقى الاندلسية وما فيها من اشعار ، وايقاعات ، وانغام .

ولعل من الفائدة ان نذكر بعض ما قاله العلامة الفرنسي عن موسيقانا الشرقية ، يقول : « بعد ان مشى الشرق والغرب حينا في طريق واحد ، افترقا ، ليأخذ كل منهما سبيلا مختلفا ، مدفوعين بشهوة الاكتشاف ، والعطش الى الجديد ، والحاجة الى الاتقان . واستنبط الغرب الصيغة المذهلة في تركيب اصوات عدة ، تسمع معا ، وبقي الشرق امينا على فن وحدة النغم ، طالبا من مغنيه ، ومن العازفين على آلاته الموسيقية السعي وراء تجزاة الفاصلة الموسيقية ، لا نهائيا ، مبالغة في التعبير .

وشيد الغرب كتلا راسخة من الموسيقى ، آخذا في نحت درجات السلم الموسيقي السبع نحتا هندسيا ، على غرار حجارة البناء ، وداب على صفها خطا مستقيما ، ومن ثم على تنضيدها ، الواحدة فوق الاخرى ، وفق قوانين انشائية علمية سميت طباقا وتناغما .

لم يفكر الشرق قط ، في نحت الصوت وتربيع زواياه ، فما فتىء يقلده مدا وترقيقا ، حتى لاصبح المرور من احدى العلامات السبع الى جارتها غير محسوس ، كما هي حال المتدرجات ، الجامعة بين الوان قوس القزح السبعة . وعوضا من ان تكسب الموسيقى جمودا، صارت زهوا وسطوعا ، في حدود النغم الناعم الخفيف . فلم تكن ثمة حاجة الى مواد واحدة القياس ، الى بناء طبقتين ، او اربع او ست او عشر طبقات ، بل رضيت بكيانها خيطا حريريا مختلف الالوان ، ينتشر ويتموج شيئا فشيئا ، كل ميليمتر منه مشبع بعالم من العواطف والاحاسيس .

لا يوجد اذن ، قياس مشترك ، بين هذين الفنين ، وهذين المفهومين الموسيقيين . فالشرق الذي يرى السلم الموسيقي انزلاقا دائما ، متلاعبا بارباع واثمان الاصوات ، يجد الفواصل الموسيقية التي اقتطعناها دون رشاقة ، واعتمدناها ، غليظة للغاية . فأرق مؤلفينا الموسيقيين ، بالنسبة اليه ، يشبه عمليا ، ولدا يلهو بجمع مكعبات الخشب ، في لعبة بناء .

ان التضاد الحاصل بين النغم الواحد هذا ، الملون بعذوبة من طرف خفي ، والحاننا المتعددة الاصوات ، الفنية الفاتنة ، غير قابل التضليل . انهما لفتان مختلفتان لا يمكن مقارنتهما ، مهما اجتهدنا في الترجمة ، وقد اوجدتهما حاجة عضوية مشتركة ، هي حاسة السمع التي تميز بين الاسيوي والاوربي ، اكثر ما يفعله شكل العينين ولون البشرة .

ان الموسيقى القائمة على مبدأ اللمس الناعم ، والمس الخفيف ومداعبة النغم الواحد اللطيف ، ما دامت ابوابها موصدة امامنا ، فاللحن ذو الملتويات غير المحسوسة ، الذي ينشده بشهوة الموسيقي الشرقي البارع ، محملا اياه كنزا من المؤثرات ، ومن الشعر التأملي. يبدو لنا مملا، بينما يفدق اللذائذ على مستمعين ذوي آذان اكثر ارهافا من آذاننا . وبالعكس ، ان منشآتنا الموسيقية الاكثر عذوبة ، لا تعني شيئا لشعوب تهيأت وراثيا لادراك لمعان الخط اللحني الواحد الخلاب .

لن نثير اذن باطلا ، قضية رفعة شأن هذا او ذاك من المفهومين . شتان بينهما . لنكتفي باخذ العلم بتناقضهما ، مقدمين وافر الثناء والإحترام للمؤلفين الموسيقيين المبدعين ، الذين مكنتهما هاتين اللغتين المختلفتين ، من كتابة الروائع .

ولا شيء يثبت لنا ، من جهة اخرى ، دوام هذه المنازعة ، فالموسيقى التي تحثها غريزة الفتوحات وتقض مضجعها ، تحطم كل يوم قيدا من قيودها . انها تتمرد ابدا على التقاليد ، وقد ضمت اليها كثيرا من اصوات متنافرة ، حكم عليها بالاجرام ، في الماضي ، وهادنت عبارات قضي عليها بقساوة ، ومنحت جنسية لاساليب غريبة ، رغبة منها بالهرب من سجن المقام الصوتي ، حالة بقلع حاجز الايقاع ، وان بعضا من المجدين في هذا المضمار ، يتلظون شوقا ، ليكشفوا لنا عن لذة ربع الصوت المجهولة .

ان التقدم على صعيد سرعة المواصلات ، الذي يخفض يوما بعد يوم ، الحواجز القائمة بين المدنيات المختلفة ، ويكثر من التبادل الفني بين الشعوب ، جعل لاسلوبنا الموسيقي سفراء ، في عواصم الشرق ، بينما النخبة الشرقية اخذت تعنى بلفتنا الموسيقية الغريبة ، موفدة فنانيها ، لدراسة اسرار هذه اللغة في المعاهد الاوروبية .

ليس من المستحيل ان نتخيل تداخل هذين الفنين في مستقبل قريب ، فيلين عندها مفهومنا للنغم ، وتغتني حاستنا بالالوان بفضل لغة كفيلة بان تمدنا باداة تنقيب قوية ، مدعوة لان تقدم ، لمؤلفينا الموسيقيين ، الخدمات عينها ، التي قدمها لكيميائيينا ولعلمائنا في الفيزياء ، المجهر والتصوير الشمسي الدقيق » .

هذا بعض ما جاء في موضوع الموسيقى الشرقية ، وما فيها من جمال روحي ، يفوق بحاسيته ما يدحض زعم الزاعمين والمتطفلين على موسيقانا الاصيلة . ولا شك ان موسيقانا التي اعتنى علماء الغرب بالبحث عن اصولها ، قد تكلل بعضه بالنجاح ، ومن المفيد ان نعلم ان فن الموسيقى وضعته بادى ذي بدء الامم الشرقية قبل زمان التاريخ . والمظنون انها نظرت الى القوس فوجدتها فيه كما قال الشاعر الشنفري :

هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيطت اليها ومحمل
اذا زل عنها السهم حنت كانها مرزأة ثكلى تئن وتعول

فاشتقت منها جميع ذوات الاوتار على اختلاف انواعها واشكالها ، او كما قال الشاعر العربي :

فالقوس مع انها جماد تئن من فرقة السهام

او كما صور الشاعر العربي ايضا ، ما كان غامضا من طبائع الحيوانات ، واتساق عواطفها ومشاعرها ، مع الموسيقى التي تستهوي كل جارحة من جوارح الحياة . وهي في حقيقتها ان دلت على شيء فانما تدل على ان الصور الجمالية التي جاءت في الشعر العربي ، كانت صورا موسيقية على لسان الشاعر القائل :

ان كنت تنكر ان للالحان فائدة ونفعا
فانظر الى الابل اللواتي هن اغلظ منك طبعا
يحلو لها نغم الحداء فتقطع البيداء قطعا

ومن المعروف ان ذوات الاوتار وذوات النفخ كانت

شفاه اللهب

أجب ، أجب ،
يا ثغرها الذهب ،
أأنت من رماد ،
تحيا بـلا فؤاد ..
أم أنت من لهب ؟
أجب ، يا ثغرها الذهب ،
يا صخر ، يا جليد ، يا حطب !

يا يدها الكسولة ،
يا انملا جريئة خجوله ،
يا عينها البخيله ،
أفيك من خريف الحزن قطر ؟
أم فيك من ربيع الحب عطر ؟
وثغرك الجميل يا جميله ،
اما انثنى يحن للطفوله ؟
أجب ، يا ثغرها الذهب ،
يا صخر ، يا جليد ، يا حطب !

يا ثغرها الذهب ،
لي شفة قليلة الادب ،
يلذها ان توقظ الغضب ،
في شفة كثيرة الادب !
لي شفة تحب ان تفجر اللهب ،
على ضفاف الثغر ، ان هو اغتصب ،
تحب ان تحرض السكون ،
وان تثير الموج في جزيرة العيون ..

لي شفة تحب أن تحب ،
لانها لهب ،
لانها لا تعرف الثلوج والحطب !

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معروفة قبل الطوفان . وقد ذكر العلامة « تنـدل » ان الصينيين سبقوا كل الامم الى معرفـة الاصول الموسيقية فان سلطانهم « يو » الذي كان قبل السيد المسيح باثنين وعشرين قرنا ، وقر فن الموسيقى ، وحث الناس علـى درسه فاشتغل بـه كنفوشيوس فيلسوفهم الاكبـر ، وكثيرون من سلاطينهم ، وكان له المقام الاول بين علومهم ، لذلك نجد الاصول الموسيقية مشروحة فـي اقـدم كتبهم شرحا ادق منه في احدث الكتب الاوروبية واوسعها .

ومن اجمل العادات والتقاليد التي ما زالت مرعيـة حتى اليوم في المغرب ، والتي يحرص كل الناس علـى رؤيتها ، تلك المجموعات من المنشدين ، التي تفص بهـم (اسواق العرب) مـن ايام الاسبـوع ، ويحس سامعها بتأثيرات الموشحات ، وما تحمله من صور حية عـن تلك الحضارات التي اقامها العرب في الاندلس ، والتي اثبتت بما لا شك فيه ، فضل العرب في كل ميادين الفنـون والعلوم على نهضة اوروبا ، وانتشالها مـن وهدة الظلمات والجهالة التي كانت تعيش فيهـا . كما ان اهالي المغرب يميلون بعد الالحان الاندلسية ، للاستماع الـى الاغانـي المصرية ، وعلى الاخص اغاني كوكب الشرق السيـدة ام كلثوم ، واغاني محمد عبد الوهاب القديمة ، ولقد كـان المغرب الدولة العربية الوحيدة ، التي حصلت في عـام ١٩٦٧ على حق نقل حفلات السيدة ام كلثوم من باريس ، على اجهزتها الاذاعية ، وتغطية تلك الحفلات من الاذاعات المغربية بما يشبه الاعياد والافراح الموسمية .

هذه صورة خاطفة من ايام وذكريات قضيتها ، مع المغرب في آدابه وعلومه وفنونه ، ومـن هـذه الذكريات الخالدة ، تنتشر امامي قماقم الزهور والعطور ، التـي تصب بمائها الزكي في كل حفل يقام ، فيحسب الناظـر اليها ان السماء تمطر في اجـواء المساجد والزوايـا والبيوت ، العطر والنسرين والريحان ، لتختلط بعد ذلك مع رائحة البخور والعود ، وعلـى الانغـام الموسيقية ، والموشحات الاندلسية الجميلة .

طرابلس ـ لبنان **محمد اديب غالب**

مـوسيقى النهايـات

الاب يوسف سعيد

عبر الموسيقى
رأيت الغابات في حلمي تصلي
رأيت يــد الملاك
تنتشل أدعية من أرضنا البوار
رأيت اسفنجة تحجب أصداء اليوم
وتبلع خرير المياه .
رأيت الصخور الصلدة تحمل في جوفها الاحمر
دم السنين الطوال

يا زمن زمن الآزال رايتك في ذاتي
لحظــة
لفظــة
قطــرة
ثم ماتت في محاجر عيني
اكثر من نغمة ذاهبة عبر
موسيقى النهايات
عبر ترنيمة الآباد .

الانني ، ارفض صوت الحناجر
يحيا الموت في وجودية اللغة (الأنا)
يا صدفية البداية
يا نيري الاسود
الطوق ملوي بخشونة
فوق ساق البريء
ولكنك ، كنت الصدى

محلولا في الاثير
ونسيت ، ان الشمس تذيب رصاص القيد .
وترتدي أصوات حرية الامهات اللائي بكين
نضارة الصوت
في شبابة الرجال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العجوز

بقلم محمد صفوت

رفع سالم راسه ، واتكأ بيده على فاسه ، وباليد الاخرى ، اخذ يمسح عرقه .

نظر ناحية الافق ، فراى زوبعة ترابية ، تقترب نحوه ، وتنمو بسرعة غير عادية .. اراد ان يخبر اخويه لكنه وجدهما منهمكين في عزاف الارض .

عاد يتأمل الزوبعة ، وهي تلتهم الطريق الزراعي .. لقد بدات معالمها تتضح .. ينبغي ان يخبر اخويه :

ـ رمضان .. حسنين .. انظرا هذه العربة ..

اعتدلا فجأة ، وصوبا عيونهما نحو الطريق ، وهما يقولان في لحظة معا :

ـ عربة .؟!. ياه ..!

ـ يبدو انها ليست ملاكي ، ولا اجرة ..!

ـ وليست لوري ايضا ..

ـ يا خبر.. انه «بكس» الحكومة!

ـ بكس الحكومة ؟!.. اللهم اجعله خيرا .

ـ ترى ماذا جرى ؟!!

ـ لم نسمع ان حادثا قد وقع !

ـ وحين خرجنا مع طلوع الشمس كانت القرية في امان الله .

ـ غريبة !

ـ اترغبان في ان اذهب لاستطلع الخبر ؟

ـ لا .. لا داعي لترك العمل ، ولنصبر حتى ياتينا الخبر من تلقاء نفسه .

★

بعد حين ، اقبل عليهم غلام يعدو، وصاح فيهم منذرا :

ـ جميع الرجال والنساء تركوا اعمالهم ، وانتم لا تزالون هنا ؟!

ـ خيرا .. ماذا حدث ؟!

ـ ابوكم يتشاجر مع الحكومة !.

ـ ابونا ؟!

ـ يتشاجر مع الحكومة ؟!

ـ يا ساتر يا رب .. لماذا ؟!

اطل الذعر من عيونهم ، وامتزج القلق بحبات العرق على وجوههم .. خيل اليهم ان الغلام تباطأ في الاجابة على اسئلتهم .. لم يستطيعوا صبرا .. تركوا فئوسهم .. واخذوا يهرولون نحو القرية .. لحق بهم الغلام .. فالتفتوا اليه ، وبلهفة مجنونة ، اعادوا عليه السؤال :

ـ لماذا ؟!

ـ لماذا ؟!

ـ .. من اجل الموتى !

ـ الموتى ؟!

ـ اعوذ بالله .. كيف ؟!

ـ كيف ؟!

ـ لا اعلم شيئا اكثر من ذلك .. الحكومة جاءت في البكس .. وهي الان في دوار العمدة ، واهل القرية هائجون، والخفير قادم لاستدعائكم.

ـ يا حفيظ يا رب .. الحكومة ؟! العمدة ..؟! الخفير ؟!.. اي مصيبة هذه ؟

نظروا الى بعضهم البعض ، في ذهول وعدم فهم ، وتمتموا :

الموتى ؟!

الموتى ؟!

ـ اللهم الطف بنا يا لطيف !

★

عند مدخل القرية ، التقوا بالخفير ، متوجها لاستدعائهم ...



توقفوا لاهثين ، وقد اثقل الخوف السنتهم ، فلم تقو على النطق .. وارتسمت اسئلتهم المتوجسة ، في نظراتهم الجزعة ..

ابتدرهم الخفير مزمجرا :

ـ تعالوا .. ضعوا حدا لعناد ابيكم ، والا ، فالسجن سوف يكون مصيره .

ـ السجن ؟!

ـ السجن ؟!

ـ لماذا ؟!

ـ ماذا فعل ابونا ؟!

ـ وقف في وجه الحكومة ، ومنعها من مباشرة اعمالها الرسمية.

ـ كيف ؟!

ـ لماذا ؟!

ـ قل بسرعة ..

ـ يريد ان يظل الموتى داخل قبورهم .

ـ الموتى ؟!

ـ الموتى ؟!

ـ وهل خرجوا من قبورهم ؟!

ـ حالا ، سوف يخرجون .

ـماذا تقول ؟!

ـ سوف يخرجون ؟!

ـ امجنون انت .. ام تحسبنا مجانين ؟!

ـ وضح كلامك .. ارجوك .

ـ استغفر الله العظيم .. انا خائف من غضب الموتى .. ليس من حقي ان اخوض في مثل هذا الكلام .. انا انفذ الاوامر فقط .. رجال الحكومة في دوار العمدة ، ومنهم ، سوف تعلمون كل شيء .

ـ اي كارثة ؟!

ـ فقط ، لو نعرف ؟!

ـ الامر يدعو للجنون !!

★

وصلوا الى الساحة .. وامام دوار العمدة .. هالهم ان يروا اهل القرية متجمهرين بصورةغير مألوفة.

النساء يبكين ، ويندبن موتاهن ، ذوي الحظ التعس !..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاطفال مستسلمون لوجوم غريب .. لا يلعبون ، ولا يتقافزون حول العربة الحكومية كالعادة !

الرجال منقسمون الى جماعات .. كل جماعة يتوسطها شاب او اكثر من ابناء القرية المتعلمين ..

البعض يستمعون الى احاديث الشبان ، في هدوء تدعمه الرغبة في الفهم ، والبعض يتبادلون معهم نقاشا حادا ، تفوح منه رائحة التمرد والحزن .

ثمة افراد فرحون ، يتحركون هنا وهناك ، في نشاط متوثب .. واخرون ليسوا مع اي من هؤلاء ، قابعون بجوار الجدران ، يلفهم صمت المغلوبين على امرهم .

التقت نظرات الاخوة الثلاثة ، في ذهول صارخ .. ضرب سالم كفا بكف ، وصاح رمضان :

ـ اني اكاد افقد عقلي !

وفي يأس مرير ، غمغم حسنين :

ـ بل انا جننت فعلا !.

وفي غيظ مكتوم ، عاد سالم يصرخ :

ـ الا يوجد من يفهمنا الحقيقة ؟

هم بعض الرجال بالالتفاف حول الاخوة الثلاثة ، فبادر الخفير الى تفريقهم ، مستعينا بشيخ الخفراء .

★

الاخوة الثلاثة ، قادهم شيخ الخفراء الى داخل الدوار ، حيث يجلس العمدة ، ومهندس البلدية ، ومندوبو المحافظة، ووزارة الاوقاف، ومصلحة المساحة .. ثم بعض الكبار من اهل القرية .

نظر شيخ الخفراء الى مهندس البلدية ومرافقيه ، واشار بيده الى الاخوة قائلا :

ـ هؤلاء هم ابناء العجوز .

انفطرت قلوب الاخوة ، لدى رؤيتهم لابيهم متقوقعا على الارض ، في ركن الغرفة ، بينما جميع الحاضرين جالسون على المقاعد والارائك ..

ادرك العمدة ، ما دار في اذهانهم، فقال موضحا :

ـ ابوكم هو الذي اصر على جلسته تلك ..

وصمت لحظة ، ثم اردف :

ـ انه غاضب منا ، ثائر علينا ، دون وجه حق ، فحاولوا انتم اقناعه بالعدول عن ثورته الكاذبة ..

صاح العجوز مقاطعا :

ـ ثورتي ليست كاذبة .. الحق في جانبي .

التفت اليه العمدة ناهيا :

ـ من فضلك .. اسكت انت يا حاج عيسوي .. دعني اوضح الامر لابنائك .

قالها ، ثم وجه حديثه للاخوة :

ـ الموضوع في غاية الوضوح والاهمية .. تعلمون ـ طبعا ـ ان القرية في حاجة الى وحدة مجمعة.

ـ طبعا .. طبعا ..

ـ نعلم ذلك جيدا .

ـ حسنا .. المشكلة ان ابيكم لا يريد ان يعلم ..

ـ كيف ؟

ـ السيد المحافظ ، اصدر امره بانشاء الوحدة المجمعة .

هدأت انفاس الاخوة ، وزايلهم الخوف ، تاركا اياهم للدهشة ..

قال سالم وهو يجفف عرقه :

ـ وحدة مجمعة ..؟ في قريتنا ؟ هذا يوم المنى .

تدخل المهندس موضحا اكثر :

ـ الوحدة المجمعة ، سوف تضم مدرسة ومركزا للشؤون الاجتماعية .. ومستشفى ووحدة بيطرية .

هتف حسنين ، والفرحة تكسو ملامحه :

ـ يا فرحتنا .. احلامنا سوف تتحقق ، من كان يصدق ؟!

في بله تساءل رمضان :

ـ ولكننا سمعنا شيئا عن الموتى ، وراعنا تجمهر الرجال ، وبكاء النساء ، حتى خيل الينا ان القيامة توشك ان تقوم .. فما علاقة ابينا بكل ذلك ؟!

شرع العمدة في الاجابة على تساؤل رمضان :

ـ الرجال يتناقشون في امور ثانوية .. اما النساء ، فهن ناقصات عقل ودين .. وابوكم .. آه .. انا احترم شيخوخة ابيكم ..

صمت العمدة ، فقال مندوب المحافظة :

ـ ابوكم خائف من غضب الموتى ..

ـ لم نفهم شيئا بعد .

ضحك مندوب المساحة قائلا :

ـ الموضوع لم يعد فيه غموض .. الوحدة المجمعة سوف تقام على ارض الجبانة القديمة ، بعد تطهيرها من عظام الموتى .

ران صمت خفيف ، ثم قال الاخوة في نفس واحد :

ـ آه .. فهمنا .

وبعد لحظة ، قال سالم :

ـ وابونا ..

فاضاف العمدة :

ـ ابوكم لا يريد ان نفتح القبور ، لنستخرج منها عظام الموتى .

انتفض الاب فجأة ، وقال في هياج شديد :

ـ بالله عليكم .. ما ذنب الموتى، حتى تلاحقوهم بالاذى ، وهم في اخرتهم ؟!.. الا تخافون غضبهم ؟! اليسوا قادرين على الانتقام منا ؟.. ثم .. اليسوا في رحاب الله ؟!.. الا تخشون الله ؟!

ـ ولكن يا ابي .. اليس الحي ابقى من الميت ؟!

ـ اسكت يا سالم.. لقد وصفوني باني عجوز مخرف ، فهل تريد ان تقف ضدي انت ايضا ؟

صاح العمدة ، قائلا في ضيق بين:

ـ يا حاج عيسوي ، انت تعلم جيدا ، ان الجبانة قديمة ، ولم يدخلها ميت واحد منذ اكثر من عشر سنوات .. وسوف ترى بعينيك ، ان ما بها من الموتى ، قد تحولوا الى تراب ، او الى بقايا عظام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على اكثر تقدير .

ـ واذا فرضنا انهم تحولوا جميعا الى تراب ، فهل ننسى انهم اهلنا ، واصلنا الذي جئنا منه الى هذه الدنيا ؟!

في تلعثم قاطعه حسنين :

ـ يا ابي ..

ـ اخرس يا حسنين .. انت واخويك .. اصمتوا ولا تخيبوا املي فيكم .

قذف بكلماته في وجه ابنائه ، ثم عاد يقول :

ـ يقيني ان الموتى لا يتحولون الى عدم ، وان فنيت اجسادهم ، وهم الان ارواح طاهرة ، سابحة في ملكوت الله ، مكشوف عنها الحجاب ، وهي لن تغفر لكم سوء عملكم ..

تململ احد المثقفين في ضجر ، وقال :

ـ يا عم الحاج ، نحن مستعدون لتحمل نتيجة عملنا .

ـ فتلحل عليكم اللعنة ، ولتذهبوا الى الجحيم .. انتم جيل مستهتر .. اما انا ، فاني اقدس ..

اعترضه مندوب الاوقاف بقوله :

ـ يخيل الي انك تتمادى في ثورتك ، مستندا الى علمك بأن ارض الجبانة ، كانت في الاصل ملكا لجدك .. ولكن ينبغي ان تعلم ، انه ما دام قد تبرع بها ، واوقفها لدفن الموتى ، فانها تكون قد خرجت من ملكيته تماما ، وبالتالي ، لا يكون لورثته اي حق فيها .

ـ انا لا ابحث في الملكية او عدمها ، ولكني ارى ان اقل دين نؤديه لجدي ، هو احترام وصيته ، والاحتفاظ بجثته مستقرة في ارضه التي يملكها .. ولو من قبيل العرفان بالجميل .

ـ اعتقد اننا نكون اكثر عرفانا بجميل جدك ، حينما نستغل ارضه في مشروع يخدم الصالح العام ، بدلا من تركها مهملة هكذا .. اننا بذلك نجعله مستحقا لمزيد من النعيم في اخرته .

ـ بل قل انكم سوف تعذبونه ، وتفسدون عليه آخرته ، بنبشه وتهشيم عظامه ، وطرده من ارضه .

زعق به العمدة في غيظ ونفاذ صبر :

ـ يا حاج عيسوي ، انا قلت لك ، اننا ـ بكل حرص ـ سوف ننقل رفاة الموتى الى الجبانة الجديدة .. ثم ندفنها في المقبرة العامة ، بعناية فائقة ..

امسك الحاج عيسوي بلحيته البيضاء ، وقال في مرارة :

ـ اتريدون ان تضحكوا على ذقني هذه ؟!.. كيف سأزور موتاي فيما بعد ؟!.. انني لن اعرف قبرا لجدي ، وآخر لابي .. لن اعرف اخي من ولدي ، ولا اختي من امي وزوجتي .. ثم .. كيف ستجمعون بين النساء والرجال في مقبرة واحدة؟

ضرب العمدة قدميه في الارض ، وصرخ بأعلى صوته :

ـ يا حاج عيسوي كفاك تخريفا ، ولا تجعلني اشق ثوبي .. ثب الى رشدك ، وقدر اهمية الموقف ، والناس الذين تتحدث اليهم .. واعلم انا لن نستمر في احترامنا لك ، ولن نصبر عليك اكثر من ذلك .

مسح شيخ القرية ، وجوه ابناء العجوز بنظراته ، ثم استحثهم قائلا:

ـ اليس في استطاعتكم ان تضعوا حدا لتلك المهزلة ؟!

تبادل الاخوة نظرات مشحونة بالانفعال والتوتر .. ادرك سالم من نظرات اخويه ، انهما يتركان له مهمة الحديث .. التفت الى العمدة ، وقال في خشوع :

ـ هل تسمحوا لي بسؤال بسيط؟

ـ تفضل :

ـ اخراج الموتى من قبورهم .. اهو حلال ام حرام ؟

شعر خطيب المسجد ، بأنه هو وحده صاحب الحق في الاجابة على هذا السؤال .. اعتدل في جلسته ، وقال مؤكدا كلامه بالضغط على حبات سبحته :

ـ يا ابني .. قال تعالى ، وهو اصدق القائلين :

« واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم .. »

ومن هنا ، كان واجبنا ان نطيع اولي الامر ، لا سيما وانهم يهدفون لما فيه صالحنا .. اما استخراج الموتى ، فلا حرمة فيه اطلاقا .. اليس ذلك افضل من تركهم لتدوسهم اقدامنا وهم تحت التراب؟ لقد ضاعت معالم الكثير من القبور، واصبح الناس يختصرون الطريق الى السوق ، ويسيرون مخترقين ارض الجبانة !

همهم الحاج عيسوي يستغفر الله ، ثم قال محتدا :

ـ لو رأيت احدا يفعل ذلك ، لما ترددت في قطع رقبته .

ظل سالم يرنو الى ابيه طويلا ، ثم باغته بقوله :

ـ الحقيقة يا ابي ، انك تقف حائلا بيننا وبين ما فيه صالحنا ، دون مبرر معقول .. يجب ان تصحح موقفك ، وتفرح من اجلنا .

دفع حديث سالم بالشجاعة في نفس حسين ، فانضم اليه قائلا :

ـ العلم سوف يأتي لابنائنا وهم في قريتهم .. سوف يستريحون من عناء السير على الاقدام ، وركوب الحمير الى مدرسة الكفر البعيدة .. سوف يتوفر لنا جميعا الدواء والرعاية الصحية ، و ..

قاطعه ابوه :

ـ يا لكم من جيل ضعيف .. لقد عشت انا ما يقرب من المائة سنة ، ولا اذكر اني مرضت يوما واحدا ..

ـ كان تعدادكم قليلا يا ابي ، فكانت الخيرات كثيرة والصحة جيدة ، اما الان ، فقد كثرنا ، وكثرت امراضنا ، حتى اصبح من واجبنا ان نحدد النسل ، و ...

في سذاجة، ضحك رمضان قائلا:

ـ لا شك ان الوحدة سوف يكون فيها تليفزيون نتفرج عليه و ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علي احمد باكثير

دمعة على الصديق الشاعر علي احمد باكثير.. رفيق الدراسة والشعر والصداقة الحقة ..
بمناسبة مرور عام على وفاته في غرة رمضان ١٣٨٩هـ، الموافق ١١ نوفمبر ١٩٦٩ ..

عامر محمد البحيري

* * *

خطبـي بمثلـك لا يهـون فالدمع تسفحـه العيـون
يـا باكثير .. وانت عمـر .. قـد طوته يـد المنون
عمـر الصداقة ، والزمـا لة ، والخواطر ، والشجون
عمـر الصبى ، والزهـر ، والشعـر المجـدد ، والفنـون
عمـر مـن الامل انقضى بين التمنـي ، والظنـون
كنـا نفكـر فـي الشبـا ب .. ومثلنا مـن يحلمون
أنكون في غدنـا .. كمـا تهوى العلى .. او لا نكون

هيهات ، لا أنسى علـى الايـام .. موكبـك الحزيـن
فـي مشهـد ، لـم يمش خلفـك فيـه غيـر الكابرين
من كـل عـال فـي عبـا قـرة الزمـان الملهمـين
يمشون فـي ركـب الفجيـعة خشعـا متحسرين
ومـن الطبيعـة حولهـم صور الجمـال المستكـين

دخلت مجموعة من الشبـان ، واعلن احدهم :

ـ كل شيء على ما يرام الان .. الاهالي في غاية السعادة ، وقـد تطوعوا للعمل في المشروع دون مقابل.

ـ عظيم ..

ـ رائع ..

تنحنح العمدة ، ثم قال للحـاج عيسوي :

ـ ما قولك الان يا حـاج ؟.. المشروع سوف يتم ، سواء رضيت او لم ترض .. كان ينبغي ان تـدرك ذلك منذ البداية .

غمغم الحاج عيسوي ، وقد كبت حدة ثورته بعض الشيء :

ـ ماذا اقـول ، وابنائي انفسهم ليسوا في جانبي ؟!

تاهت نظراته ، وشرد فكره ، لكنه ما لبث ان استجمع نفسه ، وهتف متحمسا :

ـ عندي فكرة .

ـ ما هي ؟!

ـ ان تقام الوحدة على اي قطعة اخرى من الارض .. وانا مستعـد للتبرع بكل ما تطلبون .

ـ يا حاج .. الحكومة تعمل على زيادة الارض الزراعية ، ومـن غير المعقول ، ان نعمل نحن على انقاصها !

تمتم الحاج عيسوي في يـأس :

ـ منكم لله .. وهو خير شاهد على اني بريء منكم ومن اعمالكـم الى يوم الدين .

انهى العمدة الموقف بقوله :

ـ غدا سوف نذهب جميعا للعمل في الجبانة ، لننتهي من اعدادها ، قبل حضور آلات الاصلاح ومـواد البناء .. فان شئت أتيت معنـا وباركت عملنا ، والا فسوف نضعك تحت حراسة ابنائك .. خشية ان تحدث بنفسك مكروها .

اغمض الحـاج عيسوي عينيه ، واخذ يهذي بكلمات غير مفهومة .

في الصباح ، تقدم الحاج عيسوي الى العمدة مستسلما :

ـ خذوني معكم .. اقرأ القـرآن الكريم على ارواح الموتى .. عسى ان يغفر الله لنا ولهم .

في مقدمة الموكب ، سار العمدة، وبجـانبه الحـاج عيسوي ، ورجال الحكومة ، وكبار القرية ومثقفيهـا . يتبعهم باقي الرجال، حاملين الفؤوس والمجارف والمقاطف .. ولم تخـل القرية من بعض النساء الباكيات .. ربما لمجرد تذكر الموت والموتى .

انفرست اول فـأس في ارض الجبانة ، فانحدرت دمعتان على خدي الحاج عيسوي .. أسبل جفنيـه ، واستمر يقرأ القرآن الكريم بصوت خافت ، فبدا وكأنه يستعد للتحليق بروحه في ملكوت الله .

فتح عينيه في بطء شديد ، فرأى اول جمجمة اخرجت من تحت الارض .. صعق ، فجحظت عيناه، وانفلتت منه شهقة حادة ، ثم .. انطـرح جسده على الارض ، وسكن تماما ..

ظن الناس انه قد أغمي عليه .. التفوا حوله ، وحركـوا جسده ، فوجدوه خاليا من الروح ..!

القاهرة محمد صفوت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الروض يرنو ساهما والنيل ينشج في سكون
وبواسق الاشجار بين يديك باكية الغصون
والنور من دمع الضحى والظل حزن الراحلين
اخذوا باسباب الودا ع ، وخلفونا ذاهلين
تالله ما ندري .. وانت الامس صدر القائلين
أنكون بعدك مثلما تهوى العلى . او لا نكون

يا صاحب الخلق الرضي ، وباذل الود المتين
ما زلت حتى في الردى في السابقين الاولين
بعثت شبابك حضرمو ت ، وشاقك الحرم الامين
وسبقت للنيل الظما ء ، لورده متعطشين
فنهلت منه نهلة بردا على القلب الوهين
وحلات روض المنيل البا قي على مر السنين
في الصبح .. تشهد لجة حملت من الابد السفين
وتجيل في كرم ابن ها ني .. الطرف، والهرم المكين
اثران ، من سحر القصيد ، ومن أعاجيب القرون
ترنو الفداة اليهما تستلهم الشعر الرصين
لما ظمئت الى الخلو د .. نهلت كأس الخالدين

يا باكثير .. ومثل خطبك في الحوادث لا يهون
ان العروبة فيك والاسلام .. خطبهما مبين
منذا يقول اذا انطوى في الدهر عهد النابغين
من ينمح الرمح الثقا ف، ويشحذ السيف السنين
قالم الاديب .. هو السلا ح .. اذا التقى بالشاهرين
كم من صريع في معا ركه الرهيبة ، او طعين
فحمية ، او غيرة للحق .. حتى يستبين
لم يختلف يوما عليك من الثقاة الناقدون
وعلى هداك محافظو ن تقدموا ، ومجددون
نعم اللواء .. رفعته لا لليسار ، ولا اليمين
لكنه الفكر المسد د .. ساقه العقل الرزين
دبجت خالدة الملا حم ، في هداه ، أربعين
لما تصفحت الرجا ل اخترت خير العادلين
..... .. الذي شغلته حال المعوزين
والعبقري . اذا فرى فريا .. امير المؤمنين
عمر .. الذي نصر الاله .. به .. اعز المرسلين

هذا قصيدي .. باكثير .. عصارة القلب الضنين
بالامس لم اخطىء رضا ءك عنه .. بين السامعين
واليوم قد اطلقته لك أدمعا لا ينتهين
جد لي بشعرك .. كي اصو غ .. رثاءك الغالي الثمين
واعيد ما قد قلته وعليه ثرنا أجمعين
قسم العروبة محرج والعزم صلب .. لا يلين
لنحررن القدس .. من ايدي الطغاة المعتدين
ولنرجعن الارض او نقضي بها مستشهدين
البغي راكب رأسه والحمق أسكره الجنون
والحرب دائرة الرحى هوجاء ، مشعلة الاتون
اما نكون .. اذا اصطلينا نارها .. او لا نكون !

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود الحسنية

المعتمد بن عباد ومعركة الزلاقة

بقلم محمود الحسنية
امين سر جمعية المكتبات اللبنانية

* * *

قال القاضي ابو بكر بن خميس : قد ذكر الناس للمعتمد من اوصافه ما لا يبلغ مع كثرته الى انصافه فهو شجاع . جم الادب ، عالي النظم كان يسمى بمحمد ويكنى بابي القاسم على كنية جده القاضي . وقال ابو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي من دانيه المعروف بابن اللبانه المتوفى سنة ٥٠٧ هـ ، ١١١٣ م في نسب بني عباد :

من بني المنذرين وهو انتساب زاد في فخره بنو عباد
فتية لم تلد سواها المعالي والمعالي قليلة الاولاد

لما اشتد التنافس ، واستحكم نزاع الحسد ، بين ملوك الطوائف غزا ملوك تشتاله طليطلة في سنة ٤٤٥ هـ ، ونكلوا بصاحبها يحيي بن ذي النون الملقب (١) بالمأمون ، وغزا الفونس السادس بن فرذيلند ما بقي من ممالكهم حتى بلغ جزيرة طريف ، وادخل قوائم فرسه في البحر ، قائلا : « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته » . وفرض الضرائب الباهظة عليها حتى ضعف الاعتمار وقل الازدهار . فعانى منه ملوك الطوائف الكثير من التعسف والاضطهاد الى ان كان من امره مع ابن عباد ما كان .

بعث ابن فرذيلند الى ملك اشبيلية المعتمد بن عباد الذي يرتقي بنسبه الى النعمان بن منذر بن ماء السماء اللخمي رسولا يوهديا ولاه جباية الاموال ، نزل بظاهر المدينة في موكب من الفرسان ، وكتاب الديوان ، فقدم له المال ، فلم يرض عياره متعمدا الاساءة ، واقسم اليهودي بان مولاه لا يقنع في السنة المقبلة الا بالبلاد ، ولما نقل كلامه الى ابن عباد ، امر بالقبض عليه ومن معه ، فاعدمه واسر رفاقه ففضب ابن فرذيلند واخذ يتوعد لاحتلال اشبيلية فاستنهض المعتمد ملوك الطوائف وحثهم على الاتحاد لمنازلة ملك قشتالة ، ورأى ان يستعين بالامير يوسف بن تاشفين اللمتوني ، فاستشار اولياء الراي ، في مملكته ، وقاضي الجماعة في قرطبة ابا بكر عبيد الله بن ادهم ، وابن رشيق ، وقضاة بطليوس وغرناطة ، رغم ما يعرف من ان ابن تاشفين يطمع في الاستيلاء على الجزيرة الخضراء ، ورغم معارضة ولده الرشيد لهذا الراي حيث قال : حاول الامر بجهدك مع النصراني ولا تستعجل بادخال من يسلبنا الملك ويشتتنا فالناس من علمت ، فقال المعتمد : « يا ولدي لان اموت راعيا بالمغرب خير عندي من ان ارد الاندلس دار كفر ، فتكون اللعنة علي من المسلمين ابد الدهر » .

بعث المعتمد الى المغرب في سنة ٤٧٨ هـ اسطولا اندلسيا ضخما يرافقه القضاة والاعيان ليقل ابن تاشفين ، وانتظره في سبته مستخلفا ولده الرشيد في اشبيلية ، جاز ابن تاشفين مع جيشه ومرافقيه الى الاندلس ، فاحتفت به ملوك الطوائف والقبائل ولقيه ابن عباد مقدما له التحف والهدايا ، ولحقت به الجيوش العربية من طول البلاد وعرضها ، وتوقفت معه في اجواز بطليوس ، فلقيهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد وقدم لهم ما لذ وطاب من المأكل والمشرب .

ولما علم ابن فرذيلند بمجيء ابن تاشفين امير دولة المرابطين واستعداده للحرب حث الجلالقة والفرنجة بواسطة الرسل على الجهاد ، فتجمع لديه جيش عظيم اختار منه اربعين الف دارع وقال : « بهؤلاء اقاتل الجن والانس ... » ولما اكمل استعداده وتهيأ للحرب بعث الى ابن عباد متوعدا ، متفيظا بما فحواه : « ان صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده وخاض البحور ، وانا اكفيه العناء فيما بقي ، ولا اكلفكم تعبا ، امضي اليكم ، والقاكم في بلادكم رفقا بكم ، وتوفيرا عليكم » .

فاجابه ابن تاشفين : « عليكم الاختيار بين الاسلام ، او دفع الجزية ، والا فالحرب امامكم . » فامتلأ ابن فرذيلند غيظا ودعا الى الحرب المقدسة فرفع القسس والرهبان الصلبان ، ونشروا الانجيل ، وطافوا بلاد الفرنجة يدعون لهذه الحرب حتى اصبح لهم جموع غفيرة قدرت باضعاف جموع المسلمين (قال عنهما المقري في نفح الطيب : انها ثلاثماية الف) تظاهر ابن فرذيلند بمنازلة العرب ، ثم اجل ذلك يوما ثم يومين ليفاجئهم على حين غرة ، وبث الجواسيس يأتونه باسرار اعدائه ، ولكن ابن عباد الملك

البطل كان يقظا يعرف حبائله ، يتقصى اخباره وينقلها الى ابن تاشفين بواسطة كاتبه ابي بكر بن القصيرة .

وكان ملك الفرنجة يقول لقواده : ابن عباد مسعر هذه الحروب ، وهؤلاء الصحراويون وان كانوا اهل حفاظ ، وذوي بصائر في الجهاد فهم يجهلون طبيعة هذه البلاد فاقصدوه وقاتلوه ، فاذا قضيتم عليه قضيتم عليهم بعده . ومال ابن فرذيلند على المعتمد واحاطه بكل جيشه واشتد بلاء الحرب وحمي وطيس المعارك وصال المعتمد وجال ، ودافع دفاع الابطال حتى اثخنت جراحه فاصيب في هامته : وفي يده اليمنى ، وجانبيه ، وعقرت تحته ثلاثة افراس ، وسقط العديد من جيشه وتباطأ عنه ابن تاشفين ، وساورته الظنون وتذكر قول ابنه الرشيد وبعث الى ابن له في اشبيلية تركه عليلا ، اسمه العلاء وكنيته ابو هاشم وكان يحبه كثيرا :

ابا هاشم هشمتني الشفار ... وللـه صبري لذاك الاوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج ... فلم يثنني ذكره للفرار

وكان اول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة وكان بطلا عصاميا دفعته رجولته بان يقتحم المعركة ، فجال فيها وسرى عن ابن عباد ، وبعده اقبل ابن تاشفين وطبوله تصدح امام جيش لجب، فحمل على ابن فرذيلند والتحم الجيشان بمعركة ضارية اظلم فيها النهار بالعجاج والغبار ، وتزلزلت الارض بحوافر الخيل وارتد من تقهقر من جيش ابن عباد الى قلب المعركة ، وبدت ريح الظفر وتباشير النصر ، وانكشف ابن فرذيلند وولى منهزما بعد ان طعن في احدى وكبتيه ، وخمع من هذه الطعنة طيلة عمره ، وسلطت السيوف على رقاب من بقي من جيشه المتقهقر ، ولم ينج منه سوى خمسماية فارس كلهم مكلوم ، وهكذا انتصر ابن تاشفين وابن عباد في اكبر معركة من معارك النصر في الاندلس. في بطحاء الزلاقة من اقليم بطليوس ، في يوم الجمعة الموافق في العشرين من رجب سنة ٤٧٩ هـ سنة ١٠٨٦ م

وفي هذه المناسبة قال ابن جهور كما جاء في الحلة السيراء لابن الابار :

لم تعلم العجم اذ جاءت مصممة ... يوم العروبة ان اليوم للعرب

اقبل ابن عباد البطل على ابن تاشفين وصافحه ثم شكره واثنى عليه .

اقام ابن تاشفين في اشبيلية ثلاثة ايام كلها حفاوة واعياد . ولما عاد الى المغرب لامر هام مشى ابن عباد معه يوما وليلة فتورمت جراحه ، ورجع الى اشبيلية وامر ابنه بالمسير معه الى فرضة المجاز حيث عبر البحر وترك ابن تاشفين احد قواده المشاهير الامير سيري بن ابي بكر مع جيش كبير له ففزا الفرنج ، وسبى وفتح الحصون والمعاقل وتوغل في البلاد وحصل اموالا وذخائر عظيمة أرسلها الى مولاه في المغرب. وبعد معركة الزلاقة المظفرة، طار ذكر ابن عباد ومالت اليه القلوب وحالفته ملوك الطوائف وخاطبته بالتهنئة ، وكانت ايامه مزدهرة هانئة مقرونة باليمن وسعة العيش .

اجتمع في بلاطه الاعيان من رجال الادب والعلم والشعر ما لم يجتمع لغيره ولا غرو فهو الملك الذي عرف بالشاعر البطل ، لعلو منزلته في الشعر ، وفي الشجاعة.

وهكذا بقي ابن عباد مكرما ، معظما ، حتى كانت الوقيعة بينه وبين ابن تاشفين بعد ان اوغر صدره قائده في الاندلس ضد ملوك الطوائف ومنهم ابن عباد ، قائلا : « جيوشنا في الثغور مقيمة في مكايدة العدو وملازمة الحرب والقتال في اضيق العيش وملوك الاندلس في بلادهم في ارغد عيش » فامره بالتصدي لهم .

نفذ الامير سيري بن ابي بكر اوامر سلطانه وبدا بخلع صاحب غرناطة ، حفيد باديس ثم ثنى بالمعتمد بن عباد فنازلته قواده باشبيلية ، ونازلت ولده المأمون بقرطبة ، وولده الراضي برندة . وجرد ابن عباد من ملكه في العشرين من رجب سنة ٤٨٤ هـ ، وقتل ابنه مالك بين يديه ، وجرت عليه اهوال شديدة حيث كان يكافح على جبهتين من جيش الفرنج وجيش ابن تاشفين .

وبعدما تم لابن تاشفين خلع المعتمد وقضى على حكم بني عباد ، الذي دام من سنة ٤١٤ هـ ، ١٠٢٣ م الى ٤٨٤ هـ ، ١٠٩١ م خلع جميع عمال بني عباد واقتادهم اسرى الى المغرب ، واسر المعتمد ووضعه مكبلا بالاصفاد في اغمات بمراكش حيث كان يقتات من غزل بناته وهو القائل :

وانا اليوم رهن اسر وفقر ... مستباح الحمى مهيض الجناح

وفي منفاه قال :

انباء اسرك قد طبقن آفاقا ... بل قد عممن جهات الارض اقلاقا
سرت من الغرب لا يطوى لها قدم ... حتى اتت شرقها تنعاك اشراقا
فاحرق الفجع اكبادا وافئدة ... واغرق الدمع آماقا واحداقا

ثم قال وقد اطل العيد :

فيمامضى كنت بالاعياد مسرورا ... فساءك العيد في اغمات مأسورا

(١) ـ ملوك الطوائف :

١ ـ الدولة الزيرية في غرناطة ٤٠٣ ـ ٤٨٣ هـ .
٢ ـ الدولةالحمودية في قرطبة ومالقه ٤٠٧ ـ ٤٥٠ هـ .
٣ ـ الدولة الهودية في سرقطة ٤١٠ ـ ٥٣٦ هـ .
٤ ـ الدولة العامرية في بلنسية ٤١٢ ـ ٤٧٨ هـ .
٥ ـ الدولة العبادية في اشبيلية من ٤١٤ ـ ٤٨٤ هـ .
٦ ـ دولة بني الافطس في بطليوس ٤٢١ ـ ٤٨٧ هـ .
٧ ـ الدولة الجهورية في قرطبة ٤٢٢ ـ ٤٦١ هـ .
٨ ـ دولة ذي النون في طليطلة ٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ .

كانت الحروب بين ملوك الطوائف متصلة فهجاهم ابو بكر بن عمار :

مما يزهدني في ارض اندلس ... القاب مملكة في غير موضعها
اسماء معتضد فيها ومعتمد ... كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

مصادر البحث : الحلة السيراء لابن الابار . تاريخ اسبانيا الاسلامية ، لابن الخطيب . نفح الطيب وازهار الرياض في اخبار عياض ، للمقري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعراء الحب

لمـــا رأتنـــي واقفـــا حولهـــا ... قالت مـــن الاشفاق ماذا تريـــد
لقـــد رأتنـــي ساهمـــا حالمـــا ... محدقا في وجهها مـــن بعيـــد
أرنو وقلبي فـــي ذهول الـــى ... وجـــه سماوي وشكـــل فريـــد
قلت اعذريني انـــي شاعـــر ... وصنعتي يا أخت وحي القصيد
والحسن الهامـي ومـن وحيـه ... أعرف يـا حسناء سر النشيـد
جئتك مأخوذا بسحـر الصبـا ... وغيـــر نظراتـــي لا أستزيـد
قالت فهمت الآن مـــا تبتغـــي ... فانظر وخـذ ممـا تشاء المزيـد
مـا بين مـا تبغيه مـــن مطلب ... وبـين ظنـي كـــان شاو بعيـد

يـا شعـراء الحـب الحانكـــم ... ري العذارى في الشباب السعيد
غنـوا ليالي الحـب واستلهموا ... ايحاءكم مـن كـل خـد وجيد
وزودونـــا بالمنـــى انهـــا ... سلوى ربيبات الصبا في النشيد
فمـــا شجانـا غيـر انشادكـم ... نتلـوه ليـلا والبرايـا رقـــود

وسرت عنهـا بعـــد توديعهـــا ... نشوان من سحر الطي والخدود
ذهبت لكـــن النهـــول الـــذي ... حل بقلبي.. عاد لي .. من جديد

البحرين — احمد محمد الخليفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم قـــال :

اقنع بحظك فـي دنياكا ما كانـا ... وعز نفسك ان فارقـت اوطانـــا
في الله من كل مفقود مضى عوض ... فاشعر القلب سلوانـا وايمانـــا

توفى المعتمد في منفاه فـي ذي الحجة مـن سنة ٤٨٨ هـ ، وامر ان يكتب على قبره من نظمه :

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي ... حقـا طفرت باشلاء ابـــن عبـاد
بالطاعن الضاربالرامياذا اقتتلوا ... بالخصبان اجدبوا بالري للصادي
نعم هو الحق وافاني بـــه قـدر ... مـــن السماء ووافانـي لميعادي
ولم اكن قبل ذاك النعش اعلمـه ... ان الجبال تهادى فـــوق اطـواد
فـــلا تزال صلاة اللـه دائمـــة ... عـــلى دفينك لا تحصى بتعـداد

قال ابن الصيرفي : في مصلى العيد الذي توفـي المعتمد في شهره ، زار ضريحـــه باغمات خلـق كثيـر يتوجعون ويترحمون ومنهم شاعره ابن عبد الصمد الذي رثاه بمنظومة رائعة زادت على ماية وعشرة ابيات ، ابكـى بها كل من حضر ، اولها :

ملـك الملـــوك اسامـــع فانادي ... ام قد عدتك عـن السماع عوادي
لمـا خلت منك القصور فلم تكن ... فيها كما قـد كنت فـــي الاعياد

قال ابن الابار فيه : ورزق من الناس حبا ورحمة فهم يبكونه الى اليوم .

كيف لا وقد كان عهده عهد المحبة والرخاء استقطب فيه نخبة من رجال العلم من قضاة ووزراء ، وشعـــراء : امثال الحصري وابن العربي وابن زيدون ، وابن رشيق ، وابن اللبانة ، وابن عمار ، وابن عبـــد الصمد ، وابـن حمديس الصقلي ، وهكذا لقب المعتمـد بالملك الشاعـر البطل ، بعدما خلد بشجاعته معركة الزلاقـة ، وسطرها التاريخ بمداد الفخر ، حيث اضيفت الى ايـــام العرب المظفرة ، فالقادسية ، وذي قار ، وجبل طارق ، والزلاقة ، وحطين ، وعنجر ، معارك خالدة ، فهل من معركة مظفرة اخرى تعيد الحق المغتصب والارض السليب ؟...

اجل انني المح من بعيد الوية النصر بيـد المغاويـر السمر يتقدمهم معتمد بطل .

محمود الحسنية



محمد العدنـاني

اغـلاط شـائعـة

بقلم محمد العدناني

* * *

جبـة خلقـة

ويقولون : ثوب خلق (بفتح الخاء واللام) ، اي بال ، وجبة خلقة . والصواب : ثوب خلق وجبة خلق (بفتح الخاء واللام فـي كليهما) . وقد روى اللحياني عن الكسائي انه قال : لم نسمعهم قالوا : خلقـة (بفتح الخاء واللام) في شيء من الكلام . وجمع خلق : خلقان (بضم الخاء وتسكين اللام) ، وأخلاق .

وقد يقال : ثوب أخلاق يصفون به الواحد اذا كانت الخلوقة فيه كله . ويقال ايضا : جبتان خلقان ، ولا يقال : خلقتان .

اختلـى بـه

ويقولون : اختلى المضيف بالضيف . والصواب : استخلى به ، وخلا به ، وخلا اليه ، وخلا معه : خلاء وخلوة وخلوا (بفتح الخـاء في المصادر الثلاثة) ، كما جاء في الصحاح والتاج والمحيط ومتن اللغة واقرب الموارد . وشذ اللسان عنها فذكر : خلوا (بضم الخـاء والـلام وتشديد الواو) بدلاً من : خلوا (بفتح الخاء وتسكين اللام) ، واكتفى الاساس بذكر المصدرين الاولين (خلاء وخلوة) ، وأرجح أن هناك خطا مطبعيا في اللسان ، لان خلوا (بضم الخاء واللام وتشديد الواو) هو مصدر : خلا المكان يخلو خلاء وخلوا (بضم الخـاء واللام وتشديد الواو) ، الذي يعني : فرغ ورحل ساكنوه .

اما معنى (خلا به واليه ومعه واستخلى به) فهو : انفرد بـه او اجتمع به في خلوة .

ومن معاني الفعل (اختلى) :

١ ـ جز الخلى (بفتح الخاء واللام) وقطعه (الخلـى : الرطب من الحشيش) . وفي حديث ابن عمر : كـان يختلـي لفرسه ، اي يقطع لها الخلى . وفي حديث تحريم مكة : لا يختلى (بالبناء للمجهول) خلاها ، أي : لا يجز ولا يقطع (ببناء الفعلين للمجهول) .

٢ ـ اختلى السيف رأسه : قطعه .

خامس معركـة

ويقولون: هذه خامسة معرفة انتصر فيها جيشنا. والصواب:هذه خامسة معركة، لأن العدد الترتيبي يطابق المعدود في التذكير والتانيث، سواء أكان صفة ، أم مضافا الى المعدود .

ضرب أخماسا بأسداس

ويقولون : ضرب اخماسا بأسداس . والصواب : ضرب أخماسا لاسداس . وهو مثل يضرب لمن يسعى في المكر والخديعة .

الاخماس : جمع خمس (بكسر الخاء) ، والاسداس : جمع سدس (بكسر السين) ، وهما من أظماء الابل .

واصل هذا المثل ، ان الرجل اذا أراد سفرا بعيدا ، عود ابله أن تشرب خمسا ، أي كل خمسة أيام مرة ، ثم سدسا ، حتى أخذت في السير صبرت على الظما . وأنشد الكميت :

وذلـك ضرب أخماس أريـدت لاسداس ، عسـى ألا تكونـا

الخنـاق

ويسمون الداء الذي يعسر معه نفوذ النفس الى الرئة : الخانوق، واسمه الاجنبي الدفتيريا . والصواب : داء الخناق (بضم الخـاء) على وزن (فعال) ، الدال على مرض ، مثـل : سعال ، وسلال ، وزكام ، ورعاف (النزف من الانف) . ويسمى هـذا الـداء أيضا : الخنافية (بضم الخاء وتشديد الياء) . وانفرد (متن اللغة) بأن أطلق عليه اسم الخناق (بضم فنون مشددة) ايضا . ولم اعثر على المصدر الذي اعتمد عليه .

خـوخ

ونطلق على الفاكهة المعروفة اسم خوخ فـي سورية وفلسطـين والاردن ولبنان . والصواب هو : الاجاص (بكسر الهمزة وتشديـد الجيم) أو البرقوق (بضم الباء) .

شد على اصبعه خيطا

ويقولون : شد على اصبعه خيطا ليتذكر به الحاجة . والصواب: شد الرتمة (بفتح الراء والتاء) ، أو الرتمة (بفتـح الـراء وتسكين التاء) ، او الرتيمة ، لان احدى هاتين الكلمتين توفر علينا كتابة جملة طويلة ، يعد طولها ـ في رأيي ـ نوعا من الخطا ، ما دمنـا نستطيع الاستعاضة عنها بكلمة واحدة .

يخال لي ان الامر كذا وكذا

ويقولون : يخال لي ان الامر كذا وكذا . والصواب : يخيـل (بضم الياء الاولى وتشديد الثانية وفتحها) الي ان الامر كذا وكذا . ومعنى : خيل (بالبناء للمجهول) اليه أنه كذا : توهم انه كـذا . واجاز الحريري قول : خيل له أنه كذا .

راجع سورة طه ، الآية : ٦٦

أربعـة خيـول

ويقولون : تجر العربة أربعة خيول . والصواب : تجرها أربعـة جياد . لان الخيول والاخيال هي : جمع خيل .

والخيل : جماعة الافراس ، لا واحد له لانه اسم جمع . وقيل : واحده (خائل) ، لانه يختال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويطلق كلمة (خيل) على الفرسان ، والجياد ، والبراذين (دواب الاحمال الثقيلة) . والعدد (اربعة) لا يصح ان يكون جمعا لاسم جمع ، وهو من جموع القلة . وجاء في الصحاح : والخيل : الخيول .

وبعدما قال صاحب اللسان : والخيل الخيول ، عاد فاستدرك قائلا : وجمع الخيل : أخيال وخيول ، والاخير أشهر واعرف .

ومن الادلة على ان من معاني الخيل : الفرسان ، قوله تعالى في الآية ٦٤ من سورة الاسراء ، فالرجاء مراجعتها ، وأنا لا أذكرها هنا : لان حروف المجلة غير مضبوطة بالشكل .

بالتالي

ويقولون : فلان ياكل كثيرا ، وبالتالي يتخم . والصواب : ياكل كثيرا ، ثم يتخم . و (بالتالي) شبه جملة ركيكة جدا ، لا أدري كيف تسللت الى قسم كبير من كتابنا .

اجتمع بـه

ويقولون : اجتمع فلان بفلان . والصواب : اجتمع فلان الى فلان . وقد جاء في التاج واللسان :

١ ـ كانت قريش تجتمع الى كعب بن لؤي فيخطبهم .

٢ ـ كانت قريش تجتمع الى قصي في دار الندوة .

واستعمل البديع الظرف (مع) في رسائله في الصفحة ٤١ من طبعة المطبعة الكاثوليكية ، فقال : « وقديما كنت أسمع بحديثك ، فيعجبني الالتقاء بك والاجتماع معك » . وأنكره الحريري في درة الغواص . واعتقد أن البديع اخطأ .

وفي التاج واللسان :

١ ـ اجتمع معه على الامر : مالأه عليه ، أي : ساعده وشايعه .

٢ ـ اجتمعوا على مطر الوسمي (مطر الربيع الاول ، أي : انتظروا خصبه وكلاه ، وهم مجتمعون في المكان الذي نزل عليه الوسمي) .

الدبابير

يقولون : لسعته الدبابير . والصواب : لسعته الدبر (بفتح الدال المشددة وتسكين الباء) ، وهي لا واحد لها من لفظها . وتجمع الدبر على أدبر ودبور (مثل : انفس ونفوس) . أو نقول : لسعته الزنابير . مفردها (زنبور) بضم الزاي وتسكين النون . وقد يكون مفردها زنبار (بكسر الزاي وتسكين النون) .

وقيل ان الدبر هي النحل ايضا . وقد خطأ الازهري ذلك . ولا واحد لها من لفظها ايضا .

أما كلمة الدبور (بتشديد الدال المفتوحة والباء المضمومة) فلم أجدها في معجم الدميري (حياة الحيوان الكبرى) ، والمعاجم اللغوية تقول : ان الدبور (بتشديد الدال المفتوحة والباء المضمومة) هو الزي (بتشديد الزاي المكسورة والياء) .

وتوجد كلمة دبور (بفتح الدال وتخفيف الباء) ، وهي الريح الغربية ، وتقابلها الصبا (بفتح الصاد وتشديدها) ، وهي الريح الشرقية .

نـزل مـن الدرج

ويقولون : نزل من الدرج . والصواب : نزل (بفتح النون والزاي) من الدركات ، وصعد في الدرج ، لان الدركة (بفتح الدال المشددة والراء) للنزول ، والدرجة للصعود . راجع الآية ٢٥٢ من سورة البقرة ، والآية ١٤٤ من سورة النساء .

مـدرج المطـار

ويقولون : هبطت الطائرة على مدرج (بضم الميم وفتح الدال وتشديد الراء وفتحها) المطار . والصواب : هبطت على مدرج (بفتح الميم والراء وتسكين الدال) المطار . لان معنى درج (بفتح الاحرف الثلاثة) : مشى . ويصاغ اسم المكان منه على وزن مفعل (بفتح الميم والعين وتسكين الفاء) ، لان مضارع (درج) مضموم العين .

أما كلمة مدرج (بضم الميم وفتح الدال والراء المشددة) ، فتعني كل ردهة ، او مكان صفت فيه المقاعد في شكل درجات ، وأمامه منبر للخطابة ، او ملعب ، او ممثل ، او ستار أبيض للخيالة (السينما : وضعها مجمع دار العلوم في الجدول رقم ١٩) .

وتعني كلمة مدرج (بضم الميم وفتح الدال والراء المشددة) ايضا: كل بناء واسع في شكل نصف دائرة ، مرتفع الجدران ، وفيه مقاعد مدرجة ، امامها فسحة تستعمل للالعاب . ويعرف في الغرب ب (الامفيتياتر) أو (الستاد) .

جمع ما يكفي دراسته

ويقولون : جمع ما يكفي دراسته في الجامعة . والصواب : جمع ما يكفيه للدراسة في الجامعة ، لانه هو الذي يحتاج الى المال للدراسة ، وليست الدراسة نفسها في حاجة الى المال .

سنـة دراسيـة

ويقولون : قضى في معهدنا سنة دراسية . والصواب : سنة مدرسية ، لان السنة المدرسية لا تشمل فصل الصيف ، ويتخللها نحو خمسين يوما من العطل المدرسية ، بينما تعني السنة الدراسية سنة كاملة من الدراسة المتواصلة ، مما لا يتاح للطلاب في المدارس .

دعـاه للنـزول

ويقولون : دعاه للنزول . والصواب : دعاه الى النزول . راجع الآية ٤٦ من سورة الاحزاب .

وفي الحديث : لو دعيت الى ما دعي اليه يوسف عليه السلام لاجبت . يريد حين دعي للخروج من الحبس ، فلم يخرج ، وقال : أرجع الى ربك فاسأله . يصفه صلى الله عليه وسلم بالصبر والثبات ، أي : لو كنت مكانه لخرجت ولم البث . قال ابن الاثير : وهذا من جنس تواضعه في قوله : لا تفضلوني على يونس بن متى .

تداعـى للسقوط

ويقولون : تداعى جدار الحديقة للسقوط . والصواب : تداعى جدار الحديقة (وهو من المجاز) ، لان معنى تداعى : سقط ، أو مال الى السقوط .

دفـة السفينـة

ويقولون : دفة السفينة ، ويقصدون بها ذنب السفينة الذي به تقوم وتسكن . والصواب : سكان (بضم السين وتشديد الكاف) السفينة . وكلمة (دفة) غير الفصيحة هنا لها معان في الفصحى، هي:

١ ـ الجنب من كل شيء او صفحته ، ومن المجاز : دفتا المصحف ، أي : ضمامتاه من جانبيه .

٢ ـ دفتا الطبل : الجلدتان اللتان تكتنفانه ، ويضرب عليهما (مجاز) .

٣ ـ أطلقها ابن بطوطة على مصراع الباب ، لانها جنب منه .

الدكتور فلانـة

ويقولون : الدكتور فلانة ، حاذين بذلك حذو الانكليز ، الذين لم يضعوا في لغتهم تأنيثا لكلمة (دكتور) . وأنا ، لو اضطررت الى استعمال كلمة دكتورة ، لن أتردد في ذلك أبدا .

ولحسن حظنا أننا لن نحتاج الى استعمالها ، ما دام في الفصحى ما يحل محل كلمة (دكتورة) ، وهي كلمة : (الطبيبة فلانة) .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تراب الطريق مبلول بالندى .. كل خطوة من قدمي الحافيتين ، تمسح البلل عنه ، وتخلف مكانا غائرا بطول القدم .. حين ادور براسي الى الخلف ، ارى خطواتي متتابعة .. البعيد منها غامت ملامحه ، والقريب لا اثر فيه لبلل .. قرب بعض الخطوات ، روث البهائم ، اقراص بارزة ، مشققة .. قالت امي حين تنشف الاقراص لا ينفع لها ، لكني قرفت من جمعها ساخنة ..

الترعة ساكنة .. لا احد يبول على حافتها او يغتسل .. وما ينحسر عنه الضباب من الحقول المحيطة ، ما انفك يعمر بالخلاء .. لا بهيمة مربوطة ، ولا محراث يروح ويجيء .. والمقابر لم تبن بعد .. شجرة التوت وحدها يتفتق عنها الضباب .. نتف من الندى تعلق باوراقها تصنع غلالة بيضاء حولها ..

كل يوم الى المقابر .. اجوس خلالها .. منذ قالت امي حرام ان تعتلي القبور ، وانا احاذر الارتطام بأي منها ، حتى القبور الرملية الصغيرة ، التي لا يدل عليها غير قالب طوب مدفون في طرف منها ، امتنع عن تخطيها .. ما ان ابلغ شجرة التوت حتى اتسلقها ... اندس بين فروعها باحثا عن فرع كبير اقتعده .. امد يدي افتش عن حبة توت آكلها .. ارسل عيني من خلال الاوراق والاغصان الهو بالنظر الى الطريق ..

اليوم لا قدم تدوس الطريق ... والتوت يملأ فمي لكنه لا يسكت صراخ معدتي .. انشغلت خالتي فتحية بالبقرة ، ولم يخرج ابنها فتحي الي .. آه لو ماتت البقرة .. منذ الامس والناس يتزاحمون على الدار .. لا يكفون عن الكلام والحركة .. ضعت بين سيقانهم ، فلم يلمحني احد ..

عند مشارف المقابر ، ينشق الضباب عن رجل له ملامح جدي .. بدني يهتز برعشة .. ويداي تتشبثان بالاغصان .. قالت امي بعد ان مات جدي .. رايت ابي في لباس ابيض .. يتقدم مني ويمرر يده فوق راسي .. الرجل السائر على الطريق يلبس ملابس بيضاء .. اود لو نزلت اليه ، فيقربني منه، ويمسح على شعري .. كان جدي يفعل وهو يداعبني .. حين يغضب مني كان يصرخ في ساضربك يا عفريت .. كنت امرق منه كالنحلة .. وعلى البعد اقف مرتجفا .. لا احول عيني عنه .. وكنت ابكي اذا تشاغل عني ونسيني .. واظل ابكي حتى يناديني فيقبلني ويمسح على راسي.

الرجل الذي يلبس الملابس البيضاء .. يحمل شيئا بين يديه .. كان جدي لا يعود من المدينة فارغ

جدي الذي مات

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

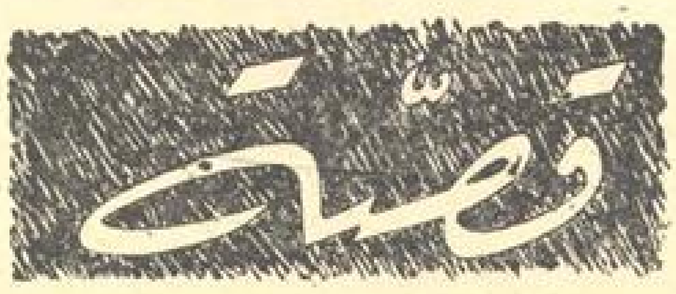
اليدين .. وكان يمر ببيتنا ، فيدس في حجر امي شيئا ملفوفا ، ما ان يغيب حتى اعمد الى حجرها ، فأجد فيه خبزا طريا وحلوى كثيرة ..

ـ ماذا تحمل بين يديك ؟..

صوتي رفيع وحاد .. ينفذ سريعا الى اذني الرجل .. تفرش البسمة وجهه .. ويخرج صوته ناعما هادئا :

ـ ماذا تعمل هنا يا ولد ؟..

الرجل يتلفت حوله .. لا يراني .. ارسل اليه صوتي من مكمني :



ـ انتظرك .. .

كان جدي يضحك حين اقول انتظرك .. وكان يقول تنتظرني يا عفريت ام تنتظر الحلوى .. جئتك بالكثير منها .. التصقت قدما الرجل بتراب الطريق .. وحدقت عيناه في المقابر .. شفتاه مزمومتان.

صوتي ينطلق متحشرجا :

ـ لست اريد حلوى ..

الدموع تتدافع من عيني .. تفرق وجهي .. تبلل شفتي .. لم اعد احس برغبة في قطعة حلوى تمسح المرارة من حلقي ..

ـ وماذا تريد يا ولدي ؟

صوت الرجل مخنوق مثل القمر ليلة الخسوف .. ودموعي ما تزال تسح .. وصوتي يعود يشرخ حنجرتي :

ـ اود ان اشكو خالي .. منع امي من دخول الحديقة .. وطردتها زوجته من الدار .. لم يكن عندنا خبز .. ولم يعطني خالي برتقالة .

بصري من وراء الدموع يتشبث بما يحمله الرجل بين يديه .. اود لو كان معه برتقال فيعطيني واحدة، اقشرها ، امصها فتضيع المرارة من حلقي .. لكن الرجل يرسل صوته وهو يتأهب للمشي :

ـ لا تقعد وحدك ..

يأخذ في المسير تجاه البلدة .. انزل مسرعا من فوق الشجرة ، وانطلق عبر الحقول ، اسابق خطاه على الطريق ..

الجرن يموج بالرجال والنساء .. حركة متشابكة .. واصوات مختلطة .. دفعت بجسدي صوب حلقة الرجال والنساء .. قبل ان اندس بين سيقانهم ، تهاويت على الارض .. اشهق من غير ان تنسكب من عيني دمعة .. خالتي فتحية مشنوقة بطرحتها .. يوم مات جدي نسيت امي طرحتها وخرجت من الدار مولولة .. دفعها عمي في صدرها زاعقا : تخرجين وراسك عارية ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القدس

بـذوب فؤادي لا بـذوب المدامـع ... يسيل فيذكي النـار بين الاضالـع
اخط تحياتـي الى القدس والاسى ... يقطـع احشائـي بأمضى القواطـع
سلام علـى القدس الحبيبـة انهـا ... تقاسي من الشناذ اقسى الفواجـع
وقد اوحشت تلـك المغاني واقفرت ... وكانت جنانـا زاهيـات المرابـع
فـلا سامر والدهـر ران بصرفـه ... عليهـا ولا انس بتلـك المراتـع
وليست نسيمات العشيات رخـوة ... تهب على غصن مـن الروض يانـع
ولا الانسات الغيد يخطرن في المسا ... يبحـن بأسرار الغـرام اللـواذع
يجاذبن اطـراف الاحاديث غبطـة ... وينسجن احلام الامانـي الروائـع
لقد اجدبت تلـك الرياض واهلهـا ... تواروا وكانـوا كالبـدور الطوالـع
فلا فرحة الاعياد لا خفـق ظلهـا ... يرف علـى ساحاتهـا والجوامـع
ولا رنة الناقوس ترتج فـي الفضا ... فينساب للارواح مـا فـي المسامع
ولا المسجد الاقصى يضيـق كامسه ... بـرواده مـن كـل بـر وخاشع
لقـد حيـل بـين المؤمنين وبينـه ... فـلا ساجـد للـه في اثـر راكـع

سلام علـى القدس الحبيبة عاطـر ... سلام محب دائـم الشوق جـازع
سلام علـى ايامهـا الزهـر انهـا ... برغم دجى العدوان ازهـى رواجـع

جامعة بغداد — باقر سماكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارتمت بين ذراعية وهي تنشج : مات سيـد الرجـال ...

دموعي المحتبسة تتدفق من عيني .. لا احد يأبه لي .. ينشغلـون بخالتي فتحية والبقرة .. البقـرة مجندلة ما تزال .. ولا احـد مـن المتحلقين حولها يزايل مكانه .. يوم مات جدي تفجرت حركة فـي كـل الارجاء .. صراخ ونحيب داخـل الدار .. رجال يصطفون خارج الدار جالسين .. اخرون يحملون الفؤوس والمقاطف ويهرولون تجاه المقابـر ، وفي اثرهم تلهث صبايا يحملن جرار ماء .. لحقت بهم .. وسط المقابر راحوا يحفرون في الرمل .. برزت امـي وسط لفيف مـن النسوة يشاركنها اللطم والنحيب .. اقتربت منها .. شددتها من ذيل جلبابها .. نزلت بعينيها المحمرتين لتحتويني .. لاحظت انها مشنوقة بطرحتها ... زعقت فيها :

ـ اريـد جدي ..

انحنـت تحتضنني ونحيبهـا يتضاعف .. حاولت جارتها ان تباعد بيني وبينهـا .. بقيت ملتصقـا بصدرها ، وعدت الح :

ـ احمليني لارى جدي ..

رفعتني امي بين ذراعيها .. تحت شجرة بعيـدة يجلس القرفصاء ، يحوطه جمع من الرجال .. وجدي ينهال التراب عليه .. والماء يندلـق من الجرار فوقه .. لكزت صـدر امي وصرخت عاليا ، فاشتد عويـل النسوة وصراخهن ، وتموجت حركة شملت الكل ...

البقرة صارت اشلاء .. يتهافت عليها الملتفون بها .. وفتحي يدنـو مـن امـه .. ينـدس في حضنها صامتا ... حين ضغط الكل علـى قبر جدي ، وقعت بين ذراعي امي .. حـاولت ان اتحسسها فأفلتت مني ...

نهضت خالتي فتحية واقفة ... ابتعدت بفتحي عن حلقة الـرجال والنساء .. انحشرت في الزحـام وعيني لا تفارق فتحي .. حين طفقت ابحث عن امي ، لمحتها تقف على حافة الحفرة التي غاب داخلها جسـد جدي ، تفتسل بدموعها .. لوحت لها ، وصرخت فيها ، فلـم تلتفت الي ، وانحـدرت نازلـة الى جوف الحفرة ، فرحت ابكي بشدة .

القاهرة — اسماعيل علي اسماعيل

مكتبة الاديب



الطب والاطباء في مختلف العهود الاسلامية

تاليف الدكتور محمود دياب ـ ٤١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

هذا كتاب من أحوج ما تحتاج اليه امتنا في هذه المرحلة من تاريخها ، فهو من ذلك النوع الذي تطلق عليه اسم « مقدمات المناهج » واعظم ما يهدى اليه هو ان يكشف امام شبابنا ذلك الدور الضخم ، والجهد الكبير ، الذي قام به العرب والمسلمون في بناء النهضة العلمية الانسانية ، في مجال الطب والجراحة هذا الدور الذي شهد به المؤرخون الاوربيون المنصفون فاعترفوا بان العرب والمسلمين ابان نهضتهم قد دفعوا هذه العلوم دفعة قوية الى الامام حتى ليمكن القول بان جهدهم كان وما يزال اساس كل ما وصل اليه العلم الحديث من تقدم في مجال الجراحة والتطبيب . وشبابنا شهد الله لا يدرسون ذلك في المعاهد والجامعات ، وربما حملهم دراسة ما حققته الحضارة الغربية وحدها الى نسيان الدور الكبير والضخم الذي وسد به العرب والمسلمون هذه الجهود على أيدي الرازي وابن سينا والزهراوي والبغدادي وابن نفيس وابن بطلان على نحو يكشف عن اهمية الاضافات الجبارة التي قدمها اطباء العرب والاسلام .

ولقد شاء الدكتور « محمود دياب » ان يحيط بهذه النهضة كلها وان يرسم صورة كاملة لهذه الحركة في مختلف العصور ، فبدا بالطب قبل الاسلام وكشف عن دور الشرق ومصر في تغذية الطب الاغريقي ، وسجل ذلك السبق الواضح في دراسات الطب المصرية الشرقية التي انتفع بها ابقراط وجالينوس .

ثم عرض للاسلام والطب والقرآن والطب ثم مضى في فصول متسقة مستفيضة يسلم بعضها الى بعض ليسجل خطوات تلك النهضة الطبية العربية الاسلامية في عصور الامويين والعباسيين والاندلسيين، حتى في العصور التي اطلق عليها ظلما عصور التخلف فقد اكتشف الدكتور دياب عددا من الاطباء النوابغ مما يؤكد ان هذه العصور كانت عصور اضافة ونبوغ .

فلما وصل الى العصر الحديث أرخ لاطباء مصر المعروفين البارزين، وقد اقتضى في التقسيم ذلك النمط الذي احببناه بأن اطاق (عصر اليقظة) على فترة القرن التاسع عشر و (عصر النهضة) على فترة العقود الاولى من القرن العشرين وقد ضمت هذه الباقة الزاهرة من اطباء الاسلام والعرب مختلف الاسماء المعروفة والمشهورة والتي تدور على الالسنة وتتصل بالابحاث العلمية والتاريخية فلم يفلت منه احد .

وكان له عون اكبر العون (كتاب عيون الابناء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة) ومعجم الاطباء للدكتور احمد عيسى ، اما في المراحل الاخيرة وفيما يتصل بالاطباء القريبي العهد بنا : امثال علي ابراهيم وسليمان عزمي وعبد العزيز اسماعيل ومحمد خليل عبد الخالق وانور المفتي فقد اعتمد على المصادر الحية من اهل هؤلاء النوابغ وقد كان الدكتور دياب معاصرا لهم ومتصلا باكثرهم .

ولم يؤلف في العصر الحديث في مجال دراسات الطب وتراجم اعلامه غير مؤلفات قليلة من ابرزها موسوعة الدكتور شوكت موفق الشطي التي تفضل باهدائها الى اخي العلامة محمد عبد الغني حسن في اربعة اجزاء ، وهي تشير الى مجهود المؤلف الطبيب في دراسات واسعة جرى فيها جزاه الله خيرا على ابراز دور الاسلام في دراسات الطب ، غير ان منهج الدكتور محمود دياب يختلف عنها في اساس الفكرة التي صدر عنها مؤلف (الطب والاطباء في مختلف العهود الاسلامية) فقد اراد ان يجمع في باقة واحدة تضم مختلف الزهور التي قدمها الاسلام ، فعني عناية اساسية بالترجمة لهؤلاء الاعلام وارخ لهم وكان في نفسه هدف واضح هو ان يعطي شبابنا صورة كاملة لهذا العمل الحضاري الاسلامي الكبير ، مؤمنا بان ذلك عمل نافع يمنح الشباب الثقة الاكيدة والايمان الخالص بحضارة امته وتراثها ودورها الضخم في المجال الحضاري والانساني .

ولم يكن غريبا على الدكتور دياب ان يكتب عن الطب والاطباء فهو طبيب نابغة من نوابغ تخصص الانف والاذن والحنجرة في بلادنا وهو الى ذلك رجل مؤمن صادق الايمان بربه ودينه ، غيور على الفكر الاسلامي ، وقد وجه نفسه منذ وقت طويل لدراسة مقدرات العالم الاسلامي وقضاياه ، وازماته ، وساح سياحات طويلة في سبيل هذه الدراسات ، وجمع مكتبة ضخمة مما يتصل بقضايا العالم الاسلامي السياسية والاجتماعية وكان من اكبر اهتماماته قضية فلسطين والصهيونية العالمية وهو الى ذلك عضو بارز من اعضاء المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة . ولكن الدكتور دياب قد فاجا قراءه وعارفيه حقا بهذا البحث الضخم بعد ان اصدر في العام الماضي كتابه الاول عن (اسرائيل بين البداية والنهاية) ويمكن القول بان الدكتور دياب قد فتح له بهذا العمل باب جديد من أبواب التبريز الفكري والادبي ، وكان في خلال حياته طبيبا دؤوبا مخلصا لعمله ، محبا للناس ، عميق الايمان بالله ، حتى لقد ارتبطت عملياته الجراحية بذلك الاخلاص العجيب ، واني لاذكر كيف رايته بعد ان اتم احدى العمليات الجراحية وقد توجه الى الله ودخل في الصلاة شاكرا ربه على ان حقق له النجاح .

وليس هذا النمط من السلوك غريبا على من يدرس حياة الدكتور دياب ونشأته في بلدته الريفية (بر العرب) من اقليم المنوفية ، في ذلك الجو العربي الاسلامي العريق ، حيث وجهه والده (الحاج دياب فريج عميد بر العرب وشيخها) الى القرآن وعلمه اصول الدين وكان والده واحدا من تلاميذ الاستاذ الامام محمد عبده ، تعلم في الازهر ثم انصرف الى الزراعة وجاد باعظم رزقه في سبيل تخريج « الطبيب » الذي سيعطي القرية ثمرة جهاده فيذهب كل يوم جمعة الى هؤلاء الكرام يعالج مريضهم ويداوي جراحهم ويجلب لهم الفيتامينات والمقويات واوجه العلاج من جيبه الخاص ويقضي معهم يوم راحته الاسبوعية كفاء ما قدموا له من جهد في اول الشباب .

ومن هنا تفيض النفس بالاعجاب والتقدير عندما نرى الدكتور محمود دياب يهدي كتابه الى والده الكريم الحاج دياب فريج (الذي علمني كيف يكون الكفاح في الحياة ، وكيف يكون الدفاع عن الحق) والى امه الراحلة الغالية التي (كانت له نعم المعين في تدبير المال ابان دراسته) .

وهكذا ينتقل الدكتور دياب من وفاء الى وفاء ، وفاء لصحبه وزملائه الاطباء العرب والمسلمين منذ بزغ نجمهم ، ووفاء لاهله وابويه ، ووفاء لاخوانه واصدقائه الذين يعالجهم في عيادته ويرفض ان يأخذ منهم شيئا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

وهكذا ينتقل الدكتور دياب الى عمل اوسع نطاقا من مجال الخدمة العامة ذلك هو مجال الثقافة العامة ، واذا كان الدكتور دياب قد استهل ابحاثه الثقافية ودراساته العلمية بالحديث عن اسرائيل وعن الطب والاطباء فاننا نتوقع منه المزيد وننتظر منه الكثير ، وان مكانه لمقدور في كلا العملين : عمله الطبي وعمله الفكري ، ولقد وجد كتابه عن الطب والاطباء على قرب فترة صدوره صدى عميقا واثرا واضحا في مجالات التربية والتعليم مما تقر به عين هذا الطبيب المؤمن الذي كرس كل وقته وحياته لخير الناس ولخير الانسانية .

ان حياة الدكتور دياب نفسها هي نموذج حي من نماذج الاطباء ، ولذلك فاننا نتعجل ان نقرأ قريبا (مذكراته ويومياته) التي ستضيف الكثير الى ما كتبه الدكتور نجيب محفوظ ، والدكتور الديراني وغيرهم من الاطباء البارزين .

القاهرة — انور الجندي

●

أزهـــار

شعر منير سليمان ـ ١٥٦ صفحة ـ منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق

أهدى الي الشاعر اللاذقي منير سليمان ديوانه الاول « أزهار » ، وهو ديوان صغير الحجم ، ضم بين دفتيه ٤٥٨ بيتا ، وزعت على ١٥٦ صفحة ، بحيث نال بعضها بيت واحد ، ولم يتجاوز أقصى ما نالته صفحة فيه اربعة ابيات ، اذا استثنينا المقدمة التي فازت الصفحة فيها بثمانية أسطر ، والتي كتبها الاستاذ علي حرفوش ، دون ان يبالغ في اطراء الشاعر ، كما يبالغ معظم الذين يكتبون مقدمات الكتب .

وأنا ارغب في ان يكتب الاديب ـ شاعرا كان او ناثرا ـ مقدمة كتابه بنفسه ، لانه ادرى بحالته النفسية حين نظم كل قصيدة من قصائده ، او كتب كل فصل من كتابه ، ولانه ادرى بالوقت الطويل الذي سلخه في سبك عبارته ، ورصف كلماتها ، وايقاعها ، ولان كاتب المقدمة لا بد ان يكون من اصدقاء الشاعر ، فيضطر الى ان يغض الطرف عن جل الهنات ، ان كان شجاعا ، وعنها جميعها ان كان خجولا ، او ممن يدارون الشعراء ، ويضعون نصب أعينهم قول الشاعر :

وعداوة الشعراء بئس المقتنى .

ما من شاعر في الدنيا ليس له حسنات وسيئات ، واعظم الشعراء هو اقلهم هفوات ، واكثرهم وثبات ، واسماهم خيالا ، واقواهم ديباجة . وما على الناقد الا ان يقيم مأدبة للقراء على مائدة الحق والانصاف ، يعرض عليها اولا ما يؤاخذ عليه الشاعر ، ثم يؤتى بما يشكر عليه ، ويستحسن منه .

ومن حسن حظ الشاعر ان مآخذي عليه قليلة ، سأحاسبه عليها حسابا يسيرا :

أعتقد ان الشاعر تسرع في نشر ديوانه الاول ، لانه لا يزال في صدر شبابه ، ولم تتح له فرصة طويلة لاعادة النظر في قصائده وتنقيحها ، فشوقي ، مثلا ، نشر ديوانه الاول وهو في العقد الرابع من عمره . ثم ضرب صفحا عن كثير من قصائده ، وطبع الجزء الاول من الشوقيات عام ١٩٢٥ م . وهو في السابعة والخمسين من عمره . وبشارة الخوري (الاخطل الصغير) نشر ديوانه الاول (الهوى والشباب) ، وهو في العقد السابع من عمره المديد . وهذان الشاعران هما قمتان شامختان من قمم الشعر العربي الحديث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الشاعر يجب أن يكون كالنحات الذي ينظر الى نحته الذي ينحته ، من جميع الجهات ، لكي يضمن له الجودة التي ينشدها ، فان لم يفعل ضاعت اتعابه سدى ، وضاع في تيه النسيان .

انني أنصح منير سليمان ، الذي فطر على الشعر ، ان يعيد النظر في ديوانه هذا ، قبل أن يطبعه مرة ثانية ، وان يحذف منه الابيات التي عنوانها « تعليق » ، والقصيدة التي ختم بها الديوان ، وعنوانها « كذوب » .

حبذا لو لم يلجأ الشاعر الى قصر الممدود ، كقوله : واللقا ، بدلا من اللقاء ، ولو شاء اجتناب هذه الضرورة لقال : اللقى (بضم اللام الثانية) ، وكقوله : كبرياه بدلا من كبريائه . وقال :

لا ، لن يكون ، وفي آجامنا بطل يرضي الاباء، واخت تفتديوصبي

ولو قال : (وبنت) بدلا من (واخت) ليتم الطباق ، لكان أبلغ .

يضع شدة على اللام الثانية في الكلمات المعرفة مثل : اللهب واللحون ، والصواب أن نضع سكونا على لام التعريف الاولى ، وفتحة على اللام الثانية ، لان الشدة تدل على وجود حرفين ، أولهما ساكن وثانيهما متحرك ، فاذا سبقت بلام التعريف ، ووضعت الشدة على اللام الثانية ، دل هذا على ان هنالك ثلاث (لامات) ، مع ان هنالك لامين . وهذا خطأ شائع قلما فطن له ادباؤنا .

وقال الشاعر في احدى المعجبات به :

وان تجهمت ، فالانظار خاشعة وان تبسمت ، فالانظار تأتلق

فالمرأة ليس له سوى نظر واحد ، ولو قال : (فالاجفان) لظل الوزن قائما . وقال :

ألفيتها حرباء تلفظها النفوس بلا جدال

وكلمة (حرباء) مذكرة وليست مؤنثة وقال :

ينشد الصورة البعيدة سيان أجلى ، أم استحال النشيد

فنون (سيان) مكسورة لا مفتوحة ، لانها مثنى (سي) ومعنى سي : المثل .

لا يذكر التاريخ الذي نظم فيه كل قصيدة من قصائده ، ليتيح للناقد الدقة التامة في نقده ، ويعرف ـ مثلا ـ موعد نظم قصيدته (العاشق الذليل) ، التي وصف بها كيف اختلس قبلة من حسناء ، وعب رضابها ، وهل كان ذلك قبل أن يتزوج ، ويرزقه الله اربعة اولاد ، أم بعد ذلك ؟ وليعرف ايضا كيف يكون رفيقا به حين ينقد اقدم قصائده ، وقليل الرفق حين ينقد احدثها .

في ديوان شاعرنا غزل كثير رقيق ، لا الومه عليه ، رغم اننا في اشد عصور الامة العربية هولا ، واكثرها نضالا ، لان الشاعر شاب ، وعهد الشباب لا يستطيع الشاعر الحساس فيه ان يكبت عواطفه ، ويصد تيارها الذي يجرف قلبه . فارجو ان ترجح في ديوانه الثاني كفة الشعر القومي كفة الشعر الغزلي ، لاننا في حاجة الى احياء شعر البطولة والقوة والمجد بشعر كشعر عنترة والمتنبي ، لا شعر كشعر عمر بن ابي ربيعة وبشار بن برد .

يستعمل الشاعر كلمات عفى عليها الزمن ، وقبعت في زوايا مظلمة من المعاجم ، فاخرجها منير سليمان الينا شاحبة الوجه ، واهنة القوى ، مفككة الاوصال ، كاستعماله كلمة تنفل (بكسر فسكون ففتح) للثعلب ، وأنا لا اعرف شاعرا جاهليا واحدا استعملها . ولو فرضنا ان هنالك شاعرا واحدا قد استعملها ، فانني لا أنصح باستعمالها أبدا ، وانصح صاحب الديوان ان يحذف هذا البيت في الطبعة الثانية ، والبيت الذي يستعمل فيه كلمة هرطة (بكسر فسكون) للفتاة الهزيلة ، وحذف البيت الذي يليه لانه يثير الاشمئزاز .

اما حسنات الديوان فكثيرة ، أهمها :

شرحه الكلمات التي يجهل معانيها بعض القراء شرحا وافيا .

وضوح الفكرة عنده وضوحا تاما ، مع قدرة على صبها في كلمات مختارة ، تجعل ثوب اللفظ على قدر جسم المعنى ، كقوله :

ثارات يعرب ما زالت على هدبي حق السليب دم في ذمة العرب
سلخت من عمري الاعوام ارقبها وما نزال نعاني شر منقلب
أيستبيح حمى قومي صهاينة هاموا على وجههم في كل مضطرب

ويختم قصيدته :

سنلهب الارض، او تخضلوحدتنا وتبرأ الدار من غاز ومستلب
نحن الاباة ، وقد جاشت كتائبنا فزغردييا ضحايا الثار، وانتصبي

مقته الشعر الحر الحديث ، ونظمه قصائده كلها موزونة مقفاة ، لقوته في اللغة العربية ، وغنى ذاكرته بالمفردات .

موهبته الشعرية أصيلة ، وقد بدأ بنظم الشعر وهو في الحادية عشرة من عمره .

في كثير من قصائده الغزلية عفة ، واعتزاز بالاخلاق الفاضلة (راجع قصيدتيه : الحسناء السجين وطائشة) ، رغم انه يتجنى احيانا على حواء .

ولا بد لي في الختام من شكر الشاعر منير سليمان على هديته النفيسة ، متمنيا له الوصول الى قمة الاجادة في دواوينه المقبلة ، وداعيا القراء الى ورود مناهل هذا الشاعر المطبوع ، الذي يزخر شعره بالحياة والعاطفة والحركة ، ويعكس حقيقة شخصيته على مرآة نفسه الصافية ، ورحم الله من قال :

واذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

•

البراهين الحسية على تقارض اللغتين السريانية والعربية

تأليف البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الكريم الحديثة بجونية لبنان

بين يدي الان مؤلف قيم يقع في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط ، تأليف العلامة مار اغناطيوس يعقوب الثالث ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

صدر حديثا

قضايا ومجامر

مجموعة شعرية

ثريا ملحس

٢٨٠ صفحة حجم كبير ٦ ل. ل.

دار الكتاب اللبناني ـ بيروت

والكتاب قيم . بل هو الدرة المعاصرة في صف المكتبة اللغوية ، واول كتاب في العربية ، يبحث عن الجـــذر ، والتغيـــر ، والقلب ، والتحوير ، وحركاتها بل هو كتاب نادر ، يروي المطالع ، واي ارواء ! وفي نظري ، لـو كان العمق ، فـي المعرفة الحقة في لغـــة السريان ولهجاتها الكلاسيكية والشعبية ، لما ورط الكثيرين في تأويل الكلمات العربية وردها الى منابع بعيدة عن ينابيعها او ينابيع شقيقاتهـا ، اذ رأيت ان بعضهم اعادها الى مصادر اجنبية . وهذه تاويلات فقط بينما هذه « التأويلات » هي عبارة عن تعبير ممـل ، ولا يروى ، بـــل ولا ينفع ، بينما الكلمة المتغيرة ، تجـد لهـا هنـــا (جـذرا) واصلا ، وفروعا ، ومناخا لغويا خاصا بها .

الكتاب ، مصدر بمقدمة ، هائلة ، شاملة ، ومركزة . وفيها بحث مدعوم ببراهين لغوية وتاريخية عن الحلاوة في عالم اللفتين السريانيـة والعربية . ودوحتيهما هي السامية الكبرى ، ولم تكن (فـــي نظـــر المؤلف) اللفتين في معزل عن بعضهما بل تصل الواحدة في الاخرى ، وهكذا دواليك واليك نماذج مـن اسلوبـه ومـدى عمق آرائـــه قـال حفظه اللـه .

« ان اللغة السريانية الارامية تنسب الى آرام ـ اي بمد الهمزة والراء على الاطلاق ـ كما ترد في الكتاب العزيز ، لا الى أرم ، كمـــا ارتاى الاب انسطاس الكرملي ، او راما اي العالي السريانية ، كما ذهب بعض ذوي الاجتهاد . وآرام هو الابن الخامس لسام بن نوح كما ذكـر سفر التكوين (١٠ : ٢٢) من هنا كانت اللغة السريانية الاراميـــة ، اكبر منا من شقيقتها العربية ، التي تنسب الـــى اللفظـة السريانية عاروبو (عربا) اي الصحراء . لا الى لفظة عرب (بسكون حرف العين وفتح الراء وسكون الباء) اي عرب السريانية ايضا ، كما ذهب بعض الباحثين .

بيد ان اللغة العربية ، اقرب من اللغة السريانية الحالية ، الـى اللغة الام ، واكثر منها شبها بها ، اذ بذتهـا باحتفاظها بكثيـر مـن العناصر اللغوية الاصلية المتحدرة اليها منها ، والسبب في ذلك ، كما قرره الباحثون يعود الى ان العربية عقب انفصالها عـن الام . وانزوت دهرا طويلا في بقعة نائية عن العالم المعروف يومذاك ، ممـا ساعدها على التشبث بالاصول القديمة ، حتى ، اذ حـــان ، وقت انتشارها العظيم ، مع الفتوحات الاسلامية ، فـــي القـــرن السابع للميلاد ، استطاعت ان تحفظ ، بتلك العناصر الاصلية . اما السريانية الآرامية، فقد تاثرت فور تفرعها عن دوحتها ، بالسنة شتـــى العناصر التـــي اصدمت بها في طريق انتشارها الهائل ، فبعد ان كانت فـــي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، لغة قبائل رحل ، تتنقـل فـــي الصحراء ، الواقعة غربي الفرات ، كقول المستشرق الفرنسي جان شابو ، اذ بها تضحى اللغة الرسمية لشعوب الشرق الاوسط قاطبة ، مـــن فارس شرقا ، الى سورية غربا ، من اشور شمالا الى فلسطين ومصر جنوبا ، من هنا تطورها ، بل تباعدها من امها السامية الاصلية ، هذا مع العلم ان ما ورد منها في التوراة ، وفي حكم احيقار وزير سنحاريب ملـــك آشور (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م) يطابق كل المطابقة لحالتها اليوم » .

بهذا الاسلوب الرصين ، ينم عمق البحث ، ومدى سمو آفاقـــه الرحبة ، وابعاد الخبرة التاريخية واللغوية عنـــد المؤلف الجليل ، فينشر كلمة تقريض على العربية اذ جاءت في اعقاب انهيارات متلاحقة دبت في جسد اللغة السريانية ، ويوم اوشكت ان تحمل فـــي عروقها كمية من دم هجين ، غزتها العربية ، كضيفة ، وشقيقـــة ، ومتممة ، ولكن بذات العبير الذي انطلقت منـــه السريانية ، وافاضته فـــوق رياض العقل ، فالعربية في نظر المؤلف ، ما هي الا متممة لمجد أفل ، ونجم هوى ، وعز قبع في صمت وعلى جبين جدتهـــا الحـــي دماء الشهادة الخالدة .

والبحث الذي طرقه العلامة البطريرك ، لم يطرقه مؤلف آخـر ، وبذلك كشط عن وجه العربية ، مئات من الكلمات ، واعطانا المفتـــاح الذي كان مفقودا به نستطيع ان تفتح عدة الفاز اشكلت على رجـــال البحث واقطابهم ، ولم يتطرق الى هذا البحث غيره ، فهنـاك حسب اطلاعنا بحثان عميقان ، اولهما للبطريرك افرام برصوم مقالات نشرتـه مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ، صدره بكتاب دعـاه الكلمات السريانية في المعاجم العربية ، اشار الى جذرها فقط ، وعرفها مـن قرانيها ، وثانيهما للاب مرمرجي ، اعاد الجذر الى فلسفة حديثة فـي عالم اللغة المعاصرة اذ قال اصل الثلاثي ـ ثنائي . وخبط في الموضوع خبط عشواء . وبهدوء تـام دخـل العلامـة البطريرك يعقـوب الثالث مجالات لها آفاق خضراء . فبان لنا مجد السريانية في مهرجان العربية وبالعكس ، وهكذا دواليك ، وفي حوار لغوي مثل هـــذا الحـوار ، وبحث شامل مثل هذه البحوث ، ما هي الا طاقات نظيفـة ، نقيـة ، ومفيدة ، والان نرى ان هناك في بحث المؤلف عدة استنباطات جديدة، يقدر عليها المؤلف ويشكر ، ويثنى على براعته ، وفكـــره الحاذق ، وسمو آرائه .

اولا الالفاظ السريانية التي دخلت العربية عـــن طريـــق حرفي الـ ب والـ ف مثالا على طريقة البحث قال أزاربـــا الارزية والمرزبـة (عصبة من حديد) .

ويضع حاشية جد مهمة لغويا اذ قال حفظه الله بالحرف الواحد « لقد دخلت الالفاظ الاعجمية اللغة العربية عن طريق السريانية » .

بقي ، ان لا يغيب عن بالنا ، ان للسريانية لهجتان غربية وشرقية، ويرى قداسته في اللهجة الشرقية ، اكثر رسوخا ، واللفظة عندهـــا (في اللهجة الشرقية) اكثر محافظة على الاصل ، ويرى في الغربيـة تطرفا ، وسقوطا للاحرف ، واهمالا .

لهذا ، نراه في الفصل الذي اعده عن حرف الغين ، يطرقه مـن عدة وجوه بحثا ، ومناقشة ، وادلاء . فيقول « بيد ان حرف «الغين» هو همزة غالبا في اللهجة العامية الشرقية . فيقول مثلا : « آرنـــاءا بدلا ارناغا الجرذ « زاءا » بدلا مـــن زاغا الزاع (الفرخ ، الفـروج الصغير) .

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

●

تجدون فيها روائـع الكتب منهـا :

الحـرب العـالميـة الثانيـة

تـاريخ احمـد باشـا الجزار

الموسـوعـة اللبنـــانية المصـورة

وعندما يتوقف في نهاية الفصل الثامن نراه يفتح فصلا اخر في شوارد الكلمات لا تقع تحت القاعدة السابقة اذ قال « لقد عثرنا على كثير من الالفاظ المتشابهة في السريانية والعربية معنى ولفظا ، بالنسبة الى الحروف اللينة الاخرى ، مع العلم ان بعضها لا يتمشى بحسب القاعدة المعروفة ، منها الالفاظ التالية : (اذنا) الاذن » .

ومنذ الفصل السابع حتى السادس والعشرين ، نرى بحوثا عميقة في اقتراحات عربية سريانية ، وبالعكس ، وفيها اشتباكات غريبة ، مستعصية كان فارسها ، وعملاقها ، مؤلفنا الكبير ، اذ تحدث عن الالفاظ المتشابهة في السريانية والعربية ص ٢١ و٢٢ و٢٣ ، بينما في الفصل العاشر تحدث عن الالفاظ التي دخلت العربية عن الحرف الكامل الذي انقلب فيها الى الكاف او القاف (ص ٢٤ و٢٥) بينما في الفصل الحادي عشر (الالفاظ التي دخلت العربية بالنون عن طريق الشدة الشرقية) (ص ٢٥ و٢٦) في الفصل (١٨) بحث لعله من ادسم الفصول ، عن مشكلة الحروف الاسلية والنطقية والحلقية (ص ٢٧ و٢٨ و٢٩) قال حفظه الله : « الحروف الاسلية في العربية هي : الزاي ، السين ، والصاد . اما في السريانية ، فتضاف اليها الشين ايضا ، والحروف النطقية في العربية ، هي : التاء ، الدال والطاء . اما في السريانية ، فتضاف اليها اللام ، والنون ايضا ، والحروف الحلقية في العربية هي : الهمزة ، الحاء ، الخاء ، العين ، الغين ، القاف ، والهاء ، اما في السريانية فهي : الهمزة ، الهاء ، الحاء ، العين ، والراء ، وهناك مشكلة في هذه الحروف ، اذ اختلف لفظ كثير منها في اللغتين اختلاف لهجات الشعوب الناطقة ، بهما بحيث اضحت الراي في اللغة الواحدة ، سينا او شينا ، او صادا في اللغة الاخرى ، وبالعكس والتاء ، دالا ، او طاء وبالعكس ، والحاء ، والعين احيانا هاء او همزة ، او ذاتيا كليا وهناك الفاظ اخرى متشابهة ، جاءت ذالها السريانية زايا في العربية ، وتاؤها سينا وبالعكس ، ولا بدع فان في اللغة الواحدة الفاظا من هذا القبيل ، جاءت بمعنى واحد .

وفي الفصل (١٣) يتطرق الى تغييرات في حرف الحاء والعين (ص ٣٠ و٣١) وفي فصل (٤ ح ١) تحدث عن الفاظ تخللتهما الحروف الاسلية ، والنطقية ، والحلقية (ص ٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٥) .

وفي فصل (١٥) بحث في الالفاظ التي اختلف تركيبها في العربية (ص ٣٦ و٣٧) وفي فصل (١٦) الالفاظ التي جاءت شينها سينا في العربية (ص ٣٨ و٣٩ ـ ٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤) وفصل (١٧) الالفاظ التي جاءت سينها شينا في العربية (ص ٤٤ و٤٥) وفي الفصل (١٩) تحدث عن الالفاظ التي جاءت طاؤها ظاء او ضادا في العربية . (ص ٤٧) بينما في الفصل (٢٠) تحدث عن الالفاظ التي تبدلت كافها قافا وبالعكس في العربية بينما تحدث في الفصل (٢١) عن الالفاظ التي جاءت حاؤها خاء في العربية (ص ٤٩ و٥٠ و٥١) .

في الفصل (٢٢) بحث في الالفاظ التي جاءت عينها غينا في العربية ص ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ وعقد في فصل (٢٣) بحثنا عن الالفاظ التي جاءت عينها ضادا في العربية .

ص ٥٤ ، ٥٥ وفصل (٢٤) تطرق الى الالفاظ التي جاءت جيمها (الجيم المصرية) جيما في العربية ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، اما في الفصل (٢٥) فقد تحدث عن الالفاظ المحرفة ص ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و٦٢ و ٦٣ .

لقد قدمه بدراسة مفصلة عن تسعة مواضيع جد شيقة واليك ما قاله في مقدمة هذا الفصل .

« اننا عند دراستنا لهاتين اللغتين العريقتين ، عثرنا على مئات من الالفاظ التي مسخها التحريف ، سواء اكان ذلك بايدي النساخ ام بلسان الشعوب المختلفة بهما » .

اما الفصل (٢٦) فقد قدمه بمقدمة ضافية عن الالفاظ السريانية في اللهجات العربية العامية ـ ص ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ .

ثم يترك لنا جدولا (بالالفاظ المتشابهة في اللغتين السريانية والعربية ، تبتديء من ص ٧٢ حتى ص ١٢٢) وهو جدول غني ببياناته ، ومدلولاته ، وافكاره وبالذات ركز على هذه الناحية ، وهي « ابتكاراته » التي طرقها للمرة الاولى في عالم اللغتين الشقيقتين العربية والسريانية .

ان الايادي التي تكتب لنا ، في المعرفة ، آياد مخلدة ، تستحق الطوبى ، والاحترام الكلي .

وعلامتنا يملك يراعة خضراء ، تنساب من شفرتيها موهبة اصيلة، جذلى في نقل الحرف الى القراء ، بصدق ورؤية .

بين يديك يا سيدي ، تبدو « الدواة » لغة مصهورة في بحيرة حبرك . تنقل لنا الروائع وتنمق بحبر المعرفة عندئذ نتحقق ، ونحس ، ونشعر ، انك تتم لنا ارادة غبطة اللغظة المختارة .

هذا المؤلف القيم ، فاتحة جديدة في عوالم السامية والبطريرك البحاثة ، ارسى اكثر من قاعدة علمية ، تفتح في دنيا اللغات الشرقية، اشراقات باهرة ، جد صادقة . تحية اجلال للمؤلف الجهبذ .

الاب يوسف سعيد

●

اتجاهات الشعر الحر

تاليف حسن توفيق ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر بالقاهرة ـ سلسلة المكتبة الثقافية

ما زال الشعر الحر يفتقر الى تشريع ادبي يحدد اسسه وقواعده ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثا :

من تاليف الدكتور جلال الخياط

الشعر العراقي الحديث

مرحلة وتطور

منشورات دار صادر ببيروت

٥

التكسب بالشعر

منشورات دار الاداب ببيروت

ويضع اللمسات التي توضح معالمه وتبرز ملامحه . وتلك هي القضية التي فجرت كثيرا من المعارك الادبية والفكرية ، وساهمت في ارتفاع درجة الحرارة في عالم الادب الى فترة طويلة شعر فيها معظم الادباء بالاختناق وصعوبة التنفس ، وقد نتج عن هذا الجو الملتهب كثير من السنة النار وسحاب الدخان جعلت من المسالة امرا حضاريا بالدرجة الاولى وادبيا بالدرجة الثانية ، لان اهتزاز عمود الشعرد كان له دوي هز كثيرا من الاركان الفكرية والحضارية في المجتمع العربي القائم . وقد تضاربت الآراء والاقاويل من حول هذا الشعر الحر ، وتداخلت عدة نظريات ومخططات في الساحة ، اختلفت في الوسيلة والغاية وامتلات بشتى الارادات وكثير من الهوى !

ومنذ أعوام اصدرت « نازك الملائكة » بصفتها واحدة من زعماء الشعر الحر في العالم الادبي كتابها « قضايا الشعر المعاصر » تعرض فيه لمسالة التجديد الشعري وتحاول ان تقنن مسار الشعر الحر كما تخيلته في ذهنها بصفتها شاعرة عالجت الشكل المتوارث وتحاول ان تتجاوزه وتتخطاه . ولكن هذا الكتاب بما وضعه من قيود ، ثبت انها اصعب من قيود الخليل بن احمد ، ولاسباب اخرى لدى البعض : لم يعجب القائمين على امر هذا الشعر من النقاد والشعراء .. ومن ثم لم يعترفوا به ولم يلقوا اليه بالا في معالجتهم للقريض . وقد تعددت المقالات التي ترسم من وجهة نظر ذاتية وتصور خاص واقع هذا الشعر ومستقبله . الا انها لم تعط منهجا عاما ومتبلورا يضع حدا لهذا الشعر الجديد ، والذي لم يتفق على هويته بعد .

ويجيء كتاب الشاعر « حسن توفيق » ـ « اتجاهات الشعر الحر » ليطرح من جديد قضية الشعر الحر من وجهة نظر ذاتية ايضا.. الا انها تلقي ظلالا تفيد الدراسة الادبية حول هذا الشعر ، وتقرب الى حد ما الصورة التي هو عليها الآن .

وينقسم الكتاب الى خمس موضوعات : الاول وهو المقدمة عن الشاعر والواقع ، والثاني يتناول الشعر الحر ـ نشاته وخصائصه ، والثالث يقسم الاجيال الشاعرة الى ثلاثة اجيال على الدرب وفي الموضوع الرابع يتناول الاطر الثقافية والاجتماعية لشعرائنا ثم ياتي الموضوع الاخير عن احزان شعرائنا !

وفي الحقيقة فان مناقشة القضايا التي اشتمل عليها الكتاب تحتاج الى كتاب آخر ضعفة في عدد الصفحات .. بيد اننا نمر مرورا سريعا وموجزا على ابرز هذه القضايا .

١ ـ في قضية الشاعر والواقع يطرح الشاعر حسن توفيق مسالة الشعراء المتخاذلين امام الواقع والشعراء الايجابيين الذين يواجهونه مواجهة المتجاوزين له . ويمثل للنوع الاول بالشاعر الانكليزي (ت. س. اليوت) الذي افزعته المدنية الحديثة فراح يصور مآسيها وفسادها ولاذ بالدين ويضرب المؤلف على شعراء النوع الثاني مثلا بالشاعر الالماني (برتولت بريخت) الذي يدعو الى عدم الاستسلام ، ومجابهة المدنية الحديثة انطلاقا من ايديولوجية معينة . ويؤكد المؤلف على ايجابية الشاعر بما يتخذه من ايديولوجية معينة فهذا التبني لايديولوجية معينة ايا كانت نوعيتها تعين الشاعر بلا شك في استنباط الحلول التي يرتضيها للمشكلات المختلفة التي يواجهها فضلا عن ان هذا التبني تعميق رؤيته للواقع (ص ١٠ من الكتاب) . ونحن نتفق مع المؤلف في انه لا بد من تجاوز الواقع واستشراف المستقبل والايجابية بيد ان ما اورد من امثلة لتأييد رايه هذا يحتاج الى نظر . وفي اعتقادنا ان ت. س. اليوت مثل برتولت بريخت تماما مع اختلاف الرؤية .. فمن ناحية ايمان كل منهما بايديولوجية معينة واتخاذ موقف ايجابي ومحدد نرى الشاعر الانكليزي ت. س. اليوت يؤمن بالحلول السلمية عن طريق القيم والمثل العليا النابعة من الدين .. وبريخت يدعو الى الثورة العملية . ومن ناحية اخرى لا نرى ان احدهما يستحق وصف السلبية او الانهزامية .. فقد عبرا عن الواقع ، واختلفا في الوسيلة التي تغير هذا الواقع المر . كالفرق تماما في مجالات السياسة وحروب التحرير : غاندي وديجول . مثلا.

لذلك فان المؤلف قد اخطاه التوفيق في التمثيل بهذين الشاعرين « اليوت وبريخت » للجانب الايجابي والفني معا . وكان من الممكن ان يختار وينتقي كثيرا من الشعراء الذين ينتظرون ما تامرهم به الظروف فينصاعون لها في غير مقاومة .

٢ ـ في نشاة الشعر الحر يتحدث المؤلف عن رائد هذا الشعر ، ويعقد المقارنة بين نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ، ويجعل من الاخير رائدا . واعتقد ان هذه المسالة ليست بذات موضوع ولا تعنينا قدر ما يعنينا : ماذا حقق هذا الشعر منذ نشاته . ولو اردنا ان نتحرى حقيقة من هو رائد هذا اللون الادبي فاننا سوف نجد شعراء آخرين قد يكون لهم فضل الريادة في هذا الميدان واذكر الشاعر عبده بدوي الذي مارس شعر التفعيلة وتحدث عنه على صفحات جريدة « المصري » في اواخر الاربعينيات (راجع مقدمة « كلمات غضبى » لعبده بدوي) .

ويعطي المؤلف خصائص ذاتية ـ نسبة الى ذات المؤلف ـ لحركة الشعر الحر ، ومن خلال هذه الخصائص نشعر برفض المؤلف لما يسمى بالشعر المنثور او قصيدة النثر ، او الشعر بالنثر .. ويرجع المؤلف كثيرا من التنافر بين التشكيلات الاخيرة في سطور الشعر الحر الى تمكن التراث من نفوس شعرائنا ووقوعهم في قبضته الهائلة (ص ٤٤) . وانا اشعر بسذاجة هذا التعليل ، واحس بالتحامل الشديد على تراثنا المظلوم . واسأل : ما دخل التراث في نضوب عبقرية شاعر استعصى عليه النظم الجيد او الاسلوب السلس او القافية السهلة ؟ مجرد سؤال !

ومن خلال تتبع الشاعر المؤلف لحركة الشعر الحر يحمل حملة عنيفة لا مبرر لها على الشاعرة نازك الملائكة ولست ادري سر هذه الحملة ! وقد يكون ذلك راجعا الى تخليها عن الشعر الحر او عودتها الى ممارسة القريض على النهج العمودي المقفى ـ ولان التراجع

صدر حديثا

مهنة المتاعب

تجارب ربع قرن في الصحافة

تاليف اديب مروة

سفر حافل بالذكريات والمغامرات والتجارب
والمشاهد والمقابلات المثيرة

•

منشورات عويدات ـ بيروت

يشكل حركة جزر فان ذلك يسوء القائمين على الحركة التجديدية للشعر العربي . وكان احساسي من خلال القراءة لما قاله المؤلف عن نازك الملائكة .. ان ما قاله لا ينتمي الى دائرة النقد الفني الذي يميز ويقارن ويقوم . ومن ثم فان ما جاء به عنها كان هشا وسطحيا ولا يعطي الحقيقة التي تقول : بأن نازك ما زالت من الاوراق الخضراء النضرة في شجرة الشعر العربي المعاصر سواء قالته عموديا او مرسلا !

٣ ـ ويتناول الشاعر قضية الاغراب والغموض لدى الشعراء الجدد ، وتلك حسنة من حسنات كتابه ، كما يقارن بين الشاعر محمود حسن اسماعيل والشاعر امل دنقل ـ وبالرغم من حبي لمحمود حسن اسماعيل وتعلقي به منذ مطلع الصبا فان واقعه الراهن يشعر بالاسف ، وكنت اتمنى له ان يقف على هويته المعروفة لدى المتلقين منذ اصدر « اغانة الكوخ » و « اين المقر ؟ » وعبر فيهما بالصدق والاخلاص الفنيين عن اشجان الوطن وآماله .

اما موقف المؤلف من الشاعر صالح جودت ، فيتسم بالعصبية البالغة ، ولست ادري لذلك سببا ! وقد اختلف مع صالح جودت في طريقته لمعالجة الامور الفكرية المعاصرة الا انني لا ارفض فنه وابداعه بدون مبرر ، وعلى اسس ومقاييس غير فنية . يقول «حسن توفيق »: « ولعل في تبيان هذه الاطر ردا غير مباشر على الشعراء الذين لفظت الحياة الادبية الجديدة نتاجهم . ومنهم بالذات صالح جودت الذي اتهم الشعر الحر اتهاما مفرضا ، مؤداه ان كل الشعراء الذين يكتبون الشعر الحر شعراء شعوبيون .. شيوعيون » ص ٧٥ .

والواقع ان صالح جودت له مميزاته وله دوره في عالم التركيبة الشعرية المعاصرة ، وبالمقاييس الفنية لا نستطيع ان نرفضه ، فما زال حتى اليوم يعبر تعبيرا جيدا بالشعر العمودي المقفى ، وهو الصوت الذي يدلل باستمرار على كفاءة الشعر العمودي لاستيعاب كافة التجارب الانسانية بالعبقرية والقدرة على الابداع والموهبة الحقيقية . اما راي صالح جودت في الشعراء الذين يكتبون شعرا حرا فيمكن مناقشته على مستوى آخر تطرح فيه الحيثيات والبراهين اللازمة بحيث لا يؤثر ذلك على مقدرته كشاعر تشهد له المقاييس الفنية بذلك ، ومن هنا تتحقق المنطقية والتجرد في معالجة قضايانا الادبية .

وما ينطبق على صالح جودت ينطبق على نزار قباني ـ ايضا ـ وقد حمل عليه المؤلف حملة ضارية مشابهة .

٤ ـ في التقسيم الثقافي والاجتماعي الذي اورده المؤلف لشعرائنا الجدد جور كبير على واقع هؤلاء الشعراء ويعد تقسيمه هذا غير متكامل موضوعيا .. وهناك اربعة اطارات ثقافية وضعها المؤلف وهي : اطار الثقافة العربية الخالصة ، ثم اطار الثقافة الاجنبية ـ الفرنسية ـ بالذات ، واطار الثقافة الماركسية ، واخيرا اطار الثقافة الوجودية . ونحن لا نستطيع ان نضع شاعرا ضمن اطار ثقافي واحد بالذات ، وذلك لان جميع الشعراء قد اطلوا بعيونهم داخل هذه الاطر جميعا بقدر متفاوت ، واستطيع القول ان بعض الشعراء الذين ضمنهم بعض هذه الاطر قد اطلوا بامعان داخل اطر اخرى لم يضمنهم المؤلف اياها ، ومستوى ثقافتهم اكثر من شعراء هذه الاطارات .

وكنا نود ان يعطينا الشاعر تقسيما فنيا لا تقسيما ثقافيا لان ذلك هو الباقي والاساس وليمكن ان تقول بأن هذا الشاعر او ذاك ثقافته عربية او ماركسية او وجودية .. علينا ان نتساءل اولا وقبل كل شيء : ماذا قدم الشاعر من فن يدل على مدى الثقافة وليس على نوعيتها . فهذا هو الاصح في نظرنا .

ومن خلال ايديولوجية سياسية يضع المؤلف ثلاثة اطر اجتماعية لشعرائنا .. الاطار الاول للشعراء البرجوازيين . مثل « نزار قباني » والثاني شعراء « الصفوة » امثال « صلاح عبد الصبور ، الذي كان كادحا وترقى في السلم الاجتماعي حتى وصل الى هذا الاطار المسمى « بشعراء الصفوة » (!!) ثم الاطار الثالث والاخير لشعراء البرجوازية الصغيرة الذين لم يستطيعوا لاسباب مختلفة التدرج في السلم الاجتماعي ، ويمثل بالشاعر العراقي (سعدي يوسف) .. ولست ادري هل يستقيم ذلك التقسيم مع الواقع الراهن للشعراء العرب ؟

٥ ـ اجمل الموضوعات التي تحدث عنها المؤلف ـ على ايجازها ـ هي احزان شعرائنا .. وقد جاءت جميلة لانه نسى الايديولوجية التي ينطلق منها وكذا كل فكر مسبق ، وتحدث بقلب الشاعر الفنان الذي يهمه الانسان قبل اي شيء آخر ، ولم يتحدث بلسان شاعر سياسي يرتبط بفكر ما . تحدث عن شجرة المعرفة الاصيلة وانتشار الثقافة السطحية ، وتكلم عن اخلاقيات الناس وصراعاتهم المستمرة وتاثير ذلك على الشعراء المراهقين ، واخيرا ناقش انسحاق فردية الانسان في هذا العصر .. وصلة كل ذلك بعالم الشاعر وحياته .

وبالرغم من هذه القضايا التي يختلف حولها الجدل ، ويبقى الى امد طويل فانني اود ان اسجل ان هذا الكتاب قد فتح الباب ثانية على مصراعيه للحوار ، مسجلا وجهة نظر تستحق المناقشة .

ولعل السؤال الذي يلح الآن وبصورة اكثر حدة : ما مستقبل هذا اللون من الشعر العربي ـ واعني به الشعر الحر ؟ لقد استطاع على ايدي الاصيلين ان يعطي عطاء مثمرا وخصبا في المسرح و «الاوبرا» و « القصيد السمفوني » . اما في الغنائيات فما زالت عملية الانمار تحتاج الى انتظار . وهذا ما يجعلنا نلح دوما بذات السؤال : ما مستقبل هذا اللون من الشعر ؟

الاسكندرية

حلمي محمد القاعود

جفون تسحق الصور

اتجاه جديد في الرواية

للدكتور بديع حقي

•

تطلب من جميع المكتبات ومن

الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ببيروت

ودار العلم للملايين ببيروت

اصداء المهرجان في الصحف اللبنانية

ابرزت الصحف اللبنانية انباء المهرجان واصداء ما القي فيه على الوجه التالي :

احتفل مساء يوم الخميس في ١٨ ـ ١٢ ـ ١٩٦٩ بتكريم الاديب والصحافي الاستاذ البير اديب صاحب مجلة « الاديب » بدعوة من نقابتي الصحافة والمحررين ورابطة الشباب المثقف في بيروت .

وقد رعى المهرجان ، نيابة عن رئيس الحكومة (الموجود في الرباط) ووزير الانباء ، الدكتور شارل رزق المدير العام لوزارة الانباء فألقى كلمة باسمه ، ثم قرأ كلمةوزير الانباء الاستاذ عثمان الدنا الذي تغيب اضطرارا لحضور جلسة المجلس النيابي.

وفي كلمته اشاد الوزير الدنا باخلاص البير اديب ، وعطائه الكبير ، وبنفسه الطويل وبقدرته على الاستمرار في مجلة ادبية هي مجلة « الاديب » .

وبعد الكلمة قلد المدير العام للانباء ، باسم فخامة رئيس الجمهورية ، المحتفى به وسام الارز من درجة فارس اعترافا بما اداه للبنان وللغة العربية .

ثم تكلم الاستاذ فاضل عقل عن نضال صاحب « الاديب » وعن مفهومه العالي للادب والصلابة في المواقف وقرأ كلمة نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه (الموجود في الرباط) وهي تتضمن اشادته بالمجلة التي وقفت نفسها على خدمة الادب العربي على حساب تضحيات كثيرة .

والقى الاستاذ جان كميد كلمة وزير الخارجية والاعلام الاردني سابقا الاستاذ محمد اديب العامري . وبعدها القى الدكتور زكي المحاسني قصيدة تناولت وجوه الجهد الكبير الذي بذله المحتفى به في حياته الادبية .

ثم قرأ المحامي الاستاذ رشاد سلامة كلمة والده الاستاذ بولس سلامة (الذي اقعده المرض عن الحضور) وهي تروي اول عهد رفيقي الصبا : بولس سلامة والبير اديب بالادب .

ثم القى الاستاذ فؤاد الخشن قصيدة تناولت الاصالة الادبية عند المحتفى به .

وتحدث بعد ذلك الشيخ عبد الله العلايلي عن الغبن في عدم تكريم الادباء وابرز القيمة الكبيرة التي يمثلها صاحب « الاديب » .

وتكلم نقيب المحررين الاستاذ ملحم كرم فتحدث عن البير اديب الصحفي الجريء والاديب البارز والناقد المتفوق والانسان الخلوق العفيف اليد واللسان وصاحب الكلمة المجلوة والمدرسة التي تخرج منها مئات الادباء والمفكرين .

وقرأ الاستاذ ابراهيم عبده الخوري كلمة الاديب وديع فلسطين عن المحتفى به .

ثم القى رئيس رابطة الشباب المثقف الاستاذ فوزي عطوي قصيدة تحدث فيها عن البير اديب كناسك للفكر خدم القلم طوال عمره وانشأ اجيالا من الادباء والشعراء.

وبعد ذلك تحدث الاستاذ بلند الحيدري فألقى قصيدة باسم ادباء العراق تناول فيها عاطفته نحو البير وانتشار المجلة في العراق .

ثم القى الاستاذ سليم قبلان مكرزل قصيدة لشاعر الاهرام محمد عبد الغني حسن الذي لم يستطع الحضور الى لبنان. ثم القت السيدة وداد سكاكيني كلمة سورية في القيمة العالية التي يمثلها البير اديب . ثم القى الشيخ الياس خليل زخريا كلمة باسم رفاق البير أديب ضمنها معلومات كثيرة عن النضال المشترك الذي خاضه الادباء الشباب في مطلع العهد الاستقلالي .

وكانت كلمة الختام للمحتفى به ، فشكر لرئيس الجمهورية ورئيس الحكومة ووزير الانباء الممثل بالدكتور رزق لفتة الحكومة بمنحه وسام الارز من رتبة فارس ورعايتها لمهرجان تكريمه ، كما شكر جميع الذين احتفوا به بحضورهم واسهامهم في التكريم وتمنى ان تكون القاعدة بعد اليوم تكريم الادباء وهم احياء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور شارل رزق

يلقي بالنيابة كلمة وزير الانباء

صاحب فكر غمر بابداعه قراء الضاد

بقلم عثمان الدنا

وزير الانبـاء

•

يسعدني ان التقي في هذه القاعة بالنخبة من المفكرين وحملة الاقلام في لبنان والعالم العربي ، لتكريم اديب وصاحب قلم جريء ساهم وما زال في الكثير من ميادين الحياة الفكرية والنضالية على نطاق اوسع وارحب ..

فلم يكن البير اديب اقليميا طبقيا ، وانما صاحب فكر شامل يغمر بلمحات ابداعه ربوع قراء الضاد في الوطن العربي ودنيا المهجر على السواء مما جعل مجلة « الاديب » منبرا يغني المكتبة العربية وحقلا لا تعبر عليه رياح الخريف ، ولا يتصدح نبته ، أو ينزى زهره بل يبقى دائم الخضرة فواح الشذا ، مخضل الخمائل ، توقع عليه الطبيعة أجمل الحانها ، ويدفع بالفكر الذي يحبو الى القمة بعمالقة الادب الى المزيد من الغنى والعطاء .

ويكفي ان مجلة الاديب ، وجدت في زمانها ومكانها تماما فلم تحن هامتها العواصف ولا تقلبات الطبيعة ، وما اكثرها بالنسبة لاديب فرد ، ولصاحب رسالة في زمن بالغ الرقة والحساسية والضغوط ، يحارب الادب والادباء ، ويفسح المجال رحبا للسياسة والتجارة .

ان مجلة الاديب التي قامت على اكتاف صاحبها ، ما زالت ماضية في طريق رسالتها التي التزم بها البير اديب ، متحدية ظروف العيش والبقاء تعطي الصورة الصحيحة لحياة المناضل صاحب الهمة التي لا تضعف ولا تتخاذل .

واذا عرفنا ان زميلات « الاديب » شيعت باقلام اصحابها ، ادركنا مدى طموح المحتفى به، ومعنى تكريمه، والدور الذي يؤديه متحملا وحده مشاق الدرب وصعوبة الثبات كفارس في معركة اصبح يقاتل وحده .

فلقد طويت « الرسالة » في مصر ، وهي المجلة التي ما زالت ذكراها تثير العديد من المشاعر والاحاسيس عند الرعيل الاول من رواد النهضة الفكرية ، وعند الذين اتيح لهم ان يعايشوا طريف عمرها ، وكذلك طويت مجلات المكشوف ، والكاتب ، والمقتطف ولم يبق منها الا الذكرى ، اما مجلة الاديب فما زالت تشك راياتها خفاقة ، على الربى ، هازئة بالعواصف والرياح ، معتمدة على همة صاحبها والقلم الذي انشأها ..

ثم ان مجلة الاديب لم تكن ناقلة او مصورة ، وانما كانت تعتمد الخلق والابداع ، حتى استطاعت ان تخلق ادبا جديدا ، وتنفتح على الفكر بكل مدى ابعاده لا سيما في زمن تلاقت فيه الحضارات ، وتمازجت الافكار ، بفعل قرب المسافات وارتياد القمر وايجاد الاقمار الصناعية التي ربطت انحاء العالم بالاتصال الفوري والآني معا .

فقد اوجدت مجلة « الاديب » الشعر المنثور او الحر ، خالقة منه روادا واصحاب مدرسة منهم صاحب الاديب في كتابه « لمن ؟ » ونازك الملائكة ـ وبدر شاكر السياب ـ وعبدالوهاب البياتي ـ وبلند الحيدري وغيرهم من طلائع هذا اللون الشعري الجديد .

ولم يكن البير اديب جامدا عند حقل معين من العطاء ، يملك عليه حسه ، ويشغل كل وقته ، وانما تخطاه الى دنيا النضال السياسي والحزبي ، متمما صورة صاحب الرسالة ، وحامل لواء التقدم على الدرب الشاق الصعب .

وربما كان اعظم ما يجدد ثقة البير اديب بنفسه وبمجلته كي لا نقول بمؤاساته هو لقاء هذه النخبة من حملة الاقلام الشابة والفتية على تكريمه ، فيشعر ان الجيل

خدمت العروبة يافعاً

●

قل للاديب اذا أتيت رحابة ... أكرم بها بين البقاع رحابا
عرفت لك الفضل الذي أسديته ... فحبتك من أنسامها الاطيابا
وأتتك أقطار العروبة ينبري ... أفذاذها كل أعد خطابا
كل يعدد للاديب مناقبا ... هيهات تحصى أو تعد حسابا

فالحفل مكتمل وانت بوسطه ... شيخ سما قدرا وعز جنابا
ان كرموك فانما قد كرموا ... فيك الحجى والفضل والآدابا
أو قلدوك وسام فخر انما ... زفوا لك التقدير والاعجابا

فلأنت من خدم العروبة يافعا ... ومضى فانفق في الجهاد شبابا
ولأنت للفصحى الوفي منافحا ... عنها الذئاب مناضلا غلابا
والان في سن الكهولة لم تزل ... نجما يضيء ورائدا وثابا

هذي مجلتك العتيدة شاهد ... لك ، نورها عن أفقنا ما غابا
في كل شهر كالهلال مطلة ... تحيي النفوس وتسحر الالبابا
أرهقت نفسك في هواها مفردا ... شأن العباقر تحمل الاوصابا

فاهنأ ودم يا ذا الاديب مكرما ... ترعى « الاديب » وتنشر الادابا

حلب — محي الدين الحاج عيسى

الجديد لا يختلف تقديرا لعطائه الفكري عن الجيل الذي شهد فجر « الاديب » المشرق وعنفوان شبابها الدائم .

ولا اجد بدا في في هذا اللقاء الفكري البعابق بألوان العطاء ، الا ان اشيد ببادرة نقابتي الصحافة والمحررين والاستاذين رياض طه وملحم كرم ، ورابطةالشباب المثقف في بيروت لاتاحة هذه المناسبة الكريمة ولا اقول انهم سجلوا سبقا علينا ، لان الصحافة كانت دائما السباقة والرائدة والفربال الامين الذي يطرح العرض ولا يبقي الا على الجوهر .

وانني احيي صاحب « الاديب » متمنيا له متابعة الشوط الى مداه ، ونحن معه ليس قولا ، وانما نتمنى ان نكون عملا لتبقى « الاديب » ويبقى صاحبها .

عثمان الدنا

كان فدائياً بكل معنى الكلمة

بقلم فاضل سعيد عقل

* * *



فاضل سعيد عقل

كنت اتمنى ، مع الحضور الكرام ، لو كان صديقنا نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه معنا ليلقي كلمته بنفسه . ولكن اضطراره الى القيام بمهمات وطنية عاجلة خارج لبنان يشفع بتغيبه وبتقصيري معا .

على كل حال ، لن اترك هذه المناسبة السعيدة تمر دون ان اقول كلمة صغيرة في صديقي البير اديب الذي عرفته وتعاونت معه منذ زهاء ثلاثين سنة .

في تلك الحقبة كان المشرف الاول والمدير العام للاذاعة ، التي كانت هي بمقام وزارة الانباء . كان مطلق اليد في جميع امورها .

كان في وسعه ، لو شاء واستطاع ، كما شاء غيره واستطاعوا ، ان يشارك بغمس يده في الصحون ، ان يعلي العمارات وان يدخر الثروات وان يستغل منصبه الرفيع لنفسه .

بدلا عن ذلك ، رفس المنصب العالي لما تعارض مع المصلحة اللبنانية الاستقلالية ، وزهد في المغريات ، وانصرف الى الادب يجعله راسماله الوحيد ، وعمارته الشاهقة وثروته الضخمة .

وكانت الاديب . صفحاتها معرفة وتاريخ ، غذتها اقلام لبنانية وعربية سمحاء ، ومدرسة للقرائح الحرة التي سعت دائما الى مواصلة رسالة الثقافة اللبنانية العربية منذ القديم وحتى اليوم ، وجسر من النبل تلاقى على رحابه رسل الوئام والمحبة الذين يريدون لبنان مستقلا سيدا ، ولكنهم يأبون ان يكون معزولا عن اخوانه ومنسلخا عن محيطه زاهدا في مصيره .

ضحى البير اديب بثمرة جنيه الحلال وعرق جبينه في سبيل تأدية رسالة الفكر .

ضحى بوقته ، ضحى بماله ، مكابدا خسائر لم يعوضها أحد حتى الان عليه ، جزاء خدماته وتطوعه ، فكان ، في حقل الصحافة الادبية (ومجلته سياسية تفتح الابواب امامها) فدائيا بكل معنى الكلمة ، كهؤلاء الفدائيين الذين يضحون في ارضهم ويصمتون ، يستبسلون ولا يدعون ، يحاربون ولا يطالبون ، يعطون ولا يأخذون ، ولكنهم ، في النهاية ، بقوة الحق والايمان بالقيم ، ينتصرون ويرتفعون !

فاضل سعيد عقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البير أديب اعطى شرف الكلام باسم الصحافة

بقلم رياض طه

نقيب الصحافة اللبنانية

★



رياض طه

كان لي ، شخصيا ، حظ الانتساب الى اسرة مجلة الاديب، مذ كانت في سنواتها الاولى ، ومذ كنت تلميذا في الدراسة الثانوية .

وهكذا اتيح لي ، في سن مبكرة ، ان اشهد معاناة البير اديب ، وان اتتلمذ على عبد الله العلايلي ، كما اتيح لي ان اتعرف الى بعض الزعماء الذين كانوا يؤمون مكتب المجلة ، كالمرحوم عبد الحميد كرامي والاستاذ كمال جنبلاط ، الذي باشر بتأسيس حزبه في دار الاديب بالذات .

ولعل ما يعادل اعتزاز شخصي بالحديث عن « الاديب » ومنشئها أن اعطى شرف الكلام باسم الصحافة اللبنانية التي تنتسب المجلة اليها ، وهي منبر ادباء العرب والعربية منذ ربع قرن .

ربما حسب البعض ان اعتناءنا بتكريم الادب والادباء ، في هذه المرحلة الحرجة ، هو ضرب من الترفة، او الجنوح عن معايشة الشدة التي تعانيها الامة والبلاد .

غير ان هذه النظرة السطحية لا ترتفع الى مستوى فهم دور الادب في توعية الشعب وفي بعث الفكر القومي وارهاف الحس الوطني .

لئن قال الجاحظ « ان الادب صناعة كلام » ، فان الكلمة هي وعاء العلم والمعرفة ، واداة الراي ، ووسيلة النهضة والتطور او الانتفاضة والثورة .

« الادب هو الالمام من كل علم بطرف » ، هكذا قال العتابي او ابو العيناء ، فكان لهذا القول شيوع المثل .

اما هوراس فقال : « ان الادب متعة ومنفعة » ، فوحد بين نظرية الفن للفن وبين نظرية الفن في خدمة المجتمع .

وبكلمة : ان نهضة امة لا تقوم اسسها الا على نهضة ادبها ، وان عصر انحطاط الامة هو عصر انحطاط ادبها ، كما ان انبعاث الادب يلازم انبعاث الحرية والقوة والمنعة والازدهار .

ليس ثمة من تقدم عمودي انما يكون التقدم دائما افقيا ، والادب هو ، دائما ، الشفق الذي يتقدم النور في كل افق .

وعلى ذلك ، فقد كان لمجلة الاديب دور الريادة في بث الوعي العربي ، بعد الحرب الكونية الاخيرة وفي اثناء قسم كبير منها .

ولا ينال من « الاديب » ان انتشارها الواسع لم يقترن بكثافة النشر ، ذلك لان صحف الطليعة المختارة انما تكون دائما محددة النشرات ، ولكنها تعوض عن ذلك بعمق تأثيرها ومدى أشعاعها . ان مجلة «الازمنة الحديثة» الفرنسية لا توزع سوى بضعة آلاف من النسخ رغم ان صاحبها جانبول سارتر هو احد اعظم مفكري هذا العصر.

بقي ان نؤكد ما يدركه العارفون وهو ان المجلات من هذا المستوى تقوم ، عادة ، على دعم مادي من الدولة ، لا على نشاط الفرد . وفي هذا يكمن فضل البير اديب ، الرجل الذي فعل لبلده وامته ما يجب ان تفعله الدولة .

رياض طه



مع مدار الشمس

★ ★ ★

ايها المالىء برديك اصطبارا ... كيف لم تيأس مع الشمس مدارا ؟
تقطع الايام فكرا سائرا ... وتشق الكون هديا ومنارا
ما خبا ضوؤك ليلا واحدا ... او دنا شاؤك بالسعي نهارا
صاعدا كالنجم ... لا يشكو على ... عتب الافلاك في الجو مسارا
ماضيا كالسهم في أهدافه ... لم يحد عنها يمينا ، او يسارا
يدفع الهم بهم مثله ويرد الصخر بالصخر اقتدارا
راضي النفس بأدنى لقمة ... لم يرد جاها ، ولم يطلب نضارا
في زمان كلب الناس به ... نهما في المال ، وازدادوا سعارا
وهو لو شاء من الدنيا مدى ... لأتاه الجاه طوعا واختيارا
يا أديب النفس والدرس معا ... زادنا خلقك ـ والله ـ انبهارا !
قد عرفناك على الفوح كما ... يعرف المسك أريجا وانتشارا
تنفح الكون بريّاك ... ولا ... تملأ الكون ادعاء ، واغترارا
في حياء يستحي من ذكره ... ويرى الزهو على الانسان عارا
جهدك الصامت لم نعهد له ... ها هنا في الشرق أشباها كثارا
حيث خاوي الفكر والنفس معا ... يملأ الدنيا حديثا وافتخارا !
أيها الناسك في مجتمع ... زاد نحو المال صوبا وانحدارا !
أرأيت الناس كيف اندفعوا ... كالمساعير الى المال سكارى ؟!
حسبوا ((الدولار)) يبني حائطا ... في بناء المجد ، او يعلى جدارا !
ليس من شيد للذات ، كمن ... شاد للأمة آمالا كبارا
الرسالات لها اصحابها ... فامض في دربك عزما وانتصارا
((فالاديب)) اليوم صارت مشعلا ... يبعث النور ، وهديا للحيارى

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد اديب العامري

الاديب صورة صادقة للنهضة العامة

بقلم محمد اديب العامري
وزير الخارجية والتربية والاعلام الاردني السابق

* * *

أيها الحفل الكريم

يهتدي العرب في النهضة الراهنة ، بالتدريج ، الى الاحتفاء برجالاتهم وعظمائهم في اثناء حياتهم ، وانعم بهذا الهدي من سنة ، ينعم فيها المحتفى به بشيء من عرفان الجميل ، يعرب له عنه قومه ، شيء يحسه بنفسه فتقر به عينه ، ويحفزه الى مزيد من التضحية الطيبة والخدمة العامة ، كما يحفز غيره الى هذه الخدمة وتلك التضحية.

ولا ريب ان شاعرنا الكبير الاستاذ البيراديب ، بانشائه مجلة « الاديب » الزاهرة ، ودأبه على اصدارها وحده ، مدة تقترب الان من ثلاثين سنة ، جدير بكل حفاوة وتقدير .

ايها السادة

ان بعض الاعمال العامة التي يقوم بها كبار الرجال من ذوي النفوس العالية ، والهمم الرفيعة ، ليختلف في صدى صوته ، وذيوع ذكره عن بعض ، وان من هذه الاعمال لما يكون اهدأ صوتا واخفض حسا ، ومع ذلك يكون اعمق غورا ، وابعد مدى ، وابقى على الدهر فائدة ، ولو انعمنا النظر في الاثر الذي يحدثه رجال الفلسفة والادب والفن في ركب هذه الحياة ، لما احتاج الامر الى وقت طويل للعلم بان الفلاسفة ورجال الادب والفن هم مهندسو التطور البشري ، وعلى هديهم يسير الساسة ، ورجال الادارة ، والناس اجمعون ، دون جلبة او ضجة .

الى هؤلاء ينتمي البير اديب الذي يقام هذا المهرجان احتفاء به ، وتكريما له .

واني اذ ارجع البصر ، لارى قيمة الخدمة التي اداها الاستاذ الشاعر الاديب ، ومجلته الراقية ، خلال هذه السنوات ، ارى هذه الخدمة وسعة المدى ، عميقة الاثر ، اذ شملت العالم العربي كله ، كما شملت عددا كبيرا من مراكز الثقافة والبحث العالمية ، جامعية وغير جامعية .

لقد كانت مجلة « الاديب » صورة صادقة للنهضة العامة في عالمنا العربي ، من المحيط الى الخليج . ان هذه المجلة اليانعة لتهبط على قرائها من الطبقة المثقفة العربية، كل شهر ، فتجلو لهم مظاهر النهضة العربية باقلام روادها من المفكرين والادباء والشعراء والعلماء ورجال الفن ، ولا شك ان القارىء المثقف يجد في كل عدد من « الاديب » نتاجا عربيا رفيعا يضاهي مثيله من النتاج الاجنبي الحديث ، ولذلك تعتبر هذه المجلة مرآة صافية لمستوى النهضة العربية ومبلغ تطورها ، وهي لذلك مرجع للاخصائيين في الجامعات العربية ، ومراكز البحث الفكري في انحاء العالم .

وليس من الصعب حين تطالع مجموعات « الاديب » في أعدادها المتوالية ، خلال السنوات التي صدرت فيها، ان تلمح مدارج التطور والارتقاء ، وقد ارتقت عليها قوافل الادباء والفنانين والمفكرين خلال هذه السنين العديدة ، ان هذا التطور السريع قد تناول كل باب من ابواب المجلة ، تناول البحث والمقالة والقصة والقصيدة والنبذة العلمية الى حد يقر بها باستمرار من الانصباب في التيار الحضاري العالمي ، اصالة فكر ، وصحة هدف لخير المجتمع العربي في سائر اقطاره ، وخير الانسانية جمعاء، ولولا سيطرة صاحب «الاديب» على هذا الاتجاه المتصاعد، وايمانه به ، لما نهض به على تضحية وضنى واذى ، طوال هذه الحقبة ، ازاء مجلة فكرية جادة في عالمنا العربي ، في الظروف التي اجتازتها مجلته الكبيرة .

هذا ، ولقد كانت « الاديب » ، ايها السادة ، الميدان الفسيح الذي مرنت فيه اقلام كثيرين من ناشئة الكتاب والشعراء والفنانين العرب ، ولقد عاينا على صفحات المجلة الدائبة كيف بدات هذه الاقلام غضة مترددة ، مبنى ومعنى ، ثم استقام لها الطريق ، فغدت الاقلام ناضجة قاصدة ، ذات نتاج غزير يشع بنوره على ما حوله من المحيط العربي ، وعلى غيره ممن تصل اليه المجلة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تحية الى البير اديب

الدكتور زكي المحاسني

* * *

حدث بنا الفن والافكار والكتبا ... عن (الاديب) الذي أعلى لنا الادبا
بعد السنين التي تطوي الحياة بنا ... يبدو محياه في أوج السنا عجبا
ان الثلاثين في الاعوام خالدة ... عندي ، لانك فيها كنت لي نسبا
يا ناسك الفكر ما أولعت في نشب ... فكان خلقك فيك المال والنشبا
ما فاتني الشهر في نشر «الاديب»، به ... شعري ونثري وما يوحي النهى سببا
أكاد التهم التبيان من يده ... كجائع ليس يرضى عنه منقلبا
مجلة ما عراها الوهن واتشحت ... أبراد عرس لفكر يلبس القشبا
عرفت فيها صحابا من عباقرة ... قد صار موردهم بالروح منسكبا
تنادموا حول كاسات الحديث على ... خوان معرفة تطفو بهم حببا

والى ذلك كله كانت « الاديب » بفضل صاحبها وعلمه وسعة أطلاعه ومقدرته ، مجالا للمطالعة ، تهوى اليه افئدة الناشئة من طلابنا وقرائنا في العالم العربي ، وان منظر الطالب او الشاب ، وهو يحمل مجلة « الاديب » او مجلة كالاديب ، ليختلف لدى الواعين العارفين عن منظر الطالب او الشاب ، وهو يحمل مجلة رخيصة رمت بها ، في الاسواق ، مصادر الانتاج المريبة او منشئو المجلات الصفراء ، فشتان بين من يبني ومن يهدم ، وبين الطيب والخبيث ، ومع ذلك فأن المقارنة في هذا الباب مؤسية الى حد يدعو للاسى والمرثية ، ويحتاج الى العلاج الحاسم السريع ، لقد كانت تلك المجلات الرخيصة دائما عدوانا على الخلق الغض ، والفكر الناشىء والادب الشادي ، ولم تظهر اليد الحازمة ، الى اليوم ، لتضع الامور في نصابها ، وتفتح الباب للاديب الصحيح وحده ، ان التقدير الفكري المنحرف ، والتوجيه المخطىء الذي لا يتبصر عواقب الامور ، كان ولا يزال ذا اثر معيق في الجهد الكبير الذي يبذله الذين يتعرضون للخدمة الصادقة ، على النحو الذي تعرض له صاحب « الاديب » واضطلع به .

ايها السادة

اننا لن ننسى ، ونحن نكرم مجلة « الاديب » ، في شخص منشئها الاستاذ البير ، ان ننوه بالانتاج الخاص والموهبة النادرة التي يمتاز بها كشاعر مطبوع وكاتب مجيد ، ان الشعر قمة الفنون قاطبة ، ولا ريب ان موهبة الاستاذ قد اضفت على المجلة طابعا من الرقة والاناقة جعلها نموذجا في الاخراج المتين ، والديباجة المشرقة والانتاج الغزير المؤنق .

ايها الاستاذ الكبير ،

ليهنك هذا التقدير العظيم والاعتراف بالجميل ، يقلدك اياهما رجال الفكر والعلم والادب في بلادك ، وفي طليعتهم وزارة التربية الوطنية الكريمة ، ورجال التحرير والصحافة ، وانه ليسرني أن أنوب عن اخواني في المملكة الاردنية الهاشمية التي عرفت قدر « الاديب » ومبلغ خدمتها وتضحيتها ، فاقدم لك باسمي واسمهم جميعا اجزل التهاني والتبريك بالخدمة الممتازة للمجلة الراقية باشرافك المستمر .

ادامك الله ولا زلت ممتعا بالصحة والعافية لدوام الخدمة الجليلة ، والله يحفظك ، والسلام عليكم .

عمان ـ الاردن — محمد اديب العامري

بريدهم يلتقي فيهم بشافية ... من الوصال تزيد الملتقى طربا
يطارحون سجاياهم خوالجهم ... مثل العنادل يرغو دوحها طربا

أحب لبنان لا تزهو شآمتي ... الا به فأنا فديته رغبا
قطفت منه شبابا وانتعشت به ... عزا فألبسني عمرا بفوح صبا
من قال لا يسع الخفاق ضعف هوى؟ ... أنا المحب اثنتين : العين والهدبا
لبنان روحي والشام الحبيب دمي ... كلاهما في حياتي بالهوى دأبا
من قمة الشعر في ظل الصنوبر لي ... تعبد لجمال للفؤاد سبى
تلك المظلات عند السفح حالية ... نسيمها اهتز من طيب الندى وربا
هذي الجنان بها حور النعيم بدت ... رواقصا في الاعالي تلثم السحبا

لم تبتعد عنك يا (ألبير) خاطرتي ... ففيك لبنان يزهو ساحلا وربى
سجلت شعري به في كل سانحة ... كأنه الزهر في وجه الربيع حبا
فلو تنشر ديواني لجاء به ... لبنان والشام أما للعلى وأبا
يا شاعري قل (لمن) قد رحت تسألهم ... والشعر محدثه أضحى لهم لعبا
أصبت وحدك توفيق الجديد به ... لكن غيرك أوهى نظمه تعبا
لو ان للمتنبي رجعة لبكى ... حظ القريض بما قد ناله عطبا
قول تهاوى بلا معنى ، يمور سدى ... هو الاسيف ، عليه لفظه ندبا
«أديب» يا ركن نهضات البيان ، لنا ... في يوم تكريمك العز الذي رحبا
كأنما كنت دينا حان موعده ... فنحن ندفعه حقا بنا وجبا
ميلاد عيسى يباري فيه عيد هدى ... والعام يقبل بالتجديد مقتربا

لبنان يا زينة الدنيا وبهجتها ... بك العروبة عزت وازدهت حسبا
بنيت في لغة القرآن شامخة ... من التواليف لا ارضى بها شهبا
وانما هي في العليا كواكبها ... ثوابت العهد تهدي نورها صببا

ختم الكلام اذا طاب البيان ، ففي ... (أديبه) ما يزيل الغم والريبا
لئن أصابت جواد العرب كبوته ... فهو الاصيل ولو يوم اللقاء كبا
والعرب ما قبلوا ضيما يراد بهم ... ونبع نخوتهم في الثار ما نضبا
وشعلة السبق في أيديهمو رفعت ... توارثوها عصورا أشرقت ذهبا
ورب سيف نبا والضرب من بطل ... فلا تلم بطلا منه الحسام نبا
لحافظ الشعر قولي في تمثله : ... « العزم جد ولكن الزمان أبى »
وللشعوب غلاب قد يصيبهمو ... ويعرب في صميم الدهر ما غلبا
من يعرف العرب في تاريخ مجدهمو ... يؤمن برب كريم ينصر العربا

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بولس سلامة

جهاد اربعين حولا

بقلم بولس سلامة

* * *

عرفت البير اديب لاربعين حولا خلت ، وكنا وقتئذ من الشباب في عنفوانه ، نكاد نشكو فرط العافية ، وبتنا اليوم نتشاكى في مكالماتنا الهاتفية فرط السقام ، وعبء الهموم ، وقلق المصير .

ولقد ادركت اول وهلة شمائل صديقي ، فأيقنت انه ليس بالغدير الضحل يغتر به الوارد إيلما ثم ينضب ، ولا بالسراب يحسبه الظمآن ماء فاذا اتاه لم ينقع غليلا ، بل هو الشاطىء الساجي قد ندرت اصدافه ، وكثر جمانه عند اولي النظر الثاقب ، وعلمت انه رهيف الحس يتخذ قلمه ريشة ينقر بها على وتر حنون وينفس به ان يكون صنجا يرن او جلجلا مذياعا .

بيد ان دقة الريشة لم تحل دون صلابتها في ابراز الحق والصدع به في وجه المقتدرين الالى كانوا عهدئذ يفيحون ابواب الرزق لمن لانت شكيمته فأسلس قياده فساوم على كرامة وطن ، او تنكر لقومه ، وكبر على صاحبنا — وهو ابن دير القمر الحاضرة اللبنانية التي وسمها الامير العربي الاصيل فخر الدين المعني ببطولته — ان يداري ويماري ، وشق عليه ان يقيم بينه وبين اهل الضاد حاجزا وهو العربي الهوى واللسان ، فآثر العسر فما بسط يده لاحد ، يوم أثرى من كان دونه وظيفة ومقاما وامتداد نفوذ ، بل خرج نظيفا يقينا منه بأن النظافة — ولا سيما الخلقية — هي من الايمان في الصميم ، فما كان ابعده عن الفريسيين الذين يطهرون الاناء ويغمسون ايديهم في كل مأثم .

ولقد اغراه نفر من ذوي الجاه العريض بالمناصب الرفيعة اذا هو انساق في تيارهم ، فعصمته الانفة ، والطبع الخير من التردي في التجربة ، فدحض الكبرياء، تلك الخطيئة التي غرت ابليس فطوحت به فعاد مدحورا رجيما ، ثم زينها ليسوع فأجابه « للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد » ولطالما سجد لغير الله فجرى وراء الابهة والخيلاء نفر اطاش النعيم الموهوم حلومهم ، فضلوا واضلوا خلقا كثيرا .

وتوالت العهود على صاحبنا وظل معسرا ، لا جهلا منه بالوسائل المفضية الى المرافق ، بل استجابة للشمم ، فلم يتملق ولم يداهن ، وجل ان يكون بهلوانا او ممثلا مهرجا يتواضع حينا ويتأله احيانا ، ولو شاء الارتماء في تلك المخازي لتأبت عليه سجيته ، وما كانت نزاهته الا احدى شيمه الفطرية ، وكذلك القول في وداعته وولائه لاهله ، ويسرني ان اكون احدهم ، فلقد سايرني منذ الفصل الاول من مأساتي الايوبية الى الفصل الرابع والعشرين الذي اسدل عليه الستار في اذار الفائت ، فكان ربيعي شتاء لقيت فيه الموت وجها الى وجه .

وما كان وفاؤه الا تفضلا منه فلم يتقدم لي عنده يد، بل كان هو السباق يهدي الي مجلته منذ نشأت ، وكنت انا المقصر لانها لم تحفل بسوى القليل من يراعتي ، واراني بحكم تداعي الافكار ، مسوقا للمقارنة بينه وبين اصحابي الذين عنيتهم في قصيدتي « الم » حيث اقول :

صحبي وهل في الصحب الا قلة
حفظت على دهم الخطوب ولائي
قد كنت افديهم بأهلي جملة
وبمهجتي لو كان يوم فداء
فاذا بهم والخطب حل بساحتي
لا يذكرون على الزمان وفائي
غاض الوفاء من الصدور فظله
في الناس ظل الجود في البخلاء
امعنت في الاخلاص حتى ملني
ورجعت والامل المهيض جزائي

اما وقد ذكرت (الاديب) فلا بد لي من وقفة عجلى عليها ، فانها تحمل اسم صاحبها وهي اصدق صفة لموصوف ، والاديب في مصطلح علماء البيان من الم بوجوه المعرفة فحذق الصرف والنحو واللغة والشعر والتاريخ وما اليها ، ولكنه في مفهوم العامة الرجل المهذب فلا يدخل في هذا الباب مثقف بذيء اللسان ، فاجر القلم ، شرس الخلق ، ميت الوجدان ، وان صاحبنا لخليق بوجهي

التعريف ، فهو الاديب الجليل من غير دعوى ، والمهذب الرصين بغير تزمت ، المرح بدون مجون ، الحاضر النكتة بلا خفة .

يوم انهى الي صديقي الشاعر فوزي عطوي ان حفلة اكرام تقام لالبير اديب أقترح علي قصيدة ، فقلت بل سأوجز الكلام في صاحبنا نثرا ابسط ما يكون الاداء وابعده من الاناقة ، انها شهادة للحق وللتاريخ ، وانا بين خطباء المهرجان اول من عرف الرجل فسأضع النقاط على الحروف ، واني لاخشى ان يجمع بي شيطان الشعر ويتمادى الخيال او أغلو استجابة لروي ، او انقيادا لنغم ، ولئن كان الشعر في النفوس افعل وبالسماع اعلق لما فيه من حلاوة لا ينهض بها النثر ، فأن للنثر مقام الصدارة في الشهادة للحق وللتاريخ ولدى منبر العدل الذي ما برحت اتمثله منذ كنت قاضيا .

بتلك المجلة التي ازدانت باسم صاحبها فتح البير في دولة الادب فتحا مبينا ، فتلاقت عليها الاقلام الناضرة ، وتفتحت القرائح الجيدة من مختلف الاقطار واللاهجة بالضاد ، فكانت المرآة التي يرى فيها القارىء المستنير ملامحه ، لامن جهة (الانا) الطاغية بل من جهة (الانت) و (النحن) فما اشبهها بالماء الحافلة بالطيبات من كل لون يتخير منها الطاعم كلما يشاء ، وكأني اذ اطالعها عضو من هذه الاسرة الضاربة بين المحيط والخليج ، فلو لقيت افرادها وجها لوجه فجالستهم لما ازددت بهم علما ، بل ربما حدثت كل واحد منهم بما في طاقته من علم بالنفس او باللغة او بالادب او علم الاجتماع الى اخر ما زخرت به المجلة من مختلف العلوم والفنون ، واذا صح ان الاسلوب هو الانسان فأن بين الكتاب والقراء من وشائج القربى الروحية ما لا يغنيك عنه قريب مجرم ، او جار مبرم ، او رفيق صفيق ، او محدث مختال دلال ، فنعم الجليسة تلك المجلة ، فلو خلعت عليها من الصفات خصائص الكتاب التي ابرزها الجاحظ لما عدوت الواقع .

ولقد تجاوزت « الاديب » اقطار العرب الى الصين واليابان وجامعات اوروبا حيث تجدها بين ايدي المستشرقين والعبرة هنا للكيف لا للكم ، ولعل الكم تثير في الذهن ما يجنيه صاحبها من كمية النقود ، الا وانه يؤتى اجر الموفين بعهدهم والصابرين والمجاهدين او « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

ولقد طال ليل صاحبنا في الصبر قرابة ثلاثين حولا تقدمتها عشر سنين في خدمة القلم فضمر جيبه ولم تخمد عزيمته بل حسر بصره وتفتحت بصيرته اذ عهمت بصائر القيمين على الفكر عن اغاثته ثوابا وفاقا لما قدم ، وهم الاعلمون بأن هذه الدوحة اللبنانية المنبت التي فاء الى ظلها الكثر ممن لفحهم الهجير واستطاب ثمرها المتذوقون ورجع اليها رواد المعرفة قد حرمت الغيث بل الندى فكاد يجف ثراها فلا تتغذى الا بما رسب في عروقها من ماء يسير .

فسلام عليك ايها الصبور المجاهد الناهض برسالة الادب سحابة اربعين سنة اعزل الا من الايمان والفضيلة ، وكدت اقول سلام عليك ايها البطل لولا ان هذا اللفظ قد تبذل فبات البطل والاستاذ في درك من الهوان سواء ، فكل ضروب الرياضة اقحمت في باب البطولات ، وكل شيء اصبح بطولة الا البطولة نفسها وان هي عندي سوى نبل الخلق ، والذاب الصامت ، والشمم ، وسعة الصدر والمروآت العلى .

ولعل انبل الاوسمة التي نلتها نقاء صدرك من وسام ، فلقد كان شأن القيمين على الاوسمة بالامس البعيد شأن اصحاب الجوائز ، فلقد اتى على هذا البلد حين من الدهر كسدت فيه الاوسمة فرخصت حتى بات حاملوها في حيرة من امرهم ، ايبرزونها أم يلقون بها في العاديات ، ولقد انهمرت على اصحاب الحرف والمقحمين لما يذكر بشيوع البكوية في عهد العثمانيين وتماديها الى يومنا في لبنان ، فالناس عندنا اثنان أما استاذ واما بك ، فاذا كان مخاطبك سخي اللسان وفق بين اللقبين ضاربا بعرض البحر مبدأ الفيلسوف ارسطو بعدم التناقض .

وبحسبك وساما واحدا انك استقطبت انظار اللاهجين بالضاد لمناسبة يوبيلك وان الحفلة التي تقام لك اليوم هي صدى مكانتك في النفوس ، وان الذين تلاقت افئدتهم على اكرامك هم فوق الذين يجرون على الرواسم الجاهزة ان هم الا نفر من المحبين وفدوا يمثلون الالوف من المخلصين ، الا وان المحبة لا يعدلها في ميزان القيم شيء ، بلى انها لاقوى من الموت .

بولس سلامة

(تتمة صفحة ١٦)

يلتقيان ، وان الفكر والعقوق طرفا نقيض ، ومن ثم لافسر التفافكم هنا وبهذا المدى من التعاطف والاهتمام .

ويهمني ان اوضح امرا : انا عرفت البير اديب من خلال الصداقة التي كانت تجمعه بوالدي فكانت محبتي له صداقة موروثة . الا انها تأكدت وتنامت مع الايام تعززها معطيات من طاقات وقيم البير اديب .

وكانت محبتي له مسايرة ، فأصبحت يقينا ، وكانت فرض كفاية وهو ما يسقط عنك اذا قام به احد سواك كالحج في الاسلام ، فاصبحت فرض عين ، اي اصبح اداؤها واجبا علي بالذات لا بالواسطة او بالوكالة كما الصلاة وكما الجهاد وكما الصوم .

وختاما يسعدني بفخر كبير ان اسلط نورا على وجه من مكرمات الاديب الكبير المحتفى به وهي العفة والشمخة الابية الانوف .

ملحم كرم



الشيخ عبد الله العلايلي

كانت « الاديب » وكانت النهضة

بقلم الشيخ عبد الله العلايلي

باسم القلم الذي نتنادى اليوم الى محرابه ، افتتح القول .. فالقلم مذ كان ـ تبارك اسمه ـ شرع للتاريخ ابوابه ، واملى الحضارة حرفا فحرفا ، ولولاه للبثت الحضارة خاطرة هائمة او خالجة غائمة ، ثم ما كان يقدر لها ابدا ان ترى نفسها في المرآة .

فالقلم ، كصنوه الازميل ، كلاهما يمشي مشيته الخالقة ، هذا على الطرس لينطق ، وهذا على الحجر لتشيع فيه نابضة الحياة ، ثم يؤولان الى انهما من التاريخ وجه ولسان ، مشاهد وحكاية .

على ان القلم نفسه هو الذي يقرع على المستقبل رتاجه ، ويزحزح عنه شيئا ، فاذا المستقبل في خاطرة الحاضر مائل مثول الداني القريب .. انه عند ملامس اليد ، لان القلم جسد ضلوعه عند ملامس الوعي . وما كان لليد القادرة ان تنفك عن بادرة الوعي المقدرة ، الا عند اسطوريين بلهاء .

ان القلم الذي نجتمع اليوم على تقديس اسمه ، هو الذي يعطيك منك ، من واقعك ، لا الذي يخترعك ... اما الذين يقولون غير هذا القول ، افتظنني مخطئا اذا انا لم ار فرقا بينهم وبين « دون كيشوت » ؟ فصاحبنا خال في اجنحة المطاحن الهوائية فرسانا ، وخال نفسه بفلابه لها فارسا ، وهؤلاء اذ يزورونا ، يخالون انهم اخترعوا ، ويخالون انهم اقلام .

وقد قلت منذ حين بعيد : اننا حين نقول القارىء لا نعني متلقيا نصيبه في الاخذ دون نصيبه في العطاء .. فالقارىء بما انتهى اليه تطوره ، وبما انفتح عليه من حاجات ، هو الذي يملي فيريك وجهة المسير ، ويضع خطة الطريق .

ومن ذا يقول : ان « بؤرة العدسة » هي التي تخترع الصورة ، فكبير امرها ـ كما تعلم ـ انها تلملم الاشعة والظلال لتعقدها في حزمة ، ثم لتعطيها اعطاء الصنع لا اعطاء البدع .. ثم ادنو اكثر فاكثر لاقول : ان اوائلنا كانوا اصح ادراكا ، فقد سموا ما كان يخترع لهم اختراعا اسطورة ، اما ما وجدوا فيه انفسهم ، ما وجدوا فيه دنياهم ، ما وجدوا فيه واقعهم الذي يتحرك ، فانه وحده الذي سموه ادبا .. فهل نكون ملومين اذا قلنا لهؤلاء الذين يفترضوننا ، باسم الفن ، ثم يموهوننا ، انهم اسطوريون دون ان نقول لهم : انهم اغبياء وان كانوا في محل استحقاقه .

نعم هذه النظرية التي تستبعد كل ما هو من الحياة ، وكل ما هو مفيد ، وكل ما هو موضوع حقيقي من موضوعات الرغبة ، خادعة مموهة .. فان اول مظهر من مظاهر الشعور الجمالي ، هو ارواء الحس الظامىء واستعادة الحياة توازنها ... اما لعب الخيال للخيال نفسه ، اي تتابع صور لا يمكن ان تنقلب الى احساسات مؤلمة او ممتعة ولا الى افكار وعواطف ، فهو الشيء السطحي الملوم في الفن .

ان الفن العظيم هو الذي يجمع بين الجمال والمتعة والفائدة ، وبذلك يغدو اشبه بتلك الآلات الرنانة التي لا تكاد تلمس حتى تطلق النغم الموسيقي .

والفن انما يستمد قيمته من شدة الاواصر بين الكون والكائن ، بين الفرد والكل ، بين كل جزء من اللحظة والديمومة .. والفنان حين يأخذه مخاض التعبير عما يسمى بالرؤية الداخلية ، انما يفعل تحت الرغبة في ان يكون الرائي اكثر من واحد ، بأن يكون الرائي الكل .

واكفكف من جنبات هذا السرد ، لاجبس القول على ما نكرم ومن نكرم .

كانت « الاديب » وكانت النهضة ، ولا اعني النهضة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكريم البير اديب

هبت العرب لتكريم (اديب) ... باحتفال رائع الجمع مهيب
فتبارى لاكاليل النهى ... كل فرد من بعيد وقريب
يا لحفل لاديب نابغ ... حمل المصباح في الليل الرهيب
ومشى عبر الاعاصير التي ... روعت من هولها كل القلوب
امة الضاد تحي شاعرا ... مبدعا جاء اليها (بالاديب)
سفر آداب وانجيل نهى ... واضاميم من السحر العجيب
ليس (البير) سوى اشراقة ... ضوأت والليل داج بالخطوب
فاهتدى في الليل من اشعاعها ... كل سار ضل عن تلك الدروب

ادباء الجيل حيوا رائدا ... جاء بالالهام والوحي الخصيب
واضفروا الغار على مفرقه ... واسكبوا في دربه كل الطيوب
واسمعوا سفر النهى من فمه ... انه في عصره اسمى اديب
كشف الخافي من السر لنا ... وجلا المستور من دنيا الغيوب
فرأينا سحره مستترا ... ظاهرا في كل سطر في (الاديب)

البحرين — احمد محمد الخليفة

القلمية فلبنان ما انفك غنيا بالقلم الرفيع ، كما لا اعني النهضة الصحفية في النطاق الادبي فلبنان ما انقطعت فيه .. وانما اعني انها كانت التتويج لهذا كله ، كما انها انفردت في مضمار التوعية العربية يوم كان الواعون للنضال العربي وأساليبه قلة لا تعدو اصابع الاكف .. فشقت الدرب الشائك بجلاد عنيد ، وكان أن شقيت كثيرا ، ولاقت من العنت كثيرا ، ولكنها ظلت تسير ولا على نشز ، الى غاياتها المثلى في مصابرة ومكافحة . حتى غدا ناديها مدرسة اطلقت المعارضة على كل نحو ولون .. ولو لم يكن لمجلة الاديب الا هذا ، لكفاها مجدا في وعي الدهر وعلى لسان الدنيا العربية .

وربك ـ جلت حكمته ـ أراد مصابرتها يومذاك لخير هذا المجتمع « الطلل » الذي تنعب في صحائه شوهات ليتها الاغربة ، ليتها البوم .. اذن لرأينا على سيماء نعيبها ما يسمونه « جمال فن القبح » ، ولكن الرزيئة في شوهاتنا انه أسقطها من حسابه حتى « فن القبح » ؛ فجاءت قبحا لا فن فيه ، اي الما متصلا لا الى موت ، ويأسا متورما لا تعلة في حواشيه ، ورذيلة مفعمة بالسواد لا الى هداية ، لا الى امل في انها تعقل .

اجل ، ان ربك اراد مصابرتها لخيرنا ، اراد من حبات الطل المنسكب لتكون معنى الحياة في الاطلال ، فكثيرا ما دارت حبة الطل على نفسها فانعقدت في سيل ، وكثيرا ما دار السيل على نفسه فانعقد في تيار .. فاقلام الصدق لا تطبع لتنشر ، بل تمدد روحها على الطابع ، لتجيء فضيلة وطنية حية تطعن رذيلة حية ، وصدقا يتمادى يضرب وجه كذب يتمادى .

وصاحبها هذا الشامخ ، جاء على نحو امة وحده ... فاول ما كان يطالعني منه : ارتسامات روح هي اولع ما تكون باستكشاف قوانين الحياة ودرسها حرة من كل مصطلح او عرف ، في حمى الشباب ونشوته وبطولته ورغبة التجديد الحارة المضطرمة في دمائه .

وكان ادبه يخاطب المجهول في جراة ساذجة ويقبل على الحياة كما لو كان يطالعها للمرة الاولى ، نافضا عنه غبار التقاليد مشرفا عليها من الناحية الانسانية ، حيث تخلص الغريزة من النفاق الاجتماعي ويتبين المرء مدى قواه في تبديل الحياة وتكييفها .. والبير اديب على تعلقه بالحرية تختلج نفسه بعوامل صوفية شتى ، يلمس بها الله في تأمل فلسفي عميق .

وختاما اقول : في هذا الحفل المعقود على التكريم ، ليس البير اديب مما يصدق فيه قول رضا الشبيبي : فتنة الناس ...

بل يصدق قول شاعرنا القديم :

الناس مثل بيوت الشعر كل رجل منهم بألف وكم بيت بديوان .

عبد الله العلايلي



ملحم كرم

مداميك اربعون في خدمة لبنان

بقلم ملحم كرم
نقيب محرري الصحافة اللبنانية

* * *

من سوء حظي ان دوري في الكلام يحل ابدا بعد العلامة الشيخ عبد الله العلايلي . والخطابة بعد العلايلي ضرب من الانتحار . انها تشعرني برعشات همّ نفسها التي كنت احسها وانا يافع العب مع اخواني في وادي دير القمر ، ويقف رفاقنا في اعلى الجبل ويدحرجون علينا الصخور الكبيرة .

اما وقد اصبحت امام الامر الواقع وامام المأزق وجها لوجه فاعلن ، مكرها لا بطلا ، « انني راض بان احمل الهوى اخلص منه لا علي ولا ليا » .

أيها الحفل الكريم

باعتزاز كبير نلتقي أليوم في تهافت ملزوز لنكرم اديبنا الكبير صاحب « الاديب » . وبعرفلن الصحافة كلها اشكر لكم حضوركم واسهامكم . اشكر لكم ما تتمخض به صدوركم العامرة بالعرفان وبالوفاء لمن يجوز فيه العرفان والوفاء .

لم نجتمع هنا لتكريم الانسان الفاني في البير اديب . فكلنا صائرون الى فناء محتوم . انما نجتمع لنكرم القيمة والتراث والطاقة الكبيرة التي هي البير أديب .

والبير أديب تصدى للصحافة وللادب وللنقد وهو بعد يافع في عمر البواكير ، فكان المتفوق في كل مجال . واعوامه الاربعون في النضال وفي بناء ادب لبنان وصيانة لغة العرب ، مداميك أربعون من سؤدد وشمخة وبناء وعطاء . فالبير أديب يمثل الفكر في أروع وجوهه ، ويمثل الادب المتمرد السيد السامي المتعالي . اما اسلوبه فهو ذلك الاسلوب السهل الممتنع ، الداني المرتفع ، القريب البعيد ، المعتصم بقنن الامتناع وهو اقرب من حبل الوريد . وهو الكلام على قدر المعاني لا يزيد ولا ينقص ، والاثواب تفصل على نسبة القدود ، فلا تطول ولا تقصر .

علمونا في الادب العربي ان احدا من الشعراء لم يتوافر له حظ من الشعر كما توافر لزهير بن ابي سلمى : فقد كان ابوه ربيعة شاعرا ، وكان خاله بشامة بن العذير الغطفاني شاعرا ، وكانت شقيقتاه الخنساء وسلمى شاعرتين ، وكان نجلاه كعب وبجير شاعرين ، وكان حفيده عقبة بن كعب شاعرا وابن حفيده العوام بن عقبة بن كعب شاعرا ، وزوج امه أوس بن حجر شاعرا . كذلك البير . فهو اديب ، واسمه اديب ، ومجلته « اديب » ووالده اديب وابنته اديبة . وبالاضافة الى ذلك هو من دير القمر ومن آل نعمة وهي الارومة التي اعطت لبنان مشاهير الادباء .

والكلمة اليوم ، الكلمة التي تحفظ الايادي ، والكلمة التي تكافيء والكلمة التي تثيب والتي تعاقب ، تقف اليوم وقفة عرفان وهي ترد الجميل لمن تعهدها صقلا وبلورة وحسن طلاء .

وهكذا ابدا شأن العلم . فالعلم ليس عقوقا . وعلى ذكر عرفان العلم اروي القصة التالية : في عام ١٩٠٠ ، وفي وسط لندن ، وفي احد ايام الشتاء الحافل بالانواء والاعاصير سقط طفل في نهر التايمز ، فتطوع شاب ورمى بنفسه في النهر لينتزع الطفل من دوامة رهيبة كادت تبتلعه وسط قلق والد الطفل وبكائه . ولما أستقام له المسعى وانقذ الطفل ، عرض والد الطفل على منقذه مالا ، ومكافأة، وما يشاء من التعبير عن مظاهر العرفان. ورفض الشاب كل عطاء وقال للوالد المليونير : اريد شيئا واحدا. انا طالب اتممت دروسي الثانوية . وانني راغب في اكمال تعليمي لاصبح طبيبا . ووافق الرجل الذي كان والد ونستون تشرشل على ان يدفع نفقات تعليم الطالب الذي كان « فليمنغ » مخترع البنسلين . وقد انقذ البنسلين تشرشل ثلاث مرات اخرى ، بالاضافة الى المرة الاولى ، في اثناء الحرب .

رويت هذه القصة لاؤكد ان العلم والجهود لا

(التتمة على صفحة ١٣)



وديـع فلسطين

البير اديب انسـانا ورسالة

بقلم وديع فلسطين

* * *

جدير بلبنان ببياض قممه وشموخ همه ان يفاخر بالبير اديب ببياض اياديه وعلو مراميه .

وحقيق بالعروبة بسطور مجدهـا البهي ان تحتفي بالبير اديب مسطر آيات مجد الضاد في ثلاثين عاما خلون، وناشر الوية الفكر في ثلاثة عقود من السـنين المدلهمـة بالاحـداث .

وخليق بالمثل العربية العليا التي سارت بمباهجهـا الركبان والفرسان والرجلان ، ان تباهي بالبير اديـب حفيظا على هذه المثل ، وداعية اليها ، وحاملا لرسـالتها ، ووفيا في ادائها اتم ما يكون الوفاء واعظم .

فهذا الرجل الفرد الفريد ، قد استهوته في مطلـع شبابه فكرة نيرة ، واستضاءت امامه رسـالة عظيمـة ، فانطلق يحقق الفكرة بجهد المناضلين الباسلين ، وانبعـث يجلو الرسالة بايمان الرسل المبشرين ، وانبرى يحمـل تبعة المصلحين ، ومضى في سنوات تقرب من ثلث قـرن يحمل بيمناه قلما مشرعا ، ويطوي قلبه على ايمان متأجج، وتشرق في ذهنه آمال بعيدة الرؤى ، فلا القلم كـل ، ولا الايمان وهن ، ولا الامل خبا ، وان كان الجسم قـد كـل ووهن ، والبصر قد خبا ووهى ، والسن قد علت وابهظتها ثقـال الاعبـاء .

وما زال استاذنا البير اديب يشرق علينا « بأديبه » في غرة كل شهر ، يمد به اشعة نور وعرفان تترامى فـي العالم العربي بأسره ، وتتناثر في كل زاوية فيهـا ناطـق بضاد ، حتى صار « الاديب » مستويا بدرا تماما ، يفتقد في الدجنة ، واصبح منتدى اداب يلاذ به في جهامـات الحياة . فقد كانت مجلة « الاديب » في عمرها الذاهب ، وما زالت في شبابها الغض المتجدد ، واحة ظليلة ينتجـع اليها اولو الفكر من هجير الحياة ، وبستانا اغـن جمـع أطايب الشعر من المنشدين ، ومشـتهيات النثر مـن المجيدين ، وينبوعا يداوي الظمأ ويرطب القلب والروح . وقد ائتلفت حول « الاديب » صفوة العقول في صعيـد العرب ، تعرض على صفحاتها اراءها ، وتبدي خواطرهـا ومواقفها ، وتأخذ وتعطي في سوق الادب الفاخرة ، فـلا يعود احد منها مغبونا الا البير اديب نفسه ، فهو وحـده المغبون المجحود الذي عقته الجماعة ، يحمل على كتفيـه هموم « الاديب » ديونا بينما ينعم غيره بأمجاد « الاديب » شهرة والقا ، ويبدي يدين لطختهما احبار المطابع ، ويجابه مشكلات ادارية تتفاقم وتتراكم على جسمه المكدود وجهده المحدود ، ويواجه بمطالبات يفزع المـرء من ارقامهـا واصفارها ، وهو ابدا مصلوب على كرسيه من صباح يومه الى عتمة مسائه ، لا يبرحه ، ولا يعفيه من هذه الجلسـة الابدية الانتحارية احد . يدخل داره باشخاصهم وارائهـم سادة العرب جميعا ، وهل ثمة سادة غير ارباب الفكـر وحملة الاقلام ورعاة التراث وحماة الضاد ؟ .

فلا يلقون من البير اديب الا كل اكرام وحسن وفادة . وما اكثر الذين استطارت شهرتهم بفضـل « الاديـب » والذين اعانهم « الاديب » على شـق طريقهم في الحيـاة فبرزوا وتميزوا . ودانت لهم كراسي الجامعات وارائـك الحكم . كلهم ينال بركة « الاديب » فيصاحبهـم النجـح والتوفيق في حياتهم ، اما صاحب « الاديـب » نفسـه وشخصه ، فهو الراهب الزاهد السالي ، والقابع القانـع الراضي ، والمنكفيء ليل نهار على اداء رسالته مستدبـرا الدنيا بكل امجادها واعراضها ومباهج مترفاتها .

رجل يستودعه الناس كلامهم ، فيحوله في «اديبه» الى اكاليل يضفرها على رؤوسهم وحلى تزدان صدورهم برصائعها ، اما هو فمنسي ، لا يزين راسه غار ، ولا تلمع على صدره الا آثار النصال ، بل انه لا يطمئن الى يومه ، فكيف الى يومه ، فكيف الى غده ؟ وناهيك « بالاديـب » ومصيرها ، فهي مفخرة يهددها الزوال ، ومأثرة تحتاطها النوائب ، وما كان احرى العرب ، اصحاب النفط الناطقين بلغة التنزيل الحكيم ، أن يحولوا « الاديب » الى منشـأة وطيدة الاركان ، باقية على الزمان ، شامخة البنيان ، لان لها من ماضيها الناصع ، ومن حاضرها الكريم ، ما يؤهلها للخلود بوصفها جامعة ثقافية تلتف من حولها قلوب العرب وعقولهم وافئدتهم وجوانحهم ، فقد عرفنا سياسة تفرق ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسام الفخر

كفى « الاديب » افتخارا انه علم
يزهو ويخفق مرفوعا على القمم
الارز صفق في لبنان من طرب
واعتز في خفلة التكريم بالقيم
وقام منحنيا عطفا وتكرمة
لصاحب الخلق والآداب والشيم
ومثل البير ان جادت به امم
فيستحق وسام الفخر بالقلم

قبيع ـ لبنان حسين زين الدين

وبلونا دوريات تبث الشقاق وتثير كوامن الاحقاد ، اما « الاديب » فهو في كل عمره ـ وهذه شهادة حق لا بد من الجهر بها على اوسع ملأ وفي كل اذن مصيخة ، مجلة ذات رسالة وهدف وشرف ، تبذر بذور المحبة بين جموع المثقفين العرب ، وتتبارى على صفحاتها الاقلام الشريفة المضيئة الماجدة الخيرة الساعية الى صافيات القيم .

مجلة اكاد ازعم انني قرات كل حرف ورد فيها ، ولا اخالني اطالع الناس بجديد اذا عالنتهم بانها عصمت في كل هذا التاريخ الطويل من كل زلل . فلفتها حتى عند اشتداد العراك ، لغة عفيفة بالغة التهذيب . وعبارتها استعلت على ما تتأذى منه الاسماع ، واقاصيصها رعت مقاييس الخلق مهما سفرت في امور العاطفة ، وشعرها خلا من كل ما يجرح او يخدش . وبهذه الصرامة البالغة في اقامة موازين الخلق والادب والاستقامة ، استطاع البير اديب أن يبقى هو ومجلته دائما بمنجاة من كل ريبة ، وبقيت مجلته مستأثرة بهيبتها وكرامتها ومنزلتها العلمية ، لا يوصد في وجهها باب ، ولا يرتفع في مواجهتها حجاز ، ولا تمتد اليها يد رقيب ، لان لها من يقظة سلامتها ومن ضميره رقيبا نحمد له كل فعاله ولا نذمه على شيء منها ذمنا لغيره من الرقباء ممن تجيء بهم العهود وتذهب .

وها مجلة « الاديب » قد باتت بمجلداتها الثلاثين معلمة من المعالم الفكرية الموسوعية الفذة ، تضم اكثر من ٢٥ الف صفحة ، وتتناول كل قضية من قضايا الفكر في القديم او الحديث مما سنح للباحثين والكاتبين ، وتنتظم في اضابيرها آثار جمهرة عظيمة من الكتاب ، فمنهم من احتل مكان الصدارة في دنيا الفكر ، ومنهم من لا يزال يداب في درب الفكر الشديد الوعورة ، ومنهم شباب ما انفكوا شداة طلاب تشجيع وتقويم ، واولئك ترعاهم مجلة « الاديب » وتحدب عليهم حتى يستقووا وتصلب اعوادهم وتنضج ثمارهم .

واما البير اديب ، فانه بكبرياء نفسه وترفع قلمه وشرئبابه الى خوالد القيم ، قد ارتطم المرة بعد المرة بأصلد الوان الصخور الصماء ، لانه ينبغي أن يواصل نهجه الادبي بشرف وعزة ، بينما الحياة تقيس الناس بمقاييس المادة ، وتزنهم بميزان المصلحة والنفع . هو ينشد الفردوس الفكري الهانيء ، وهي تنحدر الى اوحال اللحظة واكدارها . وكده المعالي ، ومرادها الاسافل . وتلك حرب عوان يبلوها كل مفكر حر يروم ان ينطلق بفكره الى سوامق القنن ، بينما الجواذب الارضية تشده صوب ادنى مراميها . ولكن لا خوف على البير أديب من هذه الحرب العوان ، لانه صمد فيها براس يناطح السحاب وارتضى المكاره صنوفا والوانا ، وقصر على « الاديب » جهده المفرط كفدائي ، يحسب حساب المخاطر قبل ان يرتب امور المغانم والمرابح .

ويا اهل لبنان ، ان البير اديب من اعلى مفاخركم ، وان مجلته من اسمى آثاركم ، فاستحلفكم بالشهابي الكبير راس النهضة اللبنانية ، وبفم الميزاب اعلى قمة في جبالكم ، وبمركز الاشعاع الذي احتللتموه بحرياتكم المترعرعة ، واستحلفكم بالمطبعة التي سبقتم الى جلبها الى بلادكم ، وبالجامعات التي ازدهرت في ربوعكم ، و « بالمنجد » و « وفاكهة البستان » و « متن اللغة » « واقرب الموارد » و « دائرة معارف البستان » و « محيط المحيط » و « قطر المحيط » و « المرجع » و « المورد » وغيرها من الكنوز التي اخرجها اكابر لبنان ، واستحلفكم بالارز المتطاول وبعلبك الضاربة في التاريخ وبقلعة صور ، واستحلفكم ببشري جبران وفريكة الريحاني وشخروب نعيمة وبالياذجي والمعلوف وشيخو والشرتوني واحمد رضا ونمر وصروف وشميل ومطران والجميل وسركيس والاخطل والتويني وتقلا والملاط ولبكي وفاخوري وزيدان وابي ماضي وابي شبكة ...

استحلفكم بهذه الخالدات جميعا وبهؤلاء الخالدين اجمعين ، الا تكافئوا البير اديب ، وهو امتداد لهذه الجماعة النابهة كلها ، ببضاعة الكلام وحدها ، والا قيل عن العرب انهم ثرثارون ، وان المآتم والمنادب هي ميدان تبريزهم الوحيد . بل احرصوا على « الاديب » حتى ترسخ رسوخا ابديا ، واكرموا البير اديب حتى يشعر في حياته المديدة باذن الله ـ بأن يومه وغده في أمان وبان الذين قد نعموا على مآدبه بانضج الثمرات قد قالوا له « شكرا » وكانوا في قولهم صادقين اوفياء اصلاء نبلاء .

وليتني استطيع على بعد المزار ان انحني اجلالا لهذا الرائد العظيم ، وان اطبع على جبينه الوضاء قبلة محمومة مهووسة تحمل معنيين باهرين : معنى المحبة ، ومعنى التقدير ، والبير اديب بهما خليق ، بل جد خليق .

طرابلس الغرب ـ ليبيا وديع فلسطين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



السيدة وداد سكاكيني

تكريم الاديب تكريم لرسالة لبنان

بقلم السيدة وداد سكاكيني

* * *

من اقدم ما عرفت الانسانية في حضارتها الفكرية ، تكريم التاليف والادب في كتاب « كليلة ودمنة» الذي الفه وقدمه بيدبا فيلسوف الهند وزعيم البراهمة لدبشليم الملك ، تخليدا لذكراه وتبصيرا للقلوب والمسامع على ترادف الاجيال والعصور ، فان الاعمال البانية الواعية هي الجديرة بالتكريم والتقدير في حياة اصحابها لانها شاهد عدل على الجهد والاخلاص لما ينفع الناس وينتزع الظلمة من النفوس .

ومجلة « الاديب » من هذا القبيل ، حملت رسالة الفكر والبيان والتراث ثمانية وعشرين عاما ، في غير توقف او تململ وانحراف ، على الرغم من العوائق التي تعترض الصحف والمجلات وذوي المواهب والاقلام ، لان صاحبها الاستاذ البير اديب نذر عمره وحقيقته وكفاحه من أجل « الاديب » الذي يعيش لغيره بانيا في تفكيره وتعبيره وسلوكه فرضي بالقليل ليعطي الكثير وافتدى مجلته بكل ما ملك لكي تبقى منارة لتطور الفكر والمجتمع والحفاظ على كرامة اللغة والادب في لبنان الذي انبتها وفي العالم العربي الذي يتفقد امثالها .

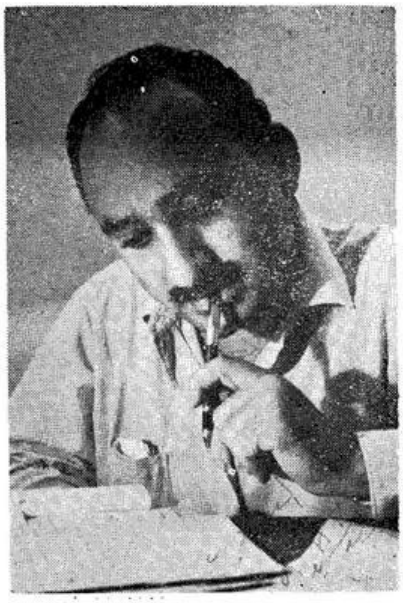
عرفت صاحب « الاديب » شاعرا مجددا ومتمرسا بتبعات فكرية ووطنية ، اديبا في توجيه الجيل العربي الصاعد على امواج الاثير ، حتى برزت مجلته في رسالتها الادبية المتجولة ، تملأ ارجاء لبنان وآفاق العرب بثمرات المواهب والعقول كما كانت كبريات المجلات على ضفاف النيل وقد غاب اكثرها وبقيت هي و (والعرفان) على السمت الاصيل والتطور المعقول تؤديان الامانة في تحقيق الكلمة الطيبة والفكرة الحرة في مجال الادب والبيان .

وكان من سجايا مجلة « الاديب » التزامها قولة الحق والخير والسلام فيما طلعت به صفحاتها (ومنشوراتها) قبل ان يشيع اصطناع الالتزام ، اذ كان من طبعها ورسالتها ، فلم تعرف قيدا او تكلفا ولا جهدا مبددا ، وما نقلت في زحمة المذاهب الفكرية الطارئة بدعة مريبة او خدعة مموهة حول العربية وثقافتها او بشأن التربية القومية ، بل فتحت اوراقها لاقلام الصادقين المتمكنين في مقالاتهم وبحوثهم وللمجربين الموهوبين الذين تعهدتهم بما يرتجى منهم فتلاقى على صفحاب « الاديب » جيل بعد جيل، ولم تخل هذه الصفحات من بوادر المعارك النقدية التي لم تحمل دخانا ولا غبارا في تجارب الاقلام والتهكم لان النقد فيها كان للبناء والتقويم لا للهدم والتجريح ، فان صاحب « الاديب » الذي تعهد مجلته حتى في اصلاح تجارب المطبعة وكتابة العناوين كان يحول دون النزاع والصراع ، وهما في بعض الصحف للرواج والاستغلال .

ولكم تبدلت صحف واقلام خضعت في اطوار التجدد والتعدد لكل تيار او اعصار لكن مجلة « الاديب » التي فتحت منافذ الفكر والثقافة على مطالع الشرق والغرب قد استطاعت ان تتجنب المزالق ، وتتأبى على كل ما يحيد عن خطتها ورسالتها ولو شحت مناهل رزقها ، فان كرامة الصحافة الادبية بقيت في حفظ الله ورعاية الاديب الصادق موضع الفخر والمجد في حياة الرجل الذي آثرها وافتداها ، وكانت الى جانبه رفيقة حياته مؤيدة لعزم زوجها رافدة لرسالته التي لم ترفدها معونة حكومية ولا هيئة حزبية الا محبة الاصدقاء والقراء الذين ملأ صاحب « الاديب » قلوبهم ثقة وايمانا بخلقه وفنه وكفاحه وكانوا باقلامهم وتأييدهم البرهان على وجود الاخيار في دواعي الاغراء .

فالجماعة الكريمة التي تنادت لتكريم « الاديب » وصاحبها مشكورة لهذا الاجماع في الثناء والوفاء لما صنعت هذه المجلة في حياة الفكر والعربية والبيان وقضايا المجتمع والادب وتعبيره شعرا ونثرا عن قضية العرب الاولى لتحرير فلسطين، وذلك من مهام لبنان الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تحية العراق للاديب

بلند الحيدري

★

انا بعض حرفك حالما ومعاني ... انا بعض حرفك في اغتراب مكاني
انا بعض حرفك قد اتاك مخضبا ... فاعرف به دمك الزكي القاني
والمس بنازف جرحه متغربا ... بعدت به سبل وظل الداني
عرفته كل موانى الدنيا خطى ... ضاقت بهن مسارب وموانى
حتى التقاك فكنت في اعماقه ... وهجا تالق باسما بحنان
فاذا الجراح على شديد نزيفها ... وعد يشيع النور في الصلبان
واذا بموضع كل جرح كوة ... منها بصرت بروعة الاكوان
وعلمت ان ، حسب الاديب تلفت ... يبقى مدى في احرف ومعان
ما ضاق ظلا كي تقيس بقاءه ... شمس تدور ولا انتهى لمكان
هو ملك كل الارض ، ملك زمانها ... فلك بلا ارض ولا ازمان
دنياه خفقة احرف ما رادها ... زمنا ليصبح ساعة وثواني

اعد نوابغه ورجاله الافذاذ لمثل ما أعد البير اديب في مجلته وقد حققت اهداف السفارة الفكرية والروحية في لبنان والعالم العربي وها هي صفحات « الاديب » ملتقى الاقلام العربية من مشرق البلاد الى مغربها كما كانت تتلاقى في مجلة « الرسالة » المصرية مواهب الادباء العرب في مطلع الثلاثين من هذا العصر حتى غابت منذ سنين ، ولم تغب الفكرة العربية التي دعت لها «الرسالة» ورددتها على ضفاف النيل ، كما سبق اليها لبنان في ادب الاحرار الذين كانوا من اعلام النهضة العربية المعاصرة .

فاذا اعتز لبنان بهذا السبق في دعوته ورسالته اللتين حملهما من أبنائه رواد الفكر العربي الحديث منذ القرن التاسع عشر فانه ليدرك اليوم ان تكريم الادب والادباء لا يقتصر على الحمد والثناء ، وانما الوفاء كل الوفاء بتجديد الخصال العربية القديمة التي عرفها الكتاب والشعراء والفلاسفة والمؤلفون لدى الشعب وقادته الابرار ، وقد أخذ هذا التجديد يتمثل في جوائز الدولة وتقديرها ، لدى بعض الاقطار العربية .

وما تكريمكم أيها السادة والسيدات جهاد «الاديب» الا تكريما لرسالة لبنان التي سنتها طبيعته وخلاله في الحفاظ على مقومات الامة العربية في اللغة والادب والكرامة الوطنية والانسانية .

دمشق ـ سورية — وداد سكاكيني

الناس عمرهم الزمان مقطعا ما بين ساعات لهم واوان
اما الاديب فجل عن تلك الحدود وجل عن عد وعن حسبان
الدهر يسقط دونه ميتا فما الوى بمرقم شاعر حدثان
الدهر يسقط دونه
ما دام في نبض الحروف غديثور وصوت ماثرة ودفء امان
الدهر يسقط دونه
ما دام في نبض الحروف يدتشد على يد بتلهف وحنان
الدهر يسقط دونه
ما دام في نبض الحروف مشاعل عرف الضياء بها دم الانسان

حي الاديب يهل من اجفانكم كفراشة تهفو الى نيسان
فاكاد المس صوته متفجرا في كل شبر من خطى لبنان
في عين ثائرة يلوح حكاية عما تقول الارض في البركان
ويطل في أرز تطاول فانحنى ظلا لجهد متعب وسنان
وتراه في الانسان حيث تصلبت ارض فما زلت به قدمان
وتراه حيث ترى الربيع مرابعا مرؤت فكانت ملتقى الوان
من كل زاهية بثوب اخضر ولكل مزهرة بلون قان
واذا دجى ليل الخطوب وجدته فجرا يضوء على شفير سنان
فعرفت كيف تصير مفردة لظى حينا وكيف تصير زهو مغان
وعرفت ان العمر في صدق الاديب اذا استطل بشعبه عمران

عفوا لابيات تعاورها الاسى فبكت وكنت اريدهن اغاني
كيف الغناء وقد تألبت العدى في عرس زانية الى شيطان
دلفت وقد دجن الظلام فنصبت في قدسنا نصبا من البهتان
وتجمعت سحبا على افاقنا حبلى بنار جهمة ودخان
وقفت تنظر ان يلم بجمعنا وهن فنحني جبهة لهوان
حتى اذا سقط النصيف تململت ذئبا وسما في فم الثعبان
فاذا الربوع وليمة لجرادها والدار نهب براثن الغربان
قتلت بما تنوي فحفلك حلفة برؤاك بالحرف العظيم الشان
ان نبذلن النفس دون مرادهم ونقلمن مخالب العدوان

بلند الحيدري



الياس خليل زخريا

انت حبات عبر على شفاه قلم

بقلم الياس خليل زخريا

* * *

الا ان كتابك على الجيل ، في ضميره ، كتابه .
تترصد في بابه ، فيتشرع على كفيك بابه .
تتمدد في قبابه ، فتتفتح على يديك قبابه .
ويرتفع سماكه ،
ويتعالى عبابه .
وينبت صخره ، ويخضر قفره ،
ويرف رمله ، ويفيء ظله
ويندى سحابه
ويندى سرابه
ويطيب ترابه
وروى العابر الى العابر
وروى الملاح الى الملاح
كيف انشق في سره ،
في حجابه ،
حجابه .
وكيف تجسدت في ذاته ، على ابجديته ، ذاته ،
وكيف تأصلت في نواته ، على كلمته ، نواته ،
وتذللت في الصعاب ... صعابه
وتعانقت في الرحاب .. رحابه
وسأل الورق المداد :
عن ساهر ، عن ساكب
مل عمره ولم يمل .
كأنما ليله ، كأنما جرحه ، الازل .
كأنما قلبه كأنما طيفه ، الامل ؟
كأنما كلماته ، المقل على المقل .
كأنما فواصل كلماته النفس على النفس والقبل على القبل .

★★★

يتناسق في حروفه ، في خواطره ، تناسق الحنين في النغم
يتآلف في مجانيه ، في قطوفه ، تآلف الود في الذمم .
يتسارب في صفحاته ، في عناوينه ، تسارب الشوق في الندم
والفكر في الظلم
والابتاء في العلم .
فيه شيء من الجديد وشيء من القدم
فيه من حكمة القدامى ومن ثروة الأمم
فيه شعر مثل الرؤى فيه نثر مثل الحلم .
فيه خطف من الجوانح ان مسها النسم .
فيه حدو من الخليج وروع من القمم .
لم يضيع اصوله لم يجنح به السأم .
... عربي التراب ،
... والفكر ،
... والوجه ،
... والقاسم المقتسم ،
هو لبنان في الصميم ولبنان في الشمم .
هو لبنان في القيادة والصدر والحكم .

★★★

(الثلاثون) ، قد سلمن ، ولم يتعب ، وقد يتعب الالم .
نتهادى في كل شهر على شملها الملتئم .
في اطار من الاناقة والتوجيه والمطلع المبتسم .
وتراه في الوداعة واللين كأنه المنهزم .
وهو من هو الا المغامر المقتحم .
وتذكرت
تذكرت ، يا صديقي ، كيف كانت ، يدك ، كيف كانت يدنا ، على الزمن متمردة ثائرة ،
... وكيف كانت ، قلوبنا على الوطن قلقة ساهرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... واصواتنا عالية زاجرة .
... واقلامنا مشرعة هادرة ،
... ناثرة شاعرة ، شاعرة ناثرة ،
نغني الجبل فلا تضيع في حدوده حدوده ،
ونتملاه فلا يفنى في وجوده وجوده ،
.... ويحفظ قديمه جديده
ويصون بعيده قريبه وقريبه بعيده .

★★★

بلاغته ، بلاغةهذا الجبل، منمتانة صخوره، ومتانة رياحه، عبارته من مناسك الوانه ، وكبرياء جراحه ، شجاعته من صفاء تأمله وأعماق مطامحه ،
فلا العامية بمذهبه ولا بلغته ،
ولا الاقليمية بمطلبه ولا بغايته
ولا الانعزال ، ليس الانعزال بناقوسه ولا بمئذنته
يستوعب ويولد
يبدع ويجدد
يبني ويشيد
ويغني ويغرد
ويقتبس ولا يقلد
ويملأ الجزيرة ، شبهالجزيرة ، من قلبه منحبه ، اخاء ولقاء واطراف اطرافها من نفسه ، من وفائه ، رواء وصفاء
... كانه لكل قافلة علم ومرساة .
... كانه لكل قفراء ماء وحياة ، ماء وقناة .
كانه لكل واحة قنطرة وسقف ومسحاة .
كانه لكل ورقة ، لكل كتاب ، قلم ودواة
كانه الزكاة .
كانه الصلاة .

★★★

واخواننا واولئك الذين ، اولئك الذين يريدونه مقرا ساكنا
من غير كفاح ولا نضال .
من غير معركة .
من غير حركة .
اولئك همو الذين يخافون على كيانه
من عظمة كيانه .
اولئك همو الذين يخافون على انسانه
من طموح انسانه .
من حقيقة امانيه ، وتدفق وجدانه .
وتطل اديبك ، كانها موسم من مواسم البذل
كانها محطة من محطات العقل .
رايها في القضية هو الراي الفصل
وصوتها في الحوار هو الصوت العدل

عظمته آدابه

ان عمر « الاديب » عمر النجوم
ربع قرن لا شيء في التقويم
بالمآتي تعد اعوام « البير »
وتحصى ساعاته بالهموم
عظمته آدابه فتخطي
الف يوبيل دونما تعظيم
يعصر الروح ، يحطم الجسم، يسقي
كل صاد من الاناء الحطيم
كم ازجناه بالكلام الموشى
وغمرناه بالثناء العميم
كان زهد الملاك فرضا عليه
ولغير الملاك حق النعيم
كل حال الى زوال ويبقى
وجه ربي ، وضوء حرف رقيم

باريس — جورج صيدح

فكم شاعر ولدت في صفحاتها ولادته
وكم كاتب نشأت في عناوينها حكايته
وكم باحث اطلت من بريدها بشارته
وتقف ، وحدها ، في قلب العاصفة موقف المقاوم .
فلا توهن ارادتها النكبات ولا الهزائم .
وتكاد تكون عزيمتها نادرة العزائم .
وتكاد تكون حكمتها دعامة الدعائم .
ما عرفتك بالمقيد ، ولا عرفتك بالملتزم .
ولم تكن بالجامح الجموح ولا بالغاضب المحتدم .
الرصين ، الرصين ، في اتزان من الرؤى والحكم .
عصارة من عصارات الالم ، والبر ، والدم .
من اولئك الذين ينطلقون من غير تلفت ولا ندم .
من اولئك الذين تجسدت قضيتهم في نفوسهم تجسد القسم .
..... انت ، من انت ؟ !
الا حكاية من حكايات الكلمة والقيم
انت ، من انت ؟
الا
حبات حبر
على
شفاه قلم .

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الياس زخريا في تكريم الاديب

وكيف يبنى لبنان الجديد ؟

•

بقلم الرئيس صائب سلام
رئيس الحكومة اللبنانية سابقا

•

عزيزي ملحم كرم

افتقدتك والاخ عصام في « افتتاحية البيرق » اليوم فما وجدت ضالتي . وقد اعتدت ان اطلب غذاء لنفسي بما في مقالات « البيرق » من روح وثابة ، وافيد بما في ارائك من فكر وتوجيه تصوغها كلمات تتجاوز في قوتها وبلاغتها قيود الحرف الاسود ، وعبارة مهذبة فصيحة عز مثيلها في صحافتنا اليوم .

جفوت ، وأعرضت ، لوهلتي الاولى ! وما ان لفت نظري اسم صاحب المقال ، وهو الصديق والاديب الكبير الشيخ الياس زخريا ، حتى عاودتني الرغبة في القراءة واغراني البديل ... ففغرت ، وتابعت .

وكانت المكافأة في قراءة ، بل انشياد ، قصيد الياس زخريا متعادلة ، ان اردت الصراحة ، مع الخسران !

واول ما حز في نفسي ان الحظ قد فاتني في حضور ذلك المهرجان الادبي لتكريم البير اديب . واقول البير اديب عاريا عن الالقاب ، فهو قد جعل من اسمه معنى يغنيه عن كل لقب . وفي اشتراك امثال ملحم كرم والياس زخريا في تكريمه مجد تتلاشى عنده قيمة الالقاب .

وكان شعوري بالتقصير كبيرا اذ لم اتغلب على وعكة صحية ، فاشترك معكم ، وان صامتا ، في تكريم اديبنا اللبناني الذي نفخر به وتفتخرون . واشارك في متعة تتوق اليها نفوس من يحنون مثلي الى عهد المهرجانات الادبية الزاهر التي عاش جيلنا عليها ترفع به فوق حياة السياسة التافهة التي اصبحنا نحياها ، وترتفع بمشاعرنا الى مستوى امثالكم من الادباء والمفكرين .

لقد حلق الياس زخريا في عصمائه فحرك فينا « الشمم اللبناني الصميم » وهاج عندنا كوامن عروبتنا في « اخاء ووفاء وصفاء » فكم يأخذنا الزهو في لبنان العزيز عندما نستمع الى هذا الصوت الرخيم ، صوت الياس زخريا يغوص في اعماق مطامحنا فيستنفر عميق شعورنا ويحرك صافي تفكيرنا « فيغني ويغرد ، ويبدع ويجدد ... ولا يقلد » .

اخي ملحم ، لا تؤاخذني ان اعجزتني الكلمات فاستعرت تعابير اديبنا الكبير . فقد طربت اذناي لحلاوتها ، ورحت اردد ما سطره لنا بصراحته الهادرة ، الناثرة الشاعرة ، فامتلك علينا الانفاس :

نغني الجبل فلا تضيع في حدوده ، حدوده !
ونتملاه فلا يفنى في وجوده ، وجوده !
... عربي التراب ... والفكر .. والوجه
... والقاسم المقتسم !!
هو لبنان في الصميم ... ولبنان في الشمم !

روعة في التفكير ، وروعة في التعبير ، هي روعة الادب ، الادب اللبناني العربي الاصيل ، ادب الياس زخريا ، والبير اديب ، وملحم كرم ، واترابهم .

وانا عندما ادعو مع الداعين الى خلق لبنان الجديد، لبنان الغد الذي هو في طور الولادة اليوم ، تراني اتمنى ان لا نهمل تراثنا الروحي والادبي في سيرنا الحثيث نحو لبنان الجديد .

وهذه العصبة الفذة من الادباء امثالكم هي التي نتلفت اليها في لياليا الظلماء ، واكاد اقول في صحراء ادبنا الجرداء ، لتعيد الينا انسانيتنا اللبنانية العربية الاصيلة التي كادت تضيع بين مادية العصر الجافة ، والاقنعة المستوردة الزائفة .

انت تعلم انني من غلاة الداعين الى التحرر ، والانعتاق من القيود البالية ، وتلازما مع هذا ، أجد في احياء تراثنا الروحي والادبي الوافر الغنى ، ما يثبت خطانا في تحقيق مستقبل لبناني زاهر .

شكرا لك وللبيرق ولك خالص ودي

صائب سلام

جريدة « البيرق » بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكريم البير أديب ومجلته الرائدة

حديث اذيع من محطة الاذاعة اللبنانية

بقلم محمد دكروب

* * *

الاوساط الثقافية ، في لبنان والبلاد العربية ، اقامت مهرجانا تكريميا لالبير اديب ، صاحب مجلة « الاديب » .

لمجلة « الاديب » ولصاحبها ، عطرهما الخاص . وهذا العطر نابع من عدة قيم، ومواقف، وانجازات حققتها مجلة « الاديب » ، يوم لم يكن في لبنان مجلات ادبية فكرية غيرها .

*

طلعت « الاديب » ايام نهوض الحركة الوطنية الاستقلالية ، تحمل من قلب لبنان ، رغبات التفتح الاوسع على الدنيا العربية ، تحمل على صفحاتها ، الى هذه الدنيا الواسعة ، نتائج الاقلام اللبنانية ، بحرف عربي انيق وجميل ، يضيف من ذاته الى كنز الادب العربي كنزا جديدا .

كانت « الاديب » ، لسان ذلك النفر الطيب الاصيل من المبدعين اللبنانيين ، الذين يعتبرون الثقافة في لبنان جزءا اصيلا من الثقافة العربية ، والذين يتوجهون ، في عملهم الابداعي ، الى ان ينمو هذا الجزء الاصيل باستمرار، مع تنامي فعله ، وتفاعله ، في المحيط الثقافي العربي الاوسع .

ومن هنا ، صارت « الاديب » نفسها جزءا هاما من هذه الثقافة العربية الواسعة ، بوصفها الملتقى الرحب للاقلام المبدعة ، في كل بلد عربي ، والمصهر الحنون لتفاعل مختلف عناصر الادب العربي ، الجديد منه بشكل خاص .

*

وقد اكتسبت « الاديب » رحابتها هذه من رحابة البير اديب نفسه ، الذي يتمتع بذهن متفتح ، وقدر على اجتذاب المبدعين الجدد ، وتقدير نتاجهم بشكل يجذب القارىء الى هذا النتاج ، هذا عدا انه ، هو نفسه ، واحد من رواد الشعر الطلق .

وقد ساهم في اعطاء مجلة «الاديب» هذه الرحابة ، نفر من خيرة الاقلام اللبنانية واجملها ، واكثرها اصالة واكتنازا بالمضامين الجديدة : الياس ابو شبكة ، بقصائده المشحونة بكل ما في الانسان القلق من توتر عصبي ، وحرقة ، واشواق عارمة الى الحياة ، ومرارة من هذه الحياة ، واصرار على رشف رحيقها حتى الثمالة .. ثم بمقالاته عن الاداب الاوروبية ذات النزعة التحررية في الحياة وفي الحب .

وعمر فاخوري ، بصياغته العربية الناصعة لادبه المغموس بعرق الناس وجهدهم اليومي ، وكفاحهم وتطلعاتهم الى حياة كريمة ومستقبل سعيد .. وبدراسته المضيئة بكل ما في التراث العربي من نزعات الى التقدم والحرية .. ثم بذلك اللون الرفيع ، الفريد حتى الان، من الادب السياسي ذي المضمون المتقدم المسبوك في لغة عربية صافية كالذهب العتيق .

ثم الشيخ عبد الله العلايلي ، بما عنده من ثروة لغوية هائلة ومعرفة غنية بأسرار هذه اللغة وهذا التراث ، وبدعوته الى تأصيل اللغة العربية وتجديدها واغنائها بما في عصرنا من منتوجات علمية حتى تظل متطورة بتطور الحياة نفسها .. ثم بمقالاته التي كانت مثالا في الاصالة اللغوية وعراقتها وانفتاحها الرحب ، في الوقت نفسه ، على ما في عصرنا من تجدد وتنوع وغنى .

بهذه العناصر ، الاصيلة والمتفتحة ، والتي صارت ركائز اساسية للثقافة الوطنية العربية في لبنان ـ شقت مجلة « الاديب » طريقها الصعب الطويل ، ودخلت دنيا العرب ودنيا الثقافة ، حاملة من لبنان خير ما فيه وحاملة اليه خير ما في سائر البلدان العربية من نتاج قيم وابداع جديد .

*

هذه الرحابة ، هي التي كانت في اساس الدور الخاص ، المتميز ، الذي قامت به مجلة « الاديب » بالنسبة للادب العربي الحديث ، المتجدد ، سواء في ميدان الشعر ، ام القصة ، ام الدراسة الادبية .

فاذا كانت حركة التجديد في الشعر العربي الحديث قد انطلقت من العراق ، مع بلند الحيدري والسياب والبياتي .. فان مجلة « الاديب » بالذات هي التي اطلقت هذا الشعر في جميع انحاء عالمنا العربي ، هي التي بشرت به ودافعت عنه ، وحملت قيمه الجديدة في اثار هؤلاء الشعراء وغيرهم ، وقد كانوا غير معروفين فاصبحوا الان اعلاما كبارا في الشعر العربي الحديث .

ولسنا مبالغين مطلقا عندما نقول :

ان مجلدات مجلة « الاديب » لسنوات الاربعين وسنوات الخمسين ، تحمل اروع بدايات الشعر العربي الحديث . وتحمل كذلك اروع بدايات القصة العربية الحديثة مع يوسف الشاروني وعبد الملك نوري وغيرهم من الذين عبروا في قصصهم عن روح عصرنا وقضاياه سواء في الشكل القصصي المعاصر ام في المضمون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شرف البنفسج

فؤاد الخشن

★

يا ملهما ، خلف الستائر يقبع ... والحبر زادك ، واليراع الطيع
من نور عينك كم وهبت لتائه ... سار الى مجد الذرى يتطلع
وسخوت في صمت الدجى، متصوفا ... تعطي بقية ناظر ، وتوزع

تسعا وعشرين انقطعت لعزلة ... متنسكا ، تبني النفوس وتصنع
متواريا ، والساح في جنباتها ... فدم يصول ، ومدع يتنطع
ومكلف بالشعر ينفث سمه ... ويرى له في كل امر اصبع
يكفيك ما تروي بصمت سحابة ... وتبث من لهب الحروف وتزرع
شرف البنفسج ان يضوع مخبأ ... متواضعا ، وهو السني الاروع

يا لاهث اللفحات كم من ناشيء ... امسى بزيتك يستنير ويبدع

واصبحوا ايضا، فيمابعد، من اعلام القصة العربية الجديدة.

★

اذا كان ما اشرنا اليه هو بعض القيم الثقافية والادبية التي بشرت بها مجلة « الاديب » وحملتها في سنواتها الخصبة تلك ، فان هناك قيمة انسانية واخلاقية تميزت بها هذه المجلة وتمثلت في صاحبها البير اديب بالذات . هي قيمة الثبات ، والاصرار على الصدور ، باستمرار ، ودون توقف ، طوال ٢٨ عاما .

فرغم كل الصعوبات ، المالية خصوصا ، التي تعانيها المجلات الادبية والفكرية ، والتي ادت بالكثير من امثال هذه المجلات الى التوقف ـ فان بسالة البير اديب ، واصراره ، وادبه ، وذوبانه الاسطوري في عمله جعلت هذه المجلة تستمر في الصدور ، من خلال جهد فردي ، بطولي ، على مدى عشرات السنين .

فمنذ حوالي الثلاثين عاما ، والبير اديب يعمل وراء مكتبه في المجلة .

اكلت المجلة من شبابه ، واستمر في اصدارها .

اكلت المجلة من عافيته ، واستمر في اصدارها .

واكلت المجلة حتى من ضياء عينيه ، واستمر في اصدارها .

ولسوف يستمر ، وحده ، في اصدارها ، دون ان ينال ، حتى الان لا مساعدة من مؤسسة كبيرة ، ولا من اية هيئة رسمية .

والذين يعرفون البير اديب . يعرفون انه لا يملك ، لا ثروة مالية كبيرة ، ولا حتى ما يفيض قليلا عن الحاجات الضرورية له ولعائلته . ولكن القراء العرب جميعا ، وكل اهل الثقافة، يعرفون جيدا ان البير اديب قد اعطى ، هو ، للثقافة العربية ، ثروة هائلة من النتاج والقيم الادبية والفنية ، تتحدث عنها مجلدات ٢٨ عاما من مجلة « الاديب » وهذه خير ثروة يهبها انسان لوطنه ، ولنفسه.

محمد دكروب

ومواهب غشى فرائدها الثرى ... فاذا بها الماسات عندك تلمع
كم جلسة للشعر اخوانية ... ننسى بها الكدح الشقي ونهجع
ونعيش بالمثل العزيزة لحظة ... سحرية ، لنعود فيها نفجع
والمدعون النبل في نزواتهم ... لا يعلمون بما يرى او يسمع
هم كالنعامة حين تغرز رأسها ... في رملها ، وبوهمها تتقنع
يتخيلون بانهم في نجوة ... من اعين بسنى الحقيقة تسطع
وتثور في وجه الضياء نفوسهم ... اذ تستشف ، وبالصراحة تصفع
يا للغباء ، ايجهلون بانهم ... فقدوا الصفاء، وضيعوا ما ضيعوا
وبأن في زيف القناع وليله ... تخفى الوجوه ، وليس يخفى البرقع

يا باسما للصحب في غصص الاسى ... كيلا يبوح بما تكن الاضلع
ومسلسلا للناس ذوب فؤاده ... فرحا يضيء ونفسه تتقطع
اين الذين مهدت تربة مجدهم ... فتنعموا بثمارها وتمتعوا
ونسوا باغداق النعيم ، معلما ... في زحمة الابواب لا يتسكع
ويروح يزحف والمديح بخوره ... ويظل يصطنع الولاء ويخضع
ليكافئوه بمنصب في مثله ... تشرى الضمائر ، والمواهب تصرع
ولانت من ركل المناصب ثائرا ... في وجه من غصبوا البلاد وروعوا
والخائنون على مسارح غيهم ... كثر .. الى بذل الكرامة نزع

يا زاهدا بالمال ، في العصر الذي ... يحنى الجبين لمالكيه ، ويضرع
ويظل مثل البحر في هيجانه ... يتلقف النهر الصغير ويطمع
لو شئت كالغير الثراء لنلته ... واقمت في النعم السليبة ترتع
لكن ، وانت مهيأ لرسالة ، ... آثرت بالبلغ الشريفة تقنع
وعلمت حين نكن في اعماقنا ... طيب الرسالات التي تتضوع
ان السعادة في عطاء نفوسنا ، ... ونعيمها ما فاض منها ينبع

لي في «الاديب» اذا انتسبت امومة ... اشدو بيوم وفائها وارجع
وهناك ، في دنيا العروبة ، فضلها ... حب له في كل قلب موضع
هي واحة الملهوف ، في صحرائها ... يأوى اليها في الهجير ويهرع
وحروفها للتائهين بليلها ... شعل على قمم الهداية شرع
يمضي الزمان بشامخات قصورها ... وبناؤها الدهري لا يتزعزع

الشويفات ـ لبنان ... فؤاد الخشن

حول تكريم البير اديب

بقلم محمد العيتاني

* * *

لعلك اذا اردت التفكير في وجوه الخير ، ان تفكر بقيم واسماء متعددة : حب الناس والوطن والانسانية ، حب الفن ، وخدمة الادب ، الثبات والدأب ، وخدمة القيم . الاخلاص للحقيقة الجسارة على وهب العمر كله للادب ، اي للناس ، لتقدم الناس . لكنك تستطيع ان تجد كلمة واحدة ، اسما واحدا ، يجمل كل هذه الوجوه الخيرة التي ذكرت ، هناك اسم محبوب من جملة اسماء ، يجمعها كلها في عدسته المضيئة الحارة وهو : البير اديب .

ربما سأجد من يقول لي : طبيعي ان تحبذ تكريم هذا الرجل . فهو احد اساتذتك . وقد كان احد الرواد الاوائل لكل ما اكتشفته واحببته في صباك ، من جميل ، ومهم ، وباق : حب الشعب ، وحب العروبة ، ولبنان ، لبنان ـ الثقافة والشعب ، وحب الفن والادب وغناهما الروحي. والحقيقة ان البير اديب كان مع عمر فاخوري ، وعبد الله العلايلي ونقولا فياض ، والياس ابو شبكة ، وغيرهم من رجال الادب المرموقين ، مشرقين من منبر « الاديب » ، منذ شهورها الاولى ، يضيئون في الاذواق والنفوس كل امكانات الكلمة ـ المشعل ، الكلمة ـ المعول ، الكلمة ـ الصوت المنادي ، الكلمة ـ البقاء .

حقا لقد ابتهجت لتلك الدعوة الكريمة لانصاف البير اديب . ابتهجت لانه احد اساتذتي المربين . لكن هناك في لبنان ، وفي كل قطر عربي عشرات ، بل مئات ، وربما الالوف امثالي ، من المثقفين والادباء والناس العاديين ممن يستجيبون لداعي الوفاء ويقفون ولا شك مثل موقفي ، اذ ان لالبير اديب ايادي لا تحصى على الثقافة العربية الحاضرة . وقد كانت « الاديب » ولا تزال مشتلا لكثير مما نرى من ادواح الادب والفن في دنيا العرب ، واغراسه الشابة . فلا عجب اذا تجاوب كثيرون مع الدعوة لتكريم هذا الانسان المخلص لكرامة الناس ، المثابر على اعطائهم ، من جهده ودمه وربما من غذاء عائلته ، قيم الادب ومجالات الابداع .

هذا رجل ضحى بأشياء كثيرة . بامكانات المناصب والثروة والجاه الدنيوي السريع . وصرف الاعتبار عن مواصفات وتساهلات ربما كانت ستمسه في الصميم كرجل شهم ، لكنها كانت سترفعه ، كما رفعت سواه ، كثيرين سواه ، الى مراتب الثروة والنفوذ والجاه ، ممن تنازلوا امام سلاطين المال وقياصرة الكذب والدجل ، لكن البير اديب كما يعلم الجميع ، فضل الاعتكاف في محراب الادب والخدمة ، فضل العمل الصامت ، الدائب ، المثابر الصابر ، من اجل مجلته « الاديب » التي بقي يمدها من دمائه واحشائه ، زيتا لمصباح الادب ، ومن اجل كل ما نحبه ، ويحبه اللبنانيون والعرب ، من قيم الادب والفن والاخلاق .

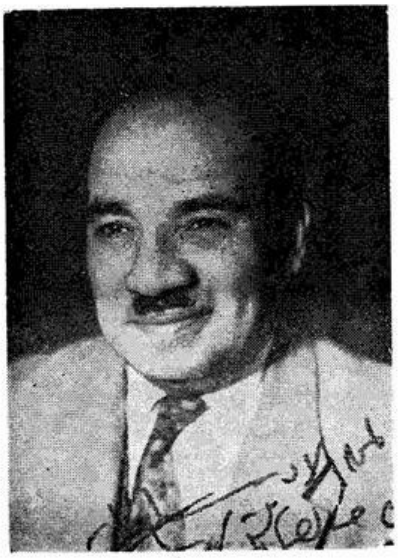
ان الاوساط الادبية التي تتنادى اليوم لتكريم البير اديب على عمله الطويل ، الدائب البطولي ، في اصدار مجلته « الاديب » انما تقوم بعمل موفق ، يلاقي تأييد جميع المثقفين وجميع الفئات الوطنية والثقافية اللبنانية والعربية والمهجرية والاستشراقية ، وكل محب للتفتح الانساني والاتصال بين الشعوب ، وكل متطلع الى استكمال الحياة البشرية بعطاءات الاداب والفنون ، بخدمة « حياة الحياة » كما قال احد الناس معرفا الادب .

ولكن ليسمح لي بقول كلمة صريحة في الموضوع ، اساسا وتفصيلا ، فاذا كان المقصود بالدعوة لتكريم الرجل ، وعمله ، ومجلته ، هو مجرد كتابة مقالات الثناء والاطراء ، ونثر ورود المحبة والتقدير على حضن الاستاذ البير ـ هو شيء جميل بحد ذاته ، ولا خلاف عليه ـ الا ان المعروف ان هذه المهمة قد تحققت في الواقع . اذ ان لالبير اديب ، في قلب كل مثقف لبناني وعربي ، وقلب كل مستشرق يحب تراث العرب ويعمل لجلاء قيمه وتعميق مدلولاته ، ان في قلب كل انسان يهتم بالادب ، اي بتقدم الانسان ، زاوية مضيئة لالبير اديب ، وامثال البير اديب.

المهم هو ان تتمكن الاوساط والشخصيات الداعية لتكريم الرجل من تقديم خدمة حقيقية لرسالته التي ضحى وما زال يضحي بالغالي والرخيص من اجلها ، طوال ثمانية وعشرين عاما ، والمهم هو ان تتمكن هذه الاوساط من لفت نظر الحكومة والدولة الى دعم مؤسسة كمجلة « الاديب » ، ما زالت تصدر بجهود منشئها وحده ، تأكل من طعامه ، وتلبس من ثيابه وتصدر اول كل شهر نشيطة معافاة ، ومنشؤها مجهد متعب ، يعاني ما يعانيه من شظف العيش ، وعذابات الجهد الصامد .

وتجمع الاوساط الادبية في لبنان على ان انصاف مجلة « الاديب » وصاحبها ، بوسائل الانصاف التي تحسنها ، احيانا وزارات التربية والانباء والخارجية ، حينما تريد نحو بعض المجلات والمطبوعات ، سيكون في الوقت نفسه ، توثيقا لعلاقات ثقافية مع عدد لا يحصى من ادباء العرب ، في البلدان العربية الشقيقة ، وفي بلدان المهجر ، داب صاحب مجلة « الاديب » على ممارسة هذا الواجب وحده تقريبا حتى الان ، لتوثيق الروابط الثقافية والادبية ، وكذلك مع الاوساط الاستشراقية التي تعرف مجلة الاديب كما تعرف نفسها واعمالها . وانا لا اطلب

(التتمة على صفحة ٣٨)



انـور الجندي

في يوبيـل مجـلة الاديب

ضوء على الادب العربي المعاصر من خلال ربع قرن

بقلم انـور الجندي

* * *

عندما تحقق مجلة عربية بالمثابرة والصبـر والكفـاح استمرار البقاء ربع قرن يتحتم ان يتحرى الباحثون عن هذه القوة القادرة التي مكنت مثل هذه المجلة على استمرار التفاعل مع الفكر العربي المعاصر في العالم العربي كله . والحق ان مجلة « الاديب » البيروتية مجلة جديرة بالحياة تحمل في تضاعيفها كل عوامل النجاح والبقاء الى عمـر الهلال والعرفان والمقتطف ، وهي أطول المجلات عمرا في الشرق العربي ، وابرز عوامل قدرتها على البقاء ، ذلـك الايمان الواضح ، والاصرار الدائم من صاحبها ومنشئها على الاستمرار والتجويد .

فلقد بزغ فجر الاديب في ظل الحرب العالمية الثانية في اول عام ١٩٤٢ ظهرت قوية ضخمة فـي ٦٤ صفحة كبرى ومنذ ذلك اليوم لم تنقص ان لم تزد هـذا الحجم ، وظلت خلال هذه السنوات محتفظة بذلك الطابع البسيط النفاذ المتمثل في حجمها وغلافها وواجهتها ، وذلك الاطار الحلو يحمل كل شهر حكمة من الشرق او الغرب ، حتى اعتادت عليها عين قارئها ومحبها ، فهي عنده اشبه بخفقة قلب ، تبدو من بين المجلات المختلفـة لا يشبهها شيء ، ومنذ اليوم الاول كانت كلمات « البير اديب » تدل علـى ارادة مصممة على العمل . « لقد راينا الحاجة ماسة الى سد ما يحسبب بحق فراغا فـي مكتبة الاديب العربي ، فالهمنا ان نساهم بمجلة نطمع ان تكـون معرضـا للانتاج الفني والادبي والعلمي ، ثم لا تلبث ان تصير همزة الوصل بين اقطاب الفكر الحر فـي الاقطار العربية جميعا » . ومضت اعداد المجلة تصدر تحمل اسماء اعلام كتاب الادب العربي في لبنان : عمر فاخوري ، صلاح الاسير ، الياس ابو شبكة ، الدكتور زكـي المحاسني ، ود'د سكاكيني ، فلك طرزي ، كرم ملحم كرم .

ومنذ العدد الثاني بدت الكلمة المرشوقة على الصدر كالوسام تستوحي الادب العربي فهي لابن المقفع « حـق على العاقل ان يتخذ مرآتين فينظر فـي احداهما الى مساوىء نفسه فيتصاغر بها ويصلح ما استطاع وينظـر من الاخرى في محاسن الناس فيجليها بهـا ويأخذ مـا استطاع منها » .

وقد حملت مجلة الاديب منـذ اليوم الاول شرارة الفنون الادبية المختلفة : الشعر والقصة والمقـال الادبي ، وجعلت للفن مكانا واضحا في نقده ودراساته ومعارضه ، وحلت جيدها بالصور الفنية والكاريكاتورية فـي اغلب صفحاتها وارفدت موضوعاتها بتلك الثريات الفنية التي لم تلبث ان اغضت عنها فـي الاعـوام التاليـة ، ومضت « الاديب » تنمو والحرب العالمية تـزداد عنفا ، وقاست ازمتها الاولى ولكن البير اديب صمد للمحنـة ، واستطاع ان يستمر بعزم وقوة ، وقال في مستهل عامهـا الثالث « انها اعجوبة ان يثابر « الاديب » على الصدور وفي كـل مطلع شهر وهو دائب على التجديد والتحسين غير مبـال بشتى العراقيل المادية وغير المادية » . وفي العام الثالث بدأت « الاديب » توسع افاقها فلا تكتفي بكتـاب لبنان ، وانما تنطلق في افاق العالم العربي ، العراق ، وفلسطين ، والاردن ، ومن مصر نرى منصور فهمي وتوفيق الحكيم ، بل نرى في باب الكتب نقدا لكتاب « حياة مـي » للاستاذ محمد عبد الغني حسن في المجلد الاول (نيسان ١٩٤٢) مما يدل على يقظة هذا الباحث العربي ، فلعله اول مـن اتصل بها من القاهرة ، وقد كان عبد الغني منذ سنوات طويلة ولا يزال مرجعا هاما في الدوريات وابحـاث الكتب قديمها وحديثها ، اما في عام ١٩٤٤ فقد اتسع نطـاق كتاب الاديب من القاهرة حيث نرى بنت الشاطىء فـي القرية المهجورة ، ومحمود تيمور فـي انتاجنا القصصي ، وطه حسين في رسائل لبنانية وهو فصل من كتاب لـم ينشر حتى الان ، وتوفيق الحكيم والمازني فـي افتتاحية (نوار ١٩٤٤) وحبيب زحلاوي ، ونرى نقدا لعبد اللـه العلايلي لقصة توفيق الحكيم زهرة العمر ، فاذا ما اهـل عام ١٩٤٥ وقد تخفف العالم من الحرب العالمية الثانيـة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توسع نطاقها ونشر فيها أحمد امين وعبد الرحمن بدوي وعبد الوهاب عزام وجميلة العلايلي وبشر فارس ووديع فلسطين وعبد المعطي المسيري وعلي محمود طه ، وفي عام ١٩٤٧ بدا اول قلم من المغرب يكتب في الاديب ، هو الدكتور ابو مدين الشافعي الجزائري الاصل ، ومحمد جواد الجزائري ، وما زال كتاب من كل انحاء العالم العربي يضيفون اسماءهم الى كتاب الاديب ، وما زال كتاب مصر يوالون الاديب سنة بعد سنة ، وعددا بعد عدد .

وما زالت مجلة الاديب توسع افاقها وتعمق خطوطها العامة في خدمة الفكر العربي والقومية العربية والادب والشعر ، ومختلف ابواب الدراسات ، فقد اولت باب الكتب ومكتبة الاديب اهتمامها منذ العام الاول ثم توسعت فيه فهي منذ برزت تقدم اكثر من سبعين كتابا في العام وتفسح للادباء مناجاتهم ومساجلاتهم فلا تقل رسائلهم في العام عن مائة رسالة ، وقد عنيت بالمناسبات التاريخية فاحيت كل ذكرى ، واخرجت عددا خاصا في الذكرى الالفية على مولد المعري ونشرت كتابا مستقلا واقامت مباراة عامة .

ولم تدع مناسبة او كاتبا قضى الا وتناولته بدراسات باقلام كتابها المتعددين ، وهؤلاء الذين انطووا في هذه الفترة (١٩٤٢ — ١٩٦٥) امثال هدى شعراوي وخليل مطران ونقولا حداد ، وبشر فارس ، وايليا ابو ماضي ، ومحمد علي الحوماني ، وخليل السكاكيني ، وابراهيم طوقان ، والعقاد والمازني وشكيب ارسلان والدكتور مندور ، وفارس الخوري وعمر فاخوري ، وامين الريحاني قد نشرت آثارهم وكتب عنهم كما كتب عن غيرهم ممن سبقوا من الادباء المعاصرين امثال ابراهيم اليازجي وفرح انطون وغيرهما ، وفي مجال الدراسات العربية والاسلامية نجد حشدا هائلا من الابحاث في مجال الموسيقى الشرقية والادب المهجري والرمزية والفلسفة العربية الاسلامية والوجودية والتصوير الاسلامي وعشرات من القضايا والابحاث حتى ليمكن القول بأن الباحث في الادب العربي لا يستطيع ان يتجاوز مجلة الاديب ، ونفس القول يمكن ان يقال في مجال الاحصاء والاستعراض للكتاب والشعراء في العالم العربي فما من اسم من الاسماء يمكن ان يرد على الخاطر في الشرق العربي الا وقد كتب في مجلة الاديب ، اما في المغرب فقد كتب بها عنه قليل في مقدمتهم عبد الكريم غلاب .

ومن العالم الاسلامي كتب ايضا عواد مجيد الاعظمي (الباكستان) وعبد الله بن نوح (اندونيسيا) . اما الكاتبات فان اسماءهن جميعا قد تجاوبت على صفحات الاديب : ماهرة النقشبندي ، واحسان الملائكة ، ونازك الملائكة ، وغادة الحجاوي وسميرة عزام وعشرات .

واذا كانت هناك مدالية تعطى في هذه المناسبة فانما يستحقها امثال وديع فلسطين وعبد الغني حسن والدكتور المحاسني ووداد سكاكيني وعيسى الناعوري وقدري قلعجي ، هؤلاء الذين كتبوا منذ السنوات الاولى ، وما زالوا يوالون الكتابة ، ولقد برزت في السنوات العشر الاخيرة اسماء ما زالت تواصل الكتابة في قوة واستمرار امثال محمد رجب البيومي وابو طالب زيان ومبارك ابراهيم ، وقد مضت الاديب في مجال الشعر على اوسع نطاق حتى يمكن ان يقال انها كانت ديوان العرب فيه ، وفي مجال التراجم والنقد والتعريف بالكتب والادب العربي القديم في عشرات عن ابن خلدون والجاحظ والمعري والغزالي ، اما اعلام الادب الغربي فقد كان لهم مجال واسع .

ومما يذكر ان رجلين نبغا في الاديب وانشأا مجلات من بعد ، اولهما الدكتور سهيل ادريس الذي ساير المجلة منذ اليوم الاول وحرر عددا من الابواب اهمها باب الكتب وقدم عشرات من الكتب في نقد واشارات واعية ، وعيسى الناعوري صاحب مجلة القلم الاردنية المحتجبة ، وما زال صاحبها يواصل الكتابة في الاديب الى اليوم ، ولا ننسى الدكتور زكي ابو شادي الذي راسل المجلة من مهجره في امريكا حتى وفاته اما عبد الكريم غلاب رئيس تحرير جريدة العلم المغربية الزاهرة فقد كان من اوائل كتاب المغرب اتصالا بالاديب في المشرق فقد نشر له عام ١٩٥١ مقالا عن الادب والانتاج والسكان . وقد عنى بالكتابة في الاديب ادباء من مصر كيوسف الشاروني ومصطفى السحرتي وعبد العزيز سيد الاهل وعبد المنعم خفاجي ، كما اتيح لسميي « انور الجندي » الشاعر السوري ان يسبقني الى الاتصال بالاديب .

اما الدكتور منصور فهمي فقد كان من اوائل المعاصرين الذين نشرت كلماتهم في الاطار الرئيسي للمجلة « تشرين الثاني ١٩٤٣ » وهذه هي « لا تتعصبوا للقديم فينسيكم فضل الجديد ، ولا تتعصبوا للجديد فتأخذوه بترابه وتبره ، وانتم تحسبون ترابه تبرا ، فاذا دعوناكم الى اقتباس بعض النظم الغربية التي يضطرنا اليها تنازع البقاء ، ولا تنافي جمال ماضينا فذلك لاننا نريد ان نسلحكم بسلاح تقفون فيه اقوياء بجانب القوي » .

اما الاستاذ وديع فلسطين الذي واكب الاديب خلال سنواته الطويلة فقد كان اول مقال له عن كتاب (ابو حنيفة لعبد الحليم الجندي) عام ١٩٤٥ ، وفي نفس العدد حديثه الفائز بالجائزة الاولى من محطة الشرق الادنى بيافا وفلسطين ، وفيه يقول « لقد بلغ نضج الشرق الفكري والثقافي مرتبة اصبح لا يقنع فيها بكتب تافهة تصدرها المطابع لاصحاب الاسماء الضخمة ، وان ركب الحضارة سبقنا بقرون ، لا يعلم أحد متى نستطيع ان نلحق به او نختصر الشقة بيننا وبينه ، فالمكتبة العربية اصبحت اليوم اكثر من اي وقت مضى في مسيس الحاجة الى موسوعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لشتى المعارف لا تقل اتقانا وشمولا عن دائرة المعارف البريطانية » .

تلك كانت دعوة وديع فلسطين منذ عشرين عاما ، ومن عجب أن يصدر هذا العدد بعد ان تحقق لوديع المشاركة في انشاء (الموسوعة العربية) وله فيها فصل « الصحافة في العالم العربي » .

واذا كان وديع فلسطين قد مر في هذا العام بازمة نفسية صرفته مؤقتا عن مجال الادب والفكر فانه لا بد عائد مرة اخرى الى مكانه المرموق ، كأحد الكتاب النوابغ في الادب العربي المعاصر وله خبرته وتجاربه الواسعة في مجال الدراسات العربية والغربية ، وفي مجال التأليف والترجمة ، فنحن نحييه هنا من نافذة يوبيل الاديب ، كما نحيي الاستاذ الكبير محمد علي الطاهر الذي كان وما يزال صاحب الدعوة بالسبق الى تقدير العاملين ، وهو الذي لفت الانظار الى اقتراب عيد الاديب فدفعنا الى البحث والعمل لنشارك في عيد هذه المجلة الرائدة التي كانت مجالا لابحاث كل كاتب نابغ وصاحب فكر .

ويمكن ان اذكر بهذه المناسبة (باب برقيات ادبية) هذا الباب الناجح الحافل الذي بدأته الاديب ١٩٤٤ ، فاذا دخلنا ميدان الاحصاء أمكننا أن نقول ان مجلة الاديب الزاهرة قد قدمت ما لا يقل عن ١٦ الف صفحة في هذا الربع قرن واكثر من الف وخمسمائة مقال .

واذا كان لنا ان نحيي الدكتور سهيل ادريس بوصفه من اوائل كتاب الاديب ذكرنا اول قصة نشرها « الثوب الممزق » اب ١٩٤٢ وكوخ جبلي (تشرين اول ١٩٤٢) واين مكانهما الان في مجموعاته القصصية .

ولا ننسى ان نذكر ان « عبد العزيز احمد » كان من كتاب العام الاول في الاديب حيث كان وهو المصري يعمل مديرا للكلية الشرعية في بيروت ، ونذكر « أحمد راسم » وهو يكتب عام ١٩٤٢ الى الاديب من السويس لينشر ما عرف به من شعر منثور بالفرنسية والعربية وقصيدته « هل اعرف يوما » .

ولا انسى فصول المسرح والفن والفلسفة والتربية والتعليم في خلال هذا الربع قرن .

وبعد فهذه نظرات سريعة من مجلة الاديب في مجلداتها الخمسة والعشرين ، تحاول ان تلقي الضوء على الاوليات والخطوط العامة التي بدأت في ظل هذه المجلة ، التي يمكن ان تضاف كمرجع اساسي للادب العربي المعاصر ، لا يمكن لباحث ان يتخطاها ، واذا سجلنا هذا فان الامر الذي هو جدير بالنظر والتقدير انما هو « البير اديب » نفسه ، هذا المجاهد الذي ظل مختفيا وراء هذه الصفحات المؤلفة سنوات طويلة يعمل في صمت ، دون ان يعلن عن نفسه ، او يمهر افتتاحيات مجلته ، فقد تكشف عن نفسه في استحياء في العام الاول والثاني ، ثم عاود الاختفاء ، ولم يظهر له في هذه الفترة غير ديوانه الشعري (لمن ؟) عام ١٩٥٢ وكفى . .

هذا الرائد جدير بأن يكشف النقاب عن مضمونه ومفاهيمه ، فلا شك ان الرجل الذي استطاع ان يعمل خلال ربع قرن من زهرة عمره ، مواصلا قيادة مركبه في البحر اللجي ، تصادفه العواصف والاعاصير فلا يطوى شراعه ، ولا يجنح الى الشاطىء ، حقا ، لهو انسان ممتاز قوي الخلق ، له عزيمة بالغة الاصرار ، ومن عجب ان الرجل الذي تعالت صيحاته في السنوات الاولى خوفا من التوقف قد استطاع ان يشق مجراه ويعمقه ، ويحتمل الازمات ويواجهها في قوة ليمضي في الطريق .

ولست ابعد كثيرا عندما اجد في كتابات « البير اديب » ما يكشف عن هذه الشخصية يقول « ان المجد على مختلف انواعه ينحصر في النجاح ، النجاح الذي يحرزه المرء بسعيه ودأبه ، وضروب المجد متعددة فلكل صناعة او حرفة مجدها ، ومن خطل الرأي التوكل على الصدف او الظروف في احراز النجاح ، فالصدف تساعد ، وتؤتي ولكنها لا توجد شيئا من لا شيء ، والنجاح هو ثمرة السعي والدأب والاخلاص ، وليس هذا النجاح وليد يوم بل هو نتيجة المثابرة على التجويد بعزيمة ثابتة ومحبة خالصة تسهلان المصاعب وتمهدان الطرق ولهذا فنحن لا نيأس لفشل ، ولا نقف عند صدمة ، ولكن نعيد الكرة مرة بعد مرة » .

حقا ، هذه المعاني تعطي سر الرجل ، فهذه كلماته نشرها منذ اكثر من عشرين عاما ما تزال ترسم حياة البير اديب في ارادته وقوته واصراره على العمل ، وهو لا يؤمن بالارادة من غير كفاية ، بل لا بد من الكفاح ، « الكفاية جوهر واساس ولكنها ليست كل شيء ، اذ هناك فضائل اخرى ينبغي ان يتحلى المرء بها ، الناس على اختلاف طبقاتهم وامزجتهم مسوقون بحب البقاء على ترك اثر في الحياة وكلما عظمت هذه المحبة كانت ادعى الى شرف النفس ونبل المقصد » .

ومن خلال كلمات نثرية لالبير تتكشف ثقافته ومفاهيمه فهو يؤمن « بان الشعور الكوني لا يتنافى والشعور الوطني ، بل يزيده قوة اذ يزيده انسانية ، فمتى ادرك امرؤ ما هو مدين به نحو غيره انصف » وعنده « ان الاقساط بالعدل هو اشرف المزايا التي يتحلى بها المجتمع البشري » .

وعنده انه « لا بد لانهاض الامم وتهذيبها من الفكر والعمل ، الفكر مبدع الفن والجمال والحكمة يتجلى ذلك في بناة الاهرام ورافعي الاكروبول ، ومن اعلى قباب الحمراء رمزا للايمان ومن شدا بالالياذة واوحى بالمرسيز ، فالعمل خالق المثل هو الذي نفح القوة والرجاء في نفوس الرسل والشهداء والجنود وعظماء القواد من بابار الى نابليون ، ومن طارق بن زياد الى الاسكندر وهو ايضا اعطى العالم ابطال الايمان والرحمة والمحبة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ناسك الفكر

فوزي عطوي

★

يا ناسك الفكر دع شكواك وابتسم ... في مهرجانك ضج الحرف في القلم
ولا يطوف بـه داج مـن الظلـم ... العيـد عيـدك ، لا الاشجان تقلقـه
لكـن بقيت لهـا نـارا عـلى علـم ... حجبت نفسك عـن دنيا زهدت بهـا
وصفق المجـد للفصحى بكـل فـم ... علـى يديك اقـام الفكـر دولتـه
لكنت انت مثـال النبـل والشيم ... لـو جسد النبل والاخلاق في رجل

اقـام للراي محرابـا مـن القـدم ... يا ناسك الفكر ، مـا للفكر في وطن
ولا تـرنـم لـلاداب والقيـم ... مـا للعنادل لا تشدو علـى غصن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه هي كلمات « البير اديب » من ربع قرن تكشف عن ايمانه بالدعوة الانسانية التي لا تنافي الدعوة الوطنيـة ولا القومية ولكن تزيدها عمقا وخصوبة .

وفي مفاهيم البير اديب للفكر والادب يتجلى منهجه في مجلته الزاهرة ـ على حـد تعبيره « تكافـح الاديب الابتذال التي تروج له الصحافة الخفيفة بشتى وسائـل الاغراء ، وتكافح العدوان الذي يرمي به العرب عن طريق الفكر ، تتلمس الادب الرفيع والثقافة العالية فتقدمها في ضوء عقيدة استقلالية حرة ، وايمان عربـي اصيل » .

فاذا تطلعنا الى ان نكشف عن شخصية البير اديب وجدنا اعرف الناس به يصوروه على هذا النحو « صريح فيمـا يتحدث اليك من تحليل علمـي او ادبي ، وصريح فيمـا ينسق ويفصل في صحيفة ، صريح واضح كـل الوضوح فيما يبحث من اثار الكتاب والشعراء ، ثم هو صريح بعد ذلك كله فيما يأكل ويلبس ويشرب ، لا غموض في حياته مع الناس ، ولا لبس في عيشه ، يسهم في كل مـا يدور حوله الا فيما يشعر او يكتب فهـو لين الخطط ويحبر المناهج ويشرع القوانين » .

فاذا تعمقنا حياته الخاصة وجدنا « ابا ندى » انسانا حيا يكتب الى احد اصدقائه في احدى رسائله بعد زواجه يقول :

« اخترت كاميل وانا لا اعرفها في سن الثلاثين ، قل ان للقدر نصيبا في حياتنا يفعل مـا يشاء ، ان زوجي مثلي ، وكأنها عملت لان تكون لي وصنعت لان اكون لها » وليس البير اديب صاحب مجلة فقط ، وليس هو بشاعر فقط له ديوان « لمن ؟ » الذي اثار ضجة كبـرى ونقـدا وسخطا واعجابا ، وليس هو صحفي ، وليس هو كاتب له نظرات عميقة في كلمات : الضمير . الربيع . المعلم الاول . الزعامة الحقة ... ولكنه هو ذلك كله وهو الى هذا كلـه مجرب محنك وخبير بالحياة . يقول : « رايت كثيـرا وعشت كثيرا وانغمست في صميم الحياة ، فخبرتها على اشكالها والوانها المتعددة وتذوقت حلوها وذقت مرها » .

ونحن في هذه اللحظات ندعو له بمزيد مـن العيش والسعادة والهناء ، ولكلماته ذيوعا ، ولمجلتـه ازدهـارا ، وهذه ليست دراسة وانما هي تحية متواضعة في عيـد الاديب وصاحب الاديب .

جريدة « العلم » بالرباط — انور الجندي ـ القاهرة

أأصبح الروض للغربان تندبه ... فيخرس العطر في زهر وفي نسم
سل العروبة ، هل طابت مشاربها ... لولا غناء العلى في ثغر مبتسم
وسائل الارز ، هل قامت قداسته ... لو ان قدسية الاقلام لم تقم
لبنان لم يغبط الدنيا على نسب ... فقد نمانا الى فضل ، اليه نمي
وعصمة الارز ، في الجلى ، عروبته ... أنعم بمعتصم ، في خير معتصم
ويا عروبة ، يا مهوى جوارحنا ... غير العروبة لم نالف ولم نرم
هذا ، « أديبك » للسارين فيض سنا ... والحيارى هدى في ليلك الجهم
فالاديب يد في كل مكرمة ... اذا تناءت دروب الود والكرم
والاديب يد في وصل ما قطعت ... يد السياسة من قربى ومن رحم

يا ناسك الفكر ، لو خيرت في قسم ... لكنك أدركت ما يرضيك من قسم
لم تقبل المجد في آل وفي حشم ... المجد مجدك ، دون الآل والحشم
ثالوث عمرك أوراد مطيبة ... ((كميل))خلق،((ندى))نبل،((هدى))حلم
من كان يفخر في مال وفي رتب ... فانت فخرك في علم ، وفي شمم
هذا يراعك لم يزحف لمنتصر ... ولا تشفى على حقد ، بمنهزم
ان يغضب الحق يغضب، غير منخذل ... وان يهم ، فبغير الحق لم يهم
وكم نثرت ، فلم تنثر سوى درر ... وكم نظمت ، فلم تنظم سوى حكم
لم تالف الشعر الفاظا محنطة ، ... فجاء شعرك طلقا ، رائع النغم
من يحسب الشعر اوزانا وقافية ... فقد تنكر للبشرى وللالم
الشعر همسة وجدان موسقة ... وبوح قلب بحب الحب مضطرم

يا ناسك الفكر ما رجعت خاطرة ... الا ترجع رأي مترف الكلم
نزهت نفسك عن مدح وعن زيف ... فكنت اكبر من شك ومن تهم
اباء خلقك لم يخضع لمنتدب ... وماء وجهك لم يسفح على صنم
وما بخلت بضوء الناظرين ، بلا ... من ، ولا رهبة من موجع السقم
فتحت صدرك للدنيا بلا حذر ... من لم يحاذر يغص في لجة الندم
يا طيب الروح ، كم راعيت من قزم ... المارد الفذ لا يقسو على القزم
وكم رعيت عقولا أنت رائدها ... وكم صنعت سويا كان في العدم
وكم ظننت هزارا صادحا غردا ... وكم صدمت ببوم حن للرخم
يا من يبث عقوق الناس مغفرة ... طوباك طوباك ، لم تحقد ولم تلم
ما كان قلبك الا في الدجى قبسا ... يشف عن شمم ينجاب عن شمم
كالنسر عشت عزيز النفس ، ممتنعا ... تروح من قمم تسعى الى قمم
لله درك ما انداك من بطل ... قسمت عمرك بين الحبر والقلم

فوزي عطوي



الشيخ طه الولي

البير اديب

بقلم الشيخ طه الولي

* * *

البير اديب ، الكاتب ، الناثر ، الشاعر ، صاحب المجلة الادبية الاولى في العالم العربي من مرمى الموج على الشاطىء الغربي من المغرب الى ملتقى النهرين في شط العرب من المشرق .

وصاحب الصفحات المشرقة التي طالما ارتاحت العيون لقراءتها شهرا في اثر شهر ، وهي تحمل على متنها وبين دفتيها روائع الموضوعات لاعلام الكتاب بين طرفي دنيا العرب في كل فن من فنون اللغة والعلم والتاريخ وغير ذلك من الوان الثقافة والشعر والتحقيق .

البير اديب هو نفسه موضوع كلمتي هذه ، وهو نفسه عنوان لها ، وهو نفسه كذلك غايتها وخلاصة القول فيها .

فانا قد اخترته ليكون وسيلتي الناصعة ، للتعبير عن ايماني الاكيد بأن الكلم الطيب والعمل الصالح والجهد المخلص ، كل اولئك ، طال الوقت ام قصر ، اثر خالد لمن يصدر عنهم . وخليق بمن تتوفر فيه هذه الاقانيم الثلاثة من أسباب النجاح والفلاح ان يكون بين قومه حيث يتواتر له حمدهم ويتضاعف ثناؤهم وتتقاصر عن النيل منه نزوات الحقد او تطاله عوامل الجحود والعفاء .

لقد اصبح اسم البير اديب بالفعل دولة بين اقلام الكتاب العرب وغيرهم من المعنيين بالاقبال على الادب العربي من كل جنس ومن كل لون طوال ربع قرن من عمر الدهر المديد ، وليس بين هؤلاء واولئك من لم يغمس ريشته بالكتابة اليه او يرسل شباة قلمه بالكتابة عنه ، سواء في مقالة ادبية افرغ فيها فكرة او رسالة شخصية ازجى عبر سطورها حبه ، حتى اصبح صاحب مجلة « الاديب » او كاد ، محورا يدور حول قطبه نشاط اهل الادب الذين وجدوا في ذاته ورحاب دوريته منطلقا يصدرون عنه فيما يقدمونه للقارىء الثقيف من عصارة اذهانهم او خلاصة دراساتهم ولا يكاد واحد من الذين عرفتهم محافل العلم وندوات المعرفة في اقطار العروبة ، قاصيها ودانيها ، الا وقد اتخذ من مجلة « الاديب » منبرا مستشرقا يرقى سنامه العالي للادلاء بما عنده من الوان الثقافة وفنونها ، ثم يكون على مثل اليقين بأن هذا المنبر العالي ، هو المكان الافضل والاكرم ، للاتصال بسدنة الكلام الجيد والمعنى الجميل والمادة الغزيرة والمنطق الرصين ما بين نثر اللغة العربية وشعرها .

فلقد استطاع البير اديب ان يجعل من مجلته « الاديب » ندوة دورية تنعقد على صفحاتها الانيقة الوية زاهية متشحة بأفكار النخبة من رواد الكتابة المحكمة في اللغة العربية مضفرة بأكاليل التفوق والامتياز تحت عناوين الموضوعات الشيقة التي تعتبر عن جدارة واستحقاق ، مادة الادب المعاصر في العالم العربي من اقصاه الى اقصاه .

وعلى الرغم من ان الصحافة الادبية في دنيا العرب قد استدرجتها ، من هنا وهناك ، اهواء السياسات المتناقضة الى مزالقها الملتوية ، طائعة تارة وراغمة تارة ثانية ، فان مجلة « الاديب » حصنت نفسها بعصم الالتزام العلمي المجرد وبقيت محافظة على سمعتها الفكرية التي رسمتها شخصية صاحبها الفذة ، واستطاعت أن تتجافى عن هذه المزالق بحذر وتؤدة ويقظة ، واستمرت آخذة نفسها بعيدة عن كل ما يبعدها عن رسالتها الادبية لتبقى من دفتها الى دفتها ، خالصة من شوائب النزعات السياسية والشخصية والحزبية من اي لون ومن اي اتجاه . ولقد أتاح لها هذا النهج السليم ان تحيط نفسها بسياج مكين من التقدير والاحترام لدى مختلف الفرقاء ما بين شاخص الى اليسار او جامح الى اليمين حتى تيسر لها ، عن طريق الرفق والاناة الوصول الى غايتها من اشاعة الجهد الادبي الصرف ، واحتماله دون حرج ولا ضيق ، الى كل زاوية من زوايا البلاد العربية ليكون في متناول اكبر عدد من الادباء والمتأدبين من قراء لغة القرآن الكريم .

واذ يتداعى سدنة الكلمة العربية المختارة الى اداء قسطهم من واجب الوفاء نحو الرجل الذي جعل مجلة « الاديب » حرما آمنا لهذه الكلمة في نثرها المتانق الطليق وشعرها المتفتح الموزون ، اذ يتداعى هؤلاء الكرام من اهل الفكر والعلم والثقافة الرفيعة . فاني اهتبل هذه الفرصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاجعل قلمي المتواضع في موكبهم واضم نفسي الى رعيلهم لعلني اشاطرهم نشوة الفخر باداء هذا الحق الذي وجب لصاحب « الاديب » في عنق محبيه وقادري فضله من الذين وردوا منهله العذب مطلع كل شهر طوال خمسة وعشرين عاما دون ان يتأخر عنهم يوما او يحجب دونهم عددا ، حتى لكأن « اديبه » على موعد مع دورة الزمن شهرا بشهر ، فهو جزء من هذا الفلك الدوار الذي لا يخطىء الناس في ليل ولا نهار .

ان دعوة الضمير الادبي التي انطلقت لتكريم البير اديب بمناسبة ربع القرن الذي تعاقبت سنوه على ظهور مجلته « الاديب » متواترة متوالية منتظمة ، ان هذه الدعوة قد جاءت وكأنها على ميعاد مع الجاهلية الخلقية التي انشبت نقائصها في تقاليد المجتمع العربي هذه الايام ، وعملت فيه تحطيما وتشويها حتى عيبت منه ذلك الوجه القديم الذي كان يتحلى بوسائج القربى بين اهل الوسط المشترك ، لا سيما حينما يكون هؤلاء حملة مشاعل الثقافة والمعرفة في بلدهم .

لقد ادركنا من بني قومنا طائفة من العلماء تخضرموا بين اواخر القرن الماضي واوائل القرن الذي نحن فيه فوجدناهم على مثل قلب رجل واحد في تبادل الاحترام والمودة والتواصل ، يتعاقرون فيما بينهم اصائل المناقب الحميدة ، وقد تنزهت اقلامهم عن التنابذ بالالقاب وعفت السنتهم عن التصدي للسباب واذا فرقت افكارهم الخاصة وجهة نظرهم في مناكب الموضوعات التي يتناولونها بالدرس والتمحيص والتحقيق ، جمعهم لواء العلم على اعطاء كل ذي حق منهم حقه بالفضل وحرصوا على ان يحصروا خصوماتهم الفكرية في حدود المناظرة المهذبة والمناقشة الهادئة دون ان يستفزهم الاعتداد بالرأي الى بخس بعضهم بعضا في مكانتهم او كرامتهم .

بيد ان هذا الجيل من الناس مالت شمس وجوده الى افق المغيب ، ولم يبق منه الا بقايا معدودة هي اقرب الى التذكارات الآفلة منها الى الوقائع الحالة ، واصبحنا في خلف كان الشاعر العربي عناهم حينما قال :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

الى ان كانت بادرة التكريم التي ارتفعت بها عقائر المنادين بشعائر الوفاء لمجلة « الاديب » وصاحبها فاضاءت نفوسنا بشعاع الامل في انه ما يزال في السويداء رجال تجري في صدورهم دماء النخوات القديمة ، وتعتلج في اعطافهم شمائل المروءات العريقة ، فقلنا حمدا لله وشكرا ، وذكرنا قول النبي العربي الكريم صلوات الله عليه :

« ما يزال الخير في وفي امتي الى يوم القيامة » .

وهكذا فانه من خلال الاستاذ البير اديب ومجلته الرائدة شق الامل وميضه المضيء بأن :

من يصنع الخير لا يعدم جوائز لا يذهب العرف بين الله والناس

وادركنا بأن الليالي التي شهدها هذا العصامي الفريد ، من غير ان تغفل عيناه حماهما الله ، على مجلته ورسالته قد انبلج صبحها المشرق عن دعوة الوفاء له ، والاعتراف بجهوده ، واتخاذه نبراسا يسير بنوره العاملون من اجل العربية وخلودها تحت كل سماء وفوق كل ارض.

لقد عاشت « الاديب » ، وهي تخفق بأجنحة المعرفة الناضجة والاخراج الكامل والعقل الموهوب .. متنقلة ابدا فوق القمم ، محتفظة برزانتها ومقامها واثرها ، دون ان تكبو بانطلاقتها الوثابة لازمات العابرة ، وهي ازمات كان بعضها مما ينوء به العصبة اولوالقوة من الرجال.

وكانت « الاديب » عبر هذا الزمن المديد ، حافزا مباشرا وغير مباشر لظهور العديد من المجلات الادبية ، لا سيما ببيروت ، وهي مجلات اتخذت من « الاديب » وصاحبها المؤسس ، نموذجا تتأساه لارضاء ذوق القارىء العربي واشباع نهمه الى الثقافة المتنوعة والجذابة والمفيدة .

وفوق هذا وذاك فان « الاديب » قد استحالت في نظر كتابها وقرائها رابطة فكرية تشد بعضهم الى بعض ، بصلة من رحم الادب فاصبحوا بفضلها وكأنهم ابناء عائلة واحدة تتوزعهم اقطار العروبة ما بين مشرقها ومغربها ، الا انهم يتلاقون الواحد مع الاخر على متون صفحاتها الغراء ، من خلال ما يتبادلونه من الرسائل الاخوانية ، حتى اذا سنحت لهم الفرص المناسبة وقدموا الى بيروت لشأن او لآخر ، دلفوا بذواتهم الى « دار الاديب » في محلة راس النبع ، لينعموا بعد الرهق ، برغد الانس جنبا الى جنب ، متقابلين على ارائك صاحب الدار الذي يجمعهم نظامه الرفيق على لطفه الذي لا مزيد عليه ويتحفهم بأدبه الذي لا تشد الرحال الا اليه .

فانعم « بالاديب » مجلة رائدة ، كملت مادتها وجملت ادواتها ، وانعم بالبير اديب استاذا وصديقا وحبيبا ، وانعم بالساعين الى الوفاء للجميل ، اسوة حسنة للذين يحبون ، بتكريمهم « للاديب » صاحبها المؤسس ، ان يقدموا لاهل الحجى من سدنة الفكر وارباب النهي حاملي الاقلام المشرعة في خدمة التراث الثقافي للامة العربية ، ماضيها وحاضرها ، ان يقولوا لهؤلاء تفسيرا عمليا لقول الله عز وجل في محكم آيه الكريم :

« هل جزاء الاحسان الا الاحسان » .

اما بعد ، فلست في هذه العجالة ، ممن يطمعون باداء ما للاستاذ « البير اديب » من حقوق متراكمة في ذمم الوفاء ، ولكنها كلمات جاشت معانيها في النفس فاطلقتها من شباة قلبي المتواضع ، لعلي اجد مكانا يجمعني مع النفر الكرام الذين كان لهم فضل السبق الى اداء قسطهم من هذه الحقوق .

على انني اختم هذه الكلمات بالدعاء الى الله عز وجل ان يكلأ الصديق الابر بنعمة الصحة الوافرة وان يبارك له في عمره ، ليبقى ممسكا ببراعه وبيانه وجنانه ، رسالة الادب في مجلته الزاهرة « الاديب » لتبقى في ميدان كفاحها عروة وثقى من الانطلاق الذهني الذي ياخذ الامم في دروب الحضارة المزدهرة والخلود الاثيل .

طه الولي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما أروع المعتكف الذي لزمته

بقلم انطون قـازان

* * *



انطون قـازان

احتوتني ، على ندرة حالها ، شهوة الافصاح عما يخالج الخاطر الذاكر .

فسلام عليك ، من قريب اليك ، افتره الداء ، فغاب عن يوم الوفاء بالحرمات اللازمة .

على أن ما في البال يقال على تراخي الزمن .

لله انت في اطواء نفسك ، ما أوسع العفة تملأ منازعها ، وأعمق الصدق يضرب في مداخلها !

تنكبت عن طريق المترفين ، وسلكت نفسك في ملاك العاملين ، فكان لك المكان الصدر في ساحة الجلد المعطاء والمعاناة المثمرة .

اشحت وجهك عن الوصولية ، وأحصنت نفسك بالكفاف ، فسبيلك في العيش سبيل الزاهد ، وسبل العيش تعويد .

ما أروع المعتكف الذي لزمته ، ترهف سمعك لاصوات بعيدة ، وتستغرق في التحبير الطويل ، فتخدر الهم بالنشوة العلوية .

اخالك مأخوذا بحال من العبادة وانت قائم بالقلم الحر تولم وليمتك الشهرية لتمتع الناس بما يمتعك .

فيا اخا اليد الغازلة ، وصنو النحلة العاسلة ، ما أنت بالعجلان لنيل مثوبة ، وقد رصدت لما انت ناعم به شبابا وكهولة .

تشوفت عينك الى ابعد مما ينزعون ، فمنطلق طموحك حد الريشة ، ومنتهى غايتك زهو الرقاع .

كثرت حباتك في السنبلة ، فكان الله في عون الساق الحاملة .

احتشدت « لاديبك » تطعمها من نور عينيك ، لتغدو مثابة للادباء .

تجردت نفسك فيها ، وانقطع همك اليها ، في انكباب عجب ، يعيد الى الراي وجه الصدور الاولين ..

مازجتها ، حتى يوم ألح الداء عليك ، ما انقطعت الفة بينك وبينها ، ولا انصرمت جمعة .

ان ولعك بها مزج من القلق والرضى ، والتعب والرجاء ، انها الرسالة والشغف بالرسالة .

لقد عرفت ان أجزل ما يقدم الى الناس بعض من القلب ، وبعض من العقل ، فسخوت بهما معا .

ما غاب عنك اعتدال وانت في أبان جمحاتك ، فالكلمة حدود ، وفعالية خيرة .

جزت الحوائل ، وانطلقت « اديبك » تحمل الكلمة المترعة ، لتغدو ملتقى الاساليب ، ومسرح الافكار .

لقد هززت بها رواقد الاذهان ، وأشعلت كوامن القرائح ، فكانت لك اليد في كشف عدد من أولي الشهامة والذكاء .

ان في « الاديب » قبسا ، وماء نميرا .

أنت في الادباء ،

وحسبك ما هتفوا بصنعك !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نسيم نصر

في صومعة الاديب

بقلم نسيم نصر

* * *

عرفت منشيء « الاديب » منذ حوالي ربع قرن ، فكنت كلما قدمت معرفتي به جد اعجابي بقيمته أصيل العطاء فكرا وشعرا . وهكذا اصبحت أفتش عن سانحة من الوقت أخلو فيها الى البير اديب في مكتبه ، الذي استحال الى صومعة يحج اليها رجال القلم من كل صوب عربي ، فأطارحه الحوار وآنس بخلوصه للادب وقد تفانى له ، فصار رسالة يتوحد في معبدها .

وفي غمرة غاص فيها هذا الوطن الصغير برقعته ، الكبير بانفتاحته ، في مشاكل سياسية ووجهات مصيرية، تنادت نقابتا الصحافة والمحررين ورابطة الشباب المثقف الى اقامة مهرجان ادبي تكريما لمجلة «الاديب» وصاحبها البير اديب . فجاءت هذه البادرة الطيبة معبرة عن اجماع جيلي المحافظين والمجددين من الادباء ، في سائر البلاد العربية ، على تكريم الاديبين : المجلة والمنشيء ، وتقديرهما تقديرا صادق التعبير خالص القصد .

وفي تلك العشية الباسمة ، في هذه الاجواء الكالحة بالاحداث الخطيرة ، ألم خطباء المهرجان بقيم المحتفى به من كل نواحيه غير واحدة منها وهي الشاعر المجدد البير اديب ، لا بل رائد الشعر المنطلق من قيود الوزن والقافية، ليبقى شعرا غنيا بالتناغم المعنوي يشد اجزاءه ويماسك جوانبه عطاء شعري مستمد من المد الحضاري ، منبثق من التجربة الذاتية .

وها انذا اطل على البير اديب ، رائد الشعر المنطلق بالحرف العربي في مجموعته « لمن ؟ » الصادرة عن دار المعارف بمصر ، ٢٩ فبراير سنة ١٩٥٢ .

تناولت المجموعة ، فاذا انا مع صاحبها في صومعة شاعرة ، وكأني واياه في حوار ، أجاب عن اسئلتي فيه بما ارتسم على بعض صفحات « لمن ؟ » .

فقلت : من انت ؟

فقال : « كأني في زحمة الدنيا
أسير انا ، تهالك من جراحه
يلف بمطرفه الانيق
أمانيه العذاب
ويعثر في الخطو من اتراحه
كلما ارسل الطرف بعيدا
شد على الانين بوشاحه
انا كالاسد الجريح ، ان ارسل الصيحة
ارتعدت فرائص الغاب
وجلجلت بنواحه
يا لجهل البغاث اذ تحجب على السفح
وما درت ان الذرى دون طماحي
انا لم اشك غصة المجد
فقد مسحت جبينه بجناحي

وبعد ان اطمأننت الى اباءة الشاعر الرائد كالاسد الجريح يرى الذرى دون طماحه ويمسح جبين المجد بجناحه النسري ، سألته : ما هي حياتك ؟ فاذا بي امام مقطع شعري فلسفي ، تحت عنوان « حياتنا » قال فيه :

« حياتنا ، شباب وفكر أخضر
وعواطف من عمل الربيع
وقلوب من ندى الفجر
نجمعها نغسل بها ارض الازقة
او نروي بها رمال الصحراء ...
هي ليلة ، ثم ضحاها
واذا الزوبعة تذهب بنا
فنأخذ معنا كل احلامنا وامانينا
ونحن على قدم من الهاوية او اقل
ما زلنا نؤسس ونبني ونقيم
فما أسخفنا
الا نجعل ايامنا ابتسامة
ونقيم علينا (...)
يعرف كيف يجعلنا نبتسم
حتى لأنفسنا

وهممت ان أسأله : ماذا تفعل قبل ان تذهب بك الزوبعة ؟ .. ولكنني ادركت انه في توحده وتجربته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المتفاعلة في ذاته . سبق له ان قال :

الى التي قالت :
من منا الذي اقتحم الصومعة
على الآخر

* *

لم يقتحم احدنا الصومعة على الآخر
كنت في صومعتك تنتظرين
وكنت في صومعتي انتظر
... كثيرون هم الذين مروا بنا ولم يطرقوا الباب
وكثيرون هم الذين طرقوا الباب ولم يدخلوا
وكثيرون هم الذين دخلوا ، ولم يجدوا احدا فخرجوا
ذلك انني كنت حقا بحاجة الى يوم ..
تخرجين فيه من صومعتك
وتأتين فيه الى صومعتي ...
... وعندها فقط أصبحت الصومعة واحة
ان الذي يأخذ يهب
ولا يهب من لا يأخذ
والذي اصبح في الواحة بعد طول التيه
لا يقوى على العطش ...
لا يقوى على الحرمان ...
اريد ان تعي روح الكلمة ...
التي لم الهب بها بعد شفتي
الى ان يقول :
لا تسأل بنفسجة كيف نبتت ؟
كم عاشت ؟
انما تقول النفسجة :
انا ندية ، بللني الفجر
ولندى الفجر على اوراق البنفسج
الف لون ، في الف نغم
في الف معنى
لا تدركه غير فراشات الفجر ...

(تتمة صفحة ٢٨)

للرجل ، من الدولة ، صدقة ولا « شوفة خاطر » بل اطالب بتحقيق واجب وطني وثقافي هو من اول واجبات الحكومة ، ووزارة التربية و « الفنون الجميلة » في هذا البلد ، وهو دعم مؤسسة ثقافية واسعة الانتشار ، ولا خلاف على قيمتها او دورها الثقافي والادبي ، مؤسسة حملت اسم لبنان طوال ربع قرن ، الى جميع الاقطار ، وما تزال . لكن تكريم البير اديب ، التكريم الصحيح الواقعي ، اي المادي والمعنوي ، سيكون اعادة الثقة الى الناس بقيم الوفاء والوطنية والثقافة . هذه القيم التي ما عدنا نراها احيانا الا كما ترى شمس الشتاء مضيئة بكآبة من وراء الغيوم .

جريدة « النداء » ـ بيروت — محمد العيتاني

الظامئة الى اكسير النشوة الكبرى ...
التي فيها مسحة من تلك البربدة العبقرية
التي هي (...) »

فمن هي هذه التي قالت بهذه الصومعية المشتركة التي يحياها الشاعر البير وتحياها السائلة ؟ أتكون المحاورة هذه زوجة الشاعر التي زرعت في ذاته الطمأنينة الى التوعد المعطاء ، وافرعت له شاعرة باكرت الى بث قلقها الوجودي ؟ أم تكون شاعريته المتصوفة قد اقامت بينه وبين رسالته الادبية حوارا رمزيا ، فجاءت صورة صادقة عن عزلته الخيرة وصومعته الضاحة بمواكب الادب المختار وروائع الشعر المثقف . فكأن « الاديب » جاءت في بعضها شرفة على جديد ، وفي بعضها الاخر قنطرة بين طارف وتليد . هذا « الاديب » الذي ابتناه البير على حد قوله في قصيدته « الاوكار » :

واما نحن
فلا خوف على أوكارنا
من شتاء او خريف
ما دامت طي احلامنا
نبنيها في بقعة الرجاء
حجرها من اكبادنا وافئدتنا
وجبلتها من طين الاماني
هندستها جنون
وسكانها ارواح ...

وهذا الجنون الهندسي قد كشف الشاعر لقارئه بعض معنياته ، في قصيدته « ارتواء » ، اذ قال :

« ترى لم التقينا ؟
الم نكن في خاطر الغيب
وشوشات المجهول للغد ...
وفي الهوى شيء من المحال
شيء من المبدع سرمدي ...
همست بناه شفاه الجن
قبل النور والرؤى
اسطورة التجسيد في المولد
عرفنا من الحب
عبق البخور والشذا ...
وكيف تجوع روح وكيف تقلق ؟
وكان ارتواؤنا كظما المحب للخالق ... »

في هذه اللمحات العابرة لا ادعي انني درست قصائد « لمن ؟ » ولكنني اردت التأكيد على انه من حق صاحب « الاديب » ان نعتبره من مكانة الرياد لتحرير الشعر من قيدي الوزن والقافية ، الرائد المؤهل لبقاء قصائده نوعية مميزة فيها الجديد غير المستغلق ، المبقي على صلة الفكر المعبر عنه بالرمز ، قائمة بينه وبين القارىء المثقف مهما كان هذا القارىء حفيا بالشعر القديم علوقا بالايقاع المرن .

نسيم نصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نظير زيتون

تحية للابير أديب في يوبيل الاديب

بقلم فقيد الادب نظير زيتون

* * *

يا لفخر كلمة تفتقت وردا بين يديك ، ويا لمجد نور تلألأ انسانية في عينيك ، ويا لحنان ندى تدفق حبا من راحتيك ، ويا لكرامة خلق تجلى اعزوفة في اصغريك ، ويا لسمو رؤى هبطت وحيا عليك ، ويا لنضرة بسمة ترقرقت عطاء على شفتيك ، ويا لعزة قلم ساقه الابداع خمرا اليك ، فتهادى سحرا حواليك ، ونشوة روح تعصف بجانحيك ، ويا لقداسة رسالة حملتها على منكبيك ، وضممتها حنونا بين ذراعيك . ونشرتها فجرا شعاعه من مقلتيك ، ومضيت بعزم في ساعديك ، غطريفا جحجاحا والتضحية عطر في برديك ، وما تقاعست ولا توانيت والايمان هطال يزرع النصر في خطى قدميك ، والخير هتاف مطراب يستحن مسمعيك . والاشواق عناقيد شعر تومض في ناظريك ، وعرائس نور تغنيك : لبيك ، لبيك .

تحية يا حامل الرسالة الصحفية ، رسالة لبنان التاريخية ، رسالة الانطلاقة الفكرية والابجدية رسالة الانسانية العربية والعرب الحضارية . رسالة السماحة والتآخي والحرية والمناقب السنية .

تحية يا البير اديب والف تحية ، تحية عبهرية يا فارس السحابة البيضاء الضارب في الآفاق النورانية ، على اوتار القيثارة القدسية . الا ان العيد لعبدك يا اسطورتنا العسجدية ، والبوبيل ليوبيلك يا آيتنا الاسطورية ، وكيف لا نلقى فيك اسطورة وقد زرعت الكلمة في بحر أجاج ملح يلفظ البذور الحية ، واقتحمت الاعاصير العتية ، وسماءها الوجية ، يشدك الى قوس قزح جلال واباء وحمية واريحية . وتطوي بك الجواء روح وثابة فتية . وترود الفضاء متصيدا نجوما مغمورة قصية . وتجلوها للعيون آيات نبوغ وعبقرية .

وكيف لا نرى فيك اسطورة وقد ضربت الصخر بغير العصا الموسوية ، فتفجرت الينابيع الثرارة الرية . وعصرت الماء خمرا بغير الاعجوبة المسيحية ، وطفت بها على الظمأ بكؤوس عنبرية ، واستنزلت الكلمة الهاما بغير الرسالة المحمدية ، وقدمتها زادا في مجاعتنا الروحية ، وفاقتنا الخلقية ، وشيدت هيكلا بغير الحجارة السليمانية والذهبان الملكية ، وحملت اليه القرابين والبخور والشموع والمزامير في عبادة صوفية ، متجردة من الانانية والذاتية وشوائب الوثنية .

ولقد صبرت كريما اذ رافقت الارض في دورانها طوال خمس وعشرين دورة وانت مقيم على العهد . واري الزند ، نبيل القصد ، دؤوبا موصول الجهد ، خفاق البند ، لا يقف في وجهك سد . ولا يأخذك سهد . في خطاك رشد ، وفي يمينك قبضة زهد ، وفي يراعتك اقراص شهد ...

ولقد جاهدت مؤمنا حفيلا . وقاسيت متهللا نبيلا . وعانيت طودا فضيلا . وخضت معركة الكلمة فارسا اصيلا . ولا عجب وقد حققت ما حققت ان تضفر لك الكلمة اكليلا . وان تبوئك عرشا اثيلا . وان يرتل لك القلم ترتيلا ، وكان الحب الى الحب سبيلا . وكان الشوق الى الشوق رسيلا .

وحسبك انك بسطت مائدتك للاقلام مقراء . ودعوت اليها محتفيا بعطاء ، وانشأت للادب العربي جيلا وضاء . فتفتحت المعية هدباء وعبقرية زهراء ومواهب كانت تغيب في الخفاء ، ويطوح بها الصفاء . وكادت تئدها الظلماء . ولكنها برزت بفضل مائدتك كالزيتون ضلاعة وعطاء ، وكالارز جلالا وسناء . وكالنخيل سموقا وخيرا واستواء . وكالكرمة عنبا وصهباء واحتفاء ، وكالشلال

الحديث يطيب

انما الفرس يانع وخصيب ... حبذا السعي في الحياة ((أديب))
تحصد الزرع والنتاج قطوف ... دانيات . ان الحصاد دروب
لك ما شئت من ثمار جهاد ... والى غيرك المكان جديب
ربع قرن ، والنبع نشوان ثر ... يرفد الغرس ، سلسل مسكوب
فاذا الفكر والخيال شعاع ... عبقري يختال ، وهو رحيب
يغمر الجيل بالبيان ويهدي ... ب ((لمن ؟)) ظل في الطريق يلوب
فهو أبقى بين الزمان وأجدى ... فهنيئا فيك الحديث يطيب

الكوت ـ العراق — كاظم محمد حسين

روعة وفيضا وسخاء ، وكالزنابق عبيرا ونقاء ، وكالبلابل صداحا ورواء ، وكالدراريء تلألؤا وعلاء ، وكالنيل امتدادا ورحابة وثراء . وكالعواصف ثورة وانطلاقا ونداء ، وكالربيع بشاشة وخصبا ونضرة ووفاء . هؤلاء كلهم اجتمعوا حول مائدتك اللماحة الخضراء ، اغصانا في حديقة غلباء ، فسقيتهم من اعنابك كؤوس الصهباء ، وفسحت لهم في دارتك القوراء ، وصفحات ((الاديب)) الغراء ، ومسحت جباههم بالطيب والزيت والكلمة العذراء ، فاذا هم في مثل ابنائك النجباء ، واذا هم ابناء العربية الشماء ، واذا هم عشيرتك ، عشيرة القلب والروح واللألاء ، اصولها عطارد والزهرة والثريا والجوزاء ، وفروعها القبلتان والفراتان والجزيرتان والنيل والفيحاء ، و لجبل الملهم والساحل والبطحاء ، من صنعاء الى الدار البيضاء ...

وحسبك ايضا انك نذرت قرابينك على مجتمعات متباينة تضم في ما تضم فئة كبيرة شاخت بين ايديهم معاني الحب والصفاء . وكلت خواطرهم عن اللحاق بمفاتن القبة الزرقاء ، واستحالت المناقب في عرفهم عجوزا شمطاء وجهالة جهلاء . والمناقب اس البناء ، وهي من القلب السويداء . وكفروا بالادب والادباء ، وزعموا ان درر البيان بضاعة مزجاة صفراء . فصدفوا عنها على غير استحياء . وارحمتاه لهم ، وقد صدئت في افواههم كلمة هبطت من السماء . واوغلت العبادة الوثنية في الاحشاء ، يعبدون الله بالشفاء والدعاء ، ويقيمون في صدورهم دولة لكهنة البعل ويا لها من دولة نفاق ورياء . ولا يتحرجون ان يسجدوا لله الثلاثاء وينكروه الاربعاء . ويا لتخمة البطر ، تخمة عمه البصائر كم تهدم من بناء ، وكم تنطوي على غصة سوداء ونداسة كأداء ...

حسبك يا البير اديب انك صمت وضليت لاجل فئة دفنوا امجاد تاريخهم في اليهماء وارتدوا ما خاطته لهم يد اجنبية ماكرة من ازياء ، واغرقوا في التهافت على المادية الوثنية الصماء . وقذفوا عطايا الروح والقلب بالعين الشزراء ، فكاد يأفل ما لكواكب الفكر من اضواء ، ويتصوح ما لحديقة القلب من رياحين وثمار وافياء ، ويخرس ما لرؤى الروح من غناء واصداء . ويندرس تحت الاقدام العتية رسوم اليد البيضاء ومعالم الروضة الغناء . ولولا بقية ايمان لسكت الهزار والورقاء ، وانتصب عرش الببغاء ، والسخافة البلهاء ، والاهتوفة الحمقاء .

فيا لهذا النصر من نصر ، ويهنيك يا فارس السحابة البيضاء ، ما ساقه اليك الليل ، من فجر ، وما أصبت من فتح بعد غلاب وعر ، بين كر وفر ، في رفعة قدر ، وجهادعمر ، ويا مرحى للوشل يجري وراءه بحر ، وللشوك يتفتق عن زهر . وللجفاف ينهمر عن قطر ، وللمحاق ينجلي عن بدر . ويا حبذا الفتح يقع في يد سيد نبيل حر . انه تاج أغر على مفرق أغر .. هذا خلود الذكر ، وهذا رمز الثناء والشكر .

صان الله حياتك الغالية الفضيلة . وسقى يراعتك من كوثر جنانه البجيلة ، ورعى « الاديب » في شعلته الفكرية الحفيلة . واسبغ عليه يا البير حللا من آلائه الجليلة ودمت مع الزملاء الابرار سبيلا لمجد الفكر العربي ووسيلة .. اخوك :

حمص — نظير زيتون

الحمـل العريـض

الـى البـير أديـب

ـ ١ ـ

كان لي ((أنا)) ففقدته ،
وبحثت عنه في الضحى ،
وفي الفجر اذ يغشى ،
فما وجدته
كان لي ((أنا)) ففقدته ،
بحثت عنه في الاكواخ ، وفي الدروب ،
حتى جننت من وحشتي ،
فما وجدته
انبعث الـ ((أنا)) من نداء الوجد ،
في عالم متمرد ، فمددت يدي لعناقه ،
فاذا به شبح ينساب ويختفي
ذهـب الـ ((أنـا)) ،
فشربت من ثدي العدم ، جرعات الهوى ،
منذ فجر الهجر ، حتى النوى
مـن السـائر ؟
هل أرجلي ، أم الشارع ؟ أم ذهني المتشرد ؟
اني يتيم مـأواه في رجليـه ،
سـائح بـلا أزمـان :
البرد رحلتي ، والحر زادي ، والسكون رفيقي ،
وغذاء الاحقـاب من آهـاتي .
رافقت الصمت في البحث عن أناي ،
وجررت رجلي ، يقاومها الرصيف ،
والرمـل ، تحـت قـدمي ،
ينثال في مساحة الفراغ الكبير .
نسجت من خطوات التيـه عباءة ،
وجعلتها على باب الكهف الكئيب

ـ ٢ ـ

كان لـي أنـا ففقدتـه ،
وبحثت عنه في الاعمـاق ،
جررت رجلي في الاسواق
كـي ابتـاع ((أنـا)) أي أنا :
الضمير الحر يصغر عنه كل ميزان ...
لم أجد أناي في السوق ، في الحقل
لم أجد أناي في العيون ، في الصوت ،
فطفت على حصتي وحشة الصمت
اني غريـب في كائني :
وحدتي تحترق كالشمس
كالشمس تزحف للمغيب .
وحدتي عارية صلعاء ، كالبحر ،
كالبحر يزأر من عزلته .
وحدتي صمـاء ، كالسماء ،
كالسماء تنزلق نحو الظلام
كان لي أنا ففقدته ،
وعانقت حضوره ، في غيابه .
كان لي أنـا ففقدتـه ،
ونهلت كؤوس غيابي من غيابه

ـ ٣ ـ

فقدت أنـاي ،
يبس الكـلام ،
فـوق اللسـان .
جـف القلـم

الرباط ـ المغرب — محمد عزيز الحبابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بورق الغار اكتب

بقلم الدكتور علي شلق

* * *

موعد بيني وبين « البير اديب » حسبت لـــه ، ورسمت الصور .

كان ذلك عام ١٩٤٠ وهو يتربع في مجلسه من ادارة الاذاعة اللبنانية ، والتدبير الفرنسي يصرف شؤون لبنان، ومنها بوحه الى العالم .

الاسم انيق عصري ، نصفه فرنسي والآخر عربـي .

أيكون الشيب وجها يطل علي ؟ أم نضرة الشبـاب المهندمة بمسحة غربية ؟ أم ملامح لم تدر الوانها في بالي ؟

الدائرة بهـــو مستطيل ، توزعت فيـــه مكاتب ، يتصدرها شاب من افصح الوجـــوه قسمات ، والطفهـا القا ، واكثرها اشراقا في العين والقلب .

وقف بتهذيب كاد يميل الـــى المجاملة ، فجلست وكأنني اعرفه منذ الحداثة ، وتحاورنا ، فوددت لـــو أن الوقت يمتد ، وان يكون اللقاء في مطاف آخر لا تحـــده دائرة رسمية ، ومنذ تلـك المقابلة بدات اعـــد الاحاديث الادبية للاذاعة ، واخذت محبتي لالبير تنمو ، والى جانبها صداقة كتلك التي تكون لرضيعي لبـــان ، وشيء آخـــر يعرفه من يقدر صلة التلميذ بالاستاذ .

كان الشعر ، وحب الحياة جامعا بيننـــا ، ولا ازال ارى ببالي مجالسنا في مقهى « مسعود » كل عشية .

حملتني اقدار العمل الى صيدا ، فـــاذا « بصلاح الاسير » يطل علي موفدا من قبل « البير » لاكون واحـــدا من الاثني عشر الذين يشكلون جهاز تحرير مجلة جديـــدة عزم « البير » علـــى اصدارها . لبيت دون استفسار ، فاذا بها « الاديب » تزخر باقلام النخبة في العالم العربي، وتقفز ، فتميل اليهـــا العيون ، قبالـــة « الرسالـــة » و « الثقافة » وتتجه اليها تلك الانامل التـــي كانت تقلب صفحات « المكشوف » .

السنوات الثمانية والعشرون التـــي سلختها الاديب في مجرى تاريخ الادب العربي المعاصر ، غابـــات فكـــر ، وفلسفة ، وشعر ، وقصة ، ومسرحية ، وعلـــم . بعض شجرها عبقري الغصون ، فردوسي الورق ، ينسكب لونها في الشعاع والنسيم ، فاذا بعيـــون الجيل ، وفهومـــه تزدهر بالرؤية ، فتدني قطوف الرؤيا مـــن لبنان الـــى العالم .

هذا المارد الصبوح ، ينقلب الى طائر حبيس يسكن ضوء الحرف ، ورياح الفكرة ، زاهدا في مجتمع الناس ، ومراتب الطمع والطموح ، ناقلا بالحرف والطرس نتفا من روحه ، نبضا من قلبه ، شعاعا من مقلتيه ، حركات مـــن انامله ، وغناء خافتا ، أو صامتا بين السطور يهفو بمعارج صلاة في مجمر الرضا الى كل قارىء .

لم يكتب البير فلسفة ذات مذهب ، لم يحبر صفحات ترسم سلوكيته في المجتمع والحياة ، بـــل فعل ، وعمل ، وعاش ، اصدق ، واعمق فلسفة عرفت عـــن كائن واع يشهد عصره ، ويحضر فيه بكامل شؤونه وشجونه .

ما اكثر الانتصارات يتمجد بها النابهون ، فتقدم لهم الاوسمة ، واكاليل العز !!! ولكن الانتصار علـى الذات ، والمجتمع ، والحياة ، موقف نادر من الوجود ، لـــم يسم اليه الا القلائل ممن دقوا باب التاريخ ، ودخلوه بوقـــار الارباب .

غار : وهل بعد الكلمات التي تحمل بوحا مـــن نـــور العين ، وفوحا من عبير القلب اي غار ؟

كان البير صانع الورق الاخضر ، وزارع غابات مـــن الاكاليل ، يقدم ذلك جميعه للناس ، وهو ازهد مـــا يكون بكل ما يطمع فيه الناس .

فبأبي انت يا أبا « الندى والهدى » ما سمعتك مـــرة تهتف الي الا وانتلق من صوتينا مهرجان بهجة ، ودعابة ، وتخط للزمان .

وما انست اليك في مكتبك او نـــدي منزلـــك الا واشرعنا كؤوس السوانح قهقهات عرفنا بها منذ اكثر مـــن ربع قرن ، وكأن حديث الزمان يوحي الينا بحقيقة الحياة، فنتجاوز ، ونعمر الكـــون الـــى لحظـــات بالضحك ، واللامبالاة .

البيـــر :

اذا عاد الملاح التائه من على العباب ، وعلـــى جبينه صراع عوليسي ، ولاسماله حديث عن الخطر ، والاقتحام، والانتصار :

واذا امتدت ايدي الاساطين لتمـــرع هامات القـــواد بالغار ، وتزرع الاوسمة البراقة على الصدور .

واذا حملت الاكف المدوية ، والحناجـــر الهاتفة ، رجالا مناضلين الى عروش الحكم ، والقت فـــي ايديهم صيالجة السيطرة ،

واذا عادت النملة ، والعصفور ، والفراشة آخـــر النهار ، تضع في خلية العشيرة حبـــة ، وفـــي العش الدافىء نقلة ، ولدى موعد الفصن تهويمة جناح طفل مـــن الحرير والبرفير .

واذا هدرت السواقي بالشتـــاء السخي ، وعانقت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هنيئاً للاديب

•

أزف التهنئات الى اديب ... محلاة (بيوبيل) الاديب
أجل مجلة علما وفنا ... وآدابا لدى الفطن الاريب
تفيد ثقافة وتنير فكرا ... وتنشي النفس بالرأي المصيب
حوت من كل معرفة ثمارا ... وازهارا ونفح هوى وطيب
فما الثمرات في البستان تزهو ... وما الزهرات في الروض الخصيب؟

تزين بحوثها الصفحات حسنا ... وتكسو النقد بالبرد القشيب
وتجلو من بنات الشعر غيدا ... حسانا فاتنات للقلوب
عرائس من خيالات وقصف ... وتصوير بديع أو نسيب
يتهن ملاحة ويضعن عطرا ... ويبدين العواطف للحبيب
فلا بدع اذا اشتهرت ودوى ... صداها في الشمال أو الجنوب
وجاز نتاجها الآفاق صيتا ... وعم النفع منها للشعوب
وأولاها بنو العرب احتفاء ... واعجابا بجوهرها العجيب
فتلك مجلة سمت ارتقاء ... ومنزلة برائدها اللبيب

هنيئا للاديب بما رأته ... من التكريم والود القريب
سبكت تحيتي درا بشعري ... وضمخت التحايا بالطيوب

جبلة ـ سورية

رشاد علي أديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرياح الغمائم ، وضمت خيوط الشمس جسد الطبيعة تزرع فيه الخضرة ، والخير ، واللهب ،

واذا نقلت الرياح شوق الزهر الى الزهر ، واعطى البحر اسراره البراقة للنحور ، والاجياد ، ومد الحقل غرام قلبه في سنابل الحصاد .

واذا حبكت الرسالة قلب المؤمن وعينيه ، ودمه ، وعمره ، نضالا ، وكتابا ، وصيحة ، واحلاما ،

فانت يا صديقي من كل هؤلاء ، واولئك ، انطلقت سافية ، وهينمة ، وشعاعا ، والهاما ، وحكمة ، كانما استلانت لقلمك الصبيحة والعشية ، ونفخ الاعصار ، وهدر الشتاء ، والتمع في عينيك وفوق اهدابك قائد لم ينكسر ، وقحام لم يقهر ، ومسافر يطوف الدنيا ويعود ليمنح الفار للهامات ، والرياحين للعيون ، والتأسي للقلوب ، والمعرفة للعقول .

كل يوم لك سفر بشراع الكلمة ،
أية لحظة لك لم تبدع فيها صورة ؟

وهل مرت سانحة ولم تزرع قلبك في عيون الناس ، وقلوبهم ، وافهامهم ؟ عرشك الكلمة كبساط الريح ، يطوف فيخفض الزمان جناحيه ، ويمد المكان مداه ، فتتخطى ، ويقطف خيال روحك عناقيد النجوى ، والتجلي من كروم الغيوب .

الزمن يذبل الورق : يحل خيوط الالوية ، يلاعب السوس طي قوائم كل سدة ، يرد الذهب الى التراب ، يمزج السيوف والرماح والاساطيل ، واربابها بالوحل ، والغبار والنسيان ، ولكنه يا صديقي اعجز من ان يمتد الى الكلمة التي هي مملكة عزك ، وآفاق سلطانك .

تطير بها ، بك تطير ، وحسبك انك من لبنان عندلت بكلمة عربية ، فتحت لقلمك الغاري باب فردوس لا تجف ينابيعه ، او تذبل دوحته على الدهور .

قلمي وقلبي لك أيها الحبيب .

علي شلق



جـورج غريـب

البير اديب بين الالم والقلم

بقلم جـورج غريب

* * *

له على الالم يد ، وعلى القلم يد ، وفي الحالتين اكسيته من حرير .

عال هنا وعال هناك ، لكنه يأبى الا ان يظل على محياه مسحة من رضى وقناعة .

صفرت الدنيا في عينه ، فجمعها في بيته . ذلك البيت الذي جعل منه مأوى وميدان جهاد ، فيه يغمر بالعطف المذيب كل ما قدر له ان يشاركه العيش ، ومنه يشرف على الدنيا بالارجوان والديباج ، حمولته منذ اكثر من ربع جيل من الزمن .

بيته قلعة بعلبكية ، حجارتها اوراق متداعية وكتب موزعة بلا نظام ، كأنها الايام تناثرت عن الاعمدة وظلت الاعمدة تجبه الرياح بشموخ التعالي .

بيته دير عتيق فيه شموع وبخور وراهب قانت يعمره بمهابة المتعبدين . صومعة مسنة انغلقت على ذاتها لتطلع على العالم بالانفتاح .

عجبت لهذا الزاهد المتعب كيف يضفي على الناس الخير والعافية .

جعل من الصحافة رسالة ، فتعبد لها واحاطها بهالات التقديس ، فهو لا يسأل كيف يكتب بل كيف يصلي.

مر بالوظيفة مرور الظل لانه اراد لباسها ناصع البياض .

مرهف الحس حتى الخدر ، انيق حتى الترف ، مشدود الوتر حتى التقطع . تجلس اليه فتظنه ليس معك، ولكنه يحيطك بجمع مشاعره .

يطرب للنادرة فيضحك لها بملء الفم ، وساعة يطلعها تبلغ معه اوج الظرف والرونق .

كريم النبعة حتى الاعراق تحس الاصالة من مقومات حياته .

شغوف بالاصدقاء ، يضنيه ان لا يكون لهم على دنياه اطلالات .

اقيم له بالامس مهرجان ، هو بعض ما له على لبنان ، ففاتني الظرف القاهر أن اكون في عداد من صلوا في محرابه ، ومن نعموا برؤية وجهه يهل باليمن والصفاء اللذين عودنا اياهما .

إنه وريث ذلك الرعيل الحبيب من اللبنانيين الابطال الذين عاشوا على ضيق الالم ورحابة القلم .

اخي البير ! .

يوم قدر لك ان تكون كان نصيبك من الدنيا القلم . حملته ازميلا بين الانامل، بريقا في العيون، عبيرا في الشميم ، همسا في الشفاه ، نغما في الآذان ، ثم رحت تعمل حواسك الخمس في معالجة الحرف ، تنحته ، تلمه بالحفون ، تستنشق عطره ، تهمس به ، تصغي الى وقعه ، حتى اذا امتشق القد ، وجر السحر في الهدب ، وعبق الطيب ، وتمتم ثغر ، وسكر نغم ، عرفت الرقاع كيف تكون مثوى لماضيات الايام وآتيات الليالي .

القلم ان نبحر وسط الاعصار ، مركبنا الموج ، رداؤنا الريح ، منارتنا وميض الصواعق لا مجذاف ولا شراع ، بل شيء بين الاصابع ، هزيل خشيان . مرود يدور في المكحلة حينا وفي الرموش والاهداب احيانا . يخط على الليل ، يحفر فيه ، ثم يعود الى الشاطىء بمزق من الضوء ، عليها فتات قلوب ، وبقايا عيون ، واغنية جراح .

القلم ان نضرب المدى بريش الجناح ، نجاور الآفاق، نقتحم الكواكب ، نجتاح الشموس ، نحاور المطلق ، نحمل اليه حلما ابعد من الحد ، وابقى من الاعمار ، حتى اذا قصفت الايام منا القوادم ، تهاوينا ، وليس في ايدينا من حصيلة الجواء غير الوتر والعطر والعنفوان .

القلم ان نبيع مقتنايتنا ونلحق بالكلمة ، نلمها ، نحركها ، نشمها ، نقلبها ، نميرنها ، نلفها بالندى ، والشرر ، ثم نطلع منها المعجزة ، فيد منا على ضنى ، ويد على صولجان ، يد على تراب نجبله بالدمع والدم ، ويد على تمثال ينطح برأسه السحاب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى البيراديب

أديب البلاد عميد القلم ... سلام عليك كنفح النسم
جهدت كثيرا بهذي الحياة ... فكنت كنار برأس العلم
زرعت الجمال بكل طريق ... فحامت عليك طيور النغم
ونلت الكمال بشدو رقيق ... والهبت بالشعر حس الرضم
ولا عجب ان فداك الصحاب ... ودانت لامرك اسنى القيم
وضحيت بالمعجزات الغوالي ... لاعلاء قومك بين الامم
فما نلت غير الجحود جزاء ... وان العقوق يشيب اللمم
وقالوا اديب كبير ولكن ... بحب العروبة ضل اللقم
وما العرب لو ادرك الجاهلون ... سوى سادة الفضل منذ القدم
كماة الحلوم حماة العلوم ... كرام المهزة مجلى الكرم
أغارت عليهم صروف الزمان ... وحلت بهم عاديات النقم
فصال اليهود وجال القرود ... ففج العراق ومساد الحرم
يريدون افناء شعب أصيل ... جليل المآتي كريم الشيم
ولكن ربك يأبى الفناء ... لاهل الحضارة مهد العظم
سيرجع هذا الزمان سخيا ... كثير العطايا قليل العشم
فيطوي الليالي باسدافها ... فتحتل بعد الحضيض القمم
ونرجع سادات هذا الزمان ... نرمم من مجدنا ما انهدم
وما ذاك صعب على معشر ... كريم ، بتقوى الاله اتسم

لاباز ـ بوليفيا

جورج الكعدي

القلم ان نلون السحاب ، ونجمر الآفاق ، ونزنر الكون بقوس قزح . فنقيم من أسلاك الضياء والبهاء مهرجانا لاخيلة العذارى التائهات ، والغصون المثمرات ، للخفيضات الدوالي والسمهريات العوالي .

القلم ان نقيم للجمال على الارض هيكلا رخامه من الاكباد ، شموعه من الاصابع ، تحترق ، تضيء ، تذوب ، ترتفع بذوق الانسان . ترهفه ، تجعله يحب ، تقربه من الله .

ما بال عيني تعاود اليوم تعشاقها ؟. ان ما اخذناه عنك ، هذه اللفتة الصيداء الى الحياة ، نطعمها الشعور ، نلقمها العقل ، نمزق على اردانها العصب ، فلا نبالي الا بأن يكون للرسالة عرش وتاج .

لقد اطعمت « الاديب » زادك .

غنجت لعب على الورق ، وتطاولت دمى كواعب الى استباحات ملحة ، وتمطت عذارى عاليات الصدور ، ناهدات اللفتات . عرس للكلمات العاريات تلبسها من لبنان والشرق الخز والديباج .

ليس في « أديبك » كلمة تسيء ، تجرح ، تسف ، فهو كخلقك ، عالي الهمة مرفوع المناكب .

لقد اضناك ان يكثر الجسك على الورد في لبنان فيأكله . فالمناخ سوء لا يقر به صاحبه . البلابل مهزولة ، والضفادع مكنوزة ، ان مفايض الماء غير القمم التي هي حرب على السيل .

جورج غريب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمن ؟ وهل شاخ السؤال

بقلم الاب يوسف سعيد

* * *



اجادل ، واناقش ، واحاور بأن الشعر المعاصر ، لم يعد شعر التصفيق ، والتهريج ، والاندفاع ، والاقدام ، والحماسة هذه الاشياء مكانية ، ملونة بتقاليد عصرية زمنية النزعة ، يدعمها الواقع الحياتي للبشرية المتمثلة بالعشيرة او القبيلة ، او الحضارة ولكن شعرنا السالف ، صحراوي النفس ، قبلي النزعة يخلق في اجواء متوترة مشحونة بالعصبية ، والتحريض ، وحتى لو قيل في ساحة المدن ، او تلي في المعامع الحربية ، او انشد في قصور الدولتين الاموية والعباسية فالتراث الشاعري عبارة عن زخم من « الطاقة » استلمناها نحن فحولناها الى عصبية نافرة ، ظاهرة ، فاعلة ، فاذا انشدنا في حفلة لفقيد راحل ، فالشاعر الناجح يجب ان يعرف كيف يستطيع ان يستدر الدموع من عينيه ، ليحرض العاطفة عند الاخرين ، فتدفع من مآقيها حفنة من الدموع . وفي تبجيل الاحياء ، عليه ان يبني برجا للعظمة تعطي ، وتغدق ، وتفرض على المحتفى به . شاء بها او لم يشأ . كأن العاطفة الشاعرية عند الشاعر ملك الجماهير متى شاء حركها ومتى شاء اوقفها .

هذه امشاطنا الشاعرية السالفة التي سلك منوالها الشاعر قديما وجاءت في قافلة تعبي ، حاملة بقايا ذياك التراث الخالد الينا ، نحن الذين استلمنا جوهرة الادب ، فدرسناه ، وسلكنا على منواله ، واقتفينا اثره وعشقنا النظم فيه وحفظنا الجيد منه . وخرجنا ونحن نحمل اعباء الحرف القديم ومشاكله ولو عبرنا على ذياك التراث عبور مفتش ، وباحث ، وناقد ، لرأينا ان ما حدث سابقا يحدث اليوم ، وما يتم اليوم من تحولات ، تم سابقا ، فالحياة عبارة عن طاقة كامنة في دولاب ، يريك صورة ، ويتوارى في دوراته ، ولكنه يعود ولا يجدك قباله (اي الدولاب) فيرى غيرك ، فالصورة هي هي ، لكن التحولات الفكرية تتغير ، وتتلوى كالفصول ، وكاللباس على جسم الانسان .

والاهم : ذلك النظام الحسابي في عالم الشعر اذ تستطيع كشاعر او « كناظم » او انك تريد تعلم صناعة الشعر (اقولها بجراة) فما عليك الا ان تعد قصيدة ، اعدادك لخريطة وفيها تخطيط لبناء بيت هندسته انت .

وانا لا اتطرق الان ، لمن يهندس القصيدة التي تثير اعصابك ولكنك تنتهي ! وتهملها ، اذا انتهى مفعولها الجائل في اعصاب حسك ، مع الاعتراف بالبلاغة ، والبيان ، والفصاحة في شعر الحقب الماضية ، ومنها وضعوا اسس مبادىء البيان والاشراق اللفوي، والمعنوي، والابتكار . لكنني اعتقد ان عصرا يموت ليخلق في اعقابه عصرا جديدا آخر . لكنا نموت كليا اذا حملنا اعباء حقبة مائتة الى عصر نعيشه ، ونتفاعل يوميا باحداثه .

شعرنا المعاصر ! لونه الصادق الحقيقي ، يختلف عن هذه القضايا التقليدية ، هو عبارة عن انفعالات نظيفة صادقة ، يحمل نفميا على قطار الحنجرة ويسقط على رحم السطر ، يتحول الى سحر تنتظره الانسانية ، فيأتي مفعوله اصيلا ، ويبقى دواء فيه طاقات شفائية ، فهو يمزق غلالات سوداء ويبقر بطون السجف الداخلية ، وينحدر الى اعماق الانسان ، فهو الكلمة المشرقة ، و لقصيدة التي تجترح . وتبدع ، وتحرر ، ولكن بهدوء عجيب .

بعد هذه المقدمة الراكضة على هذه السطور ، اعلن ان الملأ الاعلى مشحون بهذه الطاقات ، وبعضها يصل ادمغة البشر .

الشعر المعاصر ظهرت باكورته الاولى تحت اقبية الضاد في ديوان يدعى « لمن ؟ » للشاعر الرصين الاستاذ البير اديب . وفيه من مزايا الشعر الصادق ، ما حرضني على الكتابة عنه ، ولكن لماذا اكتب في هذه الفترة الزمنية بعد ان مر على الكتاب انفاس سنين طويلة ، فقد طبع عام ١٩٥٢ هل هي المحاباة للاستاذ الشاعر ، ام انها تعبير عن فراغ متسع لي لاكتب ، فلم اجد اصلح منه . ومهما تشعبت الافكار عند القارىء المحترم ، سوف استمر انا احلل واناقش ، وادافع عن قضية هي الجذر ، بالنسبة الينا نحن الذين نعاصر اليوم موكب الشعر الحديث الذي اخذ يغزو ، اندية الشعر ، ومجالس الادب ، ويقرأ في كل بيت .

لمن ؟ المولود البكر الذي غنى له الانسان الشاعر يوم ولد ، وقدم التهاني لصاحبه ، لانه اكتشف ذكاء المولود ، وذلك للاسباب التالية :

١ ــ اعد صاحب الديوان غذاءه من اعماقه الخصبة، فلم يتأثر بأي شاعر اجنبي .

٢ ــ لم يسرق اصواتا غربية ، ولا ادخل كلمات مضيئة لكنها مخطوفة من الاخرين وادخلها على حلقات الشعر الذي كتبه .

٣ ــ كل الذين ادعوا انهم سباقون في خلق الشعر الحديث فاقول : هناك رسائل يحتفظ بها شاعرنا الكبير من ادعائيين كثيرين .

هذه الاشياء الثلاثة التي سردتها في عرفي مهمة

جدا . وهذه المجموعة نفدت . والاولى ان يعاد طبعها للقراء كفداء ، وللشعراء كمادة جديدة ، لان الانطلاق يجب ان يبدأ شرقيا لا غربيا .

والبير اديب شاعر المعاناة ، اما كفاه انه كون من ينابيعه اختلاجات تعيش تحت سجف القصائد في عصر عشريني ، نحياه نحن ، اما يكفيه افصاحه عن واقعية يجب ان نؤمن بها الا وهي الوجودية النظيفة ، واعني العودة الى بحار الحرية ، الم يكن البير اديب هيبيا عندما سمى ديوانه « لمن ؟ » هذه الكلمة الثلاثية الاحرف اشبه بقبان فوق الافق البعيد ، اليس السؤال الكبير نرفزة حقيقية ، لان الفم الجائع يسأل اسئلة كبيرة ، والارغفة غزيرة في بيوت المدينة الجائعة ، لو قال لمن وسكت ، لكفاه فخرا انه ابتكر ديوانا عجيبا ، لعلي لا انسى ان نسيت كل شيء . تلك الآية الانجيلية فهي تسأل الى اين يا رب ؟ والمطامع يرى ان السؤال شاعري ، فكان جواب يسوع هكذا « حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور ! » .

وهناك آفاق جديدة عند البير اديب ، اراها عجيبة ، حية ، فاعلة سامقة سموق الغمامة البيضاء . يضرب في قفار قاحلة ، ويتوقف ، وتتوقف معه ثم التفت الى الوراء ، فاذا قصائده قد بذرت الخضرة في تلك الفيافي الشاسعة فهو الانسان الشاعر الرصين ، الزارع خضرته الممرعة في جفاف التربة واحب ان انقل اليك قصيدته الاولى « حياتنا » قال :

حياتنا ، شباب وفكر اخضر
وعواطف من عمل الربيع
وقلوب من ندى الفجر
نجمعها ونغسل بها ارض الازقة
او نروي بها رمال الصحراء ...
هي ليلة ، ثم ضحاها
واذا الزوبعة تذهب بنا
فتأخذ معنا كل احلامنا وامانينا
ونحن على قدم من الهاوية او اقل
ما زلنا نؤسس ، ونبني ونقيم
فما اسخفنا
الا نجعل ايامنا ابتسامة
ونقيم علينا (...)
يعرف كيف يجعلنا نبتسم
حتى لانفسنا

والقصيدة الصغيرة الكبيرة التي طالعتها الان ، هي اولى قصائد الديوان ، استطيع ان اقول طالعتها اكثر من مرة ، وخرجت من سطورها وانا احمل الاكتشافات التالية :

. اولا : اشراق بياني ممتع ، في فاتحة القصيدة ، مع هدوء صادق حي ، والسطران من القصيدة تمثلان مرحلة الصبا والشباب ، وانفتاح عالم الكهولة على الانسان ، ثم يدخل الشاعر خلسة فيحرك الحياة في اعماق الانسان فيكدح ، ويعمل ، ويشقى .

اما المرحلة الثالثة ، ففيها انتفاضة عجيبة ، اذ تأتي الحكمة منحدرة من لسان شرقي . معبأة في نفس الشاعر منتقلة الى شفرتي يراعته .

عد الى القصيدة وطالعها مرة اخرى ، وستجد آفاقا اخرى جديدة .

ثانيا : يعد صاحب ديوان « لمن » اول شاعر عربي يعرف كيف يبوب القصيدة ، ويبنيها كهرم ، ويجعل بعضها مثل العامود الفقري .

انظر الى بعض ما جاء في هذه القصيدة التي عنوانها « خلق » ...

ارخي الرداء
كل شيء هوى
لم يبق غير فضاء
مات حتى الصدى
حتى السكو ن
زال
عاش الفناء وحده
... بشع كربه
مثل الرياء
لجة وراء لجة
(...) وشمطاء وليلاء
نهم
نهم
جاع (...)
فادلقي
ادلقي
البؤس (...)
(.....)
حشرجة الكلمة ...
... وانبثاق النور
... من فرق النغم !!
... من ابكى الراعي !!
... من نهش الشاة !!
عاد الصدى فاستجاب
ايها العبد قم
تمزق النغم
أرايت العدم ؟
(.....)
عاد العدم فاستجاب !!

هذا البناء الشاعري ، يعد اول شاعر عربي اقدم على هندسة القصيدة وجعلها عروسا تعرف كيف تلبس ، وكيف تختال .

ثالثا : في كل قصيدة حكمة في الاخير . فقلما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكتب قصيدة حتى تخلق الدراية ، والمعرفة في ذيل قصائده .

رابعا : المعروف عن البير اديب ، انه لا ينحت القصيدة ، ولا يطعمها بكلمات يأخذها من هنا وهناك . ولا يحشر اراء غيره ، فهو اشبه بالغيمة المحملة بالمطر ، فاذا هبت العواصف عليها امطرت ، وهكذا البير اديب يمطر قصائده على طرسه ، فلا يحور ، ولا يغير حتى النقاط والفوارز يرصعها في سماء القصيدة كأنها من جسد القصيدة .

وجلب انتباهي دراسة موسعة قدمها كأطروحة ضخمة لنيل الدكتوراه الاستاذ درويش الجندي ، بعنوان « الرمزية في الادب العربي » قال فيها (ص ٤٥١ و ٤٩١ و ٥٨٩ و ص ٥٩٤) ان البير أديب شاعر رمزي حديث النزعة ، ابتكر اسلوبا جديدا في شعرنا المعاصر وبز في هذا الابتكار جبران ، ونعيمة ، والرافعي . هذا وهناك قسم خاص اعده شاعرنا في مكتبه ، يخص كل ما كتبته الصحافة الادبية العالمية عن ديوانه « لمن ؟ » وكذلك المجلات ، والكتب الضخمة .

بقي ان تعرف بأن ديوان « لمن ؟ » البالغة صفحاته ١١٤ صفحة ، قد ترجمت اكثر قصائده الى الانكليزية والفرنسية ، الاسبانية والايطالية .

ولست اعني في دراستي هذه الدعوى الى تمجيد صاحب لمن ، لكنه ديوان شعر ، طالعته ، فحرك كل شجوني ، وانتقلت عواطفي الى جذوره ، اذ هممت في محبة قصائده الى امد بعيد في آفاق الخيال الرهيب ، وانني اعتقد بأن ديوانه عبارة عن باكورة الشعر الحديث ، اذ لا نجد انفاس العقم في اسلوبه ، وحركاته ، بل هو عبارة عن شعور صادق .

خامسا : والبراهين مكومة في مكتبة دار الاديب ، طالعت بعضها ، وكلها تؤيد بأن صاحب « لمن ؟ » اول من كتب الشعر حرا ، والذين ادعوه وقالوا بدانا به منذ مطلع ١٩٤٦ ، وقال بعضهم ١٩٤٩ اقول لم يكن تحررا بل كان تفعيلة واحدة ، وليس هناك من كتب تحرر .

بينما البير اديب له قصائد منشورة في بيروت والقاهرة منذ سنة ١٩٢٧ وبراهينه التي يحتفظ بهما كثيرة .

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهموا في نشر الثقافة

ويذكر انه قرأ بعضا من قصائده عام ١٩٣٥ امام فقيد الادب المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني يوم زار بيروت ، فأثنى ، وتعجب ، وقال انه الجديد انه الجديد !.

وذات صباح من عام ١٩٤٨ انحدر الاستاذ الى المقهى القائمة على زاوية شارع باب ادريس ، وكان يؤمها يومذاك شعراء بيروت ، فطلب فنجانا من القهوة ، ورشف الرشفة الأولى من فنجانه ثم أخرج قلمه ، بعد ان شعر بالمخاض الشاعري الرهيب ، وكتب قصيدة في دقيقات معدودات وانتهت قبل ان تنهى القهوة من فنجانه .

وكان لتلك القصيدة صدى هائل ، وجابت ندوات الشعراء في العالم العربي يومذاك ، وعورضت ، وحللت ، ونوقشت وتهافت على صاحب الاديب رسائل ثناء . وهي قصيدة صوفية اصيلة ، محتبكة ، هادئة ، مشرقة ، فاعلة ، تأخذ بمجامع القلب ، تدل على معاناة قاسية ، احسها الشاعر منذ زمن مديد ، واليك مطلعها :

انت ! !
حقيرة انت ...
خلعت عليك المجد
فكنت ،
واشع الغرور
من مقلتيك
ومن كل عبق فاح منك
أيها الصنم الذي خلقت
خسئت الرفعة
فلست مني
من بقصابا الشحون
(.....)
(.....)
جبلت الوهم
ظمآن
وقلت له كن
فكنت
من انت ؟
بربك ...
من انت ! !
وقف الصدى عن ترجيع
صلاتي
فكنت

انتهت القصيدة ، وغدا سيقول التاريخ : البير اديب رحالة جهبذ عمل بصمت ، وانتج ، وواظب ، ودخل التاريخ كعملاق ... ولو وقفت خطيبا في يوم تبجيله ، وتكريمه ، لقلت : حمل الخيط الذي ربط فجر الادب العشريني في مصر ولفه على ارزة الادب في لبنان ، فمزيدا من انتاجك ايها العملاق المحبوب .

يوسف سعيد

تهنئة الاديب

لفقيد الشعر والادب بولس غانم

*

كم هزار شدا وكم عندليب ... يوم عيد الربيع عيد الاديب
دوحة الفضل والحجى وسجل ال ... علم او مسرح الخيال الخصيب
مد لبنان فوقها من بياض ال ... ثلج والسحب كل برد قشيب
فكست غرة الشباب جبينا ... وكسا راسها جلال المشيب
وسقاها من نيل مصر وفاء ... وتغذت من الفرات بطيب
وحباها الحجاز وحي كتاب ... وفلسطين لوعة المنكوب
واستعارت من غوطة الشام زهرا ... وصداح الحسون والعندليب
فصدى العرب صوتها وصداها ... ملعب الفكر في الفضاء الرحيب
وهي قيثارة القلوب ، فخفق ... في حنان وانة من وجيب
وتر صادح وآخر شاك ... من شجى أو هوى به او كروب
ان هذا الاديب سلوى نفوس ال ... عرب طرا وترجمان القلوب
يعصر الفكر يبذل الروح يسقي ال ... طرس من مدمع الجفون الصليب
ويغذي روحا ويأسو جراحا ... ان لله دره من طبيب
كتب الله للأديب بقاء ... وكفته الاقدار شر الخطوب
كم رأينا في مصر من قبل روضا ... صار ينبوع مائه للنضوب
غاب فيها ((وحي الرسالة)) لما ... آذن الفضل والحجى بالمغيب
وبلبنان كم رأينا نجوما ... لامعات قد آذنت بالغروب
افتصدى العقول الجسم يغذى ... ام نرجي المنى بفجر قريب
نحن نسقي العطاش نقري جياع ال ... فكر ، نحنو على الشريد الغريب
فاذا مسنا الأذى فالتمسنا ... آسيا عز في الزمان الجديب
لا نرى ساقيا اذا ما عطشنا ... غير قان من دمعنا المسكوب
لا نرى مطعما لنا ان سغبنا ... فسالنا ، سوى السميع المجيب
نحن كالكرم طاب منه قطوف ... فتدلت على جفاف الدروب
يطأ الناس نبته وتهيل ال ... ريح ما فوقه الثرى بالهبوب
ان عرس الاديب فرحة عمر ... ولقاء الحبيب بالمحبوب
عرس قانا الجليل يوم يعيد ال ... عرب قانا لشعبها المسلوب
قد وقفنا في عيدنا بين شاد ... وخطيب وكاتب وأريب
نسأل الله للاديب ازدهارا ... وحياة سعيدة ((لأديب))
بين الف ووردتين ووحي ... من كتاب وغفلة من رقيب

القاهرة

بولس غانم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



البير اديب

تكريم الاديب اكرام للفكر

بقلم البير أديب

* * *

صاحب المعالي ، ممثل فخامة الرئيس ،

أيها السيدات والسادة ،

لا يصعب علي ازجاء كلمة الشكر والعرفان الى كل من اسهم في انجاح هذا الحفل التكريمي النبيل ، بقدر ما يصعب علي ان يكون الشكر وحده اضعف الايمان ، واعجز ما يستطيع تقديمه انسان ، ايفاء لدين ثقيل احاطني به اخواني واخواتي من حملة الاقلام في لبنان ، والبلاد العربية الشقيقة ، وفي ديار الاستشراق والاغتراب .

لقد شاء خطباء الحفل وشعراؤه ان يصفوا جهاد مجلة « الاديب » ، وثباتها في وجه الزعازع ، وحفاظها على الاصالة الفكرية ، منذ عددها الاول حتى الان ، بأنه عمل شخصي اعيد نفسي من ادعائه ، لان « الاديب » انطلقت منذ خطوتها الاولى ، على ضوء نهج ادبي واضح الابعاد ، وحملت رسالة الوئام بين اللاهجين بالضاد ، فكانت همزة الوصل بينهم ، منبرا لارائهم ، وميدانا لاقلامهم ، حتى اذا كتب لها النجاح ، والحمد لله ، في اداء الرسالة التي انتدبت نفسها لها ، فاليهم يعزى النجاح ، وينسب الفضل ، ويزجى كل شكر .

ومن هنا ان تكريم « الاديب » وان وجه الى المجلة بشخصي المتواضع ، فهو في اعتباري ، اكرام لكل من خط في « الاديب » مقالا ، او قرأ فيها عبارة، او نضد لها حرفا ، وهو كذلك اكرام للفكر ، واكبار للمعرفة ، واعزاز للحضارة الباقية على الزمان .

ولئن كان التكريم يثير في نفس المرء حرجا شخصيا عظيما ، فهو في هذه المناسبة العزيزة التي اتيحت لنا جميعا ، يثلج الافئدة ويفرح النفوس ، لانه يعبر عن موقف جديد مبارك ، يتداعى فيه القوم الى تكريم ظاهرة من ظواهر الفكر بينهم ، في حياة من يكونون وراء نجاح هذه الظواهر، لا بعد أن يكون الثرى قد غيب وجوها انتقلت نفوس اصحابها الى جوار باريها ، فيجيء تكريمها، اذ ذاك ، رثاء على منبر ، او دمعة على قبر . فعسى ان يكون هذا الاحتفال سنة يتبعها العرب في اكرام ادبائهم وشعرائهم وعلمائهم ، اثناء حياتهم .

واني ، باسم « الاديب » ، وكلكم من اسرتها حبة قلب وبؤبؤ عين ، اتقدم بأسمى ايات الشكر من فخامة رئيس الجمهورية ودولة رئيس الحكومة ومعالي وزير الانباء الممثل بسعادة المدير العام للانباء ، مقدرا للدولة التفاتتها الكريمة بمنحي وساما رفيعا هو الدليل الساطع على ان لبنان كان وسيبقى موطن النور والاشعاع والمعرفة.

كما أخص بالشكر نقابة الصحافة اللبنانية ، ونقابة محرري الصحافة اللبنانية ، ورابطة الشباب المثقف في بيروت ، للتعاون المشكور الذي بذله اعضاؤها جميعا من أجل اقامة هذا الاحتفال ، مجددا العهد على المضي في الرسالة التي نذرنا لها العمر ، واستنفدنا لاجلها نظر العين ، وسنمنحها كل ما تبقى لدينا من حشاشة الفؤاد .

سلمتم للادب دعاة ، وللفكر حماة ، والسلام عليكم، وشكرا لكم من القلب .

البير اديب

دراسات في الادب المقارن

بقلم امل امين زكي

* * *

لم يكن للسرقة الادبية Plagiarism في الادب الاوربي في العصور المتقدمة اهمية تذكر كالتي نعرفها اليوم ، وفي واقع الحال ، لم يكن لجريمة السرقة الادبية وجود في العصور الوسطى بل كان الشعراء والادباء والقصاصون يأخذون ما يظنون انهم بحاجة اليه وبدون اي تردد من اي كاتب آخر ويستعملون المواضيع المطروقة والاقاصيص التي تجري على كل لسان فيضعونها باسلوبهم الخاص وتصبح ملكا لهم ولم يوجه اليهم اي شخص لوما او تثريبا . واسطع مثال على ذلك هو « جوسر » ابو الشعر الانكليزي فد تأثر تأثرا كبيرا ، في بداية حياته الشعرية وفي الفترة المعروفة باسم « النترة الفرنسية » بمن سبقه من شعراء الفرنسية واستعان بهم واستعار منهم خاصة في قصيدته « كتاب الدوقة » حين رثى « الدوقة بلانش اوف لانكاستر » فكانت اوصافه واستعاراته وتشبيهاته فرنسية بحتة وكانها كتبت بأقلام استاذيه الفرنسيين غليوم دي ماشو وغليوم دي لوريس . وقد استمر الادباء الاوروبيون على هذه العادة الى ما بعد العصر الاليزابيثي ، فهذا شكسبير نفسه استعار مواضيع معظم مسرحياته من قصص كانت معروفة لدى اكثرية الناس او اكثرية الطبقة المثقفة من الناس كما في « هاملت » و « عطيل » ومعظم مسرحياته ، التاريخية منها والعاطفية .

واما بالنسبة للادب العربي فقد عرف النقاد العرب السرقة الادبية منذ وقت متقدم وهاجمها واستهجنها بعضهم وحاول البعض الاخر السكوت عنها او تفسيرها بما لا يجعل العمل بحد ذاته شيئا بغيضا .

عالج الدكتور مصطفى الصاوي الجويني في مقال له بعنوان « السرقات الادبية » في مجلة « العربي » الكويتية الفراء آراء المتقدمين فيما يسمى بالسرقة الادبية في الشعر العربي وقال فيما قال ان نقاد القرن الرابع الهجري هم احسن من كتب في هذا الحقل امثال الجاحظ وابن طباطبا والقاضي ابي الحسن الجرجاني والآمدي وان من كتب بعدهم في ذلك في القرن الخامس لم يفعل سوى التكرار ولم يصل الى ما وصلوا اليه من الرفعة في مجال النقد . وقد اوجز السرقة بنظر الجاحظ في ان « كل صورة جزئية او معنى بديع مخترع عرضة اما للتناهب ، واما للاستعانة والاستمداد ، اللهم الا التصوير الفرد الذي يتحاماه غير صاحبه من الادباء » (١) . واما بالنسبة الى ابن طباطبا فهو لا يجد غضاضة في الاستعارة من الغير ولا يطلق على اقتباس الفكرة وتحويرها صفة السرقة وانما يقول « تناول المعاني المسبوقة ليس سرقة ، وانما هو اخذ لا يعاب . » (٢) ويقول الدكتور مصطفى الصاوي الجويني بهذا الخصوص : « على انه لم يؤخذ في الاعتبار في بحث مثل هذا الموضوع ، جوانب لها اهميتها ، منها جانب التلمذة ، وان كل معاصر او محدث هو ، بصورة ما ، امتداد لقديم بشكل من الاشكال . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان جوانب التاثر والتأثير في الحقل الادبي لا يمكن تجنبها ، سواء بالتلقي عن عصور سبقت او بالمعاصرة . وفي هذا الشأن فان الشاعر او الاديب عموما حين يتتلمذ على استاذ اديب او شاعر تجده يقلده ويتكيء على افكاره وعلى صوره واساليبه ، حتى تستوي شخصيته الادبية ويستغني عن التعلق بغيره » (٣) .

ويعرف قاموس اكسفورد الانكليزي لفظة Plagiarism او السرقة الادبية بما يلي (٤) :

«The taking and using as one's own of the thoughts, writings, or inventions of another».

اي « ان يأخذ الشخص افكار او كتابات واختراعات غيره وان يستعملها كملكه الخاص . »

واما المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم فيقول « ان كل اثر فني يقوم على ما فيه من الاحساسات والمشاعر والافكار ، وهذه المواد انسانية ملك للمجموع البشري . وهي في ظهورها في آثار الفنان تأخذ لها طابعا شخصيا ، ذلك الطابع هو الذي يعطي لفن الفنان ذاتيته ويميز فنه عن فن غيره . فمن هنا لنا ان نحكم بانه ليس في قاعدة الفن ما يمنع ان يستعين فنان بأفكار فنان غيره او احساساته ومشاعره عن طريق الاستحالة لها . ذلك ليخلص ببناء فني جديد . اما الشيء الذي لا يتفق مع قاعدة الفن فهو سوق الاحساسات والمشاعر والافكار تختال في التشابيه والكنايات والاخيلة الخاصة بفنان اخر ، ذلك ان اصالة الفن وابداعه قائمان على الاخيلة والمجازات وهي ملك شخصي له ، وهي ذاتية يستنزلها الفنان من محنة وجدانه . » (٥)

امامنا الان كتابان مشهوران احدهما قصة من تأليف المرحوم ابرهيم عبد القادر المازني هي « عود على بدء » والاخر مسرحية « مصير صرصار » تأليف توفيق الحكيم ، ونود ان نقوم هنا بدراسة هذين الكتابين على ضوء مقالة الدكتور مصطفى الصاوي الجويني وعلى ضوء التعاريف الاخرى التي قدمناها اعلاه لنرى اين يقف هذان المؤلفان (بفتح اللام) بالنسبة الى تقسيمه وشرحه واين يقف توفيق الحكيم وابرهيم عبدالقادر المازني من التعاريف السابقة . وحاشا ان يكون الغرض من هذه الدراسة التجني على فحول الادب العربي الذين طالما متعونا

بانتاجاتهم الادبية الرائعة في فترة لمعت بها اسماء اشهر كتابنا ومترجمينا في كافة الحقول الادبية وكان اسماهما يترددان في جميع المجلات الادبية وعلى السنة المثقفين اطلاقا ، وانما هي ملاحظة عابرة لما لمست من تشابه بين مسرحية « مصير صرصار » لتوفيق الحكيم وقصة فرانزكافكا « استحالة Metamorphosis » وبين قصة « عود على بدء » وقصة « العكس بالعكس Vice Versa » تأليف ف. انستي . (٦)

ظهرت قصة « العكس بالعكس » لاول مرة باللغة الانكليزية في حزيران من عام ١٨٨٢ واحدثت ضجة مضحكة آنئذ واعيد طبعها عدة مرات منذ ظهورها حتى يومنا هذا . وملخص القصة آنفة الذكر هي ان والدا محترما من طبقة التجار الانكليز المحافظين جاوز الخمسين من عمره كان جالسا في مكتبته في انتظار سيارة الاجرة التي ستقل ولده الذي لا يزيد عمره على الثلاثة عشر عاما ، الى مدرسته بعد انتهاء عطلة عيد الميلاد . وحصل ان كان لديه حجارة سحرية جلبت اليه من الهند كهدية الا انه لم يعرها أدنى اهتمام فقد نسي وجودها وقصة قدرتها السحرية بالمرة على الرغم من انها كانت موضوعة على الطاولة عنده في المكتب لمدة بضع سنوات . واتفق انه كان يعبث بها بين يديه حين جاء ابنه لتوديعه قبل الرجوع الى المدرسة الداخلية وكان الابن متثاقلا من الذهاب فما كان من الاب الا ان قال له : « قد لا تصدقني اذا قلت لك بأني ، على الرغم من كبر سني وعلى الرغم من غبطتك لي ، لا اود في هذه اللحظة الا ان اعود صبيا ثانية ، مثلك . واؤكد لك ان العودة الى المدرسة لا تجعلني تعيسا ابدا » (٧) . وما ان تركت هذه الكلمات شفتي الرجل الا وانقلب الى توأم لابنه في مثل لمح البصر ذلك لانه حين تمنى تلك الامنية غير المقصودة كان الحجر الهندي بين يديه ! وتحصل بعد ذلك المفارقات المضحكة حين ينقلب الولد ابا والاب ابنا ويقاسي ما يقاسي في المدرسة الداخلية التي يعود اليها ، من الطلاب زملائه ومن مدير المدرسة واساتذتها على حد سواء حتى يهرب ويعود الى بيته ثانية ثم يستعين بالحجر كي يعود الى طبيعته الاولى بعد ان صمم على تغيير سياسته تجاه ابنه واطفاله الاخرين .

واما قصة ابراهيم عبد القادر المازني فقد ظهرت عام ١٩٤٣ في سلسلة « اقرأ » واسمها « عود على بدء » وملخصها ان المازني نفسه يرفض ان يأخذ زوجته الى الشيخة صباح ويعلن صراحة بأنه لا يؤمن بالسحر والخرافات ولكنه يضطر الى الذهاب امام اصرار الزوجة فتقرأ الشيخة كفه ثم تقول له : « ستعطى ما لم تطلب ، وتؤتى ما لا يباع ولا يشرى ، وتسلبه في اليوم نفسه . . . وسينضى عنك ثوب الرجولة الى حين يا صاحبي » (٨) .

وحين يعود وزوجه الى البيت تقص الزوجة على الاولاد قصة خرافية مفادها ان فلاحا مسنا يأكل تفاحة سحرية في غير موسمها فيعود صبيا غريرا أصغر من ابنه . وبعد انتهاء القصة يذهب المازني الى فراشه وهو تحت تأثير القصة الخرافية وقصة طالعه الذي قرأته الشيخة قبل ذلك فيرى فيما يرى النائم بأنه عاد صبيا ويخوض مغامرات عديدة في ذلك اليوم الواحد حتى يفيق من نومه ويتخلص من ذلك الكابوس الذي اقض راحته .

اذا ماتمعنا في اسمي القصتين نرى انهما لا يختلفان على الاطلاق ، فبينما اطلق انستي اسم «العكس بالعكس» على قصته اسمى ابراهيم عبد القادر المازني قصته « عود على بدء » وهذه التسمية تصلح ان تكون ترجمة حرفية للمصطلح الانكليزي Vice Versa اللاتيني الاصل . واذا تأملنا محور قصة انستي نرى ان تفاصيل قصته تحصل فعلا اذ ينقلب الاب ابنا والابن ابا بفعل القوة السحرية في الحجارة ويؤدي تصرف كل منهما غير اللائق بسنه الى التعجب والتساؤل . وهذا هو محور قصة المازني اذ ان بطل قصته يحصل له ما يحصل في الحلم وليس في الواقع هذا مع العلم ان السحر يلعب لعبته في التأثير على حلم المازني بعد ان تصر زوجته على زيارة الشيخة العرافة قبل رجوعها الى البيت . فينام وحين يستيقظ صباحا يكتشف بأنه اصبح فتى غضا ابيض البشرة مدللا خبيثا يقوم بالكثير من الاعمال الخسيسة فيلومه عليها الشخص الاخر الكبير المتخفي داخل الطفل الخبيث ، كما يرى ان زوجته هي أمه .

والشخصية المهمة في قصة « العكس بالعكس » هي الرجل الكبير الذي عاد صغيرا والذي ينقل انطباعاته عن الحوادث الى القارىء اي ان القارىء ينظر الى الامور بعيني شخص ناضج ، واما شخصية الصبي فهي ليست بأهمية الشخصية الاولى ولا نراها الا قليلا . وكذلك في قصة المازني الا ان المازني يعكس الاية ويفعل اكثر من انستي : فهو يؤكد شخصية الصبي ويكاد يزيل شخصية الرجل من قصته تماما اللهم الا حين يقوم بتوجيه اللوم الى الصبي أحيانا او حين يختزي من جبنه ولؤمه . اي ان المازني اكتفى بانسان واحد في شخصيتين بينما جعل انستي الشخصيتين منفصلتين .

(١) الدكتور مصطفى الصاوي الجويني ، « السرقات الادبية » ، العربي العدد ١١٧ (آب ، ١٩٦٨) ، ص ١١٢ ـ (٢) المصدر نفسه ، ص ١١٠

(٣) كذا ، ص ١١٠-١١١ (٤) The Oxford English Dictionary, (Oxford, 1952), Third Edition.

(٥) الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم ناجي ، توفيق الحكيم ، (القاهرة ، دار سعد مصر للطباعة والنشر ، ١٩٤٥) ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٦) ف. انستي هو الاسم المستعار الذي كان يستعمله الكاتب الانكليزي توماس انستي غثري في الكتابة ، ولد عام ١٨٥٦ وتوفي عام ١٩٣٤ .

(٧) F. Anstey, Vice Versa; (London, 1962); p. 19.

(٨) ابراهيم عبد القادر المازني ، عود على بدء ، (القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٣) ص ٨ .

فاتحة قصة انستي لا توحي بما سيحدث للتاجر المحترم المحافظ السيد بول بولتديود وكذلك فاتحة قصة المازني فهي تبدأ بشكل لا علاقة له ابدا بما انتهى اليه المازني نفسه بعد ان تخلف من معاكسة زوجه وأولاده واخلد الى الراحة والنوم .

الفكرة ، اذن ، هي نفسها في القصتين الا ان انستي اراد منها ان تكون درسا للاباء المتعنتين المتزمتين الذين لا يريدون ان يسمعوا وجهة نظر الجيل الجديد او الذين يريدون أن يفرضوا ما كان صحيحا في طفولتهم على أولادهم الذين يعيشون في عصر يختلف عن عصرهم . هذا ، وحين جعل انستي في قصته من الابن ابا جعله ، بطبيعة الحال ، يتصرف وهو بصورة ابيه ، بشكل صبياني طيلة مدة الاسبوع الذي تقمص فيه شخصية ابيه مما جعل المعارف والاصدقاء وخدم البيت يشكون في صحة عقله لان تصرفات الابن الهوجاء كانت على نقيض تصرفات الاب الذي كان مثالا للمحافظة والادب والتزمت .

لم نر للصبي في « عود على بدء » والدا فقد توفي والده فأفسدته والدته بحدبها وحنانها لكونه الطفل الوحيد وكانت الشخصية الاخرى للرجل الكامل المتخفية داخله تنحي عليه في بعض الاحيان باللائمة وتحاول نصحه الا انها لم تكن تملك زمام الامور حين كان يريد الصبي تنفيذ ما يريد . الصبي في قصة انستي فقد والدته وعليه فقد كان والده ارملا في حين كانت السيدة هي الارملة في القصة الاولى . كان الاولاد في المدرسة الداخلية ينحون باللائمة على ريشارد لان تصرفه المعقول الرزين بدا غريبا لهم .

في قصة « العكس بالعكس » يكون للصبي خال ، شقيق والدته المتوفاة ، يحبه الاولاد حبا جما الا أن والدهم يحتقره ولا يشجعه على المجيء الى البيت ومخالطة اولاد أخته لانه قام في ماضي حياته بأعمال غير مشرفة لذا فلم يكن السيد بولتديود يكن له احتراما شديدا . في « عود على بدء » يكون لـ « سونه » عم ، شقيق والده المتوفي ، يكرهه « سونه » ويعاكسه في حين كان هناك نوع من الود المتبادل بين العم وزوجة الاخ ، اذ كان العم يرى انه بزواجه من أرملة شقيقه يكون بامكانه الاشراف على تربية الصبي بصورة احسن .

هناك تشابه ايضا في كون كلا الصبيين عارفا بانه قد صفر ويحدث نفسه حينما يخلو الى نفسه بمنطق الرجل الذي جاوز الخمسين على ان الصبي في قصة انستي كان على علم بأنه رجل طيلة الوقت وان اضطر بفعل الظروف ان يظهر بمظهر الصبي لان حجمه فقط هو الذي تغير وكان مالكا لزمام اموره اكثر من « سونه » الذي كانت شخصية الطفل تتغلب عليه دوما وتجعله يتصرف بشكل لا تستطيع الشخصية الكبيرة ان تسيطر عليه الا بعد الانتهاء منه .

كان الصبي في قصة انستي يفضح نفسه احيانا فيما يختار من الاصطلاحات الرجالية التي لا يستعملها الصبيان في سنه وكذلك كان يفعل « سونه » حين يتكلم احيانا فيواجه نفس السؤال الذي واجهه « ريشارد » « هل انت مريض ؟ » الا ان صبي انستي لم يستطع ان يتقمص شخصية الصبي تماما كما تقمصها المازني لانه لم يكن عارفا بالضبط مداخل ومخارج واسرار شخصية ابنه ، بينما قام « سونه » بالدور بصورة مضبوطة .

وكم حاول « ريشارد » ان يبوح بالسر لمدير المدرسة الا انه اخفق في ذلك كذلك باءت محاولة «سونه» بالفشل حين حاول ان يجعل المربية تفهم بانه لم يرها من قبل وانه لم يسمع بها وانه لا يعرف حتى من تكون ! فتسقط مغشيا عليها ويقرر « سونه » الا يعيد عليها ذلك وحين تفتح عينيها ينكر بانه ذكر اي شيء من ذلك ويجعلها تعتقد بأن جميع ما سمعته كان من نسج الخيال او من أثر الدوار والاغماء الذي اصابها .

واما بخصوص وصف مشاعر الصبي « سونه » في « عود على بدء » فهي ولا شك لا تختلف عن مشاعر الصبي « ريشارد » فبينما تقع الامور فعلا « لريشارد » حين عودته الى المدرسة نرى « سونه » يفكر فيما قد يحصل له اذا ما بدأ دوامه في اليوم الثاني وهو يوم السبت بداية الاسبوع المدرسي (تحصل الحوادث للمازني نهار يوم الجمعة) : « « واليوم عرفنا انه الجمعة ، وغدا يجيء السبت ، واحسب ان سيكون علي فيه ان أذهب الى المدرسة ، وان كانت عيني لم تقع في هذا البيت على كتاب او دفتر او قلم ، ام ترى للدرس غرفة خاصة ؟ وكيف اذهب الى مدرسة لا اعرف اين هي ؟ وهبهم حملوني اليها في سيارة ، او رافقني اليها خادم ، فالى اي الفرق اقصد ؟ واي التلاميذ احيي ، وعن ايهم اعرض ، ومن الاعب ومن اتقي ؟ وآه لو كان الذي تقمصت بدنه قد أورثني عداوات وخصومات وثارات ؟ واخرج يوما او ليلة اتمشى فاذا ثلاثة او اربعة ــ او اكثر او اقل ــ من الحاقدين الموتورين او المولعين بالشر لوجه الله تعالى ، قد كمنوا لي وراء شجرة ، ثم انقضوا علي واوسعوني لكما وركلا وتمزيقا ؟ .. او قذفوني بحجارة فشجوا لي راسي واسالوا دمي وهشموا عظمي ؟ » (٩) .

يصل « ريشارد » الى المحطة في انتظار القطار الذي سيأخذه الى المدرسة الداخلية وبينا هو يفكر في العودة الى البيت بدلا من اتمام السفرة يأتي صبي اخر ويحييه بحرارة الا انه لا يذكر انه راى ذلك الصبي قبلا ويجيبه ببرود فيلح الصبي عليه بالسؤال بعد أن يأخذ يده « ... ماذا بك ؟ ماذا فعلت لك كي تقابلني بهذا البرود ؟» فيجيبه الصبي ــ الرجل :

(٩) ابراهيم عبد القادر المازني ، عود على بدء ، (القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٣) ، ص ٨١ ــ ٨٢ .

« لم تفعل شيئا الان الا اني لا احبك لاني لم يحصل لي شرف معرفتك » . فيجيبه الاخر بغضب « حسنا جدا اذن ، انت تعرف احسن . لكني ارى ان الاولى بك ان تتذكر بأنك تعرفني من قبل ، خاصة وقد تم مجيئنا (الى المدرسة) في وقت واحد وصرنا اصدقاء واخذنا منذ ذلك الحين نجلس الواحد جنب الاخر » . قال السيد بولتديود « انني لا أذكرك وازيدك بأني ليست لدي اي فكرة عما هو اسمك . كل ما هنالك هو ان غلطة طفيفة حصلت ولا استطيع ان اقف الان لكي اتكلم عنها . تلك سيارة اجرة جاءت الان فارجو اعفائي حقا ، يا ولدي ، لاني اريد الذهاب » (١٠) .

الاختلاف بين الاثنين هنا هو ان صبي المازني لم يكن يعرف كيف سيتصرف اذا ما ذهب الى المدرسة بينما حصلت الواقعة لصبي انستي اذ انكر اقرب اصدقائه اليه ولم يعرف من هو وعامله كما يعامل رجل صبيا ناسيا بأنه انقلب انسانا آخر يلبس زي المدرسة الموحد وينتظر القطار شأنه شأن الصبيان الاخرين ، وكان الصبي الاخر يظنه يمزح . وبعد ان يركبوا القطار بصحبة المدير الدكتور غرمستون وبقية الطلاب يشم السيد بولتديود رائحة نعناع تنبعث من الخلف وبما انه يكره النعناع يبادر الى التذمر من الرائحة بصوت عال وبلهجة رجالية بحتة بينما يبهت الطلاب من ذلك التصرف وتثور ثائرة المدير لانه سبق ان منع جلب الحلوى الى المدرسة ولانه لا يريد ان يتعلم طلابه الترف فينادي على احد التلاميذ ويرغمه على ان يفرغ جيوبه من جميع الحلوى ويرميها من شباك القطار . وما ان ينتهي من هذا العمل الا ويصرخ السيد بولتديود فقد ركله احد التلاميذ ركلة شديدة على ساقه من تحت المقعد لانه تسبب في ضياع الحلوى وفي معاقبة التلميذ . وبعد وصولهم الى المدرسة واطمئنانهم بأن المدير بعيدا عنهم في غرفته يجتمعون على السيد بولتديود فيضربونه ويلوون ذراعه لانه تسبب في المضايقات المذكورة ويتعجبون لانه قد غير من طباعه بعد العطلة ويهددونه بشر المصير ان هو عاد الى ذلك . ثم يعودون الى ضربه مرة ثانية بعد ان يصعدوا الى غرف النوم . لقد فعل «الحاقدون والموتورون » من الصبيان فعلتهم بريشارد حين وضعوه في الوسط وبدأوا يضربونه ويركلونه فعلا وهو يحاول التخلص منهم الا انهم كانوا يوسعونه ضربا جيئة وذهابا في محاولته الهروب منهم (ص ١٤٨) .

وصف معاملة اولاد المازني « لسونه » في حفلة عيد ميلاده حين اراد البرهان على شجاعته فأشبعه الصبيان لكما وضربا واخذوا يعيرونه لجبنه (ص ٩٦) تذكر الشخص بمعاملة الاولاد « لريشارد » حين ذكروا بانه مدين لهم ببعض المبالغ وقت ان وعد بجلب الارانب والفئران لهم . بالطبع ، ما رآه المازني يختلف قليلا وهو من باب « التحوير الادبي » الذي اعترض عليه الدكتور الجويني في مقاله ، ذلك ان المازني يرى ان ولديه الاثنين اللذين اعطانا وصفهما في بداية القصة واعلمنا بأنهما كانا شيطانين رجيمين ، هما اللذان يقومان بضربه واهانته بدلا من الاغراب كما ان الوصف الذي اعطي للاولاد (« عود على بدء » ص ٩٢) اذ يرفس بعضهم بعضا لغير ما سبب معين عندما يتركون لوحدهم اشبه ما يكون بوصف انستي للصبيان في القسم الداخلي مساء حين يأمنون شر الدكتور غرمستون مدير المدرسة فيبدأون بركل بعضهم وضرب بعضهم او ان يجتمعوا على واحد منهم اساء التصرف صباحا ، بالنسبة اليهم ، فيعطونه درسا لا ينساه وهم بمأمن من الدكتور غرمستون . الا ان « سونه » يتصرف دائما وابدا بشكل مخز فهو جبان رعديد يضربه الاولاد فيهرب منهم ويبكي ولا يتردد عن الكذب عند الضرورة ، واما « ريشارد » فقد كانت تصرفاته معقولة لا بأس بها ولم يبد اي نوع من الجبن وان كان الاولاد يغلبونه على امره في بعض الاحيان ذلك لان الاب الكامن فيه لم يتوقع المفاجآت التي كان يواجهه بها الاولاد لانه نسي اطوار الطفولة والشباب منذ زمن بعيد . لذا كانت تصرفاته تبدو غريبة احيانا لاصدقائه كانكاره العلاقة الغرامية السرية بينه وبين « دولسي » ابنة مدير المدرسة واصراره حتى على عدم معرفة اسمها او انكاره كتابة الرسالة الى الفتاة الاخرى في الكنيسة فهو فعلا لم يفعل ذلك بل قد فعله ابنه . اما ان الاثنين كانا يعلمان طيلة الوقت بأنهما رجلان تحولا الى صبيين غريرين فذلك واضح في الكتابين .

هذا ، وقد حشر المازني في قصته تفاصيل لا معنى لها كأن جعل صبيه يحلم احلاما متعددة فطورا يرى نفسه انه ولد صغير يعيش في كوخ ساحرة خبيثة تسخره لخدمتها ، وتارة يرى انه انقلب كلبا يلبس ملابس الادميين ويجمع المال للعجوز صاحبته ، كل ذلك لم يزد او ينقص في القصة لا قليلا ولا كثيرا سوى انه انتج بعض التعقيد لكون القصة في حد ذاتها حلما واذا بنا ندخل في حلم داخل حلم . ولعل المازني فعل ذلك ايضا من باب « التحوير الادبي » كي يضيع اثر القصة الاولى في هذه التفاصيل غير المهمة .

واما نهاية قصة المازني فتكون بانتهاء الحلم واستيقاظه من النوم واما نهاية قصة انستي فتكون بعد هروبه من المدرسة الداخلية ورجوعه الى البيت ثم استعانته بالحجر الهندي مرة ثانية كي يعود الى حالته الطبيعية الاولى .

والان ، اين تقع هذه الحقائق من التعريف الاول ، هل تدخل في نطاق « الاخذ » الذي لا يعاب ما دامت

(١٠) F. Anstey, Vice Versa, (London, 1962), P. 41.

(١١) الدكتور مصطفى الصاوي الجويني « السرقات الادبية » ، العربي العدد ١١٧ (آب ، ١٩٦٨) ، ص ١١٢ .

الفكرة الاصلية قد تحورت قليلا وما دامت الرواية الاولى حصلت بالفعل بقوة السحر في حين ان الرواية الثانية لم تحصل اصلا لانها لم تكن سوى اضغاث احلام ؟ نعود فنستشهد بالدكتور الجويني : « ان التحوير الادبي ببساطة ، هو اخفاء معالم الاخذ . » (١١)

من الواضح ان هناك اختلافا في عمري الولدين فالصبي عند المازني لم يتجاوز العاشرة بينما هو عند انستي في الثالثة عشرة ولكنه انضج واعقل من الصبي بمراحل لان شخصية الرجل الناضج الداخلية كانت هي المسيطرة عند « انستي » بينما كانت شخصية الصبي هي المهمة عند المازني . كما ان هناك بعض الاختلاف في التصرف لان صبي انستي اجرى مغامراته في المدرسة الداخلية بينما يكون صبي المازني في البيت والطفل الوحيد لذا فانه مدلل العائلة والكل على استعداد لنسيان اغلاطه وتلبية اوامره واخفاء خططه اللعينة .

ويتعرض « ريشارد » في رواية « العكس بالعكس » لعقوبات شديدة من قبل مدير المدرسة ومن قبل زملائه في القسم الداخلي كما ان والده لا يلبي مطالبه ويكاد مصروفه يكون كفافا لان السيد بولتديود لا يؤمن بالتدليل وافساد الاولاد .

يقول الدكتور محمد مندور في كتابه « محاضرات عن ابراهيم المازني » في فصل « المازني القصاص » : « فهو لم يكتب قصصا من العدم ، ولا من نسج الخيال ، بل استقى مادة قصصه مما رأى او جرب او سمع . بل ان بطل قصتيه الاساسيتين وهما « ابراهيم الكاتب » و « ابراهيم الشاعر » هو المازني نفسه ، بل لعلنا لا نعدو الحق ان قلنا انه هو نفسه بطل معظم ما كتبه من قصص واقاصيص ، كما كان محور الكثير مما كتبه من مقالات تدور حول ذكريات حياته او مشقات عمله الصحفي او تجاربه في الحياة وشتى علاقاته الاجتماعية ، بحيث يمكن القول بأن ادب المازني كله ، شعرا ونثرا وقصصا ومقالات، ادب شخصي ، ومع ذلك استطاع المازني بما وهبه الله من روح شاعرية شفافة ، وبما افاده من الحياة من فلسفة فكهة ساخرة ان يعطي هذا الادب طابعا انسانيا جديرا بالخلود » . (١٢)

هذا القول يصح بالضبط على كتاب المازني « عود على بدء » لو اضاف الدكتور مندور الى عبارته السابقة « استقى مادة قصصه مما رأى او جرب او سمع » كلمة « او قرأ » لان المازني ، رحمه الله ، لم يكتب «من العدم» في كتابه « عود على بدء » وانه لم يكتف بالاستقاء من المادة فقط بل فعل اكثر من ذلك : انه اقتبس الفكرة بأجمعها تقريبا من كتاب « العكس بالعكس » . فهل عني الدكتور مندور بعبارته السابقة ان المازني « اخذ » افكاره تلك مما قرأ او تأثر بقراءته ؟

تورد السيدة نعمات احمد فؤاد في كتابها « ادب المازني » نصوصا من كتاب « ابرهيم الكاتب » وكتاب « سانين » الذي ترجمه المازني تحت اسم « ابن الطبيعة » وقد وضعت الترجمة والاصل متقابلين وكان التشابه كبيرا الى درجة ان العبارات في بعض الاحيان كانت ذاتها في الاثنين (١٣) . ثم تجيب على دفاع المازني عن نفسه حين اراد ان يزيل تهمة السرقة الادبية عنه بقوله انه بعد ان دفع رواية « ابرهيم الكاتب » الى الناشر وبعد ان طبعت ونشرت اصيب بدهشة عظيمة حين اتهمه احد النقاد في مجلة الحديث الحلبية بانه قد نقل فصلا كاملا من رواية « ابن الطبيعة » في قصته « ابرهيم الكاتب » . وانه حين قارن مؤلفه بالكتاب المترجم وجد ان التهمة صحيحة الا انه يريد من القارىء ان يصدقه بأن رواية « ابن الطبيعة » لم تكن في متناول يده ولا في بيته وهو بكتب روايته ، اقول ، تجيب السيدة نعمات احمد فؤاد على ذلك بقولها :

« وهذا الدفاع مغالطة من المازني فان صلة الصورة بالشعور الذي يعبر عنه الانسان يجعل تفاصيل هذه الصورة من خصائصها التي لا ينبغي ان تتكرر عند الكاتب ولا عند غيره بغض النظر عن ان الوصف عادي او متفوق لان تفاصيل الصورة تعطيها خصوصية . ومعايشة الذاكرة التي يتكلم عنها المازني ، لا تصل الى المطابقة التامة من حيث دقة الصورة وجزئياتها . ولهذا لا ينهض هذا العذر بنفي السرقة الادبية . » (١٤)

الا ان الدكتور محمد مندور في كتابه عن المازني يقول : « بأنه كثيرا ما يجد عند غيره من الادباء والشعراء تعبيرا عما في نفسه ، فينقله شعرا او نثرا الى اللغة العربية منسوبا لذويه ، كما يحدث ان تذوب بعض معاني الغير في بوتقة نفسه وتتوه في لاوعيه ثم تبرز على غير منه فيما يشعر او ينثر » (١٥) .

لا ادري اذا كانت هذه العبارة محاولة لتغطية عملية « الاخذ » بحد ذاتها او انها تفاض عن تقصير صدر من اديب كبير له ما له من فضل على الادب العربي وله ما له من ذكرى طيبة في نفوس كل من عرفه او عرف كتاباته . ولعل المازني كان يحاول ان يجد لنفسه عذرا او مخرجا فيما اورده عن بشار بن برد لتشابه الحالتين : « وقد اخذ

(١٢) الدكتور محمد مندور ، محاضرات عن ابراهيم المازني ، (القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٤) ، ص ٤٥ . (١٣) نعمات احمد فؤاد ، ادب المازني ، (القاهرة ، مطبعة دار الهنا ، ١٩٥٤) ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ - ١٩٣ (١٥) الدكتور محمد مندور ، محاضرات عن ابراهيم المازني ، (القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٤) ، ص ٢٢ (١٦) ابراهيم عبد القادر المازني ، بشار بن برد ، (القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٤٤) ، ص ١١٥ . (١٧) نعمات احمد فؤاد ، ادب المازني ، (القاهرة ، مطبعة دار الهنا ، ١٩٥٤) ، ص ١٩٨ . (١٨) ابراهيم عبد القادر المازني ، « حلم بالمدرسة » ، الرسالة ، العدد ٢١٤ ، (١٩٣٧) ، ص ١٢٨٥ .

مسيرة الوعل

مسافر .. لا حزن في ضلوعه
وليس في عيونه علائم الفرح
كانما السماء والجبال والبراري
تفتحت في وجهه خريطه
خالية الاديم من شواهد الحوار
كانما أحزانه القديمه
مقبرة على ضفاف النيل
جاثمة ، تغط في الزمان والغبار
كانما افراحه القديمه
حديقة مزهرة ، مرا عليها عندما كانا معا
وعندما عاد وحيداً ضائعا
كانت هناك كومة من شجر الصبار والحجار

مسافر .. تسلمه كآبة الوديان
لقمة ، يغرد في نسيمها المنطلق الوضيء
أشواقه المبعثره
وروحه المنكسره ،
يأخذ قسط راحة ، يقلب النظر
على السهول الآسنه
على الجبال الساكنه
ترسله كآبة المشاهد المستسلمه
للصخر ، والرمال .. في مسالك الوديان

مسافر .. يسلمه المكان للمكان
لا أحد يعرفه ،
لا أحد يراه ..
كانما في دورة الساعات والايام والفصول
تندثر الوعول ،
على رمال الثلج والجليد في الشمال
لا حزن في ضلوعها ،
وليس في عيونها بشائر الفرح !!

حلب — صباح الدين كريدي

بشار من غيره ، واخذ منه غيره ، فأحسن الاخذ واحسنوا . ولعل الاشبه بالصواب ان نقول ان معانيه ـ ومعظمها وسط ـ كثيرة في كلام من سبقوه ومن جاءوا بعده ، وهي ليست من البراعة او العمق بحيث لا يعقل ان تخطر على البال . واذا ذكرت ان كل شاعر كان يحفظ كلام من سبقوه ويحرص على الاحاطة به فانك خليق ان لا تستغرب هذا التشابه الكثير بين معاني المتقدمين والمتأخرين » . (١٦) .

وأجد ان هناك فقرة لطيفة في الفصل الخامس من كتاب السيدة نعمات احمد فؤاد عن المازني وكاني بها ترد على الفقرة التي اقتطفت في بداية البحث من مقال الدكتور الجويني بخصوص اهمية التلمذة وتأثير الاستاذ في تلميذه اذ تقول الاستاذة الفاضلة : « وكلمتي الاخيرة في هذا الموضوع هي ان ثقافة المرء تؤثر فيه . ولكننا اذا اغتفرنا للمازني تأثره بالجاحظ ومحاكاته له في بعض التعبيرات في بدء تكوينه الادبي ، او تأثره ببعض ادباء الغرب ابان شبابه من عكوفه على مطالعتهم ، فاننا لا نغتفر له بعد ان تكونت شخصيته ان ينقل صفحات من (سانين) الى (ابرهيم الكاتب) ، او يأخذ موضوعا كاملا بكل مقوماته وتفاصيله كما فعل في (غريزة المراة) » (١٧) .

اعتقد ان هذه العبارة تنطبق على كتاب « عود على بدء » اكثر من غيرها من المؤلفات اذا ما ذكرنا ان « ابرهيم الكاتب » صدرت عام ١٩٣٢ بينما صدر كتاب « عود على بدء » سنة ١٩٤٣ أي بعد ان اصبح المازني علما من أعلام الادب العربي ، وارى ان قصة انستي تركت اثرا كبيرا في نفس المازني حتى قبل أن ينشر كتابه « عود على بدء » ذلك انه نشر في مجلة الرسالة اقصوصة او مقالة بعنوان «حلم بالمدرسة » قبل صدور الكتاب ببضع سنين يرى نفسه فيها وقد عاد الى حياة التلمذة طالبا في الصف يحاور ويجادل أساتذته وقد ميز بعضا من زملائه الادباء جلوسا في قاعة الدرس مثله ايضا » (١٨) .

وبطبيعة الحال لم تدخل هذه الاقصوصة في تفاصيل كثيرة لانها لم تزد على الصفحتين ولكني أعتقد بأن قصة انستي راقته كثيرا وانها كانت تراوده للاقتباس منها فكتب هذه الاقصوصة اولا الا انها لم ترو غليله فاختمرت الفكرة اخيرا في راسه واصدر كتابه عام ١٩٤٣ .

هذا ما ارتأيناه الان من اوجه الشبه بين كتابي المازني وانستي ولنا عودة قريبة لتكملة المقالة بخصوص المقارنة بين مسرحية توفيق الحكيم « مصير صرصار » وقصة فرانزكافكا « استحالة » .

بغداد — أمل أمين زكي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غدا نلتقي

الى روح استاذي الراحل الدكتور مصطفى جـواد أهدي هذه الاضمامة الحزينـة ...

★

لعل الضنى عن بعض ما في شاهد .. فكيف اداري من جوى وأجالد .. ؟
الام نصافي الدهـر وهو يكايد .. ؟ وفيم نداري .. وهو غر يعاند .. ؟
ايثكلنا العلـق النفيس ومـن لنـا بذاك «الجواد» الفرد والفرد واحد ..؟
ويا حيرتي اذ أنشـد الصبر ضلـة واستمتح الاجفـان وهي جوامد ..
يقولون أنشـى هدها الخطـب انـه هو الخطب تخشاه الصخور الجلامد

مضى «مصطفى» فيناحميدا ومامضت له الباقيـات الصالحـات الخوالـد
مضى «مصطفى» لكن الى فيء رحمة وظـل رحيـم يرتجـى ويناشـد
مضى (مصطفى) جسما ولكن (مصطفى) بارواحنـا بـاق بها الـدهر خالـد

وشرفنـي أنـي تتلمـذت حقبـة عليـه وكـل صـادر عنـه وارد
بافكـارنـا من نـوره كـل قبسـة مخـايـل مـن آلائـه وشـواهد
عزيـز على مثلـي تقـول رثـاءه تمنيت أن لو قد نعتني العوائـد ..
وأفحمت لا بـل عـي بالـرزء مقولي أمعربـة عني الفصـاح الشوارد ؟!

فديـنـاك .. لو يفدى العزيز بانفس فدتك اذن منـا الحسـان الخرائـد
بـدا المنبر الوضـاء بعـدك كابيـا وناحت طروس اذ نعتـك المعاهـد
وفي صفحة الاقلام من فقدك الاسى أما عن فصيح اللفظ بعدك شاهد ..؟
وقلت لنا .. «قل .. لا تقل» نحن كلنا سنملي الذي امليـت والعلم رافـد

جميعـا غـدا او بعده ثـم نلتقـي مصادرنـا قد اشـبهتها المـوارد
سنمضي أجل نمضي جميعا لغاية .. غـدا موعـد كل الى اللـه عـائـد
غـدا محشر فيـه الاخـلاء تلتقـي ويجمـع بالادنـين فيـه الابـاعـد
وان عزاءى عنـك أن بنـي الـورى ودنياهـم دومـا : طريـد وطـارد

جامعة بغداد — عاتكة الخزرجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور احمد الشرباصي

أثر الامام محمد عبده في اللغة والادب

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

من المعلوم ان اللغة هي أداة التفاهم ، وهي المظهر الذي تبدو فيه أفكار المتكلمين بها ، والمترجم الذي يعرب عن خواطرهم ومشاعرهم ، ولذلك قال مصطفى صادق الرافعي : « اللغة هي صورة وجود الامة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها ، وجودا متميزا قائما بخصائصه ، فهي قومية الفكر ، تتحد بها الامة في صور التفكير ، وأساليب أخذ المعنى من المادة » .

وهناك من اذا سمع كلمة « اللغة » فهم منها ما يدل على مجموعة من الالفاظ والمفردات التي لا يربطها تعبير أو تصوير ، وهذا المعنى غير مراد في هذا البحث ، بل يراد هنا من اللغة ما يشمل الالفاظ والتراكيب ، او المفردات والعبارات ، واللغة بهذا المدلول وثيقة الصلة بالادب ، حتى يكادا يترادفان في فهم فريق من الكاتبين ، ومن هنا حكم الرافعي في كتابه « وحي القلم » على كتب مثل : « ادب الكاتب » لابن قتيبة ، و « النوادر » للقالي ، و « الكامل » للمبرد ، و « البيان والتبيين » للجاحظ بأنها كتب أدب ، لانها ـ كما يعبر ـ كتب « تربية لغوية » قائمة على أصول محكمة في هذا الباب .

واللغة في عصر الاستاذ الامام محمد عبده (المولود في سنة ١٨٤٥ والمتوفي سنة ١٩٠٥) كانت ضعيفة راكدة الى حد ما ، فقد كان الحكم التركي يحول دون العناية اللازمة بهذه اللغة ، مع أنها لغة القومية ولغة القرآن ولغة الاسلام ، والعلاقة التي كان هذا الحكم يستند اليها فيما بينه وبين العالم العربي هي علاقة القرآن والاسلام . ولم يقتصر هذا الحكم على الموقف السلبي من اللغة العربية ، بل انتقل في مقاومتها الى نشاط ايجابي ، بأن فرض لغته التركية على أبناء العربية ، وجعل تدريس العلوم ـ الا اقلها ـ بالتركية ، وبذل الجهود الكثيرة لنشر لغته وتثبيتها ، وظهر هذا بوضوح في بلاد الشام .

ولقد جاء في كتاب « خاطرات جمال الدين » للمخزومي ان اول نقد وجهه جمال الدين الافغاني الى الاتراك هو اغفالهم استعمال اللغة العربية ، ومحاربتهم لها ، وقرر ان هذا يؤلمه ، وقال ان لسان دين الاسلام هو العربية ، ثم قال : « ويجب تعميم اللسان العربي بين من دان بالاسلام من الاعاجم ليفقهوا احكامه ، ويمشوا على سنن الارتقاء بعلومه وادابه ، ومكارم اخلاقه ، ومحاسن عوائد أهله . فالعرب ما نجحوا بفتوحاتهم بشكل الدين الظاهري فقط ، بل بفهم احكامه ، والعمل بآدابه ، وذلك ما تم ـ ولا يتم ـ الا باللسان ، وهو احد الاركان » .

والى جوار التعويق التركي لحركة اللغة العربية في ذلك العهد ، كان التعليم قاصرا وضيق النطاق ، وكان الادب فاترا قليل الاتباع ، وكانت وسائل التثقيف والتوجيه والاعلام قليلة ومسخرة لاغراض الحكم واهواء الحاكمين .

وكانت الامة العربية التي تعاني التخلف ، وتضيق بالاحتلال ، تتطلع الى نجوم من ابنائها ، يطلعون مشرقين بين ظلام جهلها وحرمانها ، لينيروا الطريق نحو نهضة علمية لغوية ادبية ، وقبيل منتصف القرن التاسع عشر ، وفي سنة ١٨٤٥ بالذات ولد الشيخ محمد عبده ليكون بشيرا باقبال أحد اعلام الاصلاح في الدين واللغة والمجتمع ، سيجعل شعاره في حياته تحقيق اهداف ثلاثة : أولها تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة ، وثانيها النهوض باللغة العربية ، وثالثها هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة .

ويقول الاستاذ الامام فيما يتعلق بالهدف الثاني : « واما الامر الثاني فهو اصلاح اساليب اللغة العربية في التحرير : سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها ، او فيما تنشره الجرائد على الكافة ، منشئا ، او مترجما من لغات أخرى ، او في المراسلات بين الناس .

وكانت اساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجه الذوق ، وتنكره لغة العرب : الاول ما كان مستعملا في مصالح الحكومة وما يشبهها ، وهو ضرب من

ضروب التأليف بين الكلمات رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده الى لغة من لغات العالم ، لا في صورته ، ولا في مادته ، ولا يزال شيء من بقاياه الى اليوم عند بعض الكتاب ومن تعلم منهم ، غير انه والحمد لله قليل .

والنوع الثاني ما كان يستعمله الادباء والمتخرجون من الجامع الازهر ، وهو ما كان يراعى فيه السجع وان كان باردا ، وتلاحظ فيه الفواصل وانواع الجناس وان كان رديئا في الذوق ، بعيدا عن الفهم ، ثقيلا على السمع ، غير مؤد للمعنى المقصود ، ولا منطبق على آداب اللغة العربية ، وهو — وان كان يمكن رده الى اصول اللغة العربية في صورته ، لا يعد من أساليبها المرضية عند أهلها » . (تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ١١) .

ويعود الاستاذ الامام الى وصف اللغة الركيكة المعقدة التي كان يتبعها اهل الجمود والضعف على عهده فيقول : « وضعوا لانفسهم لغة جديدة غير التي انزل الله بها شرعه ، ولذلك نراهم في مثل وقفية الواقف ، يحارون في الفهم حيرة لا خلاص منها » .

★★★

ولقد كان الاستاذ الامام — كما يذكر رشيد رضا — يرى ان حياة الامة دون حياة لغتها من المحال ، وان حياة العلوم العربية بمثل الكتب السقيمة العقيمة التي كانت على عهده من المحال ، وانه لا بد للاصلاح من احياء كتب الائمة وكبار العلماء ، التي الفت ايام كان العلم حيا في الامة . وكان يعتز بهذه اللغة الى حد بعيد ، فهو يحث على غرارها : مطالعة وتفهما وحفظا ، وهو يرى انه لا سبيل الى فهم المعنى الصحيح للقرآن الكريم الا بالتمكن من اللغة العربية ، وذلك يتحقق بممارسة الكلام البليغ ومزاولته ، مع التفطن لنكته ومحاسنه ، واذا كان شاعر القطرين خليل مطران قد قال نثرا : « حسب المسلمين فخرا ان يكون لهم كتاب هو معجم البلاغة العربية العالية على مر العصور » . وقد قال شعرا على لسان اللغة العربية :

انا العربية المشهور فضلي ... أأغدو اليوم والمفهور فضلي ؟
ففي القرآن اعجاز تجلت ... حلاي بنوره أسنى تحلي
اذا ما القوم باللغة استخفوا ... فضاعت ، ما مصير القوم ؟ قل لي

اذا كان خليل مطران — وهو شاعر عربي مسيحي — يقول هذا نثرا وشعرا فليس بغريب ان يعنى العالم العربي المسلم محمد عبده بلغة القرآن أكبر عناية ، فهو يغار عليها ويدعو اليها ، وهو يحرص على التعبير الفصيح في حديثه وكتابته ، وهو يحث غيره على خدمة اللغة ونشر كنوزها وهو يحرص — من ولوعه بها وحبه لها — على أن يعرب أواخر الكلمات حتى عند الوقوف عليها ، ولقد زار ذات يوم مدرسة اسوان الابتدائية ، وكان المرحوم عباس محمود العقاد تلميذا بها ، وكان من معلميه فيها الشيخ محمد فخر الدين ، وكان العقاد التلميذ يكتب موضوعات انشائية جيدة ، فاطلع المعلم الاستاذ الامام على كراسة العقاد ، فقال الامام : « ما أجدر هذا ان يكون كاتبا بعد » . ونطق كلمة « بعد » بضم الدال غير واقف عليها بالسكون ، ولقد تأثر سعد زغلول بأستاذه الشيخ محمد عبده في ذلك ، فكان يقف على أواخر الكلمات محركة غير ساكنة ، وكأن مدرسة الامام كانت — كما يقول العقاد في كتابه أنا — تحرص على تحريك اواخر الكلمات انفة من الهرب ، على حد قول القائلين : « سكن تسلم » ! .

ومن هيام الاستاذ الامام بهذه اللغة العربية الكريمة انه كان كالمتعمد للاتيان في كتابته بمفردات غريبة ، كأنه يريد احياءها ، او التعريف بها ، او اشاعتها بين الناس لاستعمال حتى تصير مانوسة ، فهو يستعمل مثلا كلمة « الاغسار » وهو التقصير ، و « القبقب » وهو البطن ، و « الذبذب » وهو أهداب الثوب ، و « العاهدة » بمعنى الشاهدة ، و « اللهازم » بمعنى الاعلياء ، و « القسطل » وهو الغبار الساطع في الحرب ، و « الذملقاني » وهو السريع الكلام ، و « ثغثغ » في كلامه بمعنى خلط وثرثر ، و « المثغثف » بمعنى المتفلسف » ، و « المناهدة » وهي المدافعة ، و « الصماليخ » — جمع صملاخ — وهو وسخ الاذن ، و « الجهام » بمعنى السحاب الذي لا ماء فيه ، و « الكهام » وهو غير القاطع ، وهذه الكلمات كلها قد وردت في كتاب « المسلمون والاسلام » الذي يضم مجموعة من مقالات الاستاذ الامام .

ومما يعين على تحديد نظرة محمد عبده الى اللغة مذهبه في تحصيل مادتها ، فهو يرى انها تحصيل ملكة بالممارسة والدربة والتفهم ، وليست بتحصيل قواعد او مصطلحات ، ويرى ان دقائق الفصاحة والبلاغة وبراعة التعبير تحيي الفهم ، وانه لا قدرة للاديب على حسن التعبير بغير توفير مادته من اللغة ، وان الشعر البليغ لا بد له من جودة اللغة ، وان تكون الفاظه آخذة بجزء من روح الشاعر .

والاستاذ الامام يتخذ من لغة القرآن وبيانه مثلا أعلى ، ولذلك لا يخالف طريقته في التعبير او الاعراب ، ولو الى صواب آخر ، من شواهد ذلك أنه استعمل مرة الفعل « نصح » متعديا بنفسه ، فقال له تلميذه وصفيه رشيد رضا : « لقد ورد في اللغة : نصحه ونصح له ، والثاني هو استعمال القرآن الكريم » . وهو يقصد بهذا ان الفعل « نصح » ورد متعديا بنفسه في أكثر من عشرة مواطن من القرآن الكريم ، فما كان من الشيخ محمد عبده حين سمع هذا من رشيد رضا الا أن قال له : « صححها فاني لا أخالف القرآن ولو الى صواب » . وقد اكد امير البيان شكيب ارسلان هذه الواقعة في كتابه الذي ضمنه رسائل رشيد رضا اليه ، وجعل عنوانه : « السيد رشيد رضا او اخاء اربعين سنة » (انظر ص ٥٧٩) .

الى البير اديب

درب الجهاد على الاديب يطول ... والصامد المقدام فيه قليل
فاهنا وصلت وقد ظفرت بغاره ... واليوم توج رأسك الاكليل
أفنيت عمرك في الطروس محبرا ... أدماك في تلك الطروس تسيل ؟
أم نور عينك في السطور سكبته ... فبدا ـ الاديب ـ كأنه القنديل
عشرات أعوام قضيت محررا ... تلك الصحيفة والجهاد طويل
وكفى الاديب من الحياة يراعه ... هو صارم عند النضال صقيل
فاذا يصادق فهو أصدق صاحب ... واذا يعادي فالعدو قتيل
يعطي الاديب حياته قراءة ... والدهر في حق الاديب بخيل
أتذكر الماضي وعهدا طيبا ... تذكار ماضينا الجميل .. جميل
ايام كنا والشباب حليفنا ... والعيش سهل والحياة فضول
أيام كنا والحياة سعيدة ... نختال في ساح الهوى ونجول
ولنا حبيب لا يمل لقاءنا ... واليوم كم عنا الحبيب يميل
والشيب أبيضه بمعاجم فودنا ... فاسود منه القلب وهو عليل
لا شيء يبقى في الحياة حقيقة ... بل كل شيء في الحياة يزول

اني عرفتك يا صديقي صادقا ... أبدا وطبعك يا أخي نبيل
تهفو اليك نواظري من فرحتي ... الفرحة الكبرى هي اليوبيل

زحلة ـ لبنان ... رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد أعجب الاستاذ الامام بكتاب لاحد المؤلفين الذين يقتدون ببيان القرآن وتعبيره ، فأرسل اليه خطاب شكر نجد نصه في الجزء الثاني من كتاب « تاريخ الاستاذ الامام » ج٢ ص ٦٢٨ . وفي هذا الخطاب يقول الاستاذ الامام لمؤلف الكتاب المشار اليه سابقا : « وكأني بك قد وقفت على ذلك السر الذي خفي على الجمهور الاعظم ممن سبقك ، وهو أن القرآن قد خط للعرب طرقا للتعبير ، ومهد لهم سبلا جديده لصوغ الاساليب ، ليخرج بهم من ضيق ما كانوا التزموه ، ويبعد بهم عن كلف ما كانوا رئموه ، ولذلك قوى عندك كل ما بني عليه ، وضعف لديك كل ما لم يستند اليه » .

ولقد عنيت في دراستي عن شكيب ارسلان ، ودراستي عن رشيد رضا ، بتتبع اثر الجملة القرآنية في نثرهما وشعرهما ، وهما تلميذان للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ومن خلال هذا التتبع استبان لي ان مدرسة محمد عبده الادبية كانت ذات شغف بتأييد نثرها وشعرها بالجملة القرآنية : اقتباسا وتضمينا واستشهادا ، وكان عميد هذه المدرسة ـ وهو الشيخ محمد عبده ـ صاحب سبق وفوق في الاستعانة بهذه الجملة في منثوره ومنظومه ، كأن نراه يكتب الى ابراهيم اليازجي رسالة فيقول له فيها : « وغاية قولي : لا تثريب عليك ، اليوم يغفر الله لك ، وهو أرحم الراحمين » . وكأن يقول في قصيدته عن الثورة العرابية :

قاموا عليه لامر كان سيدهم ... يخفيه في نفسه ، والله مبديه

وكأن يقول في القصيدة ذاتها :

لووا رءوسهم عجبا بقوتهم ... واستكبروا النصح ان يصغو الصافيه

وليس هناك جدال في ان الجهد اللغوي العقلي البياني الذي بذله الشيخ محمد عبده في تفسيره سور : الفاتحة والبقرة وآل عمران ، وجانب كبير من سورة النساء ، وتفسيره « جزء عم » هو أبرز جهد في أعمال الشيخ اللغوية والادبية ، والمجال هنا لا يتسع لاستعراض الحديث التفصيلي عن ذلك الجهد ، وقد حاولت استيفاء ذلك في باب عقدته عن « تفسير المنار » في دراستي عن رشيد رضا وجهوده الادبية واللغوية .

كما انه لا ريب ان هناك عوامل كثيرة تلمسها جعلت الاستاذ الامام صاحب آثار حميدة ومجيدة في دنيا اللغة والادب ، وهذه العوامل جديرة باستعراضها وتحليلها في مجال آخر .

القاهرة ـ جامعة الازهر ... احمد الشرباصي

حنين الى المدينة المنورة

قصيدة مهداة الى الصديق الاديب المديني الكبير الاستاذ « الحبيب أحمد محمود »

●

خل الحبيب ليومك الماتع ... وأنشد خواك مع الصفا الرائع
ما العيش لولا الحب مختمل ... فالحب بلسم سحره الشافع
جفت ينابيع الحياة اذا ... ما أقفرت من بسمة الوادع
عجبي لذي أذن مغلقه ... كيف استطاع وسيلة السامع
الود نادمني كأن له ... كاسا تجول بمشرب هامع
كان الاخاء وئام الفتنا ... يا من باخوة عمره طامع
اني أتيت الى الدني بددا ... أبغي شقيقا حبه نافع
قالت لي الام الحنون اما ... يكفي وجودك أيها الضائع
وأبوك راح رهين متعبة ... حتى انتهى خفاقه النازع
واليتم في عينيك مطفأة ... بكى عليك بدمعه النابع
حتى كبرت قصرت شاعره ... ذكراه عندك لحنك الساجع
قالت : تعال نزر ديار هدى ... فيها الرسول بنوره الساطع
أ (محمدا) هذي يدي بسطت ... تبغي لقاءك في المدى الشاسع
كنت الصغير وجئته معها ... وفؤادها للقائه جائع
ثم انطوى عمري وعاودني ... من بعدها حب الى الجامع
فاتيت روض الخلد معتصما ... بالود أسجد سجدة الضارع
ونزلت في كرم بعاطرة ... من حاتمي صيته ذائع (1)
تحت العشايا كان يطرفني ... بالشعر في أدب له بارع
وله الحديث عن الرسول بدا ... في نصه مرفوعه الراجع
بأبي الرسول وطيب معهده ... وعلى « المدينة » أنسه الشائع
بلغ سلامي أهل دارته ... في خزرج والاوس لي طالع
تلك الطيور على مآذنه ... وقبابه رفت على الهاجع ،
أحلام ليل صبحه فلق ... من نبع خمرته أنا الجارع
شوقي الى الصحراء يلثمها ... من رملها نبت التقى الرادع
هف النخيل على مباهجها ... فغدا أمان القلب للجازع
أترى أعود لزورة شغفت ... روحي تنادي وجدي الهالع

حي « المدينة » في مغارسها ... وانشق برياها الهوى الناجع

(1) هو الاستاذ الكبير « الحبيب أحمد محمود » .

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتجلت في حفل القران كل آيات الروعة والاناقة ..

لسنين متطاولة كانت « نادية » تعيش زاهدة في كل شيء ، ذاهلة عما ينمي اليها ، كان مسا من الجنون قد استأثر بكيانها كله ، على عواطفها الكاوية ، وقد دثرها رماد صفاق ، اطبق ظلام من اليأس لا ينجاب .. ظلال الحزن تمتد بها حتى قرارة الابد ببشاعة .. توارت اختها في قلب التراب ، تعانق الماضي .. من الصعوبة ان تصدق ذلك ... انما تصدق حدسها .. يد غير منظورة انتزعت اختها هذه ... رعدة قاصمة من جلال المصاب تختلج في اوصالها كورق الخريف ، يجرفه موج فاقع ... بين بين يسمو بها لحن رخي شجي ، لكنها لا تعبأ ، لتؤثر الانكماش ... لطالما خرق نداء المجهول صمتها المثير : اما لهذا الليل من اخر . ؟ هل انت الا انثى .. دمية طفل تسيرها الانوثة كيفما تشاء ؟ يا لها من وداعة آسرة .. لا حد لانوثة تتفجر ، كما لو كان نبعا زخارا يخصب موات الوجود .

بعد تهنئة رقيقة تلقتها من زميلتها ، قالت :

ـ هكذا آذنت الحرب على الزواج بالنهاية ؟ ..

« كنت اتشاءم من مجرد ذكر اسم الزواج ، وكيف اذا تخطاه الى الاستجابة الفعلية لدواعيه ؟ حسبي اسيرة في سجن موحش طيلة اعوام » .

ـ لم يكن لي ندحة عن الاذعان لارادة « القسمة » .

بنظرة حانية يشع منها التطلع :

ـ عدولك عن سابق رايك يعني تحولا في واقعك ؟!

ـ سئمت واقعي وهو يضج تفاهة ورعونة .. (وفي ذاتها) : والاوهام ما انفكت تطاردني كعفريت، تسلبني راحتي ، وتعكر مزاجي .. ليتك عرفت .. ؟

وانبرت بفضول بغيض :

ـ الا يحتمل هذا التحول تفسيرا معقولا .. ؟

ـ يبدو انك تعتقدين غير ذلك ؟.

بخبث تخفيه أبتسامة مصطنعة :

ـ تعنيني كزميلة لك ، علة هروبك من الزواج أمدا طويلا ؟

« هذه محاولة لاستدراجي ... ومن حقي أن أحتفظ بأسراري لنفسي ... لن افتح لك قلبي المغلق .. غير ممكن هذا .. يعز علي أن ابوح بما يساورني ، ولو لزميلة تشاطرني قسطا من همي وبؤسي » .

ـ لم يكن هروبا بالمعنى الصحيح .. انما كان لباعث ما ..

ـ باعث ما ؟! ..

« حسبي اتعاظا بتجربة اختي كل ليلة .. ولكني كنت مقيدة بوهم جائر .. غدار ينخر اعماقي ، ويوحي الي ابدا بما أقشعر له » .

ـ تلك ارادة الحياة .. ومن ذا الذي يتحداها ؟

ـ وفتحت صفحة جديدة من حياتك ..

ـ آمل أن لا يرنقها كدر ..

لغز لا يحل ، عقدة متأصلة مكينة من الناس ، مهيمنة على مشاعرهم وعقولهم بغظاعة ، يزيدها تبلورا في الاغوار اعتقاد العجائز بالخرافات ، والنسج على منوالها .

ونادية غالبا ما تناهت اليها حوادث عديدة كهذه ، حيث لا تخلو منها المجتمعات البشرية ... لا تكاد هي تهتم بها ، او تلقي لها بالا ، لكن تجربتها القاسية في ولادة اختها ، وقد أفضت الى موت مفاجيء ، رسخت فيها وهما مخيفا مكتسحا استحال عقدة عبر توالي الايام . وجعلتها تؤمن بها ، وتخشى منها على حياتها فيما لو تزوجت ..

★

كانت نادية في بيتها الجديد تطهو الطعام بنشاط جم ، وتنهمك في تهيئة اسباب الراحة لعريسها الذي يعود من عمله الرسمي بعد الظهيرة بقليل ، وما برحت حتى وثب الى ذهنها ما كان قد جرى لها مع أمها قبل ثلاث سنين :

ـ وافقت وابوك على زواجك من المهندس ، هذا الذي طلب يدك ضمانا لمستقبلك .

ـ لا اتزوج ، وليس لي رغبة في احد ، مهما يكن .

ـ واختك ، عليها الرحمة ، أما تزوجت ؟

ـ راحت ضحية بريئة ، ولن اغدو أخرى ..

ـ افكارك جد سوداء ، لا يجمل بفتاة مثلك ان تستسلم لها وتنشغل بها ..

ـ

النفساء.. والمجهول

قصة نفسية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

الراحلة « شادية » .. بئس الزواج اذا كان هذا .. اعاد عليها بما لا تشتهيه أية عذراء ... معاناة ... ولادة .. وموت .. يا ستار .. ! »

ـ الا يجوز ان يكون ثمة باعث .. أي باعث ؟

واديرت عليهما القهوة ، بينما نظراتهما متشابكة باصرار ..

ـ حقا ترهبت في ماضيك ، وعلى أعقابهم رددت طالبي يدك ..

« كنت اخدع ذاتي .. واكذب عليها .. وما أنا الا عبدة انوثتي كغيري ، وفريسة احلام تزهو بي



ـ لقد حطمت شبابك ؟
ـ راضية انا بحالي ..
ـ ما هو معنى هذا الرفض ؟
ـ صعب علي ان اقضي على نفسي بنفسي .
بحدة وسخط :
ـ افصحي فيما تقولين .
ـ ما هناك غموض ..
ـ ولن تطلب يدك بعد اليوم ..
ـ في داهية ...
ـ حتام نصرف الناس ، عيب والله ..
ـ ذلك في ضمير الغيب ..
ـ لا يجوز ان تصدفي عن الزواج.
ـ هذا خارج مشيئتي ..
ـ نحن في حل من المسؤولية ..
ـ الاقدار هي المسؤولة .
ـ وانت ؟
ـ
ـ وتهددك العنوسة ؟
ـ كفاية ...

★

بمستشفى الولادة رقدت نادية ، وامها الى جانبها في غرفة تطل على حديقة واسعة جميلة .. انفاس الزهور تنتشر في الجواء عابقة ، والخمائل ينعشها هواء مرطوب لطيف ... نشاوى تدخل الطيور ... طيور المساء الى اعشاشها ، وهي تعبى من فرط التحليق والتغريد ...

ـ هذه آلام المخاض .. احس بها .. تعذبني ، حتى لكأنها اللهب يضرم كل خلية من خلايا جسمي .

فرفعت الام يديها الى السماء بالدعاء ، وعيناها مبتلتان جزعا :

ـ الفرج .. يا ارحم الراحمين .

وكانت نادية قد حبلت منذ الشهور الاولى من زواجها ، لم تكن تدري بذلك ، حتى بدت الاعراض عليها ، واعتلت صحتها ، مما الزمها الفراش بعد الوقت .

الاوهام تتجدد .. والوساوس تتفاقم ..

وبدا معها تمزق نفسي حاد ، ورهبة عنيفة آخذة بالتلابيب .. جعلت تستهول كل ما يوحي به اليها العقل الباطن ، وتغلو في حمل اي حدث على غير محمله الطبيعي .

ايحاءات متقطعة ، تتصاعد من الاعماق .. تجسد خوفها ، وتقطع عليها مجرى تفكيرها ، وتسمم احساسها ، وتطيح بها في متاهات ومجاهل .

شرع الكون تغلفه سكينة شاملة .

انتصب شعرها كمسامير خرساء .. وانصتت الى نداء المجهول الرهيب ، وآلام المخاض تتضاعف قوة واتساعا .. والنسيم يهب برفق وتأن ..

بين يديها اخذتها الطبيبة :

ـ تمالكي نفسك ..
ـ اماه .. تنهار قواي .. اوه .. اوه .. !!
ـ يا رؤوف يا رحيم .
ـ لا شيء كالصبر في المحن ..

قالت الطبيبة ببساطة وتفاؤل :

ـ الولادة طبيعية ، تجنبي الاضطراب .

« مسكينة انت يا نادية ومظلومة .. ذلك المصير المؤلم ما اردناه لك .. لكنها شماتة الاقدار الساخرة ، تضمر لنا شرا اي شر .. هذا الليل النذير بالشؤم يحبو نحوي .. بينكما فصل الموت حتى الابدية .. أهذه هي الولادة ، ثمرة الزواج ؟ ومجهول يكشر لي عن انيابه الفارقة في الصفرة .. أوعدك بظلام كهذا الذي يزحف مطرقا كالابله .. ان انا الا ملاقية عين المصير .. واخيبتاه .. مصير اختي .. صوت يناديني حنانا من دهليز العدم .. اسمعي .. اسمعي .. ما ارخمه ... ما ارقه .. ! »

انفجرت صرخة ، كانها قنبلة تتطاير شظاياها ..

وتداعى على البساط الابيض الناعم شيء ..

« ليذهب الوليد قربانا لك .. لا ضير ان اظل على الدنيا ميتا او اعمى .. حرام أن يفنى شبابي .. مهيب هذا الايحاء الذي يتعالى .. لا تبالي يا نادية .. اوليس الطريق واحدا ؟ وفي صدرك يوسوس شيطان ارعن .. آه ، قطرات من العرق تتهاوى على صفحة وجهي .. على أطرافي .. زجوها في قفص .. شدوها بوثاق العرف .. ومن منقذك .. ؟ تبا لزواج هذه نهايته .. في عروقي يسري شيء ، لكنه محرق .. يد من المجهول تمتد ، لأدراها عني قبل ان تقضي علي .. صراع لا يزال ناشبا بيننا .. رعشة الموت تعصرني .. تجعلني نفاية عفنة في مزبلة .. حياتك في مهب الفناء .. عمري .. حياتي .. حياتي .. فانية .. واحسرتي .! »

عجلت الطبيبة وقد ازاحت نادية عن موضعها بعض الشيء ، لا تباليها ، واردفت :

ـ ذكر .. ذكر .. تهانينا .
ـ حمدا على سلامتك يا بنتي ..

وما لبثت ان تهالكت على اريكة لصق سريرها :

ـ نادية .. هوذا ولدك .. كحلي به نظرتك .. يبدو انه جميل .. قري به عينا ... (ثم انتفضت كمن لسعته حشرة بانفعال ظاهر تحبسه دموع) :

ـ نادية .. ما بالك .. انا امك .. نادية .. ما بك ؟ نادية .. الله ... ماذا جرى لك .. انائمة انت ؟!

ووقفت تميل اليها مكتئبة ، بوجه ممتقع ، ونظرة حائرة :

ـ نادية .. نادية .. جواب يا بنتي .. يا للمصيبة .. لن يكون هذا .. يا اله العالمين .. نادية تلحق شادية ؟ يا لضربة جديدة !!

بمرارة أجهشت بالبكاء ...

كانت عينا نادية وهي مسجاة فوق الفراش مشدودتين الى نقطة بعيدة، ابدية ، تلاشت في جوف الظلام ، عبر النافذة ..

بغداد **وحيد الدين بهاء الدين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علي احمد باكثير

★

مضى الغالي فهل تجدي دموعي ... لقد أطفأت من حزني شموعي
علي باكثير عليك دمعي ... مدى الايام نارا في ضلوعي
وليت اليوم صحف النعي ضاعت ... ولم افجع بذا الخطب المريع
قرأت بها وما صدقت عيني ... وكذب مسمعي قول المذيع
وكنت بامسنا نجما مضيئا ... يشع ثقافة بين الجميع
أراح العبقري مضى وولى ... وخلف حسرة بين الجموع

عرفناه وما قد ثار يوما ... سوى للحق ، للحق المضيع
عرفناه التواضع في اعتزاز ... واشراقا كذا الطفل الوديع
عرفناه المجاهد في بلاد ... ستذكره على صدق الصنيع
عرفناه الوفي لكل خل ... ولم يعرف نفاقا بالخنوع

تكالبت النفوس على سراب ... بدنيا الزيف والوهم اللموع
وشاعرنا ابي النفس عافت ... بحق نفسه خدع الطموع
ويابي ان يذل لاي فرد ... سوى لله اكبر في خشوع
هو الايمان علمه التعالي ... عن الاسفاف من نبع رفيع

مضى الغالي ولم يرحم أسانا ... وكان ارق من قلب جزوع
لقد حطم الفراق النفس حزنا ... وصمتي كان ابلغ من بديعي
فلا شعري ولا نثري أفادا ... ولا دمعي يخفف من هلوعي
لماذا لم تودعنا جميعا ... وتفجعنا بذا البين السريع
لو انك يوم رحت شهدت حزني ... ولوعة اصدقائك في صدوع
كأم مات واحدها فجنت ... وأم هالها نبأ الصريع
لآثرت البقاء ولا تفادى ... قلوبا شاقها حلو الرجوع
فكيف الصبر يجدي علتيها ... وكيف الصبر للقلب الوجيع

مصر الجديدة — روحية القليني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـادي زين العـابـدين

خطاط حمص وشاعر من شعرائها المبدعين

بقلم الدكتور عبدو مسوح

* * *

لم يكن ذلك المحل المضاء حتى ساعة متأخـرة من الليـل خلافا لبقية المحلات غريبا عني . فقد كنت امر دائمـا من ذلك الطريق الفرعي الذي يصل شارعين رئيسيين مـن شوارع حمص . والتفت الى تلك الجهة علني استأنس بنور يضيء لي سواء السبيل . أما ذلك المحل المضاء فقد اغلقت أبوابه الزجاجية وطليت بدهان ابيض كثيف يمنع الرؤيـة ويبقى حائلا بين العالم الخارجي والداخلي ، فـلا تقـع عينك على ما في داخل المحل الا في فترات قصيرة كـأن يدخل او يخرج اليه او منه شخص . غير ان لمحة واحدة الى داخله تنبئك عما يحتويـه من سـر وما يكنـه مـن عبقرية ، وما علق على جدرانه من آيات الفن الرفيع . انه معرض الخط في اروع مظاهره وانقى حلله وابدع صوره .

كنت في صغري كلما مررت امام لافتة ما اقرأ كلماتها كاملة غير منقوصة ، ثم آخذ بالامعان بحروفهـا حرفـا حرفا ، متبينا سحر الخطوط ، مقدرا عظمة الفن ، ماخوذا بجاذبية الاخراج . غير انني عندما المح توقيـع الاسـتاذ « هادي » يذهب عجبي وترتاح نفسـي ، لان الشـيء لا يستغرب من معدنه . والاستاذ زين العابدين ابن بجدتها وسيد من مسك قلما وخط على القرطاس احرفا من نـار ونور تنير سبل الضالين .

قرض الاستاذ هادي الشعر وهو فتى ثم انكفأ عنـه ليزاول مهنة الخط فكأني به يكرس نفسه ويمرنهـا علـى أصعب الفنون اطلاقا بلا جدل واشدها احكامـا وادقهـا مبنى . اذ بين شكل الخط ولونه وظلاله تكمـن اسـرار العبقرية ، حتى اذا ما اكتملت في نفسه تلـك المقاييس الدقيقة عاد الى الشعر يصوغ درره وينظم لآلئه عقـودا تزين جيد الزمن متخذا لبدائعه ذات القيود التي فرضهـا على نفسه حينما كان يخط آيات الفن ، فما يأتي الشعر الا ذا طلاوة وظلال ، متناسق الصور ، بيّن الفكرة ، واضح العبارة ، لا تكلف فيه ولا معاظلة ، ينبع من اعماق النفس ليسير في دوحاته الوارفة الظـلال ، المعطـرة بانسـام الشباب ، العبقة بأريج الحياة ، المخضلة ببشائر الربيع . فاسمعه حيث يقول :

خلعت «حمص» معطفا من شتاها وارتدت في الربيـع ثوب بهـاها
البستهـا مشـيئة اللـه بـردا نسـجته وأبدعتـه يـداهـا
أبيض اللون سندسـي الحواشي قد توشـى نقشـا بزهـر رباهـا
وتـراءت أشـجارها كقبـاب من ورود سـبحان مـن انشـاهـا
هب ريـح الصبـا عليهـا عليـلا فحـلا للفـؤاد ريـح صباهـا
علمتني الهـوى فاصبحت مضنى مـن هواها .. ولم ازل مضناها

ومنها ايضـا :

«حمص» مهدي ومنبتي وهي امي قد سـقاني لبـانهـا ثدياهـا
وباحضانهـا ترعـرع جسـمي ورعتنـي بعطفهـا يمناهـا
انهـا بلدتـي ومهبـط شـعري مـن هـدى وحيهـا عرفت الاله

كتب الاديب الكبير نظير زيتون ، رحمه الله ، معربا عن رأيه القيم في شعر الاستاذ هـادي ، قال : « قـال العرب قديما : أعذب الشعر اكذبه ... والصحيح ان في هذا القول تحاملا فاضحا على الشعر والشعراء ، وجهـلا واضحا لرسالة الشعر والشاعر ، هذه الرسالة التي يجب ان تنبثق من الصدق والفن والجمال . لا مـن الكـذب والافك والخيال الضارب في صحراء الضـلال . وآيـة الشعر ان ينساق بحكم الطبع والسجية والملكة ، بعيدا عن التكلف والتعمل ، منزها من شوائب التزمل والتبـذل ، متجاوبا مع الحقيقة والفن ، في اسلوب طريف وديباجـة بيانية مشرقة ، لا عوج فيها ولا أمت .

وباستطاعة كل طالب ان يتعلم العروض وينظـم ، ولكن ليس باستطاعة كل من هؤلاء الطلبـة ان يصـير شاعرا . لان الشعر موهبة وملكة ، وليس فـي طاقـة المدرسة ان تخلق في الطالب هذه الموهبة وهذه الملكة .

قال احد ملوك انكلترا وقد أصـاب واجـاد : ان بامكاني ان اجعل من اي رجل لوردا بمرسـوم اصـدره ، ولكني اعجز كل العجز عن رفع رجل مهما عظم شأنه الـى مرتبـة شـاعر .

واني اهنيء الاستاذ هادي زين العابدين بما نال من ملكة شعرية صقلها الفن وجملها الصدق . فكان امينا في التعبير عن شعوره وزنا وقافية ، يرسـلهما في سـجعة صافية ، وظلال من الخيال وارفة ، غير متكلف او هـازل .. ويرى القارىء لشعره جرسا أصيلا وقلبا عقولا وذهنا صقيلا ومنتجعا مأمولا .. » .

وكتب الاستاذ الشيخ عبد العزيز عبد النبـي عـن المرحوم هادي : « انه رائق المعاني حسن المباني ، بديـع الالفاظ والقوافي كأنه لؤلؤة الغواص ، لم يأت على اسلوب من اساليب الشعر الا واحسن بيانـه ولا على معقـد الا وسهل سريانه » .

وكتب الاستاذ محمد الحلواني : « يحق لحمص ان تفاخر بابنها هادي ... وبعيد جدا بين من يفتخر بالامـة وبين من تفتخر به الامـة . لقد اهدى شاعرنا وخطاطنـا المبدع لامته العربية كنزا عليه يشكر واظهـر الى حـيز الوجود من الفن ما لا ينكر . ولا عجب اذا ظهر الفضـل من أهله واينع الغصن ليدل على اصله ، فانه من أهل بيت، عرفوا قدما بالادب والدين وفيهم ظهر وعنهم أخذ بيقين » .

وقال الشيخ مؤيد شمسي باشا : « والشاعر هادي ينتمي الى أسرة عريقة النسب جمعت الى جلال العلم والدين جمال الفن والادب ، وتقدمت في المضمارين على السواء .. وقديما قال الشاعر :

وهل ينبت الخطي الا وشيجه ويغرس الا في منابته النخل ؟

ويذكر الاديب الكبير أديب ملحم البستاني ما للشاعر هادي من نفوذ وراء الحجب واتيانه بشعر لا يتعدى الحدود التي رسمها الرسول العربي لشعبه .. (انتهى) .

واذا كانت حمص مهد الاستاذ هادي ومنبته وامه ومهبط وحيه ، ففيها ترعرع جسمه ، ورعته يمناها بعطفها ، ومن هدى وحيها عرف الاله ، فحق له اذا ما فقدت أحد ابنائها او بناتها أن يشاطرها الاسى واللوعة .

يعود الاستاذ زين العابدين ذات يوم من سفر بعيد ليحضر عرس أخته فتموت أمه في ذات اليوم وتدفن قبل وصوله الى البيت فيعود والالم يحز في نفسه سائلا اخته الكبيرة عنها :

افاطم اختي اين امي فهل مضت ؟ وهل غادرتنا في التياع وفي بؤس؟
أجابت ودمع العين منها جرى دما على خدها جري العقيق على الورس
أمالك علم بالذي قد جرى لها فوا أسفا قد أصبحت داخل الرمس
سقتها اكف الموت حنظل كاسها فيا لك من موت ويا لك من كأس
أأسلو على مر الزمان مصيبتي بها وهل الايام تكفل أن تنسي ؟

وتذهب العروس الى بيت الزوجية لان كل شيء كان معدا قبلا ، فيقول :

وما لي أرى أختي (ثرية) زينت بأبهى اللآلي وارتدت أحسن اللبس
وغادرت البيت الذي حال مأتما وحلت بدار للمسرة والانس
أدار بها أنس ؟ ودار بها أسى ؟ وأم الى رمس ؟ وأخت الى عرس؟

ولئن كان للشاعر المبدع في كثير من الاحيان ان ينصرف بالهامه وانغامه الى الشعب فيذود عن حوضه ويهتف بمجده ويترنم بجهاده ويفصح عن مشاعره ويأخذ بيده في مسالك الرقي والتقدم فان الاستاذ هادي زين العابدين بقصائده الوطنية يقف ناصع الجبين مرفوع الراس يتحدى الزمن بثقته بأبناء وطنه وكلهم بطل مغوار تهون عنده الدنيا في سبيل العزة والكرامة .

أما غزله فتغلب عليه صبغة التصوف الفارضي نظرا لنشأته وتربيته الدينية . اسمعه من قصيدة « وشاح البردة » حيث يقول :

يا واحة النخل من وادي العقيق عمي بساكنيك فطرف الدهر عنك عمي
ويا ديارا سقت عيني مرابعها من الدموع كما تسقى من الديم
ويا نسيمات وادي المنحنى كرما تقبلي حمل أشواقي لذي سلم
مري بوعسائها الغناء في سحر وقبلي نفر ظبي البان والعلم
وأنت يا ركب ان بانت منازلهم بالله حي أهيل الحي من اضم
ما كنت أحسب ان اللحظ ذو خطر حتى وقعت وقلبي بالسهام رمي
لما رمى خلت ان السهم أخطأني وان جرح هواه غير ذي ألم
لولا عيون المها ما نابني وله ولا ذكرتك يا عهد الهوى بفمي

ومنها

وان هم جعلوا زلفاهم صنما لله همت بزلفاهم وبالصنم
وان وقفت اصلي كنت ملتفتا اليهم ولو ان البيت مؤتمي

مراهقة

وذات حسن شجاها ان ترى رجلا
يصبو اليها ويعلو وجهه الشجن
أغاظها أن سني لم تعد سببا
الى التصابي وأن قد فاتني الزمن
فقلت عذري اليك الشعر فاتئدي
اني عن الحسن مسؤول ومؤتمن
اذا استباني جمال رحت أرسمه
من حيث لا يزدري موت ولا كفن
فارسلت بسمة كالومض خاطفة
لعلني أجتلي ما وارت الدجن
فرع ترامى على جيد الصباح رؤى
فهام في ناظريها الليل والوسن

وديع ديب

استغفر الله لا شركا اردت به وان أثمت فيا ويحي ويا ندمي
فما سمحت لعيني غير رؤيتهم ولا لاذني ان تصغي لغيرهم
ولا لقلبي ان يحلو الحديث له الا التلذذ في ترديد ذكرهم

ومنها :

محمد خيرة الرحمن من مضر وصفوة الخلق من عرب ومن عجم
كم من قصائد لي في مدحه سبقت وكم جرى وانبرى في حبه قلمي
جعلت أزكى صلاتي والسلام على محمد مبتدا قولي ومختتمي

واذا ما مدح الاستاذ هادي النبي وصحبه بأجود شعره وابدع صوره ، فانه لا يسلو قومه ونفسه ابدا . أليس هو القائل :

سل المجد والعلياء فيما مضى عما بلغناه من فضل ومن كرم عما
فقومي ذوو مجد عريق وسؤدد وبالجود والاحسان قد عرفوا قدما
وقومي هم العرب الكرام وانني لآل رسول الله أقربهم رحما

وتطغى عليه أحيانا نزعته الشعرية فيجعل من الحب والغرام شريعة والسير في هذا السبيل جهادا والعشق فرضا والمحبة سنة .

والشعر ان لم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

رحم الله « هادي » فقد كان شاعرا كبيرا وخطاطا قديرا وصديقا مخلصا ..

وخير ما نختتم به حديثنا عنه قوله :

ان ملت العين خل الدمع يسعفها وقل لقلبك ان يسل استفق وهم
أو هاجك الوجد كن بالصبر معتصما او اشتكى القلب قل زد فيه واستدم
موتي حياة وتعذيبي به طرب وكل خفقة قلب فيه كالنغم
هم الاحبة حقا والسوى عدم فلا ملامة ان أفنى بحبهم

حمص ـ سورية **عبدو مسوح**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضيـــاع

نظمت في الاسكندرية في ١٠ اذار ١٩٦٨ تعبيرا عن الضياع الذي لفنـا بعد حزيران ١٩٦٧

الليل يزحف والحياة تذوب في بحر الضياع
والذكريات تئن من ألم الجراح
والسائرون معي أراهم يرجعون
من بعدما هبـت ريـاح
وترنـح المجداف في الليل البهيم ، فلا شراع
يقتادني للشاطىء المرح الطروب
للحـب للامـل الجميل
للعالم المسحور حيث الذكريات
تغفـو على ألـق الحيـاة
سكرى يضوع أريجها المعطار
في الافـق الرحيـب

حلـم أراه يفـر يبحث عن قرار
ويغيـب في قعر البحـار
حيث النهاية والسكون
وأظل أرنو للحياة
للعاشقين نفوسهم للسائرين بغير زاد
وأصيح والالـم الدفـين
يقتات مـن روحي الحزين
أنـا ها هنا أرنو الى الحلم الجميل
وأصيخ للنبأ العظيم بكل واد
للفارس المقدام يقتحم الحصون
ويدك أعمدة الضلالة والفساد
ويعيد حيفـا والجليل
ويصون معراج الرسول
والهاربين من الغزاة الطامعين
العابثين بأمتي وبهيئة الامم الصليبه
وبنود ميثاق يمزق في النهار
أنا ها هنا أرنو وأصغي للاباة
للمنقذين بلادهم من كل عار
وأظل أصغي في السكون
فيجيء من قعر البحار

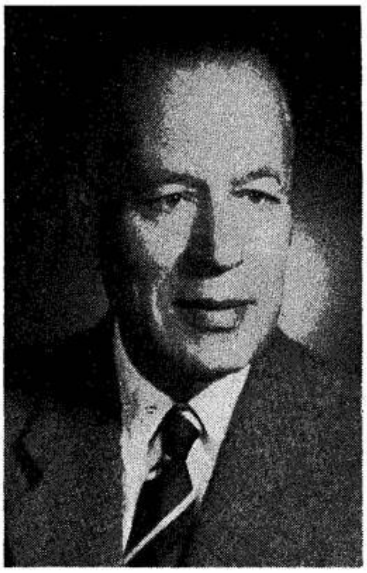
صوت حـزيـن :
ضاعت فلسطين الحبيبه
فلتفهموا معنى الضياع

وطني يداس وامتتي رهن المطامع
والقاعدون يلفهم شبح الهزيمه
والسـاهرون
يتنعمون بليلهم لا يعرفون
من أين تشرق شمسهم ومتى تغيب
في كل ميدان خيانـه
ويظل أعداء الحيـاه
الزارعون الموت في الارض السليبه
يتندرون ويسخرون
ويسابقون الريح في الوطن الحبيب
ويظل قومـي قابعين
في حانة العمـر الجديـب

أنـا مـن أكـون ؟
أنا ذلك البحـار يهزأ بالريـاح
ويعانق المـوج الرهيب
أنا ها هنا وحدي وقد عاد الرفاق
ومضيت أرتاد البحار وفي دمي ايمان شعبي
ورسـالة البعـث الجديد
ستظل تخفق رايتي حتى أعود
وأعانق الامـل الخصيب
وأرى بلادي حرة شماء ناصعة الجبين
وأرى الغفـاة
صرعى تدوسهم السنون
وتصب لعنتها السماء عليهم في كل حين

جامعة بغداد
احمد مطلوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد عبد الغني حسن

الادب والاحذية ... والنعال

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

قرات للمغترب المقيم ، الاخ النابه النبيه الاستاذ « وديع فلسطين » مقالا طريفا جيدا ، بعنوان « الادب والاحذية » في عدد سابق من اعداد « الاديب » ، ثم ما لبثت ان رايت في عدد ديسمبر الماضي من الاديب « ذيلا » للمقال بقلم الكاتب نفسه ، يستدرك امورا فاتته ، واشياء غابت عنه في مقاله الاول ، فالف بين اول البحث وآخره ، وجمع بينهما (برباط) متين ...

ولم تفت النكتة اخانا الوديع ـ رد الله غربته ـ فجعل التعقيب على مقاله الاول (ذيلا) من ذيوله (وسيرا) من سيوره ... ولو شاء ان يسميه «شسعا» من شسوعه لما حاد عن لغة الفصاح ، وهو من اعلامهم ...

واذا كان اخونا « الوديع » عالي الكعب في الادب ، بما يتحفنا من طرائفه ، ويسجله من لطائفه ، فان بعده عن مراجعه الحبيبة في مصر ، وتلك النوى الشطون بينه وبين مكتبته العامرة الرابضة على حدود صحراء هليوبوليس، تجعل بحثه الطريف عن الادب والاحذية يحتاج الى تعقيب آخر ، ليس منه طبعا ، وقد ابدى لنا عذره بالبعد عن مصادره ومراجعه ، ولكن من اخ له يريد ان يربط قديم حبه « لوديع » بجديد وده له ، وشوقه اليه ، فان الفراغ الذي تركه الاستاذ وديع فلسطين ، والمكان الذي خلاه بالقاهرة لا يسده انسان ، ومن هنا كانت متابعته وملاحقة آثاره الثمينة ضربا من فريضة الحب التي يفرضها الاخاء التالد ...

ولقد اشار الاستاذ وديع فلسطين في بحثه الفكه الممتع عن « الادب والاحذية » الى ذلك الاديب الذي كان يشتغل بائعا للاحذية بمحلات (سليم وسمعان صيدناوي) الشهيرة ، والذي كان معروفا بمشاغباته (لشيوخ الادب الحديث) ، والذي ترك بيع الاحذية ومعالجة النعال في اقدام العملاء الى الاتجار في الحديد الخردة ... ولكن ذاكرة الاستاذ وديع فلسطين ولم تسعفه برواية الابيات الثلاثة التي قالها أحد الشعراء المعاصرين في ذلك الاديب الذي تنقل بين بيع النعال وبيع الحديد ، فقال فيه :

تركت النعال ، وبيع النعال ... لبيع الحديد القديم العتيق
رجعت بطبعك في الحالتين ... الى خلق فيك جاف صفيق
فانت الجدير بصفع النعال ... وانت بضرب الحديد الخليق

وما كان بيع الحديد عيبا يعاب على انسان ... ولكن اختيار ذلك الاديب للحديد الخردة هو وجه التفكه والمفاكهة في ذلك الميدان ... ويذكرنا بيع الحديد هنا بحمل الحديد ... والشيء بالشيء يذكر .. فعندما فاز البطل المصري سيد نصير ببطولة العالم في رفع الاثقال سنة ١٩٣٠ هنأه الشاعر احمد شوقي بقصيدة رائعة ، عقد فيها موازنة بين اثقال الحديد المادية ، وبين اثقال اخرى معنوية يضطر الانسان الى حملها في الحياة ، وهي اشد وطأة ، واعظم ثقلا من الحديد ... كالرجل الثقيل ، وحمل الديون التي هي هم بالليل ومذلة بالنهار ، وحمل الحقد والغل في الضلوع ، واحتمال ظلم القريب الغادر ، او العدو الكاشح ، وتحمل المن المكرر بالليل والنهار من مسدي المعروف ، او باذل الصنيع ، وتحمل طغيان اللئيم اذا اصابه الغنى او نال قليلا من الجاه ، او حمل استماع المديح الكاذب لشخص غبي لا يستحق المدح . وارجو الا أخرج عن رسم المقال اذا رويت هنا ابيات شوقي : .

قل لي نصير وانت بر صادق ... احملت انسانا عليك ثقيلا ؟
احملت دنيا في حياتك مرة ؟ ... احملت يوما في الضلوع غليلا ؟
احملت ظلما من قريب غادر ... او كاشح بالامس كان خليلا ؟
احملت منا بالنهار مكررا ... والليل من مسد اليك جميلا ؟
احملت طغيان اللئيم اذا اغتنى ... او نال من جاه الامور قليلا ؟
احملت في النادي الغبي اذا التقى ... من سامعيه الحمد والتبجيلا ؟
تلك الحياة ، وهذه اثقالها ... وزن الحديد بها فعاد ضئيلا

نعود الى الاحذية وادبها ، فنذكر ما قاله الطغرائي ـ صاحب لامية العجم المشهورة ـ من التوصية بكتمان امورنا عن الناس جميعا : الحافي منهم والمنتعل ، ضمانا لنجاحنا وبلوغ أمانينا . يقول الطغرائي :

وان اردت نجاحا او بلوغ منى ... فاكتم امورك عن حاف ومنتعل

وظاهر ان صاحب « أصالة الرأي » قد أخذ نصيحة هذه من الاثر المبارك الذي يقول : (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) .

(والحفاء) في الادب العربي ملازم للفقر ، وكناية عنه . ولكن قد يكون الحافي غنيا اذا كان بين جنبيه نفس غنية ابية .. فليس الغنى بكثرة العرض ـ كما يقول الاثر الشريف ـ ولكن الغنى غنى النفس . وقد اخذ هذا المعنى الشاعر العربي الفارس ابو فراس الحمداني ، فصاغه أجمل صياغة في قوله :

ان الغني هو الغني بنفسه ولو انه عاري المناكب حافي

وهو من قصيدته الفائية التي مطلعها :

غيري يغبره النعال الجافي ويحول عن شيم الكريم الوافي

ومن شعراء العربية الذين لجأوا الى (النعل) لاستعمالها في ضرب الاقفية ، الشاعر اللطيف الظريف ابو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصري ، وكان معاصرا للمتنبي ، ولكنه خمل وركدت ريحه ، وكان كثير الشكوى من الزمان ـ جعلك الله يا اخي راضيا بقضاء الله وقدره ـ وله في هذا المذهب ابيات كثيرات ، ومقطعات طريفات ، منها ـ مثلا ـ قوله :

نحن والله في زمان غشوم لو رأيناه في المنام فزعنا
يصبح الناس فيه من سوء حال حق من مات منهمو ان يهنا

ومن (نعالياته) قوله في هجاء الرملي الشاعر :

حلف الرملي فيما اقـ ستص عني وحكاه
يدعي يوم اصطلحنا انني قبلت فاه
لم أقبل فاه ... لكن قبلت نعلي قفاه

ووقع النعال على الاقفية هنا تستحضر لنا في الذهن الدعاء باستبدال خدود الاعداء بنعال الاحباء . ولعل اول من دعا بهذا في الشعر العربي ـ فيما نعلم ـ الشاعر كثير صاحب (عزة) حيث يقول :

وسعى الي بعيب عزة معشر جعل الله خدودهن نعالها !

والنعل عادة يضرب بها المثل في الحقارة والدناءة ، فهي ادنأ موضع متصل بجسم الانسان بعد قدمه .. وهي مكان « الدوس » من القدم ، ولذا تسمى عند كثير من الناس بالمداس ... وقد جعلها بعض الهجائين من العرب عدلا للشيء المهين الذي لا يسوى شيئا ... واذا كان هذا شأن (النعل) في المهانة فما بالك بشسعها ؟؟ .

لقد لجأ « المهلهل » الجاهلي أخو « كليب » الذي قتله جساس بن مرة الى تحقير شأن (بجير) ، حينما قتله اخذا بثأر اخيه كليب ، قائلا له وهو يطعنه بالرمح تلك الطعنة القاتلة المشهورة : « بؤ بشسع نعل كليب » ، اي ارجع مساويا لرباط حذاء كليب !! وليس هناك تعبير عن الهوان أشد من هذا الكلام . على أن القصة بتمامها وطرائفها مذكورة في يوم « حرب البسوس » من ايام العرب في الجاهلية .

واذا كانوا يستعملون في تمام المطابقة والمشابهة هذا التعبير : (حذوك النعل بالنعل) ـ كما ذكر اخونا الوديع في مقاله ـ فان العرب قد استعملت للتعبير عن مكان الذل وموقف الذليل هذا المثل الذي أتى به الامام الثعالبي في « ثمار قلوبه » ، وهو : (صف النعال) ، فيقال : هو في صف النعال ، لا في صف الرجال ، كما يقال : هو في مزجر الكلب ...

واتخذ العرب مثلا اخر من النعل للتعبير عن الذلة ، فجاء في أمثالهم : هو أذل من النعل . وليس هذا المثل جاهليا كما يتوهم ، ولكنه اسلامي اموي ، اخذوه من قول الشاعر « البعيث » واسمه خداش بن بشر المجاشعي :

وكل كليبي صفيحة وجهه أذل على مس الهوان من النعل

وفي رواية اخرى ذكرها « الميداني » صاحب « مجمع الامثال » :

وكل كليبي صفيحة وجهه أذل لاقدام الرجال من النعل

وهكذا نرى « النعال » ذليلة ، ومضرب المثل في الذل والهوان ، وآلة للصفع على الخدود والاقفاء وغيرها من مواطن جسم الانسان ، ومتكأ لتحقير الاشخاص كقولهم : فلان على حذائي ، او هذه المسألة (على جزمتي) ...

ولكنا لم نجد النعال موضع التكريم والتقبيل الا في تمثال نعل النبي محمد عليه السلام ومثاله ، فقد خصها نفر من الشعراء بشعر كثير ، تناوله بعضهم بالتشطير والتخميس ، مثل الشيخ محمد بن الفرج السبتي الذي قال مخاطبا نعل النبي :

يا نعل أكرم مرسل لما اتى دخل الورى في دينه افواجا
كرمت من نعل حوت رجلا مشت باجل باد في الظلام سراجا
شرفت بموطىء نعله السبع العلا لما ارتقاها عارجا لمناجي

ومن شعراء النعل النبوية نمير ابن الفرج السبتي ، العالم المؤرخ الاندلسي المشهور ابن الابار القضاعي من أهل بلنسية ، وكان علامة في الفقه والحديث ولسان العرب والتاريخ ، والامام المشهور ابو الربيع بن سالم الكلاعي ، والفقيه ابو الحسن الشامي من رجال القرن الحادي عشر الهجري وكان صاحب الصاحب نفح الطيب ، وابو اليمن بن عساكر ـ ولا ادري اي ابناء العساكر هو : أعلي بن الحسن المؤرخ المشهور وصاحب تاريخ دمشق والمتوفي سنة ٥٧١ هـ ؟ أم القاسم بن علي بن المؤرخ السابق والمتوفي سنة ٦٠٠ هـ؟ أم عبدالرحمن بن محمد بن عساكر ابن اخي مؤرخ دمشق والمتوفي سنة ٦٢٠ هـ؟ أم عبد الصمد بن عساكر حافظ الحديث وصاحب النظم والمصنفات المختلفة والمتوفي سنة ٦٨٦ هـ؟ ـ والامام أحمد بن احمد بن محمد القرطبي ، وسراج الدين عمر الفاكهاني المتوفي سنة ٧٣٤ هـ ، وقد ذكره المقري صاحب النفح وازهار الرياض باسم) سراج الدين (ولكن ابن حجر العسقلاني في « الدرر الكامنة » ذكره باسم (تاج الدين) وعنه نقل اخونا العلامة الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه العظيم « الاعلام » . ولا ادري من اين جاء (المقري) في ازهار رياضه باسم سراج الدين . ولعله وهم فخلط

لولا الكتاب..

بمناسبة انعقاد « معرض الكتاب الدولي » بالقاهرة

الشرق والغرب في الوادي قد اجتمعا ... يا ما أحيلى اجتماع الموكبين معا
باسم الكتاب دعت مصر فجاوبها ... من كل فج نصير خف واندفعا
كل الى النيل مشتاق يحن الى ... لقيا تلطف منه الشوق والولعا
سعوا الى ضفة كانت وما برحت ... للفن والعلم والاداب منتجعا
على صقور من الفولاذ سابحة ... عبر الفضاء تثير الذعر والهلعا
يفر منها عقاب الطير مرتعدا ... ويحتمي دونها بالسفح متضعا
يجري بها خببا ربانها فاذا ... ماضاق بالسحب جاز السحب وارتفعا
حتى استقرت وفود الحرف في بلد ... يقدس الحرف مطبوعا ومستمعا

أهلا بكل فتى أعلت مواهبه ... قدر الكتاب وجلى فيه وابتدعا
لولا الكتاب لظل العلم محتبسا ... عند الدهاقين او من يخدم البيعا
العلم في الصدر أفلاك محجبة ... بالغيم لكن يبث النور ان طبعا
فلو سألناه سكنى النجم شاد لنا ... فوق السماكين ابراجا ومرتبعا

يا ناشرين الحروف السود زاهية ... بالحسن مؤتلقا بالفن ملتمعا
هذي المآثر كانت آي غايتها ... نفع الانام وخير البر ما نفعا
اذا رجعتم الى اوطانكم فصفوا ... للناس ما ابتكر المصري او صنعا
قولوا لمن شك يوما في خلائقنا ... وظن انا نوالي الذئب والضبعا
لئن تكن مصر دار الضيف ان لها ... حمى عزيزا على الاعداء ممتنعا
سيروا وعودوا اليها تشد هاتفة ... ان الصديق الى أصحابه رجعا

القاهرة — عادل الغضبان

بين تاج الدين وسراج الدين .

وللمؤرخ المقري الاندلسي مشاركة شعرية في مدح تمثال ـ او مثال ـ نعل النبي عليه السلام ، بل له فيها تأليف مستقل قائم بذاته عنوانه « فتح المتعال ، في مدح النعال » ألفه وهو مار بالقاهرة في خلال رحلة الى المشرق ، ومنه نسخ خطية في بعض مكتبات شرقية وغربية ، ولم يصل الى علمنا انه طبع . وقد اشرنا اليه في كتابنا « المقري صاحب نفح الطيب » الذي نشرته وزارة الثقافة المصرية في سلسلة « اعلام العرب » سنة ١٩٦٦ .

ويضرب المثل بتلازم كل نعل لاختها ومصاحبتها لها ، ويشبه فراق المرء لصاحبه بفراق واحدة من النعلين لاختها . وقد قرأت هذا بأسلوب جيد في كتاب « المنازل والديار » لاسامة بن منقذ حين روى حكاية عن محمد بن واسع ، رحمه الله ، فقد كان يمر بربوع أخوانه بعد موتهم فيناديهم : أي فلان ! أي فلان ! ثم يرجع الى نفسه حين لا يجد ردا لندائه فيقول في حسرة واتعاظ : ماتوا والله ! وان نعلا فقدت اختها لسريعة اللحاق بصاحبتها ...

القاهرة — محمد عبد الغني حسن



فراشـــة

★ ★ ★

جـاءت تبث الروض شـاكية ... غصصا مـن الاشواق تشجيها
مـالت على الازهـار سـاردة ... سـيرا تفيض لهـا مآقيهـا
أفضت بمـا تخفي دخيلتهـا ... وأتـت على اسرار أهليهـا
والزهـر آذان مفتحـة ... تتلقـط الاخبـار عـن فيهـا
يا ضيعة للسر حـين مضـت ... تروي على الازهـار ماضيهـا
قد ضيعت ما استودعته ولـم ... تـرع الامـانـة او توقيهـا

راحت تشـق الافق ضاربـة ... أجـوازه بجناحهـا تيهـا
بسـطت جناحيها مرفرفـة ... (كشـقيقة) رفـت أعاليها
أو مهجـة عصفـت بلابلهـا ... مـن لوعـة الذكرى لما فيهـا
أرأيتهـا جسـدت محلقـة ... في الافـق والظلماء تخفيهـا
تنداح في الآفـاق تائهـة ... كسفينة شـالت مراسـيها
والريـح تدفعهـا وتجذبهـا ... والليـل ينشرهـا ويطويهـا
لكنهـا ظلـت مكابـرة ... تتصنـع الاقـدام تمويهـا
عجبي لهـا ممـا تجشـمه ... مـن شـدة كـانت تعانيهـا
هل عندها من سـيرة عجـب ... صعدت الى الجوزاء ترويهـا

ما كان قلبـك فـي نوازعـه ... الا الفراشـة قـام يحكيهـا
تهتاجـه فتـن فتصرفـه ... عـن سـنة للحـق يبغيهـا
وكذا الفراشة ليس يردعها ... عـن غيهـا مـن راح يهديهـا
كم جامح للنـار تحسـبه ... فجرا أضـاء فتزدهي تيهـا
وتـدف نحـو النار حاسـبة ... نـورا فترديهـا أمانيهـا

دمشـق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



صموئيل عبد الشهيد

الطبيعة في شعر فوزي المعلوف

بقلم صموئيل عبد الشهيد

* * *

اهتم فوزي المعلوف في بواكير انتاجه بمظاهر الطبيعة . ولعل أبرز قصيدة استوحى فيها الطبيعة هي قصيدته « الطبيعة » وفيها يصور لنا أثر الطبيعة في حياة الانسان :

طبيعة كانها دمية ... صنع يدي مصور ماهر
لولا هواها ما عرفنا الهوى ... ولا ابتسمنا للغد الحائر
ولا نظمنا الشعر لولا ندى ... منتظم في سلكها الناضر
ولا أجدنا النثر لولا هوا ... ينثره بحكمة الناثر
ولا عرفنا الحب يجري دما ... في جسمنا بالجوهر الطاهر
لولا اعتناق البان في ايكها ... وقبلة الطائر للطائر

وهذا حديث عن الطبيعة يفيض بالسذاجة ويرتبط عنده بفكرة الحب في بداءة تكوينها اذ انه، وهو ما يزال غرا في صناعة الشعر ، يلجأ الى الطبيعة من حيث هي جمال، واغاريد طيور ، ومثار حب . ونلاحظ انه لم يخرج في وصفه للطبيعة عن حد الاعتقاد بأن الطبيعة هي مصدر الهام الشاعر ووحيه ، ويكتفي بذلك .

غير اننا نحس فيما بعد ان فوزي المعلوف قد تحرر من اسر الطبيعة الساذج ومفهومه البدائي لها ، واخذ يخوض في معترك الاحداث وجدانية كانت أم سياسية أم اجتماعية . ويرجع ذلك الى أن الاحداث التي المت بالبلاد واعلان الحرب ، والظلم والجوع والجراد ، وغيرها من الخطوب الناجمة عنها تركت اثرا بليغا في حياته . اذ ان البؤس الذي كان يعم الوطن كان يسخر من جمال الطبيعة ، بل كان يبعث على السخرية في نفس الشاعر . وحين ينادي روح « هيكو » لتحمل نسمة الى الاحياء ، يصف هؤلاء الاحياء بأنهم :

هم موتى النفوس ، موتى الاماني ... رغم ما في جسومهم من رواء
نبذتهم اهل الدنى فعساها ... لبلاهم ترق اهل السماء

فالاحداث بحد ذاتها ، واحكام الظروف ، والكشف الجديد للحياة ، جعلت فوزي ينظر الى الوجود نظرة اشد عمقا واكثر غورا . وراحت هذه النظرة تنمو وتتطور حتى تم نضجها في قصيدتيه : « على بساط الريح » و « شعلة العذاب » .

ولعل أحساس فوزي بلامبالاته بالطبيعة تولد عن شعوره بأن الطبيعة لا تعبأ به ولا تأبه لاحزانه ، ففي قصيدة « لو » وهي ايضا من بواكير انتاجه ، يقول :

لو يعلم الزهر الحبيب الهوا ... ما في فؤادي من جراح الهوى
لذوب البلسم من عطره ... فيه ليشفيني

ولو راى البلبل بين الغصون ... نار ضلوعي في مياه الجفون
لحول المحزن من شعره ... شدوا يسليني

ولو درى البدر عشيق النجوم ... بما الاقي من فنون الهموم
لاهمل الشهب ومن قصره ... اهوى يؤاسيني

ولو درى الفجر باني ارق ... من نسمة الفجر لطول الارق
لبلل الاضلع من قطره ... وراح يبكيني

ولكن الطبيعة لا تأبه له ولا تريد . ولو كانت تعنى بشأنه لسارعت اليه تحنو عليه ، وتسكب على نفسه بلسم العزاء . ففي قصيدته « الطبيعة » كانت الطبيعة مصدر كل الهام . اما في « لو » فان الطبيعة فقدت سر سحرها عليه لانه اكتشف انها لا تبالي به وبالتالي لم يعد هو يبالي بها .

غير أن هذا لا يعني أن الطبيعة امحت من شعر فوزي انما اتخذت في وجدانه مفهوما اخر واصبحت مصدرا من مصادر الذكرى والحنين . فهو فيما بعد ، كما سنرى ، يستسلم لدغدغة الذكريات ، وتأخذ صور الماضي تثير في أعماقه رؤى مفعمة بالحنين . فالقمر لم يعد غاية بذاته وانما غدا عنصر اثارة يرتبط في ذهنه بتذكارات قديمة ، بل ان هذه التذكارات تستحيل في وجدانه الى شعر غنائي كما في « قبل القمر » . فاسمع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا النغم الشعري الذائب في غمرة لحن فرح :

فهنـا ترين على الاكـم فجـرا كاحـلام الشـباب
غـض الاهـداب
ملئت نواظره ضرم
امـا النسـيم
فيه ، فباردة عذاب
وعلـى انـاملـه خضـاب من مسـح دمع ذوي العـذاب

فالطبيعة لم تعد غاية ، انها مثار انغام وحياة . ومع هذا كله ، فاننا كلما تأملنا في شعره المتأخر يتضح لنـا ان فوزي ينعتق يوما بعد يوم من سحر اشراك الطبيعـة الا بمقدار ما تتفاعل مع مفهومه للحياة . واخـذت الحيـاة ذاتها تطغي على تفكيره بكل ما فيها من مآس وافـراح ، واحزان ومباهج .

ولعل امتزاج الحنين في اغاريد الطبيعة هو من ابرز المظاهر الوجدنية في الشعر المهجري عامة ، وهـو وتـر ضرب عليه معظم الشعراء من المهجرين الشمالي والجنوبي.

ونجد في قصيدة « حنين » خير مثال يسعفنا على سبر غور هذا المظهر من مظاهر الحنين المتجسد في وصف الطبيعة عند فوزي :

هـذي سـفوح التـلال هـذي اعاليهـا
هـذي عيـون الجبـال تجـري مآقيهـا
هـذي ربـوع الظبـا هـذي مآويهـا
هـذي ديـار الصبا يـا ليتنـي فيهـا

اهـل الحمـى والحمى في ذمـة اللـه
والصب يشكو الظما والمرتجـى لاه
كـم ذا المحب اشـتكى للكوكـب الـزاهـي
يتلـو البكـا بالبكـا والآه بـالآه

وفي احدى قصائد أغـاني الاندلس يتغنى فـوزي بسماء لبنان وهو في طريقه الى المهجر ، وكأنما الدنيا كلها أصبحت سماء لبنان فيناجي ملهمة شعره ان تقف معـه ليتمليا الجمال من ربى لبنان وسمائه وشاطئه لان التنائي حـان :

انظريهـا والليـل مـد عليهـا من نسيج الحلى وشاحا ثمينا
فتخالـي الاديـم فيهـا غـديـرا وتخالـي النجـوم فيهـا عيونـا
واخشـعي للظـلام فهـو ... كـم ... في بردتيـه السكونـا
واسمعيه يدعو الشفاه الى الصمـت ويدعـو الى الهدوء الجفونـا

فالطبيعة في شعر فـوزي استحالت الى مثـار للذكرى ، الى مبعث للاشواق والحنين ، والاماني . ولـم تعد غاية بذاتها ، وهو ، كما رأينـا ، لا يختلف عن سـائر شعراء المهجر الا على تفاوت في ألعمق مـن حيـث رقـة الشعور وانفعاله . فمن قصائده التي اختصر فيها كـل معاني أشواقه قصيدة « حنين المهاجر » :

واطـول اشـواقـي الـى الوادي وادي الهـوى والحسن والشـعر
ملهـى صبـاي ومهـد ميـلادي وعسـى يكون بحضنـه قـبري

فهو كما ترى قول ينبض بكل انفعال ذاتي يتململ بالشوق وكأنه يندب الماضي ، ويتشوق اليه . وهو يحن الى وادي زحلة ، ألى الكرم الذي يكسوه سنى الشـفق بألوانه ويشع متألقا كالذهب :

فترى بـه فـي صـفرة الـورق عسـلا بلؤلـؤة علـى ذهـب

اما الليل ففيه تمشي مواكب الاحلام والشعر :

والى الـربى والليـل كللهـا بسكونـه الملـوء بالسـحر
ومشى الهـوى فيهـا فظللهـا بمـواكـب الاحـلام والشـعر

ان هذه الخيالات تثير في أعماقه الحنين الى الماضي فيندبه مرة ثانية بنداء « وا » :

واهـا علـى المـاضي وأيامـه مـا كـان اسعدها واقصرهـا
فـرت فـرار لـديـذ احلامـه لـم تبـق لـي الا تذكرهـا
ايـام انسـى مـا احيلاهـا واحـب صورتهـا الى فكـري
قلبـي يذوب جـوى لذكراهـا في اضلعـي ، ومدامعي تجـري

أرأيت الى هذه الرومنطيقية الرقيقـة المفعمـة بالاحساس العميق وهذا الامتزاج بالطبيعة والانفعال معها، وكيف ان الطبيعة تحولت الى وشائج انسانية تربط فوزي الـى بلـده .

وفي موشح أندلسي رقيق يستغل فوزي الطبيعـة استغلالا فنيا يفيض بالفنائية والقوالب البديعية والبيانية التي ترتاح اليها النفس . يقول :

ايـا هـزار الغديـر ـ حييت بين الطيـور ـ مـن نائح مستثـير
بالنـوح عـطف الزهـور
حيـا الالـه صباحـك
اخـذت عنـي نواحـك ـ خذه وهـات جناحـك
اطـر بـه في الاثـير
لا غـل قيـد سراحـك

وهو يريد ان يحلق الى أقصى رحب الفضاء ، الـى السديم ، بل الى ما فوق متن النسيم ، حيث يتحرر مـن الاثقال فيبدع ويصوغ الجمال :

اطر به في السديـم ـ ما فوق متن النسيم ـ بين السماء والغيـوم
اصـوغ نـثر النجـوم
اصـوغ دمـع الغمامـه
عقـدا اجيـد نظامه ـ لجيـد خير حمامـه
تحـوز دون الريـم
مـن البيـان زمامـه

ان فوزي كشاعر رومانسي ، لا يرى في الطبيعة الا تعبيرا عن هذا الانفعال ، بل ان الطبيعة تغدو رفيقا وعزاء يخفف من تباريح آلامه . وفي شعره المجـرد للطبيعـة كقصيدة « نحن في نيسان » نتلمس ملامح الوجدانيـة ،

اشتركوا في مجلة

الاديب

تساهمـوا فـي نشـر الثقافة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يسخرها للتعبير عن الذات بقالب شعري جميل ، لان شهر نيسان هو شهر الهوى ، يستثير عواطف الشاعر وغرامه . فقيمته تتعاظم بمقدار ما يولد في الشاعر انفعالا ، ولعل مطلع القصيدة يوحي بهذا المضمون :

نحن في شهر الهوى ، شهر الامل نحن في نيسان

كل ما في الارض ، ما في الجلد يستثير الوجد ـ يستدعي الهوا
حرقة النجم . انين الزبد نغمة الزهر وانفاس الهوا

ولكن هذا المناخ الشعوري المتفتح يتألق في نفس الشاعر فيرى في الوجود ، وفي حركة الاغصان ، تنامي الحياة لما فيها من اشواق وحب :

وانظري الغصن على الغصن التوى هكذا خصرك تلويه يدي
والهوا في مبسم الزهر هوى راشفا مثلي لمى الثغر الندي

والجدول النائح يحمل الى العشب انة القلب الواله المتفطر ، وهو قلب الشاعر الشاكي من العناء والصبوة :

واسمعي الجدول للعشب نقل انة الولهان

شاكيا مثلي تباريح العنا حاويا مثلك كل الرونق
وانظري الليل تردى الشجنا ماسحا مدمعه بالورق

فالطبيعة استحالت لديه الى « حالات » عاطفية شعورية فاستكان اليها ورأى فيها ذاته ، واقبل عليها يخلو اليها ويناجيها ويبث الى قدسها آهة الجوارح وخفقة الجوانح . وهذا المفهوم للطبيعة لا بد ان يهيأ له جو رومانسي حالم ، بلغة حانية هامسة لتكون اقرب الى النفس واكثر تجاوبا مع الروح والقلب : كصور الاحلام ، ونأمة النسيم ، ورقة الجدول ، وحفيف الاوراق ، وبسمة الزهور ، وسجو الليل ، وخفقات النجوم ، والطرف الساهي :

وانظري النجم على الروض اطل ناعس الاجفان

ساكبا فوق صدور الزنبق قبلات الوجد . قبلاتي انا
ساهي الطرف اليف القلق خافق الاضلاع حبا مثلنا

و« هذا المناخ الرومانسي انين وحنين ينسجمان مع سكون الليل :

كلانا هنا يا ظلوم دجى في دجى
على ان فيك نجوم وما لي رجا
وليلك اما يدوم ومهما دجا
يلاقي اخيرا صباح
ندى الهوى والجناح
وما لي صباح يرام

ان هذا الحنين من خلال الطبيعة يمثل الهروب النفسي من مغناة الشاعر للشقاء ، وهي حاجة ملحة في النفس ، بغض النظر ان كان هذا الشقاء ناجما عن مقاساة من المصاعب والاتعاب او بفعل الوان من العذاب النفسي والاشواق الروحية . ويتميز هذا اللون الشعوري بالصدق في العاطفة ويتولد عنه ابداع في الاخيلة والصور التي هي مزيج من الصور الحسية والرؤى الوجدانية .

فالطبيعة عند الرومنطيقيين كما هي عند فوزي ، تحيا وتتمجد وتصادق الانسان وتأسو جراحه وترعى احلامه . والرجوع فيها الى السهل والجبل والقرية ، والوادي ، والزهور هو ردة فعل بوجه الحضارة ، لان في الطبيعة كما فهمها الرومنطيقيون وفهمها فوزي ايضا عودة الى البساطة والنبل والى الاحساس العميق بالوحدة الشاملة. ولعل قصيدة « هناك تحظى بمي » تكشف لنا عن سمو فوق الجزئيات اذ يقدمها لنا الشاعر من خلال حلم شعري امتزجت فيه الحقيقة بالخيال ، وتجسدت فيه الطبيعة الحية ، وانجلت مشاهدها على اختلافها مظاهر متعددة لجوهر واحدة .

وفي قصيدة « طاقة الزهر » يتحدث اليها فوزي حديث الرفيق للرفيق يحمله اعطر التحيات لفتاة القلب ، ويحدثها حاسدا لانها ستنعم بلذة لقائها والاستمتاع بالتوسد على صدرها ، ومن النهل من ثغرها :

سيري الى الزاهرة يا طاقة الزهر
عاطرة تهدى الى عاطرة عطرا الى عطر

سوف تنامين على صدرها يهنيك هذا الحظ لو كان لي
وتنهلين الشهد من ثغرها يا نعم ذاك الثغر من منهل
وتحملين العطر من شعرها وغور عباء الهم لم احمل
يهنيك هذا الحظ لو كان لي في حبها المضمل

وفوزي اذ يقارن حالته بحالة طاقة الورد يبث جمود الزهرة حياة ويحولها الى كائن نظيره ، يغار منه لانه سيحظى بلقاء محبوبته . ومع ذلك لا يعثر على غير تلك الوسيلة يلجأ اليها ليحملها اعطر تحياته . وهنا تلوح لنا علائق انسانية تربط الانسان بالطبيعة . ويؤكد فوزي على هذا الموقف حين يقول :

يا باقتي كوني لها من يدي رسالة صامتة ناطقة
يروي الندى في جيدك الاغيد عن ادمعي السابقة اللاحقة
وترمز الوردة عن موقد في اضلعي نيرانه عالقة
رسالة صامتة ناطقة عن صبوتي الصادقة
تقرأ في اوراقها الناضرة عن املي النضر
تنبئها الزنبقة الطاهرة عن حبي العذري

هل هي باقة زهر ما تزال ؟ أم ان الباقة استحالت الى ذات الشاعر تنطق بمشاعره وتعبر عن أشواقه ؟ وهو في لجوئه الى الزهرة انما يلجأ الى الطبيعة كمنقذ للترويح عن النفس ، ومجتلى للاحزان .

غير ان الطبيعة عند فوزي لم تكن مشكلة فلسفية قط ، ولم تكن مدار تساؤل وحيرة ، بل رضي بها كما هي ، وبكل بساطة استعان بها على تفريج همومه ، يلوذ الى احضانها ويسعى الى احيائها في وجدانه . وكأنما رأى في تشريح الطبيعة انتهاكا لحرمتها وتدنيسا لقداستها .

صموئيل عبد الشهيد

وانا بالباب ، انفرجت على الجدار امامي اربع عيون ، وتدلى مفتاح . تذكرت الدرج ، ارجو ان لا اكون قد تركته مفتوحا . وفي حقيبة يدي وجدت المفتاح مسترخيا على منديل ورقي . ولكن ربما اخطأت اقفاله .

لا شيء في الدرج .. لا شيء مهم على الاطلاق . صحيفة يومية ، بعض مجلات الاسبوع ، واوراق ، اوراق بيض . ومع ذلك لا بد ان يكون الدرج مقفلا . والتثبت من الامر اسهل من مواصلة القلق وعدت الى الدرج . فوجدته مقفلا .

في الشارع زرع مائة عين في وجهي .. نظرت فيه لحظة فتسلق وجهك الغاضب عنقه وانتشر في وجهه ، لم يعد هو .. ولم يصبح انت .

تحركت يد محت الوجه المزدوج . تكلمت اليد ، ولم يقل الطفل شيئا . ربما كان معي قطعة نقود صغيرة . اذن فلننته من هذه اليد . احب هذا الغضب . سأمهد له ، واستثيره حين لا يأتي ، وكانت يدي تعالج مفتاح الحقيبة .

ترى اذا كنت قد نسيت حافظة نقودي . لكن هذا لم يحدث من قبل فلماذا يحدث الان ؟

ها هي اذن ..

وابتهج الطفل بقطعة النقود .

حسنا لم انسها .. لو حدث ذلك لكنت في وضع مريك .

ـ ادفع ثمن تذكرتين .. نسيت محفظتي .

لكنك لن تكون هناك ، وساعتذر للمحصل واترك السيارة عند اول محطة وقوف .

وتوهج لون قميصك على قطعة النقود بينما انسحب المفتاح الى موضعه . لم يبد اي منكما حقيقيا .. كنت وقطعة النقود خيالا ساذجا .

ـ لو قدر لي فلن اغرق الا في بحر عينيك .

وكنت بحاجة الى شاهد .. من يريد ان يغرق في ماء آسن !! ولم تأت بشاهد .

واحدة من الشقائق البرية .. وتحرك الماء الآسن في عيني واستعادتا لون البحر . غير ان السنة كانت موسما واحدا وحسب ، صيفا طوله ثلاثمائة وستون يوما . جففت شمسه ماء البحر .. وتحول الى صحراء .. من يريد ان يموت في صحراء ؟

ـ انا اريد .

وفي المساء نبتت في الصحراء نخلة .

ـ قولي كلمة واحدة .

وقلتها مرات .. ثرثرت كثيرا .. وفي اليوم التالي بحثت عن كلماتي بين سطور صحيفة يومية ..

السكنى في صدفة

بقلم سالمة صالح

كان قد التبس علي الامر .. ظننتها قصيدة قراتها منذ حين ، في مكان ما .

ـ يا نائلة ..

وتكرر النداء مرتين .. من غيرك يعرف اسمي ! لا بد انها كانت مزحة .

وكنت محارا خائفا .. انسحبت الى الداخل .. ولم يكن في رئتي ما يكفي من الهواء .. ومع ذلك لم امت اختناقا .

ـ يا نائلة .. انا

المزحة نفسها مرتين .. وضحكت انا .

ـ اية مزحة ايتها المجنونة ؟

وكنت غاضبا .. حاولت ان تبدو اكثر لينا .

ـ يا نائلة ..

كان هذا اسمي حتى صباح اليوم والان يبدو ان ذلك لم يكن حقيقيا . ربما كنت الان شخصا اخر .. اسما اخر ...

واستدرت نحوك ربما ساعدتني في العثور على اسمي ، لكن وجهك الاخضر كان غائما . «ازرق + اصفر» ولم استطع ان امنع امتزاج اللونين .. وجهك والقميص .

ـ اود لو اغرق في .

ـ اعرف امراة كانت تتمنى ان تموت غرقا .

ـ لكني اريد ان .

ـ ولم تمت غرقا .. تحولت ذات مساء الى دمية من خشب الزان ، واشتراها سائح شاب .

في الحي تحدثوا عنها ليلتين ، ثم نسيها الجميع .

ـ اما انا فلو قدر لي لن اغرق الا في بحر .

وانحسرت مياه البحر .. وجفت النخلة في الصحراء .

ونادى رجل اخر :

ـ يا نائله ..

هو الاخر يعرف اسمي .. قال :

ـ سبع سنين .. ولم يعد الانتظار مسليا .

ـ لكني لا اعرفك .

ـ اما انا فاعرفك .

وعدت محارا خائفا .. ولم ينتظر .. حمل المحار والصدفة .

تذكرت المراة التي تحولت الى دمية من خشب الزان .. وكانت تريد ان تموت غرقا .

ونهضت واقفا ، لم تحاول شيئا . كان صوتك حاقدا هذه المرة :

ـ لا اريد ان اموت في صحراء .

ولم تبد حقيقيا هذه المرة ايضا ، كما لم تبد حقيقيا ابدا . وجهك الاخضر .. صوتك .. و ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احبك

الى القريبة البعيدة

★

احبك والمروج تكاد تروي ... غرامي في السهول وفي البطاح
ويدنيني اليك هوى خفي ... يصور لي خيالك في الرياح
والمح في الرؤى وجها تجلت ... محاسنه الي بلا وشاح
فلا كالحب معجزة تباهت ... بها الاكوان في شتى النواحي
به الدنيا تضيء بكل أفق ... بسحر مشرق اللمحات ضاح

احبك حيث تستعصي المعاني ... عن التعبير في القول الصراح
فأشرق بالحديث جوى كصاد ... بقفر غص بالماء القراح
قربت وقد بعدت على مرادي ... فوصلك ليس بالشيء المتاح

بحق هواك زورني خيالا ... فطيفك في الدجى يشفي التياحي
اما يكويك في الذكرى حنيني ... اما تدميك في الشكوى جراحي ؟
سيتركني هواك على الروابي ... عبيرا للبنفسج والاقاحي
واغنية تنوح بها الشوادي ... وترويها الرعاة على البطاح
فافنى في الفضاء وليس يبقى ... لروحي غير صوت في الرياح
اذا ما طاف مشتاق بواد ... تسمعه رنينا في الصباح

البحرين — احمد محمد آل خليفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى الجدار كانت العيون الاربع قد تناسلت .. تحول الجدار الى عيون فقط .. **مئات العيون** .

وعدت ابحث عن مفتاح الدرج في الحقيبة . كان علي ان اتحسسه باصابعي لاطمئن الى انه موجود .

وفي ضميري استيقظت المراة التي تحولت الى دمية من خشب الزان .. لو عادت الدمية امراة فوجدت نفسها بصحبة السائح الشاب ماذا يحدث ؟

قالوا عن الرجل الاخر :

وضع المحارة في الدرج واقفل عليها .

قالوا :

اراد ان يحرر المحارة من الصدفة فتفتت الصدفة وماتت المحارة .

قالوا :

ظلت المحارة في الداخل ، وظل يتلهى بالصدفة .

لكن ذلك لم يكن حقيقيا .. فقدت المحارة اسمها وحسب .

المفتاح ما زال مسترخيا على المنديل الورقي وحين يريد احدهم ان يعرف ما في الدرج سيجده مقفلا .

بغداد — سالمة صالح

عبث

•

صفاء الحيدري

•

بغداد ـ العراق



وأرتاع شيء في كياني
وهوى جناني
وفقدت حسي بالزمان .. وفي ثواني
كانت ملايين الرؤى تهوي لهاوية عميقه
ومدى دقيقة
تركت فمي الايدي الدقيقة
وصعدت من أعماق فقداني الى سطح الحقيقه
وبلا حنان
أقصيت عني كل رغبه
ـ
شيء أباد له المحبه

كنت أختصرت طريقي الدامي وعدت بدون صحبه
في عالم ما كان يمكن ان أحبه
ومعصبا بدم الجبين
راحت يداي تلمسان جدار طيني
ومضيت أبحث في الظنون
ـ
عن سره العاصي اللعين
وضميره القاسي الحجر
عن حائط بين السنين
ترك الزمان عليه كفا كالشرر
حمراء دامية الاثر
تبكي وتضحك في صور

وبعالم قاس يعيش على يديه
ضجر ، يطحلب ما عليه
أدليت دلوي في الحفر
وبكل هاوية يقيم بها الخطر
أخذت يداي معا تشدان الوتر
لم ابد خوفا او حذر
لا الدلو عاد ولا يداي أصابتا كبد الحجر
وفقدت انساني ، وعدت كما بدأت من الصفر
من دون شمس او قمر
أتعكز الماضي وامشي في الظلام مع العبر
ومع التعابير الرشيقه
أين الحقيقة ؟
أين العذوبة في النمير العذب في البئر العميقه
أين ابتسام الطفل في الايدي الرفيقه
أين البراءة يا صديقه
أين الخفر !
لا شيء الا ما سطر
ـ
بعد النظر
قصر النظر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

محيي الدين قطينة - طلعت السيفي

جلال زريق

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ــ محيي الدين قطينة

الشعار الذي يردده « محيي الدين » منذ نزوحه عن بيت المقدس ، وذرعه بلاد الناس ... لاجئا قول الشاعر :

يا مسقط الرأس والارحام تجمعنا حاشا تغيرني في حبك الغير

ولد « محيي الدين » في القدس الثكلى سنة ١٩٠٧ وأنهى علومه الابتدائية والثانوية في كلية « روضة المعارف » بالقدس سنة ١٩٢٧ وقرض الشعر في سن مبكرة بتشجيع الشيخ نديم الملاح استاذ الادب العربي في كلية « روضة المعارف » عهدذاك .

وفي سنة ١٩٢٧ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت في عهد عميد كلية الاداب نيكولي واشتهر بين لداته واساتذته بأدبه التهكمي الساخر ، وله في هذا المجال صولات وجولات !

وخلال دراسته الثانوية والجامعية شرع في نشر القصائد والمقالات السياسية ، (بلا توقيع) في « الصراط المستقيم » اليافية و «الجامعة العربية » و « الوحدة » المقدسيتين .

وتحت وطأة ظروف سياسية ترك الجامعة الاميركية في بيروت والتحق بالجامعة الاميركية في القاهرة سنة ١٩٢٩ في عهد رئيسها واطسون واسس مع زميليه في الجامعة عبد الحميد ياسين وشفيق ترزي « نادي الطلبة الفلسطينيين » بالقاهرة وكان يحرر عمودا بالانكليزية في مجلة « كرافان » التي يصدرها طلاب الجامعة الاميركية في القاهرة .

وفي سنة ١٩٣١ نال درجة بكلوريوس في العلوم الاجتماعية وانتخب خطيبا لحفلة تخرجه مع زملائه من الجامعة ، وكان من اساتذته احمد حسن الزيات والدكتور امير بقطر . وبعد ان عاد الى مسقط رأسه عين موظفا في « المعرض العربي الفلسطيني » الذي اقيم في عمارة الاوقاف الاسلامية بالقدس سنة ١٩٣٢ .

وفي سنة ١٩٣٤ عين مترجما في « مكتب الترجمة » التابع للسكرتيرية العامة في القدس واشترك مع نفر من الشباب العربي المثقف في ترجمة « مجموعة القوانين الفلسطينية » المعروفة باسم « مجموعة درايتون » المستشار القانوني لحكومة فلسطين ، واشتهر « محيي الدين » بين زملائه بدقة الترجمة والعبارة المشرقة والخط الجميل .

وظل يعمل في « مكتب الترجمة » هذا الى أن وقعت المأساة الاولى في فلسطين سنة ١٩٤٨ فهاجر الى دمشق وعمل مترجما في وزارة الزراعة السورية ، وما لبث ان استقال من عمله هذا وعمل في قسم الصحافة بالسفارة الاميركية بدمشق من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٥٥ ، وفي هذه السنة استقال من عمله هذا وعاد الى عمان بالاردن ، وعين مديرا لدائرة الانشاء التعاوني بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل . ثم رئيسا لمجلس ادارة المعهد التعاوني ، وتولى رئاسة تحرير مجلة « التعاون في الاردن » التي أصبحت « صوت التعاون » فيما بعد .

من آثاره القلمية : كتب « محيي الدين » عشرات المقالات ونظم عشرات القصائد التي آلت الى الضياع . ومن آثاره المطبوعة :

١ علاقة الحركة التعاونية بالارشاد الزراعي ،

٢ ــ الحركة التعاونية في المملكة الاردنية الهاشمية (١٩٦٣) .

٣ ــ دليل المرشد التعاوني (مترجم) ١٩٦٤

ومن آثاره المخطوطة :

١ ــ « عاشق الليدي تشاترلي » للكاتب الشهير د. هـ. لورنس (مترجم)

٢ ــ « الخطا والتجربة » للدكتور حاييم وايزمن (مترجم)

نموذج من شعره : اشتهر « محيي الدين » بقرض الشعر الفكاهي والقومي ، لكن جل منظومه سلك طريق التيه والضياع ... ولا نملك منه سوى الشذرات التالية :

كانت تقوم في الجامعة الاميركية ببيروت جمعية ادبية عرفت باسم « العروة الوثقى » ، تصدر مجلة باسمها وتستكتب فيها الاعضاء وتنشر انباء النشاطات الادبية والثقافية في الجامعة ، وكان « محيي الدين » من اعضاء هذه الجمعية وسكرتيرا لتحرير مجلتها ، كما كان يمارس نشاطا ادبيا ملحوظا ويتحف الاجتماعات والندوات والمجلة ببعض منظومه .

وكانت تربط بعض طلاب الجامعة من الفلسطينيين خاصة رابطة اجتماعية ترويحية اطلق عليها اسم « التفتزانية » ، وكان من ابرز أعضائها راسم الخالدي والدكتور رافت فارس والدكتور محمد الدجاني (من فلسطين) وصبيح وهبي (من العراق) وكان « محيي الدين » من اعضائها . ثم اخذت ادارة الجامعة تنظر الى هذه (الرابطة) نظرة شك وحذر ... وامرت بتجميد نشاطاتها واجتماعاتها تحت سقف الجامعة ، وذات يوم داعب « محيي الدين » زملاءه في هذه «الرابطة» بقوله :

هام قلبي ب « أتان » يوم كنا في الرهان
تيمته حين خبت خبة الفر الجبان
وتثنت ثم دلت بثناياها الحسان
فاجيزوا الشعر هيا يا رجال « التفتزاني »
واشكروا الناظم اذ هو علم الحمر الاغاني !

وخلال عمل الشاعر جلال زريق والشاعر محيي الدين قطينه معا في « مكتب الترجمة » بالقدس اطلق اليهود الرصاص على «بغل» يملكه « محيي الدين » في مزرعته الكائنة في قلندية ــ بالقرب من مطار القدس ــ فهال « جلالا » المصاب ... وبادر الى تعزية زميله المفجوع بابيات لم تع الذاكرة منها سوى قوله :

مات في ميعة الصبا طول الله عمركا

وختمها بقوله :

فلئن مات بغلكا فهو حي بشخصكا !

فرد « محيي الدين » عليه بأبيات من نفس الروي والوزن والقافية، وقد وعت الذاكرة منها قوله :

ان يكن للبغل ارث فهو لا شك لكا !

ولو قدر للمعني بالادب العربي المعاصر جمع منظوم «محيي الدين» الفكاهي لربح ادبنا المعاصر الوانا زاهية من الشعر الساخر !

نماذج من نثره : « أما الهدف من التعاون فهو رفاه التعاونيين وخيرهم ، ومهما كان الدخل القومي عاليا ، ومهما كانت الارباح كبيرة في بلد من البلاد ، فانها لن تجعل الاقتصاد فيه سليما ما لم توزع هذه المنافع على الافراد في أوسع نطاق ، وما لم تساهم هذه المنافع مساهمة

فعلية في سعادة الشعب ورفاهيته . « واذا ما ربطنا بين الاتجاهات الاقتصادية ، والاتجاهات الاجتماعية والرفاهية ، يتضح لنا ان الازدهار الاقتصادي لن يأتي بصورة مستمرة او تلقائية بالازدهار الاجتماعي المطلوب لجميع السكان صغيرهم وكبيرهم ، وكذلك الامر لو عكسنا هذه الصورة ، فان التقدم في الرفاه للصغار الكبار لا يجلب معه دائما او تلقائيا تحسنا فعليا في الانتاج او في المنافع الاقتصادية المبتغاة . ولا شك ان هنالك علاقات متشابكة وتفاعلات متواشجة بين الناحية الاجتماعية والناحية الاقتصادية » ولذلك لا يتمكن المخطط من أن يحصر جهوده في الناحية الاقتصادية وحدها ، دون النظر بعين الاعتبار وعلى قدم المساواة الى الناحية الاجتماعية والعكس بالعكس اذ يجب ان يقوم التخطيط على خطين متوازيين ومتساويين : الخط الاقتصادي والخط الاجتماعي ، والا فالفشل سيكون حليف المخطط ان فضل ناحية على اخرى ، او اهمل احداهما .

وان التحول او الانتقال الى مرحلة النمو الاقتصادي يحدث بالتدريج وخلال فترة طويلة من الزمن . ومع ان الاتصال بالمجتمعات التكنولوجية المتقدمة هو شرط اساسي للاسراع في عجلة التقدم التقني، فان هذا التقدم لا يقع من جراء هذا الاتصال وحده . ففي بعض الاقطار لم يحدث التقدم التكنولوجي بعد فترة طويلة من الاتصال ، وفي غيرها حدث التطور في فترة اتصال اقل ، ذلك ان التطور في البلاد النامية يحتاج الى درجة عالية من الابداع والخلق . والابتكارات المطلوبة ليست تغييرات تقنية اقتصادية ، ولكنها في ذاتها تغييرات اجتماعية . والاسباب المؤدية الى هذه التغيرات يجب ان تكون قوى مؤثرة تأثيرا فعالا في مجالات عديدة للسلوك الانساني . والقيادة في هذه الابتكارات الجديدة لا يقوم بها أفراد قياما عشوائيا ، بل أعضاء جماعة واحدة او اكثر من جماعات المجتمع . وهذه الجماعة ليست الجماعة التي تكون في أفضل وضع تمكنها من الاتصالات بالاقطار الخارجية او تستطيع الولوج الى المعلومات الجديدة او الحصول على رأس المال .

وقد رأى المفكرون ان الحركة التعاونية ، بوصفها منظمة ذات أهداف اقتصادية واجتماعية ، وبوصفها جماعة ذات تنظيم ومثل ، تستطيع في اثناء تطورها القيام بهذه التغييرات والقبض على زمام المبادرة في هذا الحقل ...

اما الطريق فقد اوضحته المبادىء : منها التعليم ، ثم التعليم ، ثم مواصلة التعليم ، ثم التوسع في التعليم . ذلك ان أية حركة ديناميكية غايتها التوسع والانتشار وخلق الدعاة لا بد وان تجعل التعليم هدفا من أهدافها » .

٢ ـ طلعت السيفي

آمن « طلعت » بالانسانية ايمانا عميقا ، وظل يردد مع سلامة موسى قوله : « العلم هو الذي يجعلنا انسانيين في الادب ، لانه يحملنا على التأمل ثم التفكير ، كما يحملنا على المقارنة ، فيكون الغضب ، ويكون الالحاح في المطالبة بالاصلاح ، واديب بلا علم هو اديب بلا انسانية ! ».

ولد « طلعت » في بيت المقدس ودخل المدرسة الابتدائية في سن مبكرة ، وبعد ان أتم دراسته الابتدائية والثانوية قصد الاستانة خلال الحرب العالمية الاولى ، والتحق بمدرسة سلطاني المرجان ، وما لبث ان عاد الى القدس وزاول التعليم ، وبعد ان دخلت فلسطين تحت الانتداب البريطاني عين وكيلا لمدير مدرسة طولكرم فمديرا لمدرسة بير السبع الاميرية ، وفي عام ١٩٢٤ نقل مديرا لـ « مدرسة التطبيقات » الاميرية في بيت المقدس وأولى هذا المعهد كل نشاطاته وجعل منه المدرسة الانموذجية الوحيدة في فلسطين . وكان صف المعلمين في الكلية العربية يتمرن فيها على أساليب التعليم الحديثة ، تحت اشراف المربي المرحوم أحمد سامح الخالدي .

وتميزت « مدرسة التطبيقات » هذه بالتربية الصحيحة والصدق في القول والعمل . ومن مآثر الاستاذ السيفي انه علق في احدى ردهات هذه المدرسة صندوقا مقفلا ليودع الطلاب النقود التي يوفرونها ويسجلوا في دفتر خاص المبالغ التي اودعوها الصندوق دون اية رقابة ، وبعد انتهاء ساعات الدراسة يجمع المعلم المسؤول المبالغ المودعة فيجدها مطابقة للمبالغ المسجلة .

وخلال ادارته « مدرسة التطبيقات » التحق بالكلية الانكليزية بالقدس المعروفة بـ « كلية الشباب » وانهى صف « الجونيور » كما اجتاز امتحان المعلمين الاعلى والتحق بصف التربية في الكلية العربية ، وكانت له نشاطات في القطاعين الاجتماعي والرياضي واسهم في التمثيل والموسيقى .

وفي عام ١٩٣٩ سادت الاضطرابات انحاء فلسطين فاعتقل «طلعت» مع عشرات من اخوانه العرب وامضى في المعتقل عامين ، وبعد الافراج عنه أعيد مديرا لثانوية صفد ثم مديرا لثانوية طبريا .

وبعد حول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) نزح الى دمشق وعين استاذا للغة الانكليزية في دار المعلمات بحلب وبعد سنة امضاها فيها نقل الى دمشق استاذا في التجهيز وفي « معهد دوحة الادب » .

وفي عام ١٩٥٣ كلفته السلطات الاردنية العودة الى الاردن وعين مديرا لثانوية الحسين بن علي في الخليل فمفتشا للوائي الكرك ومعان فمفتشا للواء نابلس فمفتشا في وزارة التربية والتعليم .

وفي عام ١٩٥٩ عين ملحقا ثقافيا في السفارة الاردنية بالقاهرة فملحقا في السفارة الاردنية بدمشق . وفي أعقاب عام ١٩٦٣ نقل مفتشا في وزارة التربية والتعليم فموجها تربويا في لوائي البلقاء والزرقاء فمديرا للتربية والتعليم في لواء إربد .

اشتهر « طلعت » بين لداته بالدعابة والسخرية وخفة الروح ، ونشر فصولا في الادب الساخر مع التركيز في بعض الاحيان على المصلحة العربية العامة . ومن الموضوعات التي نشرها في جريدة « الدفاع » عام ١٩٥٥ :

١ ـ مشاهداتي في جهنم ،
٢ ـ عندما اعود الى الحياة مرة ثانية بعد ٦٣ ألف سنة ،
٣ ـ ونحتاج الى عقلية فيران ،

ففي الموضوع الاول يتخيل « طلعت » انه رأى محكمة في جهنم وهي تحاكم الذين تآمروا على أمتهم ، فصدرت أحكام قاسية عليهم هي الحرق المؤبد في جهنم .

وفي الموضوع الثاني يتخيل « طلعت » انه قصد ذات يوم الاخرة واختلط باهلها ، فرووا له السلوك الشائن الذي سلكه بعض ذوي الشأن في امتنا ، واوصوه بأن يهتم الاحياء من العرب بالاخلاق ويتسلحوا بالمعرفة .

وفي الموضوع الثالث يركز « طلعت » على أساليب بعض رجالنا في التفكير وانصرافهم الى نمط منه فيفشلون ، ولو انهم قلدوا الفيران بالتفكير في التجربة والخطأ ، تلك التجربة المعروفة في علم النفس ، لاصابوا تفكيرا صحيحا يضمن لهم النجاح في تفكيرهم السياسي والادبي والاجتماعي .

وعالج « طلعت » موضوعات طريفة في بعض المجلات العربية ، ومن هذه الموضوعات « جنة حسن الصباح والحشاشون في حارورة » كما أذاع احاديث تهكمية ساخرة مثل « بالطو يتكلم » و « ادارة الشخصية في الحياة » .

نموذج من نثره : أحب « طلعت » الفيلسوف والفنان الناقد برنارد شو الذي مزج السخرية بالنقد ، وبعد مرور خمسة عشر عاما على وفاة هذا الاديب الساخر كتب « طلعت » يقول :

« في صفحات التاريخ ، قديما وحديثا ، كتاب وادباء وعلماء كثيرون بلغوا في عصرهم شأوا بعيدا من الشهرة والمجد ومع ذلك لم

تكد تمضي على وفاتهم سنوات قليلة حتى لفهم النسيان الى الابد ، ذلك ان مقومات الخلود في العالم او الكاتب او الاديب هي مقومات لا ترقى اليها الا القلة من العباقرة والنابغين ، ولا شك في ان برنارد شو هو واحد من هذه القلة !

توفي برنارد شو عام ١٩٥٠ وهو في الرابعة والتسعين من العمر ، وها قد مر ١٥ عاما على وفاته لكن ذكراه لا تزال حية في النفوس من خلال عشرات الروايات التي كتبها والتي يقرؤها الناس في كل مكان من العالم بلذة وشغف وكأنها قد صدرت منذ عام أو أقل .

كان برنارد شو يثير غضب الكثيرين بآرائه المتطرفة ولكنه كان يتمتع بقدرة عجيبة على ادخال السرور على قلوب اولئك الذين يهاجمهم بنكاته اللاذعة الساخرة المشبعة بالحيوية . وهو من الكتاب القلائل الذين كانوا يزدادون كفاءة وبراعة وابداعا كلما تقدمت بهم السن . فحينما كان في الاربعين من عمره لم يكن قد اشتهر بعد كروائي ، بل كانت تقتصر شهرته ، حتى تلك السن ، على براعة النقد . اما الروايات القليلة التي كان قد أصدرها حتى ذلك الحين لم تلق الا استجابة محدودة في اوساط المثقفين فقط .

على ان روايات برنارد شو تحتل اليوم منزلة الصدارة في معظم المسارح الكبرى في العالم ، وعندما تألفت الفرقة المسرحية الوطنية بلندن كان في طليعة الروايات التي مثلتها رواية شو المعروفة « سان جون » ، كما مثلت هذه الكوميديا الشهيرة في مهرجان ادنبره الدولي ، وقامت فرقة برمنغهام المسرحية بعرض شامل لروايات شو أتبعتها برحلة تمثيلية الى اوربا .

ولعل ابرز نجاح صادفته روايات شو اخيرا هو الذي لقيه تمثيل روايته الشهيرة « بيغماليون » التي ظلت تمثل على المسرح ثلاثة شهور متواصلة ، ثم الرواية المعدلة عنها « سيدتي الجميلة » التي لقي تمثيلها المسرحي نجاحا رائعا في لندن ونيويورك ، ثم اخرجت على شكل فيلم سينمائي لقي نجاحا منقطع النظير في شتى انحاء العالم » .

٣ ـ جلال زريق

الذين زاملوا « جلالا » وصحبوه على دروب هذه الدنيا يؤكدون ان الشعار الذي كان وما زال يردده قول الشاعر :

أتى غير مختار وفارق مضطرا ولم يك لما عاش في أمره حرا !

ولد « جلال » في اللاذقية سنة ١٩٠٢ وانهى دراسته الابتدائية والثانوية في مسقط رأسه ، وفي سنة ١٩٢٠ التحق بالجامعة الاميركية في بيروت ونال شهادة بكلوريوس علوم سنة ١٩٢٤ واشتهر بين اقرانه بالذكاء المفرط والجمع بين العلوم والاداب . فبينما كان مبرزا في الجامعة بالرياضيات كان علما في قرض الشعر وولوج حلبات الهجو والقاء الشعر القومي في جمعية « العروة الوثقى » . وكانت الصحف التي خصها بنفثات قلمه « الهلال » و « الاحرار المصورة » و «فلسطين» و « التربية والتعليم » البغدادية .

وكان من نصيب فلسطين ، بعد الاحتلال البريطاني ، ان امها نفر من الشبان العرب الواعين وفي طليعتهم « جلال » الذي احب البلاد المقدسة وتفاعل مع أهلها وهام بثراها الطهور . فبعد ان أنهى دراسته الجامعية عين استاذا للرياضيات في « دار المعلمين » بالقدس في عهد رئيسها المربي المرحوم الدكتور خليل طوطح . وعقب سنة دراسية امضاها في هذا المعهد يمم بغداد وعين استاذا للرياضيات في « دار المعلمين العليا » وفي « كلية الهندسة » وكان من زملائه في سلك التعليم محمد العدناني وفريد السعد ونافذ الحسيني وعبد الحق عبد الشافي ، وكلهم من صفوة الشباب الفلسطيني الواعي .

وفي سنة ١٩٣٠ عاد « جلال » الى فلسطين مديرا لكلية النجاح الوطنية بنابلس ، وبعد ان تولى ادارتها مدة سنتين عين استاذا للرياضيات في « الكلية العربية » بالقدس في عهد رئيسها المرحوم أحمد سامح الخالدي . ونظرا لتضلعه من العربية والانكليزية نقل موظفا كبيرا الى مكتب الترجمة ، احد فروع السكرتيرية العامة بالقدس ، وأمضى فيه اثني عشر عاما (١٩٣٣ ـ ١٩٤٤) . وبعد احالته على التقاعد قصد سوريا وعين مديرا عاما للاعاشة والتموين في دمشق ، وفي عام ١٩٤٥ نقل مفتشا عاما فأمينا عاما لوزارة التربية والتعليم بالاضافة الى أمانة السر في الجامعة السورية في عهد المغفور له شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الاسبق . وفي اوائل عام ١٩٤٩ عين مديرا عاما للبرق والبريد والهاتف في الجمهورية العربية السورية .

وفي عهد اديب الشيشكلي رئيس الجمهورية السورية الاسبق ترك العمل في سورية وعين في منظمة اليونسكو بباريس وشغل وظيفتين هما :

الاولى : رئيس قسم الترجمة العربية لمعرفته ست لغات هي : العربية والتركية والانكليزية والفرنسية والالمانية والعبرية .

الثانية : ضابط ارتباط بين اليونسكو والدول العربية .

وفي عام ١٩٦٤ ترك باريس وهبط بيروت متقاعدا ، يستعيد فيها ذكريات الشباب ، ومطارحات الاحباب .

من اثاره القلمية : صال « جلال » في كل ميدان من ميادين العلم والادب والاقتصاد ، وصنف كتبا وعت الذاكرة منها :

١ مبادىء علم الهيئة (في علم الفلك) ١٩٢٧ .
٢ ـ الحساب للمدارس الثانوية ـ ١٩٢٧
٣ ـ الهندسة الفراغية ـ ١٩٢٨ .
٤ ـ الهندسة المستوية (جزآن) ١٩٢٩
٥ ـ علم الجبر (جزآن) ١٩٢٩
٦ ـ اميل ، تاليف جان جاك روسو (مترجم) ١٩٣٠ .
٧ ـ الانفجار السكاني (مترجم) ١٩٦٥
٨ ـ التربية الصحية في الريف (مترجم) ١٩٦٦

وفي ١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٦٩ فاضت روح هذا البلبل الفريد في مدينة بيروت ونقل جثمانه الى اللاذقية ودفن في مقبرتها .

نماذج من شعره : مال « جلال » بفطرته الى قرض الشعر وابرز الالوان التي اشتهر بها : الهجاء والغزل . ومن بواكير شعره قصيدة نظمها سنة ١٩١٥ ونشرتها « الهلال » في مكان بارز من صفحاتها ، كما نشرت هذه المجلة سنة ١٩٢٢ قصيدة من نظمه عرفنا منها قوله :

مرتع الآرام رواك الحيا وسقى واديك منهل السحاب
هل يعيد الدهر أيام الصفا فيك أم تصدق أحلام الشباب ؟

ومن فرسان الشعر الذين جاذبهم « جلال » حبل الهجو الشاعر الكبير « بدوي الجبل » ، ومن الشعراء الذين أحبهم وأحبوه خلال اقامته في بغداد : معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي .

وفي فلسطين تفاعل « جلال » مع رهط من ادبائها ، كان في طليعتهم اسعاف النشاشيبي وابراهيم طوقان و « أبو سلمى » فكانت لهم ليال ملاح من الانس والمرح ، وندوات من الشعر والمباسطات .

وذات ليلة جلس « جلال » في شعيب ناء عن الناس في « البقعة التحتا » بالقدس ، يستمتع بمفاتن الطبيعة وبصوت المطربة ماري عكاوي ، وامير البزق عبدالكريم يشنف الاذان برنات بزقه ، وهنا بهر « جلالا » صوت ماري الشجي ... فنظم قصيدة جاء فيها :

يا جارتي « ليلى » يا بهجة العين
شبابك الريان أحيا صباباتي
ولحظك النشوان غير حالاتي
ناشدتك القربى لا تنفري غضبى
فالعتب والعتبى لم تبق لي حيلا
يا جارتي « ليلى » !

سمعت ماري هذه القصيدة العذبة ولمالحنها اميرالبزق عبدالكريم اندفعت تغنيها بصوتها الحنون ... ومحطة الاذاعة الفلسطينية

تلفون

رن صوت الجرس المهووس ..
والوقت غياب .
ما لها سماعتي الورد
ارتعاش واضطراب !
صوتها ! تعرفه سماعتي
صـوت العتـاب
جاء من حنجرة الضوء
ومثل الضوء ذاب ..
يتغاوى .. دلع الناي ،
واغماء الربـاب ..
مـاج فيه حبق الزهـو
وريحان الشباب

لحظـة بيضـاء !
أفديها سؤالا وجواب
مر في بالي ربيع
هز خصريه .. وغاب
تاركا فاصلة حيرى ،
وسطرا من ضباب ...

راجي عشقوتي

تبثها على الاثير ، فلاقت ابيات « جلال » هذه هوى في قلوب أهـل الادب ، وعشاق الطرب ، وتناقلتها الصحف والاذاعات في دنياالعرب !

وفي « بيت المقدس » المدينة التي أحبها « جلال » نظم سـنة ١٩٢٤ أبياتا تفيض وجدا وهياما بالبلد الذي أحبه وآثره على بـلاد النـاس :

تريدين أن أسلـو هواك وأنتهي ... وهـل ينتهي قلـب عليك يذوب
فديتـك لا سري عليـك بمغلق ... ولا نزعـات النفس عنـك تغيب
وانـي ليضنيني ادكـارك نائيـا ... فكيف احتيالـي والمزار قريـب
ألـم تعلمـي يـا قـرة العين انني ... اذا نابنـي بـؤس اليـك أنيـب
وان سلوي عنك ان حـان حينه ... فليس لنفسي فـي البقاء نصيـب
تمني على قلبي سوى البعد منية ... فان فؤادي أن دعـوت يجيـب
ولا تضجعي الملهوف في سلوة الهوى ... فكل حيـاة العاشقين خطـوب
سقاك الحيا ان تاب غيري عن الهوى ... فقلبـي عن حبيـك ليس يتـوب
فلا كان عيش ليس فيـه تعلـل ... ولا كان قلب ليس فيـه حبيـب

وفي مناسبة مؤاتية اوحت ربة الشعر لـ « جلال » بابيات نابعة من قلب لوعه الهوى .. وشفه الوجد ... ففنتها « ماري » .. ولحنها امير البزق عبد الكريم :

ضيعت عهـدي بعد مـا لج الهوى ... فيمهجتي الحرى وأضناني الجوى
ما ضر لو خالفـت يا ظبي اللوى ... طبع الحسان وصنت ميثاق الهوى
أعملت سحرك في صميم حشاشتي ... فبعثت مـن طـي الضلوع صبابتي
حتى اذا أمسى هـواك علالتـي ... حملت ضعفـي كـل أوزار الهوى
يا معرضا عنـي وفي قلبي عليك ... وجد اذا أعرضت ناداني اليـك
أودعت آمـالي وحظي في يديـك ... فاحكم بما تمليه احكام الهوى !

صبر الكرام على الاذى علمتنـي ... والصاب مع حلو الشراب سقيتني
فلئن وصلت فمنة مـن محسـن ... واذا هجرت فتلـك اخلاق الهوى

ولـ « جلال » في شعر الفكاهة والدعابة جولات وصولات ... ومن ذلك ان صديقه الاديب الشاعر محيي الدين قطينه احتسب « بغـلا » كان يقتنيه في مزرعته الواقعة في « قلندية » قرب مطار القدس ، وذات يوم جندل القناصة اليهود « البغل » برصاص غدرهم ... فهال «جلالا» المصاب ... ونظم ابياتا داعب بها زميله الاستاذ قطينه .

وخلال اقامة « جلال » في القدس تلقى برقية من شقيق له مقيم في مدينة اللاذقية أشعره بدنو اجل والدته ، فخف للقائها قبل ان تلحق بربها ، وفي الطريق اليها نظم أبياتا تفيض عاطفة وحنانا :

سعيت اليـك أنتهـب البراري ... وقلبـي بالترقـب مستطـار
لابصـر نـور ذيـاك المحيـا ... تغير عليـه احـداث كبـار
وترهقـه تصاريـف المنـايـا ... ويغشـاه مـن النـزع اغبرار
فيـا امـاه بعـدك من يرجـى ... ومـن يولـي الحنان ومـن يغار
وحبـك خـالص لا ريـب فيـه ... وحب الغير ليس لـه قـرار

وفي الثاني عشر من شهر ايار ١٩٤١ نعت الصحـف والاذاعـات العربية شاعر فلسطين المرحوم ابراهيم طوقان ، وتناهى نبأ المصـاب الى « جلال » عشير صباه ورفيق دربه ، فبكاه بقصيـدة من عيـون المراثي ، والقاها في حفلة تابين « ابراهيم » التي اقامتها كلية النجـاح الوطنية بنابلس بمناسبة مرور اربعين يوما على مصاب الادب العربي المعاصر بـ « ابي جعفر » :

طويـت صحائف هـذي الحيـاة ... ونجمـك فـي مسـتهل السرى
وشطـت ديارك بعـد التـداني ... فوا وحشتـا يا أليف الصبـا
تنكـر بعـدك ضـوء النهـار ... وحالت وجـوه ليالـي الصفـا
وحز الاسـى في نفوس الندامى ... وحـق لهـا ان تعاني الاسـى
عجلـت علينـا وأنـت الصبـور ... فهل ضقت ذرعـا بحمـل الاذى
وكنـت تفض بحلـو الشراب ... فكيف استسغت مـذاق الـردى
سـعيت الـى ورده مسرعـا ... كانك تسـعى لنيـل العلـى
وحولـك بـرد الشباب القشيب ... تـرف بـه حاليـات المنـى
فواحسرتـا للشـباب القشيب ... يوسـد بعد الحشا في الثرى
ويا لـك طيفـا حبيبـا تـوارى ... وحلمـا تلاشـى ونجمـا هـوى

« أبـا جعفـر » والدنـى عابرات ... مضيت ولم يفن عنـك البكـا
ولو كان يغنـي عتـاب المنايـا ... عتبنـا ولـم نقتصـد بالفـدا
ولكـن يعـز علينـا الفـراق ... ولو كـان رهنـا بحكم القضـا
فقد كنت فينـا غيـاث النفوس ... وراح الجليس وأنس الحمـى
ستبكي عليـك عـذارى القوافي ... ويشتاق شـدوك أهـل الهـوى
وتبكي الحمـام مـع النائحـات ... فتشجي النفوس لرجـع الصدى
وترخص فيـك الدمـوع الغوالي ... وتشتاق مثلـي معـين الوفـا
وخلقـا يحاكـي هبوب النسـيم ... وقلبـا يشـع كقطـر النـدى

سـلام عليـك نعمـت مقامـا ... وحيـا ترابـك صـوب الحيـا
تخيـرك اللـه مـن بيننـا ... فهيء رحـابـك للملتقـى

بعد هذا العرض ... لعل ابرز سجايا « جلال » انسه الاصيـل وخفة روحه اللذان جمعا له عددا من الاصدقاء المحبين في فلسطـين والوطن العربي الكبير !

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

عـام جديـد

اسـمى طويـي

الرابية ـ لبنـان

مـر عـام
نشر الطير جناحيـه وطـار
اتـراه كان عـامـا
أم تراه كان جزأ من نهـار
لم يكـد يبزغ حتى
في ركاب الغامض المجهول سـار .. ؟

ووقفنا نحتسي الدنيـا سرورا
بمـروره
ويهني بعضنا بعضا بماذا
بعبـوره .. ؟
بانسلاخ العمـر شـلوا
اثـر شـلو
كلمـا اسرع عـام
بمسـيره .. ؟

•

امس كنـا ..
ايه يا عهـد الطفولـه
كم رتعنا في مغانيـك الظليله
كم تساءلنا .. متى نكبر
كي نمسي شبابـا
وصبـايـا
وحثثنا الخطـو تشواقـا الى
تلـك الخميلـه

واتـى عهد الشـباب
فكأن الكون ملك ليدينـا
وارتقت آمالنـا عبر السـحاب
فالدنى خاضعة تجري الينـا

•

وانقضى العهد السعيد
فوقفنا مـن جديـد
نرقب الامس البعيـد
كم سقانـا في كؤوس الانس
ممزوج الشراب
الهوى والحب والادمـع
ما أعذبهـا دنيا الشباب

ويمر العام تلو العام يا قلبي
الى أيـن المسـير
الحجاب المسدل الغامض يخفي
عالم الغيب الخطير
اترانـا نحتفي بالامس
ظـلا من وفي
نحتفي بالغد .. نرشـوه
كجبار عتي .. ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رميت رأسي على المسند ، وحطمت عيناي زجاج النافذة .. وسرقت كل الاعمدة المزروعة على جانبي الطريق .. هذا العمود المائل .. سيسقط! اذا كل شيء يمـــوت . قلت فـي نفسي :

ـ لماذا اتينا اذا ! ؟

ـ لا تكفر ..

ـ أنا أؤمن بالله ..

ـ ويجب أن تؤمن بالموت .

.. قعد على السريـر .. طـوق جبينه بكفـه وراح يقرأ ، ويقرأ . وسمعت اسم الله ينساب من بـين شفتيه . كتب في وصيته يجب الا تحزنوا ، أن الله لا يحب الحـزن .. واوصانا ان نقرأ له صباح كل يـوم سورة الاخلاص . وتساءلنا : ما هي سورة الاخلاص ؟! قال لي :

ـ سيشفيك الله ..

وصباحا زارني قريـب لـي في المستشفى . نظراتـه جامـدة .. عيناه حزينتان .. ذقنه غير محلوقة وهو المتأنق دوما . ابتسم ابتسامـة قصيرة .

ـ ما رأيك ان تترك المستشفى .. حادثت الطبيب ، وسمح لك ..

فرحت على الرغم من آلامي .. وفي البيت عرفت كل شيء . انتهى صاحب الصورة التي تشـــمخ على جدار الغرفة . مـــات .. ماتـت الابتسامة . لم أستطع الوقوف على قدمي عندما حشرج في أذني بكـــاء امي المكبوت .. راح الرجل !

قرأت سورة الاخلاص .. عددتها مرات بعقد اصابع يدي ، ولا أدري كم قرأت . قصيرة هذه السورة ! وبطرف عيني اختطفت نظرة الـى وجه الشاب الصغير الذي يشاركني مقعد السيارة .. فقد خشيت ان يلحظ تحرك شفتي .

لماذا ذهب ! كل الزهور التـي وضعناها على قبره سرقوها ، ولم تبق الا الاعواد . والشيخ الـذي منحته خمس ليرات وتعهد ان يقرأ القرآن اسبوعا لم ار وجهه بعدهـا .. بل لم اعد اذكره .

المطر كثيف خارج السيارة ... تململ الشاب .. ونظر الي :

ـ السفر مزعج .

ـ الى اين تروح .. ؟!

ـ الى حمص ..

ـ سفرك قصير

ـ وانت ؟

ـ بعيد .. بعيد .

انقطع الحديث .. ولم يبق لدي ما أقوله ، فقرأت سورة الاخلاص . في اخر رسالة ارسلها الي والـدي اقترح ان اتزوج .. في كل رسائله كان يدعو أن اوفق بفتـاة حسنـاء تحبني . وكنت اتجاهل دعواتـه ، وفي ذات الوقت أسر لاقتراحـه ودعواته !

يوم مات ابي

بقلم جهاد الكاتب

ولكن كيف حصـل ذلـك .. مستحيل ! . لقـد استقبلني ذ وصلت البيت على الدرج . قبلنـي وهو يحضن وجهي بكفيه فأحسست انه يكاد يبكي .. بل هو بكى . كان يحبني ، وكنـت اتـوق سـماع احاديثه . ويـوم خرجت من البيت لم أجد يديه اقبلها .. لم اره يقف على الشرفة يلوح لي بيـده التـي تحمل السبحة السمراء .. لـم يرقبنـي وانا امتطـي السـيارة ويمنحني ابتسامة الاطمئنان . ولـم اسمعه يكبر الله وانا اهبط الـدرج



.. أو يقول :

ـ لا تنس الرسائل .. لا تهتـم لشيء .. الله يحمينا .

قال السائق ذو الاسنان الصفر والشاربين المفوليين :

ـ سـنتوقف في حمص ربـع سـاعـة ..

وعرفت أنها ستصبح سـاعـة واكثر . خرجت اتجـول حـول السيارة .. في كل رمضان حين نجلس على مائدة الافطار كان و لدي يقول :

ـ اذا لم أجلس معكم في رمضان القادم .. فترحموا علي ..

ونستنكر كلنا هذا الحديـث ، ويبتسم .. اسمع عينيه تحكي قصة النبي نوح !

رحت السيارة تقفز .. ولم آبه للراكب الجديد الـذي ضايقني . وعلى الرغم من ان الزمـن امتص قيمته لدي ، الا انني ظللت انظر الى ساعة معصمي . اغمضت عينـي ، ولا ادري لم أحببت هذه العـادة ، فأنا استطيع ان ارى كل ما أريـد وافعله ، وكأنه شيء حقيقـي .. تدافعت الى راسي خواطر الطفولـة .. ضربني والدي يوم هربت مـن المدرسة ، رفع قدمي بحبل واتهـال عليهما بخيزرانة طويلة . ابتسمت .. فقد ضبطني مرة اتلصص على الجيران من خلال فتحة صغيرة في الحاجز الخشبي العتيق ، ولا ادري لم فعلت ذلـك ، وماذا فعل بـي بعدها ؟ العدسة المكبرة التي كـان يقرأ بها الكتب وبعض قصصـي ، أضعها الان في جيبـي ، وكانـت لا تفارق جيب سترته العلوي .

تنبهت الى أنني لم اقرأ سـورة الاخلاص منذ ساعة . اوصانـا ان نقراها قبل النوم وعندما نستيقظ أو نشعر بضيق يثقل صدورنا .

الرخام البني اللون جلـب مـن ايطاليا ، وحول القبر سور حديدي من خزف .. وعلى جدرانه الشاهقة التي أبدعها مهندس فرنسي اشعار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وآيات .. واسم المتوفي مقرون بألفاظ فخمة .. وعلى جوانبه أشجار لا تطاول الجدران .. وبجانب السور الحديدي صندوق صغير من الحجر ، قصير لا يكاد يرى ، حفرت عليه سورة الاخلاص !

في المقعد الامامي جانب السائق زوجان .. والدي قال لي :

ـ اريد ان ارى اولادك ..

هل سيصبح لي اطفال يكبرون ، ويبكون ، وهم يسيرون خلف نعش ابيهم ؟!

دارت في راسي المهصور تساؤلات ... وهاجت الذكريات في خاطري .. واختلط الشوق بالحزن ، وامتلأ صدري الما . هتفت لي عينان بعيدتان :

ـ الا زلت تحبني .. ؟

ـ احب هذا السؤال ..

ـ الا تحب الاطفال ؟

انني اراها عبر زجاج النافذة ، وحيدة في غربتها .. بائسة يحتضنها سرير هرم ، تقرأ رسالتي الاخيرة .. تكتب لي رسالة تعزية . دموعها البيض تسرح حتى رقبتها . قريبة نائية داسها الطين .. تبكي ولا تعرف كيف تبكي ، اناسها يحبون الظلام ، يحبون نباح الكلاب .. ويحبون النوم ، يعبدون الكسل ، والبائسة يحتضنها سرير هرم . والدي قال لي :

ـ اريد ان ارى اولادك .

ابطأت السيارة .. صاح السائق :

ـ ضباب .. ضباب . في كل يوم ضباب .

وهمس بشتيمة لم افهمها . حرك مذياعه وفاجأنا بأغنية سخيفة ، وترك الصوت يخدش آذاننا :

« ان كان حبيبي لابس قمبازو
بيكون حبيبي لابس قمبازو »

صحت بنزق :

ـ صوت محرك السيارة افضل !

نظر الي من مرآته ولم يجب ، فتبعثرت على شفتي كلمات . سببت كل السائقين ، ولعنت الغربة والسفر ، ضاق صدري .. مللت كتلة اللحم المسافرة التي تطحن كتفي . قرفت دخان السجائر الذي يرتع بين رؤوسنا . ولم تهدأ نفسي الا حين رددت سورة الاخلاص .. وظللت اردها دون وعي حتى بدأت السيارة تخترق شوارع دمشق ..

حملت حقيبتي .. واجتزت باب اول فندق

ـ لديكم غرفة !

ابتسمت لي عظام مكسوة بورق اصفر .. وقادني شاب قصير مصقول شعره الى غرفة معتمة احسست مذ احتوتني انها غرفة عشاق . قال الشاب بلهجة دنيئة :

ـ تريد شيئا يا سيدي ؟!

ـ اريد أن استريح .

ضحك بخبث ساذج .. واشار الى ضوء عاكس موضوع على الطاولة الصغيرة قرب السرير :

ـ هذا ضوء احمر صغير .. اولعه ، واطفاه .. ثم اختفى بحركة سريعة . سمعت امام باب غرفتي ضحكات امراة . فتحت حقيبتي بعد ان نظرت الى وجهي في المرآة .. انني اشعر بحنين حار الى بيتنا كلما فتحت الحقيبة ، اخرجت ثوب النوم ومذياع الجيب .. طرق الباب ، وقبل ان أفرق بين شفتي امتد راس امراة :

ـ اليست غرفة الاستاذ ؟؟

قلت بخشونة :

ـ لقد رحل ..

ودهشت حين دخلت واغلقت خلفها الباب .. امراة على عتبة الاربعين .. وجه مصبوغ .. وشعر منفوش مصبوغ ايضا .. صدر مزيف ، وتلبس بعض الثوب . ارتمت على حافة السرير . نظراتها تأكلني .. نظرات بقرة عطشى .. قطة هزيلة لا تجد ما تأكله . وادركت انني وقعت في المصيدة . لعنت حظي الذي يعذبني . قالت بعد أن حسرت ثوبها بحركة تمثيلية :

ـ هل تحب السكوت ؟

صدمت وجهها نظراتي الحادة :

ـ اريد ان انام ..

وضعت فخذا على فخذ ، وحركت ساقها وهي تتأملني .. تأكلني . وظلت تهز قدمها وتبتلع دخانها . قلت بصوت اقوى :

ـ اريد أن انام ..

ـ اتمنى ان ترى احلاما حلوة .. ان استطعت النوم !

وخطر لي : تطفىء مصباح الزيت الان لتنام .. تغمض عينيها ، وتحلم اننا سنلتقي يوما ، وان غربتها ستنتهي .. عذابها سينتهي ، وسيكون لقاؤنا رائعا . والدي يقول:

ـ اريد ان ارى اولادك ..

وذهب دون ان يرى واحدا منهم فقط .. دون ان تعرفه او يعرفها ذهب . لم احدثه عنها ، ولكنني حدثتها عنه ، فعرفته دون ان تراه ، واحبته ...

ـ لا تحلم وانت واقف ..

هزات بي .. وفضلت الا أثور . نهضت ، واستقامت امام المرآة تعبث بشعرها ، وتردد اغنية فاضحة . ظللت واقفا امسك ثوب النوم ، والدهشة تعذبني ، وتشد لساني الى الصمت . قلت لها بصوت مكبوت :

ـ اريد أن أنام .. الا تفهمي !

راحت ضحكتها تطرق راسي .. قالت :

ـ هل تخجل مني ؟!

لم اجب عنها . استدارت ، وخطت خطوتين نحوي . تفرست وجهي ، ودارت حولي وكأنها تتأمل تمثالا اسطوريا .. مثلها يجب ان يموت ، ان يأكلها الدود .. مثلها ينام في العتمة تذبحه رطوبة الجدران القصيرة .. مثلها يجب ان يختفي ، قالت :

ـ الا تعرف الكلام !

اندفعت قائلا :

ـ كم تريدين لتخرجي فورا ؟ ..

ـ اريد فقط أن اتعرف على نصف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجل ..

بقايا امـراة .. بقايا شـيطان يداهمني ، ولم اصدق انني اعيش حقيقة امامي . فركت عيني ، وظلت تدور حولي كذبابة كل ما فيها نتن . طرق الباب ، وامتد رأس الشـاب القصير . ابتسم :

ـ تريد شيئا يا سيدي ؟

قالت له تسأله :

ـ كيف حال « بوجي » ؟

ـ اشربته الحليب .

ـ ابق نظرك عليه ..

اختفى راسه بعد ان اغلق الباب .. التجأت الى الله ، وسـألته ان يمنحني القوة . اقتعـدت حافـة السرير ، والضيق يجتاز صـدري الى عنقي فقرأت سورة الاخلاص . قالت :

ـ ماذا تقول .. وتتمتم ؟

ـ اقول ما احب ..

ـ ايها المجنون ! ..

لسعت الكلمة اذني ، فصحت :

ـ يا عاهرة ..

لم تثر ثورتي . عادت الى المرآة بهدوء ، وهزت كتفيها . قالت :

ـ كل الشوارب العريضة تقبـل قدمي .. وانا احتـرم كلبي اكـثر منهم .

ورمقتني كأنها تنظر الى طفل .

كيف وقعت في الفخ ؟! والتجأت الى الله .. وحلمت . نامت الان ، تحرسها الاحلام . عندما تنتهـي غربتي نلتقي .. سيكون لقاؤنا رائعا .. سأظل دقائق انظر الى عينيها قبل ان المس شعرها بأصابعي . مـررت كفها أمام عيني ، وقالت :

ـ يا ساهي ..

وأضافت بعد حركة من يدها لـم افهم معنى لها :

ـ وعاشق ايضا !

ولانه ليس لي الا ان ادهش ، فقد دهشت لفراستها . قالت بتحـد :

ـ انا استطيع ان احرك الميت في قبره .

اذا فانا اكثر من ميت . خلعـت حذائي وجوربي ، وقررت ان أنـام ببنطالي وقميصي ، فاندسست في الفراش ، وقبل ان اغطي راسـي ، قالت ، وقد غير وجهها العجـب ، وبلهجة انكسار :

ـ كنت اظنك رجلا ..

وعلى الرغم من انني شـعرت انها تنال من رجولتي ، فقد صممت ان انام ، واتظاهر به ، فأنا موقن انه لن يغمض لي جفن .. سأعيد الف مرة صورة والدي وهو يحوط بكفه راسي ويقرأ ، وسأسمع الف مـرة كلماته الاخيرة لي .. واقرأ سـورة الاخلاص . سأحلم ان تنتهي غربتي ، وغربة معلمة القرية النائية ، قريـة الطين . سأذكر اخوتي .. وامـي التي صارت ثيابها سودا .. انني اخشى في كل لحظة ان افقد احـدا ممن احبهم !

قالت بعد ان اطفأت النور الابيض واولعت الاحمر :

ـ هل وضعت محفظتك تحـت المخـدة ؟

انتفضت في السرير ، وصحت :

ـ ابـي مـات .. مـات .. الا تفهمين ؟!

وانتظرت خروجهـا ، ولكنهـا اقتربت من السرير ، وهزت كتفـي بيديها :

ـ اذا كان الموت سيحزنك فأنـت مجنون .

ـ مجنون الذي لا يحزن ..

ـ يا ابله .. أننا نعيش الان ..

لم تعد الفـاظ السـخرية التي تمطرني بها تثيرني .. همست :

ـ لو فقد الانسان قطة لحـزن عليهـا ..

قالت دون ان تعي ما قلت ، وكأنها تقص علي فكاهة :

ـ احببت يوما سائقا .. رجل ، وليس مثلك . جننت به . وسافـر يوما .. ولم يعد . وعلمت بعدهـا انه مات .. في تلك الليلة سـهرت امتع ليلة في عمري ، هل تفهم ؟ .. واحسست انهاتكذب .. وانتابني تيار من الصراخ :

ـ دعيني .. يا كاذبة .

وايقنت انني ارزح تحت كابوس ثقيل ، فصرخت ، وشتمتها ، ولـم ترد علـي ، امتد رأس الشـاب القصير :

ـ تريد شيئا ياسيدي ؟ .

صرخت في وجهه :

ـ يا خنزير .. كيف ادخلتها الى هنـا ؟

وقبل ان تختفي بسمة العاهـرة الخائفة قالت له :

ـ الم اوصيك بالكلب ؟!

استدارت نحوي ورشقتني زبدا من لسانها :

ـ اذا كنا سنموت .. فلن البس كفني من ألان !

لن اقول لها انني لا اخاف الموت، ولكنني لا استطيع ان انسى في يوم واحد ذكريات هي الحياة نفسها . هي وجودي . أفرغت محفظتها مـن صور عديدة مختلفـة الاحجـام ، ورمتها على الطاولة :

ـ كل هؤلاء الرجال كانوا يحبونني .. ماتوا . اتريدني ان اموت معهم ؟

قطة هرمة فقدت اسنانها . ولا تجد ما تأكله . تابعت وكأنها فـي حالة هذيان :

ـ سأجعلهم مئة .. مئتين .. ولا أريد ان اموت معهم .

وحين وجدتني جـامدا اقـرأ في وجهها ضعفها ، تباطأت في هذيانها .. وحاولت ان تبتسم . ثم اولعت النور الابيض متظاهرة بالهـدوء .. ولم تجد ما تقوله لتخفي حالتها :

تحاشت ان تلتقي عيناها بعيني حين عاد الشـاب القصير بطـيء الخطوة . أقترب منها ، وهمس في اذنها كلمات مرتجفـة ، فانقلـب وجهها الى لوحة من الذعر :

ـ متى ؟! ..

ـ الان ..

فاجأته بصفعة .. وارتمت علـى المقعد ذاهلة .. وهمست بصـوت مبحوح :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مهرجان بولس سلامة

قيل للفكر ، في العصور القصيه ، والليالي مروعات دجيه
والقوافي على الشفاه الحيارى تعجز الفن في امتداح الحميه
من لمجد يموج في القلب شعرا فيغنى فرائدا ملحميه ؟!
واذا الفكر ، في اقتدار التحدي ، يوقظ الفجر في العيون الشقيه
واذا الهمس صرخة لا تجارى ، واذا الرفق غضبة مضريه
انها الضاد ، غرسي البكر ، تندى بالاماني ، وبالمغاني النديه
تضفر السحر ضمة من شعور عابق الفوح ، ملهم القدسيه
فاخفض الهام ان تناهى قريض ملحمي ، تضج فيه البريه
ذاك شعر تالق البوح يهفو في يديه لنفحة ((بولسية))
يا رضيا ، على هواه ربينا فنشانا على الخلاق الرضيه
أنت نور على جبين المعالي ، وحداء على فم العبقريه
يوم باع الفواة قلبا وروحا ، صنت قلبا ، وصنت روحا أبيه
انه الفكر ، لا يباع ويشرى بنضار يذل فيه سموه
بوحك البوح ، يا نجي القوافي ، وصفي اللحون في الاغنيه
أي يم نصبت فيه شراعا ، لم تهدهده موجة لؤلؤيه
أنت أغنيت ، يوم غنيت شعبا باسل العزم ، رائع الحريه
غرس يمناك كل فخر جسور ، ونضال مسلسل الوطنيه
عفو لبنان ، ان تناءى بنوه عن دروب من السماح ، سويه
ان يشاؤوه للجهالات درعا نحن شئناه موطن الابجديه
أو يشاؤوه مرتعا للاعادي نحن شئناه موئلا للاخوه
يعربي على الزمان : هواه يعربي ، وروحه يعربيه
في حماه يرف همس النجاوى كصلاة طهورة مشرقيه
ملجا الفكر ، ما الظلام تمادى ينقذ الحرف من يد البربريه !!
شاعر المجد ، يا وديع الاماني ليس الاك للعلى أمنيه
كل جرح ، وان تنزى دماء يرقص الوحي في فم الشاعريه
فاعذرني اذا تهاوى مديحي ، دون آفاق شعرك الفلسفيه
يخجل الشعر ان يسمى مديحا ، أو ثناء تند عنه الحميه
ان شعرا أقوله فيك زهوا ، لهو كالحب ، من خشوع البنوه

فوزي عطوي

ـ دفعت ثمنه غاليا ..

انسحب الشاب القصير كقائد عسكري منكسر . وقبل ان يغلق الباب سألها :

ـ ما نفعل به ؟

انتظر جوابها فلم تتحرك .. ولحظت من مكاني شيئا يتلامع على خديها المتآكلين .. وفي تلك اللحظة شعرت بنشوة الانتقام .

قبل ان تخرج .. راقبت وجهها امام المرآة ومسحت عينيها، وصبغت شفتيها . نظرت الي طويلا ، نظرة استخفاف ، وسخرية ، وحيرة ، واعتذار ، واحترام ، وتحد .. ثم اختفت دون ان تلملم الصور المتناثرة على الطاولة .

في تلك الليلة لم انم ، ظللت استعيد ذكريات والدي فتدمع عيناي .. وقبل ان تشرق شمس اليوم التالي كنت اهبط درج الفندق حاملا حقيبتي ، اردد سورة الاخلاص .

حلب — جهاد الكاتب



محمد العدنـاني

اغـلاط شـائعـة

بقلم محمد العدناني

* * *

شرعت في التحقيق في المعاجم منذ نحو خمسين عاما ، لتصحيح ما كنت اقترفه من اغلاط لغوية في شعري ، وفي الموضوعات الانشائية التي كان أساتذتنا يطلبونها منا .

ومن حسن حظي أنني احتفظت بكثير من تلك الكلمات في دفاتر صغيرة ، ما زال معظمها عندي الى الان .

ولم أكتف بتحقيقي السابق ، وما وصلت اليه من رأي ، بل عدت ـ قبل نشر هذه الاغلاط ـ الى تحقيق كل كلمة في جميع المصادر اللغوية التي لدي ، أهمها :

(١) تاج العروس للزبيدي ـ المطبوع في مصر سنة ١٣٠٧ هـ.

(٢) لسان العرب لابن منظور ـ المطبوع في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ هـ.

(٣) القاموس المحيط للفيروز أبادي ـ المطبوع في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ـ المطبوع في مصر سنة ١٨٨٢ م.

(٥) الصحاح للجوهري ـ المطبوع في مصر سنة ١٢٩٢ هـ.

(٦) فقه اللغة للثعالبي ـ المطبوع في مصر سنة ١٣٤٦ هـ.

(٧) ادب الكاتب لابن قتيبة ـ المطبوع في مصر سنة ١٣٤٦ هـ.

هذا عدا عددا كبيرا من الكتب والمجلات التي ذكرت بعض الاغلاط بحق أو بغير حق ، لان كل زمان لا يخلو من بعض المسرفين اما في التسامح اللغوي ، أو في التنطع اللغوي .

وأنا لا ادعي الكمال في ما ذكرت من أغلاط مصححة ، فالكمال من صفاته تعالى وحده ، وأرجو كل اديب يعثر على خطأ اقترفتـه ، ان يلفت نظري اليه ، لاخبره عن المصادر التي لجأت اليها في ابداء رأيي ، وعن الاسباب التي جعلتني أتقيد بذلك الرأي ، تلك الاسباب التي ذكرت بعضها في كثير من التصويبات . فاذا اقتنعت بصواب رأي المنتقد الفاضل شكرت له فضله ، وصححت الخطأ فورا ، لان هدفنا جميعا هو خدمة لغتنا المحبوبة وأبنائها الكرام .

أما الاغلاط التي سأوردها ، فقد تلقفت كثيرا منها من أفواه الخطباء ومذيعي الراديو والتلفزيون ، ومن الصحف والمجلات . والمذيعون في هذه الايام هم في طليعة الموجهين للشعب ، والمؤثرين فيه أدبيا ، ولغويا ، وقوميا ، واجتماعيا .

وهنالك اغلاط كثيرة أخرى لن أذكرها ، لانها لا يقترفها الا القليل من الكتاب البلغاء ، ولانها ليست ذات أهمية لغوية كبيرة .

انني لا أرى المجد اللغوي أقل قيمة من المجد السياسي للامة الصاحية حديثا من سباتها العميق كأمتنا العربية ، لذا أنصح جميع قادتنا بأن يوجهوا اهتماما كبيرا الى تقوية الفصحى ، والاقلال من اللغة العامية في الاذاعة والتلفزيون والمسارح ودور الخيالة (السينما) ، وضبط معظم الكتب والمجلات بالشكل التام ، حتى تصبح صحة اللغة ملكة لدى القراء .

همزة الاستفهام واستعمالها

يقولون : لم يدر أجاء خالد أم فريد . والصواب : لم يدر أخالد جاء أم فريد . لأن همزة الاستفهام هنا هي لطلب التصور ، وهو ادراك التعيين . والتعيين هنا بين خالد وفريد ، وليس بين المجيء وفريد .

ومثله قولهم : سواء أكان الخطيب مهندسا أم طبيبا . والصواب : سواء أمهندسا كان الخطيب أم طبيبا . فالهمزة هنا للتسوية بين المهندس والطبيب ، واحدهما يجب ان يأتي بعد الهمزة مباشرة .

مـن الآن

ويقولون : من الان والى الان ، وحتى الان . بجر الان بالكسرة . والصواب : من الان والى الان وحتى الان (بالفتحة) .

وقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي أستاذ سيبويه : « الان مبني على الفتح . تقول : من الان نحن نصير اليك ، فتفتح الان ، لان الالف واللام انما يدخلان لعهد . والان لم نعهده قبل هذا الوقت ، فدخلت الالف واللام الاشارة الى الوقت ، والمعنى : نحن من هذا الوقت نعمل .

وقال العالم النحوي ابراهيم بن السري الزجاج المتوفي سنة ٣١١ هجرية : « الان منصوبة النون في جميع الحالات ، وان كان قبلها حرف خافض (جار) ، كقولك : من الان » .

الآنيـة

ويقولون : وضعت الوردة في الآنية . والصواب : وضعت الوردة في الانـاء . لان آنية هي جمع اناء . أما كلمة « الاواني » فهي جمع الجمع .

آونـة بعد أخرى

ويقولون : يفعل ذلك آونة بعد أخرى . والصواب : أوانا بعد آخر . لان آونة هي جمع أوان . والاوان : هو الوقت والحين .

لا يؤبـه بـه

ويقولون : فلان لا يؤبه به . والصواب : لا يؤبه له ، أي لا يلتفت اليه .

أثـر عليـه

ويقولون : أثر فلان عليه كثيرا . والصواب : اثر فيه . أي جعل فيه أثرا وعلامة .

مـؤجـر

ويقولون : أجره الدار فهو مؤجر . والصواب : آجره الدار فهو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مؤجر ، لان الفعل هو أجر وليس أجـر .
وهنالك الفعل آجر بمعنى أجر ، ولكن اسم الفاعل منه هو مؤجر أيضـا ، وليس مؤجرا حسب القاعدة .

مأخوذ بجمال الطبيعة

ويقولون : كان فلان مأخوذا بجمال الطبيعة . والصواب : كانفلان أخيذ جمال الطبيعة .
أو : كان مفتونا بجمال الطبيعة .
ونقول : فلان مأخوذ بذنبه أي : معاقب عليه .

مـأدبـة

ويقولون : أقاموا للفدائي البطل مأدبة كـبرى . والصواب : أقاموا له مأدبة كبرى .

اذا بـه أمـامـه

ويقولون : فاذا به أمام الاسد وجها لوجه . والصواب : فاذا هو أمام الاسد وجها لوجه .

أذن الفنجـان

ويقولون : أذن الفنجان . والصواب عروته أو عصامه . وكلمـة فنجان معربة . ولا نستطيع ان نضع كلمة كوب بدلا منها لان الكوب ليس له عروة . وعندما نطلق على المولود اسم عصام الدين ، فانما نعنـي عـروة الديـن .

أذن لـه بالسـفر

ويقولون : أذن له بالسفر . والصواب : أذن له في السفر . أي اباحه له ، لان معنى أذن بالشيء هو : علم به .

اربـا اربـا

ويقولون : قطعه اربا اربا . أي : عضوا عضوا . والصـواب : قطعه اربا اربا . أما كلمة الارب فمعناها : الحاجة .
ويقولون : قطعت الحبل اربا اربا . والصواب : قطعت الحبـل قطعا قطعا . ولا يقال ارب الا للعضو في الانسـان أو الحيـوان ، لان كلمة ارب معناها : عضو .

هي أرمـل

ويقولون : خيل اليه أنها أرمل . والصواب : أنها أرملة .

وقـع في مـأزق

ويقولون : وقـع فلان في مأزق . ومعنى مـأزق : المضيق ، أو موضع الحرب ، ويستعار للدلالة على الموقف الحرج . والصـواب : مأزق (بكسر الزين) .

آسـف

ويقولون : فلان آسف على ما جرى لاخيك . والصواب : أسـف على ما جرى .

يؤسـف لـه

ويقولون : هذا مما يؤسف له . والصواب : مما يؤسف عليـه . ولم تسمع عن العرب تعديته الا ب (على) . قال الشاعر :
غـير مأسـوف على زمـن ينقضـي بالغـم والحـزن

اطـارات

ويجمعون كلمة (اطار) على اطارات . والصواب : أطر . يقـول التاج : ان الاطرة هي كل ما أحاط بشيء ، وجمعها : أطـر واطـار . ويقول كاللسان في مكان آخر : وكل شيء احاط بشيء فهو اطار لـه .

وهذا يعني ان كلمة اطار عندهما مفردة وجمع في آن واحـد . أمـا (المنجد) فانه يجمع كلمة اطار على أطر ، ولا أدري من أين جاء بهـذا الجمع الذي لم أجـده في المعاجم الاخرى .

الاكثر شيوعـا

ويقولون : هذه العبارات هي الاكثر شيوعا بيننا . والصواب : هذه هي اكثر العبارات شيوعا بيننا . لان أفعل التفضيل المفرد المذكر لا يعرف ب أل .

تأكـد الشـيء

ويقولـون : تأكدت أن عدونا سيهـزم . والصواب : أيقنـت أو تيقنت او استيقنت أو تبينت أو تحققت أن عدونا سيهزم . لان تأكـد فعل لازم لا تجوز تعديته .

الا وجـزع

ويقولون : ما نبحه كلب الا وجزع . والافضل أن نتجنب هـذه العبارة الركيكة ، ونقول : ما نبحه كلب الا جزع .

اليتـيـه

ويقولون : أصابت شظية اليته . والصواب : أليته ، وجمعهـا أليات وآليا ومثناها أليان بدون تـاء على غير القياس . والألية هـي المجيزة ، أو ما ركب العجز وتدلى من لحم وشحم .

أمس

ويقولون : ما رأيته مذ أول أمس . وزارني فـلان أمس الاول . ويريدون في كليهما يوما قبل أمس . والصواب أن يقال فيهما : ما رأيته مذ اول من أمس ، وزارني فلان أول من أمس . وأمس يبنى على الكسر اذا كان المراد به آخر يوم مضى . ويعرب اذا أريد به أحـد الايـام الماضية ، أو اذا جمع ، أو صغر ، أو دخلته أل ، أو أضيف .

أمسـية شـعرية

ويقولون : أمسية شعرية . والصواب : أمسية شعرية بتشديد اليـاء في أمسية .

مـأمـل

وقرأت لاحد الشعراء المشهورين قوله :
.. فهل لنـا في عـودة مـن مأمـل
والصواب : من أمل ، لان المعاجم ابت أن تحمل في أجوافها كلمة مـأمـل .

نأمـل منه الكـرم

ويقولون : نأمل منه الكرم أو نتأمل منه الكـرم . والصـواب : أملنـا فيه ان يكون كريمـا . لان معنى أمله : رجاه وتأمل الشيء وتأمل فيـه : نظر اليـه مستثبتـا لـه .

علم أن ستعود فلسطين

ويقولون : علم أن ستعود فلسطين الى العرب . والصواب : علم أن ستعود فلسطين لان أن هنا ليست الحرف الذي ينصب الفعـل المضارع ، بل هي الحرف المشبه بالفعل أن مخففا . فالحرف الناصب والمصدري (أن) يجب أن لا تفصل بينه وبين مضارعه السين أو سوف أو قد أو ما أو لو . فاذا فصلت هذه الحروف الخمسة بين أن والفعل المضارع ، كانت أن هي أن المخففة .

أنـانيـة

ويقولون : هذا رجل ذو أنانية . أي : رجل أناني . والصواب : هذا رجل ذو أنانية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وللانانية ثلاثة معان :

(١) تمدح الانسان بما ليس عنده اعجابا بنفسه وتكبرا .

(٢) حب النفس المفرط مع عدم التفكير في الاخرين .

(٣) الصلف والكبرياء .

أنف الشيء

ويقولون : انفت الشيء ، أي : استنكفت منه . والصواب : انفت من الشيء .

أوتوبوس

يطلقون كلمة أوتوبوس على السيارة الكبيرة ، التي تنقل الناس من مكان الى اخر . وانا ارى ان نسمي تلك السيارة الكبيرة ب السيارة الحافلة .

قام بأوده

ويقولون : قام بأوده ، أي كفاه معاشه . والصواب : عاله أو أعاله . أما اذا اردنا ان نقول : أزال اعوجاجه ، فاننا نقول : قوم أوده ، لان كلمة الاود معناها الاعوجاج .

لاول مرة ولاول وهلة

ويقولون : فلان يغني لاول مرة في حياته و رأيته لاول وهلة . والصواب : يغني اول مرة و رأيته أول وهلة ، أو واهلة ، أي : أول شيء .

أيضا

ويقولون : نحن في حاجة أيضا الى المال . والصواب : نحن في حاجة الى المال ايضا . وكلمة ايضا ،مصدر منصوب اما على المفعولية المطلقة ، واما على الحال .

بئر عميق

ويقولون : هذا البئر عميق . والصواب : هذه البئر عميقة .

وهنالك كلمات مؤنثة كثيرة يذكرها عدد كبير من الكتاب ، مثل : أرنب وضبع وكرش ويمين (القسم) .

بادر لمساعدته

ويقولون : بادر جاره لمساعدته ، أي : أسرع . والصواب : بادر الى مساعدته .

باشر بالعمل

ويقولون : باشر فلان بالعمل أو في العمل . والصواب : باشر فلان عمله .

باع طويلة

ويقولون : باعه طويلة . والصواب : باعه طويل ، لان كلمة باع مذكرة ، بينما كلمة ذراع مؤنثة .

الباع : قدر مد اليدين . جمعه : أبواع وبيعان وباعات . وربما عبر بالباع عن الشرف والفضل والكرم .

باقة من الزهر

ويقولون : باقة من الزهر . والصواب : طاقة من الزهر ، لان الباقة هي الحزمة من البقل .

ذو مبدأ نبيل

ويقولون : فلان ذو مبدأ نبيل . والصواب : فلان ذو عقيدة او منهج او خطة . وليس في اللغة العربية كلمة (مبدأ) الا في المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان من الفعل الثلاثي بدأ .

أبدل العلم بالجهل

ويقولون : لا تبدل العلم بالجهل ، ولا تستبدل الذهب بالفضة . والصواب : لا تبدل الجهل بالعلم ، ولا تستبدل الفضة بالذهب .

برز في العلم

ويقولون : برز فلان في العلم بروزا عظيما . والصواب : برز فلان في العلم تبريزا عظيما ، لان معنى برز في العلم هو فاق أصحابه فيه .

برش الصابون

ويقولون : برش الصابون والسفرجل . والصواب : بشرهما أو أبشرهما . أما الفعل برش يبرش برشا وابرش ، فيعني :

(١) كان على جلده نقط بيض فهو : أبرش ومبرش ، وهي برشاء ومبرشة .

(٢) مكان أبرش : كثير النبات ، مختلف الالوان .

(٣) سنة برشاء : كثيرة العشب .

برطيل

ويقولون عن الرشوة : برطيل ، والصواب : برطيل (بكسر الباء) . وقد أخطأ من ظنها غير فصيحة ، فنقول : برطلة فتبرطل ، أي : رشاه فارتشى . وجمع برطيل : براطيل .

براعم

البرعم أو البرعمة أو البرعوم أو البرعومة : هي كمامة الزهر (غطاؤه) ، أو زهر النبات قبل أن يتفتح ، يجمعونها على براعم ، والصواب : براعيم .

البركار

ويقولون : استعمل المهندس البركار ، ويطلق عليه بعضهم اسم فرجار أو بيكار . وقد عرفت العرب الفرجار ، واطلقت عليه اسم الدوارة كما ذكر التاج واللسان . أما كلمة فرجار أو بركار فهي فارسية .

البرميل

ويطلقون على الوعاء الخشبي الذي يوضع فيه الخل وخلافه اسم : برميل ، والصواب : برميل (بكسر الباء) .

أقام عنده برهة

ويقولون : أقام عنده برهة . أي : مدة قصيرة . والصواب . أقام عنده هنيهة ، أو مدة يسيرة من الزمن . لان معنى برهة : هو الزمان الطويل . وجاء في لسان العرب : أقمت عنده برهة من الدهر ، كقولك : أقمت عنده سنة من الدهر . ويورد تاج العروس ولسان العرب برهة (بفتح الباء) ، بالاضافة الى برهة (بضم الباء) .

أبسطة

ويجمعون البساط على أبسطة . والصواب : بسط .

بسيط وبسيطة

ويقولون : هذا رجل بسيط وهذه امرأة بسيطة . والصواب : هذا رجل ساذج وهذه امرأة ساذجة . لان كلمة البسيط تعني : الارض الواسعة ، والمنبسط بلسانه ، وخلاف المركب . ورجل بسيط الوجه : متهلل . وبسيط اليدين : كريم مسماح . أما البسيطة فهي ما انبسط من الارض واستوى منها .

أبصر به

ويقولون : أبصر به يتقهقر . والصواب : ابصره يتقهقر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بطـانيـة

ويسمون ما يتغطى به النائم بطانية أو حراما . وفـي المعاجـم تغنينا كلمة دثار عن استعمال تينك الكلمتين .

ويجيز بعض المولدين استعمال كلمة احرام . والاحرام مصدر أحرم الحاج ، لان المحرم لا يلبس ثوبا مخيطا ، فاطلقـوا عليـه لفظ الاحرام ، من باب التسمية بالمصدر . وقد استعمل ابن بطوطة كلمـة « احرام » بدلا من « دثار » .

بطيـــخ

ويفتحون باء الفاكهة المعروفة ، ويقولون : بطيخ . والصواب : بطيـخ بكسر البـاء .

البعـــاد

ويقولون : أضنى أمه البعاد (بضم الباء) . والصواب : البعـاد (بكسر الباء) . أما بعاد فمعناها بعيد . ومثلها باعد . أما جمع بعيد وباعد وبعاد فهو : بعداء وبعد وبعدان . أما المباعدة فهي مثل بعـاد تعني البعـد .

لـم يجـيء بعـد

ويقولون : لم يجيء فلان بعد . والصواب : لما يجيء فلان بعد. لان منفي . لما مستمر النفي الى الحال .

والظرف المبهم (بعد) معناه : الى الان . ونحن عندما نقول : لما يجيء خالد بعد ، نكون متوقعين مجيئه . بينما الجملة : لم يجيء خالد ، تعني أنه لم يجيء في الماضي ، ولا نتوقع مجيئه الان . ولـم حرف جزم يقلب المضارع ماضيا .

انضموا الى بعضهم البعض

ويقولون : انضموا الى بعضهم البعض وشكوا ببعضهم البعض . والصواب : انضم بعضهم الى بعض وشك بعضهم ببعض .

بعيـد عنـا

ويقولون : هو بعيد عنا . والصواب : بعيد منا . وابن منظور في لسان العرب ، والزبيدي في مستدرك التاج لم يوردوا الا حرف الجر (من) بعد كلمة (بعيد) .

لا ينبغي عليـه

ويقولون : لا ينبغي عليه أن يفعل كذا . والصواب : لا ينبغي له أن يفعل كذا .

البقـــال

ويسمون بائع العدس والجبن وسائر المأكولات بقالا . وهو في الحقيقة بـدال .

اما البقال فهو بائع البقول ، أي الخضر ، ويسمى الخضـار . والبقل هو ما نبت في بزره ، لا في أرومة ثابتة ، واحدته بقلـة . والجمع : بقول و أبقال . أما قولهم : باع الزرع وهو بقل ، فيعنـي انه أخضر لم يدرك .

تبقـى

ويقولون : تبقى عندي كتاب . والصواب : بقي عندي كتاب ، لان الفعل تبقى متعد ، وبقي لازم . ونقول : تبقاه الله أي : ابقاه .

البكالوريـا

ويقولون : فاز الطالب بالبكالوريا . والصواب : فاز بالشهادة الثانوية لان كلمة بكالوريا يونانية . ويجـب أن نقول : الشـهادة الاعدادية بدلا من البروفيه ، والشهادة الابتدائية بدلا من السرتيفيكا .

عن بكـرة أبيهم

ويقولون : جاءوا عن بكرة أبيهم . والصواب : جاءوا على بكرة أبيهم . أي : جاءوا جميعا ، ولم يتخلف منهم أحد .

هـذه البلـــد

ويقولون : أقيم في هذه البلد . والصواب : أقيـم في هـذا البلد ، لان كلمة بلد مذكرة . وقد وردت كذلك في القرآن الكريـم تسـع مـرات .

بلـع اللقمـة

ويقولون : بلع فلان اللقمة . أي : ازدردها . والصواب : بلع فلان اللقمة (بكسر لام بلع) .

زاد الطين بلـة

ويقولون عندما تحل نكبة جديدة بانسان فوق النكبات السابقة : زادت هذه النكبة الطين بلة . والصواب : زاد الطين بلة . وفعلها : بله يبله بلـة وبـلا .

بنـاء على أمره

ويقولون : بناء على أمر الحاكم . وهو اصطـلاح عـامي : والصواب : امتثالا لامر الحاكم .

بنـادق

ويجمعون بندقية على بنادق . والصواب : بندقيات .

بنسيون

ويقولون : يقيم فلان في البنسيون . وكلمة بنسيون فرنسية والصواب : يقيم في نزل .

بؤســـاء

ويجمعون (بائس) على (بؤساء) . والصواب : بؤس . قـال تابط شرا :

فد ضقت من حبها ما لا يضيقنـي حتى عددت من البؤس المساكـين

وقد أوردها التاج واللسان غير مهموزة (البوس) . وقـد أخطـأ حافظ ابراهيم عندما ترجم كتاب فيكتور هوجو ، وأطلق عليه عنوان : (البؤســاء) .

ويجوز أن نجمعها جمع مذكر سالما ، ونقول : بائسون .

البـوم والغربـان

ويقولون : هم أشـأم من البوم والغربان . والصواب : هم أشأم من الابوام والغربان ، لان البوم هو الـذكر المفـرد ، ومؤنثه بومـة ، والجمع : أبوام لا بـوم .

الصفحـات البيض

ويقولون : الصفحات البيضاء والمجلدات السوداء ، واصفين الجمع بالمفرد ، والصواب : الصفحات البيض والمجلدات السود .

مبيضـة الكتـاب

ويقولون : أنهى فلان مبيضة كتابه . والصواب : أنهى مبيضـة كتـابـه .

بيطـــار

ويسمون معالج الدواب بيطارا . وهو في الحقيقة بيطار (بفتـح البـاء) . وهنالك أسر عديدة في العالم العربي تحمل اسم (بيطار) ، فعسى ان تنتبه للفظه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سفينة الحلم

•

في ليلة الميلاد .. عا ... ودني الحنين الى الرحيل
والثلج .. قد حجب الطريق ... وامتص اصداء العويل
والعابرون تساقطوا ... مزقا على الدرب الطويل
وأنا تعابثني رؤى ... أسطورة تدعى الدليل

في ليلة الميلاد .. عا ... ودني الحنين الى السفر
والعالم المرفوض قد ... آوى بأعماقي الضجر
فقد استوت اشياؤه ... وقد امحت عندي الصور
فعلام أشتاق الرحيـ ... ـل علام اهفو للسفر

في ليلة الميلاد .. كنـ ... ـت سفينة تلج الزحام
باليأس .. خيط شراعها ... والحلم .. يمنحها السلام

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين اسرائيل وبين الانتصار

ويقولون : كانت معركة حزيران عام ١٩٦٧ اخر لقاء بين اسرائيل وبين الانتصار . والصواب : كانت اخر لقاء بين اسرائيل والانتصار .

بينا و بينما

ويقولون : سافر أخي بينما كنت نائما . والصواب : بينما كنت نائما سافر أخي . لان بينما و بينا حرفان من حروف الابتداء كما ذكر التاج ، وابن سيده .

متحف

ويقولون : ذهبت الى المتحف لارى الاثار القديمة . والصواب : ذهبت الى المتحف (بضم الميم) . اذ لا يوجد في اللغة العربية الفعل (تحف) الثلاثي ، بل يوجد الفعل (أتحف) الرباعي . ويصاغ اسم المكان من الرباعي بابدال حرف المضارعة ميما مضمومة ، وفتح ما قبل الاخر ، كاسم الزمان ، واسم المفعول ، والمصدر الميمي . أتحف ، يتحف ، متحف .

التخمة

ويقولون : اصابته التخمة من كثرة الاكل . والصواب : أصابته التخمة (بفتح الخاء) وقد جاء في « لسان العرب » ان العامة تقول : تخمة. وقد وردت الخاء ساكنة في شعر انشده ابن الاعرابي ، اذ قال :

تهضم التخمة هضما ... حين تجري في العروق

والتخمة هي الداء الذي يصيب الانسان من وخم الطعام ، او من امتلاء المعدة . ونجدها في المعاجم في (وخم) وليس في (تخم) .

تعاسة

ويقولون : عاش في تعاسة . والصواب : عاش في تعس . وهو تاعس وتعس وتعيس . ولم تعرف الضاد المصدر تعاسة .

تعالي عندنا

ويقولون : تعالي يا هالة عندنا . والصواب : تعالي الينا .

(تعال) فعل أمر من الفعل (تعالى) . وأصله أن الرجل العالي كان ينادي السافل ، فيقول : تعال . ثم كثر في كلامهم حتى استعمل بمعنى (هلم) مطلقا ، سواء كان موضع المدعو أعلى ، أو أسفل ، أو مساويا . وتتصل الضمائر بهذا الفعل ، فيبقى على فتحه ، فيقال :

(١) تعال يا رجل . (٢) وتعالي يا امرأة . (٣) وتعاليا يا امرأتان. (٤) وتعالين يا نساء ، وتعالوا يا رجال .

وربما ضمت اللام مع جمع المذكر السالم ، وكسرت مع المؤنثة ، فنقول : تعالوا يا رجال ، وتعالي يا فتاة .

تفاحات

ويجمعون تفاحة على تفاحات . والصواب : تفاح . وجمع الجمع : تفافيح . وجاء في لسان العرب : تفاح كثير ، رغم ان المفرد تفاحة . وجاء في تاج العروس : تصغير تفاحة واحدة : تفيفحة .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني



مكتبة الاديب

١ ـ اربعة ايام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي

تأليف عبد القدوس الانصاري ـ ١٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بيروت ـ لم تذكر المطبعة

اربعة وثلاثون عاما مضت على وفاة الشاعر العربي الكبير الشيخ عبدالمحسن الكاظمي (١٨٦٥ م ـ ١٢٨٩ هـ (١) ـ أول مايو ١٩٣٥) احد الشعراء العرب الكبار ، الذين هزوا الجيل العربي المعاصر كله ، بأشعارهم القومية والوطنية الرائعة ، وبدعوائهم التحررية والفكرية ، والتي احدثت آثارها في العالم العربي كافة ، وكانت آراؤهم هي النبراس الذي أضاء الطريق لمواكب النهضة والتقدم .

وشعر الكاظمي فيه الطابع البدوي الذي مثل فيه غنائية الشريف الرضي تمثيلا كاملا ، وكان الشيخ ندا للبارودي وشوقي وحافظ ومحرم ، وعلى نهجه كان يسير الشاعر البدوي المصري الشيخ محمد عبد المطلب ، وامتدادا له ولشعر مدرسة البارودي وشوقي وحافظ ، جاء شعر الجارم والاسمر والجندي وغنيم ومحمد عبد الغني حسن واضرابهم .

ولد الكاظمي في بغداد بحي الدهانة ، ونشأ في الكاظمية ونسب اليها ، وقد تتلمذ على أخيه الاكبر محمد حسين الكاظمي وعلى اعلام الادب والشعر ، وفي جملتهم ابراهيم الطباطبائي ومحمد جابر الكاظمي ، وفي حلقات الكاظمية والنجف استكمل الشاعر كل ثقافته ومقومات ادبه وشعره وفجاة هبط الكاظمية جمال الدين الافغاني هاربا من خصومه في ايران ، وأقام الافغاني بدار قرب دار الكاظمي ، وتعرف اليه الشاعر الشاب الكاظمي ، وتلقى عنه دروسا في الدين والوطنية ، وأصبح من اشهر تلاميذ الافغاني صلة به ، وأكثرهم قربا منه وتحمسا له ، وفجاة طرد الافغاني من العراق ، واصبح تلاميذه ومريدوه موضع المراقبة الشديدة ، ولقي الكاظمي الكثير من العنت وهو أحدهم ، ففر الى ايران ثم الهند ، ثم عاد الى بغداد ، ثم هاجر منها الى مصر وحط بها رحاله عام ١٨٩٩ م. .

ولصلة الامام محمد عبده الوثقى بالافغاني نزل الكاظمي في رحابه، ونال الكثير من بره وكرمه ، وفي مجلسه تعرف بادباء العصر وشعرائه وبأعلامه ، وفي مقدمتهم : سعد زغلول واحمد شوقي وحافظ ابراهيم واحمد محرم ومصطفى لطفي المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم وفي القاهرة تلاقى الكاظمي مع أقطاب العرب وصار من اعضاء جمعية الرابطة الشرقية .. وقد احتفى احمد شوقي بمقدمه ورحب به وكتب عنه في جريدة المؤيد ـ عدد ٣٠ من نوفمبر ١٩٠٢ ـ ينوه به وبشعره وبمنزلته بين الشعراء العرب . واختير الكاظمي حكما في كثير من مواسم الشعر وحلقاته، ومن بينها المباراة الشعرية المشهورة التي اقيمت عام ١٩٠١ بمناسبة عيد جلوس الخديوي عباس الثاني ،ونال حافظ وتوفيق البكري فيها المدالية الذهبية .

وتوثقت صلة الكاظمي في القاهرة بآل لطف الله ، وبآل عبد الرزاق الذين كان منهم الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الازهر فيما بعد ، وقد تعرف الكاظمي في أول حياته في القاهرة بشيخ الشعراء محمود سامي البارودي وكان قد قدم من المنفى ، وكتب فيه قصائد شعرية بليغة .. كما تعرف فيما بعد بعبد الرحمن الشهبندر وبصاحب المؤيد علي يوسف وباقطاب الحزب الوطني ومنهم عبد العزيز جاويش ، وباعلام النهضة والفكر والادب ، وعلى اية حال فان الكاظمي انخرط في سلك مدرسة الافغاني في القاهرة ، وصار أحد أعلامها ، وعن طريقها ألف الحياة المصرية وألفته ، وكان من هذه المدرسة أيضا الشيخ عبد القادر المغربي ومحمد رشيد رضا وأعلام اخرون كثيرون (٢) .

وهذا الكتاب الجليل الذي ألفه الاديب العربي السعودي الكبير الاستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب المؤلفات والبحوث والمقالات الرائعة وصاحب مجلة « المنهل » الزاهرة (التي تصدر في جدة) يعتبر من أجل ما كتب عن الكاظمي من دراسات في العصر الحديث .

ولا أنسى في هذا المقام الجهد الذي بذله الاديب العراقي النجفي الاستاذ عبد الرحيم محمد علي في انصاف الكاظمي وفي دراسة شعره وشاعريته فقد أخرج عنه عام ١٩٥٥ كتابه الاول ـ بعنوان « الكاظمي شاعر العرب » وفي عام ١٩٥٨ أصدر كتابه الثاني عنه بعنوان «ذكرى شاعر العرب » ، وفي عام ١٩٦١ أصدر كذلك حلقة ثالثة عنه بعنوان « الكاظمي شاعر الكفاح » ، ثم في عام ١٩٦٥ أصدر حلقة رابعة بعنوان : « الكاظمي في ذكراه الثلاثين » .

وللدكتور حسين علي محفوظ كتاب « عراقيات الكاظمي » ، وأصدر مهدي البصير عنه كتابا بعنوان « الكاظمي » ونال الاديب العراقي محسن غياض درجة الماجستير من كلية الاداب بجامعة القاهرة عام ١٩٦٤ برسالة قدمها عن الشاعر الكاظمي . ويجيء كتاب الاستاذ الكبير عبد القدوس الانصاري في نهاية هذه السلسلة ليسد النقص الكبير الذي نلمسه في الدراسات الادبية عن الكاظمي وشعره .

وفي مطع الكتاب نقرأ قصيدة الاديب الشاعر العربي الكبير محمد سعيد العامودي رئيس تحرير مجلة « الحج » التي تصدر من مكة المكرمة وفيها تنويه بجهد المؤلف وفضله ، وبالكاظمي وشاعريته ، وأروع خصائص هذه القصيدة غنائيتها العذبة الجميلة الساحرة ، وفيها يقول العامودي يهنيء صديقه الانصاري :

أحييت ذكرى الشاعر « الكاظمي » ... بروعة البحاثة العالم
أحييت ذكراه وانصفته ... انصاف حق ليس بالآثم
الشاعر المنسي أخفى عليه ... الغدر ، يا للغدر من جارم
قد عاش مظلوما وما كان ... هذا الشاعر المظلوم بالظالم
ولم يكن ذنب له غير أن ... ندد بالمستعمر الحاكم
وكم دعا وكم تغنى بما ... للعرب من ماض لهم باسم
يا شاعر الزوراء ما كنت بال ... ـمحفوظ في دنياك والفانم
فحسبك الخلد نصيبا ، وما ... أحلى المنى للشاعر الحالم
ان يملأ الدنيا وان يشغل الـ ... ناس بما أبدع من عالم
يا شعراء العصر هذا هو ... الشاعر عبد المحسن الكاظمي
من حقه ، والحق أدناه أن ... نقرنه من غير ما لائم
بأصفياء الشعر في عهده ... الماضي ، وفي حاضره القائم
بابن ابي سلمى وبالحارث ... البكري ، والاعشى ، وبالدارمي
وبأمير الشعر في عصره ... وحافظ ابراهيم والجارم

والقصيدة تشير الى هذا الطابع القديم لشعر الكاظمي ، ولامتداداته الحديثة التي نجدها عند شوقي وحافظ والجارم ، وكثير من الشعراء .

والكتاب ثروة ادبية رائعة ، ودرة متالقة في الدراسات الادبية المعاصرة ، وفيه من مؤلفه اسلوبه المشرق الناصع ، وفكره الخصب الثري ، وبيانه الممتع الساحر السري ، وفيه منه روح « البحاثة العالم » التي أشار اليها العامودي في قصيدته ، الى ما فيه من اثر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جليل لفكر الانصاري الصحفي ، ولطاقاته الكبيرة المنوعة ، مما نلمسه في تعدد مواضيع الكتاب ودراساته . وشخصية الانصاري تبرز بوضوح في الكتاب ، هذه الشخصية الفريدة في أدبنا المعاصر ..

ومن أجل ما تعرض له الانصاري في كتابه تصحيحه للخطأ الشائع الذي وقع فيه أدباؤنا الكبار من التنديد بالخليفة العثماني السلطان عبد الحميد بعد عزله ، وقد أبان الانصاري ان هذه الحملة الظالمة على عبد الحميد كان الاستعمار والصهيونية من ورائها يذكون نارها ، ويشعلون جمرها ، وقد ذكر أن الكاظمي وقع فيما وقع فيه الشعراء الكبار في مصر والعالم العربي ، وان الشاعر احمد شوقي هو الذي لم يقع فيما وقع فيه غيره ، بل التزم الحياد حيال الاحداث التي ألمت بالخليفة وعرشه ، ويستشهد الانصاري برأي قيم لفارس الخوري خلاصته ان عبد الحميد راح ضحية ثأر اليهودية العالمية التي ساءها رفضه لاقتراح ثيودور هرتزل باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (٣) .

ومن أجل البحوث في الكتاب كذلك بحثه : « شاعر العراق » وبحثه : « شاعرب العرب » ـ وهما لقبان لقب بهما الكاظمي ، والاول لقبه به رفائيل بطي ، وكان يلقب به كذلك جميل صدقي الزهاوي . ويقول الانصاري : ان لقب « شاعر العرب » أطلق على اثنين من فحول الشعراء العرب : الكاظمي وفؤاد الخطيب .

وماذا اقول عن الانصاري وكتابه الجديد القيم الرائع ، والكتاب بنفسه شاهد صدق عليه ، ودليل فضل ناله مؤلفه بكلتا يديه .. ولقد سبق لي أن ذكرت الانصاري وادبه وكفاحه الفكري في كتابي : « الشعر والتجديد » ، وكتابي الاخر « من تاريخنا المعاصر » وهما ليس بين يدي الآن لاستشهد بهما في صدق الرأي في الانصاري الحجة الثبت ، والشيخ العربي المناضل ، ولاوضح الخط الفكري الموصول الممتد الذي يصل أدب الانصاري وفكره بعضه ببعض على مر الاعوام ، وتعاقب الايام .

وبعد فان لصاحب « المنهل » وشيخها ، الشيخ الجليل ، الاديب العربي الكبير ، عبد القدوس الانصاري ، على النهضة الادبية الحديثة ، أيادي لا تنسى ، ومؤلفاته الخصبة ، وصفحات مجلته الشهرية العتيدة ، تنطق كلها بما لهذا الرجل من فضل كبير على الادب المعاصر .

وتحقيقات الانصاري التاريخية واللغوية والادبية هي بلا ريب من أروع فصول ادبنا المعاصر ، وتتجلى روحه النافذة العميقة فيما كتبه من فصول في هذا الكتاب ، وفي كتابه الجديد الاخر : « بين التاريخ والاثار » الذي سوف أعود اليه واقف طويلا عليه ان شاء الله .

٢ ـ جبل طارق والعرب

تأليف عبد العزيز الرفاعي ـ ٣٢ صفحة ـ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بالسعودية ، سلسلة المكتبة الصغيرة .

الاديب السعودي العربي الكبير عبد العزيز الرفاعي من اعلام الادباء والشعراء العرب المعاصرين ، وكتاباته وشعره يدلان على ذوق أدبي رفيع ، وصياغة اسلوبه يصلك بمنابع البلاغة في الجزيرة العربية ، وكأنك تسمع للفصحاء الاوائل ، الذين يخطر كلامهم في حلل مدبجة من البيان الممطر ، والوشي المحبر ، والقول الساحر . وقد قرأت له « توثيق الارتباط بالتراث العربي » ثم قرأت له هذا الكتاب الاخر « جبل طارق والعرب » وهو بحث جديد شيق ممتع ، فيه خصوبة البحث وثراؤه ، وروعة التصوير ودقته ، الاسلوب الساحر الجميل ، البيان المشرق الاخاذ ، الصياغة البليغة الممتعة . كتب الرفاعي عن « جبل طارق » هذه الدراسة الموجزة الجامعة ، الطريفة غاية الطرافة ، والجديدة كل الجدة ، واعتمد فيها على مصادر أصيلة متنوعة ، جعلت للبحث أهميته وخطورته .

وما اكثر ما نسمع بجبل طارق ، ولكن ما أقل ما نعرف عنه ، ونحن العرب ما اشد جهلنا بعلاقة العرب بهذا الجبل ، مع عظم دورنا الحضاري فيه .

وهذا الكتاب صغير الحجم ، وان كان كبير الفائدة ، وكثير الاهمية من العالم . ويذكر آراء المستشرقين في آثار جبل عارق ، على هذا الموضع ، وعن استراتيجية موقعه وعن جغرافيته وتاريخه ، وعما أقيم فيه من مبان ، وما نشأ حوله من عمران في عهد الموحدين وغيرهم . ويستعرض قصة جبل طارق خلال العصور والاجيال ، وعلاقته بالعرب ، وعلاقة العرب به ، ودورهم الحضاري في هذه البقعة البالغة الاهمية من العالم . ويذكر آراء المستشرقين في آثار جبل طارق ، التي بنيت فيه من قديم ، وبقيت حوله ، وفي نهاية البحث يذكر مختلف مصادره عن موضوعه .

وهذا العمل مثال طيب لخدمة الادب للبحوث العلمية ، ومحاولته في التبسيط المحبب ، والعرض الجذاب ، وهو يجمع بين خدمة التاريخ والجغرافيا والثقافة عامة ، ولو أتيح لابنائنا وشبابنا سلسلة مبسطة كهذا النوع في التاريخ العربي الاسلامي ، وفي وصف البلدان والدول والشعوب ، لكان لها من النفع ما يعظم به الفائدة ، وتتم به الغاية .

ولقد اتيح لي ان اقرأ البحث ، فعجبت عجبا كبيرا ، لدقة الكاتب المتناهية ، ولامانته في البحث ، ولالمامه بدقائق ما كتب في هذه المدرسة ، ولاشاراته التاريخية الذكية ، ولارائه التي ضمنها رسالته الصغيرة الحجم الكثيرة الفائدة ، وهذه الاراء عديدة منوعة تجدها امامك في كل صفحة من صفحات الموضوع .

ولقد اضاف الرفاعي جديدا الى معارفنا عن البلدان والمواقع والمواضع المشهورة ، ذات التاريخ القديم ، فضلا عن ان التاريخ العربي الاسلامي لجبل طارق مفخرة من مفاخر اجدادنا المسلمين في الاندلس ، وما الذ ان يعاود الكتاب الكتابة عن الاندلس وتاريخنا الحضاري فيها خلال ثمانية قرون (٩٢ هـ ـ ٨٩٧ هـ) .

ولقد احببت ما كتبه الرفاعي عن جبل طارق ، وقرأته مرة بعد مرة ، وصاحبته وصاحبني شهرا من الزمان ، دون ان ادري سر ذلك : أهو أن تاريخ هذا الجبل يتصل بتاريخ أجدادنا في الاندلس ، أم انه الحب والتقدير لعمل أجدادنا الحضاري في مختلف انحاء العالم ، أم انه التقدير للتاريخ المظلوم لاجدادنا في اسبانيا ، أم انه الرغبة في أن أقول للمؤلف : ماذا يعني هذا البحث وقراءته ، وفي ان أقول للشباب: ماذا يقصد أديب من أدبائنا الكبار بالكتابة في مثل هذا الموضوع الجليل النبيل والكبير الخطير ؟ .

ومهما كان فاني أهمس في أذن الرفاعي وأقول له : ان تاريخ أجدادك العرب الميامين الذي رسمت صورة منه في هذا البحث ، والذي ابنت عن صلته وصلتهم بهذا الموقع ، وبالتاريخ الحضاري للانسانية عامة ، لخليق به أن يشكر لك هذه العناية المأثورة المبرورة ،

(١) هكذا نقلت من كتاب الاستاذ الانصاري الذي أقدمه اليوم ، وفي صفحة ١٥٦ من كتابي « الادب العربي الحديث ومدارسه » أن الكاظمي ولد في الخامس عشر من شعبان عام ١٢٨٧ هـ التاسع والعشرين من تشرين الاول من عام ١٨٧٠ م ـ وراجع ترجمة الكاظمي في كتابي المذكور (ص ١٥٦ ـ ١٦٣) . (٢) راجع « الادب العربي الحديث ومدارسه » ، و « مذاهب الادب » ، وهما بقلم كاتب هذه السطور ، وكذلك الجزء الخامس من كتاب « قصة الادب في مصر » له ايضا .

(٣) ذكر الانصاري في كتابه في فصل طويل قيم (من ص ٥٣ ـ ٦٢ من كتابه) ، ويستدل برأي ـ فارس الخوري الذي سجله مؤلف كتاب « فارس الخوري وايام لا تنسى » ص ٣٠٢ ـ ٣١٨ لمؤلفه محمد الفرحاني .

وتلك المحمدة المذكورة المشكورة ، وما أحب ان تقـرأ تاريخنا العربي المشرق ، وأعمال اجدادنا الاولين ، مكتوبة في كتاب او مصورة في قصة ، او ممثلة في مسرحية ، او مذاعة في اذاعيات صغيرة ، ومـا أجدرنا بان نفعل ذلك دائما ، وبان ندع اثار آبائنا مرسومة في عقولنا وقلوبنا ابدا . ونؤكد للعالم المتحضر أن هذا العالم المتحضر لولا العرب ومآثرهم وجلائل أعمالهم لم يكن شيئا مذكورا .

الرياض **محمد عبد المنعم خفاجي**

•

الماء في حياتنا وتراثنا

تأليف عبد القادر عياش ـ القسم الاول والثاني ـ سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ طبع في دير الزور بسورية

هذا كتاب رائع حقا من أطرف ما الف الاستاذ الصديق عبد القادر عياش وان كانت كتبه جميعها على كثرتها طريفة ومبتكرة ، ولكن المؤلف في هذا الكتاب تدفق كالماء المعين من الينبوع الصافي المتفجر ، وتفنن بالكتابة عن كلمة الماء لغويا وما يتصل بها من الفاظ وتعابير ومعان واسماء للاماكن والاعلام والاواني . فبين ما جمعته المعاجم والكتباللغوية الموثوق بها من كلمات في هذا الباب . وهذه الدراسة تستغرق مدة طويلة من الزمن فتتطلب فكرا نيرا وذكاء متوقدا . وهذه هي بعض التعابير اللطيفة التي ذكرها : ماء الشباب وماء الصبابة وماء الصبا وماء الشوق وماء النعيم وماء الحسن وماء الندى وماء الوجه وماء الحياء وماء الملام وماء البكاء . ويستدرك عليه ماء العتاب وماء العين وماء الحجا وماء المعالي وماء الجود وماء الحياة واني اورد بعض الامثلة الشعرية على هذه التعابير الجميلة .

قال عمر بن أبي ربيعة :

وهي مكنونة تحير منها ... في أديم الخدين ماء الشباب

وقال :

والدمع للشوق متباع فما ذكرت ... الا ترقرق ماء العين وانسكبا

وقال ابو تمام :

لا تسقني ماء الملام فانني ... صب قد استعذبت ماء بكائي

وقال :

وعلى عارضيه ماء الندى الجا ... ري وماء الحجا وماء الشباب

وقال :

محمد بن حميد أخلقت رممه ... أريق ماء المعالي اذ أريق دمه

وقال البحتري :

ووجه رق ماء الجود منه ... على العرنين والخد الاسيل

وقال :

على ماء الدموع يخمد نارا ... من جوى الحب أو يبل غليلا

وقال :

لم يرو من ماء الشباب ولا انجلت ... ذهبية الصبوات عن أيامه

وقال بشار بن برد :

ماء الصبابة نار الشوق تحذره ... فهل سمعتم بماء خاف من نار

وقال عنترة :

لا تسقني ماء الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزل

وقال أحد الشعراء :

تبدت بوجه ناعم ذي ملاحة ... ترقرق ماء الحسن فيه فاشرقا

وقال اخر :

منعمة بعيش مستطاب ... تدفق حوله ماء النعيم

وقال اخر :

فحر الشوق يظمئني وماء الحب يرويني

وقال اخر :

وقلت لها أحبك يا فتاتي ... فلاح بوجهها ماء الحياء

وقد اورد المؤلف اسماء كتب لها علاقة بالماء مثل « لا بحر في بيروت » وهو مجموعة قصص للاديبة الكاتبة غادة السمان . و « نداء المجاديف» للشاعر المهجري شفيق معلوف . و « من أغاني المطر » للشاعر منذر لطفي . و « البحر لا ماء فيه » للقاص الليبي أحمد ابراهيم الفقيه ويذكرني اسم الكتاب الاخير بقول أمير البيان شكيب أرسلان في مقالة له : « جمعية الامم كالعروض بحر بلا ماء » وقد توفق بهذا التشبيه كل التوفيق ومعلوم ان واضع علم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي جمع أوزان الشعر وحصرها في خمسة عشر بحرا وزاد عليها الاخفش بحرا اخر هو المتدارك .

وتحدث المؤلف عن ارتباط الانسان بالماء ارتباطا وثيقا منذ بدء الخليقة ، لان الماء أساس الحياة للانسان والحيوان والنبات . قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ولذلك فان البشر كانوا يتحرون عن مواضع المياه وينزلون ويبنون قربها ، وقد حفروا الاقنية لجرها ثم عمدوا الى تصفيتها وتوزيعها وتنظيمها ، كما فكروا بتحلية مياه البحار . وذكر ان كمية من الماء في جسم الانسان البالغ تبلغ سبعة وستين في المئة وفي جسم الطفل سبعة وتسعين في المئة .

وتكلم عن أهمية الماء في توليد الكهرباء وتسيير المصانع وما له من تأثير في الاقتصاد والحضارة وقال ان سبعة وتسعين من المياه موجودة في المحيطات ويقدر حجمها بنحو (١٣٥٠) مليون كيلو متر مكعب وان ما يسقط من الماء يقدر بمئة الف كيلو متر مكعب وهو يزيد كثيرا عما يحتاجه الناس .

كما تحدث عن البحار والبحيرات والانهار والابار والينابيع والجداول والشلالات والبرك والمستنقعات . وذكر تقديس الشعوب القديمة للماء وعبادته وما بني عليه من اساطير وما نوهت به الكتب الدينية ، وعد أسماء مياه كثيرة كانت معروفة لقبائل عربية ، ولم يذكر جفر الهباءة وهو ماء لبني فزارة جرت عنده معركة بينهم وبين بني عبس اذ تراهن قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري على سباق خيلهم وللاول داحس والغبراء وللثاني الخطار والحنفاء ، وقد حال رجال حذيفة دون سبق داحس وذلك بامساكه وكان المجلي ثم تركوه فجاء مصليا بعد الغبراء ، فلطمهما بنو فزارة وصدوهما عن الشرب من البركة كما هو الاتفاق في السباق ، فطالب قيس باعطائه ما تراهنوا عليه وهو عشرون من الابل فابى حذيفة وطالب العبسيون باعطائهم بعض ما تراهنوا عليه ، فابى الفزاريون ثم طالبوهم باعطائهم جزورا لاطعام أهل الماء فابوا فمضي قيس غاضبا وقال في أبيات :

كما لاقيت من حمل بن بدر ... واخوته على ذات الاصاد

هم فخروا علي بغير فخر ... وزادوا دون غايته جوادي

ثم أغار على بني فزارة فقتل عوف بن بدر ، وقتل الفزاريون مالك بن زهير أخذا للثأر ، وهكذا نشبت الحرب بين القبيلتين ، وقتل قرواش بن هني حذيفة بن بدر وفي ذلك يقول قيس بن زهير :

تعلم أن خير الناس ميت ... على جفر الهباءة لا يريم

ولولا ظلمه ما زلت أبكي ... عليه الدهر ما طلع النجوم

وقد تكلم المؤلف في القسم الثاني من كتابه القيم عن الالهة الوثنية المعبودة قديما وعن ربات المياه والغابات وحورياتها . وتطرق لذكر الحور في القرآن الكريم وسقاية الحاج ، والسدود وفوائدها ، وخص بالذكر سد الفرات العظيم ، ولم ينوه بالسد العالي في مصر .

ثم عرض ما قيل من الشعر العربي في الماء قديما وحديثا عرضا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بارعا وسرد ما قيل في الماء من نوادر وفكاهات وتحدث عن الحدائق الجميلة التي لا يمكن انشاؤها الا بتنظيم ريها . كما تحدث عن الاحواض والنافورات وعما يحصل على الماء من نزاع وقتال ، وعما يحدث فيه من جرائيم تشكل خطرا على الانسان . وتكلم عن التخطيط المائي في سورية وسرد ما لابناء القرات من لهجات في تسمية الماء والاواني التي يشربون فيها وبعضها فصيح . كما تحدث عن الابار في وادي القرات والسباحة في نهر القرات وعن بعض المعتقدات والحكايات لابنائه في الماء وعن اغانيهم وامثالهم به .

والخلاصة ان كتاب الماء في حياتنا وتراثنا كتاب نفيس وطريف ، يستحق مؤلفه الاكبار على مجهوده الكبير الذي بذله في ترتيبه وتبويبه وتصنيفه .

جبلة ـ سورية **رشاد علي أديب**

•

غربيون في بلاد العرب

ترجمة ـ سليمان موسى ـ ٢٩٦ صفحة ـ منشورات دائرة الثقافة والفنون ، وزارة الثقافة والاعلام في عمان

ذلك هو اسم الكتاب الذي الفه وترجمه الاستاذ سليمان موسى . ولا تستغرب ان اقول تاليفا وترجمة ، فان الاستاذ قرأ لكثيرين من الرحالين والكتاب الاجانب ، واختار فصولا . كما تخير من تلك الكتب ما رأى أننا بحاجة الى الاطلاع عليه .

ولعلك تستغرب أن تجد تعريفا بكتاب ، لان هذا يجري على غير العادة التي اتبعها الادباء واتبعتها الصحافة في الاردن . فان هؤلاء واولئك يلتزمون الصمت ، وأصبح المؤلف واثقا ان كتابه سيقبع في زاوية ، لا يزعجه احد . وهذا التعريف لا يهدف الى ترويج الكتاب ، فقد اتخذ سبيله الى أيدي القراء . ولا ريب ان أي مؤلف يبتغي ان يبين وجهة نظر ، ويحب ان يعرفها الى الناس ، ليقبلوها او ليرفضوها كليا او جزئيا ، ولكن في حالة الاغفال لا يجد صدى لصوته . ومن هنا فانه يحس بانه لم يقدم ولم يؤخر ، ولم يتقدم ولم يتاخر . وأحب أن لا تقول لي اننا الان مشغولون عن كل شيء بالمصير ، فاننا منذ صدور وعد بلفور المجرم كنا كذلك نفكر . ومع ذلك فقد كان الناس يتعرفون الى اثار المؤلفين ، ويحتفلون بها عن طريق النقد والتقريظ والرواج أيضا .

ولعلك تريدني ان أبين أسباب السكوت عن الاثار الفكرية وان افند هذه العادة . وانا احب ان افعل ، لكني في سبيل التحدث عن كتاب الاستاذ سليمان موسى ، فليس يصح أن أنصرف الى غيره ، والا كنت أجري مع اولئك الذين يصمتون ، او اولئك الذين اذا كتبوا يبينون انهم يتكرمون بالكلام عما بين ايديهم .

كل هذه المقدمة استدعاها هذا الكتاب المثقف المسلي باسلوب ممتع يرتفع عن الاناقة التي تذهب بجمال السياق ، ويبتعد عن الترجمة المتزمتة التي تهدف الى الدقة ، فتذهب ببهاء الفكرة ، وتنأى بالحذلقة عن الدقة . فانت تقرأ وتنسى نفسك في القراءة ، لانك مغتبط تشعر انك تصاحب انسانا تسرك صحبته ، وهو يقصد ان يسرك بلباقة وانس .

وانا أحب ان اقول ان الترجمة بوجه عام ، ليست وقفا على الامم الناشئة ، بل ان الامم المتقدمة تنقل الى لغتها روائع الامم الاخرى . ولم تصبح المعرفة الانسانية عالمية الا بفضل الترجمة . والمترجم اذا استطاع ان يجيد وينفذ الى روح ما يشغله ، فانه يستحق كل تقدير ، وكذلك الاستاذ سليمان موسى .

ولكن من هم هؤلاء الغربيون الذين جاءوا الى بلادنا ؟ انهم كثيرون ، زاروا الاردن او عملوا فيه منذ القرن التاسع عشر الى الثلث الاول من هذا العصر ، وممن عاشوا وعملوا كركبرايد وعبد الله فلبي وجرترود بل . ولهؤلاء واولئك خبرات ووجهات نظر وسرد حقائق ، كما رأوها من خلال امزجتهم ، وقد توافقنا وقد لا توافقنا . نحن اذن نجد آراءهم مبسوطة ، بقلم انسان عاش في ما كتبوه زمنا طويلا ، وتمرس بافكارهم ومراميهم ، وعانى في تلك الصحبة فجاءنا بخبرته الغنية ، وعرفنا الى كثير من مراميهم . ولا ريب ان هذا يحتاج الى صبر ومعاناة، والى نفاذ الفكر ومعرفة بفنون القول في الانكليزية والعربية . وهو لذلك كله يعرفنا بتاريخ بلادنا من خلال كلام هؤلاء الذين شاهدوا وساهموا . وهو لذلك يستحق الثناء لانه أتاح لنا ان نتناول من مائدته الشهية . فانت تقبل عليها مسرورا ، تأخذ ما تشاء . وانا موقن ان ما تجده من المتعة يجذبك حتى تستوفي .

عمان ـ الاردن **حسني فريز**

•

يوم عاد أبي

مجموعة قصص ـ تاليف رشاد دارغوث ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات بيت الحكمة ببيروت ـ مطابع دار غندور ببيروت

اذا كانت القصة ارقى فنون الادب ، فقد اصبحت قصتنا اللبنانية ـ تحت اقلام الموهوبين من الادباء ، قصة انسانية ، عالمية .

ففي هذه العشر الاقصوصات (يوم عاد ابي ، القلوب الكبيرة ، اضواء المدينة ، خلافات محببة ، حينما تصدق الرؤيا ، كنوز لا تنفد ، محاولة ، معلمي الاول ، حتى الرمق الاخير ، من أجل جلدة ممزقة) يبدع الكاتب ابداعا لم نتلمس مثله الا في روائع القصص العالمي ، الكلاسيكي والمعاصر .

نقول هذا لا تقريظا لكاتب ما برح منذ اكثر من ثلث قرن يتحف المكتبة العربية بنتاجه المستمر . حتى اعتبره محمود تيمور رائد القصة في مصر ، رائدا للقصة في لبنان . كما اعتبره الاديب العراقي الكبير جعفر الخليلي ، في كتابه « القصة العراقية » رائد القصة العربية على الاطلاق . بل نقوله لإننا نحن الذين تتلمذنا على الاديب رشاد دارغوث ـ في الثلث الاول من هذا القرن ، ما برحنا نشعر حينما نقرأه انه من شباب هذا الثلث الثالث من القرن العشرين في روحه ، واساليبه المتجددة ، وقصصه المنتزعة من صميم واقعنا ، على حد تعبير الناقد الكبير المرحوم مارون عبود .

وبالفعل فان هذه القصص العشر من نتاج سنوات مختلفة . تبدو احداث الزمان في الثلاثينات والاربعينات حتى الستينات ، من خلال صورها ، وحركات ابطالها ، ومشاهد الحياة التي تصورها ، لم تبرح نابضة بالحيوية ، مضمخة باحاسيس الاحياء ، ومشاعر الناس ، امثالنا ، من العمال ، والطلاب ، من الاباء والابناء والامهات ، من التجار والساسة والنواب وسائر الطبقة التي تحكم لبنان وتحكم في غير لبنان . فيبلور قلم الاديب روحها ، ومطامحها ، واطماعها ، واخلاقها ، ما حسن منها وما قبح ، فتتلمسها بيدك كما تتلمس الذهب والبلور ، او التراب والخزف .

ان لروح السخرية التي تسيطر على اقاصيص الاستاذ دارغوث ، وقصصه الطويلة ، وروايته ، منذ اصدر « خطيئة الشيخ » عام ١٩٣٦ حتى صدرت هذه المجموعة في منشورات دار الحكمة في نهاية ١٩٦٩ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

روح بناءة ، تدغدغ ولا تجرح ، تحفز ولا تؤلم . سخرية أشبه بما وجدناه عند برنارد شو الايرلندي او الجاحظ العربي او ما نجده في كل نتاج عبقري يهدف الى اصلاح الفرد ، واصلاح المجتمع .

وقد قال الدكتور طه حسين في بعض مؤلفات صديقه المؤلف ، عام ١٩٤٤ مخاطبا اياه : « انت رفيق قارئك لا معلمه ، وهذا اسمى ما يطمح اليه الاديب ! » .

وقد سألنا اديبنا صاحب « يوم عاد ابي » وعشرات غيره ، لماذا لا يلجأ الى الدعاية التي تلهي الكثيرين عن الانتاج السليم ، البناء ، فقال بتواضعه المعروف :

ـ انا لست اديبا ... محترفا ! انني اعمل ، منذ امسكت بالقلم، لبناء وطني واعداد ابنائي وابناء الامة ، وذلك عمل صامت لا يحتاج الى الصخب والدعاوات !

ولكننا ، برغم ذلك نعتقد ان استاذنا الكبير ، بعزوفه عن تلك الدعاوات وعدم استثماره الكتاب تجاريا ، انما يقصر في واجبه نفسه، واجب الاديب المربي الذي يصنع الفرد ، ويبني الوطن والامة !

ونرجو ان يكون لاذاعة لبنان سهم في الاستفادة من مؤلفات هذا الاديب الكبير فتترجمها الى حلقات اذاعية ، سواء ما كان منها للكبار او للاحداث كما تفعل الاذاعات الاجنبية من لندن الى الكويت وتونس وليبيا ، وايطاليا .

وكذلك ان يكون للتليفزيون اللبناني قسط مماثل في الاستفادة من طاقات هذا الاديب الموهوب وبيانه المشرق ولغته التي بواته جميعها مكان الصدارة ، منذ عام ١٩٣٨ كما يقول مارون عبود في كتابه «على الطائر» وهو يقيم مسرحيته الخالدة « سيعودون » الصادرة عام١٩٥٧ والمستمدة من حنين المغترب ، واللاجيء ، والمشرد ، الى تراب الوطن ، وهو حنين أقوى من الحب ، وأخلد من ... الحياة !

كما نرجو ان يجد الشبان من طلاب وعمال ومثقفين ، والشابات من طالبات وامهات ، غذاء دسما في هذه المجموعة الجديدة من قصص الاديب دارغوث الذي ترجمت روائعه الى الفرنسية ، والروسية ـ والاوزبكستانية فضلا عن الانكليزية وسواها ، من اللغات الحية .

سليم المدرس

•

صدى الصمت

ديوان شعر بالفرنسية ـ لجان شكيب الخوري ـ ١٠٠ صفحة ـ طبعة « فوكاردوكولان » بجينيف ١٩٦٩ في مجموعة « ازاهير وأفكار » للاثار الابداعية

لست أشك ، في نفسي ، بانني ميال الى الكلام على دواوين الشعر الفرنسي ميلي للكتابة عن دواوين الشعر العربي ، اذ كنت اقول ـ على الدوام ـ بأن الشعر ليس مقصورا على لغة بذاتها ، فاللغة قالبه الذي يسكب فيه ، وأما المعاني والافكار ومجال التأملات فهي لا تحد ولا يأتي عليها حصر . وعندي أن معاني الشعر تناصي العطور العبقة وشذى الرياحين ، وضروب الازاهير في الوانها وتفانين اشكالها الروائع مشبهة للقوالب الشعرية وأوزان القريض .

وقد كثر ما كتبت فيه من التحليل والنقد للشعر الفرنسي الذي يكتبه ابناء العروبة ، ففي « الاديب » الاغر كتبت مرارا عن دواوين الشعر الفرنسي التي اتحفني بها صديقي الفيلسوف الدكتور عبدالعزيز الحبابي عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط ، ثم غدا استاذا زائرا لكلية الاداب بالجزائر مع احتفاظه بعمادته السابقة احتفاظا شرفيا ، كما كتبت اول من كتب ، عن ديوان الشاعرة الشابة الحسناء « هدى » كريمة صديقي القديم الاستاذ البير اديب في ديوانها وقد وسمت ديوانها باسم « بارانتيز » أي جملة معترضة ، أو بين قلامتين .

واليوم يشوقني أن اتكلم على ديوان طريف من أروع ما وقع عليه نظري في مجموعات الشعر الفرنسي للادباء العرب ، وهو ديوان «صدى الصمت » للشاعر النابغة « جان شكيب الخوري » الذي جاءني ـ وانا بانتظار اللقاء به ـ الى مقهى « قوسموز » بباب ادريس ببيروت ، ولم أكن رأيته عيانا بعد ان أهدى الي ديوانه السابق الذي سماه «ذكريات الغد » ومن الجميل المطرف ان الشاعر المبدع جان الخوري موفق في تسمية اثاره بما يغري ويشوق التأمل فكيف تكون للغد ذكريات والغد لم يدمر علينا بعد ، فنحن كما عودنا الزمن نحتفظ بذكريات الماضي وطوابع الحاضر واما الغد فمسدل عليه الستار .

حين دمر علي الشاعر جان خوري ، وانا بذلك المقهى ، تحت عشية من عشايا بيروت ، وقد عودت نفسي الركون اليه لأشاهد من وراء زجاجه مارة الدرب واتذكر في تاريخ الفلسفة الاغريقية « كهف أفلاطون » اذ كان يشبه هذه المشاهد بمن يكمن في الكهف ليرى مرور الدنيا امامه .

ومرت بي الدنيا بخيرها وشرها ، وتعاقبت أمام ناظري بجمالها ورونقها وترامت حول خيالي وافكاري صورها الفنية بالفن والوصف والتأمل ، مر كل ذلك امامي في هذا الديوان الذي خصني شاعره بنسخة من الطبعة المترفة تحمل الرقم (٨٢) فأخذت أنظر اليها والى الشاعر نفسه ، فأراه وأرى أثره امامي على الخوان ، فاذا الشاعر غرانق في ميعة الصبا ، واما ديوانه فخيل الي ، بالقياس الى ديوانه السالف ، أنه أمعن في العمر وتمرس بالتجاريب ، وما اجمل عندي من اثار الشباب التي تحتوي على اختمار الفكر وثقابة الراي ورهافة الشعور ، بما يتحلى به الشيوخ ، ورحت اذكر شيخ الشعراء اسماعيل صبري حيث ترجم بين الشعر الفرنسي ، بقوله :

أواه لو علم الشباب وآه لو قدر المشيب
فأتيح لي في لمحة واحدة ان ارى علم الشباب وقدرة المشيب في آن ، ممثلين في شخص صديقي الشاعر الشاب جان خوري .

واني سأحذو في كلامي على ديوانه حذوي فيما أسلفت من الكتابة عن الدواوين الفرنسية للشعراء العرب ، فأنقل الى لغة الضاد قطعة بشعري للشاعر الخوري في ديوانه هذا الجديد .

ان قصيدة « ندى الايام » طويلة ومثلها قصيدة « ظل الايام » تذكرانني بمقاطيع كنت أكب عليها ، وانا شاب ، في دواوين صاحبي فيكتور هوغو وبخاصة في ديوانه العظيم « اساطير القرون » فلانقل الى العربية اذن ، طرفا من القصيدة الاولى في ديوان «صدى الصمت» المسماة بهذا الاسم . وما يكون للصمت صدى الا هواجس النفوس ونجوى الارواح ، وقد أهداها الشاعر الى السيد « مارسيل جيرار » :

فيم أراني ورقة ... مفصولة من شجره
قرأت أمامي ، أو من ... الغصن الخفي الثمره

فيم أراني كالندا ... المجهول في مد الصدى
مثل ارتجاف شجر ... محطم رهن الردى

فيم أراني ضعف سر ... وحياتي مثل كهف
في سواد مطبق بغشاه ... نور رهن ضعف

ألقت الي السانحات ... لواحظي منذ النظر
وهي التي قد فصلت ... حجري على أرض البشر
وبحكم مجهول رأيت ... الدرب في كف القدر
قرن الظلال بقامتي ... ووقى عصاي من الحفر

بحب قرائي في « الاديب » الاغر هذا المقدار من نقلي للعربيـــة شعر الشاعر العفوي المطبوع جان شكيب خوري الذي تموج خواطره بنوازع فلسفية مما وراء الطبيعة وان قصيدته الاولى هذه التي سمى بها ديوانه نقلني الى جواء « الفريد دوموسيه » في لياليه وخاصـــة ليلـة آب .

والغريب في شعر الاستاذ جان خوري انه مندور النزعة الغرامية مجلبب بأبراد الروحانية الشفافة ، على انه وهو في ميعة الصبا وشرخ الشباب ينبغي له ان يحلق في آفاق الحب واعيد جناحيه من الهيض .

وهو اذ يقعد عن نزعة الغرام العنيف للمرأة بحب موطنه العظيم « لبنـان » بما يشوق ويفوق ، حتى كدت اسميه « شـاعر هـوى لبنـــان » .

قلت لوالده الجليل الدكتور شكيب ولامه الفضلى التي سميتهـا بالمريمية : لقد أعطيتما بابنكما الشاعر النابغ منحة انسانية لا تقـدر بأثمان جعلتنـي أقـول :

قل (للشكيب) لقد ابدعت انسانا ... تفيض اشعاره روحـا وريحـانـا
انت الحكيم الذي قد صاغ حكمته ... شعرا فـراح به في الدهر مزدانا
وقل لزوجتـه المثلى أتيـت لنـا ... بنابغ يمـلأ الاكـوان عرفانـا
وافاكما الله في (جان) العزيز على ... عيشوا به في ظلال السعد أزمانا
هناءة العرب فيمن كـان شاعرها ... ففن « لبنان » آيـات وألحـانـا

دمشق — زكي المحاسني

•

عبـير مـن دمشـق

ديوان شعر ـ عدنان مردم بك ـ ٢٠٨ صفحات ـ منشورات عويدات ـ بـيروت

الشعر العربي السوري اليوم على أفق جديد ، تجلوه قرائح الشعراء ، وتزينه نهارات جديدة من تجاربهم الخصبة المتجددة والمتنوعة ، فتضيفها خبرات ومكتسبات في أرث الادب العربي السوري الحديث ، خبرتـه وتطـوره ..

وأجمل نهارات اليوم الشعرية ، والحق أقول ، ليسـت تلـك البدوات الجريئة في تطوير الشعر العربي السوري ، والتي يستلهمهـا المجددون المتحررون من الفترة ، او البيئة ، أو النفوس ، ممن نحب ، ونقدر ، متابعين أنتاجهم ، دارسين لـه ..

ولكن اجملها اليوم في الحقيقة ، هي ممارسات المطبوعين المحافظين من شعرائنا العرب السوريين ، الذين لا يزالـون مع أسـاليبهم ، وعموديتهم ، يطيعونها للحياة والواقع .

وذلك أن ممارسات هؤلاء المطبوعين السلفيين ، ولنقل المحافظين ، محاولات صدق ، وبساطة في التعبير ، والذي يخضعـون له كافـة الموضوعات الحديثة ، في حين ان اولئك المجددين ، المتحررين مـن الارث ، قد يصيبون هدفا في قصيدة ، ويخطئونه في أخرى ، وقـد يرضى عنهم قارىء ، بله جمهور ، وقد لا يرضى ..

وتجد الشاعر عدنان مردم بك ، أقدر هؤلاء المحافظين على السبك الجزل والمتين ، ناهيك بانه متمرس على الشعر المسرحي التاريخـي ، والذهني ، نشر فيه الى الان ما يعتبر غررا شعرية مسرحية ..

ومن النهارات الجديدة الحلوة ، في الشعر العربي السـوري اليوم ، تلك التي طلع علينا بها ديوان « عبير من دمشق » كانون الثاني ١٩٧٠ ، للشاعر الكبير عدنان مردم بك ، وهو الديوان الثالث له بعد « نجوى » ١٩٥٦ ، ثم « صفحة ذكرى » ١٩٦١ ، وهي دواوين شـعرية ثلاثة ظلت تتحلى بميزة الاصالة السلفية ، في المحافظة على عمود الشعر العربي وأساليبه ، رغم أنها كلها تصرف القول الشعري في موضوعات مختلفة غزلية ووصفية واجتماعية وتأملية وحماسية ، وغيرها ..

عنوان الديوان « عبير من دمشق » شيء صميمي وجذاب حقـا ، يسترعي الانتباه ويستدر الحب .. بحيث ان القارىء او السامـع ، لمجرد قراءته او بسماعه ، يجذبهما الى دمشق ألف خيـط وخيـط ، يستطلعان اخبارها ، بل سحرها ، وهي المدينة الخالدة ، اقدم المـدن المعمورة على الارض ! .

وكم يكون فرح القارىء ، والسامع كبيرا ، عندما يجد بالفعل ، أن الديوان سجل من جمال دمشق ، ومفاخرها ، وغوطتها وانهارها ، ومشاهد من الحياة فيها ، الفنية او الشعبية ، كما سنرى ! .

ولا غرو ان يكلف الشاعر الكبير عدنان مردم بك ، بدمشـق ، ومطرحاتها ومشاهد من حياتها ، فهي مسقط رأسه ، ومسرح صبـاه ، وأريحيته ووطنيته ... ومن هنا جاء تخصيص الكلام ، والقول الشعري في دمشق موفقا صائبا ، لانه في نظرنا صادق أصيل ، ومطبوع غـير متكلف وغير متعسف ..

وقد قسم الشاعر عدنان مردم بك الديوان الى سـتة أقسـام وفاتحة ، جعلها للكتاب في شعر تأملي عن الله . وهذه الاقسام هـي على التتالي : من كنوز بلادي ، وصف الطبيعة ، المعذبون في الارض ، صور فنية ، وتأملات ، وصفحات من التاريخ ... وكلها متماسكة يشد بعضها بعضا ، وتدور حول دمشق ، أو حول وحي من وحي دمشـق في العروبة ، والحرية والحق والكرامة ..

والعادة ان تؤخذ تسمية الديوان من عنوان قصيدة في الديوان ، وهنا لا قصيدة في الديوان تحمل عنوان : عبير من دمشق ، واذن ، العنوان مأخوذ من مجموع تجربة الديوان ، ككل ، وهو كما رأينا فـي غالبيته عن دمشق ، ومشاهدها ... فبماذا نفسر هذا الاتجـاه فـي التأليف الشـعري ؟! ..

هل هو وصف واقعي لفاتن دمشق ، ومشاهدها ؟
أم هو تشبيب وجداني بدمشق ، وأمجادها ؟ .
أم هو انسانية تغرف من موضوع محلي سحرها ولألاءها ؟

وفي الحقيقة ، قد تكون تجمعت عند الشاعر عدنان مـردم بـك قصائد وصفية ، مختلفة عن دمشق ، أغرته بعنوان واحد شامل ..

الا ان هذه القصائد المتنوعة ، وكل منها يحمل في الديوان تاريخه منذ عام ١٩٦٠ ، حتى ١٩٦٨ ، هي بالفعل ثمرة العاملين الاساسيين في هذا الشعر الجميل : حس الوصف الواقعي ، وحب دمشق حتى الوجد والتشبيـب ..

وانسانية الشاعر عدنان مردم بك في هذا الديوان ظاهرة ، تهتم بالانسان ، وتحدب عليه ، وهي انسانية فاضلة ، مريـدة حدسـية تعاطفيـة ..

الله سوى بين الورى بنوازع الاجل ... بـين الـورى بنـوازع الاجـل
سويت حين قضيت عـن قـدر ... حي نجـا مـن جـائـح العلـل
وقهرت بالموت العبـاد فمـا

ومثل ذلك كثير في الديوان ولك أن تعود الى الصفحات ١٧و١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٧ لترى ممن تتناوله مشاكل الكون ولغز الحياة .

وفي الجانب السياسي من هذا الشعر ، والذي تناول بالوصـف والتفنيد نكبة حزيران ١٩٦٧ ، واحتلال القدس ، ومرتفعات الجولان ، نجد بالفعل الروح الانسانية للشاعر صادقة نيرة تذكر عيوبها وعيـوب قومها ، حتى لا تغشهم بكذب القول ..

ورغم ان القصيدتين ، أندلس الشرق ، والثغور السليبة تضمـان أجود أوصاف الجهاد الحديث : (ص ١٩١ الديوان) .

وعصـابة لمـا أهـبـاب بجمعهـا ... داعـي الجهاد تقاطـرت تستشهد
يتبسـمون الى المنـون ودونهـم ... قتـم المنيـة بـالاذى يتلبـد

أو يقول : (ص ١٩٧)

في ذمة المجد المنيف عصابة ... درجوا بمدرجة الجهاد وقاموا
لم تثنهم اوجاعهم عن واجب ... أن الكرام على الصعاب كرام
جادوا على زبر الحديد بلحمهم ... كرما وهم دون الحديد صيام

الا ان فيهما صادق الوصف للاستخذاء ، وصادق التبرير والنصح : (ص ٩١٣) .

عرف العدو طريقه فتوحدت ... غاياته فيما يروم ويقصد
وتفرقت اهواؤنا وتشعبت ... آراؤنا بددا وحار المرشد

أو يقول : (ص ١٩٨)

نمتم كاهل الكهف ملء جفونكم ... وعدوكم كالسقم ليس ينام
غرتكم الاحلام حينا والهوى ... أعمى يفر ، ويخدع الاحلام

ولذلك صح تقريره ان الحق للاقوى : (ص ١٩٠)

الحق للاقوى وليس لعاجز ... دون الذئاب على الضراوة مسعد
لا عيش للجبناء في قيد الاذى ... عيش الجبان على الزمان منكد

وبالاجمال ، عندما وصف الشاعر عدنان مردم بك مشاهد من الحياة الاجتماعية الدمشقية ، كان رحيما ، بل شفوقا ، بل متشائما ايضا :

« بائع العرقسوس » ألف الفقر والاذى : (ص ٩١ الديوان)

ألف الاذى وضراوة الفقر ... في عيشه المشبوب بالمر
تلقاه مبتسما ومن عجب ... أشجانه ملء الحشا تغري ..

ولذلك يرثي لحظه :

يروي حزازات الصدى حدبا ... أيامه بالمبلغ النزر ..

و « شواء الذرة » معذب مكدود : (ص ٩٦)

صحب الاذى دهرا لتسعد صبية ... ويزود عنها جائحا يتوعد
واها له ما كان أوجع عيشه ... وأمر مورده الذي يسترفد

و « الحطاب » في حرمان : (ص ١٠٣)

أيامه مشبوبة بضرام ... من لاعج الحرمان والاسقام
وفؤاده كرة تقاذفها الاسى ... بيد الهوى وهواجس الاوهام
يمناه عالقة بساعد فأسه ... كالنسر أنشب مخلبا بقطام
يطوي على الحرمان كفا خضبت ... أطرافها وبنانها بقتام ..

و « الحمال » في عذاب : (ص ١٠٩)

وهو كالدهر لا ينوخ بأرض ... مستقرا ركابه ، او رغابه
يذرع الارض دائبا بخطاه ... دون جدوى فيستجد عذابه

ولذلك هو ينعتهم بالمعذبين في الارض .. وقد يكون لهم سعادتهم، وهناءاتهم الا أن شاعرية عدنان مردم بك ، وانسانيته لم تتساهل في حالهم ، وقطعت في بؤسهم ، وعذابهم ..

والجدير قبل ان ننتقل الى أوصاف مشاهد فنية وشعبية اخرى من دمشق ، أن ننوه بالفعل بالنظرة المتشائمة عند عدنان مردم بك ، نتيجة العبثية ، والحيرة ، ان صح القول ، وان الشر في المجتمع والنفوس : (ص ١٥٣)

ما نرجي والمجد محض افتراء ... بعد طول الجهاد غير العناء
نقطع العمر خابطين حيارى ... دون جدوى جريا مع الاهواء
ونشيد الحصون حرصا ، ونبني ... زائفا كالهباء فوق الهباء

ما نرجي وكل شيء رياء ... من حياة تقنعت بريباء
عكست منطق الامور فتهنا ... في عباب الضلال والاهواء
وخبطنا بدامسي كسكارى ... فتنتهم حرافة الصهباء

ولذلك صار يرى ، في كل بيت ، مأساة : (ص ١٥٦)

في القصر ما في الكوخ من أوصاب ... كدر الحياة مقدر بكتاب

ثم يقول :

وأرى بعين هواجسي ما بهرجت ... من باطل اطماعهم وكذاب
سطرت مآسيهم على حجراتهم ... بسهام اقدار جرت وحراب

أو يقول في أذى الناس للناس : (ص ١١٨)

اجد الصخر كان ألين قلبا ... من بني الناس ، والسوائم أهدى
رب صخر تفجر الماء منه ... فشفى لاعجا واطفأ وجدا
ومرد الاحقاد والسوء قلب ... لم يكن دهره عن السوء يهدأ

وفي المشاهد الشعبية ، والفنية عدنان مردم بك وصاف ، ومتعاطف ، اذن ، يصف الواقع ، ويتعاطف معه ، يشفق ويسترحم ، وأحيانا ينصح فيه أو يعظ ، فمثلا أثر وصف « لاعب السيرك » ، يقول : (ص ١١٨)

ليس بدعا اذا امرؤ ركب الهول ... اضطرارا لدرء ما هو اردى
عزيز على الكريم خنوع ... رب موت من المذلة اجدى

ويقول في « العازف العجوز » : (ص ١٢٩)

هتف الحشد للعجوز وزاغت ... نظرات من روعة الانغام
سألوه المزيد ، فأعجب لقوم ... يستميحون طائلا من حطام
هم بالعزف جاهدا فثنته ... عن مرام لواعج الاسقام

ويقول في « ندوة القصاص » : (ص ١٢٠)

ارجت بانفاس المحدث ندوة ... عصفت بسمار لها وصحاب
حرمت من الاثواب فهي فقيرة ... في عريها من مئزر وثياب
وتجلببت بقناعة وتعفف ... سترت خصائصها بألف نقاب
خلع الوقار على ذراها مطرفا ... من سؤدد لم ينتقص بمعاب
عريت فزيدت في النفوس مهابة ... كالسيف عريانا بغير قراب

وفي القصيدة يتعاطف الشاعر مع القصص نفسها فيصفها : (ص ١٢٣) .

غزوات عنترة الفوارس حية ... كالدهر ليس شبابها لتباب
وغرامه شرف الرجولة لم يشن ... يوما بشائبة وسوء معاب
ما كنت تدري قلبه ام سيفه ... أمضى وأنفذ فتكة برقاب

وبسبب هذا العاطف مع بعض الموضوعات ، والوجد الظاهر الذي يرفده جعل قصائد « من كنوز بلادي » هي التي تتعلق بدمشق ، مطرحاتها ، غوطتها ، ربوتها ، سفح دمر ، أزقتها الخ .. في حين جعل قصائد « وصف الطبيعة » حيادية لا ذكر لدمشق فيها ، والفارق بين

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ أحمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعين هذه المسحة الوجدانية التعاطفية ، التي نجدها تطبع القصائد الاولى ، في حين القصائد الاخرى وصفية موضوعية بلا حرى ..

أزقة دمشق القديمة بالنسبة اليه ذكريات ولواعج وسير الجدود وبطولات : (ص ٢٧)

فاذا ارى التاريخ قيد يد ومواكب الاجداد تحتشد

وغوطة دمشق جنة لا تغلق ابوابها للوافدين ، الذين يتدفقون بشوق نحوها : (ص ٣١)

وازاءها ماض يشوق كتابه فيه الفخار مدبج ومنمق

وبردى تروي انغامه وتعاد : (ص ٣٨)

تجد السفح على مزماره حن من وجد وللوجد انقاد

بعث الغابر حيا فازدهت بالسماديـر سفوح ووهاد

واذا الماضي كتاب جامع لمروءات وللجرح ضماد

الا اننا على الحالين نجد في كلا النوعين تسقط الواقع ، وتقري التصوير لذات الوصف .. حتى ليكاد القارىء امام الصور المحتشدة ، الحسية او المعنوية المحسوسة او المعقولة ، يلمس المشهد الموصوف ، مثلا يصف انهار دمشق عند الربوة : (ص ٣٤) .

انهارها نثرت مبعثرة من دونها وتواكبت تجري

وكانها الاقدار حين جرت وتدفقت بالنائل الغمر

ويقول في شجر الحور عند سفح دمر : (ص ٣٧)

وجرى النهر على اقدامها لينا سمحا ، وللموج انقياد

تجد الماء ترامى جاثيا كصريع الوجد أضواه السهاد

ويصف الشمس في الخريف : (ص ٨٤)

الشمس ما بين الغمام تطل شاحبة نحيله

وتدير عينا كحلت بلواعج الغصص الوبيله

أضواؤها من رقة رقصت كاشباح هزيله

وشعاعها شاع السقام به ولم تنفعه حيله

فهوى يدب كماجز أزرى به عبء الكلال

وختاما ، فان تجربة « عبير من دمشق » للشاعر الكبير عدنان مردم بك ، في موضوعها الموحد عن دمشق ، مطرحاتها ومشاهدها ، تجربة شيقة ونيرة ، صادقة واصيلة ، في شعرنا العربي السوري الحديث ...

وقد اتحفنا صاحبها بالاوصاف الفنية المختلفة ، وهي وصف للوصف رفيع وناجح ومتقن ، كما اتحفنا بالانسانية الفاضلة التي شملت الكون والمجتمع .. كما ملات قلوبنا حبا بالوطن والمواطن ، وحبا بمثل الفخار والمجد والكرامة .. والى اللقاء في ديوان مقبل ..

دمشق — عدنان بن ذريل

•

ديوان ابن الدهان الموصلي

تحقيق عبد الله الجبوري ـ ٢٨٠ صفحة ـ ساعدت وزارة التربية العراقية على نشره ـ مطبعة المعارف ببغداد

للامة العربية تراث زاهر .. ذو اصالة كريمة ومكانة عظيمة وان هذا التراث يمنح الامة عطاء ضخما فهو جدير بأن يعنى به عناية غالية ويدرس باهتمام بالغ . ولكم يبهجنا ما يقوم به لفيف من الادباء والمفكرين من جهد مشكور وعمل متواصل لاحياء هذا التراث الذي يضم كنوزا فكرية خلاقة ويعكس لنا صورا من الحياة الادبية والعلمية في عهود بعيدة . فيبرز في العراق ومصر وسوريا ولبنان وفي معظم الاقطار العربية شباب واعي حريص على اداء رسالته الملقاة على عاتقه وهي خدمة التراث ورعايته بجد واخلاص وكتب التراث كثيرة لا يسعنا ان نتحدث عنها بهذا الغرض السريع الموجز .

فقد حقق لنا الدارسون الافاضل من كتب التراث ما يتجاوز الحصر والعد . ومن النماذج التي نعرض اليها ، ديوان ابن الدهان الموصلي المتوفي سنة ٥٨١ للهجرة . وقد حققه الاستاذ البارع والاديب اللامع السيد عبد الله الجبوري . ودرس الشاعر والديوان دراسة موضوعية مستوعبة ، وقد عودنا الجبوري على مثل هذا المجهود الرائع بكتبه القيمة التي اتحف بها المكتبة العربية . والديوان الذي نتحدث عنه يعبر عن شاعرية فذة ذات اسلوب كلاسيكي رفيع واطار بديع جزل المعنى بهي الصورة موسيقي اللفظ .

وهو يقع في (٢٨٠) صفحة من القطع الكبير وقد صنع له الاستاذ المحقق مقدمة ضافية تحدث فيها عن ابن الدهان . مشيرا الى الذين لقبوا بهذا اللقب « ابن الدهان » . ومترجما لصاحب الديوان ترجمة وافية ذاكرا الاراء التي وردت فيه مع بيان الدافع الذي حفزه على القيام بنشر هذا الديوان ...

وبعد هذا التمهيد الجميل نقف على قصائد الديوان ، واول ما تطالعنا فيه قصيدة مطلعها :

أعلمت بعدك وقفتي بالاجرع ورضى طلولك عن دموعي الهمع

وهذه القصيدة تربو على الخمسين بيتا في مدح القائد العربي صلاح الدين الايوبي ثم يردفها بأربع قصائد اخرى بمدحه ايضا .

ولعل وجود هذه القصائد في مقدمة الديوان تلهمنا وحيا يبصرنا كيف تحررت القدس بالامس من أيدي الصليبيين ، وكيف تستصرخ اليوم القائد العربي الذي ينبض في عروقه دم صلاح الدين ليخلصها من الدخلاء . الآثمين . كما خلصت بالامس من ايدي الصليبيين و « عسى ان لا تضن الايام بصلاح جديد ينقذ الامة ويطهر القدس ، والليالي حبالى » .

ثم تاتي قصائد الديوان وهي ما بين مديح ورثاء لبعض الشخصيات التي عاصرها الشاعر وربما وردت أبيات تغزل الشاعر بها ، وهي نزر يسير .

والجدير بالذكر ان الاخ الجبوري يتمتع بحثه بموضوعية تامة . فهو يحقق النصوص بدقة ، شارحا لها الشروح الضرورية الكافية . وحين يقف على بعض النصوص التي اضطربت فيها اثار جملة او كلمة فانه لا يتصرف بالنص ولا يضيع على القارىء رأيه ونظره .. فانه يضع نقطا على الفوامض من الكلمات . هكذا (....)

وما ذلك ببعيد على السيد الجبوري ، فله من رهافة الحس ، والذوق والاناة في البحث ما يجعله ذا شخصية موضوعية . وان قراءه يشهدون معي بهذا السمت وبهذه السمة ، التي قل ان يتسم بها المحققون . فكثير منهم يتصرف بالنص تصرفا مقيتا قد يفقد فيه النص دلالته .. او تذهب الدراسة الجادة ادراج الرياح ، كما وقد اثبت المحقق تكملة للديوان لم تكن موجودة في النسخة الاصلية وانما استخرجها من بطون الكتب . واختتم كتابه بفهارس عامة لاسماء المصادر والمراجع ، والاعلام ، والامكنة ، والبقاع ، والقوافي ، مع استدراكات مهمة اضافت الى تحقيق الديوان جهداً مشكورا .

وبعد ، فالديوان الذي بين ايدينا ، وان كان يعبر عن روح شاعر ينزع الى العصر القديم ويستقر شعره على ارض هاجر عنها الشعراء المحدثون ، الا ان انتشاله من ايدي التلف والضياع واصداره الى عالم النور بطبعه يفتح ابواب الثناء لمن اجهد نفسه في اخراجه .. واصداره ...

تحية اكبار وتقدير للاخ الجبوري الذي ضم الى مكتبة التراث الادبي كتابا (جديدا) لا يستغنى عنه . وشكرا على هديته التي اتحفنا بها .

النجف الاشرف — محمد رضا آل صادق



فلوري عبد الملك

الشاعرة فلوري عبد الملك

بقلم نقولا يوسف

* * *

لم تزل حديقة الشعر زاهرة على شاطىء الاسكندرية منذ ثلاثة وعشرين قرنا تنبت من حقبة لاخرى الوان القصيد والازجال والاناشيد .. ويتعهدها جيل بعد جيل من الشعراء والشاعرات (١) . فاذا عبرت سريعا اغوار الزمان ، منذ عهد مدرسة الشعر السكندرية « الهيلينستية » وشعراء « الابجرامة » (٢) في القرن الرابع قبل الميلاد ، وادركت شروق العصر العربي منذ القرن السابع الميلادي ، شهدت باقات من غرس شعراء العربية في مختلف العصور والالوان والعطور ، معبرة تارة عن التصوف والزهد والايمان ، وتارة عن الدنيويات وصور الطبيعة والوجدان.. بينما تلمع بين الحين والحين وسط شوامخ الشعراء ، زهرة « شاعرة » ولدت على هذا الشاطىء او نقلت اليه نبتتها من قطر عربي شقيق ، لتنمو في ترابه الزعفراني ، وتترعرع في جوه البحري ، وتنشر حولها شعرا فيه من نسمات البحر وصخب الموج، وفيه من خواص ذلك المكان الحي المتجدد .. المتقلب .. الساحر ، البوتقة التي انصهرت فيها الحضارات والثقافات والسلالات ..

وها هنا شبت الشاعرة تقية الصورية (١١١١ – ١١٧٣م) والمولودة في دمشق ، ووردة اليازجي (١٨٣٨ – ١٩٢٤) صاحبة « حديقة لورد » والقادمة من لبنان ، ومنيرة توفيق (١٨٩٣ – ١٩٦٥) ناظمة ديوان « انوار منيرة » والمولودة في بور سعيد ، وجان ارقش (١٩٠٢ – ١٩٦١) ، ونيلي زنانيري ، وسيلين اكسيلوس – وثلاثتهن من أصل لبناني نظمن الشعر في الفرنسية – ثم الجيل الجديد من شاعرات الشباب تتقدمهن اليوم فلوري عبد الملك ، وعزيزة كانو .. وغير هؤلاء من العربيات .. وغيرهن من الشاعرات السكندريات الاوربيات .. والراحلات والقادمات .. والمقلدات والمجددات .

وهذا الحديث مقصور على احدثهن – الشاعرة الوجدانية المعاصرة فلوري عبد الملك صاحبة ديوان : « روح هائمة » (٣) – والتي عرفتها محافل الاسكندرية وخارجها في السنوات العشر الماضية ، واطلع الكثيرون على شعرها في الصحف ، او استمعوا اليه في الاذاعة ، وشهدتها الجموع الحاشدة وهي تلقي قصائدها في المنتديات الادبية ، ومهرجانات الشعر العربي في البلدان العربية ..

ومن نبعين ثريين فائقين – احدهما خاص محدود ، والآخر عام لا محدود – كانت شاعرتنا تستمد ملهماتها والوان صورها ومثارات وجدانها .. وان كانت صورا معبرة عن ذاتيتها ، وممثلة لشخصيتها في صدق وصراحة ..

كان الاول : عالمها الخاص .. دنياها المسورة .. حياتها البيتية .. الحيز المحدود الذي احتواها طفلة وصبية ثم زوجة وأم ، حصن الانثى الآمنة الوادعة ، تحميها جدرانه من أنواء الحياة العاتية ، وعناء الكدح وملاطمه .. وفي هذا الجو الربيعي الصافي الذي لم يخل – سنة الحياة – من بعض الغيوم السوداء ، كانت شاعرتنا تأنس الى ازهار حديقتها ، وذخائر مكتبتها ، والى معزفها ولوحاتها .. وينطلق خيالها وراء الجدار الى دنيا الناس .. وتنشد « حلم الغد » الحلم بالفن الذي به تحقق ذاتها ، وتسمو بحياتها وحياة من حولها . الفن الذي يجمل الوجود ويخفف من مشاق الحياة ..

حلمي هو الآتي البعيد موافيا عبر السنين باجمل الانغام
يشدو.. واحيا استقي من شدوه دفئا يشع رضا بقلبي النامي
نبضاته اللهفى تصفق عندما يجتاحني شوقي الى احلامي !

وهذه الاحلام التي تطمح الى تحقيقها وتقدمها الى العالم :

(١) تحدثنا في اجمال عن عدد من شعراء الاسكندرية وشاعراتها من شتى عصورها في كتاب « اعلام من الاسكندرية » – نوفمبر ١٩٦٩ – (٢) الابجرامة شعر المقطوعات القصيرة الوجدانية والقصصية والرثائية – الذي ساد شعراء الاسكندرية في عصرها الهيلينستي . (٣) ديوان « روح هائمة » لفلوري عبد الملك – صدر عن دار المعارف بالاسكندرية في نوفمبر ١٩٦٩ – ويشتمل على سبعين قصيدة : – (خواطر ، ومن وحي الاسرة ،ومن وحي الطبيعة ، ومن وحي المنصورة ، ومن وحي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي في كتاب ضم اشعارا بهـا ... خفقات عمري وانطلاق هيامي
هي في رسوم ابدعتها ريشتي ... جاشت بها اصداء روحي الظامي
هي شدو اوتار يداعب مسمعي ... وينيلني افق الخيال السامي
أمل يداعب يقظتي ومنامي ... هل يا ترى تسخو به ايامي ؟!

لقد ولدت الشاعر فلوري عبد الملك بمدينة المنصورة على شاطىء النيل شمالي الدلتا بالاقليم المصري ، بلدة حسناء طالما الهمت عددا من ابنائها الادباء (٤) .. وهناك امضت طفولتها وشطرا من صباها بين اسرة شرقية ميسورة تتوارث تقاليدها الخلقية وعاداتها النقية ـ كان والدها طبيبا فاضلا تستهويه الفنون والمطالعات ، وسمى ابنته : « فلوري » من صفات الزهر ونضرته ، كما كانت امها تمارس الموسيقى في بيتها ـ فحببا الى طفلتهما الفن والقراءة .. وما بلغت الرابعة عشرة حتى كانت تعالج الشعر وتنظم الزجل .. اما مسقط راسها « المنصورة » فقد ترك في نفسها انطباعات جمالية لم تنسها . ورأينا في ديوانها بابا سمته : « من وحي المنصورة » ـ تخيرت فيه اربع اغنيات من ارق شعر الوصف والحنين ، جعلت لها هذه العناوين : « في الطريق للمنصورة » و « حديث النهر » و « بيتنا المهجور في المنصورة » و « للمنصورة جمال ومجد » : (٥)

لي ذكريات عشتها بين الضلوع طويتها
عبر السنين .. وصنتها
لي فيك من عهد الصبا ـ احلام !
أشتاق لو احيا السنين ، بظلال مرتعك الامين
والنهر يطفر بالحنين
ويفيض من همساته الانغام ..

واذا ما زارت مسقط الراس بعد طوال الاعوام ، ومرت ببيتها المهجور ، هاجتها الذكريات :

أهفو له في غيبتي حتى أعود بلهفتي
القاه ناح بائسة
وتعيش في حجراته الاوهام !!

ولم تلبث الصبية أن ودعت بلدتها لتطوف مع ابيها الطبيب المتنقل بين شمالي مصر وجنوبيها .. وفي احدى مدن الصعيد يلحقها بمدرسة للراهبات تتلقى بها خلال ثلاث سنوات مبادىء العربية والفرنسية ، وتتعرف الى آدابهما .. ولما ان انتقل الى بلدة اخرى ، رأى ان يوفر على ابنته تبدل المدارس فادخلها بالقسم الداخلي بكلية للبنات في القاهرة حيث اتمت دراستها الثانوية وحازت « الشهادة التوجيهية » متفوقة دائما في فرقها المدرسية .. وشاءت ان تواصل دراستها في الجامعة ، وشاء والدها أن تستزيد في البيت من ثقافتها الفنية التي تحبها ، ومن الشؤون المنزلية التي تؤهل الفتاة للحياة الزوجية الراضية .. وقبعت في بيتها تتمرس بالشعر والموسيقى والتصوير الى جانب « التدبير المنزلي » ، وتحلم باستكمال تعليمها الجامعي ـ الحلم الذي حققته منذ عهد قريب ـ وظل طيرنا الجميل بضع سنوات يتغنى في قفصه الذهبي بالالحان ويتغذى بالاحلام قبل ان ينطلق من وراء الجدار الى الفضاء الرحيب :

وحين يرف عبير الاماني
يحلق بي ويشق الفضاء
أهم ، كطير الربا ، من مكاني
فتصدمني شامخات البناء
وتدمى الجراح
فاطوي الجناح
وتجفل روحي وراء الجدار !.
وحين يشقشق فجر الامل
ويرتشف الليل في لحظة
ويغمر قلبي الرجاء الثمل
فيشدو ويرقص من نشوتي
يحد انطلاقي
فيغدو انسحاقي
انينا ، وشعرا وراء الجدار ! (٦)

وتبدأ صفحة جديدة من حياة شاعرتنا البيتية ، وترى فيها صورا جديدة تثير شاعريتها ، حين تتزوج عام ١٩٥٠ من ابن عمها الطبيب الاديب دكتور شكري عبد الملك ، وحين تنجب ولدين وبنتين ، ويستأثر الاطفال برعايتها وعنايتها .. ويبدون لها قصائد حية تحرك وجدانها ، وتلهمها حياتهم الملائكية شعرا عذبا ـ شعر الامومة العطوف الرؤوم ـ و « من وحي الاسرة » الشطر الساطع الملهب بديوانها نقع على سبع ترانيم انشدتها في اطفالها ، تحمل هذه العناوين : « ينام كالملاك » .. «طفلي المريض » .. « ماما » .. « يا صغيري » .. « كلام الصغير الحبيب » .. « في العالم البريء » .. « في الطريق ـ الى الغد » :

وحين تقول لي « ماما » ... أكاد أضم دنياكا
لاحضاني .. لآمالي ... لقلب بات يهواكا
وتبدو لي كقيثار ... يترجم حلو معناكا
وحين تقص لي امرا ... تغشاك فابكاكا
وأضحى الشدو والنجوى ... شجى يكسو محياكا
رويت حديثك الباكي ... على انغام شكواكا
فلم افهم سوى حدسي ... بما ترويه عيناكا !! (٧)

والحق لم يستأثر اطفالها بقلبها كله ، فقد كان لشريك حياتها حظا وافرا من ترانيم هذا القلب السخي : « رفيق رحلتي » .. « انيس الحياة » .. « اتذكر » .. « في ضوء القمر » :

يا للحياة كم تجود وتفي
وانت قربي يا رفيق رحلتي !

وأمها ـ « الى امي الحبيبة » .. « شكرا يا أماه » :

وقد نضجت حياتي غير اني

حواء ، ومن وحي الظروف الوطنية) ـ (٤) من مواليد المنصورة الشعراء : علي محمود طه ، ومحمد عبد الغني حسن ، وعبد الرحمن صدقي ، ومن الشاعرات : جميلة العلايلي ، وفلوري عبد الملك . وممن نشأوا بها : صالح جودت ، ومحمد الهمشري ، وكامل الشناوي وغيرهم .. (٥) ص ١٢٧ ـ ١٣٩ ديوان « روح هائمة » ـ (٦) وراء الجدار ص ١٩ ـ ٢١ ـ (٧) « كلام الصغير الحبيب » ص ٦٥ ـ (٨)

على عهدي صغيرتك الودوده
أتوق الى سماع حديث أمي
ترف عليه احلامي السعيده

ووالدها ـ « طال رحيلك يا أبي » .. « أحن اليك» .. « الذكرى الثالثة لوالدي الحبيب » :

واغوص في الذكرى واطياف الرؤى
صحبت حياتي منذ اول خطوة
حين انتشينا بالحنان وعطفه
ومذاق حلو العيش وقت طفولتي .

وشقيقها الطبيب الذي نعي اليها في شرخ الشباب ـ ها هي تناجيه ، مؤمنة بخلود الروح :

من صرت ـ يا من كنت لي روحا شقيق
أرجو بقاه ؟
فمضى .. وغابت بسمة الوجه الشفيق
وخبا ضياه ..
لا تسأليني من أنا ـ سري العميق
عمري طواه
اختاه لو ادركت ما الخلد العريق
او ما مداه
شتان ما بين الدجى أرض الرقيق
وسما الاله ! (٨)

حتى اذا مـا شب اطفالها ، ودخلوا المدارس ، واحست شاعرتنا بفسحة من الوقت وشيء من الراحة ، حملت حقيبة كتبها ، والتحقت عام ١٩٦٥ طالبة بكلية الآداب ـ قسم الفلسفة بجامعة الاسكندرية ـ قالت « ان الفلسفة موسيقى العقل ، كما ان الشعر موسيقى الروح ، والالوان موسيقى العين ! » وأمضت أربع سنوات تحضر المحاضرات ، وتستذكر المؤلفات ، وتدخل الامتحانات ، حتى فازت باجازة « ليسانس » الفلسفة والاجتماع في يونيه ١٩٦٦ ـ وشرعت تعد رسالة فلسفية لاجازة « الماجستير » وما يليها ..

وهي في انطلاقها من برجها العاجي الى العالم الاكبر ، راحت تنشد قصائدها امام الجماهير الحاشدة في محافل الادب ومهرجانات الشعر المنعقدة في شتى البلدان . واستمع الناس الى قصيدتها « نداء السلام » في مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية عام ١٩٦٣ والى امنيتها القومية : « غدا نلتقي » في مهرجان الشعر السابع بغزة في مارس ١٩٦٦ وفي اجتماع ادباء « المنصورة » في العام نفسه .. والى منظومتها : « مشاعر قلب في الربيع الحزين » بمهرجان الشعر الثامن بالقاهرة (مارس ١٩٦٨) .. كما شاركت بقصيدتها : « من اجل فلسطين » في الكتاب الذي اصدره شعراء الاسكندرية بعنوان : « فلسطين عربية » عام ١٩٦٥ .. وفي مجموعتهم : « ديوان الاسكندرية » عام ١٩٦٦ .. واخذت تنشر شعرها في الصحف والمجلات العربية .. ثم جمعت سبعين قصيدة مختارة من شعرها ، وطبعتها في خريف ١٩٦٩ مزينة برسوم من ريشتها ، في ديوانها : « روح هائمة » هي روحها الطيبة الثائرة وقد طفقت تهيم في فضاء الله تذرعه !.

وهي ايضا تتخطى حدود بلادها ، وتهيم في اقطار الارض ، مستطلعة ازمات الشعوب ، وتخبطها بين الكمالات والنقائص ، وتطوف ببلدان لبنان واليونان وقبرص وفرنسا والمانيا وايطاليا .. وغيرها .. الى جانب جولاتها في المدن والقرى المصرية من غزة الى اسوان ..

وانها في خروجها من قفصها الذهبي ، اشبه بالطير الاليف ساعة ينطلق من حيزه الضيق الى رحابة الفضاء ، فيواجه غرائز الغاب ، ومصارعة الخير والشر فتتملكه الحيرة والقلق :

تهامس بالعش طير ولوع
وطير شدا .
وبين ضلوعي اضيئت شموع
لحب بدا
وطاف بأفقي نداء وديع
وذاب الصدى
تراني أتوه وحولي الجموع
وافقي سدى !!

وتتحول الهمسات الى صرخات ثائرة تتناوح مع الرياح بين اليأس والامل :

اود لو بكيت من حدة الطعان
اود لو ضحكت لهمسة الحنان
فدمعي وضحكي ارادة الزمان
اود لو سخرت من قسوة الحياة
اود لو زهدت ولذت بالصلاة
سخريتي ونسكي تراهما النجاة ؟
اود لو اعيش طليقة الجناح
اود لو اموت ثخينة الجراح
فعيشتي كموتي في قبضة الرياح ! !

لقد بارحت حواء عشها الدافىء طواعية ولم تغلق اذنيها عن ندائه ، ولم تحمل في جعبتها غير مثالياتها واحلامها وفنونها .. فاحتوتها خارجة العاصفة ، والدوامة خرجت لتصطدم بالعالم المتموج المضطرب ، عالم عصرها الحديث ، بخصائصه ورواسبه ، وصراعاته ومآسيه .. ووسط التيار المتحرك الجارف يتراءى لها سراب عشها من بعيد :

فتركت عشي والهموم تذيبني وحملت جرح النفس في اذلال
عودي الى عشي الحبيب ورددي اتى أقاسي من أسى ترحالي
وادور في دوامة من حيرتي ويتوه فكري من جوى البلبال !

« ويحي أنا حواء !! » ـ حتى العودة تأباها عليها الريح .. لقد خلقت للجهاد والتضحية والمقاساة . ولات مناص من قبضة عصرها الاهوج فهو يدور بها ويدفعها معه :

وانا اجاهد كي اعود لشاطئي والريح تأبى عودتي لربوعي !

من وحي الاسرة عشرون قصيدة (٩) ثورة نفس ص ٦ (١٠) من وحي الظروف الوطنية ص ١٧١ ـ ١٩٥ .

ولى شراعي عبر لـج احمـق ليصارع التيـار دون رجـوع
ويحي ! خلقت لكي اقاسي محنة يشقى بها لـو قسمت لجموع !!

ولا تملك شاعرتنا غير « صيحة » ترسلها : « الى كل من يمتلك القدرة على تخفيف آلام البشرية .. » :

لنكن عادلين ـ ننصف الثائرين .. من اذى الجائرين
يا رجال الدنا الغافلين ! ..
فنشيج الرجاء ـ شق قلب الفضاء ـ رافعا للسماء
صرخة ... من مهاوي الشقاء !
وهناك الانين ـ وجراح السنين ـ بشر متعبون
لا رفيق لهم في الشجون !!.

وترسل حواء ، الام ، الشاعرة ، همسا حائرا واملا شريدا لاخوتها الناس :

همس السلام : تفاهموا بالحب يا رسل الوفود
يا قادة الاوطان رفقا بالشعوب .. وما تريد !
اني اطالبكم بالا تشعلوا عودا بعود ..
لا تتركوا الشرر الاكول يفر من راي عنيد
ليشتت الشمل الاليف ويقتل النغم السعيد
ودعوا الرضيع لامه يحظى بما يحظى الوليد
لا تحرموه حضنها .. والدفء .. والامل الوحيد !

وفي عيد الميلاد ، عيـد السلام والمحبة ، تسمـع اجراس السلام « ترنمت والكون يبـدو نائما ، والجو لاح هائما .. سمعتها كانها من السما .. » :

ما اجمل السلام يطفو مزهرا
والحب قد عـم الورى
والامن بيننا سرى ..
ترى يسود السلم ارضنا .. ترى ؟؟

وتدور الايام ويعود الربيع الى « دنيا تشكلها النوايا الغادرة ، وتقودها روح البغاة السافرة .. » « واشتـد اعداء الحياة وقدموا قلب السلام الى السيوف الباترة » :

وعدالـة مطرودة عـن عرشها مصلوبة بيـد الحقـود السادرة
لو كان عالمنا اصاخ الـى الهدى والحب روى الانفس المتناحـرة
ما تاه صوت الحق عن افق الورى بل رف خفاقا يهـز منابـره !

وهذي فلسطين الشهيدة :

عاش المسيح بها وأسرى أحمـد وحنت اهلتها علـى الصلبـان
واصاخ واديهـا وشم جبالهـا لهدايـة الانجيـل والقـرآن
ونواضر الزيتون فـوق هضابها رمز السلام .. بمهبط الاديـان
عصفت بهـا سود الرياح فسممت اجواءهـا بالشـر والادران

لقد قتلوا السلام فـي ارض السلام .. وفرضوا الحدود ، وفرقوا شمل الحمى ، ولجأ الاهلون الى القفار .. ولكن « وغدا يبوء البغي بالخذلان » ..

وهي في مهرجان الشعر فـي غزة (مارس ١٩٦٦) تروي قصة أم تاه منها ابنها في هول النكبة سنة ١٩٤٨ فاحتجزته الحدود المزعومة ، وتوجه كلمتها « الى الضمير العالمي الذي اغمض عينيه عن وطن يستباح ، وأسر يتفرق افرادها في دروب الضياع » ـ ومما تقـول الام فـي قصتها الدامية : ـ (١٠)

في زحمة الحشد الحزين فقدتـه والليل جهم .. والدروب خفايا
وتدافعت تجري الفلول جزوعـة لم يبق في عرض الطريق سوايا
ارنو ولهفـة خاطري قـد مثلت شبحـا لطفـل ناشد لقيايا
مضت السنون البائسات ثقيلـة والحزن يـذوي نضرتـي وقوايا
او تنتفي تلـك الشرائم بالحمى وطنـا دعائمـه دم وضحايا ؟
وتقطع البلـد الابـي وشمالـه مزقا تذريها الريـاح .. بقايا
وعلـى الحدود فـؤاد أم ضارع وورائها ابـن يستدر أسايـا

ثم يلوح الامل باسما ويبشر الام بقرب العودة للبيت الحبيب :

ويعود من خلف الغيوب وشجوها ولـدي لحضن امومتي وهدايـا
ويظلل السلـم الحنون ديارنـا وهناك اشدو فـي ربوع صبايا

فنحن هنا نحتفي بمولد شاعرة عربية موهوبـة .. كانت ولادتها الادبية في سجل الشعر خلال الستينيات ، وفيها ترعرعت وتفتحت اكمامها ، وان كانت قد ولدت من قبل وقيثارتها معها ...

ولم تزل الشاعرة « فلوري عبد الملك » فـي ربيع حياتها ، ونضرة شبابها ، لم تتخط بعد المنتصف من رحلة العمر ، والطريق امامها ممتد الـى المستقبل .. والـى متاهات العصر الحديث .. ومجاهل التجاريب .. وكانت قفزتها الاولى في الستينيات السالفة ، وبدات الثانية مع مطلع السبعينيات . وما برح الطائر الاليف محلقا فـوق ارض المتاعب بجناحين من الحلم والمثل دون ان يغلق باب عشه وراءه ..

وما كان المستمع الى هذه الترانيم الرقيقة ليجهـل انها صادرة عن قلب انثوي يكتنز طبيعـة حواء ولطف مشاعرها . بها حنان الامومـة ، والحدب علـى الاسرة والطفولة، وحب الجمال في مختلف صوره الحية والثابتة .. وكراهية العنف والحرب والعدوان ، والاشادة بالسلم والاخاء وحقوق الانسان ، والعطف علـى المتالم والمريض من انسان وحيوان .. والتمسك بالاخلاقيات والمثـل والايمان .

وفي اسلوبها الشعري لا تشذ عن طبيعة الانثى في رقتها ودقتها فجاء سائغ المعنى سائغ العبارة ، لا يحاكي الرجل في عصفه وجلجلته .. وهو لا يرتبط بأهل القديم او أهل الحديث . وان كان قد ارضى هؤلاء واولئك .. لا تكلف ها هنا ولا تزييف ، ولا تعقيـد ولا ابهـام ، ولا شطحات في الغموض والاوهام ..

كذلك ارضت جل القلوب فلسفتها المبشرة بالامـل فهي ايضا مليئة بصور الجمال المعنوية والمادية.. وليست هي للمستمتعين الخاملين بل للعاملين المكافحين ، ولاهل الخلق القوي والقلب النقـي الصابرين المؤمنين بعدالـة السماء .. الخالدين بعد فناء الجسد في دنيا البقاء :

كـم تعجبت لقوم هزهـم زيف الفناء
فـي حياة خادعتهم ببريـق وريـاء
حين ظنوا انهم قـد فلسفوها فـي ذكاء
يطلقون النفس سكرى ترتـوي كيف تشاء
قلت مهلا يا رفاقي ان مسعاكم هـراء
مـا حياة الارض الا رحلة تطـوي الهباء
ثم نرسو بعد جهد عند ميناء البقاء ..

الاسكندرية — نقولا يوسف

سجون الوجود

ثريا ملحس

•

•



الارض التي نمشي عليها
أصبحت عارية
بات العري لا يخجلنا
مثل الكلمة الصافية
لو الحرف فيها سيف او مطرقة
لو تقفز العين من الحجاج
لو زلزلت الارض أو مادت بنا
أصبحت الارض عارية
الزهر .. كانت أمي به تعنى
تيبست عروقه ضنى
الكرم كنت انفل فيه رؤى
صار أصفر ..
كل حبة منه جلد زمه الجفاف
كل شيء في دربنا جفاف
كل شيء في دربنا يباب
امي كلامها حلو الكلام
في قبر أمي
الصوت حنون في الرخام
على قبرها أعمدة قلصها الزمان
ضحكنا من يد النحات
من يد الفنان الذي يصنع
لم يخلد الفكر ..
لا الحجر .. لا الصخر .. لا الفرقد
ما يصنع ؟ لمن يرفع ؟
يصنع ، يرسم ، ينحت ، يتحدى الزمان
يهرب من السجون الرهيبة
الى انعدام الوجود
يبحث عن رؤى
أعظم ما في الوجود الفكر
وفوق الفكر
حيث لا مكان ولا زمن
أعظم ما في الوجود الخلود
ثم يعود
تعود الانامل للدود
تنهشها ، تمصها حتى الفناء
تلافيف العقل والحس والرؤى
كلها تنحل ، كانها بنت الرؤى
الحلم كبير .. صغير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما مس الفنا وجه أمي
أسرع .. أصرخ .. لقيتها ، لقيتها
تشدني ، أشدها
أسالها ، لا تجيب
صوتها يلتوي صمتا
خارج السجون
في قسمات وجهها الشحوب
ضاعت معاني الحياة
عينها كبيرة .. كانت بالامس صغيرة
ليتني المدى
انمد الى اعماق الارض
خارج الارض
أتلوى في أعماق الفضا
خارج الفضاء
ثم اعود كما كنت في عمر الصبا
عشرين .. عشرين الى الورا
كل عام يدفنه عام
بلا لون ، ولا نكهة للحياة
كانت أمي في الحديقة
تحب النمل والنحل وأشجارا عتيقة
تحبها .. كم مرة سالتها :
لم هذه الاشجار العتيقة
هذا الوجه كانه التاريخ ؟
تسد لنا الدرب من هنا
تسد لنا مجرى المياه والهوا
« هي الارض نحبها
هي حبة العنب بيتنا
نعشب ارضنا من وحوش الفلا
على ارضنا نسجد
نعفر الجباه نرقد
ذرة التراب ضننا بها
حتى الهلاك
ندافع عنها ، نبعد حتى الموات
غدا ، يدوس الخير من أرضنا
متوحش القدمين »
ما فهمت في ذلك الزمان
وبعد عشرين عاما
أعود الى الحديقة
راكعة ، اتقرى الشجر
فأعلو وأعلو معها حتى القمر

أتسلق عليها ، أفهمها
رائحة العطر فيها ما اندثر
رائحة التراب .. وراء عروق الدوالي
كهوف النمال .. عشيرتي .. أهلي
بـاب داري
ودعت أمي من باب داري
من سجن الى سجن
كل ما في الارض
من بقايا الارض للارض
كانت هنا ، تنكش الزرع
هناك كانت تقطف الورود
والياسمين والبيلسان والمسك
بيضاء مثل صنين
تسقط ندفا ندفا
كل شيء يسقط ندفا
كانه الامس الذي ولى
قـام يسعى
صوت أمي الحنون
وصوتي كذات البو في الصحارى
لا أرى شيئا ، لا احس
في رهبة اللقيا مع الخالق الاعلى
مع الشيء واللاشيء
أرى في يدي ، أسمع بالاخرى
بارد قبرها ، بارد وجهها
كقطعة ثلج بلا عروق
دفء الدم غريب
ان وقف القلب
عـاد الدم ثلجا
عـاد الدم الاخضر أبيض
والجسم عاد ترابا أربد
الثلج والتراب
يعود الصانع والنحات الى يباب
يعود الى جفاف
دربنـا جفاف
دربنـا يباب
دربنـا الارض هذي
غدا دربنا فوق الفضاء
حيث لا زمان ولا مكان

ثريـا ملحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

* * *

الاخلاق الفاضلة :

ان فيما يحدثنا به التاريخ مواعظ ، لو اعتبرنا بها لتجنبنا الكثير من العثرات ولتخطينا الكثير من المزالق دون ان نقع بها . وهذا التاريخ ـ واعني تاريخنا العربي ـ يحدثنا بالاقوال المأثورة ، التي قالها الاعلام من اسلافنا الغابرين ، فكان لها عند من سمعوها بالغ الاثر .

وان من هذا الذي يتخذ شاهدا على ذلك ، ما كتبه « عمر بن الخطاب » لامير الجيش في القادسية « سعد بن ابي وقاص » ، حين طلب منه المدد . وكان مما قاله فيه : « وعليك بالنظر في سواد جندك ، فانكم اذا جانبتم تقوى الله ، ماثلتم بذلك عدوكم ، فكاثروكم بعددهم ، فغلبوكم .. » .

وحين نمعن النظر في مضمون هذا القول ، نجد فيه مفتاح السر الخطير ، الذي كان ينتصر به اسلافنا في اكثر المعارك التي خاضوها ، وفتحوا بها رقعة من الارض تزيد على رقعة وطنهم الذي خرجوا منه مرات ومرات ، وفي امد من الزمن غير طويل .

انها تقوى الله اذن .. وقد حددها النبي الكريم لاتباعه المسلمين بكلمات حين اراد ان يصف المسلم الكامل في سلوكه الذي يلازم به تقوى الله ، فقال : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » . اليس معناها ان تطهر قلبك ولسانك من الشر ، فلا تنال بهما احدا من الناس .. الناس جميعا وليس المسلمين وحدهم ؟ اليس معنى ذلك ـ وفي عرفنا الحديث ـ ان تكون صاحب اخلاق فاضلة ، تواجه الناس بما لا تؤذيهم به من القول ، وتبطن لهم في صدرك مثل ذلك ، حين لا تبيت لهم المكائد ، ولا تشارك في ايقاع المكروه بأحد منهم ؟ .

لقد امد « عمر » قائده « سعدا » بكتائب من جنود الشام ، ولكنه علم علم اليقين ان هذا الجند الذي امده به لن يصنع شيئا ، اذا هو غفل عن تقوى الله ، تلك القوة الكامنة في النفوس ، والمدد الذي لا يهزم صاحبه ، ولا تكسر له شوكة ابدا .

وهذه الاخلاق الفاضلة التي عرفها اسلافنا على ذلك النحو ، اليست هي كل ما نفتقر اليه في عالمنا العربي الكبير ، وفي الحاضر الذي نعيشه اليوم ؟

نحن في امس الحاجة الى ان نحصن بها نفوسنا ، لتغسلها من الانانية القاتلة ، ومن الانتهازية البشعة ، ومن الوصولية الحمقاء ، ومن ايثار المصلحة الشخصية على مصلحة الامة والوطن .

نحن في حاجة ماسة الى مثل هذه الاخلاق ، لنسير في الطريق الذي سار به اسلافنا الى المجد ، وهم لا يعرفون الهزيمة ، ولا يضعون بين ايديهم الا احدى غايتين : النصر مع العزة والغلبة ، او الشهادة في سبيل الله .

وعند ذلك فقط .. سوف يكون كل نفر منا من مثل ذلك القائد العظيم خالد بن الوليد ، الذي قال وجنود العرب المسلمين تتقدم من نصر الى نصر في بلاد الشام : « انا لا اقاتل من أجل (عمر) ، وانما اجاهد في سبيل الله ... » وان كلمة « خالد » هذه لمن الاقوال المأثورة ، نجد فيها كما نجد في كل قول مأثور من مثلها في تاريخنا ، موضع العبرة في اوضح سماتها ، وما احوجنا اليوم الى مثل هذه العبرة لنعتبر بها ...

مخافة العثرات

كان يمسك القلم بيمناه ويطرح يده فوق صحيفة بسطها بين يديه ، وقد سجل فيها بضعة سطور ، وتوقف عند نهايتها ، وهو يسند راسه الى ظهر يسراه ، وعيناه نصف مغمضتين تحدقان في اللامحدود ، وكأنهما تبحثان عن هدف بعيد ، لم تظهر معالمه ولم تبد آثاره .

وتوقعت ان يدرك ضالته المنشودة ، فيعود الى الكتابة يتمها ، ويستوفي غايتها ، او يطوي صحيفته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعود الى واقعه ، يتبين ما حوله ، ويصرف شؤونه فيه.

ولكنه لم يفعل ذلك ، ورأيته يجاوز حده في هذا السكوت الحائر ، فاقتحمت عليه حجاب الصمت ، وانا اتحدث بصوت هامس حتى لا أبدد بنات افكاره ، وقلت : « بماذا تعثرت يا ترى .. حتى اطلت الوقوف ؟ .. » .

فالتفت الي مبتسما وهو يقول : « انها كلمات تزدحم على لساني ، ولست اعلم اين يكون فيها موضع الصواب ، فهناك (الوظيفة) و (المنصب) ، وهناك (الاخصائي) بفتح الصاد وتشديدها ، و (المتخصص) ، وهناك (الاكفاء) بتشديد الفاء ، و (الاكفاء) بفتحها ، و (الاكفياء) ، وهناك (الآذن) و (الساعي) ، فماذا نأخذ وماذا ندع ؟ واين هو موضع الصواب في ذلك .. ؟ » .

فقلت : « وما انت وهذا ، وما عهدتك متنطعا فيما تقوله او تكتبه ، وانك لتعلم ان من قبلنا قطعوا في حكمهم اذ قالوا : (ان خطأ شائعا خير من صحيح مهجور) ، فهل فاتك امر هذا ؟ . » .

قال : « بل انني كما عهدتني ، وما فاتني شيء مما قلت ، ولكنني اخشى ان اكتب كلاما اقع فيه من حيث لا ادري في المزالق ، فيسجل علي من يتعقبون خطئي ، فيحرجني ذلك امام الاخرين ، وامام نفسي ، فلا تعجب ان تساءلت » ..

قلت : « اما هذه فانت فيها على صواب ، وان مدى ما يبلغ اليه علمي ، ان (الوظيفة) هي مقدار من المال او الرزق يتناوله (الموظف له) في موعد حدد له . ومن أجل ذلك ورد في اقوالهم : (ان فلانا كانت له وظيفة يتقاضاها من السلطان عند كل هلال) .. و (التوظيف) عندهم هو التحديد . فمن كلامهم المأثور : (ان الخليفة وظف له الرزق ولدابته العلف) . وعلى ذلك تكون (المنصب) هي الافضل للمعنى المتداول بيننا .

واما الاخصائي بتشديد الصاد ، و (الاخصائي) بفتحها ، فهي جديدة في مدلولها . والذي عرفه العرب هو (الاخص) ، فقالوا : انه (الاخص) بين الاطباء ، اي : الافضل . فاذا كثروا فهم (الاخصاء) اي (الافاضل) ، على وزن (الاعز والاعزاء) . الا ان مرادهم من الكلمة التي ذكرتها انت غير ذلك . فهم يريدون منها : « انه تفرغ للامر وتخصص به » . وعلى ذلك فهو (المتخصص ، أي : المنفرد به دون غيره) ، وتلك اذن هي الاصوب .

واما الاكفاء (بتشديد الكاف) فهي جمع (كفيف) وهو الاعمى ، قياسا على (شديد واشداء) . بينما المراد هو (الكفء) اي : القادر وجمعها (أكفاء) على وزن (جزء واجزاء) . واما (اكفياء) فان مفردها (كفي) اي يغنيك عن غيره . وهي صحيحة كما اوردتها ، وقياسها (غنى واغنياء) .

ويبقى من ذلك قولك : (الاذن) و (الساعي) ، وما فيهما علة ، ولكن السالفين في تاريخنا قالوا : (الجلواز) وهي اعجمية معربة ، ولها قصة طريفة حدثت مع «القاضي الشعبي » ايام الخليفة عبد الملك بن مروان اذ شكا اليه اعرابي امراته ، فحكم لها عليه ، فقال يهجوه :

فتن الشعبي لما	رفع الطرف اليها
فتنته بجمال	وبخطي حاجبيها
قال للجلواز قربها	واحضر شاهديها
وقضى ظلما على الخصم	ولم يقض عليها

فسمى في شعره (ساعي المحكمة) او (اذنها) : (جلوازا) كما رأيت ، وربما كان هذا التعبير هو الشائع بينهم انذاك .

كذلك قلت لصاحبي ، احدد له مواضع الصواب فيما سأل عنه ، وما اكثر الذين يسألون مثل سؤاله ، فيصلح هذا الذي اوردته جوابا على ما يسألون ، وما احوجنا الى ان نبحث عن مواضع الصواب في لغتنا الجميلة ، حتى نفيها حقها من التكريم ، فلا نكتبها الا صحيحة منزهة عن الخطأ ، وحسبك ان الله كرمها حين انزل بها قرآنه ، وما اجله من تكريم .

شباب طامحون

الشباب في كل أمة هو عماد هذه الامة ، وهو الركيزة الوثيقة التي يتكيء عليها الوطن ، وتقوم من فوقها دعائم عزته ، وكرامته ، واستقلاله .. وانهم هم الشعلة الوضاءة التي تنير بين يديه مسالك الطريق . حين يمضي قدما الى بعيد الغايات ، يستعيد الغابر من الامجاد ، ويبدع الجديد من المآثر .

والشباب هم الصيحة المدوية ، التي تنبعث في وجه الباطل ، ترده على اعقابه وتصده عن غاياته، وتقسره على الهزيمة ، فاذا هو يولي الادبار مذموما مدحورا لا يلوي على شيء ، ولا تثبت له قدم .

والشباب هم بسمة الامل ، ونفحة الرجاء ، واطلالة الفجر الضاحك ، الذي تتجه اليه القلوب والابصار ، من ابناء الامة جميعا ، كلما تلبدت الحياة باليأس ، وكلما اظلم افق الغيب بالمجهول .

وكثيرا ما تكون هنالك آمال تراود النفوس ، ولكنها سرعان ما تذوب في اطواء كثيفة من التلكؤ ، والتردد ، والخذلان . ولكن الذين يحيلون هذا الامل الى واقع ، ويترجمونه الى حقيقة تنبض بالحياة ، انما هم اولئك الفتية الامجاد ، الذين لا يعرف الخذلان اليهم سبيلا .

أولئك هم الشباب الفالح في كل امة .. وانهم هم الذين غناهم امير الشعراء شوقي في الشطرة الثانية من بيته الذي يقول فيه :

شباب خنع لا خير فيهم	وبورك بالشباب الطامحينا

وما دمنا نعيش مع الامل الباسم ، وما دمنا نستقبل الاحلام التي سوف تستحيل الى حقائق ، فان شبابنا في الوطن العربي كله ، سوف يكونون جميعا من

رثاء عزيز ميرزا

شغل الفقيد الكريم منصب رئيس تحريـــر الاهرام
لمدة طويلة خلفـا للاستاذ انطون الجميل « باشا »

العوضي الوكيل

★ ★ ★

هـو حمل ـ كما علمت ـ ثقيـل ... والمودات فـي القلـوب حمـول
كيف أبكيك كفء قدرك عنـــدي ... وغزير الدمـــوع فيـك قليـــل
كيف أبكـــي ودا أرق مـــن الاز ... هـــار والروض يانـع مطلـــول
كيف أبكـي الوفـاء والادب الجـــ ... ـم وفضـــلا خصيمـه مفضـول
كيف أبكي أبـا رقيقـــا وأستـا ... ذا ، وخدنـا ، وصاحبا لا يحـول
وصديقا أن مال عنك لصرف الد ... هـــر قـوم فانـــه لا يميـــل
واماما فـــي كـل علـم وفـن ... ولسانا مـــن الشهـاد يسيـل
وحساما يصيب فـــي مقطع الحـ ... ـق ويمضي وهو الحمى الصقيل

مثل اولئك الذين عناهم شوقي فـــي شطرته الثانية .. فكلهم شباب طامحون ..

صديقك الذي صدقك

يا اخي القارىء . ما اكثر الذي يقوله لـك الكتاب وجماعة الادباء .. ويواجهونك به مع كل صباح ، ومـع كل مساء ، فاذا هو يطالعك في الصحف والمجلات ، واذا هو يصب في مسمعك من خلال امواج الاثير ، واذا هـو يواجهك على شاشة التلفاز .. واذا انت في غمرة مـــن ذلك كله ، لا تدري ماذا تأخذ وماذا تدع ، من هذا الذي تقراه ، وتسمعه ، وتراه .. وما اكثره حين يواجهونك به جملة وتفصيلا ..

لست اقول لك . انهم يظلمونك بهذا الذي يوجهونه اليك ، ويجعلونك فيه الهدف المتعمد ، فما ارادوا به الا الخير لك ، وما استهدفوا به الا ان ينيروا الطريق بـــين يديك ، بما تناهى اليهم من ضياء المعرفة ، وما امتلأت به ايديهم من ثمار التجارب ..

ولست اشفق عليك من هذا الذي تقراه ، وتسمعه ، وتراه . فانت تضيف به في كل يوم جديدا الى ما تعلم ، وما احوجك الى مثل هذا الجديد ، مـــا دامت الحكمة الخالدة في القول المأثور ، تتردد في مسمعك ، ويتجاوب فيها النطق الكريم . « اطلب العلم من المهد الى اللحد ».

لست اقصد ذلك .. ولا اعنيه .. وانمـا الـذي اقصده واعنيه ـ بعد هذا العرض ـ هو ان ابين لـك ، بانك واجد في هذا الذي تقراه ، وتسمعه ، وتراه ، كلاما مختلف الوجوه ، متعدد الغايات ، متنوع المقاصد . وفي خلاله ، وما بـــين ثناياه ، ضالتك المنشودة ، وطلبتـك المبتغاة ، وتلك هي كلمة الحـــق الخالصة لوجه الخير ، والمجردة من كل غرض ..

وعند هذه الكلمة ـ وحدهـا ـ يجب ان تقف .. بل عندها يجب ان تطيل وقوفك ، بمقدار مـا تستغرق منك النظرة الفاحصة ، ويستوعبه التـــروي البصير ، والتأمل المحكم ..

وان هذا الذي يقول لك كلمة الحق ، سواء في ذلك اكتبها ، أم نطق بها ، ام عرضها صورة مـن صور الحياة يعيش فيها اشخاصها، انما هو ـ وحده ـ صديقك الذي صدقك ، وانه هو الذي اخلص النية فيما انجزه لك .

ومن اجل ذلك ، فانه له عليك حقا .. وان من حقه عليك ، ان يكون موضع اهتمامك ، وان تحرص على لقائه حين يلقاك ، فتمنحه سمعك وبصرك وبصيرتك ، وتصغي اليه بكل جارحة من جوارح نفسك ، لتجد عنده الخير ، ولتسمع منه النصيحة الخالصة من كل شائبة، والارشاد خالصا من كل غرض ..

يا اخي القارىء ، ذلك ما اختتم به كلمتي اليـك ، وعلى امل ان القاك في عدد مقبل من هذه المجلة الزاهرة ، ارجو ان يحالفني التوفيق فيما اعده لك ، فاقول لك فيه كلمة الحق ..

عمان ـ الاردن — محمد سليم رشدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفؤادا اذا مضى حسم الامـ ـر ، وأمضى السيوف ثم كليل
وبيانا كمنطق الطير : تغريـ ـد وشدو مرنم وهديل
ولسانا مهذبا تجفل الفحـ ـشاء منه ويفزع التضليل
وحديثا أندى من الصبح والصبـ ـح على ربوة الربيع جميل
فيه من رقة النسيم صنوف وبه من شذى الورود شكول

ايها الكاتب الذي شاد فينا دولة للبيان ليست تدول
دولة شادها التفقه والعلـ ـم ، واعلى بناءها التحليل
ما بنتك « الاهرام » فيمن بنتهم بعلاها ، بل أنت بان جليل
زدت فيها على الشموخ شموخا فاستطالت ، وانت لا تستطيل
وتواريت خلفها كابيل (١) حين يخفي خلف الستور الابيل
ما تفيأت ظلها ، انما فضـ ـلك ظل على ذراها ظليل
ان تكن روضة فبعض رواها جدول منك دافق سلسبيل
أو تكن منهلا فمن فنك الفيا ض تهمي مياهه وتسيل
كل حرف كتبته في ذراها منهج رائع ، وفن جميل

يا صديقي ، ويا أخي وابي البـ ـر ، ومعنى ضلت مداه العقول
ان نكرناك ربما ينكر الشمـ ـس ، ضحى في السماء طرف كليل
او جهلناك ربما عاف ماء النـ ـيل عذبا فم مريض عليل
واذا لم نضع ورودا على قبـ ـرك يزهو بنظمها اكليل
واذا لم نضع شموعا على القبـ ـر فيدجي ظلامه ويطول
فكفى ان حول قبرك معنا ك مضيئا كأنه القنديل
طيبة ثمرة وخلقا رضيا وعبيرا يبقى ، وتفنى الفصول
كم نبي أتى فانكره النا س وكم ضاع في الانام رسول

يا عزيز الوفاء والفهم والحكـ ـمة ماذا ـ بالله ـ فيك أقول ؟
عقدت بعدك الخطوب لساني وانطوى بعد عهدك الترتيل
وذرفت الدموع فيك ففاض الـ ـدمع حزنا وقام عنه الذهول
وأشد الخطوب وقعا على النفـ ـس مصاب ضخم ودمع بخيل
ربما هاجت العواصف بالطيـ ـر ومنه فيهن جسم نسيل
ويح نفسي من الخطوب ، رعيلا يقتفيه الى الفؤاد رعيل
ورباطا منها وراء رباط وقبيلا يتلوه منها قبيل
واذا الترب ضم خدنا فشلو منك حزته بالحمام نصول

قال لي كيف أنت قلت عليل قف قليلا فقد يبل غليل
انما ساعة التفرق هول عي عنه التخييل والتهويل
اشرعت فلكك المنايا سراعا وذرا الخلد مرفأ مأمول

(١) الابيل : الراهب .

مصر الجديدة — العوضي الوكيل

كنت اجلس في مقهى صغير بمدينة السلط حينما مرت .. فتاة في الثامنة عشرة ، شقراء وترتدي مريولا اخضر اللون . شعرت بذلك التوتر المشدود في نفسي قد بدا يتراخى وانا اراقبها .. هزيلة ، تسير بخطوات كسولة ، وغدائر شعرها الاشقر تتطاير فوق كتفيها .. انها موديل رائع !!

عصرت اعوامي الثلاثين كلها في نظرة محرومة اطلقتها خلف تلك الفتاة لاسكت فضولي ، لكنني لم افلح .

ونسيت كل شيء وانا اطاردها بنظراتي الملهوفة .. نسيت الناس من حولي ، نسيت المعرض الذي سأشترك فيه ببيروت ، ونسيت انني كنت قبل لحظات افكر في وسيلة للخلاص من حياة الفندق .. كنت اريد غرفة هادئة .. غرفة صغيرة في احد الاحياء الشعبية ، حيث الاصالة العميقة التي انشدها دائما كي تلد رائعتي الفنية .. اريدها تحفة غنية ناضجة .. انها تتململ في نفسي منذ سنوات .

قمت عن الكرسي واسرعت اعدو خلف الفتاة . ولم اتوقف عن الجري حتى وقفت امامها . فوقفت هي الاخرى . حدقت في عينيها الحشيشيتين بنظرة بلهاء ، وانفاسي اللاهثة تصب جحيمها فوق شعرها الاشقر . ثم حاولت ان اكلمها ، لكن نظرتها الزاجرة حبست الكلام في حلقي ، فبقيت مشدوها احدق فيها بعينين متسعتين حتى رأيتها تمضي وهي تحاول واد ضحكة صغيرة كادت ان تفلت من بين شفتيها ..

واصابني شعور بالخزي حينما رايت اناسا كانوا يحدقون في وجهي ذاهلين ... كانت عيونهم توبخني .. تتهمني بالنذالة وقلة الذوق !!

اسرعت عائدا الى المقهى ، والخجل يسحقني من فعلتي الرعناء . وارقني التفكير حتى كدت انسى اولئك الذين اطلقتهم في المدينة بحثا عن غرفة استأجرها .

انقذني من شعوري الحانق على نفسي صوت « منذر » ، احد المجندين في خدمتي من اجل تلك الغرفة الموعودة :

ـ اهنئك يا صديقي . لقد وجدتها .

ـ وما هي التي وجدتها ؟

ـ الغرفة ، تلك التي ستلد فيها رائعتك الفنية .

ثم اردف ساخرا :

ـ ترى ، هل سأعيش لأرى تلك الرائعة !

ولم افرح . وجدت نفسي اقول :

ـ يا الهي . لقد سرقت قلبي في لحظة واحدة !

الرائعة

كان العدوان الاسرائيلي على مدينة السلط في ٤ ـ ٨ ـ ١٩٦٨

بقلم علي فودة

ـ عم تتحدث ؟

ـ لا شيء . لا شيء . انها الغرفة ...

★

سرنا متجهين نحو الغرفة، والغيظ يتأزم في نفسي .. كنت افكر في صوت المذيع حينما اعلن قبل دقائق من محطة صوت العرب : « توقع هجوم العدو على الضفة الشرقية من الاردن » .

وسألت منذر :

ـ اتظن انهم سيهاجمون « عمان » هذه المرة ؟

ورد ببرود مقيت :

ـ ربما ...

ومضينا في طريقنا .. كانت الطريق تحف بأشجار التين والرمان. الكرمة تتسلق الجبال . واشجار من الجوز والدفلى تتزاحم في بعض الاماكن بتناسق بهيج .. شعرت بالغبطة تمسح غيظي . احسست ان هذه الطبيعة الساحرة اقوى من هجوم العدو !

وقفنا امام غرفتين صغيرتين ، فتنحنح صديقي صائحا :

ـ « ابو احمد » .

خرج من البيت عجوز اشيب الشعر . رحب بنا بحرارة ، ثم اجلسنا في احدى الغرفتين .

قام ابو احمد ليريني غرفتي التي سأستأجرها ، فدهشت حينما علمت انها ستكون هذه الغرفة التي نجلس فيها . واسرعت اقول لصديقي حالما خرج الرجل ليحضر لنا القهوة :

ـ عليك اللعنة . حتى الفأر نفسه يرفض السكن في جحر حقير كهذا !

ـ من يدري !! قد يهبط الالهام هنا وتلد الرائعة . ترى ، اتظن انني سأعيش حتى اراها !

قلت باهتياج :

ـ لست ادري .

وقاطع دخول الرجل بالقهوة نظرات صديقي الساخرة ، فعاد يقتصب ابتسامة من شفتيه وهو يسمع الرجل يرحب بنا :

ـ « اهلا وسهلا . اهلا وسهلا . ان شاء الله عجبتكم الغرفة، دينارين ونص شهريا » .

قلت وفي نيتي أن لا استأجرها :

ـ سنفكر في الموضوع .

وما ان خرجت من العتبة حتى تسمرت عيناي فوق غدائر شعرها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاشقر ، شعرت وكان الدنيا قد ابتسمت في وجهي . حدقت في عينيها الحشيشيتين ، فتهت في دنياهما الحالمة ..

وجدت نفسي اهمس ذاهلا :

ـ انت ثانية ؟!

ورايتها تدخل الغرفة الثانية وهي تحاول واد ضحكة صغيرة كادت ان تفلت من بين شفتيها كالمرة السابقة.

اخرجت من جيبي ثلاثة دنانير . وضعتها في يد الرجل وانطلقت دون ان التفت خلفي ..

★

وصارت « هيام » تزورني في غرفتي ونتحدث .. حدثتني عن حياتها مع ابيها . وعن الوحدة والفراغ اللذين تعاني منهما بعد وفاة والدتها . وعن زميلاتها والمعلمات و .. عن كل شيء . كل شيء .

وصرت ارسمها .. رسمتها وهي واقفة ، وهي جالسة ، وهي تبتسم ، وهي تمد لسانها و .. كنا سعداء . نضحك كثيراً .

واعتدت وجود هيام بجانبي حتى انني صرت اشعر بفراغ كبير حينما تذهب الى المدرسة .. وذات مرة جاءتني هيام اثر عودتها من المدرسة . وضعت حقيبة كتبها جانبا ، ثم وقفت امامي ضاحكة :

ـ هيا وارسمني ايها الفنان الفاشل .

ـ ما عليك الا ان تغمضي عينيك حتى ابدأ في الرسم فورا ..

واغمضت عينيها ، فتقدمت منها بخفة ، وسرقت من شفتيها قبلة سريعة مذعورة ..

رغرغت الدموع في عينيها الحشيشيتين . نظرت الي بتأنيب ، ثم مضت والدموع فوق خديها .

شعرت بنفس ذلك الاحساس بالخجل الساحق حينما اعترضت طريقها في المرة الاولى . وعاودني الشعور بالغضب الاهوج على تصرفاتي الحمقاء . فقمت لانفض عني رداء الحنق بالخروج من البيت ، لكنني فوجئت بدخول منذر . ابتدرني قائلا :

ـ هل سمعت بالدوان الجديد ؟

ـ عدوان ؟!

ـ على مدينة اربد وقراها . لقد ابتدأ قبل اكثر من عشر دقائق .

ـ يا للشيطان !! وماذا .. ؟

قاطعني قائلا :

ـ وماذا سيكون ؟ بعض القتلى والجرحى ، وركام بعض المنازل .. لا شيء اكثر من هذا .. ولكن ، قل لي : ما اخبار رائعتك المنتظرة ؟

قلت بملل :

ـ كالعادة . انها تتململ في نفسي !

وكادت السخرية تنطق في عينيه وهو يقول :

ـ ترى ، اتظن انني سأعيش حتى اراها ؟

قلت وفي نيتي ان اغيظه :

ـ من يدري . قد تموت !!

★

ركبت السيارة متجها الى عمان .. كنت اريد السفر الى بيروت لاشترك في احد المعارض هناك .. اريد ان اتجول في مراسمها ، ارى المعارض التي تقام هناك ، اتعرف على الفن الحقيقي في بلد الفنون .. اريد ان اتعلم كيف ابدع رائعتي .

في الطريق صرت افكر بهيام .. لقد رفضت ان تكلمني او تودعني ولو بنظرة ، ومع ذلك فقد كتبت لها عنواني ببيروت ، وتركته على الطاولة . وشعرت بالنقمة على تصرفاتي من جديد . فاحسست وكان عيونا تعاود التحديق بي وتتهمني بالنذالة وقلة الذوق .

نزلت من السيارة واتجهت الى المطار . وبعد وقت قصير كنت اتجول في شوارع بيروت .. ان بيروت عروس فاتنة !

طفت بالمراسم . قابلت كثيرا من الفنانين .. لكنني شعرت ان اكثر ما رايته بعيد عن الاصالة العميقة التي انشدها .

واشتركت في المعرض ، فعاد الناس يؤكدون فشلي ! لكنني لم اقتنع .. كان شيء يصر في داخلي : لا بد ان افعل شيئا ، لا بد ان ابدع تلك الرائعة التي تتململ في نفسي منذ سنوات .

وذات يوم ...

دخلت الفندق الذي انزل فيه ببيروت ، ففوجئت برسالة . فتحت الرسالة بلهفة ، فوجدت هذه الكلمات : « عاصم .. استحلفك بتلك القبلة اليتيمة ان تعود . عد الي يا حبيبي . عد الي . انني اتعذب .. هيام » .

طويت قلبي مع الرسالة وانطلقت .. احسست بالطرب يدغدغ فؤادي. اجتاحتني موجة من الفرح الحالم . يا الهي .. ان حبها يعشش في جذوري .

وطرت الى عمان .. كانت اول عبارة التقطتها اذناي من المذياع : « هجوم وحشي على مدينة السلط » وقفز قلبي . اسرعت كالملدوغ . المذيع يصرح : « العديد من الضحايا الابرياء » .

نزلت من السيارة ، واسرعت اعدو الى الغرفة .. كان كل عرق في يجري .. يريد ان يراها .

ورايتها .. كانت عيناها الحشيشيتان تبكيان . اقتربت منها احدهدها ، لكنها ازدادت في النشيج فوق صدري . كانت تردد : « منذر . منذر » .

وصرخت : منذر ، هل قتل ؟

واسرعت الى بيته .. كان في غرفته مضرجا بدمائه ، وابتسامة طاهرة ترتسم فوق جبينه الاسمر ..

عدت الى غرفتي والدموع تتزاحم في عيني ، وانا ارى غيره عديدين من الضحايا الابرياء ..

★

اقتحمت هيام علي الباب ، وهي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مواسم القطاف

★

.. ومن هنا ،
من شرفتي التي تنام في العراء ،
على سرير العتمة الدجيه ،
وتستعير من خواطر السماء
خرافة تسامر الخيال في العشيه ..
من شرفتي الحبيبه ،
أهدي اليك الود والتحيه !

بالامس ، يا حزينة الجمال ،
بالامس ،
كنت في تطلع الربيع ،
وكنت في تبسم الجراح والدموع ..
بالامس كنت لا أحب أن أجوع ..
لانني جنحت في تفاهة الخيال ،
لانني غرقت كالاطفال
في ضلالة الحنان والولوع ..
لانني نفضت عن رجولتي
مشاغل الرجال !

بالامس كنت لا أصدق الشقاء
لانني خلعت ثوبي المنسوج
من مرارة الشقاء ..
ورحت ، في وداعتي ، أصادق الرجاء ..
فصدني الصقيع في عينيك ،
في خديك ،
في يديك ،
في ...
وأخرست توهمي .. حقيقة الشتاء ،
وأخرست حرارتي .. برودة الشتاء ،
وعربدت في خاطري ،
حقيقتي .. حقيقة الغباء !!

والآن لم أعد أخاف ،
ولم أعد اواجه المجهول بالوجل ،
الآن صوحت ازاهر الامل ،
ورحت أمضغ السقوط والفشل !

الآن لم أعد أخاف ،
لانني غدوت كالغريب
في مواسم القطاف !!

فوزي عطوي

تصيح غاضبة :

ـ هل تريد ان تموت جوعـا ؟ هذا هو يومك الثالث !!

لكنها تسمرت .. اخذت تحدق بدهشة .. كان الاعجاب يرتسم في عينيها الحشيشيتين. نظرت الي معجبة :

ـ هل انت حقا من صنع هـذه التحفة !؟

ـ ...

ـ يا الهي .. لكنها صورة منذر ، ونساء واطفال قتلوا يوم العدوان على المدينة !!

وعرضت اللوحة .. صار الجميع يؤكدون ان واضعها فنان حقيقي ..انها رائعة رائعة حقا !!

وتصاعد سعرها . لقدوصل حدا خياليا . لكنني رفضت ان ابيعها .. كنت احس انها ليست ملكي .. لم افعل شيئا .. ان منذر هو الذي ابدعها .. انها رائعته !!

والقيت على اللوحة نظرة اخيرة ، قبل ان اضع يدي بيد هيام ونعود الى البيت، فرأيت عيني منذر تطلان من خلفها وكانهما تقولان بسخرية :

« ترى ، هل ساعيش لارى تلك الرائعة !! »

الاردن **علي فودة**

دقائق سوداء

الى الاب يوسف سعيد

☆

أفتش عن نفسي بنفسي فلا أرى ... سوى شبح يطفو وآخر يختفي
وأشلاء أطياف حرار تبعثرت ... على رف أكمامي وملتف معطفي
أراهن عبر الظن في مبهم الرؤى ... لكالضوء يعلو في الضباب وينطفي

تضيع الصواري حاملات رياحها ... الى العمق لا تدري الى اي مشرف
هو البحر ، بحر الدر والسر والردى ... وصحو كأخلاق الربيع المفوف
يناجيك في خلجانه همس همسه ... ويفنيك في أنوائه قاع صفصف

روت مقلتي عن مقلتي وتساقطت ... بقايا الصبا من غصني المتجفف
اناء سكبت الشوق فيه فما ارتوى ... جناحي ولا اعيا من الرشف مرشفي
اساريـر محتها الليالي كليلة ... وأغفى عليها الهم اغفاء مدنف
وصدر كأني قد حفرت ضلوعه ... بنقرات ازميلي واطراف احرفي
ضنين لو ان الدرب باحت بسره ... لقصت على الارجاء قصة مسرف
مشى ظله في ظله وترنحت ... لذائذه في طبعه المتعفف
وفي الشوك من طعم الشذا كل نكهة ... وفي الخصب من وقع الندى كل متلف
وصار زماني او مكاني كلاهما ... كأنهما باب الى كل مقصف
خوان من اللذات ماجت به المنى ... ومدت عليه النفس افياء مترف
اشد شراعي باليدين وانثني ... ولا ينثني عن روعة الماء مقذفي

هنا ذكريات نائمات على الصبى ... هنا نزوات في الخيال المطفف ...
هنا لذة ضاعت وضاع جمالها ، ... هنا مرهف يشكو جفاوة مرهف ...
هنا نظرة طالت وطال حنينها ، ... هنا غصة في دمعه المتكفكف ...
هنا ذمة أصفى من الود خاطرا ، ... هنا عفة في عفة المتقشف ...
هنا كل شيء مبهم مات لونه ... على القلب في دنيا الشجى والتأفف

تلاطمت الايام حولي كفيفة ... سمعت لها جرسا على جرسها الخفي
تدب بأقدام حفاة كأنها ... لدى خشعة الايمان وعي المجدف
غوال ولكن عتقت في غبارها ... قدامى ولكن متحف عبر متحف
عناكبها من قبل ان يولد الثرى ... ومن قبل ان يدري الجفا كيف يجتفي

ولدت وبي من كل أرض حكاية ... وغصن ، اذا قطفته لم يقطف
تعاتبني نفسي بأني جراحها ... وفيت لهاتيك الجراح ولم تف
لك الله من نفس أضعت طريقها ... وآمنت ان العقل أرجف مرجف

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور عبد السلام العجيلي

كتاب من على الرصيف

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

* * *

اشتهرت مدينة باريس منذ زمن بعيد بما يسمونهم البوكينيست ، وهم باعة الكتب المقروءة ، من قديمة وحديثة ، الذين يعرضون بضاعتهم على شاطيء السين في صناديق ثابتة او متنقلة ، تجتذب المتنزهين من هواة الكتب قراءة واقتناء ، فيقبلون عليها منقبين مقلبين بين اكوامها . وقد يقع هؤلاء الهواة بين هذه الاكوام على الكتاب النادر او الطريف ، وربما وجد احدهم فيها كتابا مفقودا ضائعا بين ركام من غث المنشورات ونفايات المطبوعات . حتى اصبحت النزهة على ارصفة السين بين مكاتبها الموقتة او المتنقلة هذه معروفة ومشهورة عند طلاب المعرفة والمولعين بالادب والثقافة .

وفي هذه الايام اشبهت باريس في هذه الناحية بلدان كثيرة في الغرب والشرق . كثرت في كل مدينة بيع الكتب على الارصفة او في عربات متنقلة ، مما جعل محب القراءة والمطالعة الذي يستمتع بالوقوف على المكاتب وتصفح ما تقع يده عليه من بضاعتها ، يجد متعته مبذولة له في كل مكان . وقد حصل لي ، كما حصل لكثير غيري ، ان اجتذبتني المكاتب المتنقلة في مختلف البلدان التي ازورها ، فوقفت عليها ، ونقبت في ما هو معروض من كتبها ومجلاتها او ما هو مكوم . كما حصل لي ان استهواني بعض ما وقع في يدي من محتوياتها فاشتريته وعدت به راضيا بصفقتي ، مسرورا في بعض الاحيان ، وفي بعض الاحيان اكتشف اني غبنت فيما اشتريت ، مهما كان الثمن الذي انفقته بخسا ، لان الكتاب الذي عدت به كان تافه المحتوى ، او في طبعة ممعتة في الرداءة ، او لان الكتاب الذي اقتنيته كان مبذولا وانا الذي اشتريته على انه مفقود او نادر .

ذكرت هذا بعد ان انتهيت من قراءة كتاب حصلت عليه من احدى هذه المكاتب المتنقلة ، المبسوطة بضاعتها على احد الارصفة. الكتاب الذي اعنيه مشهور على قدمه، ومؤلفه معروف عند الملمين بالادب ، ولكني لم اكن قرأته قبل الان . فحين وقعت عيني عليه بين اكوام كتب الرصيف سارعت الى اقتنائه لاستدرك ما فاتني من الاطلاع عليه . ولقد قرأت الكتاب كله وانما على عناء . فقد كان مثل كتب الرصيف ركاما مما هو غث وما هو سمين ، وكان محتواه من مكررات مجلدات الادب القديمة قد مر علي اثناء مطالعتي في تلك المجلدات مرات عديدة . وكان سيء التبويب كثير اخطاء الطباعة والنقل . فلما انتهيت من قراءته اخذت احاسب نفسي فيما اذا كنت كاسبا في انتقائي له وفي شرائي له ثم في قراءتي له ، ام خاسرا ؟ .

في الاول كدت اقر على نفسي بالخسارة ، لاني اضعت فيما اشتريته ذوقي ومالي ووقتي . ثم ما لبثت حتى اعترفت بأني وقعت ، من خلال قراءتي لنحو من مائتين من صفحاته ذات القطع الكبير ، وقفت ثلاث مرات على اخبار احتوت مقاطع شعرية استهوتني حتى حفظتها. فقلت لعل في هذا تعويضا عن ذاك . بل اني كلما اعدت تلاوة ابيات تلك المقاطع الشعرية ، لنفسي او في احدى المناسبات ، وجدتني غير نادم على قراءتي المتعبة لذلك الكتاب ، غير مغبون في الصفقة التي اشتريته بها .

والكتاب ، والقارىء لا بد يتساءل عنه الان ، هو كتاب « المخلاة » ، من تأليف كعبة الادباء وحجة الظرفاء بهاء الدين محمد بن حسين العاملي المتوفي سنة الف وثلاثة للهجرة ، صاحب « الكشكول » . ويكفي لتعريف بهاء الدين العاملي ان نقول عنه انه صاحب « الكشكول ». فكتاب « الكشكول » اشهر من ان يعرف ، فيه من كل علم طرف ومن كل اثر خبر ، على حسن انتقاء وغزارة مادة ، وان كان التبويب فيه معدوما . اما « المخلاة » فانها كتاب يشبه « الكشكول » في انه مجموعة متنوعات مستقاة من اخبار الاولين واقوالهم واشعارهم ، الا ان محتواها افقر من محتوى « الكشكول » ، ومادتها جافية عسرة الهضم ، عدا انها مما تردد في كثير من كتب الادب الجامعة ، ولا سيما الكتب القديمة التي تنزهت عن سقط ما جمع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العاملي في مخلاته .

وربما خالفني قراء الادب القديم ومحبوه ، بعضهم او كلهم ، فيما قلته عن كتاب « المخلاة » وسوء تقديري له . ولكني لا استطيع انكار اني اتممت قراءته على مضض، ووجدتني في قراءته قليل الفائدة عسير المعاناة . ولكني كنت مع ذلك في اثناء تلك القراءة القي بعض النوادر فأقف عندها ، كمن يقف عند تحفة فنية غارقة في سقط المتاع او مدفونة بين اكداس الثياب البالية . وبصورة خاصة كانت لي في هذا الكتاب ثلاث وقفات هي التي اشرت اليها آنفا .

اولى تلك الوقفات الثلاث كانت لي عند خبر صغير ورد في مطلع الكتاب . قال صاحب « المخلاة » في الخبر : قال سلمة الاحمر ، دخلت على هرون الرشيد فلما رأيت القصور انشأت :

اما بيوتك في الدنيا فواسعة فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل هرون يبكي ثم قال يا سلمة عظني واوجز قلت يا امير المؤمنين ... الى اخر الخبر .

استوقفني هذا الخبر ، او بالاحرى استوقفني هذا البيت لعفويته ولمكان قوله ، حين يقوله زاهد لامير المؤمنين ، ولتأثيره في امير المؤمنين حين ابكاه . وربما كان استيقافه لي لانه ورد في « المخلاة » في موضع لم اكن اتوقع اني اقراه فيه .. او انه ربما استوقفني لانه اصاب مني نقطة حساسة في حالة نفسية خاصة كنت فيها حين قراته . او ربما كان هذا وتلك او كلها مجتمعة، واما الذي اذكره فهو ان معنى ذلك البيت ومبناه استهوياني ، وانه ظل على لساني مدة اردده كلما لفت نظري فيما اراه او امر عليه بناء شامخ او دار واسعة او موضع انفق عليه وبذل فيه حتى اصبح متعة ، اقول لمن حل فيه :

اما بيوتك في الدنيا فواسعة فليت قبرك بعد الموت يتسع !

وقفت مرة ثانية في قراءتي « للمخلاة » عند بيتين من الشعر في خبر ، بعيدين في معناهما عن بيت سلمة الاحمر الاول ، كما ان خبرهما بعيد عن خبر . البيتان لابي الشيص ، وهو ابو الشيص الخزاعي ، الشاعر العباسي المحسن ، وقد اورد ابو تمام في حماسته مقطوعة جميلة من شعره في النسيب . يقول خبر « المخلاة » ان صديقا لابي الشيص كان وعده بأن يرسل اليه مخدة طبرية قماشها من الكتان . ويبدو ان الصديق ابطأ في انجاز وعده فكتب اليه ابو الشيص يقول :

يا صديقي وخليلي واخي في كل شده
ليت شعري ازرعتم بزر كتان المخده

هذا التساؤل الرائع ، الساخر ، الضاحك :

ليت شعري ازرعتم بزر كتان المخده ؟

هو ابلغ ما يمكن ان يقال في الاستبطاء حين يسأل الشاعر صديقه ، الذي هو اخوه في كل شدة ، عما اذا كان هو واهله قد زرعوا بزر الكتان ليصبح كتانا ، يقطف ويدق وتعطن اليافه لتحول خيوطا تنسج لتصبح قماش مخدة تهدى الى ابي الشيص ! ... لم اتمالك ان ضحكت بعفوية من براعة السخرية في هذين البيتين :

يا صديقي وخليلي واخي في كل شده
ليت شعري ازرعتم بزر كتان المخده !

وكانت وقفتي الثالثة بين صفحات كتاب « المخلاة » المكتظة بما هب ودب ، عند ابيات ثلاثة بعيدة في غرضها عن بيتي ابي الشيص ، وابعد ما تكون عن بيت سلمة الاخمر الزاهد الواعظ . ثلاثة ابيات غزلية ، من الغزل الغريب ، نسبها العاملي لابي نواس ولم ترد في ديوان ابي نواس المتداول بين الناس . الا ان هذه الابيات تتسم بروح الجدة التي تميز بها شاعر التجديد والمجون والخمر ، الحسن بن هانىء ، وفيها جمال ادائه وبديع فنه . وفيها فوق ذلك نفحة عصرية ، نسبة الى عصرنا الذي نعيش فيه ، عجيبة في توافقها مع مذاهب الفن الجديد ، الى تمكن شعري بعيد عن الدجل والشعوذة التي يسلك سبيلهما الفنانون الجدد في كثير من الاحيان. قال العاملي في « المخلاة » ، قال ابو نواس :

لا تقولي لا فمكتوب علي وجهك المشرق نورا نعم
بحروف خلقت من قدرة ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها طرفك الفتان والميم الفم

غزل غريب كما قلت ، يكاد قارئه يرى فيه الاسلوب المتكلف في استجلاب التشبيهات البعيدة والمصطنعة ولكنه يقترن بجمال الموسيقى وحسن التأليف بين الكلمات والشاعرية الحلوة في هذا الخطاب الموجه الى حبيبة تهم بالصدود فيستلين الشاعر قلبها بهذه الرقية الساحرة ، كيف تقول لا ، وقد رسم الله كلمة نعم في خلقها بأفتن طريقة واجمل صياغة ؟ .

لا تقولي لا فمكتوب علي وجهك المشرق نورا نعم !

وقد ذكرت توافق هذه الابيات مع مذاهب الفن الجديد ، واقصد بالفن هنا فن الرسم ، ومذهب الزخرفة المستقاة من الحروف ، والحروف العربية بصورة خاصة، التي كان اشهر روادها الفنان التجريدي بول كلي . لقد فتن كلي بجمال الحروف العربية فاستقى منها لوحات بديعة وشهيرة ، وسار على اثره رسامون كثر . وقد وددت لو ان واحدا من فنانينا رسم من ابيات ابي نواس الثلاثة هذه لوحة ينبع فيها رضى الحبيبة الجميلة من جمال الاحرف التي رسم الله بها كلمة نعم بحاجبها وعينها وفمها الارجواني المضموم ... ترى اما كانت تكون لوحة رائعة وعجيبة ؟! .

هذه ثلاث وقفات في كتاب « المخلاة » غفرت بها لمؤلف الكتاب كل ما اخذته عليه فيه من ابتذال او سوء حشو او تفاهة الاختيار ، كما اني تعوضت بها عن العناء الذي لقيته في متابعة قراءة ما لم يلد لي في صفحات « المخلاة » المكتظة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احبه كثيراً

أحبه كثيرا ..
أحبه كثيرا ..
أكاد من جنوني
اليه ان اطيرا
وانشر الجناح
أسابق الرياح
أحاور الهواءا
والصبح والمساءا
واقفز الجسورا
والنهر .. والبحورا
شوقا الى حبيب
أحبه كثيرا ...

أحبه كثيرا ..
أحبه كثيرا
أكاد من جنوني
اليه ان اطيرا ..
واغزل الصباح
وشمسه .. وشاح
ليتقي حبيبي
بظله الهجيرا ..
والثم الضياءا
والارض والسماءا

والورد والعبيرا
والسندس النضيرا
لان لي حبيبا
أحبه كثيرا ...

أحبه كثيرا
أحبه كثيرا ..
أحبه لاني
كانه .. كاني
أصبحت في هواه
منه .. فصار مني ..
ان حدثوه عني
يذوب مرتين
فيشعل الاثيرا
من ذوبه سعيرا

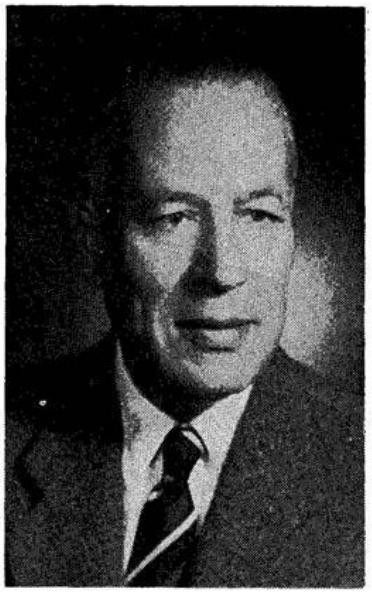
وان حكوا عليه
أريق دمعتين
فدمعة لكوني
أحبه كثيرا ...
ودمعة لاني
وجدته أخيرا ...

القاهرة — فتحي سعيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على اني لا اكون منصفا اذا قلت ان كل ما في « المخلاة » ، ما عدا هذه الابيات التي قراتها ، قليل الفائدة او خال من المتعة . فلا شك في ان اكداس منقولات العاملي في كتابه نتفا قيمة يحسن التملي منها او الوقوف عندها . وقد خطر لي ان اضيف الى الوقفات الثلاث التي ذكرتها واحدة رابعة ... وقفة عجيبة ولكنها محرجة حتى ليحجم الانسان عن روايتها على اسماع كل الناس . لذا فقد فضلت ان اكتفي بما اوردت من مقاطع شعرية فيها زهد سلمة الاحمر وسخرية ابي الشيص وغزل ابي نواس ، وتركت للمولعين بالطرف الادبية ونوادر الكتب القديمة ان يقفوا بانفسهم على تلك المقطوعة المحرجة المروية في ثلاثة اسطر ، الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الصفحة الثامنة والعشرين من كتاب « المخلاة » لكعبة الادباء وحجة الظرفاء بهاء الدين محمد بن حسين العاملي رحمه الله رحمة واسعة واجزل له الاجر والثواب .

الرقة ـ سورية — عبد السلام العجيلي



محمد عبد الغني حسن

انور الجندي بين كتاب التراجم

بقلم محمد عبد الغني حسن

* * *

كتب التراجم كثيرة في المكتبة العربية ، وفي الادب العربي منذ نشأته حتى اليوم ، وانواعها كثيرة متنوعة ، ومناهجها متغيرة متباينة .

انواع من كتب التراجم : التراجم العامة الجامعة . التراجم حسب العصور ـ التراجم سنة سنة ، التراجم حسب الطبقات ، كطبقات الصحابة (الاستيعاب ـ اسد الغابة ابن الابثى ـ الاصابة لابن حجر) .

وطبقات الفقهاء ـ وطبقات المفسرين (مثل كتاب السيوطي) ـ طبقات المحدثين والحفاظ (مثل كتاب الكمال) لابي محمد عبد الغني المقدسي الحباعيلي ، ثم جاء المزي في القرن الثامن فهذبه في (تهذيب الكمال) ثم جاء الذهبي فالف تذهيب التهذيب ، ثم جاء ابن حجر فالف تهذيب التهذيب ـ طبقات النجاة (كطبقات النحويين واللغويين) للزبيدي الذي حققه الاستاذ ابو الفضل ، « وانباه الرواة ، على أبناه النجاة » للقفطي ـ بتحقيق ابو الفضل أيضا ـ طبقات الشعراء ككتاب ابن سلام ، واليتيمة ، ودمية القصر ، والخريدة للعماد الاصبهاني ، والقدح المعلى ، والغصون اليانعة لابن سعيد ، وطبقات الصوفية مثل كتاب السلمي ، وحلية الاولياء لابي نعيم وصفة الصفوة لابن الجوزي ، وطبقات الشعراني المتوفي سنة ٩٧٣ هـ .

وهناك طبقات القضاة مثل كتاب الكندي ، ورفع الاصر لابن حجر وكتاب النباهي المالقي في قضاة الاندلس.

وهناك طبقات الاطباء مثل عيون الانباء . وذيل عيون الابناء للدكتور احمد عيسى ـ وهناك طبقات الفلاسفة والحكماء مثل تاريخ حكماء اسلام للبيهقي ، واخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي .

اما كتاب « أعلام وأصحاب أقلام » للاستاذ انور الجندي فهو من كتب التراجم العامة ، فتجد فيه تراجم الرحالين ، والنقلة والمترجمين (مثل رفاعة) ، ومؤرخي الادب (مثل حسن توفيق العدل) ، ومحققي التراث ومحييه (مثل أحمد تيمور ، واحمد زكي) والاطباء ، (علي ابراهيم) ، والاثار العربية (علي بهجت) والآثار المصرية القديمة (أحمد كمال ، وسليم حسن) ورجال التربية والتعليم (مثل امين سامي) ، واعلام الصحافة (امين الرافعي) وفن النحت (محمود مختار) وزعماء حركات الاصلاح والتحرر الاجتماعي (قاسم امين) ورجال العلوم (عثمان غالب ، وعلي مصطفى مشرفة) ورجال اللغة العربية (مثل حلمي ناصف ، واحمد الاسكندري) ورجال الاقتصاد والتعاون (مثل طلعت حرب وعمر لطفي) .

لكل مؤلف في التراجم منهج وخطة . فابن خلكان رتب كتابه على حروف المعجم ، لانه وجد ذلك أيسر من ترتيبه على السنين . وان كان هذا يقضي الى تأخير المتقدم ، وتقديم المتأخر في العصر ، وادخال من ليس من الجنس بين المتجانسين ، كادخال طبيب بين شعراء او شاعر بين فقهاء ، لان المصلحة احوجت الى هذا ...

ولم يذكر ابن خلكان في كتابه احدا من الصحابة ولا التابعين الا جماعة يسيرة تدعو الحاجة الى معرفة أحوالهم . ولم يذكر واحدا من خلفاء المسلمين اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب . ولم يقصر ابن خلكان كتابه على طائفة مخصوصة مثل العلماء او الملوك او الامراء او الوزراء او الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه .

اما صاحب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، فقد جمع في كتابه تراجم من كان في المائة الثامنة من الهجرة النبوية ، من الاعيان والعلماء والملوك والامراء والكتاب والوزراء ، والادباء والشعراء . وجعل عنايته خاصة برواة الحديث النبوي ورجاله لان الكثير منهم كانوا شيوخ شيوخه ، وقد أدرك بعضهم ولم يلقه ، ولقي بعضهم ولم يسمع منه ، وسمع من بعضهم .

والحسن البوريني صاحب « تراجم الاعيان ، من ابناء الزمان » والمتوفي سنة ١٠٢٤ هـ ترجم لطائفة كبيرة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجال القرن العاشر والحادي عشر ، من عالم عامل ، او فاضل كامل ، ومن سلطان او امير او صاحب فن سواء رآه ام سمع بأخباره من الثقات والاخيار ، ورتب المترجم لهم على حروف المعجم ، وراعى شهرة اللقب وفضلها على الاسم ، واقر بانه لا يذكر من اوصاف احد الغالب الا الوصف المحمود ، طلبا للثواب يوم تنقسم الوجوه الى بيض وسود ...

اما العلامة احمد تيمور فلم يذكر لنا منهجا في كتابه « تراجم اعيان القرن الثالث عشر .. » ولم يكتب للكتاب مقدمة ، ولكنه اختار جماعة ممن رآهم في تقديره اولى الناس بالترجمة لهم ... ولم يراع في ترتيبهم مواليدهم ولا وفياتهم ولا ترتيب اسمائهم على حروف المعجم فقدم عبد الله النديم على الشيخ احمد مفتاح .

اما حسن السندوبي صاحب كتاب « اعيان البيان » فقد راى ان يضع كتابا وافيا يصح ان يكون تاريخا للاداب العربية ورجالها الذين نبغوا في عصر محمد علي واسماعيل وعباس الثاني . ولم يحفل السندوبي كثيرا بالشهرة ولا اعتد بها في اختيار الاعيان لانه كما يقول لا يرى نباهة الذكر وبعد الصيت ، في اكثر الاحيان دليلا على التفوق، او معيارا يوزن به النبوغ ولم يأبه للصداقة في اختيار الرجال اذا كانت تحول بين نفسه وبين ما ينبغي من الحقيقة ، فقاعدة الاختيار عنده هي الانفع والاصلح والابقى اثرا والاحمد ذكرا . وتعرض في اختياره لقضية المفاضلة بين المصريين والسوريين في خدمة اللغة العربية، وكانت نغمة سائدة في العشر الاوائل من القرن العشرين، فلم ير لسوري فضلا على مصري ، ولا لمصري مفخرة على سوري ، الا كما يكون للاخوة الرحماء من فضل التسابق في مضمار البر بأمهم : اللغة العربية .

هذه بعض مناهج كتاب التراجم في القديم والحديث ، فماذا كان منهج الاستاذ « انور الجندي » في كتابه « اعلام واصحاب اقلام » ؟

لقد كان قصده من الاختيار ان ترسم هذه التراجم في مجموعها صورة كاملة للحركات الفكرية والثقافية والاجتماعية المختلفة ، وهي تتكون ، وتنمو وان تصور بناء الامة العربية في مختلف مجالاته ، وهو يعلو ويرتقي .

ومن هنا لم يكن كتاب انور الجندي طبقيا خالصا ، ولا اقليميا خالصا . فهو لا يترجم لرجال من اليمن وحدهم ، او العراق وحدهم او سورية وحدهم ، او الجزائر وحدهم ، او المغرب وحدهم ، ولكنه يختار رجالا من كل بقعة من الوطن العربي في فترة معينة يمثلون حالة الامة العربية في مجموعها في تلك الفترة بعينها ، فنجد زين العابدين السنوسي التونسي ، ورضا الشبيبي العراقي والشيخ البشير الابراهيمي الجزائري وعبد الرحمن الكواكبي السوري .

ولا تجد في هذا الكتاب مسلمين وحسب ، ولكنك تجد غير المسلمين من شاركوا في حركة الفكر العربي في الفترة الزمنية التي اختارها المؤلف فهناك توفيق اسكاروس المؤرخ القبطي ، والمكتبي المنظم ، وصاحب الدراسات التاريخية الممتعة في الهلال والمقتطف والاهرام والمقطم وهناك شبلي شميل الذي كان اول عربي دافع عن نظرية التطور والنشوء والارتقاء دفاعا حارا ، وايد المذهب المادي تأييدا قويا جريئا ، ولكن الحق ان هذين الاثنين لن يكفيا لتمثيل المسيحيين والاقباط في حركة الفكر العربي في الفترة التي اختارها المؤلف ، فكم كنت اود ان يكون هناك ترجمة لمرقص سميكة ، وميخائيل شاروبيم ، وفرح انطون ، وسلامة موسى ، والصحافي العجوز توفيق حبيب .

ومن قواعد المنهج الذي اتخذه انور الجندي لكتابه ان الشخصيات الجهيرة الشهيرة والتي كتب عنها الكثير حاول ان يعرضها من زاوية اخرى غير الزاوية التي اشتهرت بها ، وان يرسمها من وجهة نظر جديدة ، او يلقي الاضواء على جوانب منها لم تظفر من قبل بعناية كاملة . كما صنع مع محمد فريد الزعيم الوطني السياسي في نظر الناس جميعا ، فقد عرض له من ناحية جديدة لم تكن مشهورة به ، وهي انه (مؤرخ) ، وقلما عنى الباحثون بهذه الناحية من نواحي محمد فريد او هذا الجانب من جوانبه ...

كذلك فعل انور الجندي مع الشيخ محمد عبده ، او محمد فريد وجدي والسيد رشيد رضا ، فقد اضاف الى مجال الدراسات الاسلامية التي اشتهر بها هؤلاء مجالات اخرى في الادب كان الباحثون يتفاضون عنها او لا يولونها من العناية والدراسة ما يستحق ...

والاعلام الذين ترجم لهم انور الجندي في هذه المجموعة تقع تواريخ ميلادهم في الفترة بين عامي سنة ١٧٥٤ وسنة ١٨٩٨ . ولا ادري على اي اساس حدد الاستاذ المؤلف هذين التاريخين ، وان كان يقول في مقدمته ان مجال الدراسة هنا هو العالم العربي في فترة زمنية تقع من منتصف القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين . وهذا كلام يحتاج الى سؤال : فالجبرتي المؤرخ توفي سنة ١٨٢٢ ، فهو سابق بوفاته على منتصف القرن التاسع عشر بثمانية وعشرين عاما . ويظهر أن هناك تجاوزا خفيفا لجأ المؤلف اليه ، فلا حاجة به ولا بنا الى حسابه على ما لم يكن له في حساب .. !!

ولقد انصف المؤلف بأن جعل لكتابه صفة التراجم العامة في فترة معينة ، حتى تكون الصورة التي يقدمها للفكر العربي في تلك الفترة اكثر اكتمالا ، وادق تصويرا ، ولكنه لماذا ترك في بعض الميادين فجوات كانت في اشد الحاجة الى ان تملأ ؟ لماذا ترك في ميدان التصوير محمد ناجي المولود سنة ١٨٨٨ ومحمود سعيد المولود سنة ١٨٩٧ ؟ ولماذا ترك في فن الغناء سيد درويش المولود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سنة ١٨٩٢ ؟ ولماذا ترك في التاريخ الوطني عبد الرحمن الرافعي المولود سنة ١٨٨٩ ؟ ولماذا ترك في التاريخ الاسلامي السيد رفيق العظم صاحب أشهر مشاهير الاسلام والمولود سنة ١٨٦٧ ؟ ولماذا ترك في المصلحين ومجددي الاسلام الامام المعز جمال الدين القاسمي المولود سنة ١٨٦٦ ولماذا ترك في هذه الفترة الزمنية المعينة التي اختارها هو بمحض ارادته عشرات من الاعلام واصحاب الاقلام ، حتى تكتمل الصورة كما كان يريد ؟ ارجو ان يكون لهؤلاء الاعلام المنسيين نصيب في جزء ثان من هذا الكتاب نراه عما قريب .

لقد حملنا الاستاذ انور الجندي في كتابه الى ذكريات غالية لنا مع حفنة كريمة ممن ترجم لهم والذكريات صدى . لقد التقيت في كتابه بترجمة طيبة ، لاستاذي الشيخ احمد الاسكندري الذي شجعني برسائله الكريمة في خلال بعثتي الى انجلترا ، واوصاني بأن استشعر معاني بلغاء الشعراء الانجليز وعلى راسهم شكسبير فلما مات سنة ١٩٣٨ رثيته بقصيدة اقول فيها :

المجمع انفطرت عليك قلوبه ... والدار مزقها الهوى تمزيقا
دفنوا بك العلم الصحيح وشيعوا ... في موتك التمحيص والتدقيقا
يا اصمعي العصر انك فقته ... نسبا الى أم اللغات عريقا

والتقيت بترجمة وافية للمرحوم احمد تيمور الذي التقيت به وانا طالب فلما مات سنة ١٩٣٠ رثيته بقصيدة نشرت في المقطم وفي مجلة الفتح اقول فيها :

تبكي عليك الاعين الباكية ... بادمع منهلة جارية
من لغة كنت اماما لها ... وكنت فيها الحجة الراوية

والتقيت بترجمة امينة للشيخ عبد العزيز جاويش الذي اقمنا له ونحن طلاب ناشئون حفل تأبين كبير سنة ١٩٢٩ بدار العلوم ، القيت فيه قصيدة نشرتها الاهرام والمقطم على عمودين ، اذكر منها قولي المبتدى :

انا ابكيك وان طال المدى ... فبكاء الحر دين في الرقاب
أكذا بين عشيات المنى ... وضحاها ، انها جد كذاب
أكذا الدنيا اذا ما اقبلت ... آذنت بعد قليل بالذهاب
عجبا نجري الى ابوابنا ... والردى يسبقنا في كل باب

والتقيت بترجمة طيبة لاستاذي وصديقي المؤرخ الاثري سليم حسن الذي كشف الهرم الرابع سنة ١٩٣٢ ، بعد ان كشف قبله مقبرة « رع ور » الكاهن الاكبر للوجهين البحري والقبلي ، فهنأته في ذلك الحين بقصيدة نشرتها الاهرام على عمودين وانا ما زلت طالبا . اذكر منها قولي :

كشف فتحت به السبيل المقفلا ... أأخذت انت على نجاحك موثقا
بالامس تكشف في القبور دفينة ... واليوم تكشف في القصور خورنقا
بالامس وفقك الاله فلم تخب ... واليوم كنت الى النجاح موفقا
فأس ضربت بها الصخور فاخصبت ... ويد خططت بها التراب فاورقا
واذعت من سر العصور خبيئة ... كانت على الايام سرا مغلقا

حينما شرفني اخي انور الجندي باهداء هذا الكتاب الي من شهور ، كرمني بعبارة كريمة في الاهداء ، أسرف فيها بلطفه وحسن تقديره الى حد خشيت معه ان يداخلني الغرور بمكاني في فن كتابة التراجم والسير الذي اختاره لي الصديق الكريم .

واشهد الله انني مع مشاركاتي المتواضعة في التراجم للقدماء والمحدثين ومع طول تقليبي لكتب التاريخ والسير والطبقات في القديم والحديث ، خرجت من كتاب انور الجندي بفوائد ومعارف لا حصر لها ، ففي كل صفيحة من كتابه الذي تبلغ صفحاته ٤٦٢ كنت أخرج بحصيلة جديدة من المعرفة لم تقع لي في كتاب من قبل ، مما يؤكد ان انور الجندي ينبش الكتب والمجلات والصحف والمصادر نبشا دقيقا ، بل يفليها تفلية ، ويخرج من كنوزها كل مطوي ومخبيء . فقد كتبت عن الانسة (مي) كتابين ... وقرات كل ما كتبته هي في العربية والفرنسية والانجليزية ، وقرات كل ما ظننته وقع تحت يدي مما كتب عنها وعن اخبارها ، الى درجة اثنى عليها الدكتور منصور فهمي في كتابه عن « مي » والذي لفت الاديبة وداد سكاكيني في كتابها الجديد عن « مي » الذي اصدرته دار المعارف من أشهر ، ولكني مع هذا فاتني أن أطلع على ما رواه (أنور) من حكاية للدكتور شبلي شميل مع مي . فقد زار شميل منزل الاديبة مي حيث كان ابوها الصحافي « الياس زيادة » من أصدقائه فلما رأته « مي » اجفلت وقالت له : اني اخاف منك لانك تكره المراة ، وانت عالم مادي ، وانا شاعرة روحية الميول ... فانبرى شبلي للدفاع عن نفسه ، ولم يلبث ان ارسل لها قصيدة من نظمه يصور فيها حقيقة مشاعره :

الى من رابها مني مقالي ... فجاءت وهي تنفر كالغزال
تقول : اخاف منك علي خيال ... أرى في آيه كل الجمال
ومن انباك عن اني عدو ... لجنس كان مرآة الرجال
اذا ما قمت أطوي الحب يوما ... ألا تدرين انك في خيالي ؟

وفي هذا الكتاب طرائف اخرى بعضها معروف ، وبعضها غير معروف . ومن المعروف ابيات حفني ناصف الى حافظ ابراهيم فقد وقف على قبر الامام محمد عبده ستة يرثونه .

أتذكر اذ كنا على القبر ستة ... نعدد آثار الامام وننتدب
أبو خطوة ولى وقفاه عاصم ... وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى وغابت بعده شمس قاسم ... وعما قليل نجم محياي يغرب
فلا تخشى هلكا ما حييت وان امت ... فما انت الا خائف تترقب
فخاطر ، وقع تحت القطار ولاتخف ... ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخص لحج الهيجاء أعزل آمنا ... فان المنايا منك تجري وتهرب

وقد فطن حافظ لهذه الملاحظة فقال في حفل تكريم حفني حين نقل للمعارف :

عمري بعمرك رهن ... فعش الف قرن !

هناك عشرات من امثال هذه اللطائف والطرائف والحكايات التي وقع عليها انور الجندي فلم يضن بها على قرائه في كتابه الجديد « أعلام واصحاب أقلام » وفوق كل ذي علم عليم .

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عـودة

فـؤاد الخشـن

الشويفات ـ لبنان



عادت عيناك ، وعاد السهد ولفح النار
وهيام يتفتح في قلبي ازهار
عادت ايامي آذار
والمعبـد عـاد
الشوق ... وللبوح المحرور اللاهب
من ذوب الاكباد

عادت غيمات اللفهة للعينين
وعاد التيه ودمع الغربة للاهداب
وشرود المخطف الضائع
عن كل الابواب !

ماذا يعني العمر الراتب
يـا عشتار
ان لم نعشق ، ان لم نذهب في التيار
ثلـج الاعراق حضور غائب
عن كنز الامكان
ولذيذ العيش جنون رائع
يبقى ابدا في اسفار ...

عمري المفرد في الاعمار
عمقا آليت ساحياه
هجس تخط أتاباه
طولا تنسج في احـلاه
للقلب الاكفان ...
وساترك في درب الآلام صليبي
اكليل الشوك المضفور الشارب
من جرح غروبي
ارمي ميزاني المشؤوم
ادخل في ارض الصحو الهانيء والاوراد
احفر دربي ... لا التفت
للرجس الطيني المحترق
في ليل سدوم !

عادت عيناك لسكب الوجد
وعاد الذهل لليل المخمل
طفـلا يسأل
عن كل الاسرار ...
والجمر المزهر
جمر الايحاء المذرور الساطع
في ليلي الكحلي المتفتح عاد
يهمي من غيمات الارق ..
زخا .. زخا .. كالامطار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خسرت دعوى النخلية

بقلم عبد الرحمن البيك

غادرنا مكتب المحامي ، في الساعة السابعة مساء ، لا نلوي على شيء ، كان كل شيء قد انتهى ، ولم يعد باستطاعتنا الاستعانة بوجهات نظر جديدة للقانون ، فالمحامي اخبرنا ان الدعوى قد فشلت ، وان جميع المحاولات القانونية لم تعد تجدي نفعا .. وان اخلاء اولاد خيرو عرموش من الدار الجارية بملكيتنا ، والتي سبق لهم وان اغتصبوها عنوة .. لم يعد ممكنا .

اخذنا نستعيد صور الماضي ، انا واخوتي الذين ذهلوا من هول المفاجأة ، ونحن نهبط الدرج في طريقنا الى بيتنا ، لقد تمثلنا المحامي وقد جلس خلف منصته ، على كرسي متحرك ، يدخن غليونه ويقول :

ـ ان القضية ناجحة ، وانا اتعهد لكم باخلائهم من الدار ، كما انني اضمن عودتكم اليها .. اتركوا كل شيء على مسؤوليتي ..

وشاهدناه وقتئذ ينظر في قانون الايجارات مليا .. ثم يمج من غليونه ويردف :

ـ ها هو القانون ، انه بجانبكم ، فكل من يضع يده على عقار بطريقة غير مشروعة فانه يلزم بالتخلية .

وكان ان امسك عن الكلام ، بعد ان قرر امامنا هذه الحقيقة الدامغة ، ثم انصرف الى مرجع اخر ، وخاطبنا من خلال اسنانه التي كانت تعض على الغليون :

ـ ما داموا لا يملكون عقد ايجار موقع من قبلكم وليس معهم اذن صريح او ضمني بالسكن . لهذا فان القانون يعتبر يدهم غاصبة ويلزمهم بالتخلية .

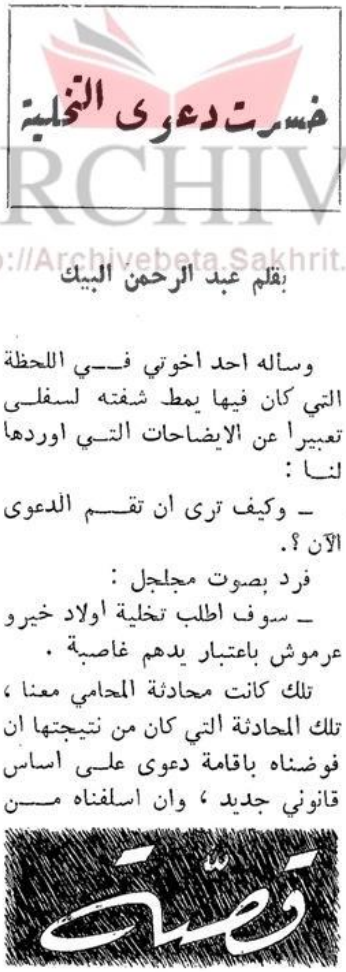
واوضح له اخ كبير لنا قائلا :

ـ نرى لزاما علينا يا حضرة الاستاذ ان نحيطكم علما بانه سبق لنا وان اقمنا دعوى تخلية مماثلة باءت بالفشل بعد ان تناوب على متابعة النظر فيها عدد من المحامين .

وهنا اغمض المحامي عينيه ، كأنه يستقرىء المجهول ، ثم حك رأسه ووضع يده على ملف محشو بالاوراق وقال :

ـ سوف انصرف الى دراسة هذه الدعوى الفاشلة التي احضرتم لي صورة عنها ، وانا واثق من ان المحامين السابقين قد عالجوا دعواكم هذه بطريقة مخالفة لاحكام القانون .

وفكرنا مليا في ابعاد هذه الوعود التي بدت قريبة من الذهن ، ثم تبادلنا نظرات الاعجاب اعترافا منا بدقة ملاحظة المحامي وطول باعه في القانون ، الى أن داهمتنا احساسات سريعة بان ما تحتاج اليه قضيتنا من اساليب الدفاع متوفر في هذا الرجل الكفؤ القادر على مجابهة مثل هذا الموضوع الخطير .



وساله احد اخوتي في اللحظة التي كان فيها يمط شفته لسفلى تعبيرا عن الايضاحات التي اوردها لنا :

ـ وكيف ترى ان تقوم الدعوى الآن ؟.

فرد بصوت مجلجل :

ـ سوف اطلب تخلية اولاد خيرو عرموش باعتبار يدهم غاصبة .

تلك كانت محادثة المحامي معنا ، تلك المحادثة التي كان من نتيجتها ان فوضناه باقامة دعوى على اساس قانوني جديد ، وان اسلفناه من الاتعاب ما لا يعد ولا يحصى ، وان سخرنا جميع طاقاتنا لخدمته ، سواء في منزله بالذات ، او في مكتبه اثناء مراجعاتنا المتكررة له .

ولكن ماذا حدث بعد كل هذا .. لقد رأيناه في اخر الامر ، يغرقنا في بحر من الاعتذارات لما آلت اليه الدعوى من فشل ذريع ... اجل وجدناه يقول لنا بصوت غير مجلجل :

ـ يؤسفني ان اخبركم بان الدعوى خسرت .. وان كل شيء قد انتهى .. وانه لا يسعني في هذا الموقف الا ان اشارككم شعوركم بهذه النهاية المؤسفة .

ـ ولكنك قلت لنا يا استاذ ، وفي هذا المكان بالذات ، ان الدعوى ناجحة ، وانك ستقيمها على اساس جديد ، وانك لن تقع بالخطأ الذي وقع فيه اسلافك من المحامين الذين عالجوا دعوانا السابقة معالجة قانونية لا تنطبق مع الواقع ..

ـ كل هذا صحيح .. ولكن لا يخفى عليكم اننا جميعا معرضون الخطأ .

ـ ولكن قضيتنا مضمونة النجاح بحكم القانون وليس بحكم تفكيرك الشخصي .. واذا كنت انت قد اخطأت لسبب ما ، فما جريرتنا نحن .

ـ يكفي هذا ارجوكم .. ان القضية لم تعد تحتمل اي نقاش .. واني ارى ان تلجأوا الى التسوية الرضائية مع اولاد خيرو عرموش وهذا خير لكم .

هكذا انتهت معاتبتنا للمحامي في الساعة السابعة مساء ، بعد ان اعلمنا بان الدعوى خسرت وان كل شيء قد انتهى .

وبينما كنا نهبط الدرج رجعت بنا الذاكرة الى ذلك الماضي البعيد ، يوم ان اقترح علينا مختار محلة جامع عيس المدعو الحاج بكري مخللاتي ان نطلق يده للعمل بطريقته الخاصة من اجل تخلية الدار ، ولقد رفضنا آنذاك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطته الشخصية احتراما منا لسيادة القانون .

وتساءل اخي :

ـ لا ادري كيف ضللنا الطريق.. فلو اننا اسندنا امر تخلية الدار الى الحاج بكري ، لكان ذلك خير لنا الف مرة من اسنادها الى هذا المحامي اللامع الذي اكتفى في النهاية بأن أبان لنا خطأه وشاركنا في الفجيعة التي حلت بنا .

ـ ومن كان يعلم ان المحامي سوف يخسر الدعوى .. ثم ان الحاج بكري مخلاتي لم يكن في وضع يساعده على تنفيذ خطته الرامية الى تخلية اولاد خيروعرموش بوسائله الخاصة .. نظرا لان معظم المساعدين في الشرطة تغيروا ولم يعد له من ركائز يستعين عليها أثناء عملياتهالتي تعد خرقا للقانون .

ووقر في اذهاننا ، ان نلجأ الى الحاج بكري للتباحث معه من اجل القيام بمحاولة جديدة لحل القضية المستعصية ، فالوضع الذي انتهينا اليه بين ابناء الحي ، والافلاس غير المتوقع الذي لحق بقضيتنا يبرران بلا شك اختيارنا طريقة استيقاء الحق بالذات .

ولقد عادت بنا الذاكرة ، ونحن بصدد اتخاذ القرار المتضمن العودة الى مشروع الحاج بكري الى تلك الاعوام الخضراء التي اينعت فيها ثمار النضال ضد سلطات الانتداب .. فالحاج بكري مخلاتي هو من الرواد الاوائل الذين رفعوا لواء ذلك النضال والذين ساهموا في بناء صرح الاستقلال ، الا ان هذا الرجل سرعان ما تحول من بطل وطني الى مختار حارة يقضي بين الاهالي في شؤونهم الخاصة بعد ان نالت البلاد استقلالها ، ولقد ظل الامر كذلك حتى تاريخ صدور القانون المدني . والعقوبات والتجارة والبينات اذ حدث في تلك المرحلة تصادم فكري ادى الى انصراف الناس عن الحاج بكري نتيجة للاقبال المنقطع النظير على القوانين ... وكان من نتائج ذلك ان حيل بين (باكورة) الحاج بكري وبين قضائها في امر من الامور التي كانت تقضي فيها ، مما عرض كبرياءه للمذلة في مخافر الشرطة عدة مرات ، عندما صودرت منه بتهمة مزاحمتها نصوص قانون العقوبات .

في تلك الايام التي شهدت التحول الاجتماعي ، قال لنا الحاج بكري والغصة تخنق بلعومه :

ـ مهما تكن الاحوال الجديدة .. فأنا اقول لكم انني مستعد ، انني مستعد ان اقلب على اولاد خيرو عرموش من سطح بيت الحاج سعيد الخضري في الليل ، فالقي في قلوبهم الرعب ، فهم جبناء ، ومن ثم اعمل فيهم (باكورتي) وافتح لكم باب الدار .

كان ذلك ما قاله لنا الحاج بكري يوم آثرنا ان تحل القضية في ظل القانون .. لقد ادرنا له ظهورنا ، والتفتنا الى بريق التنظيمات الجديدة معتمدين في ذلك راي المتنورين من أهل الحارة ، فكان ما كان من وعود ومماطلات وتسويفات ادت بالنتيجة الى سقوط الدعوى مع بقاء الحق معلقا .

وكان الحاج بكري قد اتخذ لنفسه مكان اقامة في هيكل سيارة نقل ركاب كبيرة ملقاة في الخندق عائدة الى عمر قجاقجي ، وكنا اثناء زياراتنا المتكررة له للمؤانسة والمجالسة ، يسألنا عن المراحل التي وصلت اليها دعوى التخلية .. وكنا نراه يبدي من الاهتمام والحماسة لهذه القضية اكثر مما كان يبديه المحامون الذين تعاقبوا على متابعتها وكأنهم قطار .

ولقد قال لنا ذات مرة «لن تجدوا من المحامين الا الوعود البراقة ، ولن تجدوا من المحاكم الا التطويل واحتباس القضية في الملفات ، وسوف ترون ان قولي صحيح » .

دلفنا في زقاق الولي ، ونحن تحت تأثير كابوس ذلك الماضي ، الحافل بشتى انواع المواقف التي وقفها الحاج بكري من اهالي المحلة ، فحز في قلوبنا ان يصير الى هذه النهاية التي لا تليق بخدماته الجلى ، فازداد انفعالنا ، واخذت الندامة تنهش قلوبنا بعد ان تجسدت في انظارنا اخطاء الماضي واجمعنا كلمتنا على انه ينبغي للحاج بكري ان يستعيد كرامته مهما كلف الامر كي يشعر بالثقة التي افتقدها منذ ان تحول عنه الناس .

دخلنا مسكنه بعد ان نزلنا درجات الخندق فاستقبلتنا امراة عجوز ذات وجه مفلق وثياب خلقة ظهرت الينا من احدى زوايا هيكل السيارة المعتمة وسألتنا :

ـ ماذا تريدون ؟..

ـ نريد ان نقابل الحاج بكري .. فنحن اصدقاؤه .

واستدارت في استرخاء الى الوراء ثم اشارت بيدها الراجفة الى اخر المكان .. كان هناك ستارة من الخيش مرتقة بأقمشة مختلفة الالوان ، ينبعث من خلفها ضوء مصباح كاز . ينسكب وئيدا على رجلين باردتين باديتين من خلف الستارة بدون غطاء .

ـ اهو نائم .

ـ بل هو مريض .. ونائم ..

وبدانا نتجه صوب الستارة المزركشة ونحن نتأمل معالم هذا المسكن الوضيع ... وهمست في اذن اخي :

ـ ان هذا الوضع يفتت الكبد .. لنعرض عليه مسألة نقله الى دار اخرى ..

ـ اعتقد انه لن يقبل ...

وهمس اخ اخر ..

ـ اذا هو قام بتنفيذ خطته السابقة ونجح في تخلية اولاد خيرو عرموش من دارنا فانا اقترح ان نمنحه المربع الفوقاني ..

ـ هذا اقتراح انساني ... وانا اتطوع لخدمته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السجـــان

اغضب ! فقـــد يأسو الجـرا ... ح تفجـــر البـــركـــان
اغضـــب ! لانقـــع غلتـــي ... بتحـــــرق السجـــان
اغضب ! فانـــي قـــد الف ... ت مـــرارة الاذعـــان
والفـــت ذاك الصمـــت يكـ ... ـنـف بـــؤرة الطغيـــان

فهيـاجـــك المجنـــون يمـ ... ـنحنـــي هـــدوءا عبقريـا
وسعيـــرك المحمـــوم يسـ ... ـكب فـــي وجـدا شاعريـا
فاحـــس ان جـــوانحـــي ... تمحـو شعـورا بـربـريـا
وتحـــل فـــي مكانـــه ... المـــا مقيمـــا سرمديـــا

اغضـب ... فثورتـك العنيـ ... ـفـة قد تسري بعض مـا بـي
ووقوفـــك العريـان قـــد ... يخفـى بـــه ظـل العـذاب
فاحـــس أن الحقـــد يطـــ ... ـوي فـي غـــلالات السراب
واذوب فـــي الرؤيـــا واحـ ... ـسو نشوتـي عبـــر المصاب

دمشق — سلافة العامري

ـ هيا .. لنوقظه ولنباشر معه المباحثات ...

وحالت المراة العجوز بيننا وبين لمسه زاعمة انه مستغرق في نوم هانىء بعد يومين من معاناته لآلام مبرحة .

وسألنا العجوز :

ـ اذن هل ترين ان نحضر له طبيبا .

فلم تحر جوابا .. وانما انصرفت الى ركن في المكان وجلست القرفصاء .. ثم اشعلت سيكارة وراحت تحدق في الظلام .

واهاب بنا اخي :

ـ هيا اسرعوا .. واحضروا الدكتور حمزة من عيادته في الحارة .. الموقف يحتاج الى اجراء سريع .

وانحنى يلمس قدمي الحاج بكري العاريتين ، ثم شد فوقهما ذلك الرداء الرقيق الملتحف به ، ومع ذلك فقد بقيتا ظاهرتين .

لم تكن المراة العجوز لتفصح عن شيء .. وانما كانت ترسل ابصارها عبر فتحة هيكل السيارة فتصطدم بظلمة حالكة .. وكان هطول قطرات المطر فوق سطح هيكل السيارة قد بدأ يقطع حبل السكون العميق ويحدث في الوقت ذاته شعورا يثير الذكرى والاشجان ..

حضر الطبيب على جناح السرعة .. وانصت الى ضربات قلب الحاج بكري .. ثم جعل يحرك يديه ويضرب على خديه ويفحص داخل اجفان عينيه . وكان ان انكفأنا نحن لا نقوى على التبصر في وجه الحاج بكري الذي يذكرنا ابدا بأبوته لنا ... واجهش بعضنا بالبكاء .. بينما انصرف الاخر .. يقرأ ما تخطه يد الطبيب على ورقة رسمية .

« لقد توفي الحاج بكري مخللاتي باسترخاء القلب ... » .

وضربنا ايدينا تألما .. وتوزعنا في المكان المظلم الجوانب نستخفي من بعضنا ، وانحدرت الدموع ، وازداد هطول المطر على سطح هيكل السيارة فأحدث قرقعة تشبه قرع الطبول الداعية الى الانتباه ...

مات الحاج بكري مخللاتي دون ان يشعر بموته احد .. حتى هذه العجوز التي لم تعرف ما هو دورها في هذا المكان ، لم تكن تدري أنه مات .. ولقد ظلت في جلستها لا تريم ، مسهمة في رقعة الظلام البادية من فتحة هيكل السيارة على الرغم مما حدث بيننا من جلبة ونحيب .

وترامى الى مسامعنا في الخارج عصف الرياح ، واحسسنا بها تتخلل الى الداخل فيرتجف لها لسان (فتيلة) الكاز ، وتتأرجح ظلالنا المنعكسة على النوافذ المسدودة بورق المقوى ... ثم ما لبث النور الخافت الذي كان يضيء ذلك المكان ان اختفى .. ولم نعد نرى الحاج بكري ...

حلب — عبد الرحمن البيك

كتمان فاضح

الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

أحببتها في حذر صامت ... فلم أقل اني بها مغرم
ولم أجل عيني في وجهها ... قائلة ما لا يقول الفم
ولم أتابع خطوها ان مضت ... لتفهم العذراء ما تفهم
أكتم ما ينفر من حبها ... فتختفي في مهجتي الاسهم
أمر بالدار مرور امرىء ... ليس له فيها هوى مضرم
أسرع لا ألحظ شباكها ... وان تقف ليلى به تبسم
يبصرها قلبي ولكنما ... عيني عن رؤيتها تحجم
فان تلح سائرة مرة ... عوقت من خطوي فما أقدم

يزورها أهلي وتسعى لنا ... كنفحة من روضة تنسم
يكرمها القوم بالطافهم ... من ذا يراها ثم لا يكرم ؟
وأنتحي وحدي ولكنني ... بوصلها في خلوتي أحلم
تسال عني فيقال امرؤ ... للدرس والتحصيل مستسلم
سؤالها يشفي جراح الهوى ... ملطفا كأنه بلسم !
استشعر النشوة في خاطري ... وما بها من أحد يعلم
وربما صاحبت أهلي لها ... اذا تأتى طارىء ملزم
أذهب مضطرا الى بيتها ... مستحييا أن يكشف المبهم
في لفظة تنبو فيذكو اللظى ... أو نظرة توحي بما يوصم
واأسفا للحب لا ألتقي ... بغادتي الا اذا ارغم

اجلس لا عن رغب مجلسا ... أملؤه غشا بما أزعم
أخدع فيه الناس عن صبوتي ... مخاتلا كانني أرقم
ان حدثت ليلى برأي لها ... عارضته في شدة تفحم
أو قدمت بعض تحياتها ... صفت اعتذارا فيه ما يؤلم
أو أرسلت نكتتها حلوة ... تجلو عن الارواح ما يسئم
أمسكت لم أضحك وغيري انبرى ... يلتذ رياها ويستطعم
وربما قرظت من غيرها ... حديثها وهو ضنى يسقم
فان رنت ناقمة لم أجب ... كانني لم أدر ما تنقم
أخاطب الجلاس من دونها ... وقلبها من غيظه مفعم
فان دنا السير وصافحتها ... مددت كفي وفمي أبكم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبت ليلي ثائرا اشتكي ... جنايتي كانني مجرم
ينفجر البركان في خافقي ... ملتهبا يصرخ فيه الدم
اياك ان تسال عن محنتي ... فما لها وصف فتستفهم

وليلة خفت الى منزلي ... وكنت وحدي ، فهي لي توءم
فسلمت وانهار بي موقفي ... كان جسمي لهب مضرم
واضطرب اللفظ فلم يستبن ... كانني في حصري أعجم
فابتسمت اذ لمست موقفا ... مؤثرا يلهم ما يلهم
غريزة العذراء اوحت لها ... صريحة اني بها مغرم
فاندفعت تظهر مكنونها ... كما حكته الشاعر المعلم
لست طبيعيا معي يا فتى ... تخبرني عيناك ما تكتم
تظلم يا بن الخوف نفسا غدت ... تلتذ طعم الصاب اذ تظلم
لو كنت عاديا معي لم تكن ... تجبه آرائي بما يصدم
لو كنت عاديا معي لم تكن ... تعتزل الناس اذا أقدم
يجيء اهلوك الينا وما ... يدنيك الا قدر مبرم
لو كنت عاديا معي لم تكن ... تجانب البيت وتستعصم

دع ذا ، وقل ما رعدة ارعشت ... كفيك واهتز بها المعصم ؟
وحيرة في عينك استبهمت ... كنظرة الشارد اذ يسهم
ترمقني منفعلا هكذا ... اي حنين ذائب تكظم ؟
لسانك الموهوب قد عاقه ... في حضرتي الآن هوى ملجم
لست طبيعيا معي يا فتى ... عندي برهاني فما أرجم
تموبهك الزائف لم يلهني ... اقسم لم أخدع به أقسم
علمت ان البيت خال فلم ... اصبر ، ووافيتك أستعلم
أعلن حبي لك في جرأة ... كي أحسم الداء فلا يعظم
ثم رنت تصغي الى رده ... فرد عنه دمعه المسجم
فانطلقت تعدو الى بيتها ... وغادرته سادرا يحلم

وانفرج الليل له عن مدى ... واتاه مسرورا بما ينعم
ابدت هواها فقدا جازما ... وافرحة العاشق اذ يجزم
فرنح الاعطاف من تيهه ... كعاهل في قومه يحكم
واشرقت دنياه في بهجة ... فكل شيء حوله يبسم
واذكر الامس وكم لاعه ... بالامس من داهية تقصم
لا تستر الحب فأستاره ... شفافة ترسم ما ترسم
كالزهر تخفيه فيبدو له ... عطر ، وعطر الحب لا يكتم

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

عبد الحميد شومان - الدكتور يعقوب الخوري - كامل السوافيري

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ عبد الحميد شومان

كانت الحياة الاقتصادية في فلسطين ، خلال العهدين العثماني والبريطاني ، حياة بدائية تتسم بطابعين بارزين :

الاول ـ زراعة الحمضيات على نطاق محدود ، وتصديرها الى بريطانيا وسواها من الاقطار الاوروبية .

الثاني ـ صناعة التحف التذكارية من خشب الزيتون والاصداف المستوردة من شواطىء البحر الاحمر .

وفي سنة ١٩٢٢ فوضت عصبة الامم الى بريطانيا الانتداب على فلسطين ، واخذت تضع هذا الجزء الغالي في ظروف اقتصادية صعبة لتحكم الطوق على العربي الفلسطيني ، وتحمله كرها على بيع الارض ومبارحة فلسطين تمهيدا لتهويدها وتقديمها لقمة سائغة « لليهودي التائه ! » .

وبينما كان عرب فلسطين يبلون المصائب والويلات من « حليف » الامس ، ويرزحون تحت مظالمه ، كانت المصارف والشركات اليهودية تؤسس في طول البلاد وعرضها ، وتنشىء لها فروعا في المدن الفلسطينية ، وتغري التاجر والزارع العربيين بالتعامل معها ، شريطة ان يضع المزارع أرضه « رهنا » لقاء المال الذي يستلفه بفائدة فاحشة جدا .

في هذا الظرف العصيب أطل من المهجر وجه عصامي جبار أنبته ريف فلسطين ، هو السيد عبد الحميد شومان مؤسس « البنك العربي » بالقدس الذي عقد العزم على انقاذ مواطنيه من تعسف « شيلوخ » ... والتفريج عليهم بالمال الذي جناه في مهجره السحيق بعرق جبينه ! .

وتنويها باليد البيضاء التي اسبغها هذا العملاق الفلسطيني أضع بين يديك سيرة حياته وسيرة المؤسسة الجبارة التي اقامها في بيت المقدس ، انقاذا للاقتصاد العربي المفلوج بتأثير من الانتداب والصهيونية ! .

هربا من قسوة « خطيب » القرية ، وخلاصا من جور عصاه ... هجر الصبي « عبد الحميد » « الكتاب » قبل أن يتم دراسته الاولية ، عمل « فاعلا » في عمارة القدس الكبرى ، ومنها النوتردام والمستشفى الافرنسي .

وفي الاسبوع الاول من عمله كان اجره اليومي قرشا ونصف القرش (بالعملة التركية) ،

وفي الاسبوع الثاني بلغ اجره اليومي خمسة قروش ،

وفي الاسبوع الثالث صعد اجره اليومي الى عشرة قروش جزاء لنشاطه ،

وليوفر هذا الصبي الطموح عيشا كريما لوالديه وذويه اشترى جملا ، وعمره اثنا عشر عاما ، وشارك شقيقيه في تكسير الحجارة من مقالع قريته « بيت حنينا » ونقلها الى عمارات القدس . وبعد فترة قصيرة حذق دق الحجارة (نحتها) اذ تدر عليه ربحا اكثر من نقل الحجارة على ظهر جمله ، وراح يزاول نحتها في القدس ورام الله .

وفي ربيع عام ١٩١١ بينما كان « عبد الحميد » يدق الحجارة لاحدى البنايات في رام الله ، مر به مهاجر عربي من اسرة « حشمه » عاد من الولايات المتحدة لزيارة اهله ، وبعد السلام استطلعه « عبد الحميد » انباء العمل في امريكا ومدى الارباح التي يجنيها المهاجر الى تلك البلاد ، فزين له المغترب العربي الارباح الطائلة واغراه بالسفر الى تلك الربوع ! .

عاد الصبي الطموح الى قريته مصمما على الهجرة ، وشرع في المعاملة اللازمة . وبعد ان احرز « هوية » تخوله السفر الى امريكا ، ودع اخويه في صيف عام ١٩١١ وبارح قريته خفية عن والدته ، وامتطى باخرة من ميناء يافا ، حملته الى مرسيليا ومنها انتقل الى باخرة اقلته الى نيويورك .

وبعد مشقات عاناها الصبي المهاجر بلغ نيويورك وعمل بائعا متجولا في النهار وكان في الليل يعكف على تعلم القراءة والكتابة والحساب باللغتين العربية والانكليزية .

وما ان امضى ثلاث سنوات في دار هجرته حتى أسفر جده عن عشرين الف دولار جناها بكد يمينه ، فأسس محلا تجاريا في « بلتمور » واستطاع بذكائه ومضاء عزيمته ان يسجل حسابات متجره بخط يده ، وبصيب نجاحا في أعماله .

ونتيجة للاستقامة التي تميز بها هذا العصامي الامين فقد لمع نجمه في افق الجالية العربية ، واقدم على تأسيس معمل للحرير في شارع « فيفث أفنيو » بنيويورك ، وشرع في صنع ملابس للسيدات من نتاج معمله .

وخلال وجوده في المهجر تناهى اليه ان الاقتصادي المرحوم طلعت حرب باشا اسس مصرفا في القاهرة اسماه « بنك مصر » وذلك سنة ١٩٢٠ فخطر له تأسيس بنك في بيت المقدس باسم « البنك المصري الفلسطيني » وبرأسمال فلسطيني مصري ، فراسل طلعت حرب بهذا الصدد وابدى استعدادا للاسهام في رأس مال البنك المقترح .

وبعد هجرة دامت ثمانية عشر عاما رجع « عبد الحميد » الى وطنه سنة ١٩٢٩ ، وفي طريقه الى فلسطين زار طلعت حرب في « بنك مصر » بالقاهرة وكاشفه بالحلم الذي يراوده ، ثم استانف سفره الى بلاده وأخذ يدرس الظرف الاقتصادي الذي يسودها ، فعقد العزم على تأسيس بنك عربي يصون لامته كرامتها ، ويدعم اقتصادها ، ويحول دون استجدائها المال من المصارف البريطانية واليهودية .

وحالما عرف الكثيرون من الموسرين فكرة « البنك المصري الفلسطيني » اقبلوا على الاكتتاب بخمسة وثلاثين الف جنيه فلسطيني، فكتب « شومان » بهذا الحماس القومي الى طلعت حرب ، لكن قبل اتمام المعاملات الرسمية اندلعت نار الثورة العارمة في فلسطين سنة ١٩٢٩ وكان وقودها ١١٦ شهيدا عربيا و ٢٢٢ جريحا بينما القتلى من اعدائنا ١٣٣ والجرحى ٣٣٩ ، وهنا احجم طلعت حرب عن دعم المشروع بالمال ريثما ينجلي الموقف في فلسطين ، لكن العملاق الفلسطيني مضى قدما في تحقيق الحلم الذي راوده ، وصمم على تأسيس « البنك العربي » بأموال فلسطينية ، واعلم طلعت باشا بنيته هذه وبان في وسعه ان يساهم في « البنك العربي » متى شاء ، فبارك طلعت الاقتراح ووعد بالمساهمة في البنك .

ولما تناهت انباء هذه المفاوضات الى المكتتبين خشوا اخفاق المشروع لانسحاب طلعت حرب وانعدام الفنيين الماليين في فلسطين في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك العهد ، فقلقوا على أموالهم ، وقرروا الانسحاب من الميدان باستثناء « عبد الحميد » الذي صمم على تأسيس « البنك العربي » بماله الخاص .

كان قانون الشركات في فلسطين يقضي بوجود سبعة أشخاص كحد أدنى لتأسيس اي مصرف أو أية شركة محدودة ، فبحث « عبدالحميد » عن ستة اشخاص يساهمون معه بأية اسهم يشاؤونها ، فلم يجد من يناصره سوى المغفور له أحمد حلمي عبد الباقي والمرحوم فياض الخضرا .

واستكمالا للمعاملة اضطر الى اضافة اسماء بعد أقاربه ، وكان عدد الاسهم التأسيسية (٣٧٥٠) سهما ، قيمة كل سهم أربعة جنيهات فلسطينية .

وفي الحادي والعشرين من أيار ١٩٣٠ تم تسجيل « البنك العربي » في بيت المقدس وباشر عمله في ١٤ تموز من هذا العام ، وكان الشعار الذي اختاره « عبد الحميد » خارطة العالم العربي تزينها « النخلة » وهي مصدر رئيسي للغذاء في جزيرة العرب ، وجعل الى يمين الخارطة « الحصان » وهو الوسيلة التي ساعدت العرب في فتح الفتوح ، والى يسارها « الجمل » سفينة الصحراء وصلة الوصل بين الاقطار العربية والاسلامية في سالف الايام .

وبجلاء القوات البريطانية عن فلسطين فجأة في ربيع ١٩٤٨ تجدد الصراع بين العرب واليهود ، وبلغت الاضطرابات اوجها ، وتحققت المؤامرة الصهيونية بالاستيلاء على فلسطين وتنفيذ وعد بلفور وتشريد مليون عربي من فلسطين !

وحفاظا على هذه المؤسسة القومية قررت الادارة العامة للبنك العربي ان تنتقل الى عمان (عاصمة الاردن) لتكون قريبة من الفلسطينيين المشردين ، ولتظل على صلة بفروع « البنك العربي » الموجودة خارج فلسطين والاردن .

بدأ «البنك العربي» خدمته للاقتصاد منذ تأسيسه سنة ١٩٣٠ وما زال مثابرا عليها حتى أصبح بفروعه الاربعين يخدم (١٦) قطرا في آسيا وافريقيا واصبح رأسماله خمسة ملايين ونصف المليون من الدنانير وبلغ احتياطيه سبعة ملايين و (٧٠٤٦٧٠) دينارا .

وبالرغم من الهزات المالية التي أصابت العشرات من المصارف الغربية والعربية فقد ظل « البنك العربي » راسخ الدعائم لانه أرسي على قواعد سليمة كفلت له البقاء من عصف الرياح ، وهبوب الاعاصير ! .

في الستينات كتب صحفي امريكي مقالا في مجلة « لايف » عن « عبد الحميد شومان » هذا الجبار الاقتصادي ، أشاد فيه بعصاميته، وختمه بهذه العبارة :

« From a stone cutter to the president of the biggest bank in the middle east » .

وترجمتها : « من حجار الى رئيس اكبر مؤسسة مصرفية في الشرق الاوسط ! » .

نموذج من كتابته : « يسعدني أن أقدم لكم رسالتي هذه في مستهل تقرير مجلس الادارة عن مؤسستكم لسنة ١٩٦٨ ، وكم كنت اتمنى لو ان الاجزاء المغتصبة من وطنناالعربي قد تحرر من براثن احتلال العدو البغيض ، ولكن مع الاسف الشديد ما زال الصهاينة يحتلون فلسطين العزيزة بكاملها ، وسيناء ومرتفعات الجولان ، وما زالت مقدساتنا الاسلامية والمسيحية ترزح تحت وطأة احتلالهم ، كما ان نيات العدو التوسعية اصبحت واضحة ، والخطر الصهيوني لا يقتصر على الاراضي المحتلة وما جاورها وانما يهدد الامة العربية بأسرها . لذلك فلا سبيل لامتنا الا ان توحد صفوفها وتركز جهودها من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي ، وتعمل يدا واحدة وتتعاون على جميع المستويات مضحية بالمال والانفس لتتمكن من درء الخطر عن كيانها ومن استرداد مقدساتها واراضيها كاملة .

لقد مرت منطقتنا خاصة والعالم عامة خلال عام ١٩٦٨ بأزمات سياسية ومالية واقتصادية عديدة ، وعلى الرغم من تلك الازمات فان الميزانية العامة لمؤسستكم المرفقة بتقرير مجلس الادارة لسنة ١٩٦٨ تظهر لكم والحمد لله زيادة في الودائع والاعتمادات المستندية والكفالات والحسابات المدينة للعملاء والايرادات وغيرها من البنود ، وذلك نتيجة لازدياد نشاط مؤسستكم وتوسعها في تمويل المشروعات الانمائية .

وبالختام اسأل الله عز وجل ان يأخذ بيدنا جميعا لنستمر في السير قدما بمؤسستكم العربية الصميمة لتؤدي رسالتها التي أسست من أجلها لخدمة امتنا العربية في جميع أقطارها وامصارها بأمانة واخلاص ! » .

٢ ـ الدكتور يعقوب الخوري

هام بوطنه الاول « فلسطين » منذ شب عن الطوق وعرف ان له وطنا تألبت عليه قوى الشر والطغيان ، وجند طاقاته لشرح الظلامة التي أصابت اظلم قضية عرفها التاريخ ، وهجر الطب الذي اختاره مهنة ... ليعمل من أجل هناء « فلسطين » التي صرعها الاستعمار ، وجرعها الزقوم والفسلين ، وظل يردد كلمة ابن مصر البار « مصطفى كامل » :

« ان من يتسامح في حقوق بلاده ولو مرة واحدة .. يبقى طول حياته ... سقيم العقيدة ، مزعزع الوجدان ! » .

في عام ١٩١٥ ولد « يعقوب » بمدينة الناصرة بفلسطين لوجود والده جريس الخوري معلما عهد ذاك في المدرسة الروسية وانهى فيها بعض دراسته الابتدائية ، وبعد ان وضعت الحرب الكبرى الاولى أوزارها انتقل مع والده وافراد اسرته الى « بيت ساحور » جارة « بيت لحم » بحكم تعيين والده مديرا للمدرسة الارثوذكسية .

وبعد ان سيم والده كاهنا في القدس قصد الوالد مدينة طنطا في الجمهورية العربية المتحدة ، ليكون راعيا للطائفة العربية الارثوذكسية، وفيها أكمل « يعقوب » جزءا من دراسته الابتدائية ودراسته الثانوية في كلية الفرير بطنطا . وفي عام ١٩٢٩ ارسله والده الى الجامعة اليسوعية في بيروت ودخل كلية الطب ودرس طب الاسنان ، وفي عام ١٩٣٥ أحرز « الدكتوراه » وعاد الى القاهرة ، حيث كان والده قد نقل اليها ليتولى شؤون الطائفة العربية الارثوذكسية ، واسس فيها عيادة ، لكن العذاب الذي أحاق ببلده المظلوم « فلسطين » ظل شغله الشاغل .

وليؤدي الدكتور خوري رسالته الى وطنه المنكوب ، وشعبه المغلوب ، دخل القطاع العام واسس في القاهرة « النادي العربي الفلسطيني » للتعريف بالقضية الفلسطينية والدفاع عنها ، وانتخب سكرتيرا فرئيسا لهذا النادي ، وبادر مع فريق من العاملين في الحقل العربي بالقاهرة أمثال عبد الرحمن عزام والدكتور منصور فهمي وعبد الرحمن الجليلي واسعد داغر الى تأسيس « جمعية الوحدة العربية » واستهدف لرقابة وعيون بعض المسؤولين في ذلك العهد ، والتحق بكلية الصحافة في الجامعة الاميركية بالقاهرة وشرع ينشر المقالات القومية في صحف « كوكب الشرق » و « المقطم » و «الكتلة» و « الشورى » و « الاخاء » و « القاهرة » من صحف مصر و « صوت الشعب » و « فلسطين » من صحف فلسطين و « لسان الحال » من صحف بيروت .

وفي عام ١٩٤٠ عاد والده الايكونوتس جريس الخوري الى فلسطين واستقر مع اسرته في بيت لحم وبعد عام لحق الدكتور خوري بأفراد العائلة واقبل على الحركة الوطنية وتعاون مع فئة من الشباب العربي الواعي امثال فريد السعد والدكتور عمر الخليل والدكتور يوسف يحيى والدكتور صلاح عنبتاوي وكامل عبد الرحمن وسامي طه ومحمد البرادعي العباسي وفؤاد عزة الطباع وغيرهم ، وعمل معهم في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صمت وهدوء وألقى محاضرات عن رسالة الصحافة القومية في كبريات المدن الفلسطينية .

وبعد قيام جامعة الدول العربية في ٢٢ مارس ١٩٤٥ دعي الدكتور الخوري للعمل فيها ، وانيطت به شؤون الدعاية والنشر ، وسافر الى باريس في مهمة قومية ودرس الصحافة في جامعة باريس ، وحصل على دبلوم في الصحافة وعلى دبلومين في الدراسات الدولية العليا .

واشباعا لطموحه التحق بكلية الحقوق في جامعة السوربون وأمضى فيها سنة واحدة .

وفي عام ١٩٤٧ انتخب عضوا في الوفد الفلسطيني الذي زار فرنسا وبلجيكا وايطاليا والفاتيكان ودعا الى انصاف عرب فلسطين واتصل مع أعضاء الوفد بالهيئات والمنظمات الرسمية .

وبعد ان ادى اعضاء الوفد العربي الفلسطيني مهمتهم الوطنية عاد الدكتور الخوري الى باريس واسس فيها « مكتب فلسطين » واختاره المسؤولون في الهيئة العربية العليا رئيسا له .

وباعلان قرار تقسيم فلسطين (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) تغيرت الاوضاع السياسية فالفت الهيئة العربية العليا المكاتب العربية التي أسستها في امهات المدن الاوروبية وعاد الدكتور الخوري الى فلسطين ليعمل مع اخوانه العاملين في الحقل الوطني . وفي عام ١٩٤٨ عاد الى باريس مع الوفد العربي الفلسطيني لحضور الدورة الثالثة التي عقدتها الامم المتحدة في العاصمة الفرنسية لمناقشة التقرير الذي قدمه الكونت برنادوت رئيس لجنة الهدنة ، وفي عام ١٩٤٩ عاد الى القاهرة معارا من الجامعة العربية ليعمل مع الهيئة العربية العليا (وكان مقرها القاهرة) وعهد اليه بشؤون الدعاية والنشر ، وبعد حين عاد الى الادارة السياسية في الجامعة العربية واسندت له الشؤون الخاصة بفلسطين .

وبعد انشاء « ادارة فلسطين » في الجامعة العربية عام ١٩٥٤ نقل اليها وفي عام ١٩٥٩ عين مديرا لادارة فلسطين بالوكالة وفي عام ١٩٦٠ عين مديرا اصيلا . وفي مستهل عام ١٩٦٩ عين مديرا للشؤون الصحية في جامعة الدول العربية ، ومثل الامانة العامة لجامعة الدول العربية في كثير من المؤتمرات التي عقدت وتعقد في نطاق الجامعة واعد الكثير من الابحاث لاسيما في القضية العربية الفلسطينية .

آثاره القلمية : نشر الدكتور الخوري عشرات المقالات بالعربية والفرنسية وعالج القصة القصيرة وزود الخزانة السياسية بالآثار القلمية التالية :

١ ـ La Palestine devant le monde (بالفرنسية) وترجمته « فلسطين امام العالم » (١٩٥٣)
٢ ـ اللاجئون الفلسطينيون وقرارات الامم المتحدة (١٩٥٥)
٣ ـ املاك العرب وأموالهم المجمدة في فلسطين المحتلة (١٩٥٥)
٤ ـ حقوق الانسان في فلسطين المحتلة (١٩٦٨)
٥ ـ المزاعم الاسرائيلية عن أوضاع اليهود في البلاد العربية (بالفرنسية) .
٦ ـ حصاد الربيع .

نموذج من نثره : « لم يشهد العالم ، في تاريخه الحديث ، بعد ان نفذت الى أعماق الفكر البشري أضواء العلم ، وما حققه التطور الانساني ابتداء من الثورة الفرنسية ، نتيجة لجهود المفكرين الذين قادوا العالم من الظلام الفكري ، والظلم السياسي ، والاستبداد الاجتماعي ، الى طريق الحرية والنور ، في عالم يسوده القانون على أساس من الحق والعدل والمساواة ، اعترافا بحق الانسان والمواطن في السعادة والطمأنينة والاستقرار !

لم يشهد العالم ـ في العشرين سنة التي انقضت على اصدار الاعلان العالمي لحقوق الانسان ـ من هو اكثر تحديا من اسرائيل للمواثيق الدولية ، واستهتارا بالمثل الخلقية ، واهدارا للقيم الروحية ، وتدنيسا للمقدسات ، واستباحة للحرمات !

لم يشهد العالم ظلما اكثر فظاعة ، واشد قسوة وبشاعة ، او ما يقرب من فظاعته وقسوته مما احاق بأهل فلسطين ووقع عليهم ! .

ومن المؤسف ان يتم انتهاك شرعة الحقوق الانسانية على هذا النحو المؤلم في وقت يحتفل فيه العالم بسنة حقوق الانسان . لقد رأينا كثيرا من حوادث السطو والاجرام تتوقف ويكف اصحابها عن اقترافها بمناسبة قومية سعيدة او بمناسبات دينية بينما نجد اسرائيل ، وهي عضو في منظمة الامم المتحدة التي أصدرت اعلان حقوق الانسان تنتهك أولى مبادىء الحريات والحقوق التي كفلها الاعلان العالمي حفاظا على الكرامة المتأصلة في جميع اعضاء المجتمع البشري وعلى حقوقهم الاساسية الثابتة على أرضهم وفي بيوتهم واملاكهم .

لقد جعلت اسرائيل من المناطق العربية مجتمعا فاقد الحرية الانسانية والقانونية ، تسوده القوة والاضطهاد ويحكمه الظلم والارهاب.

ان ما تمارسه اسرائيل في المنطقة المحتلة في الوقت الذي يحتفل فيه العالم باضاءة الشعلة التي تنير طريق العدل والحرية والكرامة الانسانية يعتبر تحديا لابسط المواثيق الدولية واعلان حقوق الانسان والقيم الروحية والخلقية ، ويعرض الاسس والسلام والطمأنينة للخطر والاضطراب .

ان اسرائيل لم تكتف بحرمان الشعب الفلسطيني من نعمة الحياة في وطنه ، بل أخذت تضيق الخناق عليه ، محاولة حرمانه من حق الدفاع عن نفسه وحريته وكرامته ، دون احترام او مراعاة لما كفلته القوانين والاتفاقات الدولية من حقوق .

ان تناسي هذه الحقوق وازدراءها من قبل اسرائيل قد أفضيا الى اعمال همجية آذت الضمير الانساني ، وتمثلت في العديد من حوادث قتل وتعذيب اهل البلاد الشرعيين في المنطقة المحتلة ومصادرة حرياتهم ووضعهم في حالة دائمة من القلق والخوف ، وجعلهم غير آمنين على املاكهم وتدمير بيوتهم وترويعهم في السجون وتعذيبهم في المعتقلات ، وتعرض ابنائهم ونسائهم للمخاطر ، واستباحة حرمات منازلهم والتنكيل بهم وتشريد الكثيرين منهم وابعاد ونفي ذوي الفكر والرأي ، الامر الذي يدل دلالة واضحة على تأصل النزعة العنصرية في الحركة الصهيونية وغرسها اسرائيل ! » .

٣ ـ كامل السوافيري

ولد « كامل » في قرية « السوافير » (بلواء غزة) سنة ١٩١٧ واليها انتسب وفي مدرستها الابتدائية تلقى دروسه الاولى في اولى مراحلها ، وقد زوده المرحوم والده ـ وكان من علماء الازهر الشريف ـ بقسط وافر من علوم الدين واللغة العربية ، ثم ارسله الى الازهر حيث امضى فترة في رحابه حيث انهى علومه الابتدائية والثانوية . وفي سنة ١٩٣٣ حملته ظروف قاهرة على العودة لفلسطين قبل ان ينهي دراسته العالية.

وبعد ايابه الى فلسطين عينه المجلس الاسلامي الاعلى واعظا لقضاء الرملة ، وعندما اندلعت نار الثورة في فلسطين سنة ١٩٣٦ اسهم بقلمه ولسانه في شبوب لظاها ، وخط في تاريخها صفحات مشرقة وضيئة .

وقابلت السلطة البريطانية نصرة وطنه بالسخط والحذر، ففصلته عن وظيفته في اعقاب سنة ١٩٣٧ وقيدت حريته بأن طاردته بلا رحمة ، الامر الذي حمله على اللجوء لمصر سنة ١٩٣٩ . وبعد ان تعذرت عودته الى فلسطين، بسبب تتابع الاحداث ونشوب الحرب العالمية الثانية ، اغتنم فرصة لجوئه الى مصر فالتحق بكلية « دار العلوم » بالقاهرة ، استكمالا لدراسته ، وامضى فيها اربع سنوات احرز في نهايتها ليسانس في الآداب في سنة ١٩٤٥ ، وانضم الى معهد التربية العالي للمعلمين وقضى فيه سنتين ، وقد حصل في نهايتهما على دبلوم في التربية وعلم النفس عام ١٩٤٧ ، واختارته وزارة المعارف العمومية المصرية مدرسا للغة العربية في احدى ثانويات القاهرة ، وما زال يمارس التعليم الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يومنا هذا .

وفي المأساة الفلسطينية التي حدثت سنة ١٩٤٨ اعد الاستاذ السوافيري دراسة ادبية خصبة لهذه المأساة المروعة ، وفي امسية ١٨ اكتوبر ١٩٦٢ ناقشت اللجنة الدراسة التي بذل « كامل » جهدا في سبيل اعدادها ومنحته درجة الماجستير في الادب العربي بتقدير « جيد جدا » وفي سنة ١٩٦٤ صدرت هذه الدراسة القومية في موسوعة ضخمة بعنوان : « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٥٥ » .

« بدأ السوافيري (١) حياته الادبية اثناء وظيفته في فلسطين ، فكتب مقالات في الادب والاجتماع والدين نشرتها صحف «الجامعة الاسلامية» و « فلسطين » و « الدفاع » ، واثناء دراسته في « دار العلوم » اسهم في الميدان الفكري بقسط ضئيل في صحف مصر «كالاهرام» و «البلاغ» و « الجهاد » ..

ولكن نشاطه الادبي ظهر بصورة واضحة ابتداء من سنة ١٩٤٨ اذ فجرت نكبة العرب القومية في فلسطين في نفسه ينابيع الادب والفن عندما شاهد ابناء بلاده ، وفيهم قومه وعشيرته واهله ، يرغمون على ترك اوطانهم وديارهم ، ويتشردون تحت كل كوكب ، ويهيمون على وجوههم في اقطار الارض يطاردهم الجوع ، ويلاحقون البؤس ، ومنذ ذلك الحين ارسل صيحاته القوية في دنيا العرب داعيا للوحدة والتضامن ، وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ونبذ الخلافات لتتجلى الامة العربية في جميع الميادين .

ولما كانت القوة المادية من ناحية تعوز الدول العربية ، والايمان القومي يعوز بعض الحكام يومئذ فقد دعا في مقالاته الى القوة والتربية العسكرية والتسلح وانشاء مصانع للذخيرة في كل بلد عربي وتوحيد الجيوش العربية بعد توحيد الثقافة والاقتصاد والتشريع لتتمكن هذه الجيوش العربية الموحدة من الاخذ بالثار ممن سلبوها قطعة عزيزة من الجسم العربي ، وغسل العار الذي لحقها بعد الهزيمة في فلسطين ، والانتقام من اسرائيل وممن خلقوا اسرائيل وجعلوها شوكة في جسم الامة العربية وصنيعة لهم واداة يسخرونها لمصالحهم . وظهرت له في هذا المجال عشرات المقالات التي نشرت في مجلة « الرسالة » للاستاذ احمد الزيات و « الثقافة » التي اصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر و « الكتاب » التي اصدرتها دار المعارف بمصر و « الاديب » و « الاداب » البيروتيتين و « العرفان » الصيداوية و « القلم الجديدة» الاردنية و « الضاد » الحلبية و « الحج » السعودية . ومن المقالات التي نقدمها كامثلة :

١ ـ أدب الثورة والكفاح ٢ ـ عبد القادر الحسيني ٣ ـ اللاجئون ٤ ـ القوة في نظر الاسلام ٥ ـ التاريخ العربي والدعوة الى كتابته من جديد ٦ ـ فلسطين في هيئة الامم المتحدة ٧ ـ مصر والجامعة العربية ٨ ـ كيف نسترد فلسطين ؟ ٩ ـ العرب والعلم ١٠ ـ وعد بلفور .

وتناول في مقالاته فنون الادب فكتب المقالة والقصة والبحث والنقد ، ووجه عناية خاصة بالنقد الادبي القائم على أسس ومناهج ، فنقد كثيرا من الدواوين الشعرية والقصص والمسرحيات والكتب . وكامثلة نقدم الدواوين التي نقدها : ١ ـ وحدي مع الايام للشاعرة فدوى طوقان ٢ ـ اللحن الباكي للشاعرة جليلة رضا ٣ ـ عبير الارض للشاعر فوزي العنتيل ٤ ـ المشرد للشاعر ابي سلمى ٥ ـ مع الغرباء للشاعر هارون هاشم رشيد ٦ ـ أغاني العودة للشاعر علي هاشم رشيد (وقد كتب مقدمته) ٧ ـ ديوان المرحوم ابراهيم طوقان ٨ ـ ديوان الشهيد عبد الرحيم محمود .

ومن المسرحيات التي نقدها : ١ ـ شعب الله المختار للاستاذ علي أحمد باكثير ٢ ـ وطن الشهيد وشبح الاندلس للشاعر برهان الدين العبوشي .

ومن القصص الطويلة التي درسها دراسات نقدية : الحب المحرم للسيدة وداد سكاكيني والسلم الرخامي للاستاذ عبد الله الكبير .

ومن المجموعات القصصية : حصيد الرحى تأليف غائب طعمة فرمان واشرقت الشمس والنافذة المغلقة تأليف يوسف جاد الحق ، وقد كتب مقدمة مجموعة « أشرقت الشمس » .

ومن الكتب التي نقدها : ١ ـ نماذج فنية من الادب والنقد للاستاذ انور المعداوي ٢ ـ أعلام الادب في عصر بني أمية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ٣ ـ مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الاسد .

وهو اول من عرف بشعراء فلسطين وكتابها قبل النكبة وبعدها ، وأول من أبرز خصائص الادب الفلسطيني في فنونه المختلفة ، ولم يترك علما من اعلام الفكر والبيان في فلسطين ولا شاعرا دون ان يفرد له بحثا » .

نموذج من نثره : « يعتصر الكاتب قلبه ليتخذ من دمه مدادا لقلمه حين يصور الاهوال التي يعانيها اللاجئون ابناء فلسطين الشهيدة الذين شردتهم النكبة . ومأساة اللاجئين أعظم مأساة أحاقت بأمة ، اذ لا يعرف التاريخ في كوارثه الجسام كارثة بلغت من الهول ما بلغته كارثة اللاجئين .

كم من امة غلبت على امرها في ميادين الوغى فلم يتشرد بنوها ، ولم يفقدوا ديارهم واوطانهم . وهذه المانيا قد غلبت في الحرب العالمية الثانية وهزمت جيوشها ودمرت مدنها ، لكن الشعب الالماني لم يشرد من بلاده .

الوف من الرجال والنسوة والاطفال يهيمون على وجوههم في الارض ، في المهام والقفار ، في السهول والجبال ، في السفوح والاودية ، في المغاور والكهوف ، على رمال غزة وخان يونس ، وفي معسكرات البريج والمغازي والنصيرات ، وفي صحاري الاردن ، وهضاب لبنان ، وسهول سورية ، وضفاف النيل ، وشواطىء دجلة والفرات ، يطاردهم الجوع ، ويلاحقهم البؤس ، ويتخطفهم الردى .

شعب تشرد ، وامة تبددت ، وشباب ذوى ، واسر تمزقت ، فأب في بيروت ، وام في القاهرة ، واخ في غزة ، واخت في عمان ، وقرين في دمشق ، وقرينة في بغداد ، وابناء يبحثون عن ابائهم ، وامهات يتساءلن عن فلذات اكبادهن !

لقد تآمرت عليهم الاحداث ، وائتمرت بهم الخطوب ، فاذا هم ينحدرون من القمة الى الحضيض ، ومن النعمة الى النقمة ، ومن العز الى الذل ، ومن الشبع والري والماوى والكساء الى الجوع والظمأ والتشرد والعري .

قلوب ادمتها الجراح ، وافئدة كلمتها المصائب ، واستحالت الحياة في نواظرهم الى جمر يتلظى ، وجحيم يتسعر ، وغدا الموت عندهم امنية عزيزة المنال ، ولكاني بهم يتمثلون قول ابي الطيب المتنبي:

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا

وعلى الرغم من هذه المحن الشداد فقد تذرع اللاجئون بالصبر واحتملوا افدح الرزايا . اثنان وعشرون عاما يعللون النفوس بالاماني العذاب ، والامال البواسم ، معتقدين ان بعد ليلهم فجرا ، وان مع عسرهم يسرا ، ولكن ليلهم طال ، وظلامهم تكاثف ، كأن نجومه شدت بيذبل ... كما قال الشاعر القديم امرؤ القيس ، فهو ليل طويل لا ينجلي بصبح ، ولا يسفر عن فجر !

ترى ماذا يفيد اللاجئين اذا سمعوا ان قلوبنا معهم ، واننا نشاطرهم المحنة ونذرف الدمع اسى على ما أصابهم ؟ ان هذه العواطف لا تطفىء الاكباد الظامئة ولا تملأ البطون الخاوية ، ولا تكسو الاجساد العارية !

ولكننا معشر الكتاب والمفكرين لا نملك من دنيانا الا الاقلام الحرة

(١) تاريخنا المعاصر : ص ٢٩٦ ـ ٢٩٩ : محمد عبدالمنعم خفاجي .

مـارد

انـا مارد عالـي الجبين ... انـا صرخة الحق المبين
انـا صخرة قد حطمت ... خطط البغاة الغاصبين
انا فـي زوايـا خيمتي السوداء اهـــزأ بالسنـــين
وتمدنـي باللقمة العفناء ... ايـــدي الظالمـــين
لكـــي الـين ... ولا الـــين

قسما بتربك يـا بلادي ... قسم المشوق الى الجلاد
قسما بقدسك بالدمـاء ... المهرقات علـــى الوهاد
مـــا ذلني يومـي ومل ... الامس او سـمة الجهاد
مـل الرقاد سواد ليلي ... فمتـى يناديـني المنادي

الفجـر يبـزغ فارقبـي ... يـا امتي الحدث الخطير
جيـش واعـلام تسيـر ... غـدا متى دوى النفيـر
الفجـر يبـــزغ انـه ... ميـلاد تحريـر الاسير
آمنت بالوطـن الكبيـر ... ليمسح العـار الكبيـر

الفجر يـا حلـم الجدود ... وصيحة الحـر الشهيد
فوق مشانق.. في المجازر ... في السهول.. على النجود
هيـا اطلوا مـن اعاليكم ... علـى الفجـر السعيـد
فقـد اشترى دمكم لنـا ... عـز الكرامة والخلـود

يـا ظلم.. يا جاني على ... الاحرار تشريـدا ونكدا
احسبت انـك مستطيع ... ان تـرد الحـر عبـدا ؟
انسيت انـا نسل مـن ... ملكوا الدنيشهبا واسدا؟
يـا ظلـم زد تجريحنـا ... حتى يثيـر القدح وقدا

قسما بتربك يـا بلادي ... قسم المشوق الى الجلاد
مـل الرقاد سواد ليلي ... فمتـى يناديـني المنادي

الرابية ـ لبنان ... اسمى طوبي

الصادقة التي تصور لوعتنا . ان هذه الكلمات التي نكتبها بدمائنا هي الدراهم التي نقدمها للاجئين ، وليتها تخفف عنهم الاهوال والارزاء !

ايها اللاجئون ! لا تبكوا امسا ولى ولا ماضيا غبر ، ولا تذكروا الايام التي رفرف فيها علم البهجة عليكم ، ولا تتطلعوا الى الماضي الجميل ، لانه يزيد من ألمكم ، ويضاعف من حزنكم ! .

واذا كان الاستعمار البريطاني الاميركي قد دق اسرائيل اسفينا في جسم امتكم ، واتخذ منها اداة مدمرة يهدد بها كيان العالم العربي متى انتفضت شعوبه ! لا تقنطوا من رحمة الله والعودة الى فلسطين ، فان للثار يوما قريبا تثور فيه مراجل الحقد الدفين ، وتتأجج نيران الضغينة على اعداء العروبة والاسلام .

لقنوا ابناءكم حب فلسطين ، والتغني برؤاها والحداء بذكرها ! واذا لفكم الاسى في برده القاتم وعصف بكم اليأس فهوموا بارواحكم في السماء واذكروا انكم شعب مجاهد ، جالدتم اقوى دول الارض وأخبث شعوب العالم ثلاثين عاما ، وقدمتم على مذبح التضحية مئات الشهداء من ابنائكم ، وتحملتم اهوال السجن والنفي والتشريد ... فلم تلن لكم قناة ، ولم تضعف لكم شكيمة ! » .

عمان ـ الاردن ... البدوي الملثم



علي الزيبق

قصة القلم في حلب

بقلم علي الزيبق

* * *

وقبل ثلاثة عشر عاما حاولت (١) ان اروي قصة القلم في حلبنا ، وليس لي رجاوة غير تحريك الجذى في سرر الرماد ، ونقل الحقيقة الى الاذهان كما هي لا كما اود ان تكون ...

بيد ان اصدقائي الادباء راحوا ... فقد تعود الكثير في هذا البلد ان يمدحوا ويمتدحوا ... فكيف حدث عنهم وغبرت في بيدائي ؟

واعود الان ، لاتم القصة ، وانا اجوس الخنادق والحواجز بسرعة ...

فالى الذين يعبرون الدبوسية الى بيروت من دون ان يدفعوا ضريبة الحب والموت والالم معذرة ، والى الذين يفشون لبنان بغير الثياب التي يرتدونها في الشام معذرة ايضا ، فاني سأسحب ذيلي عليهم ...

وفي هذه المرة ، اعطر القارىء الفهيم بأسماء الادباء والكتاب المقيمين في حلب ، واعرض عن النازحين ... ومن يهجرنا نهجره !

حلب ام المعالي والرتب ـ يقول جدي رحمه الله ـ ولكنها اليوم غير ذلك ! فعندما ضعف الايمان ، زال عنها بركة الرطل ، واصبحنا نشتري خبزنا كفاف يومنا بالكيلو .. مسكينة حلب ! فاين السراويل ! واين أهل الطرابيش المغربية وباكورات المحلب ؟ بل أين العكيدة (٢) يضعون الايدي على الصدور فيصدقون ؟ كل ذلك مضى ... وجاء جيل البنطلونات ، واصحاب الكمبيالات ، نساؤهم يلبسن الشفوف ، ويلبسن الى حد الركبة ، فلا حول ولا ...

تلك الجبة الحجرية الشرقية ينخرها الضوء والهواء تخلعها حلب الان ! انها ترتدي بجادها العربي القشيب فصلته الهندسة الغربية ... الشمس ، الشمس البيضاء كالثلج ، تدهن الشوارع ، وتملأ النوافذ حكايا ... والناس في جيئة وذهوب يحملون الانباء وتنزلق عيونهم على الافق .. ما زال في صوتهم بعض الرنين اليابس سرقوه من الصحراء ، وما زالوا مؤمنين بالله وان قصروا السبحات ...

كل شيء يتبدل بسرعة .. فمياه القناية لم تعد تزرع التفاحة الحلبية على الخدود ، واصبحت حلب ترضع من نهد الغبرات ولا أحلى ...

الاديب ، الكاتب ، المفكر ، يشول هذه البيئة كلما رنق وزف وحلق ... ولا بد ان يكون نبات هذه البيئة ! .

الاندية والجمعيات عناوين تسبح على الشفاه ولا تراها العيون .. هي خمس وخمسون سنة ١٩٥٨ وثماني وسبعون سنة ١٩٦٩ (٣) . وجمعية الابحاث العلمية سنة ١٩٥٧ وما تزال تعمل جاهدة . وجمعية العاديات وكان تأسيسها سنة ١٩٣٠ مليئا بالوعود ... ولا انسى هاتيك المحاولات والابحاث تنشرها مجلتها ذات الصفحات القليلة وهي تستهل حياتها فتقصي عنا الغبار .

اما المكتبات فكانت اشواقا في عيون الشوارع ... تلمع في واجهاتها الجرائد والمجلات معلقات كالنوافذ تدعو الى السياحة ! وفي نهايات سنة ١٩٦٨ تفاجئنا اخبار حزينة : فمكتبة النور التي تضم أمهات الكتب الانكليزية يفلس صاحبها فتتحول الى احذية كارلتون ... ومكتبة دراكجيان الفرنسية ـ الانكليزية يفلس صاحبها فتتحول الى كابيتول ... ومكتبة وطفة التي بالعبارة تنقلب الى حانوت فلافل ، ويغادرها منشئها الى الكويت ... ومكتبة اسكيف التي قرب منتدى الضباط تتحرر من الكتب والجرائد لتصبح معصرة فواكه « فيتامين » ... واما مؤسسها فيتدحرج جسمه في دكان نوفوتيه .. وهناك ... وهناك ... فلم يبق في حلب من المكتبات التي تعلل سوى مكتبة عجان الحديد تعنى بآثار القدامى ، ومكتبة الشهباء تهتم بالمؤلفات الحديثة ، ومكتبة المنارة تضم الروائع الفرنسية ... فليحرس المولى هذه المكتبات!

وبدأت ريح الهجرة تنفخ اشرعة النهى والقلوب .. هجرة من حلب الى دمشق ، ومن حلب الى بيروت ، ومن حلب الى ... فالادباء والكتاب والمفكرون يوسعون رقعة الارض ، وقد يحلمون ببساط الريح وفانوس علاء الدين ...

فممن هاجر الى دمشق : صلاح الدين الكواكبي ، سامي الدهان، عزة حسن ، عبد الكريم الاشتر ، عبد الرحمن حميدة ، محمد التونجي، نهاد رضا ، مصطفى بدوي ، حسين راجي ، فاضل السباعي ، فاتح المدرس ، ومنير العمادي .

وممن هاجر الى بيروت : ادمون رباط ، قدري قلعجي ، مروان الجابري ، فريدنان توتل ، شكيب الجابري ، عبد الله عبد الدايم ، وناديم مرعشلي .

وأوطن رونيه خوام بفرنسا ، وبولس قوشاقجي بالولايات المتحدة ، وعادل الغضبان بمصر ، وعبد الفتاح ابو غدة بالسعودية ، وعبدالوهاب حومد بالكويت ، ونديم خشفه بالجزائر ، وصالح الاشتر ، وعمر بهاء الاميري ، وعبد الوهاب سايس اقاموا في المغرب .

فكل من ذكرت له مؤلفات ... احسبني اعطيت فكرة صالحة عن دينامية الهجرة ! .

وما تزال دار الكتب الوطنية تخلع الاجنحة على روادها منذ سنة ١٩٤٥ حيث آل امرها الى البلدية ... فهي تغريك وتدعوك الى الانسياح بفهارسها السبعة الدقيقة خطتها الافئدة بصدق واخلاص (٤).

وعلى الرغم من دواعب الارياح (٥) ، فان مديرها الاستاذ جلال الملاح لا يدع سانحة تفوته لاغنائها او للحفاظ عليها ... واني لاقرأ الفرحة الكبرى على محياه وهو يرى الى اهل الكرم يعطفون على دار الكتب بالمال والمؤلفات وما كان لذلك ان يتم لولا ما يتمتع به من تجلة .

ولا اود الحديث عن الصرعة .. اولئك الذين يلدون في حقيبة صحفي غر ، ثم لا يقبلون الا ان يقال لهم : حماداكم ! فانتم اشعر الشعراء ، واعظم الكتاب ، وانتم ... سامح الله المشجعين ! فلو تبصروا بالامور اكثر ، فليست الدنيا كلها على حدود ضيعتنا ! .

على ان الافتقار الى مطابع الليتوتيب او المونوتيب (٦) ، والافتقار

الى دور النشر المخلصة ، ما يزال يشكل ازمة كبيرةملحوظة .. مما يدفع الكتبة الى التعاقد مع دور النشر بلبنان ، ونادرا ما يعوجون على مصر ...

الشعر

شعراء التقمص والتصور والخيال ، الشعراء العارفون الذين يعبرون عن التجربة بغير الفاظها ، وينسجون على المنوال ... الشعراء الكلاسيكيون بدءوا ينقرضون !

عمر يحيى في قصيدته « متقاعد » قفز الى ما وراء الحاجز الكلاسيكي ، وهو يحمل جراحه رفافة ما بين الغضون (٧) .

فهذه المحاولة الرائعة تختلف عن كل ما سجله سنة ١٩٢٦ في ديوانه البراعم ! وانا لم اقرأ قصائده الاخيرة (٨)

وعندما اطوي جناح العيون على قصائد شارل خوري ، عبد الله يوركي حلاق ، وانطواق شعراوي ... اجدني لا اطيل الوقوف ، واحاول التحليق ... فهذا الصحو يخيفني ، وانا لا احب الجمال عريانا .

وبعد ان تقرأ لهؤلاء يبقى في ذاكرتك اسم شارل خوري مدويا ، وهو اكثرهم اصالة ... فاقرأ له دواوينه الثلاثة : سجايا واطياب وايمان ...

وعبد الله يوركي حلاق بعد ان صدر له « خيوط الغمام » سنة ١٩٤٢ لم يبتعد كثيرا في « حصاد الذكريات » سنة ١٩٦٦ . فقد ظلت شاعرية انطوان شعراوي ارق منه في « منهل الوفاء » سنة ١٩٥٧ وان كان الحلاق اغنى منه فكرا ... (٩)

ولا ريب ان عمر ابو قوس ظل نسيج وحده في تقنية القصيدة العربية القديمة يحملها رؤاه الجديدة واستبصاراته ... على ان اجمل قصائده تلك التي تشف عن حنينه اللاظي الى الاطفال وشكوى الحال ، فقد صاغتها اللغة القوية ، ووضوح الرمز .. (١٠)

ومن بعيد يلمع نجم شاعر ملء عينيه نجوى ... ذلكم هو محمد منلا غزيل ، وليس له غرض اسمى سوى الدعوة الى صميم الاسلام ! وفي مجاميعه الاربع (١١) رعشات افئدة كابدت ما كابدت ...

ويقول لي الاصحاب : ما رأيك بالشاعر عمر ابو ريشة ؟ فاجيبهم وانا اتمتم باسم الشاعر علي الناصر :

ان لحياة عمر جناحي شذا وفسحة بساتين ، فهي حياة الكثير ! واما حياة علي فقارة محصنة بالرموز والاسرار تتمرد على المكتشفين ما لم ... من ذلك نجد الفاظ عمر من مناجم الصحو ، ونجد الفاظ علي من جبال الغيم ... فعمر يرى نفسه امينا على لغة العروبة ، ويجالد في سبيلها واما علي ، فكلما هم بالطيران صنع لنفسه لغة ! وعمر الشاعر يشغف بالمطولات وان كان يأذن للشمس ان ترممها .. (١٢) ولكن عليا يروي لك الحكاية ذات الالف ليلة وليلة كلها في حرف واحد ... فالتكثيف والتذهين شغله الشاغل ، وهو في هذا شاعر نادر .. (١٣)

وثمة شعراء شباب في مستهل الدرب عرفت منهم : مصطفى حاج مصطفى (١٤) ، محمود ختام (١٥) ، ظهير كثيفاتي (١٦) ، لؤي فؤاد الاسعد ، صباح الدين كريدي ، كمال سلطان ، نبيه الشعار ، ومحمود محمد كلزي (١٧) .

الرواية

لا ريب ان اول روائي باهت به حلب هو الدكتور شكيب الجابري. كان ذلك سنة ١٩٣٨ عندما طلع على العالم العربي بروايته الشهيرة « نهم » .

وعلى الرغم من ان بعض ادباء حلب عانوا دوار الرواية ... الا انهم ما برحوا يرفون ، فلم يكن لهم قوادمه وخوافيه ، ولا اتساع الحدق ! .

واذا كان على الروائي ان يشارك الفنان والفيلسوف في صفات كثيرة كما يقول جيمس ، فان شكيب الجابري ذيالك الفيلسوف والفنان ! تذكرنا به رواياته الاربع (١٨) .

وكان الروائي الثاني الذي عرفته حلب هو عبد الوهاب الصابوني. ففي سنة ١٩٥٣ ظهرت له « عصام » التي ما تزال يتيمة عنده وعندنا ... فهي صنعة المفكر العارف الذي لم يشارك الفنان في صفاته دواما ! .

جورج سالم عاش « في المنفى » سنة ١٩٦٢ دون ان ينفيه احد ... فهذه الرواية عمل جديد لم تجنحه الطفولة البريئة ، تلك التي تؤنسن الابعاد ... وبالرغم من كل ذلك ، ربما امتعنا !

الا ان جورج بدا يعاني غربة الحرف ... فقد جنح للترجمة ، وفي

(١) انظر حكاية الفكر في حلب (الاديب ، سبتمبر ١٩٥٧) .

(٢) الكاف المشددة المكسورة تلفظ كافا فارسية ، وتعني الشجعان باللغة الحلبية الدارجة . (٣) باستثناء الاندية الرياضية .

(٤) تأسست دار الكتب الوطنية سنة ١٩٢٤ باسم مكتبة فرع المجمع العلمي العربي . ثم الحقت سنة ١٩٤٥ ببلدية حلب ، والحقت سنة ١٩٥٩ بوزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي وما تزال . تحتوي الان على خمسة واربعين الف كتاب عن الجرائد والمجلات ، ويتألف بناؤها من طابقين يشتملان على تسع غرف وبهو وقاعة محاضرات . وفي سنة ١٩٦٨ أمها (١٨٩،١١٥) مطالع منهم (٤٦٤٦) قارىء مجلات . (٥) بلغت ميزانية دار الكتب الوطنية سنة ١٩٤٩ نحو مائة الف ليرة سورية ، وبلغت ميزانيتها سنة ١٩٦٩ نحو خمسة عشر الف ليرة سورية . (٦) تملك حلب حاليا خمسا وخمسين مطبعة عادية ومطبعتي اوفسيت وثلاثة معامل زنكوغراف . (٧) البيت الاخير من القصيدة :

جراحه في قلبه اصبحت رفافة ما بين تلك الغضون

(٨) ولد الشاعر عمر في حماه سنة ١٩٠١ . سكن حلب منذ سنة ١٩٣٦ وعلى يديه تخرجت صفوة من الادباء والكتاب والمثقفين . ويدرس حاليا مادتي النحو والعروض في كلية اللغات بجامعةحلب . (٩) ولد الشاعر سنة ١٩١١ وتجد في ديوانه حصاد الذكريات عشرين منظومة مدح ، واثنتي عشرة منظومة رثاء (١٠) ولد الشاعر سنة ١٩١٨ تزوج ولما ينجب طفلا ، وفي سنة ١٩٥٩ احيل على التقاعد . له حروف من ثار ، وحي الليل ، العيون الخضر (١١) ولد الشاعر سنة ١٩١٣ ففي منبج . له في ظلال الدعوة ، الصبح القريب ، اللهوالطاغوت، اللؤلؤ المكنون .١٢) ولد الشاعر عمر سنة ١٩٠٨ في عكا من اب لبناني وام تونسية فلسطينية . تبنته حلب وباهت به ، ولكنه غادرها منذ سنة ١٩٤٩ . له ذي قار ، شعر ، من عمر ابو ريشة شعر ، والمختارات . وكان القاؤه الرائع يثير حماسة الحلبيين .

(١٣) ولد الشاعر علي الناصر نحو سنة ١٨٩٤ في حماه ، وسكن حلب منذ سنة ١٩٢٠ ، له قصة قلب ، الظمأ ، البلدة المسحورة ، سربال (بالاشتراك مع اورخان ميسر) ، دن الدموع ، اثنان في واحد ، وهو طبيب حلب للامراض الجلدية منذ ثلاثة وخمسين عاما .

(١٤) له « اوتار تحترق » طبع ١٩٦٦ . (١٥) له « موسم الراعي الحزين » طبع ١٩٦٦ . (١٦) له « الكوخ فرس زرقاء » طبع ١٩٦٧ .

(١٧) لم يصدر لهؤلاء الخمسة أية مجموعة .

(١٨) ولد الدكتور شكيب سنة ١٩١٢ وغادر حلب منذ سنة ١٩٤٢ . صدر له : نهم ، قدر يلهو ، قوس قزح ، وداعا يا افاميا . وله رواية مخطوطة اسماها « في اثر السراب » ، ويعكف على كتابة رواية جديدة بعنوان « ثلاث فارات صغيرات » انجز منها نحو اربعمائة صفحة .

ذلك ملء التعبير عن موجعاته ... (١٩) .

ومحمد الراشد الذي يتداوى من الجريدة بالجريدة (٢٠) ، عاش في بيئة شعبية موحية زاخرة ، وكان لوالده الكبير الشيخ رشيو (٢١) اثر بارز في حياته الادبية !

وبعد ان صدر له « غروب الالهة » سنة ١٩٦١ ، جاز المدى وابتعد فكان له « المحمومون » سنة ١٩٦٥ . وهو في كلتا هاتين الروايتين يعبر باخلاص عن الضياع الحضاري ، ويدعونا الى الاجمل ... ولكن بالعنف ! .

ولا انسى عبد الاله يحيى ... فروايته « الالوهة والخطيئة » التي ابصرت النور سنة ١٩٦٥ ، احساس بالغربة ، وحزن على المصير الانساني ، والف سؤال .. وهو اكثر شففا بالاسهاب من التكثيف كلما برعمت هاجسة .

القصة

ولم يتح لحلب ان تعرف القصة القصيرة الا بظهور مظفر سلطان ، فهو رائدها الاول ... وكان ذلك قبيل الحرب العالمية الثانية !

بيد انه سكت غب صدور « ضمير الذئب » سنة ١٩٦٠ ، وما اخاله يتكلم !

وهنالك قاصون تسربلوا بالصمت ايضا : عبد الرحمن البيك الهته المحاماة ، وعلي بدور ، وبدر الدين الحاضري اسرته الماجستير ، وشمس الدين شمسه طواه المعمل ، وجورج طرابيشي جرحتهالترجمة .

وكدت اذكر اديب نحوي ! ولكنه بدأ يحكي (٢٢) .

جهاد الكاتب ، هذا المارد ، فنان اصيل يسلبني شخصيتي كلما هممت ان اقرأ له ... ولا استردها ثوا ! فما ذلك الا لانه صادق مع نفسه ومع الاخرين ! فالقصة عنده معاناة ، لا افتعال ، لا موازيك ، ولا ... وانما البساطة ، البساطة الشفافة ، تحسها وتلمسها في الكلمة تعانق الكلمة !

اقرأ له البنادق الطويلة ، والوسام ، وفار على الرصيف ، (٢٣) واقرأ له ... فلا بد ان ترتاح لهذا الفيض الوجداني يوفق باخلاص بين ما هو انساني ، وما هو فولكلوري ، ولكن بالعبرة والنكتة والسخرية !

وعلى حين ينسرح جهاد الكاتب مع عضويته ، يركض وليد اخلاصي وراء حروف العطف ، فيؤلف منها اللوحة !

ويهتم هذا الاديب الحائر بكل جديد .. يتحرش ، يبحث ، ولا يلتفت حتى الى ضوضاء النور يتصاعد خلف غليونه ! فمن اللامعقول ، الى المسرح ، الى الاقاصيص ، وبعد ؟ وهو في ذلك كله يعرف اكثر مما يحس ، ويصور بريشة ما قد كان وما سيكون ... ولا ريب ان ثقافته الزراعية لها بعض ظل على هذا الانسجام وهذا التماسك اللذين اذنا لشمس الظهيرة ان تصبغ من عبارته ... (٢٤)

(١٩) له مجموعة قصصية « « فقراء الناس » ، ورواية « في المنفى ». واما كتبه الستة الباقية فهي ترجمة عن الفرنسية .

(٢٠) ولد الاديب محمد سنة ١٩٤١ في تادف ، وهو من محرري جريدة الجماهير العربية الحلبية .

(٢١) ولد الشيخ رشيد سنة١٨٩٧ في تادف ، وله عشرون كتابا مخطوطا

(٢٢) لم اتمكن من دراسة آثاره ، وحالت وحالت المسافة الشاسعة بيني وبينه !

(٢٣) انظر الاديب (يوليو ، مارس ١٩٦٧ ، ونوفمبر ١٩٦٩) .

(٢٤) تخرج الاديب وليد سنة ١٩٦٠ من كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية وصدر له : قصص ، شتاء البحر اليابس ، العالم من قبل ومن بعد ، دماء في الصبح الاغبر ، واحضان السيدة الجميلة .

(٢٥) ليس لهؤلاء اية مجموعة قصصية .

(٢٦) انظر ما كتبه عبد الوهاب العجيلي (توفي ١٩٤٥) في مجلة

وما يزال ببالي اسماء قاصين اربعة : مصطفى زيات ، فؤاد رفاعي ، رنيه عبودي ، فاضل ضياء (٢٥) ولكن نتاجهم ضئيل !

السيرة

ما برح جرجس ماردينى الرائد الاول لفن السيرة (٢٦) كان ذلك سنة ١٩٦١ عندما ظهر له « حياة يسوع المسيح » .

فبالخيال الشفاف ، بالدقة ، بالعمق ، وبالعنصر الهام الكبير الذي يجب ان تقوم عليه السيرة وهو التمشي مع حركة النمو والتطور في البناء كما يقول احسان عباس ، وبالرؤية الانسانية ... بهذا كله استطاع الاب ماردينى ان يحدثنا عن السيد المسيح حديثا مانعا .

ولم يخلفه احد .. (٢٧) .

البحث

يفرض علي احترامه العالم الذي يحيا بالحقيقة وللحقيقة ... فهو يحمل قلمه كما الفدائي يحمل البندقية ، ولا هم له الا تحقيق الاجمل والامثل ، ولو قدم حياته قربانا ... فليس العالم الحق من يركض وراء سراب المادة ، يخافت المشى علي القبور ، يرجم الناس .. العالم انسان رائع ! وانسانيته هذه تساوي ملء وجوده !

فؤاد عنتابي يفرض علي احترامه ! وان لم تصدقني ، فاقصد بيته امام السجن المدني ، ليحكي لك قصة القلم الذي يسيل جرحه ، فهو لا يدعي ، وانما يدعوك الى الحاشية ، تعطف عليها لتجد المعاناة وهو يبري عيونه على شفرة الحروف ... فالامانة العلمية ، امانة النقل والتاليف ، بعض ميزانه ... كل ذلك يتجلى في مؤلفاته الثمانية المخطوطة ، وبعضها بالانكليزية ، وبعضها بالعربية .

وهذا العالم ، الذي قرأت له المقتطف والعرفان والسياسة الاسبوعية منذ سنة ١٩٢٧ تجده الان يميل الى التاليف بالانكليزية ، ولا يقرع باب المكتبة العربية الا لماما .. (٢٨)

الاحمدي خير الدين ، ذو الشطحات ... زره في متحفه بالشيخ طه ، لينقلك وانت على كرسيك من بلد الى بلد في لحظة مترعة اخت امجاد ! .

ويا قارئي ، من اين ابدأ ؟ فهذا اديب ، ام فنان ، ام عالم ، ام متصوف ؟ سمه ما شئت ! ولكنك لا بد ان تحني جبينك امام هذا الصبر وهذا الاخلاص للحقيقة كلما وقفت على صفحة درزها قلمه ، بل قلوبه الكثيرة والكثيرة ...

ما خير الاجيال ؟ جيل يرى الخرائط غير ملونة .. ما الصوفية ؟ احاسيس ناعمة مسرحها وراء الطبيعة ... ما الكلمة ؟ كائن حي في دنيا الطبيعة وتعطيها الطبيعة للعالم لا الدراسة ...

الحديث الحلبية (الاعداد ٢ ، ٤ ، ٥ : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، سنة ١٩٣٤) فهي لم تبلغ من دقة التصوير وعمق التحليل ما بلغته السيرة الفنية على يد الاب ماردينى ، ولذلك لم اعتبر العجيلي الرائد الاول ، على رغم براعته ، وللاب ماردينى كتاب اخر « فجر المسيحية » صدر سنة ١٩٦٣ وهو لا يقل روعة عن « حياة يسوع المسيح » ولكنه يتحدث فيه عن اكثر من شخصية واحدة ! . (٢٧) ولد الاب جرجس سنة ١٩٠٤ ، صدر له ستة عشر كتابا نصفها ترجمة ، وله اربعة كتب مخطوطة اثنتان منها ترجمة . (٢٨) ولد الاستاذ عنتابي سنة ١٩٠٩ . له بالانكليزية : الزجاج السوري والحلبي خاصة ، علم الفلك عند العرب ، ابن يونس الفلكي العربي واثره على جونس جريفز اوف اكسفورد ، ديوان شعر ... وله بالعربية : العرب والتجارة ، الغرف التجارية في البلاد العربية ، القوى البحرية الاسلامية ، دور العرب في الحضارة الاوروبية . وكل هذه الكتب مخطوطة . (٢٩) ولد البحاثة

تلك هي نظراته في الحياة والكون والفن ، يرويها لك وانت في خدر لذيذ ما بعده من خدر ...

واما كتابه الضخم « موسوعة حلب » الذي سكب في كل حرف من حروفه الصحة وما يملك من دناه كتابه هذا ... سفر ماتع في درب الفولكلور الحلبي على مسافة ثلاثة الاف ومئتي صفحة كبيرة خصبة ! وكلما اتعبك المسير اظلك الاسدي بتأويلاته ، وحاول ان يجمع من شتات فكرك السابح ! .

ولكننا لم ننصف هذا الانسان ... (٢٩)

وقاسم احمد ، العامل العلمي (٣٠) ، اطفأ اثنتين وعشرين شمعة من عمره في مقارنة اللغات السامية والحامية والآرية ، سيرا عنقا وشدا ، وراء الحقيقة .. ولكنه لم يتمكن من جمع معلوماته بين دفتي كتاب واحد (٣١) .

وفي ظني ان الدكتور محمد يحيى الهاشمي كان يعدنا بالقطاف . وبعد احالته على التقاعد سنة ١٩٦٤ كدنا لا نجد له سوى الترجمة (٣٢)

ومن الشباب يلوح لي جليا زهير طحان . اعرفه واعرفه ... وبعد ان قرأت له « هكذا تكلم بوذا » سنة ١٩٦٣ وجدته يطوي البيد طيا الى البحث العلمي . وهو في مؤلفه المخطوط « الروح » حر التفكير .

التحقيـــق

الدكتور سامي الدهان ، امام المحققين الحلبيين ، اول من عانى دوار التحقيق والشرح والفهرسة في مدينتي ... وكان ذلك سنة ١٩٤٤ عندما اعد للطبع ديوان ابي فراس الحمداني في ثلاثة اجزاء (٣٣) .

وقد تبعه فيما بعد تلميذه الدكتور عزة حسن الذي كان رائعا مثله ، مخلصا مثله ... (٣٤)

الا ان الدكتور فخر الدين قباوة ، هذا الشغيل ، ابرز المحققين الذين يقيمون في حلب . بل لا اكاد ارى سواه ! .

وان شئت فاقرأ له شرح القصائد العشر صنعة الخطيب التبريزي ... افلا تقف على امانة العالم واخلاصه وانت تحنو على الحاشية ؟ لا بد الا ان تنحني اجلالا لهذا الجهد الكبير ... (٣٥)

الترجمـــة

ان عددا غير قليل من ساكني الشهباء كانوا ـ وما يزالون ـ يحفرون الابجدية الفرنسية على قلوبهم ، بل منهم من آثر التأليف بها مثل : رنيه خوام ، اسعد محفل ، ادمون رباط ، حميد الانطاكي ، جوزيف شلحت ، شريف الخزندار !

فهذه هي اللغة الاجنبية المفضلة عند اكثر الحلبيين .. وما برح عشاق الفرنسية يزدادون ويزدادون الى أن تم الجلاء (٣٦) فبدأت الانكليزية تنافسها ! .

وكان اكثر الصحف اهتماما بالترجمة عن الفرنسية هي « الشعلة » (٢٧) ، « الرحمة » (٣٨) ، « الشهباء » (٣٩) . فقد اعتمدت هذه المجلات الثلاث على الترجمة اعتمادا كاد يغلب على الانشاء والوضع ...

على ان ما يترجم لم يكن ليستهدف الامتاع والمؤانسة عن طريق الاحساس اللغوي العميق الذي له ما يقابله في اللغة التي يترجم لها .

وفي سنة ١٩٥٢ يصدر حسيب الحلوي « الادب الفرنسي في عصره الذهبي » بسبعمائة وتسع وستين صفحة . فهذا الكتاب القيم ضم نصوصا من الادب الفرنسي في القرن السابع عشر ، فكانت الترجمة الدقيقة الممتعة التي ما تزال رائدة !

واذا كان الحلبيون قد ترجموا عن الفرنسية ، فانهم لم يتنكروا لبقية اللغات العالمية ، او الشرقية ، ولكن ترجمتهم عنها ـ ولا سيما الشرقية ـ لم تكن كثيرة !

واما ترجمة الاثار العربية ، فان محاولة برصوم الشماس يوسف تظل فريدة ورائعة ، ففي سنة ١٩٥٧ تمكن من نقل مواكب جبران خليل جبران الى السريانية شعرا !

على ان جل الذين عانوا الترجمة قد نزحوا ... فمنهم من سكن دمشق ، ومنهم من سكن بيروت ، حيث يندلح الافق ... ولم يبق في حلب سوى النزر القليل امثال : حسيب الحلوي ، الياس غالي ، وديع قسطون ، نجيب مكربنه (٤٠) ، جورج طرابيشي ، محمد جديد . وهؤلاء جميعا يترجمون عن لغة واحدة . واما جرجس ماردیني فيترجم عن اللغتين الالمانية والفرنسية .

ولا بد لي ان اعير الدكتور محمد التونجي التفاتة ، فقد اطلعني بدمشق على مسودات « المعجم الذهبي » وهو قاموس فارسي ـ عربي يضم نحو ثلاثين الف كلمة . فهذا عمل فذ من دون ريب ، وتشتاق اليه مكتبتنا العربية !

اشتـــات

ثمة اقلام طيبة ما تزال تدعوني الى الكتابة . فلذلك ارجيء الحديث عنها ، وفي شفتي وعد .

من هذه الاقلام اذكر : فتح الله صقال ، سامي الكيالي ، محمود اللبابيدي ، امين الله عيروض ، صبري الاشتر ، عمر الدقاق ، خليل الهنداوي ، بكري الشيخ امين ، محمود منقذ الهاشمي ، صبحي العجيلي ، محمد خير حلواني ، بشير رافت شريف .

حلب ـ دار الكتب الوطنية **علي الزيبق**

الاسدي سنة ١٩٠٠ وصدر له : اغاني القبة ، حلب ، يا ليل ، البيان والبديع ، عروج ابي العلاء ، وله كتب مخطوطة : موسوعة حلب ، ايس وليس ، الالف ، الله ، تاريخ القلم العربي ، موسوعة في النحو . (٣٠) هكذا يلقب نفسه . (٣١) ولد الاستاذ قاسم سنة ١٩٠٩ في بيروت ، وسكن حلب منذ سنة ١٩٣٠ . صدر له التربية العلمية ، وثلاثة كتب مترجمة ، وله مخطوطان . (٣٢) صدر للدكتور الهاشمي : المثل الاعلى في الحضارة العربية ، لغز ابي العلاء ، جعفر الصادق ملهم الكيمياء ، رحلتي الى منطقة القطب الشمالي ، مطارح الشعاع ، ماكس بلانك ، محاضرات حاملي جائزة نوبل في الطب . (٣٣) وقد نال به الدكتوراه من جامعة السوربون . (٣٤) حقق الدكتور عزة اربعة عشر كتابا ، وله ثلاثة فهارس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية ، ودراسة تحليلية لشعر الوقوف على الاطلال . ويشغل الان منصب مدير المكتبة الظاهرية بدمشق . (٣٥) ولد الدكتور قباوة سنة ١٩٣٣ ، صدر له : ديوان سلامة بن جندل الشاعر الفارس ، شرح القصائد العشر . وقد حقق اثني عشر كتابا ما تزال مخطوطة . (٣٦) دخل الفرنسيون حلب في ٢٣تموز ١٩٢٠ بقيادة الجنرال دلاموط ، واحتفل بجلائهم عنها في ١٧ نيسان ١٩٤٦ . (٣٧) مجلة ادبية فنية اقتصادية شهرية انشأها فتح الله قسطون (توفي ١٩٥١) سنة ١٩٢٠ ، وتوقفت عن الصدور سنة ١٩٢٢ . (٣٨) مجلة دينية تاريخية ادبية شهرية انشأها القس الياس غالي (ولد ١٨٩٥) سنة ١٩٢٧ ، وتوقفت عن الصدور سنة ١٩٣١ . (٣٩) مجلة علمية ادبية اخلاقية شهرية انشأها الخوراسقف اغناطيوس سعد (توفي ١٩٦٥) سنة ١٩٢٥ ، واوقفها سنة ١٩٤٩ ، وكان اسمها في بدء ظهورها « القربان » . (٤٠) وغاية هؤلاء سامية ، ولا ادل على ذلك من البروتوسينكلوس الياس غالي، فقد ترجم عن الفرنسية اثنين وثلاثين كتابا ما تزال كلها مخطوطة.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجد لبنان

« للبنـان الاشـم الذي كرم الفكر والادب في شخصي البـير أديـب
والاخطل الصغير .. أهـدي هـذه القصيـدة » .

كم فيك للمجد يا لبنان من نسب ! ! ... وللخلود .. برغم الكيد .. فانتسب
من راحتيـك نبـوغ الحرف بـادرة ... أن غبت عنها .. جبين الشمس لم تغب
لم تشك يوما من الدنيا .. فإن وثبت ... منك الشموخ ، ومنها دعوة الهـرب
فـأرزك السـمح ما يمنى بعاصفـة ... الا تدفـق منـه .. عاطـر السحب
ترنو لعذب المنى دوما .. وما برحت ... اطياف هذي المنى تغريـك بالشهب
نجواك للحب .. لا حقد ولا غضـب ... في بيدر القلب ما يغنى عن الغضب
فالحب طيش .. وفيك الحب مصدره ... وحي الضمير ، وفكر دائـم الغلـب
والحسن وشي .. وفي لبنان فتنته ... سحر العيون .. وقد قد من عجب
لحن (العتابا) وعزف الناي رجع صدى ... من ارض عبقر .. يشجي كل مغترب
ونغمة القدس من (فيروز) ما صدحت ... الا ترنـح عطـف الدهـر من طـرب

عفوا لعذلـك يا لبنـان مـن فئـة ... في لومها بعض ما تلقاه .. من حرب
ضاقت بنـورك فاشـتدت معاتبـة ... والنور يعشي قذى في العين والهدب
نجواك حب لدنيـا العرب من زمـن ... شاب الزمان وهذا الحب لـم يشب
لم تبتعد عن سـماء العرب عاطفـة ... وأي شيء لدنيـا العرب لم تهـب ؟
اغنيت بالفكر دنياهم .. ولو قدرت ... يمناك شقت لهم سترا من الحجـب
ان يشعل الليـل في آفاقهم .. قمر ... ففـي ذراك نجـوم الفكـر والادب
بـراءة الحرف في ناديك قد وثبـت ... وفي سواك صميم الحرف لم يثـب
حسب المرائين في نجواك ما وهبـت ... يمناك للكون .. من عطر ومن نشب

فيا جبين العلى والمجد .. يا وطنـا ... على يديه انتهت اسـطورة الحقـب
أعيـذ مجـدك من كيـد يـراد بـه ... مقاتلا ما شـكت يومـا من العطـب
نجواك للحـب دوما .. غير ان يـدا ... تبـث فيـك سموم الحقد والريـب
تبدي اليك الهوى عطفا .. وما كتبت ... في الحق يحكى هوى حمالة الحطب
أن قيل أن الشذى لبنان من زمـن ... دعوى عروبتـه ضرب مـن الكـذب
بنـو اميـة مـن اغنـى كتائبهـم ؟ ... ومن تنادى الى فتـح ولم يخـب ؟
عروبة في بنيك الصيـد تعرفهـا ... اقيـال كسرى وجمع الروم في حلب
ابناء (بصرى) بنو معروف اخوتهـم ... من جرحوا جبهة المحتـل بالقضـب
ارومة من صميم العرب مـا وهبت ... غير الفـداء .. لدى وقع من النوب
منك القرابـين للفصحى غساسـنة ... بيض الوجوه نمتهـم امـة العـرب
ما زال في كفنـا عطر .. وفي فمنا ... شـهد لمغترب منهـم .. ومقتـرب
اجراس مجـــدك ان دوت بعاليـة ... فالاذن تعشقها .. للحب والنسـب
فالحب قلبان في الدنيا .. وفيك هما ... وحي الضمير .. وفكر دائم الغلـب

لبنـان .. فليتخذ من يجتوي نفقـا ... في الارض .. اوسلما في الجوى وليعب
فالكيـد والعذل من بعض حقيقتـه ... لمع السراب .. وتبقى انت كالشهب

الكويت — مقبل العيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منذ سنين طوال وزهدي يصنع الاحذية . انه يجلس الى طاولة قديمة تعلوها قطع من الجلد ومسامير صغار ومطرقة وسكين وغراء . وهو يثبت المسامير في النعال تارة ويقطع اطراف النعل الزائدة او يرقعها اخرى . انه بارع في صنع الاحذية. وهو يفخر بأنه صانع احذية ، فقد قال لصديق له ذات مرة : « ما الفارق بيني وبين الموظف ؟ ان الموظف مثلي يجلس الى الطاولة لينجز اعماله . غير ان الموظف يمسك القلم ، وانا امسك السكين . وهو يقلب بين يديه الاوراق والاضابير ، وانا اقلب الجلود . وهو ينتج بقلمه كتابا ، وانا انتج بسكيني حذاء . ولكنني حر ، وهو خاضع . ان للموظف رئيسا يوجهه ويحاسبه، وانا حر افعل ما اشاء » .

واخوه فهمي صانع احذية مثله ، وهو شريكه في الحانوت . غير انه متعلم ومثقف قليلا ، وزهدي امي . ذاك يرتدي ملابس جديدة واثيقة وان لم تكن فاخرة ، وهذا يرتدي ملابس فضفاضة قذرة تحمل شيئا من الغراء ووسخ الجلود التي يقطعها ، وفيها بعض رائحة تلك الجلود . ويداه جافتان متشققتان من كثرة جذب الخيوط وطرق المسامير وانتزاعها . زهدي مثابر على عمله اذ هو الشيء الوحيد الذي يجد فيه اقصى متعته . انه ملهاه ودنياه . اما فهمي فهو لا يستقر على حال . يجده الناس تارة مكبا على صنع الاحذية ازاء اخيه ، وتارة واقفا في باب الحانوت يتفرج على المارة من الناس وهم يسيرون على رصيف الشارع ، وطورا جالسا بعيدا عن طاولة العمل يقرأ جريدة او فصلا من رواية غرامية او يسرح نظره في مجلة مصورة ، وطورا يشرب كأسا من اللموناده من بائع قريب منه ، او متحدثا مع احد الزبائن في الحانوت عن امور تتعلق بالاحذية او عن امور تتعلق باخبار الناس .

« زهدي رجل صالح تقي رزين ماهر في صنع الاحذية موفق في عمله » .

(زهدي رجل مجمد التفكير زاهد في حانوته غير مخلص لزبائنه اذ يبيعهم احذية مغشوشة ويتلاعب بالاسعار ، فهو يرفع السعر للمغفلين ويخفضه للمحترسين) .

« فهمي شاب طائش يترك المسؤولية لاخيه ويضيع اوقاته في العبث والثرثرة ، وهو لا يفهم من اسرار صناعة الاحذية شيئا » .

(فهمي شاب متفتح على الحياة . انه ابن عصره ، يعرف كيف يقضي اوقاته ويعتصر منها لذاته . انه خبير بصنع الاحذية ، ولكنه يحترم اخاه الاكبر زهدي اذ يقول للزبائن :

« ان اخي صانع احذية قدير ») .

بذل الاخوان جهدا شديدا في صنع احذية انيقة وجذابة لكي يكتسبا عددا ضخما من الزبائن ، ولكنهما لم يجنيا شيئا غير الخسارة والفشل . ان ايجار الحانوت ضخم ـ اربعمائة دينار في السنة . ونفقات الاسرة كثيرة . ودخل الحانوت لا يفي بالايجار ونفقات الاسرة . زهدي متزوج وله عدة اولاد . وفهمي وان يكن عزبا لا ينقطع تفكيره عن البحث عن فتاة يتزوج بها ، ولكنه لا يستطيع ان يدخر نقودا للزواج . وهناك ام الاخوين ، وهي عجوز كثيرة العلل . وكثيرا ما انفق ابناها عددا كبيرا من الدنانير في سبيل شراء ادوية لمعالجتها .

فكر الاخوان كثيرا في الطريقة التي يتمكنان بها من جمع ثروة تضمن لحانوتهما الازدهار وللاسرة الرفاهية والهناء ، ولكنهما عجزا عن ذلك . والان تقدم زهدي في السن . وقد بدا تقدم السن على شعره فانه اضحى مؤلفا من شعرات تكاد تطير عن جلدة راسه من قلتها وخفتها ، لو لم يوحد بينها بزيت لزج ويمشطها على جانب من راسه بدلا من ان يمشطها الى اعلى راسه كما يفعل الشباب . وفهمي اضحى فاقد الصبر على العزوبة ، فهو كثيرا ما يرى واقفا في باب الحانوت وهو يجيل نظرات ملتهبة في وجوه الحسان المارات على رصيف الشارع امامه .

واخيرا قال فهمي لاخيه :

ـ حتام نظل يا اخي صامتين ونحن نكابد من الخسائر ما لا بد من ان تنتهي به حياتنا بكارثة من كوارث الافلاس ؟ اما آن لنا ان نضع حدا للنقود التي نستدينها من الناس ؟

(انك ماض في عملك بدون تفكير في النتيجة . واراك لا تصحو الا حينما تحجز محتويات حانوتنا) .

فرفع زهدي وجهه عن الحذاء الذي بين يديه ، والقى على اخيه نظرة مخطوفة ، ثم صب نظرة على الحذاء قائلا :

ـ وماذا تريدني ان افعل ؟ لقد فعلنا كل ما يمكننا ان نفعله ، ولكننا ما زلنا كما كنا . هذه ارادة الله . وهكذا الصناعات : مرة تغني ومرة تفقر . ولكننا متسترون والحمد لله .

فأطلق فهمي تنهدة عميقة حارة ثم قال :

ـ ولكن ينبغي لنا ان نفعل شيئا.

فقال زهدي دون ان يرفع نظره عن

بيت السلحفاة

بقلم عبد الحميد الانشاصي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحذاء :

ـ ماذا تقترح ؟

(ادل بشيء من آرائك الطائشة لاستمع) .

وبعد برهة من التفكير اجاب فهمي وهو يلقي نظرة امامه :

ـ نغير صناعتنا .

فانتفض زهدي سخطا واستياء واستغرابا رافعا وجهه عن الحذاء بسرعة غريبة ، ثم التفت الى اخيه قائلا في عبوس واستنكار :

ـ ماذا تقول ؟ نغير صناعتنا ؟

(امجنون انت ؟) .

فهز فهمي راسه مؤكدا وقال :

ـ نعم .

(لماذا تريد ان تلتهمني بنظراتك ؟ ماذا جرى لك ؟) .

ـ كيف ؟ اية صناعة تؤثرها على صناعتنا ؟ ان صناعتنا هي اشرف الصناعات وافضلها .

ان الصناعات والمهن الشريفة في الدنيا كثيرة . وما علينا الا ان نختار احداها .

(يمكننا ان نبيع دجاجا او اقمشة او نوفوتيه او بقولا مثلا) .

ـ مثل اي شيء ؟ .

ـ يمكننا ان نبيع دجاجا .

ـ نبيع دجاجا ؟ . دجاجا ! هه ! هه ! هه !

(ما اسخف اقتراحك !)

وكان فهمي يحدج اخاه وهو يقهقه . ولكن زهدي ما زال يقهقه غير مبال بنظرة اخيه النارية التي صوبها الى عينيه . وقال فهمي في اصرار :

ـ نعم ، نبيع دجاجا . الا تعجبك هذه المهنة ؟ .

(اراك عاجزا عن القيام بأي عمل غير صنع الاحذية) .

فأجابه زهدي مبتسما في سخر :

ـ كل الاعجاب .

ثم هز راسه في استنكار بدون ان يفوه بكلمة . وبعد هنيهة من الصمت قال وعلامات الجد مرتسمة على وجهه :

ـ انبيع الدجاج بعد احتراف صنع الاحذية ؟

(الا ترى الفارق بين تلك الصناعة وهذه المهنة ؟) .

ـ وماذا في ذلك ؟

ـ كيف : وماذا في ذلك ؟ ان صناعتنا ارقى من مهنة بيع الدجاج القذرة . انك تقصد بيع الدجاج المذبوح . اليس كذلك ؟

ـ بلى ، بيع الدجاج المذبوح . المهم ان نربح لا ان نفخر بصناعتنا .

(الا ترى الفارق بين دخل صناعتنا ودخل بيع الدجاج ؟) .

ـ ان ما تقوله صحيح . المهم ان



عبد الحميد الانشاصي

●

نربح لا ان نفخر بصناعتنا . هذا صحيح . اوافقك على ذلك ، ولكن لا تنس اننا قضينا شبابنا في تعلم هذه الصناعة . وهي فضلا عن ذلك صناعة ابينا وجدنا . فكيف نتخلى عنها ؟

(اننا ان فعلنا ذلك سخر الناس منا) .

ـ ولكننا مرغمان على ذلك بحكم الضرورة . ماذا نصنع ؟ ان ظللنا هكذا افلسنا .

(ان الوقت وقت جد . دعنا الان من صناعة الاباء والاجداد) .

ثم ساد الصمت بين الاخوين ، واستغرقا في التفكير للوصول الى حل مرض . كانت يدا فهمي ملقاتين على فخذيه . وكانت شفتاه منطبقتين في حزم . وكانت عيناه مصوبتين الى اخيه في انتظار اقتراح يدلي به . وكانت يدا زهدي ملقاتين على الطاولة ، وقد امسكت احدى يديه بكعب الحذاء ، وامسكت اليد الاخرى سكينا . وكان فمه مفتوحا ، وعيناه تلقيان نظرة ذاهلة على الارض . واخيرا رفع زهدي نظره عن الارض فجاة ، والتفت الى اخيه قائلا :

ـ هناك فكرة .

ـ ما هي ؟

ـ ان نغير شكل نافذة العرض في الحانوت ، وان نغير جميع اثاث الحانوت . نشتري طاولتين جديدتين من نوع فخم ، ونوسع نافذة الحانوت ، ونبني حول النافذة بروازا من حجارة صغار حمر انيقة ، ونحضر خزائن من الفورميكا لوضع علب الاحذية فيها . فما قولك ؟

فكر فهمي مليا ، ثم اجاب وهو يسرح نظره في الابتسامة التي ولدها الاقتراح على وجه اخيه :

ـ ولكن ذلك لا يعود علينا بنفع يا اخي . اننا نبقى على ما نحن عليه . هذا لا يفيد .

(كأنك تريدنا ان نتشبه بالجمل الذي يدور حول معصرة السيرج) .

ـ لماذا ؟ كثيرون فعلوا بحوانيتهم كما اقترحت فنجحوا .

(ان اقتراحي في محله ، ولكنك عنيد دائما) .

لم يجد فهمي بدا من ان يساير اخاه ليريه كيف تكون النتيجة لعله يوافقه بعد فشلهما اثر تغيير اثاث الحانوت على احتراف بيع الدجاج ، فقال له :

ـ حسن ! فليكن ذلك .

استبدل الاخوان باثاث الحانوت اثاثا اخر انيقا جذابا . وقد لفتت نافذة الحانوت الزجاجية الواسعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انظار الناس بما يبعثه زجاجها السميك من لمعان وبالحجارة الحمر الصغار وبالفسيفساء الجميلة التي تحدق بها . لقد بدا الحانوت حانوتا اخر . كأن صاحبيه من الاثرياء الكبار ولكن بضاعته بقيت على ما هي عليه . الاحذية كما هي وان كانت موضوعة في علب مصفوفة في ثقوب خزائن انيقة من الفورميكا . وكان المتفرجون يقف بعضهم هنيهة خارج الحانوت وهو يسرح نظره في المعروضات القائمة في نافذته ، ثم يمضي في سبيله في صمت . وكان بعضهم يدخل الحانوت وهو يتلفت حوله معجبا ، ثم يقضي بضع دقائق وهو يتحدث الى الاخوين عن روعة الترتيب واناقة الاثاث ، ثم يخرج من الحانوت دون ان يشتري شيئا . وقليلون هم الذين يشترون احذية منهما . فغاظ ذلك صاحبي الحانوت ، وندما على ما انفقا من اموال مستدانة على تغيير اثاث الحانوت واظهاره في مظهر جذاب ، وايقنا انهما كانا في غنى عن ذلك . وكان فهمي يبتسم من حين الى اخر في صمت وهدوء على مرأى من اخيه . كاد زهدي ينفجر سخطا ، فقد ادرك ان اخاه يسخر منه ومن اقتراحه الذي حداهما على تغيير اثاث الحانوت . مضت ايام طوال وفهمي يبتسم في صمت وهدوء ، وزهدي ينظر الى ابتسامته في سخط وغضب . وكان هذا ينتهر اخاه في بعض الاحيان في امور لا تبعث على الانتهار . وكان فهمي يدرك ما يرمي اليه اخوه . واخيرا فاتحه بما في نفسه قائلا :

ـ امسرور انت الان يا اخي ؟ ها قد غيرنا اثاث الحانوت وفعلنا كما اقترحت . فماذا استفدنا بعد ذلك ؟ ان دخل الحانوت ما زال كما هو ، وما زلنا مدينين . كان ينبغي لنا ان نوفر المال الذي استدناه وانفقناه على صنع خزائن الفورميكا وتوسيع نافذة الحانوت وبناء حجارة حمر وفسيفساء دقيقة .

(انك عنيد لا تصغي الي لانني اصغر منك سنا . هذا هو سبب عنادك . انني احترمك واعتبرك كوالدي لانك اكبر مني سنا . لقد آن لك الان أن تعمل بنصيحتي وتنفذ اقتراحي) .

فقال زهدي بنغمة يائسة حزينة :

ـ ماذا تفعل ؟ هكذا اراد الله .

ـ ما قولك في مهنة بيع الدجاج الان ؟ .

(اظن انك توافقني الان) .

فنظر زهدي الى اخيه في ذبول واجاب :

ـ الا تزال تفكر في هذه المهنة القذرة ؟

(ربما كانت خيرا من صناعتنا البائرة ولكن ..) .

ـ اؤكد لك انها تدر علينا ربحا غزيرا فقد اثرى كثيرون من التجار بممارستها . انظر الى ربحي العامدي والى ايوب احمد ويوسف رشيد . كلهم يبيعون دجاجا مذبوحا وبيضا . وهم يربحون ارباحا طائلة . انني اعلم ذلك ، وانت ايضا تعلم ذلك . دعنا نجرب . وان خسرنا فاللوم يقع علي .

فهز زهدي رأسه في اباء وقال :

ـ لا ، لا . لا استطيع . لقد تعودت ممارسة تلك الصنعة منذ ثلاثين عاما . وانت ايضا مضى عليك نحو خمسة وعشرين عاما وانت تزاولها . وهذه الصناعة هي صناعة ابينا وجدنا .

(الان تريدني ان اغير صناعة الاحذية ـ بعد ان كبرت ؟)

فقال فهمي في هدوء :

ـ وان يكن ؟

(انك جبان . جبان . لا تشق بنفسك) .

فقال زهدي في غضب :

ـ انني اشعر حينما اتخلى عن صناعتي كأنني تخليت عن وطنيتي وشخصيتي .

فاقترب فهمي من اخيه ، وامسك بيديه في لطف وتحبب ثم قال :

ـ اسمع يا زهدي . ليس الحانوت هو الذي بحاجة الى تغيير بل نحن في حاجة الى تغيير ـ في حاجة الى الاستقامة في المعاملة ، وفي تحديد اسعار الاحذية تحديدا لا يزيد فلسا واحدا ولا ينقص فلسا واحدا مهما كانت عقلية الشخص الذي يريد شراء حذاء له . كان ينبغي لنا الا نقدم احذية مغشوشة لا تدوم طويلا . لم نكن صادقين في اقوالنا ولا مخلصين في عملنا . وقد اخذ الزبائن والناس هذه الفكرة عنا . لقد رسخت في اذهانهم فانفضوا عنا وابتعدوا عن حانوتنا . ونحن الان بحاجة الى تغيير . ولكننا لا نستطيع ان نغير ما بأنفسنا في حانوت بيع الاحذية . علينا ان نتجدد ، ونحترف بيع الدجاج ، وان نبتعد عن هذه السوق ونفتح حانوتا في سوق نائية حيث نجد مجالا لتجديد نفسينا ـ حيث نعامل الناس في صدق واستقامة ، ونقدم اليهم دجاجا جيدا وبيضا ممتازا .

(اراك الان مقتنعا . لقد اقنعتك بكلامي . هذا ما يبدو عليك ، فقد اصغيت الي بلا مقاطعة . ان كلامي منطقي) .

ـ ولكن ليس لدينا خبرة بالدجاج .

ـ يمكننا أن نستعين بأحد الخبراء .

وبعد هنيهة من الصمت والتفكير قال زهدي في حزن ويأس .

ـ لا ، لا . لا يمكننا ان نغير حرفتنا . هذا محال . اننا ان فعلنا ذلك تهكم الناس بنا واضحينا موضوع سخرهم وهزئهم .

ـ انك واهم . هذا ما يخيل اليك . اؤكد لك اننا سوف ننجح . توكل على الله .

(لقد خاب ظني بك) .

ـ لا ، لا . لا استطيع . لا أستطيع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على قبر أمي

ما لحزني وان توارى انتهاء ... ودموعي ، يا روح روحي دماء
آه من قسوة الفراق اذا ما ... كان دهرا لا يعتريه انتهاء !
أي صمت يا أم هذا فاني ... بح في خافقي المعنى النداء
أي عيد هذا وأنت بجنبي ... رمة في ضريحها خرساء
لذعتني مذ لاح رمسك نار ... ما لها في صميم قلبي انطفاء
أين ذاك الوجه الرزين يصلي ... فوقه الثغر ، أين ذاك الرواء
أين سحر الحديث يسطع كالشمـ ... ـس ، أين البشاشة الزهراء
كنت لي ـ والوجود بيداء جدبـ ... ـة واحة كلها ظلال وماء
كنت صرحا من رحمة ، كنت دنيا ... من وفاء فاين أين الوفاء
أفراق هذا الى أبد الآ ... باد أم بعده يحين لقاء ؟
مات صبري ، فكيف أنفق عمري ... دون أم ، وكيف كيف العزاء
لوعتي كالجحيم في كل يوم ... كيف تخبو وزيتها الاحشاء ؟

بغداد — حارث طه الراوي

فصاح فهمي ساخطا :

ـ انك قابع في حانوتك . اخرج من هذا الحانوت . اخرج من بيت السلحفاة . اخرج الى عالم اخر حيث تصبح شخصا اخر وتكسب من حرفتك ربحا اخر . انزع فكرة صناعة الاباء والاجداد من ذهنك . واجه الناس بقلب جريء ونفس صريحة وحينئذ تنجح وتصبح من الاثرياء . افاهم انت ما اقوله لك ؟

(أصوات من الداخل : انني اكثر منك اطلاعا على ما في الكتب من افكار سامية . لذلك انا اكثر منك تفكيرا ، ورايي سديد ورايك خاطىء. فما عليك الا أن تعمل بما اقوله لك وان كنت اكبر مني سنا . لقد مضى الزمن الذي يقدر فيه الشخص بعدد السنين التي عاشها ، وجاء الزمن الذي يقدر فيه الشخص بعدد الكتب التي قراها وفهمها وبنوع التفكير الذي ينتجه) .

(منظر في الداخل : يهاجم اخاه ويصفعه ، ثم يزيحه عن الكرسي ، ويجلس في مكانه ليدير الاعمال بدلا منه)

★

« ـ أمي ! ان فهمي اضحى مجنونا . ـ كيف عرفت ذلك ؟ ـ انه يريد ان يتخلى عن صناعة الاحذية التي كان يمارسها والدي وجدي لنمارس مهنة بيع الدجاج والبيض ـ هذا مجنون . ماذا جرى لعقله ؟ ـ لقد ثار علي بصورة غريبة فقد فيها توازنه وتكلم كلاما غريبا أعلمني به انه علي أن اغير شخصيتي . ـ مسكين ! لقد جن » .

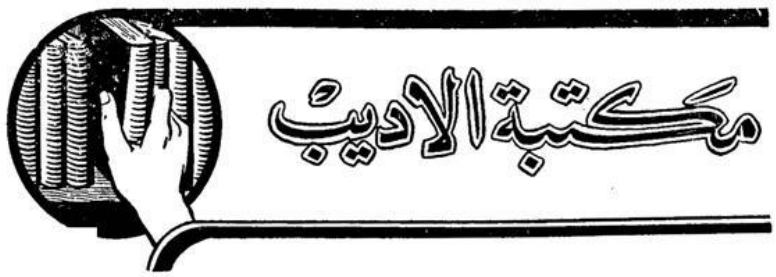
« ـ حبيبتي سكينة ! انك لا تعرفين ماذا جرى بيني وبين اخي فهمي . ـ ماذا جرى له ؟ ـ انه يريدني ان اتخلى عن صناعة الاحذية لابيع دجاجا وبيضا . هل رايت رجلا اسخف منه عقلا ؟ لقد جن . ـ ماذا جرى له ؟ ـ يريدني ان اغير شخصيتي لكي اصيب نجاحا واصبح غنيا . ـ هذا مجنون » .

ـ « ماذا جرى لك يا بني ؟ كيف تتخلى عن صناعة الاحذية وتفتح حانوتا لبيع البيض والدجاج ؟ ـ ان ذلك خير من الافلاس . وهل في مهنة بيع الدجاج والبيض عار ؟ ـ ان اخاك لا يوافق على ذلك . ـ ان لم يوافق على اقتراحي تركته له الحانوت وانفصلت عنه لامارس تلك المهنة » .

ولكن زهدي وافق اخيرا ـ وافق مرغما ، فقد نصحته امه وزوجته بالا يعمل وحده في حانوت بيع الاحذية تاركا اخاه يمارس مهنة بيع الدجاج والبيض .

وفتح الاخوان حانوتا لبيع الدجاج والبيض . مضت بضعة اسابيع كانا فيها موضوع سخر بعض الناس وهزئهم . ولكن بعد مضي بضعة اشهر كان الاخوان في خلالها مثالا يحتذى في حسن المعاملة والصدق والاستقامة والاخلاص والقناعة ، مما جعل الناس يقبلون على شراء ما يعرضانه من دجاج وبيض . وبعد مضي بضع سنوات اصبح الاخوان من الاثرياء البارزين في المدينة .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



الكـأس الاخـيرة

مجموعة قصص ـ تأليف ابراهيم المصري ـ ١٣٦ صفحة ـ سلسلة كتاب اليوم ـ منشورات مؤسسة اخبار اليوم بالقاهرة

يندر بين كتابنا القصصيين من توافر له ما توافر للكاتب القصصي الكبير الاستاذ ابراهيم المصري من ثقافة واسعة عميقة احاطت بمختلف التيارات الفكرية والفنية التي عرفتها الانسانية في ازهى عصورها . وقد تجلت آثار تلك الثقافة في العديد من مؤلفات كاتبنا التي اربت على الاربعين والتي ظلت تتوالى منذ فجر النهضة الادبية الحديثة عندنا في الثلاثينات من هذا القرن حتى يومنا الحاضر . وقد تنوعت الموضوعات التي تناولها الكاتب في مؤلفاته بين دراسة أدبية جادة رصينة ، وتعريف شامل بمذهب من مذاهب الفكر ، وترجمة مركزة دقيقة لعظيم من عظماء الادب او الفن ، الى غيرها من معالجات واعية مخلصة لبعض مشكلات حياتنا الادبية والاجتماعية . فضلا عن اسهام مؤلفنا القدير في بداية الحركة المسرحية الاولى بمسرحيتين كانت احداهما هي اول مسرحية مصرية بقلم كاتب مصري مثلت على مسرح رمسيس ، وحالت الظروف البائدة دون ان تمثل الاخرى ... ثم اصداره لمجلة « التمثيل » التي ساندت تلك الحركة وانارت لها الطريق .

والحديث يطول من غير شك اذا رحنا نتابع بالعرض المفصل مظاهر نشاط هذا الرجل واثره العظيم ودوره الطليعي الممتاز في خدمة الادب والفكر وتقدمهما . حتى كان من جراء اسرافه في بذل نشاطه الجبار ان وقع فريسة مرض عطل نشاطه الفكري مدة اربعة اعوام كاملة . ويكفي للالمام ببعض هذه الجوانب ان نحيل القارىء الى تلك الدراسة التحليلية المركزة الخصبة التي وضعها عام ١٩٦٥ الكاتب الصحفي الاديب الاستاذ فوزي سليمان في كتابه « ابراهيم المصري : حياته وادبه » . وهو الكتاب الذي قوبل بترحيب بعض الادباء وسكت عنه اخرون ضنا بالكلمة المنصفة التي قد تكلفهم بعض الجهد .

واذا كان ابراهيم المصري قد انقطع او كاد لكتابة القصة حتى لم يعد يعرفه الجيل الاخير من قرائنا الا بانه كاتب القصة الرفيعة ، او صاحب الرأي الرشيد في مشاكل الاسرة ، وتربية النشء ، وصيانة الافراد والجماعات عاطفيا ونفسيا وخلقيا ـ فقد انفرد كاتبنا على كل حال في مجال القصة وحده ـ ولا نتعرض هنا لغيره من مجالات نشاطه الاخرى ـ باسلوب متميز فيه من صدق الانفعال وحرارة العاطفة ودقة الملاحظة وجمال العرض ما ينهض بفن القصة نفسه ويرتفع به الى درجة عالية . ولا عجب فهذا الرجل وقد عب من مختلف الثقافات وشارك في ميادينها المتعددة ، قد استفاد لا شك من كل هذا خبرة وثيقة ومعرفة بالنفس البشرية في اطوارها المتلاحقة ، فاتسمت اعماله القصصية بطابع الاصالة والعمق والتمكن . ولا نقول تبعا لهذا ، كما قد يتبادر الى الذهن ، ان اعماله تلك قد صيغت اساسا لتبرهن على فكرة معينة او تشير الى اتجاه محدد . فقد بقيت تلك الاعمال دائما لا تستمد الا من نبع الحياة الاصيل ، ولا توفيء الا الى تيارها الصادق المنطلق ـ رغم ما يعكره احيانا ـ نحو غايتها المثلى ... ولا ضير اطلاقا على الكاتب القصصي ان يكون واسع المعرفة عميقها بشرط الا يقحم على العمل الفني نفسه فكرته الخاصة بطريقة قد تؤثر على جوهر العمل وتشوش نظامه . وكاتبنا قد عرف بانه : « أقدر كاتب عربي على تأليف القصة وبنائها وتنسيقها وحبكها وفق اكمل الشروط الفنية » . ذكر هذا عنه اكثر من باحث . والعبارة المتقدمة مأخوذة مما اورده الاستاذ فوزي سليمان في كتابه السالف الذكر نقلا عن مقال « خمسة مبدعون في الادب العربي » الذي كتبه المستشرق الايطالي « جويدو سفورزا » في مجلة « الاسترادا » التي تصدر في ميلانو .

والحق ان ابراهيم المصري يقف من هذا الفن الرفيع ، فن القصة ، موقفا ينطوي على تقدير خاص لهذا الفن . فهو لم يختر جزافا ان يكون كاتبا قصصيا . لم يختر القصة ميدانا لنشاطه المبدع الا بعد ان صهرته التجارب . تجارب عديدة متنوعة . عاطفية واخلاقية وفكرية . خلص منها جميعا ـ على ما نرى ـ بأن القصة هي اصدق معبر عن روح الانسان ، بعد هذين الفنين العريقين عراقة البشرية وهما : الشعر والموسيقى . ولهذا شاع في اسلوب الكاتب هذا الولع بموسيقية العبارة ، وانتشرت فيه تلك الروح الشعرية التي قلما تخلو منها اعماله . وهو على وجه الاجمال لا يترخص في فنه القصصي ابدا . فاسلوبه دائما وثيق التركيب ، متين العبارة ، مشرق ونابض ومؤثر بحيث يجوز لنا ان نقول انه يرتفع في بعض المواطن الى درجة الشعر الخالص ...

وتلك الخاصة النادرة يعرفها ويقدرها القارىء المتذوق لروائع الادب عموما وان لم يكن من قراء القصة المدمنين على قراءتها . وهي خاصة تجذب الى القصة طائفة ممتازة من القراء وتكسب القصة نفسها بقاء وتجددا يدومان ما دامت العربية محتفظة بطابعها الاصيل وجوهرها الثابت ورونقها البديع . فالعمل الجيد لا يعيش حقا الا بأسلوبه . كما قال الكاتب نفسه في بعض احاديثه بالتليفزيون العربي . وهكذا تناول ابراهيم المصري في مجموعاته القصصية الكثيرة معظم ما تستطيع القصة ان تتناوله من شؤون الحياة العاطفية والاجتماعية في اطاريهما المحلي والعالمي . وهو لم يقتصر على كتابة القصة العصرية وحدها وانما كتب القصة التاريخية ايضا . وكتبها بروح تستطيع الاندماج الكامل في جو العمل القصصي مهما اختلفت ظروفه وتباعدت ازمنته .

وهذه المجموعة التي صدرت حديثا في سلسلة « كتاب اليوم » بعنوان « الكأس الاخيرة » هي من هذا اللون التاريخي النابض . وقد ضمت المجموعة عشر قصص تنقل فيها المؤلف من مصر القديمة الى جزيرة العرب الى بلاد الصين ففارس فالاغريق فالروم فروسيا فاسبانيا . وقدم لنا في كل قصة لونا شائقا فريدا يصور في دقة ومهارة نمطا خاصا من انماط التفكير والحس والشعور يندمج ويتلاءم مع ذلك المرمى الانساني العميق الكامن في صميم الحدث الذي يتصوره الكاتب ويجريه ضمن اطاره الزمني الخاص .

والملاحظ على هذه المجموعة بصفة عامة انها تخلو او تكاد من نزوات الحس وثورات الجسد . فلا يرتوي فيها الحس حتى الامتلاء . ولا يكاد يصيب بعض الري دون ان يصطدم بمثل اعلى اخلاقي او جمالي يدفعه عن غايته . وسيظل هذا الكلام دون مفهوم محدد ما لم نقدم الامثلة التي تحدده من واقع العمل القصصي نفسه . ولنبدأ بأولى قصص المجموعة وعنوانها « اللهب » وهي قصة فتاة على جانب كبير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الجمال وبساطة الفطرة ونقاء السريرة اقترنت على الرغم منها بكهل في سن والدها وظلت تفتقد الى جانبه عاطفة الحب الكامل حتى باغتتها ممثلة في شاب وفد للعمل في مزارع زوجها . ولكنها كانت بحكم ما جبلت عليه من طهارة ، لا تذعن لغير الواجب ولا تستمع الا الى صوت الضمير . فلم تتجاوز بعاطفتها نحو هذا الشاب نطاق العواطف المجردة . وكانت مع هذا تعاني كثيرا وتتعذب . ولقد امسى عذابها فوق الاحتمال عندما انجبت من زوجها الكهل طفلا وجدت لدهشتها انه صورة مطابقة مختلجة حية لحبيبها نفسه . فحارت واختبلت . ولجأت مرارا الى « توريس » وفي ليلة عاصفة اندفعت الى مسكن الشاب . وخلال حوار قصير مضطرم ومؤثر توسلت اليه بحبهما الصادق النزيه ان يرحمها ويغادر القرية فور تصفية اعماله مع زوجها والا اهلك نفسه واهلكها ... وفي صبيحة الغد قابلت خبر رحيله عن القرية بعدم اكتراث تظاهرت به واحتضنت طفلها شاردة ثم انطوت متجلدة على جرحها الغائر المقيم .

والقصة كما ترى تستند الى صراع عنيف غايته الوفاء للزوج . وتنهض على حقيقة علمية تكاد لغرابتها تلحق بالخوارق وهي هذا التشابه التام بين الطفل والحبيب رغم انعدام العامل الجسدي بينها وبين من تحب . ولكن القصة مع هذا قد صورت تلك الصراعات الحادة العنيفة المتعاقبة التي اشتعلت في كيان المرأة والهبت مشاعرها ، تصويرا يكاد يطغي بدقته وروعته على ذلك المبدأ الاخلاقي وتلك الحقيقة العلمية حتى يغيبهما في اطوائه الساحرة . ومن هذا جميعه على ما اعتقد جاءت تسمية القصة بـ « اللهب » . وهذا اللهب يلفح دائما ولكنه لا يحرق . ـ وتجري احداث القصة في مصر الفرعونية بطقوسها الرائعة ومناظرها الخلابة وعاداتها ونظمها وتقاليدها اللطيفة ـ وان وصف الفتاة نفسها في نشأتها البريئة الحرة الصافية بين مزارع والدها ، هذا الوصف وحده يعد في نظري من روائع الوصف الدقيق المعبر . وتلك ميزة قلما يلتفت اليها ـ في أدب هذا الكاتب ـ من يعنون بملاحقة الحدث القصصي دون غيره .

واذا كنا قد اسهبنا في الكلام حول هذه القصة الاولى من مجموعة « الكأس الاخيرة » فليس لانها اقوى قصصها ولكن لاننا سوف نحتاج دائما الى مثل هذا التقييم حين ننظر في اي عمل لهذا الكاتب او نحاول الكشف عن مغزاه . وليس في نيتي ولا ذلك مما يتسع له هذا المقال ، ان استعرض قصص المجموعة كلها . وانما اكتفي بعد هذه القصة الاولى بالاشارة الى المضمون النهائي لكل من القصص الاربع الآتية : « شادية النيل » و « حارس المعبد » و « الكأس الاخيرة » و « الاغراء » .

وقد وقع اختياري على تلك القصص الاربع لسهولة الاشارة الى المرمى النهائي لكل منها دون اي اعتبار يدخل في باب التقييم . فثمة بين القصص الاخرى قصصا يقف القلم حيال وصفها او تحليلها معجبا كقصة « ... وبدأت المعركة » . وهي قصة طويلة نوعا وتجري احداثها بين الهند وجزيرة العرب . وهي قصة الشهامة والنبل العربيين وفيها من جلال التضحية وروعتها ما يعجز عن تصويره ووصفه قلم لم يمتلك ناصية الوصف او لم يستمد من نبع العبقرية .

ونشير تباعا الى القصص الاربع التي اخترناها مستهدفين كما ذكرنا مغزاها العام دون تفصيلها . فمغزى « شادية النيل » في نظري هو تعثر مسعى الفنان احيانا للوصول بفنه الى ذروة الابداع الكامل . اذ تكون الحياة ـ وهي مصدر كل الهام حقيقي ـ قد افلتت منه . وهو في ادراكه لهذا التعارض الجبار وسعيه الى ازالته او تخفيفه يصطدم بالكثير من العقبات التي قد تحوله مرغما عن غايته وتحمله على ركوب المخاطر مما يسوقه في النهاية الى العزلة او يدفعه الى الانتحار . (كما حدث لبطلة القصة وهي فنانة مغنية) .

واما مغزى « حارس المعبد » فهو في نظري ايضا فقدان التوازن



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819 Tel :
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احيانا فيما يريده الانسان لنفسه من طهارة علوية بعد ان يكون قد تمرغ طويلا في طين الشهوات ـ هذا من ناحية . واما من الناحية الاخرى فالقصة تشير ايضا الى تحطم حلم الانسان الاعلى عندما يتكشف لنا مثال الطهارة نفسه .

وغير هذا وذاك هو المغزى المستفاد من قصة « الكأس الاخيرة » فهي قصة الكهولة المستنيرة المهذبة، تقترن فيها اللهفة على ما بقي من متع الحياة ، بذلك الاحساس العظيم بالواجب الى تقدير خاص للجمال ورغبة صادقة في اجلاله . ولهذا يتوارى الفنان الكهل بطل هذه القصة في صمت حزين عن مسرح القصة وربما يكون قد توارى ايضا عن مسرح الحياة دون ان تعرف نهايته ... تاركا وصيته لزوجته الشابة الرائعة الجمال بجميع ما يملك انقاذا لها من انانية كهولته ومن استبداد غيرته .

واما قصة « الاغراء » فهي تمثل مأساة الضمير في نفس قاض ، عليه ان يحكم بالعدل وان يكون مثالا وقدوة في نبل النفس ونزاهة القصد . ولكنه ضعف تحت تأثير زوجته وابنته وولعهما بحياة الجاه والترف وطمعهما الدنيء في المال . فانحرف الرجل وسرق من اجلهما ثم استفاق مخبلا ومذعورا عندما شاهد بعينيه موت المرأة التي سرقها. فتجسمت له فعلته المنكرة ، وردت اليه احساسه بانه قاض يمثل العدل والحق . فما كان منه الا ان قاوم الاغراء ما استطاع ورد الى اولياء الامر ما سرق . فاضطهدته امرأته وابنته ، وجعلت كل منهما تنغص حياته ، وتعيره بمثاليته ، حتى مات الرجل ذليلا ومقهورا ودفع غاليا ثمن ضعفه وخيانة المبدأ الذي كان مخلصا له طوال حياته.

والرائع في هذه القصة هو التحليل العميق ، والدقة في تصوير الصراع بين سطوة الاغراء وواجب العدل ، بين شخصية السارق التي استولت بغتة على رجل القضاء ، وبين هول ما استيقظ عليه من عواقب السرقة ممثلا في جريمة اخرى افظع منها وهي القتل ...

فالقصة ولا شك عمل فني ممتاز ، وهي تحفة شائقة في ادبنا العربي .

وعلى امثال تلك المضامين البديعة يقوم البناء المتكامل لسائر القصص . وبديهي اننا لم ننتزع بعض تلك المضامين لنمليها على ذهن القارىء . فقد ننتزع مضمونا وينتزع قارىء غيرنا سواه . وهنا تكمن قيمة العمل الفني الكبير بقدرته دائما على الايحاء . بينما يظل العمل في ذاته فريدا ومرتفعا ومتألقا .

طنطا ـ ج.ع.م. **ابراهيم سعد الجندي**

●

ادبنا الضاحك

تأليف عبد الغني العطري ـ ٣٧١ صفحة ـ منشورات دار النهار بيروت ـ

كلفتني هدية صديقي الاستاذ عبد الغني العطري ، الا وهي كتابه الجديد الممتع « ادبنا الضاحك » ان اعود الى مكتبتي ، أبحث عما فيها من دراسات تتعلق بهذا الموضوع ، فعثرت على كتاب « الضحك » لبرغسون ، وكتاب « الفكاهة في الادب » للدكتور محمد احمد الحوفي، وكتاب « الفكاهة في مصر » للدكتور شوقي ضيف ... ولولا هذه المناسبة لبقيت تلك الكتب تنتظر دورها في المطالعة ، ولبقيت محروما من الاطلاع على امتع لون من الوان الادب الذي بقي غفلا من الدراسة والتحليل باجماع من تطرقوا لبحث هذا الموضوع .

ان ادبنا العربي بالاجمال يتهم بالجفاف واليبوسة والعبوس ، فالطلاب مثلا لا يعرفون عنه الا تلك الصورة ، ولست ادري سبب عزوف واضعي المناهج والكتب المدرسية عن التعرض لذكر اللون المرح الفكه الذي يشرح النفس ، ويطلق الاسارير ، في حين ان هجاء ابن الرومي الذي يعتمد على التصوير الكاريكاتوري ، ونثر الجاحظ ، والشدياق وابراهيم المازني ، ومارون عبود .. جدير بأن يستقطب اهتمامنا ، ويشدنا اليه .

اذن فأدبنا العربي قديمه وحديثه ، رغم هذا الاتهام ، لا يخلو من اللون الضاحك ، ومن يفتش في بطون الكتب التي صنفت خلال عصور الانحطاط يقع على مئات الطرف والملح والنوادر التي وردت دون شرح يشير الى دلالاتها ، او بواعثها النفسية والاجتماعية ، ومن هذه النقطة انطلق صديقنا الاستاذ عبد الغني العطري ، فقد اكب على هذا التراث المهمل يدرسه ويشرحه ، ويبين بواعثه المختلفة ، وليس هذا العمل ببعيد عنه وهو الذي كان ولم يزل يعنى بالفكاهة في حديثه ، وفي مجلته « الصباح » ومن ثم « الدنيا » في باب كان يطلق عليه اسم « الآخرة » يحتل الصفحة المزدوجة في وسط المجلة ، كما كانت يقيم مسابقة اسبوعية دائمة لاحسن نكتة ، وقد اصدر عددا خاصا من « الدنيا » يحمل الرقم ٣٥٤ تاريخ ١٩ اذار ١٩٥٤ تحت عنوان « رفه عن نفسك » جاء حافلا بالموضوعات الضاحكة والنكات الساخرة اللاذعة. ولعل ولعه بهذا الفن دعاه الى تأليف عصبة اواخر عام ١٩٤٨ اطلق عليها اسم « عصبة الساخرين » ولم تعمر سوى اشهر معدودات ، وكانت تهدف الى كما يقول « الى تشجيع السخرية والادب الساخر في دمشق . وكانت تتألف من اثني عشر ساخرا هم : الدكتور عبد السلام العجيلي ، سعيد الجزائري ، عباس الحامض ، سعيد القضماني ، ممتاز الركابي ، نسيب الاختيار ، عبد الرحمن ابو قوس ، احمد عسه ، احمد عاوش ، مواهب الكيالي ، حسيب الكيالي ، عبد الغني العطري .

لنعد بعد هذه الجولة الى كتاب « ادبنا الضاحك » لنتصفح بعض فصوله ، ونقف عند ابرزها . لقد ضم الكتاب اثني عشر فصلا ، وملحقا حوى مختارات من تراثنا الضاحك، اما الفصول فهي : الضحك فن وفلسفة ، العرب والضحك ، مضحكو العرب ، النثر الضاحك .. الضحك في المقامات ، الهجاء الضاحك المضحك ، المداعبات الضاحكة، المجون والضحك، الطفيليون الضاحكون، الضحك مع المغفلين والحمقى، ادبنا الضاحك في عصر الانحطاط ، الضحك في ادبنا الحديث .

يتحدث الكاتب في الفصل الثاني عشر عن نهضة الادب العربي بعد ان ران عليه سبات طويل استسلم فيه الى الخمول والجمود والتأخر في عصور الانحطاط ، وكيف قامت هذه النهضة على اكتاف اللبنانيين الذين هاجروا الى مصر ، امثال زيدان ، وصروف ، وبركات، ومطران ، ونمر ، وتقلا ... وانشأوا صحفا ومجلات فتحت صدرها للادب ، ثم يبين ميل المصريين الى النكتة ، فيقول انهم « اظرف شعوب الارض واكثرهم حبا للنكتة ، وتعلقا بالنادرة ، وتقديرا لاربابها ومن يجيدونها ، ومن اجل ذلك نجحت الصحافة الساخرة في مصر نجاحا بعيدا فأصابت المستعمرين والحكام والسياسيين بسهام لاذعة ، واصلتهم نارا حامية » ومن هذه الصحف : « ابو نظارة » ١٨٧٦ ليعقوب صنوع التي حارب فيها الخديوي اسماعيل ، و « التنكيت والتبكيت » لعبد الله النديم ١٨٨١ ، و « الاستاذ » لعبد الله النديم ايضا ١٨٩٢ ، و « الارغول» للشيخ محمد النجار اواخر القرن الماضي. و « حمارة منيتي » لمحمد توفيق ١٩٠٠ و « خيال الظل » لاحمد حافظ ١٩٠٧ . وبعدها بفترة ظهرت مجلة « السيف » لصاحبيها احمد حسين وعلي واحمد عباس ، ثم « البعكوكة » و « الكشكول » واخيرا « الفكاهة » التي صدرت عن دار الهلال ١٩٢٦ . كما ذكر الدور الذي لعبته كل من هذه المجلات في مجال السياسة والادب السياسي .

لقد احتجبت صحف الفكاهة بعد ثورة ١٩٥٢ واخذ طابع الجد

يسيطر على كل شيء في مصر ، الا ان الشعب المصري ما زال كما هو منذ الاف السنين محبا للنكتة يضحك من اعماقه رغم الاحداث الاليمة التي تمر بالامة العربية . ثم يسرد المؤلف طائفة من ائمة الفكاهة في مصر وعلى رأسهم الرباعي المرح الذي كان يتالف من : حافظ ابراهيم، والشيخ عبد العزيز البشري ، وامام العبد ، ومحمد البابلي ، بالاضافة الى اطرف نكاتهم الشائعة ... وهناك مداعبات شوقي والدكتور محجوب ثابت الشعرية . ومن الذين تفكهوا ايضا الدكتور زكي مبارك ومصطفى صادق الرافعي بالرغم من جديتهما ، ومحمود غنيم ، وكامل الشناوي ومحمد مصطفى حمام ، ومحمود بيرم التونسي ، والدكتور ابراهيم ناجي ، وحفني ناصف، ومجدي فهمي ، وعبد الحميد الديب، ووليم باسيلي (طرزان) ويختم هؤلاء بحديث عن المازني الاديب الساخر الضاحك في كل ما كتب .

اما لبنان فلم يكن بلد السحر والجمال والفتنة فحسب ، بل كان ايضا وما يزال بلد الظرف والنكتة وخفة الروح ، فمن ادبائه الذين عنوا بالسخرية احمد فارس الشدياق الذي خصه بصفحات من كتابه ، وطانيوس عبده ، وعبد الرحيم قليلات ، وخليل مطران ، وسليم سركيس وشاكر الخوري ، واسعد رستم زعيم الشعر الهزلي بلا منازع، وعمر فاخوري ، وابو فارس الخازن ... ثم يشير المؤلف الى الصحافة اللبنانية التي عنيت بالنكتة ممثلة « بالدبور والصياد » .

اما عن صحافة العراق الضاحكة واعلامها فيقول : ان قلة المصادر وعزوف الادباء العراقيين عن هذا اللون من الادب وقفا حائلا دون محاولتنا ، الا انه ذكر قصيدة للرصافي واسهب في الكلام عن الشاعر احمد الصافي النجفي الذي ترك موطنه منذ ثلاثين عاما وحل في دمشق، وهو محب بطبعه للنكتة والنادرة ، يضحك لها من اعماقه . ويكتفي الاستاذ العطري بذكر مجلة واحدة في العراق اهتمت بالهزل والسخر هي « قرندل » لصادق الازدي استمرت بالصدور حوالي عشر سنوات.

اما عن سورية فيقول : ان السوري يحب الجد بطبعه ويكره المياعة والهزل ، وهو قلما يعنى بالنكتة ولكنه يتذوقها ويعجب بها ويصفق لقائلها ، ومع ذلك فهناك ادباء وشعراء أحبوا السخرية واولعوا بالضحك منهم : الشاعر محمد البزم بالرغم من شدة وقاره ، واديب التقي المجمعي ، وفائز سلامة « شاعر الصعاليك » ثم المرحوم فخري البارودي ، وما تزال المجالس حتى اليوم تردد صدى اشعاره ونكاته الساخرة ، وقد اشرنا قبلا الى عصبة الساخرين التي تالفت في سورية ، وبرز منها الدكتور عبد السلام العجيلي الذي ابدع في فن المقامات الضاحكة ، ويأسف المؤلف على ترك الاستاذ يوسف احمد المحمود هذا اللون بعد ان كان يغذي « الدنيا » باشعاره الهزلية ، ويختم هذا الفصل الاخير بكلمة عن صحافة سورية الساخرة ممثلة بمجلة « المضحك المبكي » لصاحبها المرحوم حبيب كحالة .

دمشق — عيسى فتوح

•

أشباح المدينة

مجموعة قصص ـ تأليف رياض نصور ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق

قرأت مجموعة القصص الجديدة « اشباح المدينة » للاديب رياض نصور . وكان قد سبق لي ان سمعت قصصه من الاذاعة اللبنانية ، وقرأت بعضها في المجلات الادبية الكبرى ، ولكنني وجدت نفسي مستغرقا في استعادتها بسلسلتها المؤلفة من اربع عشرة اقصوصة باهتمام كبير .

انا أعرف « رياضا » .. واعرف كيف نشأ اديبا .. وكيف احب القصة وبدأ كتابتها . فهو من قصاصينا المبدعين في انتاجهم، الباحثين دائما عن مادة حية ليسكب من نفسه عليها فتصبح قصة تمتع الناس ولا تخرجهم دون غاية او نتيجة ولو كانت هذه المادة صورة بسيطة كل البساطة .

قرأت كثيرا من القصص بلغات عديدة .. فوجدت نفسي وانا اقضي ساعات مع « اشباح المدينة » كأنني وجها لوجه مع « جي دو موباسان » عملاق القصة القصيرة في فرنسا ، نفس المتعة ونفس السرد ، الشخصيات ذاتها على الرغم من فارق البيئة .

اربع عشرة اقصوصة .. تتنقل بين اللذة والالم ، بين الجنس والرغبة ، بين القرية والمدينة ، بين الثراء والفقر وتعالج ذلك التفاوت بالاحاسيس والبيئات بنمط ثوري دون ان توادي البشائع التي تظهر باشمئزازها مجسمة كل العيوب التي كنا نعانيها معاناة انهكت كاهلنا وسحقت عظامنا ودمرت ارواحنا .

فالقصة الاولى « قذارة » صورة حية لجيلنا المغبون الضائع وهي في الوقت نفسه صورة نفسية لما يجري سرا في مجتمعنا . فعبارة « تفه يا دنيا » التي يلفظها بطل القصة من حين الى اخر اعجبتني كثيرا لان الدنيا لا تستحق الا تلك « التفاهة » ولو كان في ذلك بعض التشاؤم . فالطفل الذي يرى أمه بين احضان رجل غير أبيه ثم يشب ويترعرع لتكبر معه هذه الصورة .. ماذا يكون رأيه وكيف تتكون أمامه قدسية الام ؟؟ .. انها نتيجة حتمية ان تتعقد نفسه ثم يبصق على الدنيا لتفاهتها .

والثانية « نداء الجبل » فهي من حكايات جدتي ومكانها ليس في هذه المجموعة .

اما الثالثة « الشعرات الاخيرة » ففيها الحب ولكنه حب الجسد والحب الموقت حسب تعاريف العصر .. وما الشعيرات الاخيرة التي تقتلعها صفاء من رأس حبيبها الا لفتة كبرى على نقمة الجيل الحالي، ذلك الجيل الذي لا يعرف ما يريد ، أو بتعبير أصح لا يعرف الطريق

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ أحمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي توصله الى ما يريد .

وتليها « اكثر من الالم » . قرأتها واعتراني ألم أكيد ، بل وحقد هائل . لقد كان الناس فيما مضى يضحكون على عقول القرويين ويستغلون سذاجتهم استغلالا بشعا ، وهذه الصورة طالما ترددت في مجتمعنا البائد . شاب بكامل شبابه يصبح قعيدا لينتظر زوجه تأتيه بالاكل والدواء .. فينقم على كل شيء .. هكذا حال التمسك بالحياة وهو يائس من ان يحياها .. ثم تذهب الزوجة الى المدينة لتبيع سجادة وتشتري دواء لزوجها فيتلقفها ذئابها وتضيع السجادة في بيت من بيوت الليل وفي متاهة من متاهات المدينة . وبكلمة من احدى المومسات التي تضيع فيه السجادة ، فيها كل الرحمة والنقمة معا « خرج الخنزير من هنا من هذا الباب . » ... هذه الكلمة لا يقولها كثير من الذين يظنون انهم شرفاء قد تجرأ « رياض » وعرضها عرضا نبيلا واقعيا ... لنلمس لمسا مجسما زيف الناس ورياء كثير من الذين يجب ان نزيح عن وجوههم البراقع النتنة لنرى من تحتها وجوها اكثر قبحا من وجه « دوريان جراي » الذي تكدست فوقه الخطايا .

اما القصة الخامسة « طيف أم » ، فلم أر فيها الا نبلا من الادب الاتباعي .. وهنا يضيع رياض دائما بين الواقعية والاتباعية ، وأي شيء يشد القارىء في تضحية أم أمام ولدها لتعلمه وتهذبه ؟.. فهذا طبيعي واكثر من عادي .

و « البحار المتعب » عودة من جديد الى الجنس والضياع .. ولكنها لفتة تعترض بيئتنا .. وتنهش اسرنا بوحشية . ولا أدري على من يقع الذنب دائما : أعلى الرجل أم على المرأة ؟. رب البيت يهرب من بيته الى طرق ملتويات قد تنهكه اكثر من البيت ، ولكنه يجد لنفسه العذر .. والمرأة تحاول دائما ان تتمسك بزوجها فتفقده بأنانيتها وغيرتها وشدة تمسكها وبيته الاثنان في بحر صاخب لا قرار له .. ثم لا يلبث ان يعود احدهما الى بر الامان ، او يقنع نفسه انه على هذا البر . ولنر بعد ذلك يا رياض ما تخبئه لنا ، لقد ضعنا نحن ايضا في متاهاتك وداخت عقولنا . أفلا يحق لسفينتنا ان ترسو على شاطيء مستقر ؟ ...

ها هي « السحابة البيضاء » تظللنا وتشعر بالخشوع لذلك الاب المثالي بطل هذه القصة . منذ هنيهة أطلت علينا « أم » بطيفها الهفهاف الجميل فتضحي . ولكن الاب هنا ينبذ الانانية ويغفر للمخطىء بل ويعامله بالحسنى ويبذل له العون ، وكانني استعيد بذاكرتي قصة المسيح والمجدلية بما فيها الخطيئة والغفران الاب لا يرجم صديق ابنه الذي كاد ان يحبسه ، ولكنه يرغم ابنه على تحمل الاذى لينقذ صديقه من ورطته . حقا ليس كل الآباء مثل هذا الاب لقد أحببت هذه السحابة البيضاء النقية ووددت لو يدوم فيئها ..

ولكن السحب تمر وتنقشع ولا تخلف الا الدموع ... وينقض «الذئب» بعد تلك السحابة . أرأيت الى هذا التتالي الذي يصدم الاعصاب ويرهق الاحاسيس المرهفة ؟..

فوجئت وأنا أقرأ هذه القصة بصدمات عنيفة هزتني ، لا لكونها بشعة ، ولكن لما فيها من صرامة الوضوح والصراحة . فالادب الحي يفرض نفسه ، ويعم تأثيره ، والعقبات امامه لا تعيق تقدمه ومسيرته. ان هذه القصة تجسد الظلم والسرقة والرشوة والخداع والتعالي والاستغلال والانحطاط . وأي قيمة للانسان امام هذه البشائع .

والقصة التاسعة « هروب » ترجع بنا الى الجنس . لله درك يا رياض .. هذا الجيل لا مفر له من الجنس .. يدور ويدور .. يعمل ويتعب .. ثم الى الجنس يعود . لقد كون الانسان في احسن تكوين واحسن ما فيه حسه .. وهذا ليس « هروب » من الواقع ، بل « لجوء » اليه ، ولذا أعيب تسمية هذه القصة « هروب » .

ونعود مرة اخرى الى الواقع في « نداء الكوخ » ، ليرتسم امامنا الماضي البغيض ، ماضي السيطرة والاقطاع حيث كان الفلاح عبدا ، فيعطينا المؤلف صورة حية ضخمة ممثلة في عجوز عاشت حياتها مع التراب والزرع فكم غرست وانبتت ، وهي هي في كوخها .. ثم تكافأ بطردها من ذلك الكوخ .

وفي قصة « خمس ليرات » وصمة أخرى لايامنا المخيفة التي كان فيها الفرد تافها كل التفاهة ، فلا الثقافة تجديه نفعا ، ولا النشاط والجد في العمل يؤمنان له مستقبلا او استقرارا .. لقد كان دائما ضائعا حقيرا ، وغيره من التافهين لهم وحدهم متعة الحياة وانمانها ، يعيشون فوق البشر في البذخ والبحبوحة . هذه الصورة تكاد تصبح اثرا من اثار مجتمعنا الحالي الذي بني على مثل تلك القصة .

ولقد نجح الكاتب في « البائعة العجوز » في تصوير المدينة تصويرا دقيقا عندما أتى بالعجوز لتبيع الصبير وتشتري بثمنه دواء لحفيدها حسين ، ولكنها تجد المدينة معفرة بالخيانة والغدر ، فهي عديمة الامانة ، تجعل من البرىء مجرما ومن الحكيم مجنونا. انها المدنية حقا .. وما اكثر ما فيها من متناقضات وهدر للقيم ، على النقيض تماما من القرية وبيئتها البكر .

وفي قصة « مات الرجاء » عرض رياض ، كيف كانت الشهادات عملة لا تصرف .. لقد كان الفقير والفلاح والعامل يبيع ما فوقه وما تحته ليعلم اولاده ، ولكنه يجد اخيرا ان بطاقة صغيرة قيمتها تفوق بكثير قيمة اعلى الشهادات ، فيبكي على ما باعه .. ويندم الاولاد على سهر الليالي التي لم يجنوا من ورائها سوى وريقة تافهة لا قيمة لها.

واخيرا تطل علينا « اشباح المدينة » فهي تتمة لقصة « البائعة العجوز » حيث لا هوادة مع المدينة .. لقد كانت في حرب دائمة مع الساذجين . حتى الاولاد .. وحتى رجال الامن لم يفتهم الاضرار بأي قادم اليها من الريف ... لقد كان الظلم يصرخ ويستغيث ، ولكن صراخه لم يكن له حتى صدى ..

هذه عجالة عن المجموعة القصصية « اشباح المدينة » لرياض نصور ، التي كتبت بأسلوب بسيط ينبض بالحياة .. لا تصنع فيه ولا رياء .. ليس فيه ضياع الكلمة او الجملة كما يضيعها بعض كتابنا اليوم اقتداء بكتاب الغرب وشتان بين لغتنا الفنية الجميلة واللغات الاجنبية الاخرى واساليبها . انك تقرأ لغة سليمة قبل كل شيء بنهج العصر دون ان تتعثر بكلمة أنت بحاجة للبحث عنها في المعاجم ولا بعبارة متدنية ترغمك على الاحتقار والتشنيع .

اعود فاقول : ان هذه القصص الاربع عشرة ممتعة بجملتها ولو انني كنت اوثر ان تكون ذات تسلسل موضوعي واحد متماسكة الحبكة ... متجانسة الوحدة . لقد ولد في بلدي كاتب قصصي كنا بحاجة الى مثله وكل ما ارجوه ان يثابر ليعطي مجتمعه كل ما عنده وما اجمل عطاء سخيا فيه نفحات من انفسنا ونفثات من ارواحنا ..

اللاذقية

محمد شيخ ديب

صدر حديثا

اغـان من أرض كنعان

مجموعة شعرية

خليل خلايلي

منشورات دار الاجيال بدمشق



● الفارس الضائع ـ مسرحية شعرية ـ تاليف سليمان العيسى ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● معايير الفكر العلمي ـ تاليف جان فوراستيه ـ ترجمة فايز كم نقش ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● لمحات من النقد الادبي الحديث ـ تاليف محمد الحسن فضل المولى ـ تقديم الدكتور عبد المجيد عابدين ـ ١٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العودة ببيروت والشركة السودانية للتوزيع بالخرطوم ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اساطير عربية من قلب جزيرة العرب ـ تاليف عبد الكريم الجهيمان ـ المجموعة الثالثة ـ ٤٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠/١٩٦٩ ـ تاليف كوركيس عواد ـ المجلد الاول ـ ٤٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه ـ مطبعة الارشاد ببغداد .

● مشاركة العراق في نشر التراث العربي ـ تاليف كوركيس عواد ـ ٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العراقي ببغداد ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

● اشباح المدينة ـ مجموعة قصص ـ تاليف رياض نصور ـ الغلاف للفنان رضا حسحس ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اجراس اليوم الثالث ـ شعر ـ اديب صعب ـ الطبعة الثانية ـ الغلاف بريشة وهيب بتديني ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة النجوى ببيروت .

● اصوات سريانية معاصرة ـ تاليف الاب يوسف سعيد ـ ٨٠صفحة ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حياة الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام مطران بغداد والبصرة ـ تاليف الاب يوسف سعيد ـ تقديم امين نخلة ـ الغلاف بريشة زكريا كايا ـ ١٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الامان بدرعون لبنان.

● اغاني عشتار ـ مجموعة شعرية ـ لميعة عباس عمارة ـ ١٢٨ صفحة ـ المؤسسة التجارية للطباعة والنشر (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● تاريخ بيروت ـ وهو اخبار السلف من ذرية بحتر بن علي امير الغرب ببيروت ـ تاليف صالح بن يحيى ـ اشرف على تحقيقه فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي ـ ٢٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المشرق بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● بين التاريخ والاثار ـ تاليف عبد القدوس الانصاري ـ ٣٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اربعة ايام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ـ تاليف عبد القدوس الانصاري ـ ١٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دكان التوابيت ـ مجموعة قصص ـ تاليف جاسم الناصر ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .

● الزوادة ـ شعر عامي لبناني ـ عجاج المهتار ـ الخطوط بريشة بهيج عنداري ـ ١٩٢ صفحة ـ مطابع سليم جمال الدين (؟) .

● الماء في حياتنا وتراثنا ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في سورية ـ القسم الاول ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٥ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ صدر في دير الزور بسورية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مشاهير الفكر الاحيائي ـ تاليف عادل محمد علي الشيخ حسين ـ تقديم عبد الكريم توفيق العافص ـ ٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الناصرية بالناصرية العراق .

● كتاب التنبيه على حدوث التصحيف ـ تاليف حمزة بن الحسن الاصفهاني (٢٨٠/٣٦٠ هـ) حققه محمد اسعد طلس ـ راجعه اسماء الحمصي وعبد المعين الملوحي ـ ٣٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ مطبعة الترقي بدمشق .

● دنيا على الشام ـ مجموعة شعرية ـ سليم الزركلي ـ ٣٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ مطابع دار لبنان بيروت .

● رجل غير معترف به ـ مجموعة قصص ـ تاليف اسماعيل علي اسماعيل ـ الغلاف للفنان محمد علي اسماعيل ـ ١١٢ صفحة ـ المطبعة القانونية بالقاهرة .

● الجذوة والريح ـ مجموعة قصص ـ تاليف عبد المجيد لطفي ـ الغلاف للفنان حميد ياسين ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات مكتب الرصافي ببغداد ـ مطابع دار الجاحظ ببغداد .

● وساطة الى فتح ـ مجموعة شعرية ـ ميخائيل ابو عقدة ـ الغلاف للفنان ميلاد الشايب ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة الفرات بدير الزور سورية .

● عدنان مضاع ـ مجموعة قصص ـ تاليف فهد الاسدي ـ ١١٦ صفحة ـ ساعدت نقابة المعلمين العراقية على نشره ـ منشورات دار الكلمة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .

● مسائل ادبية ـ تاليف يوسف نمر ذياب ـ ٨٠ صفحة ـ ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .

● مهرجان تحت الشمس ـ شعر باللغة العامية اللبنانية ـ راجي عشقوتي ـ ٩٦ صفحة ـ دار صادر ـ (طبع في بيروت ولم يذكر اسم المطبعة) .

● الكاس الاخيرة ـ تاليف ابراهيم المصري ـ الغلاف بريشة مصطفى حسين ـ الرسوم الداخلية بريشة سعيد عارف ـ ١٣٦ صفحة ـ سلسلة كتاب اليوم ـ مؤسسة اخبار اليوم بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شظايا حزيران ـ مجموعة شعرية ـ جورج صيدح ـ ٣٢ صفحة ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● مأساة الانسان ـ للشاعر المجري ايمري موداتش ـ ترجمها عن الانجليزية عيسى الناعوري ـ ٢٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع دار الابجدية ببيروت .

● اوراق ريفية ـ تاليف حسيب عبد الساتر ـ ١٢٠ صفحة ـ (طبع في بيروت ولم يذكر اسم المطبعة) .

● المدار يحترق ـ مجموعة شعرية ـ عبد الامير جعفر ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة الشعب ببغداد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

رجا عيسى العيسى - محمود الكرمي

يوسف جادالحق

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ــ رجا عيسى العيسى

كان الشعار الذي أحبه « رجا » ونادى به خلال عمله في قطاع الصحافة قرابة ربع قرن قول فقيد الوطن والواجب ، مصطفى كامل :
« ليست الحرية بعزيزة على قوم يعملون للحصول عليها ، ويجتهدون في نيلها .. فالصخرة تذوب .. وتتفتت .. بسقوط المياه عليها قطرة .. قطرة ! » .

ولد « رجا » في مدينة « يافا » سنة ١٩٢٢ وتحدر من اسرة كريمة النبعة ، تميزت بالفكر والادب والسياسة ، ونبغ فيها شوامخ حملوا لواء الشعر والصحافة امثال المرحوم جريس عبد الله العيسى الشاعر الذي اشتهر بتاريخ احداث العالم العربي على حساب الجمل .. وحنا عبد الله العيسى صاحب مجلة « الاصمعي » التي أصدرها في بيت المقدس سنة ١٩٠٨ وعيسى داود العيسى (والد المترجم له) الذي أصدر جريدة « فلسطين » بيافا سنة ١٩١١ بمشاركة ابن عمه المرحوم يوسف العيسى الذي اصدر بدوره جريدة « الف باء » في دمشق سنة ١٩٢٠ وداود بندلي العيسى الذي أصدر جريدة « البلاد » في القدس سنة ١٩٥١ وسعيد جريس العيسى الشاعر المعروف في أدبنا المعاصر.

انهى « رجا » دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة الفرنسز برام الله ونال شهادتها الثانوية سنة ١٩٣٨ ودخل الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٩ وتخرج سنة ١٩٤٢ حاملا شهادة بكلوريوس في العلوم السياسية ودخل جريدة « فلسطين » التي آلت اليه من والده المرحوم عيسى العيسى وظل يعمل فيها الى أن حلت النكبة الفلسطينية الاولى في عام ١٩٤٨ فنزح الى القاهرة وفي عام ١٩٥٠ عاد الى بيت المقدس واستأنف اصدار « فلسطين » الجريدة اليومية التي وهبها قلبه ، ومحضها حبه ، وكتب اغلب افتتاحياتها وزاوية « صباح الخير ». ولقد اشتهرت هذه الصحيفة الكبرى ، التي حملت على اكتافها تاريخا طويلا من النضال القومي ، في السنوات التي صدرت ببيت المقدس (١٩٥٠ الى ١٩٦٧) ورفعت لواء المعارضة في الاردن وجاذبت الفئات الوطنية حبل الود والتعاطف .

وفي سنة ١٩٥١ أسس « رجا » في القدس وعمان وكالة لتوزيع الصحف والمجلات والمطبوعات العربية والاجنبية باسم « وكالة التوزيع الاردنية » ، وتقديرا لكفاءاته ونشاطه الصحفي انتخب سنة ١٩٥٣ نقيبا للصحفيين . وفي سنة ١٩٦٠ زار الولايات المتحدة ودرس دورة في الصحافة بجامعة كولومبيا في نيويورك وحضر دورات هيئة الامم عدة مرات ، كما غطى مؤتمري القمة الاول والثاني المنعقدين في القاهرة والاسكندرية سنة ١٩٦٤ .

نموذج من نثره : وبعد ان اوعزت السلطات الاردنية بدمج جريدة « فلسطين » في جريدة « الدستور » واصدار هذه الصحيفة في عمان، كتب « رجا » مقالا افتتاحيا مؤثرا ، نشرته « فلسطين » في صدر اخر عدد صدر منها بتاريخ ٢١ اذار ١٩٦٧ ، ودونك نصه :

« بيني وبينها رفقة حياة : احلام طفولة ، وعواطف فتوة ، وعزم شباب وسهر ليال .

رأيت النور وهي عنوان للتحدي ، ومنبر للتبصير ، ودعوة للاعداد وشحذ للهمم ، ونداء لمقاومة الغزوة الصهيونية ومؤامرات الاستعمار .

وعرفت الدنيا وهي ملء السمع والبصر ، مثل حي لذلك الصخر الصلد الذي قدمه شعبنا . فعاشت ــ كما عاش ــ في استقبال واجتياز المحنة اثر المحنة عبر ذلك التاريخ الذي كتب لفلسطين واهلها .

وكانت لي مدرسة حياة ، تعلمت فيها من والدي واستاذي ، كيف يكون الصمود ، وكيف يقاوم المرء ويتحمل . وكيف تعيش اماله ومثله رسالة فيه ، وكيف يعيش هو من اجلها . فصارت المهنة جزءا من نفسي، وصارت الدروس التي تعلمتها دما يجري في عروقي ، واصبحت الصلة بيني وبين « فلسطين » طابع حياتي ومعنى ايامي .

واتاحت لي صلتي بها ان اتتلمذ ، واعرف عددا من رجال الفكر والقلم ، تولوا العمل فيها ، واعانوا صاحبها على حمل المشعل ، فاستحقوا جميعا الشكر والعرفان. وكان لهم الفضل في انني استطعت، من بعدهم ، ان احمل الراية ، واسير في الخط وعلى الخطى ، وكان ذلك منذ ربع قرن .

وتمضي الايام ، وفي كل يوم منها مؤامرة على الوطن ، ، وتجيء النكبة وتسقط يافا الجبارة ، وتخرج « فلسطين » من دارها كما اخرج اهل فلسطين .. وفيما بينهم عهد على العودة .

وتنتقل « فلسطين » الى هذا الجزء العزيز من الوطن . فتصدر في القدس الجريحة اقرب ما تكون الى الارض التي استنبيجت من الوطن . وتمضي تؤدي الرسالة : دعوة الى الصمود ، والبذل ، والاعداد ، من اجل ان نعود .

شريط من تاريخ طويل يمر في الذهن اليوم ، يذكر فيه المرء ويتذكر : يذكر ان « فلسطين » قد اوقفت في الحرب العالمية الاولى ، وان صاحبها نفي الى الاناضول . ويذكر ان « فلسطين » قد توقفت عن الصدور في اول النكبة.

ونقف اليوم لنودع القراء لان فلسطين ستحتجب عنهم ، فنشكر لهم ثقتهم ، ونطوي في سويداء القلب تلك المحبة الغالية التي ربطت بينهم وبين جريدتهم ، ونعاهدهم على ان الحنين الى الديار سيبقى تصميما على العودة ، وان العمل من اجل ذلك سيبقى واجبا مقدسا .

لقد تشرفت « فلسطين » بانها حملت اكرم اسم ، وشرف الله « فلسطين » بانها اسهمت بجزء من جهاد شعب فلسطين ، وانها سجلت تاريخ ذلك الجهاد .

هذا الشرف لن ننساه .

ولن ننسى ان ايامنا ستظل دون معنى ، حتى نعود وتعود ! » .

٢ ــ محمود الكرمي

ولد في طولكرم الفجيعة بمثلثها المسلوخ (عام ١٨٨٩) واتم دراسته فيها وقصد القاهرة مع شقيقه المرحوم احمد شاكر وانتسبا معا للازهر ، وبعد تخرجه عين استاذا للغة العربية في مدرسة القناطر الخيرية الاسلامية ثم في كلية مصر ، وكان يختلف الى دار العلوم احيانا .

ولمعت شرارة الحرب العالمية الاولى فانقطعت به وباخيه وسائل الاتصال بأهليهما فكان عليهما تأمين عيشهما ، فعمل (محمود) بالاضافة الى التدريس في تهذيب لغة الروايات التي كان يمثلها سلامه حجازي وتشكيلها وتصحيح نطق الممثلين . وما لبث « محمود » ان بارح مصر

الى مصوع (الصومال) حيث درس اللغة العربية ، وعندما سكنت نامة الحرب عاد الى دمشق وعين مفتشا لمعارف حوران فمديرا لمدرسة الملك الظاهر بدمشق .

ولما استتب الامر للفرنسيين ، وكان والده المرحوم الشيخ سعيد الكرمي قد بارح دمشق الى عمان ، لحق محمود بوالده وعين مديرا لثانوية السلط فمديرا لثانوية عمان .

وفي عام ١٩٢٦ استقال من عمله الحكومي واسس حانوتا وصيدلية في عاصمة الاردن واصدر بالاشتراك مع كمال عباس جريدة باسم « الشريعة » وقد صدر العدد الاول منها في ٢٥ حزيران ١٩٢٧ وسرعان ما زجت به السلطات البريطانية في السجن بتهمة الاشتراك في جمعية « الكف الاسود » .

وفي صيف عام ١٩٢٧ اجتاح الزلزال مدن سورية وفلسطين والاردن فاضت الصيدلية في الانقاض وسرق الحانوت و « محمود » قيد السجن ولما أفرج عنه شد الرحال الى فلسطين وعين مدرسا للعربية في المدرسة الرشيدية بالقدس ثم في ثانوية غزة . وفي عام ١٩٢٩ وهو عام الثورة الفلسطينية العنيفة التي قام بها الشعب الفلسطيني ضد الانتداب والصهيونية اتهمته السلطات البريطانية بنظم الاناشيد الحماسية وتلقينها الطلاب فنقلته مدرسا الى ثانوية الخليل ولبث هناك مدة خمس سنوات . ولم يستطع ان يفصل بين عمله كمدرس وبين واجبه الوطني في التوعية والعمل السياسي فنقلته السلطات الى « الصلاحية الثانوية » في نابلس وفي عام ١٩٣٦ نشبت اكبر ثورة قام بها الفلسطينيون ذودا عن عروبة موطنهم فاسهم « محمود » بها وتعاون مع الكثيرين من رجالات البلاد على تغذيتها .

ولما رأى الثورة قد انحرفت عن هدفها الاسمى واخذت في ازدراد ابنائها بأسلوب الاغتيال السياسي ، وقف من هذا كله موقف المعارض واضطر لان يغادر فلسطين الى بيروت ومن هذه اخذ في مخاطبة قومه على صفحات الجرائد وتنبيههم الى ما يبيته الخصم من مؤامرات ودسائس لاشاعة الفرقة في صفوفهم .

وفي صباح ٢٥ كانون الاول من عام ١٩٣٩ اغتاله خصومه السياسيون ونقل جثمانه من بيروت الى طولكرم مسقط رأسه .

نموذج من نثره : « حسبي من هذه الحياة ان ارى فيك شخصي الثاني في كل ذهبة وجيئة وان اشعر بوجود قلبي انى دببت .

وقد احببت ان اوصيك وصية تنفعك في حياتك قبل تطرق الوهم اليك .

بلوت حلو العيش ومره ، فاذا الحلو امر من المصاب او هو كالذرة عند الكيميائيين . يا بني ان كل من ترى في هذا المحيط اما مسخر يؤدي عمله بأيةطريقةولو بالفض والمخاتلة ، واما متصيد فيالماء المطور ، وان نظرت الى ما يحيط بك من اوضاع والقاب واخذ ورد وتحوير وتحويل ومحو واثبات تجده مظاهر كاذبة هي اشبه شيء بالمرئي في الحلم لا يلبث ان يتبدد عند انبثاق الفجر وليس انبثاقه بقريب .

اما ما أراه في هذا الليل الدامس من الخرافات والشعوذة والحبائل ، وما اسمعه من الاماني والتغني بالحب واشعار الصبابة والوجد كله وهم باطل نشأ عن هذه الظلمة التي حجبت الحقائق عن الابصار فاصبح كل يرى وهمه عقيدة ثابتة ، ولو اسفر الصبح لمبصر لظهر الحق وزهق الباطل .

يا بني سيمر بك من تلك الخيالات في هذه الحياة، حياة المخازي الشيء الكثير فلا تحفل به وحاذر ان يخدعوك ، واعتقد ان الغريق ان افادته لجة الماء استفدت انت من هذه المظاهر .

لا تكن في حياتك القادمة وطنياتقول كما يقولون ولا شاعرا يقرض كما ينظمون فان هذين الوصفين قد كثر المدعون بهما وتعذر معرفة وجه الصواب فيهما فاخشى عليك ان انت سرت في طريق يوصل لاحدهما ان تقع في الهوة مع المتملقين والمتشدقين . على اني ارى الوطنية هذا النفر من الخلق شراكا يصطادون به عيشهم من طريق الخسة والدناءة ولم اجد فيهم ولا ممن يدعي هذه الصفة من وقف عقله ، وحبس ماله على خدمة امته ، اللهم الا افرادا قليلين ، وهم قليلون جدا تراهم يضيئون احيانا من جوانب هذه الظلمة الحالكة فان حاولت انتتعرفهم لن تقف لهم على اثر ، ذلك لانهم لا يحبون ان يعرفوا اولئك الذين عقيدتهم (ان من يتسامح بحقوق امته ولو مرة واحدة يعيش سقيم الوطنية مريض الوجدان) . وارى انك لو اردت ابتياع قوت يومك بكل الشعر في هذا العصر عصر القرش لما وجدت ولو احسانا وتظل طائرا في جو الخيالات الى ان تسقطمن جوعك .

يا بني لا تكن كاتبا فتكون احد رجلين ، رجل انفق كل عمره وما لديه من نشاب فوقف على سر هذه الصناعة الجميلة ، واخر خبط في طريقه فضل سواء السبيل فهو كريشة في زوبعة ، لا تعرف له وجها ولا مستقرا ، فان كنت الاول لازمك الفكر والفقر ولم تجد من بين هذه الطغمة مقدرا ، وان وجدت فلا يغني عنك شيئا ، على انك لا تجد الا في الخيال .. وان كنت الثاني فالمصيبة اعظم . دعوى وختل ونقل وسرقة وانتحال وما أغناك عن كل هذا .

ولا تكن معلما كابيك فتعيش في هذه الايام مستثقل الظل متهما الفاظة ، مطعونا في ادبك وعقلك . وانك ان توفرت على دراسة النفس وخطط التعليم زاحمك على صناعتك حامل السيف وصاحب المدفع ورافع الهراوة التي يسمونها قلما ، ومن المتطفلين والمتنطعين والخابطين خلق كثير ، حتى انك لترى الان ان هذه الصناعة اصبحت مركزا للعجزة وموئلا للكسالى وناديا للجاهلين ومن الصعب ان تتعرف نهجهم او ان تتحسن نياتهم كما انه يصعب عليك ان تحلب في انائهم فتظل بين هؤلاء لقى معذبا هجينا.

ولا تكن صحافيا في بيئة مستعبدة او ان تعتمد في امر معاشك على جريدتك فتنشأ جبانا او صريعا او غير ثابت العقيدة وكلهم في الذوق لا يعذب .

واحذر ان تكون حاكما يتطرق اليك الحزق من حيث لا تدري ، اذ يلتف حولك نفر يزعمون انهم مخلصون لك فيحسنون القبيح ويزينون الفاحش ، وينصبون بحيلهم حبائل يجرون بها النار الى اقراصهم وينشرون امام عينيك سترا كثيفا يخفي عنك الحقائق فتسير في عملك على غير هدى فلا تعد اعداءك ، ولو حاولت تبديلهم خيرا منهم واشرف قصدا ، فلن تستطيع الى ذلك سبيلا لان الذين يندسون في حواشي الحكام ، وهذا الاوان ، كلهمعلى ما وصفت لك ، فليس فيهم « منفتى مطيع » اللهم الا اذا أوتيت بصيرة خالصة من الشوائب في هذا المحيط الذي لا يلقح مثلها .

واني احاذر عليك ان يفرك قولهم ، الطبيب خادم الانسانية يخفف ويلاتها ، فلو كنت طبيبا عشت أسيفا ومت عبيطا او عشت طويلا ولكن كقاطع طريق فاقد الشعور .

واحذر كل الحذر ان تكون سياسيا فتشب وانت عقيم الصدق ، ودود لعدم الوفاء ، تعيش طماعا متملقا قاسيا محتالا واعيذك ان تكون كالثعلب المتنمر يقطع طريق السابلة لا يبالي من اين اتاه رزقه ، ولا يعرف له لون ولا يظهر له غرض واني افضل ان تكون محاميا يكيل الهواء جزافا لا تهمه خدمة الحق ما دام كالمنشار انتفاعا ، على ان تكون سياسيا وانت تعلم اني لا ارضى لك واحدة من هاتين النقيضتين .

واياك وما يسمونه المدنية الحديثة فتتخطى اكداس القتلى وتخوض انهار الدم وراء شرهك وتكون وحشا بصورة انسان . فان ساومك احد على ان تكون متمدنا بهذه المدنية التي ظهر اثرها في العشرة اعوام الماضية فارجع الى صحرائك وناقتك وانشده قول جدتك : ولبس عباءة وتقر عيني ...

فان اردت يا بني ان تعيش فيهذه الحياة حياةالمنافسة والتنازع، عيشة الشريف الحر ، بعيدا عن كل هذه الدنايا . فكن يا بني عالما

.. عاملا ! » .

٣ ـ يوسف جـاد الحـق

كان الشعار الذي اختاره « يوسف » وظل يردده ويتغنى به القـول البليغ : « ان ارواح الرجال الاحرار لا يقتلها الرصاص ! » .

ولد «يوسف» سنة ١٩٢٩ في قرية «يبنا» الواقعة جنوبي مدينة يافا بفلسطين وشهد ، منذ وعى احداث الحياة ، المظالم التي صبهـا الاستعمار البريطاني البغيض على شعبه في كل ثورة شب لظاها علـى ثرى الارض المقدسة الطهور . ولقد تركت فظائع الانكليز انطباعات سيئة لم تمحها الايام من نفسه ، وخلفت تلك المآسي آثارا بشعة ما برحت ماثلة امامه ، منذ ان راى بام عينيه عددا من ذوي قرباه مجندلين بحراب الانكليز ، وشهد ، كما شهد جيله ، ذروة المأساة العربية سنة ١٩٤٨ وخروج العرب الابرياء من فلسطين اذلاء صاغرين !

كل هذه المآسي المروعة تركت مياسمها في قلبه ، فاقبل علـى « القصة » يصور بها تباريحه وشجونه ، وينفس بها همومه والامه ، وفي مجموعة قصصه الاولى « اشرقت الشمس » صور من هذه التلاوين!

بعد النكبة الاولى لجأ « يوسف » الى دمشق محاولا ان يدفن في مغانيها وشعابها ندوب قلبه ، لكن شبح المأساة الرهيبة ظل يلاحقه ... ويذكره بوطن مغصوب وشرف معطوب ، وشعب مغلوب ، أفزعته المجازر الدامية فاكرهته على النزوح .. حفاظا على (العرض) الذي يتغانـى العربي في الذب عنه ، والحرص عليه ، وطفق يصور اهاته وزفراتـه على القرطاس بقصص واقعية ، لحمتها التشرد والفراق ، وسداها المذلة والاستجداء ، ولم ينس ان يصور في بعضها بطولات شعبه الجبار ، وصموده في وجه الرصاص والحراب !

وقام « يوسف » برحلات الى بعض الاقطار العربية والاوروبية ، وراح يشرح الظلامات التي حلت بساح شعبه النابه الواعي ، وكـانت سببا في تشرده وذله وهوانه ! واقبل على الصحافة يفرج بها همـوم قلبه ، وينشر مقالات سياسية واجتماعية وادبية ، ويبث عشـرات الاحاديث القومية والتوجيهية من اذاعات « صوت العرب ودمشـق والقاهرة » ، ويقدم عددا من التمثيليات الفلسطينية للتلفزيون بدمشق.

واشترك « يوسف » في المؤتمر الاول لاتحاد الكتاب الفلسطينيين سنة ١٩٦٧ كما اشترك في المؤتمر السادس للكتاب العرب المنعقد فـي القاهرة سنة ١٩٦٨ وفي المؤتمر السابع المنعقد في بغداد سنة ١٩٦٩.

وبعد ان استقر في دمشق واصل دراساته الخاصة فـي الادب والسياسة والاجتماع والتحق بقسم اللغة الانكليزية في كلية الاداب بجامعـة دمشق .

من آثاره القلمية : عالج « يوسف » القصة القصيرة ، وحلـق فيها ، وكرس اغلب نتاجه لتصوير مأساة الامة المشردة التي تحدر منها، وقد عرفنا من اثاره المطبوعة :

١ ـ أشرقت الشمس (مجموعة قصص فلسطينية) (١٩٦١) .
٢ ـ النافذة المغلقة (مجموعة قصص بينهـا قصص فلسطينية) (١٩٦٤) .
٣ ـ أضواء على المؤامرة الكبرى (١٩٦٥) .
٤ ـ المصير (١٩٦٦ (.
٥ ـ سنلتقي ذات يوم (١٩٦٩) .

نموذج من نثره : « الريح تعوي كذئب جائع .. اغصان الاشجار تئن انينا مفجعا .. العيدان الغضة تتقصف تحت وطأة الريح العاتية .. الظلام يسربل الكون برداء سميك .. وفي السماء تختفي النجوم وراء الغيوم الكثيفة واحدا اثر اخر ، فتبدو الدنيا كتلة من الظلمة الفاحمة.

همست في اذن احد الرفاق بقلق :

ـ ما اسوأ الطقس الليلة !

رد رفيقي همسا ولكن بحزم :

ـ هذا هو الطقس المناسب لعملياتنا !

قلت في خشية وانا اضم ياقة معطفي حول رقبتي :

ـ ربما يسقط المطر !

قال باقتضاب ، كانما يريد ان يحملني على الصمت :

ـ لن يكون هذا اسوأ ما قد نلقي !

لذت بالصمت من جديد ، اجابات رفيقي لا تشجع على مزيد من التساؤل ، الرفاق الاربعة الاخرون يسيرون من امامي واحدا وراء الاخر، مغرقين في صمت ثقيل يضفي على الجو المكفهر مزيدا من الوحشـة الكئيبة .. لا صوت لوقع اقدامنا في دوامة الرياح كاننا اشباح تختـرق الظلام ! بيارات البرتقال على جانبينا ينطلق عبيرها رقيقا حنونا ينداح في صدورنا ، يتغلغل في دمائنا ، قشعريرة تسري في جسدي .. تهز كياني .. ها نحن نلتقي اخيرا يا ارضنا الحبيبة .. اليوم تستقبلين الطلائع من ابنائك .. قلة هم اليوم .. ولكن غدا تتدفـق الجموع ... ندخلك اليوم تحت جنح الظلام ، وغدا سوف تأتيك في وضح النهار ، والشمس تسطع في الافق ، تمسح بشعاعها ارضك والسماء .. كانما تعرفنا اشجار البرتقال .. تحيينا .. ترحب بمقدمنا .. كانهـا علـى موعد معنا .. واثقة من عودتنا، تتشامخ اغصانها نحو السماء .. اعتزازا بالعائدين من اجل فك اسارها . حتى الارض تعرفنا .. النهر والجبل .. والزرع والشجر .. ويقول الاعداء اننا متسللون .. قطرات المطر تزداد ثقلا ... اصبح لها وزن وحجم بعد ان كانت رذاذا .. رائحـة التراب تفوح ندية تبعث النشوة والدفء ! « في الشتاء تتعقد الامور اكثر فاكثر بالنسبة لعملياتنا ! » .

هكذا قال قائدنا قبل الانطلاق من القاعدة « ولكن هذه التعقيدات في صالحنا » في مثل هذه الظروف الطبيعية القاسية تصبح اسبـاب النجاح اكثر توفرا ، واضمن نتيجة .. سوف تلاقون بعض الصعاب ، ولكن كما تعلمون ، لكل شيء ثمنه في هذا العالم .. تلك هي سنـة الحياة !

أشد ياقة معطفي .. الـريح الباردة تلسع كسياط جليـدية .. الطريق يتحول الى وحل .. اقدامنا تغوص في تربة لزجة .. لا بد من مجهود اضافي لاقلاعها في كل خطوة ، في مثل هذه الليالي كنا ننعـم بالدفء حول المواقد نحتسي الشاي ، ونحرق اصابعنا بشي الكستناء ، وجمع من الرفاق يدلي بمختلف الاراء والنظريات . الجدل يطول ... يتحول الى سفسطة .. الى مشادة .. لست اذكر من منا قال : « ان طلقة واحدة تمزق الفضاء فوق ارضنا لاجدى من كل نظرياتكم ! » .

امي تجلس الان امام الموقد تنقل الجمرات بملقط اسود ، تزيـح الرماد ، على محياها سيماء شرود حزين ، تستعيد ذكريات طفولتي ، وتندد بعنادي الذي ورثته عن ابي ، وهي تعرف اني لم اكن كذلك ، قالـت اخر مـرة :

ـ ليست هذه العمليات نزهة خلوية يا سامي .. وانت لم تعتـد هذا الشقاء ، انت تعودت الراحة و ...

قاطعتها صائحا بعد ان ضقت ذرعا بمحاولاتها في ثنيي عن اللحاق بهم :

ـ لقد سئمت الراحة يا سيدتي .. ومن قال لك انني لا اتوق الى هذا النوع من الشقاء ؟ ثم اية راحة هذه التي تعنين .. وفي اعماقي بركان يتفجر .. يتدفق حقدا يزلزل كياني ويحيل سعادة الراحة التـي تتصورين الى سعير اتلظى بناره ؟

الرعد يقصف ، البرق يخطف البصر .. الريح تكاد تقتلعنا .. المطر .. آه لو تسكن الريح ويكف المطر .. الطبيعة ثائرة هي الاخرى .. اترى .. هل اغتصب لها احد ارضا ؟

القافلة الصغيرة تسير مغرقة في الصمت .. قائد المجموعة فـي المقدمة .. اذاننا بانتظار الاوامر .. عيوننا تحاول ازاحة الظلمة ترقبـا لاشارة ، لكنه يمضي صامتا ونحن من خلفه ، الصمت جزء من خطتنا

تحدد له المواقيت !

قالت الجارة لامي وهي تومىء الي :

ـ ان ابنك هذا .. من يومه لعنيد !

وقبل ان اتمكن من الرد عليها قالت امي في صوت يمازج اليأس فيه الرجاء :

ـ اليست دراستك اولى يا سامي ؟

ـ الدراسة تستطيع ان تنتظر يا امي ، اما القضية فلا تتحمل الانتظار .. عشرون عاما الا تكفي ؟

قالت الجارة في ضيق :

ـ لكل سؤال جواب .. بارع في الرد .. نحن نعرفه !

قالت امي وكأنما وجدت في جارتها حليفا يشد من ازرها في هذه المحنة :

ـ هي شهور قليلة يا بني تنتهي فيها دراستك ثم لك ان تفعل ما تشاء !

ـ صديقي احمد عبد الرزاق يا امي ، يوم صرعه الاعداء .. هل انتظروا الى ان يتم دراسته ؟ ام انتظروا عبد الله درويش وزوجته واولاده ليتموا تناول فطورهم يوم المذبحة ؟ ام انتظروا الى ان تستقر جرعة الحليب في جوف الطفل حامد . الم يمتزج حليب امه بنجيع دمه يا اماه ؟

اقدامنا تغوص ... المطر يزداد انهمارا .. الريح تهدر .. وميض البرق يمسح الافق ، يبدد العتمة لحظات خاطفة .. ثم يسود الظلام اكثف مما كان .. الرعد يقصف ، يضبط ايقاع المطر !

ـ انت بعد صغير يا سامي !

ـ يا ام حامد .. اتؤمنين حقا بما تقولين ؟ أنا صغير حقا يا ام حامد ؟ تسعة عشر عاما .. الم تسمعي بالتجنيد الاجباري ؟ الم تسمعي بتجنيدهم الفتيات دون السادسة عشرة ؟ من يحارب اذن يا سيدتي ؟ من يحقق لكن احلام العودة ؟ ام تنتظرن ان يتحرر الوطن بمحض الاماني ودعواتكن الصالحات ؟

خبطت ام حامد على صدرها وهي تشهق :

ـ يا لندامتي .. اتسمعين يا ام سامي ابنك المسحوب من لسانه؟

صفقت الباب من خلفي وخرجت الى الشارع وانا اكثر تصميما من اي وقت مضى !

لكأنما حدث ذلك منذ سنين .. مواقف لا احب حتى مجرد تذكرها ، ايختلف اثنان على الفداء من اجل التحرير ؟ ايختلف احد على الفارق بين حياة هي الموت وموت هو الحياة ؟ قبل هذه الرحلة كنت احس في اعماقي انني لست الا طفيليا يعيش على هامش الحياة ينتظر ان تقع معجزة ما تحقق الامال بلمسة سحرية تاتي من وراء حجب الغيب ... ولم تقع المعجزة على مر السنين .. أيقنت اخيرا ان علي ان اصنعها بيدي .. الان امارس الحياة فوق ارضي .. وسط دوامة الاعاصير .. بين عصف الرياح وهدير الوعود .. تحت وابل المطر والرصاص والقنابل .. اتحسس الخطر مع كل خطوة ... يترصدني الموت في كل لحظة .. معنى ذلك انني احيا .. انا في خطر اذن فانا حي حسب المنهج الديكارتي .. حتى هنا لا تعفيني الفلسفة .. وحتى ولو مت فانا شعلة تضيء الطريق لمواكب القادمين من بعدي .. اتحسس الرشاش ... احتضنه كصديق حميم بقلب يخفق ودا .. انت عوني ووسيلتي لتحقيق املي .. اقدامنا تغوص في الارض الموحلة !

هناك في هذه اللحظات في المقاهي والمقاصف حيث تجتمع الشلل تحت اضواء النيون ، بين سحب الدخان الفاخر ، يستمتعون بالدفء فيما هم يتبادلون الانخاب ، كأنهم منتصرون ، يضحكون ويمرحون ، يتحدثون عنا ، يتجادلون حول جدوى عملنا ، وهل اخطانا في هذه العملية او تلك ام اصبنا ؟ وهل نستحق اللوم ام الاعجاب ؟ ينصبون من انفسهم في مواقعهم تلك قضاة وحكاما وخبراء عسكريين .. يتشدقون .. يتفلسفون .. تتفجر الحكمة من افواههم !

كلا لست متعبا ولا ساخطا .. لم اشعر يوما بسعادة كهذه التي تجتاح كياني .. البرد ؟ كلا فالدماء تتدفق ساخنة في عروقي ، متفاعلة مع الحقد ... المطر ؟ المطر المنهمر من سماء بلادي هو عطر سماوي تستحم به نفسي .. الرعد ؟ هو نشيد ملائكي يعزف انغاما حلوة تنساب في اعماقي !

« عائدون » ترن في اذني وسط نشيد الطبيعة الصاخب .. هذه اولى خطوات العودة .. ها نحن نعود يقينا لا حلما !

كلب ينبح .. صمتا ايها اللعين ..

توقف رفيقي امامي فجاة لتوقف الجميع عن السير ! قلت لصديقي هامسا : أأطلق عليه رصاصة صامتة ؟

ـ لا .. هناك من هو اولى برصاصتك .. لا تضعها في جسد كلب لم يؤذك ، ثم ان الكلب امين لا يعرف الغدر ولا يخون .. ربما استطعت استئناسه بكسرة خبز ، ان انت احسنت اليه فلن يعضك ، اما هؤلاء فكم احسنا اليهم فكان الجزاء ان اشبعونا عضا ونهشا !

صمت الكلب .. القافلة تستانف المسير .. خطوات معدودات عاد بعدها الى النباح .. وباذن خبير حدس قائدنا موقعه في الظلمة ، فرمى بشيء نحو البيارة عن يميننا .. همهم الكلب وغمغم ، ثم اختفى صوته وهو يعدو بين الاشجار متلاشيا بين حفيفها المتماوج مع الرياح !

اضواء خافتة تبدو في الافق البعيد .. توقفنا مرة اخرى .. تحلقنا حول القائد .. قال في صوت خفيض : اصبحنا على مقربة من الهدف .. العملية تستغرق عشر دقائق .. كل يعرف مهمته ... بعد التنفيذ نلتقي في هذا المكان !

توزع الرفاق .. ابتلعهم الظلام والمطر .. وتوشحوا بالعاصفة .. ضوء الكشاف يمسح الفضاء .. خيوط المطر تمتزج مع الضوء .. علموني ان احبو خلف الضوء وعند عودته عكس الاتجاه انبطح ارضا ريثما يتجاوزني ثم يعود .. فاعود الى متابعته .. الوحل .. رائحة الطين .. العشب المبلل بالماء .. امتار بيني وبين الهدف ، امتار قليلة لكنها اطول من الرحلة كلها .. وميض خاطف .. ذاك هو الجدار .. السلك الشائك .. عائق تقليدي .. المقص .. لن يسمع الحراس .. زخ المطر يحجب الصوت حتى عن اذني .. في المكان المناسب تماما .. اللغم تحت الجدار .. سيتطاير المبنى بعد لحظات .. عشرات سوف يصابون فهذا مركز قيادة .. انا الان اصنع الموت لهم .. ستقول اذاعتهم غدا ان احدا منهم لم يصب باذى !

عودة الى السهل نحو البيارات .. الطين يزداد لزوجة .. الماء يغمر كل شيء كانني اسبح في بحيرة .. آه لو يسكت المطر .. بعد ثوان تتفجر الالغام .. حتى لو ارعدت السماء في ذات اللحظة فسوف اميز صوت الانفجار .. لن تخطئه اذناي .. لن تخطىء وميضه عيناي .. سينبعث الوميض من الارض هذه المرة وليس من السماء .. حسبوا يوم هاجروا الى ارضنا واغتصبوها ان سيناموا ملء جفونهم ملء جفونهم وان سننام .. لن ننام .. ولن يناموا !

وميض ازرق يمسح الافق .. انفجارات تتلاحق ، اصوات الرشاشات تهدر .. يصاحبها عصف الرياح وهدير الرعود !

وفي الظلمة الفاحمة كنا اربعة .. نسير صامتين .. وبقي هناك « ابو نضال » .. كل قوى الارض لن تقدر على ان تجعل منه لاجئا مرة اخرى .. عائد اخر ، تحت السحاب ، ينام قرير العين فوق ثرى ارضه!

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصـــداء

بقلم اديل الخشن

★

أيها المتلفت الي بعينين غائمتين ،
على مشالح هذا الفيم اركض اليـك ،
في بصيص الضوء أترقبك ،
ايها الرجل الاندر في الرجال .
انا ملقاة على فراش الوحدة ،
وهذه الكآبة التي تمطرها سماء لندن أحبها ،
انهـا تريحنـي ،
تجنح هذه الرقة الهامية كالغيث في أعماقي
فانا لا اطيق الفرح بعيدة عنك .
هذه السماء الرمادية تكم انفاس الشمس
تغرقها في غيبوبة قاتمة ،
وفي نفسي تتفتح ازهار الشـوق !
كم انا تواقة لاضمك الي ،
لآخـذ بيـدك
واحس اتقاد النار في كهوف الصقيع !

تعـال الآن ...
معكَ اذيـب الثلـج
معك تنهار اسوار المسافات
تعال لارتـاح على سـاعديك
همسات عبادة وشفاه صلاة !

شوقي متشعب وطويل كخطوط
هذا ال « اندر كروند » المزدحم
لم يعجبني الاوتوبيس ، ذو الطابقين .
المختال في شوارع لندن السوداء
انا بعيدة عنك و « المترو » الحزين اكثر حميمية
وكامراة عربية ، بلادها تلتحف الغيوم والظلام
اجدر بـي ان اتجول تحت الارض !

انا وال « هيد بارك » صنوان .
هذه الجنائن الفسيحة مملوءة بالفراغ
تئن تحت اسواط الخريف
وتزفر بردا وغماما ،
كل ما شاهدته هناك مقاعد مقلوبة ...
وحمامة حزينـة ،
تقبع تحت اغصان عاريـة ،
ما آنس هذه الصحـراء
لمن يحمل في نفسه صحراء مثلها !

قلت : « ارحلي وحدك يا حبيبتي ،
دعيني ابتدع رؤى جديدة
واجمع لك من زهور الدراق وسادة
في غيابك ، أنا متلهف كالمناره
اذر ذر اشواقي ومضا
وحـرارة نـداء ! » .

انا في طريق العودة اليـك
وهذه الطائرة اللعينة ،
تجمد في الجو كالدمعة في العين المتعبة !
ما اروع ان اجلس معـك ،
على وسائد هذه الغيوم القطنية ،
ان نغوص في خباياها المتعرجة
ونختبي في فجواتها المطويـة ...
انا آتية اليك فافتح لي جناحك
سأترك هذا الغمام المنداح ،
وانزلق فوق الضباب اللاهث
لاصـل اليـك ،
مـد لي ذراعيـك ،
ودعني اهوي برأسي المثقل ...
دعني انثر جميع ما احمله من تمن ولهفة
فتزدان الطريق وتهزج غابات
الوحشة الممتدة امامي .

حين تضمني اليك ساصمت ...
سأكتفي باغماضة طويلة .
ما الذ الصمت ساعة ارسو على كتفيك
ساعة اغلق شراعي
وتهدهدني يـداك
هيا افتح ذراعيـك ،
وافرش زهـور الدراق
فانا آتيـة اليك من البعيد البعيد
على غلائل غيمة متوهجـة !

الشويفات ـ لبنان

اديل الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في الادب المقارن

بقلم امل امين زكي

* * *

نرجع الان الى توفيق الحكيم وفرانز كافكا لننظر في مسرحية الاول « مصير صرصار » وقصة الثاني « استحالة » ، ولكني اود ان اتطرق الى وجه الشبه بين شخصيتي الكاتبين قبل معالجة كتابيهما .

مما لا شك فيه ، ان هناك تشابها بين شخصيتي الحكيم وكافكا ، فكلاهما نشأ في بيت متزمت عند الطفولة ذلك ان والدة توفيق الحكيم كانت تركية الاصل شديدة الصلابة في معاملتها لطفلها الذي كانت لا تريده ان يختلط بطبقة الفلاحين التي ينحدر منها والده . وكانت تفرض عليه نظام التربية التركية القديمة المتميزة بالشدة والتضييق والتحفظ الى جانب حنان كبير كانت تغدقه عليه في احيان اخرى . وكان والده غنيا الا انه كان يشعر بأنه مدين لزوجه التركية التي رفعته الى حيث طبقتها الارستقراطية . لذا فقد كانت شخصية الوالد الضعيفة تتضاءل امام شخصية الوالدة القوية وكثيرا ما اثر ذلك التصادم بين شخصيتي الوالدين في شخصية الصبي وادت صرامة الوالدة في فرض تربيتها عليه الى صبغه بصبغة معينة وجعله يعيش في عزلة روحية اثرت فيه وفي كتاباته الى فترة متأخرة قد تكون حتى يومنا هذا .

ويقول المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم : « هذا الى ان تضييق الوالدين عليه والوقوف امام شخصيته والحيلولة دون مدها كان سببا لان يحس الطفل توفيق بنفرة من والديه وتصرفاتهما معه ، فعاش غريبا بين ابويه يشعر بأن هناك شيئا لا يستوضحه يفصل بينه وبينهما » . (١) واما في شبابه وفي فترة مكوثه في باريس فقد عرف المراة على الرغم من ادعائه كرهها واحبها ولكنه لسبب من الاسباب صدم بحبه ذلك او لم ينجح فيه فحاول نسيانها او التغاضي عن وجودها وان كان وصفه المراة الجميلة رائعا وعلمه بمواضع الجمال فيها ملحوظا . ويؤكد الدكتور ابراهيم ناجي بأن توفيقا الحكيم لم يكن عدوا للمراة اطلاقا بل انه اراد تغطية فشله معها فأخذ يدعي بانه عدوها .

وعلى الرغم من تبلور شخصيته في فرنسا وشعوره بالتحرر من سيطرة والديه ونضج فنه واكتماله ، فقد احس كذلك بانه غريب عن المجتمع الفرنسي وانه مهما طال به العهد مصري قلبا وقالبا .

وهذا فرانز كافكا ، لم تكن علاقته بوالده طيبة فقد اتهم والده دوما بالطمع والمادية وعدم الاهتمام بالقيم الروحية والادبية . وكان والده تاجرا غنيا وصل الى ما وصل بالمثابرة والدأب ولم يكن يأبه برغبات ابنه الفنية والادبية بل كان ينظر اليها على انها مضيعة للوقت . لذا نشأ كافكا في براغ نشأة قلقة فدرس الادب ثم الطب لمدة قصيرة ثم اتجه الى دراسة القانون ظنا منه بأنه في انصرافه الى هذا الحقل يمكنه متابعة كتاباته ومتابعة الفن الذي اغرم به والعيش بالشكل الذي يريده بحرية اكثر ، وكذلك فعل توفيق الحكيم حين انصرف عن دراسة الدكتوراه في باريس الى الانخراط في محيط الفن والكتابة . ولم يجد كافكا ضالته في حقل القانون لانه اضطر الى ان يتقلب في عدة وظائف في شركات مختلفة كي يؤمن عيشه وكادت رتابة الحياة في مجال الوظائف تقتله ولم يشف غليله تغيير الوظائف والشركات، لذا ترك براغ نهائيا الى برلين وعاش فيها حتى مات عام ١٩٢٤ متأثرا بمرض السل .

لم يتزوج كافكا ، ولم يختلف عن توفيق الحكيم كثيرا في ذلك فقد جاء زواج الحكيم متأخرا جدا نسبيا (عام ١٩٤٦) ، وعلى ما يظهر ، لم يكن كافكا موفقا في علاقاته مع الجنس الاخر فقد خطب فتاة عام ١٩١٤ واوشك على الزواج منها الا انه فسخ خطبته تلك وحاول الزواج ثانية الا ان اعراض السل ظهرت عليه فاضطر الى نسيان امر الزواج ودخل المصح للاستشفاء عوضا عن ذلك .

وكان سريع التأثر مرهف الاحساس ، شأنه في ذلك شأن توفيق الحكيم ، الى درجة الجنون ولم تكن شخصيته القلقة مدعاة للعجب فقد لعبت عوامل متعددة في حياته لتجعله غريبا حيثما عاش ، منها انه كتب كل مؤلفاته باللغة الالمانية على الرغم من كونه جيكيا مما جعل اهل بلده ينظرون اليه نظرة تساؤل وعجب . ولم يستطع ان يحوز اعجاب وثقة الالمان الذين عاش بين ظهرانيهم لكونه اجنبيا ولكون والده يهوديا . ولم يهتم اليهود به كثيرا لانه اعلن صراحة الحاده وعدم اعترافه بالاديان السماوية لذا فقد كان احساسه احساس « اللامنتمي » الشاب في ايامنا هذه . ولا غرو ان تكون معظم قصصه اشبه بكوابيس لا يستطيع هضمها الكثير من الناس .

لقد عالج مسرحية توفيق الحكيم «مصير صرصار» السيد جورج طرابيشي في مجلة الاداب اللبنانية (آب ١٩٦٨ ، العدد الثامن ، السنة السادسة عشرة) بشيء من التفصيل وتعرض الى ماهية الرمز فيها واختلاطه بالحقيقة الا انه لم يشر ، لا من بعيد ولا من قريب ، الى التشابه بين فكرة مسرحية الحكيم وقصة فرانز كافكا « استحالة Metamorphosis »

من الواضح ان توفيقا الحكيم كتب مسرحية ولم

يكتب قصة واستعمل الصراصر في الفصل الاول كشخوص تبرز على المسرح او في حقيقة الحياة وتشرح مشاكلها والصعوبات التي تواجهها ، في حين ان كافكا استعمل الرمز الخالص اذ ان بطل قصته « غريغور سامسا » يفتح عينيه صباحا ليجد نفسه قد استحال الى حشرة كبيرة او خنفساء ولم يعرف كيف يداري وضعه وامه تطرق باب غرفته صباحا كي توقظه استعدادا للبدء باليوم الحافل بالمسؤوليات وللحاق بقطار الصباح الباكر الذي كان لا يخطئه اطلاقا .

لقد توخى كافكا الرمز هنا لان « غريغور » لم يكن في حقيقة امره وفي رتابة حياته المملة واستيقاظه منذ الخامسة صباحا كي يلحق بقطار الساعة السادسة ، وعودته مساء منهوكا متعبا ، الا حشرة في اضطبل العالم لا هم لها سوى جمع الفضلات والقاذورات كي تعيش . اذن تحول ذلك البائع المتجول المغمور المسؤول عن اعالة والديه واخته والذي لا يزيد في تفاهة وجوده في الحياة عن وجود حشرة ، تحول الى حشرة حقيقية هائلة الحجم ولم تكن استحالته تلك الا تعبيرا عن حقيقة شخصيته . ويرتبك افراد العائلة ويكاد يطير صوابهم حين يجيب « غريغور » على طرقات أمه على الباب بهمهمات مبهمة واصوات عجيبة بدلا من الجواب بالكلام الاعتيادي . وبعد الصدمة العنيفة التي يصابون بها حين يكتشفون أمره وبعد الحيرة من اجله والشفقة تجاهه والعطف عليه ، تتحول مشاعرهم واحساساتهم هذه الى عدم اكتراث ، اذ قد اعتادوا على وضعه ، ثم يصبح عدم الاكتراث ذلك احتقارا واخيرا الى شعور بالعار والكراهية حتى يموت بسبب الجوع والاهمال .

يتجلى الرمز هنا في ان هذه العائلة نفسها التي افنى شبابه في خدمتها لم تنتظر منه ان يفعل في حياته اكثر مما فعل ولم تترك له مجالا كي يتفرغ الى نفسه او ان يحقق لنفسه اية هواية او أي عمل ابداعي اخر سوى التفكير بخبز العائلة ومستقبلها ، ولم يكن لديه حتى الوقت الكافي كي يخلق له صداقة مع احد او ان يفكر بالزواج ، اي ان شعوره بالواجب تجاه والده الشيخ المتقاعد الذي خسر ماله في صفقة تجارية لم يصنع منه سوى حشرة او دودة ، وظيفتها الوحيدة في الحياة هي جمع الطعام وجلبه الى البيت كي لا تضطر العائلة الى الهبوط في مستواها المعاشي الذي كانت عليه قبل اضطرار الوالد الى الانقطاع عن العمل . فلما واجههم ذات صباح بحقيقة الصورة التي كان يمثلها ، او ببشاعة الدور الذي كانت العائلة تدفعه دفعا للقيام به يوما بعد يوم دونما رتوش ، ارتاعوا وانكروا عليه ذلك وحاولوا اخفاء خبر استحالته جهد الامكان وتمنوا موته خشية الفضيحة والعار .

نشرت قصة « فرانز كافكا » لاول مرة باللغة الالمانية عام ١٩١٦ وترجمت الى اللغة الانكليزية عام ١٩٣٣ ، واما نص مسرحية توفيق الحكيم « مصير صرصار » الذي اعتمدنا عليه للقيام بهذه الدراسة فانه لا يحمل سوى اسم الناشر وهو مكتبة الاداب واما التاريخ فلم يظهر إلا على الصفحة الاولى ولا في المقدمة التي كتبها المؤلف ، على اني عثرت على تاريخ نشرها وهو ١٩٦٦ اثناء مراجعتي كتاب السيد غالي شكري « ثورة المعتزل ، دراسة في ادب توفيق الحكيم » في قائمة مراجعه في نهاية الكتاب .

لم يكن الرمز في مسرحية « مصير صرصار » جديدا على توفيق الحكيم بل انه اعتمد الرمز في مسرحياته وكتاباته المتقدمة في مجالات متعددة ، وجاء ذلك نتيجة تأثره بالكتاب الغربيين والفرنسيين منهم بصورة خاصة ، حيث قضى فترة شبابه الاول في فرنسا وتفتحت نفسه الى جميع المؤثرات والاغراض التي كانت تعتمل في المجتمع الفرنسي حينئذ .

ويقول المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم في تعليقه على الرمزية عند توفيق الحكيم : « كان لاستيعاب الحكيم فترة اقامته بفرنسا للمسرحيات الرمزية ان جعلت فنه ينبثق من الرمزية. من طبع واقعي ذهب في عالم التخيل واخذ باسباب الاتجاه الرمزي ، ومن هنا نجد ان رمزية الحكيم يشوبها شيء من الوضوح نتيجة لطبيعته الحسية التي ذهبت في عالم التخيل فتحولت اساسا في حياة التجرد التي عاشها » . (٢)

فلئن كان توفيق الحكيم في استعماله الرمز في مسرحية « شهرزاد » قد نجح من حيث الاخراج المسرحي لانه استطاع ان يجلب الرموز الثلاثة على المسرح كشخوص اصلية هم شهريار الملك وقمر الوزير والعبد الاسود كي يمثل كل منهم وجهة معينة او طورا معينا في حياة الانسان « شهريار » او كما يقول الدكتور اسماعيل ادهم بأن العبد يقف كرمز لشهريار « في طوره الاول حيث كان شهوة حيوانية » . والوزير قمر هو وجهة اخرى من وجهات تطور شخصية شهريار فهو « شهريار الثاني حيث هو قلب شاعر » . واما شهريار نفسه فيبدو مفكرا غير عابث « يمثل الطور الثالث وقد جاوز طور اللعب بالاشياء والتعبد لها الى طور التفكير فيها » .

الا ان ذلك الرمز في مسرحية « مصير صرصار » لا يمكن جلبه على المسرح لان المسرحية نفسها في فصلها الاول تبدأ بصراصر اصلية تتكلم وتشرح وتدخل في مناقشات فلسفية وفي كيفية مكافحة النمل الذي يهاجم ويقتل اي صرصر ينقلب على ظهره . وقد يصعب جلب ذلك المنظر على المسرح لان الصراصر تبدو واقفة على حواف حوض الاستحمام وحول البالوعة وما الى ذلك الا ان توفيق الحكيم سبق ان نوه في مقدمته لمسرحية « بيجماليون » : « اني اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن ، واجعل الممثلين افكارا تتحرك في المطلق من المعاني ، مرتدية اثواب الرموز ! » . اي ان الحكيم توخى في مسرحياته هذه ان تقرأ فقط كما فعل « سينيكا » الفيلسوف والمسرحي الروماني الذي عاصر نيرون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطاغية (٣) والذي قرر النقاد ان مسرحياته غير صالحة للتمثيل وانما هي صالحة للقراءة والتمعن .

هذا وقد استعمل النقاد الحديثون لفظة « المسرح الذهني » عند توفيق الحكيم للتمييز بين مسرحياته التي يمكن اخراجها على المسرح والمسرحيات التي تصلح للقراءة فقط ، كالدكتور عبدالقادر القط في كتابه « الادب المصري المعاصر » . كما استعمل الدكتور علي الراعي اصطلاح «مسرحيات توفيق الحكيم الفكرية» في عدد الهلال الخاص، (شباط ١٩٦٨) في تعليقه المفصل على مسرحية « يا طالع الشجرة » ، وماهية الرمز فيها ، والتعليقات الاخرى على « اهل الكهف » و « شهرزاد » وغيرها . ويقترح الدكتور محمد مندور في كتابه « مسرح توفيق الحكيم » (القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ ، ص ٤٤) تسمية هذا النوع من المسرحيات « بالمسرحيات التجريدية لا المسرحيات الذهنية » لانه يرى ان شخوص هذه المسرحيات غير واقعية وبعيدة عن الحياة العملية وان وجودهم يعتمد اولا واخيرا على الافكار لا على الفصل . اذن علينا ، حين معالجة المسرحية ، ان ننسى مدى صلاحيتها للاخراج المسرحي ، والاكتفاء بمعالجتها كما هي فكرة وقالبا .

نعود الى مسرحية « مصير صرصار » مرة اخرى ونقول انه بانتهاء الفصل الاول يسقط ملك الصراصر داخل حوض الاستحمام ويحاول عبثا ان يخرج منه على الرغم من قوة عزيمته ومحاولاته المتكررة التي تبوء بالفشل وينزل الستار .

يكون عنوان الفصل الثاني « كفاح صرصار » فنرى سامية وزوجها عادل على وشك النهوض من الفراش للحاق بالدوام لان كليهما موظف في شركة واحدة ويريد كل منهما ان يسبق الاخر الى حمام الصباح . الا ان سامية تسبقه الى الدخول على الرغم من استيقاظه قبلها، وتغلق الباب عليها وتبدأ بتوجيه الاوامر اليه : بأن يضع ابريق الشاي على النار وان يفعل كذا وكذا حتى تنتهي هي من حمامها ، ولكنها سرعان ما تترك الحمام لانها تعثر على صرصر داخل الحوض . وتطلب من زوجها ان يقتله كي يتسنى لها اتمام زينتها قبل الخروج الى العمل .

يأتي عادل لكي يتخلص من الصرصر الا ان محاولات الصرصر اليائسة للخروج من الحوض تسحره ، وعزيمته التي لا تفتر في تكرار المحاولة نفسها وفشله كل مرة في الخروج حين وصوله الى نفس النقطة من الحوض اذ يتزحلق ثانية الى باطن الحوض ، تجعل عادلا يتسمر في محله وتجذبه هذه المحاولات غير المتوقعة جذبا عجيبا ، وحين تترك سامية الحمام كي تجلب مبيد الحشرات يغلق عادل الباب عليه ويتجاهل حديث زوجه وصياحها من خارج الحمام ويبدأ بالكلام مع الصرصر مشجعا اياه للكفاح في سبيل الخروج من مأزقه ويبقى يحادثه متجاهلا كلام زوجه التي ظنت انه جن .

ثم يجيء الطبيب فيفتح له عادل ويحاول ان يفهمه ان سبب مرضه ـ على الاقل بالنسبة لسامية ـ هو انهماكه في الصرصر بينما تحاول سامية ان تقاطعه كي تشرح هي للطبيب فيصيح بها عادل ان من حقه ان يشرح مرضه هو على الاقل للطبيب دون مقاطعة لمرة واحدة في حياته . وبعد لأي يفهم الطبيب ما يتزاحم عليه الزوجان وسبب السحر الذي ربط عادل بالصرصر : ان عادلا يقرن نفسه بالصرصر اي انه بحياته الرتيبة تلك وبتسلط زوجه عليه وبضعف شخصيته امامها يشعر بانه كالصرصر المسكين : كفاح مستمر منذ الصباح حتى المساء دونما نتيجة ، لذا فهو يصر على عدم ابادة الصرصر الذي تصر الزوجة على ابادته اي انه في عقله الباطن مثل نفسه بالصرصر ، وذلك سر تشبثه به واصراره على ابقائه .

وسرعان ما يصبح اهتمام الطبيب بالصرصر اكبر من اهتمام عادل به ذلك ان الطبيب ، بعد محادثته الانفرادية مع عادل ، يكتشف بأن مكانته في الحياة كمكانة عادل فيها فتتحير سامية بينهما ، وبينا هما مشغولان في نقاشهما تدخل الخادم فتقضي على الصرصر وترميه خارجا . وحين تقتنع سامية بأن زوجها طبيعي وان الطبيب ترك البيت بعد ان اعطاه اجازة يوم واحد للراحة تعود فتملي عليه اوامرها من جديد بعد ان قررت في اول الامر ان تنصاع اليه وتجعله يشعر بأنه رجل البيت، ما دام سيجلس في البيت للتمتع بالراحة فقط ، فيصيح بالخادم ، حين يعلم بأنها ازالت الصرصر : « يا أم عطية ... هاتي الجردل والخرقة .. وازيليني من الوجود !. »

يتضح من النتيجة ان عادلا اعترف في النهاية بانه يتمثل شخصيته بالصرصر على الرغم من انكاره حين نوه الطبيب وزوجته له بذلك ! اي ان فكرة فرانز كافكا قد تحققت بشكل يختلف نوعا ما في مسرحية توفيق الحكيم فقد انقلب بطل كافكا الى صرصر كبير اصلي ، او حشرة اصلية يراها الجميع ويخافها او يختزي منها الجميع ، بينما تمثل بطل توفيق الحكيم نفسه في صرصر ساقط في حوض لا يكل ولا يمل من الكفاح في سبيل الخروج من مأزقه على الرغم من تكرار المحاولة نفسها الا ان النتيجة هي هي .

ونقول بأن الفكرة هي نفسها على الرغم من كون الاولى قصة والثانية مسرحية الا ان بطل كافكا كان اشجع من عادل لانه جابه الجميع بحقيقة شخصيته دون خشية او خجل بينما اصر عادل على النكران ، ولم يرد

(١) الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم ناجي « توفيق الحكيم » (القاهرة ، دار سعد مصر ، ١٩٤٥) ، ص ٦٣ . (٢) الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم ناجي ، « توفيق الحكيم » ، (القاهرة، دار سعد مصر ، ١٩٤٥) ص ٩٣ . (٣) كان سينيكا مؤدب نيرون في صباه ومستشاره وناصحه في شبابه الا ان الطاغية ضاق به اخيرا وأمره بانهاء حياته . (٤) الدكتور اسماعيل ادهم والدكتور ابراهيم ناجي ، « توفيق الحكيم ، (القاهرة ، دار سعد مصر ، ١٩٤٥) ، ص ١٤٧ . (٥) جورج طرابيشي ، « لعبة الحلم والواقع في ادب الحكيم (مصير صرصار) » الاداب ، العدد الثامن ، السنة السادسة عشرة ، اب ١٩٦٨ ، ص ٥٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاعتراف حتى لنفسه بسبب تعلقه بالصرصر بل قد ثار واحتج بكل قواه حين ادرك بأن الطبيب وسامية كانا يلمحان الى انه قد رأى تشابها بينه وبين الصرصر ، واتهمها بالجنون ، وتعجب من تغيير معاملة زوجه له حين قررت ان تجعله يشعر بأنه رب العائلة والكل في الكل في البيت .

هذا مع العلم بأن قصة فرانز كافكا تحولت في الصيف الماضي الى مسرحية (تموز ١٩٦٩) قام بتمثيلها واخراجها على مسرح الراوند هاوس ستيفن بركوف في لندن . اي ان غريغور سامسا في « استحالة » يقف عاريا روحيا بعد ان استحال الى حشرة فهو كما هو ، لقد اسقط قناعه البشري وعلى العائلة ان تتقبله كما هو . الا انه كان سيء الحظ لان المجتمع المحيط به لم يستطع ان يتقبل صراحته تلك ، لذا فقد قضي عليه بالموت .

وقد استطاعت امه كما استطاعت اخته ان تتعودا على فكرة استحالته بعد فترة ، وان تتحملا التجربة المرة في محيط العائلة وليس خارج نطاقها ، لان الشعور بالخزي ظل ملازما لهما بخصوص هذا الموضوع ، ولكن الاب لم يستطع احتمال الفكرة اطلاقا وبقي على نفس انفعاله حتى نهاية القصة ، اذ كانت الاستحالة تثير في نفسه عواطف مختلفة ومتضاربة من خوف الى الم الى خزي الى استنكار وغثيان ، ولم يهضمها اطلاقا .

وفي حقيقة الامر ان الاب يستمد حياة جديدة من موت ابنه المعنوي فتراه يشمر عن ساعديه من جديد ويستعيد نشاطه بعد ان توقف الابن ويصبح قادرا على العمل بينما كان قعيد الدار عندما كان الولد يعمل . واما الولد ، فقد ثبت فشله حتى في كونه حشرة : ذلك انه لم يكن حشرة ككل الحشرات التي تعيش على ما تقع عليه ايديها ، بل كانت حياته تعتمد كليا على ما يقدمه اليه افراد العائلة من طعام ، وعليه فهو يذبل ويموت في اخر القصة نتيجة الاهمال والنسيان .

يقول المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم في هذا المجال : « اذن فالفنان له ان يستعين بافكار غيره والاحساسات والمشاعر التي يجدها في آثار الغير ـ لان هذا ملك عام ومادة للفن ـ ليقيم آثاره الفنية . فالفنان كالمعمار يستخدم اللبنات ـ وواحدة هي ـ في اقامة مبانيه ، وطراز البناء هو الذي يسم البناء بالمهارة والاقتدار كما يسم الفنان بالقدرة الفنية » . (٤)

لئن كانت تجربة كافكا شخصية متأتية من مرارة علاقته بوالده وشعوره بضآلته وانعدام شخصيته امام شخصية والده القوية الذي خلق نفسه من العدم ، واصبح تاجرا مرموقا ، وكان الى جانب ذلك طويلا عظيم الجثة ، في حين كان فرانز كافكا صغير الحجم قميئا ، وظل طيلة عمره يعتقد بأنه فاشل ولم يستطع ان يبني ما انجزه والده ، حتى انه كتب مرة في احدى مقالاته بأن والده اعلنها صراحة له بأنه يشبه الحشرة الضارة التي لا تكتفي بالقرض فقط ، ولكنها تمتص الدماء ايضا كي نعيش ، فقد تكون تلك العبارة بحد ذاتها الباعث على فكرة الاستحالة وفكرة الحشرة . بل ان بعض النقاد يرى ان غريغور سامسا ما هو الا فرانز كافكا نفسه وانه لم يكلف نفسه حتى مؤونة تغيير الاسم بشكل كبير بل بدل من الحروف قليلا فاصبح بطل القصة يدعى سامسا بدلا من كافكا .

وعليه فأن الرمز الذي التزمه توفيق الحكيم يختلف، فهو على حد تعبير السيد جورج طرابيشي : « ولا غرو بعد هذا ان يكون الحكيم قد رفض علم النفس تحليلا وعلاجا ، لان المرض هو مرض وجودي ، وباء ازلي كان منذ ان كان ابوانا الاولان . وما تصرصر عادل في المسرحية الا رمز للسقطة الاولى ، سقطة آدم . وهذا المرض لا علاج له : قدر كتب على الانسان كما كتب على الصراصير ان تكون فريسة للنمل . انها مشكلة « قديمة قدم الازل» كما جاء في الفصل الاول و « لا تدخل في نطاق العلم والعلماء » . ولهذا حرص الحكيم على التأكيد بأن مسرحيته انما هي تراجيديا . وشرط التراجيديا كما قال الحكيم ان « تكون نهاية البطل نتيجة لصراعه مع قوة لا قبل له بها » . والنمل بالنسبة الى الصراصير ، والجنس بالنسبة الى البشر ، هما هذه القوة » . (٥)

لم يلعب الجنس دورا قويا في رواية كافكا ذلك ان بطل قصته غريغور سامسا لم يتمتع بفراغ يسمح له بالاتصال بالناس او بخلق العلاقات الاجتماعية بل كان يترك البيت مبكرا جدا ويعود مساء متأخرا منهوك القوى الا انه وجد منفذه الوحيد في صورة فتاة جميلة في اعلان عن نوع من الفراء الذي كانت تقوم ببيعه شركته ، فقد علق الصورة على حائط غرفته وكان يمتع نفسه بالنظر اليها بين الحين والاخر وانه بعد استحالته تعلق بالصورة ولم يسمح لاخته بازالتها من الغرفة مع قطع الاثاث الاخرى التي حملتها خارجا كي تعطيه مجالا للحركة أكبر . وقد يأتي هذا العامل ايضا من ان كافكا نفسه لم يكن موفقا كما ذكرنا في علاقاته النسائية . وقد تكون غرابة اطوار غريغور سامسا وانطواؤه على نفسه حتى قبل استحالته انعكاسا اخرا لانفعالات كافكا وشعوره بالغربة اينما حل .

الفرق بين مسرحية توفيق الحكيم وقصة فرانز كافكا هي ان المسرحية تحمل الشيء الكثير من البهجة بين سطورها وفي ثناياها وفي المحادثات التي تجري بين الصراصر او بين العناصر الانسانية على الرغم من ادراك القارىء ان هناك قدرا ازليا مسيطرا لا يرجى الانهزام منه او الانفكاك عنه مهما حاول الانسان . بينما يشوب قصة كافكا جو مظلم قاتم خانق ومخيف بحيث ان القارىء ، بعد ان ينتهي من القصة ويطويها ، يتنفس الصعداء وكأنه ازاح حملا ثقيلا من على صدره حامدا المولى عز وجل ان اشياء من هذا القبيل لا يمكن ان تحصل في الحياة الدنيا !

بغداد — امل امين زكي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

درب الهوى

★

ذكرتنـــي أمس بأمس مضـــى ... عند رصيف البيت ، في المدخـل
نـروي ، على مهـل ، حكاياتنـا ... وقصة من قصص البلبـل ...
... شد الجناحين على جرحـه ... وطـار مشتاقـا الـى الجـدول
ظمـآن قـد أعيـت بـه نفسـه ... مثقلـة بالامـــل المثقـــل
حتى اذا ما استيقظت عينـــه ... وعـاد مـن تطوافـه المذهـــل
حـط الفدايـا والعشايـا معـا ... في قفص ، مـن ريشـه ، مقفل
أبينـــه وبينهـــا جفـــوة ... ام ذاك شـأن النـار في المشعل
يغمرهـا في زيتـــه بـــاردا ، ... وينقـل الـدفء ولا يصطلـــي

تسـاءل البلبـل ، كـم مـــرة ... بث ، ولـم يتعـب ، ولم يبخـل
أعطى عطـاء الارض في خصبها ... وشوقهـا ، وصمتهـا الاعـزل
جسد في السفح ، وفي المنحنـى ... ما جسد الايمـان في الهيكـــل

قالـت ، وقـد مـدت اليـه يدا ... أطرى من الـورد على المخمـل :
ـ خذ سري المكنـون في عروتي ... وطـف بـه فـي خلـوة المنـزل
في كـل درج أنـت درج الحلـى ... ومسـحة الكحـل على مكحلـي
ونقطـة الحـبر علـى دفتـري ... وحبـة الجمـر علـى منقلـــي
وشـدة الخصـر ، ويا لينهـــا ... كخصلة مـن شـعري المرسـل
... عفوك لا تقس على مرفقـي ... عفـوك لا تشـدد على مفصلـي
تكـاد مـن رقتهـــا رقتـــي ... تجرحهـا خـواطـف الانمـــل

علـى قميصـي كـل يـوم أرى ... مـا تغـزل الاشـواق من مغزل
وتنسـج الاحـلام من منـول ، ... ويكتب العـراف مـن منـدل ،
وتحمـل الانسـام من همسـة ... منسـية في المقعـد المهمـل

قلت لـذاك الجسـد المنتشـي ... خمـيرة ، والليـل بـي مختلـي
ومسـمع يصغـي الى مسـمع ... ومنهـل يهفـو الـى منهـل
لـو كانـت الطـير بـلا اجنـح ... لمـات فـي درب الهـوى بلبلـي

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد عبد الغني حسن

الدكتور احمد فؤاد الاهواني

١٩٠٨ - ١٩٧٠

بقلم محمد عبد الغني حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• • •

في يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٧٠ جاءني خطاب من الجزائر، يفضي الي فيه الدكتور احمد فؤاد الاهواني بكثير من شؤونه وشجونه في غربته الجديدة ، ثم يقحم في خلال الكلام ذلك البيت المشهور من الشعر لم افهم له محلا في السياق ، ولا موضعا من نظم القول ، حيث يقول :

ومن كانت منيته بارض فليس يموت في ارض سواها

وكنت افهم ان الدكتور الاهواني لم يكن له ليروي هذا البيت ويترك البيت الاخر الذي يلازم هذا البيت في الاستشهاد ، والذي نصه كما يلي :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

ولم ادر لماذا اجتزا الاهواني بالبيت الاول ، واستغنى به عن الثاني .

ورويت لصديقي وصديق الاهواني ، الشاعر الرقيق الاستاذ حسن كامل الصيرفي ما ذكره عالمنا المغترب من شعر ، واوجاع ، والام ، ومن اسى على فراق الوطن ، ومن تسليم بقضاء الله في غربة لم يكن له فيها يدان ، ولكنه كان « قدرا سابقا » كما جاء في خطابه .

ولم استبشر خيرا بخطاب الاهواني ، ولم احب منه ان يذكر الموت في معرض الحياة ، مهما كانت قاسية عليه في الجزائر .. وغلبني الجزع والقلق على هذا الصديق النادر في هذا الزمان ، ولكن لم يبلغ بي سوء الظن بالايام انها قاسية الى حد لم يكن يخطر لي على بال .. ففي صباح السبت ١٤ مارس سنة ١٩٧٠ ، وفي لحظة باكرة منه هاتفني الصديق الشاعر حسن كامل الصيرفي بالنبأ الحزين الذي نشره الاهرام . وهنا - فقط - ادركت السر في بيت الشعر الذي اقحمه الاهواني في رسالته الي ، ولم يكن بين وصول الرسالة ، وبين نعي الاهرام للدكتور احمد فؤاد الاهواني الا بضعة عشر يوما لا تزيد ...

وهنا - ايضا - ادركت سر ذلك الصفاء ، او تلك الشفافية - كما يقول صديقنا الشاعر الرقيق الدكتور مختار الوكيلي - التي كان يتمتع بها الاهواني .

والدكتور احمد فؤاد الاهواني خريج الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩ هو من رجال مدرسة الفلسفة المصرية المعاصرة التي كانت ثمرة من ثمار دار العلوم ، والجامعة المصرية ، والجامعة الازهرية معا . وهي مدرسة من شيوخها واعلامها الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور علي العناني ، والدكتور ابو العلا عفيفي ، والدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، ومحمود الخضيري ، ويوسف كرم ، والدكتور عثمان امين ، والدكتور محمد مصطفى حلمي ، والدكتور عبد الهادي ابو ريدة ، والدكتور نجيب بلدي ، والدكتور زكي نجيب محمود ، والدكتور توفيق الطويل ، والدكتور علي سامي النشار .

ولقد احب الاهواني الفلسفة ، ورأى ان الاشتغال بها نفض لغبار الكسل والجمود عن العقول ، واكد انها صحبت الحضارة العربية الاسلامية في أوجها حتى لقد وصفها الفيلسوف الكندي - فيلسوف العرب - في رسالته الى الخليفة العباسي المعتصم بانها اعلى الصناعات الانسانية منزلة ، واشرفها مرتبة .

هذا كلام ذكره الاهواني عن الفلسفة في كتاب له عنوانه « معاني الفلسفة » ثم عاد يؤكده ويزيده بيانا ووضوحا في كتاب له اخر عنوانه « في عالم الفلسفة » .

ولقد بلغ من حب الاهواني للفلسفة وغرامه بها انه حاول جاهدا ان يبسطها للقراء العاديين ، ويذلل لهم اطرافها ، وييسر لهم تناولها تيسيرا لم نجده في كتب السابقين التي كانت مشحونة بالغموض والتواء العبارات وسقم التعريفات . فهو يتحدث عن الفلسفة وكيف نفهمها حديثا واضحا سهلا يسيرا كل اليسر يحبب القراء في الفلسفة ويزيدهم على الامعان فيها ، وهو يتحدث في بعض كتبه - وخاصة « في عالم الفلسفة » و « معاني الفلسفة » - عن نظرية المعرفة حديثا ممتعا سائغا ، فيعالج مسألة فطريتها واكتسابها ، ويتابع نظرياتها منذ قدماء اليونان الى العصر الحديث .

ولم يكن الاهواني مثل اولئك الكهنة القدماء الذين

يستأثرون بالعلم لانفسهم ، ويحصرون المعرفة في ذواتهم ، حتى يظلوا دائما متميزين مغـــرقين في (الطبقـية) ، مختصين بنوع من المعرفة لا يشركهم فيه غيرهم ، وانمـا كان ــ رحمه الله ــ يرى ان الفلسفة كالماء والهواء من حق كل انسان . بل امعن فزاد مـــع القائلين بأن كل انسان فيلسوف وندعه يقول بنص عبارته : « على هذا يستطيع ان نقول ان كل انسان ــ ما دامت له نظرة في الحياة فهو فيلسوف وندعه يقول بنص عبارته : « على هذا نستطيع القائـل في مقدمة كتـابه « التعاليـم الاساسية لكبـار الفلاسفة » : « ان كل انسان ، فلاحا كان ام من رجـال المال ، كاتبا ام قائدا ، حاكما ام محكوما ، فهو فيلسوف بمعنى الكلمة . ذلك ان الانسان بما هو انسان ، وقـد وهب دماغا راقيا ، وجهازا عصبيا ، فلا بد له من التفكير ، والتفكير مطية الفلسفة » . كما ذهب مذهب « روستان » القائل في كتابه « تصور الفلسفة » : « ان لكـل انسان افكاره عن الكون والحياة ، وعن دوره في هذا العالم ، وعن الخير والشر ، وتنشأ هذه الفلسفة عن القراءات والتعليم والتقاليد ، وعن دوافع القلب ، وهواتف الوجدان . ولم يمنع الجهل من جراة الجهال على اعلان رايهم في طبيعـة النفس ، والموت ، والله » .

والوضوح في تعبيرات الدكتور احمد فؤاد الاهواني الفلسفية ، هو بعض المزايا التي اخذها عن استاذه المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق . فقد كان الشيخ استاذا له في الجامعة منذ اول انشائها ، وكان الاهواني مـــن اول تلاميذه في الجامعة ، بل كان من ذلك الرعيل الذي كان له فضل القيام بعبء تدريس الفلسفة ــ قديمة واسلاميـة وحديثة ــ في الجامعات والمعاهد والمدارس . وقد اعترف الاهواني بتأثره بروح الشيخ مصطفى عبد الرازق في مقدمة كتابه « معاني الفلسفة » حيث يقول : « واني لاستلهم في هذا المؤلف روح استاذنا المغفور له الاستاذ الاكبر شيـخ الجامع الازهر مصطفى عبد الرازق . عنه اخذت الوضوح في الفكر ، والدقة في التعبير ، والسعيُ وراء الحـق . وهي خلال جعلت منه الفيلسوف الحق » .

اما شهادة الاستاذ مصطفى عبـد الرازق لتلميـذه الاهواني ، فيظهر بعضها في المقدمة التي كتبها الشيـــخ لتلميذه لكتابه « التربية في الاسلام » حيث يقول : « نال احمد فؤاد الاهواني برسالته حين قدمها الى كلية الاداب اجازة الدكتوراه ! وهو اذ ينشر اليوم هذه الرسالة فـي الناس ، جدير ان ينال التشجيع كله ، والثناء الجميل . وان كان تلميذنا الاهواني من العلماء المخلصين ، لا يبتغـي في سبيل العلم وخدمته جزاء ولا شكورا » .

ولقد علمت الفلاسفة ، وعلمت الفلسفة صديقنـــا الراحل الاهواني ان يحب الحق ، وان يجعله فوق كـــل اعتبار ، وان لا يساوي به من اعتبارات الدنيا شيئا ، كما علمته ان لا يبالي باختلاف وجهات النظر ، ما دام سيفضي بنا في النهاية الى الوصول الى الحقيقة . ونراه يصرح في مقدمة لاحد كتبه عن الفلسفة : « وقد تختلف معي فـي بعض الاراء التي انتهيت اليها ، وعلى الخصوص ما كـان منها مبتكرا . ولكني لا ارهب الخلاف في وجهة النظـر ، لان استقلالك بالراي هو الدليل على عمق النظر . ومـن العسير الاتفاق في الفلسفة على راي واحد . وهذا تاريخها يفصح عن تباين شديد قد يذهب الى حـــد التناقض . والخلاف بين افلاطون وارسطو اشهر من ان يذكر ، حتى لقد احتاج الفارابي الى تاليف كتاب في الجمع بين راي الحكيمين والتوفيق بينهما . . . »

ولقد بلغ من اعتزاز الاهواني بقيمة الاستقلال فـي الراي نشدانا للحق انه حينما اصدر كتابه « ميزان الحق » وهو مجموعة من المقالات النقدية التي كان يتابع بها انتاج المكتبة العربية ــ جعل شعاره على الغلاف وتحت العنوان هذه الكلمة التي قالها ارسطو « احب افلاطـون ، واحب الحق ، ولكن حبي للحق اعظم » .

وعلى الرغم من مسايرة الاهواني للجديد في العلـم ومتابعته له ، فانه ما نفض يديه من تراب القديم الـذي كان يؤمن ايمانا شديدا بقيمته وضرورته . لقد آمـــن بالتراث العربي الاسلامي ، بل بالتراث الانساني كله . حتى راى نشره واحياءه ضرورة لا بد منها ، ولم يذهب مذهب الذين يحاولون الانفصال عن القديم او التجرد منـــه . فحينما نشر كتاب « احوال النفس » للشيخ الرئيس ابن سينا مع ثلاث رسائل اخرى للشيخ كتب في المقدمة يقول: « وانا لنرجو ان يكون في احياء تراث ابن سينا فاتحة عهد جديد من النهضة والبعث والاعتزاز بالقديم ، والثقة بقوة الشرق ، وما اداه الشيخ الى الحضارة الانسانية من ايادٍ لا تنسى على مر الزمان » .

ولقد جاء حب الاهواني لاحياء التراث العربي ونشره مقوما محققا عن طريق شيخه واستاذه مصطفى عبـد الرازق . واثبت الاهواني هذا في مقدمة لكتاب « التربية في الاسلام » وفيها يقول : « وكانت عناية مصطفـى عبد الرازق بالبحوث الاسـلامية في شـتى نواحيها عظيمة ، صرف اليها جهده ، وحث تلاميذه على كشف غوامضها ، مع الاهتمام بنشر التراث العربي القديم ، واحياء مجـد العروبة والاسلام » .

ولم يدع الاهواني فرصة للدعوة الى نشر التـراث العربي الا انتهزها ، وضرب على وترها . ففي فصـل عنوانه « امواج الفكر الاسلامي » من كتابه « في عـالم الفلسفة » نراه يقول : « ولن تتيسر الدراسة الكاملة للفكر الاسلامي الا اذا تم اخراج جميع هذه المخطوطات الى عالم الطباعة ، حتى يسد النقص الذي يشعر به كل من يدرس تاريخ الفكر في الاسلام » .

وقضية الجمع بين الجديد والقديم معا هي المسألـة التي كانت شغل صديقنا احمد فؤاد الاهواني الشاغـل ،

فهو ينادي بها في كل مجلس ، ويدعو اليها في كل دراسة ، ويروج لها في كل كتاب ينشره . ولم يسأم من ترداد الدعوة اليها ، ففي كتابه « التربية في الاسلام » نراه يقول في المقدمة : « ونحن في حاجة الى القديم والجديد معا ، لاننا لا نستطيع قطع الصلة بالماضي الذي لا نزال نعيش في دينه ولغته . لا يزال ديننا الاسلام ، وكتابنا القرآن ، ولغتنا العربية . ونحن في حاجة اليوم الى تعليم ابنائنا اللغة العربية والقرآن الكريم .. »

والجمع بين القديم والجديد ظاهرة تبدو في دراسات الاهواني كلها ، فهو يمسك بطرفي الخيط الفلسفي منذ عهد سقراط وافلاطون وارسطو في القديم ، الى عهد جايمس وجون ديوي في الحديث ، لا يرى من ذلك شتيتا الا الفه ، ولا نثيرا الا نظمه في سلك . ففي كتابه « في عالم الفلسفة » يمضي بنا من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية الى الفلسفة الحديثة ، في نسق واحد هو الكتاب كله . وكذلك فعل في كتابه « معاني الفلسفة » .

وهذه المعرفة الشاملة التي ادركها الاهواني كانت نتيجة لقراءات واسعة ، واطلاع دائم . وما عرفته ـ وانا قريب منه ـ تراخى في قراءة شيء مهما كان وزنه ، ومهما كان نوعه . فهو يقرأ كتب الفلسفة والتاريخ والدين والادب ، وهو يقرأ بالعربية والانجليزية والفرنسية ، وهو يقرأ المجلة الجادة ، والمجلة الضاحكة الهازلة ، وهو يقرأ بالليل ويقرأ بالنهار . ويعبر عن اهمية القراءة وضرورتها بقوله في كتابه « اسرار النفس » « ... ان السر في نهضة الشرق وحضارته التي ازدهرت في ذلك العهد انما قامت على العلم ومحبته . فلا حضارة بغير ثقافة ، ولا ثقافة بدون تعلم ، وطريق العلم شاقة ، وسبيلها الاطلاع والتوفر على القراءة » .

وعلى الرغم من اعتلال صحته من سنوات فانه كان جم النشاط ، كثير القراءة ، خصب التأليف ، مكبا على الترجمة . وكانما كان يقاوم المرض بالقراءة ، ويعالجه بالعمل . لانه لم يحب الدعة ولم يؤثر الراحة . ولقد بلغ من نشاطه انه كان كثير التنقل والاسفار ، مشاركا في مؤتمر ، او محاضرا في جامعة ، ما بين مشرق ومغرب . ففي سنة ١٩٥٢ شارك في مهرجان ابن سينا ببغداد ، وبعدها شارك في مهرجان الشيخ الرئيس بطهران ، وفي سنة ١٩٥٦ القى محاضرات عن الفلسفة الاسلامية بجامعة واشنجتون . ثم سافر الى ليبيا استاذا للفلسفة في جامعتها ، وكذلك اعير استاذا للفلسفة في الجامعة الاردنية ، وعاد منها في العام الماضي ليكون استاذا للفلسفة في كلية الاداب بجامعة الجزائر وكان لم يهدا بعد من رحلته الى الاردن . وما كان يرى في ذلك بأسا ولا عسرا ولا رهقا لانه كان يؤمن بانه يؤدي للعلم وللبلاده رسالة لا يجوز التخلي عنها .

وكان لكثرة نشاطه يشغل نفسه باكثر من كتاب ، ويشتغل باكثر من عمل . ففي خلال تحقيقه لكتاب « احوال النفس » لابن سينا ، شرع في تأليف كتاب موضوعه « علم النفس السينوي » ورجا من الله ان يوفقه الى انجازه في القريب « اذا ساعدتني الظروف المواتية ، مع توفيق الله وصحة البدن ... » وكان ذلك في سنة ١٩٥٢ ، ولكن كتابه عن علم النفس السينوي لم يكمل ، ولم يظهر ، وان كان ظهر بعده عدة من الكتب والتحقيقات والترجمات .

وتبلغ عدة الكتب التي اصدرها الدكتور احمد فؤاد الاهواني ستة وعشرين كتابا ما بين تأليف وتحقيق وترجمة . فمن مؤلفاته : « معاني الفلسفة » و « فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط » و « في عالم الفلسفة » و « خلاصة علم النفس » و « اسرار النفس » و « ميزان الحق » و « افلاطون » و « جون ديوي » وهما من مجموعة نوابغ الفكر الغربي . و « ابن سينا » وهو في سلسلة نوابغ الفكر العربي ، و « تاريخ المنطق والمنطق الحديث » ، و « التربية الاسلامية او التعليم في راي القابسي » . و « الحب والكراهية » و « الخوف » و « النسيان » و « النوم والارق » وهذه الاربعة من مجموعة كتب «اقرا» التي تصدرها دار المعارف .

ومن تحقيقاته : « كتاب الكندي الى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى » و « ايساغوجي وحياة فرفريوس الصوري » و « احوال النفس » لابن سينا ، و « كتاب النفس » لابن رشد ، و « نكت احوال ابن سينا » للكاشي وهو من مطبوعات المعهد الفرنسي ، و « الشفاء » لابن سينا ويشتمل هذا الجزء على « المدخل » ، و « تفصيل احوال المعلمين والمتعلمين » لابي الحسن علي بن محمد القابسي ، و « اداب المعلمين » لابن سحنون وهو ملحق برسالة القابسي .

ومن ترجماته : « ترجمة كتاب النفس » لارسطو ، و « طريقة دكرولي » و « مباهج الفلسفة » لول ديورانت ، و « البحث عن اليقين » لجون ديوي .

وقد الف بالانجليزية كتابا عنوانه « الفلسفة الاسلامية » ، وهو مجموع المحاضرات التي القاها في جامعة واشنطون سنة ١٩٥٦ .

وقد راجع الدكتور الاهواني بعض الكتب التي ترجمها غيره ، مثل كتاب « الحضارة الاسلامية » لريسلر ، الذي ترجمه الاستاذ غنيم عبدون ، وكتاب « مدخل لقراءة افلاطون » الذي ترجمه الاستاذ عبد المجيد ابو النجا .

وليست مراجعة الكتب المترجمة او المعربة بدعة من البدع ، فهي ضمان للدقة التي تراد من الكتاب المترجم . فحينما نقل الدكتور الاهواني كتاب « النفس » لارسطوطاليس عن الفرنسية والانجليزية معا ، فان صديقنا الاب جورج شحاتة قنواتي قد راجع الترجمة على اليونانية التي يصرح الاهواني بأن معرفته هو بها «لا تتعدى بعض

ابريق القهوة

وركوة لأبي ما زلت أذخرها ... كانما هي مني حجة الحسب ..
يا سحرها وهي فوق الجمر هازجة ... تروي حديث الندى في ساحة اللهب
ايام يتلو على السمار ساكبها ... حكاية الجاه في الماضي من الحقب
اذ المكارم ما قدمت من بلس ... للسامرين وما أضرمت من حطب
وما يطوف به الساقي على علل ... من قهوة هي ذوب الليل والشهب
واذ نداماك مزهو ومفتخر ... وكلهم سيد من سادة العرب
يروون ما كان من عز ومن كرم ... ويلبسون «الحكايا» بردة الادب

وديع ديب

الالفاظ والمصطلحات » فكانت مشاركة الاب قنواتي ـ وهو متمكن من اليونانية ـ ضمانا لضبط الترجمة ودقتها.

ولقد اهتم الاهواني بالشيخ الرئيس ابن سينا ، وعايشه بالفكر والدراسة حقبة من العمر ، فأصدر عنه كتابا في سلسلة نوابغ الفكر العربي ، وحقق له ثلاثة من الكتب .

ويتجلى في كتابات الاهواني اسلوب عربي يمتاز بالاشراق والوضوح والدقة . مع الاطراف في التعبير ، والتأنق في العبارة . وهو ـ لطول مخالطته لكتب القدماء ـ ترى على اسلوبه مسحة من الفصاحة والعلو ، فلا يسف ، ولا ينزل ، ولكنه مع هذا يؤثر اللفظة المألوفة الآنسة على اللفظة الغريبة الجافية . وكثيرا ما كان يأخذ على صديقنا المرحوم الاستاذ عادل زعيتر اغرابه في ترجماته ، وايثاره اللفظة المعجمية المهجورة على اللفظة الدائرة المستعملة الحية ، وكثيرا ما كان يغضب صديقنا عادل زعيتر لمثل هذه الملاحظات .

ولقد عاشرت الاهواني وصادقته قرابة ثلاثين عاما ، فما زاد الود بيننا الا تمكنا وتأكيدا ، على حين كانت تهن اسباب الود بين الاصدقاء . وكان ـ رحمه الله ـ سخي اليد ، لا تمسك راحته شيئا ، ولا يضن بما بين اصابعه على احد : صديقا كان ام محتاجا ام سائلا . وفي كتابه « أسرار النفس » يصف البخل بانه مذموم ، لانه تطرف في الجمع والاقتناء وافراط في الاختزان . ومع ايمانه بالقيم الروحية كان يرى المال يحقق كثيرا من امور الحياة ، ولكنه عاجز عن شراء المعاني الروحية التي لا تقدر بالموازين المادية ..

وكما صان الله كف الاهواني من الامساك والبخل ، صان لسانه من الاذى والتطاول ، فما سمعنا منه كلمة جارحة في انسان ، وكان يحفظ غيبة الصديق ويصونها بالادب الكريم .

وكان يرى للصداقة حقوقا تجب مراعاتها ، ولا يجوز التساهل في اغفالها ، ومن حقوق الصداقة عنده تقدير الاصدقاء . فما صدر لي كتاب الا وجدت احمد فؤاد الاهواني يستقبله بالنقد احسن استقبال ، ويتناول الحديث عنه في المجلات التي كانت تعنى بالكتب في ذلك الزمان ، كالرسالة ، والثقافة ، ومجلة الكتاب ، رحم الله ايامها الذاهبات !!

ولقد سوغ هو ذلك الموقف مني بخاصة ، ومن اصدقائه المؤلفين بعامة ، فكتب في كتابه « اسرار النفس» فصلا عنوانه : في الصداقة والصديق ، يقول فيه :

« وقع الخضر ـ يريد الاستاذ الناقد عباس خضر ـ في كشكوله من الرسالة يقول إنه لاحظ انني كلما اخرجت كتابا كتب عنه الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وان العكس صحيح ، يريد أنه كلما أخرج كتابا او ديوانا اكتب عنه . والتوقيع ـ على ايجازه ـ وان كان صحيحا يحمل معنى التعجب ، أو هو خبر ينطوي على استفهام ، واشارة تحتاج الى تفسير وبيان . وبيان هذا التبادل انه دليل على الصداقة ، او هو آية الاخوة . ولكاتب التوقيع ان يعجب في زمن اصبحت فيه الصداقة اندر من الكبريت الاحمر ... »

هكذا كان نظر الدكتور احمد فؤاد الاهواني الى الصداقة وحقوقها وواجباتها ، وقد شاء الموت ان يخطفك منا ، وشاء القدر ان ارثيك في هذه الكلمة ، وقد كنت اوثر أن تقول انت رثاءك في ، فانك من اهل الوفاء والانصاف ..

رحمك الله ايها الصديق ، العالم ، العظيم ...

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

زجاجة دم

بقلم رستم كيلاني



وقف امامها مبهوتا .. وهو يتحسسها بأنامله المرتعشة ، وقلبه الواجف ، ثم يتركها .. ليعاود امساكها من جديد ...

كان يتطلع اليها بنظرات فاحصة، حائرة .. كاد يبكي .. ولكن عز على نفسه ان يكون رجلا ويبكي ..

كاد يصرخ بصوت عال .. لولا ان كتم ذلك الصراخ داخل نفسه ..

وهتف هاتف في أعماقه :

ـ ان الدمعة هي الدم .. الدم .. الدم ..

وعاد اليها وحملها برفق بين يديه .. ومن خلالها رأى صورة اعز انسان لديه .. وكأنها تناديه من ذلك الحيز الضيق ..

تركها بسرعة ..

وجلس امامها على ذلك المقعد المريح .. مسترخيا .. وارتسمت على وجهه علامات الغضب .. والثورة .. واطلت من عينيه شرارة حمراء ..

وتراقصت امام عينيه صور كثيرة .. وتزاحمت الافكار السوداء في مخيلته كخيوط العنكبوت المتشابكة لا يدري لها بداية او نهاية.

ويعود الى نفسه وسط هذه الدوامة ليسمع صوتا خافتا صادرا من اعماقه يدعوه للتأكد من صحة حديث والدته ..

ويطفو من داخله هاتف عنيف :

ـ عيب عليك .. الم تصدق حديث أمك .. اذا لم تصدقه فستكون عاقا .. امك التي ربتك وجعلتك رجلا .. اتنال منك ذلك .. ان تكذبها وكيف تجرؤ على تكذيبها وانت وحيدها الذي تحبك .. ويتلاشى هذا الهاتف من مسمعه .. رويدا .. رويدا ..

ثم ارتد اليه من جديد صدى صوت أمه العجوز كالرعد عندما قالت له لما سألها عن تلك الزجاجة المهجورة .. المجهولة الموضوعة على المنضدة ..

ـ ولدي لا تقل الزجاجة مهجورة .. ولدي لا تقل الزجاجة مجهولة آه لو تعلم ان هذه الزجاجة التي أمامك تعيش في سمعي .. وفي بصري .. وفي خلدي .. وفي أعصابي .. انها مرتبطة بمن يصلك بي .. الا تعلم انها عطر وبقايا عطر من ابيك .. انظر اليها .. اقترب منها وتحسسها بيديك مليا .. انها الوعاء الذي حمل كمية كبيرة من دم ابيك .. حملتها لك .. لقد مات ابوك يا ولدي وانت ما زلت جنينا في أحشائي .. كنت أعد الشهور واتعجل الليالي الطوال .. اترقب مولدك بصبر نافذ حتى قدمت لهذه الدنيا .. وكم كانت فرحتي حينئذ عندما علمت انك ذكر .. ولاول مرة تجد الابتسامة طريقها الي عندما علمت بذلك منذ قتل والدك .. ولم استطع ان اقص عليك شيئا من هذه المأساة خلال سنوات حياتك الاولى .. لصغر سنك ولعدم قدرتك القيام بأخذ ثأر والدك ..

ولقد آن الاوان يا ولدي لكي ترد فيه الي كرامتي .. بل كرامة ابيك .. أفهمت يا ولدي .. فاثأر له .

و

وصرخ « حسين » فجأة وكأنه يحاول بذلك ان يهرب من ذلك الصوت الذي ينبعث من كل جانب.

واستماتت يداه على أذنيه وكأنه يحاول الهروب من ذلك الصوت الذي يكاد يمزق كيانه ...

وارتفع من جديد صوت أمه وهي تقول :

ـ عليك بأخذ ثأر ابيك .. ثأر ابيك .. دمه يناديك يا ولدي لا تدع من قتلوه يعيشون في سعادة ونعيش نحن في حزن عميق ..

وسألها عن سبب مقتله :

فثارت قائلة :

ـ ايا كانت هذه الاسباب .. والدك مات مقتولا .. فيجب الاخذ بثأره ..

ـ ولكن ..

فقاطعت حديثه قائلة :

ـ ارفع رأسنا يا ولدي .. ارفع راسنا يا ولدي ..

★

ظل في فراشه ساهرا .. صورة أبيه لا تبارح خياله ..

ضاقت الدنيا في وجهه .. واحس وكأنه يقف على رأسه والاشياء التي من حوله مقلوبة .

وكان يخيل اليه ان نبرات صوت أمه تخترق جدار الغرفة وتسلل من جديد في همس حزين عميق وهي تحدثه لاول مرة عندما عاد اليها بعد غيبة طويلة عاشها مع عمه في القاهرة .. وقصت عليه قصة مقتل والده والدم المحفوظ داخل الزجاجة ..

وكلما حاول ان يغمض عينيه .. أطلت امامهما صورة والده .. والدم من حوله كشعلة من وهج احمر .. وهو يقول له :

ـ قتلوني يا ولدي ظلماوعدوانا .

وقام من جلسته في حالة ذعر شديد ليمسح بعينيه تلك اللوحة المعلقة داخل الغرفة والتي تضم صورة لأبيه والمثبتة على الحائط وكأنما يحاول ان يطبق هذه الصورة على شكل والده الذي يرتسم في مخيلته من آن لاخر ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعاش ليلة بأكملها مستيقظا في دوامة لا تنتهي كمن القى حجرا في ماءساكن .. يحدق في سقف الغرفة .. وفي شرود تام .. وقلق مستمر .. يترقب بزوغ شمس الصباح ..

★

وغردت الاطيار تعلن بدء يوم جديد ...

ودبت الحركة في القرية ..

لم يشعر « حسين » بنفسه عندما دفن زجاجة الدم داخل ملابسه في الصوان وكأنما يحاول اخفاءها عن الناس بعيدا عن أعينهم ليحتفظ بها وحده ككنز ثمين .

وخرج في ذلك الصباح الى الحقول ..

وبدا له الفراغ الاخضر على جانبي الطريق غريبا في بادىء الامر .. فلقد عاش اكبر فترة من حياته في القاهرة .. لم ير فيها بلدته ولا امه الا في الاجازات الدراسية السنوية فقط .. لقد كان يعيش مع عمه الذي لم ينجب اولادا فاحتضنه واعتنى بتربيته ولولاه ما سافر الى القاهرة لان امه كانت تعارض بشدة ان يبتعد عنها ..

وبينما كان يعبر جسر الترعة .. سمع صراخا وعويلا مدويا يأتي من بعيد ..

وعلم ان احد افراد عائلة قاتل ابيه قد مات ..

★

عاد الى البيت مسرعا ليخبر امه بما حدث .. ربما تعفيه من مهمته القاسية وتكتفي بما أصابهم من مكروه ..

ولكن الام في قسوة لم تبال بذلك .. ولم تهتم بحديثه ..

وقالت له :

ـ لا يكفي موت واحد امام راس ابيك يا ولدي .. كان ابوك رجلا عظيما كبير الشأن .

وتركها عندما شعر بأن حديثه لا فائدة منه وانها لن تقتنع بما سيقوله لها ..

وتركها وهي ما زالت مسترسلة في حديثها ..

ودلف الى حجرته ..

وفي داخل الحجرة واجهته صورة والده المثبتة على الحائط وهو يبتسم فحول راسه .. فسمع بعض كلمات امه تنساب الى اذنيه ..

فكاد ان يصرخ لولا ان شعر بقشعريرة تسري في جسمه ...

وفتح الصوان بيد مرتعشة ليخرج شيئا ثقيلا من ملابسه ليرتديه حتى يحميه من تلك القشعريرة ..

فاصطدمت يده بزجاجة الدم وحملها بيد مرتعشة ووضعها على المنضدة ونظر اليها .. ثم عاود البحث عن الشيء الذي يبحث عنه لارتدائه ..

فعالج الضلفة الاخرى ولمح عند اسفلها شيئا أثار انتباهه .. كان ذلك الشيء سكينا صدئة في مكان غير مطروق ترك الزمن عليها اثر بصماته ..

وانحنى عليها ليلتقطها ، ولكن بدون وعي وبلا ارادة دفعها بعيدا عنه ..

وعاد الى كرسيه المريح الذي يتوسط الغرفة واسترخى عليه ..

وبعد فترة من الوقت ..

سمع صوت بعض السائرين في الطريق تحت نافذته وهم يتحدثون عن موعد تشييع الجنازة ..

وبينما كان يحول وجهه وكشريط سينمائي متعدد المشاهد .. لمح زجاجة الدم .. التي تتوسط المنضدة .. والتفت الى الناحية الاخرى راى صورة والده .. وخيل اليه ان صوت امه ينبعث من خلال باب الغرفة المغلق ويخترق جدارها وهي تقول :

ـ لقد آن الاوان يا ولدي .. لقد بلغت اليوم سن الرجولة وهو انسن المناسب لاخذ ثأر والدك .. لقد عشت عشرين عاما في ظلام لم أذق طعما للنوم خلال تلك السنوات الطوال .. فعليك ياولدي باطاعتي.

وهرع الى الخارج ..

حاملا تلك السكين وقد زج بها طي ملابسه هاربا من الاشباح التي تطارده ..

وسأل عن مسير الجنازة ..

فعلم انها في طريقها الى الجبل.

وسار تجاه الطريق المترب الموصل الى الجبل .. سار فيه على غير هدى كأنه يسير الى قضاء محتوم ..

وهناك ...

عند المقابر .. وبعد دفن الجثة.

وفي حركة سريعة اخرج «حسين» السكين من تحت قميصه وطعن اول من طعن العمدة عاهل الاسرة وكبيرها .. ثم بدأت الطعنات تنهال من هنا وهناك في صدور افراد العائلة دون توقف .

وكان يصرخ كأنه قد مسه شيطان وهو يطعن .. وقد بللت الدموع وجهه بصوت عال مزق سكون المقابر :

ـ « كفاية والا لسه يابا .. كفاية والا لسه يابا » ..

وكأنما صوت ينبعث من القبور يقول له :

ـ كفى .. كفى ..

ورمى السكين المطوقة بالدم على الارض وتهالك بجانبها منهك القوى وهو في حالة ذعر وخوف من الدم السائل تحت قدميه .. ومن عيون الرقباء التي تلاحقه ..

وقبض عليه .. وسيق الى مركز الشرطة وهو يعرف المصير الذي ينتظره والتي سببته له أمه بحقدها .. وكراهيتها ..

★

وحينما سرى الى الام بنبأ الحكم بالاعدام على ولدها الوحيد .. وقعت على الارض مغشيا عليها .. وغابت عن الوجود ..

وظل اهل القرية يتهامسون :

ـ مسكينة هذه المراة .. لقد دفعت الثمن غالياً ..

القاهرة — رستم كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برئت حياضك من أثيم عوار ... وتنزهت عن لوثة وشنار
دنياك طهر لم يدنس حوضها ... طمع ترامى غمره بشرار
عقد السلام بكل ربع راية ... شمخت محلقة الصوى كمنار
والعدل راٍن فليس من مستضعف ... يشقى بشرعة غاصب ويداري
نزهت عن ظلم ونار مطامع ... تكوي الرجال بجامح من نار
ما في مسارحك السحيقة للاذى ... قدم تجر بهن فضل ازار
والاض في حما الرذيلة لطخت ... واستعبدت بشريعة الدينار
وبهااستحل دم الضعيف على الهوى ... عنتا لغلمة محرب وضواري

نعمت شعابك بالسكون وأطبقت ... للنوم جفن صريع كأس عقار
وجرى السراب يجر فضل مآزر ... في شاسع دون الثرى بوقار
ينداح محموم الجوانح عاصفا ... بجوائح للمر كالاعصار
متبدل في كل حين حلة ... وحقيقة تخفى على الابصار
ينساب ما بين الشعاب كجدول ... مترقرق بالفيء والانوار
يبدو ويخفي كالظنون بخاطر ... لمعت وحجبها الهوى بستار
ما أنفك مطردا كمنهمر الحيا ... دون القفار بصوبه المدرار
أفوافه خدع البهارج ، والذي ... أفوافه خدع البهارج عاري

أهلت مسارحك السحيقة بالصدى ... في جنح ليل مسبل كدثار
وجرت كتائب للسكون كأنها ... عبب المحيط ببلجة الاسحار
راياتها معقودة في شاسع ... كالظن في الابهام والاسرار
وأطلت الاشباح تمرح مثلما ... شاء الهوى في أنجد وقفار
سرحت طويلا في المفاور والربى ... في السهل والآكام والاغوار
وخبت كأنفاس النسيم من الضنا ... واستبهمت كخواطر الاغرار
وتآلفت أفرادها وتعانقت ... معقودة الايدي بكل مدار
تسري بلا قدم وتعنق دهرها ... في زحمة الاعوام كالاقدار

أتراك عفت بني الورى وجوارهم ... ورأيت في الاشباح أكرم جار
أم خفت اوجاع الحياة وعارها ... ومطامعا تفري بمخلب ضاري
العار من سفخ الحياة حصيلة ... لرغائب مجنونة الاطوار
والاثم ترب النفس ليس مجانفا ... غورا لها او عازفا عن غار
أوليس في دنيا الرجال دلائل ... وشواهد عن صحة الاخبار
ان الشواهد في الغرائز أعربت ... بشواهد سطعت كضوء نهار
سبحان من أجرى الحياة لعلة ... خفيت عن الابصار والافكار
كل يسير لغاية مرسومة ... قسرا ولم يك سيره بخيار

دمشق — عدنان مردم بك



احمد الصافي النجفي

احمد الصافي النجفي متنبي هذا العصر

بقلم عبد العزيز بن عبد الله الربيعي

* * *

قبل ان ادخل في موضوع هذه الدراسة المتواضعة ، اود ان اشير الى عدة نقاط هي :

لم اطرح كل ما يجب طرحه عن حياة شاعرنا الكبير ، وانما حاولت قدر جهدي ـ ان ارسم صورةواضحة الملامح ، تبين حياة الشاعر بآمالها والامها .

وحينما اعرض بعض صوره الشعرية لا يعني ذلك ان هذه الصورة او تلك ، هي من اجود القصائد التي قالها الشاعر ، وانما هي ـ جزء لا يتجزأ من العقد الشعري النفيس الذي نظمه وينظمه الشاعر كل يوم وليلة ..

وبالتأكيد فانه وان كانت القصائد الكثيرة التي تملأ دواوينه الكثر، تمثل حياته تمثيلا حقيقيا وواقعيا الا انني ساعتمد الى حد ما على مقابلة جرت بيني وبينه في بيروت في شهر جمادي الاولى عام ٨٧ هـ ـ اغسطس ٦٧ م .

وفي هذه الدراسة محاولات صادقة ـ لكنني لن اطالب القارىء بضمها الى قلبه وعقله ، فله الحرية الكافية بأخذها او رفضها غير انني اجزم وبثقة ـ ان القارىء الحصيف لن يرفض هاتين النقطتين :

ـ الحقائق والمعلومات التاريخية التي حققتها وتحققت منها ـ من الشاعر نفسه ـ ومن العديد من اصدقائه المقربين اليه ، اعني المعجبين لشعره .

ـ يستحق الشاعر الكبير ـ وبجدارة ـ لقب متنبي عصره ، فشعره يقف بثقة بالغة امام شعر ابي الطيب المتنبي ـ يرحمه الله ـ فهو يقول هنا وليس قوله هذا عن نبوة «اني والمتنبي على خط واحد» :

يوحدنا في الروح دار ومهجر ... ويجمعنا في الشعر فن وحسد
اتى متنبي الشعر والروض اجرد ... وجئت وروض الشعر منه مورد

بل انني اجزم ومن جانبي ـ ان هذا الشاعر العملاق يفوق الكثير من الشعراء الكبار تصويرا وتجديدا وتفكيرا ، وذلك عائد في تقديري الى التجارب الحياتية والفكرية والنفسية التي عاناها الشاعر ، ولا يزال يعانيها حتى كتابة هذه السطور ..

ان حياة الصافي بماضيها وحاضرها مليئة بالالام والاحزان ، طافحة بالتشاؤم ، مغموسة بالكآبة والتعاسة ، بالحرمان والاسى ، بالتشرد والشرود .

ويبدو لي ان هذه الحياة الشاذة هي التي جوهرت لنا شعر الصافي ، وبالتالي هي التي صنعت لشاعرنا مسلكا .. صوفيا تميز بالتمرد على كل المسالك ـ الظلماوية ـ التي تقود الانسان الى الجهل والمرض والفقر .

وسأحاول قدر جهدي ان اعود الى الماضي القريب لابحث عن الاسباب الجوهرية التي خلقت ألم الصافي ، وتشرد الصافي ، وبالتالي تعملق شعر الصافي ..

نسب الشاعر

ينتسب الشاعر الى اسرة آل الصافي والمنحدرة من عائلة علوية حجازية ، قدمت من الحجاز الى البصرة ، والمقيمة في النجف الاشرف، وتعد هذه الاسرة الحسيبة النسيبة من اعرق الاسر علما ومعرفة ودينا .. فوالد الشاعر ورث العلم والمعرفة عن ابائه واجداده ، حتى الجد السابع السيد عبد العزيز الذي قطن النجف وأسس اسرة آل الصافي.

وبعد عبد العزيز ـ الجد السابع لشاعرنا ـ من كبار رجال الدين، بالاضافة الى معرفته بعلم الانساب ، لدرجة ان بعض معاصريه يدعونه بـ (عبد العزيز النسابة) .

ولقد اشار الشيخ محمد حرز الدين في كتابه « معارف الرجال » الى قيمة وعظمة السيد عبد العزيز ، بل ان المؤرخ المعروف الشيخ محمد السماوي قال عنه في قصيدته الموسومة بـ « عنوان الشرف في وشي النجف » :

منهم بنو عبد العزيز الصيد ... في كل فن منهم عميد

اما جد الشاعر لامه فهو الامام الشيخ محمد حسين الكاظمي ، والذي يحسب من اكبر علماء عصره ، وقد ترجم له المؤرخ « اغا بزرك الطهراني » في كتابه « الذريعة في علماء الشيعة » وعدد مؤلفاته التي من بينها كتاب « هداية الانام » .

ويذكر شاعرنا أن جده لامه ينتمي الى اسرة آل معتوق اللبنانية والمقيمة في بلدة « الزرارية » وقد جاء الى النجف الاشرف بحثا عن المعرفة والعلم ..

مولد الشاعر

النجف المدينة الخالدة في العراق ، والنجف المدينة التياحتضنت ولا تزال تحتضن العلم ، ورجال العلم ومريدي العلم ، النجف المدينة التي حج الطلاب اليها ، ليغترفوا من علم اهلها .. النجف المدينة التي دفعت علما وفيرا الى رفوف المكتبة العربية العامرة .. النجف المدينة التي انجبت المفكرين والعلماء والشعراء والادباء هي التي انجبت شاعرنا الفحل الكبير احمد الصافي النجفي عام ١٨٩٧ م (١٣١٤ هـ) .

وفي مدينة النجف الزاخرة بروائع العلم والادب والدين ، نشأ الشاعر ، وفي محافل النجف ومنتدياتها الادبية ، راح الشاعر يغترف من ادبها وعلمها ودينها ، حتى اصبح الكثير من اهل النجف يعتقد انه سوف يحل محل جده ـ لامه ـ الشيخ العالم «محمد حسين الكاظمي».

دراسة الشاعر

بدأ الشاعر دراسته على يد (الشيخة) وبعد مضي ثلاث سنوات، انتقل الى احدى المدارس التقليدية (الكتاتيب) حيث حفظ القرآن حفظا تاما ، وهو لما يزل في السن العاشرة من عمره ، فدل ذلك على شروق عبقرية شاعرنا ..

والى جانب حفظه القرآن اتقن الكتابة ، لدرجة ان خطه في ذلك

الحين لا يماثله خط في الجودة والبهاء ..

وبموت والده ـ وهو في سن العاشرة ـ يخرج من المدرسة لينتهج نهج ابائه واجداده ، فدرس المنطق والنحو والصرف والمعاني والبيان ، الى جانب العلوم الدينية والصوفية والفلسفية القديمة ، التي تملأ رفوف مكتبات اهله وعشيرته ..

وفي اثناء تحصيله العلمي وفي سن السابعة عشرة من عمره توفيت والدته ، وبوفاتها راحت الالام تتوالد في طريقه ، والبؤس يفترس حياته ، والشقاء والتشرد والحرمان ينعكس على مسيرته ومسلكه .

« وقبل الحرب العالمية اصيب بضعف عصبي شديد ، مما جعل الاطباء يشيرون على اهله بأن يمتنع عن دروسه ، ويكتفي بالمطالعة بقصد التسلية فقط ، فاتجه منذ ذلك الحين الى قراءة الادب القديم والحديث ، واقبل بنهم على مطالعة الصحف والمجلات والكتب المصرية حيث رأى عالما جديدا ، وافاقا واسعة تتجلى امام عينيه » .

جهاده الوطني

وضع الشاعر الكبير امكاناته النضالية مع الامكانات الضخمة التي يطرحها العديد من المجاهدين العراقيين الذين راحوا وراح معهم يكافح الاستعمار البريطاني الذي جثم على ارض العراق فترة من الزمن طويلة .

وقوى الاستعمار تحتاج الى قوة شعبية ، وارادة جماهيرية، تقف ـ بصلابة ـ امام قدرة وقوة التفكير الاستعماري البريطاني ، لذا اخذ المناضلون يتصلون بكبار الشخصيات المستقيمة والنزيهة في العراق ، لكي يستطيعوا بهم ومعهم الوقوف ـ بجدية ـ امام الانجليز ، لنيل الاستقلال الكامل ، لارض العراق ، واهل العراق ..

لكن الاستعمار البريطاني راح يدس عملاءه في صفوف المناضلين، لكي يشكك في عدالة قضيتهم ، ونزاهة غاياتهم الامر الذي حمل بعض المتخاذلين يبتعدون عن الخط النضالي الذي ارتضاه شاعرنا الكبير ومعه العديد من زملائه الكرام .

وبالطبع ـ وبعد هذه الحركة الاستعمارية راح رفاق الشاعر يجتمعون ويقررون سرا ما يجب مواجهة عملاء الاستعمار والاستعمار به، وكانت هذه الاجتماعات تعقد خفية في منزل شاعرنا الكبير .

ومن المعروف تاريخيا ان منزل الشاعر النجفي هو المنطلق الرئيسي لثورة النجف التاريخية (عام ١٩١٩ م) التي قامت ضد الاستعمار البريطاني وعملائه .

ولم يتقوقع ثوار النجف ، داخل مدينة النجف فحسب ، بل ان النجفي ورفاقه ، اخذوا يتصلون بكل مراكز الثورة في العراق ، لكي يوحدوا الثورة الشعبية ، والارادة الجماهيرية ، ضد قوى الشر والطغيان ، ضد الاستعمار البريطاني ، وقد نجحوا بعملهم هذا الى حد كبير ، حيث عقد الاجتماع التاريخي الكبير في الجامع الهندي بالنجف.

وفي اثناء هذا الاجتماع صدر امر الحاكم العسكري في بغداد الى حاكم النجف بالقبض على المحرضين والمنظمين لهذا الاجتماع ، الا ان حاكم النجف لم ير ان القبض على المحرضين ، من الصالح العام ، وبالذات حينما علم ان الفئة المنظمة لهذا الاجتماع من رجالات وعلماء وزعماء العراق البارزين .

وعمت الثورة الشعبية كل ساحات العراق ، الامر الذي جعل الانجليز يصدون المواجهة الجماهيرية بقوة وقدرة النار والسلاح ، حيث زرعوا في كل مكان من ارض العراق مفارز عسكرية تقف امام الارادة الشعبية .. وبذلك استطاع الاستعمار اطفاء نار المدفع الشعبي ، الى حين ...

وفي هذا الجو الثوري العنيف رأى الشاعر الكبير ان مبارحة العراق امر لا بد منه ، وبالذات وهو يرى زملاءه ورفاقه يقتادون الى سجون التعذيب ، ومشانق الموت ..

نزوح الشاعر الى ايران

قرر شاعرنا الكبير ان يدخل الحدود الايرانية هاربا من الحكم الاستعماري البغيض ، الذي ساق العراق ، ومناضلي العراق ، الى الدمار والموت ..

وحينما وصل الى طهران واستقر الى حد ما في ربوعها ، عزم على عدم تضيعة فراغه المخيف فراح يتعلم اللغة الفارسية ، من الافواه ، ومن معاشرة ادباء وعلماء الفرس ـ بعد حين ـ وقد استطاع شاعرنا ان يجيد اللغة الفارسية ، اجادة تامة ، الامر الذي جعله يتقدم لفحص اعلنت عنه وزارة المعارف الايرانية ، لكي يصبح معلما في مدارس ايران . وبالفعل نجح في هذا الفحص بتفوق ، وانخرط في سلك التعليم الايراني ، فراح يدرس الاداب العربية في ثلاث مدارس ثانوية ..

وبعد تأدية واجب المدرس ، يشرع في كتابة مقالات ادبية واجتماعية باللغة الفارسية ، لينشرها في كبريات الصحف الفارسية.

ولم يقف نشاطه الذهني عند هذا الحد بل انتخب عضوا عاملا في النادي الادبي بطهران ، بالاضافة الى تعيينه عضوا عاملا في لجنة الترجمة والتاليف في عهد وزير المعارف الايراني السيد محمد تدين.

وفي هذه الاثناء رأى ان يترجم كتاب « علم النفس » لعلي الجارم ومصطفى امين الى الفارسية ، كما ترجم ايضا « رباعيات الخيام » من الفارسية الى العربية .

وبقي في ايران ثمان سنوات ، اعطى شعب ايران من فنه وفكره وروحه وادبه ، الشيء الكثير ، بالاضافة الى ان ايران الاسلامية احتضنته ، واعطته من سحرها وبهائها وفنها الشيء الكثير ايضا ـ وللشاعر رأي هنا حول الخيام يجب اثباته فهو يقول :

« الحقيقة انني تأثرت بالفكر الفارسي . الا ان شخصيتي العربية الاصيلة ظلت واضحة . وعندما قيل له لقد فسر بعضهم الرباعيات على انها من الشعر الصوفي اجاب « لا .. لا .. الخيام ملحد شاك . يدعو الى العب من ملذات الحياة ، واما المتصوفون فهم يعبرون عن وجودهم بالفاظ الغزل ، والالفاظ في الوقت نفسه وسيلة الحواس للتعبير . وساله احدهم هل لشعر الخيام صلة بالمعري اجاب : « اين الثرى من الثريا . الخيام مجرد قزم امام المعري » . وعندما ساله احدهم بقوله: الشاعر الذي ينقل شعر زميل له الى لغته القومية يكون هذا متجاوبا مع تجربته الروحية ، فما مدى تجاوبكم مع فلسفة الخيام ؟ اجاب : « يوم ترجمت الرباعيات كان ذلك في شرخ الشباب وكنت صورة لها . الشك والميل الى الالحاد ، والانغماس في نشوات الحياة . اما الان فقد انفتحت امامي ابواب السماء . وقد طلب مني اكثر من مؤسسة طباعية اعادة طباعة رباعيات الخيام من جديد فرفضت ذلك » .

وبعد غيبة عن الديار دامت ـ كما قلت ـ ثمان سنوات حن الى ارض الوطن ، وحن الى اهله وعشيرته ، فرأى ان يعود الى بلاده ، بعد ان استقل العراق ، وخيمت على ساحته روح الاستقلال والامن والطمانينة ..

وعاد فعرض عليه رفاق المسيرة الثورية الاشتراك في مسؤولية الحكم .. الا ان شاعرنا الكبير اعتذر عن تحمل هذه المسؤولية بسبب شدة الامراض التي داهمته وهاجمته فور وصوله الى ارض العراق ، والتي دامت معه ثلاث سنوات ، كادت ان تهلكه لولا ارادة الله ، ثم براعة الدكتور سعد الدين عيسى الذي انقذه ، وقام على علاجه وتطبيبه الى ان عادت اليه صحته ، فنصحه بالسفر الى لبنان وسورية للاستجمام ، وقد قبل نصيحته ...

وسافر الى سورية ولبنان

غادر ارض العراق متوجها الى سورية ولبنان عام ١٩٣٠ م تنفيذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنصيحة الطبيب ، وحين وصوله الى هناك راح يتعالج لدى الكثير من الاطباء والمستشفيات ، الا انه لم يجد المعالج القادر على استئصال الامراض التي تهاجم وتحارب صحته حتى هذه اللحظة .

ولقد تعاقبت على العراق وشعب العراق ـ وفي غيبته ـ نكبات ونكبات ، وثورات وثورات ، كان من اهمها وابرزها ثورة رشيد عالي الكيلاني التي هزت انفعالات واحاسيس ومشاعر شاعرنا الكبير ، فراح يقود المظاهرات الطلابية ، في بيروت ، ويوجه ويصقل ويؤجج همم الطلاب والمواطنين في لبنان ، يوجههم بفكره ، ويصقلهم بحكمته وتجربته ، ويؤجج مشاعرهم بشعره ونثره .

وشاعرنا الكبير يؤمن بوحدة الوطن العربي ، وبوحدة النضال العربي ، وبوحدة المصير العربي ، لذا فهو يرى ان الانسان العربي يتوجب عليه مكافحة اذناب الاستعمار وزبانية الانحراف والظلم اينما حلوا ورحلوا في وطننا العربي ، فسورية وطنه والعراق بلده ، ولبنان ارضه ، والجزائر والمغرب دياره ، وهو الذي يقول :

اني امرؤ عربي والعلى نسبي في اي ارض ارى عربا ارى وطنا

لكن الاستعمار وعملاء الاستعمار ، يحاولون بجهد جهيد اقتناص القدرات الانسانية المبدعة ، لذا فقد اعتقل الانجليز الشاعر النجفي في لبنان ، واودعوه غياهب سجن الفرنسيين في لبنان ايضا .. وبقي في زنزانته اكثر من شهر ونصف ، الى ان توسطت حكومة العراق لدى الانجليز فافرج عنه وهو يقول :

سجنت، وقبلي في العلى سجنوا اخي وآمل في العلياء ان يسجنوا الابنا
اذا لم نورث تاج مجد وسؤدد لابنائنا طرا ، نورثهم سجنا

انتاجه الشعري

بعد هذه الجولة المختصرة جدا ادخل الى محاولة صادقة لعرض انتاجه الفني ، واتمنى من كل قلبي ان اوفق الى العرض واقول العرض فقط :

يؤمن العديد من شعراء العرب على ان الشعر يجب ان يخدم فكرة (الفن للفن) في الوقت الذي يتوجب على كل فنان ان يلتفت الى مجتمعه ، والام ارضه ، يصورها ويجوهرها ، ويشحنها بقدرته وقدراته ، ليقدمها الى جمهور عشاقه ، وطلاب فنه .

وشاعرنا الكبير احمد الصافي النجفي الذي راح يصور لنا حياة آمال مجتمعه ، والام ارضه ، يصورها ويجوهرها ، ويشحنها بقدرته أمتنا ، والام واقعنا ، هذا الشاعر هو الذي يستحق الاكبار والاجلال والتقدير .

لقد كافح الصافي الاستعمار البريطاني ، بكل ما يمتلك من قدرة وقوة ، وكافح كل قوى الظلم والتعسف والانحراف ، وراح يقول ، بصدق وصفاء ، كل ما يؤمن به ويعتقده ، مهما كانت الظروف والاحوال.

لقد تعذب الصافي من اجل قومه ، وتشرد الصافي من اجل قومه ، وسجن الصافي من اجل قومه وامته واسمعه يقول :

ولما رأيت الذنب خدمة موطني حلى السجن حتى خلته جنة الخلد

ولم ينحن الصافي حينما سجن وانحنى غيره من الناس ، بل راح يهاجم الاستعمار الانجليزي ، وهو في زنزانته ومن يقول مثل قوله :

خسئت انكلترا والله اعمى مقلتيها
قبرها في كل ارض حفرته بيديها

وحينما حدث العدوان الثلاثي الغادر على مصر ، هاجت ثورته كأي عربي حر ، وتمنى من كل قلبه ان يقف مع اخوته الجنود ، يكافح ويدافع ويناضل ويجاهد في سبيل الوطن والعروبة والاسلام ، لكن مرضه وقف ـ كما وقف من قبل ـ حائلا امام امانيه حجر عثرة وقال في هذا قول المتعطش الى المشاركة في المعركة معركة المصير فلنستمع اليه يقول :

بكيت على ان لا اساهم في الحرب وقومي صرعى يقتلون بلا ذنب
هم العرب قومي ينجدون سواهم فان لم اذد عنهم فلست من العرب

وهو يبتغي لوطنه ، ولعروبته ، العيش بسلام وامن ، يبتغي ان تعيش ارضه العربية حرة ، لا تقيدها قيود الاستعمار البغيض ، ولتحقيق ذلك فهو يرى انه يجب على كل فرد من افراد امته ان يضحي ويكافح ويناضل ويتحدى كما يتحدى الصافي الاستعمار والظلم والتعسف فهو يقول في هذا :

سجنوني دونما ذنب سوى انني سامي المنى حر عزيز
لا يضير السجن مثلي ان يكن موطني يصبح في حرز حريز
ولئن اشنق تكن مشنقتي منبرا يعلن رجم الانكليز

على ان الشاعر قبل هذا وبعده يمجد امته ، ويثق بقدرتها على الصمود ، والوقوف امام التحديات الظلماوية ، ويشيد بتاريخها وتراثها الكريم الذي يجب ان تستمد منه نضالها من اجل الكرامة والعزة والشرف فلنقرأ معا قوله :

اننا في سوى العلى ما رغبنا نملأ الكون رهبة ان غضبنا
ما جزعنا للسجن يوم غلبنا « ان من رام مثلما قد طلبنا »
« لا يبالي ان سيق للسجن سوقا
نحن قوم عن العلى ما قصرنا حيثما دار كوكب العز درنا
واذا جار حادث الدهر جرنا « رخصت عندنا النفوس فثرنا »
« نطلب العز والعلى لا لنبقى »
قد خلقنا دون الورى احرارا وامتلكنا النجبان والامصارا
وجعلنا لنا المعالي شعارا « ولقد سامنا العدو احتقارا »
« فرأنا نستسبق الموت سبقا »

حنينه الى الديار

لاحظنا ان الشاعر تغرب عن ارضه واهله ، فترة طويلة ، ثم عاد الى ارض العراق ، وسافر بعد عودته بثلاث سنين الى سورية ولبنان ، ولم يعد الى العراق حتى هذه اللحظة .

ولقد قال الصافي حينما ساله أحد اصدقائه الذي جعله يجافي العراق .. واهل العراق ، قال : « لا .. انني برغم السبع والعشرين سنة التي فارقت بها وطني لم اقطع صلتي به ساعة واحدة ، ويكفي ان تعرف شعوري نحو العراق من قولي :

لقد تغربت حتى نسيت كل قريب
فان رجعت لاهلي رجعت مثل الغريب
سلكت كل الدروب الفت كل الكروب
ففربة الدار داري والاهل صحب الدروب

ولقد ادمى تغربه فؤاده ، وعذب بعده عن الديار قلبه حتى قال :

جرح التغرب في فؤادي بالغ القي عليه ببلسم النسيان
فتفجر النسيان عنه واصبحت للجرح تهمل بالدما عينان

وحينما يذكر ويتذكر ارض العراق ، واهل العراق ، فانما يتذكر ليالي صباه ، وايام شبابه ، ومجالس خلانه وعشيرته :

بقلبي قد اطلت ذكريات تفتش فيه عن ماضي شبابي
بقايا من حبيب او محب واشباح لايام التصابي
وطيف تواصل وخيال هجر ورسم تدلل ورؤى عتاب
كشمس قد توارت في مغيب وبرق قد تلاشى في ضباب

واشتياقه لاهل العراق ، وتعلقه بأرض العراق ، وبعده عن وادي دجلة والفرات ، يثير في نفسه الالام والاحزان لاسباب كثيرة منها انه لم يجد مع الاسف حتى الان من يفهمه فهو القائل :

روحي بأرض العراق عالقة والعقل سام عن امدن المدن
أحار بين التفتيش عن وطن يفهمني او محبة الوطن

والصافي الشاعر ، الصافي الحساس ، الصافي الذي لا ينسى رسوم دياره ، الصافي الذي ظل وفيا للعراق وتراب العراق ، الصافي الذي تثيره نخيل لبنان ، فيتذكر نخل العراق ، وتمر العراق ، لذا

نراه ـ من خلال هذه الذكرى يرسل الشعر شعرا حزينا ، شعرا يقطر اسا وحزنا ، شعرا مرا مريرا فهو يقول :

يا نخل«صيداء» لي هيجت اشجانا ... ذكرت من وطني اهلا وجيرانا
ما لاح طلعك لي الا وذكرني ... ربيع ريفي بطلع النخل مزدانا
كم ذكرتني بساتين النخيل هنا ... من نخل ريفي جنات وبستانا
وكم دعتني واغرتني لادخلها ... حتى الاقي بها اهلا وخلانا
يا نخل «صيداء» قد اشعلت نيرانا ... بقلب ناء بعيد الدار ولهانا

وكم تمنى الشاعر من كل قلبه ان يعود الى ارض وطنه ، ليتلمس ذكريات صباه عن قرب ، ويشاهد مطارح سعادته ، ويعيش فرحة ضاعت في متاهات الخيال ولكن هيهات فهو يقول :

الا يا ذكريات صباي هل من ... رجوع لي الى تلك الحياة
تذكرت الصبا فجلست ارنو ... لتلك الذكريات محطمات
ورحت اروم ان ابني قصورا ... بالوان التهاني عامرات
اذا بسواعدي وهنت وكلت ... وقد زال الهناء سوى رفات
فعدت الى قصور الذكريات ... وان هي اصبحت متهدمات
وقد اصبحت ما لي اليوم شغل ... سوى ترميم تلك الذكريات

ولكن لماذا لا يعود الى وطنه ، واشتياقه لارض العراق واهل العراق ، قد وصل به الى هذا الحد ؟ لماذا لا يعود الى اهله وخلانه يستمع لهم ، ويستمعون له ، يتحدث اليهم بكل ما لاقاه خلال مسيرته الحياتية الطويلة ؟ لماذا لا يعود ويوضح لاهل العراق ، كيف يعيش ، وكيف يجب ان يعيش اهل العراق ، لماذا لا يعود للعراق واهله ؟ ان السبب واضح جدا انه يقول :

اعلمكم بشعري الشعر ، لكن ... تعلمكم حياتي ما الحياة ؟

لماذا لا يعود ويتحدث اليهم بوضوح وايضاح نعم لماذا ؟ لا يعود انه يقول في هذا :

كيف الرجوع وان رجعت لواحد ... يهتاجني شوقا اليه الثاني
ابقي لاوطاني قلوبا جمة ... لا يكفني قلب ولا قلبان

هو اذا يعتبر ان كل ارض عاش عليها فترة من الزمن ، ما هي الا قطعة من قلبه وروحه ولذا فان :

طهران لي دار شغفت بحبها ... زمنا نعمت به مع الاخوان

ويعتبر دمشق الخالدة ، منبعا خالدا للخير والبركة ، مصدرا للحب والحسن ، ولذا فانه عاجز عن الابتعاد عن دمشق ، وارض الشام ، واهل الشام :

لا يرتضي الطرف شغلا عن محاسنها ... حتى تعادي فيها القلة الوسنا
ايقنت اني من اهل الجنان ففي ... دمشق أسكن جنات تفيض هنا
عجبت ممن اتاها كيف يبرحها ... فهل يرى في سواها عن دمشق غنى
ما جنة الخلد الا للذي سكنا ... بها وما النار الا للذي ظعنا
يكاد ينسى غريب الدار موطنه ... في ربعها ويعاف الاهل والسكنا

ويرى من جانب اخر وطنه لبنان واهل لبنان بالصورة التالية :

كيف الحجى يسلم واللب ... لبنان والخمرة والحب
في جو لبنان شذى مسكر ... فكل من مر به يصبو
لم يخط اهلوه وان اخطأوا ... هم نشاوى ما لهم ذنب
الحسن بالحب التقى فيهم ... فالكل منهم عاشق صب
الشعر يجري في احاديثهم ... فهم له منهله العذب
يا جنة ابدعها ربها ... ينبت فيها الحب لا الحب
ملائك اهلك في خلدها ... غذاؤها الرحمة والحب

ولا غرابة في ذلك حينما يرى في العراق كما قرانا ، ويرى في دمشق كما لمسنا ، ويرى في لبنان كما شعرنا ، ويرى ان كل ارض عربية واسلامية وطنه ، وان كل الشعب العربي اهله وعشيرته فهو القائل :

اني امرؤ عربي والعلى نسبي ... في اي ارض ارى عربا ارى وطنا

وحشته وانسانيته

لقد سار الشاعر دروبا شاقة وشائكة ، لقي خلالها الالام والمتاعب والاحزان ، لكنه كان على درجة كبيرة وعظيمة من التحمل والصبر من اجل مبدأه ، ومواجهة المشاكل وحلها باساليب مرنة وجادة ، الامر الذي جعله لا يستسلم لاية عقبة حادة تواجهه ، رغم حساسية شاعرنا الكبير ..

لقد عاش الشاعر معظم حياته بلا شريك ، ولا حتى شريكة تقف معه ، تحنو عليه، تضمه، تحتضنه، تواسيه، تنجب له ولدا على الاقل.

والامر لا يقف عند هذا الحد ، بل ان القدر يبعده حتى عن اقاربه وعن اهله وسكناه ، ويقف امامه حائلا دون عودته الى العراق ، امراضه التي تهاجم صحته .. لذا فهو يرسل الشعر بالم وحزن يحكي لنا ومن خلاله واقعه المرير الذي يلمسه ويعيشه فلنستمع اليه :

استقبل الستين مستوحشا ... لا اهل لا مال ولا ولد
لا مسكن آوي له ثابت ... لا سكن لا هند لا دعد
احفاد اصحابي لهم ولد ... وها انا من عمري جد
مشرد ليست له غاية ... في مهمه ليس له حد

الى ان يقول :

لم ادر ايان مبيتي ولا ... ولا اعلم ايان غدا اغدو
في الشيب هل تصلح لي حالة ... ما صلحت والشعر مسود
تعود الشوك على مهجتي ... من بعد ما قاطعها الورد
يسترشد الناس بنوري ومن ... نوري ما لي ابدا رشد
عكازتي من امل واهن ... امشي بها والجسم ينهد

وقد تاثرت الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي الاردنية المبدعة بهذه القصيدة ، فارسلت ابياتا رائعة ، حاولت من خلالها ان تخفف من مأساة شاعرنا الكبير فقالت :

يا شاعري ادميت قلبي بما ... تشكو من الدنيا وتربد
غنيتني لحنا حزين الصدى ... وما رحمت الدمع اذ يبدو
علام هذا الحزن يا شاعري ... وانت لا مال ولا ولد
لا مطمع يغريك لا هاجس ... يشجيك لا قرب ولا بعد
اقصيت دنيا الشر في عزلة ... اليس منآها هو القصد

الى ان تقول :

حنان دعد ترتجي لاهفا ... وكلنا يا صاحبي دعد
فان جهلت الحب في قلبنا ... فانك المسؤول لا الجند
وانني نبع الحنان الذي ... يندى على الاوتار ان اشدو
حياتك البيضاء انشودة ... وقلبك الصافي هو الخلد
ونحن في الدنيا على سعدنا ... تتناشنا الاحزان والجهد
احلامنا كثر والامنا ... كثر وما للمشتكى حد

ويواجهنا امام وحشة الشاعر الصافي ، انسانية الصافي ، انسانيته حينما تقع عينه على مريض او بائس او جائع ، وها هو يصور حالته مع طفلين يتيمين جائعين :

طفلان قد ضم الشقا روحيهما ... فتآخيا وتقاسما الالاما
قد مات في نائي القرى اهلوهما ... قدما وقد نشئا بها ايتاما
جاءا الي وقد نعمت باكلة ... والجوع اشعل في حشاي ضراما
فاذا الطعام يغص في حلقي ... فكان شوكا في فمي شبحا وعظاما
فنفضت من اكل شغفت به يدي ... لهما وقد حضنا الطعام هياما

الصافي وبعض ما قيل عنه

المس ان معظم الناس تاخذ اكثر مما تعطي ، لكن هناك رجلا مبدعا، هو الصافي ، يعطي ولكنه لا ياخذ على الاطلاق .. وعطاء الاخرين قد يكون عطاء فاسدا ، عطاء منمقا ، عطاء خادعا .. لكن عطاء الشاعر الصافي ، ياتي صافيا حرا بانيا مربيا مبدعا خلاقا متململا ، وليس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك فحسب بل انه لم يطلب مقابل هذا العطاء الضخم ، اي شيء ، لم يطلب المال ، ولا الفراش ولا الرياش ..

قال شعره من اجل الحياة ، من اجل وطنه وقومه ، من اجل كرامتهم وعزتهم وشرفهم ، من اجل حرية ارضه وتراثه ، ولم يطلب مقابل ذلك جاه ولا مال ، بل انه يشعر ان من واجبه ان يقول ما قاله .

لم يتزلف للوجهاء والزعماء والقادة ، بل عاش حرا شريفا مستقيما كشعره .. كان في امكانه ان يكون تاجرا فيبيع شعره وكلمته ، ويصبح ذا مال وجاه وفراش ورياش ، لكنه لم يرض لنفسه ولشعره هذا المسلك الذي يرضاه العديد من شعراء اليوم ..

عاش طول حياته شريفا ونزيها ، لا يقول الا ما يعتقده ، ويؤمن به ، لذا شرد وتشرد ، وعذب وتعذب ،الامر الذي يجب على كل فرد منا ان يواجه سلوك هذا الشاعر العملاق باكبار وتقدير واجلال .

ولقد قال عنه الكثير قولات سامية ورائعة ، قال عنه الشاعر الكبير الزهاوي :

« السيد احمد الصافي شاعر كبير خليق بالاكبار فهو كوكب وقاد قد طلع في سماء الادب ، بازغا فملأ العيون نورا ، والقلوب سرورا ، وانك لتجد في قصيدته العصماء شعورا تنزه عن التقليد والمبالغة ، ووصفا ساحرا ، وتجد سبكا رصينا ، واسلوبا فاتنا ، والفاظا سهلة ، ومعاني مبتكرة ، وسيكون لشاعرنا النجفي هذا ، شان في العراق وغير العراق فيالبلاد العربية، ويذيع صيته كما يذيع ضوء الصباح المسفر».

وقال عنه الشاعر الكبير ايليا ابو ماضي :

« الصافي شاعر تجردت نفسه من المطامع وسمت عن محيطها ، فهي لا تبالي ما اصطلح عليه الناس من عادات وتقاليد ، بل هي تطل عليهم ، وتأخذ في توبيخهم لانهم لا يتجردون تجردها ، ولا يتمردون تمردها .. »

وقال عنه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد :

« انه اشعر شعراء العربية » .

وقال عنه الشاعر الياس ابي شبكة :

« احمد الصافي النجفي ـ هذا الاسم سيعيش طويلا ويخيل الي اني ارى خيال الاسطورة على احرفه . .»

وقال عنه الاستاذ رئيف الخوري :

« لقد تقمصت في الشاعر ارواح شعراء كثيرين فيه روح المتنبي، وفيه روح المعزي ، وفيه روح ابن الرومي ، وفيه روح ابي نواس ، وفيه روح ابي العتاهية ، وفيه روح ابي الشمقمق .. »

وقال عنه الشاعر الكبير رشيد سليم الخوري :

« انك عندي ابرع من نحت التماثيل الشعرية الزاخرة بالحياة من صخرة الواقع الملموس ، في حين يعقد ادعياء الشعر من (لا شيئهم) صخورا يهوون بها على قلوب الناس وارواحهم .. »

وقال عنه الشاعر الكبير بدر شاكر السياب :

« الصافي عالم قائم بذاته ، متسع الافق بشكل لا مثيل له عند اي شاعر عربي بمفرده لم يترك موضوعا الا وطرقه ، ولا عاطفة من عواطف النفس الا وصورها ، فهو شاعر فلسفة وحكمة وهجاء وسخرية وغزل ووصف وطبيعة وهو شاعر ذاتي الى ابعد حدود الذاتية وموضوعي الى ابعد حدود الموضوعية انه ظاهرة ضخمة في الشعر .. »

وقال عنه الشاعر محمد علي اليعقوبي في قصيدة القيت عنه في الحفل التكريمي الذي اقيم تكريما للشاعر الكبير الصافي فيدمشق قال:

نحييه وان نـأت الديـار ... ونكـرمه وان شـط المـزار
ونهتف باسمه فنميل تيهـا ... كما مـالت بشاربها العقار
اذا العربية افتخرت وعزت ... «فاحمد» عزها وبه الفخار
لهقصب السباق فليس يخشى ... عليـه بحلبة الادب العثـار

والقصيدة طويلة ورائعة ، ولولا ضيق المجال لما ترددت في اثباتها .

وقال عنه الدكتور يوسف عز الدين :

« من يريد ان يدرس حياتنا في المستقبل فلن يجد مشقة كبيرة في فهم الحياة التي عاشها هذا الرجل من شعر الصافي » ..

وقال عنه الاستاذ عبد اللطيف شرارة :

« انه يعبر بشعره عن حضارة خاصة كطاغور والمتنبي وجيته.. »

وقالعنه الكثيرون اقوالا كثيرة ورائعة، ولكنني اثبت ما امكن اثباته.

وبعـــد

من هنا ـ من « نجد » ـ من قلب العروبة النابض نبعث بتحية ، بل بتحايا جمة ، تصدر من القلب من اعماقنا لشاعر العروبة الفحل الاستاذ الكبير احمد الصافي النجفي .

وهذه الدراسة المتواضعة تحية قاصرة لشاعر هذا الجيل ، ومعلم هذا الجيل ، وفيلسوف هذا الجيل .

يستحق الشاعر المبدع اكثر من تحية ، واكثر من دراسة ، واكثر من تدريس لشعره في مدارسنا وجامعاتنا . يستحق ان نأخذ من حياته العبر ، ومن فلسفته الدروس والحكم ، ومن سلوكه الصمود والقدرة على مواجهة التحديات .

يستحق ان نلفت انظار ابنائنا الى شعر الصافي وادب الصافي ، وفن الصافي ..

يستحق ان يكون اسمه اغنية عذبة يرددها الشيوخ والامهات ، والشباب والفتيات ، والاطفال .. انه انشودة رائعة من اناشيد عالمنا العربي الصاخب ..

انه القائل :

ولي في الشعر مدرسة وشعر ... وآيات تلوح ومعجزات
اعلمكم بشعري الشعر لكن ... تعلمكم حياتي ما الحياة

الرياض — عبد العزيز بن عبد الله الربيعي

حرمان

سأم يحطم خافقي وهوى يعربد في ضلوعي
وصبابة تفني الرغاب المورقات مع الربيع
وطيوف اشواقي العذاب الذاهبات بلا رجوع
أبدا تظل تسربل الاعراق بالوهم الفظيع
حسناء قد نضب الرجاء وضج بي ألم الولوع
هل لي لوصلك غب تشريد الاماني من شفيع ؟
اني هنا اقتات من سأمي مع اليأس المريع
أرنو الى الافق الطعين وقد تسربل بالنجيع
حيران لا امل يلوح وليس من خل سميع
الا الاماني الذاهبات تظل توغل بالسطوع
وتميت أحلام الهوى والشوق في قلبي الوجيع
حسناء قد جفت دماي وثار في الاعماق جوعي
لو ترجعين غدا الي لذبت في حلم الرجوع

بغداد — عبد الخالق فريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع الربيع

★

وجه الربيع ، ولا اسائله ... ماذا على القسمات يرتسم
لفح الهجير ظلاله ، ومشى ... يقتص من قلبي ... وينتقم
عفو الربيع ، ففيه ملتمس ... للمجتلين ... وفيه ملتثم
ضحك الوجود على مفاتنه ... حلو الرجاء ، وقطب العدم
كل الوسائم من ازاهره ... تجلو حبيب هواه ، او تسم
واذا سألت على اسمه كرما ... بذل الحياة به ، هو الكرم

ماذا تريد ؟ وما تركت له ... الا الضنى ، يا سقم ، يا ألم
هذا المعذب في .. معدنه ... لحم وفيض خواطر ودم
الجانيات به ، مشاعره ... هل في المشاعر آثم ما يصم
يا مجرم الخطوات ، خل بها ... عذر البريء ، فانت متهم
ان القلوب خواطر ورؤى ... خلف الجوانح ، والمنى حلم
تلك الظلال ، وحسب وارفها ... نعمى ، تهش لها ، وتبتسم
ترك الخيال لها جوانحه ... فصفا الخيال ، وصور القلم
نامت حروف في متارفه ... ريا الهوى ، وتيقظت كلم
لو يدرك النغم الجريح بها ... لن الهوى والحب ، والنغم
عندي ، وعند جوانحي خبر ... عنه ، ولكن ، فوق ما علموا
لي غربتان على جزائره ... وقرابتان : الحب ، والالم

قل للربيع ، ولا اعاتبه ... اين البشاشة ، اين ما زعموا
اين الضحى : لفت غلائله ... خضر السفوح ، ولفت القمم
اطبقت جفني والطيوف به ... تنثال هازجة ... وتزدحم
هي وحدها اغلى عرائسه ... لا الدهر يرخصها ، ولا القدم
لي فيه حسن اسمر وهوى ... هامت به الاخلاق والقيم
يزجيه من اسرار ملهمتي ... سر عن العشاق مكتتم

طرطوس ـ سورية

احمد علي حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ أريد هذا المقعد ..

واشار الى المكان على الجدول ، تطلع اليه المسؤول قائلا :

ـ انه مشغول .

ـ خلفه .. بجانبه .. الذي يليه ...

ـ الصف الخامس ؟ ..

ـ اجل الـ ... الصف الخامس طالما انه المكان الوحيد الشاغر ، البديل الوحيد .

أجلسها الى جانبه، قرب النافذة، تأملها طويلا ، وخفق القلب طربا .

خمسة صفوف من المقاعد تفصله عنها ، خمسمائة ميل ، المسافات تبدو قريبة ما دامت بجانبه ، لم تفارقه لحظة ، جوهرا في كل ذرة من كيانه .

التفت نحوها ، تحجرت الملامح الضاحكة ، كان شابا في مثل سنه تقريبا ، مهندسا تخرج حديثا ، التقي به قبل اليوم . يد المهندس تمتد اليه بلفافة تبغ ، أخذها ، هز له براسه شاكرا ، أجال النظر في « الباص » ، ـ مدينته الصغيرة هنا ـ فيه اكثر من وجه يتبادل واياه المعرفة .

افتقدها ، لم يجدها ، تاه في المدينة الصغيرة ، يبحث عنها فوق المقاعد واستقرت عيناه حيث كانت تجلس ، لقد احتلته سيدة بدينة مسنة ، بدالة شعرها الاغبر بعيد قذرا باهت اللون .

تنهد ، غابت عنه العينان الذكيتان ، والشفتان الرياتان ، وحديث قدر له ان يبدأ فلا ينتهي .

انزل المحفظة عن الرف ، وضعها في حجره ، فتحها برفق ، استرق اليها نظرة حانية ، اخرج الكتاب ، ضمه الى صدره ، قصة عمره التي بدأ بها قلبا ، وفكرا ، وروحا سفحها جميعا على الورق ، مع نور عينيه ، واعصابه ، واحلامه ، واخذ يقلب صفحاته ، أحس به يقفز بين يديه فرحا وشوقا للقياها .

هل ستقرؤه حقا ؟ .. واين تستقر كلماته .. حروفه .. في القلب ، ام العينين الضاحكتين ، ام تراه قد سبقه الان اليها فامتزج بروحها ، وفكرها الالمعي ؟ ..

ام انه اضحى اغنية ترددها شفتاها ؟ ..

ويرتفع من المذياع صوت مخملي، « ... يا مرسال المراسيل عالضيعة القريبة .. خدلي بدربك هالمنديل واعطيه لحبيبي .. »

وهو ماذا يملك ليعطيها ، غير عمر صاغه في كتاب بعد ان نفضت عنه يداها الملائكتيان غبار ثلاثين عاما من الكسل والضياع .

ويعاود صوت « فيروز » يردد الاغنية من جديد .

اوهام على الطريق

بقلم محمد رؤوف بشير

التفت الى جاره المهندس يسأله :

ـ هل وصلنا « حمص » ؟ ...

وخيل اليه انه ابتسم ساخرا وهو يقول :

ـ كلا لم نصل .. في « حمص » يتوقف الباص نصف ساعة للاستراحة .

وكأنه اراد ان يضيف :

ـ وما دمت محشورا هنا بجانبك لم اتحرك .. ولم ينزل احد من الركاب ، فهذا يعني بوضوح اننا لم نصل .

اعاد الكتاب الى المحفظة ، وجلس صامتا .

السماء تبدو مكفهرة غاضبة ، والغيوم الدكناء تسيل على النوافذ الكبيرة مطرا غزيرا ومن بعيد يلوح نهر « العاصي » رهين السد عاليا يكاد يطفي عليه ، ويقطع الطريق .

غمرته موجة من الكآبة ، واخرج بطاقة السفر من جيبه ، رقم مقعده ثلاثون ، الرقم الذي لازمه في سجل ميلاده قيدا من التشاؤم لا سبيل للفكاك منه، لقد جاء الى الدنيا معه، ولدته امه هو الاخر ، فهو توأمه الذي لن يفارقه ابدا . وبرقت في ذهنه فكرة : « الرستن » منتصف الطريق ، وبعد ثلاث ساعات سيكون قد وصل ، وبذلك يتيسر له فرصة اللحاق بها قبل انتهاء وقت العمل .

واشرقت الفرحة في قلبه ، وابتسم المسير .

فكره يصحو ، الغموض يتلاشى ، عيناه تقرآن احجار المسافات ، تعدها، تختصرها، تنظر الى الساعة، الوقت يمضي بطيئا ، واشارات المسافة حلم لا يدرك الا بالتعاويذ والصلوات .

ست ساعات لم يتوقف الحديث وهو يجري بينهما ، عيناه لا ترتويان ، تتيهان في وجهها الطفولي ، في دوامة الخدر اللذيذ .

القلب يقود الكلام يدفعه كشلال نور ، واللسان يطيع ، يفيض بالمعجزات ، يجيب عن الغيبيات ، ما مضى منها ، وما هو آت ،

ـ نحن خمسة اخوة .. صبيان ... ثلاث بنات .. انا اكبرهم ..

واشرقت الدهشة في عينيها الواسعتين وهي تقول :

ـ نحن خمسة اخوة ايضا .. صبيان .. وثلاث بنات ...

ـ ... توفيت والدتي وانا صغير ...

اكمل بغصة ، واحس بالجملة الاخيرة تسقط ثقيلة حادة ، وهي تروع الوجه البريء « ـ أتراها فقدت هي الاخرى احد ابويها .. ام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انه احساس عفوي بالمشاركة العميقة في حزن ابدي » ..

ـ كنت تلميذا متفوقا ... وكانوا يلقبونني بـ « صاحب المواهب المتعددة» وان كان اقربها لى نفسي، ان اغدو اديبا ... كاتب قصة .

ـ وهل كتبت فعلا .. ام بقيت في حدود الاحلام ..

وابتسمت ...

ـ كتبت ... ونشرت بعض قصصي .. في مجلات مرموقة .. ولكنني لا اعرف كيف توقفت .. ولماذا .. لاجد نفسي بمرور الزمن تائها ضالا .. عاطلا عن كل موهبة .. مجرد مخلوق عادي .. لا شيء البتة .. ان اي انسان بمقدوره ان يدرس ويحصل على الشهادات العالية .. ولكن نادرون جدا اولئك الذين يستطيعون ان يكونوا فنانين حقيقيين ...

وتوقف ، ما باله يتحدث كالطفل الصغير ، ان انفتحت مغاليق فؤاده، كم من النساء التقى ، وكم مرة سافر على الطريق من بلد لاخر ، لم يشعر مرة بهذا الاحساس الذي يفيض بكل دقيقة من عمره ، ونظر الى عينيها وكانه يقرأ قصة حياته فيهما كلمات ، وسطور ... فلم يتابع ...

ولمحت في نظراته اسئلة حائرة ، تتردد من خلال غيوم الاسى تستنطق شفتيها كطفل صغير :

ـ اما انا فأوسط اخوتي ... طالبة في السنة النهائية لكلية الطب .. بعد ايام ساكون طبيبة .. و ..

وتوقفت ، هي الاخرى بدأت تحس بانزلاقها العفوي في متاهات خضراء ربيعية ...

شيء ما يجري في عروقها دافئا جارا لينعكس وردیا على خديها ، ابتلعت ترددها ، اخفقت انفعالاتها في مكان ما خلف اهدابها الطويلة الظليلة ، رسمت قناعا جديا على وجهها ، وغيرت دفة الحديث :

ـ يخيل الي ان خير وسيلة تجد نفسك فيها ثانية هي ان تعود لى الكتابة من جديد لقد تنهدت عند ذكرك الادب الذي اضعته .. لا بد وانه اهم شيء في حياتك ..

ليست طبيبة جسم فقط ، بل هي طبيبة النفس ايضا .. ابن سيناء الجديد هنا بجانبه ..

وانتبه على ضجة المدينة الكبيرة فجاة ، رجلا عاقلا يفكر ، انتابه نوع من الفزع ، انه يخاف ، والخوف لا يأتي الا مع الحب والحب في بلده امر رهيب ، ممسوح مثل اكثر المفاهيم الجميلة والسامية .

نزل من الباص ، كان الطريق الوحيد امامه ان يهرب بعيدا عنها ، عن نفسه التي وضعها بين يديها عارية مكشوفة ، وهو ما يكاد يعرفها الا منذ ساعات قليلة على الطريق قد لا يجتمع بها فيه مرة اخرى .

ولاذ بالفندق ، بزملائه ، ومعارفه الكثيرين ، أغرق ليله في ضياع المدينة الكبيرة ، ولكنها كانت على الدرب معه تستمع اليه ، وترشده لتنقذ ما غرق من روحه وكاد ان يتلاشى .

لا يذكر كيف انطلق في الصباح الى العمل ، الى عمله الذي سافر من اجله وشعر وكانه شاة علقت من رجلها في وضع مقلوب فلم يدر ما انجز منه وما ابقى لليوم الثاني .

كلا لم يعد يستطيع الفرار ، لم يعد مجديا ، فالمرء لا يستطيع ان يهرب من ذاته من اغوارها البعيدة .

وهكذا سار الى المستشفى ضعيفا وجلا ، لا كمريض ، وانما كفأر يسعى الى المصيدة .

العينان الضاحكتان اغراء طعم شهي ، ودعوة لجوج للسقوط في قرارة الشرك .

وبقي الكلام على شفتيه باردا جبانا وهو يحاول ان يستر ما فضحه حديث الطريق ، ولم يدر انه يزيد به نفسه تعرية وفضحا ، ليثبتها في ذاكرته وخلاياه دما لا سبيل الى تغييره او الخلاص منه .

وكان لقاء ثان ، ولم يبق لديه ما يخفيه او يهرب منه ، فاخذ يسكب حياته قطرة قطرة على راحتيها ، منذ ان التقا ابواه .. منذ ان غرساه في مزرعة الحب ، لم يبخل بشيء ، لم يكذب ، وهل يكذب القلب عندما يتكلم ! ..

انتهى الوقت المحدد لعمله في مدينتها ، انتهى قصيرا ، سريعا كحلم مضطرب غير واضح المعالم ، ولم يكن مفر من العودة .

وعندما ودعها على باب المستشفى كانت تدرك بغريزة حواء الواثقة ، انه سيعود الى الجنة في السماء ، او الى الارض ، او قرارة الجحيم ، لكنه سيعود على اي حال .

يد المهندس تمتد باللفافة الثانية، اخذها ، وضعها بين شفتيه ، وبدأ يمجها وهو يرقب الدخان المتصاعد في خطوط متعرجة الى سقف « الباص » .

« الباص » نفسه لم يتغير ، والمضيف الاسمر يوزع السكاكر باسما ، وبدا له وجهه حبيبا الى قلبه ، وعندما سأله اذا كان يرغب في شيء ، كاد ان يحتضنه ويقول ليته يضعها بجانبه وليطول الطريق ، ويطول الى نهاية العالم .

المدينة الكبيرة تبدو ملفوفة بالغيوم باردة كالحة ، والانوار تتلألأ من خلال رذاذ المطر كيراعات صغيرة في ليلة مظلمة ، واحساس مختلط من التفاؤل والكآبة يغمره ، والمياه تسيل في الشوارع كالانهار.

نزل من « الباص » وتبعه المهندس ، اوقف سيارة اجرة طلب من السائق ان يوصله الى الفندق الذي اعتاد ان يقيم فيه ، ولكن السائق اجاب متضاحكا بأن ذلك لا يمكن تحقيقه الا سباحة بعد ان غمرت السيول كل ما يحيط به .

واخذت البرودة تسري في بدنه وكأنه غارق الى منتصفه في مياه تلك الليلة الشتوية القارسة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وضع حاجياته في فندق مرتفع لا يقتضيه الوصول اليه ان يجيد العوم ، ودون ان يستريح لحظة واحدة ركض يلهث الى مكان عملها .

المستشفى الكبير بادي النشاط، والبواب بردائه الابيض قد ارتد سؤاله عليه وهو يقفز السلم وثبا الى جناحها في قسم الجراحة ، رائحة الادوية لم تعد تزكم انفه ، وانات المرضى ضحكة الحياة واشراقة الامل ، كل ما في المستشفى رائع وجميل كحديقة في يوم ربيعي باسم .

على باب غرفتها وقف يسترد انفاسه اللاهثة ويصلح من هندامه ، تذكر لاول مرة انه في مكان رسمي، مكان عام . طرق الباب برفق ، فتحه ودخل ، تسمر في مكانه ، ولا بد انه قضى وقتا منتصبا كالتمثال قبل ان تسأله احداهن عن غايته :

ـ عفوا ... ايـن زميلتك « الدكتورة » ؟ .

نظرت اليه طويلا وهي تتفحصه كمن التقط سرا ثم اجابت :

ـ سافرت .. ؟ .. منذ متى ؟ .

ـ مضى عليها ثلاثة ، او اربعة ايام ..

« لقد عادت اذن ؟ .. هي الان في مدينته التي يعيش فيها ، وقد مضت عليها ايام .. وايام ، لم تسأل عنه ، لم يلح عليها السؤال ، لم يطف بذهنها ، وبقي قريبا بعيدا، وهو هنا في مدينتها يزحف اليها تحت الامطار في الطين البارد » ..

ـ ومتى ستعود ؟ ...

ـ ربما بعد ثلاثة او اربعة ايام .. حصلت على اجازة اسبوع لزيارة شقيقتها ...

« ثلاثة .. او اربعة ايام .. المدة اللازمة لبقائه وانجازه عمله ، حتى اذا ما رجع الى مدينته كانت في طريق عودتها ... لا لن يمكنه البقاء اكثر والا كلفه ذلك لقمة العيش حياته القصيرة ذاتها .. ثم من اجل من .. ولماذا ؟ .. » .

وخرج لا يلوي على شيء .

الريح تصفر في وجهه ، تلسعه ابرا ، والطريق موحش كئيب ، وبرك الماء تنتشر فوقه سوداء موحلة، وغرفته في الفندق التعس رمادية باردة ، واوصاله ، وجهه لم يعد وجهه ، تطلع اليه في المرآة ، كان حطاما ، بقايا حطام مومياء . الكتاب على الطاولة وحيد حزين ، تئن حروفه وكلماته بين دفتي غلافه الخانق ، لن تطالعه عيناها الطفوليتان ، لن تهمس به شفتاها ، ولن يتسلل دما حارا الى قلب لا وجود له في صدرها .

« ماذا طلب منها ؟ .. كم دفعت من قيمته في سوق النخاسة ، من سعره ثمنا لعريه ، ثمنا للانسان الذي وضعته على طاولة التشريح حيا ، ففمرته اللذة ، وطغت عليه السعادة ، بينما كانت يداها الماهرتان تعملان فيه مبضع الجراحة الحاد كيفما شاءت ، واليوم تريد حرمانه حتى من الوهم الجميل على مشرحة السعادة الكاذبة صحيح انه لا يستطيع ان يقدم اليها الكثير ، فهو لا يملك شيئا سوى الحب والوهم الكبير ، وخيالا ينسج من عواصف الشتاء ربيعا يسير وقلبا ينساح على الورق كلمات وكتاب .

ارخيصة هذه كلها ؟ .. لا تساوي حلما مخادعا تقدمه حواء بتفاحة فجة لم تدفع ثمنها في يوم من الايام، الامر كله بسيط عادي ، لا يستحق ان تهرب منه كالطيور المهاجرة من بلد الى بلد ، سيعود الى مدينته ، الى بيته ، لن يسافر في « الباص » ولن يتبعه السؤال عن المقعد الذي كانت تجلس عليه بجانبه ، اما عيناها الذكيتان وشفتاها ، فلن تطوف بخياله .. فما اكثر الاوهام على الطريق ...

ـ اريد المقعد رقم ثلاثين ..

واشار الى المكان على الجدول ، تطلع اليه المسؤول وقال :

ـ انه مشغول ...

ـ اريد مقعدا خلفه ..

ـ لا يوجد ..

ـ الذي يليه .. بعده .

ـ في الصف الثامن ؟ ..

ـ اجل في الصف الثامن ..

وابتسم قاطع التذاكر وهو ينظر الى وجهه نظرة ذات مغزى .

كانت هناك بجانبه ، انسانة تشبهها ، جلست على المقعد قبله ، تأملها طويلا ، ولاول مرة في حياته تمنى لو انها استحالت الى رجل ، مهندس يجلس بقربه صامتا ، ويقدم اليه لفافات التبغ ، لعله يعيد اليه وهما عاشه او يبعد عنه وهما جديدا قد يتعلق به كالسراب .

حلب — محمد رؤوف بشير

رقص القلب

رقص القلب من الوجد رقص ... كهزار عالق طي القفص
وجهها كالبدر الا انه ... كلما ازداد كمالا ما نقص
قصة .. ما بيننا اخفيتها ... قصة الحب لمن أحلى القصص
لم أمتع شفتي من ثغرها ... غصة .. والحب هم وغصص
فرصة ضيعتها من شقوتي ... ولكم ضيعت في العمر الفرص !

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاعرتي ؛ اعذريني

★

شاعرتي الحبيبة الحزينة
شاعرة الشرود في مواكب السكينة ..
شاعرتي ، اعذريني
لأن في قرارة الجفون
هواك ، يا أميرتي الحزينه !

حبيبتـي ،
وليس في خاطري الاساءة
اليك ، يا شاعرة البراءة
ان رحت أنعي القبح والرداءة ..

وأنت للخيـال
أميرة الجمال والدلال ،
وشعرك الملهم لا تمسه الاساءة !

حبيبتـي
لا تغضبي للهجتي الصريحة الجريئة ،
للغتي البسيطة البريئة ،
لأنني ، سلمت يا رفيقه
أواجه الحقيقه
وسادة ((التجديد)) لا يدرون ما الحقيقه !
لأنني أعرف ما أريد
أعرف ان اقول ما أريد !

الشعر ، يا اميرتي الجميله ،
الشعر كالطفوله ،
كالعطر في براعمه الخميله ،
كالهمس في جفونك الكحيله !

وليس من مكـان
لبيت شعر كالح جبان ..
وليس من مكان
لشاعر يطوف في الظلال
يبشر الحياة بالزوال !

الشعر يا أميرتي الجميله
كالحب ، كالطموح ، كالبطوله
وليس للفنـاء
قصائد ، حروفها ضياء ،
وملعب لبوحها
السـمـاء !

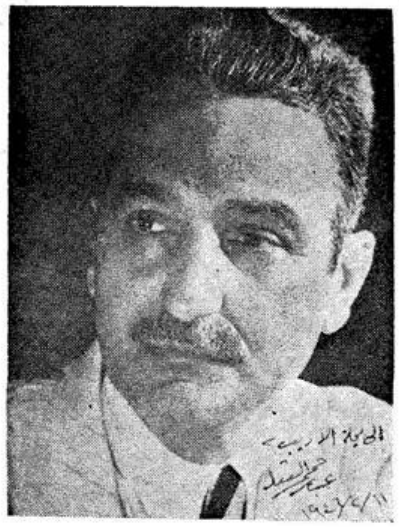
وبعد ، يا شاعرة الحنان ..
الشعر ، ان يجاوز الزمان والمكان
وان يجاوز القوافي الغناء والاوزان
فلا يصح ان يجاوز الانسان
وأن يسفه الشعور والوجدان !

الشعر ، ان جرد من عرائس الازاهر
وزكم الانوف ، من روائح المقابر
وصير البشـائر
نعيب شؤم في فم الغراب
والقـم الاحـلام للسراب ..
الشعر ان يحطم الجبـاه
فليس شعرا قيل .. للحياه !!

ومرة ثانية أقدم الاعذار
لانني أحب قلبك البريء
كالنهـار ..
لأن ليس في خاطري الاساءة
اليـك
يا شاعرة البراءه

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عباس محمود العقاد

مع العقاد بين علمه وعقله

بقلم لطفية الشهابي

* * *

اذا كان الخليل بن احمد قد رأى ان علم ابن المقفع اكثر من عقله ، واذا كان ابن المقفع قد رأى ان عقل الخليل اكثر من علمه ، فان قارىء كتب العقاد ليحار في المفاضلة ؛ وربما لا يستطيع ترجيح علمه على عقله ، ولا عقله على علمه ، وذلك ان لكليهما تأثيرا كبيرا على القارىء يجتذبه ويستهويه ، ويفيده ويوسع افاق تفكيره ومداركه .

ومن يقرأ كتب العقاد يشعر بأن عقله وعلمه يفرضان نفسيهما على كتابته ويظهران بجلاء من خلال سمات اساسية واضحة في كتبه . واولى هذه السمات : كثافة المادة العلمية . وثانيتها : تلك الموسوعية والشمول في المعرفة . وثالثتها : المنطقية المساعدة على الجدل والمناقشة .

ولتوضيح فكرة كثافة المادة العلمية قد يجدينا ان نقول : ان قارىء اي كتاب من الكتب ربما يخلص من قراءته ويعمد الى تلخيصه في كثير من السهولة واليسر ، لانه لا يزيد على افكار اساسية لجأ كاتبها الى مناقشتها وشرحها وتبسيطها في شيء من التكرار والالحاح ، ويمكن للقارىء ان يستوعبها وان يعيدها الى حجمها الاول الصغير في مخطط موجز بسيط . اما كتب العقاد فربما تستعصي في كثير من اجزائها وانواعها على التلخيص . وليس ذلك بسبب الغموض الذي قد يحسه القارىء في بعضها ، وانما بسبب كثافة المادة العلمية فيها على ما اظن ، وذلك بدليل ان القارىء يشعر احيانا بامكانية ان يشرح ويوسع ويبسط حتى يزداد فهما وتعمقا ، لا ان يلخص ويوجز . فنتاج العقاد الادبي هو خلاصة ما حواه ذلك العقل الكبير من علم واسع ومعرفة فذة وتجارب دقيقة . ومن اين للقارىء ان يلخص خلاصة وضعها العقاد . ولكن قد يسهل بعض الشيء دراسته وفهمه ، الحاحه على الفكرة لا في المقال الواحد او في الفصل الواحد ، وانما في مقالات متعددة او زوايا مختلفة من كتبه .

واذا كانت موسوعيته تتجلى في تنوع مؤلفاته وكثرتها من جهة ، فاننا قد نستطيع استشفافها من خلال كتاب واحد ، من جهة ثانية . ومن الكتب التي تظهر فيها موسوعيته : يومياته وكتابه الذي جمع فيه عددا من مقالاته واجوبته على اسئلة القراء ومناقشته لبعض ما يعترضه من اراء وهو كتاب « يسألونك » . وقد يكون الكتاب الواحد من هذا النوع اقدر على ابراز موسوعية مؤلفه من الكتب الاخرى ذات الموضوع الواحد . ذلك لان القارىء في احد تلك الكتب يخيل اليه ان المؤلف واسع الافق في الموضوع الذي هو فيه ، وربما لم يكن كذلك في غيره . اما الموضوعات المتفرقة التي حواها كتاب « يسألونك » مثلا فانها تعكس سعة اطلاع كاتبها في جوانب مختلفة متباعدة . ويرى القارىء نفسه بعد انتهائه من قراءته ، لا كمن زار بيتا وجلس في غرفة واحدة مرتبة وانيقة من غرفه ، وانما كمن زار بيتا وتجول في كل جوانبه واطلع على ضروب التأنق والترتيب والثراء والفن الذي يحتويه .

فنحن ننتقل مع الكاتب من ادب حديث الى اخر قديم ، ومن زاوية اجتماعية الى قضية لغوية ، ومن حديث عن مشكلة عالمية الى اخر عن قضية وطنية محلية ، ومن علم الى فلسفة ، ومن لغة الى تأمل . وقد يذكرنا هذا التنوع وتلك الموسوعية في معالجة افكار الكتاب بتنوع مادة كتب الجاحظ ، مع فارق اساسي واضح وهو ان الجاحظ اورد مادته المتنوعة بطريقة الاستطراد المشعثة المنسجمة مع ظروفه وعصره ، وان العقاد عمد الى جمع مقالاته المتفرقة واجوبته المختلفة فكان لديه تنويع منسق مقبول .

واما المنطقية فانها لا تغادر كتابة اديبنا هذا في اكثر ما كتب ، وهي في ظني التي ساعدته على الجدل والنقاش . فكل شيء عنده له سبب . ان ناقش انطوائيته في كتابه « انا » لم ينس ان يبين اسبابها ، وهي عنده « الوراثة ـ الطفولة التي عاشها ـ وتجاربه في الدنيا » . وان تحدث عن ايمانه بالله ارجعه الى « الوراثة والشعور والتفكير الطويل » . وحين يذكر الاسباب التي جعلت منه كاتبا

يرى انها « التشجيع والظروف والمثابرة » . واذا تكلم عن فلسفته في الحياة رأى ان فلسفة الحياة تستمد من « الطبع الموروث وتجربة الحوادث والناس ، والدرس والاطلاع » . تلك نماذج من منطقيته وارجاعه كل شيء الى أسباب معينة اوردها من كتابه الذي جمعت مادته ونشر بعد وفاته باشراف طاهر الطناحي .

وليست مقالاته في « يسألونك » بأقل منطقية مما راينا . فقد اراد مثلا ان ينفي ما وصفنا به الغربيون من عاطفية وخيال فسلك الى ذلك اسلوبا جدليا عقليا منطقيا. وكذلك فعل حين احب ان يثبت ان في مصر فلسفة وان الفلسفة خير وليست شرا كما يتوهم بعض الناس ، وحين ناقش قضية الارادة والعمل ليخرج منها الى انه لا يمكن ان يكون هنالك عمل بغير ارادة ، فاذا اردنا عملنا ، واذا ضعفت ارادتنا ضاعت اعمالنا، وحين ناقش قضية تفضيله الشعر على القصة . ولا تكاد تخلو مقالة من مقالاته من هذه المنطقية وتلك التعليلات بذكر الاسباب واستنتاج النتائج .

وهذا لا يعني ان كل ما يقوله العقاد صحيح لا شك فيه ، وانما يعني انه يأخذنا بهذه القدرة الجدلية الفياضة فيكاد ينسينا كل شيء اخر حتى افكارنا المعارضة لفكرته، وذلك لكثرة ما يضربه من الامثلة وما يأتي به من الادلة والبراهين المنطقية .

ومنطقيته هذه قد تظهره بعيدا عن الانسياق العاطفي وراء افكاره ، وعن الحرارة الاسلوبية التي تخلقها العاطفة في اكثر الاحيان . وابرز ما تتميز به عقلية العقاد من خلال كتابته هذا الكبرياء المفرط الذي يقربه صراحة في الفصل الاول من كتابه « انا » ، ولكنه يعلله فيحسن التعليل حين يرى ان كبرياءه ليست على الضعفاء او الفقراء او المساكين ، وانما هي ردة فعل على المتكبرين المتغطرسين المتعالين . وربما كان شعوره بسعة عقله وعلمه باعثا فيه هذا الكبرياء . هذا بالاضافة الى حبه للحرية والانطلاق . فهو اذا بما تحلى به من مميزات شخصية لا يمكنه الا ان ينقم على مبدأ يقيد حريته او يسلبه شيئا من عظمته وشموخه الذي بناه بعصاميته وعبقريته . انه يؤمن اشد الايمان بالمواهب الفردية ، ولذلك فهو يكره ان يتساوى موهوب وغير موهوب ، لان هذا الفرق وجد بين الاثنين بالفطرة والطبيعة .

ومنطقية العقاد وحبه الايجاز وانطوائيته كل ذلك ابعده عن سرد حياته الذاتية في ترجمة تفصيلية ، واكتفى ببعض الفصول المتفرقة التي عكست شيئا من جوانب هذه الحياة . اذ ليس كل ما يمر به الانسان ، وان كان هاما ، يمكن أن يعلل تعليلا منطقيا . فكيف يستطيع العقاد وهو على ما هو عليه من عقل انطوائي ، ان يبسط حياته كما بسطها ميخائيل نعيمة في « سبعون » واذا فليكتف بحديث موجز عن نفسه وابيه وامه وبلدته وبعض ملامح طفولته وذكرياته واساتذته والعوامل التي جعلته كاتبا ، ثم اعماله .. الى اخر ما هنالك من مباحث موجزة مركزة حواها كتاب « أنا » .

وكأن ما تميز به من جد متصل وتفكير واسع جعله لا يسرد الفكاهة ولا يورد النادرة الا حيث يكون لها مكان عقلي في كتابته . فبينما نحن في بحر من التفكير ، وهو يدخلنا مع صاحبه ارجاء مكتبته اذا به يضحكنا حين يرينا ذلك الصاحب يخلع نعليه عند باب المكتبة ويتهيب ان يمد يده الى الكتب لانه لم يكن على وضوء . وان هذه النوادر لقليلة الوجود في كتابته ، وربما كانت عنده من بذخ الكتابة وهو زاهد بالبذخ والحطام مهما كان نوعه .

وايجازه الشديد وتكثيفه لمعلوماته هو الذي جعله ، في اعتقادي ، يأنف من كتابة القصة وقراءتها رغم اقراره بحاجة الناس اليها ، وكيف يفعل ذلك وهو يرى ان ما تقوله في خمسين صفحة يقال في سطرين . وهذا برهان اكيد على التكثيف العلمي عند العقاد في كتابته .

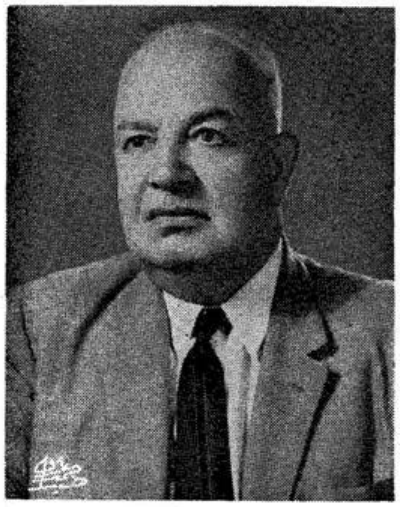
ولقد ابعده عقله عن التشاؤم كما ظهر في كتابه « انا » حين أشار الى تغلبه على ما اشيع وعرف من شؤم ابن الرومي وتشاؤمه ، وحين ذكر ان رقم منزله هو (١٣) وهو الرقم الذي يتشاءم منه الناس ، وحين وضع تمثالا صغيرا للبومة في بيته متحديا ما يقال عن طالعها السيء.

وان كل ما سبق نقاشه من مميزات واضحة في كتابة العقاد ونتاجه العقلي لن ينسينا شيئا من الحديث عن اسلوبه اللفظي الذي لا بد ان يتأثر بتلك الميزات . فالقارىء لا يجد تصنعا ولا تكلفا ولا تنميقا في الكتابة ، وانما هي الحروف والكلمات المفصلة على قياس المعاني تفصيلا دقيقا ، بل كثيرا ما وجدناها في بعض الاحيان تضغط هذه المعاني بين أطرها وجدرانها حتى لتصاب الكتابة بشيء من الغموض . فانطوائية العقاد من جهة ، وتكثيفه لمعلوماته من جهة ثانية ربما كانا سببين واضحين لما نلمسه في بعض عباراته من غموض رغم انصرافه الى الالفاظ السهلة والجمل البسيطة ، وان طالت في بعض الاحيان ، ورغم بعده الشديد عن كل انواع الصناعة المقصودة المتكلفة .

ونخلص الى القول بأن علم العقاد وعقله يشكلان كفتي ميزان يصعب تغليب الواحدة منهما على الاخرى . وان ذلك العقل الذي استوعب كل هذا العلم ومحصه ودقق فيه واحسن عرضه علينا في مجلدات كثيرة لجدير ان نستفيد من نتاجه عقلا وفكرا واسلوبا وخيالا. فأحرى بنا ان نقرأ العقاد ونستوعب كنه ما اراده هذا الكاتب العظيم في خلاصة تجاربه واطلاعه وتفكيره .

دمشق — لطفية الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدنـاني

اغـلاط شـائعـة

بقلم محمد العدناني

* * *

أولـو بـأس

ويقولون : العرب أولو بأس شديد . و (أولو) جمع بمعنـى ذوو ، لا واحد له ، وقيل : هو اسم جمع واحده (ذو) بمعنى صاحـب ، كالغنم واحده شاة . واعرابه بالواو رفعا ، وبالياء نصبا وجرا .

وتكتب كل المعاجم وكتب الاملاء هذا الجمع (أولو ، أولي) بالواو بعد الهمزة . وبما أن (الواو) هنا هي مثل واو (عمرو) ، تكتب ولا تلفظ ، وبما أننا ليس لدينا مبرر املائي لوضع الواو بعد الهمزة في (أولو و أولي) مثل مبرر وضع الواو في آخر كلمة (عمرو) ، للتفريق بين هذا الاسم و (عمر) ، فانني أرى أن نكتب هذا الجمع في حالات الرفع والنصب والجر ، دون واو بعد الهمزة ، فنقول ألو بأس ، وألي بـأس .

فما هو رأي مجامعنااللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط ؟

أراد أن لا يتكلم

ويقولون : أراد ان لا يتكلم . والصواب : أراد ألا يتكلم . وقد قال ابن قتيبة : ان الادغام واجب اذا كانت (أن) عاملة في الفعل ، أي ناصبة . فان لم تكن (أن) عاملة في الفعل ، لم تدغـم . نحو : علمت أن لا تقول (بضم لام تقول) لانها تكون مخففـة من الثقيلـة ، والتقدير : علمت أنك لا تقول .

اذن

ان مدحتني اذن أمدحك (بفتح الحاء) . والصواب : ان مدحتني اذا أمدحك (بضم الحاء) ، لان اذن لاتنصب الفعل المضارع الا اذا كانت في صدر الجملة ، وكانت متصلة بالفعل . فاذا قال لك أحدهـم : أريد ان أمدحك قلت له : اذن أشكرك ، بنصب المضارع ، لان الفعل بعدها خالص للاستقبال ، وليس بينها وبينه فاصل .

وينصب الفعل المضارع أيضا بعد اذن اذا فصل بينهما بالقسم ، أو لا النافية نحو : اذن والله أشكرك (بفتح الراء) . وقول الشاعر : اذن واللـه نـرميهم بحـرب تشيب الطفل من قبـل المشـيب بنصب الفعل (نرمي) . ونحو : اذن لا أزورك (بفتح الراء) . أمـا كتابتها فقد أوجب (الفراء) كتابتها بالنون اذا نصبت الفعل المستقبل، فاذا توسطت ، وكانت ملفاة كتبت بالالف (اذا) .

استأنف التدريس

ويقولون : استأنف الاستاذ فلان التدريس بعد أن انقطـع عنـه عامين . والصواب : عاد الاستاذ الى التدريس ... لان معنى استأنف : ابتـدأ .

ومثله : استأنف المحامي القضية . والصواب : بدأ المحامـي القضية ثانية ، او : نقل المحامي القضية الى محكمة الفصل ، وليس : الى محكمة الاستئناف .

أبناء آوى وأبناء عرس

ويجمعون : ابن آوى وابن عرس على أبناء آوى وأبناء عرس . والصواب : بنات آوى و بنات عرس ، لان الابن من غير العاقل يجمع بالالف والتـاء .

يـا أبتـي

ويقولون : يا أبتي ! والصواب : يا أبـت ! لاننا عندما حذفنـا اليـاء مـن : يا أبي ! عوضنا عنها بالتاء ، ولا يجمع بـين العوض والمعوض عنه . والمختار في نداء الام والاب أن يقال : « يا أمه (بتشديد الميم المفتوحة) ويا أبه » موقوفا عليهما بالهاء . ويستحسن أيضا أن نقول : « يا أبت ويا أمت بكسر التـاء في كلتيهمـا ، وضم الهمـزة وتشديد الميم المفتوحة في ثانيتهما » و « يا أبت (بفتح التـاء) ويـا أبتـاه » .

لقيته بالامس

ويقولون : لقيته بالامس في السوق . يريدون بكلمة الامس اليوم الذي قبل اليوم الذي هم فيه . والصواب : لقيته في السوق أمس، لان أمس (بكسر السين) اذا دخلته (أل) ، أريد به يوم من الايـام الماضيـة .

البزليـا

ويقولون : البزليا أو البزاليا طعام لذ . والصواب : البسـلة (بكسر الباء والسين وتشديد اللام المفتوحة) أو البسلى (بكسر الباء والسين وتشديد اللام المفتوحة قبل الالف المقصورة) .

بقدونس

ويقولون : بقدونس . والصواب : مقدونس . وهي مأخوذة من كلمـة مقدونيـا .

برغـوث

ويطلقون على الحيوان الطفيلي المزعج اسم برغوث . والصواب : برغوث (بضم البـاء) .

برسـيم

ويطلقون على نبات العلف اسم برسيم . والصواب : برسـيم (بكسر البـاء) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زهـــرة

مهداة الى الاستاذ الجليل الدكتور طه حسين
عميد الادب العربي في عيد ميلاده الثمانين

عامر محمد بحيري
عضو لجنة الشعر في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب

★

عشت الثمانين حره ... عشها ثمانين مره
وأسعد بكل صباح ... كالورد يهديك عطره
في صحة ، وهناء ... ونعمة ، ومسرة
تضفي عليك مدى الدهر ، في أصيل ، وبكره
وتغمر الشمس روض الحياة .. لينا ، وخضره
فيزدهي الكون حسنا ... وينشر الروض سحره
أنت الحياة لجيل ... شق المسالك وعره
أنت الضياء لليل ... ما زال يرقب فجره

البخـــور

ويطلقون على الشيء الذي يعطي رائحة ذكية حين نحرقه اسم بخور . والصواب : بخور (بفتح الباء وتخفيف الحرف الثاني) .

التمر هندي

ويقولون : أحب شراب التمر هندي . والصواب : التمر الهندي . فالنعت يتبع المنعوت في التعريف .

نقـداء بنـاءا

ويكتبون الهمزة متلوة بالالف في قولهم : كـان نقـده بنـاءا . والصواب : كان نقده بناء (دون الف بعد الهمزة) .

بعامة و بخاصة

ويقولون : العـرب بعامة ، والفدائيـون بخاصة ذوو شـجاعة فائقة . وهذه الجملة فصيحة ، ولكنني أفضل استعمال كلمتي عـامـة وخاصة (بنصب التاء المربوطة المنونة) ، لان اللسان لا يجد صعوبة في التلفظ بهما ، ولانهما دون (باء) ، والكلمة الصحيحة المختصرة أبلغ من الكلمة الصحيحة ، التي تزيدها حرفا واحدا أو أكثر . فما هو رأي مجامعنا اللغوية الاربعة ، وعمالقة ادبائنا في ذلك ؟ .

كان بمثابـة الاخ

ويقولون : كان لي فلان بمثابة الاخ . والصواب : كان لي فـلان كالاخ لان المثابة تعني :
(١) المنزل ، لان سكانه يثوبون (يرجعون) اليه .
(٢) المرجـع .
(٣) مجتمع الناس بعد تفرقهم .
(٤) مبلغ تجمع ماء البئر .
(٥) ما أشرف من الحجارة حول البئر .

الثـرى

ويقولون : وقع على الثرى فعلق بثوبه الغبار . والصواب : وقع على التراب فعلق بثوبه الغبار ، لان (الثرى) هـو التراب الندي ، وليس للتراب الندي غبار . وفي الحديث : فاذا كلب يأكل الثرى من العطش ، أي التراب الندي .

رجـال ثقـاة

ويقولون : عندنا رجال ثقاة ، فيأتون بكلمة (ثقاة) مجموعـة جمع تكسير مثل (قضاة) و (نحاة) . والصواب أن تكتب بالتاء المبسوطـة (ثقات) ، لان مفردها (ثقة) لا (ثاقي) .

ثكنات الجنـود

ويجمعون (ثكنة) على (ثكنات) . والصواب : (ثكن) بضم الثاء وفتح الكاف . و (الثكنة) بضم الثاء وتسكين الكاف : هي فارسية الاصل ، ومعناها : مركز الاجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم ، وان لم يكن هناك لواء ولا علم .

و (الثكنة) أيضا : الراية والعلامة ، والجماعـة من الناس والبهائم ، وخص بعضهم بها الجماعة من الطير ، وقيل : السرب من الحمام ، وقيل أيضا بأن معناها القلادة او القبر . واكثر هذه المعانـي استعمالا هو : مركز الجند .

صيدا ـ لبنان — **محمد العدناني**

أنت الهدى لشباب ... أفاق من بعد سكره
ما زلت تحدوه ، حتى ... غدا ، فحرر مصره
طه حسين .. سماء ... وقمة مشمخرة
وشمس هدى .. على الافق تغمر الكون غمره
وبدر تم .. اذا ما ... بدا .. تغيب المجره
وبحر علم .. خضم ... وسائر الناس قطره
في الشرق والغرب ذكر ... له ، ومجد ، وشهره
سما لذلك قدرا ... فالكل يعرف قدره

لقد بلغت المعالي ... وزدت عزما ، وقدره
وكم سقيت بغيث ... تهمى غواديه ثره
أنت الذي جدد العصر .. حين جدد فكره
أطلقت رأيا جريئا ... يلقى على الناس جهره
وكنت رغم اتئاد ... كمن يحاول طفره
وملهما عبقريا ... بالفكر يسبق عصره
في قلة من أولي الرأ ... ي ، كلهم فاق دهره
كانجم .. لحن خلف الـ ... مواصف المكفهره
لقلما أشعلتها ... يد السموات .. جمره
وقلما اخرجتها ... مناجم الارض .. دره

اليوم يحتفل الدهر بالذي كان فخره
واليوم يعترف الشعب .. بالذي هز نصره
يلقى بعيد الثمانين .. نثره ، ثم شعره
فعاش طه سعيدا ... وطول الله عمره

أتيت في العيد أهدي ... الى معاليك .. زهره
فاقبل هدية نفس ... بالفضل منك مقره
فما نسيت شبابي ... وقد توليت أمره
في معهد جامعي ... رحيت للدهر ذكره
لقد كفاني كتاب ... فيه ، وتقليب فكره
وجلسة في هدوء ... للعلم داخل حجره
وأنت تهدي من الجيل زمرة بعد زمره
هم قادة الفكر .. بعد الـ ... عميد ، يقفون اثره
ان يذهبوا في طريق الـ ... على يمينا ، ويسره
فهم بنوك جميعا ... وهم جواليك كثره
وهم لعهدك راعو ... ن .. يا أبا .. ما أبره
كعصبة النحل تبقى ... جهودهم مستمره

القاهرة ... عامر محمد بحيري



الدكتور محمد رجب البيومي

مدى التشاؤم عند شكري

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

نرى في تاريخ الادب العربي مقررات مخطئة لها قداستها الاثرية تظل تتردد في الكتب المتتابعة دون ان تجد من يعقب عليها بتمحيص ! وكأنها حق صادق لا مرية فيه ، فمثلا تجد من يزعم ان اغزل بيت قالته العرب هو قول جرير :

ان العيون التي في طرفها حور قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

ومع ان جريرا لم يكن من شعراء الغزل الصادق ، حتى يجيء بين قوله اغزل بيت قالته العرب ، ومع ان العصر الاموي الذي نبغ فيه جرير يحفل بعشرات من ارباب الصبابة الصادقة والهوى العذري ، وقد سارت اشعارهم مسير الشمس فرددتها الالسن وتناقلتها الافواه ومع ان البيت المقدم لا يعبر عن غير شعور بدهي يدركه السذج من السطحيين !.. مع ذلك كله فقد تناقلت الكتب القديمة هذا القول العجيب ، واخذ المؤلفون يطرونه كاتبا وراء كاتب حتى وجدنا بعض مؤلفي القرن العشرين يذكرونه في ابحاثهم مؤيدين مؤكدين ! واذا دل ذلك على شيء فانما يدل على سلطان التقليد ، وقداسة المحاكاة دون تنقيب .

وما نقوله عن هذه المقررات المخطئة عن جرير نجد نظيره في عصرنا الراهن فقد يتورط كاتب ما في تسجيل رأي لا يمت الى الحقيقة بسبب ، ثم يجيء خلفاؤه من بعده فيتناقلونه من بعده غير متكلفين بعض الجهد في توهينه وتخطئته وكأنه من حكيم لا يأتيه الباطل ، فقد ذكر الاستاذ الدكتور اسماعيل أحمد ادهم في خلال كتابه عن خليل مطران ان الاستاذ عبد الرحمن شكري قد تأثر بالخليل حين جنح في شعره الى التشاؤم ، ولم يكن الدكتور على صواب فيما زعم كما سنبين في هذا المقال ، ومع ان الاستاذ شكري قد كتب عدة مقالات بمجلة الرسالة سنة ١٩٣٩ تنفي جنوحه الى التشاؤم ، ومع ان كثيرا من الكتاب قد تعقبوا الاستاذ ادهم فذكروا الامثلة الصريحة والشواهد الكثيرة ، ومع ان ارقى المجلات الادبية منزلة وانتشارا كانت ميدانا لهذا النقاش الطويل فقد ظل ما زعمه الدكتور حقيقة مسلمة لدى بعض الكتاب ، فتناقله المعاصرون منهم باحثا وراء باحث ، ثم جاء استاذنا الدكتور شوقي ضيف ليفرد بحثا خاصا عن تشاؤم شكري في كتابه « دراسات في الشعر المعاصر » قائلا في مطلعه :

« لعل مصر لم تعرف في عصورها المختلفة شاعرا متشائما ضاق بكل ما حوله حتى بنفسه كما عرفته في عبد الرحمن شكري ، وهو ممن تثقفوا ثقافة عميقة بآدابنا الغربية والآداب الغربية ، وقد نشر سبعة دواوين بدأ بأولها في سنة ١٩٠٩ وانتهى بآخرها في سنة ١٩١٩ ، وكلها تصور لنا قصة سوداء من التشاؤم الحزين الممض وكأن الحياة وكل ما يتصل بها محنة واسعة ، وهو يسلط مشاعره وافكاره على هذه الحياة لعله يستطيع ان يفهمها ويقهرها ، ولكن انى له ، انها اقوى واعمق من كل فكر وشعور ، فيقلق ويشفق ويفزع ويشقى باشفاقه وقلقه وفزعه ، ويحاول ما وسعه ان يخلص من ذلك كله ولا يجد سبيلا الى الخلاص فقد تراكمت الظلمات من حوله ، واسودت الدنيا في عينه ، بل اسودت نفسه وتعقدت تعقدا شديدا يوشك ان يكون محنة » ..

ثم يقول الدكتور ضيف : ان مفاتيح هذه المحنة توجد في كتاب الاعترافات الذي نشره سنة ١٩١٦ وان المازني صاحب الفضل في بيان الصلة بين هذا الكتاب ومؤلفه الحقيقي شكري ، فقد كتب عنه مقالات في كتاب الديوان ، أظهر فيها العلاقة الاكيدة او الوثيقة بينه وبين الكتاب وانه اعترافات شخصية له ، اعترافات صريحة لا تحمل اي زيف او تمويه » .

وانا شخصيا لا اتخذ ما قاله المازني حجة على شكري ، لان المازني قد اعترف بعد سنوات من كتابته بأنه ظلم شكري ظلما متحاملا ، وانه نسب اليه ما ليس فيه حتى وصفه بالجنون متصيدا دليله الموهوم من كلام لشكري تحدث فيه عن الجنون شعرا ونثرا ، فادعى المازني ان الرجل يتحدث عن نفسه ، لا انه يصف صورا من المجتمع رآها بعينه ، وتركت صداها في عاطفته ، فانطبع بها انتاجه الادبي . اما ما جاء من التشاؤم في

كتاب الاعترافات فهو صدى هذه لانطباعات في فترة جثم فيها الاحتلال فقيد الامة وضيق مجال الفكر ، وجعل مستقبل البلاد مدعاة للتشاؤم والانقباض .

فالكتاب صورة مجتمع قبل ان يكون صورة انسان، ومهما اتصلت الوشائج بين الفرد وبيئته فلـه ذاتيته الخاصة التي تتوحد فيها ملامحه وانطباعاته وتأثيراته ، على ان في الاعترافات صفحات كثيرة تنطق بالامل والتفاؤل وهي بلونيها المختلفين صورة صادقة للابتسام والعبوس ، في أمة محتلة تتوق الى الاستقلال وتحلم به ، وشباب مقيد ينزع الى الفكر الوثاب ، ولا يمكن ان نغفل ما بها من اشراق وأمل .لنقسرها قسرا قاهرا على ان تكون بتشاؤمها صورة حزينة لنفسية شكري وحده كما زعم المازني اولا ثم تنازل عنه اخيرا ، على ان ديوان الشاعر وقد صدر اخيرا مكتملا في مجلد ضخم يضم الى الاجزاء السبعةجزءا ثامنا جديدا هو الوثيقة الصادقة في الحكم الصحيح ، فلندرسه بامعان لنرى فيه جوانب التفاؤل والتشاؤم ، ولننظر هل انفردت صور اليأس كما يظن الدكتور الفاضل ، او ان الديوان معرض فسيح يصور شتى الانطباعات دون ان يصطبغ بطابع خاص ! والحقيقة بنت البحث كما يقال .

ونحن لو تصفحنا دواوين الشعراء في كل لغة وجيل ، لوجدنا اكثرها ان لم يكن جميعها لا يخلو من زفرات حارة يرسلها الشاعر وراء أمل او فشل خائب ، فكل انسان تعترضه العقبات في وقت ما فتباعد بينه وبين ما يرتجيه ، واذ ذاك يرى الدنيا بمنظار قاتم ، ويخلو الى نفسه وقد ازدحمت خواطره اليائسة فيترجم عن احساسه العابس ويطلع على قرائه بقصيدة باكية تتشح بالكآبة وتتجلل بالسواد ، ومن ذا الذي خضعت له الايام فحققت جميع ما أراد فلم يرسل عبرة ساخنة وراء عزيز نازح او يصعد آهة لاهفة خلف مأرب بعيد ، بل ان اصحاب النفوذ من ذوي السلطان والرئاسة ليعانون من انواع الخيبة والفشل ، ما يصبغ نفوسهم بالقنوط ، فما ظنك بالشعراء وهم ضعاف الحول بعيدو الامال ، لذلك نجد جميع الشعراء دون استثناء يقنطون ويأسون في بعض ما ينظمونه من ابيات ، ومن المغالاة المسرفة ان نعتبر كل من قال شعرا حزينا متشائما قانطا ، وانما السبيل القويم ان نتصفح ديوان الشاعر جميعه ، فننظر الى طابعه العام فاذا وجدنا اللون البهيج يجاور اللون القاتم فعلينا ان نوازن بين اللونين موازنة عادلة ثم نصدر الحكم الدقيق بعد المقارنة والترجيح واذ ذاك لا نجد معترضا يعارض ، ويلج ابواب النزاع .

ولديك المتنبي وأبو العلاء ، اقدمهما مثلا صادقا لما اعنيه ، فالاول لا يخلو ديوانه من صرخات حادة تنزع الى التشاؤم المرير في مثل قوله :

ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس روى رمحه غير راحم

والثاني يصبغ أكثر قصائده بلون قاتم يبعث في الافق غيوما سوداء ، فلا ترى العين سوى القتام والظلام ، فهل يكون الشاعران متشائمين في درجة واحدة ! او ان المتنبي في طابعه العام يغاير صاحبه مغايرة تامة ! ان من الخطأ البين ان نميل بأبي الطيب الى التشاؤم المفرط لاجل ابيات متناثرة تسود بعض قصائده كما ان من الخطأ البين ان نميل بأبي العلاء الى التفاؤل لابتسامة مشرقة تلألأت في بعض أبياته ، وانما الحق الصريح ان نجعل الطابع العام لدى الشاعر ميزان الحكم والترجيح ! واذ ذاك نقول عن المتنبي انه متوثب طموح، ونقول عن ابي العلاء انه متشائم يئوس !

وما نقوله عن المتنبي نقوله عن الاستاذ شكري ، فقد عبر الشاعر في بعض قصائده عن احاسيس يائسة مريرة ، ولكن هذه الاحاسيس في دواوينه الثمانية لا تبلغ ديوانا واحدا على حدته ! فكيف نتعلق بها وحدها غافلين عما يشيع في قصائد الشاعر من تفاؤل بمستقبل الانسانية ، وهيام بتمجيد المثل الرائعة لتكون مناط الاحتذاء ، وعاصما من الاهوال والشرور ، وليست المسألة مسألة حسابية تقدر فيها القيم بعدد الصفحات فقد تبلغ قصيدة واحدة في موضوع معين ما لا تبلغه عشرات القصائد ! ولكننا نميل الى هذا المقياس الكمي لنصل الى الحق من اقرب طريق .

ونحن لا نجهل ان الشاعر ـ كائنا من كان ـ يتعرض لتصوير حالات النفوس الانسانية على اختلاف منازعها ، فلا بد ان يرسم النواحي الباسمة والقاتمة معا فيما يشاهد ويلمس ، ولو اقتصر على ناحية واحدة لم يبدع لقارئه نموذجا كاملا يرتضيه ! فعليه ان يتغلغل ويتعمق ليصل الى أغوار النفوس فيكشف ما يضطرم بها من احقاد وضغائن او ما يشرق في بعض جوانبها من محبة واطمئنان ! ولو لجأ متحدث عن الروح البشرية الى عرض النوازع الباسمة المؤتلقة وحدها في دنيا تعج بالشرور لكان مزورا في فنه ! اذ ان الناس هم الناس ، وكل تصوير لنوازعهم المريضة لا يعد من التشاؤم بحال ، الا اذا عد المصور الفوتوغرافي متشائما لانه اخذ منظرا واقعيا لحريق يلتهم قرية او سيل يكتسح مدينة ! وذلك ما لا يقال .

ومن المحتم كما يقول الاستاذ شكري في بعض مقالاته عن التفاؤل والتشاؤم بالرسالة ، ان نفرق بين اثر الحالات العارضة الزائلة وبين النظر الى مستقبل الانسانية ، وان نباعد بين التشاؤم الذي هو تثبيط والتشاؤم الذي هو استحثاث للهمم ، ومعنى هذا الكلام ان الشاعر لظرف ما قد يضطر الى اعلان يأسه في لحظة من لحظات الحرج والضعف ، فلا يعد ذلك الاعلان الطارىء دليلا على عدم الثقة بمستقبل البشر في الحياة بل ان الامر لا يعدو التعبير عن خاطرة تختلج قليلا ثم

تنقشع انقشاع السحاب ، والشاعر ليس واعظا حتى يرسم المثل في جميع ما يقول ، ولكنه مصور ، وقد تقع عينه على صورة شاحبة فيصورها كما كانت لا كما ينبغي ان تكون ! هذا وقد يكون التشاؤم تثبيطا وتيئيسا كما في أكثر شعر ابي العلاء ، وهذا ما لا نجده في ديوان شكري مهما صور وشخص بل نجد الدعوة الملحة الى استحثاث الهمم ، واعتلاء القمم في رفعة وطماح .

ويجب ان نفرق مرة ثانية بين التشاؤم ممارسة والتشاؤم فكرة ، فصاحب التشاؤم الاول انانى ضيق الافق ينظر الى ذاته الخاصة فاذا عز عليه مطلب ما ناح واعول ، وظن الحياة سجنا لا يطاق ، ومن هؤلاء شعراء الشكوى من البؤس وتعس الحظ وتأخير الترقيات ! ولا نعلم ان للاستاذ شكري في هذا المضمار خطوة واحدة ؛ اذ ان نظرته انسانية عامة تتغلغل في ماضي الوجود وحاضره ومستقبله ، ثم تصدر احكامها شاملة فسيحة ، فاذا وقع في شيء من التشاؤم فهو التشاؤم لفكري الذي يشمل الحياة من الازل الى الابد وهو على قلته يستهدف نوازع سارة مشرقة تنفجر منه كما ينفجر الضوء عند الفجر من ظلام الليل الحالك ، ونرتكب كثيرا من الاسراف لو ذهبنا نستعرض الوانا وضيئة من قصائد شكري في التفاؤل البهيج والثقة المطمئنة بالحياة ، ولكننا نضع أمام القارىء عناوين هذه القصائد الرائعة وله ان يرجع اليها في ديوانه الجامع الحفيل متى يشاء ، ولا نظن انسانا يقرأ قصائد (١) العصر الذهبي (٢) نحو الفجر (٣) شهداء الانسانية (٤) الشباب (٥) مناجاة الامل (٦) الباحث الازلي (٧) النجاح (٨) فن الحياة (٩) بين الحق والحسن . وعشرات غيرها ثم لا يدرك ايمان شكري العميق بمستقبل الحياة وجهوده الموفقة في رسم طريق وضيء للانسانية يصل بها الى جنة خضراء ذات ظل وارف وثمر لذيذ .

كما اننا ندرك نزعة التفاؤل في قصائد كثيرة لم تكن فكرتها الاصيلة مجالا للحديث عن الامل والحق والخير والجمال ، وانما تطرق شكري الى تفاؤله مدفوعا بنظرية الانسانية العامة وكان في مقدوره ان يبتعد عنها في حديثه لو مال الى التشاؤم كنزعة تملك عليه حواسه كما يزعم بعض الباحثين ولكنه يعمد لاشعوريا الى ترجمة خواطره الباسمة المتفائلة ، مما يؤكد تغلغل هذه النزعة في أعماقه ، فقصيدة مناجاة الامل مثلا مليئة بالتفاؤل وهو غير مستغرب في موضوع كهذا الموضوع يهدف الى تصوير الاحلام العذبة والاماني السعيدة ، ويمكن ان يقول بعض الناس ان طبيعة الموضوع توحي بالتفاؤل ولكن ماذا يقول القائل في قصائد مثل (١) النشوء والارتقاء (٢) الابد في ساعة (٣) المجاهد الجريح (٤) الملأ الأعلى (٥) جهاد المصلحين (٦) البطل المنتظر (٧) الايمان بالقضاء (٨) الحياة والفنون (٩) مصارع النجباء (١٠) الحسن مرآة الطبيعة وكلها مع ما يشابهها تتطرق الى الحديث عن الخير والشر حديثا يشف عن نفسية متفائلة باسمة ، وكل من يراجعها مراجعة يحفظ للشاعر مكانه في ركب المتفائلين .

واعجب ما استوقفني في حديث الاستاذ الكبير شوقي ضيف عن تشاؤم شكري هو استشهاده بأبيات موضوعية لا تمثل روح الشاعر كدليل على تشاؤمه ! فللشاعر مثلا قصيدة تحت عنوان « المجرم » يصور فيها نفسية المذنب وتوجسه الرهيب مما سيؤاخذ به من عقاب ! ومن البديهي ان يكون هذا المجرم الذي يتوقع قبضة العدالة ما بين لحظة واخرى اميل الى التشاؤم والقنوط ، وادنى الى الجزع والفزع ، وشكري اذا صور نفسيته القلقة الجزعة انما ينقل ما يراه في دنيا المذنبين من حيرة واضطراب ! فكيف يجوز لاستاذنا الكبير شوقي ضيف ان يجعل من وصف شكري الموضوعي للمجرم وصفا صادقا لنفسية شكري وحده ، وهل يتحتم ان يكون مؤلف الرواية هو بطلها الذي يكون في قصة ما قديسا طاهرا وفي قصة ثانية شيطانا ماردا حتى يكون جميع ما ذكره شكري في تصوير هؤلاء الناس صورة له وحده ! ان الاستاذ شوقي ضيف وامثاله ممن يستشهدون بمثل هذه الصور الموضوعية لا الذاتية انما يبعدون عن الحق كثيرا فيما يصدرون من احكام ، وهم بعد ليسوا في حاجة الى من يوضح لهم خطأ هذا الاستشهاد ، فيفرق لحضراتهم بين الذاتية والموضوعية لدى الشعراء .

وقد خطر لي أن أملأ بعض الصفحات بأبيات الشاعر كدليل واضح لما أقرر ، ولكن شعر شكري من التماسك والالتصاق بحيث نجد صعوبة قاسية في استقطاعه وتجزئته ، اذ ان وحدة القصيدة لا تظهر في صورتها المتماسكة لدى شاعر معاصر ظهورها في قصائد شكري العظيم ، وقد اباح هو لنفسه ان يستشهد ببعض ابياته المجزوءة في مقالاته بالرسالة والمقتطف ! ولكننا لا نستبيح ما استباح ، ولا نريد ان نكون ملكيين اكثر من الملك نفسه حين نحرم ما أحل بل اننا نحافظ على وجهة نظرنا الخاصة حتى لو خرج عليها صاحبها الاصيل .

ولو اردت ان الخص جميع ما تقدم من سطور معدودة لقلت ان الرجل قد تفاءل في شعره كثيرا وتشاءم قليلا ولكنه يصور بعض نواحي المجتمع بما يكافح به من مكايد واهوال ، وربما مرت به لحظة عابسة فعبر عنها في شعر عابس يستخرج منه العبرة دون ان تمتد هذه اللحظة فتسيطر على حياته كما وهم بعض الباحثين ، اما تفاؤله الفسيح فمعرض بهيج ناضر يحفل بشتى الالوان الزاهية ، ويفرش الطريق بورود متفتحة تساعد على المسير وتدفع ركب الحضارة الى التقدم في الميدان الرحيب ! وديوانه الحافل مطبوع في حلته القشيبة وهو — اولا واخيرا — دليلنا الواضح وحجتنا البيضاء .

الفيوم — ج.ع.م **محمد رجب البيومي**

الفقيد الدكتور مصطفى جواد

نصيت فروع النعي البلادا ... وجلل خطبك الجلل السوادا
نعى ناعيك طود حجى تداعى ... وفي عصف المنون هوى ومادا
فيا لرزية فيها فقدنا الـ ... حبيب المصطفى العلم الجوادا
نعيت ابا الجواد فكل بيت ... لهول الرزء قد لبس الحدادا
نعيت فكل قلب شب فيه ... ضرام الحزن واتقد اتقادا
يمينا بالمروءة وهي مما ... عرفنا فيك ، اتكلت العبادا
يمينا بالكرامة وهي مما ... عهدنا فيك نبلا واعتدادا
وبالخفرات من غرر السجايا ... تسامت عفة وعلت جهادا
لقد اورثت ام الضاد يتما ... فعزت احرف الكلمات ضادا
لانك للعلوم اجل كنز ... برغم الموت لا يشكو النفادا
وبحر للمعارف كل بحر ... يهون لديه غورا وامتدادا
وينهل من معينك واردوه ... جماعات اتوه ام فرادى
وانت معلم الاجيال تهدي ... طلائعها وتمنحها الرشادا

رفيق الليل اذ رقدت عيون ... تنادمه وتطرح الرقادا
وليس بليلك الساجي سمير ... سوى كتب بها تهوى السهادا
وغير بنات افكار عذارى ... تعد لها الصحائف والمدادا

اليك ابا الجواد ابث شكوى ... فؤاد ليس يحتمل البعادا
يعاودني من الماضي ادكار ... كأن الامس في ذكراه عادا
ومثل لي اويقات بها قد ... تساقينا المحبة والودادا
وان حديثك الحلو الموشى ... لاشهى للمسامع ان يعادا

يمين مروع في جانحيه ... لقد اورت فجيعتك الزنادا
يقلب جانبيه على قتاد ... فيقطع ليله قلقا سهادا
عرفتك مثل ذوب الغيث طهرا ... وكالحمل الوديع زكا فؤادا
حرصت على ضميرك وهو حر ... لغير الحق لا يرضى انقيادا
وسرت كسيرة العلماء حقا ... بنهج فيه مثلت السدادا
وعشت كما رحلت ولم تزود ... بغير العلم انعم فيه زادا
وما ارخصت نفسك للدنايا ... (هي العنقاء تكبر ان تصادا)
وخير الناس انفعهم واعلى ... مقاما من بنى مجدا وشادا
عجبت لراميات الدهر ترمي ... من الافذاذ انصعهم تلادا
وقد قالوا النفوس كجوهرات ... ومنها الموت يختار الجيادا

ستحيا في ضمير العلم يا من ... اقمت لصرح نهضته العمادا
ويبقى خالدا اغلى تراث ... وقد اضناك جدا واجتهادا
وروت قبرك الزاكي دموع ... تسيل من الاسى تحكي العهادا

بغداد

باقر سماكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العمل الاول الذي يقوم به المرء في حياته العملية ذكرى ترف بين شطآن خياله مؤرجة بالشذى ، وتشدو في عزيمته بسمة حانية براقة الجفون .

ولكنها غريبة وقاسية ذكرى بداية اعمالي : انفجرت كنبع الماء البارد في حقل الصيف ، ثم مارست برودتها في الشتاء تتسرب الى عظامي . لم يكن امامي سوى طريقين ، عزفت عن الاول والتجأت الى الثاني . وهانذا الان اكابد من الندم الذي بات يؤرقني ويعذبني بقدر البهجة التي عانقتني ، ولذة النصر التي سخرتني ، والحلم الذي كنت اطير فيه، منذ سنوات مديدة .

تسلمت العمل القضائي في ١٩٤٤ ، وكانت مدينة حماة مسرح اولى الاوراق التي قطفتها من دالية حياتي الوظيفية . عهد الي ان اكون قاضيا للتحقيق . ومر يوم واحد . وفي اليوم الثاني وانا في شرود المستقبل جالسا امام منضدتي ادخن الامس في لفافة تبغ ، جاءتني امراة عجوز تدعي انه سرق لها مائة ليرة ذهبية من خزانة كسرت وخلعت . فشعرت انني امام بداية العمل . وعينت للمراة موعدا لاستجوابها .

في الموعد المضروب اقبلت العجوز الى غرفة التحقيق وحيتني في خفر وهي تغض الطرف . سألتها :

ـ من تعتقدين انه السارق ؟

ـ لا اعرف .. ولا اقدر على ظلم احد .

بدا لي ان في قلبها من الطهر والايمان الشيء الكثير . وحكت لي ملامح وجهها حكايات ايدت ما يقول فمها من كلمات ...

صوت مطمئن ، براءة مجنحة ، ذبذبة واشعاع . اشياء قد عبرت الى مملكة النفس بلا استئذان . (انني اجزم بصحة دعواها .. واعجب للقلب كيف يرسو على ارض التصديق الكامل على حين لا دليل) .

سرني ايما سرور أن تلك المراة وهي تشرح لي قضيتها ، وانا اعيرها جوارحي آذانا ، قد ارتاحت نفسها ، وخفت وطأة الهموم في صدرها ، وشعرت ان مشكلتها قد انتقلت الي . مر قول الشاعر في خاطري طائرا افلت من قفصه :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة
يواسيك او يسليك او يتوجع

وابتسمت ذكرتي هزها انشراح المراة ، وانبعثت منها لحية مدرسنا للغة العربية في المدرسة الثانوية واسنانه اللامعة يخرج من بين كل سنين منها بيتا من الشعر او وعظا من النثر او حكمة مرتجلة .

وهززت راسي . واكدت للمراة ان العدالة لن تألو جهدا في كشف الحقيقة .

القضية الاولى

بقلم محمد سيرجية

وفي اثناء الكشف على مكان السرقة ، لمحت انسانا يسترق النظر الينا من سطح داره المجاورة ، ويطل برأسه كلما وجد انني لست متنبها اليه . وبدون ان اغير من وضعي قلت لشرطي كان بجانبي ان يدعوه الي . فحضر شجاعا غير مكترث ولا هياب . وانكر باستخفاف اي علم له بموضوع السرقة . على انني ما استطعت أن اقنع نفسي بما يقول ، وامضيت معه ساعات طويلة ، عبثا تمكنت فيها من الوصول الى بعض الحقيقة عن السرقة . كنت كمن يدق الماء . فتركته في المخفر ، وعدت الى فندق ابي الفداء ، وفي الطريق اثر كآبتي وهمومي .

آه ، انها الجريمة الاولى التي احقق فيها ، اتبوُ بالفشل ؟ اتكون المرارة اول ما اجنيه في دنياي الجديدة ؟ اي شعور ، اي حدس ، اي حب للعدالة .. له ان يوفقني في العثور على المجرم مع الدليل ! .

دخلت الفندق ، وفيه شاهدت رئيس الشرطة ، وكان معي الشرطي المرافق للتحقيق ، فقص عليه الحكاية .

فقال رئيس الشرطة :

ـ ما دامت الدعوى في العدلية والتحقيق بطريقة « س و ج » فقد ضاعت الحرمة .

اجبته باحتجاج :

ـ ما العمل اذن ؟

ـ العصا .. ولا شيء غير العصا .

ـ ولكن ذلك ممنوع في القانون.

ـ اذا طبقت القانون ضاعت الجريمة ، واذا استعملت العصا ظهرت . وليس من طريقة ثالثة .

عدت الى نفسي فالفيتني راغبا عن العصا . واخذت احقق في الجريمة بما نص عليه القانون.. غير انني انفقت عشر جلسات مع المتهم لم اعد منها بطائل . واذن ؟ ماذا بعد ذلك ؟

اخذ يتنازعني واجبان : اما ان استمر في الاساليب التقليدية للتحقيق فاضيع حق المسكينة ، واما ان اخالفها فارتكب جريمة من اجل كشف جريمة . واخيرا غلب عندي واجب كشف الجريمة . فتركنا السارق في المخفر ثلاث ليلات لم ندع للنوم سبيلا اليه . وكنا كلما سرقه النوم القينا عليه كأسا من الماء ، حتى انحلت قواه . فطلب الى الشرطة ان احضر اليه . ولما اتيته اقر امامي ، ثم عاد الى الانكار ، ثم اقر ، ثم اخذت هذه الطريقة تؤتي اكلها رويدا رويدا كنت خلالها اعتصر

الى قمة المنحدر

★

أعدني الى قمة المنحدر ... أعدني فاني ألفت الخطر
ألفت المسير برغم الضباب ... ألفت الجماجم بين الحفر
ألفت الترقب يا ملهمي ... يحطم في جمود الحجر
يذكرني بنداء الحياة ... يضج برغم لهاث البشر

فاني سئمت النعيم المقيم ... سئمت الركون لضوء القمر
سئمت الجمال يعبد دربي ... يدغدغ حسي بأسمى فكر
سئمت الوئام مع الاخرين ... سئمت احتمالي

أعدني الى عالم زاخر ... بعنف المشاعر عنف الصور
هنالك قد استعيد كياني ... واغتال بين ضلوعي الضجر

دمشق — سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحقيقة من لسانه اعتصارا .

وفي الليلة الرابعة حضرت الى المخفر حوالي المغرب ، وشرعت بالتحقيق معه ابتداء من هوادي الليل . ودمنا على تلك الحالة من الاخذ والرد ، والجزر والمد ، والاقرار والانكار ، حتى اقبلت تباشير الفجر ، وانسلخ النهار من الليل ، واخذت الشمس تتمطى وتتثاءب استعدادا لليقظة .

هنا بدا المدعى عليه بالانهيار ، وتحول الدم في عروقه الى سم . او بصق في فم افعى لقتلها .

اقر انه نزل من سطح دار الى سطح دار المدعية ، ثم دخل غرفتها وكسر الخزانة ، ووجد علبة زرقاء اسطوانية ، فمد يده في داخلها فامسك بقماشة حمراء فيها مائة ليرة ذهبية ، مثقوبة احداها بما يشبه المسمار من طرفها . فسرق العلبة ، ورجع من حيث اتى ، ثم ذهب الى محطة حماه ، حيث الاعمدة الخشبية ، فادار ظهره للمحطة ، وعد عشرة اعمدة ، ثم ادار ظهره لاخر عمود وسار نحو الجنوب مسافة تسع خطوات فحفر حفرة عمقها نصف متر في التراب ووضع العلبة وغطاها بالتراب والقى فوقها حجرة سوداء مستديرة .

وعندما سمعت العجوز نتيجة التحقيق ، لم تتمالك نفسها (وتخلت عن وقارها) وبسطت يديها واخذت ترقص رقص الضحك والبهجة . وبعد تسجيل اقرار المتهم وتوقيعه عليه ، اخذت المتهم ليريني آثار قدميه في غرفة المدعية . قدته اثر ذلك الى المحطة وخرجت معنا العجوز وبعض افراد الشرطة .

وحينما وصلنا ، واخرجنا العلبة، ورأينا الليرات الذهبية ، فاجأنا ان العجوز اغمي عليها من فرط فرحها بعودة ليراتها .. وقد ترنح اللص واطرق اطراقة الذل والمهانة . اما انا فقد تملكتني نشوة لذيذة ، وسعادة سحرية رائعة . على انني — مهما يكن فرحي — لم ابلغ المرحلة التي بلغها ارخميدس عندما اكتشف قانون نقص الاجسام المغطوسة في سائل !!

نمت تلك الليلة مسحورا بنشوة النصر . وبالاماني امتزجت الرؤى . اية سنوات ستمحو ما نسجته الاحلام في قلبي !.. رأيت العدالة في الحلم فتاة طهر وجمال تصفق بجناحيها في وسط حديقة علوية ، وتقول :

« انا العدالة ، لا اشرق بوجهي الا للاخيار» . وكنت كالفراش احلق في الاجواء المزهرة ، وأرى الكون كله قصيدة رحبانية ، تنشدها فيروز ، وعلى انغامها يرقص الفلك .

حلب — محمد سيرجية



فلسطين في ضوء الحق والعدل

تاليف المحامي هنري كتن ـ ترجمة وديع فلسطين ـ ٣١٦ صفحة ـ مكتبة لبنان ـ مطابع هيدلبرج ببيروت

لو كان لمحكمة العدل الدولية فعالية ونفوذ ... وكانت لاحكامها صفة التنفيذ الفوري ... لقصدت لاهاي بهولندا جوا ، ووضعت أمام قضاتها العدول النسخة الانكليزية من كتاب « فلسطين ـ العرب واسرائيل ـ البحث عن العدالة » لمؤلفه القانوني الضليع الاستاذ هنري كتن وقلت لهم بلا مقدمات وذيول : « هذه خلاصة دعواي ... فاحكموا بالعدل ! » ولعدت الى بلدي وانا مطمئن على ان قضية العرب الكبرى ستاخذ طريقها الى الحق والعدل والانصاف !

وضع هذا الكتاب النفيس بالانكليزية الاستاذ هنري كتن وتطوع لترجمته الى العربية الكاتب البارع الاستاذ وديع فلسطين احد أعلام أدبنا المعاصر بعنوان « فلسطين : في ضوء الحق والعدل » فكان موفقا في الترجمة الى أبعد حدود التوفيق !

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة نفيسة بقلم الاستاذ اكرم زعيتر جاء فيها قوله : « في المعارك الوطنية السياسية لا يكفي ان تكون صاحب الحق حتى تنتصر ، فلا بد لك من بيان هذا الحق ومن الدفاع عنه . وقد تبين المؤلف هذا الحق فأجاد ، ودافع عنه فأفاد ! » .

وبالاضافة الى هذه المقدمة القيمة هناك مقدمة اخرى بقلم الاستاذ وديع فلسطين واربعة عشر فصلا وخاتمة واحد عشر ملحقا كتبها الاستاذ هنري بلغة القانون المعروفة ـ كما يقول الاستاذ وديع ـ بجفافها ... فحولها بذكائه وعلمه الى أدب رفيع ، بما اضفاه عليها من وشي وزخرف ، وتناول فيها مأساة شعب لم يرو التاريخ مأساة أشد منها هولا ... وقضية وطن لم تذكر الاحداث قريبا وبعيدا صنوا لها !

تناول الاستاذ كتن قضية فلسطين من كافة جوانبها وابعادها ، واستند في بحثه الى المراجع الاجنبية ومنها اقوال بعض كتاب اليهود ومؤلفات عدد من مراقبي الهدنة والصحفيين البارزين ، وبرهن للعالم أجمع على « ان اسرائيل مخلوق غير شرعي وغير طبيعي .. وان اقحامه وسط خضم عربي كبير وفي قلب العالم العربي محض مغامرة جنونية تنذر بمزيد من الحروب والكوارث ... وكما ينبذ الجهاز الانساني جسما غريبا عنه ... فان العالم العربي نبذ هذه الدولة العنصرية !».

واثبت الاستاذ كتن بالرقم والتاريخ ان مدينة « تل أبيب » كانت تابعة لمدينة يافا العربية بينما كان اليهود لا يملكون في نهاية الانتداب البريطاني اكثر من ١٠ بالمئة من مساحة فلسطين .

كانت أغلب الكتب التي تناولت القضية الفلسطينية باللغة العربية لكن عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ نبه نفرا واعيا من رجال فلسطين الى ضرورة التصنيف باللغات الاجنبية ، واخصها الانكليزية ، فانبرى الاستاذ سامي هداوي الى نشر كتابه « الحصاد المر » وتلاه الاستاذ هنري كتن بكتابه « فلسطين في ضوء الحق والعدل » وهو مكتبة في كتاب يضم الوثائق والمستندات ويضع القضية الفلسطينية في صورتها الصحيحة التي زيفتها الدعاية الصهيونية وشوهتها الاقلام المأجورة ، والاقلام المغرضة. وعلى أثر صدوره قال مايكل ادامز الصحفي البريطاني المعروف كلمته الرائعة « العبرة البالغة في هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ انها بدلا من ان تغلق ملف قضية فلسطين ، فتحت دفتيه من جديد واظهرت ذلك الجهد الذي لم يكن قبل عام ١٩٦٧ ، وهكذا عادت قضية فلسطين الى مسرح الاحداث ! » .

ذكرنا فيما سبق ان كتاب الاستاذ كتن يشتمل على أربعة عشر فصلا وخاتمة واحد عشر ملحقا ، وكان بودنا الوقوف امام كل فصل وملحق ... اغراء للقارىء بمطالعة هذا الكتاب الماتع الذي وصفه النقاد البريطانيون اثر صدوره بانه حقيقة اسهام كبير في البحث عن « العدالة ! » لكن ضيق المجال في هذه المجلة الراقية حال دون هذه الامنية ... فوقفنا مليا امام موضوع السيادة على فلسطين ، واكبرنا الجهد الذي بذله المؤلف في صياغته ... فحلق في بحثه ، ودلل بمفهوم المنطق على ان لفظة « السيادة » في العرف الشائع تعني السلطة العليا لدولة ما على أراض معينة وعلى شعبها ، بغض النظر عن شرعية اصلها ، ولكن السيادة تنطوي كذلك على مفهوم أرحب وأعمق ، وهو الحق الشرعي الذي لا يجوز التفريط فيه لملك من الملوك او لامة من الامم في أرض من الاراضي والاحتلال القسري للوطن او الفتح لا يطفئان شعلة السيادة ! .

وفي مستهل هذا الفصل ، ونعني فصل السيادة ، ركز الاستاذ كتن على التفريق بين السيادة القانونية والسيادةالسياسية لان الاخيرة تعني السيطرة والاشراف الواقعي ، بينما الاولى تشير الى الحق الشرعي الذي لا يجوز التفريط به لشعب ما في ارضه . وهذا التفريق يقابله تمييز بين السيادة في القانون والسيادة في الواقع ! .

واختتم الاستاذ كتن بحثه الماتع الرائع بقوله :

« في اثناء سريان الانتداب ، تمتع شعب فلسطين بوضع دولي مستقل ، وكانت له السيادة على أراضيه ، وكانت لفلسطين شخصيتها الخاصة المتميزة عن شخصية الدولة المنتدبة . وكانت ادارتها من حق شعب فلسطين نظريا ، وان تكن في الواقع في أيدي الدولة المنتدبة ، واصبحت طرفا (عن طريق نظام الانتداب) في عدد من المعاهدات والمواثيق الدولية . غير ان الممارسة الكاملة للسيادة من قبل شعب فلسطين قد قيدت في بعض النواحي بموجب سلطات الادارة المعهود بها الى الدولة المنتدبة من قبل جمعية الامم .

وبمجرد انتهاء الانتداب ، انتهت سلطات الادارة التي كانت للدولة المنتدبة ، وترتب على هذا ان زالت القيود المفروضة على ممارسة شعب فلسطين لسيادته الكاملة ، وبهذا اصبح شعب فلسطين بحكم هذا الحق وبحكم حقه في تقرير مصيره ، مستأهلا لان يحكم نفسه ويقرر مصيره طبقا للمبادىء والاصول الدمقراطية المألوفة ، والقاعدة الاولى الاساسية في أي نظام دمقراطي هي حكم الاغلبية . غير ان هذا الحكم لم تحترمه الجمعية العامة للامم المتحدة التي اوصت في سنة ١٩٤٧ في ظروف وتحت ضغوط سياسية بتقسيم البلاد بين دولتين عربية ويهودية . وان الحوادث التي تلت ذلك ، وقيام اسرائيل ، أدت جميعها الى الحيلولة دون الشعب الفلسطيني ودون ممارسته حقه في السيادة على اراضيه ! » .

واخذ الاستاذ كتن يتساءل : « هل نشوء اسرائيل واحتلالها



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

اقاليم شتى في فلسطين في عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ حرم شعب فلسطين من سيادته ؟ وبعبارة اخرى ، هل ظفرت اسرائيل بسيادة قانونية على هذه الاقاليم ؟ » وهنا انبرى الاستاذ هنري الى بحث شرعية وضع اسرائيل او عدم شرعيته بالنسبة للاراضي التي تسيطر عليها ، وذلك فيما يتعلق بالاراضي التي خصصها قرار التقسيم للدولة اليهودية اولا وفيما يتعلق بالاراضي التي استولت عليها زيادة عما تضمنه هذا القرار ثانيا وراح يدلي بالحجج الفقهية والاسانيد القانونية على بطلان السيادة القانونية لاسرائيل على الاراضي التي خصصت للدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم وان وعد بلفور لم يشتمل على منح لاي حق سيادة ! .

ومراعاة للزحام الذي تواجهه « الاديب » في المواد المتراصة على مكتبها نقف عند هذا الحد ... ونقول مع الاستاذ زعيتر في مقدمته « ان كتاب « فلسطين في ضوء الحق والعدل » مجموعة كتب في القضية الفلسطينية حشد فيه الاستاذ كتن مقتبسات مهمة الاساتذة اعلام من ساسة وفقهاء في القانون الدولي وتقارير رسمية لمراقبي الامم المتحدة وخبراء ثقات في الشؤون الفلسطينية ممن عالجوها رسميا ودوليا من اولئك الذين كتبوا في القضية ودافعوا عنها في كتب الفوها او مقالات انشاوها او تقارير محكمة قدموها ! » .

وخير ما نختتم به هذه العجالة العبارة التي قالها الاستاذ كتن : « على الامم المتحدة ان تفرض العدل بنفس الاسلوب الذي فرضت به الظلم على عرب فلسطين ! » .

وللاستاذ هنري كتن الف تحية من وطنه المغصوب !

والف الف شكر من شعبه المغلوب ! .

عمان ـ الاردن — **البدوي الملثم**

●

رحلات الى العراق

تاليف السر واليس بج ـ ترجمة فؤاد جميل ـ جزءان ضخمان ـ طبعا في مطابع بغداد

الاستاذ فؤاد جميل كاتب ذو اسلوب عرف بنصاعة كلمه وفصاحة بيانه ، وقد نالت بحوث كثيرة من فضل يراعته من بينها الفولكلور البغدادي وفولكلور البادية العراقية .. وقد بات ممن يستانس برايهم في حل المسائل الفولكلورية الغامضة والوصول الى دقائقها الخفية عن الافهام .. وكان مما أصاب من فضل يراعته ـ ايضا ـ كتب الرحلات التي وضعت لتشرح زيارات قام بها الى بلاد الرافدين غير واحد من الرحالة الغربيين ...

لقد اولع الاستاذ فؤاد جميل بهذا الضرب من المواد الحضارية النفيسة ، فعكف على ترجمة فريق من ابرز ما الف فيها .. وكانت «رحلات الى العراق» من بعض ذلك ، فكشف لنا المترجم في مترجماته ما دل على قابلية غزيرة العطاء ، ولغة سليمة الاداء ، وخصب في الذهن كانه خصب الربيع الخضل الندي ، وسيطرة على أرسان الترجمة التي هي عسيرة معسرة ـ باجماع التراجمة ـ بحيث باتت الالفاظ وهي طوع تصرفه وتحكمه .. وزاد المترجم على ما صنع المؤلف بالشروح والتعقيبات العلمية القيمة التي تمنح الكتاب غنى وتوسعه ثروة ، وتفك من غموض بعض الفاظه ومصطلحاته فلا تخفى بذلك على قارئه خافية .

قرات كتاب الرحلات بجزايه الحافلين بمختلف المعلومات الاثرية والبلدانية وما في مطاوي حديث المؤلف من انطباعات وملاحظات ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمت بذكريات نادرة دونها خلال تجواله في آفاق بلادنا العزيزة ، وكان كل اولئك حريا باصغاء الذهن وانصراف النفس ، والحفول التام بمتابعة صحف الكتاب وملاحقة خطوات المؤلف .. غير ان الشيء الذي كان يلتمع امام العين التماع النجم الحائر ، هو ذلك الاسلوب العربي الجميل الذي افرغت فيه الترجمة فباتت وهي اشبه بمعرض بياني تبسط فيه اساليب القلم العربي ومظاهر ادائه الفني .. لقد استهواني هذا الامر كثيرا وانا ممن ينتعشون بالايقاع الذي يصاحب الحرف العربي ، فيجدون له شيئا لا يختلف عن الايقاعات الموسيقية .

وما من شك في ان معظم المترجمات العربية التي ضخت بها المطابع الى المكتبات فوصلت الى أيدي القراء العرب قد أدت الى اسلوب مفور في الركاكة .. ومن هذه الناحية باتت الترجمات العربية مصدرا من أشد المصادر الخطرة على البيان العربي ما لم تقع من اقلام عرف حملتها بالمقدرة العظيمة على تعاطي هذا الامر والالمام التام بدقائق العربية وما ينبغي ان يستعمل من مفرداتها في مقابلة الكلم الاجنبي الذي يراد نقله وترجمته ...

وفي اوائل هذا الجيل كانت مترجمات مصطفى لطفي المنفلوطي مدرسة لطلاب الادب العربي النقي فظلت آية على الترجمة الموفقة التي يمكن وصفها بانها تحمل طابعا قوميا اصيلا ، لانها ادت الى تثقيف الالسنة وتنقيح الاذواق وتحبيب العربية الى المتأدبين والمحصلين ..

واليوم نجد في مترجمات الاستاذ فؤاد جميل هذا المعنى تماما .. فاذا كنا فيحاجة الىترجمة كتبالرحلات ـ وهي حاجة محتومة ـ فاننا لكذلك في حاجة الى ان نفرغ هذه التراجم في قوالب نقية فخمة الاسلوب عالية البيان ، من أجل ان ننتفع بالمعلومات العلمية التي تحتجنها تلك الكتب ثم من أجل أن نعصم الاسلوب العربي من مدسوسات الكلم التي تجد السبيل فسيحا امامها للذيوع من طريق المترجمات .. وربما امكنني ان اقول ان المترجم وفق الى ان يكون له بترجمة الكتاب سهم في ملكيته عدل سهم المؤلف في ملكية كتابه .. وذاك بما بذله من جهد ظاهر في اخراجه بحلة يتباهى بها المؤلف نفسه لو كان ما يبرح حيا يرزق ، وباسلوب شاعري يستهوي ذوي الحس الادبي من القراء العرب ...

وفي مطاوي الترجمة واعقاب بعض السطور نجد الاستاذ المترجم يقحم الفاظا وعبارات مستملحة يطرف بها الموضوع ويعذب الحديث ، وربما استعان ببعض الفقرات القرآنية الكريمة التي يجيء الاستشهاد بها نابتا مستوفيا كل خصائص التعبير المطلوب ...

ومن بعض ذلك قوله في الحديث على سطو سطته عشائر شمر ـ يومئذ ـ على قافلة ثرية : « ثم عمدت بعد ذلك الى تشليح الرجال من ملابسهم وهم أذل منها وأقل عددا وسلبت كل ما يملكون ـ وكذلك يفعلون ـ » .. على ان لغة المؤلف نفسه مشبعة باللذع والسخرية حين ينبغي ان يدور الحديث مشبعا بها في بعض الاحيان ...

وما اكثر دواعي هذه السخرية في عهد انفلت فيه مقود الضبط والروابط ، لا سيما في الموصل ونواحيها أيامئذ على ما يحدثنا « السر واليس بج » الذي يبدو على جانب من الحقيقة في كثير مما يسرد من الوقائع اليومية التي رآها عيانا .. وانا على فرض شكنا بما يكتب الاجانب عن بلادنا لا نملك ان نتهم بالكذب في كل ما يكتبون .. فان الكذب والدس لهما معالمهما وما يشف عنهما .. وبهذا ينبغي التمييز بين ما هو أهل للتصديق وبين ما هو أهل للتكذيب ..

ان كتاب « السر بج » جدير ان يكون مرجعا سياسيا لحقبة عراقية ما تزال تفتقر الى الاسهاب في شرح ظروف الحكم القلق المهلهل عهدئذ ، وهو عهد دب فيه دبيب الفوضى وعظمت مصيبة الناس بالخارجين على القانون والمستخفين بأمر السلطة ، تلك التي كانت هي كذلك قائمة على دعائم من الرشاوي والظلم والجهل بوجانب الحكم الرشيد السليم ...

ان ترجمة كتب الرحلات وبيان وجهات نظر الرحالة الاجانب في اوضاع البلاد التي يلمون بها ويزورونها ، لا تخلو من فوائد علمية ومتع طريفة وحقائق غائبة عن المدونين المحليين ..وانا لفي أمس الحاجة للاتيان على ترجمة كل ما كتب في هذا الحقل باية لغة من لغات العالم ، ولقد كان من حسن حظ التاريخ العراقي ان وجدنا له مثل هذه المصادر التي دونت يوم لم يكن أحد يعنى بتدوين او يحفل بتسجيل .

ولقد تعرض للكتاب بعد ترجمته غير واحد من النقاد والمقرظين ، فاشاروا الى اوهام عرضت للمؤلف .. وشيء مما فات المترجم التنبه اليه في خلال تصويباته وتعليقاته .. وهذا امر طبيعي فما من كتاب يتصف بالعصمة من الخطأ والهفوات الا كتاب الله ..

ولقد لفت نظري شيء يسير مما يحسن ان أمر عليه بالتنبيه من الفاظ الاستاذ المترجم ومصطلحاته ، منحو استعماله لفظا جديدا في جمع كلمة « باشا » اذ شاء ان يطرح الجمع الذي ألفته الاسماع وهو قولهم « باشوات » الى الجمع الذي يراه أصح وأقوم وهو «البواشية» في حين ان الذوق الصرفي لا يستمرىء هذه الصيغة الجديدة في جمع الكلمة .. وفي تعليل الاستاذ نظر . فلو ابقى القديم على قدمه لكان ذلك أسلم واولى ..

وهنا كلمة أخيرة في صدد الكتاب وترجمته هي ان ترجمة كتاب « رحلات الى العراق » جاءت وفق طريقة اختطها المترجم لنفسه في غالب ما ترجم او جميعه ، وهي تتلخص في تفهم أغراض المؤلف غرضا غرضا ثم سبك ذلك بالقالب الذي يرى المترجم انه عدل الاصل لا يتحيف على معناه ولا يتزيد .. وهو يرى ان ذلك لا يخرج عن حدود التصرف في المبنى دون المعنى « لتجيء لغة الكتاب على أسلوب عربي سوي فصيح ».

ان على هذه الخطة ملاحظة واحدة ـ على حد تقديري ـ هي ان المترجم لا بد أن يضمخ الترجمة بشيء من انفاسه وانفعالاته وقد لا تكون هذه مطابقة تماما لانفعالات المؤلف ولا ملائمة لطراز تفكيره .. كأن يكون المترجم حسن المفاكهة اديحي الطبع ولا يكون المؤلف كذلك ، او يكون احدهما متزمتا وذا دخيلة نفسية غامضة دون صاحبه ، فتجيء تعابير الترجمة والفاظها وهي تنم عن طبيعة المترجم وليس عن طبيعة المؤلف ..

نظرة اجمالية

في الادب المهجري

تأليف عيسى الناعوري

خلاصة وافية موجزة للادب المهجري ، تساعد على تكوين فكرة شاملة مركزة ، وتساعد الطالب الثانوي ، بشكل خاص ، وباقصر سبيل ، على تفهم الادب المهجري فهما صحيحا ، بكل خصائصه ومميزاته ، وعناصر التجديد فيه

لا يستغني عنه المثقف ولا الطالب الثانوي في أي بلد عربي

يطلب من الناشر

مكتبة الاستقلال ـ عمان

ومن جميع المكتبات العامة في الاردن

ان الشيء الاساسي في هذا الامر هو وجوب النص على مدى التصرف الذي أصاب الاصل وان كان تصرفا محدودا بحدود اللفظ دون أي شيء غيره وبذلك يكون القارىء على بينة مما للمؤلف ومما للمترجم .. وانا ارجح التوقف في مثل هذا المذهب في الترجمة عند النطاق الذي لا يمتد ابزيمه الى ما يجاوز اخر حلقاته .. وهو ما احسب الصديق العزيز قد راعاه ولاحظه ...

بكين — جلال الحنفي

٥

دراسات في الادب المقارن والمذاهب الادبية

تاليف الدكتور صفاء خلوصي الاستاذ بجامعة بغداد ـ ٢٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الرابطة ببغداد

يجيز لي حينا بعد حين صديق العمر اديب الشرق البير اديب أن أرسل اليه بكلامي على كتب سوابق ، في اعوام غير لواحق ، كهذا الكتاب ، واطمع منه بأبعد من ذلك ، اذ قد اكتب لديه عن كتب جرى العرض لها باقلام ادباء أعلام . وما يضيرني هذا فان الكاتب مشبه عندي المصور يقتعد زاوية ليصور شخصا وقد يكون الى جانبه مصور اخر قد اتخذ مكانه في زاوية مقابلة . فنحن نكتب عن الكتب في العرض والنقد وفي التحليل من الزاوية التي تقتعد غاربها .

واليوم أجدني قد لبست مطارف الفخر ، حين ورد علي جمع من كتب اديب العراق الجامعي الاستاذ الكبير الدكتور صفاء خلوصي وكنت أرسلت اليه بواسطة صديقي الاديب النابغ الاستاذ وحيدالدين بهاءالدين أشعارا فيها لزوم ما لا يلزم على طريقة صاحبي ابي العلاء المعري وصفا له ولادبه فكان الجواب الكريم ورود هذه المجموعة الثمينة من كتب الدكتور خلوصي وفيها هذا الكتاب الذي اخترت عرضه لقرائي في « الاديب » الاغر وقارئاتي وهو « دراسات في الادب المقارن والمذاهب الادبية » .

وانا منذ وقفت على هذا النوع من الدراسة الحديثة الغربية في كتاب « الادب المقارن » لفان تيجم استاذ الادب المقارن في السوربون بباريس بترجمة صديقي الدكتور السفير سامي الدروبي الذي اختصني عام ١٩٥٦ بنسخةمجلدة منه تجايدا متقنا وعلى عقبها اسمه ، قد أحللت هذا الضرب من الدراسات محله من اعتباري ، ثم أهدى الي صديقي فقيد الادب والجامعةالمصرية والخلقالمثالي الاستاذالدكتور محمدالغنيمي هلال كتابه « في الادب المقارن » فأصبحت أتعشق هذه الدراسة الشاملة التي ترتكز على عمادين وتكتب بقلمين وتعيش بروحين .

حتى أخذت ببهجة الاطلاع ودماثة البحث والدرس انظر في كتاب الدكتور النابغ صفاء الخلوصي الذي أرى للقبه واسمه اثرا في أدبه وفنه ، فقد وجدت كتابه « صفاء الخلاصة » في هذا الادب الحي الحديث .

ومن احب ما يعلق بنفسي روح الاهداء في مطالع الكتب ، لاني أجد فيها مرآة الود وعنوان التوق الى المثل العليا ، فمن كاتب يهدي مؤلفه الى أمه فيثير في كامن الحزن على أمي التي فقدتها منذ اكثر من ثلاثين عاما ومن اديب يقدم كتابه لاساتذته ومعلميه فآخذ معه بطاطاة الرأس لهؤلاء الذين صنعونا وابدعونا .

والدكتور خلوصي اهدىكتابه الى الادباءالمقارنين ليكونوا فاتحة عهد جديد في لقاح الادب العربي بالاداب الغربية .

وقد صدر كتابه بطائفة من البحوث بلغت مئة صفحة في كلامه على ألف ليلة وليلة وقديما قيل في أمثال العرب : « في منزله يؤتى الحكم » .

وكذلك فان المنزل البغدادي الاصيل الذي أطلع الدكتور صفاء خلوصي حمله حملا لا طاقة له برده على ان يشمر لبحث اسرار الف ليلة وليلة ، وهو ابن بجدتها وجديلها المحكك وعذيقها المرجب ، كما تقول أمثال العرب الاوائل ، فاذا به يبز المستشرقين في عنايتهم بحكايا الشرق النابعة من ضفاف دجلة والتي عاش عليها الادب العالمي يترنح نشوة وهو يقرأ رواياتها ويترشفها من دارات الكرخ ببغداد ، فاذا بالمؤلف الجامعي القادر ، يأتينا بدراسات هن ابكار في الادب المقارن بين مسرحية « عطيل » لشكسبير وحكاية قمر الزمان . وقد تتبع موضوع كتابه في منتصفه الثاني كلامه على المذاهب الادبية الغربية ، بالبحث الى عالم الشياطين ، كشياطين العرب في وحي الشعراء وشياطين الادب الغربي كايميستوفوليس شيطان فاوست ، ثم أخذ بالكلام على الادب الهجائي واسميه الهجاء الساتيري نسبة الى ساتير اله الشتائم عند الاغريق وقد وفق توفيقه في بحوثه بأجمعها في الموازنات بين الاثار العربية والغربية في الادب المقارن . ثم كان موضوع كتابه في منتصفه الثاني كلامه على المذاهب الادبية الغربية ، فاذكرني بمحاضرتين كبيرتين قام بالقائهما استاذي ثم صديقي الدكتور طه حسين مد الله بعمره الكريم وجلببه بكوامل الصحة ، كان ألقاهما في مدرج الجامعة المصرية بالقاهرة الخاص بكلية الاداب ، وكان عريف الحفل الاستاذ عبد الوهاب حمودة عليه رحمات الله ، وكان موضوع المحاضرتين ان للعرب ادبا كلاسيكيا يشبه الادب الكلاسيكي الفرنسي والاوروبي ، ولما اتم محاضرتيه واراد لينهض في جو من التصفيق الشديد ، أمسك بيده الاستاذ حمودة واوقف الحضور دون الخروج ، وصاح بصوت جاهر :

« أيها الملأ ، اشهدوا بأن الدكتور طه حسين يعترف اليوم بوجود الادب الجاهلي والشعراء الجاهليين بعد ان انكر كل ذلك في كتابه الشعر الجاهلي والادب الجاهلي » .

ولم يكن من الدكتور طه حسين الا ان اجاب بضحكة عريضة طويلة

صدر حديثا

اغان من ارض كنعان

مجموعة شعرية

خليل خلايلي

٥

منشورات دار الاجيال بدمشق

وخرج مشيعا كعادته بالتجلة والوفاء .

وحين شرعت في الاطلاع على هذا القسم من كتاب الدكتور خلوصي ظننت انه قد يقول بوجود مدارس ادبية في الادب العربي كالادب الغربي وانا كنت لا اقول بذلك حتى اليوم ، لكني وجدته يدلي بوصف عام لمدارس الادب الغربي كالمدرسة الايداعية التي كان زعيمها فيكتور هوغو وقد كنت منذ سنين متطاولة رددت هذا المذهب الى الشاعر كاتولوس الروماني اذ كان هذا المذهب من ابتكاره .

ومضى في وصف المذاهب الغربية حتى بلغ المدرسة الرمزية لبودلير وفيرلين ثم المدرسة السوريالية الحديثة ، وما الى ذلك من المذاهب الادبية المعاصرة الراهنة . وكم ارجو ان يتناول المذاهب اليومية التي سادت الان عالم الغرب في الفكر والادب كمذهب اللامعقول للكاتب ذي الاصل الروماني ايونيسكو والكاتب ذي الاصل الارلندي صموئيل بيكيت الذي نال جائزة نوبل للاداب لعام ١٩٦٩ .. وليسلم قلم الصديق يافعة الجامعة البغدادية الاستاذ الدكتور صفاء الخلوصي ليديم التاليف والكتابة في الموضوعات الادبية المثلى ، وكم ارجو ان يحمل الى صديقي الاستاذ الكاتب النابغ وحيدالدين بهاءالدين تحياتي واني ساكتب عن كتابه الجديد « في الادب والحياة » ان شاء الله .

دمشق — زكي المحاسني

•

الشعراء وانشاد الشعر

تاليف علي الجندي ـ ١٦٨ صفحة ـ دار المعارف بمصر .

من دواعي الامتياز في حياة الادباء واثارهم ان يتحقق عندهم ما نسميه بالصدق الادبي والاخلاص الكامل لفنهم وتجويده بالعمل الدائب واجتراح التجارب الناجحة الامينة .. والاستاذ الشاعر المصري الكبير علي الجندي واحد من هذه النخبة الناجحة المخلصة ، تتصف كتاباته النثرية والشعرية بالاتزان والتوازن بين الاخلاص للقديم والتجديد الذي لا يبعد الى الضياع واختلال معالم الشخصية الادبية ، فهو عميد لكلية دار العلوم واستاذ الدراسات البلاغية فيها سابقا ، وشاعر مجيد رهيف الاحساس ، عاشق للجمال المطلق ، يتغنى به ، مع قوة في السبك وطلاوة في التعبير تمنحان شعره لونا من الامتياز الذي ينفرد به .. واني لاذكر بالاعتزاز الذي ينفرد به .. وانني لاذكر بالاعتزاز الاثر البليغ الذي تركته مقطوعاته الغنائية في نفسي يوم كنت في عهد اليفاعة ـ سقى الله ايامها ـ فقد كنا وقتئذ ، بتجاربنا الغضة وانفتاحنا المبكر على دنيا الشعر ، نهتز للخاطرة اللطيفة واللمحة الشريفة ونأسى لشقوة المحب المفؤود ..

وكان من حسن الطالع ان يقع نظري على قصيدة عنوانها «الطفلان العاشقان » واحسب انها منشورة في مجلة « الكاتب المصري » ، في اواخر الاربعينات ، ولاول مرة اقرأ لشاعر الحب والجمال علي الجندي قصيدته تلك ، فاهتز لتجربتها اهتزازا ، وانعم بصداقتها اياما ، وما زلت الى اليوم ، وبعد ان اجتاحت ساحتي مرارات الدهر وحجرتني عذابات النفس حجرا ، احفظ شطرا من ابياتها واستظهرها تأسيا بتلك الايام الهاربة البريئة .. لكن هذا اللقاء الاول جرني بمرور الزمن الى التعرف على المؤلفات العديدة للجندي ، فازددت معرفة بادبه وغنى من تجاربه ولا سيما دراساته المنهجية والجمالية والبلاغية ومنها كتابه موضوع الحديث « الشعراء وانشاد الشعر » .

في هذا الكتاب تبرز حقيقتان ادبيتان : الاولى تشي بمقدار الجهد الذي بذله الكاتب الجليل في تجميع مادة الكتاب ، فلاول مرة ينبري دارس مختص للكتابة عن الشعراء وانشاد الشعر على هذا النسق المنهجي المتكامل ، والثانية : ان هذا العمل الادبي موثق بهدف معين ، فهو يفيد الشاعر والباحث الناقد ، ولكنه يفيد الشداة وناشئة الادب ، حتى يكونوا ـ بتعبير المؤلف ـ على بينة وهدى ، وحتى يعرف كل شاعر مكانه ، فيريح ويستريح ، ولا ينزلق الى ما يفيض منه وينزل به .

ولا يخفى ان بحثا كهذا لا بد له من ان يبدأ بتعريفات اولية تتعلق بمعنى النشيد في اللغة وقضية انشاد الشاعر شعره ثم تتوسع دائرة فصوله فيتحدث عن تهيؤ الشاعر للانشاد وعادات الشعراء في ذلك والشعراء المجيدين للانشاد والشعراء الذين لا ينشدون ، ويتحدث ايضا عن اثر عذوبة النغمة في الانشاد وحسن الهيئة والاشارة ، والى هنا ترى المباحث جميعها مرهونة بالشاعر والانشاد ، واما ما تبقى من الفصول فتشتمل على دراسة قضايا عروضية بحتة وان كانت لا توغل في علم العروض والقافية ايغالا عميقا .. وشان الكاتب هنا شان المستانس بالقريب المفيد الذي يرفده الحس الجمالي النقي الرافض لجفاف الدراسة العروضية الصرفة ..

ومن المواضيع التي طرقها المؤلف قضية اختيار البحور المناسبة والقوافي وتجنب حروف الروي الكريهة ، والتصريع في قصائد الانشاد وحسن المطالع والمقاطع ، وتجنب الزحافات الرديئة ، واختيار الالفاظ الشعرية ، ويختتم الكتاب بفصل مقتضب عن انشاد الشعر في غير قائله ، وما كنت احب لهذا الفصل الاخير اليتيم الا ان يضم الى اقرانه في النصف الاول من الدراسة ، فهو الصق بمسالة الانشاد ، ولا علاقة له من حيث النمو العضوي للمنهج بالعروض والقوافي .

واذا كنا قد وقفنا في هذه الالمامة مع الموضوعات التي طرقها الاستاذ الجندي ، فليس لنا الان الا ان ننصرف لما جاء في الكتاب من بعض الاراء التي تستحق الوقوف عندها لما فيها من اذواق شخصية

ديوان علقمة الفحل

شرح الاعلم الشنتمري

تحقيق الاستاذين

درية الخطيب و لطفي الصقال

ويليه جملة مما لم يذكر من شعره وفهارس مختلفة

•

منشورات دار الكتاب العربي بحلب

معززة بخيرة الكاتب كشاعر مرهف واستاذ بلاغي مجود .. من ذلك حديثه عن الانشاد في العصر الحديث وعقد الموازنات بين الشعراء ، فمما قاله عن حافظ ابراهيم : « كان حافظ مديد النفس ، جهير الصوت ، يحسن اخراج الحروف من مخارجها ويعرف أين يقف ، وكيف يقف ، ومتى يجهر » . ويقول عنه : « انه كان كابن الخياط الدمشقي يستظهر شعره كله ، ويمارس انشاده منفردا قبل انشاده امام الشهود ويلقيه عن ظهر قلب .. » . ومما قاله عن علي الجارم : « وكان الجارم اندى صوتا من حافظ وعبد المطلب واحلى نغمة ، واعذب ترنما .. وكان مالكا لنفسه ، شديد الثقة بها ، عارفا انه سيسيطر على السامعين بحسن ادائه .. وقد ظل محتفظا بهذه السمات حتى ايامه الاخيرة ، وان ضعف صوته قليلا وفقد بعض رنينه » وجاء في ذكر ابي الوفاء رمزي نظيم : « انه كان ينشد بصوت مؤثر يعرب عن وجدان ديني وعاطفة صوفية عميقة .. فكان لادائه الصوتي المطابق لادائه النفسي ابلغ الاثر في السامعين » ..

والاستاذ الجندي حين يتحدث عن صديقه الراحل ابي الوفاء محمود رمزي نظيم ، فانما يتحدث عن خبرة ومصاحبة حميمة تتجلى رسومها في كتابه القيم عن ابي الوفاء والذي وقع في يدي اخيرا وباشرت في مطالعته مأخوذا بهذه العلاقة الادبية والنفسية التي ربطت بين الرجلين .. واما عن محمد حماد فيذكر الكاتب : « انه كان في انشاده فكها ظريفا ، مؤنسا ممتعا ، عذب النفس خفيف الروح .. فهو كحافظ شاعر لبق ، ومحدث ألبق ، يستقبله السامعون كما يستقبلون تحفة ظريفة شائقة تملأ نفوسهم سرورا وبهجة .. والحديث عن محمد حمام يقع تحت مظنة الاسى والالتياع ، فمنذ مدة قرأت ترجمة حزينة عن حياة هذا الشاعر والكاتب البارع والذي قضى حياته يدبج الخطب والمقالات السياسية لبعض الذين تزعموا الحياة الفكرية والسياسية فيما مضى ، وهو بعيد عن دائرة الضوء والشهرة ، فكانت حياته قسمة بين متاعب العيش وشقاء الغربة ، وان كان في سيرته الاجتماعية ظاهر الفكاهة وخفة الروح غير انه يخفي في جوانحه العذاب المر ...

وقد شاء الاستاذ الجندي ان يضرب صفحا عن ذكر الشعراء الاحياء لكثرة عددهم واشفاقا من اغفال بعضهم سهوا فيلحقه اللوم او العتاب ولكنه اكتفى بذكر اثنين منهم وهما المرحوم بولس غانم الذي كان حيا وقت تاليف الكتاب وعبد الله شمس الدين (الشاعر الرهيب) كما يدعونه ، ولكني لست ارى غضاضة في ذكر الاحياء بحسب ما يرد على الخاطر وتسعفه اللحظة ، ولا مدعاة للحرج والضيق ، وبخاصة ان المؤلف مشهود له بالحكم النزيه البعيد عن الهوى .

ويطيب لي هنا ان اذكر اثنين من الشعراء الشباب وهما احمد عبد المعطي حجازي وفاروق شوشة ، فلكل منهما ميزات خاصة في الانشاد الجميل ، ويحملنا الحق ان نضيف شاعر الحب والجمال علي الجندي فهو من المنشدين القلائل الذين يحسنون الاداء المنغم ، وقد قدر لي مرة ان اسمع الجندي عن طريق المذياع ، وهو ينشد في حفل حفيل قصيدة دالية رائعة ، فكان يتجلى في ادائه الجرس المتين والنطق المحكم ، على درجات من الانفعال عرف بها الشاعر حين تهزه طبيعة الموقف ودهشة الموضوع .. وليس كمثل الطبع الاصيل والبديهة النقية والذوق المرهف ، في تحديد قدرة الشاعر وانشاده ، والجندي يعول على هذه الامور ويرى في الاعتماد على العروض يقيد الشاعر المطبوع ، وانما يكون الاعتماد على الاذن ، وقد يسأله تلاميذه عن انواع البحور القصيرة التي نظم بها بعض شعره فيحيلهم على أساتذة العروض بالكلية ، فعلما الوزن والقافية ـ وان خصا الشعر وحده ـ ليست الضرورة داعية اليهما ، لسهولة وجودهما في طباع اكثر الناس من غير تعلم .. وهذه الالتفاتة الذوقية تمهد السبيل امام الشباب لخوض التجارب الشعرية باذواقهم من غير ان يغرقوا في بحور الشعر والقافية ، فاذا ما وقعوا في خلل ، فسرعان ما يعودون الى الصواب بهداية حاستهم الفنية النافذة التي لا تسيغ النشاز ...

ومن الملاحظات النقدية الجديدة التي جاء بها الكاتب ، ان الرجز ليس باسهل من غيره الا في نظم المتون واشباهها ، واما حين يتعلق الامر باغراض الشعر الاصيلة المتفجرة من قرارة الوجدانات ففيره اسرع واطوع ، لذلك يثقل عليه النظم منه ولم يخضه الا قليلا .. وفي مذهبي ان الرجز ، او كما يدعونه حجارة الشعراء ، عصى على استيعاب الوجدانات والعواطف المتلاطمة ، واحسب ان من نظم فيه ـ على قلة الناظمين ـ لهم قدرات خاصة وطباع اصالة مميزة قادرة على خوض التجارب الشعرية المنوعة ، وبذلك تسقط عن هذا البحر تلك الهالة من البساطة وسهولة الركوب ، وما هو في الحق ـ بالبحر الهين الدمث كما يقع في تصور الكثرة الكاثرة ..

واود في مختتم هذه المراجعة النقدية ان اقول كلمة حول الانشاد والمنشدين ، فقد كان من تمام البحث المنهجي لو ان الكاتب سعى الى بعض التحقيقات التاريخية يتناول فيها الامم التي تعلي من قيمة الانشاد كاليونان القديمة في ملاحمها الشهيرة ، او كما هو مرسوم في اناشيد الرعاة واغاني التروبادور وشعراء البروفانس ، لان مما يزيد في جودة الدراسة الادبية هو عقد الموازنات والمقارنات الجمالية مع تجارب الغير ، وبذلك تتحدد القيم الاساسية لطبيعة الانشاد وتتضح المكانة التي يحتلها من افئدة المتذوقين والسامعين ..

كما كنت ارجو لو تصدى الكاتب لذكر عثرات المنشدين وسقطاتهم، وابراز قيمة التعويل على الانشاد في المستقبل بعد ان اخذ الشعر المقروء يزاحم ذلك الشعر المغنى في المحافل والمواقف ، وفي ظني ان تجربة شاعرنا الكبير قادرة على الخوض في مثل هذه الموضوعات المتشعبة .. وتحية للاستاذ المؤلف على بحثه الرائد ، وجهده القاصد ، وصنيعه الذي لا يحد .

البصرة ـ العراق — عبد الرحمن على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ احمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة



● ثورة تلعفر ١٩٢٠ والحركات الوطنية الاخرى في منطقة الجزيرة ـ تاليف قحطان احمد عبوش التلعفري ـ ٥١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية على نشره ـ مطبعة الازهر ببغداد .

● الرجال تبكي بصمت ـ قصة ـ تاليف عبد المجيد لطفي ـ ١٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ١٠ في سلسلة القصة والمسرحية ـ منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ مطابع المؤسسة العامة للصحافة والطباعة دار الجمهورية ببغداد .

● شعراء معاصرون في سورية ـ اعداد محمود ياسين « ابن الريف » ـ الغلاف بريشة ابراهيم قدري ـ ٢١٢ صفحة ـ مطبعة الضاد بحلب .

● ممر الى احزان الرجال ـ مجموعة قصص ـ تاليف لطفية الدليمي ـ الغلاف بريشة ضياء العزاوي ـ الخطوط بريشة الشاعر محمد سعيد الصكار ـ ١٢٨ صفحة ـ مطابع دار الجاحظ ببغداد .

● الماء في حياتنا وتراثنا ـ القسم الثاني ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب ٢٦ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ (طبع في دير الزور بسورية ولم يذكر اسم المطبعة) .

● المذاهب الاخلاقية الكبرى تاليف فرنسوا غريفوار ـ ترجمة قتيبة المعروفي ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الادب العربي الحديث ، دوافعه وافاقه ـ تاليف الدكتور علي شلق ـ ١٥٢صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● فلسطيني كحد السيف ، من ادب المقاومة ـ مجموعة شعرية ـ علي فوده ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● روح هائمة ـ مجموعة شعرية ـ فلوري عبد الملك ـ تقديم احمد رامي ـ ١٩٦ ـ صفحة ـ الهيئة المحلية لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطبعة بوسكو بالاسكندرية .

● مختارات من الشعر العربي الحديث ـ تاليف مصطفى بدوي ـ ٢٦٨ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مطبعة جامعة اكسفورد بانجلترا ـ منشورات دار النهار للنشر ببيروت ـ مطبعة جامعة اكسفورد .

● ظهور وتطور الادب العربي في المهجر الاميركي ـ تاليف وديع رشيد الخوري ـ طبعة ثانية مزيدة منقحة ـ ١٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الريحاني ببيروت ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● يوم عاد ابي ـ قصص ومشاهد ـ تاليف رشاد دارغوث ـ الغلاف بريشة رضوان الشهال ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات بيت الحكمة ببيروت ـ مطابع دار غندور ببيروت .

● اتجاهات النقد الحديث في سورية ـ تاليف الدكتور جميل صليبا ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ـ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة .

● الروح والخلود بين العلم والفلسفة ـ تاليف عبد العزيز جادو ـ تقديم الدكتور رؤوف عبيد ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ سلسلة اقرأ رقم ٣٢٦ ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● يا مال الشام ـ تاليف سهام ترجمان ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مع عدة لوحات فنية ـ مطابع ادارة التوجيه المعنوي في وزارة الدفاع بدمشق .

● عنبر ورماد ـ تاليف سلمى الحفار الكزبري ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار بيروت ببيروت ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .

● رحلة الى الاندلس ـ تاليف ناجي جواد ـ ١٧٦ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ مطابع مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت .

● خواطر في الادب ـ تاليف موسى سليمان ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مسلم الفد ـ تاليف الدكتور احسان حقي ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاسلام .. والغرب .. والمستقبل ـ تاليف ارنولد توينبي ـ ترجمة الدكتور نبيل صبحي ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● عبر وعبرات من دمشق الاندلس ـ تاليف جواد المرابط ـ ١٩٨ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● النبوة .. اصلاح تقضيه رحمة الله ـ تاليف سعدي ياسين ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ مطابع معتوق اخوان ببيروت .

● نحو ثورة سلمية ـ تاليف ابو الاعلى المودودي ـ ترجمة واعداد دار العروبة للدعوة الاسلامية في لاهور باكستان ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ مطابع معتوق اخوان ببيروت .

● النقد الادبي حول ابي تمام والبحتري في القرن الرابع الهجري ـ تاليف محمد علي ابو حمدة ـ ١٠٤ صفات ـ حجم كبير ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة ـ تاليف ممد علي ابو حمدة ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العربية ببيروت ـ مطابع دار القلم ببيروت .

● اغان من ارض كنعان ـ مجموعة شعرية ـ خليل خلايلي ـ تقديم عمر ابو زلام المحامي ـ الغلاف بريشة مصطفى ارناؤوط ـ ١٢٤ صفحة ـ منشورات دار الاجيال ـ مطابع فتى العرب (دمشق) .

● الحرب يا عرب ـ مجموعة شعرية ـ الدكتور علي شلق ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ببيروت .

● العادات والتقاليد العامية في سامراء ـ تاليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره ـ مطبعة دار البصري ببغداد .

● عبارات السلوك العامية في سامراء ـ تاليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ـ ١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار البصري ببغداد .

● الازياء الشعبية في سامراء ـ تاليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ـ ٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار البصري ببغداد .

● اقباس من اخبار العشرة المبشرة ـ تاليف يونس الشيخ ابراهيم السامرائي ـ ٣٢ صفحة ـ مطبعة دار البصري ببغداد .

● اضواء على الاسلام او الاسلام في ينابعه ـ تاليف عبد العزيز بنعبدالله استاذ بجامعة القرويين والمدير العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ـ باللغة الفرنسية ـ ٨٢ صفحة ـ طبع برعاية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانواع الادبيـة والبلاغـة

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

الادب تعبير بواسطة مفردات اللغة ، واساليب القـول ، في حدود نوع ادبي معين عن مكنونات النفس الانسانية ، وتجربة الانسان ازاء العالم والمجتمع ، ينقلها الاديب الـى الجمهور طاقات من الفن ، والجمال ، والتثقيف (١) ..

الادب تعبير ، أي افصاح فني ، من حيث ان التعبير الادبي متميز عن مجرد الافصاح بالنطق ، او اللغـة . والفن صناعة الجمال ، والادب صناعة الجمال الادبـي ، يسويها الاديب من ابداعه ، ومن تجربته ، وبفعل الموهبة عنده ، لبسط مكنونات نفسه ، او نقل افكاره ..

ادوات الجمال الادبي ، التي تكون ملك يدي الاديب في صنعه له ، هي مفردات اللغة ، واساليب القـول ، وايضا الانواع الادبية .. يعالجها معالجة في موضوع من موضوعات الحياة والمجتمع ، في حدود نوع ادبي معين ، يثقف بها جمهوره ، ويمتعه ويرفه عنه ..

ان الانواع الادبية اشكال للبناء الادبي تنحدر من نفس تجربة الاديب ، وانفعاله بموضوعه ، وتلبيته حاجة مجتمعه وجمهوره ، الى التعبير الادبي الفني الجميل ..

ذلك ان النوع الادبي في الشكل الادبي البنائي الذي يتخذه التعبير المدروس ، هو حصيلة حاجة الاديب الـى ايصال افكاره ومشاعره الى الجمهور ، وحاجة المجتمـع نفسه الى التعبير الادبي ، والفني الجميل ..

المسرحية تمثل على خشبة المسرح ، وتكون شعرا ، او نثرا ، او مزيجا منهما ، والرواية ، والقصة المطولـة ، والقصة القصيرة تقرأ في الكتب ، او ايضا في المنتديات ، والقصيدة الشعرية تنشد انشادا ، او تنقلهـا الصحـف والمجلات الى القارىء ، والمقالـة تلبـي حاجـة التثقيف الاجتماعي الادبي ، وتستهلكها اليوم الصحافة الادبية فـي النقد الادبـي ...

فكيف ندرس هذه الانواع الادبية الشعرية ، والنثرية ، المختلفة ، دراسة بلاغية ؟ . والى اي مدى يمكن للبلاغة دراسة الانواع الادبية ؟! .

يخيل للدارس المتفحص للوهلة الاولـى ، وايضـا لممارس النقد الادبي ، ان لا دخل للبلاغة في دراسة الانواع الادبية ... ان مجال البلاغة تبين الاسـاليب الادبيـة ، والجمال الادبي فيها ، والانواع الادبية اشكال بناء فنـي أدبـي ...

ولذلك يبدو للوهلة الاولى ان تكريس النقد الادبـي اليوم ، وتجنيده لدراسة الانواع الادبية هو الصواب الذي يمكن ان يعطي ثمرة ، من حيث ان النقد الادبي ، وعلـى الخصوص في تمثله الحديث ، ومفاهيمه المستجدة يتسقط القول في الادب ، والاديب ، والتجربة الادبية ، والجمهور ، والذوق ، والاولى ان يأخذ على عاتقه بحث الانواع الادبية ، سواء المتوارثة ، كالقصيدة ، أو القصص ، او المستحدثة كالمسرحية ، والمقالة ، وغيرها ...

في مقابل ذلك .. يذهب نفر من البلاغيين ودارسي البلاغة ، مثل الاستاذ احمد الشائب (٢) ، وتلاميذه فـي الجامعة المصرية والازهرية ، الى ان دراسة الانواع الادبية هي عمل بلاغي صميمي ، من حيث ان البلاغة في نظرهـم يجب ان تقسم الى قسمين : القسم الاول : الاسـلوب ويبحث فيه قضايا النظم الادبي ، والقسم الثاني : الانواع الادبية ، وتبحث فيه فنون الاشكال الادبية المختلفة فـي التعبير الادبي ، كالقصيدة ، والمقامـة ، والروايـة ، والقصة ، والمسرحية ، والمقالة ، وغيرها ..

والنقاش مستمر حقا في مشروعية دراسة الانـواع الادبية ، واحقيتها ، أهي للنقد الادبـي ، ام للبلاغـة ، للنـاقـد ، أم للبلاغـي دارس الاسـلوب ، والمناهـج فـي ذلـك (٣) .. انهـا ، فـي نظرنـا ، للاثنـين معـا ، بمعنـى ان لا تقصـر علـى واحـد منهمـا ، النقد الادبي وحده ، او البلاغة وحدها ، وانما يتسانـد الطرفان ، ويتساعدان لجلاء حقيقة هذه الاشكال من بنـاء التعبير الادبي ، والفن الذي في تسويتهما ، والجمـال الذي لها ، او الجمال الذي يكسبه التعبير الادبي منهـا وغـير ذلـك ...

ان دراسة الاسلوب دراسة تركيبية ، تحليلية ، بدءا من التحليل الادبي ، جعل البلاغي اليوم ، ينظـر الـى الانواع الادبية ، نظرة جدية متأنية .. لانه وجد نفسـه امام حياة جديدة ادبية ، وبلاغية ، ولغوية ايضا ، لا بـد من التوفر لها ادبيا ، وبلاغيا ، ولغويا ..

وستظل الدراسة البلاغية سندا لدراسة الانـواع الادبية ، ولن يقوى النقد الادبي على التفرد بدراسة هذه الانواع وحده ، وستظل للدراسة البلاغية قيمتها ، مـن حيث انها دراسة الجمال الادبي الذي للاساليب المختلفة التي للتعبير الادبي في هذه الانواع ، ولندلل بأمثلة ادبية ، شعرية ، ونثرية على ذلك ..

لنأخذ مسرحية «العباسـة » لعدنان مردم بـك ، و « العباسة أخت الرشيد » لعزيز اباظة :

ان عمل الدراسة البلاغيـة ازاء هذين الاثرين الشعريين المسرحيين الحديثين (٤) ، ليس التاريخ لهاتين المسرحيتين ، أو اظهار ظروف تأليفهما .. وليس ايضـا بسط موضوعاتهما ، او وصف بنائهما الشعري ، او شرح ابداع شخوصهما الابطال منهم ، او الشخوص الثانوية .. وليس ايضا مناقشتهما في أفكارهما ، أو نقدهمـا فـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجموعهما ، وغير لك مما هو موضوع الدراسة لادبية ، والنقدية ..

ان عملها ، بالاحرى هو تبين الصنعة الكتابية الادبية فيهما ، وتبين اسرار الصياغة الشعرية فيهما .. كيف تحاور المتحاورون في هذه المسرحية او تلك ؟ .. ما هي انواع الخطاب الادبي الشعري فيهما ؟! . ما هي مفردات الحديث، والقول في ذلك ؟!. وما هي التراكيب، والصور البيانية ؟! . من اين جزالة الاسلوب ، او حرارته ؟ .. من اين الحركة في الاداء الادبي ، من اين الروح فيه !؟ . لماذا الهم النفسي في هذا المشهد، ولماذا العرض التصويري في ذلك المشهد ؟! . وهلم جرا ..

كل هذه الزوايا الواسعة ، والحنايا الدقيقة من الدراسة الصميمية لهذين الاثرين الشعريين المسرحيين ، شعرهما ، أسلوبهما ، افكارهما ، عباراتهما .. هي موضوع الدراسة البلاغية ، والتي عادة لا تطولها يد النقد الادبي ، والدراسة الادبية ، أن لم ننبه باستمرار الى ما ظللنا نكرسه من ضرورة تكامل البلاغة ، والنقد الادبي ، ومساندة بعضهما لبعض ..

ان براعة التنسيق ، والملاءمة للموضوع ، وسلامة التعبير ، وحيوية التركيب ، ورشاقة الاخيلة ، وقوة الصياغة ، وجمال السبك .. كل ذلك على البلاغي دارس الاسلوب توضيحه في أصوله ، وتطبيقه ، ان تقاعس الناقد والدارس الادبي عن ذلك ، وبالفعل ، البلاغة اليوم تستقصي ذلك في دراسة الاسلوب ، وصور البيان ..

انها اليوم تخدم الانواع الادبية من حيث انها توضح في دراسة الاسلوب ، ما هي خطة التعبير الادبي ، وكيف خطط الاديب لادائه الادبي ، ثم كيف نسق الافكار ، والعرض ، في اي من انواع الشعر والنثر التي يصطنعها .

الاسلوب آنئذ ، ليس النوع الادبي في تصميمه ، او بنائه ، واقسامه .. ولكنه السمة الشخصية التي طبع بها الاديب مسرحيته ، وتميزت بها هذه المسرحية عن المسرحية الاخرى ..

ان سمة « العباسة » لعدنان مردم بك ، بالفعل ، هي هذه الحدة الذكية ، الحدة النفسية في التركيز العجيب في السرد ، او في التحليل لابداع الابطال والشخوص الهامة في المسرحية ، وهي ترجع عنده الى الحرص الفني الادبي على وحدة العمل المسرحي في المسرحية ، والذي يلتزمه في كافة مسرحياته الشعرية .

والقارىء الدارس لهذا المسرحيات ، ومنها « العباسة » ، عندما يتصفحها ، ويسير في مشاهدها يشعر انه امام مسرح اصولي قوي ، بديع ، واصيل ، من نوع المسرح الكلاسي الفرنسي ، الذي لكورنيل ، وراسين، في ايثارهما وحدة العمل والموضوع ...

في حين سمة المسرحية الثانية ، « العباسة اخت الرشيد » ، لعزيز أباظة ، هو هذا الحشد ، لنقل القطاعي للمواقف ، والاحداث ، مع التصوير الجانبي الرديف للموضوع ، لجوانب اجتماعية تتعلق بالموضوع ، وتطوره.

هذا الحشد اثرت الوان سردية ووصفية منه عند شكسبير ، ثم احمد شوقي ، ويعتمده عزيز اباظة ، رغم انه يبطيء من الحركة التي للعمل المسرحي ، او يقلل من حدة التصوير لابداع الابطال في المسرحية ، والشخوص الاخرى حولها ..

ان التنسيق في العرض الشعري في المشاهد ، ثم اسلوب الصياغة والتراكيب في الحوار على المسرح ، والحديث ، ثم العبارات الشعرية نفسها ، وما فيها من صور بيان تخضع كلها ، في المسرحيتين لاعتبارات كل من هذين التمثلين للتاليف المسرحي عند كل من الشاعرين ..

وابرز صورة لذلك ، التزام عدنان مردم بك استعمال مجزوء البحور في شتى حواراته ، وحديثه المسرحي ، وهو استعمال مطرد في مسرحياته كافة ، في حين تتنوع الاوزان الشعرية والبحور في مسرح عزيز اباظة ، وهو منوع ايضا ..

نجد الى جانب ذلك الجزالة في الصياغة الشعرية عند عدنان مردم بك ، وهي تلائم تقري العمل المسرحي الواحد ، والتحليل النفسي ، والخلقي .. في حين نجد السلاسة تطبع شعر عزيز اباظة في مسرحه ، وهي تلائم السرد فيه والحشد القطاعي، للمواقف والاحداث والاوصاف المختلفة ...

لناخذ الان مثلين اخرين من ادب الرواية الحديثة ، هما : رواية « باسمة بين الدموع » ، لعبدالسلام العجيلي ، ورواية « اصابعنا التي تحترق » ، لسهيل ادريس (٥) .

الرواية الاولى ، موضوعها علاقة غرام جنسي بين سياسي قديم وفاشل ، وبين مطلقة موسرة معذبة ، تنتهي بنزوحها عن البلد الى بلد اخر ، عندما تجد ان عشيقها اخذ يهيم بأختها ..

والرواية الثانية رصد قطاعي نفسي واجتماعي لكفاح صاحب مجلة ، وهو وطني مخلص ، ويعمل مدرسا ، فيسخر دروسه للتربية الوطنية القويمة .. وفيها جانب كبير من خصوصيات حياة عائلته ، ترويها

(١) ـ هذا التعريف للادب لنا ، بسطناه في كتابنا الدراسة النفسية والبلاغة ، قيد الطبع ، مع شرح موجز ..

(٢) ـ هذا التمثل تجده في كتاب « الاسلوب » لاحمد الشائب ، وترجع الطبعة الاولى منه الى عام ١٩٣٦ ، كما نجده في الاطروحات البلاغية والنقدية التي يسوبها ، وينشرها تلاميذه الجامعيون والازهريون ...

(٣) ـ لعشرة اعوام خلت ، كان الدكتور الشيخ صبحي الصالح يحاضر في هذه الانواع الادبية ضمن محاضراته في البلاغة ، والاسلوب في الجامعة السورية ، واخذنا وقتها ذلك عليه ، فلم يرد ..

(٤) و (٥) ـ سبقت دراسة هذه الامثلة الادبية دراسة تحليلية ونقدية .. راجع ايضا « الادب المسرحي في سورية » لعدنان بن ذريل ، دمشق ١٩٦٥ ، و « ادب القصة في سورية » لعدنان بن ذريل ، دمشق ١٩٦٦ .

رماد

تذكار « همنغواي »

•

ماذا تقول الريح من غصون ؟
ما ترصف الافلاك للعيون ؟
هل صور الليل عروق الشمس ؟
أو جمر الآن رماد الامس
لا شيء ، لا شيء فما الخلاص ؟
تفاهة ، سئمت ، لا مناص !
يدي على الزناد ، هذا حد
حكاية الماضي ، واصداء الابد

علي شلق

زوجته بنفسها ...

عادة ، الرواية كنوع ادبي له اصوله في بنائه واقسامه وفنيته ، تحوي ، او تستبيح استعمال عدة اساليب للكتابة ، مثل السرد المباشر ، والتحليل المباشر ، او الوصف او البوح والحوار وهي تساعد على تكشف الاحداث .. او ايضا الرسائل ، او المذكرات ، او الحديث النفسي ، وهي تساعد على تطوير العمل الروائي ، وغيرها ...

الروايتان لا شك من الحياة والى الحياة ، من المجتمع والى المجتمع ، ومن الروح ، واليها ، وهما ادب طليعي ناضج يثقف ، ويهذب ..

تصور « باسمة بين الدموع » الفساد ، والمباذل ، وتصور « اصابعنا التي تحترق » الكفاح عند مثقف وطني .. وقد استهلك صاحب كل منهما بالفعل عدة اساليب كتابية روائية ، منها على الخصوص المذكرات في «اصابعنا التي تحترق » ، والرسائل في « باسمة بين الدموع » ، ثم الحديث النفسي والحوار ..

ابرز نقاط الاختلاف بين الروايتين ، هو ان : « باسمة بين الدموع » ، تقوم على حدث سردي ، واضح ، وكبير ، هو فشل علاقة بين موسرين فاشلين ، هو يجمع حوله التحليلات والاوصاف المختلفة كافة ...

في حين أن « اصابعنا التي تحترق » تقوم على وصف قطاعي متسلسل لكفاح مثقف وطني من حملة الاقلام ، وهمومه بقضايا معاشه في الاساس ، وكافة السرود الجزئية فيها مواقفية ، تؤكد صورة هذا المثقف الوطني ...

ورغم ان المؤلفين يعنيان بتصوير ابداع ابطالهما ، ونفسياتهم ، الا ان الاختلاف بينهما ظاهر ، خاصة في الروايتين ..

يظل عبد السلام العجيلي ، رغم عنايته الفائقة بوصف ابطاله ، وتحليل نفسياتهم ، يخضع وصفه وتحليله لسرده الذي يحتل عنده مكان الصدارة ، وهو سرد بالفعل اخاذ وبارع ، في حين يتحزب سهيل ادريس للقطاع اثر القطاع في قضية ابطاله ، ويصور النفوس مندمجة في مواقف القضية ، وعلى الخصوص المواقف الاجتماعية ، وليس الشخصية ، وكلا المؤلفين يقيس الحياة والمجتمع والنفوس حوله ..

والنتيجة في الروايتين ، ان السرد ظل مسيطرا على العمل الروائي كله ، في « باسمة بين الدموع » ، ويظل المؤلف يدفعنا عن الحل فيه والخاتمة الى اوصاف وتحليلات توضح اسبابهما ومسبباتهما .. في حين في « اصابعنا التي تحترق » متعة المطالعة الادبية ، والدراسة الادبية ايضا ، في فضول التعرف الى احداث حياة هذا المناضل المثقف صاحب المجلة ، في عمله ، او في بيته .. ولذلك حرص المؤلف على الصدق في الوصف ، والدقة في التحليل ، والبراءة في الشروح ، وتوفق الى حد كبير ...

كل ذلك اثر في تنسيق كل من الروايتين ، وعرضهما ، وسبكهما ، والصياغة فيهما .. عبد السلام العجيلي راح يسرد ، ويصف ، ويحلل ، ويستخدم اساليب الحوار ، والرسائل في جزالة تارة ، وسلاسة تارة اخرى ، في حين سهيل ادريس لزم قضية بطله ، وهموم معاشه ، وعمله ، وبيته ، واكبر الظن ان تقسيم الرواية عنده الى قسمين ، يجري الاول منهما على لسان البطل ، ويجري القسم الثاني على لسان شريكة حياته ، وعمله ، هو لتسهيل رصد المواقف المختلفة في قضية هذا المناضل المثقف الوطني ...

وبذلك تميز الاسلوبان في الروايتين بعضهما عن بعض ، في السبك ، والعبارة ، والتراكيب ، والمفردات ، وظهر عليهما طابع شخصية مؤلفيهما في التأليف والكتابة ، اسلوب « باسمة بين الدموع » سلفي ان صح التعبير ، هو اسلوب الرواية السردية التحليلية ، جزل وسلس ، واسلوب « اصابعنا التي تحترق » حياتي منوع ، فيه سلاسة وبراءة ..

ان مجال الدراسة البلاغية اذن متميز عن مجال الدراسة الادبية والنقدية .. انه يقوم على النصوص الادبية ، ولا قوام له بدونها البتة ، ويستهدف اظهار فنية الادب في هذه النصوص ، اي ما به الادب ادب ، واسرار الجمال في الاسلوب ، في الفقرات ، في الجمل ، في التراكيب ، والالفاظ ، وهو بذلك كله اساسي لا غنى للنقد الادبي نفسه عنه ..

واما كيف نحصر الخصائص والصفات الاسلوبية التي لنوع ادبي واحد ، او لاسلوب ادبي واحد ، فسيكون موضوع مقالتنا القادمة ، ان شاء الله ..

دمشق

عدنان بن ذريل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشـاؤم

بولس سـلامة

* * *

على شرفة السبعين ودعت ماضيا ... وشيعت لمـاح الـرؤى والامانيـا
فامسيت ارجو اللـه لا عون غيره ... وقد غيض الليل البهيم رجائيـا
وشق على أيـوب أني شـاوتـه ... وخلفته في حومة الخطب ثانيـا
بسـبعة اعـوام تقضى عذابـه ... وكل حياتـي صفحة من عذابيـا
رماني زمانـي بالنصال حديـدة ... فما تصـدر الانبـال الا دواميـا
سواي بجنح الليل يطوي همومـه ... وسود ملماتـي صبغـن الياليـا
يقولون صبرا ، قلت صبرا عليكمو ... فهلا عرفتم في الرزايـا مكانيـا
فما تستوي عين الحريـق بنـاره ... وعين الذي يرنـو الى النار نائيـا
يقولون : هذا العام ولـى فربمـا ... تعود الليالي الغائمـات صواحيـا
فقلت : بلوت الحظ عشرين حجة ... فمـا زادت الايـام الا شـقائيا
تساورني الارزاء يقظان سـامرا ... وتفدحني فوق الوسـادة غافـيا
كأني على حجر الثعابـين راقـد ... فمـا ألمـح الاحـلام الا أفاعيـا
هنيئا لمن كانت بلايـاه تنقضـي ... فان همومـي كالجبـال رواسـيا
الا أيهـا النصـاح بالله حسبكم ... دعونـي لآلامي ، دعونـي لما بيـا

خلقت ذكورا لو دعيت الى الصبا ... لعدت الى حضن الطفولة حافيـا
أذر علـى رأسي التراب مقهقهـا ... وألقي الى عصف الريـاح ردائيا
واصحب أترابي اذا ابتسم الضحى ... نصابـح تـلا او نباكـر واديـا
وقد نثر الفجـر الفتيق جمانـه ... فهل على الوادي وطـل المراعيـا
فمن ماعز يستقبل الشمس راقصا ... ومن حمل يستروح النبت ثاغيـا
ونغرق في السهل الموج حاليـا ... وقد أطلع الزهر الحسان فواغيـا
فنجمع منها الفل كالطهر ناصعـا ... ونقطف منها الورد كالـدم قانيـا
ونهـر كقلب الطفل صاف لجينه ... دعانـا فلبينا النمـير المناديـا
فعمنا على غدرانـه الزرق ساعة ... وطفنـا بأكناف الريـاض ثمانيـا
نعيم حيـاة المرء ما دام غـافـلا ... لقد شقي الانسان مذ بات واعيـا
تولى شبابي بـين سـقم وحسرة ... ففاشـيـة الالام غمـت شبابيـا
فلا اكتحلت عيني بخضر جنانـه ... ولا رنحـت أذني الطيـور شواديا
مررت بأحواض الشبيبة ظامئـا ... فاسعد مني الطير يرتـاد حاسيا

سواي له في مطلب الشعر محنة ... يبيت على هـم يروض القوافيـا
ويبرزن لي مثل النجوم سوافـرا ... وينزلن في لمـح الضياء فؤاديـا
أخوض عباب اليم غـير منفـر ... ويجهد غيري أن يخوض السواقيا
فلا حـاجة للدوح في من يمـده ... ففي طبعه ان يسمق الدوح عاليا
ويحتلني شعري كما يسطع الضحى ... فيغمر تسكاب الشـعاع الروابيا
وأنهل من عـذب القريض صفيه ... كما عب نيسان السحاب الغواديا
فينسج ديباج الروائـع مرقمـي ... ويأتـي بأبكـار القصيد غوانيـا

ولا خير في شعر وان راق حسنه ... اذا لم يكن من مهجة القلب راويا
وبئس بيان حائر اللون غامض ... تلبس غايات وساء مراميا
تظن به سرا يفوتك فهمه ... فترتد عن غاب الاعاجيب وانيا
فهون عليك الخطب ان مآله ... يظل على بانيه اقتم خافيا
توهمت خلف الغاب نهرا وجنة ... وان هو الا القفر اجرد عافيا
فما غاية الصحراء غير سرابها ... ولا شيء الا الرمل أحمر صاليا

يعيبونني اني وان كنت حاضرا ... فان يراعي ينظم الشعر باديا
فقلت لعمري أوثر الجزل محكما ... فاختار مانوسا واغفل نابيا
أنال من الماضي صفاء بيانه ... وأستل من قلب الجديد المعانيا
أنا الكرمة المخصاب أرست عروقها ... ومدت على الدوح الشموخ الدواليا
فلاحت ربيعا للربيع ومطلعا ... لاطرف ما في مطرف الحسن حاليا
فكانت لارباب العقول سلافة ... وللبصر الواعي قطوفا دوانيا
وما ضرني أن لم اضرج صحائفي ... بعهر فاختار القوافي الزوانيا
ولم ينصرف ذهني الى الغرب سارقا ... ذخائر موتاه على الصدق جانيا
فكم طارق جاس القبور وفضها ... وعاد بأسلاب الاعاجم غازيا
فالبسها من حلة الضاد مئزرا ... ولوح بالثوب الهجين مباهيا
ولو نفذت عيناك عبر حجابه ... لالفيته الا من الزيف عاريا
شربت بكأسي لا أروم بديلها ... وتأنف نفسي ان تراني عاديا
اذا نضبت كأسي صدعت بها الثرى ... وآثرت ان أفنى وان مت صاديا

تذكرت اصحابي وقد هدني الاسى ... لعل بأصحابي الاقي عزائيا
وهمتهم روضا يقيني من اللظى ... فكانوا على قلبي الجريح المكاويا
وكم ناشيء أوقرت بالفضل صلبه ... فارهقني بالسيئات مجازيا
كذاك سواد الناس اما بلوتهم ... تجدهم صلالا او ذئابا ضواريا
رأيت دعي الزهد اما مؤلها ... عتيا واما ثعلبيا مرائيا
يبشر بالتقوى وينهى عن الخنى ... وفي سره يعصى التقى والنواهيا
يحض على الايمان والدين ملحدا ... ويدعو الى الاحصان والطهر زانيا
مسيلمة من دونه افك مقول ... وشيلوخ بالسحت الدنيء مرابيا

ترى صارت الدنيا لابليس موطنا ... وعادت سفالات الامور أعاليا
فما يفلح الباغي ارتقاء مكانة ... اذا لم يكن للآفكين مواليا
الا اكذب فان الصدق ولى زمانه ... فان تتقن الزلفى بلغت المراقيا
تعهرت الدنيا فان كنت ساخطا ... عليها فجزها او فدعها كما هيا
فان شئت في غاب الوحوش وجاهة ... فلا بد أن تمسي مع الذئب عاويا
وتخفت صوت الله فيك وتنبري ... فتخنق حدسا او ضميرا مناجيا
تعمد بهيم القول ان كنت سائسا ... وسدد سهام الحقد ان كنت واشيا
ولبس عليهم بالاحاجي فانما ... بصائرهم كالليل ادجن شاتيا
فكم لك في الدهماء من متنظر ... جبان بطيء الفهم ينشد راعيا
ستتبعك القطعان فانعق فانهم ... أناس كباش يتبعون مناديا
مطاياك فاركب من تشاء فانهم ... ليخجلهم أن تبلغ التخت ماشيا
وكن صارما في المنكرات ولا تهن ... فقد لانت الدنيا لمن كان قاسيا
وسيرهمو بالزجر طورا وتارة ... بوعدك مبسولا وسوطك عاسيا
وبالدين تبديه وان كنت ملحدا ... فاحبب اليهم أن يلاقوك جاثيا
والمم حواليك الصحاب عصائبا ... دروعا صلابا او عبيدا مواليا
وانزلهمو جنات وعد على الندى ... ولا تخف الحيات ما دمت حاويا
فهل شمت في لبنان الا مزارعا ... تداولها اهل الثراء ، مراعيا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد حفلت بالطيبات قصورهم ... ولكن بيت المال قد بات خاليا
فافرغ بيوت الناس واملأ فراغه ... فيدفعه الشعب المكبل راضيا

أراني غريبا في بلاد غريبة ... وقد طمست دهم الخطوب رجائيا
فما اعرف الاحداث الا نوائبا ... وما اعرف الايام الا عواديا
وادهى جراح النفس ما كان خافيا ... فاوجع مكلوما واعجز آسيا
اذا الماجد المثناف نزت جراحه ... تنزه ان يستقبل الرزء باكيا
كذا الاسد الرئبال يطوي مصابه ... ولو بات مغلول المخالب طاويا
يؤرقني هم يهد جوارحي ... ولو كان منظورا لهد الرواسيا
أسائل نفسي في الصباح أنائما ... سلخت الليالي الدهم أم كنت ساهيا
لكنت سعيدا لو تغمدني الكرى ... وحلت أساطير الخيال مناميا
رضيت بأحلام السعادة نائما ... فرارا من الارزاء ما دمت صاحيا
فما أتعس الانسان بالعقل عاثرا ... واسعده محلولك الفهم ناسيا
فهاءنذا كالروض صوح ماؤه ... فاصبح معتل الازاهير ذاويا
كسيراضعيف الحيل أحدب أعرجا ... وكالقصب المرضوخ اصبحت واهيا
وكنت كجذع السنديانة ايدا ... وكالرمح طعانا ، وكالسيف ماضيا

أفر الى اين الفرار من الاسى ... وقد صار مني مهجتي والتراقيا
فلا اسمع الالحان الا نوادبا ... وتسمعها اذن الخلي اغانيا
فلو رمت ان استقبل الشمس باسما ... لعاد بهاء الشمس أسحم داجيا
فاغرق نفسي في الحداد ومرقمي ... وسود احلامي وغل لسانيا
تمنيت ان استوطن القفر ناسكا ... واترك اشباح الوجود ورائيا
سواء اذا ما المرء عاش بعزلة ... اصاحب انسانا ام اختار ضاريا
مضيت شهيدا في الحياة مضرجا ... ومن منقع الاوحال صفيت مائيا
وكان اذا ما غمني الكرب حازبا ... نشقت مع السم الزعاف هوائيا
أحس دبيب الوهج بين جوانحي ... والح في افق الغروب مسائيا
فمن قد تمنى لي حياة مديدة ... فمن غير علم قد تمنى شقائيا
سامضي الى رب رحيم يمدني ... بغفرانه الضافي وان كنت خاطيا
فاين الرواقيون مني شجاعة ... واين حماة الدين مني محاميا
ذنوبي لنفسي ما جنيت على امرىء ... فما كنت غدارا ولا كنت باغيا
لقد صهرت نار العذاب مآثمي ... فكانت حياتي مطهري وحياتيا
سامثل يوم الحشر لله خاشعا ... وقد حملت كفي اليمين كتابيا
عن القيم العليا دفعت بمرقم ... رهيف كما شمت الحسام اليمانيا
نهضت باعباء الامانة صادقا ... وقمت بآلاء الصداقة وافيا
شكوراعلى الحسنى، صفوحا عن الاذى ... صريحا كماء المزن ينهل صافيا
وعن شبهات الخسف أعليت همتي ... وصنت ابائي واقتنيت حيائيا
وما كنت جبارا لستر نقيصة ... ولا مستبدا جلمد القلب جافيا
ولا انقبضت كفي اذا هزني الندى ... فشمت عيون البائسين بواكيا
الى الباخلين الموسرين تسددت ... نصالي فذاقوا حنظلا من هجائيا
تعروا من الانسان روحا ورافة ... فعريتهم للساخرين مراميا

وجدتك في مدحي لنفسي تلامني ... فزور غضبانا وتعرض لاحيا
الم ترني والهم هد جوانحي ... اجود بروحي او ابث وداعيا
كفيتك ان تنعى هميروس قومه ... فجئتك باسم الشعر والمجد ناعيا
لقد سؤت بي ظنا فها انا راحل ... فيا لي مرثيا ويا لي راثيا

بولس سلامه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اميل توفيق

نظرية برتراند راسل في التربية

طريقة للسلام العالمي

بقلم اميل توفيق

* * *

ظهر كتاب برتراند راسل «التربية والنظام الاجتماعي» ● في ١٩٣٢ ، وتلاحقت طبعاته ، التي كان اخرها الطبعة الخامسة سنة ١٩٥٦ – وقد جاء الكتاب في ١٤ فصلا يعتبر كل فصل منها بحثا قائما بذاته ، وفي الوقت نفسه حلقة في سلسلة الكتاب . والدارس المتأمل لهذا الكتاب العميق الجاد ، لا بد ان يخرج بأفكار واراء تربوية قيمة ، وان يجد اسسا عامة للتحليل والموازنة في معظم قضايا العصر وحسبي ان أقدم خلاصة لفكر راسل ، أو الماما بالمحور الذي دار حوله الكتاب ، في السياق التالي :

يرى البعض ان الافراد الذين ينشأون ليصبحوا فرديات مستقلة – بالمعنى التربوي – يكونون بالضرورة مواطنين صالحين .. ولكن برتراند راسل يفرق عمليا بين التربية التي تستهدف تنشئة الطفل ليكون فردية نابهة مستقلة ، وتلك التي تستهدف تنشئته ليكون مواطنا صالحا .

ذلك لان تنشئة الطفل من اجل الاستقلال والنمو الفردي ، من الناحيتين العقلية والوجدانية ، شيء يختلف عن تنشئته من اجل خلقه مواطنا صالحا ، في مستقبل الايام . ويقول في ذلك ان « جوته » مثلا كان اقل فائدة من « جيمس وات » مخترع الالة البخارية من ناحية افادته لمواطنيه ، ولكن جوته كفرد او كشخصية كان يعتبر ذا مواهب ومؤهلات فردية تفوق تلك التي كانت لجيمس وات بكثير .

وهناك شقة خلاف كبيرة بين اولئك الذين يرون التربية مؤسسة على محور النفسية الفردية – وأولئك الذين يرونها مبنية على اساس العلاقة بين الفرد والمجتمع .

وهنا يجدر ان نسأل هذا السؤال : ما الذي يكون الفرد ؟

هل يكفي أن ينمو الطفل في « المعرفة » – وان يستوعب المدركات المختلفة التي تشتمل عليها العلوم والاداب التي انتجتها قرائح العلماء والادباء . ان المعرفة وحدها لا تكفي . اذ يجب ان يقترن ادراك الانسان بشعور ما يدرك . المعرفة يجب ان تقترن بالمتعة – بالفرح . او باللذة . الادراك لا بد له من « الوجدان » – ومع ذلك فان الانسان في المجتمع يستهدف الكمال وذلك من خلال ممارسته لارادته . بعبارة موجزة ان العناصر المكونة للفردية المستقلة ، والتي تسير به في طريق الكمال – هي المعرفة والشعور والارادة . أو هي الحكمة والحب والقوة .

وممارسة الفرد لارادته انما تعمل على تكامله مع انمائه في المعرفة والشعور – وبدون المجتمع لا يمارس الفرد ارادته . ولكن في المجتمع هناك فارق بين ممارسة الفرد لارادته كفردية ، وممارسته الارادة كمواطن .

فممارسة الانسان لارادته كفردية مستقلة (بدون ترويض لهذه الارادة) قد يخلق منه انسانا مستبدا او دكتاتورا ، لانه يريد ان يشبع هذه الارادة التي تحقق له ذاتيته واستقلاله . اما ممارسة الانسان لارادته كمواطن فانه يتطلب منه تكيفا وانسجاما مع الارادات المختلفة التي تحيط به .

وظيفة التربية اذن – وهي تتغيا الفردية والمواطنة معا – ينبغي ان تأخذ هذه الحقيقة في الاعتبار : ان هناك الفردية في مواجهة المواطنة . فالفرد اذا نظر اليه كمواطن فحسب – أي من وجهة نظر المواطنة ، لا يصبح انسانا خلاقا ، اذ أن ارادته المتكيفة تخلق منه انسانا لا راديا ، من وجهة نظر فرديته اذا نمت في الطريق الاستقلالي .

والفرد اذا نظر اليه من اجل الفردية المستقلة ، فسوف تتعارض ارادته مع ارادة الاخرين ، ومن ثم ستتعارض مع مقتضيات المواطنة . ان الاتجاه نحو الفردية هو ضد الاتجاه نحو المواطنة ، ولكن التربية في عرف برتراند راسل ينبغي ان تعمل على ان تتوافق اهداف الفردية مع اهداف المواطنة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرية راسل في التربية مبنية اساسا على هذا المحور : وجود التعارض ، ووجوب التوفيق .

ففي الفصل الاول من الكتاب نجد شرحا وتحليلا لهذا التعارض تحت عنوان : « الفرد ضد المواطن » (١) .

وفي الفصل الاخير من الكتاب نجد شرحا لراي الفيلسوف العالمي ، الذي يتضمن التوفيق بين الاتجاهين ، تحت عنوان : « التوفيق بين الفردية والمواطنة » (٢) .

يخلص الفيلسوف الكبير لوظيفة التربية من اجل السلام العالمي ، ومن اجل ازدهار الحضارات الفردية في القوميات المختلفة ، ومن اجل ان يؤدي كل ذلك الى رفاهية الفرد والمجتمع على السواء .

وقد ساق المؤلف امثلة عديدة للمواقف التي تلقى فيها التربية صعوبات ومقاومات في تادية رسالتها ، بل انه ساق امثلة للتعارض الذي تلقاه التربية وفيها تسهم هي ايضا في تمكين هذا التعارض ، وفي خلق العوائق امام رسالتها السوية . فقد كتب فصلا في « الديموقراطية والارستقراطية والبيروقراطية » شرح فيه وجهة النظر هذه . فيقول ان المدرسة التي تؤسسها الارستقراطية انما تشجع على قيام طبقة تتعلم ان تستبد وان تحكم وان تسود لمجرد الشعور بان هؤلاء الارستقراطيين متميزون عن غيرهم ، ومن ثم نجد ان خريجي هذه المدارس يصلون الى المناصب العالية القيادية واغلبهم لا يميزهم غير هذا الانتماء الطبقي ، بل قد يكون معظمهم من الاغبياء . اما الديمقراطية فهي خير طالما انها توحي باحترام النفس . ولكن آفة الديموقراطية تكمن في انها توحي بمناهضة النابهين او المتفوقين .

ان شر الارستقراطية يكمن في انها ليس فقط تؤمن بأن بعض الناس هم اعلى وارفع واميز من غيرهم ، بل وان هذا العلو وهذا الامتياز انما هما من الامور الوراثية . ولكن في الديموقراطية هناك الاعتبار بأن الحقوق التي يدعيها المتفوقون او الموهوبون تكون عرضة لمقاومة الجماهير ، او لاثارة الغريزة الجماعية باسم الديموقراطية . وبدلا من ان يترك للتربويين امر اكتشاف النبوغ او الموهبة وقتما تظهر حتى في بواكير الصبا ، من اجل رعايتها وتعهدها ـ يقاوم هذا الاتجاه بحجة ان نقل طفل صغير نابغ الى صف اعلى من صف اقرانه ، انما هو تصرف غير ديموقراطي ـ ومن هنا تفوت الفرصة على النابهين والموهوبين كما تفقد الامة بعض طاقاتها سدى .

اما البيروقراطيون الذين يملكون اصدار القرارات وتطبيق اللوائح وهم ليسوا في ميادين العمل او في حقول الانتاج ، ولكن من وراء مكاتبهم ، فهم طبقة الموظفين والاداريين الذين بموجب السلطات المخولة لهم اصبحوا يهتمون بالجانب الذي اختصوا بتنفيذه دون النظر الى الجوانب الاخرى . ومن هنا فان راسل يقترح بالنسبة لهؤلاء ان تكون التربية اساسا من اجل حضارة انسانية ، من اجل كليات انسانية ، او بعبارة اخرى ان المنهاج يجب ان يستهدف نظرة شاملة اوسع ، في فروع تتكامل في النهاية لتعطي حاسة حضارية متميزة بالحكمة والشمول .

وفي فصل عن « الانفعال والنظام » يذكر راسل ان الشعور بالحب الذي يمنحه الكبار ينبغي ان يعطي شعورا بالامن او الطمانينة (٣) ، ولكن بحيث لا يقيد او يحد من الشعور بالحرية (٤) . أو ان يثير ردا لفعل انفعالي عميق. ان اللعب الذي هو حاجة اساسية للطفولة ، يجب ان يشبعها الابناء والاباء لان في اللعب تدعيما للعلاقات السوية بين الاباء وابنائهم .

ان الظروف الحاضرة التي تسود العالم ـ ظروف الانقسام والصدام ـ قد جعلت مسالة « التربية والحرية » مشكلة كبرى . فالحرية تعاني الكثير من معوقات التعبير . ان راسل يشجع الشباب في التعبير عما يحس من مشكلات . ويقول لندعهم يناقشون في حرية ما يحلو لهم من موضوعات تهمهم كموضوعات الاخلاق وغيرها ، وليقولوا ما يشاءون بشرط أن يكون حديثهم هو حديث العقل والمنطق ومقارنة الحجة او هو الحوار العقلي المتفتح . ولو انهم اعطوا الفرص التي فيها يفكرون بعقولهم هم لا بعقول غيرهم ، بدون ان يجدوا تعنيفا او زجرا او قسرا او تهديدا ، فان هذا الجو الذي يتيحه لهم الكبار ، اذا اقترن بالوجدان والحب ، فسوف يجعل الحرية والامن يسيران جنبا الى جنب ، ولكن طالما ان الاوضاع العالمية الحاضرة ، في اي بلد من بلاد العالم ، هي على ما هي عليه ، فان النتيجة الحتمية للتربية الراهنة تجعل الحرية اذا نمت في فرد ما فعلى حساب شعوره بالامن ـ او تجعل شعوره بالامن اذا نما فعلى حساب حريته .

ان بناء الرجال الذين عليهم ان يخلقوا عالما افضل هو المشكلة الكبرى التي تواجه علم النفس او تواجه المربين اليوم . المشكلة في اساسها كيف نجمع بين حرية الفكر وسلامة الاتجاهات العاطفية والمباديء والميول .

وفي فصل اخر بعنوان « الغريزة الجماعية في التربية » (٥) يحلل لنا المؤلف الاثر الذي ينتج من تفاعل نفسية التلميذ مع المجتمع المدرسي ، والمجتمع الكبير . وخاصة هؤلاء الافراد النابهين او المرموقين او الذين يتميزون بالاحساس الدقيق . ذلك ان اية جماعة توحي في افرادها الضرورة بالتطابق او التماثل . وقد يحدث ان بعض النفسيات تستشعر الصراع نتيجة ما تحس بالشعور الاضطهادي ، او بشعور الصنعة ، او بشعور التمرد وما الى ذلك من انواع العواطف المنحرفة ، التي تنعكس على سلوك اصحابها . والمؤلف في هذا الصدد يهتم كسائر المربين ان تعالج المدرسة ما توحي به الغريزة الجماعية من عواطف او مشاعر او اتجاهات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منحرفة ، وان تهيء الجو لتقوية العوامل التي تساعد على التماثل السوي ، وارسال المباديء الاجتماعية السوية .

من أمثلة الشخصيات التاريخية التي تأثرت بفعل الضغط الاجتماعي ، يذكر لنا المؤلف كارل ماركس ودزرائيلي . وفي مقارنة بينهما يقول ان ماركس كان يحس وهو شاب بالحقد نحو مجتمع يضطهده ليهوديته ، ولذلك فقد كان رد الفعل – في تكوين شخصيته واتجاهاتها ، موجها لا الى مضطهديه الاصليين ، بل الى الراسماليين – وهؤلاء كانوا حقا مكروهين . أما دزرائيلي – وكان يعتنق المسيحية ، مع انتمائه لاصل يهودي ، فقد جعلته مسيحيته ان يعمل على ان يتماثل سلوكه مع سلوك المجتمع البريطاني – ومن ثم فقد كانت نفسيته تميل للاستقرار اذ كان يستشعر الطمانينة من عدم الاضطهاد . وبعبارة أخرى فقد تحول كارل ماركس الى شخصية ثورية ، واما دزرائيلي فقد وصف سلوكه بالتقليد الواقي من الاضطهاد .

وفي المبادىء وتطبيقها يذكر المؤلف الكبير ان الدول وبخاصة الكبرى تنتهك المباديء التي ترفع للشباب شعاراتها . ويقول ان الولايات المتحدة الامريكية تعلم الناشئة تاريخ ابراهام لنكولن ، وترفعه كرمز للحرية التي تبشر بها ، ومع ذلك فكل من يرفع صوته مناديا – مثل لنكولن – بالحرية يجد نفسه مكبلا بالقيود ! ويقول أيضا أنه لو جاء السيد المسيح الى انجلترة التي ترفع اسمه وتدين بتعاليمه ، وتصرف كتصرفه منذ الفي عام ، لما سلم من قبضة بوليس سكوتلانديارد !! .

وفي باب « الوطنية في التربية » (٦) يكتب فصلا رائعا . انه يحلل فيه حب الوطن الاصيل الذي قوامه حب الفلاح والزارع للارض ، وحب الانسان للمكان الذي نشأ في ربوعه ، وحبه للتراث والامجاد الحضارية التي تنتمي لهذا الوطن . ولكن لماذا يمتزج هذا الحب الاصيل بكراهية الاوطان الاخرى ؟ والتقليل من شأن القوميات الاخرى ؟ لماذا ينقلب حب الوطن ولا سيما لدى الدول الكبرى الى تعصب قومي ، والى الرغبة في الغزو واستثمار الدول الصغيرة ؟ وبدلا من اقتصار وظيفة الدولة الخارجية على شئون الدفاع ، نجدها تتجاوزها الى الغزو والاستثمار والاعتداء بالحرب ، وتصبح الوطنية عندها مقترنة بالحرب والغزو والعدوان . ان من يقرأ هذا الفصل يضع يده على تحليل رائع لقضايا هذا العصر – وخاصة تلك التي وقعت بعد تأليف الكتاب مثل قضية الشرق الاوسط ، ويجد « منطق راسل تنديدا بموقف الصهيونية ، بل ويستطيع ان يربط بين ما كتب في هذا الفصل ، ورسالته الاخيرة التي ارسلها الى مؤتمر البرلمانيين الذي انعقد في القاهرة اخيرا ، قبيل وفاته بيوم واحد .

ان راسل يخاطب الساسة ورجال الفكر جميعا في كتابه هذا من اجل انقاذ العالم من الهوة التي سيتردى فيها لو تركت « القوميات » بدون ترشيد وتعديل وتغيير. يكون في اساسه تربويا . وهو يقترح ان يكتب التاريخ العالمي لجنة تضعها عصبة من الدول ، بحيث تبرز الحركات الحضارية اكثر مما تبرز الحروب ، واذا ذكرت البطولات التاريخية ، فلا ينبغي اغفال التنديد بالعدوان والمآسي الدموية والمظالم الصارخة ان التاريخ اليوم يمجد الحرب ، ويغفل اثر هؤلاء الذين يعملون على ارساء قواعد السلام ومبادئه . والتربية الحديثة يجب ان تعمل للسلام في عالم الغد . يقول راسل ربما كان تخيلي لعالم السلام نوعا من الاحلام او اليوتوبيات .. ولكن النضال من أجل تحقيقه يستحق العناء ، ويستاهل التعاون المثمر المتميز بتطبيق الاسلوب العلمي وتكامل الارادات جميعها .

ما الذي يحدث نتيجة التعارض بين اتجاه الفردية واتجاه المواطنة في التربية ؟ وكيف تعمل التربية على التوفيق بين الاتجاهين ؟ ..

يقول راسل انه حيثما يكون الهدف المطلوب هو الوصول الى التوافق التام – في مجتمع يسوده الظلم الاجتماعي مثلا – فهناك نتيجتان حتميتان : الاولى تقضي باخضاع الارادة الفردية او بالوصول الى الموافقة التامة – والثانية أن تتمرد هذه الارادة الفردية على الارادة المفروضة . وكلا الامرين شيء غير مستحب من ناحية الوظيفة التربوية – انما الشيء الجدير بالاهتمام ان تصبح التربية اداة للتغيير والتطوير ومن ثم تصبح هذه الاداة مفتاح التوفيق او المصالحة بين الاتجاهين .

وقد اوضح راسل ان التغيير الذي تؤدي اليه التربية يستلزم توفر بعض الشروط الهامة . اولها ان القائمين بشئون التربية انفسهم ينبغي ان يكونوا من طراز الرجال الديموقراطيين والذين يوحدون اتجاهاتهم ومبادئهم مع الاتجاه التقدمي الجديد – لا من النوع المتغطرس المستبد المعوق لكل تطور ، او النوع الذي يحب السلطة والمظاهر . والشرط الثاني أن دعاة التغيير ، في الدولة يجب ان يتميزوا بسعة الادراك ، وبقدرة عالية من التصور او التخيل تمكنهم من الحكم الصحيح على الاشياء ، وتجعلهم متفهمين للقيم التي يستهدفون الوصول اليها او المباديء التي يرون انها ينبغي ان تسود المجتمع مستقبلا ، دون ان يكون لهم هدف الغنم الشخصي .

ودعاة التغيير هؤلاء يجب ان يكونوا ممن يطبقون الاسلوب العلمي سواء كان ذلك في المشكلات العلمية او

«Education and The Social Order»

– وفي النسخة التي طبعت بأمريكا كان عنوان الكتاب
«Education and The Modern World»

Individual versus Citizen (1)
The Reconciliation of Individuality and Citizenship. (2) Safety (3) Freedom (4)
The Herd in Education (٥) اصل العنوان هو « القطيع في التربية
Patriotism in Education (6)

الصناعية او في المشكلات الاجتماعية . فالاسلوب العلمي هو الطريق الوحيد الذي يؤدي الى اكتشاف الحقائق ويقود الى المخترعات والى الحلول للمشكلات . ويقارن راسل بين العقلية العلمية وغيرها من العقليات فيقول ان عقلية الشاك او الذي يشك في كل شيء ، عقلية لا تصل الى شيء من الحق ، والعقلية الجامدة ترى أن الحقائق قد عرفت منذ القدم وانه لا يمكن الوصول الى شيء جديد من الحق . اما الباحث العلمي الذي يطبق الاسلوب العلمي بوسائل البحث فان عقليته تجد امامها الطريق مفتوحا ، كما ترى في الافق شيئا مجهولا عليها ان تكتشفه ومن هنا كان التطور والتقدم والتجديد ممكنا. وحتى الوصول الى الحقيقة عن طريق العلم لا يجعل تلك الحقيقة مطلقة او نهائية ، لانها في عرف العلم حقيقة نسبية ، وقد تدخل في أطار الحقائق الاخرى ، كما يمكن ادخال التعديلات عليها او التصحيح فيها .

على ان الشرط الثالث والمهم لاحداث التغيير المطلوب هو عنصر هام انساني ويتعلق بالمجتمع ككل ويعني به راسل عنصر التماسك الاجتماعي لانه يعتبر القوة الارادية الدافعة الى اهداف التغيير . ويعتبر راسل ان هذا التماسك له جذوره الهامة التي ينبغي تدعيمها كشعور افراد المجتمع بالتراث المشترك وبالامجاد الحضارية .

ويتابع راسل القول ان اكبر خطر في التطبيق التربوي يتأتى من ان دعاة التغيير من اصحاب العقلية العلمية يجابهون في المجتمع الاتجاهات الرجعية التي تهدم وتحطم ما يبنيه العلم وما يصل اليه من نتائج وبدلا من ان تؤثر النتائج العلمية على سلوك الناس ليسود العدل وتزدهر الحضارة والانتاج ، اذا بأصحاب الاتجاهات الرجعية يقاومون وقد يتسلطون وبذلك تسود العواطف الهوجاء ، والظلم الاجتماعي ، ويفتقر المجتمع الى ايجاد الحلول السليمة .

ومن هنا يدعو راسل القائمين على شئون الدولة الى ضرورة ازاحة الرجعية ، ودفع تيار التقدم ليسير في مجراه . ويلاحظ الفيلسوف الكبير ان عنصر التماسك الاجتماعي ـ أو العنصر القومي ـ له آفته الكبرى حيث ان القومية ـ كما ذكر من قبل ـ هي التي تخلق في الظروف الحاضرة وفي ظل أوضاع العالم الراهنة وبخاصة في ظل تسلط القوميات الكبرى ـ تخلق ـ التفاضل والانانية وحب الحرب ولا تدعو الى التكامل والى التعاون كما ينبغي ان تؤدي اليه التربية القومية .

ومن اجل ذلك فان التربية القومية عند راسل ، ينبغي ان تشع وترتفع لتشمل شيئا اعلى منها هو الشعور بالعالمية . ذلك ان هناك تماسكا اخر ضروريا لحفظ التراث البشري كله ، هو التماسك الدولي الذي يتضمن الشعور بأن الجنس البشري هو وحدة متعاونة . وبعبارة اخرى ان حاسة التعاون القومي ينبغي ـ عن طريق التربية ـ ان تنمو وتكبر لتشمل حاسة التعاون الدولي أو القومية العالمية من اجل الحفاظ على المدنية العلمية .

ومن اجل تحقيق هذه الحاسة يقترح راسل انشاء الحكومة او الدولة العالمية وفي نطاقها يتم تكوين المؤسسة التربوية العالمية التي تجعل رسالتها هي تحقيق الولاء لهذه الحكومة او الدولة (بدون تعارض ، بل مع تكامل الولاء للدولة الوطنية) . وصحيح ان راسل يقر بأن مثل هذا الاقتراح صعب التنفيذ ، وانه سيلقى صعوبات ومقاومات لا حصر لها ، ولكنه يقول اذا كان البديل لهذه الدولة هو دمار المدنية وفناؤها ، فان النضال من أجل القومية العالمية لامد طويل يستحق كل عناء .

ان المجتمعات الحديثة هي الان اقرب التصاقا وقربا عما كانت عليه في الماضي من ناحية التركيب الاقتصادي والسياسي ـ واذا كان عليها ان تحظى بالنجاح ، فان هناك التزاما بالنماء المماثل في طريق المواطنة العالمية .

واذا حدث هذا ، فمعنى ذلك استتباب عناصر السلام لكل قومية من القوميات ، وبالتالي سوف تتوفر عوامل الانتاج والاحياء للحضارات الفردية ، وازدهار الفنون والاداب ، ورفع مستوى المعيشة في كل بلد بما يحقق السعادة والرفاهية للفرد والمجتمع على السواء .

شبين الكوم ـ ج.ع.م. **اميل توفيق**

ما اودعك

الوجد رق فأوجعك
والحزن جفف أدمعك
حيران .. ولهان الشجون
بسحر جفن لوعك
كبر الهوى في خافقيك
فراح يروي أضلعك
ورنوت للحب الشهي
فكان جرحك مرتعك
أقبلت تبسم للدلال
فمال عنك وودعك
وزعت عمرك ، غانما
بؤس الجوى ، فتوزعك
لله أنت ، ممزق
الآهات ، يا ما أودعك
يكفيك ، بارحت الجمال
فلا عليك ، ولا معك

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

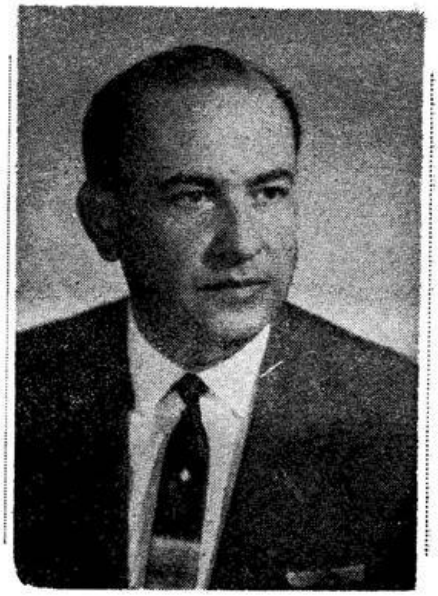
الى صديق

•

فؤاد الخشن

•

الشويفات ـ لبنان



تلمع الدهشة في عينيك
ينداح السـؤال
في الفم اليابس للغيظ :
ـ « لمـاذا
كلما اخطأ انسان تسامح ؟
ولماذا كلما اخفى صديق
عنك ما يضمر في النفس تصارح ؟
اهو ضعف وغبـاء
أم ضـلال
منك عن درب الرجوله
أم غريب انت عن هذي المسارح
تجهـل الادوار ...
تركيز قنـاع الارث !
هـز السـيف ...
عـادات القبيلـه ...
ورمـاح الثـار
سـور العزم في وجه تحد
يتخطى بسهولـه ،
كلما شاء اعتلاء واجتيازا ،
حـائط الحـد ...
ويطويه بقفزات اعتداد وبطولة »

ـ انا صحو من دم الصيف
وفجر من نقاء ومحبـه
واكتنـاه كسر القشره
عند سطـح يغطـي
الف فردوس على الارض ورغبه ...
انا انسان يرى العيش
صفـاء وطفولـه
ويرى في بسمة الانسان قلبه
ليس للبغض ثوان عنده
عبثا يهدرها ، في غرزه
بقلوب الناس نابا اسودا
راعفا بالسـم نـاضح
وهو في رمل البوادي واحـة
ترشف الطيب وافياء السوانح ...
طائر من جنة الحـب التـي
تزرع الشوق التهافا في الجوانح
كلما اغفت لديه رغبـة
هفهفت في النفس آلاف المراوح !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تركت سماعة الهاتف كصياد فاشل يغمره شعوره بالهزيمة . الدنيا بكل صخورها تنحدر الى صدري ، واللفافة الرخيصة تتبخر بسرعة تقلقني . عقارب الساعة لصوص خبثاء .. واصوات الامهات في اذني صيحات ألم ، يصرخن ويبكين .. ثم تحدث الولادة .

لا ادري ماذا افعل !

أمضغ شفتي ، واطعن الارض بقدمي .. وانهض لانظر عبر النافذة الوسيعة .

شمس يلول محرقة . والاشجار صامتة مذعورة .

رميت نفسي فوق الكراسي المخدرة .. تنقلت من غرفة الى غرفة . فتحت دليل الهاتف السميك ، وطبقته ثم رميته بعيدا ..

نظرت في المرآة .. وجهي وجه امرأة عجوز صلعاء . وخطر لي ان شاربي المحلوقين يبرزان كأشواك متهدلة مداسة ، ورأسي يصفر .. وكدت أضرب بقبضتي المرآة !

القلق يتسرب من الجدران .. من النوافذ ، يطرق الابواب ، ويهمس في اذني .. أهرب منه فينشد في اذني لحنا قاتما .. ماذا لو تعثرت الولادة ! سيقول الطبيب باقتضاب :

ـ الام او الطفل !؟

وسيقول أخي بسرعة ، ودون تفكير :

ـ الام ..

عندها ستخرج قطعة لحم صامتة .. وينهي الطبيب عمله بشد أصابعه على وريقات مالية وكأنه يصنع التاريخ ! لماذا انت متشائم ! ..

زجاج النوافذ وجوه متألمة ، معذبة . اذا اخطأ الطبيب ذهبت الحياة ، واشتدت الدموع في العيون . الطبيب لا يصنع شيئا ، لا يعطي الحياة .. ولكنه يستطيع ان يفعل شيئا من اجل الحياة . لماذا يحلو لبعضهم ان يجعل الحياة تجارة .. ربما يصنع المعجزات !

عبر الجدران الصم تسرب اليأس .. الساعة الثامنة والشمس محرقة ، والمذياع صامت ، فقد فرغت مدخراته في هذا الصباح . والجيران لم يستيقظوا بعد ، فالسقف لا يزال ساكنا . سحبت شباكي ، قلت :

ـ خير !

جاءني صوت بعيد ، مضطرب ، أرقه الالم :

ـ انها تتعذب ...

والطبيب .. الا يفعل شيئا ؟

ـ يعمل جهده .

لعنت الهاتف .. وشتمت مدير البريد . امي قالت الاطباء لا يفهمون شيئا ، والولادة في البيت افضل .. الاطباء يعرفون كيف يحلقون

الطفل الذي لم يبك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم جهاد الكاتب

ذقونهم وشواربهم ويركزون نظاراتهم فوق عيونهم .. ثم انهم يكذبون . كنت أحتد لكلامها ، واحاول اقناعها بأفضلية العلم على القابلات الجاهلات .. ولكنها كانت تعرب عن سخريتها مما اقول فأسكت .

أخي بذل كل ما يملك كيلا يسمع صوت آلام زوجته .. ولكنها تصرخ !

كل الشوارع تضيق ، وجدرانها تتشاهق ، واعمدتها تتطاول . وسائق السيارة الذي حملني الى



المستشفى ذو عينين منتفختين وذقن خشنة سوداء تميل الى الزرقة . قال بعد ان اعترض طريق السيارة ولد يقفز :

ـ يلعن الاولاد .

كرهت السائق لانه يلعن الاولاد .. يلعن الحياة .

الناس يمتصهم العمل ، وهم لا يعلمون أن مخلوقا مثلهم سيكون معهم بعد قليل . لم تقل لي امي انها تعذبت في ولادتي ، وانا ادرك الان انها صرخت وتألمت كثيرا !

في البهو المعتم التقيت بأخي يقف جامدا .. لفافته في فمه ، وولاعته في يده ، يفرغ توتر اعصابه فيها ، يولعها ويطفئها . لم يقل لي شيئا الا حين خرجت ممرضة صغيرة بسرعة وعيناه معلقتان بالباب :

ـ خدروها .

سرت في جسمي حركة ارتياح .. لن تشعر بآلام بعد ثلاثة ايام قاتمة . النور المسترسل عبر زجاج الباب اصفر شاحب ، وصمت اخي قوي ، ودخان اللفافات يتجمع في سقف البهو الواطىء ويصنع بركة عميقة من الانتظار . انني لا اعرف مشاعر انسان ينتظر أن يصبح اثنين .

فجأة يجد نفسه اثنين .. قطعة منه تتحرك ، تبكي وتصرخ وتضحك . ولكنني اوقن في اعماق نفسي انها اصدق مشاعر في الوجود . قرأت في عيني اخي آيات الحنان قبل ان يرزق شيئا ، قبل ان يعرف شكل المخلوق المنتظر . انه لشيء رائع ان يحب الانسان شيئا لم يره بعد !

جلس على مقعد طويل ، وحاولت انا ان افعل ما يجعله يبتسم ، الا ان القلق كان يدور في غرف المستشفى ، يدور ويئز ، ويضرب بجناحيه المفزعين اهدابنا وقلوبنا ، ويلكز وجناتنا ، وصمت الانتظار يقف امام الابواب بقامته الاسطورية ، ويحمل منجلا لامعا يطوق قلعة كاملة .

كنت طفلا .. وليتني اعود ، أتنقل من حضن الى حضن .. تلثمني الشفاه الحلوة ، وتدغدغ وجهي ، وتداعب شعري ، تلامس اصابعي . ليتني طفل لا اعلم ان امي تألمت من اجلي ، وتعذبت وصرخت . ليتني طفل تقول لي امي : وجدناك في كيس الطحين !

اللفافة تحترق بين شفتي ، والدخان ينصب شباكه أمام عيني .. ولهفة بيضاء تنشر اشرعتها عبر امواج زرق تتصادم .

حدثت جلبة مكبوتة خلف الباب ، وسمعت صوتا خشنا يردد همهمات لم أفهمها ، ثم خرجت امي ، فقفز اليها اخي وهي تفرغ عينيها من الدموع .. قال :

ـ خير ؟

بكت بصوت مرتفع حاولت اعدامه . قال وصوته يتهدج :

ـ لماذا تبكين ؟!

امله يقف عند الشفتين .. فرحته وتعاسته ، نشوته وانقباضه يقف عند كلمة . قالت امي :

ـ صبي ..

ثم بكت .. عندما نأتي يبكون ، وعندما نذهب يبكون . أي قدرة تصنع هذا الانسان !

الدموع في عيني أخي محرجة ، وصدره يتعالى ، ونشوة انتصاره تطبع قسمات وجهه ، انتصار لا يماثله اخر . واختفى فجأة ازيز القلق ، وهرب صمت الانتظار .. استفسر :

ـ وهي ؟

ـ بخير .

خرج الطبيب وهو يخلع رداءه الابيض .. بسمته كمن ربح صفقة خضار ، ووراءه الممرضة الصغيرة ، قال لاخي بلهجة بائع يكسب زبونا جديدا :

ـ مبروك ..

وابتلعه الممر ، فيما افاق اخي من نشوته القاصمة ، همس كأنه لا يصدق :

ـ صبي .. صبي !

واقتحم الغرفة ، ثم لحقته امي .

بقيت في الممر امتص لفافتي وفي حلقي غصة فرح ، غصة حزن .. لشيء لا اعرفه . وارتفعت هالة الى راسي عجزت عن ادراكها .

انسحبت بعيدا عن الباب ، مهزوما ، منتصرا ، لا ادري . غدا يكبر وينادوني « عمي » واحتضنه واقبله ، يركض خلفي لاخذه معي . ولا ادري لم خطر لي موت ابي ، عندها بكيت كطفل ، وهربت من المستشفى قبل أن تمسك بي نظرات الممرضة .

عبر شريط الهاتف الابله سألت اخي : هل هو حلو ؟!

ـ كأبيه .

ضحكت فأنا عمه ايضا :

ـ وصحته ؟

ـ جيدة .. عظيمة .

ـ وشعره ؟

ـ غامق

ـ وعيناه ؟

ـ حلو .. حلو كل ما فيه حلو .

هزتني نشوة انتصار ، وددت ان ابتلع خط الهاتف ابتلاعا ، واظل اردد ما سمعت . قلت :

ـ هل تستطيع ان تسمعني بكاءه؟

ـ لم يبك بعد .

ـ لم يبك !

لم يبك الطفل !

ظللت اسأل نفسي ، كل الاطفال يبكون ، عندما يشتمون رائحة الدنيا يبكون ، سعادة او الما لست ادري ، ولكنهم يبكون بشدة ، وتضحك الام وهي ترى طفلها يبكي ، فسيصبح صدره عريضا !

مساء كنت اطأطيء راسي على سريره الصغير ، مقمطا في ثياب جديدة مزخرفة بيد امه قبل ان يرى الدنيا باشهر . في تلك اللحظة ، وانا اتملق وجهه الصغير ، خطر لي ابي . فوجدت نفسي بحاجة الى بكاء عنيف . حملته بين يدي . باقة ربيع مجدلة بالشمس . سألت اخي :

ـ ماذا قال الطبيب ؟

ـ صحته جيدة .. ووزنه طبيعي .

وهمست : ولكنه لا يبكي .

ـ سيبكي ..

لم اشأ تشويه الصورة والحلم والحقيقة التي يعيشها اخي ، فنظرت الى عيني امي ، وقرات فيهما القلق . وعرفت أنها تقرأ بعض الايات .

غادرت الغرفة والضيق يذبح رقبتي .. ولا ادري لم رجعت لالقي نظرة شرهة الى وجه الطفل . عيناه جميلتان ، وفمه برعم ندي .. لمست شفتيه بأصبعي ، وغنيت له ، وضحكنا . داعبت اصابعه وقبلتها ، وغنيت له ، وخطر لي ان اقرصه . وعندما غادرت الغرفة ثانية سمعت صوتا يقول لي :

ـ سيكون لك انت طفل ايضا .

عدت الى البيت ، بعد ان قتلت ساعات طويلة استعيد فيها ذكرياتي واقلبها . عدت وانا اعرف كيف يكون الرجل المهزوم ، تماما كمقعد الحديقة الهرم الذي جلست عليه ، كحارس الحديقة الذي ينفخ صفارته دون ان يرى احدا يدوس الازهار .. كالشجرة اليابسة ذات الاغصان العارية .. لم أجد تفسيرا لهذا الشعور .. واستغربت أن يقاربني.

دخلت البيت فاستقبلتني جوقة الحزن التي احتلت الاركان كلها ، وتمددت على المقاعد بعبوس . الستائر يضربها هواء مفاجيء وكأنها مرفوعة فوق سطح بناء ، والجدران تدهن نفسها بالسواد ، والصور تتحرك وتقلب لي ظهرها ، والمذياع الصغير مرمي على الارض ، قطعة ميتة . لم تعد اللفافات تشدني .. حرقت لساني لكثر ما ابتلعت دخانها ، وانا لا أحبها ..

هززت سماعة الهاتف :

ـ كيف حاله ؟

واجاب عني صمت مثقل بالحزن والهدوء .. قلت :

ـ الم يبك ؟

سمعت تنهدا مكبوتا :

ـ لن يبكي ابدا ..

ثم انني بكيت .. بكيت بكاء رجل.

حلب — جهاد الكاتب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محب الدين الخطيب

مؤاساة لابنه الوحيد قصي الخطيب

★

يا ((خطيبا)) قد عاش فينا حبيبا ... سكن الروح واستباح القلوبا
في ضفاف النيل استقامت له الدا ... ر ، ورفت في الحسن نخلا رطيبا
((شارع الفتح)) كان موطنه الدا ... ئم ، سمى به المقام الرغيبا
جئته ساكن الجوار على ((الرو ... ضة)) ، أزجي اليه ردا حسيبا
أدهشتني فيه سجايا امام ... جعل الكتب همه المطلوبا
بات بين الاوراق صفرا وبيضا ... في رحاب الكتب ضمت عجيبا
سلفيا قد كان في منبت الشا ... م ، له نفحة تند طيوبا
فاتى مصر بانيا في التواليـ ... ـف ، واحيا فيها الكتاب المصيبا
نشر الكتب طابعا واديبا ... كاتبا ، وانتمى البعاد القريبا
ويح شهرية جلاها من الزهـ ... ـراء ((اقلامها قرعن الخطوبا
ان تسل مصر في تواريخ جد ... واه تقل كان عالما موهوبا
في احاديثه حلاوة سحر ... ملك السمع واصطفاه سليبا
عشق الروح واجتواه كراه ... ساهدا عابدا طهورا منيبا
كان للشعر راويا يتحدى ... كل حفظ مواعظا ونسيبا
ولنص ((الحديث)) يرفع لقيا ... ه الى مصدر ((النبي)) أريبا
قد تحيرت في صفات له في الوصـ ... ـف ، هل كان عبقريا طبيبا
او تولى روحية الفكر والفن ... واحيا التراث ندبا اديبا
ناضر الوجه ، مشرق النفس وتلـ ... ـقاه بجوف الدجى يناجي الغيوبا
كان ملء القريب هديا وعونا ... وبتحنانه يضم الغريبا
ذكريات له تعج على الدهـ ... ـر حوت ما دهشت بحرا صبيبا
وعراكا في الفكر كان قديما ... وجديدا شهى اليك الحروبا
مسلما مؤمنا يفيض حياة ... في سبيل القنوت ، عفا مهيبا
زاهدا في اللبوس والمظهر الخا ... دع ما ان ترى عليه معيبا
أرخ المجد في سبيل المياميـ ... ـن تجده عنوانه المكتوبا
كان ركنا في نهضة الشرق والعر ... ب ، ونورا اضاء جيلا نجيبا

حن للشام واشتكى لي هواه ... عاشق الغوطتين ماء وطيبا
وعلى «دمر» و «للربوة» الغنا ... ء حب له يشق الجيوبا
ان ((آل الخطيب)) طرا يؤدو ... نك في وجدهم شبابا وشيبا
فاتخذ في العلى مقاما سريا ... في الفراديس للهداة جنيبا

يا ((محب الدين الخطيب)) تناديـ ... ـك ديار الخلود فيها خطيبا

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

الدكتور سابا شبر - محمد حسن عماد الدين

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ الدكتور سابا شبر

منذ طاف الدكتور سابا شبر بالعالم الجديد ولمس انعدام الروحانية في نفوس اناسيه ووقف على مأساة الانسانية في اسيا وافريقية ... وعلى الظلم الفادح الذي يبلو شروره سواد الناس هناك ... وهو كافر بسائر القيم والمثل العليا ... ويائس من « الامم المتحدة » ومن الالفاظ التي تجترها الدول ... وظل الشعار الذي يردده في ندواته شرقا وغربا ... قوله الصريح الجريء :

« الحرية ؟ الاستقلال ؟ الوطنية ؟ الكرامة القومية ؟ الامم المتحدة ؟ حقوق الانسان ؟ الحرب الباردة ؟ ليست هذه جميعا سوى مخدرات وترهات ... ما دامت الاغلبية العظمى تعيش حياة اسوأ من حياة الدواب ... والقردة ... في الاحياء القذرة والحقيرة في مدن وقرى اسيا وافريقية ! » .

ولد « سابا » في بيت المقدس سنة ١٩٢٣ وتحدر من اسرة عريقة في عروبتها ، سخية بطائفة من المهندسين وذوي الحرف الحرة على فلسطين وشقيقاتها العربيات ! وكانت دراسته الابتدائية في مدرسة المطران بالقدس والثانوية في كلية تراسانطة وحصل منها على دبلوم سنة ١٩٤١ ونجح في امتحاني مترك لندن والمترك الفلسطيني .

وفي سنة ١٩٤٤ حصل على بكلوريوس في الهندسة المدنية من الجامعة الاميركية في بيروت بدرجة اولى مع امتياز وفي سنة ١٩٤٦ حصل على بكلوريوس في الهندسة المعمارية من جامعة القاهرة بتفوق ، وخلال العطل المدرسية كان يعمل رساما معماريا في مكتب والده المهندس جورج سابا شبر بالقدس .

وفي سنة ١٩٤٦ قصد الولايات المتحدة طلبا للعلم وبعد سنة حصل على الماجستير في الهندسة المعمارية من جامعة « ماساشوسيتس انستتيوت اوف تكنولوجي » ، وكانت الاطروحة التي قدمها تصميم مباني كلية الهندسة في القدس اذ كان والده المرحوم المهندس جورج شبر قد اشترى الارض اللازمة لبناء « جامعة القدس » على جبل سكوبس والشيخ جراح « بما في ذلك الملعب البلدي » وكان يعد نجله سابا ليتسلم شؤون الجامعة بدءا بكلية حديثة للهندسة تفي حاجات منطقة القدس فنيا وتحد من هجرة الشبان العرب الى الخارج .

وفي سنة ١٩٤٨ احرز ماجستيرا ثانية من جامعة ماساشوسيتس في تنظيم المدن والاقاليم وكانت الاطروحة الثانية التي اعدها تكملة للاطروحة الاولى وموضوعها تصميم وتنظيم المدينة المرتقب نموها حول « جامعة القدس » .

وفي سنة ١٩٥٦ نال شهادة الدكتوراه من جامعة كورنيل وكان موضوع الاطروحة التي قدمها « التكوين والتطور المديني » وقوام هذه الاطروحة ٥٩٩ صفحة جاءت في مجلدين ضخمين احدهما يشتمل على رسومات فنية بريشته وقد اتسمت بميزتين :

الاولى : انها تشتمل على عدة نظريات فنية اساسية .

الثانية : انها كتبت بلغة انكليزية رفيعة ، ولقد استعان اساتذته ببعض اللغويين من القسم الانكليزي في الجامعة لتفسير وتبسيط بعض المصطلحات والتعابير . وكانت موضوعات دراسته للدكتوراه الرئيسية « تنظيم المدن والاقاليم » والثانوية « الادارة العامة والتجارة » .

وخلال اقامة الدكتور شبر في الولايات المتحدة عمل مهندسا معماريا في مدينة هاريسبورغ بولاية بنسلفانيا (صيف ١٩٤٨) واستاذ مساعد في العمارة وتنظيم المدن بجامعة كانساس في مدينة مانهاتن بولاية كانساس (صيف ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) ورئيسا لمهندسي التنظيم في مدينة كانساس بولاية ميسوري (صيف ١٩٤٩) واستاذ مساعد في تنظيم المدن في « معهد رانسيلر بوليتيك » بمدينة تروي بولاية نيويورك (١٩٤٩ ـ ١٩٥٠) ومستشارا للقسم الاقتصادي في مجلس التخطيط بمدينة تروي بولاية نيويورك ورئيسا لمكتب هندسي معروف في مدينة بوسطن بولاية ماساشوستس (صيف ١٩٥٠) واستاذا مساعدا في « معهد رانسيلر بوليتيك » بمدينة واشنطن (صيف ١٩٥٠) .

وفي صيف ١٩٥٤ عاد الدكتور شبر الى بيروت ليعمل استاذا في كلية الهندسة بالجامعة الامريكية وليؤسس فرعا لتنظيم المدن الا انه آثر الرجوع الى الولايات المتحدة للحصول على الدكتوراه من جامعة كورنيل حيث كان يدرس خلال سني (١٩٥٤ ـ ١٩٥٦) ويعمل مهندسا معماريا في مركز كورنيل للابحاث السكنية . وفي سنة ١٩٥٦ عاد الى بيروت نهائيا وترأس المكتب الفني في المصلحة الوطنية للتعمير (١٩٥٦ ـ ١٩٥٩) . وفي شباط ١٩٥٩ عمل مستشارا فنيا لشؤون التنظيم في بلدية دمشق ووزارة الشؤون البلدية والقروية .

وفي ايلول ١٩٥٩ عين مديرا للمكتب الاستشاري في مدينة « خبر » بالسعودية وصمم عدة مشاريع لشركة ارامكو ، وفي سنة ١٩٦٠ عمل مستشارا للمكتب الاستشاري الهندسي في بيروت وخبيرا لوزارة الاشغال العامة اللبنانية .

وفي سنة ١٩٦١ عين مساعدا لرئيس المهندسين في وزارة الاشغال العامة بالكويت حيث كان مسؤولا عن قطاعات المساحة والتنظيم والتصميم .

وفي صيف عام ١٩٦٨ قصد مدينة بادنو بهام بالمانيا ليقضي اجازته هناك فدخل مصحا لمعالجة امراض القلب ، ونظرا للاعمال المرهقة التي اضطلع بها وقام بتخطيطها وانجازها قضى نحبه في ٤ ـ ٧ ـ ١٩٦٨ اثر نوبة قلبية حادة قضت على هذا العبقري .

وبعد ان حنط جثمانه ارسل جوا من فرنكفورت الى بيروت ودفن في ٧ ـ ٧ ـ ١٩٦٨ بمقبرة كنيسة سيدة النياح الارثوذكسية برأس بيروت ، فخسر العالم العربي بهذا النابغ العملاق مهندسا لامعا اتسم بالفكر النير والثقافة العالية ، وترك مكانا شامخا في ميدان التخطيط والعمارة والزراعة ومركز الابحاث وعضوا ومستشارا في المجلس البلدي الكويتي وعضوا وخبيرا في الصندوق الكويتي للتنمية وخبيرا في مجلس التخطيط الكويتي .

وفي سنة ١٩٦١ استدعته الحكومة الاردنية لاستشارته في تصميم مدينة العقبة وفي سنة ١٩٦٦ وضع تقريرا شاملا عن التنظيم المدني والاقليمي في ليبيا .

وتقديرا لعلمه الغزير وكفاآته الفنية الفذة أطلقت عليه مجلة « ميدل ايست بزنس دايجست » لقب « الشخصية العربية لعام ١٩٦٣ » واسمته « المخطط العربي » .

من آثاره القلمية : زود الدكتور شبر خزانة الهندسة العربية بشوامخ من المؤلفات الفريدة وقد قابلها اهل الفن شرقا وغربا بالتقدير والاعجاب ، ونشر عشرات المقالات الفنية في اكثر من خمس وعشرين

مجلة وصحيفة ، وقد حث فيها على ازدهار التنظيم الصحيح للمدن والمباني .

وكان من هواياته الرسم والكتابة والقاء المحاضرات الفنية ، ونشر له ما يقرب من الف مقال باللغتين العربية والانكليزية في صحف لبنان ومصر والكويت ، وتناول فيها موضوعات طريفة ، ولقي اتقانه اللغة الانكليزية اعجاب الكثيرين من الاعلام اللغويين .

ولم ينس الدكتور شبر فلسطين وطنه المغصوب فكتب عن ماساة العرب فيها مقالات قيمة بالانكليزية والعربية قوبلت بتقدير من المثقفين والساسة .

ومات الدكتور شبر وهو يحكي لنفسه ... ويرسم لنفسه ... لان من حوله لم يفهموه ، وبفقده خسر العالم العربي علما من أعلام التخطيط والعمارة ، ولم يترك مهندس عربي مثل ما ترك الدكتور شبر من مؤلفات ودراسات وبحوث ستكون مرجعا علميا على مدى السنين ، وسيذكره التاريخ في ذمته عالما فذا ومهندسا عظيما حاضر في بيروت والقاهرة والكويت وطوكيو وسنغافورة وبراغ وطرابلس (ليبيا) وبغداد والبصرة ونيودلهي والخرطوم وشيراز وباريس ولندن واديس ابابا وروركي (الهند) وفيزبادن وبلفراد وباندونغ وكولومبو وعمان .

كان الدكتور شبر يعد بحق صرحا ممردا في الهندسة وفي يقيني ان الاثار التي خلفها يجب ان تدرس عناصرها لنلم بأبعاد شخصيته الفذة ، وان المؤلفات والدراسات والبحوث التي تركها في الخزانة العربية لم يترك نظيرها فنان سواه ..

ولقد اجزل في هباته للدكتور شبر فوهبه عقلا نيرا يرى الامور على حقيقتها ، وقلما خصبا يعبر عن خلجات نفسه ومشاعره . وكانت رسومه عبارة عن نقط وخطوط ... يضمها ويؤلفها ويركبها ببساطة ... فتراها مدنا وعمارات ومنائر وشخوصا تنطق بعبقريته .

ووشت ريشته سلسلة من اللوحات الهندسية الرائعة لمناظر عربية وقد تفنى فيها بمهارة العرب وبراعتهم في الفن المعماري ولاقت تلك اللوحات التي رسمها اعجاب وتقدير اهل الفن ، وكثير من اللوحات التي رسمها تزين جدران سفارات دولة الكويت .

ومن رسومه في فلسطين : الحرم القدسي الشريف ، قبة الصخرة المشرفة ، احد ابواب القدس القديمة ، احدى طرقات القدس القديمة ، منظر من القدس القديمة ، بيت لحم ، القيامة ، منظر عام لمدينة القدس .

ومن لوحاته في الاردن : البتراء ، جرش .

ومن رسومه في الجمهورية العربية اليمنية : منظر عام لجزء من صنعاء ، منظر عام لصنعاء من احد سطوح منازلها ، منظر يبين تكوين المدينة اليمنية ، واجهة لاحدى العمارات السكنية في صنعاء تبدو فيها معالم الزخرف ، مآذن يمنية تحاكي ناطحات السحاب .

ومن لوحاته في المغرب العربي : احدى الساحات العامة ، سوق مسقوفة في مدينة مراكش يبرز الشكل المقوس الذي تتشابه فيه معظم الاسواق في المدن العربية والاسلامية القديمة ، احدى مآذن مدينة فاس ، مسجد ومئذنة في تطوان ، مئذنة احد مساجد مدينة فاس وكأنها برج او ناطحة سحاب ، مئذنة في الدار البيضاء ، منارة تتجلى فيها الزخرفة والبراعة في الرسم والنحت .

من ابرز مؤلفاته :

١ ـ التقرير السنوي الاول ـ بالعربية ـ (٣٤٠ صفحة) ١٩٥٧
٢ ـ وجوه المدينة ـ بالعربية والانكليزية (٨٦ صفحة) ١٩٦٢
٣ ـ علم التنظيم وتطور الكويت ـ بالعربية (٨١ صفحة) ١٩٦٣
٤ ـ العلم وتنظيم المدن العربية (١) ـ بالعربية (٣٠٢ صفحة) ١٩٦٤ .
٥ ـ المدينة الكويتية ـ بالانكليزية (٢٠٧ صفحة) ١٩٦٤
٦ ـ افاق جديدة للمدن ـ بالعربية والانكليزية (٢٢٢ صفحة) ١٩٦٦ .
٧ ـ النمو الحاضر للمدينة العربية ـ بالانكليزة (٨٥٠ صفحة) ١٩٦٨ .

والكتاب الاخير يعتبر مرجعا مهما في قطاع تطور البلدان العربية ومدنها ، ويبرز قيمة التراث العربي واهمية ما قدم العرب في حقلي العمارة وتنظيم المدن وما يتفرع منهما كعلم الاجتماع والاقتصاد وغيرهما من العلوم الاجتماعية . وفي هذا الكتاب شدد الدكتور سابا على ابراز العلامة العربي « ابن خلدون » كمرجع قديم مهم في هذه الموضوعات ، وقد عمل على ترجمة « مقدمته » الشهيرة الى اللغة الانكليزية .

وليشاركنا القارىء الكريم المتعة التي اضفاها علينا الدكتور شبر بكتابه « النمو » الحاضر للمدينة العربية » نثبت بعض ما كتبه الدكتور سميح مسعود احد العاملين في القطاع الصناعي بالكويت عن هذه المعلمة الفريدة :

« لقد ظل سابا طول حياته حتى يوم وفاته متألقا لامع الذكاء خصب القريحة ، لا تخبو حيويته ولا ينطفيء ذهنه . كان متعدد المواهب، فكان كاتبا وعالما وفنانا ومدافعا عن قضايا امته . كان رمزا للشباب الفلسطيني المثقف الذي ولدت في حلقه الحروف بعد التشرد ، فلم تزرع في ارضه ، تركها تنبت في بيادر الارض العربية ، التي آمن بأنها ارضه ، وكانت حروفه صادقة نابعة من اعماق احزان شعبه التي احتضنته في رحلة الحياة حتى النهاية .

والكتاب الذي نحن بصدده سابع كتاب يؤلفه سابا في حياته ويصدر بعد مرور عام على وفاته ، وهو جهد جهيد بذله في هذا الميدان البكر ، الذي لم يطرق قبله . وفي الكتاب لمسات رائعة بل ومضات عبقرية تعطي صورة شاملة عن المدينة العربية ، انه سفر جامع يلف في نظرة شاملة كل ما يتعلق بالتطور ، ويرسم سياسة هندسية اقتصادية اجتماعية علمية مدروسة في البلاد العربية من شانها ان تضع الاسس الكفيلة لسعادة الانسان العربي .

والصورة التي يصورها سابا عن نفسه في هذا الكتاب صورة رجل لا تفارق يده اوراقه ، يسجل عليها كل ما يختلج في أعماقه . فهو الباحث الذي يدون ما يراه وما لا يريد ان يراه في بلاده بطريقة تتيح لنا ان نعرف ما يجب صنعه ، وما علينا ان نزيله من الاشواك في دروب التطور . وقد استخدم سابا في كتابه ينبوعا صافيا من المادة العلمية الجديدة وميزانا دقيقا يحدد فيه معرفة اوضاع المدينة العربية في وقتنا الحاضر . ويقف الكتاب بجميع اوجه البحث فيه الى جانب العلم والتراث العربي الاصيل .

وقد حاول سابا ان يبين ان السير في المسالك الحضارية لا يتم الا بالطريقة العلمية ، وهي التي تقول لنا دوما كيف ينبغي ان تتفاعل الاشياء بل كيف تتفاعل فعلا ، وهكذا نراه لا ينشر الافكار في اطار من الحديث التاريخي او النظريات المعقدة بل يشير الى الطريق ويحدد ما تحتاجه الدول العربية في رحلة التطور .

يضم كتاب « النمو الحاضر للمدينة العربية » ٨٥٠ صفحة ، وفيه ثمانية اجزاء ، يطالعنا الجزء الاول منها بصفحات من الرسوم والصور ، ونقف فيه على رسوم عدة بريشة المؤلف تتسم بالطابع الفني الخالص، ونجد في مجموعة هذه الصور الفوتوغرافية والرسوم ـ كما جاء في مجموعة ستريكر في ثلاثينات هذا القرن ـ نوعا من القصص المرئية عن المدينة العربية في الماضي والحديث ، تحدثنا خيرا مما يحدثنا اي جدول ارقام ، فهذه الازقة القديمة والمآذن العالية ، والزخرفة العربية الاصيلة ، واسوار البيوت وابراج القصور ، والمراكز المدنية الحديثة ، كلها تعبر عن تركيب المدينة العربية المتشابك ما بين القديم والحديث

(١) نال هذا الكتاب سنة ١٩٦٤ احدى جوائز « جمعية اصدقاء الكتاب في لبنان » وكانت الجائزة مقدمة من بلدية بيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بما فيها من المفارقات العجيبة الناشئة عن الخلط بين التراث العربي وكل ما في هذا العصر من جديد . ومن هذه الصور والرسوم والقول الانيق الذي حولها نرى انه كان في خلد سابا ان يقول : أليس تراثنا العربي الاصيل خيرا من الجديد والفن المعماري المعلب ؟

وفي الجزء الثاني احد عشر فصلا تبحث في المدن العربية واساليب تكوينها من الناحية المعمارية والمدنية والاقليمية والاطوار التي مرت فيها حتى الان . ويسلط سابا الاضواء تحليليا في هذا الجزء من كتابه على القوى المعاكسة التي ادت الى الاخطاء التنظيمية في البلاد العربية، ونجده يقول في السياق ما معناه : « لم يكن الاندفاع الجنوني للبناء في العالم العربي ، وخاصة خلال الخمسة عشر عاما المنصرمة ، سوى طمس او استئصال لشافة الاثار القديمة ذات الاصول السليمة ، العظيمة للفن المعماري العربي بكل تكوينه العضوي وروحه المحلية ومزاياه المرغوبة العملية ، وهكذا تدهور الفن المعماري العربي ـ وفي غفلة عنا ـ الى تلك الدرجة الخالية من الاصالة المنقولة في تصاميمها عن الغير » .

ويرجع سابا اسباب ذلك الى سقوط العرب ضحية تحت العوامل والمؤثرات التكنولوجية والانتقالية والتوسعية لكل الاخطاء والخرافات التي تنخرط في سلك التفاهم السطحي وتطبيق المظاهر والافكار التي تستتر وراء ما يسمونه فن العمار او تنظيم المدن الحديثة .

ويستمر سابا في نقده ويعطينا صورة آفة حضرية من خلال تنقلاته في العالم العربي حيث نشاهد ما يقع للاغلبية من المدن العربية الكبرى من عدم تماسك ، يدعو الى تحليل البلدة العربية القديمة تحليلا علميا دقيقا من اجل ان تنتج في طور التنظيم والتصميم القادم مدنا عربية جميلة تلائم تراثنا ومؤثرات طبيعة بلادنا العديدة . وهكذا يعلن دعوته للحفاظ على الطابع العربي الهندسي لانه يرى ان التقليد الاعمى والنقل اللاعلمي سيؤذيان العرب ويضرانهم في بناء بلادهم ومدنهم واقتصادهم ودعوة سابا الى الطابع العربي الاصيل ليست دعوة تنكرية للحديث لانه مع التجديد المبني على الاسس العلمية السليمة في اطار التراث العربي ، وضد النقل المبتذل الذي لا اصالة فيه . ويجد سابا ان قليلا من الناس قد الموا بآراء ابن خلدون في تخطيط المدن وتنظيمها وفي فن العمارة وفي الهندسة وفروعها المختلفة . ويسرد لنا في كتابه بعض افكار هذا العالم العربي التي تنطبق على روح العصر الحالي الى حد ان الانسان يعجب ويدهش لمخططي العلوم الاجتماعية الذين لم ينتبهوا لها . ثم يزداد تعجبا واندهاشا للمؤرخين الذين لم تشغلهم افكاره وآرؤه في العلوم بمثل ما شغلتهم افكاره واراؤه عن ضرب الرمل والسحر . ويقدم لنا سابا في كتابه مقتطفات من مقدمة ابن خلدون التي تحدث فيها عن البناء وتخطيط المنازل وابعاد الاشياء الضارة عن المدن واعتبار الظواهر الجوية وغيرها من العوامل المهمة لاختيار المواقع السكنية ، وعن المآثر الهندسية غير المعروفة نسبيا والتي اخذ العرب على عاتقهم بناءها ، وعن ربط الاسس الاقتصادية مع الحجم الحضري حيث تنبأ بوقوع تلك التكتيلات الهائلة مثل لندن وطوكيو وبرلين وباريس وغيرها . كذلك نجد ان ابن خلدون قد رأى ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق انما هو تفاضل في عمرانها في الكثرة والقلة . ويختتم سابا حديثه عن ابن خلدون بأن افكاره وملاحظاته التي دونها في مقدمته منذ قرون بدقة مدهشة لا تزال تنطبق حتى يومنا وبالذات على عالمنا العربي ، وبهذا يقول سابا مرة اخرى « من المدهش ان نتنكر للاسلوب العربي القديم في فن المعمار ونمحو الشخصية العربية ، بعدما كنا ائمة في هذا المضمار !».

وفي الجزء الثالث من الكتاب عرض لدراسات مختارة تتعلق بتنظيم وتخطيط المدن والاقاليم في الاردن والكويت ولبنان وليبيا وفلسطين والسعودية وتونس . ويلاحظ في هذا الجزء تقديم المؤلف لبعض الدراسات الاستشارية والقرارات والمقالات التي وضعها او شارك في وضعها لتنظيم المدن في البلاد العربية ، ومنه نستخلص بسهولة ان هناك امورا كثيرة يمكن تحقيقها او تطويرها في البلاد العربية كحالة السير التي يعتبرها سابا مهزلة في بعض المدن ، وكذلك الشوارع الضيقة والنقص الفاضح في المتنزهات والحدائق والملاعب العامة ، وانعدام النظام في الشوارع ، والضجة التي تسود الاحياء السكنية وغيرها من المشاكل الاخرى التي بسببها يدق سابا اجراس الخطر من اجل انقاذ المدينة العربية من مستقبل مظلم وخطير ، ولا يرى الا بالتخطيط العلمي وسيلة تيسر سبل الانماء المنظم ، ويعتقد جازما بأن اتباع هذا التخطيط سيؤدي الى النفع الاجتماعي والاقتصادي للجماهير العربية ، ولهذا يتناول بالجزء الرابع بحث النظريات المتعلقة بتنظيم وتخطيط المدن وامكان تطبيقها في البلاد العربية لخلق بيئة عملية وبهيجة لاسكان الملايين التي تتزايد سنويا في البلاد العربية . وهكذا يربط بدقة واتقان ما بين المدينة والمشاكل الديموغرافية التي تهيمن في اغلب الدول العربية . ولهذا لا يتردد في الجزء الخامس ان يقدم بعض الابحاث التي نشرها في فترات مختلفة من حياته حول هذه الموضوعات التي تدرس السكان ومشاكلهم في المدن والارياف حلها . وفي هذا المجال يقول : « ... ان المدينة في الاساس ينبغي ان تكون المكان المناسب لاجتماع الكائنات الانسانية ، فاذا كان كيان المدينة العام ومفهومها موجهين بحيث يعملان على تعزيز شتى انماط المجتمع الانساني والسمو بها وتشجيعها ، فتعتبر تلك المدينة اذ ذاك محققة لفرضها ! » .

ويهتم الجزء السادس من الكتاب ببحث وتحليل نقدي لفلسفة التكوين المدني في البلاد العربية ، ولم يغفل المؤلف عن تقديم الاقتراحات اللازمة في هذا الشأن من أجل الارتفاع بالهندسة المعمارية العربية الى أعلى المستويات التي تليق بتاريخنا وتراثنا لخلق بيئة حضارية وهندسية جديرة بذلك التاريخ والتراث ومن اجل ايقاف الانحراف الهندسي المعماري المعاصر الذي يكاد يشوه مناظر المدن العربية .

وفي الجزء السابع اسئلة متعددة يضعها المؤلف ويجيب عنها بنفسه، منها الى أين يسير التخطيط الهندسي في البلاد العربية ؟ وما مستقبل المدن العربية عام ٢٠٠٠ ؟ ومنه نعلم ان التخطيط الهندسي حديث النشأة في البلاد العربية وان الكتب التي تتحدث عنه في بلادنا ما زالت نادرة وان شطرا كبيرا من تطبيقه فيها ما زال في طور التنبؤ * وعندما يتحدث عن المستقبل يدعو الى العمل بعقلية الباحث ، وان نركز دراساتنا في خلق المستقبل على البحث والاختراع اكثر مما نركزها على الحلول المعلبة والافكار المجمدة وتصاميم التطوير المستوردة.

ولم يغفل سابا في الجزء الثامن من كتابه أن يتحدث بأفكاره الختامية عن فلسفة التنمية العربية في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية . واذا بنا نستنتج في نهاية المطاف ان الهندسة في كتابه ليست سوى حجر القمة في هرم المشاكل والموضوعات التي اثارها ، فهو يبحث في كل شيء ولا يقول الا الحكمة والصواب . وفي نهاية الكتاب ما يزيد على ٦٠ نحتا له ولغيره من رجال الهندسة وعلم الاجتماع وتنظيم المدن ، توفر للقارىء مصادر لمختلف النظريات والاكتشافات التي عمت هذه العلوم في العصر الحديث .

ويجدر بي ان أؤكد في هذا المقام ان هذا الكتاب الجامع خير ما ظهر في البلاد العربية حتى الان في الدفاع عن التراث العربي . والحق انه ليس من كاتب يمكنه ان يغوص في مثل هذه الموضوعات ثم يعالجها كما عالجها سابا باسلوبه الفريد وخفة ظلة وبراعته ، وهذا ما يجعلني اكرر ما قلته في البدء : ان سابا يستحق التقدير وتستحق الملايين من حروفه التي لم تنشر بعد ان ترى النور ، على أمل ان تنشر وان يخلد صاحبها بعد الموت » .

نموذج من نثره : ظل الدكتور شبر معجبا بابن خلدون وتقديرا منه لهذا العلامة العربي أقدم على ترجمة « مقدمته » الى الانكليزية

وكتب عنه الفصول المطولة ، ولقد اعجب الكثيرون بما كتبه عن هـذا الفيلسوف العربي وكيف ابرزه كمرجع مهم بين اصحاب النظريات في قطاعي العمران والتنظيم وفي العلـوم الاجتماعية والصحـة العامـة ، ودونك بعض ما كتبه عن هذا العملاق العربي :

« منذ ان كان الانسان ، كان التطور ، لان الانسان في جوهـره حركة مستمرة ومبدع لا يقف عند حد . فمن العصر الحجري الى يومنا هذا نرى ان الانسان في تطور مستمر وان من لا يسير في طريق التطور يفقد شيئا من انسانيته التي تريد منه ان يعيش مع عصره .

وابداع الانسان لم يقف عند اشياء معينة ولم يقتصر على ضروريات الحياة التي اوجدتها الاجيال السابقة ، ولكن ابداعه تعدى الضروريـات الى الكماليات التي اصبحت تتطور هي ايضا حتـى اصبحـت مـن الضروريات وفي مقدمتها اقامة منزل السكن ضمن هيكل المدينة علـى أسس حديثة . فالانسان الجديد لا يقبل ان يقصر في مضمار تنظيـم السكن ، التنظيم الذي تظهر آثاره في تاريخ المدنية منذ القديم : منذ الامبراطورية الصينية الى مصر فرعون الى الدولة البابلية الى عهـد اثينا الزاهر الى عظمة روما القديمة الى منجزات العرب الجميلة *

هذا الانسان الطموح ، المتطلع دائما الى فوق ، مضطر اليوم اكثر من أي يوم مضى ، الاهتمام بالتنظيم السكني العلمي نظرا لتطور الحياة تطورا سريعا ، ان في النواحي الاجتماعية او الاقتصادية أو الصحيـة التي ، ان لم يتعهد الانسان معالجتها بعقله ويده في كل بقعة من بقاع الارض ، تهدد تطور الحياة وتقدمها وفقدت الانسانية في جـزء منهـا معناها الاصيـل .

والتنظيم السكني العلمي او كما اصطلح العلماء علـى تسميتـه « بالتنظيم السكني المدني » كي يشمل جميع المتطلبـات السكنيـة ، يتطلب دراسات كثيرة منها احصائية ومنها اجتماعية ومنها صحية ومنها اقتصادية عامة ومن ثم هندسية فنية ... ومثل هذه الدراسات تتطلـب مجهودات كبيرة لا يمكن ان يقوم بها الفرد الواحد ، انما يقتضي للقيام بها انشاء اجهزة كاملة من الاختصاصيين يتعاونون على القيام بوضـع مشاريع التنظيم ودرس نواحي الحياة وتطورها ، آخذين بعين الاعتبار جميع المسائل التي لها علاقة وثيقة بالحياة . على ان يكون وضع هـذه المشاريع مستندا الى الدقة التامة التي توافق الحاضر وتكـون قابلـة للتحويل والتبديل اذا اقتضى التطور نفسه ذلك بصورة معلومـة او مفاجئة ، نقول مفاجئة لان هذا القرن امتاز بالمفاجآت العلمية التـي اصبح لها تأثير كبير على مستوى الحياة البشرية .

فاذا اخذنا مثلا تطور الحياة السريع في العشر سنوات الماضية في الكويت نسبة لتطورها في العشر سنوات المقبلة يتوجب علينا والعالـم على باب اكتشافات نووية ذات تأثير كبير على طريق الحياة البشرية ، ان نرتقب مفاجآت تقتضي تصميما للحياة قابلا للتعديل سنة بعد سنة .

فمن هنا وجب القول ان على واضع مشروع ما للتنظيم السكني ان يكون من اصحاب الحس الفني والحس المستوحى من مبادىء انسانية هدفها اسعاد الانسان ورفع مستواه في الحقول الاجتماعية والنفسانية والروحية والتراثيـة .

ووجب ان يكون واضع التنظيم واسع الاطلاع على شؤون البلاد التي ينظمها ، ان يكون ملما بفلسفة أهلها ، عالما باعتقادات وعـادات وتفكير سكانها . عليه ان يكون ، بكلمة واحدة ، واحدا من ابناء تلـك البلاد ، وان يتيسر له العون الذي يساعده على معرفة كل ما يتطلبـه مثل هذا العمل الكبير . فمشاريع التنظيم لا يمكن ان يقوم بها رجـل فرد ولا يمكن لانسان ما ،مهما كان متوقد الذهن ذكيا مطلعا ، ان يلـم الماما كافيا بجميع نواحي العلوم المتوجب توفرها عند وضع مشروعـات الاسكان والتنظيم * وقد قدرت احدى الجامعات العالمية ان الشخص الذي يريد ان يتخصص في قضايا السكن والتنظيم ، ويلم بمختلـف نواحيها الماما تاما يجب ان يقضي عشرين عاما علـى الاقـل فـي الجامعـات .

ليس كل هذا بغريب اذا علمنا ، بالاضافة الى ما سبق ، ان كـل تنظيم يجب ان يشمل ايضا درس امكانيات تصنيع قسم من البـلاد وابقاء قسم آخر يعد للزراعة كما يجب ان يدرس تاريخ البلاد مدينـة مدينة ، قرية قرية ، عائلة عائلة ، لمعرفة العناصر التي تكون المنطقة .

هكذا يجب ان يتم التنظيم : بالعلم والفن والبحث والفلسـفة والحكمة والوقت الكافي والجهاز اللازم ليتوفر في باديء الامر علـى القائمين على العمل التنظيمي جميع الامكانات كي يفكروا قبل كل شـيء بالمسائل الاساسية والحيوية والواقعية . يجب ان نعمل بعقلية المحارب الباحث ، ويجب ان ترتكز دراساتنا على الحس والاختراع اكـثر ممـا ترتكز على ان نعتمد على الحلول المعلبة والافكار المجمـدة والتصاميم المستوردة .

لذلك يتوجب التفكير بدرس تنظيمي شامل لكل بلـد عربـي . فالبلاد العربية جميلة بمناظرها ، فريدة بمميزاتها ، كبيرة بامكاناتها ، ومحتاجة الى تنظيم سكني سريع وشامل ، يكفل بقاء جمالهـا وتنظيـم حياتها على أسس حديثة ، مستفيدين من تجارب البلاد الراقية التـي سبقتنا في هذا المضمار لنجعل من مدننا مثال المدينة الحديثة المحتوية جميـع اسباب الحياة والازدهار ومن بلادنا آية الفن والجمال والراحة ومن ريفنا مورد الانتاج والحياة الكريمة .

وركيزة كل هذا السكن ـ الوحدةالسكنية في حد ذاتها ، والوحدة السكنية متكررة على وجه البسيطة . فمنها تنتج المدينة وفـي المدينـة البيئة ومن البيئة تنبثق المدنية والمدنية هي مقياس الرقي والحضارة والتقـدم ! » .

٢ ـ محمد حسن علاء الديـن

أطلق « آدبسون » كلمة فاض بها قلبه الانساني ، فهام بها « محمـد حسن » هيام الانسان بربه ، واتخذها نبراسا هي : « ليس في هـذا الوجود من نحني له الرأس اجلالا عن حب وتقدير الا صناع الـزاد للانسانية ! » .

ولد « محمد حسن » في مدينة الاسكندرونة المغصوبة عـام ١٩١٧ لوجود والده قاضيا شرعيا هناك ، وما لبث ان نقل ابوه قاضيا لمدينة طبريا بفلسطين فدخل « محمد حسن » مدرستها الابتدائيـة وتأثـر بأدب وشخصية استاذه عازر خوري . وبعد حين التحق ب « روضـة المعارف » لمؤسسها المرحوم الشيخ محمد الصالح وانهى فيها الدراسة الاعدادية (١٩٢٧ ـ ١٩٢٩) وقصد « كلية النجاح الوطنية » بنابلس وامضى فيها سنة والتحق بالجامعة الاميركية في بيروت ودرس فيهـا سنة واحدة (١٩٣٥ ـ ١٩٣٦) *

في مدينة طبريا ذات الفتنة والجمال بدت أولى زقزقاتهالشعرية ، وفي سن باكرة رثى قطة فقدها ، وبعد ان شب عن الطـوق جمعتـه الاقدار في بيت المقدس بالشاعر الفلسطيني الشاب مطلق عبدالخالق ، فامتزجا روحا وميولا . وبعد انتقاله من « روضة المعارف » الى « كلية النجاح الوطنية » شارك في الحركة القومية عن طريق جمعية اسسـت في يافا تحمل اسم « جمعية الاتحاد العربي » وكان اعضاؤها يعقـدون اجتماعاتهم في بيوتهم خشية العسس والارصاد . وبعدما توفي المرحوم سعد زغلول في عام ١٩٢٧ رثاه « محمد حسن » بقصيدة مؤثرة كمـا وضع نشيدا لمؤتمر الطلبة العرب الفلسطيني منه قوله :

يـا هـلال البشـر يمـم نحـو مـن
غـادروا الدنيـا وهـم أسـرى المحـن
كـي يـذودوا عـن حمـاهـم والوطـن

وشرع في نشر نفثاته الشعرية وتعليقاته السياسية على الحركـة الوطنية في الصحـف الفلسـطينية وخص بها « صـوت الحـق »

و « الاقدام » و « الصراط المستقيم » اليافيات وكان للمناضل الجريء حمدي الحسيني (من اسرة الحسيني الغزية) يد في تشجيع انتاجه الفكـري ...

وليستقيم اسلوبه ويستفحل شعره اقبل على المطالعة في دواوين الشعر وكتب الادب والبلاغة ، وبدأ تفكيره يتفاعل مع النتاج الغربـي ، فاطمأن الى أدب كل من هـ. جـ. ولز واسكندر بوشكين وليو تولستوي وفيكتور هوغو وفولتير وبودلير والفريد دي موسيه ، كما اكب على مطالعة الفصول التي كانت تدبجها اقلام خليل السكاكيني وشـكيب ارسلان وسلامه موسى وطه حسين ومحمد حسين هيكل ، ومال بكليته الى ما كان يكتبه الناقد الساخر ابراهيم عبد القادر المازني وعمـلاق الادب عباس محمود العقاد ، وواصل مطالعة اعـداد « السياسـة الاسـبوعية » .

وفي تلك السن شن حملة على المؤسسات التبشيرية في الشرق الادنى وكشف عن غاياتها واهدافها ، ونشر ثلاث مقالات في « الصراط المستقيم » اليافية حلل فيها المهام الاستعمارية التي اضطلعت بها تلـك المؤسسات الاجنبية .

وربطت بين الشاعر علاء الدين والشاعر توفيق اليعقوبي المكنى بـ « ابي المحاسن » اوصر من المودة ، وتطارحا القصائد في وصف الطبيعة الساحرة في ريف اللواء الجنوبي .

وقصد شاعرنا مصر وصرف فيها ردحا من الزمن ثم عاد الى حيفا ووصل حبله بحبل صنوه الشاعر مطلق عبد الخالق .

وشد الرحال الى دمشق ، ثم عاد الى فلسطين واسهم في تأسيس الفرق الكشفية ومحاربة الاستعمار وتغنى بجمال الطبيعة في «الكرمل» عروس الشـمال *

وناداته جبال لبنان ليداوي ندوبه ويبلسم جراحه فقصد «عاليه» مصطافا كما زار لبنان الشمالي وعاش مفتونا بسحره وجماله ، والقى في جمعية « العروة الوثقى » في الجامعة الاميركية ببيروت قصيـدة ناجى فيها نهر (النيل) وأخرى ناجى فيها (الشهداء) وثالثة بعنوان (مجد الخلود) متغنيا ببطولات الثوار العرب في فلسطين .

وبعد عودته الى فلسطين نشر انطباعاته وتأملاتـه في صحيفـة « الدفاع » اليافية كما نشر قصيدة بعنوان « وقفة على ضفاف الاردن » وقد أهاب فيها بالشعور القومي لمقاومة الاستبداد وقصيدة بعنـوان « فجر الحرية » وفيها ناجى الحرية بمعناها المطلق .

وخلال سني صباه الناضج زارت يافا ام كلثوم لتغني على مسرح « قهوة ابي شاكوش » فالقى محمد حسن ابياتا طربت لها كروان الشرق ونشرتها جريدة « فلسطين » بالاطراء والتقدير .

وبعد انتهاء الاضراب الفلسطيني الشهير عام ١٩٣٧ غادر فلسطين الى أوروبا وامضى ١٨ شهرا بين باريس وتور ناشدا الحريـة فـي مقاهيها الشعبية وطعامه النباتي في مطاعمها ونظم شعرا بعنوان « حرب الجمال » و « الجـوع » ! .

وعاد الى فلسطين وشارك الثوار العرب في حربهم مع الانكليـز واليهود ، واودع سجن طولكرم ، وبعد الافراج عنه ظل في قضـاء بني صعب عامين ونصف عام ثم قصد حيفا واسهم في تحرير مجلـة « السمير » لمؤسسها منير حداد ، ومن شعره المنشور فيها « فجـر الحرية » و « القلب القافز » ومن نثره فيها بحث مسلسل عن مشاهير الموسيقيين العرب ، قدم فيه صورا تحليلية لشخصياتهم كمـا ورد وصفها في كتاب « الاغاني » .

ومن معرباته عن الفرنسية قصيدة « لوسي » للشاعر الفرنسـي الفريد دي موسيه ومطلعها :

« يا أصدقـائي :

عندما اموت ... ازرعوا صفصافة في المقبرة التي سادفن فيها ، لانني اهوى ورقها الاخضر ! .

وان ظلها سيكون خفيف الوطأة على قبري ! » .

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية قصد يافا وانضم الى قلـم تحرير « الصراط المستقيم » ونشر على صفحاتها الكثير من شـعره ، وظهر بحث بقلمه في مجلة « الثقافة » حول كتاب « كنت سجينا مـن سجناء الترك » وبحث اخر حول نتاج الكاتب الانكليزي هـ. جـ. ويلـز في كتابه « سعيا وراء المياه الحارة » وبحث عن نتاج توماس هـاردي في كتابه « رجوع المواطن » ونشر في صحيفة « الاقدام » اليافيـة من شعره « غادة كالبنفسج » و « متـى ؟ » و « لا تغيبوا عن عيوني » .

وفي اضطرابات عام ١٩٤٧ ، أي بعد صدور قرار التقسيم ، خرج الشاعر الى رام الله ونشر قصيدة « المناضل » في صحيفة « النسر » الاردنية ونزح الى عمان ودخل الجيش العربي الاردني وخدم في الزرقاء وراح ينشر شعره في جريدة « الاردن » واخيرا سرحه المسؤولون عـن الجيش من الخدمة وعاش في بعض فنادق عمان في عوز وفاقة وعمـل مصححا في جريدة « الاردن » وزاول تعليم العمال وموظفي الشركـات والطلاب ، ونتيجة لوشاية دخل سجن عمان المركزي وحكم عليه بالاقامة الجبرية في مدينة القدس ونشر بعض منظومه في مجلة « المهـد » البيتلحميـة .

وخلال وجوده بين قضبان السجن المركزي في عمان صدرت دراسة أدبية عنه بعنوان « شاعر الضفتين » بقلم ابراهيم عبد الستار .

وعلى أثر الحوادث الدامية التي جرت في لبنان عام ١٩٥٨ الصقت به تهمة فحوكم امام محكمة عسكرية وحكم بالسجن ثلاثة اعوام ، فاكب على القرآن الكريم وتفسيره .

وبعد ان اتم مدة الحكم فرضت عليه الاقامة الجبرية بالقدس لمـدة عـام ، وما لبث ان عاد الى عمان ونشر بعض قصائده في صحيفـة « عمان المساء » ونشر بحثا في فلسفة القرآن الكريم بعنوان « الثقافـة القرآنية » في مجلة « الافق الجديد » المقدسية .

من آثاره القلمية : من الآثار القلمية المطبوعة التي وقفنا عليها :

١ ـ المرسحية الشعرية امرؤ القيس بن حجر ـ ١٩٤٥ .
٢ ـ تحيـة الميـلاد (شعر) ١٩٦١ .
٣ ـ شـعار الوحدة العربية ـ ١٩٦٣ .
٤ ـ النبـوة والقوميـة .
٥ ـ شـعراء فلسطين العربيـة .
٦ ـ يقـين الحـب *
٧ ـ من وحي مأساة ١٩٦٧ (نظما ونثرا) ١٩٦٧ .
٨ ـ ارادة وقـدر ـ (مجموعة شعرية) ١٩٦٨ .

نموذج من نثره : « اجواء النبوة ! اجواء القومية ! وهل عـاش (الشرق) أيام عاش ، الا من ذينك الينبوعين ؟ وهل دوى (الشرق) أيام دوى ، الا في اوداء وجبال ذينك الحقلين ؟

ويتساءل المتسائلون : « واين الارتباط بينهما ؟ هل برهن الزمـن على انسجامهما معا ؟ ام انها رطانة براقة ، تريدونها لتتشبهوا بالامـم الاخـرى ؟ » .

واجيب : « وهل البداوة العربية الا البرهان الدامغ على نقـاء تيك القومية ؟ وعلى اصالتها في الرحاب وفي الدم وفي اللسـان ؟ ومـا البطاح ؟ وما الرمال ؟ وما (نفود) ؟ وما (نجد) ؟ وما (سـيناء) ؟ وما (الكرمل) ؟ وما (عيبـال) ؟ وما (البحيرة) ؟ وما العاصـي ؟ وما (وهران) ؟ هل هي الا واحات النبوة الموجهة ؟ وهل هي الا سمار البداوة وغبوقها وشلالها ؟ .

ولبس عبـاءة وتقـر عينـي أحـب الـي من لبس الشفوف !

البساطة والعمق هما روح البداوة ، وهما هما منطلق النبوة !

والقومية ثمرة النبوة والبداوة ، ثمرة البساطة والعمق ، واطيب بها من ثمرة ، واطيب بنواتها من نواة !

البداوة خلقت لنا (خولة) و (معبدا) و (اسحق) و (وحيدة) !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الربيع خلال الشتاء

الى الصغيرين الحفيدين نسيم وفلافيو من وحي الزيارة كانون الثاني وشباط ١٩٧٠ اذ جاءا من البرازيل ثم عادا اليها .

★

كحلم تقضى كطيف عبر ... تمر الليالي وتحلو الذكر
تمر الثواني بلون الاماني ... نشاوى سرور هنايا سمر
وعمر السرور كعمر الورود ... غني المعاني كثير القصر

قضيت ربيعا خلال شتاء ... فعاد خريف ينضير الزهر
اداعب ذاتي بشخص سميي ... واحيا بوهمي زمانا غبر
ويحكي فلافو بصوت جميل ... كشدو الكنار وهمس الوتر
فيهنأ قلبي وتنعم عيني ... وأحسب اني بفجر العمر
حبيب الي انحناء السنين ... لترعى حفيدا بوحي الصفر
وتغدو فراشا يرف عليه ... بمثل الجفون تصون النظر
فقرب الصغار نعيم صغير ... يطيب الوجود ويقصي الضجر
فينسى الكبار هموم الحياة ... ويجلو الصفاء غيوم الكدر

وطار السمي وطار اخوه ... بعيدا بعيدا بدنيا السفر
فطار هنائي وغص رجائي ... وراحت ليال وجاءت أخر
فعاد انتظاري يهز قراري ... فبت كئيبا اسير القدر
اكفكف دمعي واطوي جناحي ... وارقب فجرا جديدا أغر

نسيم نصر

رقعة من الارض متماسكة ، ذاك هو الوطن العربي ، من بحر الظلمات الى سواحل الخليج ! وسل التاريخ ينبئك انها ارض العرب ».

نموذج من شعره :

هجرت الاذى ، واستفت ندا المحبة ... وقاومت اشراك الخنى والمضلة
تركت الحمى ، وارتدت ربعا منديا ... به راية نصت وهتف فتوة
صرعت ملاك الظلم في «مكة» التي ... يرصعها الركبان في كل حجة
سلاما ، نبي الله ! من قلب أربع ... تناجيك في عيد ، لاشتات أمة
أردت لها التوحيد ركنا موطدا ... فناءت، وحادت، ثم هامت وضلت
أردت لها ، مندى العروبة وموئلا ... يجنبها في الروع أهوال نكبة
فمادت بها الاهواء شرقا ومغربا ... وصال بها خلف وبيل المغبة
وعادى بنوها العدل دربا وسدة ... ومالوا الى استجداء قرم ودولة
بكى العدل مذ بث النفاق جيوشه ... يصيد بها قانون رأي وذمة
ترامت دمى الطاغوت، تهوي بفيلق ... اقام حقوقا ، كم بها البيد دوت
حقوقا عليها قام مجد مؤثل ... به اعتز فرسان وقناص بجدة
اذا ما غراب الاثم عاث بوحدة ... والفى انصياعا قل : ذرى الارض ذلت

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

الطفـولـة

آه .. ليت الجيران يعيروننا .. طفـلا

لولا ازاهير الربيـع
لاقفـرت دنيـا الربيـع
ومشى الصقيع بأرضنـا
ما نفعهـا دنيـا صقيـع
ساد السكون المنزل الغافي
على الـدرب العتيـق
كبر الصغـار .. فلا صراخ
ولا شجار .. ولا زعيق
لكنما يا طيبهم يتخاصمون وبلحظة يتصالحون
لا يغفرون لانهم لم يحقدوا
وهل الملائك يحقـدون .. ؟
ساد السكون المنزل الهادي فلا ضوضا مثيره
العابهم رفعت واقفلت الخزانات الصغيره
بالامس كانت ها هنا وهناك انواع كثيره
ودمى محطمة .. وتبسم
للطفولـة بافتخـار
بالامس يا فوضى الصغـار
نعمنـا طـول النهـار
حتى اذا ناموا ورانت بسمة الطهر النضيره
وبدوا ملائك في الاسـرة
بعد ان كانوا شياطين كبـار
رحنـا نقبلهم ونجثو
ضارعـين ليكـبروا

كبروا فما في بيتنـا
فوضى ويضنينـا التعـب
لكنما القنديل شح ضياؤه وخبا اللهب
الكرمة الخضراء تنقصها عناقيد العنب
جفت مياه الجدول الصافي فما عادت تغني
لم يبق بعد جفاف جدولنا
سوى المجـرى فحسـب

كبر الصغار وانمـا
يا ليـت ذاك الامس ردا
واشوقنا ان يملأوا ايامنا تعبا وكدا

واطيبهم ان حطمـوا
العابهم عفوا وقصدا
واطيبهم ان زينـوا
ارجاءنا فوضـى وضوضـا

انا ليؤلمنا من الامس القريب
أنا انتهرناهم لنسكت
ضحكة الطفل الحبيـب
ضحكاتهم رمز السعادة والطهارة والهنا
ضحكاتهم احلى الهدايا المرسلات من السما

كبروا وامسى المنزل الغافي
نظامـا في نظـام
كالساعة الكبرى العتيقة
فوق حائطنا تتكتك بانتظام
حملتهم ايدي الزمان لغير دنيانا الرتيبه
ومضوا خفافا في اهابهم
مضى عزم الشـبيبه

ابقوا لنا ملل الكهولة والسام
ورسومهم ترنو بصمت وابتسام
وعيوننا ترنو الى باب الحديقه
آذاننا تصغي لوقع خطى عتيقه
ساعي البريد .. اتراه يحمل منهم
خـبرا .. رسـاله .. ؟
كل الاماني بين اسطرها الرقيقه

كبر الصغار وانما اين الطفولة اينها
في حضننا عبق وزهر يا رعى ايامها
طارت سراعا كالخيال كانها حلم يمر
اترى هنالك من يعيد لنا
من الاحـلام ظـلا .. ؟
اترى هنالك من يعير
المنزل المشتاق .. طفلا .. ؟

الرابية ـ لبنان — اسمى طوبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كثيرا ما نصحت نفسي بالتعقل وتغيير هذا السلوك المنحرف . لكني لم أكن املك من أمر هذا النصح شيئا . لا سيما وان الجامعة تلفظنا لفظ النواة طيلة اشهر الصيف ، فلا نملك الا الضياع في شوارع القاهرة، فنقتل وقت الفراغ بالجلوس على المقهى او الذهاب الى السينما ، لكننا دائما نكون فريسة للفراغ . وكم من مرة منيت نفسي بتغيير سلوكنا – انا والشلة – او سلوكي انا على الاقل ، لكن شيئا من هذا لم يحدث .

في هذه الايام حدث شيء ذو بال ، فقد تعرفت على فتاة جذبتني بصمتها وهدوئها . كنت قد انتهيت من امتحاناتي . اندهشت حين قالت لي اختي انها سكنت حديثا بجوارنا، دهشت لاني عرفت ذلك متأخرا ، وربما للامتحانات وتقوقعي في غرفتي يد في هذا ، فان اقسى ايامي هي تلك التي اكون فيها على شفا حفرة.

كنت افكر في وسيلة ما اتقرب بها اليها ، وهل يعسر علي شيء ؟! . انا الذي شهد لي الملاعين بأني اقدر من في الشلة ، فكان هذا يزيدني تعاظما وكبرا .. لكني عجزت عن التقرب اليها ، فالفتاة محافظة الى درجة كبيرة ، او هكذا خيل الي .. وتتمتع بهدوء بالغ ، وربما تتسم بالخجل ايضا . وهي على عكس من اعرفهم من فتيات تتمتعن بالجراة والشقاوة ، وهذا ما جذبني اليها .. فقد مللت هذا النوع الصارخ ، واصبحت اطلب شيئا جديدا ، ربما يعمل على تغيير هذا السلوك الذي تصر اختي وتوافقها امي على تسميته بانحراف الشباب .. اما ابي فكان يلوي شفته السفلى ولا يزيد على قوله « طيش شباب » شيئا ، واجده يزهو بي ، وكثيرا ما قال لي « انت صورة من شبابي » .

احسست ان هذه الفتاة ستضع حدا فاصلا بين حياة اللهو والمجون وحياة الجد والاتزان .

تعرفت على اماني عن طريق اختي . زارتنا ذات مساء .. ردت على تحيتي بأدب مبالغ فيه ، مضافا اليه الخجل الذي تتصف به . لكن عينيها شدتاني اليها ، فقد احسست انهما شاطئا امان من الممكن ان تحتضنا آمالي واحلامي وترعاهما . وبايجاز شديد ، وجدت في اماني كل ما اطلبه في النصف الاخر .. عيناها سوداوان ، وشعرها اسود فاحم ، ووجنتاها في لون القشدة المخفوقة في عصير الفراولة ، وشفتاها مثل حبتي الكريز . ملامحها جميلة جذابة . لكن شيئا حزينا يغلف هذه الملامح ، ولا ادري منشأه. وربما تكون مسحة الحزن التي تطوف كالغيم على ملامحها ، هي

حياة جديدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم حسني سيد لبيب

التي جذبتني اليها .

التقيت بالشلة بعد انتهاء الامتحان بأسبوع ، وكان كل منا يختزن في خاطره احاديث شتى يود ان يبوح بها ، لكن رغبتنا في ان نقول الكثير جعلتنا نلوذ بالصمت ، ثم تحللنا منه على الفور بحديث تافه عن الامتحانات والمزالق التي ترديا فيها .

ضقت بالحديث فأخرجت علبة الدخان وانا اقول في لهجة تتسم بالجد والتزمت :



– كيف حالكم أيها الحرافيش ؟ .

وهكذا كنا نسمي انفسنا ، والله اعلم وربما شخص اخر غيرنا يعلم ما الذي تعنيه كلمة « حرافيش » . باغتني مدحت وخطف سيجارة ، وتوقع الجميع ان اثور عليه ، وربما اصب اللعنات على اخلاقهم جميعا . لكن شيئا من هذا لم يحدث ، مما جعلهم يدهشون من هذا الاستسلام .. فتساءل فهمي :

– ما الذي دهاك ؟! . اأخلفت لك جيهان موعدا ؟ .

تمتمت :

– جيهان ! ..

ثم ما لبثت ان ارسلت قهقهة عالية ، واجاب امين :

– لقد هجرها ايام الامتحانات ، ولكن يتوجب عليه ان يحدثنا عن علاقته بها في هذه الايام .

فصرخت فيهم :

– يا ملاعين .. اريد ان انبذ هذه الحياة ، واهجر الاستهتار .. يعني اريد ان اتعقل .

كانت الكلمات غريبة على مسامعهم . وكان من الصعب عليهم فهمها على الفور ، لا سيما انها صادرة مني . وقلب مدحت في الكلمات ، وتجهمت سحنته مثل حالته حين نورطه في لغز مبهم ، ثم ما لبث ان تحرر من تجهمه ، وصاح كأنه اكتشف كنزا :

– اتدرون ؟ .. انه يمهد لقصة حب جديدة .. فتاة جديدة تناسب حر الصيف ! .

وما ان سمعوا هذا التكهن حتى راحوا يتضاربون الاحاديث والتعليقات، ولم يشأ احد ان يسألني عن صحة هذا الزعم ، فلم يكن غريبا ان ابحث لي عن فتاة جديدة ، لكن الغريب هو ان اقول لهم مثل هذه الكلمات العاقلة ، كما اسماها فهمي.

تركهم يلوكون حسبما تشاء لهم الاهواء والخيالات ، وآثرت الصمت، محاولا خلاله ان استعيد صورتها في

مخيلتي ، وافكر في هؤلاء المساكين .. لا شك انهم سيدهشون حين يعرفون انني عاجز عن التقرب اليها .. ولا شك انهم سيندهشون حين يعرفون انها فتاة هادئة خجول .

ذات مساء ... تم آخر لقاء بيننا ، في شارع مهجور لا يسير فيه المرء الا للضرورة ، ولم اعجب لاختيارها هذا الشارع ، لما اعرفه من طباعها ومزاجها . قلت لنفسي : حانت الفرصة . واخذت اتدبر الامر سريعا .. اقتربت منها والقيت التحية :

ـ مساء الخير يا اماني .

حدقت في مرتبكة ، نظرت الى وجهي متفحصة ، ثم ردت التحية ، وهي مترددة ..

ـ الا تعرفينني ؟! .

فأومأت برأسها قائلة :

ـ اجل اعرفك .. الست شقيق سعاد ؟ .

ـ بلى .. انا شقيقها .

وابتسمت ابتسامة مشرقة ، كان لها فعل السحر في نفسي . قلت لها :

ـ انا سعيد بهذا اللقاء ، فهل يا ترى انت مثلي ؟ .

صمتت ، وارتأيت دموعا تأتلق في عينيها ، فعجبت لامرها ، وظننت ان الوهم هو الذي جسم لي الدموع ، وربما يرجع هذا الى الحزن الذي أتخيله يطوف كالغيم على ملامحها المتناسقة . ولكن دافعا ما جعلني اسأل :

ـ اتبكين ؟ .

اجابت :

ـ ليست دموع حزن .. فان عيني تدمعان كثيرا .

ـ حتى دموعك .. جميلة .

قلت العبارة ، وانا اعني كل حرف نطقت به ، لاحظت القلق باديا على ملامحها .. توترت تصرفاتها ..

ـ يبدو اني ضايقتك .

ـ انا سعيدة بك .. انت اول انسان يجاملني .

ـ ليست مجاملة ، انها جزء من الحقيقة الماثلة امامي . صمتت قليلا ثم قالت :

ـ لقد اقتربنا من البيت .

ـ متى اراك ؟

قالت بلهجة سريعة :

ـ كما تحب .

ـ غدا نلتقي ؟ .

ـ ليكن بعد غد .

وتصافحنا ثم تقدمتني مسرعة نحو البيت ، فلاحظت عرجا خفيفا في ساقها اليمنى لا يكاد المرء يلحظه الا اذا دقق النظر ، شيء واحد اغاظني ، انه الجورب القاتم الذي يغطي ساقيها حتى حدود « التاير » الضيق . كانت كلماتها غير مشجعة، لكنها لم تفقدني الامل في ان تتطور علاقتي بها .

وفي البيت ، قبعت وحيدا في غرفتي .. ادرت المذياع باحثا عن أغنية تروي جوعي العاطفي .. كنت انبش كعصفور جائع . وراودتني فكرة كتابة بعض الاحاسيس التي تكتنفني ، لكني سرعان ما احجمت عن تلك المحاولة عندما تذكرت محاولتي الاولى . فقد احسست بحاجتي الى التعبير عن نفسي .. فكتبت قصة .. لكن الحرافيش اخذوا يشبعون قصتي نقدا وتجريحا، مما اسموه امانة النقد ونزاهته ، لكني وجدته تهجما وقحا على احاسيسي ومشاعري ، فمزقت اوراق القصة ، وقلت في انفعال :

ـ لا اراكم الله يوما تقفون فيه موقف الاستاذ مني ، يا ملاعين .

ومنذ ذلك الحين لم اكتب كلمة واحدة . وآثرت ان اعيش الحياة دون ان ارهق نفسي بالتعبير عن مكنونات مشاعري . لكني اليوم ، وفي هذا المساء الساحر ، اشعر بحاجتي الى ان افعل شيئا ، استبعدت فكرة الكتابة التي برقت في مخيلتي لحظة ثم ماتت . حاولت ان اغني ، قطعت الغناء عدة مرات لاصفر بفمي صفيرا لا ادري أهو للحن معروف ، ام جاء تعبيرا عن حالتي الشعورية ؟ . ووددت لو رقصت . كنت سعيدا الى اقصى حدود السعادة ، لكن ينغص سعادتي هذا الجورب القاتم الذي يغطي ساقيها الى حدود « التاير » الضيق عند الركبة . اتحرص اماني على ان تستكمل الصورة الحزينة ، فتصر على ارتداء جورب قاتم ؟! . اتحاول ان تخفي العرج الخفيف بوسيلة ما ؟! . ام هي محاولة لسد نقص تستشعره في نفسها ؟! .

جردت اماني في مخيلتي من جوربها القاتم ، وتمثلت لي صورتها الجميلة الساحرة . انا مللت الجمال الجسدي الصارخ ، وكل الذي أطلبه، فتاة كأماني تستطيع ان تملأ في نفسي بئرا عميقة حفرها الحرمان العاطفي . وبرغم اتساق جسمها ، الا ان هذا كله ليس الحافز الذي شدني اليها ، انه طبعها الهادىء وسحرها الكامن في غلالة الحزن التي تطوف كالغيم على ملامحها المتناسقة .

رويت للحرافيش الاحاسيس التي تكتنفني ، ويبدو ان حديثي لم يلق منهم استحسانا ، وان كانوا قد تظاهروا بالانصات والاهتمام . اندفع فهمي بسخريته المعهودة يقول :

ـ متى الزواج ؟

سألني دون ان يعلق اهتماما قط على اجابتي . وربما دفعه الى هذا تظاهره بالانصات التام .

تحول موضوعي الجاد الى قفشات وتعليقات . نسوا تماما حكايتي مع الفتاة الحزينة ، او ربما تناسوها ، فقد همس حسين في اذني :

ـ بيني وبينك ، لا اصدق انك تحب .. انها احدى مغامراتك ولكن بأسلوب جديد .

ثرت عليه ، لكنه غاظني حين روى لي انتصاراته في مباراة الطاولة الاخيرة، ووقف مني موقف التحدي ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقلت بصوت جهوري :

ـ لا اراكم الله يوما تشمتون في يا ملاعين .

في هذه المرة استطعت ان اهزمه ، واؤكد للجميع اني المنتصر دائما . ومثل التحدي الذي واجهني به ، وجدتهم يتحدوننـي اذا انا احببت حبا صادقا . لم يعيروا الامر اهتماما عندما كاشفتهم بأن الفتاة من نوع جديد لم اعهده من قبل . لكنهم ـ برغم كل ما قلت ـ لم يجدوا في الامر شيئا جديدا ، واصروا على موقفهم البارد ، يواجهون به حماستي وانفعالي .

حان موعد لقائي بها ، انتظرت طويلا ، فلم تأت ! .. ايمكن ان يحدث هذا ؟! . اتراها تكذب ؟! . أم انها تلعب بعواطفي واحاسيسي وتستهين برغبتي الحادة في اللقاء ؟! لاول مرة اشعر بالخيبة والهزيمة . لم يحدث قط أن اخلفت لي فتاة موعدا ، كما لم يحدث قط أن هزمني احد في الطاولة ، وحتى في مباريات الكرة بالكلية ، اكون النجم الاول اللامع الذي يعتمد عليه الفريق في احراز الاهداف . اشياء كثيرة تؤكد انتصاراتي ، فلماذا اتأثر بموعد بسيط كهذا ؟! .

موعد بسيط ! . تضاحكت في أعماقي من هذا التعبير الغريب ، وقلت في نفسي : ليس هذا تعبيرا حقيقيا عن الواقع الذي احسه .. فالله يعلم كم اعلق من أهمية على هذا اللقاء ، بل كم انا جاد في علاقتي بها .

سرت في الشارع بلا هدف واضح ، ثم انعطفت الى المقهى لاجلس مع الحرافيش . احسست بحافز قوي يدفعني الى تحدي حسين في الطاولة . انهمكت معه في معركة حامية دون ان يهتم احد منهم بالاستفسار عن اللقاء الفاشل ، فحمدت لهم هذا السلوك ، واخذت اثرثر حول انتصاراتي في الطاولة وضعة شانهم . كنت اشعر براحة كبرى في هذا . انتهت المباراة بانتصاري عليه ، ورجعت في وقت متأخر من المساء ، وانا اشعر بالاريحية والانبساط .

لم اشأ ان افعل شيئا سوى التفكير في النوم ، وكان هذا التفكير محاولة قاسية .. فقد القيت جسمي على الفراش وحاولت اغلاق عيني دون جدوى فحملقت مشدوها في الظلام ، ثم ما لبثت ان فكرت في اماني ، وفي لقائي الفاشل ، وتساءلت في مرارة : كيف يمكن ان يحدث هذا ؟! .

مضت ايام مضنية عانيت فيها الكثير من الالام . لم أحاول ان ازور احدا ، حتى المقهى الذي نلتقي فيه كل مساء ، انقطعت عنه . ولم أخرج الا للضرورة . جاءني حسين وهو يحسب أن مرضا الم بي . وحسين ودود بطبعه ، وقد حمدت الله ان حسين هو الذي زارني ، فانا استريح له ، سألني عن سر غيبتي فتعللت ببعض المشاغل التي تحول دون ذلك ، ووعدته بأن التقي بهم عما قريب .

لست ادري سبب اعتكافي بالبيت في أغلب الاوقات . أيمكن ان يحدث هذا ؟! . فتاة كأماني تقلب حياتي رأسا على عقب ! .. وتنغص حياتي : وتقيد انطلاقي ، وتحبس انفاسي المحمومة ، وتردني الى طريق اخر ما كنت افكر فيه قط ! . طريق لا ادري اأسير فيه مرغما ام هوى النفس جرني اليه حبا في التغيير ، وملا من حياة الاستهتار . لا ادري بالضبط تبريرا معقولا لهذا السلوك ، لكن هناك حقيقة ثابتة في ذهني لا تقبل الجدل ، وهي اني احببت اماني لدرجة لم اكن اتصورها ، واني عانيت الكثير من الالام والتفكير المتضارب الى الحد الذي لا يمكن للحرافيش ان يصدقوه .. فكلمة الالم ترن في مسامعهم رنينا اجوف ، فلا يحسون لها معنى ولا يشعرون بها .

استملت سعاد كي تتحدث عنها .

ـ قولي اي شيء عن اماني . اريد ان اعرف عنها كل ما تعرفينه .

ابتسمت سعاد ابتسامة خفيفة وقالت بصوت هامس :

ـ لقد اخلفت لك موعدا .

ـ كيف عرفت ؟! .

ـ أاحببتها حقا ؟ . بيني وبينك هي فتاة نبيلة وتحب الحياة ، لكن الطبيعة جاءت ضد رغبتها في الحياة .. اتدري سر جوربها القاتم ؟ . الم تلاحظه ؟.

قلت في لهفة :

ـ لاحظته ، ولا ادري .. لا ادري سره .. لا ادري ..

ـ بساقها اليسرى اثار حروق ، وكذا تمتد هذه الاثار الى اجزاء اخرى من جسمها .

نظرت اليها نظرات تائهة ، ولم تستطع مقلتاي ان تستقرا في محجريهما . كنت في حالة قلق ودهشة . واكملت سعاد حديثها لتجيب على نظراتي المضطربة :

ـ هي التي صارحتني بذلك . واخلفت الموعد حتى لا تتطور بالعلاقة الى الحد الذي لا يمكن بعده ان تلتئم الجراح . شعرت بمدى حبك الكبير لها ، لكنها خشيت ان تفجعك بالواقع المرير الذي يعيش في لحمها كشظايا النار .

لذت بغرفتي .. جلست على مقعد واشعلت لفافة ، اخذت انفث دخانها وفي أعماقي صوت يصيح « ما أهون الحياة ! » . احسست بنار تزحف الى اصابعي . حاولت اشعال لفافة اخرى ، لكن ما في العلبة قد نفد ، أطبقت يدي عليها بقوة والقيت بها بعيدا ، والصوت المنبعث من أعماقي يصيح هذه المرة في غلظة : « سحقا لتلك الاقدار العمياء » .

نهضت عن الكرسي .. نظرت الى ساقي ، لشد ما عجبت من امرهما ، كيف تبدوان ضعيفتين واهنتين ؟!. الم احرز بهما انتصارات عديدة في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرحة البعد

الدكتور محمد رجب البيومي

★ ★ ★

أليس عجيبا ان اتوق الى البعد ... وأزعم أني في الهوى صادق العهد
أليس عجيبا بل مريبا تشوقي ... الى بعض اوقات اعيش بها وحدي
لكنت اخال البعد سيفا مجردا ... يسل بلا كف ويفري بلا حد
وازعمه يفري العيون بدمعه ... ويضري بأطواء الحشا لافح الوقد
ولكن تأملت النوى فوجدتها ... تلوح بوجه باسم غير مربد

رمتني الليالي ذات عام بعاجل ... من البين وافي كالقضاء بلا وعد
سطا ليله الداجي علي فجاءة ... وكنت ألذ العيش في زمن رغد
فولولت كالطفل الغرير حماقة ... وأبديت للاصحاب ما لم أكن ابدي
وجلجل في رأسي الصداع مطارقا ... فاسندت مكروبا الى راحتي خدي
وخلت عذاب الله في الخلد لن يرى ... على هوله اقسى حريقا من البعد
ولما دنا التوديع ولول خافقي ... وأقبلت مصهور الحشا ذاهل الرشد
وخلت فضاء الكون سجنا بناظري ... أسير به سير المكبل بالقيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مباريات الكرة !؟ . كيف بالله أحس هذا الاحساس الغريب الذي يكاد يشلهما عن الحركة ؟! .

تمشيت في غرفتي ، ولما ضقت ذرعا بها ، خرجت الى الصالة واخذت اجوبها ، واحساس طاغ يعصف بفكري .. احساس يدفعني الى ان افعل شيئا ، اي شيء . وعجبت لادعاء الحرافيش بأن حبي هذا ادعاء زائف ، ولا يعدو ا نيكون نوعا من النزهة العاطفية التي تنتهي من حيث تبدأ نزهة جديدة .

تشبثت اكثر بها . لا يهمني جسمها المشوه . انا أبحث عن الاعماق ، عن الروح ، عن شيء لم أنله من قبل . اكتشفت في أماني الاغوار السحيقة المليئة بالنبضات الحية التي تشيع في النفس لذة ناعمة لا يقدر انسان على وصفها ، لانها تبعد عن الحس المادي بعدا شاسعا . شيء اخر كان ينقصني ، ووجدته في أماني . وكأن الله انبتها في حقل عمري ، وجعلها صورة شائهة حتى يحرمني مما تلذذت به كثيرا . ليكن هذا قدري ، فأنا راض به ويلقى نداء صاخبا في أعماقي من الصعب علي حبسه . جسدها لا يهمني في شيء ، وانما الاصالة الانسانية التي تفيض في اخلاص الى مدى بعيد يصل الى حد العطاء السخي .

حتى غلالة الحزن التي تطوف كالغيم على ملامحها ، حتى هذه الغلالة جعلت منها شيئا من الصعب علي الانفصال عنه .

ولكن اين هي اماني ؟ . حاولت ان التقي بها فلم اوفق ، ولم تعد تزور اختي . علمت انها رحلت ، وتركت رسالة مع أختي تقول فيها :

« لقد صممت على الرحيل . بذلت جهودا مضنية مع أسرتي حتى توافق ، لعلك في الفراق تنسى ما كان . اما انا فيعلم الله كم انا احبك ، وحبي لك هو الذي أملى علي هذا التصرف . وكيف لا احبك وانت حلمي اليتيم الذي داعب سمائي الحالكة السواد !؟ » .

طويت الرسالة في ألم ممض يوشك ان يستدر الدموع من المآقي . وجلست اكتب ـ لاول مرة ـ قصة حبي التي ماتت وهي جنين . ومن يولها الوذ بالزهد عن صخب الاباطيل ، فأشاع الحرافيش ان الجنون اصابني !! .

القاهرة — حسني سيد لبيب

ولكن وضعا لم يكن في تصوري ... تولى باحساسي من الضد للضد
رأيت فتاتي ـ يا لها من نبيلة ـ ... تكاتم في اعماقها زفرة الوجد
بدا الجزع الطاغي على قسماتها ... وتبتل في اخفائه غاية الجهد
وترمقني حبا كأن لحاظها ... تناشدني ألا أحول عن العهد
وفي صمتها معنى اكتئاب رأيته ... يجيب بما لا يملك القول من رد
تجلى اساها ناطقا بوفائها ... فبدد وهما اسلم العين للسهد
اجل كنت شكاكا اظن ودادها ... ملاهي خود تقتل الوقت عن عمد
فان نطقت أولت ما نطقت به ... وان صمتت، فالصمت فاتحة الصد
واني على ما كان من فرط حيرتي ... أقدم في استرضائها الروح لو تجدي
على طول شكى استلذ جوارها ... واعتده اشهى مذاقا من المجد
أحب بقائي في الحياة لاجلها ... وأنشق منها مثل رائحة الخلد
أسر بمرآها وأهوى حديثها ... ولا كهيام الحائمات على الورد
تلوح بعينيها مسارح فتنة ... تؤجج نار الشوق في الحجر الصلد
تعظم معنى العيش لي فكأنما ... غدوت مليكا نافذ الحل والعقد
فلما جلا التوديع كامن حبها ... تيقنت ان الكون اصبح لي وحدي

وعربدت الاشواق بين جوانحي ... ولست تجاه الشوق بالرجل الجلد
فطيرت مزهوا اليها رسالة ... تترجم احساسي فتفصح عن ودي
وجاشت معاني الحب تزحم خاطري ... ولم تك لي في القول سابقة العهد
ولكن الهاما تدفق وحيه ... فنضر وجه الصخر بالاغصن المد
رأيت احاسيسي تصير روائعا ... من الادب العالي منمقة السرد
كأن بلاغات العصور تدفقت ... على قلم يختال بالكاتب الفرد
وأكبر ما روى المشاعر ردها ... فقد بل حر الشوق بالسلسل البرد
تألق وردي الصحيفة باهرا ... فضم للون الورد رائحة الورد
وابدى من الشوق اللهيف مواجدا ... سررت وقد شاهدت اشباهها عندي
كأني حبيت الخلد صيتا وشهرة ... والا ، فما للتيه جاوز بي حدي
تهادى بريدي مسعدا بخطابها ... فاسدى الى المشتاق انفس مايسدى
وحدد لي يوم اللقاء مبشرا ... فبت لهيف النفس احلم بالعود
أنمق معسول الحديث مهيئا ... ضروب فكاهات تجل عن العد
وهاجت احاسيس بصدري عنيفة ... ولا كهياج الموج بالجزر والمد
أريد ثباتا غير ان عواطفي ... تنهنه من عزمي فانكل عن قصدي
وسارعت لاستقبالها حين اشرقت ... وفي مقلتي جوع يضاعف من وجدي
بدت فبدا الوجه الجميل يظله ... ويرعاه في تسياره طائر السعد
وصافحتها كي تخبر الكف اختها ... بمشبوب وجد ، لا يني لافح الصهد
فابدت بعينيها حديثا فهمته ... ولا كحديث العين للعين اذ تبدى
ولم تبتسم مثل الصغيرات بل بدا ... لعقلي ابتسام القول في الاخذ والرد
لقد ابرز استقبالها كوداعها ... هواها، فدعني اذكر البعد بالحمد

اذا اسلف الوصل القريب لنا يدا ... فان يدا للبعد جلت عن الايدي

الفيوم ـ ج.ع.م.

محمد رجب البيومي



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

* * *

العزيز الغالي

قال لي بعد ان استقر به المجلس .

كنت في الامس ادير مفتاح المذياع في المنزل ، فاذا بي ادخل على محاضر يسترسل في حديثه عن الحنين الى الوطن واهله ، وكان فيما اورده من شعر الشعراء شاهدا على ذلك بيتين من شعر شوقي يقول فيهما :

وطني .. لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي
أحرام على بلابله الدوح .. حلال للطير من كل جنس ؟!

وكنت احفظهما من قبل ، ولكنني مع ذلك فوجئت بهما كما لو كنت اسمعهما لاول مرة ورايتني حيالهما استعيد سلسلة من الماضي ، توغل كثيرا خلف طوايا الذكريات .

قلت : وان من حقك ان تفعل هذا ، فطالما تأثرت بهذين البيتين بالغ التأثر ، كلما وقعت عليهما عيني في كتاب ، او سمعتهما يترددان على لسان منشد ، وانهما لمن جيد ما قاله امير الشعراء احمد شوقي في قصيدته السينية الطويلة ، معارضا بها سينية البحتري التي مطلعها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

وقد نظمها في الاندلس عندما كان مبعدا عن وطنه مصر الى هناك . وان هذين البيتين في تلك القصيدة لمن اجود ما قاله الشعراء في الحنين الى الوطن . ولقد كان شوقي ينشدهما في الاندلس فتدمع عينه حنينا الى وطنه ، كما كان يستمع اليهما بعد ذلك الكثيرون ممن ابعدوا عن اوطانهم فتفيض منهم العبرات حنينا اليها .

فقال صاحبي : وان هذين البيتين قد أثارا في نفسي من لواعج الشوق والحنين ما افاض دمعي وهز وجداني ، حتى الفيتني اردد مع شوقي :

أحرام على بلابله الدوح .. حلال للطير من كل جنس ؟

وكنت اقول ذلك وخيالي يحلق الى بيتنا وبيارتنا عند مداخل مدينة يافا الجميلة ، فأذكر كيف يتمتع بهما الغاصبون هناك ويحرم علينا — نحن المالكين لهما شرعا — ان تطأهما اقدامنا . ذلك ما ذكرني به شعر شوقي امير الشعراء ، فذكرت معه ما يشجي الفؤاد ، ويثير فيه جراحات الاحزان .

قلت : وانه ذكرك بعزيز غال ، ردك الله يا اخي الى بيتك وبيارتك ، وبذلك يكون قد ردنا جميعا الى فلسطين الحبيبة ، فردوسنا المسلوب من وطن العرب ، وذلك بعد لواء الاسكندرونة قرب مدينة حلب في سوريا .

وعند ذلك ابتسم صاحبي بعد الذي غام على وجهه من الاسى ، وقال مداعبا : وجعلت بيتنا وبيارتنا في يافا مفتاح ذلك كله — ؟!

فقلت وانا ارد له دعابته : معاذ الله يا اخي ، بل سوف يكون ذلك كله — ان شاء الله — مفتاحا لبيتكم الجميل وبيارتكم الغالية .. ثم لا عليك .. اليست النتيجة — واحدة ؟ ! .

مفاجأة .. ننتظرها

ان الذكريات صدى السنين .. ولقد رايتني استعرض هذه الذكريات ، ويتجاوب في مسمعي منها صدى السنين ونحن ما نزال في اخريات أيام العيد .

ورايتني أسمع من هذا الصدى تكبيرات العيد ، تتردد على افواه الوف والوف من المسلمين في مختلف اقطارهم ، في اعقاب الانتصارات المدوية في ايامهم الغر المحجلة ..

في اليرموك ، وفي القادسية ، وفي مصر ، وشمال افريقيا ، والاندلس ، وفي الهند والسند ، وفي مختلف افاق المشرق الاقصى ، حيث شارفت جنود المسلمين حدود الصين .

ثم رايتني أسمع من هذا الصدى تكبيرات العيد خلال ذلك العام ، الذي سجل فيه المسلمون انتصارهم العظيم على اعدائهم الروم في عمورية ، ذلك الانتصار الذي ثأروا فيه للكثيرين من شهدائهم ، بعد ان تناهت الى اسماع المعتصم — قائد تلك الحملة — استغاثة المرأة العربية المسلمة من (زبطرة) التي هتفت بها ، وهي في قيود الاسر مرددة : (وامعتصماه ..) !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم رايتني – اخيرا – اسمع من هذا الصدى تكبيرات العيد ، في جوانب الحرم القدسي ، بعد ان طهره صلاح الدين الايوبي من تحكم الصليبيين ، وبعد ان اعاده الى حوزة العرب والمسلمين ، وطرد منه الغزاة الطامعين ، الذين جاءوا ليستعمروا بلادنا باسم الدين ، والدين بريء مما اقترفوه من مجازر .

لقد رايتني اسمع من هذا الصدى ذلك كله .. اسمع تلك التكبيرات تمتلىء بها افواه اولئك الاحرار المجاهدين من اسلافنا ، وقد امتلأت ايديهم بالنصر ، وتوجت هاماتهم بعزة الاقوياء ، وكرامة الغر الميامين ، فاذا بالصدى يتردد هادرا مدويا عنيفا ، توشك ان ترتج منه الجبال الراسيات .

والى جانب ذلك .. رايتني اسمع صدى كان ما يزال قريب العهد ، لم تبتعد به الذكريات خلف السنين ، وتلك كانت تكبيرات العيد ، تتردد هزيلة ضئيلة متخاذلة ، على افواه العرب والمسلمين ، في مختلف انحاء الارض ، وعدوهم يحتل ارض الاسراء والمعراج ، ويضم اليه مدينة القدس ، بكل ما فيها من مقدسات وامجاد ، وحسبك من ذلك المسجد الاقصى ، قبلة المسلمين الاولى ومهوى افئدتهم ، حين يتطلعون الى صخرة المعراج ، سبيل نبيهم الكريم الى الملأ الاعلى .

اجل ... كانت تكبيرات العيد تتردد هزيلة ضئيلة متخاذلة ، على افواه اولئك المصلين ، وقنابل عدوهم تنهال على الامنين في اربد وما حولها من قرى ، وعلى مشارف دمشق وارباضها ، وعلى قناة السويس والجزيرة الخضراء .. ثم على جنوبي لبنان ..

كان الذين يكبرون لا تمتلىء أيديهم بغنائم الانتصارات المدوية ، التي امتلأت بها ايدي اسلافهم من قبل ، حين توجت هاماتهم عزة الاقوياء وكرامة الغر الميامين .

ليت شعري الى متى .. ؟ وهل سيظل عدونا يتعرم علينا ببأسه وجبروته ، ونحن نقابله بهذه الفرقة والشتات ، صفوفا ممزقة متخاذلة ، وكل واحد منها لا تربطه بسواه رابطة .. ؟

هل سيظل عدونا يضربنا احادا ، والاخرون يشهدون ولا يحركون ساكنا ، حتى اذ ما جاء دور الواحد منهم ، لم يجد من يلتفت اليه في مصيره المحتوم ؟

ترى .. هل سيظل هذا دابنا ، أم انها ستكون هناك المفاجأة التي ينتظرها كل واحد منا ، مفاجأة وحدة الصف واجتماع الكلمة ، والسير تحت راية تخفق في ظلها عزة الاقوياء ؟ ! .

اننا لننتظر ، وينتظر معنا الاحرار .. وليته لا يطول هذا الانتظار .

انها الحيلة

هناك قصة رمزية .. وهذه القصة الرمزية ذات مدلول بالغ الاثر ، وهي مما تناهى الينا من آثار السلف الصالح ، ونحن لا نزال نتناقلها حاضرا عن غابر ، ويعرفها الصغير منا والكبير ، وهي تتحدث عن صياد كان قد نصب شباكه في يوم عاصف بارد ، فوقع فيها عدد غير قليل من العصافير ، فجاءها وجعل يتناول العصافير واحدا بعد واحد فيذبحها ، ودموعه تتساقط من شدة البرد والريح العاصف ، على خديه ، فنظر اليه عصفور لم يجيء دوره بعد ، وقال لجاره في الشبكة : « الا ترى الى هذا الصياد ما ارق عاطفته ؟ . انه يبكي لشدة اشفاقه علينا !! » .

فقال له جاره وهو يعجب لفرط غبائه : « ويحك .. انك لو نظرت الى ما تصنعه يداه ، لرجعت عن حكمك عليه .. » .

تلك هي القصة الرمزية .. وهي لا تعدو كونها اسطورة ، ونحن اليوم نعيش في حال مثلها ، ويكاد يجري بيننا فيما نحاور به بعضنا بعضا ، شبيه ذاك الذي يجري بين العصفورين في الشبكة حيال الصياد ...

ان هذا الخلاف المصطنع – الذي تتحدث عنه الصحف والاذاعات عندنا – بين عدونا الذي اغتصب وطننا في فلسطين ، وبين الدولة الظالمة التي زودته عن عمد واصرار وتخطيط مدروس ، بطائرات الفانتوم ، وقنابل النابالم ، والطيارين المأجورين بسخاء من رعاياها ، والدعم الصفيق المفضوح في المحافل الدولية ، وتحدي مشيئة الملايين المئة من العرب ، حين تضع تحت تصرف عدونا كافة المرافق العسكرية التي سيطرت عليها في وطننا الكبير باتفاقات صورية ، ومعاهدات يكشف زيفها الاحرار يوما بعد يوم ..

اجل .. ان هذا الخلاف المصطنع بين عدونا وبين تلك الدولة الظالمة ، التي تتحدث عنها اذاعاتنا بما يشبه الارتياح والرضى ، وتبرزه صحفنا ومجلاتنا بالعناوين الكبيرة ، قد أوجد بين بعض فئات الشعب عندنا مجالا يتحاورون فيه ، وهم يتهمون اعداءنا بالجحود ، لانهم تنكروا لمن احسن اليهم ، حتى صدق فيهم قول الشاعر :

اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وتنطلي عليهم الحيلة ، وتخدعهم البيانات التي قصد من اعدادها خديعتهم ، ويتوهمون ان هذا الخلاف سببه العطف علينا ، والتحول الى جانبنا ..

ليت شعري .. كيف غاب عنهم : ان المرء لا يمكن ان يخاصم يده التي بها يأكل ، وعليها يعتمد ، وبفعلها يكون بطشه حين يصول ويجول ؟ ..

كيف غاب عنهم : ان الشجرة الناضرة في الحقل ، لا يمكن ان تتنكر للساقية ، التي توصل اليها الماء ، فيمدها بالغذاء والنماء ؟ ..

بل .. ما لهم ، وهم يرون ما ينزله عدونا بالامنين العزل من مواطنينا ، بسلاح تلك الدولة الظالمة ، وقنابلها ، وطائراتها وطياريها ..

ما لهم لا يذكرون – حيال ذلك كله – تلك القصة الرمزية .. قصة الصياد والعصافير ؟!

عمان – الاردن **محمد سليم رشدان**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمات حزينة

مهداة الى الدكتور عدلي ناعوم

اصيب ولدي محمد بمرض نفسي شديد الاثر وتولى الدكتور عدلي ناعوم علاجه بقدر ما يتيحه الطب من علاج غير ان خلقه الكريم وتقديره للواقع كان فوق مجال الحديث ، ومن ثم كتبت هذه الابيات ...

●

يا عميق الاحساس بالناس لولا ... ذلك العمق : ما شكرتك : لولا
عشت ماضي كله أتلقى ... كل خطب ، بربما ولعلا
لا يرى الناس من حياتي الا ... جانبا مشرق الملامح سهلا
غير ان الذي اصاب فؤادي ... طارق دونه الاماني قتلى
لا ترى العين سهمه وهو أفرى ... من شفار المدى وارهف نصلا
مس مني بني وهو شباب ... من ربيع الربيع اندى واحلى
تتبع العين خطوه وهو يمشي ... وترى فيه : طرح عمر تولى
فاذاه ما بين ليل وصبح ... أمل طاش خلسة واضمحلا
في وجود تحير العقل فيه ... بين وهم مضى ، ووهم أطلا
باكيا تارة واخرى ضحوكا ... وهو في الحالتين يقتل قتلا
فلو اني خيرت في الامر ، كانت ... رقدة للمنون اهون ثكلا
واذا كانت الحياة عذابا ... كان وأد الحياة بالموت حلا

يا رجاء الرجاء عفوا اذا ما ... شط مني الحديث قطعا ووصلا
فانا المرء لست احسن زيفا ... في كلامي ولا أزخرف قولا
واذا كنت قد شكرتك لما ... طوقتني يداك برا وفضلا
فلأني أحسست طاقة عطف ... ادركتني ، والقلب ينزف هولا
لم أقل جفت الجراح والقت ... لفتة منك عن كياني حملا
أنت من يدرك الحقيقة مهما ... خفيت ، والرياء مهما تحلى
انما هزني وقوفك مني ... موقفا لم أجده في الناس قبلا
موقفا ردني الى الصبر حينا ... بعدما كدت من همومي أبلى

يا كريم الفؤاد والنفس حسبي ... انني لم أجد لعطفك مثلا
ليس من يدعي المروءة قولا ... مثل من يدعي المروءة فعلا

الاسكندرية — عبد العليم القباني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وحيد الدين بهاء الدين

الرصافي في شعره الحربي

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

يبدو لنا الرصافي ، من خلال دراسة شعر الحرب الوصفي عنده ، انه ميال الى العثمانيين .. متأثر بهم .. محب لهم .. مدافع عنهم ...

لعل التفسير الواقعي المعقول لهذا كله ، هو كون الدولة العثمانية مسلمة تمثل القيم المقدسة ، والمعاني الروحية ، التي جاء بها الدين ، وتجسد الوجود الاسلامي في الشرق كله . ثم انها حامية الديار والذمار ، والحريصة على مصالح المواطنين في جميع الاقطار والامصار ، تلك التي كانت واقعة تحت سلطانها ، وفي مناطق نفوذها ..

اذن ان العامل الديني الذي تجاوب معه الرصافي بعواطفه وافكاره ، هو الذي جعله يشعر بهذا الشعور العميق ، ويدعو الى الذياد عن كيان الدولة العثمانية ، ومناصرتها ، والالتفاف حولها ، في كل الحروب التي خاضتها مع اعدائها في الدين والدنيا .. وانما هي حروب الاستعمار الغربي الذي يريد ان يسيطر على الشرق لكي يستغله ، ويعبث بمقدراته ...

وحري بالذكر ان الرصافي لم يكن وحده الذي استجاب لهذا العامل الديني ، ووقف بشدة الى جانب دولة الخلافة ، وانما كان هناك الكثيرون من شعراء العراق والبلاد العربية ، من امثال الكاظمي والزهاوي واليعقوبي والباجه جي وابي المحاسن ، وشوقي وحافظ وصبري والرافعي ، اضافة الى بعض المفكرين الاجتماعيين والسياسيين كجمال الدين الافغاني ومصطفى كامل ومحمد رشيد رضا ، ومن اليهم .

مرد هذا التعاطف مع السلطنة العثمانية ، على الرغم من سياستها المتبعة ، ووقفها المعاش ، الى اعتقاد هؤلاء وغيرهم ، بأن الخطر الحقيقي يكمن في الغزو الاستعماري الزاحف من الغرب ، ويتمثل في وجوده .. ومما يقوله مصطفى كامل : « ان سياسة التقرب من الدولة العلية هي احكم السياسات وارشدها ، فالعدو الاكبر هو الاحتلال الاجنبي .. » .

غير ان باحثين اخرين يضيفون الى العامل الديني ـ وهو من حيث طبيعته عامل داخلي محض ـ عاملا اخر خارجيا ، وهو « الرغبة في المنفعة الذاتية » .

المراجع التي بين أيدينا ، تشير الى ان الرصافي لم يشهد حربا من هاتيك الحروب ، التي قال فيها شعرا ، لانه لم يكن عسكريا .. ولكنه لاحساسه بمسئوليته تجاه الاحداث والارتفاع الى مستواها ، وتمتعه بروح وطنية ونخوة دينية عالية من جهة ، ونفاذ بصيرته ، وقوة بيانه ، واصالة ملكة التصوير عنده من جهة اخرى ، تمكن من ان يعيش هذه الحروب الطاحنة ، ويواكب بعقله وقلبه ، مآسيها ومفارقاتها ، واصفا اياها ، وما يمور في اعماقه ، وصفا حيا اقرب الى التجسيد الفني المميز ..

لا بدع في ذلك ، فان هنالك شعراء كثيرين في الادب العربي القديم ، والحديث ، كذلك في الاداب العالمية ، وصفوا الحروب : مشاهدها ومظاهرها .. اثارها واصداءها ، وما اكتنفها من تيارات وغرائب ، وما استعمل بها من آلات وادوات ، دون ان يشاركوا فيها ، بل تمثلوها تمثلا فيه صدق التجربة وعمق المعاناة وواقعية المجابهة .

للرصافي قصيدة عنوانها « الحرب في البحر » يتناول فيها قصة الحرب الروسية اليابانية الناشبة سنة ١٩١١ ، بسبب من محاولة روسيا للاستيلاء على احد موانيء اليابان ، تمشية لمصالحها التجارية، وتسهيلا لمشكلاتها الحربية في المستقبل بعد يأسها من محاولاتها الاخرى في السيطرة على بعض الموانيء والمضايق المرتبطة بمياهها الاقليمية . ومن هنا بدأت بالعدوان .. الا ان عدوانها باء بالخسران ، كان له اثره في التاريخ الحديث على الصعيدين السياسي والاقتصادي ..

والرصافي المعروف بعدائه التقليدي لروسيا ، تلبسته حال من العطف الانساني على اليابان ، وما عرضت لعدوان مبيت ، تدفعه الى ذلك كله روح اسلامية ، حيث نظم قصيدته واصفا بها الحرب ، وكيفية تصادم الاسطولين : الياباني والروسي ، وصفا واقعيا ناطقا :

سعروها في البحر حربا ضروسا تاكل المال نارها والنفوسا
قرب «جوشيم» قد تصادم اسطو لان اردى اليابان فيه الروسا
يوم «طوغو» دها باسطوله الرو س قتالا وكان يوما عبوسا
فحداها بوارجا تملأ البحر وقارا طورا وطورا بوسا
كل مخارة اذا حركت دفاعها خضخضت به القاموسا

ثم يقول :

جهزوها مدافعا ففرت أفواه نار قد التقمن الشوسا
دلعت ألسنا من النار حمرا ويل من قد غدا بها ملموسا
ترسل الموت في قنابل كالشهب ذريعا مستأصلا عتريسا
طالما بانفجارها انفلق البحر انفلاقا مذكرا عهد موسى

انما الرصافي في وصفه متحمس .. مقدر لما امتاز به اليابانيون من روح معنوية حركتهم للانتقام والاستعداد لحرب قادها قائدهم «طوغو» حتى ان تغانيهم في سبيل النصر ، جعل البحر يعلوه «غمام من دخان» وجعل « الحيتان تخشى من اللهيب » ، وجعل طرادهم يثور بجيش .. ولكأن الجبال ترى فيها البراكين تقذف الموت :

بث اسطوله فلبسه « طو غو » باسطول خصمه تلبيسا
حيث قد اجفلت من اللجج الحيتان تخشى من اللهيب مسيسا
وعلا البحر مكفهر غمام من دخان همى ولكن بوسى
ثار طرادهم بجيش بنسا فات سفن لهم سحرن الوطيسا
كجبال ترى البراكين فيها تقذف الموت جارفا والنحوسا
فاباحوهم هنالك قتلا واغتنامًا نفوسهم والنفيسا
فسل اليم كم تضمن منهم مفرقا في عبابه مغموسا
هاجموهم وللهياج سعير ملأت واسع الخضم حسيسا

هكذا انتصر اليابان بعد سحقه روسيا ، والباسها ثوب الهوان ، حتى صار يوم انتصاره ذكرى فخار ومجد عبر التاريخ :

فكسوهم من الهوان لبوسا وسقوهم من المنون كؤوسا
صرعت في الوغى ليوث من اليا بان اسطول خصمها مفروسا

فانتضوها عزائما ماضيات ... طاطأ الروس دونهن الرؤوسا
وجلوها في الروع بيض فعال ... اقراتهم كتب الفخار دروسا
ان يوما لهم تقضى بجو شيما ... ليوم بالذكر زان الطروسا

اما حرب الطليان بطرابلس الغرب ، فمن الحروب التي ما تفتأ اصداؤها تتردد في رحاب التاريخ الحديث ، لما امتازت به من اهوال ومجازر .. فقد كانت الامبراطورية العثمانية في اواخر اعوامها تشكو الضعف والانحلال .. بدأ كيانها يتمزق ، ومجدها يتلاشى ، وظلها ينحسر .. لذا قام الطليان باستغلال هذا الضعف استغلالا اغراهم بالهجوم سنة ١٩٠٤ على طرابلس الغرب بعد تواطؤهم مع الدول الاستعمارية الكبرى في اوربا ، بقصد الاستحواذ عليه والانتفاع بموارده الطبيعية واستثمارها لمنافعهم الذاتية ..

ولا بد ان نجد الرصافي يصف لنا هذه الحرب في ثلاث قصائد ، هي من اروع ما نظمه في هذا الغرض ، واعظمها ثراء ، واعمقها اثرا ، لان تجربته الشعرية تتسم بالعنف والصخب ، وتعابيره تنساب انسيابا حماسيا ، تناظرت فيه الالفاظ والمعاني على حد سواء ..

يقول الرصافي في قصيدته الاولى : « الى الحرب » :

الا انهض وشمر ايها الشرق للحرب ... وقبل غرار السيف واسل هوى الكتب

واحسب الرصافي في بيته هذا متأثرا بقول ابي تمام :

السيف اصدق انباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

ويواصل قائلا :

ولا تغترر ان قيل عصر تمدن ... فان الذي قالوه من اكذب الكذب

يعزز الرصافي هذا ، ما عمله الطليان « بين مصر وتونس » من استباحة الحمى واستحلال الحرام :

ألست تراهم بين مصر وتونس ... اباحوا حمى الاسلام بالقتل والنهب

ثم يرى الرصافي ، ان الطليان ينبغي ان لا يؤخذوا بالجرم وحدهم ، ما داموا قد تحالفوا مع الحلفاء ضد الدولة العثمانية ، التي انضمت الى المانيا .. وبتعبير ادق : ما داموا قد تقاسموا مسبقا ما يمكن من يحتل من الممالك والاراضي :

وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدهم ... ولكن جميع الغرب يؤخذ بالذنب
فاني ارى الطليان منهم بمنزل ... يعد « وهم يفرونه » منزل الكلب
فلولاهم لم ينقض العهد ناقض ... ولا ضاع حق في طرابلس الغرب
بلاد غدت في الحرب تندب اهلها ... فتبكي وتستبكي بين الترك والعرب
قد اغتالها الطليان وهي بمضجع ... من الامن لم يقضض برعب على الجنب

ثم يشرع الرصافي بتصوير هذه الحرب ، وما كان لها من اصداء فتقت الاذهان وهزت الاعماق ، ويصب نار النقمة على الاستعمار الذي يحاول الزحف الى الشرق لمسخ حضارته ومعتقداته ، والاستئثار بخيراته وموارده ، والاستهانة بأماني شعوبه ، كذلك يشرع بوصف المدافع وهي تقذف النيران « كالوابل السكب » ، وسحب الدخان يتعالى في الفضاء اللامحدود حتى لم يبق ثمة زرع ولا ضرع .. اخضر ولا يابس ..

ولكن هؤلاء القوم الذين لا يترددون في الدفاع عن وطنهم المفدى ، ولا يتخاذلون عن نصرته والاستماتة في سبيله ، هبت عليهم ريح نكباء دمرتهم ، وكانت من اسباب الجدب والمحل :

فما انتبهت الا لصرخة مدفع ... وما نهضت الا الى موقف صعب
فاسمت وافواه المدافع دونها ... تمج عليها النار كالوابل السكب
صواعق من سحب الدخان تدكها ... وتنسفها نسف الزلازل للهضب
غدت ترتمي فيها عشيا وبكرة ... فلا يابسا ابقت ولم تبق من رطب
وما ان شكا من عضة الحرب اهلها ... ولكنهم شاكون من عضة الجدب
فما خفقت عند الهياج قلوبهم ... ولا اخذت اعصابهم رجفة الرعب
ولكن جرت نكب الرياح بأرضهم ... فجرت عليها كلكل الحجج الشهب

ويشيد الرصافي بشجاعة الليبيين ، حاثا اهل بنغازي على نصرة طرابلس وانتشالها ، في الوقت الذي يحمل فيه حملة شعواء على الاستعمار الذي اجاد لغة الخديعة والمكر ..

على ان القصيدة الثانية ، لا تتعدى الوصف لمشاعر الرصافي بسبب ما حل بطرابلس من محنة وغدر من جراء هذه الحرب القذرة التي اودت باناس اتصفوا بالتضحية والبسالة ، غير انه يعود متفائلا بأن قومه سيثأرون بأنفسهم ، وينتقمون من اعدائهم هؤلاء الذين ساموهم الخسف والذل :

فانا لقوم ان نهضنا لحادث ... من الدهر افزعنا بنهضتنا الدهرا
ندك هضاب الارض حتى نثيرها ... غبارا على اعدائنا يكشح الذعرا
وناكل من الموت حتى كاننا ... نلوك به ما بين اضراسنا تمرا
فسل جيش «كانيفا» بنا كيف قومت ... شفار مواضينا خدودهم الصعرا
وكيف هزمناهم فولوا كاننا ... واياهم اسد الشرى تطرد الحمرا
وكم قد نثرنا بالسيوف جماجما ... نظمنا بها فوق الثرى للعدى شعرا

الى ان يبلغ الذروة ، وهو يصف بألم فريح ما صنعه الطليان بقتلى المسلمين الابرياء بطرابلس ، وكيف اوردوهم موارد الهلاك ، حتى لاقوا ما لاقوا صابرين مصابرين .. ثم كيف اقدموا على قتل النساء .. وهل ينطوي قتلهن على شيء من الشجاعة ومعنى الشرف ؟ :

لك الله يا قتلى طرابلس التي ... بها حكم الطليان اسيافهم غدرا
اداموا بها قتل النفوس نكاية ... الى ان صاروا كل بيت بها قبرا
ولما احاط المسلمون بجيشهم ... فعاد الفضاء الرحب في عينه شبرا
تقهقر يبغي في الديار تحصنا ... ففربها من خشية الموت واستذرى
واصبح ينكى اهلها من تغيظ ... فيقتلهم جرا ويرهقهم عسرا
فاوسعهم بالسيف ضربا رقابهم ... وآنافهم جدعا واجوافهم بقرا
وما ضر «كانيفا» اللعين لو انه ... تقحم في الهيجاء عسكرنا المجرا
ايحجم عنا هاربا بعلوجه ... ويبغي بقتل الابرياء له فخرا
وهل حسبوا قتل النساء شجاعة ... وقد تركوا عند الرجال لهم ثارا

ويرتقي الرصافي الى مستوى الحدث الرهيب الاليم باصالة وثورة ، وقد غمس يراعه في قلب ينزف دما ..

يعز على اسيافنا اليوم انها ... تقارع قوما قرعهم بالعصا أحرى
يعني انهم عبيد وليسوا باحرار ..

وحين نصل الى القصيدة الثالثة « رؤياي الصادقة » ، يطالعنا الرصافي بوصف حلم رآه ليلا ، تطغي عليه كثافة الظلال دون الانوار .. وما الحلم الا تعبير صريح عن هواجسه وخواطره التي تراوده ولا تزايله .. وآلامه التي تضيق عليه بالخناق .. والحلم بعد هذا تشوبه ملامح رمزية ذات دلالات لما حدث ..

وفي نهاية القصيدة يهجو الرصافي بقذاعة وضغينة شيخ روما ، قائلا :

فعشتم في الورى سواسية ... لا حسب عندكم ولا ادب
ما اوقد الدهر نار مخزية ... الا وانتم لنارها حطب
اغسل شعري اذا هجوتكم ... لانه من هجائكم جنب

معلوم من الوجهة التاريخية ان بلغاريا تحالفت مع الصرب ضد الامبراطورية العثمانية ، وطالبتها بالانفصال والاستقلال ، بعد تحسسها نعمة الحرية والسيادة .. ولما كان هذا الامر في حكم الاستحالة وغاية الخطورة بالنسبة الى السلطنة العثمانية ، لانطوائه على اقتطاع جزء مهم من اراضيها ، فقد عز عليها ذلك .. وابت ان تستجيب لهذه المطالبة مصرة على موقفها الحازم ، ومن هنا اشتعلت نيران الحرب بينهما سنة ١٩١٢ .. والتحم الطرفان لمجابهة النتيجة الحاسمة .

والرصافي يقف ازاء هذه القضية الحساسة ، وقد اقضت مضجعه ، وايقظت رواقده ، معبرا اصدق تعبير في قصيدته « انشودة الحرب » عن خلجاته النفسية الحادة ، وراسما ما تحتمه الحال الراهنة بالوان متراكبة ..

نحن لا نفخر الا بلسان من سنان
شيم ينظر من تحت اليها الفرقدان

وبها قد شهد النجم لنا والقمران
سل بنا كل زمان سل بنا كل مكان
هل بلينا المجد الا بالحسام الهندواني
كم جلونا عتمة الهيجاء ذات المعمعان
بسيوف اضحكت في الروع وجه الحدثان

ولا يكتفي الرصافي بذلك كله ، بل يتطاول على « البلفار » متوعدا اياها بالويل والثبور وسحقها تحت اقدام الجيش العثماني المجبول على الاقتحام والجراة :

يا علوج الصرب والبلفار اولاد
لم يكن ايعادكم بالحرب غير الهذيان
انما الحرب لدينا من تمام الحيوان
فاتركوا الايعاد يا ابناء حمراء العجان
ودعوا الحرب فليس الحرب من شان الجبان

ولكن ماذا كانت نتيجة هذه الحرب البلقانية .. العثمانية ؟ !

كانت النتيجة المؤلمة سقوط « ادرنة » على ايدي البلغار ، وزحفهم نحو الامام .. نحو الاستانة ، على ما تذكر المصادر .. بعد هزيمة الجيش العثماني ..

ومرة اخرى ينبري الرصافي في قصيدة له موسومة بـ « ادرنة » كاشفا فيها همومه التي تالبت عليه ، واحزانه على ما حل بالمسلمين وديارهم من ماساة لا سبيل الى نسيانها ..

ادرنة مهلا فان الظبى سترعى لك العهد والموثقا
وداعا لمغناك زاهي الربا وداعا ولكن الى الملتقى

عزاء لمسجدك الجامع افارق محرابه المنبرا
وهل في مصلاه من راكع يجيب المؤذن ان كبرا
فيا لسقوطك من فاجع به فجع الدهر ام القرى

وبالرغم من هذا كله فان الرصافي يحاول ان يبعث السلوى والرجاء في النفوس .. ولكن هيهات ! .

رويدا ادرنة لا تجزعي وان قد امضك هذا الاذى
اذا انت بالسيف لم ترجعي فلا حبذا العيش لا حبذا
الا انت « الزاسنا » فاسمعي ونحن الفرنسيس من بعد ذا

ولعل اشهر معركة دارت رحاها في الحرب البلقانية العثمانية ، كانت معركة « لولا بوغاز » التي هزم فيها الجيش العثماني وتحطمت شوكته ، وقال فيها الرصافي بدافع حزبي شعرا يطفح بالاسى ، وينطق بالسخط على قائد المعركة « ناظم باشا » الذي يقال : انه سبب انكسار الجيش العثماني لخيانته وعبثه ، وافتقاره الى الشعور بالمسئولية الحربية والتاريخية .. والذي لقي مصرعه على ايدي الاتحاديين في الاستانة ، وهم كانوا يعارضون ويخاصمون الائتلافيين الذين كان ناظم باشا منتميا الى حزبهم ..

وفي هذه القصيدة وصف للحرب الناشبة وملابساتها ، وتصوير لما تصدى له الجيش العثماني ، من نكسات متلاحقة وفجائع متصلة ..

تالله لم ينكسر في الحرب عسكرنا من اجل قلته او من جبانته
وكيف وهو تفوق الطيس كثرته وتستعير الرواسي من رزانته
ولكن قائده ما كان يمانه ولا يبالي بامر من معانته
حتى لقد نفدت في الحرب عينته بحيث لم يبق منهم في كنانته
فظل يرسف في الثيران مرتبكا مستفرغا كل جهد من متانته
حتى غدا جله للنار ماكلة وما زحزح شبرا عن مكانته

ثم يقول وهو يفضح خيانة قائد الجيش ولهوه واستهتاره :

ليس الفرار لجند المسلمين الا ان الفرار للكفر في ديانته
وكيف يغلب جيش كان قائده يحفه بجيوش من خيانته
فالجيش تلتهم النيران انفسه وقائد الجيش لاه في مجانته
اقام في القصف والاجناد طاوية معاقرا بهناء بنت حانته

واخيرا يطلق الشاعر حسرة كاوية من اغواره :

لهفي على الجيش جيش المسلمين فقد قضى ولم يقض شيئا من لبانته

وللرصافي قصيدة « الوطن والجهاد » نظمها على اثر دخول الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، مستنهضا فيها المسلمين الى الجهاد ، ومستحثا الهمم من اجل صيانة الوطن والذب عن امجاده وحضارته العريقة ، ومؤلبا اياهم على العدو الذي كشر عن نيوبه ، وتحفز للانقضاض على فريسته ..

مسلم به ان الحرب العالمية الاولى ، مبعثها سباق التسلح الذي طفقت تزاوله بعض دول اوربا ، ثم المطامع التي استاثرت بالبعض الاخر .. من هنا دخل الحلفاء الحرب ضد المانيا ، وقد انضمت الى جانبها الدولة العثمانية ..

وكان من الطبيعي ، والحالة هذه ، ان يقول الرصافي كعادته ، وفاء منه لدولته ، ما جادت به قريحته الشعرية الفياضة :

يا قوم ان العدا قد هاجموا الوطنا فانضوا الصوارم واحموا الاهل والسكنا
واستنفروا لعدو الله كل فتى ممن نأى في اقاصي ارضكم ودنا
واستنهضوا من بني الاسلام قاطبة من يسكن البدو والارياف والمدنا
واستقتلوا في سبيل الذود عن وطن به تقيمون من دين الله والسننا

ثم يقف الرصافي متحمسا ، ليهجو اولئك الذين خانوا الله والاسلام والوطن ، لمشايعتهم الانكليز وتواطؤهم معهم ، لقاء جاه زمني زائف .. وبالرغم من هذا كله فانه يتفاءل ، ويمجد وطن الاسلام الذي يحميه جيشه ، ويرد كيد الاعداء الى نحورهم ، ويفصح عن الاحزان المطبقة على الافاق ..

لا زلت يا وطن الاسلام منتصرا بالجيش يزحف من ابنائك الامنا
يرد عنك يد الاعداء خاسرة ويكشف الغم عن افقيك والمحنا
سعديك من وطن جلت مفاخره عن الزوال فلا تخشى بلى وفنا
تالله ان معاليك التي سلفت تعي الفصاحة والتبيان واللسنا

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

سحر الغروب

حار فكري وناظري أي حسن
لاح أسنى في الارض ام في السماء
يا لسحر الغروب تعرض فيه
رائعات السنى لعين الرائي
مشهد اثر مشهد مثل حسنا
ء تهادت تيها وورا حسناء
وهنا خضرة توشت بزهر
وهناك اللهيب من حول ماء
أشكل الامر بامتزاج الجمالي
ن امتزاج المياه بالصهباء
فكأن النائي قريب منال
وكأن القريب ذاك النائي

امريكا — نعمة الحاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهرة والصغيرة

بقلم رياض نصور



الصغيرة تضحك وترقص . شيء مبهج اثارها . الفرحة تزغرد في عينيها . ركضت نحو جدها المنهمك باعداد نارجيلته وقهوته وتعلقت بقدميه واللهفة تصرخ في عينيها :

زدو .. زدو .. بيسة .. اوه . اوه .

واشارت الى الخارج بيدها الصغيرة الناعمة .

كانت الصغيرة اغرودة البيت الحلوة بحركاتها المحببة . فقد توقف والدي منذ سنين عن الانجاب . وعادت شقيقتي بعد سنة زواجها . واطلت صغيرتها على الدنيا فأبهجت البيت بزقزقة حلوة ، جعلت البيت يزهر ، وتعمه الحركة من جديد . الارض اليباس اينعت وامرعت بغنوة جديدة ، وحياة جديدة ، وزهو جديد . واطلق الجد على الصغيرة اسم « نادرة » وكانت نادرة في كل شيء . في وجهها المنمنم الصغير ، في لثغتها الرقيقة ، في نعومة اندى من الندى وارق من الحرير .

اصبحت الصغيرة لولب البيت المتحرك ... وكان عمرها آنذاك سنة ونصف عندما اقتربت من جدها وهي تنادي ملهوفة متمسكة بقدميه ، ناظرة في عينيه وبلهفة حرى تردد :

زدو .. زدو ... بيسة .. اوه

يرفعها بيديه ، وينظر في عينيها المتوسلتين ويمضي بجسدها الصغير الغض الى حيث تشير بأصبعها الرخص . عند باب الدار هرة صغيرة بصوف بني غزير طويل تموء ، وتنظر بعينين زرقاوين براقتين الى القادمين ، وسرعان ما تقدمت تتمسح بقدمي الجد الطويلتين وتدندن معلنة مهادنتها ومحبتها لاهل البيت .

انزل والدي الصغيرة الى الارض وقربها من الهرة ، فخافت والتصقت بالجدار ولكن لم يكد يأتي المساء حتى انعقدت اواصر الصداقة بين الصغيرة والهرة . عندما حضرت امي الى المنزل حاولت طرد الهرة لان ابي كان يكره القطط ويعتبرها ناقلة للجراثيم ... لكنه قال لها .. هذه القطة ضيفة « ياسمينة » المنزل فاتركيها لها .

عندما انعقد مجلس العائلة في المساء بعد العشاء مباشرة . كانت اصابع ابي تنقر بالملقط على طرف دائرة النارجيلة النحاسية بايقاع جميل وكانت الصغيرة الحلوة كالفراشة الملونة تدور وتدور .. ترقص وترقص ... ثم تتقدم من جدها لتأخذ رشفة من فنجال القهوة وتعود الى الرقص والدوران من جديد . ونحن نصفق ونضحك مبتهجين فقد دخل على العائلة ضيف جديد . لم نحلم بمثله يوما . الهرة المحببة مصفقين ضاحكين .

الصغيرة والهرة ملحمة عبث وضحك ولعب . اهزوجة متواصلة الحلقات . مسرحية طلقة مبهجة ..

الصغيرتان نمتا . واصبحت القطة تدرك انها والصغيرة اثيرتان حبيبتان للعائلة .. واصبحت « نادرة » تتحدث بطلاقة عن هرتها .. وفي المساء عندما كانت الصغيرة تلوذ الى الفراش الدافيء بعد احياء حفلتها المعتادة . كانت الهرة تقفز الى الطرف الاخر من الفراش لتنام عند قدمي الصغيرة وهي تدندن كالعادة . .

ذات صباح ... صرخ والدي بصوت عال جدا « يا لطيف » وسمعت حركة غير عادية .. كانت اختي تبكي ... وامي تضرب صدرها بيدها المضمومة . اما اخي فقد اجهش بالبكاء مخبئا وجهه بملء كفيه ...

كان ابي قد دخل الى الخرابة المواجهة للمنزل وخرج منها وفي عينيه اثار دموع ... وحمل صحيفة مليئة بالماء وبعض الطعام .. ذهبت الى هناك . رأيت القطة متكومة على بعضها . وخيط رفيع من الدماء يخضب فمها ، وهي تموء مواء رتيبا موصولا .. جرت نفسها حتى الصفيحة واخذت قليلا من الماء . لم اعد اقوى على النظر . احسست بقلبي يدمى وبالدموع تتساقط مدرارة على خدي .

اخذني ابي من ذراعي مرددا : لا تخبروا الصغيرة .. لا تدعوها ترى الهرة . وان سألت عنها ، قولوا لها : ستعود ذات مساء .

كيف جرى الحادث ؟ .

عندما حضر بائع الحليب ، فتحنا الباب . تسللت الهرة من بين اقدامنا ومضت تعدو في الشارع . عبرت عربة مسرعة يجرها حصانان ... مرت عجلاتها فوق ظهر القطة الغض .. صرخت انا .. توقف السائق نظر الى الوراء .. كانت القطة تموء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتزحف باتجاهي كنت اتألم وانا اكاد اهوي الى الارض .. قال سائق العربة بغضب : يا للمصيبة انها هرة! وقهقه ضاحكا وهو يمضي ضاربا الحصانين بالسوط . ومضى وقهقهته تمتزج بضجيج العجلات المجرمة .

واحسست ان ابي لم يعد يقوى على الكلام .. وانا لم اعد اقوى على السؤال .

دخلت المنزل لاشرب فنجال القهوة قبل ذهابي الى الوظيفة . كانت نادرة قد استيقظت تسأل عن هرتها ... كانت تنظر الينا فردا فردا وتدور بعينيها العسليتين في ارجاء الدار تنادي قطتها وهي تفتش الغرف غرفة غرفة . واحسسنا بدنو العاصفة . اخذها جدها بذراعيه قائلا : تعالي ! يا ياسمينتي تعالي ، سأشتري لك كوزا من الذرة ...

نسيت الطفلة قطتها الى حين وهي تأخذ بيد جدها وتمضي . ولكن عندما عادت احست أن المنزل قد خلا من رفيقتها الدائمة .

كان ابي يتسلل الى الخرابة باستمرار حاملا للقطة الطعام والشراب ، ولكنه كف فجأة عن ذلك ..

اما الطفلة ، فلم تكن تكف عن السؤال . كنا نقول لها انها ستأتي في المساء . ويأتي المساء فنقول لها انها ستعود مع الصباح . وجاء يوم كفت به الطفلة عن السؤال . وانزوت ياسمينة الدار لا ترقص ولا تدور ، ولا تأخذ من فنجال رشفات من القهوة .. كانت تتطلع عبر النافذة بصمت وتساؤل وحيرة ؟ ... واصيبت فجأة بالحمى ، وانزوت في فراشها الصغير ، وجلست جدتها بجانبها تحكي لها الحكايات . هزلت الصغيرة ، ورق عودها . كانت ترفض تناول الدواء وكنا جميعا خائفين ، يخيم فوق رؤوسنا الذعر . نخاف شيئا مجهولا يهددنا ونحاول جميعا جاهدين أن نرضي ياسمينة الدار . ان نجعل البهجة تعود الى الوجه الصغير الملائكي ، وان تعود الفرحة واشراقة الحياة الى العينين العسليتين . كنا نعود صغارا نقفز ونضحك ونغني لننتزع الابتسامة من بين شفتيها الرقيقتين .

لكن كل ما كنا نفعله لها كان يقف حائلا بيننا وبين اقناعها بشرب الدواء . اصبحت الفتاة شاغل العائلة وكان ابي يعلم انها لن تشربه ما لم يحضر رجلا غريبا تظنه الطبيب فتخافه وتشرب الدواء . كان ابي عندما يحين الوقت ينادي اي عابر ويرجوه قائلا : طفلتنا لا تشرب الدواء ، مريضة تحرقها الحمى ، ارجوك ان تدخل معي الدار لتشرب الصغيرة دواءها . وكانت هذه هي الحيلة الوحيدة الناجحة .

ذات مساء . لم يدع ابي رجلا غريبا . كانت الصغيرة ترفض شرب الدواء . اعتمر طربوشه ولف رأسه بشال اتقاء للبرد القارس ومضى .. عاد بعد ساعة حاملا قطة صغيرة بشعر خالط سواده بياضه . كانت القطة تموء ، وتمد مخالبها بشراسة محاولة التملص من بين يديه . رفعت الصغيرة رأسها من الفراش وادارته باتجاه والدي مرددة : هذه ليست بيستي .

فأجابها ابي بهدوء : لا انها بيستك ، ذهبت الخبيثة الى السوق وغيرت فستانها .

كانت امي قد ذهبت الى المطبخ محضرة طعاما للهرة المذعورة .. التي استأنست قليلا ثم مضت هاربة متوارية تحت الخزانة . حاولنا اخراجها بدون جدوى .

رفعت الصغيرة راسها وشربت الدواء . كنا نحاول ساعتها اخراج القطة من تحت الخزانة .. وكانت الصغيرة تضحك . انها اول مرة تضحك بها بعدما فقدت قطتها .

كنا ننظر الى بعضنا بعضا والبهجة تغمر قلوبنا . ومرت امي يدها فوق جبهة الطفلة مرددة : لقد خفت الحمى .

وتردد صوت الصغيرة مختلطا بين الضحك والبكاء :

ـ لم اعد احبها ... اصبحت رذيلة .. يا ليتها لم تذهب للسوق ولم تشتر فستانا جديدا .

واغرقنا في الضحك ، واغرقت معنا الصغيرة . وعندما اشرقت في عينيها الحياة ، عادت اشراقة الحب والحنان الى البيت من جديد .

اللاذقية **رياض نصور**

الموسيقي الاعمى

أناميل يشيع بها الضياء ... وتلعب باللحون كما تشاء
كأن بها من الحدقات عشرا ... فكل يد بها خمس سواء
وحط بكل أنملة هزار ... يزقزق ثم يحجبه الفضاء
فآنا كالربيع نعي هديرا ... لطيفا ثم يعقبه الشتاء
فتمتمة وهمهمة وهمس ... كما جمع الحبيبين اللقاء
وأعمى في تفننه بصير ... يلحن مثلما توحي السماء
شبيه الطير تفقأ مقلتاه ... ليقضي العمر يشغله الغناء
ولا يدري بما في الافق يجري ... أطل الصبح او هبط المساء

زحلة ـ لبنان **رياض معلوف**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدنـاني

اغـلاط شـائعـة

بقلم محمد العدناني

* * *

لا بد لي في صدر هذه الحلقة من سلسلة مقالاتي ، من الاشارة الى انني استشهد ، في كثير من التصويبات ، بآي من الذكر الحكيم ، وهو المرجع الاسمي في اللغة العربية . ولكن استحالة وضع الحركات على الحروف بالاسلوب الذي تطبع به مجلتنا الفذة « الاديب » القراء ، حتم علي حذف تلك الآيات الكريمة ، خوفا من ان يلحن بعض من يقراها ، وساكتفي بذكر اسم السورة ورقم الآية هنا ، ليرجع اليهما من يشاء ، واعدا بايرادها كاملة في الكتاب ، الذي سأباشر بطبعه بعد الانتهاء من نشر مقالاتي المتتابعة هذه ، على صفحات هذه المجلة الدسمة ، ان شاء الله .

ولا بد لي ايضا من ان اكرر رجائي الى قمم الادب في العالم العربي ، ان يبدوا ملاحظاتهم اما مرسلة الى « بريد الاديب » ، او الي في منزلي ، وعنواني : صيدا ،لبنان ، فانا لا آمن العثار ، رغم أنني أفرغ جهدي في نخل المعاجم وامهات كتب الادب الموجودة لدي . ولست ادعي الكمال ، فالكمال من صفاته تعالى وحده ، ولكنني ادعي أنني ممن لا يجحدون الايدي البيض ، التي يسديها الي الادباء المحض ، الذين نذروا نفوسهم لخدمة الفصحى باخلاص شديد ، لا يبغون من وراء ذلك سوى خدمة امتهم العظيمة ، ولغتهم الخالدة ، عندما يوجهون الي ملاحظاتهم النزيهة بتواضع جم ، وهدوء تام .

الثلاث سنوات الاولى

ويقولون : لم يرسل الينا رسالة في الثلاث سنوات الاولى .
والصواب : (في ثلاث السنوات الاولى) .
والقاعدة تقول : اذا كان المعدود مجرورا ، فالتعريف له ، واذا كان منصوبا ، فالتعريف لعدده . نحو : جاء السبعة عشر رجلا والخمسون امرأة . وأضعت سبعمئة الدينار (أنا ارى ان نكتب سبعمئة دون ألف بعد الميم) .

وأجاز قليل من النحاة تعريف الجزأين في المركب الاضافي ، فقالوا : السبع المعارك والمئة الجندي . وهذا الجواز ضعيف ، لان ائمة النحاة يمنعون تعريف المضاف .

ثمانيا

ويقولون : كانت الفتيات ثمانيا . والصواب : (كانت الفتيات ثماني) لانه لا يشترط في الكلمات التي على وزن منتهى الجموع ان تكون جمعا ، لكي تمنع من الصرف . فكل اسم جاء على هذه الصيغة ـ وان كان مفردا ـ ممنوع من الصرف ، كسراويل (اسم مفرد مؤنث ، وقد يذكر) ، وطباشير ، وشراحيل (علم على رجل . فمن قال انه عربي ، منعه من الصرف ، لانه على وزن منتهى الجموع ، ومن قال انه أعجمي منعه للعلمية والعجمة ، مضيفا اليهما صيغة منتهى الجموع) .

ثم جاء بعد ذلك

ويقولون : ثم جاء خالد بعد ذلك . والصواب : (ثم جاء خالد) ، بحذف (بعد ذلك) ، لان (ثم) تحمل المعنى نفسه .

أثناء خطابه

ويقولون : قال نزار أثناء خطابه . والصواب : (في أثناء خطابه) ، لان كلمة (اثناء) هنا ليست ظرفا ، ولا مضافة الى ما تكتسب منه الظرفية ، لتستغني بها عن حرف الجر . وهي جمع (ثني) بكسر الثاء وتسكين النون ، و (اثناء الشيء) : تضاعيفه .
وقد قال التاج في مستدركه : كان ذلك في اثناء كذا ، اي : في غضونه .
هنالك مخرج واحد لاستعمال (اثناء) منصوبة ، وذلك بنصبها على نزع الخافض .

العدد الترتيبي (١٢)

ويقولون : هذه هي المقالة الثانية عشرة (بضم الثانية ، وبناء عشرة على الفتح) ، واطلعت على المحاضرة الثانية عشرة (بكسر الثانية ، وبناء عشرة على الفتح) . والصواب : الثانية عشرة (ببناء الجزأين على الفتح في كلتا الجملتين) ، لان الاعداد المركبة (من ١١ ـ ١٩) كلها مبني بجزأيها على الفتح ، وشذ (اثنا ، اثنتا) ، لانهما تعربان ملحقتين بالمثنى ، فنقول : جاء اثنا عشر سربا من الطائرات . شاهدت اثنتي عشرة بارجة .
اما في العدد الترتيبي فان (الثاني والثانية) من العدد (١٢) ليسا ملحقين بالمثنى ، لذا يعودان الى البناء على الفتح ، شانهما في ذلك شأن الاعداد المركبة الاخرى ، فنقول :
نمنا في الغرفة الثانية عشرة (ببناء جزأي العدد المركب على الفتح).
هذه هي الغرفة الثانية عشرة (ببناء جزأي العدد المركب على الفتح).

الحادي عشر والثاني عشر

اما الاعداد المركبة التي يكون صدرها (الجزء الاول منها) منتهيا بياء ، فان هذا الجزء يكون مبنيا على السكون ، فنقول : جاء الحادي عشر والثاني عشر ، ورأيت الحادي عشر والثاني عشر ، ومررت بالحادي عشر والثاني عشر (بتسكين ياء الحادي والثاني في الامثلة كلها ، وبناء عشر على الفتح) .
اما شين (عشر) في الاعداد المركبة فتفتح دائما ، وشين (عشرة) فتسكن دائما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثـــوار

ويخطئون من يجمع (ثائر) على (ثوار) بضم الثاء وتشديد الواو ، لان المعاجم لا تورد جمع التكسير (ثوار) . والمعاجم لا تورد هذا الجمع لانه قياسي ، اذ ان جموع التكسير على وزن فعال (بضم الفاء وتشديد العين) ، هي جموع كل صفة صحيحة اللام على وزن (فاعل) ، مثل : كاتب كتاب ، قائم قوام ، ثائر ثوار ، صائم صوام (بضم الحرف الاول من هذه الجموع وتشديد ثانيها) .

جـاء في طلب الديـن

ويقولون : جاءه في طلب الدين . والصواب : جاء يطالبه بالدين ، او لمطالبته بالدين ، او جاءه مطالبا بالدين .

أجـاب علـى سـؤالـه

ويقولون : أجاب على سؤاله . والصواب : أجاب سؤاله ، او عن سؤاله ، او الى سؤاله . راجع الآية ٣١ من سورة الاحقاف .

وقال كعب بن سعد الغنوي ، يرثي أخاه ابا المغوار :

وداع دعا : يا من يجيب الى الندا فلـم يستجبه عنـد ذاك مجيـب
فقلت: ادع أخرى، وارفع الصوت رفعة لعـل ابا المغـوار منـك قريـب

جـابهـت عـــدوي

ويقولون : جابهت عدوي ، أي استقبلته بكلام فيه غلظة ، واصبته بما يكره . والصواب : جبهت (بفتح الجيم والباء) عـــدوي ، أي لقيته بمكروه (نقله الجوهري) ، وهو مجاز .

وقال ابن سيده في المحكم : جبهته : اذا استقبلته بكلام فيـــه غلظة . وجبهته بالمكروه : اذا استقبلته به .

جـابهه وجهـا لوجـــه

ويقولون : أجابه المخاطر وجها لوجه . والصواب : أجابه المخاطر. فيستعملون (جابه) قياسا على عاين و واجه و شافه ، وهذا لم يسمع عن العرب . اما اذا كان المراد بالمجابهة المقابلة جبهة لجبهة ، كان ذكر (وجها لوجه) حشوا سخيفا .

يأكلـون خـبزا وجبنـا

ويقولون : يأكل الفقراء خبزا وجبنا (بكسر الجيم) . والصـواب : جبنا (بضم الجيم) ، او جبنا (بضم الجيم والباء) ، او جبنا (بضم الجيم والباء وتشديد النون) .

وتسمى القطعة من الجبن : جبنة (بضم الجيم وتسكين الباء) .

والجبن (بضم الجيم وتسكين الباء) هو ضعف القلب من شدة الخوف ، فالرجل جبان ، او جبان (بفتح الجيم وتشديد الباء) ، او جبين (بفتح الجيم) .

جبهـة وجبـين

ويخطئون عندما يظنون ان (الجبهة) و (الجبين) اسمان لمسمى واحد. فالجبهة هي مستوى ما بين الحاجبين الى الناصية . بينما الجبين هـو ناحية الجبهة من محاذاة النزعة الى الصدغ . وهما جبينان عن يمـين الجبهة وشمالها . ويجمع جبين على أجبن (بتسكين الجيـم وضـم البـاء) ، وأجبنة (بتسكين الجيم وكسر الباء) ، وجبن (بضم الجيم والباء) . راجع الآية ١٠٣ من سورة الصافات .

اما جمع جبهة فهو جباه وجبهات (بكسر الجيـم في الاولـى ، وفتح الجيم والباء في الثانية) . راجع الآية ٣٦ من سورة التوبة .

مدينـة جـــدة

ويقولون : سافر الى مدينة جدة (بفتح الجيم) . والصواب : الـى مدينة جدة (بضم الجيم) ، وهي مدينة سعودية على البحر الاحمر ، لا تبعد كثيرا عن مكة المكرمـة .

جـــذع الشـــجرة

ويقولون : جذع الشجرة . والصواب : ساق الشجرة ، لان الجـذع هو ساق النخلة وحدها ، بينما نسمي جميع جذوع الاشجار الاخـرى سوقا . راجع الآيـة ٢٤ من سورة مريم .

كبريـاء جريحـة

ويقولون : كبريـاء (بتنوين كبريـاء) جريحة . والصواب : كبريـاء (بضمة على الهمزة) جريح . لان (كبرياء) اسم ممنوع مـن الصرف لوجود ألف التانيث الممدودة في آخره كصحراء وعذراء وزكرياء (بجر هذه الاسماء الثلاثة بالفتحة) . ولان الصفة المشبهة فعيل (جريح) هنا بمعنى المفعول ، لذلك يستوي فيها المذكر والمؤنث ، مثل (فعول) اذا كانت بمعنى الفاعل ، فنقول : رجل قتيل وامرأة قتيل . ورجـل صبور وامرأة صبور .

الفدائيـات الجريحـات

ويقولون : عادت الفدائيات الجريحات الى ميدان المعركة . والصواب : عادت الفدائيات الجرحى ، لاننا نقول : رجل جريح وامرأة جريـح ، وبما ان المؤنث لا تدخله التاء المربوطة ، فاننا لا يجوز لنا ان نجمعه جمع مؤنـث سـالمـا .

عمليـة جراحيـة

ويقولون : أجريت لفلان عملية جراحية . والصواب : أجريت له عملية جرحية ، لان القاعدة عند النسبة الى كلمة غير مفـــردة (مثنـــاة او جمع) ، فاننا نردها الى مفردها ثم نضيف اليها ياء النسبة . فالنسبة الى العراقين والفرقدين والكتب والاخلاق والقبائل والسود ، هـي : عراقي وفرقدي وكتابي وخلقي وقبلي واسودي (ان كانت السود جمع أسـود) وسوداوي (ان كانت السود جمع سوداء) .

ويشذ عن هذه القاعدة ما يأتي :

(١) الجمع الذي لا واحد له . مثل : عبابيد وأبابيل وتجاليد .

(٢) الجمع الذي يجري على غير مفرده . مثل : ملامح ومحاسـن ومشـابـه .

(٣) الجمع الذي لا واحد له من لفظه (اسم الجمع) . مثـل : قوم ومعشر وجيش .

(٤) الجمع الذي يفرق بينه وبين واحده بياء النسـب او تـاء التانيث . مثل : عرب واعراب وروم وتمر وتفـاح (اسـم الجنس الجمعـي) .

جميع هذه ينسب اليها على لفظها ، فنقول : عبابيدي (العبابيد : الفرق من الناس والخيل الذاهبة في كل وجه ، والاكـام ، والطـرق البعيدة) ، ومحاسني ، وقومي ، وعربي ، وتمري وتفاحي .

جـريـــدة

ويقولون : قرأ جريدة الصباح . والصواب : قرأ صحيفة الصباح ، لان كلمة (جريدة) مولدة ، ولا حاجة بنا الى استعمالها مـا دام فـي الفصحى ما يؤدي معناها . أما معاني (جريدة) التي توردها المعاجم فهي :

(١) الجريدة : الجماعة من الخيـل .

(٢) الجريدة : سعفة طويلة رطبة . وقال الفارسي : هي سـعفة اذا كانت رطبة ، وجريدة اذا كانت يابسة . وقيل : الجريدة للنخلـة كالقضيب للشجرة . والجمع : جريد وجرائد .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صنين زاه بحلم

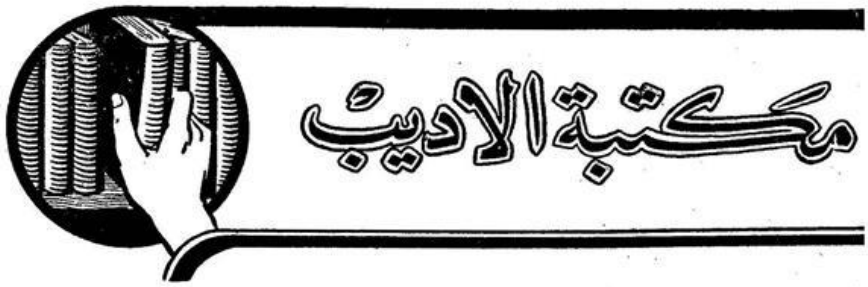
★

أين مني خواطري وخيالي ... أين عهدي وطيبات الليالي
كنت في «الجرد» انشد الشعر بدعا ... واصوغ القريض صوغ اللآلي
واناجي النجوم أقبس منها ... ما يضيء الفؤاد من آمالي
وأصوغ السنا اساور حب ... لحبيب صافي السريرة ، غال
وأعب الجمال في الروض عبا ... ساحبا مطرفي على الآزال
سابحا في عوالم من جلال ، ... حالما في عوالم من كمال
ان لبنان جنة الله في الار ... ض ، ومجلى مفاخر الاجيال
ريقات الجمال تجثم فيه ... من جنان خضر وشم جبال
ووهاد عميقة الغور تحكي ... عمق جرحي ، من باهظ الاشغال
وتلال ينساب فيها ضباب ... كانسياب الامال في أوصالي
وغياض من دوحه حالمات ... رافعات الجبين صوب الاعالي
ناعسات الجفون ، مختلجات ، ... هائمات ترف في الآصال
والسواقي الخضراء ترسل لحنا ... هز في الكرم غافيات الدوالي
وانا ذاهل الخطى في سكون ... كسكون الطيوف في الاطلال
امتطي جانح الخيال واطوي ... عالم الوحي في رحاب الجمال
وأمالي ((صنين)) زاه بحلم ... ابدي الرؤى ، عديم المثال
غمرته الشموس من كل ضوء ... عبقري السنى ، مفيض الجلال
تتهادى الالوان سجواء حينا ... وأحايين دفقة الشلال
منظر ساحر مهيب عجيب ... هاج في النفس الف الف سؤال
وعلى السفح منبع كوثري ... أوحدي المياه كالسلسال
فهو آنا يبص بصا عجيبا ... كالحسام الصقيل عند النزال
وأوانا مبلور مثل شعر ... واشب النغم شائق سيال
لم نمتع بالعيش فيه طويلا ، ... فهجرناه طامعين بمال
فهدرنا شبابنا واكتوينا ... بآلام ، تضج بالاهوال
وسعينا وراء الثراء وصلنا ... في مجال الجهاد كل مصال
فحصدنا بعد العناء هواء ... وكتبنا على بساط الرمال
فاستكانت آمالنا واستنامت ... في ربى النفس أمنيات غوال
وحيينا في عيشة تشبه المو ... ت جفافا ، والدر في الاوحال
وعدتنا عن الرجوع عواد ، ... ودواه دواهم كالنصال
فاعتصمنا بالصبر ، وهو جميل ، ... وقنعنا من عودنا بالخيال

لاباز ـ بوليفيا

جورج الكعدي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



عنبر ورمـــاد

تاليف السيدة سلمى الحفار الكزبري ـ ٢١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار بيروت ببيروت

من الكتب ما يمتع ويؤنس ، ويأخذ بالقارىء معه في رحلة لذيذة عبر آفاق الفكر والانسانية ، فسيتسلم اليه القارىء هانئا ناعما ، ويتملى معه وجوها وآفاقا جديدة سرعان ما يألفها وينسجم معها في صداقة حميمة .

من هذه الكتب المؤنسة الممتعة كتاب « عنبر ورماد » ، للاديبة السورية السيدة سلمى الحفار الكزبري ، الذي يضم مذكراتها الشخصية من عام ١٩٢٢ ـ عام مولدها ـ الى نهاية عام ١٩٥٥ . رحلة من العمر استغرقت ثلاثا وثلاثين سنة ، فيها الحلاوة والمرارة ، وفيها من الوجوه والاحداث والبيئات الوان والوان يؤلف بينها قلم مرهف ، يحسن التعبير بأسلوب طلي رشيق ، فاذا انت مع ما ينقلك اليه من اجواء تشعر بالغبطة والراحة ، وتتمنى ان تطول رحلتك بين الصفحات الى ما شاء الله . وحين يقف بك الكتاب عند نهاية الصفحة ٢١٥ ، قبل الفهرس ، تستيقظ مكتئبا لان الرحلة لم تبلغ بك نهايتها ، وما يزال بينك وبين النهاية رحلة اخرى لا تدري متى تعود فتهيئها المؤلفة لتستانف معها استمتاعك واغتباطك بالوصف الجميل والحديث الانيق .

يتالف الكتاب من مقدمة واثنين وعشرين فصلا ، ويقع في ٢١٨ صفحة من القطع الكبير . واذا كان الكتاب مذكرات شخصية ، فهذه المذكرات تجمع بين السيرة الشخصية العادية لانسانة ـ كسائر الناس العاديين ـ ولدت ، وكبرت ، ودخلت المدرسة ، وتزوجت ، وانجبت ، وشاركت في حياة مجتمعها ، ورحلت في اقطار متعددة ، وألفت عددا من الكتب وبين الاحداث الوطنية والسياسية في فترة مزدحمة بالاحداث السياسية والوطنية . ذلك لان سلمى الحفار ، ابنة الزعيم السوري المغفور له لطفي الحفار ، ولدت ونشأت في بيت شارك مشاركة فعالة وطويلة في الحياة الوطنية والسياسية في سوريا وفي الحركة القومية العربية الحديثة وكان ذلك البيت ملتقى لاعلام الوطنية السوريين والعرب منذ ان اشترك صاحبه ـ لطفي الحفار ـ في تاسيس « جمعية النهضة » العربية السرية عام ١٩٠٦ ، في عهد الحكم العثماني ، حتى انتقاله الى رحمة الله في السادس من شباط عام ١٩٦٨ . ثم اقترنت في مطلع شبابها بالسيد محمد كرامة ، شقيق الزعيم اللبناني الراحل المغفور له عبد الحميد كرامي ، وعم الرئيس اللبناني اليوم السيد رشيد كرامي . ـ واقترنت للمرة الثانية ـ بعد وفاة محمد كرامة بسنوات ـ بالدكتور نادر الكزبري الذي كان حينئذ استاذا في كلية الحقوق في جامعة دمشق ، ومستشارا في مجلس الشورى ، ثم اصبح امينا عاما لوزارة الخارجية السورية ، ثم سفيرا لسوريا في اميركا اللاتينية ، وفي اسبانيا ، فشارك بذلك مشاركة شخصية في الحياة السياسية والوطنية في سوريا . ولذلك لم يكن ممكنا ان تنشأ سلمى في منأى عن التاثر المباشر باحداث الوطن منذ طفولتها ، ولم يكن بالتالي ممكنا ان تخلو مذكراتها من كل ذلك . وهي لو خلت منه لفقدت عنصرا كبيرا من عناصر قوتها ، ولذتها ، واهميتها .

ولقد اتاحت لها البيئة الراقية الغنية التي عاشت فيها ان تعرف اوساطا لها اهميتها في عالم الفكر والادب ، وفي عالم السياسة والوطنية ، وان تتاثر تاثرا مباشرا بهذه الاوساط ، فيظهر اثرها بارزا في مذكراتها بعد ان ظهر بارزا في حياتها .

ثم كانت الرحلات ايضا ذات اثر بارز في حياة المؤلفة وفي نضجها الفكري ، وفي اتساع ثقافتها واطلاعها ، كما كان للغات المتعددة التي درستها ـ في المدرسة وعلى نفسها ـ ولا سيما اللغتين الفرنسية والاسبانية اللتين تجيدهما اجادة تامة ، اثر كبير في سعة اطلاعها ، وتعدد وجوه ثقافتها . يضاف الى كل ذلك ـ او بالاحرى قبل كل ذلك ـ شخصية قوية ، طموحة ، مندفعة ، اذا جزعت حينا امام المصائب ، فسرعان ما تنهض لتستانف الطموح بقوة وعناد واندفاع ، او ، كما تقول هي عن نفسها في الصفحة (١٥٧) : « اني امراة عنيدة ، طموح ، لا تثني عزيمتي خيبة ، كما لا يسكرني نجاح » .

ولدت سلمى في دمشق عام ١٩٢٢ ، واتمت دراستها الابتدائية والثانوية في مدرسة راهبات الفرنسسكان فيها . وفي خريف عام ١٩٤٢ ، وهي في العشرين من عمرها ، تزوجت زوجها الاول محمد كرامه . ولكن الحياة التي لا ترحم ، لم تدعها تهنأ بذلك الزواج ، فقد كانت الفترة بين الخطوبة ، وولادة ابنها نزيه ، ووفاة زوجها سنة واحدة وثلاثة اشهر . وكانت تلك ماساة نفسية مزلزلة كادت تزعزع حياة الايم الشابة ، لولا ارتباطها بالمولود الذي حل في حياتها محل ابيه ، فارادت ان تعيش له : ولولا ما كانت تجده من الرعاية والحب والحنان من ابويها ، ومن الزعيم المرحوم عبدالحميد كرامة ، شقيق زوجها الراحل.

وفي عام١٩٤٨ ، وبتشجيع ابوي من الزعيم كرامة نفسه ، اقترنت سلمى بالدكتور نادر الكزبري . وقد انجبت منه ابنتين : ندى ورشا . وانتقلت معه بعدئذ الى اميركا الشمالية والى اسبانيا حين نقل للعمل هناك سفيرا لسوريا فترة من الزمن .

بدأ اهتمامها بالادب وهي طالبة في مدرسة راهبات الفرنسيسكان. وكان لها من تشجيع والدها وتوجيهه دافع ومعين . وصدر اول كتاب لها بعنوان « يوميات » هالة » وهي في السابعة عشرة من العمر ، وكان تسجيلا لمذكراتها الشخصية التي تجمع بين السياسة وتصوير البيئة السورية بعاداتها وتقاليدها .

لقد صدر لها حتى اليوم تسعة مؤلفات ، اثنان منها بالفرنسية، ويحتويان على مجموعة من قصائدها الفرنسية الرقيقة الجميلة . وهناك ثلاث مجموعات اقاصيص هي : (حرمان ـ زوايا ـ الغريبة) ورواية بعنوان « عينان من اشبيلية » استوحتها من البيئة الاسبانية حين كانت مع زوجها السفير في اسبانيا ، وهي في الواقع رواية قوية وجميلة وممتعة . وهناك ايضا كتاب بعنوان « نساء متفوقات » يشتمل على فصول ضافية عن ثلاث عشرة امراة من اشهر النساء في العالم . وكانت هذه الفصول في الاصل احاديث قصيرة اذيعت من الاذاعة السورية ، ثم توسعت فيها سلمى كثيرا حتى اصبحت مادة دسمة لكتاب غني بالفائدة .

اما كتابها الجديد « عنبر ورماد » فقد عكفت عليه منذ سنوات . وكانت مترددة في اختيار عنوانه . واذكر انها كانت في رسائلها الى عام ١٩٦٨ تقول انها ستدعوه « ذكريات ورحلات » ، ثم عادت فرأت

(*) أذيع من اذاعة المملكة الاردنية الهاشمية في عمان .

ان تفصل بين الذكريات والرحلات في كتابين منفصلين . ولكن يبدو انها عندما دفعت بالكتاب اخيرا الى الناشر عدلت عن التجزئة وعن العنوان معا ، فجمعت الذكريات مع الرحلات ، وجعلت عنوان الكتاب « عنبر ورماد » . اما الرماد فهو رمز الى الاحداث والوجوه التي غيبها الزمن في الماضي ، واما العنبر فهو الرائحة الطيبة التي تنبعث من تلك الوجوه والذكريات في النفس حين يعود المرء ليبعثها الى الحياة من جديد . وهذا ما يفهم من قولها في ختام مقدمة الكتاب ، وهو : « فالاشخاص الذين نحبهم بعمق ، وكذلك الاحداث التي نعيشها بعمق، يبقى أثرها حيا في ذواتنا ما دامت الحياة ، كالشعلة التي تثير الدرب وتدفيء القلب حتى بعد انطفائها . وكثيرا ما تفوح من رمادها رائحة العنبر » .

وعلى الرغم من اهمية الذكريات والاحداث والشخصيات التي اوردتها سلمى في كتابها هذا ، تظل هذه الاهمية ناقصة ، حتى تكملها ـ وبقوة وروعة ـ اللمحات النفسية ، والافكار الكبيرة ، والمنطق الصريح الجريء ، والاراء المصيبة الحكيمة التي تتناثر هنا وهناك في كل فصل من فصول الكتاب . ويزيد في قيمة هذه المذكرات الشجاعة الادبية المدهشة التي تتحلى بها المؤلفة ، والتي جعلتها تتحدث عن نفسها ، وعن طباعها واخلاقها ، وعمن حولها دون مواربة ولا محاولة للاختفاء وراء الفضائل الكبيرة وحدها ، دون ذكر الاخطاء . وليس هذا غريبا من سيدة قوية الشخصية ، شبت على « الاستقلال في الرأي ، والجنوح الى التحرر من القيود ، لا التحرر من القيم » ، كما تقول في الصفحة (٢٢) من كتابها . وتقول في الصفحة (٧١) كذلك : لقد عودنا ابي على الصراحة والبوح بالحقيقة وان كانت تدينا » .

من امثلة هذه الشجاعة الادبية الحميدة ان سلمى تصف سيرتها في المدرسة (ص ٢٤) فتقول بصراحة من تعترف بالخطأ لانها تعتبر الاعتراف به فضيلة : « كنت ثرثارة ، اعلق على الكبيرة والصغيرة ، واضحك ، واضحك زميلاتي ، مما كان يغيظ المعلمات ويدفعهن الى اعطائي اسوأ العلامات في الادب والسلوك » . وتضيف قائلة في الصفحة عينها : « لا بد من الاعتراف بانني كنت حادة الطبع ، كثيرة الحركة ، دقيقة الملاحظة ، مستعدة للاجابة على كل سؤال تقريبا ، ومزودة بأسئلة كثيرة متنوعة ، منها المعقول ومنها المحرج . وهذا ما جعل مدرساتي متفقات على معاقبتي بشدة لردعي عن المشاغبة » .

هذا عن الصراحة والشجاعة الادبية ، اما الاراء الحكيمة ، والتعابير الجميلة التي تمتلىء بها فصول الكتاب ، فقد كنت اود لو كان المجال يتسع لآتي باكبر نصيب منها ، ولكنني مضطر الى الاكتفاء باقل القليل لمجرد التمثل والاستشهاد فقط . من ذلك قول المؤلفة في الصفحة (٦٢) : « ان المرح يغذي الفكر والجسم اضعاف ما يغذيهما النوم ، كما ان الاسراف في الجد المتواصل والصرامة في الحياة البيتية يسئم الروح ويبلد الذهن ». وفي الصفحة (٨٧) : « ويل للانسان اذا تمت له السعادة ! » ، وفي الصفحة (٩٩) : ثبت لي ان الحياة لا تبتسم الا للباسم ، ولا تمد يد العون الا للقوي الذي يعين نفسه » . وفي الصفحة (١١٠) : « لقد تبين لي بوضوح اننا في الشرق اسرى الناس ، واسرى اعراف بالية مستحكمة فينا » ، وفي الصفحة (١٤١) : « ان التفاؤل والابتسام خير سلاح للمرء في الحياة ، وان الحب والعطاء اغزر ينابيع الهناء » . ولعل اروع ما سجله قلمها في كتابها هذا قولها في الصفحة (١٤٥) : « ان الايتام الحقيقيين هم اولاد الاثرياء .. وذلك لسبب رئيسي واحد هو وجود مربية ترعاهم بدلا من الام ، وخدم يوجهونهم عوضا عن الاب » . ان هذا القول لهو اروع ما قرأت في معناه في حياتي ، ولكن هذه الحقيقة الكبرى يجهلها الذين يهمهم امرها ...

ومن الافكار الاجتماعية والادبية التي تعالجها سلمى معالجة حكيمة بمنطق قوي مقنع أشير بنوع خاص الى رأيها في تعلم لغات جديدة



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Tel : Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ص ١١٧) ورأيها في سعي المرأة للحصول على الحقوق السياسية (ص ١٢٩) .

اما اللمحات الذهنية المشرقة اللطيفة فاود ان اقدم مثالا واحدا عليها ، وهو قولها في الصفحة (١٤١) : « عندما خلق مبدع الكون الغزلان انما شاء ، سبحانه ، منح البراري والصحاري لونا من الجمال والرقة عبقريا » .

ان في هذا الكتاب اشياء كثيرة تستحق ان نقف عندها وقوفا طويلا ، لو كان المجال يتسع لذلك . ومن اهمها المواقف الوطنية ، وقوة الوصف في تسجيل الرحلات . فانت تقرأ الفصل الذي بعنوان « زوجتان في اجازة » ، مثلا ، فتشعر بانك ترافق الزوجتين خطوة خطوة في رحلتهما الجميلة الى تركيا واليونان ، وتقف معهما حيث تقفان ، وتأكل معهما ما تأكلان ، وتتنزه معهما حيث تتنزهان ، وتشاهد كل ما تشاهدان ، فكأنهما لم تكونا سوى دليلتين لك في رحلتك .

وليت المجال يتسع لنرى شيئا من وقفاتها الوطنية التي تعبر فيها عن شدة تعلقها بدمشق ، وبسوريا عامة .

والخلاصة ان كتاب « عنبر ورماد » ، للسيدة سلمى الحفار الكزبري ، رحلة في الحياة مؤنسة وممتعة يتمنى القارىء لو تطول لتطول معها متعته ولذته .

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

●

فلسطين وكبرياء الجرح

ديوان شعر ـ حسن عبد الله القرشي ـ ١٧٢ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت

ما زال الشعر بأساليبه ومعانيه او بأشكاله ومضامينه ، وما تضمه الاشكال من لفظ مونق وتعبير مشرق مموسق ، وما تحمله المضامين من افكار وعواطف وصور ، ما زال في صدارة الاجناس الادبية ، وما زال يستميلنا الى قراءته ، ويستهوينا الى حفظه ودراسته ، ويستثير اعجابنا به ، وتقديرنا لقائليه ، على الرغم من تعدد الاجناس الادبية وكثرتها وتزاحمها ، وعلى الرغم من انصراف كثير من المعاصرين عن الشعر الرفيع الى ما يشبه الشعر ، او الى ما يتشبه به ، مثلما حاول الغراب ان يتشبه بالطاوس ، ففقد الغرابية ، وحرم الطاوسية .

واذا كان بعض الدارسين قد اسفوا لان دولة الشعر دالت ، ودوحته قد صوحت ، بعد ان مضى شوقي ومطران والعقاد والجارم والرصافي والزهاوي والخوري واضرابهم ، فانهم واهمون ، لان العالم العربي ما زال حفيا بالشعر ، ثريا بالشعراء ، ولان الشعر في عصوره السابقة قد الف ان تتعاقب عليه فترات من قوة وضعف ، وابتكار ومحاكاة ، كأنما يستجم زمنا لينهض ، ويتلبث حينا ليقفز .

لقد سنحت لي هذه الخواطر وانا أقرأ ديوان « فلسطين وكبرياء الجرح » للشاعر حسن عبد الله القرشي .

والمتابعون للحركة الادبية يعلمون ان الاستاذ القرشي من المع شعراء المملكة العربية السعودية ، وانه كان يوقع على قيثارة الشعر منذ صباه ، ولم يزل يوقع عليها ، حتى بلغت دواوينه عشرة ، وهذا الديوان عاشرها .

الديوان مطبوع بدار العودة ببيروت سنة ١٩٧٠ طباعة انيقة على ورق فاخر في ١٧٢ صفحة من القطع الصغير ، وبه عشرون قصيدة ومقطوعة ، عدد ابياتها وسطورها ٧٦٤ . وموضوعه كما ينبىء عنوانه « فلسطين وكبرياء الجرح » مثل « صرخة الثار » التي انشدت في مهرجان الشعر التاسع ببغداد و « في رحاب الكرامة » التي سجلت بطولة المجاهدين الذين دمروا الجيش الاسرائيلي و « فدائيون » و « دم الشهداء » و « شعب مارد » .

ولكن الشاعر ضم الى القصائد الفلسطينية بعض ما يعنيه وحده، فلا صلة له بفلسطين ولا بقضية العرب ، مثل « زارع الاشواك » و « مذبح الحب » و « مهاجران الى القمر » وليته لم يفعل ، لتبقى وحدة الموضوع ووحدة العنوان .

واذ كانت نكبة فلسطين وجرائم الصهيونية فيها نكبة لكل عربي ولكل مسلم ، اتسمت قصائد الديوان بالتهاب العواطف ، واتقاد المشاعر ، حتى لنحس ان الشاعر ملتاع ، تتنفس لوعته في نقمته من الصهيونية ، وفي برمه بقومه ، وفي حزنه الاليم الذي يستسر حينا ويستعلن آخر .

من هذا ضيقه بما يرى من ضعف ترفضه عزة العرب ، وهوان بأباه ماضيهم المجيد ، وتخاذل ينفر منه املهم المتوثب ، فيود لو انهم يقتدون باسلافهم الغطاريف، ويصور سلاحهم ظمآن الى الجلاد والقراع، لتحرير الوطن ، وحماية العرض ، وصيانة الكرامة .

ثم ينظر الى الوطن العربي الذي كان عزيزا ابيا ، والى صحاريه التي ما ذلت قط ، فينجعه انها صارت تشكو هوانها ، وتتشوف الى البطل الذي يفديها ويحميها .

ويمضه ما تقترفه اسرائيل من جرم بشع ومنكر دنيء بنساء العرب ، فيصورهن سبايا يتطلعن الى من يفك اسارهن ، ثم يفيض حزنه فيسكبه على الوطن كله شقاء واحزانا :

شرق الكأس بالاسى عربد الوي ... ـل فاين الشراة من عدنان ؟
أين غسان في ملاحمها البكـ ... ـر واين السراة من قحطان ؟
حنت البيض في الغمود وضاقت ... ملجمات الخيول بالارسان
شكت البيد ذلها ليس من هـا ... رون يورى الوغى ومن نعمان
ملت الخود اسرها وسباها ... اين من يثارون للاظعان ؟
ضجت الارض بالشقاء وفاضت ... نبضات القلوب بالاحزان

ويتقمص نفسية لاجيء مشرد يئن ، منكرا حاضره الكئيب المعتم ، متشككا في انه سليل الصناديد الذين دانت لهم الارضَ احقابا بعد احقاب :

لا حاضري بهج ولا ... دنياي ذات جنى رطيب
اغدو اروح كأنني ... شبح على ظل المغيب
وتصيح آلامي ويصـ ... ـرخ في دمي صوت النعيب
أأنا هنا ابن الشمس اي ... نالشمس منحقلي الجديب
أأنا حفيد النابهي ... ن انا المرأ بالذنوب ؟
اني غبار الامس انـ ... ـي منه كالرهج الخلوب

لكنه لا يبث ان يسترد الثقة والامل ، فيتصور اسرائيل على حقيقتها ، ضعيفة تستند الى الاستعمار وتستظهر به ، وهي هر يحكي انتفاخا صولة الاسد ، ويحيل مواءه زئيرا على شطآن قناة السويس:

فوق القناة الهر يز ... أر راصدا كل الدروب

ويقول :

عربدت في الحمى البغاث نسورا ... تتهادى فوق الرياض الفساح

وينطلق من هذه الثقة فيستثير عزمات قومه ليشبوها نارا تحرق ، ويبعثوها طوفانا يكتسح ويدمر :

وتوهجي كالجمر وانـ ... ـطلقي كطوفان غضوب

ويقول :

أمة العرب وللعرب يد ... رغم انف الغدر صبت من حديد
ضمدي الجرح وسيري للعلا ... شهبا ترصد اطماع العبيد
تستعيد الحق مهما ارجفوا ... وتزف النصر للشعب الطريد
صرخة الثار اذا ما جلجلت ... فصروح البغي تهوى للصعيد

والعواطف في هذا الديوان تجمع الى صدقها وحرارتها انها نبيلة تبتغي للناس ان تقوم علاقاتهم على المحبة والاخاء والسلام والعدل ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتكره لهم ان يتعاملوا بشريعة الغاب ، فلا غرابة في ان حفل الديوان بنفثات من الشاعر المكلوم من العدوان على حقوق قومه ، الحزين للضعفاء الذين شردهم العدو المتربص تشريدا ترتجف له قلوب من لهم قلوب حتى وان كانوا ابعد الناس صلة بالعرب ، الاسيف لان العلم والذكاء والخبرة والمال والقوة صارت وسائل لتمكين الظلم وتأييد الطغيان . ولا غرابة في ان الشاعر لما ساء ظنه بأهل الارض ود لو انه يستطيع ان يطير الى القمر ، ليحيا هنالك بنجوة عن معترك الحق والباطل :

لو كنت رائد القمر
ولو وطئت ذلك الثرى العتيد
مخلفا في الارض
شوك البأس والقيود
في حقلنا المزروع بالآلام
بالحروب والصديد
لما قفلت عائدا الى البشر
لما رجعت للشقاء
للعناء والكدر
لمسرح الحواة ، للسرك ، لملعب الاكر
للناعقين بالسلام والسلام ينتحر

لهذا لم تفتنه حسان باريس بطراءة الانوثة ، وطلاوة الزينة ، ورخامة النبرة ، لانهن في نظره يبدين رقة تخفي وراءها مجانة او قسوة ، ولعله قد ربط في عقله الباطن بين هؤلاء وبين حضارة الغرب التي تموه بطلائها الزائف ما تجنه من كلف بالتخريب والتدمير والاعتداء على حقوق الضعفاء :

في باريس عرفت الجمره
وعرفت اللوعة والحسره
وكرهت الراء الملثوغة في وحشيه
تخفيها نظرة جنيه
تبديها همسة مأجوره
من بين شفاه مسعوره
فانا شاعر
لا يكفيه رواء الصوره
يعشق فكره
ويرسل اشواق عقيده

والشاعر كلف بالصور ، يجسم بها عواطفه ، ويضخم مشاعره ، ويمثلها لقرائه . فنجده مثلا يصور آلامه تمزقه ، فيعيش جسدا خاويا بغير مسرات وبغير انتاج ، كالنخلة التي يبست فلا لحاء لها ولا ثمر ، او كالنجمة الضالة الحيرى في السماء الفسيحة ، وليس له من سلوى الا شعره الذي يصرخ به في آذان لا تسمع ، وقلوب لا تعي ، انه يصرخ في مجتمع من الغربان ، في ميدان الضجر والملل والضيق:

اعيش في تمزقي انا اعيش
كنخلة عارية من اللحاء والثمر
كنجمة حائرة بين قناديل السماء
ترقب اشباح الفضاء
ذخيرتي النشيد في متاهة الحياة
واحيرة النشيد في شواطىء الضياع
في غابة الغربان في مسيرة السام

ويصور عزلته بالفندق في باريس بأن الجدران تراءت له اسوارا تحتبسه ، وتحجب عن نظره النور والنار ، فاظلمت دخيلته ، فصار مثل القنديل المطفأ ، صار كالسكير الاعزل الذي ضل عنه النور :

وتراءيت جدار العزلة كالاسوار
تحجب عن عيني وميض النار
فكاني قنديل مطفأ
في حجرة اعشى اعزل سكير
نسيته قافلة النور

وهو يصور العدوان الاسرائيلي داء يقطع اوردة القلوب ، وافعى تنفث سما يسري في الاوصال :

عامان والداء العضا ... ل يؤج اوردة القلوب
عامان والداء العيا ... ء يفح كالصل الرهيب
يسري كسم ناقع ... ويغل اوتار الوجيب

وكثيرا ما تتلاحق صوره في ابيات تتوالي ، كقوله :

هللي يا مواكب الازمان ... واعزفي للعلا ارق المثاني
واعيدي للمجد ذكرى البطولا ... ت تخايلن في رؤى المهرجان
وانثري الورد حيث يستنبت الفخ ... ر وتسمو منارة الاوطان
رقرقي البشريات كالسلسل الصفـ ... ـو كنور الربيع كالارجوان
حيث مثوى الخلود حيث الحضارا ... ت وحيث انتفاضة العقبان
اطلقيها ملاحنا ترقص الدنـ ... ـيا وطوفي بها على الندمان
واستعيدي النشيد عذبا سخيا ... يجتبيه الفؤاد لا الشفتان

ولقد يلجأ في تصويره الى نوع من الخيال محتاج الى تأويل بعيد ، كقوله لابنه :

يا فارسي الصغير
في ثوبك الفدائي البشير
شمس غد تفجر انصخور
وانت واثب هنا هناك تزرع الهدير

وذلك ان الهدير الذي يقصده لا يزرع ، بل يعمل او يصنع او يفجر . وقوله :

اعلو على وخز الجرا ... ح تشب من حمل وذيب

فان الجراح لا تشب ، وانما تشب النار او الحريق . وقوله :

رقرقي البشريات كالسلسل الصفـ ... ـو كنور الربيع كالارجوان

فتشبيه البشري بالماء العذب الصافي وبنور الربيع جيد ، اما تشبيهها باللون الاحمر فلا وجه له .

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ احمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشاعر واضح الافكار صادقها ، لم يحاول ان يزيف على نفسه، او يموه على قومه ، بل كان صريحا مع نفسه ومع امته . لهذا جهر في العرب بأن النكبة نكبتهم وحدهم ، وليست نكبة جار او ولي ، وبانهم وحدهم المكلفون ان يطهروا ديارهم من الدخيل الواغل ، وبأيديهم هم شفاء نفوسهم وبلسم جراحهم :

الخطب خطبك انت لا خطب الصديق او القريب
لا في ديار الغرب او في الشرق برء للندوب

واعلن فيهم ان الحرب الظافرة هي التي تتوحد فيها جهودهم ، ويتفادى فيها رجالهم ، ويتآزر سلاحهم ، ولن يكون نصر بغير جهاد وبغير دماء وضحايا :

عدة الحرب وحدة تقدح العز م لنيل الاوطار أي اقتداح
والكماة الابطال ان ابصروا البا غي تنادوا لنجدة واكتساح
يخصب المجد من دماء الضحايا أي معنى للمجد دون اضاح ؟

وبين لهم ان الجهاد يتحقق بالسلاح والمال ، ويتحقق بالقول السديد الموجه وبالكلمة المخلصة الهادية :

اليراع الصلب والسيف اليمان في ذرى الامجاد لا يفترقان
رب قول هز شعبا فانبرى جيشه يطلق للحرب العنان
كفتا العزم مداد ودم في فؤاد يعربي العنفوان

وقد استزعى نظري في الشكل العام عدة سمات : الاولى ان المطالع مصرعة ، ما عدا مطلع قصيدته « مهد الاسراء » :

يا الهي ما حل بالقدس يفرى كل قلب ويصرع الاكبادا

الثانية ان الشاعر لم يلتزم في هذا الديوان وحدة الوزن ووحدة القافية ، فقد نوع القافية في القصيدة الواحدة ، كقوله :

بكيت وكم يجيش الدمع في العينين يا نوار
وحشرج صوتك المرنان مسفوحا لذكرى الدار
ولكن الصباح سيغمر الافاق بالانوار
سيضحك للربا اذار ويورق حقلنا المعطار
ثقي ان الاسود تمور تزأر تصنع الامجاد
وتمحو من سطور بلادنا اسطورة الاوغاد
دم الشهداء لا يلوي كنهر دافق التيار
يهدهد من ثرانا تربة الآباء بالازهار

الثالثة انه اكثر من الشعر الحر كثرة بلغت ثماني قصائد ومقطعات ، فما الذي سول له ان يجنح الى هذا الضرب الذي لم يستقم عوده بعد ؟ اخشى ان يكون قد اراد بهذا الصنيع ان يجاري حركة يصفها اصحابها والمروجون لها بانها تجديد لا مندوحة عنه ، واخشى ان يكون قد فعل ما فعله شاعر قال لي في حديث حول قصيدة له من الشعر الحر : لقد نظمتها من الشعر العمودي اولا ، فلماذا اردت ان تنشرها مجلة كذا جزأتها قطعا ، وفرقتها مزقا ، لترحب بها المجلة ، ولقد رحبت بها ونشرتها . ولكن الاستاذ حسن القرشي في غنى عن هذه المجاراة ان كان مجاريا ، وليس ممن يتحلقون الشعارات والدعاوى .

فلنقرأ من شعره الحر ، لنجد انه لو كان عموديا لجاء اوقع واجمل وابرع :

ويبقى الجرح يعوي الجرح
لكن تاكل الديدان
عواء الجرح
تنشر ظلها فوق السطوح
تغوص في الاعماق
وصوت الجرح جرحى لا يريم يلج كالتيار
سيبقى الجرح مفتوحا
يسد مرارة الاملاق

فلست اجد هنا ما اطرب له من نغم حلو واسلوب موسيقي تهش له نفسي . السمة الرابعة ان الشاعر يتانق في اختيار مفردات موحية يجيد وضعها في السياق الذي يقتضيها وتقتضيه . ولكنه قد يلحق بالكلمة صفة لا تعوزها لانها في غنية عنها ، كقوله :

مهرجان العرب حي المهرجان وانع اسرائيل للغرب الجبان
زرعوها فوق ارض مرة تلفظ العار وتجتث الهوان

فان الارض العربية لا توصف بانها مرة ، بل توصف بانها صلدة او ابية او عصية . وقوله :

اني غبار الامس اني منه كالرهج الخلوب

فما معنى ان الغبار خلوب ؟ مع انه في الابيات التي سبقت هذا البيت وصف اللاجيء بانه يحيا في حاضر كئيب ، وبانح شبح أطل على المغيب ، وبانه مرزأ بالذنوب ، فالذي يلائم الغبار ان يوصف بانه هباء لا بانه خلوب . وقوله :

وتوهجي كالجمر وانـ ـطلقي كطوفان غضوب

فالطوفان لا يعوزه هذا الوصف . وقوله :

والشار ثأرك ضجت ال اكفان للضيم المعيب

فان الضيم لا يكون الا معيبا ، بل هو اشنع من العيب .

اما بعد ، فهذا شاعر احب الشعر ، واخلص له ، وغرس في بستانه الريحان والورد ، فمنحته ربة الشعر ودها ، وسكبت على قلمه فنها ، وامدته ببدائع زخرف بها عواطفه الفردية وعواطفه الاجتماعية ، فجاء شعره الغزل رائعا ، وجاء شعره القومي بارعا ، وان الشعر واحياء الادب ليرتقبون منه مزيدا يغذي قلوبهم وعقولهم واذواقهم الظامئة الى كل جيد من المقال وكل رائع من البيان .

القاهرة

احمد محمد الحوفي
رئيس قسم الدراسات الادبية
بكلية دار العلوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حياة لورنس السرية

كتاب من تاليف فيليب نايتلي وكولن سمبسون
The Secret Lives of Lawrence of Arabia
by Phillip Knightly & Colin Simpson

على الرغم من مرور اربعة وثلاثين عاما على مصرع *T.E* لورنس ، وعلى الرغم من ان اكثر من ثلاثين كتابا قد نشرت عن حياته حتى الان ـ فما يزال هناك كتاب يعتقدون ان مجال البحث والتقصي في حياة لورنس ما يزال مفتوحا ، وما يزال هناك قراء تستهويهم مطالعة المزيد من خفايا حياة هذا الرجل الفذ . ويعجب المرء حقا كيف طفت شهرة لورنس في بريطانيا على شهرة الالاف من رجالها الافذاذ ـ عسكريين وسياسيين على السواء ـ وكيف ان شخصية لورنس ما تزال مدار الاهتمام من قبل جماهير القراء الانكليز ، لا يوازيها في ذلك الا شخصية ونستون تشرشل ، كما يقول المؤلفان . والواقع ان جميع الذين كتبوا عن لورنس اخفقوا في تقديم سبب واضح ومعقول ومقبول لاستمرار شهرته . والارجح عندي ان يكون انضمامه لقوة الطيران برتبة نفر عادي بعد ان ركل بقدمه المناصب العالية ، ثم مصرعه المفجع بعد ذلك : من أهم أسباب بقاء الشهرة التي احرزها اثناء الحرب العالمية الاولى . والارجح ايضا ان لورنس كان خليقا ان يفقد جانبا كبيرا من شهرته بمرور الزمن لو انه استمر يعمل في سلك الوظائف التقليدية او لو انه تزوج وعاش حتى سن الشيخوخة .

والكتب التي وضعت عن لورنس يمكن أن تصنف تحت عنوانين متعارضين : الكتب التي تمجد اعماله وترفع من شانه ويدخل في عدادها مؤلفات لويل توماس ولدل هارت وروبرت جريفز وانتوني ناتنج، والكتب التي تضع علامات السؤال والاستفهام المتعددة تجاه سيرة حياته ويدخل في عدادها مؤلفي الدنجتون وكاتب هذه المقالة ، وهذا الكتاب الذي نعرض له اليوم .

يقوم البناء الرئيسي لهذا الكتاب على نظريتين اساسيتين جعلهما المؤلفان محورا ثابتا تدور حوله الاحداث في حياة لورانس . اما النظرية الاولى فهي ان لورنس كان اكثر من ضابط عادي في الجيش البريطاني، بينما تقول النظرية الثانية ان لورنس اخضع نفسه متطوعا مختارا طوال اثني عشر عاما لعمليات جلد قاسية بالسياط نتيجة لقيامه بواجبه ابان الحرب .

وفيما يتعلق بالقول ان لورنس كان اكثر من ضابط عادي في الجيش ، يسوق المؤلفان سلسلة من الادلة والشواهد يحاولان من خلالها تدعيم نظريتهما بأن لورنس كان عميلا سريا من عملاء الاستخبارات القلائل الذين ترتبط اعمالهم بالخطط السياسية الرئيسية في اعقاب العصر الفيكتوري مجموعة من الرجال الوطنيين الذين يعتقدون ان من واجبهم القومي العمل على توسيع ممتلكات الامبراطورية البريطانية وبسط سلطانها ونفوذها . وقد أطلق اعضاء هذه المجموعة على أنفسهم اسم (الطاولة المستديرة) وكانوا يصدرون مجلة بهذا الاسم . ومن جملة الشروط التي ربطوا أنفسهم بها ان يتكتموا على نشاطاتهم ولا يبوحوا بها لاحد خارج نطاق الجهات الرسمية المختصة . ويرى المؤلفان ان اعضاء تلك المجموعة كانوا يتمتعون بنفوذ قوي من وراء الستار على الرغم من ان اكثرهم لم يكونوا من رجال الحكم والسياسة .

ويرى المؤلفان ان الاستاذ هوجارث ـ وهو مستشرق ومؤلف وعالم آثار مرموق ـ كان عضوا بارزا في جماعة (الطاولة المستديرة) وانه عرف لورنس عندما كان هذا طالبا في اوكسفورد ، فتوسم فيه النباهة والالمعية واخذ يرعاه ويحيطه ويسدد خطواته : فهو الذي اشار عليه بالسفر الى سورية لكتابة رسالته الجامعية ، وهو الذي ضمه الى بعثة الحفريات الاثرية في كركميش وهو الذي شق الطريق له عند نشوب الحرب للعمل ضابطا في الاستخبارات العسكرية ثم عمل على ارساله الى القاهرة حيث يمكن الاستفادة من خبرته في بلاد العرب ، ثم ضمه الى (المكتب العربي) الذي ترأسه هوجارث نفسه . بل يمضي المؤلفان الى القول انه لولا هوجارث لما كان هناك ـ على اثبات نظريتهما ببراهين عديدة من جملتها تلك البرقية التي بعث بها رئيس هيئة الاركان الامبراطورية في اذار ١٩١٦ يعلن فيها تكليف لورنس شخصيا بالاتصال بخليل باشا قائد الجيش التركي الذي كان يحاصر جيش الجنرال تاونسند في كوت الامارة بقصد ان يقدم له رشوة مليون جنيه ذهبي لفك الحصار . ومن جملة البراهين منح لورانس مسؤولية انفاق نصف مليون جنيه ذهبا اثناء الثورة العربية ينفقها حسبما يراه ملائما . ومن جملتها ايضا انه عندما قررت الحكومة البريطانية توجيه الدعوة الى الملك حسين كي ينتدب ممثلا له في مداولات مؤتمر السلم ـ صدرت الدعوة من لندن باسم لورنس مباشرة ومن فوق رؤوس كبار القادة والمسؤولين البريطانيين في مصر وسورية وفلسطين ، مثل اللنبي وونجت وكلايتون . وفي رأيي ان المؤلفين بالغا في وصف تأثير هوجارث في توجيه حياة لورنس . اما صداقة لورنس للعرب التي انكرها المؤلفان فامر يصعب الجزم فيه برأي قاطع ، والحقيقة أنه على الرغم من وجود شواهد عديدة تدل على ان لورنس لم يكن صديقا صدوقا للعرب ، فهناك بالمقابل شواهد عديدة تدل على صداقته للعرب : هناك كتابه اعمدة الحكمة السبعة الذي خلد فيه الثورة العربية وقدم من خلاله للعالم الغربي صورة رائعة لنضال العرب في سبيل الاستقلال والحرية ، وهناك دفاعه عن قضية العرب ومجاهرته المتحمسة بضرورة الوفاء بالعهود والوعود التي أعطيت للعرب .

اما تعليل الدوافع الكامنة وراء عملية الجلد بالسياط ، فيرده المؤلفان الى حادث يعتقدان انه وقع له اثناء الحرب . وهما ينفيان عنه اي شذوذ قبل بدء الحرب ، ولكنهما يبحثان طويلا في التناقضات التي أحاطت بحكاية ما وقع له في درعا على يد القائد التركي : فقد روى لورنس نفسه هذه الحكاية للسيدة شارلوت شو ثم قال لزوجها برنارد شو انها غير صحيحة . ولم يستطع المؤلفان التوصل الى رأي جازم حيال هذه الحكاية ، ولكنهما يريان ان حادثا لا بد ان يكون قد وقع له وهز كيانه النفسي ورج اعصابه واودى براحة باله . ومما زاد وضعه النفسي سوءا انه ظل يستبد بارادته ويضغط على اعصابه حتى انتهت الحرب وانتهى مؤتمر السلم وانتهى مؤتمر القاهرة الذي عقده ونستون تشرشل ، ولعب لورنس دوره البارز النشيط في هذا كله ، ثم تخلل ذلك الجهد الكبير الذي بذله في كتابه (اعمدة الحكمة السبعة) . وعندما فرغ من الكتاب كانت سيطرته على ارادته قد بلغت نهايتها فافلت الزمام من يديه وتزعزعت اعماق نفسه وبلغ حافة الجنون . وهنا لم يجد لورنس سبيلا للشفاء من ادوائه الا بترك المناصب والمسؤوليات والانضمام الى قوة الطيران جنديا عاديا مغمورا يؤدي ما يؤمر به من عمل . ولم يكن ذلك كافيا فاقتنع شابا من غمار الناس يدعى جون بروس بان يجلده بين الفينة والفينة على ظهره العاري بالسياط حتى ينز الدم من جلده . وهكذا اخذت جراح النفس تلتئم رويدا رويدا واخذ لورنس يسترد عافية اعصابه مع مرور الاعوام . وعلى حد قول بروس نفسه « لقد ساعدته على استعادة سلامة عقله وطمانينته واحترامه لذاته » .

من هنا يرى المؤلفان ان تضحية لورنس في سبيل بلاده كانت أعظم بكثير مما كان معروفا عنه قبل اليوم ، وانه تحمل ما تحمل من أذى في اعماق نفسه كي يؤدي واجبه لوطنه كاملا غير منقوص .

واخيرا : لا شك ان المؤلفين اعتمدا على وثائق عديدة لم تنشر قبل اليوم ، وهذه الوثائق تلقي اضواء ساطعة على جوانب تتعلق بالقضية العربية وخفايا السياسة التي عولجت قضايا العرب من خلالها . لهذا كله لا بد ان يجد المهتمون بلورنس كشخصية مشهورة وكذلك المهتمون بالتاريخ العربي الحديث ـ لا بد ان يجد هؤلاء وهؤلاء في الكتاب مادة جديدة ومثيرة : سواء وافقوا المؤلفين على استنتاجاتهما ام لم يوافقوا .

عمان ـ الاردن — سليمان موسى

•

خطباء صنعوا التاريخ

تأليف انور احمد ـ ٢٤٤ صفحة ـ نشر مكتبة الانجلو ـ المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة

اود ان ابدأ الحديث عن هذا الكتاب بالفقرة التي اوردها المؤلف وهو يؤرخ لحياة مصطفى كامل ، اذ يقول : « مهما حاولنا ان ننقل شيئا من حياة مصطفى كامل الخطابية فلن نستطيع ان ننقل للقارىء تلك الحياة الزاخرة التي كانت تنبعث منها وهو يلقيها امام جمهوره ، ولسوف تظل مجرد كلمات جامدة على الورق بعد ان فقدت تلك النبرات الرنانة التي كانت تبهر ، والنغمات الحلوة التي كانت تسحر ، والنظرات التي كانت تشع نارا ونورا ، وبعد ان سقط حجاب الزمن بيننا وبين الخطيب ومنصته ، والزعيم وحماسته ، ولم يبق لنا الا

النصوص تتراءى من خلال سطورها اطياف لمظاهر عظمة الخطيب » .

هذه الفقرة تضع في يدنا مفتاحا للجولة التي نريدها في انحاء هذا الكتاب ، فالترجمة لحياة الخطيب بالذات تختلف عن الترجمة للشخصيات الاخرى ، لان الترجمة لحياة الخطيب تفقد عنصر التشخيص ، فشخصية الخطيب تعتمد اول ما تعتمد على الصوت ، والحركة ، والنبرة ، والاشارة ، والتنغيم ، بالاسراع والتمهل ، والجهر ، والهمس ، التي تشكل في النهاية ـ الى جانب النص الخطابي ـ عملية اقناع الجماهير ، والتأثير فيها ، واستمالتها الى رأيه ، او انفعالها بعواطفه ، واستجابتها في النهاية لما يلقيه اليها .

وهذه عناصر لا يمكن ان يصورها المترجم لحياة الخطيب مهما أوتي من قوة التعبير ورقة التصوير ، لان اصوات الخطباء كبصمات الاصابع لا يمكن ان تتكرر .

ومهما اورد المترجم من النصوص الخطابية ، ومهما حاول ان يبرز فيها ما اوتي الخطيب من بلاغة العبارة ، وانتقاء الاساليب ، واختيار الكلم ، فان النصوص تبقى مجرد نصوص ادبية ، قد تكون ـ بعد تجريدها من شخصية الخطيب ـ نصوصا من الدرجة الثانية او الثالثة ، على اكثر من ذلك ، لانها فقدت اهم مقومات الخطبة ، وهي الصوت والنبرة وكل عناصر المشافهة .

وقد يكون هذا هو الذي جعل المؤلف يضيف شيئا الى عنوان الكتاب غير ترجمة حياة هؤلاء الخطباء ، وهو صناعة التاريخ ، فلم يقتصر على الترجمة لهؤلاء الخطباء كمجرد خطباء ، ولكنه القى على اكتافهم عبء المشاركة في صناعة التاريخ ولو من خلال مواهبهم كخطباء ، فوضع في يد الكثيرين منهم صولجان الحكم ليستطيعوا ان يغيروا مصائر امهم ، ويشكلوا الاحداث الكبار في عصرهم ، ولهذا اختار شخصياته من بين الخطباء الذين كان لهم دور بارز في السياسة او في الحرب .

والقارىء يحس من مجرد استعراض الشخصيات التي اختارها المؤلف بمدى الاعزاز والتقدير الذي احاط به المؤلف شخصياته .

ولقد جرى المؤلف في عرض شخصياته على الطريقة التقليدية في التراجم ، فهو يتحدث عن النشاة الاولى للشخصية ، ثم البيئة الاجتماعية والسياسية والعقائدية التي انبتت الشخصية ، ثم يتحدث عن المؤثرات الادبية والفنية ، ثم البيئة التي صنعها الخطيب لنفسه ، ثم العوامل التي دفعته الى غمار السياسة او الحرب وكيف كانت قوة الارادة ، والاصرار على النجاح من بين العوامل التي ابرزت هؤلاء او اكثرهم من القاع الى القمة .

ولقد استبان ذلك من تاريخ حياة ديموستين ، والحجاج ، وميرابو ، ولكن الذي نلاحظه انهم اتخذوا الخطابة وسيلة للدخول من ابواب التاريخ ، ليصبحوا زعماء وحكاما او رجال دولة .

والمؤلف حين يقول في المقدمة ان هذا الكتاب ليس ترجمة لحياة هؤلاء الخطباء بمحض نفسه من الاجابة عن سؤالين : لماذا اختار خطيبا بالذات ؟ ثم لماذا اورد من وقائع حياة الخطيب هذه الاحداث دون غيرها ، لكن هذا لا يدع الكتاب دون منهج .

ان المؤلف يذكرنا بفن من فنون القول كان في يوم ما ، وحتى الجيل السابق ابرز هذه الفنون ، وهو فن الخطابة ، قبل ان تنتشر وسائل الاعلام السمعية والبصرية ، يوم ان كان ابرز ما يرشح الفرد للزعامة ان يكون خطيبا بارزا في مجال السياسة ،او محاميا مفوها في مجال القضاء .

واود ان اذكر هنا ان المؤلف الاستاذ انور احمد بقية صالحة من هؤلاء الخطباء الشباب ، يملك الصوت الفني المتنوع ، ويملك سلاسة العبارة وقوتها ، ويملك القدرة الفائقة على الاقناع ، مما رشحه لكبار المناصب ، ورشحه ايضا ليمثل دور الزعيم مصطفى كامل في الفيلم الذي خرج باسمه منذ سنوات .

والكتاب الذي نعرضه اليوم مائدة طيبة يستضيف المؤلف عليها اصدقاءه الاعزاء عبر حدود التاريخ ، يجمع بينهم اعجاب المؤلف وحفاوته بهم كخطباء اولا ، وكرجال دولة ثانيا .

والمؤلف يعرض لشخصياته عرضا ذكيا ، حين يضع يده على نبض كل شخصية ، ويبرز دقائق مكوناتها .

ففي حديثه عن ديموستين يبين بوضوح كيف استطاع ان يتغلب على عيوبه الخلقية من ضعف الصوت ، وقصر النفس ، ولثغة اللسان، وارتباك الاشارات ، ذلك لانه اراد ان يكون خطيبا ، فصنع من ديموستين العيي ديموستين العظيم بقوة الارادة ، وبالصبر ، وبالتمرس .

وعندما يتحدث عن الامام علي يبرز العوامل التي تجمعت له ، من الجراة والصراحة والوضوح ، وحضور البديهة ، والتفقه في الدين ، والنسب الهاشمي الصريح ، مما جعل منه خطيبا عظيما ، ولكن كل هذا كان محسوبا عليه ، فجعل منه سياسيا احاطت به كل الوان القلاقل وعدم الاستقرار ، وعلى العكس من ذلك كان زياد بن ابيه ، والحجاج بن يوسف اللذان كان سيفهما اسبق من لسانيهما .

وحديثه عن عبد الله بن الزبير لم يقنعنا بانه اكثر من محارب يائس احدق به اعداء شرسون، وكانت امه اسماء في جوارها معه اخطب منه وهو يستحث قوما متخاذلين ويحرضهم على الحرب .

ويمضي المؤلف في عرض شخصياته كميرابو ، خطيب الثورة الفرنسية المعتدل الذي حمى الثورة في بداية عهدها من التهور ، ووليم بت الكبير الذي قضى دورة برلمانية كاملة لم ينطق بكلمة واحدة حتى حلت عقدة لسانه فتدفق كالسيل المدمدم ، حتى اصبح خطيب البرلمان الاول ، وخرج بانجلترا من ذلة الهزيمة الى عزة الانتصار ، ووليم بت الصغير الذي انتقل من منبر الخطابة الى رياسة الوزارة قبل ان يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، دون استناد الى حزب او فئة معينة ، وذلك في انجلترا بلد التقاليد .

ومن الخطباء العرب المعاصرين عبد الله النديم الذي خرج كالشرارة من بين الاحتكاكات الشعبية ليكون خطيب الثورة العرابية ، ثم يجيء مصطفى كامل في الاونة الحاسمة التي كانت تتطلب صوته ، وتتطلب جرأته وشجاعته ، وممارسته للنضال من اجل الوطن في كل ميادين النضال ، مما اجبر المستعمر على ان يغير اساليبه ، لقد كان شعار مصطفى كامل ان يوقظ في مصر الهرمة مصر الفتاة ، ولقد صنع ذلك ، حتى لم يجيء عام ١٩١٩ حتى كان الشعب المناضل قد افرز اسلحته للنضال الفكري والسياسي ، فكان وجود جمال الدين الافغاني، والتقاؤه بالشيخ محمد عبده قد انجب خطيبا ثائرا وفدائيا جديدا هو سعد زغلول الذي ركب موجة الثورة الهائجة ، التي هبت في مصر ، ولم تهدأ الا بعد ان هزت قواعد الاستعمار .

ويورد المؤلف نبذة عن الخطباء الذين سماهم خطباء الحروب ، امثال خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، والقديس برنار ، ومونتجومري ، ووتسون تشرشل ، وادولف هتلر ، ثم يختم المؤلف كتابه بالحديث عن نابليون باعتباره خطيبا من خطباء الحروب .

والكتاب في النهاية يطرق بابا جديدا في التراجم خلت منه المكتبة العربية او كادت تخلو ، فان تراجم الخطباء في رفوف المكتبة العربية قل أن يفرد له مؤلف بذاته .

والكتاب يمتاز بتلوين شخصياته بالوان ممتعة تحبب القارىء الى هذه الشخصيات ، وتنقل اليه نبضاتهم ومشاعرهم وتضعه في اطار طموحهم ، وتثير فيه عواطف الحب او الاشفاق او النفور من تحركاتهم على مسرح الاحداث في زمنهم ، كما تنقل الى القارىء هذه الازمنة والامكنة بطريقة سلسة بارعة .

القاهرة — رضوان ابراهيم



عوني عبد الهادي

عـونى عبـد الهـادي

بقلم محمد اديب العامري
وزير التربية والاعلام والخارجية الاردنية سابقا

* * *

في الخامس عشر من اذار الماضي (١٩٧٠) غـاب عـن مسرح السياسة الفلسطينية والعربية رجـل من أعـرق رجالها وزعيم من انبه زعمائهـا ، وهـو المرحوم عوني عبدالهادي . وبذلك يكون قد سكن عن الخفقان بحب امته رجل لم ين لحظة واحدة طوال نيف وستين سنة عـن العمل الدائم في سبيل هدفه الاسمى ، وهـو الوحـدة العربية ، وانقاذ فلسطين .

ومع انه قدر لعوني ان يعيش اثنين وثمانين سنة ، فان الذين كانوا حوله من اصدقائه لا يصدقون انه توفـي لانه رحمه الله لم يكن رجل سياسة وحسب ، وانما كان الى ذلك رجل ثقافة وراوية شعر وشخصية اجتماعية ذات دائرة واسعة . فايما جانب من هذه الجوانب أهم صديقا أو زميلا فقد كان يجد في صحبة عوني ولقائه فائدة اية فائدة ، ومتعة اية متعة .

ولم يقعد مرض الموت (بالشيخوخة) عونـي فـي فراشه اكثر من اسبوعين ، وقد كان ممن يعنون بصحتهم ولا ينون عن ممارسة الرياضة اليومية .

ولد عوني سنة ١٨٨٨ وتعلم في بيروت والاستانة ، حيث انهى الدراسة في الكلية الملكية ، ثم في باريس حيث انهى دراسة الحقوق .

ونستطيع ان نقسم ادوار حياة عوني في جهاده الى ثلاثـة :

اولها ما بين سنتي ١٩١١ و ١٩٢٥ . وكان ميدانه فيها فرنسا وسورية والاردن .

وثانيها ما بين سنتي ١٩٢٥ و ١٩٤٨ وكان ميدانـه فيها فلسطين .

وثالثها ما بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٧٠ وفيها كرس وقته للعمل في المملكة الاردنية الهاشمية وجامعة الدول العربيـة .

ففي الفترة الاولى ، لم يكن سنه تزيد على اثنتـين وعشرين سنة عندما بدأ جهاده في سبيل هدفه . وفـي سنة ١٩١١ أسس مع الدكتور أحمد قدري ورستم حيدر « الجمعية العربية الفتاة » التي تعتبر « أعظم الجمعيات العربية السرية التي نشأت بعد اعلان الدستور العثماني » (سنة ١٩٠٨) وكان شعار الجمعية « تحرير بلاد العرب واستقلالها وتوحيدها والنهوض بالامة العربية الى مصاف الامم الراقية » . وكان من أعضاء هـذه الجمعية محمـد المحمصاني ، الذي تولى سكرتيريتها العامة ، وعبد الغنـي العريسي ومحمد الشريقي ورفيق التميمي ، وغيرهم مـن مشاهير رجال الامة العربية في نهضتها الحديثة .

وظل عوني وزملاؤه من رجال القومية العربية علـى مبدئهم في الجهاد لبلوغ اهداف العربية الفتاة . وتحولت هذه الجمعية بعدئذ في دمشق الى « حزب الاسـتقلال » المعروف ، الذي ضم في أول أمره فيصل بن الحسـين وشكري القوتلي ورياض الصلح وعوني ومحمد الشريقـي وعزت دروزة وغيرهم من كبار رجال العروبة آنئذ . وظل هدف الجمعية-هو هدف الحزب « استقلال سائر البلاد العربية وتحريرها من أي نفوذ اجنبي » .

وفي بداية هذه الفترة دعا عوني وزملاؤه الى عقـد « المؤتمر العربي » في باريس . وتمت الموافقة على الدعوة فانتخب عوني عضوا في اللجنة الادارية للمؤتمر . وكـان من اعضاء اللجنة محمد المحمصاني وشارل دباس وجميل مردم وعبد الغني العريسي . وكانت الغاية من عقد المؤتمر « وقاية الوطن من الطوارىء واصلاح شؤون البلاد علـى قاعدة اللامركزية ضمن الامبراطورية العثمانية » . وكـان اولئك الشبان قد لاحظوا بفراستهم السياسية شيئا من احداث المستقبل فجعلوا من غاية المؤتمر « درء عاديـة الاحتلال من أية دولة » . وقد انعقد ذلك المؤتمر سـنة ١٩١٣ بتمثيل عربي واسع وخرج بقرارات تقع ضمـن الاهداف التي كانت اللجنة الادارية قد اعلنت عنها ، مـع المطالبة بالتمتع بالحقوق السياسية للامة العربية .

وشملت هذه الفترة الاولى من حياة عوني العمل في التعليم والصحافة الافرنسية والعربية في باريس نفسها. ومن ذلك العمل في هيئة تحرير جريدة الماتان المشهورة . ولما وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها كان عبء عوني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثقيلا ، اذ كان عليه ان يشارك في اعمال الوفد العربي لمؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس عام ١٩١٩ . وجاءت هذه المشاركة وليدة الجهود التي كان يقوم بها في الصحافة الافرنسية في سبيل القضية العربية . وكان من حصته ان يستكشف امر معاهدة سايكس ـ بيكو السرية ، ويستوفي دراسة مراسلات الحسين ـ مكماهون . وكان عليه ان يقوم لذلك باسفار واسعة شملت لندن والقاهرة والقدس ومعان . واشترك عوني مع فيصل بن الحسين في مباحثات فيصل ـ كليمنصو ، فادى ذلك الى اقتراح مشروع اتفاقية بين فرنسا وسورية التي كان الملك فيصل يومئذ (١٩٢٠) قد بويع ملكا عليها . ولم تتم الموافقة على هذه الاتفاقية . وبعد هذا دخل الجيش الافرنسي الى دمشق وانهى الحكم العربي الفيصلي فيها ، على الرغم من المرونة والبراعة في الموقف العربي .

وتولى فيصل الاول بعدئذ ملك العراق ، فأوفد عوني مع عدد من رجال حزب الاستقلال المقيمين في القاهرة الى معان حيث كان الامير عبد الله يومئذ يعد العدة للحملة على دمشق ، ولكن الامر انتهى بتشكيل امارة شرقي الاردن ، التي كانت بموجب صك الانتداب مشمولة مع فلسطين بالانتداب البريطاني . ومن المحقق ان جهد عوني ورفاقه في هذه المرحلة ساعد على انتزاع شرقي الاردن من الانتداب البريطاني واخراجها من نطاق وعد بلفور . وفي اجتماع في دار الحكومةبالقدس حضره الامير عبدالله وعوني وونستون تشرشل ، وزير المستعمرات البريطانية يومئذ ، وهربرت صموئيل المندوب السامي والسكرتير العام لحكومة فلسطين ولورنس . وتم في ذلك الاجتماع الاتفاق على قيام امارة في شرقي الاردن برئاسة الامير عبد الله . وتم تشكيل اول حكومة في امارة شرقي الاردن سنة ١٩٢١ ، وعمل عوني عندئذ رئيسا للديوان الاميري مدة سنتين .

وفي الفترة الثانية من حياته السياسية ، وهي الفترة التي امتدت بين سنتي ١٩٢٥ و ١٩٤٨ ، عمل عوني في فلسطين . ومع انه افتتح مكتبا للمحاماة في القدس، فان عمله كمحام اندمج في عمله السياسي ، فانغمس في الحركة الوطنية يقاوم الاستعمار البريطاني والصهيونية . وعمل مع الحاج امين الحسيني عضوا في اللجنة التنفيذية العليا ، التي كانت تقود آنئذ النضال الوطني في فلسطين . وكان ثقل الحركة الوطنية في باديء الامر موجها لمناواة الصهيونية ، ولكن عوني وزملاءه لم يلبثوا ان فطنوا الى اساس المشكلة ، فألفوا حزب الاستقلال سنة ١٩٣٦ برئاسته ، واصبحت مناواة الاستعمار البريطانيهي الاصل ، والصهيونية الفرع . واتجهت الثورات الفلسطينية بعد ١٩٣٦ فعلا ضد الاستعمار البريطاني في المقام الاول ، وان لم يعن ذلك بالطبع الغفلة عن مقارعة الصهيونية .

وشارك عوني على رأس حزبه في جميع المؤتمرات التي انعقدت في فلسطين ، كما شارك في اكثر الوفود التي تألفت للنظر في مشاكل البلاد وقضاياها ، وظهر محاميا عن بلاده امام اللجان الدولية والملكية التي امت البلاد .

ولما اضطر عوني ان يتراجع عن خط الجهاد في فلسطين بعد نكبة ١٩٤٨ ، فانه لم يلبث ان ظهر في ميدان الخدمة العامة الذي امتاز به جهاده في فترة حياته الثالثة من سنة ١٩٤٨ الى ان التحق بربه سنة ١٩٧٠ .

وكان ان كلفه توفيق ابو الهدى رئيس الحكومة الاردنية يومئذ (١٩٥١) بأن يمثل المملكة الاردنية سفيرا في القاهرة . وقد مهد رئيس الحكومة الحصيف للموضوع بقوله « كان المقدر ان تكلفني انت هذا التكليف ، لا ان اكلفك انا اياه » . وكان صحيحا ما قيل عن عوني من انه كان اكبر من سائر المناصب التي تقلدها . وانتهت سفارته بمصر سنة ١٩٥٥ ، فشغل بعدئذ المناصب الوزارية في عمان اكثر من مرة ، كان ابرزها وزارة الخارجية سنة ١٩٥٦ .

وفي مطلع سنة ١٩٥٨ عمل عوني رئيسا للدائرة القانونية في جامعة الدول العربية . وكان ذلك بتكليف خاص من السيد عبد الخالق حسونة الامين العام للجامعة. وهو تكليف ساعد على قبوله اياه ان طه حسين كان يشغل رئاسة الدائرة الثقافية ومحمد حسن العشماوي الدائرة الاجتماعية . وعلاوة على خدمة الدائرة القانونية باهتمام تام ، فان وجود عوني في جامعة الدول العربية بالقاهرة أتاح له اللقاء مع رجال الامة العربية من كل قطر ، من زامله منهم ، ومن عرفه او تعرف عليه ، في سبيل خدمة الهدف الاسمى الذي كرس عوني حياته له ـ الوحدة العربية .

كان عوني من زعمائنا المثقفين ، فلم يكن يتوقف عن المطالعة بالعربية والافرنسية والانجليزية . وكان له في كل يوم حديث عن كتاب او فكرة . وكان راوية للشعر العربي يحفظ كثيرا من مختاراته ، ويستشهد بها في احاديثه ، كما كان يستشهد بأقوال العظماء يرويها عن ظهر قلب في سهولة ويسر .

وكان رحمه‌الله بهي الطلعة محبب الشخصية معسول القول عذب الحديث ، كما كان انيس المجلس ، شديد الترحيب بزملائه واصدقائه ، وكان بيته محجة لهؤلاء جميعا . ومع انه نشأ ثريا فانه انفق ثروته الخاصة وموارده الجارية على جهاده الوطني . فلما نضب هذا المعين انبرت حرمه المناضلة المصون السيدة طرب عبد الهادي فوضعت ثروتها تحت تصرفه . ولا غرو فان سرا من خدمة عوني ودوامها يكمن في عناية هذه السيدة الكبيرة ، التي رعته واعانته خمسين عاما طويلة لا تكل ولا تلين . وها هي تفقده كما فقدته امته واصدقاؤه . وما نظن ان شيئا يمكن ان يعزيها عن فقد ذلك الرجل العظيم .

عمان ـ الاردن **محمد اديب العامري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جبران خليل جبران

القيت في مهرجان جبران العالمي الذي أقامته
« جامعة القلم » في سان باولو بالبرازيل

★

يفنى الزمان وانت حي ترزق ... وتغيب أسماء وذكرك مشرق
جبران يا جار النجوم أينتهي ... صوتي اليك ، ام أن بابك مغلق ؟
أشرف علينا من سمائك لحظة ... هذي الوفود على قراك تحلقوا
جئناك من شتى الديار يقودنا ... شوق يلح ولهفة تتدفق
ان فرقتنا الترهات ، فاننا ... (في دوحة الاداب لا نتفرق)
اسكرتنا بالشعر طاب رحيقه ... وزكا .. ولكن للذي يتذوق
من كل حالية الجبين تخالها ... بلقيس في اعيادها تتألق
عربية الانفاس تعبق بالشذا ... ما كل قافية تطيب وتعبق
تختال في لفظ عفيف رائق ... يحتله معنى أعف واروق
أرخت ذوائبها ، فيا شمس اغربي ... هذا هو الحسن الذي لا يخلق
جئناك نستسقي .. فبل أوارنا ... لن يبرح الوراد حتى يستقوا
ماذا اذا جهلت مكانك زمرة ... بلهاء فارغة تنق وتنعق
ضرب الفرود على منافذ نورها ... فطريقها داجي المسالك مرهق
قامت على أم اللغات وصية ... يا للدخيل على الاصيل يحذلق
دعها وما زعمت .. فليس بناجع ... فيها علاج او بمجد منطق
حلقت فاستعصى عليها ان ترى ... نسرا بآفاق الخيال يحلق
الشعر لفو عندها وسخافة ... والفكر سفسطة وموت ازرق
لبست ثياب العصر .. لكن لم يزل ... بالجاهلية عقلها يتعلق
تمشي جزافا . ليس تنقل خطوة ... الا وتزلق او تقوم وتزلق
لا تسلقوها بالملام ، فانها ... جثث تدور ومومیات تنطق

جبران حال العهد بعدك وانطوى ... علم ليعرب بالنجوم معلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضلت نسور المجد عن غاياتها ... هل تهتدي والليل داج مطبق ؟
انى اشرأبت فاجأتها صرصر ... او عاجلتها زعزع لا ترفق
ما ان تعالج بالتجمل نكبة ... حتى تلم بها اشد واعمق
عبثت زعامات الكلام بأمرها ... ولها بسمعتها دعي أخرق
كانت لها في الخافقين كرامة ... واليوم ان ذكروا الكرامة تطرق
لا فجرها زاهي الملامح ضاحك ... للضاحكين ، ولا نداها غيدق
أقداسها للواغلين ملاعب ... وزمامها بين الغزاة مفرق
لولا بها ليل الفداء لما ازدهى ... امل ليعرب او تعالى مفرق
بذلوا النفوس رخيصة كي يغسلوا ... عار الهزيمة . لا لكي يسترزقوا
مرحى جنود الحق مرحى ..! اننا ... بجراحكم عبق النبوة ننشق
أرغمتم انف العدو وشدتم ... صرحا لامتكم يعز ويسمق
لن يستعيد العرب غابر مجدهم ... الا اذا نبذوا التخاصم والتقوا
ان الذي يقضي فداء بلاده ... لا خوف يفتح بابه او يغلق
كتب البقاء له وطاب ثواؤه ... في حيث لا ارق ولا من يارق

جبران يجمعنا طريق واحد ... هيهات ليس له غد او مفرق
بشرت بالتجديد .. لكن لم تقل ... ان الجديد رطانة وتمخرق
أوغلت لكن لم تغب عن عيننا ... اين الهجين اذا تصدى معرق ؟
ماذا نقول لمن يهاجم شعرنا ... هل يقحم البركان الا أحمق ؟
يا سادة الشعر الذي لم يلتزم ؟ ... وزنا ولا معنى .. أأنتم زئبق ؟
لم تخجلوا . والشوك من اخلاقه ... الا يغض .. وقد يغض الزنبق
انا بنينا في المهاجر دولة ... الحسن من آياتها والرونق
قامت على ايماننا . لم يحمها ... سيف ولم يسهر عليها بيرق
نشرت على دار العروبة ظلها ... فلواؤها في كل افق يخفق
نهل العطاشى من نداها فارتووا ... وائتم فيها الكافرون فصدقوا ..

جبران هذا مهرجانك يلتقي ... في ساحه غرب ويزهو مشرق
في كل افق من شذاه نفحة ... نشوى ترف وبسمة تتفتق
غسل الصدور ، ففي القلوب نقاوة ... وعلى العيون وداعة تترقرق
نسي العراق همومه في ظله ... وتهللت مصر وغنت جلق
لبنان لا يزهو علينا بابنه ... لا نحن نسبقه ولا هو يسبق
ان العظيم لكالربيع رحابة ... هيهات يحصره مكان ضيق

بوانس ايريس ـ الارجنتين ... زكي قنصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« كتاب الهفوات لابن الصابىء »

لابن الصابىء

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

قولك « الصابىء » يعني شخصا معنيا ، او شخصا معينا من اسرة معينة لها مكانتها في الادب والثقافة وما اليهما . وتذهب اول ما تذهب الى ابي اسحاق ابراهيم ابن هلال : « اوحد لدنيا في انشاء الرسائل » . وقد توفي عام ٣٨٤ مخلفا ابناء واحفادا نابهين مذكورين، فقد كان ابنه المحسن « اديبا فاضلا بارعا ، له شعر حسن واخبار ، لقي الادباء والعلماء واخذ عنهم » . وكان الرئيس هلال بن المحسن « اديبا كاتبا فاضلا ... صنف كتاب الاماثل والاعيان ومنتدى لعواطف والاحسان » و « ذيل على تاريخ ثابت بن سنان .. » وطبع له « تاريخ الوزراء » و « رسوم دار الخلافة » .. ويعرف بأنه صاحب التواريخ والرسائل » .

ولهلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء ولد معروف معدود « كان ذا فضائل جمة وتآليف نافعة » سمه محمد وكنيته أبو الحسن ولقبه غرس النعمة ... من فضله انه « ابتنى بشارع ابن ابي عوف من غربي بغداد دار كتب .. رتب فيها خازنا .. وتكرر العلماء اليها سنين كثيرة » ... ومن مكانته في التاريخ ما رواه أبو الوفاء بن عقيل : « قال : حضرنا عند بعض الصدور فقال : هل بقي ببغداد مؤرخ بعد ابن الصابىء ؟ فقال القوم ، لا .. » .

توفي ابن الصابىء هذا سنة ٤٨٠ ، ولم يصل الينا كتابه « التاريخ الكبير » الذي قد يسمى « عيون التواريخ » ، ولم يصل الينا كذلك « كتاب الربيع » الذي جعله ذيلا على كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، ولكننا ظفرنا منه بكتاب اخر طريف في موضوعه له شأن خاص فيما نحن بصدده لان اسمه « الهفوات ... » أجل ، كتاب الهفوات لابن الصابىء » .

وعاصر الصابىء جد الاب « ابا اسحاق ابراهيم .. » أبو حيان التوحيدي الاديب المتفلسف ، المعروف في عصره ، والمعروف في عصرنا كذلك ، ولا سيما بعد اكتشاف كتابه « الامتاع والمؤانسة » وطبعه منذ سنة ١٩٣٩ ...

وجرى لابي حيان مع وزراء عصره ، ولا سيما الصاحب بن عباد حكايات يمكن ان تأخذ سبيلها الى « كتاب الهفوات لابن الصابىء » ، وهكذا كان .

تم مضى ما يزيد على القرن من الزمان ، وجاء ياقوت الحموي يجمع المواد من هنا وهناك ليؤلف كتابه الضخم : « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » ، وليغذي ترجماته المطولة عن اعلام الادب . ولم يكن لمثله معدى عن « كتاب الهفوات لابن الصابىء » . وهكذا كان ، فقد نقل عنه مرارا ، وكثيرا ما كان يقدم لذلك بقوله : « ذكر غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال الصابىء في كتاب الهفوات ... » او ما يشبه ذلك ، كأن يكتفي بقوله : « وفي كتاب الهفوات لابن الصابىء .. »

وفي ارشاد الاريب هذا ـ وهو المعروف بمعجم الادباء ـ نص صريح ما كان يحسب امرؤ ان احدا يمكن ان يتعثر في فهمه او ان يخطىء في مرماه . ولكن قد يقع ما ليس في الحسبان فيكون سببا لكتابة موضوع لم يكن في الظن ان يكتب .

فما ذاك ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ ..

ورد النص في ترجمة ابي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (ج ١٥ ، ص ٧) وبصدد حديث لابي حيان عن الصاحب بن عباد ، ولكن ياقوتا لم ينقله عن كتب لابي حيان وانما نقله عن كتاب آخر لمؤلف اخر ـ وكان في نقله واضحا كل الوضوح . قال :

« وفي كتاب الهفوات لابن الصابىء : وحكى ابو حيان ، قال : حضرت مائدة الصاحب ابن عباد فقدمت مضيرة ، فامعنت فيها ، فقال لي : يا ابا حيان انها تضر بالمشايخ . فقلت : ان راي الصاحب ان يدع التطبب على طعامه فعل ، فكأني ألقمته حجرا ، وخجل واستخيا ولم ينطق الى ان فرغنا » .

وواضح هنا ، ان ياقوتا ينقل خبرا حكاه ابو حيان في مكان ما ، وقد نقله عنه ابن الصابىء في كتاب له باسم « الهفوات » ـ ولا تحتاج المسألة الى نقاش ، ولا يستدعي الاستنباط ذكاء غير معتاد .

واذ انتهى ياقوت من نقل الخبر عن كتاب ابن الصابىء عن ابي حيان ، بدا يذكر في فقرة جديدة عددا من مؤلفات ابي حيان ، فقال : « ولابي حيان تصانيف كثيرة منها : كتاب رسالة الصديق والصداقة ، كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي ، كتاب الامتاع والمؤانسة جزءان ، كتاب الاشارات الالهية ... كتاب ذم الوزيرين .. »

ونستطيع ان نعد هذه التصانيف وان نجمعها فنجدها سبعة عشر دون اية زيادة ، ودون حاجة الى نقاش .

ولكن قد يحدث لك ما يدفعك الى الحديث عن الواضح بعد ان اصبح غامضا او بدا غامضا .

فكيف كان ذلك ؟ ومتى ؟ واين ؟

كان اول امره عندما الف الدكتور احمد محمد الحوفي ـ الاستاذ المساعد في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ـ كتابا ذا جزءين خاصا بأبي حيان التوحيدي في

سلسلة « قادة الفكر في الشرق والغرب » .

جاء في مقدمته : « ... اتصلت به عن قرب قريب، وعشت مدة من الزمن حينما شرعت اكتب هذه الدراسة ، فعظم اكباري لعلمه واعجابي بفنه . وايقنت ان الرجل مغبون القدر ، مهضوم المكانة .

... انه ليسعدني اليوم ان اساهم في انصاف ابي حيان وفي التنويه بعلمه وادبه وفي بيان ما له وما عليه » .

وقد سبق الدكتور الحوفي في الكتابة عن أبي حيان اكثر من باحث واكثر من محقق ، ولكن الجديد عنده انه زاد في تصانيف أبي حيان كتابا لم يكن له ، ولا يمكن ان يكون .

تفتح الجزء الثاني من كتاب الدكتور الحوفي فيقابلك بقائمة من مؤلفات ابي حيان نقلا عن ياقوت (٨/١٥ ، يقصد ١٥ : ٧) ويجعل رأس القائمة « كتاب الهفوات لابن الصابىء » واذا بالقائمة تصبح ثمانية عشر رقما ، فتعجب قليلا لان تركيب الخبر يدل على ان هذا كتاب خاص باسم الهفوات لم يذكره احد ـ بما في ذلك ياقوت ـ بين كتب ابي حيان ، وله مؤلف معين هو « ابن الصابىء » وليس ابن الصابىء بغريب حتى في معجم الادباء نفسه .

يكرر الدكتور الحوفي الخبر مرتين : الاول في سرده قائمة مؤلفات أبي حيان ، والثاني في حديثه عن مؤلفات ابي حيان : « وهذه المؤلفات اقسام بعضها قد طبع ... وبعضها مفقود الى الان ، ولكن بقيت منها مقتبسات في كتب اخرى ... الهفوات لابن الصابىء (يريد الصاحب بن عباد) ذكره ياقوت (٧/١٥) ونقل منه » .

فتستغرب الخبر او ذكر الخبر ، ولكنك قد تشك فيما ترى ، وتشك في فهمك انت ، وتعود الى المصدر الذي استقى منه الدكتور الحوفي خبره (ياقوت معجم الادباء ، ١٥ : ٧) وتقرأ :

« وفي كتاب الهفوات لابن الصابىء : وحكى ابو حيان قال : حضرت مائدة الصاحب ابن عباد ، فقدمت مضيرة ، فأمعنت فيها ، فقال لي : يا ابا حيان ، انها تضر بالمشايخ . فقلت : ان راي الصاحب ان يدع التطبب على طعامه فعل ، فكأني القمته حجرا ، وخجل واستحيا ولم ينطق الى أن فرغنا » .

فتعود اليك ثقتك بنفسك مع شيء من الاستغراب ، وشيء من الالم ... وتروي ما قرأت في كتاب الحوفي لاصدقائك وطلابك والاخرين ، ثم تطوي الصفحة غير راغب في العودة اليها او في السعي الى نشرها .

اما مسألة ان ابا حيان التوحيدي يريد بابن الصابىء الصاحب بن عباد ، فلم تعن بها لانك كنت مشغولا بأمر واحد هو التحقق من نسبة كتاب الهفوات ، والا فهي ما لا يمكن ان يقع فيه اي احد ، فضلا عن ان يكون هذا الانسان ابا حيان التوحيدي ! .

لو اراد ابو حيان بابن الصابىء ابا القاسم اسماعيل الصاحب بن عباد لدل على جهل ما بعده جهل ، ولما كان اهلا لاية عناية ، ولما وجد الدكتور الحوفي مسوغا في الدفاع عنه والاسهام في انصافه والتنويه بعلمه .

ولكن هذه المسألة وان كانت اعظم خطرا من مسألة نسبة لكتاب الى غير صاحبه ، لم تكن صميم البحث ، ومن هنا ذهبت ضحية باردة .

ـ اترها تخفى على احد ليحفل بها ناقد ! ؟ .

ـ لا .

ـ اذا ، لنعد الى ما كنا فيه ، وما يمكن ان يكون قد جد من جديد .

كان تاريخ كتاب الدكتور الحوفي سنة ١٩٥٧ ... والاهتمام بأبي حيان في ازدياد بحثا ، وتحقيقا ، وتدريسا ... ولم يكن منتظرا ان يتكرر الحادث الذي وقع .

هكذا استقرت الحال ، ولكن غير المنتظر هو الذي وقع . فكيف كان ذلك ؟ ومتى ؟ واين ؟

كان أن الدكتور زكريا ابراهيم ـ استاذ الفلسفة المساعد بكلية الاداب بجامعة القاهرة ـ قد عني بأبي حيان عناية خاصة ، وكان من امارات عنايته ان نشر عنه بحثا في مجلة « المجلة » وبحثا في مجلة « الرسالة » ... ثم توج اهتمامه بأن اصدر عنه كتابا خاصة في سلسلة «اعلام العرب » التي تتولى امرها المؤسسة المصرية العامة للتاليف والانباء والنشر . ورقم الكتاب في السلسلة ٣٥ ، وتاريخ صدوره يمكن ان يكون في عام ١٩٦٤ . وعنوانه الكامل : « التوحيدي اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء » وهو عنوان جذاب ، فاشتراه من اشتراه ، وشاء الطالع ان افتحه فتقع العين أول ما تقع على الصفحة المائة فيه : الفصل الثالث : انتاجه :

« ليس غريبا على انسان اتخذ من القلم حرفته ، ان يجيء انتاجه الفكري خصبا وافرا ... وقد أورد ياقوت الرومي في معجمه مثبتا بأسماء بعض كتب أبي حيان ، فنص على ثمانية عشر كتابا هي : « الهفوات لابن الصابىء (١٨) ... » .

وتغلق الكتاب باستغراب .. والم .

ترى ما الذي جر الدكتور زكريا ابراهيم الى هذا ؟ متى نص ياقوت على ثمانية عشر كتابا ؟ اني لالمح في قائمة مراجعه كتاب الدكتور الحوفي . ثم ماذا يمكن ان يقوم في عذره بعد ان نشر من اثار ابي حيان ما نشر ، وكتب عنه ما كتب ؟ امن المعقول أن يكون قد اكتفى بنقل القائمة عن الدكتور الحوفي دون رجوع الى ياقوت نفسه ؟ امن المعقول انه رجع الى ياقوت وسلك الى الخطأ السبيل الذي سبقه اليه الحوفي قبل سبعة اعوام ؟ لا هذا معقول؟

(١) بتحقيق الدكتور صالح الاشتر ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٦٧) . (٢) لم يرد هذا النص في « مثالب الوزيرين » او « اخلاق الوزيرين » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامس والشقاء

لا تسالي عني ، وعن اهوائي ... اني نثرت على القلوب ردائي
أمسي غدا حلما ، على أشجانه ... مستعذب الانداء والاصداء
رفقا بماضي الذي ضيعته ... فاضعت آمالي وحلو رجائي
لو لم يكن للامس ، في قلبي هوى ... لبدا هواي ممزق الاشلاء

لا تفضحي سر التبسم في فمي ... متكتم الآهات في الظلماء
اني ضممت الليل بين جوانحي ... ووجدت فيه سلوتي وعزائي

لله شدوك مثل شدوي ، ما انثنى ... في القلب بوح هوى ، ونسج وفاء
ما راعني امسي اذا ذكرته ... فالعمر عمري ، والشقاء شقائي
من كان في البغضاء يدفن حبه ... فلقد زرعت الحب في البغضاء

فوزي عطوي

ولا ذاك مقبول .

وتعود الحكاية على الدكتور الحوفي ... وهو يمارس الادب العربي شعره ونثره ، تدريسا وتاليفا .. أما يحتمل ان يكون قد تنبه للخطأ الذي وقع فيه واوقعه على تلاميذه ومعتمدي كتابه من قارئين ومؤلفين ؟

ان منطق البحث العلمي يشير الى الجواب الايجابي. أجل يحتمل واكثر من يحتمل . فقد يقع مؤلف ـ لسبب او لاخر ـ في وهم او سهو ، ولكن المنتظر ان هذا المؤلف قد ينتبه او ينبه فيستدرك ، ولا سيما اذا كان موضوع الخطأ جزءا من عمله اليومي ، ومما يعود اليه حينا بعد حين .

فهل تحقق المنتظر ؟

الجواب : لا .

وكيف كان ذلك ؟ ومتى ؟ واين ؟

كان ان الدكتور احمد محمد الحوفي ـ الاستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ـ ازمع على اعادة طبع كتابه ـ بعد ان نفدت نسخته ، وقد نفذ العزم فصدر « ابو حيان التوحيدي » في طبعة جديدة «معدلة ومزيدة» بـ ٤٥٨ صفحة في مقدمتها :

« ... وبعد فقد اضفت الى هذه الطبعة كثيرا لم يكن في الطبعة الاولى وعدلت فيها تعديلا كبيرا .. ووضحت ما كان خافيا وضبطت ما يحتاج الى ضبط . »

قلنا عندها : حلت ـ اذا ـ المشكلة ، وفتحنا الكتاب فيما يقرب من منتصفه امتحانا لما جاء في المقدمة ، واذا « كتاب الهفوات لابن الصابىء » بقي على قدمه يحتل الرأس من القائمة ذات الـ ١٨ كتابا المنقولة عن ياقوت (٨/١٥) اي (١٥ : ٧) وانه اي الهفوات لابن الصابىء (يريد الصاحب بن عباد !) ما زال مفقودا .

لا ، ليس « كتاب الهفوات لابن الصابىء » من مؤلفات ابي حيان .. وانه لم يعد ضائعا .. لقد وجدت من نسخه في استنبول اكثر من مخطوطة ، تحدث عنها من تحدث ، وعلم علمها من يهمه ان يعلم ، وتجرد باحث من دمشق لتحقيقه واعداده للنشر .

أجل وقد صدر (١) ، واسمه « الهفوات النادرة .. » ومؤلفه « غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال الصابىء المتوفي سنة ٤٨٠ » وفيه الخبر الذي نقله ياقوت (١٥:٧) اذ قال « وفي كتاب الهفوات لابن الصابىء .. الخ »

اجل اننا نقرأ على الصفحة الـ ٣٤٢ من كتاب الهفوات لابن الصابىء : « وحكى ابو حيان قال : حضرت مائدة الصاحب ابي القاسم بن عباد ، فقدمت مضيرة رائعة ، فأمعنت فيها ، فقال لي : يا ابا حيان انها تضر بالمشايخ ! فقلت : ان راى الصاحب ان يدع التطبب على طعامه فعل ! فكأنني القمته حجرا ، وخجل واستحيا ، ولم ينطق الى ان فرغنا » . (٢)

لقد وجدنا « كتاب الهفوات لابن الصابىء » وحققناه وطبعناه ، ووجدنا فيه ما حكاه ابو حيان برواية ياقوت ، أما « كتاب الهفوات لابن الصابىء » لابي حيان التوحيدي فلا ، ولن نجده .

بغداد ـ كلية الاداب — علي جواد الطاهر



عبد الكريم جرمانوس

الحاج عبدالكريم جرمانوس

بقلم عيسى الناعوري

* * *

في مدينة بودابست ، عاصمة المجر الجميلة الكبيرة ، التي يخترقها نهر الدانوب العريض تحت العديد من الجسور الحديدية الضخمة الطويلة ، ذات الهندسات الجميلة المتنوعة ، ليجمع على ضفتيه الخضراوين شفي المدينة الكبيرين : « بودا » و « بشت » اللذين كانا يوما مدينتين منفصلتين ، ثم اصبحتا مدينة واحدة تجمع الاسمين معا في اسم مركب واحد ، في هذه المدينة الجميلة التي كانت تكسوها حينذاك ثلوج كانون الاول من عام ١٩٦٥ ، لقيت لاول مرة الصديق المستشرق الكبير الاستاذ الحاج عبد الكريم جوليوس جرمانوس ، بعد ان استمرت المراسلات بيننا سنوات دون ان يرى احدنا الاخر وجها لوجه. ولقد كان الفضل في دعوتي الى زيارة المجر لهذا الصديق الكبير ، الذي يتمتع لدى السلطات المجرية باحترام كبير ونفوذ كلمة .

عند وصولي الى المجر كان جرمانوس غائبا في فيينا لالقاء محاضرات اسلامية هناك باللغة الالمانية ، ولم يعد الى بودابست الا بعد وصولي بثلاثة ايام . وكانت حفاوته بي مما لا يمكن ان انساه ابدا : لقد تفضل ، رغم اعوامه الواحد والثمانين حينذاك ، بالحضور مع زوجته الى دار جمعية الثقافة المجرية ـ التي كنت في ضيافتها ـ لاجل السلام علي . وفي اثناء اقامتي في بودابست تفضل بدعوتي الى العشاء في منزله ، واستقبلني هو والسيدة عائشة ، زوجته ، احسن استقبال ، ثم قام بمرافقتي الى دار اتحاد الكتاب المجريين ، ودار اتحاد الصحفيين ، ودار نادي القلم الدولي . وكان في كل مكان يقدمني الى المجتمعين تقديما كريما ، كما قدمني في ناد عام لالقاء محاضرة باللغة الانجليزية عن الحركة الادبية في الاردن .

وفي زيارتي له في منزله اطلعني على عدد من مؤلفاته وابحاثه بلغات عديدة ، وعلى مخطوطة كبيرة تحتوي على ترجمة انجليزية لكتابي « ادب المهجر » ، وحدثني عن حياته وعن اعماله الاستشراقية ، وجولاته في الشرق والغرب : استاذا في الجامعات ، ومحاضرا حول الاسلام والادب العربي ، والثقافة الاسلامية . وقد قال لي ممازحا : « حتى العام الماضي ، وانا في الثمانين من عمري ، كانوا يعتبرونني شابا ، اي صالحا للعمل في تدريس التاريخ الاسلامي في جامعة بودابست ، اما الان ، في الواحدة والثمانين فقط ، فقد اصبحت في نظرهم شيخا عاجزا . ولهذا احالوني على التقاعد ! » .

والحقيقة ان جرمانوس كان حينذاك ، ورغم اعوامه الواحد والثمانين ، ورغم ضخامة جثته ، يبدو في همة الشباب ، ومرحه ، وحيويته . وما يزال يحتفظ بحيويته ونشاطه الى اليوم ، وهو في السادسة والثمانين من عمره ، فهو ما يزال يسافر الى بلدان اوروبية واخرى عربية ، ويحاضر فيها . كما لا يزال يكتب ويؤلف باللغات العديدة التي يجيدها . وهو يجيد ، الى جانب المجرية : «العربية ، والالمانية ، والانجليزية ، والفرنسية، والايطالية ، والتركية ، والفارسية ، والهندوسية » ، وقد كتب في اغلب هذه اللغات العديد من الكتب ، والعديد جدا من الابحاث في الكثير من الصحف الشرقية والغربية ، والقى العديد من المحاضرات . وقد تفضل وقدم الي ثبتا طويلا باعماله الفكرية العديدة المتنوعة .

لقد ولد جرمانوس في بودابست عام ١٨٨٤ . وكان ـ كما ذكر لي بنفسه ـ مسيحيا كلفيني المذهب . وقد درس في جامعة استنبول عامي ١٩٠٣ و ١٩٠٤ ، ثم في جامعة فيينا عام ١٩٠٦ ، وفي جامعة بودابست عام ١٩٠٧ . وكان قبل سفره للدراسة في استنبول مسجلا في جامعة بودابست يدرس فيها التركية والفارسية على يد المستشرق المجري ارمينيوس فامبيري، ويدرس العربية كذلك على المستشرق الشهير انياس غولد تسيهر . وهكذا جمع جرمانوس بين معرفة ثلاث لغات شرقية عريقة هي : العربية، والتركية، والفارسية، وكان لهذه اللغات الثلاث اثرها في اسلامه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في التاسعة عشرة من عمره ـ عام ١٩٠٣ اقام مدة في تركيا ، واشترك في حزب سري اسمه « الاتحاد الشبان » في عهد السلطان عبد الحميد الثاني . وكانت الحكومة التركية تطارد الحركات السياسية المناوئة للمركزية . فقبض على جرمانوس في الشارع ، وسجن ١١ يوما ، وصدر الحكم عليه بالاعدام . ولكنه نجا من المشنقة بفضل تدخل السلطات النمسوية .

وفي عام ١٩٣٠ اعتنق جرمانوس الاسلام في مدينة دلهي في الهند ، واعلن ذلك في اثناء خطبة الجمعة التي القاها بنفسه في المسجد في صلاة الظهر ، واتخذ لنفسه اسم « عبد الكريم » . وكان ذلك بعد ان تعمق الرجل في دراسة الاسلام والتاريخ الاسلامي ، وكثرت رحلاته الى البلدان الاسلامية . هو الان العضو المسلم غير الحزبي الوحيد في البرلمان المجري منذ عدة سنين .

بعد اعتناق جرمانوس الاسلام عن عقيدة واختيار ، قرر الحج الى الديار المقدسة عام ١٩٣٤ . ومذ ذاك اصبح يعرف باسم « الحاج عبد الكريم جرمانوس » . وفي الحجاز اتصل جرمانوس بالملك عبد العزيز آل سعود ، ونزل في ضيافته ، واصبح من اصدقائه المقربين . واتصل هناك برجال الفكر والصحافة المعروفين ، ومن بينهم حافظ وهبة ، وفؤاد حمزة ، وغيرهما . وفي رحلة الحج هذه كتب جرمانوس كتابه « الله اكبر » باللغة المجرية ، فلم يلبث الكتاب ان ترجم الى لغات غربية اخرى .

لقد تجول جرمانوس في العديد من اقطار الشرق والغرب ، وعمل استاذا ، ومحاضرا ، واستاذا زائرا في العديد من الجامعات ، في : المانيا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، واسكندينافيا ، وتركيا ، ومصر ، وسوريا ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، والمغرب . وفي عام ١٩٣٩ دعاه الشاعر الهندي العظيم رابندرانات طاغور ليتولى كرسي الدراسات الاسلامية في جامعة « سانتينيكيتان » التي اسسها طاغور . وبقي جرمانوس فيها ثلاث سنوات ، اتيح له في خلالها ان يتنقل بين العديد من جامعات الهند ـ ولم تكن قد ظهرت حينذاك الباكستان كدولة مستقلة منفصلة عن الهند ـ ومنها جامعات : كلكوتا ، وحيدراباد ، ودلهي التي ذهب اليها استاذا زائرا .

اما جامعة بودابست فقد تولى جرمانوس فيها كرسي التاريخ الاسلامي منذ عام ١٩٢٠ ، وظل يحاضر في الثقافة الاسلامية والادب العربي حتى احيل على التقاعد عام ١٩٦٤ ، بعد ان بلغ الحادية والثمانين من عمره .

والى جانب المهام الدراسية والعلمية كان الاستاذ الحاج عبد الكريم جرمانوس ، ولا يزال الى اليوم ، عضوا في البرلمان المجري ، وفي الاكاديمية المجرية للعلوم ، وفي اكاديمية البحر المتوسط الايطالية ، وعضوا مراسلا في مجامع اللغة العربية في القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ، وعضوا في الجمعية المجرية لليونسكو .

ولجرمانوس صداقات متينة مع اعلام الفكر والعديد من الزعماء في العالم العربي والعالم الاسلامي . وهو يتلقى العديد من الرسائل من البلدان العربية ، ويجيب عليها ، حريصا على استمرار صلته هذه وتقويتها ما استطاع . وهو يقرأ ما يصل اليه من الكتب من اصدقائه الادباء العرب ، ويكتب اليهم حولها ، او يعرف بها في الصحف . وبيته في بودابست مفتوح لكل كاتب ، او صحفي ، او سياسي عربي او مسلم يزور بودابست .

هذه الحياة الطويلة ، الغنية بالكفاح والعمل في خدمة الثقافة العربية والاسلامية كانت ثمارها غنية مثلها بالرحيق الطيب . وجدير بنا ان نقف قليلا لنرى اشياء من مؤلفات المستشرق الكبير ، ومن ابحاثه النفيسة المطولة في العديد من الصحف بمختلف اللغات ، ولا سيما ما يتعلق منها بالاسلام والثقافة العربية .

من هذه المؤلفات نذكر ما يلي :

١ ـ « الله اكبر ـ كتاب يشتمل على موجز في التاريخ الاسلامي ، وقصة رحلة المؤلف الى الحج . وقد ظهر الكتاب بالمجرية عام ١٩٣٦ ، ثم بالالمانية والايطالية عام ١٩٣٨ .

٢ ـ ابن الرومي ـ ظهر بالالمانية في بودابست عام ١٩٥٧ .

٣ ـ بين فكرين ـ ظهر بالعربية في دمشق عام ١٩٥٦ .

٤ ـ على خطى محمد ـ ظهر بالايطالية في ميلانو ، بايطاليا ، عام ١٩٣٨ .

٥ ـ مختارات من الشعر العربي ، من الجاهلية الى يومنا هذا ـ ظهر بالمجرية في بودابست عام ١٩٦٠ .

٦ ـ تاريخ الادب العربي ـ ظهر بالمجرية عام ١٩٦٢

٧ ـ رحلات ابن بطوطة ـ ترجمها الى المجرية ، وظهرت في بودابست عام ١٩٦٣ .

ولديه الان كتابان مخطوطان : احدهما بالالمانية ، وعنوانه « نهضة الروحانية العربية » ، والثاني بالانجليزية وعنوانه « الادب العربي في اميركا » .

اما دراساته وابحاثه المنشورة في الصحف فعديدة جدا ، ومتنوعة جدا ، والذي يهمنا منها ما يختص بالتراث الفكري العربي والاسلامي . ومن هذه الابحاث نذكر :

١ ـ القومية العربية ـ ظهر بالفرنسية في المجر عام ١٩١٨ .

٢ ـ الاساس اللغوي للوحدة العربية ـ بالانجليزية عام ١٩٥٠ .

٣ ـ مصادر الف ليلة وليلة ـ بالانجليزية عام

رائف يخاصمني

هذه هي القصيدة الثانية يكتبها الشاعر من أجل حفيده « رائف » ابن بنته « ذكاء » وقد ظهرت الاولى في « الاديب » لشهر اكتوبر ١٩٦٩

★

ماذا جنيت سوى ضم وتقبيل ... حتى تمنيت تعذيبي وتقتيلي
لئن نسيت لك الحلواء جاهزة ... من بعد وعد صباح فيك موصول
تبغي لي الهجر في قرب يعذبني ... وفي ذنوبي ما عذري بمقبول
القلب ، منك صغير ، كيف ضيقه ... يحوي الخصومة في بغض وتهويل
وقفت لي خلف باب الدار منتظرا ... جيبي المليئة من غال وماكول
يا ويح قلبي وما أنسيت ما صنعت ... بي الخطوب لدن جاوزت مدخولي
لقد تمنيت عودا كي أجيء بما ... يرضي حبيبي ولو ضاعفت مبذولي
ولم أسغ في ظهير لقمة . واذا ... بي ذاكر لعبة غنت بترتيل
هببت أحضرها ، فالطفل منطلق ... يسعى الي بتقبيل وتوصيل

أرى النفاق مع الانسان من صغر ... عزيزة فيه تنمو بعد تحويل
كان الصغير يداجيني لاحمله ... واترك الاخت تبكي دون مأمول

يا (رائف) الروح، راض منك ما طلبت ... منا الحياة على قبح وتجميل
لولا خصامك ما راق الوصال لنا ... ولا وجدت لحب طعم معسول
تركت اختيك في وجد ومحسدة ... لو تعرفان بشعر فيك مفلول
هما اللتان بتحنان أرى لهما ... حبا صراحا بطهر القلب مغسول

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩٥١ .

٤ ــ محمود تيمور والادب العربي المعاصر ــ بالانجليزية عام ١٩٥١ .

٥ ــ الجغرافيون العرب ــ بالانجليزية عام ١٩٥٤ . وقد ترجم فيما بعد الى العربية وظهر في مجلة «الوعي» في القاهرة .

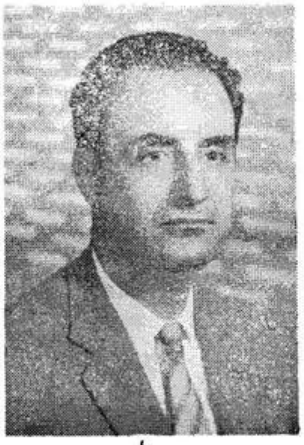
٦ ــ اختراع اسلامي للكتابة للعميان ــ بالانجليزية عام ١٩٥٦ .

٧ ــ الادب العربي في اميركا ــ بالايطالية عام ١٩٦٧ .

٨ ــ الجهاد ــ بالمجرية عام ١٩١٤ .

وهذا في الواقع قليل جداً من ابحاث الاستاذ الحاج عبد الكريم جرمانوس في الثقافة العربية والاسلامية ، يقتضينا الواجب وعرفان الفضل لاصحابه ان نذكره الان مع التحية الى المستشرق الكبير ، الذي قدم من الخدمة لثقافتنا العربية خلال عمره المديد ما يستحق كل ثناء وتقدير وعرفان .

عمان ــ الاردن — عيسى الناعوري



ولـدي

★ ★ ★

يستجد الشوق في الصدر الحنان ... ويبين الدمع مـا يخفـي الجنان
لـك من قلبي اذا عز الحمـى ... معقـل طـال وسيـف وسنان
ولـدي مـا أنـت الا منيـة ... عـذبت لحنـا ففنـاها اللسان
وكـأنـي بـك مـن طيب المنـى ... ثمـل طاحت بـه العمـر دنان
بـي مـن نجـواك لحـن مشرق ... وهـوى كالجمـر يذكيـه الحنان

انت في قلبـي وان دار نـأت ... بيننـا او شط بي يـوما مكـان
حلـم رف جنيـا يـانعـا ... منك فـي جفنـي فمسته البنان
وبقلبـي مـن أقاصيص الهـوى ... سـور تتـلى وشعـر وبيان
أنـا ان أغمضت جفنـا للكـرى ... مـن عيـاء هب يرعـاك الجنان
رب راع لـك مـن قلبي هفـا ... قائمـا والليـل ألحـان حسان
يبصر القلب جليـا مـا خفـى ... مـن دقيق حين لا يغني العيان

أجـد الدنيـا علـى عـلاتهـا ... بـك جنـات وان جـار الزمان
ويهـون الصـعب حتـى يستوي ... بـك فـي الحالين قسـر وليان
لـم اكـن قبـلا لأنسى تـرة ... عـن مسيـىء وبكفـي سنان
كنت أجـزي الشـر بالشر ولا ... أستطيب السلم ان جـد الطعان
فتـراني اليـوم ابكـي ظالمـي ... مـن حنـان ويدي الدهـر امان
تسـع الرحمـة مـا ضاق بـه ... جامح الاهـواء والقـلب الجبان

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انه جدي ... اجل فانا اعرفه تماما ، بقامته النحيلة الفارعة ، ووجهه المتغضن ويديه المعروقتين ، وشعره الابيض كقطع الثلج ، ووقاره المحبوب .

كان الليل يبدو خلال النافذة اسود حالكا ، وحبات المطر تضرب الزجاج بايقاع موسيقي منتظم ، وانا وحيدة في غرفتي الصغيرة أدرس في أحد الكتب المكدسة امامي فوق الطاولة ، كنت اشعر ان كل شيء في مكتبي الجديد على ما يرام ، اثاثه البسيط ، ترتيبه ، والهدوء الذي يشيع في جنباته .

وفجأة قطع علي حبل دراستي شيء غريب ظننته لاول وهلة شبحا، فاذا به جدي وقد جاء يتسلل الي كعادته عندما كان يمل من وحدته اثناء غياب افراد الاسرة ، وجلس امامي في ركنه المعهود قريبا من الموقد وابتسامته المشرقة تعلو ثغره فتضفي على وقاره نقاء وعذوبة مستملحة .

جلس جدي ، وطالت جلسته دون ان ينبس ببنت شفة ، وكان رباطا غريبا يشده الي الصمت المرير الذي كان يخيم على الغرفة ، وعجبت لحاله وسكوته وهو الذي اعتاد ان يضفي من روحه المرحة وقصصه الظريفة ، ونقده الساخر المحبوب على كل مجلس وفي كل مناسبة ما يشيع البهجة والحياة .

... لا ... انا متأكدة انه جدي ، وواثقة من انه يصعب عليه هذا السكوت القاتل ، لكن هل سيتكلم ، يتحدث من جديد ؟ انني اخشى ان لا يفعل ، فانا ادرك اليوم انه لا يستطيع ...

فبالامس البعيد ، امس شتوي بارد ، كان المطر ينهمر بغزارة ، والريح تعصف بشدة وبضع سيارات تتسلق الطريق الموحلة الى قريتنا نائية وفي احداها كان جدي .

لم يكن جالسا ، كأن وقورا ذا مهابة وجلال ، وابتسامته العذبة كما هي ما تزال تشع الغبطة في وجهه النير .

ونظرت اليه كعادتي ارجوه ان يروي لي قصة جديدة ، ولكنه لم يفعل بل اعتصم بالصمت ، وتحولت نظرتي اليه من رجاء الى استعطاف .

هل هو حانق علي ، غاضب مني لامر اجهله ؟ ... لا .. فانه لا يزال يبتسم ، حتى ظننت انه سوف يضحك بملء فيه ، حسنا انه راض ، وهذا شيء جميل يطمئن البال ، ويثلج الصدر .

ما تزال الريح تلفح وجوهنا من النافذة الصغيرة قوية باردة ، والمطر يضرب بشدة جوانب السيارات وهي تزحف وئيدة على الممر الجبلي الموحل في طريقها الى قريتنا الغارقة وسط

الشتاء والطفلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم المحامي محمد رؤوف بشير

لجة من الريح والمطر والظلام .

وبعد قليل سمع عواء جرو صغير ، وخوار بقرة ، وثغاء بضع نعاج لقد وصلناها اذن وها هي اضواؤها الباهتة تلوح كيراع صغار في ليلة ليلاء ، واقبل اقرباؤنا يتراكضون نحو السيارات انهم جماعة من الفلاحين الطيبين ، قوم سذج بسطاء ، يحبوننا كثيرا ، ويحترمون جدي كثيرا ، كانت صيحاتهم الفرحة المهللة تسبقهم الينا ، وها هم يقتربون منا شيئا فشيئا .



حملقوا في وجوهنا ! وقفوا لحظة مذهولين ! ما بالهم قد سكتوا هم ايضا ؟ هل صاب الوجود نوبة من السكوت ؟ ليتكلموا ليقولوا شيئا ، ليرحبوا بنا كعادتهم بل كما كانوا يفعلون منذ قليل وقبل ان يدركونا .

وفجأة دوى صوت غريب ، لم يكن ضحكا ، ولا بكاء او نشيجا ، كان خليطا من صيحات بلهاء لا معنى لها ـ عندي على الاقل ـ ومرت تلك الليلة قاسية ، كئيبة ، ثقيلة ، ضاق بها صدري حتى خيل الي انها لن تنتهي ابدا .

وماتت تلك الليلة اجل انها ماتت فانا اعرف اليوم ان كل شيء يمكن ان يموت ان يسير الى العدم ، الى الزوال ، حتى شمس ذلك اليوم المشرقة ، والارض التي جف وحلها ، وقطرات المطر العالقة بالعشب الصغير وهي تتلألأ صائرة ايضا الى الزوال تماما مثل جدي الضاحك اللطيف المحشور في هذا الصندوق الذي يسير خلفه الناس وقد سموه نعشا لاسباب لا بد وانها وجيهة جدا .

النعش الحبيب فوق الاكف ، يمشي خلفه جمع غفير بخشوع وهدوء ، يمزقه بين الفينة والفينة شهقة بكاء ، او نشيج يختنق في الحنجرة ، اوكلمات قليلة مبهمة، ما تلبث ان تموت هي ايضا بين شفتي صاحبها .

وشيئا فشيئا اخذت تتضح معالم المقبرة ، انها تقع على تلة صغيرة يخترقها طريق يوصل الى البئر الذي ترتوي منه القرية ، بينما ينحدر على جانبيها واديان صغيران وتشرف عليها من بعيد سلسلة من الهضاب المرتفعة .

لقد كان كل شيء فيها كما ارتسم في مخيلتي الصغيرة عندما زرتها اثناء العطلة الصيفية ، كل شيء الا عري الاشجار ، والتماع مياه الامطار فوق الصخور وهي تعكس نور

الصوت والاصداء

اطل في الافق صوت ... ينساب منه العطاء
فاقلعت تترامى ... من حوله الاصداء
ترف بالهمس آنا ... فتستفيق السماء
تصحو فيصحو طليقا ... فيها السنى والصفاء
وربما يتلوى ... صدى غناه الشقاء
فيسأم الكون منه ... ان هذه الاعياء
حتى اذا ما تلاشى ... وهوم الاصفاء
وابحر الصمت تيها ... وزاده الاشياء
يمر في كل درب ... من الحياة نداء
اني سلكت سبيلا ... ما سار فيه الخفاء

النجف ـ العراق — محمد رضا آل صادق

الشمس فقد كان منظرها شيئا جديدا ظلله بالسواد شعور غامض من الكآبة والحزن .

وقف الجميع ، التفوا حول بقعة صغيرة بعد ان انزلوا النعش ، حاولت الاقتراب والتطلع ، ولكنهم منعوني ـ حتى عمتي الحنون ـ انه شيء مخيف ، مرعب يجب ان لا اراه وان لا اعرفه ...

فانا طفلة صغيرة ، وهناك هوة سحيقة موحشة حيث يذهب الناس ولا يعودون ابدا ، ابدا ، لن نراهم من جديد ، وعجبت لهذا ! ..

لا ... أن جدي سيعود ، اجل تماما كما يعود من ألقى كل مساء حاملا معه الهدايا اللطيفة والقصص الحلوة .

ووقفت مذعورة ، انهم يهيلون التراب والاحجار على النعش الجميل ، وحاولت ان اصيح فيهم جميعا ـ حتى ابي ـ لكي يتوقفوا ، ولكن الصيحة ماتت في فمي الذي بقي مفتوحا ببلاهة ، وبكيت ، دموع غزيرة انحدرت ، انهم يكثرون من التراب ، مسكين هذا الجد الظريف سوف يجد صعوبة كبيرة في زالتها .

والان انتهى كل شيء على ما يبدو ، صوت الحجارة والتراب ، والكلمات الغامضة ، وعاد الجميع .

كانوا يسيرون بخشوع وهدوء غريبين ، لا شيء البتة ، لا كلمات مخنوقة ، ولا حتى نشيج او بكاء ، انهم يسيرون فقط ، يعودون من حيث أتوا ، لا أحد يلتفت الى الوراء كما فعلت انا ... الصغيرة ، انهم كبار ولا ينتظرون ان يعود جدي ، فقد مات ، اجل مات كما فعلت أمي بعد ولادتي بأيام ، ـ هكذا قيل لي ـ فقد تركتني في عالم الاحياء لا شيء سوى روح صغيرة في لفائف من الخرق البالية ، لقد ماتت هي ايضا فهل سوف انتهي مثلها ؟ وهل سوف ينتهي كل شيء ؟ انني اشعر بثقل في راسي ، ودموع في عيني ، واذناي يدق فيهما طبل مجنون ... مات .. مات .. مات .. الجمع الغفير يدور ، البيوت .. الهضاب .. وكل شيء .. مات .. مات .. وعندما فتحت عيني كنت لا ازال اشعر بثقل في راسي وابتسمت عمتي :

« لقد اصابها شيء من البرد وجو القرية لا يناسبها » .

قالت احدى النساء :

المطر ما يزال ينهمر بغزارة ، وحباته تضرب زجاج غرفتي الصغيرة فيشيع في ارجائها موسيقى حزينة. وكل شيء كما كان منذ لحظة ... الاثاث البسيط .. والهدوء المخيم ، حتى نار الموقد ما تزال السنتها تتراقص في ضعف وفتور ، كل شيء ما عدا اثنين فقد تبدلا ، كتابي الذي كنت ادرس فيه فقد انكفأ على الطاولة امامي ، وجدي الذي كان يتسلل هاربا من الصمت العميق .

حلب — محمد رؤوف بشير

اغنيــة عنــد البــحر

صباح الدين كريدي

حلب ـ سورية

حبيبتي ، وانت في بيروت
توجهي للبحر ، لقلبه المليء بالاسرار
بوجهه الصمــوت
ورفرفي كنورس مهاجر صغير
خوضي غمــار الموج
تراكضي ، تراقصي ، تدحرجي على الرمال
تضاحكي ، تضاحكي من اعمــق الزوايا
واطلقي الشراره ، أغنية عظيمة قويه
كالبحر ، كالاله ، كالانسان
كالريح عبر غابة القصب ، كالنار في القصب !

كوني غناء الطير والاغصان والطيور
كوني اندفاع الموج والامواج والصخور
كوني لقاء طالعا من ظلمة الفراق

•

كوني هتاف البحر لي ..
كوني هديــر الموج بي ..
كوني عطاء البحر لي جنية صبيه
تخرج من محارة في شاطىء منسي
نقية كلؤلؤه ، مشرقة كزنبقه
رائعة كحلم وردي
تدور في الهواء .. تطير في الهواء
تجيئني ، تضحك في عيوني
تضعني مواجها لـ ـ الحب
آخذها .. تؤود في يميني ،
تمتد مثل البحر عند صدري
المسها ، اشمها ، اضمها
تفرد فوقي شعرها المعطر الطويل
تجعل منه الفــرش والغطاء والوساد
الصقها بصــدري
تلفحني من فمها انفاسها السريعة الدفيئه
ينسحب الزمان والمكان من خيمتنا الصغيره
أهمس عند فمها ، مرتعشا ، بالحب
تهمس لي انفاسها بالحب
تمضي معي رشيقة ، راغبة ، حيية للحب
ندخل في العوالم الغريبه
نقطف من اشجارها ، نرشف من مياهها
تسحرنا العوالم العجيبــه
فلا نعود ، ولا نموت !!

•

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نقولا يوسف

علي العزبي شاعر دمياط

بقلم نقولا يوسف

* * *

اعتاد مريدو هذا الشاعر العربي وتلاميذه ان يطلقوا عليه لقب « شاعر دمياط » مع ما انجبت هذه المدينة العتيقة في شتى عصورها من شعراء مبرزين كثيرين غيره .. ويرجع ذلك فيما يبدو ، الى ان علي العزبي لم يبرح مسقط راسه هذا طيلة حياته ـ نحو ستين عاما ـ الا فيما ندر .. وكانت بلدته المسرح الرئيسيّ الذي مثل عليه ادواره ، شاعرا وخطيبا ومعلما وصحفيا ، وجلها ادوار متصلة بحياة المدينة وحاجياتها واهتماماتها واهتمامات اهلها في عصره .. وقد نجم عن ذلك ان حصرت شهرته وتقديره في حياته وبعدها ، بين اهل اقليمه ، وان كان قراء شعره من بلاد اخرى قد عرفوه من الصحف والمجلات .. ولم تعرفه الا قلة من الجيل الحديث لان ديوان اشعاره المنشورة والمخطوطة لم يجمع بعد فيتداوله القراء والنقاد .. ولعله يجمع وينشر في يوم قريب ..

وقد ولد الشاعر علي العزبي عام ١٨٨٣ (وقيل قبيل ذلك) بدمياط المدينة القديمة الجاثمة عند مصب النيل الشرقي شمالي الاقليم المصري ، وبها قضى حياته ، وبمدارسها تعلم وعلم .. وبها انشأ معهدا للتعليم ، ونظم الشعر وكتب وخطب ، واسهم في شؤون بلده الاجتماعية والثقافية ، حتى فارق دنياه يوم ٩ من يناير عام ١٩٤٢ ، ودفن في ثراه ..

وكان والده « علي العزبي » تاجرا للغلال ، حيث يشتغل سكان الاقليم بالتجارة والملاحة والصناعة منذ قديم الزمان . غير أن الموروثات هناك من الثقافات الدينية والادبية عن شيوخ المساجد والمعاهد ، والادباء المبرزين على توالي العصور ، وما حبته به الطبيعة من صور حسناء ، وجو معتدل وهدوء وصفاء ، كانت من العوامل التي انبتت مواهب ذلك العدد الوافر من الفنانين والشعراء والفقهاء في تلك المنطقة ، وكان منهم شاعرنا العزبي ...

فما ان تلقى الصبي علي العزبي مبادىء التعليم في احدى المدارس الاهلية ببلده ، ثم راح يتردد على معهده الديني مستمعا الى شيوخه في غير انتظام ، حتى تبين له ان حرفة الادب ادركته ، ولا سبيل له الى غيرها .. فاتجه الى المهن التي لا تبعده عن ميوله الادبية كالتعليم والصحافة ...

وبدأ منذ فجر شبابه يعلم بالمدرسة الابتدائية الاهلية التي انشأها مواطنه «علي الحزاوي» عام ١٨٧٣ وسماها : « مدرسة الفتوح الرباني » وكانت من اقدم مدارس المدينة ، وبها تلقى عدد كبير من اهل المدينة تعليمهم الاول ، ومنهم الشاعران المعروفان : علي الغاياتي (١٨٨٥ ـ ١٩٥٦) صاحب « منبر الشرق » ، ومحمد مصطفى الماحي (١٨٩٥) (١) واشتغل علي الغاياتي بالتدريس فيها فترة من الزمن ، مزاملا شاعرنا علي العزبي .. ثم استقل بهذه المدرسة منذ عام ١٩٠٢ المرحوم محمد الحزاوي حتى وفاته عام ١٩٢٥ ، في حين انشأ شقيقه علي الحزاوي مدرسة اخرى سماها : «المدرسة النظامية» وظل يديرها حتى وفاته .. ولم تزل « مدرسة الحزاوي» القديمة عامرة الى اليوم باشراف الاديب الصحفي « زكريا محمد الحزاوي » صاحب جريدة « أخبار دمياط »..

ثم رأى شاعرنا العزبي ان ينشيء مدرسة خاصة يطبق بها مبادئه التربوية والادبية فافتتح عام ١٩٠٦ « مدرسة شمس الفتوح » ، وظل يشرف عليها بقية حياته . ولم تزل هذه المدرسة باقية هناك الى اليوم .

وكان في مقدمة التجديدات التي ادخلها العزبي بمدرسته في ذلك العهد وضع الدين واللغة العربية مادتين اساسيتين في الدراسة . وكان لحرصه على تنشئة تلاميذه على حب الادب والشعر ان اصبح مستوى تعليم العربية رفيعا في معهده .. ثم اضاف الى المنهج مادة « الحسابات التجارية ومسك الدفاتر » لما رأى حاجة تجار بلده وموظفيهم الى الالمام بهذه المعرفة الحديثة، وانتفع عدد من الشباب بها في اعمالهم التجارية والادارية ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم قسم معهده الى فرعين ، فرع لتعليم البنين ، واخر لتعليم البنات على ان يكون التعليم « مشتركا » بين الجنسين في الفرق العليا . وكان بذلك سابقا لزمنه في هذا « التعليم المشترك » الذي يأخذ به اليوم الكثير من المدارس العربية الاعدادية والجامعات ...

كما انشأ عام ١٩١٠ جمعية ادبية دعاها : « جمعية التربية الحقة » ، وجعل مدرسته مركزا لنشاطها. وهناك في بعض الامسيات وليالي الجمعة ، كان يقيم الندوات الادبية . ويدعو الجمهور للاستماع الى المحاضرات والخطب والمناظرات ، والى قصائد الشعر التي يلقيها تلاميذه ممن يدربهم على النظم والخطابة والالقاء . ثم حدث في اوائل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) ان عطلت سلطات الاحتلال هذه « الجمعية » على زعم ان رئيسها علي العزبي – وهو من انصار مصطفى كامل والحزب الوطني ، كان معدودا بين الوطنيين المتطرفين المناوئين للانجليز المحتلين – فما ان انتهت تلك الحرب وشبت ثورة ١٩١٩ حتى عاد شاعرنا الى نشاطه السياسي بخطبه وقصائده ومقالاته الصحفية ، داعيا الى الجلاء والاستقلال ..

وكان قد الف أيضا في معهده فرقة للتمثيل ، ومسرحا يمثل عليه تلاميذه الروايات المسرحية ويلقون الاناشيد ..

وفي مدرسة العزبي تتلمذ عليه عدد من الناشئة الادباء الذين دربهم منذ صباهم على نظم الشعر ، والقائه في المحافل ، بحيث كان أيضا صاحب مدرسة شعرية في اقليمه ، وكان منهم الشعراء : طاهر الجلاوي (١٨٩٨) ، وطاهر الطناحي (١٩٠٣ – ١٩٦٧) ، ومحمود عبد الحي (١٩٠٤) ، وامين المعداوي (١٩٠٢ – ١٩٥٧) ، وفهيم القللي (١٨٩٦ – ١٩٥٩) ، واحمد احمد عبد المجيد (١٩٠٨) ، والبدري محمدين (المتوفي عام ١٩٥٥) ومحمد منيعم (المتوفي عام ١٩٢٣) ، ومحمد كامل جبر .. وغيرهم من شعراء دمياط ..

بينما كان يزاملهم خارجها شعراء اخرون من تلاميذ مدرسة الحزاوي او غيرها ، وينضمون الى الندوات ، ومنهم : علي الغاياتي ، ومحمد مصطفى الماحي ، ومحمد الاسمر (١٩٠٠ – ١٩٥٦) ، وحسن كامل الصيرفي (١٩٠٨) ، وطاهر ابو فاشا (١٩٠٨) ، وطه عبد الفتاح (المتوفي ١٩٥٧) ومحمدمحمد عبد الرازق (١٨٩٥ – ١٩٣٥).

ويروي الكاتب الشاعر المرحوم طاهر الطناحي شيئا من ذكريات صباه في مدرسة علي العزبي ، وتأثره بهذا الشاعر ، فيقول : (٢)

« كنت في صباي اتعلم في مدرسة ابتدائية ببلدتي دمياط ، تدعى « مدرسة شمس الفتوح » لصاحبها الشاعر المجيد علي العزبي . وكان هذا الشاعر – احسن الله اليه – ينظم الاناشيد والقصائد المدرسية والقومية في مناسباتها ، ويجيد الالقاء نظما ونثرا كاحسن ما يلقي الشعراء والخطباء . وكنت مع اثنين من زملائي الفرسان الاطفال الثلاثة الذين يختارون لالقاء بعض القصائد الوطنية، والاناشيد القومية ، في حضرة زائر كبير ، او مفتش قدير من مفتشي « وزارة المعارف العمومية » ، او لقيادة التلاميذ في اناشيدهم المدرسية التي ينظمها علي العزبي في سهولة وقوة .

وكان هذا الناظر الشاعر نابغة دمياط في الشعر . وهو شاعرنا الاول ، بل « شاعر مصر الاول » في نظرنا في ذلك الحين ! وكان يشتد علينا في حفظ القصائد والاناشيد ، واجادة القائها في هذه السن الصغيرة ... وكان للشاعر علي العزبي صلة بشاعر النيل حافظ ابراهيم والشاعر امام العبد . وطالما كان يراسلهما ويراسلانه ، ويداعبهما بالشعر ويداعبانه. وهو في قمة معانيه وفصاحة الفاظه اقرب اليهما من سائر الشعراء . ولكنه كان يميل في بعض شعره الى انواع البديع . واذكر جناسه وثوريته في غزله قوله في حسناء :

جنت وجنيت الورد من وجناتها فقالت من الجاني؟ فقلت أنا الجاني

« وكان القاء هذا الشاعر لا يقل قوة وجودة عن القاء حافظ ابراهيم . بل كان صوته ارق واجمل من صوت شاعر النيل . فكان تأثيره في شباب دمياط اقوى تأثير ! » .

ويروي الشاعر محمود ابو الوفا في بعض ذكرياته ، كيف جاء الى دمياط من قريته بمركز أجا ليلتقي بعلي العزبي ، فالحقه طالبا في المعهد الديني ومعلما بمدرسته وظل بدمياط ثلاث سنوات (١٩١٦ – ١٩١٩) يتعلم ويعلم في رعاية هذا الشاعر ،ويقول : (٣)

« غادرت قريتي الى دمياط لسببين الاول : انني تخيلت دمياط وقتذاك اقصى المعمورة ! وليس من المعقول ان يطرقها واحد من قريتي ! والسبب الثاني ان بها شاعرا اسمه علي العزبي كنت اقرأ شعره على البعد ، وكنت معجبا به اعجابا تخيلت معه انه ولا بد سيبادلني هذا الاعجاب بالاحتضان وتهيئة الحياة لي وتحقق ما توقعته . احتضنني الرجل فعلا ، وادخلني معهد دمياط الديني ، والحقني بالعمل مدرسا بالمدرسة التي كان ناظرها وصاحبها . ووجدتني أعيش وابعث الى اسرتي بما يقيم أودها ويحفظ عليها الحياة .. » .

ويتحدث تلميذه الشاعر الدمياطي محمد كامل جبر عن شخصية العزبي معلما ومربيا : (٤)

« .. كان في كل نواحي شخصيته مدرسة تأثر بها وافاد منها كل من قيض له ان يتعرف اليه عن قرب او بعد . وتشاء الاقدار ان تختار له المجرى الذي ينساب فيه فضله وعلمه ، فلا تختار له الا مهنة التربية والتعليم ، وهي المهنة التي اذا امتزجت بالشخصية القوية ، لم تدع تلميذا تلقى عنها الا اثرت فيه وطبعته على غرار موسم

بسمتها . وهذا هو السر في ان كثيرا ممن كانوا يخالطون هذا الرجل ، لم يكونوا يتأثرون بقوة خلقه او ينطبعون بطابع ادبه فحسب ، بل كانوا اكثر من ذلك يقلدونه في حديثه وتعليقاته » ..

ويعود الى وصف خلق هذا الشاعر المعلم :

« كان سهلا ويسيرا على من يراه ويتحدث اليه ان يؤمن بما لشخصه من قوة ، وقدرة ممتازة ، وكان فوق ذلك يملك ثروة من الخلق امتدت بها اسباب المجد والعظمة ، اما تواضعه فقد بلغ به ابعد مبلغ من الحب والتقدير .. وكان صارم المنطق ، جريء القلب ، رقيق الشعور ، بليغ اللسان ، سريع الخاطر ، عفيف النفس . بل لقد كان آية في احاديثه المتدفقة الممتعة . وكان لا ينفر من لقاء الناس ، ولا ينقبض عن مجالستهم ، ولا يبرم بلقائهم والتبسط معهم . فلقد كانت نظرته تهديه الى المسالمة والرفق » ..

ولئن كان شاعرنا العزبي قد احترف التعليم معظم حياته ، وانشأ له ذلك المعهد للاستعانة على العيش ، فقد اشتغل ايضا بالصحافة والكتابة منذ شبابه ، منقادا الى نزعته الادبية . وظل ينشر قصائده الوطنية والوجدانية والاجتماعية ، ومقالاته وتعليقاته في الصحف اليومية والمجلات الادبية خارج مدينته ومنها : اللواء ، والشعب ، والمنار ، والهلال ، وانيس الجليس ، والمفتاح ، وفتاة الشرق .. وغيرها من الصحف التي عاصرها واحتجب اليوم اكثرها ، وبها عرفه قراؤها . ولم تزل آثاره القلمية هذه مطوية في مجلدات تلك الصحف تنتظر البعث والنشور ...

وعندما اصدر مواطنه « محمد عطية الحرايري » جريدة « دمياط » الاقليمية الاسبوعية عام ١٩٣٦ ، عاونه علي العزبي على تحريرها واصدارها ، بل كان في الواقع « رئيسا لتحريرها » والروح المهيمن عليها .. واخذ يكتب بها ، وينشر شعره على صفحاتها منذ صدورها حتى يوم وفاته (١٩٤٢) ثم ورث بعده هذا الاشراف على تحريرها واخراجها تلميذه زكريا الحزاوي ، الذي كان يتمرس بالصحافة ويتدرب على يدي علي العزبي ، فثابر على اصدارها وتطويرها حتى عام ١٩٤٩ حين تركها وانشأ صحيفته الاسبوعية الجديدة : « اخبار دمياط » التي ما برحت تنشر هناك في انتظام الى الساعة ، يعاونه على تحريرها عدد من ادباء دمياط المعاصرين ...

غير ان موهبة العزبي الشعرية التي عرف بها في اقليمه وخارجه ، طغت على سائر مواهبه واعماله ـ معلما وخطيبا وصحفيا ـ فلم يعد يذكرها غير القلة من مواطنيه وتلاميذه .. ثم كان لاحتجاب قلمه طوال تلك السنين التي اعقبت وفاته ، ولتوقف جمع آثاره القلمية وفي مقدمتها ديوان اشعاره ، وطبعها ونشرها ، ما حال بين قراء الجيل الحديث ونقاده ، وبين التعرف على الشاعر وشعره .

لقد خلف الكثير من قصائد الشعر المنظومة في شتى الاغراض كالشعر الوطني والسياسي ، والوجداني والعاطفي ، والديني والفلسفي ، ثم الشعر التقليدي في قصائد المناسبات والمساجلات والمداعبات ، في المدح والرثاء والغزل والعتاب .. فقد كان الشاعر مرتبطا بعصره وظروفه ، وبتقاليده وملابساته .. ونشأ في زمن يحتذى شعراؤه من تقدمهم من فحول الاقدمين والمحدثين في قوالبهم واسلوبهم ، وكان العزبي كما يدل اسلوبه العربي المكين ، مطلعا على الكثير من الشعر القديم والحديث ، وكان في مقدمة المحدثين الذين تاثرهم : البارودي وشوقي وحافظ ابراهيم .

ويصور لنا بعض تلامذته من شعراء دمياط ، شعرة كما عرفوه في صحبته وقد اصبح الكثير منهم من المجلين في هذا الميدان ، فيقول الشاعر طاهر ابو فاشا : (٥)

« .. وكان علي العزبي بعد هذا وقبل شاعرا جهيرا في دمياط يملأ الاسماع والعيون، ويصدو شعره في طبقة لا بأس بها من الشعراء المحفليين . وكان حسن الالقاء ، يرفع شعره بالقائه درجات . فيروج شعره بين الجماهير رواجا منقطع النظير . وكان وفيا في اول الامر ، وله في سعد زغلول مأثورات . فلما انقلب على الوفد غفر له شعره ، ولم يلق من أذى الكافة ما لقيه غيره ، بل تقبلوا ما كان ينظمه ويكتبه . واعتبروه من باب احسن الشعر اكذبه ! والعزبي صاحب المدرسة الشعرية التي تخرج فيها البدري محمدين ، وفهيم القللي ، وامين المعداوي ، وطاهر الجبلاوي ، ومحمود عبد الحي .. وغيرهم من شعراء دمياط الاحياء والاموات .. »

ويقول تلميذه الشاعر محمد طاهر الجبلاوي : (٦)

« كان الشعر يتعثر على يد الشباب ، ويمشي على عكازين في يد الشيوخ حين ظهر علي العزبي . ولا اعرف من شعراء دمياط المجيدين احدا يصح ان نسلكه معه في الحقبة التي ظهر فيها ، غير شاعرين هما : حمدي النشار ، وعلي الغاياتي والاول رحل الى الاسكندرية وعاش فيها . وكان ينشر شعره في مجلة « الملاجيء العباسية » التي كانت تصدرها « نظارة الاوقاف » . والثاني انتقل الى القاهرة ، وكان ينشر شعره الوطني في جريدة « اللواء » . اما علي العزبي فاقام بدمياط ولم يبارحها . وكان شاعرها المرموق قرابة نصف قرن من الزمان لا يقام حفل الا دعي للكلام فيه ، وكلامه كله شعر . رايته يلقي قصيدتين في حفلتين للمولد النبوي الكريم في

(١) يروي الشاعر محمد مصطفى الماحي بعض ذكريات صباه بمدرسة الحزاوي (١٩٠٤ ـ ١٩٠٦) في ملحق ديوانه ١٩٦٨ ص ٤٤٢ .
(٢) طاهر الطناحي « كتاب شوقي وحافظ » ـ كتاب الهلال مايو ١٩٦٧ ص ١٥ . (٣) من مقالة عن محمود ابو الوفا بمجلة « قافلة الزيت » .
(٤) جريدة « اخبار دمياط » ١٧ يناير ١٩٤٩ . (٥) « اخبار دمياط » في ٢١ اكتوبر ١٩٦٣ . (٦) « اخبار دمياط » في ٣٠ يوليه ١٩٦٢ .

الاغطل الصغير

أغمضت عينيك في بطء وفي خدر ... ففاض سحر الرؤى من وجهك النضر
ورحت للملأ الاعلى الى سفر ... للخلد في موكب في الغيب مستتر
ونفحة الشعر مذ ووريت في جدث ... تركتها في متاهات من الضجر
ترود لبنان تبغي منزلا عرفت ... فيه فتى عاش من نجواه في سهر
عند العشيات ترتاد الربى وعلى ... جبينها ومضات التيه والكدر
تهيم في كل واد كان يطرقه ... وتسأل النجم عن ماواك في السحر
وفي يديها تراتيل موقعة ... من وحي قيثارة مسحورة الوتر
حتى اذا ما تلظى في جوانحها ... طول التساؤل بين الارض والقمر
عادت الى خدرها المعهود واجمة ... فاسدلت فوقها سترا ولم تطر

وران صمت على وادي العقيق فلا ... غنت به شاديات البدو والحضر
والمنشدون بليلات الهوى سكتوا ... عن الغناء فدب الصمت في السمر
والارز كم ساءل الصفصاف في سحر ... عنه وللرعد تسأل وللمطر
ان الطبيعة تبكيه وتندبه ... رياحها في ظلام الليل في الشجر
واعمق الحزن احساس وعاطفة ... ذابت من القلب وانسابت على وتر

أوفى على الملأ الاعلى وفي فمه ... ما اودع الشعر من آياته الكبر
واستقبلته عذارى الخلد مشرقة ... بالورد والنغم النشوان والزهر
وسار في ركب (هوميروس) مبتدعا ... الياذة رددتها الحور في زمر
حسب الخلود وحسب الشعر ملحمة ... تروى على مسمع التاريخ في العصر

البحرين — احمد محمد آل خليفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليلة واحدة . وكانت المنافسة كبيرة بين المحتفلين بالمولد، فلم يشأ ان يفضل فريقا على فريق حين دعي لحفلين ، والقى قصيدتين في طبقة واحدة من الجودة .

فلما قامت ثورة الشعب سنة١٩١٩ كان يعاني مرضا شديدا الزمة الفراش بضعة اشهر . وقد تكونت مظاهرة كبيرة في دمياط تهتف بالحرية والاستقلال ، وسارت في شوارع المدينة حتى وصلت الى منزل الشاعر فوقفت ، وعلا صوت المتظاهرين تحت شرفته يطالبونه ويناشدونه الكلام ، فاطل عليهم والقى بضعة ابيات من قصيدة كان قد نظمها وهو على فراش المرض ومطلعها :

يا شباب الحمى وخير الشباب ... انقذوا مصر من نيوب الذئاب

وتولى احد الشباب القاء باقي الابيات .. »

ثم يقول :

« فلما أبل العزبي من مرضه كان النجم البازغ في سائر الحفلات الوطنية ، ويسير في شعره ببساطة وسهولة لانه كان يخاطب الجماهير . ولكنه مع ذلك لا يتنزل الى درجة تخالف ما طبع عليه من الاجادة .. اذا رايته وهو يلقي قصيدته ، شغلك بحسن طلعته وسمته الوقور ، وصوته العذب ، فاستسلمت له بسائر احاسيسك وان كنت ممن لا يتذوقون الشعر . على ان الشاعر كان يعرف كيف يؤثر على الجمهور ، ويفطن الى المواطن التي تستهويه . وكان كثيرا ما يضمن قصيدته آية قرآنية مثل قوله في الدعوة الى انتخاب النائب الصالح للنيابة :

ولا تشق بمن يخون الحمى ... ببدرة او رتبة او وسام
ويشهد الله على ما ... في قلبه وهو الد الخصام .. »

ونظم في أثناء مرضه قصيدة جاء بها :

والذي يحسد في ميتته ... من يلاقيها على غير انتظار

ثم تحقق رجاؤه حين مات على غير انتظار (في ٩ من يناير ١٩٤٢) .

ومن شعره في فلسفة الحياة والموت بأحدى مراثيه :

خلود وهل للصالحات فناء ... وموت وهل للحادثات بقاء ؟
وكون ملىء بالغموض وانما ... له الفاجعات الرائعات جلاء
رأيت الورى ركبا سراعا لموعد ... على انهم عند الظنون بطاء
وعيش الفتى ما لم تزنه محامد ... بوار وايام الحياة هباء
وللـه سر في الخليقة غامض ... لديه استوى الجهال والعلماء

الاسكندرية — نقولا يوسف

شرفات النور

ولـدوا فـي عاصف الريح ، وفي ... قهقهات المـوت . ابطالا عظاما ..
ولقـد تسكـر ازهـار الربـى ... في جنون الشوك .. عطرا وغـراما
ورنين القـفر ، ينـداح هـوى ... نبوي الشوق .. يأبـى ان يضـاما
ولقـد ينجـب عمـلاق الـدجى ... من سنى الفجر .. حساما، وحساما

حدق التاريخ . شدت طـرفه غربة .. تشمخ صمتا .. واقتحاما
حملوهـا فـي رؤى اهـدابهـم ... أدمعا ثكلـى .. واطفالا يتـامى
وترابـا ، طـاهـرا ، دنسـه ... غاصب .. ينتهـك الارض الحرامـا
وشهيدا .. شـرب النـور عن الـ ... ـغربة المرة .. والعار .. فطـاما
حملوها .. حملـوا الحق وللـ ... ـحق ان يعلو انطلاقا ، والتحامـا

كلمـا الشمس ارتمت فـي مقلـة ... نفض المـوت فـدائي .. وقـاما
لـم يـزده المـوت الا روعـة ... وجليـد المنتـأى .. الا ضـراما
بعثـوا مـن مـوتهم . وانتفضـوا ... مثلمـا يصطخب البحر اضطرامـا
اي حلبـان .. علـى اكتـافهـم ... تـزرع الاهـداب حبـا ، وسـلاما
أنهـر تضـرب وجه الريح ـ والريـ ... ـح تشتـد انقادا ، واحتـدامـا
نسكب الخصب .. فيـا صحراءنـا ... مـوجي في أعين الرمـل الغمـامـا
واعصـري لفـح الاسى .. أغرودة ... تفسـل الآفـاق ثـأرا ، وانتقـاما

شرفاتـي .. للعصافير .. وللـ ... سحب فـي اي البحيرات استنامـا
شرفـاتي .. سفـن مخضـرة ... فـي الجراحات ابترادا .. والتئاما
سكرت شدوا ، وقلبـا ، ويـدا ... ونجـاوى متـرعات .. وحمـامـا
ونوافيـر غصـون .. أثمـرت ... فـي شفاه الدهر صبحـا مستهاما
وعلـى مفرقـه غارا .. وفـي ... صـدره المشـرع للريـح وسـاما
شرفـاتي ... للسنـى مفتـوحـة ... لـم يغلقهـا الدجى الا لمـامـا
وأنـا أدري ، وادري ، ان مـن ... يطلع النور .. غـدا يحيي العظاما
ان مـا شيـده الطاغـي سينـ ... ـهار في دمدمة الحق .. حطـاما

اللاذقية ـ سورية

فيصل خليل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النحو العربي والمنطق اليوناني

بقلم الدكتور عبد العال سالم مكرم
المدرس بجامعة الكويت

* * *

لا جدال في أن نشأة النحو العربي كانت مرتبطة بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا ، فلولا هذا القرآن لما نشأ النحو وتطور هذا التطور الكبير ، ذلك لانه بعد ان انتشر الاسلام خارج الجزيرة العربية كانت الحاجة ماسة الى هذا العلم ليصون الالسنة من فساد قد استبد بها ، ولحن قد سيطر عليها ، ولا أبالغ اذا قلت : ان هذا اللحن قد امتد خطره الى كتاب الله ، فكثر التحريف ، ونطقت الايات على غير ما تنطق به حينما تقرؤها الالسنة التي نشأت في بيئة أعجمية ، ولن تتمرن على النطق السليم .

وظل اللحن يتفاقم خطره يوما بعد يوم مما جعل عمر بن الخطاب يأمر بجلد من وقع في اللحن كان اللاحن ارتكب جريمة لا يكفرها الا الجلد ، مع ان الجلد عقاب من يرتكب الكبائر كشرب الخمر ورمي المحصنات .

ويحدثنا الرواة ان كاتب ابي موسى الاشعري كتب الى عمر بن الخطاب على لسان الوالي أبي موسى : « من ابو موسى ... » فكتب اليه عمر « سلام عليك : أما بعد فاضرب كاتبك سوطا واحدا ، واخر عطاءه سنة » .

وروى الجاحظ انه ارتفع الى زياد رجل واخوه في ميراث فقال : ان ابونا مات وان اخينا وثب على مال أبانا فأكله ، فأما زياد فقال : ان الذي اضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك . وأما القاضي فقال : فلا رحم الله أباك ، ولا نيح عظم اخيك (١) قم في لعنة الله . « ولا استطيع في هذا البحث الموجز ان أعدد صور اللحن في القرآن الكريم وصور لحن الخاصة والعامة ، فقد سجل الكثير منها الجاحظ في « البيان والتبيين » والذي يهمني ذكره هنا هو ان هذا اللحن على الرغم من كثافته كان يواجه بحرب عنيفة لا هوادة فيها ، فعبد الملك بن مروان يقول : اللحن هجنة على الشريف .. وابان بن سعيد يقول: اللحن في الرجل ذي الهيبة كالدنس في الثوب الجيد . ويخطيء الحجاج فيوجهه ابن يعمر ، فتثور ثورته ، وينفي ابن يعمر الى خراسان حتى لا يكتشف أمره فتضيع هيبته .

وكانت اكبر ثورة مقدسة وجهت ضد هذا اللحن الوافد تتمثل في نشأة النحو العربي حفاظا على كتاب الله تعالى من التحريف ، وصيانة للغته من الضعف .

وعلى الرغم من الروايات العديدة التي دارت حول نشأة هذا العلم فان الراي الراجح انه نشأ على يد ابي الاسود في خلافة علي كرم الله وجهه .

والذي جعلني أستريح الى هذا الراي هو ان أبا الاسود كما يقول المؤرخون عنه : من أكمل الرجال رأيا ، وأسدهم عقلا .

وكان له حس مرهف بمواقع الخطأ حينما تنحرف الالسنة عن جادة الصواب والروايات التي قيلت عنه في هذا المجال عديدة سجلتها كتب الادب وتناقلتها السنة الرواة ولا ادل على ذلك من هذا العمل العظيم الذي قام به وهو تنقيط المصحف تنقيط أعراب ، فقد طلب من زياد أن يبعث اليه بثلاثين رجلا، فأحضرهم زياد ، فاختار منهم أبو الاسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس ، فقال له :خذ المصحف ، وصبغا يخالف المداد ، فاذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف واذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله .. فابتدا بالمصحف حتى اتى على اخره » .

هذه رواية ابن الانباري في كتابه «نزهة الالبا» وهي دليل واضح على ان ابا الاسود هو الذي وضع البذور الاولى للمصطلحات النحوية ، ثم جاء خلفاؤه من بعده وساروا في هذا الطريق حتى نما النحو على يدهم واتى ثماره بفضلهم .

هذا ، ولم يكن النحو الذي تطور على يد النحاة بعد ابي الاسود نحوا منطقيا لان النحاة استقرءوا كلام العرب ، شعرهم ونثرهم ، وحاولوا ان يضعوا في ضوء هذا الاستقراء قواعدهم التي توصلوا اليها ، وهذا امر طبيعي ، فالخليل بن احمد مثلا استخرج بحور الشعر العربي من استقراء أشعار العرب . وحاول بعلم العروض الذي ابتكره ان يرد جميع ما ورد من أشعار العرب الى أوزان قلما تتخلف .

اقول فعلى هذا المنوال نسج النحاة الاولون في مجال بناء القاعدة ، او وضع الاصول النحوية .

حقا : ان عبد الله بن أبي اسحاق أخذ عن « عنيسة الفيل » تلميذ أبي الاسود وقد قالوا عن عبد الله : انه اول من علل النحو ، وكان شديد التجريد للقياس مما دعا الزميل الدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه « النحو العربي » الى ان يقول ما نصه ص ١٩ « ان التماس العلة والتمسك بالقياس لا يلتئم والطبيعة النحوية وكان عليهم ان يقتصروا على وضع شيء يعصم اللسان من اللحن الى ان يقول : ولكن النحاة ابتداء من عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي ساروا في هذا السبيل محاكاة للمناطقة والمتكلمين ، واصحاب الجدل ، وكان من تمام الادوات لدى المثقف ان يلم بمنطق أرسطو ، واراء افلاطون ، وحكمة

سقراط . ولذلك اقبلوا على ذلك اقبالا ، كلفهم عناء ، ولا سيما في علوم العربية » .

وأحب ان اذكر للزميل الفاضل أن قياس النحاة من عصر ابي الاسود الى سيبويه لم يكن قياس منطق او جدل ، بل قياس قطرة وطبيعة ، فالانسان بحكم ادراكه يقارن بين الاشياء فيعرف ما اشتبه منها وما لم يشتبه ، ما اتفق وما لم يتفق . ثم يستنبط من هذه الظواهر المتشابهة ، او الظواهر المتقاربة مقاييسه واصوله ولا ادل على ذلك من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال له : كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟

قال : اقضي بما في كتاب الله . قال : فان لم يكن ، قال فبسنة رسول الله ، قال : فان لم يكن في سنة رسول الله قال : اجتهد رأيي ولا آلو . قال معاذ : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري ثم قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله .

وفي هذا النص ما يدل على أن من أصول التشريع الاجتهاد بالرأي وهو القياس ودليل اخر : فقد رووا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى قاضيه أبي موسى الاشعري (الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . اعرف الاشياء وقس الامور عندك ذلك) هل تأثر معاذ حينما يجتهد برأيه فيقيس بمنطق أرسطو ، أو جدل فلاسفة اليونان ؟ وهل كان عمر بن الخطاب يجري على سنن المنطق اليوناني حينما يقول : اعرف الاشياء ، وقس الامور عند ذلك ؟

الامر في نظري لا يعدو انه من طبيعة الانسان أن يبحث عن العلة او السبب في كل حكم يصدره وفي كل رأي يميل اليه .

اكبر الظن ان بعض المستشرقين لا يسلمون بأن النحو عربي النشأة وانما نقل الى بلاد العرب من اليونان وبذلك تسربت العلة الى بنائه وكان القياس الاساس الاول في كل احكامه . والحقيقة ان هذا القول يفرض ، فان المستشرقين الذين وضعوا الحق نصب أعينهم اعترفوا بما لا يدع مجالا للشك انه كما تنبت الشجيرة في أرضها كذلك ينبت علم النحو عند العرب .

ومن الرائع في هذا المجال ان اسجل شهادة «يوهان فك » حيث ذكر في مقدمة كتابه « العربية » ما نصه : « ولقد تكتلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل ، وتضحية جديرة بالاعجاب ـ يعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها من ناحية الاصوات والصيغ وتركيب الجمل ، ومعاني المفردات على صورة محيطة شاملة حتى بلغت كتب القواعد الاساسية عندهم مستوى من الكمال لا تسمح بزيادة لمستزيد » . وحتى في العصور المتأخرة بعد ترجمة منطق اليونان وفلسفة سقراط وارسطو الى العربية احتفظ النحو العربي باستقلاله التام ، وطابعه الخاص وأقيسته المتميزة ، ذلك لان اقيسة النحاة تسير في درب واقيسة المناطقة تسير في درب اخر .

ولقد اشار الى ذلك ابو حيان التوحيدي في كتابه « الهوامل والشوامل » فقد جاء في صفحة ٢٩٣ ما نصه : « سئل بعض العلماء بالنحو واللغة فقيل له : ايستمر القياس في جميع ما يذهب اليه في الالفاظ ؟ فقال : لا ، فقال السائل : فينكسر القياس في جميع ذلك ؟ فقال : لا فقيل له : فما السبب ؟ فقال : لا ادري ولكن القياس يفزع اليه في موضع ويفزع منه في موضع .

قال ابو علي مسكويه مفسرا هذا الكلام : أما قياس النحويين فليس مبنيا على أوائل ضرورية فلذلك لا يستمر وانما اجاب هذا الرجل العالم بالنحو عن القياس الذي يخص صناعته ولم يلزمه الا ذلك . فاما الفيلسوف فقياساته كلها مستمرة لا تنكسر منها شيء ولا سيما ضرب من القياس يسمى برهانا .

وما لي اذهب بعيدا والخليل نفسه لم تكن اقيسته الا من وحي الفطرة والطبيعة مع ان السيرافي كما نص على ذلك السيوطي في بقية الدعاة يقول عنه : « كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه » وما اظن أن السيرافي يعني انه تتلمذ على الفكر الارسطي وتأثر بمنهجه في القياس ، وانما كان يعني في رأيي ان الخليل كان يدرك بذكائه الخارق ، وفكره المتقد ، وعقليته النادرة ظواهر الاساليب العربية ـ فيقيس اسلوبا باسلوب ، وظاهرة بظاهرة فيستنبط ما يريد ان يستنبطه من قواعد .

ولا ادلال على ذلك من اجابته الرائعة حينما سأله بعض العلماء :

« أعن العرب اخذت هذه التعليلات أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال الخليل : ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله وان لم ينقل ذلك عنها ـ وعللت انا بما عندي أنه علة لما عللته فان أكن اصبت العلة فهو الذي التمست وان تكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل ان يكون علة له ، ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل دارا محكمة البناء ، عجيبة النظم والاقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق والبراهين الواضحة فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال : انما فعل هذا (هكذا) لعلة هي (كذا) لعلة سنحت له وخطرت فجائز ان يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي

(١) دعاء عليه بالهلاك . (٢) تاريخ الفلسفة الاسلامية : ترجمة الدكتور ابو ريده ص ٣٥ . (٣) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ـ ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٢٨ . (٤) تاريخ الفلسفة الاسلامية : ت ـ ج دي بور ص ٥٧ ترجمة ابو ريدة .

منفاي هذا العالم

لا ضـــوء .. لا اطمئنـــان لا ... رؤيـــا .. ولا حتـــى ألـــم
لا صـوت فالصـوت احتمـا ... لات كاوهـــــام الاصـــم
والرعـب فـي أعمـاقنـا ... مخضوض سـمح الديـم
والهـاربـون .. تزاحمـوا ... والسـعي مختلـط القيم
لا الخـير خـير .. لا ولا ... شـر ولا مـــدح وذم
والـدرب منسـي الملا ... مح ، تائـه فيـه النغـم
وأنـا هنـا .. منفيـة ... لا خصـم عنـدي لا حكـم
فرحـي تـولى لا هنـا ... لا حـزن حتـى لا نـدم
لا دفء لا ! . فالثلـج قـد ... غمـر الـروابـي والقمـم

لا ضـو ، لا اطمئنـان ، لا ... رؤيـا ، ولا حتـى ألـم
لا ليس لـي الا احـترا ... قـي عـبر حرفـي والقلـم

دمشق — سلافة العامري

ذكرها هذا الرجل الذي دخل الدار وجائز ان يكون فعله لغير تلك العلة الا ان ما ذكره هذا الرجل محتمل ان يكون علـة . ثم قال الخليل : فان صحت لغيري علة لما عللته من النحو هي اليق مما ذكرته للمعلول فليات بها » .

والذي اريد ان اخلص اليه في هذا البحـث ان النحاة الاقدمين من عصر ابي الاسود الى عصر سيبويه لم يتاثروا بالمنطق اليوناني ، فتعليلاتهم واقيستهم ليست يونانية الاصل او اجنبية المنبت ولكنها عربية في صميمها استخرجوها في ضوء الفطرة والطبيعة لا في ضوء المنطق والجدل ، ثم نمت هذه التعليلات على يد خلفائهم ، فكمل البناء للنحو واصبح حصنا يحرس بناء اللغة من التصدع ويحافظ على كتاب الله من العامية المستبدة والشعوبية الجـائـرة .

ولو استنطقنا تاريخ ترجمة المنطق اليوناني الـى العربية لرأينا ان هذا المنطق لم يترجم الى العربية فـي هذه الفترة من التاريخ حتى يمكن للنحاة الاوائـل ان يتأثروا به كما يقول بعض الباحثين .

وقد اعترف بذلك كثير من علمـاء الاستشراق نذكر منهم ت.ج. دي بور حيث يقول في كتابه : تاريخ الفلسفة الاسلامية ما نصه : « جمعت الامثال والحكم والخطابات والوصايا . وجمع كل ما له علاقة بتاريـخ الفلسفة بوجه عام وترجم منذ العهـد الاول ... ثم يقول : ولكن لم يشرع في نقل كتب اليونان في الطبيعة والطب والمنطق الى اللسـان العربـي الا في عهـد المنصور . (٢) وخلافة ابي جعفر المنصور في سنة ١٣٦ هـ مع ان ابن ابي اسحاق توفي سنة ١١٧ هـ فكيف تسنى لابن ابي اسحاق ومن عاصره ان يتأثر بهذا المنطق اليونانـي هذا الاثر الكبير .

على ان الترجمة لم تنتشر وتزدهر الا في عصـر المأمون ذلك الذي انشأ لها مدرسة في بغداد سـميت باسم بيت الحكمة وكانت الترجمة في النصف الاول من القرن الثالث الهجري الى السريانية وفي النصف الثاني ازدهرت حركة الترجمة الى العربية شيئا فشيئا (٣) .

من هذه النصوص نتبين في جلاء ان النحو العربي ظل مصونا من اقيسة المنطق الى ان ازدهرت الترجمـة ونقلت الفلسفة والمنطق الى العربية وذلـك في القـرن الثالث الهجري حيث تأثر النحو العربي بعض التأثـر بالمنطق اليوناني وظهرت في بنائه العلل باقسامها العديدة مما صعب النحو وابعده عن العلل الطبيعية التي لا تحتاج الى كد ذهن ، او عناء فكر في استنباطها واستخراجها ولكن مع هذا كله ، فان الحرص البالغ على سلامة اللغة كان هو الدافع الاول لمثل هذه الدراسـات النحويـة العديدة التي ملأت المكتبة العربية بشروحها وحواشيهـا والتعليقات عليها ولا املك في هذا المجال الا ان اختـم مقالي هذا بكلمة المستشرق دي بور حيث يقول : « ان علم النحو اثر رائع مـن آثار العقل العربي بما له من دقة في الملاحظة ، ومن نشاط في جمع ما تفرق ، ويحـق للعرب ان يفخروا به » . (٤)

الكويت — عبد العال سالم مكرم

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

جريس العيسى - صبحي الخضراء

بدوي العلمي

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ ـ جريس العيسى

كان الشعار الذي ظل يردده في حياته الطويلة قوله : « شر الناس من ينصر الظالم ويخذل المظلوم ! » .

وجريس العيسى من العائلة المعروفة في يافا (ولد عام ١٨٦٠) والمشهورة بصلتها بالادب والصحافة ، فهو شقيق حنا العيسى مؤسس مجلة « الاصمعي » (١) وشقيق يوسف العيسى الذي اشترك مع ابن عمه عيسى العيسى في تأسيس جريدة « فلسطين » (٢) ثم لم يلبث ان نزح الى دمشق حيث أسس جريدة « الف باء » (٣) ووالد الصحفيين اللامعين الياس وسبيرو العيسى والشاعر الرقيق سعيد العيسى .

والمترجم له هو من الرعيل الاول من ادباء فلسطين اوائل هذا القرن ، هذا الرعيل الذي يضم تحت لوائه الشيخ ابو الاقبال اليعقوبي « حسان فلسطين » والشيخ ابراهيم الدباغ ووديع البستاني الشاعرين المعروفين ، وجورج حبيب حنانيا صاحب « القدس » (٤) وخليل بيدس صاحب « النفائس العصرية » (٥) ونجيب نصار صاحب « الكرمل » (٦) وسليمان التاجي الفاروقي صاحب « الجامعة الاسلامية » (٧) وبولس شحادة صاحب « مرآة الشرق » (٨) وغيرهم .

لم تتح الايام لهذا النفر من ادباء فلسطين الذين نشأوا في ظل الدولة العثمانية ان يصيبوا قسطا كبيرا من التعليم ، اذ كانت الامكانات جد محدودة تنفيذا لسياسة مرسومة توختها الحكومة العثمانية ، ولم يكن هناك غير (الكتاتيب) المحلية وبضع مدارس تابعة للارساليات الفرنسية والانكليزية والامريكية او معاهد تشرف عليها البطريركية الارثوذكسية الاورشليمية او الارسالية الروسية التابعة لروسيا القيصرية . اما من كان على شيء من الثراء فقد كان يوجه ابناءه الى بيروت طلبا للعلم او الى القاهرة للمجاورة في الازهر الشريف . وكان الطالب في (الكتاتيب) يدرس قواعد القراءة والحساب لا غير .

اما القواعد فلمساعدته على حفظ القرآن الكريم اذا كان مسلما والاناجيل اذا كان مسيحيا ، واما الحساب فلما له من فائدة في حياة الطالب العملية .

ولقد اتيح لصاحب الترجمة ان يلتحق بالكلية اليسوعية في بيروت (الجامعة اليسوعية فيما بعد) فترة من الزمن لكن ظروفا عائلية قضت بعودته الى يافا على اثر وفاة والده عبد الله العيسى ، فراح يرعى ما اكتسب من علم يسير وينميه حتى اجتمعت له منه اداة صالحة استعان بها على تصريف اعماله في ميدان تجارة البرتقال ومعاناة التاريخ بالشعر ، وهو ما يعرف بحساب الجمل .

نماذج من شعره : كان المرحوم جريس العيسى من القلائل الذين أتقنوا فن التاريخ بالشعر ، هذا الفن الذي يكاد يندثر ويعفي عليه الزمن . انه ضرب من الشعر يجمع بين الصنعة والطبع ، ويحتاج الى صبر وجلد وطول معاناة ... نقع عليه كثيرا في نتاج اليازجيين والبستانيين وغيرهم من فحول الادب في القرن الماضي . وهذا الفن بالاختصار هو ان يلجأ الشاعر الى تخليد حدث مهم باللفظ الشعري ، فالمعروف ان لكل حرف من حروف الابجدية العشرة الاولى رقما يوازيه يتدرج من واحد الى عشرة ، وللاحرف العشرة التالية منها ارقام توازيها وتتدرج من عشرة الى مائة ، وما بقي من الحروف يتدرج من مائة فمائتين حتى ينتهي بحرف (الغين) ورقمه الف . والمفروض في تاريخ الحدث المهم ان يكون مجموع أعداد الاحرف التي تتالف منها الكلمات الواقعة بعد كلمة (تاريخ) او ما اشتق منها هو السنة التي وقع فيها الحادث المراد تخليده . ففي سنة ١٩٣٦ مثلا وخلال الثورة العارمة التي قام بها عرب فلسطين عمدت السلطات البريطانية الى نسف البلدة القديمة في يافا بالديناميت بحجة « التحسين » و « التجميل » فقال المرحوم جريس العيسى مؤرخا هذا الحادث بأسلوب الكناية اللاذع ... وأبرق بالابيات الى المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود مستنهضا همته :

سألت مصر والشآم وبغداد ... وصنعا ونجد : عبد العزيز
ما لجبارة البلاد تثوارت ... واختفى رسمها بوقت وجيز
أبفعل الزلزال ؟ ارخت : كلا ... دمرتها عدالة الانكليز

فمجموع احرف (كلا) هو ٥٠ ، ومجموع (دمرتها) هو ٦٥٠ ، ومجموع (عدالة) هو ٥٠٥ ومجموع (الانكليز) هو ١٤٩ ، فتكون السنة التي دمر فيها الانكليز يافا هي (١٣٥٥ هجرية) الموافقة (١٩٣٦ ميلادية) .

وقال رحمه الله مؤرخا وفاة الشريف حسين بن علي :

بطن الجزيرة أرخوه غدا عقيما بعد لحده

وقال مؤرخا وفاة الزعيم الراحل سعد زغلول :

ثالث النيرين غار فأرخ ... وازعيماه مات سعد الشرق

كما أرخ وفاة القاضي الفلسطيني العادل علي جار الله :

بالامس جاورنا عزيزا نده ... واليوم بات علي جار الله

كان قرض الشعر في فلسطين قبل الاحتلال البريطاني يعتبر ترفا عقليا لا غير ، يقتصر على المباسطات الاخوانية والمناسبات الاجتماعية ، غير انه لم يلبث أن اصبح في أعقاب الاحتلال وبعد الوعد المشؤوم الذي قطعه بلفور لليهود (في ٢ نوفمبر ١٩١٧) ضرورة وطنية ، فانبرى الشعراء يستنهضون الهمم ويشحذون مندديين بالاحتلال ، داعين الى المقاطعة ، محذرين من بيع الاراضي على يد سماسرة السوء ... واستدعى ذلك بالتالي نشاط السلطات الغاشمة التي أسكرتها نشوة الظفر في الحرب فانبرت تزج بالوطنيين الاحرار في السجون والمعتقلات ، وكان جريس العيسى في عداد الذين وقع عليهم الاختيار لنيل هذا الشرف :

في سنة الالف وتسعمئة ... وثمانية بعد العشره
والخامس والعشرين لايلول ... سجنوني بنو الكفره

ولم يكن السجن ليفت في عضد النفر المؤمن بحقه في وطنه ، فأرسلها جريس العيسى صيحة مدوية محذرا من بيع الاراضي :

قل للاولى شروا الضلالة بالهدى ... يا ويلكم ذهبت تجارتكم سدى

(١) صدر العدد الاول منها في ١ أيلول ١٩٠٨ . (٢) صدر العدد الاول منها في ١٤ كانون الثاني ١٩١١ . (٣) صدر العدد الاول منها في ١ أيلول ١٩٢٠ . (٤) صدر العدد الاول منها في ١٨ أيلول ١٩٠٨ . (٥) صدر العدد الاول منها في ١ تشرين الثاني ١٩٠٨ . (٦) صدر العدد الاول منها في ١٩٠٨ . (٧) صدر العدد الاول منها في ١٦ تموز ١٩٣٢ . (٨) صدر العدد الاول منها في ١٧ أيلول ١٩١٩ .

لا دين أرضيتم ولا دنيا لكم فتبوؤا من قصر (مالك) مقعدا

وقال داعيا قومه الى مقاطعة « تل أبيب » والسلع اليهودية :

يا فلسطين اسمعي نصحي فكل الخير فيه
قومك العرب أعدوا لك ما قد تشتهيه
من طعام وشراب ولباس ترتديه
وملاه مظهر الحشمة فيها تجتليه
فانبذي « تل أبيب » واحذري أن تقربيه
واتقي الله وراعي ما تبقى من (جنيه)
واذكري قولا حكيما صادقا فيما يليه :
(من تردى برداء ليس من صنع أبيه)
(سوف يأتيه زمان يتمنى الموت فيه)

وكان الوطنيون الاحرار يتنادون في الثاني من نوفمبر من كل سنة (ذكرى الوعد المشؤوم) لاحياء الندوات الشعبية الخطابية والسير بعدها في تظاهرة صاخبة الى مكتب حاكم اللواء للاحتجاج على سياسة العسف والتفرقة ، وكان لجريس العيسى ، في كل من هذه الندوات السنوية ، قصيدة عصماء لا تلبث ان تجري في اليوم التالي على كل لسان . ومن ذلك قصيدته « رمضان » في الجمعية الاسلامية المسيحية ، يقول فيها :

رمضان عيدك أكرم الاعياد سيان فيه حواضر وبواد
عيسى واحمد في السماء تصافحا فتصافحت في الارض بيض أياد
والقلب من فوق الايادي عاقد عهدا بحفظ كرامة الاجداد
عهدا بالا ينثني حتى ترى فيه العدالة رأيها وتنادي :
أبدا فلسطين ليعرب موطن مسرى النبي ومهد عيسى الهادي
بلد تقدسه العروبة : مصرها وحجازها وعراقها والوادي

ومن قصيدته « صحا الشرق » التي تناقلتها صحف مصر وظفرت باعجاب امير الشعراء أحمد شوقي يقول من أبياتها :

صحاالشرق واعتزتبتيجانهاالعرب فما هي الا صيحة وارعوى الغرب
هنالك لا (بلفور) يجدي ولا الاولى اقيمت لهم في أرض أجدادنا نصب
وقيل : اسجدوا أو لا فخلواالبلاد لليهود ، الا صلوا جميعا بما أنبوا
أكفر وتقتيل وفقر وذلة ونحيا؟ أذن خير من العاقل الخشب

ولجأت حكومة الانتداب البغيض ، شأنها في تاريخها الطويل الاسود بمستعمراها ، الى خديعة تخدير الاعصاب بايفاد لجان التحقيق الى فلسطين ونشر التقارير ... حتى اذا استنفدت كل حيلة أوعزت الى الصحف المأجورة بنفث سموم التفرقة في صفوف الاهلين ، وهذه أبيات من قصيدة لجريس العيسى بعد زيارة قامت بها احدى لجان التحقيق لفلسطين :

خلوا المحابر والاقلام والكتبا لم يجدكم أدب نفعا ولا أدبا
وكبروا ابدا من غير ما أسف على الحجى ، فلكم ذقتم بها نصبا
شكوى،احتجاج،وفود،لجنة،صحف لو صاغها ملك ما أبلغت أربا
تلك الحقيقة يا قومي فان تسلوا السيف ينبيء أني لم أقل كذبا

وفيها يقول مخاطبا ملك بريطانيا ، ابن الملكة فكتوريا :

يا ابن التي ساست الدنيا بحكمتها وعدلها ، أين ذاك العدل قد ذهبا؟
ضربتحولضفاف (التيمس) خيمته هلا بعثت لنا منه ولو طنبا ؟

وفي هذه الاثناء كان الامر قد استتب في شرق الاردن ، كما كانت تعرف انذاك ، للامير عبد الله بن الحسين ، وأخذ رجالات فلسطين يتطلعون اليه على أنه الرمز الحي الذي تلتقي عنده مشاعر عرب فلسطين الوطنية . وزار الامير يافا تلبية لدعوة من مجلسها البلدي ، حيث حل في (فندق بركات) وأقيمت على شرفه حفلة كبيرة القى فيها جريس العيسى قصيدة طويلة جاء فيها :

قد حقق الخبر الخبر والسمع أيده البصر
شرف تخر له الملوك وصارم عضب ذكر
طهر ، جلال ، هيبة يا قوم ما هذا بشر

وقد طرب سموه للقصيدة أيما طرب وأثنى على الشاعر أحسن الثناء ، وكانت تلك المناسبة بداية صلة ودية قوية بين الشاعر والاسرة الهاشمية استمرت حتى وفاته في عام ١٩٤٣ .

كان جريس العيسى رحمه الله من ذلك النوع الفريد من الرجال الذي يجمع الى مآثر السلف الصالح في الرجولة والفروسية وعزة النفس والاباء رقة الحاشية ، ولطف المعشر ، وسماحة اليد ، والظرف في الحديث والتجلد في الازمات ! .

فقد احد ابنائه ، وكان شابا ، في حادث مؤسف فكان لا يفتأ يردد قول الرسول الكريم متأسيا « ان العين لتدمع، والقلب ليخشع، ولا نقول الا ما يرضي ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم محزونون » .

وفقد ابنته الوحيدة ، وكانت في ميعة الصبا ، فطوى نفسه على حزن ممض ، ولم يزد على ان قال في رثائها معزيا أمها :

قضت فقضى الذكا والحسن اقفر فلا حسناء بعد اليوم تذكر
واذ ضم الثرى جسما معطر أقول لامها : التاريخ قرر
مع العذراء (نجلا) في السماء

وافرجت السلطات عن اعضاء اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب بعد ان تعهدوا بتقديم كفالات (حسن سلوك !) الا ان المرحوم الشيخ عبد القادر المظفر الذي آثر السجن على تقديم كفالة (حسن سلوك !) ايمانا منه بأن الكفالة المطلوب تقديمها لا تتفق وكرامة الامة ، فابرق اليه جريس العيسى متحديا جبروت الحاكم الغشوم :

من كبير قبل سجن بات بعد السجن أكبر
ذلك الاستاذ عبد القادر الشيخ المظفر

انه طبع شاعر حساس ، ولكنها نفس رجل أبي متمرد « لم يزدها الضعف الا عنفوانا ! » كما يقول « الاخطل الصغير » .

ولم يلبث المرض والشيخوخة ان اصطلحا على الشاعر المتمرد فاعتكف في أواخر عمره في بيته بيافا يرقب الاحداث عن بعد دون مشاركة مباشرة فيها . والمعروف انه كان الى تمكنه في اللغة والعروض حجة في القانون الكنسي ، وكثيرا ما كانت هيئة المحكمة الكنسية في يافا تنتقل بكامل هيئتها للانعقاد حول سريره .

وخالط نظرته الى الحياة في أخريات أيامه شيء من التشاؤم فانشأ يقول :

بين الضواري والبشر لا فرق الا ما ندر
الكل يرصد في الخفاء فريسة ويعد شر
وأرى الذين سمت مدا ركبهم لمن ذئب أضر !
فالذئب يسطو فطرة وأخو المدارك بالفكر
عصر تفاقم شره والخير أصبح في خبر !

وكان في اعتكافه القسري لا يفتأ يلهج بذكر الموت ، وقد قال مداعبا شريكة حياته وابناءه :

ثقلت وطأة الحياة عليا واستوى النور والظلام لديا
واستبدت شريكة العمر فيا وجفاني لغير ذنب بنيا !
فالي يا موت عجل الي !

وله من قصيدة اخرى يتبرم فيها بالحياة والاحياء ويداعب صديقا محاميا له :

لا تلمني ان كنت يا دود قبري لم تجد لي غب الردى من طعام
ان دود الحياة لم يبق مني لك يا ذا الصديق غير العظام
وفؤاد طي الضلوع مقيم كان لي عدة لصوغ الكلام
فاتق الله فيه لا تلتهمه انه قلب شاعر لا محام

وسئل لم لا يدفع بشعره للطبع فقال (وهو من آخر ما نظم) :

غيري ينشر قصيده كلف وقصائدي في طيها نشر
ستظل رهن رفوف مكتبتي حتى يضم رفاتي القبر

وكأنما شاء القدر ان يرحم شيخوخته فاختاره ربه الى جواره قبل ان يرى بعينيه هول المصير الذي أحاق بفلسطين ... وعرب

فلسطين ... وهو المصير الذي عاش عمره كله يحذر منه ويعمل مع العاملين المخلصين لدفع غائلته . وقد عصفت النكبة المروعة بدار آنجاله في يافا ومكتبتهم وشعر والدهم الوطني ، وكان مدونا في الطروس وجذاذات الورق في انتظار جمعه وطبعه في ديوان تحقيقا لوالد الماجد قبل ان « يضم رفاته القبر ! » .

وفي ٣ ـ ٢ ـ ١٩٤٣ فاضت روح هذا الشاعر المجلي ودفن في المقبرة الارثوذكسية بيافا المطلة على الشاطىء الفلسطيني ، مبكيا على رفيع خلاله ، وحميد خصاله .

٢ ـ صبحي الخضراء

كان شعاره في كفاحه السياسي قول الشيخ عبد العزيز جاويش : « ايها القلم ! لو كنت سيفا لاغمدتك في صدور من يحاربونك ، أو سهما لانفذتك في أعماق قلوبهم !

لو كنت جوادا لوجدت لك في ميادين النزال مجالا للكر والفر !

ولكنك ايها القلم ذلك العود الذي أيسر ما ينال من عوده ان يعالجه بالمبراة فيشقه ، أو بالاصابع فيكسره ، فلتكن ايها القلم مما شاءوا لك : اما نائما الى حين واما ميتا الى الابد ، فقد تركت عيونا لا يغذوها النوم ، وقلوبا لا يملكها اليأس ، وايديا لا تخاف السلاسل والاغلال ، وارواحا تفدي الحرية والاستقلال ! » .

ولد « صبحي » في مدينة « صفد » (بفلسطين) سنة ١٨٩٥ وأتم دراسته الابتدائية والاعدادية في المدرسة الاعدادية بصفد والثانوية في سلطاني بيروت ، ومن اساتذته فيها : عادل العظمة ورفيق التميمي ، ومن زملائه : نسيب البكري واسحق درويش . ومن ثم قصد الاستانة ودخل الكلية العسكرية وشارك في الحرب العالمية الاولى بجنوب فلسطين ، وبعد ان وقع في الاسر التحق بالثورة العربية التي قادها الامير فيصل بن الحسين ، وكانت له مواقف مشهودة في هذه الثورة ، وفي الحركة العربية في سورية ضد فرنسا في العهد الفيصلي .

ومن اشهر معارك الثورة العربية التي جلى فيها معركة « أبي اللسل » التي دارت رحاها بين الجيش التركي والجيش العربي . وخلال المعارك الحربية التي خاض غمراتها جرح ثلاثمرات كما اصيب في معركة ام الحرائين شمال معان برصاصة اخترقت يده فرجله ثم اتجهت نحو صدره فاصطدمت بـ « صفارة » معدنية عسكرية كانت في جيبه ، فارتدت بعد ان (بعجت) الصفارة ونجا من الموت !

وعندما بلغ الجيش العربي الزاحف نحو دمشق بقيادة الامير فيصل كان « صبحي » في طليعة الابطال الذين دخلوا دمشق فاتحين سنة ١٩١٨ . وبعد ان استتبت الامور في سورية عهد اليه بمديرية الامن العام وعين مرافقا عسكريا للامير فيصل فمرافقا للجنرال جبرائيل حداد باشا مدير الامن العام في حكومة الامير فيصل بن الحسين بسورية ، وقد توثقت الصلات بينه وبين ثلاثة من زملائه الضباط الاحرار هم : المرحوم فؤاد سليم والمرحوم سعيد عمون وصبحي العمري ، ولقد افضت به هذه العلاقة الروحية الى زواجه من شقيقة القائد المرحوم فؤاد سليم .

وفي معركة ميسلون التي نشبت بين الجيش العربي والجيش الفرنسي اشترك « صبحي » في مناجزة الفرنسيين ، لكنه بعد ان دحر الجيش العربي في تلك المعركة وتفرق شمل الحكومة العربية الفتية وخرج فيصل بن الحسين من سورية عاد « صبحي » الى فلسطين سنة ١٩١٢ وعين ضابطا في الامن العام ، وهنا استغل وظيفته وسيارته ورتبته وشارته العسكرية لنقل السلاح سرا من الاقطار المجاورة وتزويد الثورة السورية بها ، وغدا همزة الوصل بين رجال الثورة السورية في الشمال واحرار سورية ودعائم ثورتها في فلسطين والاردن ، ينقل اليهم المال والرجال والعتاد والسلاح ، وينقل سرا رفيق الجهاد فؤاد سليم ، الفاخر في الخفاء من القاهرة فلسطين ، الى ميدان الثورة السورية .

وظل « صبحي » يغذي هذه الثورة بالعتاد والذخيرة الى ان اكتشفت السلطات البريطانية أمره ... فبارح فلسطين على عجل الى بغداد والتحق بخدمة الملك فيصل بن الحسين واستمر في عمله معه ١٦ شهرا ، وما لبث ان عاد الى فلسطين والتحق بمعهد الحقوق في القدس حتى تخرج منه واختير عضوا في اللجنة التنفيذية العربية بالنيابة عن صفد فمديرا لمكتبها على أثر ثورة ١٩٢٩ فمؤسسا بارزا في حزب الاستقلال العربي سنة ١٩٣٢ .

وفي الحقل العربي اشترك مرة اخرى في الثورة السورية التي نشبت بين فرنسا والعرب سنة ١٩٢٥ وحكم عليه بالموت . وفي الحقل العربي الفلسطيني ركز الجهد على مقاومة بريطانيا والصهيونية للحيلولة دون غزو فلسطين وتهويد معالمها العربية وتسرب اراضيها في (الكارن كايمت ـ الصندوق القومي اليهودي) وكان في طليعة انصار الفلاح العربي الفلسطيني والمدافعين عن الثوار العرب في الثورات التي نشبت في فلسطين وعن عرب وادي الحوارث الذين انتزعت بريطانيا اراضيهم رغم انوفهم ، وقدمتها لقمة سائغة « لليهودي التائه » . ولم يفته الاشتراك في سائر الانتفاضات القومية التي شهدتها فلسطين وقد عدته ادارة الامن العام من كبار المحرضين على اضطرابات سنة ١٩٢٩ وشبهته في تجولاته في بعض المدن الفلسطينية بـ « الطير » الذي ينذر بالعاصفة حيث حل .

واشتهر « صبحي » بالبيانات التي كان ينشها وهو مدير لمكتب اللجنة التنفيذية العربية ردا على حكومة الانتداب البريطاني وبعبارته المأثورة الرائعة الذي ذهبت مثلا : « بريطانيا أصل الداء ، واساس كل بلاء ! » . واصدر باسم اللجنة التنفيذية العربية ولمناسبة قومية ، بيانا قويا عنيفا هز النفوس وأثار المشاعر ، فبادرت السلطات البريطانية الى القبض عليه ومحاكمته بقانون منع الجرائم وقضت بابعاده الى صفد واقامته فيها تحت المراقبة اقامة جبرية ... فوقف مدير الامن العام البريطاني يشهد على « صبحي » فيقول : « ان صبحي الخضراء رجل خطر ، انه كالطير الذي يسبق العاصفة ... فما نكاد نراه بقامته الفارعة هذه وبسدارته في بلد ما .. حتى نوقن ان وراء هذه الزيارة خطرا يهدد الامن في البلاد ! » .

وحدا من نشاطاته في الحقل الوطني ادخلته سلطات الاستعمار البريطاني معتقلات عوجا الحفير وصرفند وعتليت وعكاء ما بين سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٣٩ ، وكان في سجونه ومعتقلاته مثال المؤمن الصابر ، يؤم اخوانه في الصلاة ويتلو عليهم سورا من القرآن الكريم .

وفي سنة ١٩٤٦ اسهم مع زميليه في الجهاد عوني عبد الهادي ورشيد الحاج ابراهيم في اعداد مذكرة مهمة حول قضية الاراضي العربية في فلسطين قدمت الى اللجنة الانكلو اميركية ، ولما ايقن ان المعركة واقعة لا ريب فيها بين العرب وبريطانيا وحليفتها المدللة اسرائيل انتخب عضوا في اللجنة العسكرية التي كانت تدير ثورة ١٩٤٧ وامضى الايام والليالي متنقلا في الصحراء الغربية وغيرها من الاماكن النائية بحثا عن الاسلحة للمجاهدين .

وبعد حلول النكبة المروعة الاولى في فلسطين ١٩٤٨ نزح الى دمشق وأشرف على العناية بشؤون اللاجئين الفلسطينيين ، وفي ٤ ـ ٧ ـ ١٩٥٤ لحق بربه ولف جثمانه بالعلم العربي الذي هام به يافعا ، وجاهد في سبيله شابا فكهلا فشيخا ودفن في مقبرة الدحداح بدمشق .

وفي ٣٠ آب ١٩٥٤ اقيمت في دمشق حفلة تأبين كبرى للفقيد الخضراء حضرها رئيس الجمهورية شكري القوتلي بوصفه زميلا للمرحوم الخضراء وكان من خطبائها الاستاذ اكرم زعيتر ومن قوله في رثاء الفقيد :

« ان صبحي الخضراء سفر وطني حافل بملاحم الجهاد طواه

الردى ، ووجه مسفر كريم طلق المحيا ، ضاحك القسمات غيبه الثرى ، فلن نرى اذن بعد اليوم اخانا ، اخا المروءات ، وان ثورتنا بل ثوراتنا الوطنيات لن تراه الا بعين الوجدان ، وباصرة الخاطر ، ونتساءل عنه فلا نجد الا شعاع اخاء ينير الفؤاد ، وقبس وفاء يزهر الضمائر ! » .

نموذج من نثره : وعلى اثر اكتشاف شحنات ضخمة من الاسلحة المهربة الى اليهود في ميناء حيفا سنة ١٩٣١ انعقد في ٣١ تموز من تلك السنة مؤتمر في نابلس نشبت على أثره ثورة استقلالية في المدينة تعتبر الانكليز المسؤولين الاولين عن هذه السياسة الخرقاء . وقد اعتقل وجرح في تلك الثورة العاتية الكثيرون من المجاهدين ، فاطلق صبحي الخضراء النداء التالي الى مدينة نابلس ، مما يمكن ان يعتبر انموذجا للبيانات الوطنية التي كان يتولى « صبحي » انشاءها باسم الهيئات واللجان والاحزاب العربية في فلسطين :

« يا أخت دمشق !

حيا الله ربعك يا نابلس ، يا بنت الاكرمين ، وبلد الابـاة الباسلين .

وقفت وما في الموت شك لواقف ، وعدت وما في العود ذل لعائد ، فما أعظمك في الحالين ! وما أشجعك في الموقفين !

يا عمورية الاسلام ولا معتصم لك ، ويا بلد الابطال ما أشد في الابطال نكبتك ! من جبليك هبت ريح الحرية ، ومن واديك انتشر أريجها ! ..

وللحرية الحمراء بـاب بكل يد مضرجة يدق !

سجناؤك الاحرار ما ذلوا وما هانوا ، وجرحاك الابرار ما لانوا وما استكانوا ، وبناتك الاطهار مشين على القلوب والابصار ، فحفظتهن القلوب والابصار ، وما تركت للعلج اليهن سبيلا !

يا أخت دمشق ! أجمل الله عزاك ، قد أصبت فما وهنت وما ذللت ، فارفعي الراس عاليا واشمخي ! .

يـا نـابلس !

اما بنوك ففي سبيل الله ما يلاقون ، وفي سبيل الوطن مـا يتحملون ، الا انهم هم الفائزون ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وأما سوى ذلك فقد أزفت الساعة ! الكلمة كلمتك ! فهيت لك فهيت لك ، ارسليها صيحة عالية تجوب القفار ، وتطوي البحـار ! ابعثيها مغلغلة توقظ النائمين وتحيي الميتين . قولي (لا) بملء فيك ، فقد ساموك خطة الضيم وحق لك ان تغضبي . فاغضبي يا نـابلس وقولي باسم العرب : « ان العرب طلاب حرية واستقلال ، وانهم قد غلبوا على هذه الحرية والاستقلال ! ضعي اصبعك على الداء وقولي ان الخصم واحد والخطر لا يتعدد ، وان لا مؤجل فيه ولا معجل ! ».

اعترفي باسم العرب بأن العرب أضاعوا ثلاث عشرة سنة من عمرهم يقارعون .. ولكن من ؟ ... ويحتكمون ولكن الى من ؟ حتى ضعف الطالب واعتز المطلوب ، واولئك في نجوة من كل طلب !

يا لها من عماية ما اشد وقعها ... وسياسة ما أقل نفعهـا ، لقد دنا موعد تطليقها ثلاثا لا رجعة فيها ... فطلقيها يا نابلس ... وانهجي نهجا جديدا لا لبس فيه ولا ابهام ، ولا تأخر ولا احجام ! .

ابناؤك المجاهدون سفهوا سياسة الترقيع ... فاجتنبي سياسة الترقيع ... وهاجموا الحكوميين والانتدابيين ، فانبذي الحكوميين والانتدابيين ! .

لقد خلا مؤتمر ٣١ تموز من (قادة الراي) فليخل مؤتمر ٢٠ أيلول منهم ايضا فما بكت عليهم السماء والارض ولن تبكيا !

يـا نـابلس !

أتتـك القضيـة منقـادة فشـدي اليك مقاليدها ! »

٣ ـ بـدوي العلمـي

كانت الحكمة التي آمن بها « بدوي العلمي » وظل يتغنى بها :

« يقولون لي : اذا رأيت عبدا نائما فلا توقظه لئلا يحلم بالحرية ! »

وأقول لهم : « اذا رأيت عبدا نائما أيقظتـه ، وحدثتـه عـن الحريـة ! » .

ولد « بدوي » في مدينة « اللد » (بفلسطـين) عـام ١٩٠١ وأكمل دراسته الابتدائية في مسقط رأسه والاعدادية في سلطانـي القدس ، وفي سنة ١٩٢١ التحق بـ « دار المعلمين » في بيت المقدس في عهد رئيسها المرحوم الدكتور خليل طوطح ونال شهادتها سنة ١٩٢٣ وعين معلما في معارف فلسطين ودرس في مدارس اجزم وطبريا وكفركنا والخيرية (من اعمال يافا) وصرفند ودير طريف (من أعمال اللـد) وغزة . وفي سنة ١٩٥١ الى « معهد الصحافة العالي » بمصر ونـال دبلوم الصحافة سنة ١٩٥٤ .

وفي النكبة الفلسطينية الاولى واصل عمله في مدرسة الامام الشافعي بغزة وفي سنة ١٩٥٦ كف عن التدريس ونزح الى عمـان بالاردن وعمل فترة قصيرة مدرسا في احدى المدارس الاميرية .

وفي ١٤ ـ ٦ ـ ١٩٥٨ فاضت روح هذا المربي الغيور ونقـل جثمانه الى بيت المقدس ودفن في مقبرة بـاب السـاهرة بالقدس العربيـة .

نموذج من نثره : كتب العقيد عشـرات المقـالات في التوعيـة والتوجيه ونشر بعضها في الصحف العربية التي صدرت في غزة بعد حلول النكبة الاولى ، « كالرقيب » لصاحبها عبد الله العلمي و «غزة» لصاحبها فهمي ابو شعبان و « العودة » لصاحبها سعد فرح . وفـي أغلب هذه المقالات صور « بدوي » هول المأسـاة العربية الاولـى بفلسطين وما فعلت في شعبه من ذل وتشريد ، وتعذيب وتسهيد .

ومن مقالاته الوجدانية « جولة مع العيد » قال فيها :

« جاء يتهادى من بعيد ، يتمايل في سيره الوئيد ، ويختال في ثوبه الجديد ، ولما اقترب مني وتبينته ... جزعت منه وصرخت به : « لا اهلا بك ولا مرحبا بقدومك ! » فتبسم ابتسامة الساخر ، وضحك ضحكة الساحر الماكر وقال : « اظنك لم تعرفني أيها الشريد الطريد ، فانا العيد الجديد ، فلا تعبس في وجهي ، فلست بالضيف الثقيل ، فمقامي بينكم قليل ، ثم امضي في سبيلي حاملا معـي صوركم ، أطبعها على صفحات الايام ، فيخلدها الدهر وتتملى منها الاجيال ، فان لم تصدقني فتعال معي لترى ما أرى ... وتسمع ما أسمع ! .»

وأمسك بيدي وجذبني اليه وانا أحاول التملص منه قائلا «دعني يا كاشف الاستار ، وفاضح الاسرار ... ذرني ايهـا العيـد ... يا مهين الاحساب والانساب ! » ولكني لم أقو على التملص منـه ، فسرت مكرها واياه ... نتجول ونتأمل ، والدمع ينهمر من مآقينا ، فرأينا وسمعنا ... ويا لهول ما رأينا وما سمعنا ... رأينـا أمـة بأسرها تهلل وتكبر ، وتبدي البشر والسرور ، ونفوسها ملتاعة تجفل بين الضلوع ، لتثب الى بارئها فترفع اليه شكواها .. أمـة تتصنـع البهجة والفرح ونيران الاسى تتلظى في احشائها كالسعير .. رأينـا الاطفال في ثياب بالية ، يلعبون بلا رغبة ، ويركضون بلا حمـاس ، كانهم بما حل بنا عالمون ، وكانت بطونهم من الجوع خاوية ، وعضلاتهم من الالم واهية ، ثم شدني الى اكواخ اللاجئين فوجدناها من القـوت خالية ، ووجوه أهلها شاحبة مصفرة ، والسنتهم ملجومة ، وافواههم مكمومة ، وقلوبهم مكلومة ، وحقوقهم مهضومة !

شيوخ وعجائز شاخوا قبل الاوان وقبعوا في اكواخ حقيرة بعـد القصور الفخمة ، يتطلعون الى الوراء ببصائرهم وابصارهم ليعيشـوا بالذكريات فيضحكون تارة ويبكون اخرى ، كالذين اصابتهم جنـة ! ثم مررنا بالشوارع فالفينا شباننا الذابلين يتمشون على الارصفة وهـم لا يدرون من اين ؟ والى اين ؟ ولماذا ؟ رأيناهم يغشاهـم الذهـول ، وينتابهم الحزن ، فلا ابتسامة تلوح على ثغورهم ، ولا خيط من خيوط

الحب القاتل

•

أحبك ملء قلبي ملء عيني
وأكثر يا مناي بمرتين
شفاهك وردة بنت العشايا
مخضبة بشمس المشرقين
شعورك غابة كم تهت فيها
وداعبت الشفاه بقبلتين
سللت المقلتين لذبح قلبي
فجردتا علي كخنجرين
فها اني أنا سلمت حالا
وها اني رفعت انا اليدين

زحلة ـ لبنان رياض معلوف

الامل يشع من جباههم ، وكأن لسان حالهم يقول : « هيهات ، هيهات لما توعدون ! » .

رأيت كل ذلك ، وسمعت كل ذلك ، والمخفي أعظم من ذلك ، فثارت نفسي وصحت من شدة الالم :

« أيها العيد ! ليتك ما جئتنا ، فابعد عنا ، ولست منا ، ولسنا منك ، بعد ان فقدنا وطننا ، وفقدنا تاريخنا وامجادنا ! فاذهب الى حيث الشعوب المستقلة المطمئنة على أوطانها لعلك تجد مكانا هناك ! » .

نماذج من شعره : خلف « بدوي العلمي » بين اوراقه ديوان شعر مخطوطا اسماه « الدمع الاحمر » وقد استهله بالكلمة التالية :

« الى كل عربي وعربية في مشارق الارض ومغاربها اهدي هذا « الدمع الاحمر » من شعري ونثري للذكرى ، لعل الذكرى تنفع المؤمنين ! » .

تميز « بدوي » بالحس المرهف والنكتة اللاذعة ، وعاش المأساة العربية في فلسطين بآلامها وتباريحها ، وجاء شعره معبرا عن احاسيس الشاعر وخلجات قلبه . ومن شعره في هذه الحقبة الفاحمة السوداء قوله :

دعوا قلبي ، فان القلب ذابا ولا تسلوه عن خطب خطابا
وما في العين من دمع سخين أخط به الى قومي الجوابا
أثار الوجد في قلبي لهيبا وفي العينين من دمعي التهابا
ضياء البدر أحسبه ظلاما ونور الشمس احسبه سحابا
عذارى الشعر تنعى بالقوافي وقد شقت على الوطن الثيابا
سلوها فهي تعرف ما دهانا فكم نطقت ... وكم قالت صوابا
سلوها كيف حاربنا الاعادي ودون الحي قربانا الرقابا
برزنا للكفاح بغير سيف فاعملنا بهم ظفرا ونابا
زأرنا زأرة دوى صداها وقد هز العرين لها اضطرابا
دعونا المجد ينجدنا فولى وأدبر طالبا عنا احتجابا
فالقينا السلاح وما وهنا ولكن الزعيم مضى .. وغابا
وأسلمنا النفوس وما ملكنا وقد عاث العدو بها اغتصابا
فشرد جمعنا ... وطغى علينا وشتت شملنا .. وبغى .. وعابا
الا ليت الزعيم يرى مصابي وتنظر عينه هذا العذابا
ويسمع من حماة الحي صوتا تصعده الكلوم له عتابا
ليعلم انه الجاني علينا ويعلم انه بالعار آبا
قضينا في المهازل ثلث قرن ولازمنا الشتائم والسبابا
تسيرنا العواطف حيث شاءت ولا ندري الى أين المآبا
خسرنا بالعواطف كل شيء وقادتنا كمن تبع الغرابا
ضللنا خلفها حتى هلكنا كحادي العيس ان رام السرابا
أصمت سمعها لما نصحنا وسدت دوننا بابا فبابا
ولم تسلك بنا ، منهاج قوم مشوا بالعقل فاجتازوا الصعابا
أيعفو الله عن تلك الخطايا ويرفع عن زعامتنا العقابا ؟ !

وفي قصيدة بعنوان « عودوا الى الله » خاطب الشاعر قومه بقوله :

ناحت على الايك تشجينا وتضنينا بلابل الدوح في شتى نواحينا
نقلد الورق في أنغامها ألما صارت ترجعه اطلال نادينا
وعازف الناي أمسى لا يداعبها الا ليبكي الحمى والاهل تلحينا
يا عازف الناي غرد ما يفرحنا لعل في الناي نلقى ما يسلينا
هذي فلسطين نبكيها وتبكينا ونسكب الدمع يغلي من مآقينا
يا أخت يعرب قد خاب الرجا فينا واصبح الغمد أمضى من مواضينا
ما كنت احسب ان القاك باكية والعرب حولك قد فاقوا الملايينا
حتى رأيت بنات الدهر عابسة وكل بنت له بالشر ترمينا
لم يذكر الدهر اياما لنا سلفت وانكر المجد تاريخا لماضينا
هل أنت يا دهر من كانت أوائلنا اذا تنادوا لحرب قلت آمينا
هل سرت يا دهر الا في جحافلنا يوم الكفاح فمزقنا أعادينا
بناتك السود كانت في الاماء لنا وكنت يا دهر تحصى من موالينا
ان كنت تجحد ما عيناك تشهده سل«خالد»الليث او سل عنك حطينا
أجابني الدهر في عنف وفي غضب قد ذقتم الذل اذ أغفلتم الدينا
انقاد للناس ما داموا غطارفة واخدم القوم ما زالوا ميامينا
واكره الجبن في الانسان مذ خلقت يد الجلالة في الاقوام باغينا
سبحانك الله كم أعددت من نوب تودي بقوم عن القرآن ساهينا
أنزلت فرضا علينا ان نعد لهم ما تستطيع من القوات أيدينا
تعطي الحياة لمن في الموت رغبته ويدرك الموت من يخشى المنايا
أضلنا الجهل عما قد أمرت به وزادنا الخصم اغراء ليلهينا
عودوا الى الله في قول وفي عمل يا أيها العرب عل الله ينجينا

وقيض الله لشاعرنا ان تكتحل عيناه بيوم جلاء الانكليز عن مصر فخاطب كنانة الله بقوله :

بشراك يا مصر جاء النصر فابتسمي ومجدي الجيش حامي النيل والحرم
تقوده الاسد والاعداء شاهدة والشرق ينظر اعجابا بذي الهمم
سبعين عاما قضتها مصر دائبة على الكفاح فلم تفتل ولم تنم
جاهدت يا مصر أعواما مدافعة تبغي الجلاء لخصم راسخ القدم
ناديت يا مصر اشبالا غطارفة يوم النزال لخصم غاصب نهم
لباك يا مصر ابطال اشاوسة قد بايعوا الله والاوطان بالقسم
قادت بنيك الى العلياء ثورتهم حتى انجلى خصمهم بالحرب والسلم
يوم الجلاء تفوق الدهر طلعته عيد الكنانة والسودان والعلم
يوم الجلاء تسر الشرق بهجته وتنعش الناس من عرب ومن عجم
يا جيش مصر ويا حامي كرامتها يا باعث المجد والامال من عدم
نصيرك الله يا من قمت تنقذنا من السفاهة والطغيان والظلم
ظهيرك الله يا من جئت تسعفنا من الجهالة والاملاق والالم
هذي فلسطين تشكو من مصائبها فاعطف عليها وخذ بالثار وانتقم
يثيبك الله عنها خير ما كتبت يد الجلالة فوق اللوح بالقلم !

عمان ـ الاردن البدوي الملثم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنت أهم بالجلوس على مقعدي ، في احدى السيارات العمومية التي اتفق الناس على تسميتها الاجنبية بالاوتوبيس .

كان رقم تذكرتي ٢١ . وكانت صفوف الكراسي ممتلئة بالمسافرين .

وكان الاوتوبيس على أهبة الانتقال بنا من المحطة الى المدينة . لحظة تشبثت يد بكتفي ، رافقها صوت يقول : مرحبا استاذ حلمي .

فسارعت الى الالتفات خلفا .

والتقت عيناي بعيني شخص .. ما كدت استوقفه عن هز كتفي ومناداتي ، حتى تذكرت انه وجه صديقي « حليم مسعده » : اهلا .. اهلا سيد حليم ، هذا انت ، يا هلا بك .

لم يكن الاوتوبيس قد اقلع بنا بعد ، والمجال متسع لان نجلس على مقعدين متقاربين . فطلبت من رفيقي المجاور لمقعدي ، ان يسمح للسيد « حليم مسعدة » بالجلوس مكانه ، ويتخذ هو مقعده . بغير ذلك لم يكن بالمستطاع تغيير المقاعد ، لان التذاكر مرقمة وكذلك المقاعد ... كان جاري لطيفا ومهذبا ، فوافق وانتقل من مقعده رقم ٢٢ الى مقعد « حليم مسعده » رقم ٣٦ ، وجاء هذا الى جواري .

ما ان جاء « حليم مسعده » الى جانبي ، حتى امتلأ وجهه بالبشر والابتسام ، وتندت رقبته بالعرق ، وكأن رواسب الماضي كانت لا تزال تملأ قلبه وخياله كحمامة بيضاء تدرج على سطح فسيح ، وتهدل برتابة ، وتتزايد رقتها كلما تمهلت في الهديل ... قال : كيف الاخوان في المنطقة ؟

قلت : الجميع يسلمون عليك ، يا اخ حليم .

قال : ما رايت شعبا اطيب من شعب منطقتكم ، ان تلك الايام التي قضيتها بينكم ، تلازمني خيالاتها ، وتجتذبني واطوف بها ، كآثار عملية جراحية ، ترك مبضع الجراح فيها ، قطبا عديدة ، شفيت جراحها والتئمت ولم تعد تستوجب المداواة ، ولكن آثارها تشير الى انها كانت هنا ...

قلت : طبعا انها ايام حلوة ، ومن كان مأمور نفوس ، تراها تدخل المرارة الى ايامه ! ..

هنا كان محرك الاوتوبيس يهدر في تصعيد قوته ، وهو يجتاز طلعة « الجسر » المؤدية بنا الى مدينة بيروت ... وكي لا تفوت على كل منا ، طراوة الحديث والذكريات ، امسكت انا عن الكلام ، وترقب حليم مسعدة ، ريثما تنخفض ضجة المحرك فنعود الى المحادثة ..

متفجرات

بقلم نصرت توفيق خريش

انتابتني شحنة من الماضي ، ذلك الذي ما زال في خيال « حليم مسعدة » مأمور نفوس المنطقة في تلك الايام ، متسع لبعضه فما اقصته تنقلات الحياة عنه ، ولا طوته جعبة الذاكرة في ركن منسي من ركامها ، ولا باعده النسيان عن معارفه ، وكأن الذكريات التي يفلسفها البعض الى انها كيس من الفحم ان اثقل الانسان ظهره به ، جولة ، فلا مندوحة مفيدة من حمله مدى العمر ، اجدها هذه المرة عند رفيق سفرتي هذه غيرها عند هؤلاء ، اجدها سماء حلوة ، ولئن حجبتها الغيوم حينا ، فان السماء تظل حلوة ، وتظل قطرات الماء تحن اليها ، وتشتاق الى بروقها ورعودها ، وتعود اليها تعانق صفحة وجهها ، فتساكنها وتهمس اليها بالامال ، وتطلق حريتها حالما تمل الوحدة معها ، وتتركها تذهب في مغامرات الكون تلد التجديد والاشراقة والنماء الحي ، وجدت الذاكرة عند « حليم مسعدة » لا تنسى الوجوه ، وان رأتها تراءى له معها ، شريط الزمن البعيد ، زمن كان بيننا في المنطقة ... بين الناس الطيبين ، الذين يفخرون بالعمل ، ويشاؤونه تعزيزا لتكوين أسر آمنة ، غايتهم تعليم افرادها وحب الوطن ..

الناس في منطقتي ندر منهم من يعيش على تعب الاخرين ... انهم مقبلون على العلم ، كأقبالهم على العمل ، متواضعون ، دمثو الاخلاق ، كرماء ، يقدمون لك في بيوتهم ، قلوبهم ، حين تدخل تحت عتباتهم ... صبورون لو انقطعت المياه .. سمحاء اذا تأخرت الكهرباء .. لكنهم ثائرون اذا جاءت اسعار الدخان متدنية ، زراعة التبغ عندهم ، طريقهم الى العلوم والعمران والتحصين ، ويتهكمون على كل الدعاوات ويقولون ان كرامة المواطن تبدأ حين يقدر غيره ، عرق جباههم واتعابهم ، فكيف بالاتعاب اذا كانت حبات العرق تبدؤها من مساكب الدخان ، يرشونها بذورا ، فسقيها ... فمكافحتها من المرض .. فقلعها شتلا صالحا ، فغرسها شتلة شتلة ، فقطفها ورقة ورقة ... فشكها ، فتسقيلها تحت الشمس .. فاعادة تصفيفها ورقة ورقة ، قبل تدنيكها واعدادها لاخر المطاف .

وفي حسبانهم ان كل وسائل الدعاوة عن الازدهار والطمأنينة تظل عرض ازياء ، ما لم تنطبق هذه التفصيلات على تحسين اسعار التبغ واتاحة الفرص الخلاقة امامهم ، زراعة التبغ مورد يحد من الهجرة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أوليست الهجرة بحثا عن عمل .. عجبا بنا كيف نزهد العامل ، وننبت البطالة ، ونعرف الناس على القلق ، ونشرع باب الهجرة واسعا ، ولا عتب ؟ ... كأن عيد البربارة صار له امتداد الى باقي ايام السنة ، فبدل ان تكون الوجوه المستعارة مخصصة ليوم واحد ، وعيد واحد ، صارت ايام السنة كلها اعياد بربارة .

وفيما انا اتعجل بعتابي ، تأثرا بما تربطه الاحداث والذكريات والوقائع ، كان الاوتوبيس يخفف من عقيرة محركه في ذلك السهل الجميل ، فاهرب من افكاري الصامتة ، من جبالنا الى سواحلنا تطلع في وجه هذا الازدهار ، في البساتين والحدائق ، والشوارع والبنايات وسؤال كبير يجول في مختلجاتي ، لماذا لا يكون عندنا بعض هذا الازدهار الضاحك ؟! .. ونحن عملنا من اجل اقامته فوق ارضنا ، فلا احد يشجعنا ، وتبقى طاقات الافراد غير طاقات الجماعات .

افكار كثيرة الحت علي في هذه الرحلة ولم تبارحني ... افكار صامتة تطغي عليها اجوبة خرساء . ومن كان الصمت يتبعه كظله يزهق نفسه وتهم الارض بابتلاعه ! ..

ادار « حليم مسعدة » راسه صوبي ، وحانت منه التفاتة الي وخاطبني ، وكأنه ادركني قبل ان تهيم بي التساؤلات :

ـ لم اسألك كيف يوسف حسونه ابن ضيعتكم ، «وحميد ابو سلوان» من « جديدة القطيع » القريبة منكم ؟

قلت : كل هؤلاء تركوا المنطقة وقراهم ، ونزلوا الى بيروت .

قال : وماذا يعملون في بيروت ؟

قلت : يعملون اي عمل ، حارس بناية ، قهوجي ، عامل شركة ، معاون بوسطة ، حيث يوجد العمل يوجد الرغيف .

قال : وان شاء الله انت نازل الى بيروت ، لتلتحق بهم !

قلت : يعني ! .

قال : اسمع مني يا سيد حليم ، كبر عقلك ، وابق في ضيعتك ، دونم دخان واحد ، يعطيك اكثر من غربة سنة في بيروت .

قلت : دونمات الدخان لمن لهم ارض ، اما الضامن فماذا يصفى له بعد الاسعار المتدنية .

قال : اعملوا تعاونية زراعية ، انتخبوا نقابة ، اعتصموا ، اضربوا عن التسليم .

عصفت برأسي هذه الافكار .. فحملتها الى اول شارع نزلت على رصيفه .. تعاونية زراعية .. نقابة .. انها مفامرة .. ولكنها تحتاج الى ناس .. التعاونية تحتاج الى ناس .. النقابة يقررها الناس .. لاعضاء يتحملون مسؤولية الناس .. الناس .. الناس ..

اردت ان اقول لهؤلاء الناس المارين على الارصفة ، قفوا لقد زاغت عيناي ... عشر سنوات باعدت بين ابناء قريتي الذين ذوبتموهم بين جموعكم وبيني ... اين يوسف حسونة ابن امين الحصري ابن حميد ابو سلوان ... لا اقدر على تمييزهم بينكم .. تراها قد تبدلت ملامحهم ؟! .

اخذت اسير ابحث عن ابناء قريتي .. تجول عيناي بالارصفة وما فوق الارصفة ... ومداخل البنايات ومن هم عند بواباتها .. بكل شخص اصادفه ، علني اجدهم بين الناس .. لم اجدهم ، علهم كانوا ركابا في هذه السيارات ، والقاطرات التي تختفي ويعود غيرها ... لاذت بي الافكار ... تسللت الى قلبي .. حاولت طردها ... فقفزت الى لساني ...

يا اهل المدينة .. من كان منكم قرويا مثلي ، فليأت الى هنا ، وعاجلا قبل ان تخنق المدينة كبرياءه، نريد ان نرجع الى قانا ، وننشيء تعاونيات زراعية ، ونقابات ، ونبيع محاصيل التبغ والزيتون والتين باسعار مرتفعة .. تعالوا .. تعالوا .

تضاحك الناس وتابعوا سيرهم ... قليلون عبئوا بي ، وقليلون اقتربوا مني ...

عدت الى المناداة :

تعاونيات .. نقابات .. مشاريع جديدة ..

بح صوتي ... وهنت قواي ، اخذت صندوقا خشبيا وقعدت فوقه انادي ...

انحنى فوق راسي واحد لم ادر اهو بنت ام صبي .. شعره طويل ، وصوته رقيق ، ولكنني اشك ان يكون بنتا .

قال : من اعطاك هذه الافكار .

قلت : مأمور نفوس .

قال : ارجع اسأله ، بكم اخراج القيد او تذكرة الهوية !

قلت : يعني عن «شوفة الخاطر» ؟

قال : نعم « شوفة الخاطر » .

قلت : لربما الرواتب ضئيلة ، واعتاد الناس الكرم !

كان النعاس قد غالب جفني ، ولكنني تملكت نفسي ورفعت راسي لاتابع الحوار ، الا ان المحاور كان قد اختفى بين الناس ... فنهضت وانفجرت .. انادي الناس من جديد وبغير ملل :

في لقرية تعاونيات ونقابات .

تعاونيات ... نقابات .

وكمن اتى ذنبا ، جاءني رجل ، انسحب من الشارع وقال : افي القرية تعاونيات ونقابات ؟! .

قلت : نعم سننشيء تعاونيات ونقابات .

قال : (هازئا) وحكايات !

قلت : حكايات ماذا ؟

قال : خلقنا قبلك في القرية ، انشأنا تعاونيات ، فأكلوها ...

قلت : ونقابات ؟

قال : بالتهديد انجحوها ، فانسحب الاعضاء وبقيت اللجنة .

الرغيف .. الرغيف ...

لم تنطل علي هذه الروايات ، فوقفت ارقص واغني ، واخذ الناس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبر المساقط

المكان .. والعتمة ابـدا
الشمس اطلبها .. تحاول التسلل
السواد غيمة مجلله
والزمـن عجلـه ،
في سقوف المكان .. اطلقت عيني
والمسافة تستطيل .. تناى
واللجـوء عبـث ..
في جسدي حرارة حزيران
الجبـين المتفصد
الذبول النصفي
اغفاءتان .. ويقظة

الغرفة تزدري اشياءها
تمتص الوانها
حـادة زفراتهـا

وعبر الباب الهرم .. تنحشر قطة
وزاوية ضياء طوليه تبرز
تباعـد العتمـه ..
انهـض !!
لكن .. تشدني جاذبية خفية
تولد موتـا جدليـا

احلم .. أبحث عن هداة نقيه
عن شمس بلا زيف تقيه
واقتطعت شوطا .. حسبته شبرا وعشرا
وفي كبرياء لا أحسبه .. تموء القطه
تودع المكـان
واغرق .. اتيه في جوف حزيران
وسقط في مكانه المكان .

الموصل ـ العراق — لؤي الزهيري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتراكضون الي ، وينصتون ويأنسون باغنيتي :

تعاونيـــات ونقابـات
ومواسم حلوة ع التلات
ان فرطت واحدة او تنتين
منعمل غيرها جمعيـات
هات وخد، وخد وهات !
الرغيف .. الرغيف ..

اكتظ الشارع ، تعرقل السير .. تجاوب الناس مع الاغنية ، تمايلـوا مع اللحن .

صوت هارب : متفجرات !

هرب واحد من المتجمهرين وتلاه عشـرات ، فمئـات ، يصرخـون متفجرات !

وسرعان ما تدافـع الناس الـى الشوارع بعيداً عني .

لم يبق واحد حولي ..

كانت الشرطة قد وصلـت ... طوقوني .

ـ ارفع يديك وسلم نفسك .

ـ رفعت وسلمت .

قال احدهم : ماذا في جيبـك المنتفخة ؟!

ارتبكت ، وبصوت متقطع خائف .. قلت : لا شيء ياسيدي، انما ..

قال : انما ماذا ؟ ..

قلت : اخاف ان اقول .. اخجل ان ... وما ان هممت بانزال يدي، واخفاء ما في جيبي المنتفخة حتـى سارع رئيس الشرطة الغاضب الـى شق الجيبة ، وسحب الصرة التـي نفختها .

ـ متفجرات !.. يا لك من مجرم!

ـ لا ، لا يا سيدي انها زوادتي : رغيفان ولا شيء بينهما .

وسرعان ما افترت اسارير وجوه الشرطة ، عندما وجدوا في جيبي ، ليس متفجرات بل رغيفين من الخبز، هما زادي في ذلك النهار . ومـن يدري ؟ ربما كانـت لقمـة العيش تحمل في احشائها انفجارا رهيبا !.

الرغيف .. الرغيف ...

في تلك اللحظة ، ارتسمت فـي راسي صورة قريتي من جديد ، ولكن رئيس الشرطة ، هزها بصوته والقى بزوادتي في سلة القمامة ، زاجرا : انت موقوف ، لقد عرقلت السير .

عين ابل ـ لبنان — نصرت خريش

طيف من الف ليلة

★

دنيا من السحر في عينيك تدفعني ... كي أستريح على اشعاع قنديل
تقول هامسة ان الرؤى خطرت ... ما ضر لو صرت حرفا فوق منديل
تطوق الجيد في ينبوع فتنته ... وتحرس الكم ، تعنى بالمحاصيل
مواسم الصيف أعطت كل غلتها ... فاجمع غلالك ، واصدح بالمواويل
وعمد الروح هذا الحسن مغفرة ... واغسل فؤادك من اثم الاقاويل

رمحية القد زرت الحلم زنبقة ... طيفا بثوب من الاشواق مغزول
نامت على الجفن والاهداب تحرسها ... من عابر سارق بالطيب مجبول
لم ادر يا طيف أيان التقيت بنا ... في ضوء نجم ترى؟ ام فوق جندول؟
ام «الف ليلة» كانت أمس موعدنا ... يا شهرزادي قد ألقت ترتيلي
ضيعتني في دروب لست اعرفها ... ان الطريق كمقطوع وموصول
تاهت على رقصات الموج أشرعتي ... وضمني اليم شلوا .. ضاع تأويلي
مثل الغريب وفي عينيك مرفأه ... ترضيه نظرة مشتاق ومشغول
مثل الفراش اتى للنور يحرقه ... وفي لهيبك كم واه ومقتول

يا فذة الحسن ما اعتادت خمائلنا ... صوت الهزار ولا رجع المواويل
ولا أفاقت هنا يوما بنفسجة ... ترشرش العطر .. اغريها .. فتوحي لي
الروح كانت على الاضلاع نائمة ... والقلب صخر أتى من نحت أزميل
فكيف يا حلوة العينين قد لعبت ... فينا الفتون وكنا كالتماثيل
تدفق الدفء في قلبي فحررني ... واسطاع طرفك تغييري وتبديلي
من قال للشفة السمراء اعشقها ... كي تنثني دونما شرح وتعليل
من خبر القلب ان الليل موعدنا ... نوزع السحر من شال ومنديل
صنعت انت الهوى واخضر برعمه ... من لمس خدك ، من همس وتقبيل

دمشق — محمد صالح بحري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عبد العزيز جادو

عبدالعزيز جادو شخصية خيالية

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

أزعم فيما أزعم من الاراء ان صديقي الباحث النفسي الروحي الاستاذ عبد العزيز جادو شخصية خيالية لا وجود لها في عالم الحقيقة ، وأنا ازعم لنفسي هذا الزعم على حين أزوره بين الفينة والفينة . فأناقشه فيما يعن من الراي وجها لوجه ، ثم أتلقى خطاباته الدورية فأسارع بالرد عليها لتصل اليه ، وهو مع ذلك كله فيما أزعمه لنفسي من الاراء شخصية خيالية لا وجود لها في دنيا الناس .

أأكون سوفسطائيا أنكر حقائق الاشياء ! لا أعرف اطلاقا اني كذلك ؟ ولكني أتابع الدكتور طه حسين في منطقه الذائع حين كتب فصله البديع عن مجنون ليلى فرأى من متناقضات اخباره ، واختلاف انبائه ومفارقات أحاديثه ما جعله يزعم ان قيسا شخصية خيالية ، وهأنذا أشاهد سيلا من المتناقضات المتضاربة يفرق صديقي عبد العزيز جادو في طوفانه ؟ أفلا أتابع الدكتور طه حسين في منطقه فأزعم ما زعم ، خطأ كان ذلك أم صوابا ؟ والخطأ اذ ذاك هين مغفور لمثلي ، وكيف وقد اغتفره القراء لعميد الادب الكبير .

اجلس ما بيني وبين نفسي بعض اللحظات فأنسى نسيانا تاما اني اعرف عبد العزيز واصاحبه كتفا الى كتف واناقشه وجها لوجه ، انسى ذلك لاراجع انباءه وابحث اثاره ثم اصدر حكمي على هذه المراجعة وحدها فأجدني ازعم انه شخصية خيالية لم تعش في الاسكندرية يوما واحدا ، وانما لفق الرواة اخبارها ، كما لفقوا اخبار المجنون ، ثم صنعوا له مؤلفاته الكثيرة وابحاثه الضافية كما انشدوا الشعر الغرامي وعزوه الى قيس في منطق الدكتور ، واذا تعجب القارىء من ذلك فليسمع .

لقد فاجأ عبد العزيز الناس ذات يوم بشعر عروضي ملتزم نشره تباعا بمجلة « المعرفة » ، فعرف عنه البعيد والقريب انه شاعر من مدرسة الشاعر الكبير علي الجارم يحتذي ويقلد ، وتوالت قصائده بالمعرفة لتؤكد هذا الطابع التقليدي حتى ظن الناس انه سيذهب الى بغداد ذات يوم ويقول فيها ما قال الجارم الكبير هناك :

ألسنا حماة القول في كل محفل تتيه بنا في أرض منابره

واخذوا يرصدون كوكبه من هذا الافق وحده ، ولكن أيديهم تمتد بعد فترة الى قصة غرامية من الشعر المنثور تتضمن خطرات مهجرية تحت عنوان «آمال» فيرى القراء نمطا من قول جبران خليل جبران يحتذيه عبد العزيز فيدهشون ويتساءلون اصاحب رصانة السبك وجودة الحبك في شعر المعرفة هو صاحب الهمسات والومضات في خواطر « آمال » وكيف تلاقى الجارم وجبران في اطار ؟ لا بد ان يكون هناك تشابه في الاسماء وان عبد العزيز جادو شخصيتان لا شخصية واحدة ، ولكن صاحبنا امام معارفه واصدقائه يعترف انه يجمع الثلج والنار في اناء .

والى هنا فالمسألة مسألة حيرة واشتباه فقط لم تصل بعد الى التناقض في انتاج عبد العزيز ! ولكن هذه الحيرة تشتد حين نجد عبد العزيز يفاجىء الناس بضرب من الفولكلور الفكاهي ينشره في مجلة «الراديو والبعكوكة» وفي مجلة « اللطائف المصورة » فيترك الجارم وجبران الى احتذاء حسين شفيق المصري ! ويرى القراء في انتاج عبد العزيز شيئا جديدا لا يتصل بمجلة « المعرفة » ولا بمجموعة امال بسبب من الاسباب ! اهو عبد العزيز الثالث ام ترى ماذا ؟

لا زلنا بعد في دائرة الحيرة والالتباس ؟ ولكننا نكاد نقطع الشك باليقين حين نمر في شارع شهير بالاسكندرية فنجد محلا تجاريا كبيرا يبيع الحدائد المختلفة الحجوم وقد وضعت عليه لافتة كبيرة تحمل اسم « عبد العزيز جادو » ونرى الرجل بلحمه ودمه يناقش في اسعار المسامير والمفصلات ، ويكايد زبائنه ويكايدونه ، ويدير اطار ؟ لا بد ان يكون هناك تشابه في الاسماء وان عبد عبد العزيز اخر دون نزاع فاذا التبس الجارم بجبران وحسين شفيق فلن يلتبسوا جميعا بسادتنا التجار ؟ اترى قد ودع الرجل عالم الشعر والادب ؟ من المعقول ان يحصل ذلك ؟ ولكن ليس من المعقول ان يودع هذا العالم الى المسامير والمفصلات فجأة دون اسباب ؟ وهذا ما كان !

وتمر على الشارع الكبير بحي كليوباترة بالاسكندرية

لتقرأ اللافتة التجارية ما بين مصدق ومكذب . فيدهشك ذات يوم ان ترى جوارها لافتة اخرى تقول عبد العزيز جادو صاحب جريدة « الشاطىء » فتضرب كفا بكف ، وتقول هل اصبح تاجر الحديد صاحب جريدة ورئيس تحرير ؟ وتتطلع الى قراءة الاعداد فتزيد الدهشة في نفسك حين تجد في صدر الصحيفة هذه العبارة « جريدة الشاطىء توزع مجانا لمن يطلبها » ما هذا ؟! ان عبد العزيز الذي نعرفه فقير يعتمد على ستر الله في تربية اولاده ، ولن يعقل اطلاقا ان يصدر صحيفة توزع بالمجان !! لا بد ان هناك مليونيرا اخر يحمل اسم عبد العزيز جادو ! ولكن ادارة المجلة بمنزل عبد العزيز ؟ وكلمات الكتاب ورسوم الكاريكاتوريين توجه الى عبد العزيز ، وهو يطالع تجاهك ما يرد من الرسائل ، ويخط أمام عينيك الافتتاحية التي لا تلبث ان تقرأها في صدر الشاطىء ؟ مهما تأكدت من ذلك كله فأنا بعقلي لا اصدق ! واذهب الى صديقي وصديقه الاستاذ الكبير نقولا يوسف فأسأله عن هذا الكنز الذهبي الذي انفجرت فوهته تحت قدمي عبد العزيز فجأة فأتاح له ان يوزع الشاطىء بالمجان ؟ فيضحك نقولا ثم يقول « كنز ايه يا عم ! » المسكين يعتمد على بعض اعلانات تكفي نصف التكاليف ، ثم يدفع النصف الاخر من عرق جبينه بالمحل الحديدي ! فأسأله ثانية وما هذا العناء ؟ لماذا لم يخفض قيمة الاشتراك بما يجعله يخرج من الهوى لا عليه ولا له ! فيقول : لقد تعب ! جرب ذلك بضعة اعداد، فأكل المشتركون ثمن الشاطىء وطال انتظاره دون جدوى فكتب عبارة « توزع مجانا » ليريح ويستريح !

ثم اغمض عيني لانسى ان عبد العزيز حقيقة واقعة ! اغمضها كيلا اراه وانا اقول له ولماذا لا تكتفي بالنشر في الصحف وتوصد « الشاطىء » رحمة بأولادك الضعاف ؟ فيقول انا انشر افكاري هنا كما أريد اما رئيس التحرير في مجلة اخرى فله مواضعات خاصة قد لا تقبل كل ما يقال ؟ انا حر يا عم !! واسمع واسمع ثم اقول هذه رابعة المتناقضات !

وتفاجئني دار المعارف ذات يوم وأنا بالمنصورة بعيدا عن عبد العزيز بكتاب نفسي يصدر في سلسلة اقرأ تحت عنوان « الاحلام والرؤى » لمؤلفه عبد العزيز جادو فأتصفح الكتاب فأجده يلم بالحقائق الجديدة لعلم النفس فيتحدث عما يقوله النفسيون عن اللاشعور والحيل الوهمية والعقد المركبة وما الى ذلك وانا أعرف ان تاجر الحديد وصاحب « الشاطىء » وتلميذ الجارم وجبران لم يدرس علم النفس دراسة مدرسية او جامعية ، فلا بد ان يكون عبد العزيز جادو قطعا هذه المرة غير عبد العزيز الاسكندري الذي يسكن في شارع الجمال رقم ٧ في حي كليوباتره بالرمل البهيج ، لن يكون هذا ذاك بحال من الاحوال وكيف ؟ والشاعر يقول :

الشرق منزلنا ومنزلهم غرب وأين الشرق والغرب

ولكن البريد يسرع الي بهدية من كتاب « الاحلام والرؤى » تحمل توقيع عبد العزيز ! يا لله متى درس عبد العزيز علم النفس وكيف تمكن منه تمكن المؤلف لا تمكن القارىء ؟ وأين وجد وقته في دنيا التجارة والصحافة والاولاد ؟ وأتلمس الانباء فأعرف ان « الشاطىء » قد احتجبت بعد ان أكلت كل ما ادخر عبدالعزيز ، وان الرجل اراد ان يتصبر بالقراءة فاندفع الى مراجعة كتب كثيرة في علم النفس من اوربية وعربية حتى استطاع في ثلاثة أعوام ان يكون بثقافته الذاتية عالم نفس يضع الكتب المتخصصة كما يضعها اساتذة الجامعات في كليات التربية والاداب !

ويطول عجبي فترجع الي وسوستي وأزعم ان الرجل شخصية خيالية اذ كيف يحلل النفس البشرية بأدق الاجهزة العلمية بائع مسامير ؟!! ولكن بحوث عبد العزيز تتتابع لتغيظني وتربكني حيث يحمل الي البريد بين الفينة والفينة كتبا نفسية تصدرها دار المعارف لعبدالعزيز تحت عنوان « طريق النجاح » و « كيف تكون سعيدا » و «نحو ابتسامة مشرقة » ثم ارجع الى اعداد « الرسالة » و « الاهرام » و « الاديب » اللبنانية و « الاقلام » العراقية فأجد عبد العزيز يملؤها علم النفس ! فأقول في نفسي هذه العبارة المضحكة التي يقولها المصريون في مجال التعجب والاعجاب « يخرب بيتك يا عبد العزيز » انت شيطان !

وتمضي المفارقات الى نهايتها فيكتب لي بعض الاصدقاء بالاسكندرية ان الشخصية الخيالية تركت علم النفس ، واشتغلت بعلم الروح فلا اكاد اصدق ، ولكني أعلم ان الباحث النفسي الشهير مكدوجل قد خطا هذه الخطوة فجعل ميدانه النفسي طريقا الى البحث عما وراء الغيب ! فربما تكون روحه قد تقمصت روح عبد العزيز فانطلقت بها من شرارة علم النفس الى ما وراء الاثير ! وتصدق الايام ما زعم الصديق فتصدر دار المعارف في سلسلة اقرأ كتابا لعبد العزيز تحت عنوان « الروح والمعلم » ويجيئني البريد بكتاب عبد العزيز ممهورا باهدائه وتوقيعه ! ولكني اغمض عيني اذ لا استطيع القدرة على مجابهة كل هذه المفارقات من المتناقضات .

وتسوقني الظروف الطارئة الى زيارة الاسكندرية فأهرع الى محل الحديد لاسامر صديقي القديم بعض الوقت فأجد المحل غير المحل . والتاجر غير التاجر فأدهش واتساءل عن صاحبي فأفاجأ بأن عبد العزيز جادو يشغل الآن منصب المدير للعلاقات العامة باحدى الشركات التجارية الكبرى بالاسكندرية ، لان خبراته الاجتماعية قد جذبت اليه مجلس ادارة الشركة فاختاره مديرا للعلاقات العامة حيث يباشر منصبه بدبلوماسية لا يلم بها سفير متخصص في وزارة الخارجية !! وكم اراح من مشاكل وزلل من عقاب ! فأقول في نفسي ربما تسأل عن عبد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصـرار

★

سـامضي للنهايـة في صراعـي ... أشـيد مـا تهـدم مـن قـلاع
أحطـم فـي طريقـي كـل قيـد ... واسمـع من تغافل عن سماعي
دروب التيـه زادتنـي عنـادا ... ومر العيش عجـل باندفـاعي
وخيمتنـا تقـاذفهـا ريـاح ... عريـن ضـاق من زحم السباع

اذا سـلب العـدو عـزيـز ارض ... واحـرق ما ملكـت من المتـاع
وسكـين الجريمـة فـي يديـه ... يقطـع حدهـا عنـق الرضـاع
وليـل مطبـق لم نلـق فيـه ... سـوى درب المذلـة والضيـاع
وأرض العشـب في وطني قبور ... لأغنـام ومزمـار وراع
وحقلي قـد غدا للذئب سـاحا ... ووكـرا للثعالـب والافاعـي

فـاني قد نفضـت الـذل عني ... وبحـر التيـه ودعـه شراعـي
زحفت على دروب الثـار حـرا ... أبـي النفس للايـام واع
فلا اصغي لصـوت او حديـث ... فرشاشي المحكـم فـي النزاع
ولا ارضى بحـل ليس يمحـو ... كيـان الغاصبـين من البقـاع
بلادي في الجليـل وبئر سـبع ... وفـي حيفـا ويـافـا والقطـاع
حدودي النهر للشـطآن أمضـي ... احـرر تربـة الوطـن المضـاع

سيهات ـ السعودية — محمد ابو عبيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العزيز مرة اخرى فيما بعد فتجده شيخ المعهد الديني ! او اخصائي في شركة الصابون ! او مهندس في مؤسسة النسيج ! ثم يقابلك في كل هذه الوظائف ليثبت اليك انه في كل وظيفة متخصص اصيل ! وكأننا نعدو الواقع الى الخيال .

واخر نبأ تلقيته عن عبد العزيز انه يعكف على خريطة الجزيرة العربية ليحدد الاماكن الادبية القديمة مثل عكاظ وسلع والعقيق وودان والغوير والرقمتين ، وانه يقرأ مؤلفات ياقوت والبكري وحمد الجاسر وابي علي الهجري وقد كتب عن بعضها بمجلتي «الاديب» اللبنانية و«العرب» السعودية ! فلم ادهش في شيء اذ لو قيل لي ان عبد العزيز صعد في مركبة ابوللو لينزل على سفح القمر مع الامريكان لانشدت قول القائل :

ليس على الله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

جرس فلانا

يقولون : جرس فلانا (بتشديد الراء) ، أي نده به وفضحه . والصواب : جرس (بتشديد الراء) به تجريسا .

اما (جرسه) بتشديد الراء أيضا ، فمعناه : حنكه (بتشديد النون) ، وجعله خبيرا بالامور . ومنه الحديث : قال عمر لطلحة رضي الله عنهما : قد جرستك الدهور . أي : حنكتك ، وأحكمتك ، وجعلتك خبيرا بالامور مجربا .

فالرجل مجرس (بتشديد الراء وكسرها) ومجرس (بتشديد الراء وفتحها) ، وعلى الثاني اقتصر الجوهري .

الجعبة

ويقولون : أخرج ما في جعبته (بضم الجيم) ، أي : ما في كنانته من النشاب . والصواب : أخرج ما في جعبته (بفتح الجيم) . وجمع الجعبة : جعاب (بكسر الجيم) . والجعاب (بفتح الجيم وتشديد العين) : صانع الجعاب . وجعبها (بتشديد العين وفتحها) : صنعها : والجعابة (بكسر الجيم) : صناعته .

وللجعبة معان اخرى ، منها : الجعبة : أكبر أواني الشرب . جمعها : جعابات (بفتح الجيم) وجعاب (بكسر الجيم) . نقله التاج عن المزهر لجلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .

جلب الفقر على أسرته

ويقولون : جلب الفقر على اسرته . والصواب : جلب الى اسرته الفقر، أو : جر على أسرته الفقر . أما قوله تعالى في الآية ٦٤ من سورة الاسراء : « وأجلب عليهم » فمعنى (جلب) هنا هو : صاح وأحدث جلبة ، أي ضجيجا .

تجلد أمامهم

ويقولون : تجلد امام أعدائه . والصواب : تجلد (بتشديد اللام وفتحها) لاعدائه . أي : تكلف الصبر والقوة وأظهرهما . وقد جاء في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي ، التي رثى بها أبناءه الخمسة :

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

أما قول الشاعر :

وكيف تجلد الاقوام عنه ... ولم يقتل به الثأر المنيم

فقد عداه ب (عن) ، لان فيه معنى تصبر .

جلس بجانبه

ويقولون : جلس بجانبه . والصواب : جلس الى جانبه ، او جنبه (بفتح الجيم وتسكين النون) ، او جنابه (بفتح الجيم) .

جلطة دموية

ويقولون : أصيب فلان بجلطة (بفتح الجيم) دموية . والصواب : أصيب بجلطة (بضم الجيم وتسكين اللام) دموية .

جمادى الاول

ويقولون : ولد في جمادى الاول . والصواب : ولد في جمادى (بضم الجيم وبالالف المقصورة) الاولى . وقد قال الفراء : فان سمعت تذكير جمادى ، فانما يذهب به الى الشهر . وهو القائل : الشهور كلها مذكرة الا جمادين فانهما مؤنثان .

وجمادى الاولى هي الشهر الخامس من شهور السنة الهجرية ، وكانت تسمى جمادى خمسة . أما جمادى الاخرة فهي الشهر السادس من شهور السنة الهجرية . وكانت تسمى جمادى ستة . والشهور الهجرية جميعها مذكرة الا جمادين . ويخطىء من يقول : جمادى الثانية بدلا من جمادى الاخرة . وجمع جمادى : جماديات او جماد (بكسر الجيم) .

بجمع كفه

ويقولون : ضربه بجمع (بضم الجيم وفتح الميم) كفه . والصواب : ضربه بجمع (بضم الجيم وتسكين الميم) . اي : بكفه مقبوضة . ونقول : ضربه بحجر جمع (بضم الجيم وتسكين الميم) الكف وجمعها (بكسر الجيم وتسكين الميم) . أي : ملئها .

جندب

ويطلقون على أحد أنواع الجراد اسم جندب (بكسر الجيم والدال) . والصواب : جندب (بضم الجيم والدال) ، وجندب (بكسر الجيم وفتح الدال) ، وجندب (بضم الجيم وفتح الدال) . جمعه : جنادب .

جنوبي حيفا

ويخطئون حين يعدلون عن الموصوف الى الصفة عند ذكرهم الجهات الاربع ، فيقولون : تقع يافا جنوبي حيفا . والصواب : تقع يافا جنوب (بفتح الجيم والباء) حيفا .

جهد جهيد

ويقولون : جهد جهيد . والصواب : جهد (بفتح الجيم وتسكين الهاء) جاهد . وتستعمل (جاهد) للمبالغة . ومثلها : ليل لائل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما (الجهيد) فهو المرعى تشتهيه الدواب والمواشي .

مجهـــــر

ويسمون الجهاز الذي يظهر الجراثيم الدقيقة جدا بعد تكبيرها مجهـرا (بكسر الميم وفتح الهاء) أي : مكروسكوب . والصواب : مجهر (بضم الميم وكسر الهاء) كما اصطلحت عليه المعاجم الحديثة ، لانه جهـاز حديث ، وربما كان السبب في ذلك اشتقاقه من الفعل الرباعي المتعدي (أجهر) ، واسم الالة ، الذي من أوزانه (مفعل) بكسر الميم وتسكين الفاء وفتح العين ، لا يشتق الا من الفعل الثلاثي المتعدي .

وقد جاء في التاج واللسان :

(١) أجهر الكلام : أعلنه .

(٢) جهرته (بفتح الراء) العين : رأته .

(٣) مجهر (بضم الميم وكسر الهاء) : معروف بشدة الصوت .

(٤) مجهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : صاحب صوت جهوري ، أي : عـــال .

(٥) رجل مجهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : اذا كان من عادته أن يجهر بكلامـه .

أما الآلة المخصصة برقب النجوم ورصد الفلـك (التلسـكوب) فنسميها : (مرقب) بكسر الميم وفتح القاف .

أجهشت في البكـاء

ويقولون : بكت فلانة وأجهشت في البكاء . والصواب : بكت فلانـة ورنت (بتشديد النون المفتوحة) أي : رفعت صوتها بالبكاء .

اما أجهشت بالبكاء أو جهشت (بفتح الجيم وكسر الهاء) بـه ، فمعناه : همت (بتشديد الميم المفتوحة) بالبكاء ، وتهيأت له .

جـوازات السـفر

ويقولون للمسافرين : احملوا معكم جـوازات سفـركم . والصواب : اجلبوا معكم أجوزة سفركم . و (الجواز) هو الصك الـذي يحملـه المسافر من قطر الى آخر .

تجـول في البـلاد

ويقولون : تجول في البلاد . والصواب :

(١) جال في البلاد يجول جولانا (بفتح الواو) ، وجولا (بفتـح الجيم وتسكين الواو) ، وجؤولا (بضم الجيم) . وقد ورد المصـدر (تجوال) في نهج البلاغة ، في كتاب من علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى سهل بن حنيف . والمعنى : طاف في البلاد غير مستقر فيها.

(٢) جول (بتشديد الواو وفتحها) في البلاد تجوالا (بفتح التاء) : طاف غير مستقر فيها .

(٣) جول (بتشديد الواو وفتحها) البلاد تجويلا : جال فيهـا كثـيرا .

(٤) اجتال اجتيالا : طـاف .

(٥) انجـال انجيالا : طـاف .

ولم أعثر في المعاجم على تجول (بفتح الاحرف الاربعة وتشـديـد الـــواو) .

الجيـــب

الجيب ليست فصيحة ، ولكنني لا أرى باسا في استعمالها ، لاننا ليس لدينا في الفصحى ما يقوم مقامها .

وفي المعاجم : جيب القميص : طوقه . والجيب : الصـدر أو القلب . وقد كان العرب يضعون الاشياء الثمينة في صدور ثيابهم ، فيكون استعمالنا لكلمة (جيب) صحيحا مجازيا .

وفي الآية ١٢ من سورة النمل ، والآية ٣٢ من سورة القصص ، تعني كلمة (جيب) : طوق القميص .

أما في الآية ٣١ من سورة النور ، فان كلمة « جيـوب » تعنـي القلوب والصـدور .

الأمـــر

ويقولون : الأمرالذي حملنا على نقل فلان الى المستشفى هو اصابتـه بالحمى . والصواب : ما حملنا على نقل فلان الى المستشفى هو اصابته بالحمى . أو : اصابة فلان بالحمى حملتنا على نقله الى المستشـفى ، لان استعمال كلمة (الأمر) هنـا ، ركيك جدا ، وليس عربي الاصول ، وربما دخل الضاد بأقلام ضعفاء المترجمين .

حـــاد منـــه

ويخطئون من يقول : حـاد منـه ، لان المعـاجم تقول : حـاد عنـه . والصواب : حاد عنه و حـاد منه ، اذ جاء في الآيـة ١٩ من سـورة « ق » : تحيد منـه .

واستشهد علي اللحياني بقول الشاعر :

يحيد حذار المـوت من كل روعـة ولا بد من موت ـ اذا كان ـ او قتل

احتـار فـي أمـره

ويقولون : احتار في أمره . والصواب : حار في أمره ، لان الفعـل (احتار) لم يرد على لسان العرب . وقد أخطأ ابراهيم طوقان حـين قـــال :

فالنفس بين تهيـب ممـا تـــرى وتلهـب، فاحـترت مـن أمريهـا

محـــاضرة

ويقولون : أعجبتني محاضرة فلان . والصواب : أعجبتني خطبة فلان ، لان الفعل (حاضر) معناه : سابق في العدو ، او جاء بالجواب حاضرا ، أي : أن يجيب الواحد صاحبه بما يحضره من الجواب .

والمحاضرة : المجالدة ، وهو أن يغالبك على حقك فيغلبك عليـه ، ويذهـب بـه .

وحاضرته حضارا : عدوت معه .

احتـاطوا المدينـة

ويقولون : احتاطوا المدينة . وهذا خطأ اذا لم نشـا النصب بـنزع الخافض ، صوابه : احتاطوا بالمدينة . أي أحدقوا بها .

خـبز حـــاف

ويقولون : اكلت خبزا حافا . اي : خبز غير مأدوم . والصواب : اكلت خبزا حافا (بتشديد الفاء) .

ومثله الخبز الكفت (بفتح الكاف وتسكين الفاء) ، والخبز القفار (بفتح القـاف) .

حـافة الـوادي

ويقولون : حافة (بتشديد الفاء المفتوحة) الوادي . والصواب : حافة (بحذف الشدة) الوادي . أي : جـانبه . وجمعها حافـات وحيف (بفتح الحاء والياء) وحيف (بكسر الحـاء) وحوائف .

الحـاء) وحـوائف .

صيدا ـ لبنان **محمد العدناني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى البير اديب

لئن تك انت بالتكريم احرى ... فلست من الالى بخسوك قدرا
وهل ينسى الودود أخا وداد ... به هصرا ربيع العمر هصرا
فكيف مع احتقابك كل فضل ... به لا تستحق لدي شكرا
فان تكن الجسوم بنا تناءت ... فانك بي متى عاهدت ادرى
وان يكن المشيب طفى علينا ... فما صدأ الشبا بالسيف ازرى
أخا الستين وهي بدور تم ... لكم اطلعن في الظلمات فجرا
وكم ذللن للاصلاح سبلا ... وان يك مسلك الاصلاح وعرا
فكنت الواضع المنهاج بينا ... قصرت على السياسة منه شطرا
وما كان (الاديب) مدار قصد ... لكي تزجى الهبات اليك تترى
وان تتدارك الماضي بعهد ... تقلم للسياسة فيه ظفرا
ولكن و «الضياء» (١) جرى فجلى ... وكان لهيع الاداب ذخرا
فجاوز هامة الجوزاء شأوا ... وكاد على « الضياء » يتيه فخرا
ترديت البرود البيض فيه ... تنشقنا من الاردان عطرا
تطل على الشباب وانت فيها ... تجاوزت الشباب الغض عمرا
فلا لبنان فاقك في علو ... بمجبرة ولا استثنيت مصرا
ولا كان الظليم لديك حق ... غداة الامس قد وليت أمرا
ولم يك دأبك الزلفى بدرب ... ولا قدم مشى لك فيه شبرا
ولم يك من سجيتك التقاضي ... لما قلدت جيد الضاد أجرا
فلا أدنيت نفسك من يسار ... ولا ابعدت فيه عنك فقرا
وهل كان اليراع سوى اداة ... به يبغي امرؤ للحق نصرا
وكم رهط زرت بهم الاماني ... قد اتخذوه للاثراء جسرا
فصار معرة منه عرار ... له عبق يحاكي الطيب نشرا
وما الافراط في خلق زري ... بملتمس لدى القراء عذرا
وهل كان الخلود حليف رهط ... تسامى للعلى من حيث أثرى
كان ذواتهم ادوات شر ... ومنها يستمد الشر شرا
اذا ندبوا لقول الحق صموا ... ولم ير منهم بالنصح برا
فأصبح للضمير النطق دمعا ... واصبح بالسداد النطق هجرا (٢)
وكاد الشعب يمسي في ظلام ... غداة غدت مباني العدل دثرا
بصد عن مساعفة التصافي ... كأن بسمع بعض القوم وقرا
فمرحى « للاديب » والف مرحى ... لمن قد شد للآداب أزرا
يباري النجم في سبل المعالي ... كأن له لدى الافلاك ثارا
فان حسدتك افئدة مراض ... أليس مقدروك اليوم كثرا ؟

(١) مجلة الضياء للعلامة الشيخ ابراهيم اليازجي .
(٢) الهجر هنا معناه هذيان المحموم .

محمد كامل شعيب العاملي

قصة

بائعة المرطبات

بقلم عبد الحميد الانشاصي

كان لاسماعيل على فقره واسع الحيلة يعرف كيف يبيع ويفي بحاجات اسرته المؤلفة من زوجته فاطمة وبناته السبع وطفله الذي يبلغ الرابعة من عمره . حينما رزق ابنته الكبرى لطفية قطب وعامل زوجته معاملة سيئة . وكأن الله اراد ان يؤدبه اذ زرقه ابنة ثانية سمتها زوجته كريمة . وتلت تينك البنتين خمس بنات اخريات . ففضب اسماعيل ، وثار في وجه زوجته منزرا بالطلاق . ولعل الله رق لزوجته الساذجة المتواضعة اذ وهب لها ولدا ذكرا . فاطمأن اسماعيل ، وشعر بغبطة وراحة في نفسه .

حرفته بسيطة : صنع المرطبات للظماء من الناس في أيام الصيف القائظة ـ اشربة من السوس والخروب والتمر الهندي والليمون . وكان يقدم الوان الشراب في زاوية من زوايا منعطف متفرع عن شارع صغير . وكان يرى وحوله عدد من العتالين وماسحي الاحذية وعمال المصانع والباعة المتجولين ، انه فقير سيء الحال ، والمكان الذي يبيع فيه متواضع لا شأن له . وكذلك زبائنه فقراء مغمورون .

اسماعيل يرتدي بنطلونا طويلا من الكاكي رخيص الثمن حائل اللون ، وطاقيته قديمة قذرة من الصوف الخشن . لا يحلق ذقنه ولا يحلق الحلاق شعره في انتظام . ولكنه يعنى بشاربيه الكثيفين الشرسين . انه يشذب من شعرهما ويبرم طرفيهما من حين الى اخر مما جعله يبدو شابا قويا معتزا بنفسه . وهذا ما جعل زبائنه يهابونه ويحترمونه . وهم يحبونه لانه يقدم كؤوس الاشربة مملوءة او فائضة بما تحويه . وتلك الاشربة متقنة الصنع حلوة المذاق لذيذة الطعم .

(اسماعيل يساير زبائنه ولكنه قاس على زوجته واولاده ، يمزج أشربته المثلوجة التي يقدمها الى الزبائن بكلمات حلوة وابتسامات مشرقة تزيد الاشربة حلاوة في افواه شاربيها . ولكنه يمزج الاطعمة التي يقدمهاافراد اسرته بالتنكيدوالسخط والانتهار والضرب . وهذا ما جعل افراد اسرته يخافونه ويبغضونه وان كانوا يحترمونه) .

زوجته فاطمة جميلة ولكنها ساذجة تبتلع الاهانات التي يصبها عليها زوجها في صمت وهدوء وتبدو كأنها لا تشعر بما ينخس به قلبها من آلام . انها تطيعه في كل امر كأنها تتفانى في حبه .

(فاطمة ليست راضية عن حياتها مع زوجها . مرارا ثارت في نفسها وتمنت لو انها انفصلت عنه وتزوجت برجل اخر ولو كان أفقر منه ، اذ همها ان تتخلص من نكده وسوء خلقه . ولكن اهلها كانوا يحولون دون ذلك . واولادها اجتذبوها الى منزل زوجها بسلاسل من حديد خفية) .

ابنتها الكبرى لطفية صبية على شيء من الجاذبية وان لم تكن على شيء من الجمال الصارخ . تجذب ببياض لونها واهداب عينيها الكثيفة كثافة شاربي أبيها . ولسواد عينيها حلاوة تترك في النفس تأثيرا اشد مما يتركه شراب التمر الهندي من اللذة في فم شاربه .

(لطفية انساقت في طريق الرجال من حيث لا تدري . انها تقلد اباها في قوته وصرامته ورزانته . ولا يدرك ما في طباعها من خشونة الذكورة الا من خالطها وعاشرها . ان الفتيات اللواتي يعاشرنها يلاحظن ذلك . ومنهن من كاشفنها بحقيقة طباعها بلا خوف او حياء . وبعض الشبان من الجيران ادركوا ذلك ، فأداروا وجوههم عنها كلما مرت دون ان تخضع قلوبهم لجاذبية وجهها وسهام عينيها السوداوين . لا يميل الى فتاة كهذه سوى شاب مهذب الطباع حيي خجل يفتقر الى فتاة جريئة تشاركه في الذب عن نفسه في معترك الحياة) .

★

اصيب اسماعيل فجأة بمرض اقض عليه مضجعه . وقد تبين له بعد الفحص الطبي ان المرض هو التهاب في الكليتين . غير انه اهمل ذلك المرض ولم يلتمس له علاجا لجهله وفقره ، فازداد حدة حتى الزمه الفراش . وبعد مضي بضعة اشهر قضى عليه .

حارت الاسرة في امرها اذ اضحت الان بلا عائل يكسب لها رزقها ويعينها على قضاء حاجاتها . نعم ، لقد ترك لها اسماعيل ثلاثمائة دينار . ولكن ما قيمة هذا المبلغ ازاء نفقات تلك الاسرة الكبيرة ؟ ماذا تفعل لكي تضمن لها الرزق ؟ ان المال ينقص مع الايام شيئا فشيئا . ليس في الاسرة الا سبع بنات وطفل . وليس لهم من الاقرباء احد . الاسرة منقطعة لا يعبأ بها أحد . والجيران الذين كانوا يبتسمون في وجوه افراد تلك الاسرة صاروا اليوم يختلسون اليهم نظرات الاسى والاسف ، والنفور والهرب الخفيين .

قالت لطفية ذات يوم لامها :

ـ امي ! ماذا ننتظر ؟ ان بقينا على هذه الحال متنا جوعا وهما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(انك قليلة الحيلة ضحلة التفكير) .

فمالت فاطمة برأسها الى ناحية في حزن وقالت :

ـ وماذا تريدينني ان نفعل يا بنتي؟ ليس بيننا شاب يعمل من اجلنا . اننا نساء ، والذكر الوحيد بيننا صغير السن ، انه طفل . فماذا يمكننا ان نفعل ؟

فرفعت لطفية رأسها في شموخ وثقة قائلة :

ـ الا تثقين بي يا امي ؟

(انني اساوي خمسة شبان) .

ـ ماذا تعنين ؟

فولدت لطفية ابتسامة خفيفة ، واجابت بصوت منخفض :

ـ يمكنني ان اعول الاسرة كلها .

(جربي . سترين) .

فابتسمت امها ابتسامة ساخرة وقالت :

ـ هه ! انت ؟ مسكينة انت يا بنتي !

(ماذا جرى لعقلك ؟ انك بنت منزوية في الدار لا تتقنين من الاعمال شيئا) .

فحدجت لطفية امها بنظرة ثائرة ، وقالت بنفحة قوية مرتفعة :

مسكينة ! انا مسكينة ؟ الا تثقين بي ؟ ان في استطاعتي ان اقوم بما كان والدي يقوم به من الاعمال .

(بل افوقه براعة في صنع الاشربة) .

فوضعت فاطمة كفها على خدها ، وقالت في استخفاف :

ـ تبيعين الاشربة في السوق !

(هل انت رجل يا حمقاء ؟)

ـ لقد تعلمت من ابي صنع الاشربة ، وصرت اتقنها كما كان يتقنها . من يقدم الى زائراتنا شرابي التمر الهندي والليمون ؟ انا . من يصنعهما ؟ انا . اليس كذلك يا امي ؟

ففكرت فاطمة هنيهة ثم اجابت :

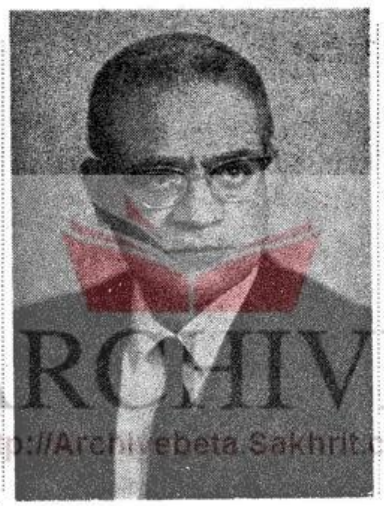
ـ ولكنك فتاة . والفتاة لا تبيع في السوق ، ان الرجال لا يسمحون لها بذلك .

(هل تريدين أن تجلبي علينا العار يا مجنونة ؟) .

ـ وكيف يسمح لنا الرجال بأن نموت جوعا ؟ هل يرضيهم ان نموت جوعا ؟

(نحن ما لنا وللرجال ؟ اتركي الامر لي . انني اعرف كيف اكسب عطفهم وحبهم واحترامهم) .

وبعد جهد شديد وجدال طويل استطاعت الفتاة أن تقنع امها . فكرت لطفية في الامر مليا . لم يبق لدى امها من المال الذي تركه والدها سوى مائتي دينار . واذن فتكاليف



عبد الحميد الانشاصي

●

مشروعها يجب الا يتجاوز المائتي دينار . لا بد لها من ان تعرض الاشربة المثلوجة في كشك صغير بجانب احد الحوانيت . ان ايجاره ضئيل . وبعض ذلك المبلغ يكفي ثمنا للمواد اللازمة للاشربة كالاباريق الزجاجية الضخمة والكؤوس الانيقة. ان المواد التي كان يستعملها والدها من نوع رخيص لا يصلح للمشروع الذي اعتزمت ان تنفذه .

★

وقفت لطفية في الكشك ، وقد انتصبت اباريق الاشربة الضخمة بينها وبين الجمهور . وقفت منتصبة القامة مرفوعة الراس مستوية الكتفين ، غير ان نظراتها كانت تزوع تارة الى اليمين واخرى الى اليسار فرارا من نظرات المستطلعين المستغربين . وبذلك ناقضت نظراتها الجبانة هيئتها الجريئة . بدت بجسمها في مظهر الشجاع المستعد للمقاومة ، وبدت عيناها في مظهر الضعيف الهارب . وكان الرجال يمرون بكشكها وهم ينظرون اليها ، وقد طفت على وجوههم ابتسامات ساخرة وكمنت في قلوبهم ثورات ساخطة . لم يتقدم منهم أحد لشراء كأس من الشراب . لقد فتحوا لها عيونهم بدون ان يفتحوا لها محافظ نقودهم . والاباريق الزجاجية ما زالت ممتلئة بالاشربة دون ان يصب منها شيء . اتكأت لطفية بكوعها على حافة شباك كشكها في تأمل وتفكير وحزن . وقد ولد وضعها ذلك فتنة واغراء للرجال . ولكنهم ما زالوا محجبين عن شراء الاشربة مبتعدين عن وجهها الابيض واهداب عينيها الكثيفة .

(أصوات من الداخل : ما لكم مبتعدين عني ايها الرجال ؟ الستم راضين عن فتاة تبيع لكم الاشربة المثلوجة ؟ هل انا غريبة عنكم ؟ انني مسؤولة عن اسرة كبيرة . اعذروني فانني كبرى اخوتي . واخي ما زال طفلا . شجعوني لكي اتمكن من ان اعول امي واخواتي واخي الصغير . ان شرابي منعش ولذيذ . تعالوا الي ! جربوا ! ان اليد التي تقدم كؤوس الاشربة الحلوة هي يد فتاة حلوة مثلها . الا يعجبكم ذلك ؟ الا تتمنون ان تتناولوا الكؤوس من يد فتاة جميلة مثلي ؟ انني موقنة انكم تؤثرون يدي على أيدي الرجال التي تمتد بكؤوس الاشربة المثلوجة . اساخطون انتم علي أم خجلون مني ؟ اشربوا ولو مرة واحدة . انني على يقين بأنكم ان شربتم مرة واحدة كررتم الشراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرارا) .

« اصوات من الخارج : ـ يا لك من فتاة وقحة ! يا لك من صبية جريئة لا فتاة غيرك تبيع الناس شرابا مثلوجا . اليس لك والدان يردعانك عن هذا العمل الذي لا يمارسه الا الرجال ؟ انك واقفة في كشك تنظرين الينا بعينين جريئتين كأنك تتحدينا. تفهعليك ! ـ لا شك ان هذه الفتاة ساقطة، وقد احترفت بيع الاشربة للرجال لكي توقعهم في شرك فتنتهاواغرائها . ـ انصرفي من هنا ايتها الفتاة المترجلة ! الزمي بيتك وابتعدي عن الرجال ، ليس مكانك هنا . انه في البيت حيث تطبخين وتغسلين وتكنسين ـ لعن الله اباك! لو انني ابوك لذبحتك ذبحا . لا شك ان والدك مجنون . ـ لعن الله امك ! ان أمك امراة عاهرة » .

(منظر في الداخل : تصيح لطفية ساخطة ، ثم تكسر اباريق الاشربة بضربات عنيفة من قضيب حديدي ، ثم تخرج من الكشك في سرعة وتقف في الشارع ممسكة خاصرتيها بيديها وقائلة : « يا لكم من وحوش ضارية ! ما الذي استغربتموه مني ؟ العمل ! أليس العمل شرفا للانسان ؟ » . ثم تبصق على الارض ، وتمضي الى بيتها بحركات عصبية) .

سمعت من الرجال كثيرا من الكلمات القارصة وهم يتهامسون فيما بينهم في شأنها او وهم يمرون بها مسرعين ، فثارت نفسها سخطا ، وكادت تبكي من الغيظ . ولكنها تمالكت وتظاهرت بعدم الاكتراث ، واملت أن يتقدم بعض الرجال ويشتروا شيئا من الاشربة . لقد ادركت انهم لم يتعودوا ان يتناولوا الاشربة من ايدي الفتيات ، وانه لا بد من مضي وقت طويل قبل ان يفعلوا ذلك .

وكان شاب اسمه زهير يراقبها عن بعد . وقد آلمه ان يبتعد عنها الظماء من الرجال . عد ذلك جبنا وجهلا منهم . وقد جال في خلده ان تلك الفتاة لا بد ان تكون قد اضطرت الى مزاولة هذا العمل الذي لا يقوم به الا الرجل . لذلك اعتزم ان يكون اول رجل يشجعها على مزاولة بيع الاشربة . انه بائع نوفوتيه ، وحانوته يقع في صف الحوانيت الموازية لكشكها . وقد اغتنم الفرصة حينما زاره ثلاثة من اصدقائه في حانوته ، فأوعز الى صبي عنده في الذهاب الى لطفية وشراء اربع كؤوس من شراب الليمون والتمر الهندي . وبينما كانت لطفية متكئة على شباك الكشك في تأمل وذهول اذ تقدم اليها الصبي وطلب منها أن تعطيه اربع كؤوس من شرابي الليمون والتمر الهندي . فأفاقت من حلمها النهاري منتفضة ، وقالت للصبي مبتسمة العينين والثغر :

ـ لمن ؟

ـ لمعلمي . هناك

واشار بيده الى حانوت زهير . القت نظرة امامها ، ولكنها لم تستطع ان تعرف الى اي رجل اشار الولد بيده . ملأت اربع كؤوس من الشرابين المطلوبين بيد تهتز فرحا ، وقدمت الكؤوس على صينية نظيفة وجميلة الى الصبي . فحملها ومضى الى حانوت معلمه . وكانت لطفية تتبعه بنظراتها حتى وقعت عيناها على زهير ، ووقعت عينا هذا عليها . وقد لاحظ ذلك جار زهير ، واسمه رفعت ، فطلب من الصبي ان يأتيه بكأس من شراب الخروب . فجاءه الصبي بالكأس المطلوبة . وبعد برهة عاد الصبي بالكؤوس واثمان محتوياتها . فشعرت لطفية بانتعاش شديد وامل عظيم وان لم يتقدم أحد بعد هذين التاجرين لشراء شراب له .

★

« ـ ألم اقل لك ان الرجال لا يسمحون للفتيات ببيع الاشربة المثلوجة في السوق ؟ ها قد بارت الاشربة . فماذا تصنع بها ؟ ـ اصبري يا امي . انتظري . لا بد ان انجح فيما بعد . انني اتقدم في طريق النجاح والتوفيق خطوة خطوة . هذه هي الحياة . ـ سوف نرى » .

وفي اليوم التالي اجترأ زهير فتقدم هو نفسه وطلب كأسا من الخروب . وكانت عيناه عالقتين بوجهها الجذاب ويديها وهي تصب الشراب في الكأس . أعجب بجرأة تلك الفتاة وقوة شخصيتها اللتين قاومت بهما الرجال وصبرت على سخطهم وتذمرهم . انه شاب بسيط خجل ليس من عادته الاقدام على شيء . كثيرون من اصدقائه يعيرونه بجبنه وخجله . لذلك كان عجيبا منه ان يجترىء ويأتي ما لم يستطع غيره من الرجال أن يأتوه ـ ان يقف امام كشك تلك الفتاة ويطلب كأسا من الشراب . كل الانظار حطت عليه .

(اصوات من الداخل : انني اشعر بميل شديد اليك أيها الشاب لانك اول من اشترى شرابا مني . انك اول نصير لي . ومعنى ذلك انك غامرت بحسن سمعتك ولم تبال بما يقوله الناس فيك . ترى هل ترضى بي زوجا ايها الشاب ؟) .

(اصوات من الداخل : انني اشعر بعطف عليك ايتها الفتاة الجذابة . ان عينيك السوداوين سقتا قلبي قبل ان يسقي الشراب فمي . لا يمكنني ان امنع نفسي من التفكير فيك . من يدري قد اتزوجك وان مانع والداي في ذلك) .

وكما علقت عينا زهير بوجه لطفية ويديها وهي تصب الشراب في الكأس علقت ايضا عينا لطفية بوجهه ويده وهو يحسو الشراب من الكأس على مهل. وما كاد زهير يفرغ من الشرب حتى رأى جاره رفعت واقفا بجانبه. التفت الى جاره حينما قال هذا للطفية :

ـ كأسا من الخروب من فضلك .

موت البلبل

ما للمليحة في هم واحزان ... تئن ثاكلة من جور أزمان
تبكي على بلبل كانت تدلله ... فمات في سجنه كالمجرم الجاني
يا ليتها استوعبت لحنا يرددده ... فادركت غور أشجان وأحزان
توهمت شدوه من حزنه طربا ... فجرحة الصوت فيها أنة العاني
يشكو بانشاده حرية سلبت ... كم من شعوب شكت من ظلم انسان
كم هز نفسا نشيد منه يرسله ... شوقا لالف وافنان وغدران
يقضي الحياة على لحن يوقعه ... واجره بعد ان يطوى باكفان
لو يدرك البلبل الغريد بلوته ... من شدوه لتمنى صوت غربان
كيلا يكون اسير الفن في قفص ... فتنعم الخود في أذلال فنان
كفي الدموع فما بالدمع مغفرة ... فالله يصفح عن ذنب باحسان
لا تبعدي طائرا عن الفه ابدا ... فالالف حب وعش الحب طيران
أترتضين حياة الزهد مفردة ... فيذبل الورد ريانا بنيسان
وتحبسين بدار لا رفيق بها ... تبارك الحب اس الكون زوجان
ويجمل الحسن في فن يواكبه ... فالحسن والفن في الدنيا رفيقان
دعي البلابل في الادواح سارحة ... فتملأ الجو في ارسال الحان
لا تحرميها نشيدا من سعادتها ... كنازح غاب عن جنات لبنان

سان بولو ـ البرازيل — فيليب لطف الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(سنرى أينا يتغلب على الاخر) .

وتبادل زهير ورفعت نظرات التحدي والغيرة . واتفق ان مر رجل بالكشك ، فرأى رفعت يتناول الشراب من يد الفتاة وبجانبه زهير . تردد اول الامر في شراء كأس له ، ولكنه لم يلبث ان اجترأ حينما وقعت عيناه على ذينك الشابين وطلب كأسا من شراب الليمون . وبعد قليل حذا حذوه سبعة رجال في اوقات متباعدة . فشعرت لطفية بغبطة وابتهاج ، وايقنت أنها تتقدم في طريق التوفيق .

مضت بضعة ايام واشربة لطفية تزداد رواجا . وفي ذات يوم رأى زهير جاره رفعت واقفا هو وصديقان له امام كشك لطفية وهم يتناولون اشربة مثلوجة . فمضى زهير الى الكشك وطلب كأسا من التمر الهندي . وقال رفعت لصديقيه بعد أن دفع عنهما ثمن الشراب :

ـ غدا أذهب بكما في سيارتي الخاصة الى حديقتي فنقضي اوقاتا كلها غبطة وسرور .

(دعي زهيرا فانه شاب فقير) .

ثم ألقى نظرة على زهير ولطفية ، وقال له احد صديقيه :

ـ فرحنا الله بعرسك !

(بائعة المرطبات جميلة تستحق حبك) .

ولكن لطفية لم تنظر الى رفعت بل وجهت نظراتها الى الارض . ولما فرغ زهير من الشرب القى نظرة ساخطة على رفعت وصديقه ، ثم قال لرفعت مبتسما :

ـ ان الذي يكذب في اسعار البضائع يكذب حينما يشتري البضائع .

ثم أعاد كأسه الى لطفية ، وقدم اليها ثمن الشراب ، والابتسامة التي علت عينيه وشفتيه وهو يحادث رفعت ما زالت مرسومة على وجهه. فأجابته لطفية بابتسامة مثلها .

تكرر اللقاء بين زهير ولطفية ، ولمحا الى ما يكنه قلباهما من الحب. ثم اتفقا على الزواج .

★

« ـ أرأيت يا امي كيف ان في استطاعتي أن ابيع الاشربة المثلوجة في السوق وان اعولكم جميعا ؟ ـ انك فتاة حاذقة يا لطفية . انت تساوين عشرين رجلا . ـ لقد راجت أشربتي . انها لم ترج وحدها بل رجت انا ايضا معها . ـ ماذا تعنين ؟ ـ لقد اتفقت انا وتاجر محترم على الزواج . اصحيح ما تقولين ؟ ـ اجل . انني احبه وهو يحبني . عما قليل اتخلى عن بيع الاشربة لاختي كريمة » .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



الموسوعة الادبية

تاليف عبد السلام طاهر الساسي ـ الجزء الاول ـ ٣٥٢ صفحة ـ دار قريش للطباعة والصحافة والنشر بمكة المكرمة

عبد السلام الساسي من خيرة ادباء المملكة العربية السعودية وكتابها المشهورين ، ومؤلفاته عن الادب السعودي الحديث مصدر مهم يرجع اليه الباحثون والدارسون ، بل هي من أوثق المصادر الادبية التي لا غنى عنها لاي كاتب او اديب .

وقد صدر له عام ١٣٥٥ هـ. بالاشتراك كتاب « نفثات من أقلام الشباب الحجازي » . وفي عام ١٣٦٨ هـ. أصدر كتابه « الشعراء الثلاثة » ، وفي عام ١٣٧٠ هـ. ظهر كتابه « شعراء الحجاز في العصر الحديث » .

وها هو ذا الجزء الاول من « الموسوعة الادبية » ، التي ستقع في أربعة اجزاء ، وتؤرخ للادب العربي السعودي الحديث واعلامه ، من ادباء وكتاب وشعراء ، وهي بحق دائرة معارف كبيرة ، سوف تيسر سبيل الاطلاع على هذا الادب والكتابة عنه .

وللساسي كتابان اخران ، هما « في ظلال الصراحة » الذي صدر عام ١٣٧٢ هـ ، و «نظرات من الادب المقارن » الذي صدر عام ١٣٧٧ هـ .

ونحن نقدر هذا المجهود الطيب ونحمده ، ونرجو ان يثابر الساسي على أعماله الادبية الجليلة ، التي تتسم بالجد والصدق والامانة ، وشرف القصد ، ونبل الغاية .

وهذا الجزء من الموسوعة الادبية ، الذي بين ايدينا ، يدل على اخلاص الساسي لوطنه ، ومدى حبه لادب بلاده ، ورغبته في تخليده ، وتخليد اعلامه .

ولا شك ان هذا الكتاب ، بأجزائه المتعددة، سيصبح مصدرا جليلا في الدراسات الادبية عن الادب السعودي المعاصر ، وقد اهداه الساسي الى اعلام العلم والادب في المملكة .

ومصادر الساسي التي رجع اليها في تاليف كتابه تعد من المصادر العلمية المحترمة ، ومن بينها : العدد الخاص الذي صدر من مجلة « المنهل » عن ادباء المملكة في نوفمبر عام ١٩٦٦ و « ادب الحجاز » لمعالي الشيخ محمد سرور الصبان شيخ المفكرين في المملكة ، و « شعراء نجد المعاصرون » للكاتب المعروف الاستاذ عبد الله بن ادريس ، و « شعراء هجر » للاستاذ عبد الفتاح الحلو ، و « شعراء الجنوب » للاستاذين احمد علي السنوسي ، ومحمد بن احمد عيسى ، و « التيارات الادبية » للاستاذ عبد الله عبد الجبار . وهي مصادر ذات قيمة علمية كبيرة .

ولا ننسى انه استعان فوق ذلك بمشافهة المعاصرين من الادباء ، واخذ عنهم ، وروى لهم ، واستفاد منهم .

وهذا الجزء مصدر بكلمة لمعالي الشيخ محمد سرور الصبان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي ، وفيها تنويه بفضل الساسي ومجهوده الكبير ، وهي براعة استهلال لهذا العمل الادبي الضخم .

وقدم له الشاعر الكبير ممد حسن عواد بمقدمة ضافية اشاد فيها بالتطور المستمر الذي يسير فيه الادب السعودي المعاصر ، والذي شاركت فيه المرأة الرجل ، فظهر عام ١٩٦٣ ديوان « الاوزان الباكية » لفتاة من المملكة لقبت خنساء الجزيرة العربية ، وهي ثريا محمد قابل ، وظهر معه ديوان « أغاريد الصحراء » لفتاة سعودية اخرى لم تعلن اسمها ، كما تحدث العواد في المقدمة عن منهج الساسي في كتابة هذه الموسوعة ، وانه ترك الدراسة والتحليل والمقارنة والاستنتاج ، واكتفى بالسرد والتسجيل والرواية ، شانه في ذلك شان مؤلفي الموسوعات . وحجته ان النتاج الادبي هو الذي يعبر عن نفسه ، ويحدد قيمته ، ويقرر مكانة صاحبه الادبية .

والكتاب على الجملة ـ كما يقول مؤلفه ـ دائرة معارف لابرز ادباء المملكة .

والساسي من اسرة علمية مشهورة ، ومنها الطيب طاهر الساسي (١٣١٠ ـ ١٣٧٨ هـ.) ، وعبد الله طاهر الساسي .

يحتوي هذا الجزء على تراجم مفصلة لاربعين اديبا وكاتبا وشاعرا من البلاد السعودية ، وترجمة واحدة لشاعرة سعودية هي ثريا محمد قابل صاحبة ديوان « الاوزان الباكية » .

ويشمل هذا الجزء تراجم الاعلام المشهورة المبدوءة بحرف ا ، ثم بـاء ، ثم تـاء ، ثم ثاء .

ومن الاعلام التي وردت في هذا الجزء : ابراهيم اسكوبي شاعر المدينة (١٢٦٩ ـ ١٣٣٢ هـ) ، واول من فتح باب الشعر السياسي بين شعراء عصره كما يقول السيد علي حافظ ، وقصيدته الرائية السياسية المشهورة اول قصيدة سياسية في الشعر الحجازي الحديث ، كما يقول الاستاذ الكبير محمد سعيد العامودي مدير تحرير مجلة الحج ، ورئيس تحرير مجلة رابطة العالم الاسلامي ، أطال الله في عمره . وكان اسكوبي معاصرا للبارودي رحمهما الله .

ومن الاعلام كذلك ابراهيم امين فودة الشاعر المشهور الموهوب ، وابراهيم فلالي ، واحمد ابراهيم الغزاوي شيخ الشعراء ، واحمد السباعي شيخ الصحفيين ، والكاتب السعودي الكبير احمد عبد الغفور عطار ، صاحب المؤلفات العديدة ، والتحقيقات اللغوية والعلمية المفيدة .

ومنهم : احمد العربي ، واحمد قنديل الذي يلقب بلامرتين العصر ، واحمد محمد جمال ، واحمد علي ، واحمد الفاسي ، واحمد عمر عباس ، وانور عشقي (١٢٦٤ ـ ١٣٣٦ هـ) .

ومنهم : شاعر الامراء الامام تركي بن عبد الله بن سعود ومنهم : أحمد علي المبارك وهو خريج كلية اللغة العربية بالازهر ، وابراهيم الداوخ وهو خريج كلية اللغة العربية بالرياض ، وابراهيم العلاف وكذلك احمد العربي ، وهما من خريجي كلية دار العلوم بالقاهرة .

ومنهم ادباء تخرجوا من الجامعة الامريكية ببيروت ، مثل الاديب الكبير احمد عبد الجبار ، واخرون تخرجوا من جامعة القاهرة مثل الكاتب الكبير الاستاذ احمد صالح شبطا (١) او من كلية الاداب بجامعة الرياض مثل الاستاذ توفيق ابو داود .

ومن الاعلام التي ترجم لها صاحب الموسوعة الشريف بركات بن عبد المطلب الهاشمي ، من شعراء القرن العاشر واوائل الحادي عشر ، وهو من اشراف مكة .

(١) ترجم من الانجليزية كتابا عن الاثار في الحجاز ، وهو مطبوع

ومنهم شعراء وادباء من المدينة ، واخرون من شعراء الجنوب مثل احمد عبد الفتاح الحازمي ، واخرون من الاحساء مثل احمد راشد المبارك وهو من ادباء الاحساء ، واحمد مشرف (١٢٠٠ ـ ١٢٨٥ هـ) شاعر الاحساء .

والقيمة الكبيرة لهذه الموسوعة هي المختارات الادبية والشعرية النادرة الكبيرة الاهمية ، التي الحقها المؤلف بتراجم الاعلام الذين تحدث عنهم ، وهي صورة صادقة للادب السعودي الحديث وتطوره في مدارج الازدهار والنهضة . واغلب هذه المختارات من الشعر ، وبعضها من باب الدراسات الادبية والقصة والمقالة وسواها . وهذا مما يضاعف من قيمة الكتاب الادبية والعلمية ...

وفي هذه المختارات ، التي اختارها المؤلف لمن ترجم لهم ، آراء جليلة في الادب والشعر وغيرهما ..

يتحدث الشاعر الكبير الفزاوي ـ كما يقول الساسي ـ عن تطور الفكر العربي السعودي ، وان من أعظم ما شملنا به التطور الحديث هذا الفيض الزاخر من الشعراء والبلغاء والخطباء والادباء والمؤلفين والمؤرخين والمعلمين ، وهذه النهضة المتغلغلة في كل بادية وحاضرة .

ويتحدث الكاتب الكبير احمد محمد جمال عن ادب المملكة فيشير الى المعركة بين الشباب والشيوخ ، ويذكر الطبقة البانية من ادباء الشباب مثل عبد العزيز الربيع الذي يغلب عليه الاتجاه النقدي ، كما يذكر اراء الشيوخ من الادباء في هذا الادب ومقوماته ، ويسجل اراءه الخاصة في ادب الشباب والشيوخ ، ودور الجامعيين في الادب السعودي الحديث ، ويشير الى المعارك الادبية التي قامت في هذا الادب ، كالمعركة التي قامت بين الاديبين الكبيرين حمد الجاسر وعبد القدوس الانصاري حول ضبط « جدة » ، وهو يدعو الى الالتزام في الادب ، ويعني الالتزام برسالة الاسلام وقيمه الانسانية ، وباصول الادب العربي ومقوماته . ويتحدث عن ادباء الشباب وما ينبغي لهم ، وعن الادب النسوي وهل ظهر في بلاده ؟

اما الاديب الكبير احمد عبد الغفور عطار فيتحدث عن الادب الحديث في بلاده ، ويؤكد وجود هذا الادب في الشعر والنثر والقصة والرواية ، لا في النقد ، ويعلل لعدم تطور هذا الادب ، ويقول : على ان ادبنا ليس ادبا هزيلا بالقياس على الاداب في البلدان الشقيقة ، ويسهب في بيان جناية التقليد عليه ، وفي بيان مقومات هذا الادب ، ولكنه في اخر بحثه يقول : ادبنا الحديث ـ الا النادر ـ ادب مفقود الشخصية والسمات بسبب فقدان الحرية والصدق الفني والتجربة الناضجة والابداع ، وبسبب التقليد .

ويذكر احمد عمر عباس الاديب السعودي الراوية المحدث الندوة الادبية الرفيعة التي يقيمها الاديب الكبير عبد العزيز الرفاعي ، ويؤمها اعلام الادب في بلاده وغيرهم ، ومن روادها الشاعر الكبير حسن القرشي ، والصحفي الموهوب الاستاذ علي العمير ، والشاعر الجليل ماجد الحسيني ، وسواهم ، ويتحدث عن بعض مضامين النقاش الادبي الذي يدور فيها ، وعن روادها من ضيوف البلاد ، مثل الشاعر السوري الكبير انور العطار ، ومثل العالم الكبير الدكتور فوزي هنانو .

ويتحدث الاديب الكبير احمد عبد الجبار عن الادب الحديث في الحجاز فيصفه بانه ادب فتي ما يزال في الطور الاول من اطوار نهضته ونضوجه ، فهو ماض الى الامام ، سائر بخطوات ناجحة موفقة، لا يسع المنصف تجاهلها .

ويذكر الاستاذ الكبير امين مدني صاحب كتاب « العرب في احقاب التاريخ » الشعر العربي في بحث عميق جليل ، فيبين انه عريق مثل لغته .

وهكذا يطوف بنا الاستاذ الكبير المؤلف في كل واد ، ويسير بنا في كل منعطف ، ، وينقلنا الى القصة في ادب الغلالي ، والى رسالة



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا واسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

Tel : Dir : 223819 الادارة ٢٢٣٨١٩
Dle : 225139 المنزل ٢٢٥١٣٩ تليفون :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاديب كما يصورها الاستاذ ابراهيم الناصر ، والى ادب السباعي الرائع ، وكتابات احمد صالح شطا ، واحمد علي ، وامين سالم رويحي، وبسام محمد البسام وسواهم .

وهذه المختارات القيمة ذات اهمية كبيرة في فهم الادب السعودي المعاصر . ويضاف الى ذلك المختارات الشعرية الرفيعة ، التي تضمنها الكتاب ، فهي ذات دلالة صادقة على شاعرية اصحابها ، وعلى تطور الشعر السعودي الحديث .

اننا نعتز بهذا المجهود الادبي الصادق ، ونقدره حق قدره ، ونهنيء الساسي بما صنع ، ونتمنى له التوفيق والسداد .

الرياض — **محمد عبد المنعم خفاجي**

●

حـــب وثـــورة

قصة طويلة ـ تاليف عبد الرحمن عمار ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات الشركة التونسية للتوزيع بتونس

قد لا اتعدى الحقيقة كثيرا اذا قلت بان فنون الادب المختلفة في اقطارنا العربية لم يكتب لها ذلك الامتزاج القوي المطلوب . ولم يكتب للقاريء العربي ان يتناول منتجات اي قطر شاء ، اللهم الا انتاج القطر المصري الذي يفزو كل الاسواق الادبية ، فيما اظن ، ربما بعامل الكثرة والتفوق والتقدم النسبي ، وربما لان مصر هي اكبر دولة عربية من حيث عدد سكانها ، وانها تقع في مركز شبه متوسط بين دول مشرقنا العربي ومغربنا العربي . واذا اعترفت في مقال سابق بجهلي لكثير من اخبار الحياة الادبية ونتاجها في الكويت فانني ابادر الان الى اعتراف جديد وهو انني لم اكن اعلم عن ادب الشمال الافريقي الا النزر اليسير. فلقد قرات بعض القصص والمقالات والمسرحيات المترجمة عن ادباء الجزائر الذين قست عليهم ظروفهم فحرمتهم نعمة الكتابة والتعبير بلغتهم الام . وانه ليسوؤني هذا الجهل جدا واتمنى تلافيه . وكان القدر استجاب لرغبتي فساق الي مجموعة من المؤلفات التونسية على يد الاستاذ الكريم فاضل خلف ، كان بعضها لابي القاسم الشابي ولم أسرع الى قراءته نظرا لمعرفتي بعض الشيء عن فنه وشعره . وتناولت من بينها هذه القصة « حب وثورة » لاطلع على نموذج من نماذج القصة الفنية عند اخواننا التونسيين .

موضوع القصة قومي وطني تخالطه خيوط وجدانية عاطفية ، تشبه خيوطا مذهبة في قماش حريري ، فقد اتسمت قصتنا بسمة المثالية لدى ابطالها سواء من الجانب الوطني او من الجانب العاطفي . فالبطل فيها هو فتى عربي اسمه « مصباح » من منطقة الجنوب التونسي ، أحب ابنة عمه « ربح » ولكنه لم يسرع الى طلبها من عمه لاعتقاده انها ما زالت صغيرة السن اذ لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها . وفجاة يسبقه غريم له فيطلب يد الفتاة ويوافق اهلها على زواجها من الرجل الغريب رغم الحب العنيف المتبادل بينها وبين « مصباح » . ويتم زفافها الى هذا الرجل الذي يعمل في صفوف الاذناب التابعين للسلطات الفرنسية ، بعد ان يحصل شجار عنيف بين فئة التابعين لفرنسا وفئة الاحرار ، وبينهم مصباح ، ويلقى القبض عليه مع فئة من الشباب الاحرار . ويمضي الفتى فترة في السجن يذوق خلالها الوان التعذيب ثم يخرج ليحدث الناس عما لاقاه من اهانات مريرة اورثت في نفسه شعورا واضحا من خلال المعاملة التي لمسها . وهذا الشعور هو ان الفرنسيين لا يجلدونه ويهينونه لجرم محدد ارتكبه ، ولكن فقط لانه عربي تونسي مؤمن بعروبته . وبعد خروجه من السجن ينخرط في سلك المجاهدين الذين جندهم حزب الدستور التونسي ، ويذهب الى الحرب . وقد خيل اليه في اول الامر انه سيصيب هدفين : الاول قومي وهو النصر على المستعمرين ، والثاني شخصي وهو قتل « علي » زوج «ربح» وعودة اللقاء بينه وبينها . ولكن فهمه لاهداف الثورة المثالية من خلال لقاءاته مع بعض المسؤولين عنها ،جعله يغير نظرته الى الهدف الثاني ، لاجل اولاد ربح من جهة ولاجل الاهداف السامية البعيدة عن النواحي الشخصية كما شرحها له احد المسؤولين عن التنظيم الحزبي المحارب .

وقد ابدى مصباح في مقاومته المسلحة للمستعمرين ضروبا من الشجاعة نادرة المثيل . وحدث ان وقع غريمه « علي » بيده مع مجموعة من العملاء ولكنه أعدم بعضهم وعفا عن البعض الاخر وبينهم علي مما جعل هذا الاخير يصاب بالذهول ويستيقظ ضميره وينضم الى صفوف الاحرار . ثم يستشهد الاثنان في حادثة واحدة ويسقطان في مكان واحد في احدى العمليات ضد الفرنسيين .

تلك هي ابرز الاحداث التي يصادفها القارىء في هذه القصة ، ومعها صورة لاهم شخصياتها . اما اسلوب كاتبها فاسلوب شيق جذاب استخدم في عرض احداثه طريقة السرد المباشر ممزوجة بكثير من الحوار ، وعمد خلال قسم منها الى طريقة تيار الوعي .

واهم ما يستلفت القارىء العربي في المشرق تلك المصطلحات المغربية التي يكثر المؤلف من استعمالها ، والتي يصعب فهم بعضها الا من سياق الحديث ، كما في قوله : (الشهر الفارط) وطبعا معناه (الشهر السابق) . ثم استعمالهم الضاد بدل الظاء ، وكان لفظهما متماثل عندهم ، كما في منطقة الجزيرة والفرات في سورية . فيقول مثلا : (وكانت شفتاه الفليضتان منفرجتين) وطبعا يريد (الفليظتان) .. هذا بالاضافة الى اسماء الامكنة غير المالوفة لدينا .

ومن جهة اخرى لا ادري لماذا يسر القارىء حين يلحظ ضروبا من التشابه بل وحتى التماثل في بعض المصطلحات العامية والشؤون المختلفة . فاذكر على سبيل المثال كلمة (براد) ويعنون بها ابريق الشاي وهو المصطلح نفسه الذي يستعمله اهل منطقة حلب في سورية . ثم حين عرض لنا صورة السوق الاسبوعي في كثير من القرى والمدن السورية حيث يسمى عند بعضهم (سوق الجمعة) او (سوق الاحد) او (البازار) او غير ذلك من الاسماء التي تتحد فيها المسميات رغم اختلاف التسمية .

ولا يسعني في النهاية الا ان اشكر المؤلف على هذه القصة الجميلة، واتمنى للقطر التونسي الشقيق مزيدا من النشاط الادبي . كما اشكر الاستاذ فاضل خلف على تكرمه باهدائها الي مع غيرها من المؤلفات التونسية الاخرى التي ارجو ان اتناولها قريبا بحديث جديد .

دمشق — **لطفية الشهابي**

●

معركـة الحضـــارة

تاليف الدكتور قسطنطين زريق ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

كتاب من وضع الدكتور قسطنطين زريق استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية ، وقد كان رئيسا لها بالوكالة ثلاث سنوات كما كان رئيسا لجامعة دمشق لمدة سنتين وهو من مؤسسي مجلس الدراسات الفلسطينية

واستاذ جامعي مميز في منصبه الحاضر . عرفته من على مقاعد الدراسة فقد أسعدني الحظ بالتتلمذ له في المستوى الجامعي كما عرفته على مستوى الزمالة يوم كنت أدرس في هذه المؤسسة العلمية الواسعة وكان في الحالتين مثالا يحتذى به فهو في نظري وفي نظر الاكثرية من الشباب العربي استاذ فريد في اتساع علمه وصفاء ذهنيته ودماثة اخلاقه واعجب ما في أمره هذا الاجتهاد المعجز والداب المتواصل . وحسبك ان تعلم بأنه نال شهادة الدكتوراه من جامعة برنستون وهو في الحادية والعشرين من العمر . ولما استوضحته عن سر هذا الامر قال : لقد درست ثلاث صيغيات متواصلة بالاضافة الى ان الشهادة يوم ذاك لم تكن مرتبطة بعدد السنين بمقدار ما كانت مرتبطة بانجاز ما هو مطلوب منك . ولقد رجاني والحياء يعقد لسانه بأن لا اتحدث عنه وان اتكلم ما اتسع لي الوقت عن الكتاب لا عن الكاتب . وما أحسبني ساوفق بتعريف هذا السفر الادبي بما يستحق .

« معركة الحضارة » كلمتان كافيتان للتعريف . فالانسان منذ ان كان والى يومنا هذا ما يزال في صراع مع نفسه وصراع مع مجتمعه وصراع مع بيئته وطبيعة ارضه فهو في تساؤل دائم عن مصيره فردا ، ومصيره مواطنا ، فلا الانسان في باديته مطمئن الى وجوده ، ولا الانسان في حاضرته مطمئن الى مجتمعه ، وما تزال العواصف تتقاذفه ، وستبقى معركة الانسان محتدمة الى اخر الدهر .

ولذا يصح عندي ان يقال بان « معركة الحضارة » هي معركة الانسان الضائع ، الانسان الذي يتجه بانظاره اليوم نحو الفضاء الخارجي لعله ينسى ان هناك حضارة في الارض .

ومهما يكن من امر فالانسان الذي يكتب بمسؤولية العلم مثل استاذنا العالم لا يسعه الا ان يعرف الاشياء ويحدد خصائصها . وعليه فكلمة « حضارة » من الناحية القاموسية تعني الاقامة في الحضر واذن فهي بمعنى الاستقرار الذي نشأ عن زراعة الارض وبناء المدن وتحصيل المعرفة وهي في رأي ابن خلدون طور طبيعي في حياة المجتمعات المختلفة وهكذا البداوة ، التي هي الاصل من حيث القدم . ثم تتسع أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش ويحصل لهم ما هو فوق الحاجة من الفنى والرفه ما يدعوهم للسكون والدعة والتعاون في الزائد على الضرورة واستكثار الاقوات والملابس والتانق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار .

بعد هذا الاستنطاق اللغوي والتاريخي لمفهوم الحضارة ينتقل المؤلف الى معاني هذه الكلمة عند علماء الاجتماع في يومنا هذا ، فاذا هي نمط من الحياة يتميز بالتقدم والرقي بالنسبة للمنجزات العلمية والابداعات الفنية ومن شروط الحضارة أن يكون في مقدور انسانها السيطرة على قوى الطبيعة بمقدار ما يسيطر هو على طبيعته البشرية ومن مستلزماتها التعاون الاجتماعي الذي يفرض نوعا من الحكم المنظم ، والحضارة كائن عضوي وكل كائن عضوي لها ادوارها المتتابعة وهي كما يرسمها شبنجلر ذات أربعة فصول . ففي ربيعها تتسم بالفاعلية الروحية ، وفي صيفها تبلغ النضج والعطاء ، وفي خريفها تتفرغ للتحليل العقلي ، وفي شتائها تنصرف الى الاهتمام بالمكاسب الخارجية وفي ذلك مقدمة لانحلالها بما يتفق ونظرية ابن خلدون المعروفة . والحضارة تتضمن مفاهيم وقيما بما يلقي ضوءا على معانيها المميزة لها.

وللحضارة كما يذكر الدكتور زريق مفارقات ونقائص . مفارقات في التطور العلمي والتقني بين الشعوب المتقدمة والشعوب المتخلفة . ومثلها هذه النقائص . ثم يستفيض المؤلف في بحثه هذا الى ان يبلغ من الكتاب فصل معركة الانسانية ، ويطيب له ان يحتج بكلمة مأثورة كان قد نطق بها الرئيس كندي قبل مصرعه بشهرين يوم القى في ٢٠ ايلول ١٩٦٣ خطبته المشهورة في الهيئة العامة للامم المتحدة حيث قال : « اننا نملك القدرة لجعل هذا الجيل البشري افضل الاجيال في تاريخ العالم او اخر هذه الاجيال » . من هنا ينطلق المؤلف الى القول بانه من أهم الواجبات المترتبة على الافراد والشعوب في هذه المرحلة الفريدة من مراحل التاريخ البشري ان يسارع المفكرون الى العمل في سبيل الحفاظ على السلام العالمي الذي هو اليوم نتيجة « توازن الرعب » بين اكبر قوتين ضاربتين : القوة الاميركية والقوة الروسية . وعليه فالرهبة الكابحة الناجمة عن توازن الرعب لا يعتبر ضمانا اكيدا للسلام . واذن فلا بد للمفكرين والقادة السياسيين من « تنمية الوعي الانساني والتنظيم العالمي وتضييق الفوارق بين الفئات والشعوب » . يستتبع ذلك ضرورة التبدل الجذري في المواقف العقلية والضميرية في سبيل صيانة الحضارة الانسانية واستكمال اسبابها . هذا وانني اترك للقارىء الكريم أن يطلع هو بنفسه على الفصل الاخير من هذا الكتاب النفيس وموضوعه « معركة الشعوب العربية واجهزتها » مخافة ان افسد عليه متعة البحث العلمي الرصين المفرغ في قالب من البيان العربي الطيب . انه ليخيل الي أن الدكتور زريق ما وضع هذا الكتاب الضخم الا بدافع قومي انساني ، وقد اراد به ان يكون هديا لقادتنا السياسيين وحافزا لغيره من العلماء الباحثين .

وديع ديب

•

نصف جلسة

Demi pause

ديوان بالشعر الفرنسي ـ للشاعرة « هدى اديب » ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات مجلة الاديب ببيروت

لقد اصبحت اختار حقا كيف اترجم الاسماء على بعض دواوين الشعر الفرنسي التي تظهر في بيروت ، وتطبع لبنان بطوابع اللغة الفرنسية وفنونها الى جانب عبقرية لغة العرب .

فلما اهدت الي الشاعرة النابغة « هدى اديب » ديوانها الاول ، اخذت اعرض الترجمات المطابقة والموافقة على التمييز حتى تخيرت منها « جملة معترضة » لمعنى Parenthèse

واليوم تتفضل الشاعرة « هدى » فتهدي الي نسخة من ديوانها الثاني الذي تسميه demi pause فآخذ باسباب الترجمة التي تنزل منازل هذا العنوان ، فيكون لدي افضل ما يقابلها بالعربية « نصف جلسة » .

ولعل نصف الجلسة في فن الشاعرة الادبية ، جلسة لا تترك المرء يتمكن فيها من الرؤية للجالس مواجهة ، لكي يظل به شوق الى الرؤية الكاملة ، وما احسبها قصدت بنصف جلسة ، جلسة قصيرة تعد نصفا للجلسة الكبيرة ، فان في هذه الخاطرة لا يسكن الشعر . وانما يسكن بتلك حقا .

وفي هذا المعنى اخذت اردد شعرا للشاعرة العباسة اخت هرون الرشيد وكان لها شعر متدله مفتان ومتوله يحسدها عليه الشعراء المغنون واسلكه ابو الفرج الاصفهاني في المئة صوت المختارة ، وهو قولها :

بني الحب على الجور فلو ... انصف المحبوب فيه تسمج
ليس يستحسن في وصف الهوى ... عاشق يكثر تاليف الحجج
فقليل الحب صرفا خالصا ... هو خير من كثير قد مزج

وان « نصف جلسة » تدخل في باب الحب وادابه ، وللحب

اساليب وآداب ، لانها لا تمكن المعجب من النظر مليا الى المعجب به .

وكيف دار الامر على اطار العنوان الرمزي الجميل لهذا الديوان العبق بشذى التامل ورفيف الحياة ، فاني مندفع الى الكلام عليه لاكون اول من يكتب عنه ، كما كنت في السابقة اول من كتب عن الديوان الهدوي الاديبي الاسبق .

كان الشاعر الفرانق « جان شكيب الخوري » اهدى الي ديوانيه وكتبت عن الثاني الذي سماه « صدى الصمت » في مجلة صديق العمر الاستاذ العظيم « البير اديب » في الشهر الماضي . ولقد جاء حظي في الكلام على دواوين الشعر الفرنسي في لبنان كبيرا وضممت الى ذلك كلامي على دواوين الشعر الفرنسي في ديار المغرب وفي مطالعها دواوين صديقي الجهبذ العميد الدكتور عبد العزيز الحبابي .

وكنت منذ اسبوعين اطالع ملحق « الانوار » البيروتية وهو يعنى بالدراسات الادبية والفنية المعاصرة يطرف بها قراءه فكان من كلامه على الشاعر العظيم « هيكطور خلاط » الذي كنت وانا طالب في كليتي الحقوق والاداب بالجامعة السورية اسمع به واقرأ اخبار الكاتبين عنه وكان صديقي القديم باقعة الصحافة والادب في القرن العشرين الشيخ فؤاد حبيش يعنى عناية مفوقة بثلاثة شعراء او اربعة ، ويطيل المذكرات في شؤون ادبهم في مجلته الرائعة «المكشوف» وذلك منذ خمسة وعشرين عاما ـ وليس باقل ـ والشعراء هم هيكطور خلاط وشارل القرم ويوسف غصوب والرابع سعيد عقل الذي كنت يومذاك اسميه «ابوللون» اما اليوم فصار اسمه عندي « افلاطون العرب » .

وكان الشاعر هيكطور بحق حتى اليوم زعيم مدرسة الشعر الفرنسي في الديار العربية جمعاء . اما شاعرتنا الجديدة النابغة « هدى » فهي زهرة ريا طلعت في بستان اخينا الشاعر والكاتب البير اديب ، وليس غريبا ان يطلع هذا الباني الكبير لادب العصر الحديث زهرات ندايا في روضه الاغن ، زهرات لا تفنى ..!

ويخالطني ود في ان اضيف الى العربية نضير المعاني التي ترد في القصيدة الفرنسية عند شاعرتنا « هدى » فاجدني قد حلا لي ان انقل الى الشعر العربي بعض ابيات من القصيدة الاولى في ديوان « نصف جلسة » حيث تقول شاعرتنا الغناء :

سافرغ وجدي في هواك لان ارى ... وجودك مثل الغصن قد غاب عاطره
وارفع بيتا فوق بيت كمحبس ... يسد به باب عليك وناظره
واسكب اشعاعا قتاما موحلا ... عليك الى ان يفقد العقل ذاكره
وصخر على صخر سالقيك تحته ... وارشف صخرا ظامي الروح ماطره
واجتاز شخصا فيك بالسيف قاصما ... وجسمك مصلوب ولا شيء ساتره
واسمع في الامواج زارا يريدني ... وقد بت في منأى لديك يساوره
سارقص رقص الشجو، صوت زجاجة ... تكسر في حلم اراني ابادره

واقف عند هذا البيت ، اذ ان بقية القصيدة عذاب وانتقام وتمثيل بالجراح وصب جامات غضب على انسان لعله هو المغضوب عليه الاعظم ؟!..

ومن غريب ما لم اتوقعه في هذا الديوان واراه اول مرة في الطباعة الحديثة هو خلو القصائد من العناوين والمسميات وخلو الديوان من الفهرس والمحتوى ولعل هذا هو سر « نصف الجلسة » اذ لو كانت كاملة لجاء الديوان بفهرس لفحواه وعناوين لقصائده ، وههنا تفتح شاعرتي امام خاطري سؤالا :

ـ فيم يكون للشعر فهرس يرجع المرء اليه ؟ هل هو نظريات رياضية ، او قواعد نحوية او قضايا فلسفية .

انه شعر يفيض بالتامل وتنحسر دون مباهجه كل سلويات الحياة.

ولهذا فاني وجدتني مسوقا لاقف عند كل قصيدة بعد ان اشق عنها لصيق الصفحات المصقولات اللوامع كمن يقشر برتقالة او يزيل القشر عن تفاحة نضرة قبيل ان فمه يداعبها بلسانه ومذاق اسنانه ، فاذا بي اجد الشاعرة هدى البير اديب تلبس شعرها ديباجة كلاسيكية من الشعر الفرنسي المكين ، ثم تخلع عليه روائع ابداعية من نفحات هوغو وموسيه ولامارتين ثم هي تسارع في ان تعطيه الوانا زواهي ، من رمزيات بودلير وفيرلين وجرار دويزفال ثم تقفز قفزة سحرية الى القرن العشرين الذي تطرفه بعبيشها فيه فاذا انبعاثات شعرية فواتن تفيض لديها على شعرها . وشعر هدى يصلح للغناء والشاعرة ذات لحون وموسيقى تغنت بالاوتار ، مثلما تغنت بالاشعار .

وتموج في قصائدها موضوعات الروح والريحان في خوالج وجدان صاف طهور وفي شعرها مواقف مشرفة في تقديس الوطن اللبناني والعربي وتصوير خلوده ومنعته وهي تشيد بالحب الذي لا يفني ولا تدلف اليه الشوائب كما تغني بنايها الحنون التحيات العبقات بازاهير الربيع للصداقة الصافية التي هي افضل من الحب الزائل .

فللشاعرة النابغة الحسناء هدى البير اديب اسمى تحياتي ولوالدها العظيم اخي على العمر كل تهنئاتي فلقد اعطى العربية والانسانية من ادبه وادب اهليه الكثير ويعيش يضيف كل يوم لبنة في بناء الادب العربي المعاصر .

دمشق — زكي المحاسني

•

ابن سعيد المغربي : المؤرخ ـ الرحالة ـ الاديب

تاليف محمد عبد الغني حسن ـ ٢٠٧ صفحات ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

في القرن السابع الهجري ولد ابن سعيد المغربي بأرض الاندلس ، وعاش فوقها ليتلقى علوم الادب واللغة والفقه ، ومنها بدأ انطلاقه شابا متأديا رحالة الى المغرب الكبير ومصر والشام ، مكتسبا خلال تجواله كثيرا من المعارف والاصدقاء والاطلاع على شتى مناحي الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية في هذه البلدان . يساعده في ذلك والد يحب الادب والادباء ويسعى الى الذخيرة الفكرية ويطلبها حيثما كانت ومهما كلفه السعي من مشاق ومصاعب .

وكانت اخلاق ابن سعيد عاملا مؤثرا في استيعابه لحياة الغربة والترحال . وسببا من الاسباب التي ربطت بينه وبين الكثير من الحكام والاصدقاء ، وابرز هذه الاخلاق ، الظرف والكياسة والمجاملة . اضف الى ذلك ما كان يملكه من موهبة أدبية تمثلت في قرض الشعر وصوغ المدائح .. وقدرة على الوصف والمقارنة .

ويعد ابن سعيد المغربي من المؤرخين الذين ساهموا بجهد كبير في اثراء الفكر الادبي الاسلامي على مستوى الرقعة الممتدة من الاندلس غربا حتى الشام في الشرق . فقد قدم مئات الترجمات لمئات من الكتاب والادباء وغيرهم ممن عاصرهم ، ضمتها كتبه التي تبلغ ثلاثين كتابا واشتهر منها : « القدح المعلى » و « المرقصات والمطربات » و«الغصون اليانعة » و « المغرب في حلى المغرب » و « المشرق في حلى المشرق » وغيرها وكلها كتب تاريخية ووصفية وادبية .

وبجانب دور ابن سعيد المغربي في التاريخ للفكر الادبي الاسلامي في القرن السابع الهجري فان له دوره الخاص والذاتي في هذا الفكر .. فقد كان شاعرا وناثرا .. نظم كثيرا من القصائد الشعرية في مختلف اغراض الشعر السائدة في عصره ، وكتب كثيرا من الكتب الجيدة ضمنها وصفا للاماكن التي شهدها وزارها مما يدخل في ادب الرحلات ذي القيمة الادبية العالية . اضف الى ما سبق حسه الادبي وذوقه النقدي وتقنينه للشعر من حيث جودته ورداءته ، وتحديده لدرجات

الشعر من اعلى الى اسفل ، وانطلاقه من هذا ليحكم على الشعـــراء وشاعريتهم .

ويبسط لنا الاستاذ محمد عبد الغني حسن شاعر الاهرام والباحث الاديب ، صورة مفصلة لهذا المؤرخ الرحالة ابن سعيد المغربي في كتابه الذي بين ايدينا . وفيه يرسم خطوطا ويظلل مساحات في تنـــاسب وتناسق ، ليوضح لنا سيرة رجل عرف بالناس ونسيه الناس ، وقدم الى الناس مئات الترجمات لرجال بارزين في عصرهم ، ولم يقدم رجل في اي عصر ترجمة تليق به. اللهم الا هذه الترجمة التي بين ايدينـــا . وقد جاء الاستاذ محمد عبد الغني حسن ليطبق مبداه في الوفاء لمـــن تنكر لهم الناس من الادباء والمفكرين على مدى العصور الادبية المتعاقبة. يقول شاعر الاهرام في المقدمة : « لذلك رأينا ـ انصافا للرجل ـ ان نقوم بعبء الترجمة له في كتاب قائم بذاته ، يتسع لنا فيه القول مما لم تستطع الدراسة الموجزة ان تنهض به ، لعل مثل هذا الكتاب في سيرة رجل من أعلام الفكر العربي يكون لونا من الوفاء لقوم لم تكن الحياة سخية عليهم بالكتابة عنهم والافاضة في سيرتهم » وهكذا وفى شاعر الاهرام بما وعد ، فجلا الصورة وابرزها في كتابه ، واعطـــى لابن سعيد ما يستحقه بواكبه في هذا العطاء عطف واضح على ابن سعيد يشيـــع خـــلال السطور .

وقد اشتمل الكتاب على اربعة فصول رئيسية ، تناول المؤلف في الفصل الاول عصر ابن سعيد بجوانبه السياسية والاجتماعية والفكرية. وفي الفصل الثاني : ابن سعيد في عصره موضحا سيرة موجزة للنشاة والمؤثرات المختلفة فيها مع عرض لجوانب من اخلاقه . اما الفصـــل الثالث فيضم جوانب متعددة لحياة ابن سعيد الفكرية في مجـــال التاريخ والوصف والترجمة والشعر والنقد الادبي .. وفي الفصـــل الرابع والاخير ينتخب المؤلف بعضا من اثار ابن سعيد في الشعـــر والنثر في اغراض مختلفة .

والحقيقة ان المترجم يملك القدرة على جعل الصورة زاخـــرة بالحياة . وتحس وانت تتملاها بانها تكاد تتحرك . ولا اكون مبالغـا اذا قلت ان ابن سعيد المغربي صورة تتحرك امامي واكاد اراه وهو يجوب شوارع الفسطاط والقاهرة ويختلط باهلها ويعاشر ادباءها وحكامهـا . واراه وقد بدا الاشمئزاز على وجهه وهو يركب الحمار ـ ترام هـــذا الزمان واتوبيسه ـ والنقع مثار من حوله ، واراه وهو يتعجب من اهل العلم وذوي الفضل كيف سولت لهم انفسهم ان يركبوا حميرا في هذا البـــلد .. العريق !

بيد ان لنا ملاحظات يسيرة لا بد ان نثبتها ونتعرض لها . وهـــي تتعلق بهيكل الكتاب وبعض الاراء التي وردت ضمنه .

١ ـ اوجز لنا المؤلف في عرض الحياة الاجتماعية السائدة فـــي عصر ابن سعيد المغربي او في القرن السابع الهجري ايجازا شديدا ، لم يعط الملامح الاجتماعية الكافية لمجتمع العرب المسلمين في هـــذا القرن . ولم نعرف ما هو الوضع الاجتماعي لمختلف طبقات المجتمـــع آنئذ . وقد يقول المؤلف : انني لا اعرض لحياة اجتماعية في عصر مـــا بقدر ما اترجم لشخصية معينة ويكفيني ان اورد الخطوط الرئيسيـــة للحياة في العصر الذي عاشت فيه هذه الشخصية . وهذا القـــول مردود بأن الايجاز لا بد وان يكون كافيا ومؤديا للملامح العامة علـــى الاقل . ويمكن قبول الاعتراض لو كان المترجم له في عصر معـــروف ومشهور لدى اغلبية القراء كالعصر العباسي مثلا او صدر الاسلام !

ونحن نعتقد ان بعض ما كتبه المؤلف في الفصل الثالث كوصف القاهرة يعتبر امتدادا للحياة الاجتماعية في الفصل الاول . وحبـــذا لو اتصل هذا بذاك مع ترتيب وتنظيم واضافة . ولعل الطبعة القادمـــة تتضمن شيئا مـــن هذا .

٢ ـ كان الاستاذ المؤلف متعاطفا الى حد كبير في الحكم علـــى شخصية ابن سعيد كانسان ونحن مع المؤلف في ان ابن سعيد رجـــل ظريف خفيف الروح لا تجلله غمامة من الثقل والبرودة والتكلف . ونحن معه ايضا في انه رجل اجتماعي كيس بكل ما تحمله الكياسة من معان. ولكننا نختلف حول ما قيل عن مجاملته للناس ومداراته لهـــم . ونحن نستنتج مما عرضه المؤلف من مواقف لابن سعيد المغربي ان مواقفـــه لا تعبير عن رأي ايجابي يحمله رجل مثله اديب وذو فكر ناضج . ونـــرى ان مداراته للناس تعتبر نوعا من الضعف النفسي لازم ابن سعيد فـــي مسيرة حياته . ويؤيد ما ذهبنا اليه مسلكه حين مدح ثائر اشبيليـــة المعتضد الباجي ثم مدحه بعد ذلك لقاتل المعتضد واعني به محمد بـــن يوسف بن الاحمر . وهو مسلك يدل على التبعية وعدم الانتماء لمبـــدأ ومسايرة الاقوى وهو موقف يزري بالكاتب او المفكر حين يتخـــذه او يسلكه . وبالرغم من ان الاستاذ عبد الغني حسن قد علل موقف ابـــن سعيد هذا بالاضطراب والهزات النفسية في الاندلس آنئذ فان هـــذا لا يكفي لتبرئته من الضعف النفسي حيال القضايا العامة .

٣ ـ في تقويم شعر ابن سعيد يطمع المترجم ان يغير الدكتـــور شوقي ضيف حكمه على الشاعر والذي تضمن وسطية ابن سعيد بـــين شعراء عصره ، ونحن نقول ان شعر ابن سعيد الذي يستحق الدخـــول في مضمار التعبير الراقي عن الاحساس والتجربة والمعاناة هو شعـــر الرثاء والحنين . اما ما عدا ذلك فحكم الدكتور شوقي ضيف صـــادق تقريبا . لان غالبية هذا الشعر لا يحمل من المعاني والصياغة ما يرتفع الـــى الشعر المحلق .

٤ ـ اورد المؤلف ملخصا موجزا جدا لوصية والد ابن سعيد له . واعتقد ان ايراد هذه الوصية بالنص سوف يعطي جرعة من الحيويـــة في التاثير حين نقرأ الكتاب نظرا لقيمتها وغناها .

هذه بعض ملاحظات خطر لي ان اسجلها ، واعتقد انها لا تغض من قيمة الكتاب وريادته في الترجمة لحياة رجل ترجم للكثيرين ، واعطى ذخيرة قيمة في مجال الوصف والادب عامة .

دمنهور ـ مصر — حلمي محمد القاعود

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها روائـع الكتب منهـا :

الحـرب العـالميـة الثانيـة

تـاريخ احمـد باشـا الجزار

الموسـوعـة اللبنـانية المصـورة

يوسف عز الدين .. كلمة وصورة

بقلم صالح جودت

* * *

رأي في النقاد : اعترف بأنني لا احب النقاد . ومن سوء ظني بهم ، لا احسب الا انهم قوم نشأوا على ميل للادب ، وحاولوا ان يكونوا ذوي باع في مجال الخلق والابتكار فلما باءوا بالفشل ، لنقص في عدتهم ، او لضعف في موهبتهم ، او لكليهما معا ، اصروا على ان ينابعوا طريق الادب بدلا من ان يعتزلوه ، وينصرفوا عنه الى شيء اخر قد يصلحون له . وكانت خطتهم في هذه المتابعة هي خطة الطفيليات التي تتسلق جذور الاشجار الشامخة في عالم الخلق الادبي ، ومحاولة النيل منها مع العيش على قشورها القلفية ، وفروعها الخلفية ، في الوقت ذاته .

ولا شك ان الناقد كان يتمنى ان يكون شاعرا او قاصا او منشئا او مترسلا ... وهو يعلم كل العلم شرف هذه المهن على مهنة النقد ولكن اتجاهه الى النقد هو اعتراف منه بالعجز عن الخلق ، والقصور عن الابتكار ، والاكتفاء بالعيش على تتبع السقطات وعد الهنات على الشاعر والقاص والمنشيء والمترسل . وهو يعلم كل العلم أيضا ، انه يعيش على فتات كل هؤلاء ، فلو انهم سكتوا ولم ينطقوا لهلك من الافلاس ، ولم يعد له ذكر بين الناس .

هذا هو الناقد ، الذي يقبل على العمل الادبي ، بروح حاقدة تبحث عن خطأ نحوي او صرفي او عروضي او اسلوبي ، فاذا لم تظفر به ، ذهبت تتلمس حتى الخطأ المطبعي لتحسبه على الاديب الخلاق . واذا كنت أنكر ان يكون للناقد مكان في عالم الادب ، فاني لا املك الا ان انحني اجلالا وتقديرا لقوم آخرين في عالم الادب ، يصنعون شيئا شبيها في مظهره بالنقد ، ولكنه في جوهره مختلف كل الاختلاف . هؤلاء هم الدارسون ، الذين يقبلون على العمل الادبي بروح طيبة ، باحثين في اعماقه عن مواطن الجمال والقوة فيه . لا متسقطين ولا متحزبين ، منبهين الاجيال الى ما يبقى للخلود من كل اثر ادبي .

فعباس محمود العقاد ، حينما يكتب عن ابن الرومي مثلا ـ فانه لا يحمل قلم الناقد الذي يريد ان يهدم ابن الرومي او يهشمه او يخدشه .. وانما يقبل عليه كما يقبل المحب على الحبيب ، ويدرسه دراسة الصديق للصديق ، متعمقا في جذور نشأته ، موغلا في نفسيته ، مصاحبا لظروفه ومؤثراته وتطوراته .

ويوسف عز الدين صاحب ديوان «في ضمير الزمن» استاذ من ابرز اساتذة هذا الجيل في العراق الحبيب ، وصاحب دراسات عميقة واعية خلاقة ، شغله عمله الجامعي والعلمي عن الشعر كثيرا ، ولكنه بقي في اعماقه شاعرا كبيرا حتى في نثره ، وفي علاقاته الانسانية ، وفي حياتيه العامة والخاصة .

وقد لا يغضبه ان اقول انه شاعر غير متفرغ ، ولو ان اسباب الحياة لانت له منذ صباه ولم تكلفه مشقة الكدح من اجل الرغيف ، لكان نصيبنا من شعره اوفر من هذا القدر بكثير لانه فيما احس ، لم يبرز من طاقته الشعرية الضخمة الا قليلها ، ولا يزال يختزن كثيرها لآونة يطمئن فيها الى الزمن ، ويجد خلالها فسحة من الوقت تتيح له ان يخرج هذا المخزون الدسم في اعمال شعرية اجل مما أنجز ، كأن تكون ملاحم او مسرحيات شعرية ، واحسب انه مهيأ لهذه وتلك تهيئة واضحة .

فقصيدته « غرام شهرزاد » هي نواة ملحمة تستطيع ان تكبر وتنمو وتطول انفاسها ويتسع مداها حتى تحلق في آفاق عريضة فاخرة .

رقة شعره : استمع الى هذه الابيات من تلك القصيدة ، ارقب تسلل اللقطات العاطفية . ورقة الفاظه وكيف تنساب هذه اللقطات في موسيقى كأنها قيثارة حالمة نبيلة :

صوتك الرقراق نشوى هائم ... ينتشي بالحلم العذب الجميل
انت ضمخت الهوى والهة ... فانتشى الواله من لطف الخليل
وانا سقت لك العتب هوى ... وشعورا فاض بالود النبيل
وخيالي الخصب في آماله ... يشتهي طيف اللقا بعد الرحيل
غيبة طالت على الامنا ... وسكوتي كان من ليلي الطويل

مقدرة نافذة : اما مقدرته على ان يكون شاعرا مسرحيا ، فاستشفها من هذه العناصر المتوفرة في اكثر شعره الغنائي :

ـ **براعته في قص القصة :** والقصة متوفرة لديه في كثير من القصائد ، وهي واضحة المعالم .

ـ مقدرته العروضية : وهي واضحة في جزالة عبارته الشعرية في كل البحور ، والقدرة على تلوين الاوزان بحيث يطابق الوزن مضمون الشعر ، وهذه الخاصية هي اول ما يجب ان يتوفر للشاعر الذي يكتب للمسرح دون ان يخشى الرتابة والاملال .

ـ سعة افقه فيوسف عزالدين ، فضلا عن كونه استاذ ادب ، وقائد فكر ، رجل دنيا ، يجوب انحاء الارض ، ويعيش فيها بالطول والعرض ، ويلم باشياء كثيرة من كل شيء ، فهو اذا شئت مؤرخ ، واذا شئت رجل اجتماع ، وهو كبير الالمام بالسياسة ، وهو باحث نفسي لماح ، وكل هذه هي عدة لا يستغني عنها صاحب العمل المسرحي .

مدرسته الشعرية : الى اية مدرسة في الشعر ينتمي صاحب ديوان « في ضمير الزمن » ؟ .

لو وقع هذا الشعر في يدي ، دون ان اعرف شيئا

من امر صاحبه ، لرجحت انه من شعراء جماعة ابوللو الرومانسيين ، واستثني بعض قصائد معدودة . احسب انها من تأثراته التقليدية بقراءاته الاولى في عهد الصبا واول الشباب . كقصيدة « حيرة » التي يقول فيها :

يبوح أم يكتم ... صب بكم مغرم
ان باح في وجده ... فكلكم لوم
في قلبه لاعج ... وبالهوى مفعم
اخفى جراحا له ... هينها مؤلم
لا ذقتمو لوعتي ... من صابها مطعم
اسهرتمو مدنفا ... لكنكم نمتمو
ما بال قلبي الذي ... لا يرعوي عنكمو
قد لج في وجده ... وسقمه منكمو

فهذا النفس الخفيف الرشيق والعذوبة المحببة الى النفس ، لا بد ان يكونا تأثرا بغزليات الشعراء الظرفاء ، كأبي نؤاس والعباس بن الاحنف العراقيين ، او الشاب الظريف والبهاء زهير المصريين .

شاعر في الطليعة : اقول ... فيما عدا هذه القلة من قصائده ، استطيع ان اضع الدكتور يوسف عز الدين في طليعة ابناء ابوللو الرومانسيين اساسا ، مع اختلاف طابع كل منهم عن الاخر ، كابراهيم ناجي ، شاعر اللهفة العاطفية ، وعلي محمود طه ، شاعر الصورة الملونة ، ومحمود حسن اسماعيل ، شاعر الخيال المحلق ، وحسن كامل الصيرفي ، شاعر الحيرة المجنحة ، وغيرهم من اصفياء تلك المدرسة المباركة التي لا تزال سيدة مدارس هذا العصر .

وانك حينما تقرأ له هذه المقاطع من قصيدة «ليست الذكرى سرابا » :

زفرة مكلومة ، اناتها ... جن منها شوق قلب مضرم
ثورة مكبوتة في اضلعي ... جفلت منها جيوش الالم
ورأيت الليل مسعور الرؤى ... وعلى شلوي يبكي بالدم
ايها الليل الذي اسهرتني ... امنح القلب لذيذ الحلم
وارو لي ايامي اللاتي مضت ... وائت بالطيف الحبيب المنعم
واستمع نجوى فؤاد مدنف ... هي سر الوجد في القلب الظمي

يا حبيبي ، ليست الذكرى سراب ... انما الذكرى التياع وانتحاب
فائتد يا هاجري في مهجة ... مل من تعذيبها سوط العذاب

اقول ... انك حينما تقرأ هذه المقاطع دون ان يقال لك لمن هي ، ليخيل لك لاول وهلة انها استمرار لاطلال ناجي في عذوبتها ورقتها وغنائيتها وحزنها الشفاف . وانت حينما تقرأ قصيدة « الوفاء » التي يقول فيها :

وهلل الشاطيء في غبطة ... يرتقب الشمس ارتقاب الحبيب
وانساب ماء النيل في روعة ... كأنه الشيخ الوقور الغريب
وافتر ثغر الشمس عن بسمة ... حيت بها الازهار فوق الكثيب
فاستيقظ العالم من رقدة ... محملا ارزاء دنيا الخطوب

تجد صورة متحركة للنيل ساعة الفجر ، تدنيك الى صورة الشاعر الرسام علي محمود طه . وانت حينما تقرأ هذه الابيات من قصيدة « شهر » :

اواه .. هل تنفع اواه ... لخافق تفنيه بلواه
من نفثات الوجد اشلاه ... ضلله العقل واضناه
وكانت الجنة مأواه ... ومن رفيف الحسن نجواه
اجاب . لما العقل ناداه ... كم عقله في الوجد اشقاه

تجد فيها تهويمات محمود حسن اسماعيل في عوالمه الحزينة التي يخيم عليها ضباب الاسى وغيوم القلق . وانت حينما تقرأ قصيدة « انقاض قلب » التي مطلعها :

لا تسالي « مي » فما تنفع ... آهاتي الحرى ولا الادمع
ففي سكوتي لغز سر مضى ... مجرح ، يرحمه المصرع

ترى بعض الحيرة الغائمة الناعمة في خيال حسن كامل الصيرفي . وتجد بعد هذه الاثار (الابولونية) لمحات اندلسية ... والمامات « جبرانية » .. وانات «رامية» .

اصالة الشاعر : ولكنك لا تستطيع ، اذا كنت من اهل العمق اللاهث خلف الحقيقة . ان تقول ان يوسف عز الدين قد سطا على معنى لواحد من هؤلاء جميعا ، او تأثر به تأثرا يطغي على شخصيته الشاعرة فالاصالة واضحة في كل شعر يوسف عز الدين ، والصدق مستمد من واقع حياته ومشاعره وتهويماته الذاتية ، فهو لا يقلد احدا ، كما انه من العسير على احد ان يقلده .

لغة شعره : وفي الجزء الاول من ديوان «في ضمير الزمن» ، وهو شعر الصبا ، اكثر من ظاهرة يستشعرها القارىء. لعل ابرزها «لغة الشعر» التي نطق بها يوسف عز الدين في صباه . انها نفس النزعة « الابولونية » .. رغم انه جاء بعد عصر ابوللو ، او لعله جاء في اواخره . ذلك ان جماعة « ابوللو » نهضت في عصر بلغ الشعر في قمة الكلاسيكية على يد شوقي وحافظ ومعاصريهما . ويومئذ قال شوقي :

ابوللو ، مرحبا بك يا ابوللو ... فانك من سماء الشعر ظل
عكاظ وانت للبلغاء سوق ... على جنباتها رحلوا وحلوا

الى ان قال :

عسى تأتينا بمعلقات ... نروح على الزمان بها ندل
لعل مواهبا خفيت وضاعت ... تذاع على يديك وتستغل

وقد صدقت نبوءة شوقي ، وخرجت الى النور على صفحات « ابوللو » مواهب كثيرة كانت قبل ذلك خافية ضائعة ، منها الاسماء التي ذكرتها من قبل ، ومنها اسماء ابي القاسم الشابي ، ومحمد الحليوي ، و م.ع. الهمشري ، وغيرهم وغيرهم ... وقد جاء هؤلاء جميعا بشعر جديد ، فيه لغة جديدة غير اللغة المألوفة في ذلك العصر .. جاءوا بلغة للشعر تتميز بالبساطة والسهولة وحلاوة الجرس ، يفهمها الناس جميعا ويستسيغونها ويعونها ، ووقف الكثيرون منهم يتساءلون أهذا شعر ؟

لقد تعودوا فيما سلف ان يحفل الشعر بالالفاظ الطنانة والكلمات القاموسية والتعبيرات الباقية من عصور « يا حادي العيس » و « سلوا ربع سلمى » الخ .. فاذا هم يفاجأون بهذه اللغة الشعرية الجديدة التي تكاد تقترب

من لغة الحياة اليومية المعاصرة ، دون ان يهبطوا الى لغة السوق ، ودون ان يخرجوا عن حدود القاموس . وكانت نتيجة اختبار الناس لانفسهم ، ان وصلوا في النهاية الى ان هذا هو الشعر .

بهذه اللغة الجديدة السلسة الحلوة الرقيقة ينظم يوسف عزالدين ، بحيث يجد فيه كل قارىء نشوة الروح ، مهما تكن طبقة هذا القارىء .

رائد الشعر الحر : والظاهرة الثانية ، انه حاول منذ عشرين سنة ، او اكثر من عشرين سنة ، تلك المحاولة التي لا يزال يحاولها ناشئة الادب اليوم ، ويزعمون انها مدرسة جديدة في الشعر ... مدرسة الشعر الجديد المتحرر من قيود الوزن والقافية بنسب متفاوتة . والواقع انها ليست مدرسة جديدة ، وانما هي محاولة للشباب في كل عصر ، منذ عصر المرزباني ، الذي ذكر في كتابه « الموشح » شيئا اسمه « الهزروف » ... وعرفه بأنه كلام قاله بعض العرب ، لا هو بالشعر ولا بالنثر ، وانما هو كالدابة حينما تقف على ثلاث .

وقد احسن يوسف عزالدين حين اصر ، وهو يقدم الطبعة الثانية من ديوانه ان يثبت هذه المحاولات الاولى ، ليؤكد لمن يزعمون اليوم انهم رواد مدرسة جديدة في الشعر ، انها ليست مدرسة جديدة ، بدليل انه حاولها منذ اكثر من عشرين سنة ، وهو في اول الصبا . من هذه المحاولات الاولى ، قوله خلال قصيدة « رعشات الذهول » :

عنك غاب القمر
في الظلام استقر
فتساوينا
وتآخينا
فالحبيب ... نفر

ومنها .. في قصيدة « ذكريات » :

ارحمي القلب وروحي
وعلى وجدي نوحي
ذكرياتي
ففدا تشفى جروحي
والاماني التي اضحت سرابا
فاستريحي نفسي الواهي الحزينة
وذرى النجوى الدفينة

ومنها تعمد اللهو بالبحر الخفيف ، مكتملا ومجزوءا في قصيدته « عهد وعهد » .. اذ يقول :

ارأيت الرعود تزار في الجو
... فتربد منها السماء
أم رأيت الرياح تجار والكون
... عاصف نكباء
واصطخاب الامواج في ثورة البحر
... تثيره الانواء
ذاك قلبي لما تخلى السراب عنه
... وغاب عنه الرجاء

فأنت ترى البحر الخفيف سليما في المصراع الاول من كل بيت من هذه الابيات الاربعة ثم تحسب ان الموسيقى قد خدعت الشاعر فسقط في وهدة عروضية وهو يستكمل كل بيت .

ولكنه يجيبك بعد ذلك بهذه الابيات :

أرأيت النسيم رهوا عليلا ... يتغنى على جبين الغروب
وأطل البدر الجميل طروبا ... فانتشى الكون بالخيال الحبيب
ولحون من عندليب شجي ... تطرب الكون من رقيق طروب
خطرة تلك من حبيب تهادت ... منه نشوى الى فؤاد الحبيب

يجيبك بهذه الابيات ، ليقول لك انه خبير بتفعيلات البحر ، قادر على الصياغة السليمة في خضمه بكل امانة وبكل احسان ، ولكنه اراد في الابيات الاولى من القصيدة ان يلعب ... اراد ذلك عامدا متعمدا .

اقول ان يوسف عز الدين قد احسن اذ اثبت هذه النماذج ، ليثبت لدعاة الشعر المقول بأنه جديد ، بأنه ليس جديدا ، وانما هو لا يعدو ان يكون في محاولات الصبا لكل شاعر . ولكنه كان اكثر احسانا حينما شب عن الطوق ، فأقلع هذا اللعب غير المجدي ببحور الخليل ، لانه لعب لا يضيف شيئا الى الشعر ولا يثريه ، بل على العكس من ذلك ، يذهب بحسن جرسه وانسيابية موسيقاه . فالوزن والقافية قيدان للشعر .. ما في ذلك من شك . ولكنهما قيدان جميلان .. بل هما سر الجمال في الشعر .. وسر شرف الشعر على النثر .

ولا فن بغير قيد . كان استاذنا العقاد ، رحمه الله يقول ذلك دائما ، ويضيف ان الكلام اسهل من الغناء ، ولكن الغناء اجمل ، لانه كلام مقيد بأصول وقواعد .. والمشي اسهل من الرقص ، ولكن الرقص اجمل ، لانه مشي مقيد بأصول وقواعد .

الحزن في شعره : والظاهرة الثالثة في شعر يوسف عز الدين ، هي بصمات الحزن المطبوعة على كل قصيدة من قصائده . وهي بصمات اصيلة ، نابعة من صميم وجدان هذا الشاعر ، وما على القارىء الذي يقبل على هذا الديوان بنفس الحب الذي اقبلت انا به عليه . الا ان يذهب الى العمق ويتساءل : كيف عاش يوسف عز الدين حياته ؟

وعليه عندئذ ان يفعل ما فعلت انا ، حين ذهبت التمس الجواب في كتاب « شعراء العراق في القرن العشرين » . ليوسف عز الدين ... وفيه قصة حياته .. وهي حياة تحمل طابع المأساة من الطفولة الى اليفاعة الى الصبا الى الشباب ... ولعلها لا تزال حتى الان تجرر ذيول هذه المأساة .

على انه اذا كان من شأن المأساة في حياة المرء ان تخلق منه كل هذه الطاقات الشعرية والادبية والانسانية ، فمرحبا بالمأساة .

القاهرة — **صالح جودت**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد الشريقي

محمد الشريقي

١٨٩٨ - ١٩٧٠

بقلم محمد اديب العامري

وزير التربية والاعلام والخارجية الاردنية سابقا

* * *

اذا عد رجالات العرب الذين حملوا في العصر الحديث لواء الدعوة الى حرية الامة العربية ووحدتها ، فان المغفور له محمد الشريقي يعد في طليعتهم .

واذا عد الرجال الذين اسهموا في بناء المملكة الاردنية الهاشمية ، عربية مستقلة داعية للوحدة ، فان الشريقي يعد ايضا في طليعتهم .

وكانت للفقيد مواهب شخصية نادرة ، وعظمة خلقية بارزة ، فقد كان شاعرا مطبوعا وناثرا مجيدا وخطيبا مفوها . وقد شملت عظمته الخلقية ما وصفه به وصفا صادقا الكاتب الاردني الاستاذ سليمان موسى يوم نعاه من « النزاهة والعفة وكرم الخلق وعزة النفس ولين الجانب ونظافة اليد واللسان » .

لقد كان الشريقي هذا كله دون تزيد او مبالغة . ومع ذلك فقد كرس نفسه وسخر مزاياه ومواهبه كلها طوال حياته لخدمة فكرة واحدة ، وهي الوحدة العربية .

وفي العمل لهذه الفكرة سبق جهده عمره . فقد صدر عليه سنة ١٩١٥ حكم بالاعدام نجا منه لصغر سنه، وابدل الحكم يومئذ بالسجن مدة اثني عشر عاما . وكان قد صدر عليه حكم الاعدام ذاك من الديوان العرفي التركي الذي حكم بالاعدام ايضا ، ونفذ حكمه ، في نحو خمسين من رجالات العرب الذين طالبوا بالحكم الذاتي لبلادهم .

وفي تلك السنة ، وعمره لم يزد على السبعة عشر عاما ، انضم الى « جمعية العربية الفتاة » في دمشق ، اهم الجمعيات العربية السرية التي الفت في دور اليقظة العربية ، واصبح امين سرها . وكان شعار الجمعية « تحرير بلاد العرب واستقلالها وتوحيدها ، والنهوض بالامة العربية الى مصاف الامم الراقية » . ولما تحولت تلك الجمعية الى « حزب الاستقلال » الذي الف في دمشق سنة ١٩١٩ كان الشريقي احد اعضاء الحزب . وكان من اعضائه فيصل بن الحسين وشكري القوتلي ورياض الصلح وياسين الهاشمي وصدقي ملحس ، وطويل العمر ان شاء الله عزة دروزة ، وغيرهم . وظل هدف الجمعية هو هدف الحزب - تحرير الامة واستقلالها وتوحيدها .

وبهذا النضال الخطير المرير ، ضد الامبراطورية العثمانية آنذاك ، ارسى الشريقي وزملاؤه اسس القومية العربية الحديثة . وقد رسخت هذه الاسس وظهرت معالمها على الرغم من كل عقبة ومقاومة . وقد مضى الشريقي ومعظم رجال رعيله الاول الى رضوان ربهم وما زال هدف الوحدة المنقذ الاكبر لكيان الامة العربية .

ومع ان جهاد الشريقي منذ بدء حياته تركز حول الثورة العربية الكبرى بقيادة الحسين بن علي رضي الله عنه ، فقد كان ينتصر لكل ثورة عربية . وعندما اغار الطليان على طرابلس الغرب سنة ١٩١١ ، وهب الطرابلسيون (الليبيون) لرد الغارة الاستعمارية ، شارك في ذلك الوقت المبكر ، وعلى بعد الشقة آنئذ ، في نصرة القطر الشقيق ، فقال في مطلع قصيدة طويلة :

ويح بـاغ جاس الديار مغيرا وتخطى الحمى لحو الحماة
سوف نوليه ضربة تقمع الطلسم وتنجي الدنا من الظلمات

وشعر الفقيد منذ سنة ١٩١٥ بريح الثورة العربية تهب من قلب الجزيرة ، فكان ممن عاهدوا الامير فيصل بن الحسين على تأييد الثورة ، وذلك قبل اعلانها ، وحضر مجلس البيعة السورية في دمشق ، وخاطب الامير في قصيدة بقوله :

كاني بالحسين يعد جيشا يطالعنا بامجاد العصور
يقارع دون دعوتنا ويمضي بمكة رافعا علم النذير

ونجحت الثورة ودخل جيشها دمشق ، فعهد الى الشريقي الشاب بمنصب السكرتير الخاص للحاكم العسكري العام . ولما اقيم الحكم العربي الفيصلي في دمشق سنة ١٩٢٠ قام بجهود الجبابرة لتثبيت ذلك الحكم . وبدا باللاذقية مسقط راسه ، ففوضته الهيئات الوطنية فيها للمطالبة بتوحيد الحركات الوطنية حول الحكم الجديد . ومع ان هذا الحكم تركز واستقر واخذ يتطور ، فان نجمه افل سريعا بالاحتلال الافرنسي الخادع لسورية، واخذ الفقيد وزملاؤه ينظمون المظاهرات ويغذون الثورة المسلحة في غوطة دمشق ضد هذا الاحتلال ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فحكم الافرنسيون على الشريقي بالسجن عشرين عاما ، فتراجع الى خط خلفي وانضم سنة ١٩٢٢ الى الامير عبد الله بن الحسين . وكان الامير قد نفر من الحجاز لحرب الافرنسيين في سورية واستنقاذ الحكم العربي . وبذلك قيض للشريقي ان يعمل مع العاملين لتأسيس الامارة في شرقي الاردن ، ذلك التأسيس الذي أبقى على عروبة القطر العزيز وأبعد عنه الدعوى الوقحة للغزوة الصهيونية الغاشمة .

وكما عاضد الشريقي انشاء اول حكم عربي في سورية ، بعد الحكم التركي ، وتأسيس الامارة الاردنية ، فقد كان رحمه الله كوزير للخارجية الاردنية من اول من وقع على وثيقة الاستقلال سنة ١٩٤٦ . وكان فعالا في الاجراءات التمثيلية والتعديلات الدستورية اللازمة لوحدة الضفتين سنة ١٩٥٠ . وكان يتحدث عن مساهمته في هذين الانجازين الكبيرين بارتياح واعتزاز ، وقبل هذا وبعده كانت له جولات واسعة لم يكتب لها النجاح في سبيل وحدة سورية والاردن وفلسطين تتضمن اتحادا سياسيا وعسكريا واقتصاديا مع العراق .

وعمل الشريقي وزيرا للمالية والاقتصاد ايضا ، ووزيرا للمعارف ، والعدلية ، والبلاط ، كما عمل رئيسا للديوان الملكي وعضوا في مجلس الاعيان . ثم ختم حياته الحافلة بشغل سفارات افغانستان وباكستان وتركيا وايران . وكان عمله فيها جميعا منسجما مع ما كان يعتد به من الشعور الاسلامي ، ومع ما كان يرى من مجالات النضال المشترك بين الاسلام والعروبة .

وكانت سفارته للقاهرة من اواخر اعماله في الدولة . وعلى الرغم من الظروف فقد كانت تلك السفارة ملائمة لعقيدته السياسية . وعندما غادر القاهرة سنة ١٩٦١ قال في وداع مؤثر :

نصر لقاؤك يا حسين ... برهط هاشم مع جمال
مع قائد محض السلام ... ولم يرع يوم القتال
أي والذي برا الانام ... وجل عن ريب المقال
ما النيل والاردن في ... حمل الامانى والامالي
الا الفرات ودجلة ... صنوان في بذل الفوالي
بردى المشوق اليهما ... ريان من غرر الخصال

وهكذا ظلت دعوة الشريقي للوحدة تجري منه مجرى الدم . وكان الاتحاد الفدرالي هو الشكل الذي ينادي به . وفي ذلك قال : « ان اقرب ما يحقق الوحدة ان تكون على غرار الاتحاد الهندي ، او الولايات المتحدة الاميركية ، حيث تقوم حكومات محلية مستقلة في كل ولاية او اقليم ، تجمعها حكومة مركزية عامة ، أي ان يكون دستور للاتحاد ودساتير اخرى محلية . وهذه الحكومة المركزية العامة تتمثل في مجلس اتحادي اعلى تكون رئاسته دورية » .

وكان الاسلوب في الوحدة لا يهم الفقيد اذا كان يحقق الهدف ، ولذا كان يغض الطرف عن اثر الاسس الاقتصادية التي برزت حاجتها وضرورة توحيدها عند دعاة الوحدة المحدثين ، ولمحت انه لا يعارض في استعمال القوة اذا ضمنت بلوغ الوحدة .

وبالطبع كان الم الشريقي لما حل بفلسطين الما ممضا مبرحا . كانت نكسة مضاعفة بالنسبة للوحدة . ومع ذلك فقد سمعته يقول بعد نكبة ١٩٤٨ ، انه على الرغم مما وقع ، ومما لا نسلم به قط ، فان انتشار بعض شبان فلسطين في الاقطار العربية سيعود بالنفع على قضية العرب .

وظل رحمه الله الى آخر ايامه مواكبا لركب الحركة الوطنية عامة والفلسطينية خاصة . قال بعد النكسة :

ايهذا المستبيح ديارنا ... سنعلم من منا تهاض مناكبه
وان ثرى الاوطان حق مقدس ... فمن هو في عصر التحرر سالبه
وان الفدائي الذي باع نفسه ... الى الله اطماع الدنا لا تغالبه
وان مصير الشعب للشعب ثابت ... ومن غلب الطغيان فالله غالبه

ولقد عملت مع الشريقي في ادارة المعارف الاردنية خلال فترة تأسيسية ، خدم رحمه الله فيها المعارف احد عشر عاما كان فيها مثالا لرجل العلم والخلق والتضحية. وقد ترك في خدمة المعارف الاولى في الاردن مع مديرها المرحوم اديب وهبة اثرا لا تمحوه الايام .

وعملت معه بعض الوقت وانا اتولى عمل لجنة الهدنة الاردنية ، وبعضا آخر من الوقت في وزارة الخارجية . كان في الحالة الاولى يبدي الحرص كل الحرص على صالح بلده ، وكنا نعاين ذلك حين تنشأ قضية مع الجانب الاسرائيلي . لقد كان في كل قضية يشرئب الى الكسب لا مجرد حلها وحسب ، ويشرئب في انتفاض واعتداد وشمم ، وكأن الهدف كل مرة اثارة مشكلة اسرائيل من اساسها . كانت متطلبات نفسه الكبيرة دائما أبعد من امكانيات موقفه . وفي الحالة الثانية ، وهي العمل في وزارة الخارجية اطلعت على جانب من قدرة الشريقي على الاصلاح الاداري ، لقد سهر الليالي في البيت والمكتب لتنظيم الوزارة على اسس صحيحة ، فوضع لذلك بخط يده تنظيما دقيقا واسعا ، وجعل فيه الوزارة اقساما حديثة محددة ، وجعل على كل قسم رئيسا مختصا ، ووصف عمل كل رئيس وموظفيه بتفصيل واضح . وكان يؤكد ضرورة الضبط والربط والانتظام . يقول رحمه الله « الانضباط » ويكتفي .

وبعد ان ترك الشريقي خدمة الدولة ، كنت اختلف الى مجلسه الفينة بعد الفينة . كان حديثه في مجلسه لا يختلف عن مضمون هدف حياته . كان الحديث في الاعم الاغلب اوضاع الاردن وسبل الاصلاح ، واوضاع الامة العربية وعوامل التطور والوحدة . ولم يكن الشريقي في حقيقة الامر تقليديا ، ولكنه كان مبدعا مسايرا لروح العصر محيطا بالتطورات السياسية الحديثة . وكان انسانا كبيرا متواضعا ، يمشي في الاسواق ويحمل بيديه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افـاقـه

سراب والا كيـف لا ينقـع الصدى ... شراب اضعت العمر فيرشفه سدى
ووهم والا كيـف يخدعني السنـا ... فارنو ولا نـار هنـاك ولا هـدى
وزيف والا كيـف تطربنـي المنـى ... فاصغي ولا لحن هنـاك ولا صدى

افقت وادركـت الحقيقـة بعدمـا ... وهى جلدي ـ واحسرتي ـ وتبددا
ومـا نفع ادراكي الحقيقة بعدمـا ... وصلت اليهـا لا فـؤادا ولا يـدا
تلمستهـا والعـود غض ولمتـي ... ترف فاعيانـي هواهـا واجهـدا
وعشت لهـا حبي الكبير وصبوتي ... وقلبـي والحانـي طروبـا مغـردا
واعطيتها اغلـى منـاي ومهجتـي ... واهرقت فيها ريـق العمر والندى
فلما ذوى عـودي وغاضت مناهلي ... واصبح روضي سبسب الحقل اجردا
تراءت لعينـي الحقيقة جهـرة ... وضمت يدي منها عنانـا ومقـودا
وشف من الاجواء مـا كان غائمـا ... وقر من التيار مـا كـان مزبـدا
وعدت الـى نفسي جديـدا كانمـا ... ولدت ومـا احـلاه عـودا ومولـدا
وراجعت ماضي الغزيـر وحاضري ... وجردت مـن نفسي لنفسي مفنـدا
وقلت لاوهامي رويدا فلـم يعـد ... سرابـك يغرينـي وان رق مـوردا

كان علـى الانسان ضربـة لازب ... عبور الطريق الوعر مهمـا تـزودا
يسير على ارض مشى فـي شعابها ... ابوه ويعدو في الدروب الذي عـدا
يرافقـه وهـم الحيـاة وزيفهـا ... يؤمل ان امسى ويرجـو اذا غـدا
غريـرا تمنيـه الامانـي فينتشي ... ويلهو فمـا ينفـك غـرا معربـدا
اذا ما مضت من يومه ساعة هفـا ... الى غيرها مستعجلا يطلب الغـدا
دواليك والايـام تجـري وتنقضي ... سراعا ولـم يبلغ مـرادا ولا مـدى
فمن لـي بتلقيني الحقيقة جرعـة ... مروقة لا اشتكـي بعدهـا صـدى

جازان ـ السعودية

محمد علي السنوسي

حاجات بيته . وقد سمعته مرات يقول : « ان في مظاهر حياتنا من الترف والتصنع ما لا يتناسب مع احوالنا » ، كما سمعته في مرض موته يقول : « لا يقدم الانسان على الرشوة الا وقد فقد حس الارتباط بوطنـه » . وقـد شاهدته يخسر الوظيفة الكبيرة دفاعا عن مبدئه وكرامته، كما شاهدت رعايته لافراد اسرته ولاصدقائه على صورة من المحبة والوفاء تعتبر نموذجا يحتذى به .

وطلبت اليه احدى المجلات فـي الاونة الاخيرة ان يوجه كلمة للشعب الاردني والامة العربية فقال :

« لقد حصلت من خلال تجاربي على نتيجة هامة ، هي ان الاعتماد على النفس في مواجهة الحيـاة ، خاصة كانت او عامة ، وفي النضال القومي والسياسي ، هـو وسيلة النجاح المؤكد ، لان الامة التي لا تعتمد على نفسها ولا تعد عدتها لمواجهة الظروف والاحتمالات لا يقدر لهـا النجاح ، لان الحياة جهاد ، والقوة هـي التي تكسب الحق فيها » .

عمان ـ الاردن

محمد اديب العامري

اصـــداء

بقلم أديـل الخشن

★

اكتب اليوم عن قلب عاشق ،
عن زهرة بيضاء طالعة ،
دقت بـاب الارض
بعنفوان الرمح ! ...
وتفتحت ترشق سائل الشمس الفضي
يتألق في اوراقها النور والامل ،
وفجأة اطبقت الزهرة شفاهها
وغاصت في القاع الازرق
بعيـدة عن الشمس ...

قلب عاشق ،
يحتبس العطر كله
ينسج نهارات ربيعية
يحيك للسنونو اجنحتها
ويطلق مناقيرها لاغنية المساء !
جلس على الرصيف كشحاذ منبوذ
يبسط يديه في حقول سوداء ...

رفيق الفراشات الهائمة
وفرح الاقاحي المزهرة
افلتت منه كدسات الزنابق
واظلم في عينيه صبح المواعيد
لقيته مزروعا في غابات الضياع
والبحر كله يصخب في راسه
يهزه البرد فيستفيق ،
وعبر الغمام المذرور من عينيه
يرسم صورة من احـب !! ...

ـ « اماه ! هي وانا عاشقان
احبها ونحبني ! ...
غدا ... سيضيء البيت
وسيعزف النهر في صدرينا ! »

حلمـا كـان ...
وتهدمت مغاور العقيق
غزل البحر امواجا سوداء
ومات في الارض ربيعها .
توسد الحجر البارد ،
عاف الحب والوفاء ،
يضم زهرة ويدوس أخرى
يمسك نجمة ويفلت نجمة ،
يعمد الاحلام في جداول الكره
يفتعل الشوق والسهر
وينتهي من حكاية
ليبـدأ بقسم .

جف النهر العازف ،
مـات فيه اللحـن والوتـر !
والنجوم هوت الى الارض
وضاع منها الضوء والشفاه .
غاضت في الارض قوارير اللون
وكدسات الزنابق
ملأت اقواه المواقد ...
فجلس على الرصيف وحيدا
يفلت في العتمة فراشات ليلية
تمسح باجنحتها الحائرة
شـباكي السـاهر ...
فامد عيني جسرا
لعينيه التائهتين
وارسم في كتابي
حروف صلاتـه ...
ادس اصابعي في جواريره المغلقة ،
وانثر على الورق
الزهرات الذابلة ،
التي اطبقت اوراقها ،
وغاصت في القاع الازرق ،
بعيدة عـن الشمس ...

الشويفات ـ لبنان — اديل الخشن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاداء الفني بين مفاهيم الحداثة والقدم

بقلم الدكتور عمر الدقاق

* * *

في وسعنا القول ، ان ادبنا العربي ، ادب عريق وحافل قدر له في عهود سالفة ان يكون في مصاف الآداب العالمية ، وان يتبوأ منزلة رفيعة الى جانب آداب الاغريق واللاتين والفرس .. غير ان دوحة تلك الآداب قد يبست وجف نسغها ، ولم تعد قادرة على العطاء ، على حين بقيت دوحة الادب العربي خالدة في مسمع الدهر ، ما زالت تؤتي اكلها وتنطوي في مضمونها على الخير وفي مبناها على الجمال .

ثم كانت الكهرباء وكانت الذرة ، واخيرا كان ارتياد الفضاء . وبعبارة اخرى كانت حياة جديدة انبثق عنها فكر جديد ، وادب جديد ، واخيرا شعر جديد .

جاء الشاعر الانكليزي ت. س اليوت قومه بشعر مستحدث ، شديد الغرابة ، فقابله الناس بمعارضة قوية واستنكار حاد ، والناس اعداء لما جهلوا ، واحلاف لما الفوا. لكن شعر اليوت ما لبث ان انتهى الى النصر المبين، حين سلم له الجميع في العالم بصدقه الفني واصالته الشعرية واقروا بحاجة الادب الانكليزي الى الانقلاب الذي جاء به . وكان في جملة ما طلع به انماط جديدة من الاوزان والاشكال تستمد اكثر مقوماتها من واقع كلام الناس وايقاع احاديثهم وما تنطوي عليه حياتهم من قلق واضطراب ومطامح وآلام ...

وبرغم الحياة المديدة التي عاشها ادبنا ، فانها قلما تعرضت للهزات او عانت من الازمات . واذا استثنينا ما قام من خصومات ادبية حول جرير والفرزدق والاخطل، او حول نزعات التجديد لدى ابي نواس وابي تمام وابي الطيب ، فان تيار الادب العربي كان يسير رهوا عبر العصور لا يكاد يعترضه عارض او ينعطف به طارىء .

وقد خيل لنفر منا ان هذه المسيرة الطويلة الرتيبة هي الحقيقة الوحيدة في عالم الادب ، وان ذلك المجرى التقليدي للشعر العربي عبر العصور انما ينطوي على الاجلال ، وان كل محاولة في تغيير مجرى هذا التيار عن الطريق المألوف انما هي بدعة او ضلالة بل هي مروق.

وكان لا بد لعالمنا المتفجر هذا ان تقتحم على اجياله الموارة مفاهيم جديدة وان تلفح قرائح ابنائه رياح قيم مستحدثة . وكان لا بد للعرب ايضا ان ينبهروا بأضواء الحضارة الوافدة ومنجزات التكنولوجيا الرائعة ، وما كان بوسعهم بعد ذلك ان يكونوا بمعزل عن ذلك كله كالحصاة الصلدة او كبقعة الزيت الطافية .

ولاول مرة في تاريخ ادبنا المديد تطلع علينا في الادب المعاصر قضايا جديدة ، قضايا كبرى ، ابرزها قضية الالتزام ، على صعيد المضمون ، وقضية الشعر المرسل ، على صعيد الشكل .

ولاول مرة ايضا اقتحمت حياتنا الادبية عناصر الصراع المذهبي والفكري فوقف الكثيرون من التجديد موقف الشك والحذر ، والانسان بطبيعته الوف ، يقول ابو تمام :

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

ويقول المتنبي في الفته للشيب أيضا :

راعتك رائعة البياض بمفرقي ولو انها الاولى لراع الاسحم

أجل ، لو ان لون شعرنا كان أبيض بطبيعته لتشاءمنا من ظهور الشعرات السود واكتأبنا من سوادها الذي يحاكي لون الغراب ويشبه ظلام القبور . هذا شأننا مع الشعر القديم الذي ألفناه ومع الشعر الجديد الذي قد لا نستسيغه لاننا لا نألفه .

وهكذا يبدو المرء في كل زمان ومكان عدوا لكل جديد . فمنذ القديم كان المجددون واحرار الفكر وقودا لحملات مسعودة ظالمة . ومن هذا القبيل في عصرنا ان الامر ايضا بلغ حد الهجوم الظالم على فرع نضير من ادبنا العربي المعاصر ، انه ادب المهجر . لقد وصف عزيز اباظة هذا الشعر الجميل بانه لا يخاطب العقول والعواطف ، وانه صناعة تزور عن الذوق العربي السليم ، فهو لذلك لا يعده شعرا عربيا . هكذا وبكلمة واحدة شطب هذا الادب من تراثنا ، والغى النبوغ المهجري من قاموسنا . وحين ذكر احدهم اسم شوقي في سبيل المقارنة بين شعره وشعر المهجر قال اباظه : « ان اسم شوقي يجب الا يذكر هنا ... ! » وكأنه يخشى على أمير الشعراء ان يصاب بعدوى وباء الجرب من المهجريين . بل ان محمد حسين هيكل رفع عقيرته صائحا مستنجدا حين قال « يجب ان يتعاون المجدد والمقلد منا، والا بقي الفوز في جانب السوريين المتأمركين .. » أليس في هذا اعلان للحرب ، حرب ساحقة ماحقة لا تبقي ولا تذر لإبادة هذا الوباء الجديد ، الذي يحل سفك دم اصحابه ؟ .

كل هذا وشعرنا المهجري شعر عمودي في معظمه تقليدي في اكثره ، يتسم بالخيال المبتكر والمعنى الطريف والاداء العذب .

اما الشعر الجديد ، الشعر المرسل ، الشعر الحر فكانت الحملات عليه اشد قسوة وعنفا وايلاما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال احدهم هازئا به :

آفتنا في الشعر هذه البدع دلت على جوهرها هذي الرقع
فيه من الجديد كل شيء لكنه ليس بيعربي

وقال ايضا بسخرية لاذعة :

بشراك يا شعر غدوت حرا منطلقا من القيود طرا
لم تبق قط للخليل ذكرا ولم تخض من البحور بحرا
ادر علينا النفحات غمرا بيتا قلامة وبيتا شبرا

واتم كثير من هذا النقد بالتجريح والتحدي وكان بعيدا عن الموضوعية .

وكان في مقابل ذلك هجوم ظالم على الشعر التقليدي وعلى اصحابه كان اقل عناصره تهمة تحجر الشعراء وانقضاء زمانهم وتخلف الشعر العربي القديم عن روح العصر . وادعى بعضهم ان الشكل التقليدي للشعر العربي لم يعد يصلح للتعبير عن المنازع المعاصرة المتجددة . وفي هذا تبجح او تجن على الحقيقة مبعثه جهل اصحاب الشعر الجديد ، ومعظمهم من الشبان بتراثهم وبأصالته وخلود الكثير من نماذجه . وما من ريب في ان قصورهم العقلي جعلهم يظنون ان الشعر كالازياء التي لا بد ان تتغير وان ينسخ اللاحق منها السابق .

ولا شك ايضا من جهة اخرى في ان اتسام كثير من شعراء الشعر الحر بالضعف والشطط والانحراف جعلهم هدفا طبيعيا لهذا الهجوم . ولكن متى كان هؤلاء وحدهم يمثلون الشعر الجديد ، وهل يجدر بنا ان نعمد الى حرق اللحاف لنقتل البرغوث ، او ان نفعل ما فعله القرد الذي قذف وجه صاحبه بحجر ليطرد عنه ذبابة .

ان من حق كل امرىء ان يرسم وان يصور وان ينظم ، ولسنا ننكر هذا الحق حتى على التلميذ الناشىء ، والزمان وحده كفيل بغربلة النتاج الادبي . فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

واذا كانت تجربة الشعر المرسل ما زالت بين اخذ ورد في القصيدة الغنائية العاطفية ، فإن هذه التجربة الجديدة جديرة بأن تحظى بنجاح اكبر في المجال المسرحي . انها تجربة رائدة بحق يمارسها مؤلفون شبان من مثل سليمان العيسى في حوارية (جبلة بن الايهم او الازار الجريح) وممدوح عدوان في مسرحية (المخاض) وعلي كنعان في مسرحية (السيل) وظريف صباغ في مسرحية (الفجر) وغيرهم .. وتتجلى جدوى هذه التجربة اكثر ما تتجلى في المسرح ، لان العمدة في ذلك تقوم على الحوار ، والحوار المسرحي بطبيعته يتراوح بين مد وجزر وقصر وطول . فالعبارة الشعرية التي تساق في الاداء المسرحي انما هي دفقة شعورية تمليها طبيعة الموقف ، وبوسع الكاتب المسرحي الذي يعتمد على الشعر المرسل في ادائه ان يفصل الثوب على مقدار الجسم مما قد لا يتيحه له دائما الشعر العمودي في قوالبه المتناظرة الصارمة . ومن هنا قد لا تعدو الدفقة الحوارية في اقتضابها كلمة مبرمة واحدة وقد تتوالى كلماتها متلاحقة متدافعة تأخذ مداها الرحيب . وهذا اللون من التعبير الشعري المنطلق يبدو لنا مرحلة وسطا بين الشعر التقليدي ـ بقوالبه المحددة المتناظرة وبين النثر الادبي المطلق من كل قيد فني . وبذلك يتسم الشعر المرسل في العمل المسرحي بخصائص هذين الفنين من فنون القول معا .

اما تهمة المروق التي الصقت بالشعر المرسل وانه هدام ، فهي تهمة ظالمة .

ان معظم ما ينظمه شعراء الارض المحتلة اليوم انما هو من هذا الشعر . لان شاعر الارض المحتلة بطبيعته انسان يتمرد على كل قيد سواء كان في الحياة او في الفن .

ان الفن الحقيقي يتبرأ من نزوات التعصب والهوى ، كما ان الفن الاصيل يتمرد على القوالب الصارمة والحدود الثابتة .

ان الشعر العربي على اصالته وروائع نماذجه لا يستطيع ان يدعي لشكله التقليدي ان يكون وحده والى الابد اداة التعبير المتفردة عن المشاعر .

وليس للشعر الحر ايضا وهو ما زال في طور التجربة واول الطريق ان يزعم لنفسه وحده امتلاك ناصية التعبير عن منازع النفس المتجددة .

النثر ـ كما يقول ماليرب ـ اشبه شيء بالسير او المشي . والشعر اشبه بالرقص ، واذا كان الامر كذلك فهل الرقص مقصور على لون واحد ؟ .

ومن هنا كان بوسعنا ان نقول ان الشعر العربي العمودي اشبه بموسيقى محفلية تتسم بقوة النبر وجلال الاداء وجهارة الصوت ورنين القافية ووضوح الجرس ورتابة الايقاع ، اما الشعر الحر فهو اشبه بموسيقى سمفونية متكاملة النغم لا يلفها ايقاع خارجي ، ولكن يسودها تناغم داخلي ، وقد تطول فيها دفقة الانغام وقد تقصر ، وقد تعلو وقد تنحدر ، شأنها كشأن البحر بين المد والجزر .

فاذا كان كثير من شبابنا لا يتذوقون شعر جرير وابي تمام فالقصور فيهم هم لا في ذلك الشعر . واذا لم يستطع الكثيرون ممن ألفوا الشعر القديم ان يتذوقوا الشعر الجديد فقد لا يكون العيب ايضا في هذا الشعر .

وكم من اناس يعرضون عن الموسيقى السمفونية ولا يشترونها بموال بدوي ، او يشمئزون من موسيقى الجاز على حين يكاد الاخرون يحبونها ، كما ان اناسا يزدرون بعض اللوحات الفنية دون ان يستسيغوا كنه جمالها او يدركوا سر روعتها ..

وصدق المتنبي حين قال :

ومن يك ذا فم مر عريض يجد مرا به الماء الزلالا

اغنية حب فلسطينية

كلما راعك النوى ... خلف قضبان غربتي
عاهديني على الهوى ... اطعم النار خطوتي

بجراح معذبه ... واصطباري على الجراح
واياد مغربه ... تحصد الملح والرياح
انثر الجمر في الطريق ... من فؤادي ومقلتي
علّه ينشب الحريق ... لارى فيه لوعتي

كيفما باعك الظلام ... خلسة او علانيه
واستحلنا الى حطام ... تحت اقدام طاغيه
شمعة الحق لن تذوب ... آه ، واحر مهجتي
والذي خدر القلوب ... فر من وجه ثورتي

يا فما سامه الظما ... بعد ان خاننا الشتاء
ليتني في يد السما ... غيمة تمطر الدماء
غير اني على الصدى ... دست في الليل دمعتي
وعلى وجنة الفدا ... مت في نار قبلتي

يا زنودا على الاسى ... لم تعد تزرع السلاح
جئت في لحظة المسا ... ارتجى بسمة الصباح
فاحمليني الى الوطن ... تطحن الصخر قبضتي
وازرعيني انا اذن ... في حواكير قريتي

حدثيني عن الشهيد ... وعن الساعد الجريء
واحضني طفله الوحيد ... فهو من قلبه البريء
بت يا حلم لا ارى ... غير امي وامتي
وجراحي على الثرى ... هي تصديق رؤيتي

يا فلسطين عانقي ... عاشقا وجهه قمر
عاد بالشوق يرتقي ... قلبه سلم الخطر
كلما راعك النوى ... خلف قضبان غربتي
عاهديني على الهوى ... اطعم النار خطوتي

الزرقاء ـ الاردن — علي البتيري

كل ما نستطيع قوله ليس في الادب قديم ولا جديد ، لان الحداثة والقدم نسيبان ، وكما قال الشاعر :

ان ذاك القديم كان جديدا ... وسيغدو هذا الجديد قديما

فهذه سنة التطور وطبيعة الحياة . ولعلنا نستطيع بعد كل ما تقدم ان نختتم هذا الكلام بقولنا : لتتفاعل انماط الموسيقى ومدارس الرسم والتصوير ومذاهب الادب والفن ... فكلها الوان من النشاط الانساني الرفيع .. ولتتفتح بعد ذلك جميع الازهار .

حلب — عمر الدقاق

يا بنت اندلس

الى المستشرقة الدكتور ليونور مارتينيز مارتان
والى زوجها المستشرق الدكتور خوان فيرنيت
استاذي العربية بجامعة برشلونة باسبانيا

★

لولا مزاياك ما كانت مزايانا ... ولا المودة قد باهت بذكرانا
روح العروبية الباقي بأندلس ... هفا الينا وبالانساب نادانا
يا بنت أندلس ، مالي اليك هوى ... الا الحجى والنهى يسري بمسرانا
طابت على وجهك الآداب باسمة ... فوجهك الحلو بالاخلاق ناجانا
نادمت كتبك حتى قلت ويح دمي ... أنت الاديبة في معسول دنيانا
حسناء يا منية الدنيا وبهجتها ... سما اليك خيال كان معوانا
لو استطعت طويت الريح منفردا ... بي الجناح وجئت الدار ولهانا
في « برشلونة » احبابي فوا أسفي ... اني مهيض جناح بت حيرانا
شرقية انت في استشراق عالمة ... كتبت بالضاد حتى جئت عدنانا
وزوجك الندب علام الملا وبه ... تفاخر العرب العربا اسبانا
آمنت بالحظ ان لانت بوادره ... ضم الحبيبين واستدنى الذي بانا
وان نبا وابتلى فالنفس باكية ... ما فاتها من هوى ما ذاق سلوانا

اذا ذهبت الى الثيران شاهدة ... صراع « انطونيو » طوفي ببلوانا
نفسي مصارعة والثار جاهدها ... وان لي في خصام النفس ثيرانا
كان الجدود على ارضيك واحدهم ... الفا وضلوا فحار الربح خسرانا
شقي بمبضع طب قيد انملة ... بجسمك الطاهر الملوء ايمانا
ينبع دم عربي ملء طاقته ... عناصر حملت روحا وريحانا
اذا النوى جمحت فينا بلا مدد ... على البعاد ولم تسمح بلقيانا
فبيننا الروح خفاق رسائلها ... هي البريد الذي بالود وافانا
لك الشفاء بما ازمعت من ألم ... يا خير نابغة انسا وانسانا
ان تنقلي الشعر عنا فالشعور بدا ... من « ابن زيدون » حتى جال اكوانا
«اضحى التنائي» لها في القلب واشجة ... غنى بها الدهر للاحباب ازمانا
ارى الشتيتين تسبيحا بها هتفوا ... وعطروا بهواها العمر الحانا

زين العروبة في الاسيان ، طيف ندى ... الم منك فحيانا واحيانا
سالت ربك يحييك المدى زهرا ... ربيعه دائم يزداد تبيانا

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اندفع عبر الباب ، ووقف بقامته المديدة وسط الغرفة ، جسمه يختفي في ثوب طويل كالح ، فتحة رقبته متآكلة . على كتفيه سترة رمادية وسخة ومتهدلة ، وقدماه النحيفتان ضائعتان في صندله العتيق ..

كل شيء فيه متطاول : راسه ، واذناه الملتويتان ، وانفه الذي يحاكي منقار النسر . عيناه جامدتان ، عميقتان ، وجبينه تغضنات متلاحقة كثيفة فوق حاجبين رفيعين .. وشعره المقصوص اسود وباهت .. نظراته تأكل الصمت ، وتفتشان عن شيء ضائع .

همس الطبيب في اذني ، وهو زميلي الذي اعتدت زيارته :

ـ الا زلت تجد متعة في سماع قصة هذا المعتوه ؟ ..

هززت راسي ، على الرغم من الالم الذي أعانيه كلما سمعت قصة المعتوه .. التفت اليه :

ـ انت .. ما اسمك ؟

ـ ما لي اسم ..

وعندما اردت ان اقنعه بالهدوء والاطمئنان لزيارتي .. تابع :

ـ رايت وجهك قبل الان .. اذا جئت لتخرجني من هنا، سأقول لك كل شيء .

السائق يقف عند الباب ، وسيارته كبيرة ، وانت موجود ، وانا مستعد ..

ـ سآخذك ..

ـ اذا جاء اخي مرةثانية ليأخذني سأفعل به شيئا لم يسمعه احد .. سأضعه في العنبر واقفل عليه ، وارمي المفتاح في الجب .. واهرب.

ـ الى اين ؟

ـ الى .. لا اعرف ، ولكنني سأهرب !

ـ والسور المرتفع ؟ !

ـ سأقفز فوق السور .. وأتعلق بسيارة شحن واصل الى المدينة .

ـ واذا راوك ؟

صعقه السؤال .. وبدا عليه ارتباك حام :

ـ اذا خرجت معك فلن يفتح احد فمه .. وانت رجل طيب .

وعلى الرغم من رداءة تكوينه وقذارة لسانه فقد وجدت فيه انسانا يستحق ان اقدم له اي معونة . لقد حاولت في كل مرة قابلته فيها ان امنحه الثقة والاطمئنان ، وافهمه انه ليس ضروريا ان يكون كل انسان عدوا له .. ولكنه وصل الى نقطة حرجة نفض فيها يديه من كلمة انسان .. ووقفت انا عاجزا عن معونته ، حائرا لا ادري اينا المعتوه ! سمعت قصته مرات .. وفي كل مرة كان يدخل عليها اشخاصا جددا ،

الكذابون

بقلم جهاد الكاتب

ويحذف منها اخرين .. في هذه الزيارة شعرت بأنني مسؤول عن وجوده بين ثلة من الذين فقدوا عقولهم ، ولا ادري لم حملت نفسي هذا الذنب ، لذا رحت الح على زميلي دوما ان يطلق سراحه لان حالته تسوء يوما بعد اخر .

لمست ضيق زميلي الطبيب وتبرمه من الحاحي حين قلت له :

ـ لماذا لا تخرجونه من هنا .

لا اعرف كم مرة كررت هذا الطلب ، ولكنني لم أتوقع من زميلي أن يثور ، وهو الانسان الهادىء الرزين :



ـ كيف تريدني ان اتركه ، واخوه من امه وابيه لا يطيق رؤيته !

ولم اجد امام ثورته سوى ان ابتلع اسفي وحزني .. قلت للمعتوه:

ـ اذا سمح لك الطبيب بالخروج، آخذك معي ..

صرخ ، وهو يدور في الغرفة كفراشة احبت ان تحرق نفسها :

ـ اخي سيسرقني .. ويضعني في المقبرة مع امي وابي . قال لي: ستسكن معهم . سيضع فوقي الاحجار الثقيلة والتراب . ويضع فوق الاحجار زهرات ملونة ، ويكتب اسمي بدهان اسود على شاهدة قصيرة من الحجر العتيق .. وانا لم افعل له شيئا !

شعرت بالحرج امام انسان لا تهمه العواطف ، قلت للطبيب مرة ثانية :

ـ لماذا لا تخرجونه من هنا ..

انتفض خلف الطاولة :

ـ هل تقبل ان تضعه عندك في البيت ؟!

وصرخت بدوري بانفعال :

ـ ما ذنبه اذا خلقه الله هكذا !

وصمتنا حين راح المعتوه يصرخ اكثر منا :

ـ سأهرب .. اعرف ان السور عال ..

ـ أعلى السور مزروع بزجاج مكسور ..

ـ سأقفز ..

ـ ستموت ..

ـ سأخرج من الباب الكبير ..

ـ والحارس ؟ !

همس بصوت مرتجف .

ـ الحارس .. الحارس لا يحبني !!

وظل يلوك الكلمة ثم سكت ، وبدا يفكر ويجهد راسه ليجد مخرجا من مأزقه . وانفجر بعدها حديثه عصبيا هائجا :

ـ هم يعتدون علي .. ماذا تريدني ان افعل ؟!

يمثل بيديه ، ويقف وكان احدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يهم بضربه ، ويهمس مكلما نفسه :

ـ قال لي عباس ، وانا آكل الزيتون ، سيأتي اخوك ليأخذك الى المقبرة ، اعطني ما معك وانا اريحك منه .. ولم يكن معي شيء .. هذه جيوبي .. فضربته ، وكسرت له اربعة اسنان ..

لم اره من قبل ثائرا مثل هذه الثورة ، حين انهال علي بالفاظ بذيئة وسخة ، ولم اشعر نحوه بكره .. وعدته مرات ان اخرجه ، وصدقني .. وانتظرني ، ولكنني لا افعل شيئا من اجله ! لم يهدأ وانا استلطفه ليخفف هيجانه ، صرخ في وجهي ، وهو يلوح بقبضته :

ـ اذ كنت ستأخذني الى المقبرة بالحيلة سأهرب .. عباس يملأ راس الطبيب كل يوم ضدي . ساكسر له اسنانه . قل . هل ستأخذني الى المقبرة ؟

ـ لا ..

لم ينتظر اجابتي ، بل راح في حديثه وصراخه ، لا ينفعه تدخلي ومقاطعتي له .. يريد ان يقول ولا يود ان يسمع .. لا يهمه ان ينتظر جوابا لسؤاله ، يأكل الكلمات ، ويسرق الحروف .

ـ كنت واقفا في السوق امام دكان اخي .. واقفا هكذا لا افعل شيئا ، اتفرج على الناس . جاءت سيارة سوداء .. ونزل منها ابو خطاب اللعين واثنان .. طوقوني ، ورموني في السيارة ، واتوا بي الى هنا .

رفع كتفيه ، وعدل راسه ، وصلب رقبته ، وشد ساعديه على جسمه .. وشمخ كالنسر :

ـ انا عجوز .. انني اشق الحائط !

ثم وضع يده على كتفي ففاحت من فمه رائحة حيوان ميت :

ـ خذ بالك .. انا لم افعل شيئا .

كان يخاطبني وكأنني كنت ارافقه في السوق اشهد القصة ، بل هو يلومني لانني لم اساعده ، ولم اتحرك وانا اراه موثوقا يرمونه في السيارة . اخفض صوته ، ووضع كفه على جانب فمه ، وهمس بصوت مسموع :

ـ قالت لي : تعال لنتفرج على الحمام الجديد .. دخلت معها ، فأغلقت الباب وراءها ، واحسست انها تلهث . هي اغلقته ، ولماذا أغلقه انا ، قل لي ! ألم تكن معنا ؟ جاء اخي .. ولا ادري ماذا قالت له . سبني وضربني .. ضربني بالحبل الثخين على ظهري ووجهي ويدي ورجلي .. وبكيت . وضعني في قبو البيت واقفل علي الباب ، ولم يطعمني ، وانا جائع . وخاف من الجيران لما بدأت اصرخ مثل القط المحبوس . اخرجني ، وقال لي الحقني الى السوق . كنت واقفا .. الم تر ؟! وقفت في سوق الخضر .. جاءت سيارة لها زمور يطرش .. ونزل منها ابو خطاب وهجم علي ، وربطني بالحبل ، وصرخ في وجهي وجرني الى السيارة بعد ان سلم علي اخي .. اذا كنت ستأخذني الى المقبرة .. سأهرب !

صمت ، وادار ظهره الينا ، وهز راسه مرات ، وهو يتطلع من النافذة الى السور المرتفع ، وحدث نفسه كثيرا .. وكان زميلي الطبيب قد انقطع عن حديثنا وشغل نفسه بالحديث بسماعة الهاتف ، ومراجعة اوراقه ، وظللت انا اقضم اصابعي الما لان احدا لا يفهمني . قال المعتوه دون ان يلتفت الي :

ـ لا اعرف كيف اتخلص من هذا السور .. اقول لكم انني سأعرف يوما كيف اهرب .

ـ الى اين تذهب .. انت هنا تأكل وتنام وتتفرج .

استدار بقوة وقاطعني :

ـ انت لا تعرف امي ! كانت تقف عند الدرج ..

عندما يتحدث عن امه ويحكي قصتها يمثل بيديه ويتحرك وكأن القصة قائمة الآن :

ـ هنا كانت تقف ، واخي كان في أعلى الدرج . انا كنت العب بالطابة التي اشتراها لي ابي . صرخت امي .. وصرخ اخي .. قلت لها : ماذا يريد اخي فأبعدتني ، وصرخت في وجهه فشتمها ولعنها وكفر بالدين ، ونزل من الدرج ورمى نفسه عليها .. مسكينة وقعت على الارض ، وانا واقف اتفرج ، ماذا افعل ، قل ! مسكينة دمها ملأ بلاط البيت .

ـ لماذا لم تدافع عنها ؟!

ـ اخذوني الى بيت قديم ، وقالوا ، ستسافر امك ، ولم يقولوا لي الى اين !

رفع راسه ، ونظر الى السقف طويلا ، ثم خفض راسه ، وتطلع نحوي :

ـ اتعرف اين راحت ! راحت الى المقبرة ، بيتها هناك . حملوني مرة اغصانا خضرا وورودات وزرناها ، فشكوت لها اخي ، وطلبت منها ان تعود .. وحلفت لها انني لن اترك احدا يسيل دمها ، ولكنها لم تقل لي حرفا .. ماذا فعلت ؟! كنت واقفا فلم أشعر الا وابو خطاب يهجم علي .. وكل خميس يأتي اخي ويهددني بأنه سيأخذني الى بيت امي !

ـ الا تريد ان تراها ؟

ـ من منا لا يبكي على أمه ! أتريد الصدق ، انا لم ابك على ابي ، امي كانت تحبني اكثر . كان عمري سبع سنوات ..

ـ كم عمرك الان ؟

ـ سبع سنوات .

ـ الم تكبر ؟

ـ لماذا اكبر ؟

سكت قليلا ، ثم قال بلهجة فيلسوف :

ـ الا يكفي هذا ؟ احسن ان نظل صغارا .. اذا كبرنا سنعمل ، ونحلق ذقوننا ونتزوج ، ويأتي اولادنا ليقتلونا ، انا رأيت امي تغمض عينيها .. فبكيت .

هز اصبعه الطويلة امام وجهي :

طوق

*

طوقت يـــدي ، ولكـم ترضينـي الاطـواق
اشتاق الـــى شـــلال العنبـــر ، اشتـــاق
وانـا وحـــدي ، والليـــل ، وكلـــي اشواق :
قلبـي ، خـــداي ، فمـي ، وعيوني ، عشاق
لـــو كنت الـــى قربـي ، ضمتك الاعمـــاق

اللاذقية **نبيهة حداد**

ـ اذا كنت ستأخذني الى المقبرة سأهرب .. يوم الخميس جاء اخي الى هنا وقال لي : سآخذك الى المقبرة واخلصك . سيضع رأسي تحت اقدام امي وابي ، ويضع فوقي الاحجار والتراب . قلت له : اذا عدت لتأخذني سأفعل بك عملا لم يسمعه احد ..

قلت له بهدوء :

ـ سأخرجك من هنا .

ـ انا لا احب الذين يكذبون .

ـ سأخرجك من هنا .

ـ غدا .. تعال غدا خذني ، لا اريد ان يأتي اخي ويأخذني .. سيضع رأسي تحت التراب ، ولن تكون لي جنازة .. من يمشي ورائي !

ـ آخذك ، على شرط ان تكون عاقلا ..

ـ سأنام من الان حتى لا ارى احدا .. ولكنهم يعتدون علي ، ويضربونني ، هل اتفرج عليهم ؟ يقولون لي ، ويصفقون ، ويغنون :

« قصوا جناحك يا نسر
كسروا منقارك يا نسر .. »

فأهجم عليهم كلهم واكسحهم بيدي ، فيرمونني في العنبر ويسجنونني ..

نظر الى الطبيب ، واستدار الي .. ونقل بصره بيننا ، ثم اقترب مني ، وهمس :

ـ سأقول لك سرا .

لم ينتظر اجابتي .. ووضع شفتيه الرقيقتين في اذني ، وراح يهمس ويبصق :

ـ الطبيب يأخذ من اخي مالا ليبقيني هنا .. ويقول للناس : معتوه .

ابتعد عني خطوات ، وعاد يصرخ وكأن افعى لدغته :

ـ لن يصدقني لانني مجنون .. سيقتلني اخي . تريدونني ان اظل كالسجين وانا لم افعل شيئا . انني اقول للناس كل الناس في السوق كيف ماتت امي فيضربني اخي .. يجب ان يعلم الجميع من أمات امي . كل الذين اتوا الى هنا يعدونني .. ويكذبون . يقولون سنأخذك غدا ولا يأتون . انتظرهم ، ولا يأتون ، يضحكون علي . يقولون : ثيابك وسخة ، وذقنك غير محلوقة ، واظافرك طويلة ، واسنانك صفر ، ولا يمكن ان تخرج الا اذا صرت نظيفا . قولوا لي انكم تضحكون علي .. قولوا ولا تخافوا ، كيف اكون عاقلا !

ـ سأخرجك من هنا ..

ـ خذني الان .. السائق امام الباب ، سيارته كبيرة ، وانا مستعد ، وانت موجود ، لماذا لا تقول لي تفضل معي ؟

ـ لانك لست عاقلا ..

قلت له هذا بندم ، وانا موقن انني اغشه واعده وعدا كاذبا ، واحتج بأسباب لا اراها موجودة .. ولكن يجب ان اقول شيئا . على الاقل فانني أزرع في نفسه الامل . قال :

ـ خذني الان وساكون عاقلا ..

ـ سآخذك غدا .

صمت ، اقتعد كرسيا .. ونظر الى قدميه الوسختين .. مسح ذقنه بكفه مرات .. وهز رأسه :

ـ هنا لا يمكن ان تصير قدماي نظيفتين ..

وضحك ضحكة ارعبتني .. وخشيت ان يصنع بي شيئا . فأسرعت اقول :

ـ غدا .. يصبح كل شيء كما تريد ..

ودهشت حين وقف يقول بهدوء واتزان وكأنه قرأ افكاري :

ـ سيأتي الغد ولن تأتي .. لماذا تضحكون علي وتكذبون . قولوا : اننا سندفنك في العنبر وتموت . ان كنت لن تأخذني فلا تدع اخي يأخذني يوم الخميس . دعني اعيش هنا .. آكل .. وانام ، ويضربني ابو خطاب ، وابكي ، واتفرج على التلفزيون ، فقد يأتي يوم اعرف كيف اخرج من هنا ..

ظل صامتا فترة طويلة .. وقبل ان يخرج محني الراس ، متضائلا كنسر كسروا منقاره ، وقصوا جناحيه ، التفت الي : وجه يبكي ، ونظرة ميتة ذليلة .. قال :

ـ تعال ، خذني غدا ..

وهز رأسه بيأس ، وتابع :

ـ انتم كذابون .

فشعرت بالذنب ..

حلب **جهاد الكاتب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دور النقد في حركة الادب العربي

بقلم الدكتور محمد عزت نصرالله
رئيس تحرير مجلة « الفكر العربي »

* * *

للبنان ميزة ادبية خاصة في حقل الانتاج والنشر والتوزيع ، ففي غضون سنوات قليلة حققت النهضة الادبية اللبنانية ما لم يتمكن أي بلد عربي آخر تحقيقه اذا استثنينا القطر المصري ، بغض النظر عن التيار الذي تسربلت به مختلف الاتجاهات الادبية ، او تعايشت معه او اتخذت حياله مواقف خاصة .

وعلى الرغم من السبق اللبناني في حقل الانتاج بالنسبة للبلدان العربية الاخرى ، فان ما تلفظه المطابع وتوزعه دور النشر يتسم في اكثريته بالضعف الادبي والركاكة الفنية ، فدور النشر اللبنانية لا هم لاغلبها الان سوى ادارة الالات الطابعة لحسابها ، وجمع ما يمكن جمعه من ارباح وفوائد . ولهذا فاننا لا نكاد نجد مكانا لائقا او حتى غير لائق للناقد الادبي في دور النشر او حتى في الصحف التي تشارك دور النشر في الترويج للبضاعة الادبية الكاسدة .

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان مدينة بيروت هي المركز الرئيسي للصحافة العربية وملتقى مختلف الثقافات في الشرق الاوسط ، فانه من الطبيعي ان نلاحظ اعتماد الادباء الجدد من ذوي الانتاج الهزيل على الصحافة لتزكية انتاجهم والدعاية له على حساب الانتاج الجيد الذي يعطيه البعض بين حين واخر .

ان اي مغرور يركب بعض الكلمات والجمل ويفصل بينها ليدلل على انها من الشعر الموزون ، يكفي ان يلقي في يد ناشر في بيروت او في يد صاحب مطبعة تكاليف الطبع ومستلزماته حتى ينشر اسمه في الصحف ويعرض كتابه في واجهات المكتاب الكبرى . ويستطيع هذا «الشاعر» الجديد ان يلجأ لاصدقائه من محرري الصحف وبعد يوم او اكثر يقرأ الناس المقالات الطويلة والقصيرة عن بلاغة الشاعر واهمية ديوانه في الشعر العربي الحديث .

ويوم على تحرير المجلات الادبية اللبنانية او التي تطبع في بيروت بعض المحررين الذين يعطون لانفسهم حق الحكم الاول والاخير على الانتاج المعروض عليهم من بعض ذوي الكفاءة الادبية، وغالبا ما يكون للحالة النفسية للمحرر الادبي التأثير الكبير الفعال على نشر هذا الانتاج او عدم نشره ، فاذا كان المحرر يخالف صاحب الانتاج ببعض آرائه وافكاره الادبية والفنية فانه يمتنع عن النشر او يطالب بتشويه الانتاج ليتلاءم مع افكاره هو ، مع انه ، في اغلب الاحيان ، لا يستطيع ، او ان ثقافته الادبية لا تؤهله للحكم على انتاج غيره .

والمصيبة في لبنان ان كل محرر ادبي او مسؤول في جريدة او مجلة ادبية يعطي لنفسه صلاحيات الناقد الادبي ، وبذلك يهمل الانتاج الجديد لانه لا يستطيع تقييمه تقييما صحيحا او انه يزنه بميزان ثقافته المغلوط، لضحالة ثقافته واطلاعاته الادبية .

واستطيع ان اؤكد ان لبنان الادبي في أزمة نقاد حادة . ازمة تكاد تعطل عليه سيره الحثيث نحو نهضة صحيحة يمكن ان تخلد وترفع صوت لبنان عاليا في مجالات الادب والفكر العالمي .

لا نقاد في لبنان ، هذه حقيقة تصفع كل دور النشر وكل الجرائد وكل المجلات الادبية في لبنان . وهي حقيقة اذا لم ينتبه اليها ، فستتضخم وتعطل الامكانات الادبية الصحيحة ، وتعيق اصحابها عن اعطاء الانتاج الجيد الذي لا يجد ، بسهولة ، طريقه الى الاسواق التي لها ، وحدها ، الحكم له او عليه .

واذا اردنا ان نذكر الكتب والدواوين الشعرية والمؤلفات الاخرى التي عجل اصحابها بنشرها فان القائمة ستطول . واذا حاولنا ايجاد نسبة بين الكتب الجيدة والكتب التافهة ، فاننا سنواجه عملية حسابية ليس مما يشرف وجه لبنان الادبي ذكرها .

واعتقد ان المسؤولية الاولى تقع على عاتق المحررين الذين يغتصبون مهمة النقاد او يتطفلون عليها . وانه مما لا يقبل الشك ، فيما اذا عزمنا على تطهير الوسط الادبي من المتطفلين والادعياء بتسليط سيف النقد على كل انتاج يحمل اسماء جديدة ، ان ذلك سوف يخفف من تكاثر المؤلفات السخيفة التي تصيب ، في الغالب ، اصحابها بالغرور الادبي وهم لم يتجاوزوا ، بعد ، الخطوة الاولى في طريق الادب .

وانه لمن المؤسف ان الدعاية تضلل دائما الكثير من القراء ، لان الدعاية في لبنان كاذبة وتعتمد على تحقيق الربح من صاحب الاعلان دون الاهتمام بالحقيقة . ونكبة لبنان الادبية هي ان المتطفلين على النقد هم الذين يتولون في الغالب عملية الدعاية بمختلف الوسائل ، فيختلط الامر على القارىء العادي ويقع فريسة هذه الدعاية الكاذبة .

واكثر من ذلك ان صاحب المؤلف او الديوان هو الذي يحرك عملية الدعاية لصالحه ولا يقبل بأي شكل كان كلمة نقد صادقة تعطيه ، اذا التزمها باخلاص وامانة، التوجيه اللازم لانتاج جيد في المستقبل .

ولقد قرات ذات مرة في كتاب لاحد المؤلفين الفرنسيين عن مقلد لبيريفرينوس ، وهو من كتاب ما بعد الحرب ، انتحر حالما انهى كتابه الاول ، لكي يجتذب الانتباه الى

لحظة حزن بارد

غـدا يموت النور ،
ويدفن الربيع والزهر ،
وتحـزن الحقـول ،
فـي الحقـول ،
ويخرس العصفور ،
ويطـرق الحجـر ..
ولا يهيم الشوق ، في السمر !

غدا يحوم الليل والوهم
ويبرد الجمـر ،
وينطفي كالموقد العمر
ويرجـع الجمـاد
رمـــاد ،

ويمحي الحلـم !

والحب لا يعـود
يخفق ..
ولا تعـود ،
في غدنا العهود تشهق ..
ويبيس القلب ،
ولا يشفق
لخفقة الحنين والوعود !!

لعمرنا الاسخى من الحلم
أوهى من الوهم ،
شيء من اللاشيء والفناء !!

فوزي عطوي

كتابه . « وقد ظفر بذلك حقا ـ يقول البير كامو ـ ولكن الكتاب اعتبر سيئا » .

واننا نحمد الله ان المؤلفين الجدد عندنا لم يصلوا الى هذه المنزلة ـ منزلة الانتحار للدعاية لكتبهم ـ ولكن هوس الدعاية يوحي لنا بأن هذا العمل غير مستبعد، اذا امتنعت الصحافة عن نشر الدعاية الكاذبة .. المضللة .

وارى لحل ازمة الدعاية الكاذبة ، ان تعمد السلطات القضائية في كل بلد عربي بالحكم على صاحب كل دعاية من هذا القبيل ، فقد حكمت احدى المحاكم الاجنبية لصالح رجل اشترى بضاعة لم تنطبق عليها اوصاف الدعاية التي قامت بها الشركة المنتجة . فلو طبق هذا المبدأ على الكتب ايضا والزم كل صاحب دعاية كاذبة بدفع تعويض للقارىء المتضرر ، فان الاديب الجديد غير المجرب ، سوف يحسب الف حساب قبل ان يحاول مخادعة القارىء .. او على الاقل ، يمتنع عن الاعلان لكتابه بما ليس فيه ، وبذلك يترك للقارىء حرية الشراء بدون ترغيب او تضليل دعائي.

ان الاديب الناجح هو الذي لا يكذب على جمهور القراء بما يجعلهم يقبلون على كتبه .. والاديب الناجح هو الذي لا تهمه الناحية التجارية ، وليس على الذي يهتم بهذه الناحية الا ان يغلق « دكانه » رحمة بالادب العربي الذي غص بما فيه الكفاية بدكاكين الادب السيء ، التي شوهت الذوق العربي وجعلت ادبنا يتخلف عن الحركة العالمية للاداب الانسانية .

والحقيقة التي لا مراء فيها ان أي اهتمام جدي بالتوعية الادبية تقوم به الوزارات الوطنية المختصة في البلاد العربية ، سيؤدي الى ظهور نهضة ادبية صحيحة في العالم العربي تنعكس اثارها على العالم كله .

وانه من الضروري والمفيد ان تقوم رابطات ثقافية بمراقبة الانتاج الجديد وتقييمه ، سواء بصفة رسمية او بصفة خاصة . انني بهذا لا ادعو لرقابة الشرطة على الانتاج الادبي ، ولكن هذه الرقابة ضرورية ، في كل فترة يغيب فيها الناقد البصير عن مراجعة الانتاج الجديد .

وسيان كانت المراقبة لسلطة رسمية او لسلطة الناقد الحر ، فان اسمى ما نريده هو ان تقوم النهضة الادبية الواعية ، التي تجعل للعرب قيمة يفتخر بها في عالم الادب والشعر ، تماما كما كان للعرب في الماضي مثل هذه القيمة التي تبرهن عليها روائع التراث العربي في الادب والشعر والفلسفة والعلوم ومختلف الصناعات الادبية .

اننا نتغنى الان بهذا التراث القديم في حين انه يطلب منا بالحاح ان نجعل الاجيال القادمة تتغنى ، بدورها ، بالشعر الجيد والانتاج الراقي من عطائنا الادبي الحديث .

محمد عزت نصر الله

غرام قبل الميلاد

عشقتك من عشرين عاما ولم تدري ... فاني لم أوقفك يوما على سرى
أهابك ان افضي اليك بصبوتي ... وكتمانها جمر تأجج في صدرى
اذا قلت ينسيني الزمان تلددي ... وجدت الليالي تسقط النفط في الجمر
عشقتك مذ كنا صغيرين نلتقي ... بأترابنا كالدوح يحفل بالطير
هويتك طفلا طاهرا لا تريبني ... شوائب تزري بالبراءة والطهر
غرام ثوى بين الضلوع مبكرا ... كأني به قد شب في عالم الذر
شببنا فشب الحب بين جوانحي ... وكاتمته كيلا يحيط به غيرى
اذا ازددت سنا زدت حسنا وبهجة ... وزادت هموم النفس وقرا على وقر
نشدتك لا يطغى جمالك هكذا ... فتصرعني عيناك من حيثما أدرى

توهمت انا قبل بعث حياتنا ... على الارض كنا نسمتين مع الفجر
تجاورتا حينا فتم تآلف كما امتزجت بالريح نافحة الزهر
فلما أتينا الحياة نسيتني ! ... وكنت من الشوق القديم على ذكر

ألوم فؤادي فيك ان تامه الهوى ... ففاض مع الطوفان في لجج خضر
أراه اسيرا في حماك على المدى ... ويسألني كيف الخلاص من الاسر
ولكنني ارنو لوجهك فاتنا ... فارحم قلبي ، اذ غدا واضح العذر
لوجهك اشراق يشع لناظري ... كما لألات في الغيم اشراقة البدر
يقطب لي والنور يكسوه فتنة ... فتحسبه عيني قد ازدان بالبشر
ثنايا كاقبال الحياة وضيئة ... هي الواحة الخضراء في مهمة العمر
ثنايا يموج الشهد في جنباتها ... وما ذقته ، لكن كذا قال لي فكرى

أمرت زماني فاستجاب ولم أكن ... اظن الزمان الفظ يذعن للامر
تغير منه كل شيء فلم أعد ... أقدره كالناس باليوم والشهر
فان غبت عن عيني بعض عشية ... تخيلتها دهرا يضاف الى دهر
وان عشت حولا في جوارك خلته ... دقائق ، تيار الزمان بها يجرى
أعندك سلطان على الدهر قاهر ... تطيلينه او تقصرين بلا نكر
وغيرت في الاوضاع تغيير ساحر ... يقلبها ما شاء بطنا الى ظهر
فان كنت في قفر وكنت بجانبي ... تخيلته روضا اقيم على نهر
وان سرت في روض وحيدا حسبتني ... أهيم على عمياء في مهمه قفر
عصا سحرك الجبار يا لفتونها ... تفجر عذب الماء من يابس الصخر
كان بحلقي من نواك مرارة ... فأصبح يلفي الشهد كالحنظل المر
يقولون صبرا ان شكوت من الهوى ... فقلت لهم كيف السبيل الى الصبر

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغتنا العربية بين الفصحى والعامية

بقلم ابراهيم احمد الشنطي

* * *

ـ فصحى لا عامية فيها .
ـ ما يظن انه عامي له امل فصيح قد حرف .
ـ الثقافة والاطلاع كفيلان بالقضاء على اللهجات المحلية المحصورة .

ويبدو هذا العنوان للوهلة الاولى بعيدا عن الحقيقة والواقع . وقد يندفع القارىء بعد مطالعته فيسوق المثل تلو المثل على ان لدينا لغة عامية ، والا ممن اين جاءت كلمة كذا وكذا ، وهل رايناها يوما مكتوبة في كتاب ؟ او هل سمعنا لغويا نطق بها ؟

نعم ، ربما يبدو هذا الامر صحيحا ، ولكننا لو درسنا الامر وبحثنا ، في هذه الكلمات العامية ، التي لم نستطع ان نجدها في القاموس ، لراينا امرا طريفا اذ تبدو لنا على حقيقتها فنستطيع معرفة ما اذا كانت دخيلة او اصلية ، سقيمة او صحيحة ؟

ومن المعروف ان الكلمة عبارة عن حرف او بضعة حروف لها دلالة معينة . وان الكلمة الواحدة قد تعطي معنى تاما بمفردها ، وقد تحتاج ، كما هو الحال في الحروف والادوات ، الى كلمة اخرى او اكثر لاتمام المعنى . والكلمة ايضا ، اما ان تكون اسما او فعلا او ظرفا او صفة او غير ذلك .

والاسماء في حد ذاتها تدل على اشياء مختلفة او تبين صفات متفاوتة ، وما نظنها اسماء متعددة لشيء واحد انما هي في الحقيقة اسماء لذلك الشيء فعلا ، ولكن مع تفاوت صفاته ، فالاسد مثلا : هو الليث والهزبر والهصور والضيغم والضرغام ، وغير ذلك كثير . وربما يكون هناك فرق ، ولو بسيط ، بين هذه الاسماء ، سواء كان ذلك ، لفرق في عفرته او جسمه او قوته او ذيله او قوائمه او حتى في طريقة انقضاضه على فريسته والقضاء عليها وخذ في النبات مثلا البطيخ : فهو الجح والحبحب والرقي والزقط ، وربما غيرها كثير .

ونحن لا نشك في ان لكل اسم نوعا خاصا به . فهذا مدور كالكرة وهذا مستطيل وذاك مخطط او صفير او املس . واذا قلنا عن كلمة جح او حبحب بانها عامية ، اذا لم يعرفها اهل قطر دون اخر ، فلماذا لا نقول عن كلمة ضرغام وضيغم كذلك ؟

وخذ مثلا اخر في البناء : فهذه بناية ، وعمارة ، ومبنى ، ومنشأة ، ومرفق ، او منزل وبيت ودار ومسكن وماوى ، او كهف ، ومغارة ، وجحر ووكر . وخذ مثلا في الزمن : فهو وقت وحين وآن ودهر وآمد ومدة وبرهة وفترة ولحظة ، وكثير من هذه واشباهها ، ثقل او تكثر حسب ذاكرة الكاتب او المتحدث وسعة اطلاعه وتجواله .

وما هذه الكلمات الا اسماء لشيء واحد ولكنها تعين مقدارا منه او نوعا او صنفا دون اخر ، ولا نظن احدا ، ممن له اطلاع متواضع ، يعجز عن البحث لمعرفة الفرق بين كل كلمة واخرى ، ولكي يثبت من ان لكل كلمة معنى يختلف ، ولو بقدر بسيط ، عن غيره .

من هذا يمكننا ان نقول ، مع بعض التحفظ ، بانه يبدو ان لا عامية هناك في الاسماء ما دامت تعطي مسمياتها نعتا خاصا بالاضافة الى دلالتها عليها .

وطبعا ما كانت الافعال لتشذ عن هذا ، فنقول مثلا: صفى ، وشخل ، وزل ، ونقى ، وغير ذلك من المترادفات التي تعطي معاني يختلف بعضها عن بعض ، ولا يجوز الادعاء بأن واحدة منها عامية ما دامت تفهم السامع طلب التحدث او السائل ، وما دام يوجد لها اصل ، ربما لم يسبق لنا الالمام به .

واذن ، فاين هي الكلمات العامية التي نحن بصدد الحديث عنها والتي يطالب بعض الكتاب والادباء باستعمالها في الكتابة والتاليف وخاصة عند وجود حوار في قصة او رواية او عند استعمالها على المسرح ، بينما يطالب آخرون بالابتعاد عنها ما امكن وتجنب كتابتها ؟

في حديثنا اليومي العابر ، تمر كلمات كثيرة قليلا ما نستعملها في كتاباتنا ، واذا ما فعلنا عدلناها واعدناها الى اصلها الفصيح . نفعل هذا بدون وعي منا ظانين ان ما كنا ننطقه قبل ساعة كان عاميا ولا يجوز كتابته . ولكن يبدو ان الذي كنا ننطقه فصيح صحيح ، واننا ، اختصارا للزمن وتعجيلا لتوضيح الامر للمستمع ، ادغمنا حرفا في آخر او شبكنا كلمة بغيرها ونطقناهما معا ككلمة واحدة عامية في نظرنا ، نحن والسامع ، فاعطت الكلمة فائدتها بدون ان نتقعر في الحديث او نتفيهق في القول .

والادلة على ذلك كثيرة ، ولكنها كذلك معدودة وهي لا تتجاوز بضع عشرات من الكلمات في كل بيئة من اقطارنا العربية المترامية الاطراف . ولكي ندلل على ذلك نورد بعضا من الكلمات اخترناها من بيئة محلية ، يعتقد المثقفون فيها انها كلمات عامية :

بعدين : بعد اين .	دكه : ذاك هو .
ليش : لاي شيء .	مفيش : ما فيه شيء .
شنهو : اي شيء هو .	معليش : ما عليه شيء .
هالحين : هذا الحين .	هالقيت : هذا الوقت .
هسع : هذه الساعة .	جم : جاءوا هم .
شوبيك : اي شيء بك .	مخلصتش : ما خلصت شيئا .
بدريش : لا ادري شيئا .	ما بعرفش : ما اعرف شيئا .
بدي : بودي .	ما جبتش : ما جئت بشيء .
استنيشوي : استان او تان شيئا	لا ايش : لاي شيء .

متى نلتقي

بالله قولي أي متى نلتقي
هناك .. في الدرب على المفرق
تدثري بوثبك المشمعي
كالفحمة البيضاء من زنبق
زناره من مخمل ضاحك
طوق كالخاتم الضيق
والخصر ليت الحفر في قبضتي
اشده نحوي .. ولا اتقي
ان كنت لا تدرين ما لوعتي
فحدقي في أعيني حدقي
أهواك فوق الظن ملء الملا
لا لم ابالغ هكذا صدقي

زحلة ـ لبنان **زياض معلوف**

هالشكل : هذا الشكل . أيوه : اي هو .
ما بديش : ما بودي شيء . هلمو جره : وهلم جرا .
بلاش : بلا شيء . داهون : هذا هو هنا .

مما تقدم يمكننا ان نرد كثيرا من الكلمات ، التي يعتقد البعض انها عامية ، الى اصلها الفصيح ، باضافة بعض الحروف او حذف بعض المقاطع . وهذا لا يعني اننا سنجد اصلا لكل كلمة من هذا النوع ، لان الادغام والترابط ربما يكون متشابكا لدرجة كبيرة ، كما في كلمة جم وجيب وهلمو جره مثلا . لقد بقيت مدة طويلة لا اعرف مم اشتقت الكلمة الاخيرة او تكونت . وكانت والدتي تقولها لي ولاخوتي عندما تود الاعراب عن ضيقها وبرمها بلعبنا في المنزل . فتقول : « ظلكم ع هلمو جره . لقد كنا نتوقف عن اللعب فهذا المنزل بعض الشيء ، وصارت هذه الكلمة ، او المصطلح ، معروفة لدينا وتعني بأن نكف ونتوقف . لقد كان ما تريد قوله بلغة واضحة صحيحة هو : « ابقوا على ما انتم عليه وهلم جرا » .

وخذ كلمة لط ، بمعنى صفع ، وهذه كلمة فصيحة ولكننا لا نستعملها في كتاباتنا ، ومثلها كلمة لطم . وخذ كلمة لطع ، بمعنى احرقه بالنار ، فاذا قال احدهم ان النار لطعته على يده ظننا انها عامية ، وما هي كذلك . شرم ، بمعنى شق الشيء او قطع طرفه قليلا ، لا اذكر انني كتبتها او قراتها ، في حين ان كلمتي شق وقطع مستعملتان بكثرة ، ويمكن ان نقول عن هذه الكلمات الثلاث بانها مترادفة مع فارق بسيط ، ولكنه على كل حال فارق ، ومع هذا فنحن نفضل استعمال اي من الكلمتين الاخريين على الاولى لانهما اصح منها ، في نظرتنا اليها للمرة الاولى .

ومثال آخر : يسأل الزوج زوجته : وين كنت ؟ فتجيب كنت اشطف هالخلق .

ان اصل كلمة وين هو واين . والواو حرف عطف على ما كان يتفاعل في ذهن الزوج وهو يبحث عن زوجته . وقد حذف الالف والهمزة مسرعا ومستسهلا ، واذن فكلمة وين صحيحة الاصل ، واشطف ايضا صحيحة ، وهي بمعنى اغسل ، وتجد معناها في القاموس واضحا ، ولكن من منا رآها مكتوبة او سمع لغويا استعملها ؟ وكلمة هالخلق ، وتعني هذا الخلق ، هي صحيحة كذلك وانما حذف حرفا الذال والالف لتسهيل اللفظ . والخلق كلمة فصيحة وتعني البالي من الثياب .

ولو فرضنا ان الزوج تكلم بالفصحى ، على اعتبار ان ما سبق عامي ، فانه يقول : واينَ كنت ؟ فتجيب : كنت اغسل هذا الثوب البالي . وفي هذه الحالة لا نظن ان هذا اللفظ الفصيح سيعجز عنه المتحدثون ، ولكن يبدو انهم وجدوا سابقة اسهل واشمل للمعنى فاستعملوه ، وهم في ذلك لا يبتعدون عن الفصحى في كلمتي اشطف واغسل مثلا ، باكثر مما تبعد كلمة الضرغام عن الضيغم .

كنت مرة اقرا قصة بالانجليزية ، فسأل المتحدث فيها زميله قائلا : من ذاك ؟ فأجابه : دنو **Dunno**

لقد خيل الي للوهلة الاولى ان « دنو » هو اسم ذلك الشخص القادم نحوهما ، ولكنها في الحقيقة كانت تعني : لا ادري **I do not Know** ولو سألت مثقفا انجليزيا : هل هذه كلمة عامية ؟ لاجابك ، بعد ان يهز رأسه ويمط شفتيه : حسنا .. يمكنك ان تقول ذلك ، ولكن الكاتب في الحقيقة يعني كيت وكيت ، وانه كتبها كذلك لانها ، في رأيه ، تعطي تعبيرا اقرب للموقف . وفي هذه الحالة لا نظن ان كلمة « دنو » افضل بكثير من كلمة «مابدريش» او « مابعرفش » .

وبعد ، فان القائلين بأن لدينا لغة عامية يصعب فهمها على اهل قطر عربي دون قطر آخر ، انما يجاوزون الحقيقة . لان ما يوجد فعلا هو اختلاف في استعمال بعض المرادفات او تغاير في لفظ بعض الكلمات وادغام بعض حروفها او حذفها او ربط كلمة باخرى . وهذا يحدث غالبا في البيئات المحلية الضيقة والمحصورة . اما الذين يقيمون في بيئات منفتحة على بعضها وعلى المجتمعات الاخرى التي تحيط بهم فقل ان تجد بينهم اختلافا في لفظ او صعوبة في تعبير او عسرا في فهم .

الظهران ـ السعودية **ابراهيم احمد الشنطي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

* * *

يومـــان في تاريخنا

انهما موقفان في تاريخ امتنا الخالدة .. احدهما كان قبل مايقارب الاربعة عشر قرنـــا ، والثاني نقفه اليوم . وفي الاول كان عددنا ثلاث مئة رجل ونيف ، وفي الثاني يصل عددنا الى ملايين كثيرة . وفي الاول كنا حفنة من الرجال كان يصغر شأنهم اعداؤهم ، فيصفونـــهم بانهم جميعا (اكلة جزور) .. وكان الواحد منهم لا يملـــك من حطام الدنيا غير سيف ــ ربما كان يلفه بخرقة ــ وغير جـراب لعله لا يحوي اكثر من حبات من التمر في صرة ، ومـلء الكف على مرات معدودة من دقيق الشعير في صرة اخرى، ومن ورائه في المدينة لا متاع ولا كراع ..

وفي الموقف الثاني نحن ملايين تبلغ المئة، وربما كان للواحد منا بمفرده الوف مؤلفة من الدنانير ، وربما كـان لبعضنا الدور والقصور في مختلف انحاء المعمورة، والثراء الذي لا حدود له ، وربما كانت تحت أمرة بعضنـــا منابع لا تنضب من الثروة التي لا تقف عند حد . ومن اجل ذلك، فانه بمستطاعنا ان نحوز من انواع السلاح ما لا يغلبنا معها غالب ابدا ..

كذلك كان موقفنا بالامس وذلك هو موقفنا اليوم .. واما موقف الامس فقد وقفناه (يوم بدر) وكان في شهر رمضان ولم يكن قد اقر فيه الصيام بعد . ويومهـا تمثل الحق في تلك الفئة التي وصفتها لك ، وامـــامهم تمثل الباطل في اخصامهم ، الذين يفوقونهم في العـدة والعدد والرفد الذي لا ينقطع له مدد .

ولكن الفئة التي تمثل فيهـــا الحق ، آمنوا بصدق الدعوة التي خرجوا من اجلهـــا ، فوقفوا ــ بسبب هـذا الايمان ــ وكأنهم الجبال الراسيات ، لم يتزحـزح الواحد منهم عن موقفه الا بعد ان تمـــزقه السيوف فلا تحمـله قدماه، وبسبب هذه الاستماتة سعيا وراء النصر، انتصروا على اعدائهم ، وكان نصرا مؤزرا له مابعده ، اذ كان الركيزة الهائلة التي اقيمت فوقها لقومنا ــ على الايـام ــ امجـاد .. وامجاد ..

وها نحن اليوم نقف موقفنا الاخر ، وكلنا .. وبعددنا الهائل ذي الملايين .. وباقطارنا التي تمتد مـن (تطوان) الى خليج عمان .. كلنا نستنهض الهمـــم الى المعركة ، ونستثير العزائم ضد العدو الغاشم ، الذي استباح ديارنا .. وشرد اهلنا .. وقتل الاعزة علينا من شيـب وشبان ونهب اموالنا رغم كل عرف وقانـــون ، ابتداء من بيارة البرتقال ، وانتهاء عند بير البترول .. واخيـرا احـرق قدس اقداسنا ، الذي هو رمز العقيدة والدين ، مسجدنا الاقصى وقبلتنا الاولى التي تتجه نحوها القلوب والابصار.

نستنهض الهمم ونستثير العزائم ضد هـــذا العدو الغاشم الذي تقف امامه وجها لوجه ، ونحن نخوض معه معركة ضارية ، جند من اجلها كل ما يملكه من مال وسلاح ورجال ، ولم نجند نحن من الملايين ــ التي لعلـــها تجاوز المئة ــ غير الذين يقفون على الحدود لذلك العدو الغاشم . وبقي البعيدون منا يتحدثون عن المعركة من بعيـــد ، ولم نجند من ثرواتنا الهائلة ، الا النزر .. القليل ، بينما جند عدونا لحربنا كل ما يملك ، ولم يكتف بذلك بل ذهب يطلب المزيد وهو يؤلب علينا انصاره من ذوي الاحقاد والمطامع.

انهما موقفان في تاريخ امتنا ، الموقف الاول ، الذي مرت به ذكراه خلال ايام رمضان التي خلت، انتصرنا فيه نصرا مؤزرا ، كان له مابعده ، وكان الركيزة الـــتي اقمنا عليها امجادنا الخالدة .. الموقف الثاني ، هو موقفنا الذي نقفه اليوم ، ونحن نخوض معركة الحياة او المـوت ، ضد عدونا الذي مرغ كرامتنا في التراب ، دون ان تـرده عن ذلك اعراف او قوانين .. ودون ان يستجيب لصوت من عدالة .. او انسانية !!

ترى .. هل يكون حظنا في يومنا الثاني مثل حظنا في يومنا الاول ، من يدري ..؟

ان التاريخ لينتظر ذلك اليوم الحاسم ، وما احرانا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان نجند له جميع ما نملكه من اموال ، وان نضحي بها عن طيبة خاطر ، ما دام نفر كريم من ابنائنا يضحون بالانفس وهم طائعون .. ما احرانا ان نفعل ذلك ..

امنية .. لا تتحقق

كان يتهالك في ظل الجدار الشامخ كانه كومة من اسمال بالية ، وقد استدارت في وجهه المعروق لحية صفيرة وخطها الشيب ، وجلس هادئا صامتا يتكىء على ما دنا منه ، وهو لا يطرف له جفن ، ولا تتحرك له جارحة، حتى ليخيل اليك لو نظرت اليه وهو في جلسته تلك: وعلى مثل ما وصفت انه نائم او مغشى عليه ، ولكنه لا يلبث ان يصرفك عن هذا الوهم ما تراه في اضطراب مقلتيه المحدقتين في اللامحدود . وقد اسند الى جانبه على الجدار حملا كبيرا يكاد لا يقوي عليه الشديد الايد من الرجال . وكان موضعه في منتصف درج طويل ، مايزال بين يديه من مراحله مثل الذي صعده منه .

ورايت الناس يعبرون به صعدا وانحدارا دون ان يحفلوا به او يكترثوا لامره ، فما هو — فيما يبدو منه — غير حمال جلس ليستريح من حمله الثقيل ، وليس في ذلك ما يلفت نظرا ، او يوجب تساؤلا . وكدت اجاوزه — بدوري — وانا اهبط الدرج الطويل ، فما اكثر ما يرى العابرون من مثله على قوارع السبل ، ولكنه حال بيني وبين ان اكمل ذلك ، فتى من اهل الريف ، كان ينزل الدرج امامي ، وقد لفت نظري حين وقفت عند الشيخ الحمال ، وجلس القرفصاء الى جانبه يسأله عما به .

فرفع الشيخ راسه ليرد عليه قائلا : لا شيء يابني، وانما انا استريح من حملي الثقيل ، فقد عجزت عن الصعود به الى نهاية الدرج . وانها الشيخوخة واحكامها ، ولا مفر للانسان من الخضوع لها والقبول باحكامها ...!!

وعند ذلك .. رايت الفتى الريفي ينهض منتصبا ، وقد بدا على وجهه الكثير من العزم والتصميم ، ثم خلع عباءته ليطرحها على كتفه ، وامسك بيد الشيخ وهو يقول له : قم اساعدك ..

وقام الشيخ الى حمله يرفعه على ظهره ، والفتى من خلفه يسنده ويحمل معه ، ويسير بسيره متمهلا مترفقا به ، حتى اوصله نهاية الدرج ، وهناك تركه بعد ان استقام له الطريق ، فمضى في سبيله وهو يدعو له بالخير .

ورايتي استوقف الفتى ، وقد اعجبني منه نخوته ومروءته ، ثم قلت له اثني عليه : « انك احسنت صنعا بما فعلت ، بارك الله فيك .. »

فقال وقد اخجله ثنائي : « هذا واجب يا اخي .. ولا حمد على واجب .. »

فقلت : « وهل تعرف هذا الحمال من قبل ؟ » .

فقال : « لا والله .. ولكني عرفت انه كادح من امثالنا » .

وعند ذلك .. اعجبت كل الاعجاب بما سمعته من الفتى ، واكبرت منه مؤازرته للشيخ الحمال على غير معرفة به ، وقلت في نفسي : « حبذا لو تعاطف الناس جميعا ، وتعاضدوا على مثل هذا المنوال .. »

حبذا لو فعلوا ذلك ، اذن لما شكا احد من احد ابدا ، ولكن .. هيهات ان تتحقق هذه الامنية .!!

في خدمة الشعب

كان الباب مفتوحا الى منتصف مداه ، وكنت اقف الى جانب مراجعين ينتظران كلاهما ان يكمل الموظف الجالس خلف المنضدة ما بيده من عمل ، ليتفرغ لهما ثم ينتهي بعدهما الي ، وذلك ليدفع كل واحد منا ما استحق عليه من رسوم .

وكان الموظف منهمكا في عمله ، لا يرفع راسه عنه ، وهو مع ذلك يجيب كل سائل بما يريد، وان كان لايزيد في جوابه على الكلمة الموجزة ، وكثيرا ما تقف عند حدود نفي او ايجاب .. وفي هذه الحالة تصحبها اشارة من راسه يؤكد بها ما يقوله في نفيه او تأييده .. وكان يسمع كل ما يلقى عليه ، لا يتأفف ولا يتبرم ولا يضيق به ذرعا ، ولا يعلق عليه ما دام صاحبه يلقيه على عواهنه ، مخافة ان يصرفه ذلك عما بيده من عمل ..

وظل الامر يسير على ماوصفت ، وانا اسمع واری واعجب ، ثم رايت الباب يفتح ويدخل منه رجل يثير حوله من الصخب ، مايذكرك بمرجل يغلي ويفور . ومن خلفه ثلاثة يتبعونه ويدبرون بينهم من الهرج والمرج ما يستكمل به عنفوانه ، ويرسم — بصدق — عنوانه . ودهم المراجعين الذين امامي ، وفرقهما عن يمين وشمال ، وقال بصوت جهير يخاطب الموظف الذي يكتب خلف المنضدة: « اخبرني .. ابو من انت ؟ »!

وهنا رايته — ولاول مرة — يرفع راسه عما بين يديه من اوراق ، وينظر في وجه سائله وعلى ثغره ابتسامة ، ويقول بصوت خفيض : « يسمونني ابا فلان » . فعاد الرجل الهائج المائج يسأل بصوته الجهير ايضا : « واسمك ماذا ؟ » .

فرد عليه بكل هدوء واناة : « اسمي فلان.. » وذكر اسمه واسم ابيه وكنيته .

فانفتل الرجل على عقبيه ، واستدار نحو الباب وهو يقول : « لست انت الذي اريده اذن .. » . وخرج من الباب ومن خلفه اصحابه الثلاثة .

وعاد الموظف الى اوراقه ينجز ما فيها ، دون ان يعلق على ذلك بكلمة واحدة ، ونظرنا في وجوه بعضنا ونحن نعجب من ذلك . وتجرا احدنا فقال له وقد عرفنا كنيته : « انك حليم واسع الصدر يا ابا فلان .. » .

وهنا رايته يرفع راسه للمرة الثانية ليقول: « لا يا اخي، ليس ذاك ، وانما نحن جنود في خدمة الشعب .. » !

تلك صورة من الواقع ، نقلتها كما رايتها .. فليت عندنا كثيرين من مثل هذا الجندي .

عمان — الاردن **محمد سليم رشدان**

بطوله المديد ، وهيكله المتطاول بنحول ، ونظارتين لا تفارقان عينيه، يمد رأسه وقد ضاق صدره بلحظات يتأخر فيها المدرسون بعد ان يضرب الجرس ضربته الثانية الكئيبة التي تعلن بدء الحركة .. (يا جماعة ضرب الجرس) ، ويقولها مرات عديدة في اليوم ، وكم قالها والضربة الثانية ، ضربة خاصة للمدرسين ، لم تعلن بعد .. انه يستعجل الدرس ، وبعصا غليظة خط عليها : (المدير) ، واخرى لمعاونه ، يترصدان التلاميذ، القطيع ، يسوقانه بحركة سريعة تبعث الذعر وتبث الفوضى في انتظام سير هؤلاء التلاميذ وتحركهم البطيء المعتاد ..

ويتحرك المدرسون ، قطيع اخر بوقار مصنوع ، وبألم تكاثفت عليه السنون حتى احالته الى مشية سريعة بائسة تتصنع الجد ويغلفها الملل والعجز وذل بارز يخط على الملامح الوانه المتعبة ..

الاجراس ، درس ، ثان وثالث ، يوم ، واخر ، شهور كثيرة ، سنوات تمر متعبة حبلى بألمها وعذابها .. وقبل ان ينبه المدير بقولته الخالدة ، يقولها واحد من المدرسين يرددها بألم وعذاب ، وفي كل يوم تحمل المه وسخريته الى الاخرين ، واحد منهم : (يا جماعة ضرب الجرس) .. الجرس يدق بنشاط ، لا يتأخر عن موعده ، لا يخطيء ، يبعث العجز والتثاقل في الدخول ، ويعلن مزحة قصيرة في الخروج ، يعاود بها بث العجز والكسل ..

وهو ، يجول بعصاه ، يترصد ، مدرسته ، طلابه ، مدرسيه ، مملكته ، ويؤدي كل يوم ، وبمهارة، وذكاء مهمته الخالدة ، يمر بالصفوف وكأنه لا يمر بها ، يسترق السمع ، يتأمل في سيره الخاطف السريع اللوحات السوداء وما خط عليها .. يمسح بنظرة سريعة الصف العابر بجانبه ، يحاول ان يعرف ما يدور في هذه الصفوف الكثيرة المنتظمة في خط طويل والتي تتعرج خطوطا متفرعة تحتويها صفوف اخرى ..

المدرسون القدامى يمر بهم سريعا، ربما ولهذه السنين الطويلة التي عاشها معهم ، يحس فيهم الاخلاص ، يطمئن اليهم ، وان كان يعاوده الشك فيهم ، ويحدث ذلك في مرات قليلة فيترصدهم ، اما الجدد ، فهم مهمته الكبرى ، فرحته اللذيذة في السيطرة والترقب ، مادته الصالحة لاثبات جدارته وحيويته ، يراقب هيئتهم ، اشكالهم ، تحركهم .. وفي البداية عندما يأتون اليه ليباشروا عملهم عنده ، يتأملهم ، يحدق فيهم ، لا يثق بهم .. الثقة عنده ليست شيئا سهلا .

وكم قالها : (عندما يأتي مدرس

مدير المدرسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم انور عبد العزيز

جديد ، انظر اليه ، اتأمله ، احاول كشف اعماقه اتوجس منه خيفة ، قد لا يكون نشيطا ، لا يحب العمل ، وهذا ما يعذبني ويقلقني ، وماذا سأفعل عندئذ ، انه مفروض علي من الدائرة) ..

النظام الدوام المتتابع ، كم تؤلمه هذه العطل ، رسمية كانت ام غيرها .. بوده لو يداوم ، وان تبقى مدرسته تعمل ، تنشط ، تتحرك ، في ايام العطل وقبلها تراه ، قلقا ، مضطربا ، تعلو وجهه غيمة حزن ،



يسرع بين الممرات آمرا ناهيا يترصد طالبا تأخر عن الدخول لحظات ويخفض رأسه عندما يجد مدرسا يتأخر اكثر من خمس دقائق عن المجيء ، هذه طريقته في الاحتجاج.

رجل وقور يزينه ادب جاد ، ولكنه حريص على ان يبدو مديرا وامام الجميع .. (كل شيء افعله، امتحن الطلاب ، اجل امتحانهم ، امزج صفين ، اخرجهم قبل الوقت بدقائق ، بدل درسا بدرس ، كل شيء افعله) على ان تستأذن منه ، ان تعرض عليه طلباتك شيء يسره ويفرح قلبه ، ويبعث في نفسه الثقة والاطمئنان والقبول ، اما ان تفعل اي شيء ، ومهما كان صغيرا ، وبلا اذن ، فهذا خطأ وعيب كبير وفوضى لن يرتضيها ابدا .

ان كنت جديدا واقدمت على مثل ذلك ، عاتبك ، وبلا خجل ، وبجراة، ولكن القديم امامه شيء اخر ، يستدعيه ، بجرس طبعا ، يتأمله ، يعاتبه برقة ، يسند رأيه بأوراق رسمية واردة ، ولا يعجز عن اخراج ملف قديم يثبت ان هذه المخالفة قانونية طبقا للكتاب المرقم ... ولكنه يتغاضى ، أذا ما وجد فيك الطيب وحسن النية ، ثم يبتسم ، وينتهي كل شيء .. واذا اجتمع المدرسون اجتماعا رسميا كان جادا مؤمنا بما يقول ، وفي احيان كثيرة يردد : (انا لا اؤمن بهذا .. انا اعلم انه شيء روتيني لا قيمة له ولكنه ضروري) ويطالب بدفتر الخطة اليومية اكثر من المفتشين ، ويعاتب من لا يقدم هذا الدفتر له بانتظام .

ملامح انسانية طيبة لرجل يؤدي عملا رسميا بمهارة ، ولكن بجدية اكثر مما تتحملها الاشياء المعقولة .. مرة غاب الطلاب ، درسا واحدا او درسين ، وقبل العيد .. كانوا ، أغلبهم من اماكن بعيدة ، من قرى يستغرق الوصول اليها ساعات طويلة .. ونظر الى مدرسته، وجدها مضطربة ، مشوشة ، صفوفها نصف

لسان معلم وفؤاد حر

خليل الهنداوي

القصيدة التي القاها الشاعر في الحفلة التي اقامها اصدقاؤه
بمناسبة احالته على التقاعد

دموع الشكر اولى بالجواب ... فأين تريد تبلغ يا خطابي
لسان معلم ، وفؤاد حر ... وكدح يستمر بلا ثواب
سألت عن الحصيلة : أي شيء ؟ ... وما جدوى اضطرابي واكتسابي
طويت العمر في التعليم حتى ... خرجت ، وما علي سوى ثيابي
فيا لك ناطقا يفنى صداه ... كرجع الصوت في القفر اليباب

لكم زاحمت في درب التحدي ... بآيات مسومة عراب
وأذللت الحياة بكبريائي ... وحطمت الكؤوس على السراب
« وكم طوفت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالاياب »
أضاعوني ! وكم مثلي أضاعوا ! ... لاني لم ادار ، ولم أحاب
ولم تجمح عن العلياء خيلي ... ولم تربع على ضيم ركابي
تمرغ أنت ! انك لن ترى بي ... سوى الرأس المحطم للصعاب
ضمير الحر يأبى العز الا ... على لمع الاسنة والحراب
اذا لم يلق سيف الحر كفا ... تجركه ، تقلقل في القراب

فارغة ، وآلمه ذلك .. وقرر في نفسه امرا .

وانتهى العيد ، وجاء الطلاب .. دار على الصفوف ، عاقب الغائبين بقسوة ، طردهم ، وفي يوم ثان ، وثالث .. اصر على ان يجلبوا اولياء امورهم ، قسم جلب ولي امره ، وبقي قسم عاجزا عن ذلك فان بيوتهم ، قراهم بعيدة كان يعاقبهم ، ويطردهم كل يوم .. وخسروا ، وخسرت المدرسة ، وخسر التعليم الذي يحرص عليه .. درسا واحدا غابوا ، او درسين ، اصبح دروسا ، ولايام بلغت خمسة او ستة .. ولكنه كان حريصا على ان ينتقم للفوضى ، لم يحدث في عهده ان وقع مثل هذا الشيء ، ان تضطرب المدرسة قبل العيد ، ويهرب اكثر الطلاب .. ونجح في السيطرة على المدرسة .

يجتمع بالمدرسين ، يمازحهم بحذر ، يمتزج بالكثير منهم ، ويلتصق بمودة خالصة بواحد او اثنين فقط ، يبادله همومه ، يكشف له اسرار مدرسته ، ويستانس برايه .

يحب الجميع ، ويفرح للنكتة ، يضحك لها ، يحاول خلق اسبابها ، ويلذ له ان يبدو الجميع راضين ، العمل معه شيء ملذ ، يصلي ، يقرا القرآن ، فراغه كثير ، ويبهجه ان تكون مدرسته ناجحة دائما ، وفي المقدمة ..

الدروس والنجاح هو المهم ، لا يرعى شؤون الرياضة ، ولا يهتم بمسائل الرسم في المدرسة .. ان تكون مدرسته الاولى في المنطقة ، هو الشيء الملح الذي يبعث الانس في نفسه.. مدرسته حركة لا تهدأ. الجرس يضرب بانتظام ، وهو وعصاه ، معاونه وعصاه ، يدوران بخفة ونشاط ، وعندما يدخل الكل صفوفهم ، ويبدأ الجد ، لا يفوته ان يراقب نظافة مدرسته .

مدرسته بلا سياج ، والطريق اليها موحل ، وكم تؤلمه ايام المطر .. انه يحب المطر ، فهو عنده رمز الخير والبركة ، ولكنه يجلب للمدرسة القذارة والطين ، احذية الطلاب المثقلة بالطين تفرغ حمولتها على الممرات .

ويقف ، ومهما كان الجو باردا رديئا يراقب الفراشين ، وهم يزيلون آثار الطين ، وعندما ينتهون من مهمتهم يعود الى غرفته .. وهو يعود يتأمل ــ وبفخر ــ هذه الملصقات التي تحتفل بها جدران مدرسته .. النشرات المدرسية ، اعلانات العمل الفدائي ، العمل الشعبي .. ويعود اليها بعد جولته اليومية التي لم تتبدل طريقتها ، ومنذ سنين طويلة .. يعود اليها غرفته الصغيرة المتواضعة التي يحبها ويقول عنها (انها صغيرة حقا ، ولكن موقعها ممتاز ، فانا اراقب منها الجميع) .

الموصل **انور عبد العزيز**

أتخدعني ، على الستين ، ويحي ! « زخارف مثل زمزمة الذباب »
رأيت الخفض أشرف من صعود تمسح بالتزلف والكذاب
لمن أحني على الاقدام رأسي ؟ ويخشع في رواق الذل غابي
ولي نفس تثور على الدنايا وتأبى ان تحل سوى الروابي
حبست الناب ، لا عجزا ، ولكن مخافة ان اكون من الذئاب
ملأت الكون ، حتى جن كوني عتابا ، ما الذي يجدي عتابي
فقل للعندليب : الصمت اولى اذا هز الحمى صوت الغراب
فكم من درة تحت التراب ! وكم من ذرة فوق الرقاب

أأنسى الشاعر الرومي يهذي : وقد أشجاه فقدان الشباب
« أأفجع بالشباب ، ولا اعزى ؟ لقد غفل المعزي عن مصابي »
مصابي ليس في تكلي شبابا تألق وانطوى مثل الشهاب
ولكني أسيل الدمع حزنا على وأد المواهب في التراب
فلو فتحوا الطريق لمثل عقلي لامطرهم سخيات السحاب
جرعت العبقرية من أجاج فذق ، ان كنت تقدر ، من شرابي

أعز الله فتيانا سماحا كاني قد لمست بهم شبابي
ولولا بعض ازهار روان نفحن عبيرهن امام بابي
ولولا بعض اصحاب تهادوا لتكريمي بالسنة رطاب
ولولا ذكريات في الحنايا تقبلني بأفواه عذاب
لانكرت الحياة ، وكل شيء وكل فضيلة ... لولا صحابي
رضيت عن الحياة لان كفا تصافحني على الود اللباب

ولما ان تجهم لي زماني ضحكت ، وكان في ضحكي جوابي
يظنون ابتساماتي سرورا وكم ضحك تبطن باكتئاب
حياتك ضحكة ، فاضحك كثيرا فان الضحك ملهاة العذاب
تبصر في الحقيقة ! هل تراها سوى ضحك الجماجم في التراب
لئن ولى الصبا عني حميدا فنفسي لا تكف عن التصابي
ربيع ماله عمر ، ورأس يجلله السواد بلا خضاب
كاني قد لبست به حدادا يظل العمر مكتئبا لما بي

يقولون : انتهيت اليوم ! لكن بدأت اليوم اعطي من عبابي
أأنضب في الحياة ؟ وفي فؤادي ينابيع تفيض بها شعابي
وأجدب ؟ والربيع يهز داري وأظلم ؟ والكواكب في رحابي
وفي عيني سماء من رجاء وفي قلبي شموس من رغاب
ولي شمس ستلفحني شعاعا اذا ما آذنت شمس الغياب
حياتك ان تحوز الخلد غصبا بأحسان ، وذكر مستطاب

منحت الناس افراحي وحبي وسجلت الهموم على حسابي
ومن روحي أضات لهم سراجا يضيء الدرب بالنور المذاب
اذا أنا لم أكن شيئا مفيدا فما جدوى مجيئي او ذهابي
سبيل العز ان تحيا شريفا وتمضي خاليا من كل عاب
على هذا نشات ، وسوف ابقى الى ان تطوي الدنيا كتابي

حلب — خليل الهنداوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

كمال ناصر - القس ابليا خوري

واصف الصليبي

بلقم البدوي الملثم

* * *

١ ـ كمال ناصر

ولد « كمال » في بلدة « بير زيت » بفلسطين سنة ١٩٢٥ وانهى علومه الابتدائية في « كلية بير زيت » سنة ١٩٤١ والتحق بالجامعة الاميركية في بيروت واحرز شهادة بكلوريوس في الاداب والعلوم سنة ١٩٤٥ ، وعاد الى فلسطين وعين استاذا للادب العربي في مدرسة صهيون بالقدس سنة ١٩٤٦ ودرس الحقوق في « معهد الحقوق الفلسطيني » مدة اربع سنوات ، وفي سنة ١٩٤٧ عين استاذا للادب العربي في « الكلية الاهلية » برام الله .

وفي المأساة الفلسطينية الاولى سنة ١٩٤٨ أصدر وزملاء له جريدة يومية باسم « البعث » في مدينة رام الله وفي سنة ١٩٤٩ أصدر بمفرده مجلة اسبوعية باسم « الجيل الجديد » في رام الله ، لكن السلطات الاردنية عطلت كلتيهما .

وفي سنة ١٩٥٢ زار الكويت وبغداد ، وعاد الى الاردن سنة ١٩٥٣ ليتولى رئاسة تحرير جريدة « فلسطين » اليومية في بيت المقدس ، وفي سنة ١٩٥٧ انتخب عضوا في مجلس النواب الاردني .

وفي سني (١٩٤٨ ـ ١٩٥٧) شارك « كمال » في كافة مظاهر الحياة السياسية والادبية في الاردن ودخل السجن احدى عشرة مرة لخلاف في الراي بينه وبين العاملين في السياسة العربية .

وبعد اكفهرار الجو السياسي الاردني سنة ١٩٥٧ اختفى «كمال» في الاردن ستة عشر شهرا تمكن بعدها من الهرب الى دمشق وأمضى عشر سنوات بين سوريا ولبنان ومصر لاجئا سياسيا مشردا .

وفي سنة ١٩٦٥ زار باريس مع وفد سياسي عربي لشرح القضية الفلسطينية . وبعد اعلان العفو العام عن المحكومين والفارين السياسيين سنة ١٩٦٥ عاد « كمال » الى الاردن ومنها الى دمشق فباريس وفي مدينة الحضارة والنور هذه نظم ديوانه « اغنيات من باريس » ومسرحية « التنين » ثم عاد الى دمشق . ثم انتقل « كمال » الى لبنان وما لبثت السلطات اللبنانية أن أبعدته خارج اراضيها لاسباب سياسية ، فعاد الى الاردن قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ بشهرين ، يحمل في صدره خيبات تجاربه السياسية في العالم العربي ، متسائلا :

من أنت ؟! في المستنقع الكبير لا حول ، لا وجود ، لا قوه
معذب ، مشرد ، أسير من هوة تمضي الى هوه !

وبعد الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية تحرك مع نفر من اخوانه في النضال ليكونوا رأس الرمح في حركة المقاومة السلبية في الوطن السليب . وليذكي « كمال » جذوة هذه الحركة ، وزع قصيدة من نظمه في الاوساط الشعبية كان مطلعها :

لن نركع ذلا ... لن نركع ما ظل بنا طفل يرضع !

وبعد عشرة ايام من الاحتلال البغيض اعتقلته السلطة الاسرائيلية وأودعته سجن رام الله ثم أبعدته الى الضفة الشرقية من الاردن حيث انتظم في حركة الكفاح المسلح الفلسطيني . وفي سنة ١٩٦٨ قصد « كمال » لندن مع وفد فلسطيني لاقامة المسيرة العربية في الطرف الاغر ، ولشرح قضية فلسطين في مجلس العموم البريطاني والمشاركة في ندوة مفتوحة اقيمت في البرلمان البريطاني .

وفي رحلة قام بها الى باريس ولندن سنة ١٩٦٨ باسم « لجنة انقاذ القدس » شرح القضية الفلسطينية واسس لجانا سياسية للدفاع عن الحق الفلسطيني .

وفي اليوم الاول من شباط ١٩٦٩ انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية في « منظمة التحرير الفلسطينية » ومسؤولا عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي للثورة الفلسطينية .

من أبرز طوابع « كمال » التزامه بالثورة التي جذبته الى صفوفها منذ نعومة أظفاره ، وتعبيرا عن مخاوفه على فلسطين ازاء الوطن القومي الذي دعت اسرائيل الى قيامه في هذا الجزء الغالي من الوطن العربي ، اتخذ « كمال » الشعر وسيلة للتعبير عن مشاعره ، والافصاح عما يعتلج في صدره من هلع على البلد الطهور .. وفي سنه الثالثة عشرة صور « فلسطين » الراسفة في اغلالها بقصيدة نشرتها « الاهرام » كان منها :

هذي فلسطين الابيـ ـة في السلاسل والقيود
يلهو بها الخصم العنيـ ـد وليس تنفعها الجهود
قرت بها عين الجبا ن وكل نمام حسود
ما بين ظلم الانكليـ ـز وبين طغيان اليهود

من آثاره القلمية : لم تتح الظروف السياسية التي سادت فلسطين ، لشاعرنا الطمانينة والاستقرار لينتج الكثير من شعره وينشره في دواوين ومسرحيات ، وبالرغم من تشرده ربع قرن عن موطنه ، فقد زود الخزانة العربية بالاثار الادبية التالية :

١ ـ جراح تغني (ديوان شعر) طبع سنة ١٩٥٩ .
٢ ـ انشودة الثار (ملحمة شعرية)
٣ ـ التنين (مسرحية)
٤ ـ اغنيات من باريس (ديوان شعر) .
٥ ـ مصرع المتنبي (مسرحية)
٦ ـ اناشيد البعث (ديوان شعر) .

وله مجموعة مقالات سياسية وفكرية نشرت في صحيفة « البعث » الاردنية و « فلسطين » المقدسية .

نماذج من شعره : اشتهر « عرار » (شاعر الاردن المرحوم مصطفى وهبي التل) بقصيدة عنوانها « الحان واشجان » نظمها على مراحل ... ودرج على نشرها في كل اسبوع بجريدة « الاردن » العمانية ، فغزت أبياتها الاردن وفلسطين ... وذهبت مذهب المثل .. ومن أبيات تلك القصيدة قوله :

كم صحت فيهم وكم ناديت من ألم فما أفاقوا ولا أصغوا لالحاني !
فلا التسابيح في المنفى بخلت بها ولا الاناشيد في غور «ابن عدوان»
ولا الزمان الذي أفنيته وانا اقارع الخصم في الميدان وحداني

ومنها :

لا أنت مني ولا أهلوك خلاني ولا نداماك يا «عمان» ندماني
عمان! عمان! ان الكوخ قد عصفت به الرياح فلست اليوم «عماني» !

وفي يوم اربعين « عرار » انشد « كمال » قصيدة مطولة من نفس الروي والوزن والقافية ، وقد اوحت بها النكبة الاولى التي أودت بفلسطين سنة ١٩٤٨ ، فكانت معلقة « كمال » متنفسا لكل نفس آلمها العدوان ، وأفزعها الطغيان .. ومنها :

شربت ملء الاسى من كأس احزاني وللاسى نشوة تسمو بوجداني
ظمآن يصرعني يأس على أمل من السراب ، كسيح الظل ظمآن

لا الحب يمسح عن قلبي كآبته ... ولا تعاويذه تمضي باحزاني
رضعت والشعر من صدر الاسى ولقد ... فطمته ، واستباح الشعر أركاني
طفى وعربد في صدري وأسلمني ... الى شراع من الالام حيران
حتى نزلت ب «وادي السير» فارتعدت ... فرائصي وأثار الصمت أشجاني
اين « المفرد » لست اليوم اسمعه ... بالامس شيطانه غنى لشيطاني !
والدوح ما باله أرخى جدائله ... ودق في الحزن اقصانا باغصان !
عجبت أين توارى «بلبلي» سحرا ... ورحت اسأل عنه كل بستان
فمر بي «عندليب» بائس شجن ... على جناحيه من بؤسي وحرماني
سمعته يبعث النجوى على فنن ... معربد ثائر الاعطاف نشوان
فقلت : هذا «عزار» بت أعرفه ... هذي أهازيجه في العالم الثاني !

ومنها :

يا واد خر أمير الدوح منتحرا ... فلا تسل كيف يردى الشاعر الباني
فالعبقرية تدمي صدر صاحبها ... ودونها كل عصر ألف قربان
و «مصطفى» الشاعر الموهوب آله ... حكم الطغاة باصحاب وجيران
أحب أمته فانهد يبعثها ... قصائدا رغم أنف العاذل الشاني

ومنها :

يا شيخ يا (هبر) أين (المصطفى) ليرى ... أهل الخرابيش من قاص ومن دان؟
تغير العرب حتى بات كل فتى ... في خزيه صنو زطي وحوراني
هذي فلسطين عرج عبر ملعبها ... واسفح على عرضها من دمعك القاني
فالشعب تجرحه ياسا كرامته ... عريان يشكو الاذى فيها لعريان
ضاعت بلاد الهنا مذ قال سيدكم ... أكيل للخصم عدوانا بعدوان
حسب العروبة ذلا ان يروضها ... من بعد (أحمدها) (موشي بن ديان) !

هام « كمال » بحب وطنه ... الذي صرفه عن كل حب .. وحرمه لذاذات العيش واختيار رفيقة درب ... توفر له عيشا هنيئا .. وتنجب له زغب القطا !

وفي قصيدة (التفاحة المحرمة) يقول « كمال » في التقديم لها: « كان لا بد ان تقطف التفاحة من الفردوس ، لتولد الحياة ويولد الجمال ، وما أشبه هذه التفاحة ببلدي « فلسطين » التي كان لا بد لها ان تهوي .. ليكون البعث العربي باشمل معانيه ! » .

تفاحتي كانت على دربي
تفيض بالنعمى وبالنور
وبالندى !
تفاحتي ... دربي !
تناثرت في ملعب الحب
أحبها الردى
فاغتالها الردى
ومات في ارجائها صحبي
تفاحتي داري ، ومن قلبي
أطعمتها في حالك الخطب
لتخلدا
في ثورة الفدا
تفاحتي .. جريمتي .. ذنبي
وملعبي المطعون في جنبي
مزقها العدا
تفاحتي .. شعبي تشردا
وكان لا بد له ان يجلدا
ليفتدي ... ويفتدى !
ليولدا !

وبعد المأساة الاولى .. تشتت الاهل والخلان تحت كل نجم وكوكب ... وذات يوم لمح شاعرنا دمعة حيرى في عين « لاجئة » من بلاده .. من موطنه المغصوب .. فاستثار المنظر مشاعره .. فاستوقف الفتاة ليسألها تارة .. ويشد من عزيمتها تارة اخرى :

أتبكين ؟ ماذا ؟
أمات أبوك ؟ ومات أخوك ؟
وجارت عليك جراح السنين
وادرجت في موكب اللاجئين ؟!
أتبكين ؟
قومي نشد الاباء
على ملعب الكبرياء
فاني أبوك ، واني أخوك
كبرت على لوعة اللاجئين !
وأخرست في جنباتي الانين
فقومي نشد الاباء
على ملعب الكبرياء
فاني رفيق الصراع الغريب
رفيق النداء الحبيب
أتبكين ... ! ماذا ؟ ايجدي البكاء
اخاف عليك
اخاف الشقاء .. واخشى الرثاء !
يميت بقايا الاباء
ويدمي بصدرك معنى الفداء
فيحلو البقاء ، وتستمرئين !
ضياعك في موكب اللاجئين !

ويوم كان الشاعر مشردا في بلد اجنبي لمح « برتقالة » في اناء .. فاحس وكانها تنظر اليه .. وقد عرفته من وطنها السليب .. ولعلها من نتاج الوطن المغصوب ... وقد قطفها العلج مع آلاف من مثيلاتها .. وصدرها الى الخارج :

هانت على الغصن ، فلم تحتمل ... جراحها ، فابحرت للبعيد
شراعها روح خضيب البرؤى ... وكبرياء ، من شجاها عنيد
تسمو ، وللجوع بها صرخة ... تفضحها على الخضم الجديد

وعندما هم « كمال » بوداع أمه ليلتحق بالمعركة ... حاولت أمه ، شان كل أم عطوف ، أن تثنيه عن الذهاب .. فتمتمت .. وتمتم :

ولا تطرقي !
فان جراح الحياة بصدري
تعذب صدري
وان نداء القدر
يلون بالثار عمري
ويقذفني للخطر
ويحيا على خاطري في عذاب
وينسجني في الركاب
فامشي الى مصرعي
ويمشي أبائي معي
وتمشي بدربي جراح الشباب
فلا توصدي في عيوني الرغاب
دموعك كفر ، فلن ترجعيني
ولن تضعفيني
فحقي يريد الذهاب
الى المعركة
الى المجد كي أدركه !

يؤكد الواقع السياسي ان العرب في كافة امصارهم .. لن يذوقوا طعما للسعادة والطمانينة و « فلسطين » ترسف باغلالها ، ويضرسها العلج بنابه ، ويدوسها « اليهودي التائه » بمنسمه :

لن نستريح !
وقبضة المعتدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بظفرهـا الاسـود
كانها والغدر في موعد
تنهش من وجودنا المجهـد
لن نستريح والفجر في المـذود
يطـل رحـب الغـد
يومىء للبعث الجديد الندي
للشعب ، في الحلم الاوحد
لـن نستريـح
فيا شعوب اصمدي
ويا خراف احقـدي
ويـا ذرا عربدي
وحطمي ، واحصـدي
فكلنـا في غمرة المقصد
مواكب حاقدة تعتدي
لن نستريح ، والشعب دام جريح !
لـن نستريـح !
فيا بقايـا الخيـام
أما سئمت المقام
والذل والتهجير بين الانام
والعار في دنيا الاذى واللئام
لـن نستريـح !
فيا بقايـا الخيـام
يا وصمة لا تنـام
يا قبيا جريحة بالطعام
يا قبيا شقية بالكرام !

خلق « كمال » عدوا للظلم ، ثائرا على الطغيان .. وان تعـذر عليه قهر عناصر الشر والفساد ، واخماد نامتها ، واستئصال شافتهـا يظل في صراع مع نفسه .. صراع مع العاملين على اذلال الشعوب ، والعبث بمقدراتها ... وسيظل ديدنه مصارعا مناضلا ! .

٢ ـ القس ايليا خوري

نبع شعاره من نفس تقدس الوطن وتدعو الى الذب عن حياضه ، وظلت حكمته التي رددها في مراحل عمره قوله : « ان الذي لا يعرف كيف يدافع عن وطنه ، لا يعرف خالقه ، ولا دين له البتة ! »

ولد « ايليا » في بلدة « الزبابدة » مـن قضاء جنين بفلسطين سنة ١٩٢١ ودخل مدرسة شنلر الالمانية في بيت المقدس سنـة ١٩٣٣ وتخرج منها سنة ١٩٤١ يحمل دبلوم دار المعلمين ، والتحـق بمدرسة الفرندز في مدينة رام الله استاذا للعربية والاجتماعيات (من ١٩٤٢ الى ١٩٤٥) وانتقل الى الكلية الاهلية برام الله (من ١٩٤٥ الـى ١٩٤٧) استاذا للعربية والاجتماعيات ثم التحق بمدرسة شنلر بالقدس مساعدا لمديرها .

وبعد ان اقفلت هذه المدرسة ابوابها نتيجة لنكبة العرب الاولى في فلسطين (١٩٤٨) عين استاذا للعربية والاجتماعيات فـي كليـة بيرزيت (من ١٩٤٩ الى ١٩٥٢) ونشر مقالات فـي مجلة « الجيل الجديد » لصاحبها الاديب الشاعر كمال ناصر وكان عنوان اول مقـال نشرته « غدا غد يحيا » وفي سنة ١٩٥٦ نشر مقالات قومية في جريدة « فلسطين » اليومية خلال صدورها في بيت المقدس ، والقى سلسلة عظات من كاتدرائية القديس جريس بالقدس ، وقد اتسمت بالتوعيـة والتوجيه الوطني ، وكان ينقلها الاثير من الاذاعة الاردنية بالقدس .

وفي سنة ١٩٥٢ بارح « ايليا » فلسطين الى بريطانيا للتخصص باللاهوت في كلية اوكهيل وفي سنة ١٩٥٤ عاد من لندن يحمل دبلومـا في اللاهوت ورسم قسا للطائفة الانجيلية العربية في بيرزيت ونابلس والقدس ورام الله ، ودرس اللاهوت بالمراسلة في كلية برتن بولايـة كالورادو في الولايات المتحدة وحصل على درجـة ماجستير باللاهوت سنة ١٩٦٣ .

وبعد ان جثم الاحتلال الاسرائيلي البغيض بكلكله على صدور عرب فلسطين في الخامس من حزيران ١٩٦٧ صمد هذا الوطني المؤمن فـي مدينتي رام الله والبيره مع نفر من اخوانه العاملين في القطاع العـام وعملوا على تشديد عزمات الاهلين ورفع معنوياتهم المنهـارة وبث روح الصمود والتضحية فيهم ، وانتخبه الاهلون في رام الله والبيرة لامانة صندوق لجنة اغاثة الذين اصابهم رشاش الضرر مـن جراء الحـرب الاسرائيلية .

وفي الثاني من اذار ١٩٦٩ اعتقلته السلطات الاسرائيلية بتهمـة مقاومة المحتلين واودعته زنزانة صغيرة في سجن رام اللـه وحرمتـه الاتصال بالعالم مدة ٤٨ يوما وسامته انواعا من العذاب . وخلاصا مـن وقفته القومية الجريئة ابعدته السلطات المحتلة الـى عمان (عاصمة الاردن) وتطوع لادارة مركز اسعاف اللاجئين والنازحين التابع لمجلس الكنائس للشرق الادنى ، ومع اطلالة كل صباح يرقب يوم ساعة الخلاص والظفر .. للعودة الى احضان فلسطين العزيزة على قلب كل عربي ، وفي اوقا تفراغه يعكف على اعـداد اطروحة للدكتوراه بعنوان : « المقارنة بين المسيحية واليهودية » والتدليل على التناقض بينهما .

نموذج من نثره : في سجني ، في زنزانتي ، وحدي هناك ولست وحدي بل امتي سجينة في فهي كلها معي هناك ! يـا وحشتي وليس المكان موحشا ، واطياف ابطالي من الشباب كانوا هناك قبلي ، تتدافع صورهم امام عيني ، واصواتهم الجبارة تمـلأ المكان تشقق جدران زنزانتي الصغيرة وتنطلق تملأ الفضاء مدوية في كل قرية ومدينة فـي فلسطين الحبيبة ، تهيب بالضعفاء ان تشددوا تنهض الساقطين فـي مهاوي اليأس والتخاذل من الحفر وترقي بهى الى رؤى الامل الذي لن يسلبه الغاصبون وتبعث الرجاء في القلوب الخائرة . تحيي الشجعان وتصرخ بالجبناء القابعين في زوايا بيوتهم نافخة فيهم نفخات غالية من الايمان والصبر والصمود ، منشدة في اسماعهم :

ولا بد لليل ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر !

أجل هناك في الزنزانة الصغيرة كبر وصمود لا يعرفهما الا مـن عاشهما ثورة كبرى على الظلم والاحتلال والعدوان !

حريتي ما فقدتها وراء القضبان ! فما اعذب السجن من اجـل اهلي وارضي ورفاق طريقي ، وما اكرم الحبس دفاعا عن حق امتي ووجودها عزيزة كريمة لا ذليلة مستعبدة . وما احلى الحرية التـي تهز اساسات سجون الظالمين وتفل قيد حديدهم ، وتهـزأ بالمحتلين الغاصبين . وما اشهى الحرية ذودا عن الحرية . فلا الزنزانة الصغيرة العتمة في السجن الصغير ، ولا السجن الكبير فـي ربوع القدس الاسيرة وغيرها من مدن وقرى فلسطيننا الغالية ، بين أيدي الغاصبين المحتلين يطفيء شعلة الحرية في صدور المؤمنين مـن رجـال ونساء وشابات وشبان ، المؤمنين بالحق والعدالة والحرية ، فكم من اسيـر هو اكرم من آسره ، وكم من سجين هو حر اكثر من سجانه !

بكيت في زنزانتي لا حزنا على ما يلاقيه رفاق الطريق في النضال من عذاب لا يطاق ، ولا لسماع سياط الجلادين القتلة تلسع ابدانهم العارية بقسوة وفظاعة ، ولا لرؤية الدماء تسيل علـى وجوه هؤلاء الابطال من شبان وشابات . كل ذلك لم يبكني وان آلمني واحزننـي كثيرا . ولكني بكيت لرجال في امتي ايمانهم بالشعب والارض قعـود وانزواء ، وايمانهم بالنصر ، انتظار وانطواء ! أجل بكيت لقادة في امتي يترفهون في قصورهم عابثين ، وجزء غال من جسمهم تنهشه ذئـاب جائعة وهم يتفرجون واهمين انهم يوما يسلمون ، آه ليتهم يدرون ان التاريخ لا يرحم حتى وان سلموا من ثورة الاجيال !

يلهون وكانما يطيب لهم اللهو بالتفرج على دماء حفنة من المؤمنين تنزف في صراع الايمان مع الكفر والضلال ، صراع الحق والعدالة مع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الظلم والبهتان ومجابهة الانسانية للغرائز الوحشية المفترسة في دنيا البشرية دنيا الطين والاوحال . يلهون دون مبالاة باقتتال المثل والقيم العليا ضد اعتى لا أخلاقية واقسم لا انسانية عرفها تاريخ الخليقة منذ ان كانت اجل وبكيت وانا اسمع عربدات المحتلين المتفطرسين يدنسون بانفاسهم الثملى بالحقد والكراهية ، نسيم بلادي المعطر بشذى سير الانبياء والمرسلين الخيرين المحبين وكانت عربداتهم تزج بصراخ فتاة فلسطين الاسيرة المعذبة ، في الزنزانة « وامعتصماه ! » بكيت لمأساة امتي في فلسطين ، ومأساة امتي الكبرى انها لا تعي عمق مأساتها !

اين من يمحو العار ؟ اين من يفك القيود ويحطم الذل والاسار ؟! امتي فيك الداء ومنك الدواء ! داء امتي انها تقبل ان يصير حقها في فلسطين باطلا وباطل اعدائها حقا ، اذ تتكلم عن الوطن المسلوب كثيرا وتملأ الدنيا صراخا وبكاء واستجداء ، ولا تعمل شيئا لاسترداد الحق المغصوب ، وكل فرد في امتي يعلم يقينا ان الحق يؤخذ ولا يعطى !

داء امتي انها تصادق حماة اعدائها الذين يريدون لها هزيمة واستسلاما اذ يرمون المشردين بالثياب الممزقة ويمدون اعداءنا بالقنابل المدمرة ! والدواء ان تغضب امتي في وجوههم وتتحول عنهم لتلقي اصدقاء لها يعينونها في صراعها ضد اعدائها ...

داء امتي انها أمست تؤمن بالترف والرفاهية بينما المعركة المصيرية على اشدها ، والدواء ان تحشد طاقاتها وقدراتها المالية والبشرية في الميزان لكسب المعركة ... داء امتي ان صار الرياء والنفاق فلسفة اجتماعية تدين بها وتعتبرها لعبة دبلوماسية ماهرة ليكون مثلها مثل النعامة التي تغطي رأسها في الرمال ظنا منها انها في منجاة من صيادها ، والدواء ان تتحلى امتي بالشجاعة الادبية فتنبذ الرياء والنفاق وتسلك في درب الجدية والاخلاص والنزاهة ...

داء امتي انها تعيش وتعمل بالمحسوبية والجاه والقبلية والدواء ان تقدر الكفاءات والقدرات والطاقات فتضع الرجل المناسب في المكان المناسب .. ليس داء امتي في « وعد بلفور » ولا في معاهدات سايكس بيكو ولا في الانتداب البريطاني او الفرنسي ولا في قرار تقسيم فلسطين في هيئة الامم المتحدة ولا في النفوذ الصهيوني العالمي الكبير ولكن داءها الاكبر انها قرأت ودرست وسمعت ورأت وتكلمت وانتقدت كثيرا ولكنها لم تصنع تاريخا يمزق كل وثيقة كتبها لها غيرها .

داء امتي انها لا تدرك بوعي اكيد ان الرجال الرجال فقط يكتبون التاريخ . امتي فيك الداء ومنك الدواء .

وفي زنزانتي الصغيرة العتمة هناك افقت من تأملاتي وصلاة في قلبي وتمتمة على شفتي ! اللهم لا تسمح بأن تبقى امتي في متاهات الضياع والتمزق ! اللهم لا تسمح بأن تطول غربة امتي عن فلسطينها ومقدساتها والا يطول زمان بعثرتها وتشريدها ! .

اللهم اعطنا قوة وشجاعة وعزما وتصميما وحزما واخلاصا لنعيش عظماء في فلسطيننا الحبيبة او نقضي من اجلها لنكون عظاما في باطنها !

٣ ـ واصف الصليبي

الحكمة التي آمن بها « واصف » وظل يرددها قول صن يات صن :

« اذا كان المرء يعرف نفسه ويعرف عدوه فانه لا ريب سينتصر مئة بالمئة ! اما اذا كان يعرف نفسه فحسب دون ان يعرف عدوه فله فرصة ٥٠٪ فقط كي ينتصر ! اما اذا لم يكن يعرف نفسه ولا يعرف عدوه فمن المحقق مئة بالمئة انه سيخسر ! »

ولد « واصف » في « نابلس » بفلسطين سنة ١٩١٥ وتلقى علومه الابتدائية في المدرسة الهاشمية الابتدائية وانكب على حفظ القرآن الكريم ثم في الصلاحية الثانوية وانهى دراسته الثانوية في كلية النجاح الوطنية . وفي سنة ١٩٣٢ التحق بدار العلوم العليا في القاهرة للتخصص باللغة العربية ، وبعد سنتين سلخهما في تلك الدار أصيب بكسر في يده اليمنى ، فدخل مستشفى القصر العيني قرابة ستة اشهر ، فعاد الى فلسطين ولم يتم تحصيله ، وعينه المرحوم احمد حلمي عبد الباقي في البنك العربي بالقدس ومنها نقل الى نابلس فحيفا فالقدس .

نشأ « واصف » والصراع على اشده بين الشعب العربي الفلسطيني والاستعمار البريطاني وربيبته الصهيونية ... فآلمه الظلم الذي يخيم على بلاده ، فقاد المظاهرات ، وشجع الطلاب على الاضرابات ، ودعي ـ وهو الخطيب الجريء ـ لالقاء القصائد والخطب في كل مناسبة قومية !

ومن مواقفه المشهورة في هذا الصدد موقفه الجريء امام مدير المعارف العام في فلسطين مستر فرل ، ففي ثورة عام ١٩٢٩ اضرب طلاب المدرسة الصلاحية بنابلس مشاركة منهم في الثورة ، فبعث المسؤولون البريطانيون بمدير المعارف العام الى نابلس كرئيس لمحكمة عرفية لمحاكمة المواطنين الفلسطينيين ! وذات يوم عن له زيارة المدرسة الصلاحية بنابلس فوجدها خالية من الطلاب ، وفي اليوم التالي حضر الى المدرسة مصحوبا بجنود بريطانيين يتابطون اعواد الخيزران ... وقرر جلد نصف الطلاب بالقرعة ... وكان « واصف » في عداد المجلودين ، فثارت ثائرته ، وصاح في وجه مدير المعارف ووجوه الجنود البريطانيين ... وهنا ثار الطلاب وحطموا ابواب المدرسة وخرجوا في مظاهرة صاخبة اشترك فيها الاهلون وحطموا سيارة مدير المعارف ، وبعد فترة تدخلت بلدية نابلس ووجوه المدينة ، فعاد الطلاب الى دروسهم .

وبعد ثلاثة شهور من انتهاء ثورة ١٩٢٩ عاد مدير المعارف البريطاني الى المدرسة الصلاحية ليثار لكرامته فقابله « واصف » ولداته بكل زراية ورفضوا الوقوف في وجهه ، فانسحب من الصف احتجاجا على هذا التحدي واستدعى « الصليبي » الى مكتب مدير المدرسة وجرت بينهما مشادة عنيفة انتهت بثورة الطلاب وخروجهم مع « واصف » في مظاهرة عارمة ، وبنقل مفتش اللواء ومدير المدرسة وبعض المعلمين وبتكليف من مفتش المعارف الجديد نجح المرحوم احمد حسن الشكعة باقناع « واصف » بالانتقال الى كلية النجاح الوطنية بلا مقابل ، ولقي في رحابها كل تقدير وتشجيع ، وكان خطيبها الاول في سائر المناسبات .

وفي ايار من عام ١٩٣٩ اعتقلته السلطات البريطانية خلال عمله في البنك العربي بالقدس وامضى في معتقلات القدس وصرفند وبيت لحم ومزرعة عكا اربعة عشر شهرا دون اية محاكمة . ولما اطلق سراحه في تموز ١٩٤٠ انتدبه المرحوم احمد حلمي باشا لتأسيس « معهد ابناء الامة » في البيرة ، وبعد ان امضى فيه سنة عينه في بنك الامة العربية في طولكرم ثم في نابلس ومن هذه الى يافا فاربد ، وعمل في المدينة الاخيرة مساعدا لمدير بنك الامة العربية فخازنا للمال .

وبعد وقوع المأساة العربية الاولى في فلسطين سنة ١٩٤٨ التحق بوزارة المعارف الاردنية في مطلع ١٩٥٠ وعين استاذا للعربية وآدابها في ثانوية اربد ، فاستحوذ على نفوس طلابه بمادته الغزيرة واسلوبه السليم في التدريس ومعاملته الطلاب معاملة انسانية .

وخلال عمله في جهاز التعليم شغل عدة مناصب فكان استاذا في دور المعلمين ومديرا لثانوية اربد فمديرا لمدرسة الجاحظ الثانوية في نابلس فمديرا لدار المعلمين في بيت حنينا بفلسطين فمديرا للتربية والتعليم في محافظة اربد فمديرا للتربية والتعليم في محافظة الخليل.

وفي سنة ١٩٦٥ اعير للمملكة العربية السعودية وعين استاذا للغة العربية في ثانوية اليمامة بمدينة الرياض مدة ثلاث سنوات ، ولما عاد الى الاردن عينته وزارة التربية والتعليم في قسم التوثيق

اغنية الى امتي العربية

من قلبك العاري
حبي واشواقي واوتاري
في ليلة قمراء ناعسة
تهفو الى اصداء تذكار
ضاعت مع المجهول في زمن
ناء ، بعيد خلف اسوار .
وتلهفي الضاري
لتوهج النـار
في ذات يوم لاهب وار
فيه الذي يمضي يرى أملا
متفتحا في أيك أمطار
ودمـا ينـادي :
« آه يا ثاري
قد آن قهر الظلم والعار »
اما الذي عادت بيارقه
مغسولة بمياه أنهار
رقراقة في مولد الشفق
فلموعد الافراح ما أبقت
من عمره أسطورة القلق

دمشق — رضوان عقل

التربوي في الوزارة ثم نقلته استاذا للعربية في معهد المعلمين بحواره (محافظة اربد) .

والذين زاملوا « واصفا » او تتلمذوا عليه عرفوه « دودة كتب » كما يقول المثل الاميركي ، وقارئا عريقا في مطالعة شوامخ الادب العربي كالاغاني والامالي وزهر الآداب والبيان والتبيين والكامل والعقد الفريد، وهاويا للمتنبي والمعري والبحتري وابي تمام وشوقي ، فلا عجب ان يجيء اسلوبه جزلا بليغا وعبارته قوية رصينة .

ونشر « واصف » الكثير من مقالاته الادبية في الصحف الفلسطينية واذاع الاحاديث الادبية من اذاعات القدس وعمان والرياض والدمام وشارك خلال عمله في ثانوية اربد في تحرير مجلة مدرسية راقية اسمها « صوت الجيل » وصدر منها حوالي ٣٥ عددا .

نماذج من شعره : وفي ذكرى الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩٣٣ او قل ذكرى وعد بلفور القى « واصف » في « جمعية الشبان المسلمين » بالقاهرة قصيدة وطنية ، وفلسطين تغلي مراجلها في ذلك العام ، وكان المغفور له موسى كاظم الحسيني على راس المظاهرات في مدينة يافا ، وقد وقع الصدام وكثرت الضحايا ... فانشد «واصف» في تلك الذكرى المريرة :

الله اكبـر خيس ثـم عدوان ... اللـه اكبـر ارهاق وطغيـان
قد اخلف الانجليز الوعد يا لهـم ... قوما وعودهم كـذب وبهتـان
جاؤوا بشذاذ آفـاق لاربعنـا ... سوس الشعوب وللاموال عبـدان
رمز الدسائس في الارجاء اجمعها ... ومبعث لفساد حيثمـا كانـوا
سل المسيح ومـا لاقى بكيدهم ... وكيف انهم بالظلم قـد دانـوا
سل عنهم المصطفى واسال صحابته ... كم مرة افسدوا كم مرة خانوا ؟
واسال ممالك اوربا ومـا خبرت ... من مكرهم انهم للمكر اخـوان

يا صاحب الوعد لا تغررك رقدتنا ... أسرفت في الوعد ان العرب ما هانوا
تبغي لقوم رعاديد بـه وطنـا ... خسئت ما لبني صهيون اوطـان
اما علمت بان القدس عين فـدى ... للمسلمين وان العـرب اجفـان
والعرب ان قلدوا حصنا فانهـم ... على صيانته يـا وغـد اقران
انا بني العرب ابطـال جحاجحة ... أسد غطارفـة للحرب اركـان
انا لنفنى جميعا دون موطننـا ... وان عدتنـا ديـن وايمـان

يا أيها البلد المنكوب يـا وطني ... هيجت قلبي وقد اضنته اشجان
اني لاطرب اذ تهتاج فـي شمم ... تبغي التحـرر لا يوهيك عدوان
اصبر على نوب الاياب يـا وطني ... فالحق منتصر والبطـل خسران

وبعد حلول النكبة المروعة في فلسطين سنة ١٩٤٨ صور «واصف» ضعف العرب وانانية قادتهم بقوله :

أمـة نسجها انحـلال وضعف ... وسداهـا تفـرق واحتـراب
خيم الجهل فـي رباهـا فتاهت ... شملتها الفوضى وشاع الخراب
لست تدري هل أنفس مـا تراها ... ام نعـاج هزيلـة أم ذبـاب
وضجيج منهـا يخال انبعاثـا ... ثـم تصغي فيعتريك العجـاب
خمدت روحهـا وضاع هداهـا ... عذب الـذل عندهـا والعذاب
داؤها الفـرد مستغـل اذا سا ... د تعالـى وشرعـه الاستـلاب
ليت شعري! هل نستفيق ونصحو ... من عمانا وقـد دهانا المصاب !

وعصر الالم قلب شاعرنا « واصف » بعـد اغتصاب الارض ، والعبث بالعرض ، فانشا يقول :

قالوا: بنو العرب صانوا عرض امتهم ... فقلت: ياقوم اين العرض والشرف؟
هل صنت عرضك لما رحت تهجرها ... ارضا بها الخير والامجاد تأتلف
لقد نزحنا عـن الاوطان والهفي ! ... ننجو باعراضنا رعبـا ونرتجف
جازت علينـا سياسات ملفقـة ... ومزقونا بما كادوا ومـا هرفوا
حاكوا الدسائس فانهارت مشاعرنا ... نحن الخراف فـلا عقل ولا هدف
كم لاجئات بغير الذل مـا كسبت ... شيئا تعيش بـه يوما وتلتحف
الله اكبر حتى قومهـا غـدروا ... وشتتوها فمـا عفوا ولا انفـوا
لـو لازمت ارضها دامت كرامتها ... وما غدت للدنايا السود تنجرف
في غير ارضك لا اهل ولا وطـن ... ولا بقـاء ولا ديـن ولا شرف !

عمان — الاردن

البدوي الملثم

اناملي الحزن

هدى النعماني

•

•

اناملي الحزن ، ان لم
ان لم يات زمان
الاجزاء فيه تهوي تهوي
خارج هؤلاء
حبس شديد الرياح
شهورا نبطيء قرونا ندوس
سرا ، قسرا ، جهرا
دراهم الحياة نهاية الامر
يضعف ، بضعف الليل
تتمايز ، تتمايز الوجوه في الاضواء
تلتهب الوجوه في الاضواء
تقترب الاكتاف تلتصق
تجرح الفراغ ، تصيح ، تصمت
نصعد .
نصعد .

*

اتدرب على الموت
اخاصم جسدي ، انعزل
اغمض عيني وداعا
ورقتي السوداء من كل جانب
سفري مصحوب بامل
لا غضب لا حسرة
الى ذلك المكان .
بالفكر اشتري وابيع ظروفا مستقبلة منفردة
آه كم انت معي
منبعا للحب بلا اجنحة
لعب النجوم
لا فناء الا في حلكة النفس
آه كم انت معي حيا
تستوعب كل ما يولد
منشئا لا شك
ضروريا لا شك
صوريا لا شك
... كاف لا شك
ثم نعود
مصير الموت الحياة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البير أديب

بقلم اديب مروة
صاحب مجلة « السياحة »

* * *

كان البير اديب صاحب مجلة الاديب والشاعر الذي احدث ثورة في أسلوب الشعر الرمزي اطلق عليها « الشعر الطليق » في سنوات الاربعينات من هذا القرن يمثل بالنسبة لنا ـ نحن فتيان ذلك الجيل الذين كنا بعد طلابا وقد بدات اذهاننا تتفتح على كل ما هو جديد في عالم الادب والفكر ـ ما كان يمثله جان بول سارتر بالنسبة لشبان عصره.. اي رائد التجديد والافكار الثورية الحديثة في الشعر والادب والفن .

صحيح ان البير اديب لم يكن كجان بول سارتر فيلسوفا ملتزما ، او روائيا عالميا . ولكن كان في مداه المحصور ، ونطاق انتشار مجلته ، بمثابة « المعلم » المجدد الذي كان معظم الشبان الادباء الناشئين او المتادبين يطمحون الى اقتفاء خطاه ، ان لم يكونوا عرضة للتاثر بأفكاره وكلمات شعره .

كان كلما نشر قصيدة من النوع المطلق (الذي لا يسير على قافية او وزن ولكن مع ذلك لا يخلو من جرس موسيقي ، ومن الفاظ جميلة) .. في مجلته الاديب ـ وهو من المنتجين المقلين ـ كنا نقف عندها لنغوص في كلماتها وما تخفيه من معان عميقة ، علينا ان نستخرجها ، ونستنبط اغوارها ونجتهد في محاولة فهمها ، وغالبا ماكنا نعجز عن ذلك ، فنقول لانفسنا : « تالله كم هو مبدع فنان مفرق في الغموض هذا الشاعر الملهم » !

طبعا كان هناك غيره من الشعراء الرمزيين المغرقين ربما اكثر منه في الغموض والهيولى او التائهين في ابعاد لا متناهية من الخيال والرومنتكية ، وعلى راسهم الشاعر سعيد عقل ، ولكننا كطلاب لم نكن لناخذ سعيد عقل جديا في ذلك العهد ، ربما نظرا لمبالغته في الغرابة ... بل كان تجديد البير اقرب الى نفوسنا وعقولنا والى نظرتنا نحو مستقبل الشعر العربي الجديد .

من هنا نشا اعجابي الكبير بالبير اديب ، وبمجلته « الاديب » التي كانت هي الاخرى تمثل بنظرنا خروجا على كلاسيكية المجلات الادبية المعروفة « كالرسالة » و « الثقافة » و « الكاتب المصري » و « الكتاب » و « المكشوف » الخ .. ذلك بانها كانت تحضن أدب المتجددين او الداعين الى التجديد في كل الوان الادب الحديث .

وكان من كتابها يومئذ الاب مرمرجي الدومنكي والياس خليل زخريا وعمر ابو ريشة ونقولا فياض، وعبد الله العلايلي ، وعبد السلام العجيلي وغيرهم ممن كان يستهوينا قلمهم البياني الساحر اكثر مما تستهوينا افكارهم .

وككل اديب ناشىء كان اقصى ما اطمح اليه ان اجد اسمي مطبوعا ضمن قائمة فهرس الصفحة الاولى من كتاب العدد .. في مجلة « الاديب » .. مضافا اليه عنوان مقالة ادبية معينة .

ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟

لسوء الحظ لم اكن بشاعر، ولم احاول ان اخلق في نفسي ميلا للشعر ، او اختزع موهبة شعرية مفتعلة عن طريق تجربة النظم وصف الكلام المجنح الخيالي!.. فهذا ليس من اختصاصي ، كما اني لست ببحاثة اوعالم لغوي، او كاتب قطع ادبية مجردة .. بل كان ميلي الحقيقي يتجه نحو النقد والقصة . وقد سبق لي ان حققت عدة محاولات قصصية نشرت بعضها في « العرفان » ولكنني لم اكن راضيا عنها ، ولم اجدها في مستوى « الاديب » الراقية ، وجربت نقد الكتب ـ ربما لان عملية النقد بدت لي أسهل من غيرها ! ـ فتناولت مؤلفا او مؤلفين كانا قد صدرا حديثا واستعرضت محتواهما وحللت اغراضهما وابديت رايي فيهما كما لو كنت سانت بوف او فرنسوا مورياك .. ودفعت بالمقال الى مجلة « الاديب » بالبريد المضمون خشية الفقدان بعد ان اعدت كتابته ونقحته مثنى وثلاث ورباع ! .

وانتظرت صدور الاديب اخر الشهر فاذا بالمجلة خالية من اسمي وصبرت شهرا اخر فاذا بنقدي للكتابين ـ ولا اذكرهما اليوم ـ منشور ، في باب المكتبة ، واسمي ـ ولا فخر ـ ماثل في عداد السلسلة الطويلة من كتاب العدد !

هكذا بدات صلتي بالاديب أول مابدات ، وبعد مقالين او ثلاثة في النقد ، حملت نفسي وقصدت دار الاديب لاتعرف الى صاحبها وانا وجل متهيب اقدم رجلا واؤخر اخرى ..

كانت دار الاديب تقع في شارع الكبوشية قبالة قصر العدل ، فصعدت درجاتها العديدة الى ان دخلت مكتبا متواضعا تفوح منه رائحة الشعر الحديث الظريف وهناك وجدت الاستاذ البير يرحب بي بكل بساطة ودون اية

● من كتاب « مهنة المتاعب » الذي يصدر قريبا في منشورات عويدات ببيروت للزميل اديب مروة صاحب مجلة « السياحة » وهو يتناول تجارب المؤلف في الصحافة والادب خلال ربع قرن . وللمؤلف عدة مؤلفات منها « الصحافة العربية نشاتها وتطورها » الذي نال جائزة اصدقاء الكتاب في لبنان لاحسن دراسة صدرت عام ١٩٦١ (الاديب)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسميات ، وكأنه يعرفني منذ مدة طويلة مما جعلني في الحقيقة ازداد اعجابا به لا سيما وان سيماء وجهه ولطف حديثه ، يعطيان من يتعرف عليه لاول مرة انطباعا اشد جاذبية مما يكون قد كونه عنه من بعيد دون ان يراه شخصيا ... وسرعان ما سحرت بدار الاديب بعدما اسرني لطف صاحبها ، وزاد من اعجابي به ان الدار كانت تلك الايام تتحول بعد ظهر كل يوم الى منتدى ادبي تلتقي فيه النخبة من الشعراء والادباء وموهوبي لبنان ذلك العهد عدا ما كان يمر بها غالبا من ادباء البلدان العربية وشعرائها الكبار ...

ما زلت اذكر اي سرور ادخله صاحب الاديب في نفسي ذات يوم عندما عهد الي لاول مرة بعدة كتب جديدة كانت مهداة اليه شخصيا من بعض المؤلفين قائلا :

ـ ما دامت عندك رغبة في نقد الكتب ، فما رايك في كتابة شيء من هذه المؤلفات الجديدة لنشرها في « الاديب » .

دلتني هذه البادرة من جانبه على مدى التشجيع الذي كان يحب ان يمحضه الى الادباء الناشئين امثالي . وفي دار الاديب تعرفت الى عدد من الرفاق والزملاء منهم : احمد سويد ، واحمد ابو سعد ، وفؤاد الخشن ، وسهيل ادريس ، واحمد عويدات وتوثقت صلتي برياض طه الذي كان من كتاب الاديب يومئذ وغيرهم كثيرون ممن كانوا مثلي يطرقون باب الادب والاديب ويحظون بتشجيع صاحبها كما تعرفت الى ادبائنا الكبار الذين كانت اسماؤهم في واجهة الادب والشعر وكانوا من المواظبين يوميا على الالتقاء في دار الاديب .

ومضيت اتولى مهمة نقد الكتب في « الاديب » خلال مدة من الزمن . ثم دارت بيني وبين بعض الادباء العرب مساجلات نقدية على صفحات المجلة التي كنت اعتبرها جزءا من حياتي الادبية . كل ذلك بتشجيع صاحبها الذي اخذ بيدي ، وتقبل انتاجي ، مرحبا بنشره ، وهو الذي كان يرمي بسلة المهملات كل يوم عشرات المقالات والرسائل .

وقدمت اليه في ما بعد قصة جديدة وضعت فيها كل فني الادبي ورغبتي في الاثارة ... ونشرها صاحب « الاديب » بكل صدر رحب ، ومن هناك انطلقت في هذا الميدان الذي كانت كل آمالي الادبية معلقة عليه ، ولكن قاتل الله الصحافة فقد صرفتني عن المضي في انتاج القصص التي اعتبرها ميداني الادبي الاصيل بحيث اني لو لم اكن صحفيا لكنت قصيصا ، وما زلت حتى اليوم اعتبر كتابة القصة هوايتي المفضلة وقد انتجت منها مجموعة لا بأس بها بعضها نشر في كتاب « مسارح وابطال » واكثرها نشر في الاديب وغيرها ... او اذيع من الاذاعات بانتظار ان تبصر النور في كتاب اخر .

على الرغم من انخراطي في السلك الصحافي بصورة نهائية ظللت محافظا على صلتي بالاديب بل لم انقطع عن تزويدها من وقت لاخر بنفقات قلمي وما يمليه علي ميلي الدائم نحو الادب من انتاج في القصة والمقالة والنقد والتحليل والترجمة الخ ...

وجمعنا انفسنا ذات يوم ـ وكنا بضعة شبان تربطنا صفة مشتركة واحدة وهي تعلقنا بالتجديد في الادب ـ مخائيل صوايا ، حسن الرفاعي (نائب بعلبك حاليا) موريس كامل (استبدل اسمه في ما بعد الى صلاح كامل) ، احمد سويد ، رياض طه ، خليل شرف الدين ، وقررنا ان ننشيء كتلة مستقلة منسجمة من الادباء الشبان فاسسنا جمعية اخوان القلم واصدرنا مجلة ادبية جديدة اسميناها « الادب الجديد » ظهرت منها بضعة اعداد . وكان البير اديب اول المرحبين بها والمشجعين لها رغم انها ربما كانت نوعا ما مزاحمة لمجلته. وهذا ما زادني ايمانا بنبل الرجل واكبارا لسمو اخلاقه وترفعه عن الصغائر السخيفة في عالم الادب الذي لا يختلف في الواقع عن اي عالم اخر من المهن البشرية التي لا تحصى .

ثم سافرت الى باريس دون ان يتبدل ولائي للاديب بل على العكس ساعدتني الغربة على بلورة انتاجي الادبي وغزارته ، فكانت « الاديب » منبري المحبب ، اطل منه عبر هذا الانتاج على قرائها في العالم العربي ، وانا اعرف ان قراء الاديب ربما ليسوا بالكثرة التي يتمناها المخلصون للادب . ولكنهم من حيث المستوى الفكري ومن حيث انتشارهم في كل صقع من اصقاع العالم يجعلون المجلة تصل الى بلدان كثيرة في ديار الاغتراب النائية في الاميركتين وشرقي آسيا وافريقيا واستراليا ودوائر الاستشراق الاوروبية ... ويطلع عليها معظم اصحاب العقول النيرة في العالم العربي .

طوال هذه المدة ازدادت صداقتي مع صاحبها وثوقا وارتباطا كما ازداد تقديري له ، على جلده ، وطول اناته وكفاحه البطولي في سبيل المحافظة على انتظام صدور مجلته كل شهر مهما كانت الظروف وما زلت الى اليوم اعتبر البير اديب اديبا جبارا موهوبا استطاع ان يقاوم طوال هذه السنين العديدة التي مضت على اصداره مجلته اقسى المصاعب ، وان يتغلب على اشق المتاعب والعقبات التي صادفته في طريقه وما اكثرها وكلها من النوع المادي او العقوق المعنوي :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

واليوم ، لست ادري اذا كان شبان هذا العصر يولون مجلة « الاديب » وصاحبها اهتمامهم البالغ ذاته الذي كنا نوليه اياها ونحن في صبانا . اغلب الظن انهم لا يفعلون ذلك ، او ليس بالحماسة ذاتها التي كانت

سعـادة المـوت

•

الدكتور جمال مرسي بدر

•

نيـويـورك

وكعهـده دار الزمـان
وطوى زوابعـه الشتاء
لتعود اسراب الحمام
كسعادتي في كل عـام
كم يعقب الخوف الأمان
ويغالب اليأس الرجاء

قد كان أرخى الليل دون النور أستارا كثيفه
وتبددت في ظلمـة الاحداث أطياف شفيفه
وبدا محالا أن تعود الى سمائي
شمسي التي قادت خطاي الى هنائي

واليوم روحي في مباهجها تهيم ولا تبالي
لا شيء يحجبها عن الاشراق في غسق الليالي
وبنظرة يبدو لها كل الوجود
وتكاد تدرك في سعادتها الخلود

روحي تحلق كيف شاءت فوق افلاك النجوم
الكون فيها وهي فيه بلا حدود او تخوم
طارت بأجنحة الرضا نحو السماء
فتضاءلت في عينها دنيا الفناء

لكنما قد لا يدوم لهجتي ذاك الجناح
في هبة مجنونة تودي به هوج الرياح
ويطاح بي من حالق نحو الظلام
ويعود سعدي مثل أحلام النيام

سعد .. ولكن قد يفوت
ولا يجيب مـن استعاده

ماذا اذن كي يخلدا ؟
ماذا لكي لا يبعدا ؟

لا شيء الا .. ان اموت
اموت فـي تلك السعاده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعتمل في نفوسنا ... « فالاديب » لم تعد مجلة علـى « الموضة » ـ اقصد موضة المجلات العصرية التي تستغل عواطف الجماهير ورغباتهم او ميولهم ـ وصاحبها دخل في عداد الادباء الكلاسيكيين . ولم يبق احد يتحدث اليوم عن « الشعر الطلق » الا في الدراسات الجامعية رغم ان الشعر الحديث الحالي الذي يطلقون عليـه « القصيدة النثرية » و « شعر الرفض » ليس في الواقع الا ابنا غير شرعي للشعر الطلق الذي ابتدعه البير اديب .

شيء وحيد لا أستطيع منع نفسي من التنويه به ، وهو ان البير اديب ـ شئت أم أبيت ـ كان من الاشخاص الذين تركوا اثرا في حياتي ، وكان له دور غير مباشر في توجيهي الادبي ، وهو فضل يشرفني دوما الاعتراف به .

اديب مروة



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

أحال شقاءهم نعيما

يقولون : أحال شقاءهم نعيما . والصواب : بدل شقاءهم نعيما ، او ابدله بنعيم . اما الفعل (أحال) فله عدة معان منها :

١ ـ أحال الله الحول علينا : أتمه . (الحول : السنة) .
٢ ـ أحال الرجل : أسلم .
٣ ـ أحال الشيء : أتى عليه حول . او تحول من حال الى حال.
٤ ـ أحال الغريم : زجاه عنه الى غريم آخر . والاسم : الحوالة (بفتح الحاء لا كسرها) .
٥ ـ أحال عليه : استضعفه .
٦ ـ أحال عليه الماء من الدلو : قلب الدلو ، وافرغ ما فيها من الماء عليه .
٧ ـ أحال عليه بالسوط يضربه : أقبل . أحال الليل : اقبل .
٨ ـ أحال في ظهر جواده : وثب واستوى راكبا .
٩ ـ أحالت الدار : أتى عليها حول .
١٠ ـ أحال عينه : صيرها حولاء .

جارتنا حادة

ويقولون : جارتنا حادة ، لان زوجها مات منذ شهرين . والصواب : جارتنا حاد وجمعها : حواد (بتشديد الدال في حاد وحواد). او : هي محد (بضم الميم وكسر الحاء وتشديد الدال).

حبالة الصياد

ويقولون : وقع في حبالة الصياد (بضم الحاء) . والصواب : وقع في حبالة الصياد (بكسر الحاء) . والحبالة (بكسر الحاء) هي المصيدة . وجمعها حبائل . والحابل : الذي ينصب الحبالة للصيد. والمحبول : الحيوان الذي نشب في الحبالة .

الحبلاس والحنبلاس

ويطلقون على الفاكهة المعروفة اسم : حبلاس او حنبلاس . والصواب : حب الآس . والآس : مفرده : آسة ، وهي شجرة ورقها دائم الخضرة ، وزهرها ابيض ، وثمارها صغيرة ، وهي بيضاء وتكون أحيانا سوداء . ومنه الآس البري ، الذي كان عنوان النصر عند قدماء اليونان ، وللآس معان أخرى ، منها : (١) البلح . (٢) القبر . (٣) الصاحب . (٤) العسل . (٥) بقية الرماد في الموقد .

حب الشباب

ويقولون : غزا حب الشباب وجه فلانة . وقد ذكر ابن جني ان هذا الحب او تلك البثور تسميها العرب العد او العدة (بضم العين وتشديد الدال فيهما) . فمن شاء الايجاز والدقة ذكر احدى هاتين الكلمتين ، ومن شاء ان لا يرهق ذاكرته ، استعمل كلمتي : حب الشباب .

احتج على قوله

ويقولون : احتج على قوله . والصواب : استنكر قوله . لان الفعل احتج معناه : أتى بالحجة ، أي البرهان . وقد روى التاج عن الهجري انه قال : تركت احتجاج البيت ، أي حجه .
واحتج به : جعله حجة له ، واعتذر به .

حج الى البيت الحرام

ويقولون : حج الى البيت الحرام . والصواب حج البيت الحرام (بنصب البيت) يحجه (بضم الحاء) حجا : قصده . راجع الآية ١٥٨ من سورة البقرة .
ونقول : رجل حاج ، وقوم حجاج وحجيج . والحجيج : جماعة الحاج .

الحجى

ويخطئون من يكتب (الحجى) بالالف المقصورة ، ويقولون ان الصواب ان تكتب بالالف الممساء (الحجا) ، اعتمادا على اشهر كتب الاملاء وقاموسي التاج والمحيط. ولكن الاساس يكتبها بالالف المقصورة، واللسان يكتبها بالممساء اولا ، ثم بالمقصورة . وهذا يجيز لنا كتابتها بالممساء والمقصورة كلتيهما .
اما معنى الحجا أو الحجى (بكسر الحاء في كلتيهما) فهو : العقل والفطنة والمقدار .

الحدب على الفقراء

ويقولون : عرف فلان بالحدب على الفقراء . أي بالعطف عليهم.
والصواب : عرف بالحدب (بفتح الدال ، لا تسكينها) عليهم .
وفعله حدب (بكسر الدال) عليه يحدب (بفتح الدال) حدبا (بفتح الدال) ، فهو حدب (بكسر الدال) .

تحدث على الحرب

ويقولون : تحدث الفدائي على الحرب . والصواب : تحدث بالحرب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حـــدق فيـــه

ويقولون : حدق فيه . أي شدد النظر اليه ، وأدار الحدقة . والصواب : حدقه (بفتح الدال دون شدة) ببصره ، او حدق (بتشديد الدال المفتوحة) اليه . وفي حديث معاوية بن الحكم : فحدقني (بفتح الدال دون شدة) القوم بابصارهم . اي : رموني بحدقهم (بفتح الحاء والدال) . وحدقة العين : سوادها الاعظم . والجمع : حدق (بفتح الحاء والدال) واحداق وحداق (بكسر الحاء). وحدقه (بفتح الحاء والدال) يحدقه (بكسر الدال) حدقا (بتسكين الدال) : نظر اليه .

حـــدو ةالفـرس

ويقولون : وضعت للفرس حدوة . والصواب : وضعت نعلا . وكلمة (نعل) مؤنثة .

تحـــداه

ويقولون : تحدى المحامي المجرم (بفتح الميم) ان يثبت براءته . والصواب : قال المحامي بأن المجرم يستحيل عليه ان يثبت براءته . لاننا اذا قلنا : تحدينا فلانا في عمله ، عنينا اننا باريناه فيه ، ونازعناه الغلبة . وليس من المعقول ان يبادي المحامي المجرم في جرمه.

الحـــذاء

ويقولون : لبس حذاء جديدا . والصواب لبس حذاءين جديدين. لان الحذاء هو النعل ، وللانسان نعلان لا نعل واحدة . واستشهد على صحة ذلك بما يأتي :

١ ـ جاء في الحديث الشريف : لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالاخرى . أي : تعملون مثل اعمالهم . وهـذا دليل على ان الانسان ينتعل نعلين .

٢ ـ يقول المثل العربي : من يكن الحذاء أباه تجد نعلاه .

٣ ـ انشد الجوهري :

يا ليت لي نعلين من جلد الضبع .

وبما أن النعل هي الحذاء ، فالنعلان هما الحذاءان .

حربـاء متلونـة

ويقولون : حرباء متلونة . والصواب : حرباء متلون ، لان حرباء كلمة مذكرة . وانثى الحرباء تسمى أم حبين (بضم الحاء وفتح الباء)، او حرباءة . وجمع حرباء : حرابي (بفتح الحاء وتشديد الياء) .

حـــرر الصحيفـة

ويقولون : حرر الصحيفة . والصواب : كتب الصحيفة . لان حرر الصحيفة والكتاب وغيرهما تعني كما روى التاج : قوم الصحيفة وحسنها وخلصها باقامة حروفها ، واصلاح سقطها . وهو من المجاز كما روى الاساس .

الاحـراش والاحـراج

ويقولون : قضى يومه متنقلا بين الاحراش . والصواب : قضى يومه متنقلا بين الحرج او الحرجات (بفتح الحاء والراء في كلتيهما) أو الحراج (بكسر الحاء) ، او الاحراج . ومفردها (حرجة) بفتح الحاء والراء وهي أصغر من الغابة . قال الشاعر :

أيا حرجات الحي حين تحملوا بذي سلم ، لا جادكن ربيع

وذو سلم : اسم مكان ينبت فيه السلم (بفتح السين واللام) ، وهو شجر شائك .

أما كلمتا حرش وأحراش فهما عاميتان .

وتطلق الحرج (بفتح الحاء والراء) على المفرد والجمع .

ثلاثـة حـروف

ويخطئون من يقول : ثلاثة حروف علة وأربعة سطور وخمسة شهور وست نفوس ، وما أشبه ذلك مما يأتون فيه بجمع الكثرة ، ويقولون : انالصواب هو : أحرف وأسطر وأشهر وأنفس (بضم الحرف الثالث)، لان الاعداد هي دون العشرة ، ولان لهذه الاسماء الاربعة جموع قلة وجموع كثرة . اما اذا كان هنالك جمع تكسير واحد أو اكثر من جموع الكثرة ، فاننا نستعمله للقلة والكثرة معا ، مثل : سبعة رجال .

وحجتهم في ذلك أن جموع القلة هي أربعة ، يجمعهـا بيت واحد ، هو :

بـأفعـل وبـأفعـال وأفعلـة وفعلـة يعرف الادنـى من العدد

وفاتهم أن السعد التفتازاني قال : جمع القلة من الثلاثة الى العشرة ، وجمع الكثرة من الثلاثة الى ما لا نهاية له ، فيكون الفرق من حيث الانتهاء .

اصبح بـلا حـراك

ويقولون : اصبح المريض بلا حراك (بكسر الحاء) . والصواب : أصبح بلا حراك (بفتح الحاء) . قال شوقي :

مضنى ، وليس بـه حـراك لكـن يخـف اذا رآك

أما معنى (الحراك) فهو : الحركة .

حرمـه مـن حقـه

ويقولون : حرمه من حقه . والصواب : حرمه (بفتح الراء وكسرها) حقه حرمانا وحرما (بكسر الحاء وتسكين الراء في كليهما) وحريما وحريمة وحرمة (بكسر الحاء وتسكين الراء فيه) وحرمة وحرما (بفتح الحاء وكسر الراء في كليهما) ، لان الفعل حرم (بفتح الراء وكسرها) يتعدى الى مفعولين تعديا مباشرا دون حرف جر . ويجوز ان نقول : (أحرمه) ، ولكنها لغة ليست بالعالية .

محـــرم

ويقولون : ولد في محرم . والصواب : ولد في المحرم . وفي مستدرك التاج ان هذا الشهر الهجري ادخلوا عليه (ال) التعريف من دون الشهـور الاخر .

لـم يحـر جوابـا

ويقولون : لم يحر (بضم الياء وتسكين الحاء وكسر الراء) جوابا. والصواب : لم يحر (بضم الياء وكسر الحاء وتسكين الراء) جوابا . اي : لم يرد الجواب . وماضيه : احـار .

دمعـة حـرى

ويقولون : دمعة حرى . والصواب : دمعة حارة . لان حـرى (بتشديد الراء المفتوحة) هي مؤنث حران (بفتح الحاء وتشديد الراء) اي : ظمآن . وجمع حران : حرار (بكسر الحاء) ، وحرارى (بفتح الحاء وبالالف المقصورة) ، وحرارى (بضم الحاء وبالالف المقصورة). وجمع حرى (بفتح الراء المشددة) : حرار (بكسر الحاء) ، وحرارى (بفتح الحاء وبالالف المقصورة) .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني

النهاية

من الازل المجهول والموت فاغر ... فما واسع الاشداق والوجه منكر
فرائسه تجري اليه برغمها ... من الرعب وهو الساكن المتنظر
فقلت له لما رماني بلحظه ... فكدت الى اشداقه أتحدر
الا أيها الوحش الذي ليس ينتهي ... عن الكون والاحياء هل أنت مقصر
أما لك قلب راحم فتذيقه ... معاني يهواها الكريم ويؤثر
أكلت طويلا من شعوب كثيرة ... بها كانت الارض الجميلة تعمر
وما زلت تشكو الجوع بغيا وتشتهي ... مزيدا وفي عينيك نار تسعر
وكم عاشق صب أخذت حبيبه ... وكان كزهر الروض او هو أنضر
وام عجوز قد سلبت وحيدها ... فمهجتها الحرى عليه تفطر
تكلم تكلم ايها الوحش مرة ... والا فما هذا السكوت المحير
ساهرب من عينيك في الكون ذاهبا ... الى كوكب فيه الخلود ميسر
ولكنني انى ذهبت وجدتني ... أمامك مقهورا وانت مكشر
كأن غرابا في عيونك أسودا ... يزحزح عن قلبي الستار وينقر
ألست ترى هذا الوجود وحسنه ... وفنانه الجبار كيف يصور
وما فيه من زهر جميل وانهر ... حسان وأشجار تظل وتثمر
وهذي الغواني الساحرات كانها ... قوارير عطر او ربيع منور
وكم من حنان في العيون ورحمة ... وحب تساقاها القلوب فتسكر
وكم من عقول كالشموس مضيئة ... بأنوارها تنمو الحياة وتزهر
أيذهب هدرا كل هذا وينتهي ... اليك وأنت الساكن المتنظر
وعيناك عيناك اللتان أراهما ... وقلبك هذا الجامد المتحجر
ساعطيك قلبي مرة ان اردته ... عساك به حينا من الدهر تشعر
وعيني كي تلقي الحياة جميلة ... وتبصر منها ما أراه وأبصر
فتعشقها عشق المحب حبيبة ... وتتركها تزداد حسنا وتبهر

ظللت أداري الوحش ادفع شره ... وظلت عيون الوحش نحوي تنظر
ومرت قرون بعد ذاك كثيرة ... وفي الحي قبر دارس الرسم مقفر
عليه من الماضي البعيد كتابة ... تغيب على مر السوافي وتظهر
هنا قبر من اغنى الحياة بشعره ... ومن عاش محروما وفيه تجبر
عليه ديون كم أراد قضاءها ... فاعجزه والرزق شيء مقدر
فلا مال الا ما يسد به الطوى ... وان كان احيانا يجوع فيصبر
ولا ولد يسلو به بعض همه ... ولا عرس الا ما نفى المتخير
فمن مر فليقرأ عليه تحية ... فقد كان ذا قلب يحب ويغفر

حلب — عمر ابو قوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

رسالة لم تقرأ

بقلم محمد العثمان

في احدى ليالي الشتاء ضمني المجلس على انفراد مع صديق لي قديم لم اره من سنين ، وكان من بين ما تحدث به الي ما سأرويه لكم اليوم حيث قال :

« قد يجد المكروب ـ يا اخي ـ بعض العزاء بالتنفيس عما يجد ، وهذا ما سأفعله الان .. فلقد فزعت الى اوراقي استطلع ماضي حياتي من خلالها ، واستعرض ذكرياتي الغوالي بين سطورها التي اودعتها احداث شبابي ووقائع الايام الماضية .

ولقد اثارت في نفسي شتى المشاعر ومختلف الاحاسيس المزوجة بالعجب والدهشة ، فلقد ضحكت من قصاصة وجدتها ولم اصدق ان يدي قد خطتها الا بعد وقت ، بينما سفحت عيناي عبرة ساخنة حينما استعرضت ورقة اخرى مما دعاني الى اعادتها مرة اخرى ، وتداعت في راسي الافكار واصطرعت الاحاسيس وجالت الخواطر ، وقفزت الى مخيلتي مشاهد من الماضي البعيد ومناظر حسبتني نسيتها وظننت ان الزمن قد طواها ضمن ما طوى ، في حين صرفت النظر عن اوراق اخرى كنت احتفظ لها لدي بالمنزلة الغالية حيث لم تعد تثير ما كانت تثير .

غير ان نظري تركز كثيرا على رسالة من بين الاضابير قد غلفت وعليها ختم البريد لكنها لم تفتح ، فتناولتها بلهفة ، وفضضتها ، وكان هذا محتواها .

« عزيزي : سلاما واحتراما ، وتحية اشبه بانفاس الرياض في اوقات الربيع .

ابعث اليك رسالتي هذه بعد ان لج بي الشوق وراودتني الظنون ، وانثالت على فكري صور الماضي وهي تتدافع بحدة ، وانسابت في خاطري ذكريات الليالي السالفات ، وانبعث من داخلي نداء لم يكف عن الهتاف بي في حلم ولا يقظة حتى امسكت القلم لاخط لك هذه الرسالة ، وحين تهيأت لذلك تمثل امام ناظري مشهد لم احتمل الاستمرار في مشاهدته وتخيله اذ انبجست من عيني عبرة كانت مؤذنة بالشروع في الكتابة لابثك بعض ما اجد ، وابادلك الحديث على الورق في مواضيع من شأنها ان تهيج الاحاسيس بيني وبينك وتثير كامن الذكرى وخامد اللهيب .

ايها الصديق القديم : قد لا يكون لديك مانع في ان اختصر الزمن واطوي السنين لاعود معك الى ايام طفولتنا بعد فراق دام واحدا وعشرين عاما ، لان ذلك ـ عدا عن كونه يلذ لي ـ فان له شيئا من الارتباط بما سأقوله لك .

في ظني انك مثلي تذكر الزاوية التي يلتقي عندها الشارعان والتي كانت مسرحا للقاآتنا ومكانا لمواعيدنا حيث شهدت فصلا غاليا من حياتنا ، لكنها ـ وواسفي ـ لم تعد باقية الا في مخيلتنا ، اذ شملها الاصلاح العمراني الذي استجد على البلدة .

وفي يقيني انك مثلي لا تزال تتذكر هاتيك الالعاب الشعبية الشائعة التي كنا نزاولها مع الاصحاب ببراءة وبلاهة والتي لا تخلو من براعة وروعة ، لكنها ايضا ـ وواسفي ـ امست ذكرى من الذكريات التي لا تعرف الا في احاديث المجالس .

واظنك لم تنس تلك المغامرة التي اندفعنا اليها بعقولنا الصغيرة ورجعنا متباهين بما عملنا ننتظر من اهلنا التشجيع والاشادة بدل ما لاقونا به من لوم وتقريع لاننا اقلقناهم بغيابنا هاتيك الفترة .

لا اريد ان استعرض سجل الماضي ، لان لديك نسخة مما لدي ، وعندك صورة طبق الاصل مما عندي ، الذي اريد ان اقوله اشياء استجدت بعد ان طوحت بنا الايام في شرق وغرب ، فمرت علي من الحوادث غير ما مر عليك ، ولا شك انه حدث لك ما لم يحدث لي . ولئن كنا متشابهين في مواجهة هذه الحياة فالاكيد ان لديك اشياء يهمني ان اعرفها ، ولكم اود ذلك . كما ان عندي اشياء يهمك ان تعرفها ، وهذا ما دعاني لاخط لك هذه الرسالة .

عزيزي : لا ارى بأسا وقد افترقنا وزاد احتمال عدم لقائنا ، ان اكشف لك عن بعض الاسرار التي اصبحت حبيسة بين اضلعي زمنا طويلا ، لاني اخاف وقد طال الوقت عليها ان يفوت اوانها فأودع الحياة وانت تجهلها ، انها تشكل حملا ثقيلا علي اريد اليوم ان اطرحه واستريح .. واليك بعض ما اود ان اقول :

ـ ايام الطفولة في المدرسة كان الذي سرق القلم من الحقيبة فبكيت عليه كثيرا ، كاتب هذه السطور اليك .

ـ اما حادثة النخلة التي تذكرها ولا شك ، فكان المتسبب فيها رفيقنا خالد .

ـ بعد ذلك .. الذي اخبر اهلي واهلك بنجاحنا كان العم صالح الذي تسلم مقابل البشرى غيره .

ـ في ايام الشباب عثرت على معلومات لا بد انها تهمك ، فابنة عمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلـق

رباه أشكو مـن الاحزان مـن قلقي ... من عاديات الزمان المر ، نن حرقي
من الف لوعة قلب ذاب فـي كمـد ... ويجثم الالـم الدامي عـلى أفقـي
أضالعي نبتت فـوق الثـرى أسلا ... مدمى تعفره الرعناء مـن رهقـي
ويمشق الغدر سيفـا راح يذبحني ... قربان حقد علـى حرف من النزق
حيرى دموعي على خديقد انسكبت ... من غمغمات الاسى.. من نصلمختلق
وفي فمي الف لحـن ذاب محتضرا ... كنور شمس خبا فـي مذبح الشفق
صحراي قفر بكت من جدبها زمنـا ... حتى شكت قلـة مـن عارض غدق
صحراي قد أجدبت والرمل مطعمها ... اعدو ببيدائها مـن كـل منطلـق
علـي أرى الواحـة الخضراء زاهية ... أريح فيها عذاب العمـر والقلـق
لكنني والهوى صنوان فـي وهـج ... أفنى الرغاب بنار الظلـم والحرق
روحي بقايا احتراق فـي توجعهـا ... والقلب مني يرى ظـلا علـى الورق

بغـداد — صاحب خليل ابراهيم

« سارة » كما علمت من اختي لـم ترفض الزواج منك ـ كما كنـت تقول لي ـ ولم يكن السبب ايضـا في الرفض من الام ، ولكن الـذي حال دون القبول حـين تقدمـت لخطبتها قد لا يخطر لك على بـال .. لقد كان مجرد وشاية كاذبة مـن احدهم بأنك تمارس التدخـين ولا ارى انـي ازاول النميمـة عليـه اذ اكشفت لك عن اسمه بعد ان تأكدت من ذلك ، انه .. احمد يا عزيزي .

ـ كذلك فقد تبين لي ان جميع ما كنا نعتقده في من كنـا نسميه بـ «العقرب» لم يكن سليما ولا مطابقا للواقع بل ان ضده هو الصحيح ، فأرجوك ان تزيل من قلبك كل ذرة حقد عليه ، كما فعلت انا .

ـ ولا يجب ان انسى ان مدرسنا في القواعد كان محقا حينما كـان يفعل ما يفعل ، ونحن نقابله بالرفض والعناد يوم كنا لا نفهم المصلحة الا من جانبها الضيق المحدود .

صديقي العزيز : عجيبة هي الحياة وعجيبون هم الاحياء ، وكم كان لنـا من آراء فيها وفيهم ، كانت متفقـة احيانا ومختلفة احيانا ، وقبل ايـام قرات ضمن ما قرات هذه الحكايـة الرمزية التي تقول : ان بئرا فيهـا دلوان احدهما ينزل وهو فـارغ بينما يخرج الثاني وهو ملآن ، وحين تقابلا في منتصف البئر سأل الفارغ الملآن : لم تبكي ؟ فأجاب : ولماذا لا ابكي ، اخذ مائي وسيؤخذ بعد قليل ثم اعود الى القاع المظلم ؟ وانت لماذا تضحك في خفة ؟ فأجاب الفارغ :

ولماذا لا اضحك ، سأنزل البئـر وامتلىء ماء صافيا ، واطلع بعـد ذلك الى النور .

لا شك انك تـدرك ان هـذه الاقصوصة تمثل اختلاف نظر الناس الى شيء واحد بمنظار مختلـف ، ولقد عهدتك تمثل الدلو الضاحـك الباسم فليت شـعري هل تـزل كذلك .

لا ادري ماذا سيكون وقع رسالتي هذه التي اجزم انك لم تنتظرها وفي هذا الوقت بالذات ، فان كانت غير مبهجة فعذري اني كتبتها بدافـع داخلي قوي لم يسكن الا بعد الشروع فيها .

وعلى أي حـال آمـل ان تكون بصحة جيدة وحال طيبة ، وفـي انتظار رسالتك تقبل حار السـلام وعاطر التحية . صديقك القديـم : محمود » .

ثم قال صاحبي بعد تنهيدة حارة:

هذا هو نص الرسالة التي كتبتها وقراتها انا ، ولم يقراها من ارسلت اليه ، لانها اعيدت وقـد كتب عليها موزع البريد (المذكور غير موجود) .

لقد مات صديقي القديم ، ولـم يعرف اسراري التي جاءت متأخرة ، وبالتالي فقد طوى معه اسراره التي كم كنت اود ان اعرفها ..

الرياض — محمد العثمان



معجم المؤلفين العراقيين
١٨٠٠ ـ ١٩٦٩

تاليف كوركيس عواد ـ مطبعة الارشاد ببغداد

اذا ذكرت الاستاذ كوركيس عواد في مجلس من اهل الفضل ، اومض في خواطرهم شيء واحد : الكتب ، الكتب العراقية ، فهو صديقها وقرينها وحبيبها ـ وهي حبيبته ، انه العالم بها ، الخائض غمارها ، العائش فيها ... كان لا هم له في الدنيا سواها . اله هم سواها ؟ يتبعها منذ ولادتها ويسير معها معها .. كانه مكلف بها مسؤول عنها . اله مسؤولية اخرى ؟

جزازاته في جيبه ، ما يكاد يذكر اسم حتى يخرج القلم والجزازة ويحفظه في سجل النفوس : الكتاب وما يخصه ، المؤلف وميلاده ولقبه العلمي وما يمكن ان يكون له غير هذا الكتاب ، قبله ـ او بعده .

واجتمع لديه من ذلك « شيء عظيم القدر »، يبحث عنه ويتقصاه هنا وهناك في كل مكان وزمان ، لا فرق بين ليل ونهار ، وصحة ومرض ، وسفر وحضر .

يقول : « ان شروعنا في هذا العمل كان في سنة ١٩٣٧ ... » اي منذ اكثر من ثلاثين عاما ، ومع ان هذه الحقبة من الزمن ليست قصيرة وليست مما يستهان به ، الا اننا نرى في الـ ١٩٣٧ تاريخا للشروع بالمعجم ، وليست تاريخا للاهتمام بالكتاب والمؤلف ، وليس مالوفا ان تبدأ « هواية » الكتب في الثلاثين من العمر .

اجل ، فقد بدأت قبل ذلك ، منذ كان كوركيس تلميذا في الموصل ... ومعلما فيها .. بدأت بالادب ثم الجغرافية ثم كل شيء ، وكان الفتى يقتر على نفسه من اجل كتاب ، ويحرم نفسه ملاذ الشباب من اجل لذة واحدة لا تعدلها لذة ـ وهكذا تولد الاشياء الجليلة ... الضخمة .

اكثر من ثلاثين سنة في جمع الجزازات ، في مكتبته الخاصة وفي المكتبات العامة والخاصة ، والجرائد والمجلات ، وكتب الفهارس ... اطلاعا وتتبعا وبحثا ومراسلة ، وتخللت الثلاثين « فترات » تطول او تقصر ولكنها تمتلىء بالكتب على اي حال ، فاذ يصدر كتبا يصدرها في هذا الباب او في باب قريب منه : جمهرة المراجع البغدادية ، خزائن الكتب ، فهرست مطبوعات مديرية الآثار العامة ، مشاركة العراق في نشر التراث العربي ... واذ يعيش ، يعيش في هذا العالم او في عالم لصيق به ، وحسبك انه شغل « امانة » مكتبة المتحف العراقي منذ سنة ١٩٣٦ حتى ١٩٦٤ اذ بلغ سن التقاعد ، فاختار التقاعد راضيا بل ملحا في الاختيار لان له مشروعا اثمن من الوظيفة ، واوجب منها : معجم المؤلفين العراقيين . واذ حقق امنيته في التقاعد انطلق نحو الامنية الاسمى ، يجمع ويناقش ، ويقابل ويؤلف ... ولا باس في ان يستجيب ـ خلال ذلك ـ لمكتبة جامعة المستنصرية يهبها ساعات محدودة من كل اسبوع ، فليس في ذلك ما يعكر الصفو ، وليس فيه ما يبعده عما هو فيه وله .

وهكذا يجب ان يكون من يتصدى للحديث عن « المؤلفين » واذا تحقق هذا الشرط تحقق النجاح في التاليف ، فعرف السبب ، وبطل عجبك وانت تنظر الى هذه الـ ١٧٠٠ صفحة التي ملئت اسماء للمؤلفين والمؤلفات، ما لا تعرف منها يبلغ مئات الاضعاف مما تعرف ـ حتى لو كنت من اهل العلم بالكتب عامة وبالكتاب العراقي بخاصة .

انها مسالة غرام وصبر وبذل وجزازات ومنهج ...

ولا تسل : اين جمع كوركيس عواد كل هذا ؟ كيف ؟ ومتى ؟ لان سؤالك اذ يدل على التعجب يدل على الجهل اكثر من اي شيء سواه. انها مسالة عمر ، و « المعجم » كتاب العمر ، والا ، فكيف يتسنى العلم بالمؤلفين العراقيين منذ سنة ١٨٠٠ ، طبعوا داخل العراق وخارجه ، بالعربية والكردية والفارسية والتركية ... والكدانية ... والايطالية ، بأسماء صريحة او مستعارة ، كتبا مهمة او كتبا لا خير فيها ... !

انها مسالة حياة لا ترى سعادتها الا مع الكتب .

وقدم المؤلف معجمه الى القارىء من دون ادعاء او ازدهاء ودون حديث طويل عن جهده وعن حياته ونشاته وتطوره ، لانه لو فعل ذلك لدل على سوء ظن بذكاء القراء ، ان في المجلدات الثلاث من الحالة الدالة على نفسها ما لا يترك داعيا الى وسيلة اخرى من وسائل البيان ـ اما قرات تعريف الجاحظ للنصبة ؟

واخص مزايا الاستاذ عواد تجنب فضول القول في حياته ، كما في مؤلفاته ، كما في المعجم ، ولو شاء ان يجعل من « الثلاث » « عشرا » لكان ، ولكنه لحكمة لم يفعل . « ... فذلك كله مما يخرج عن حدود ما رسمناه لهذا المنهج ... » والخطة اساس متين في العمل العلمي الرصين ، وهي تنبع من طبيعة العمل كما تنبع من طبيعة « العامل » ، والاستاذ عواد مكتبي فقط او مكتبي قبل كل شيء ، ولا بد من تحديد معجم للمؤلفين العراقيين بالشرط الذي التزمه والا تضاعف الجهد وكثر الاضطراب ومرت الايام تلو الايام دون ان يولد للمؤلفين كيان .

انه يدرك الرسالة التي ينهض بها ويعلم انه يقوم بعمله منفردا ، وهذا العمل في هذا الزمن يجب ان يشارك فيه عدة مؤلفين من عدة اختصاصات ، واذ لم يتهيا ذلك ، انبرى للمهمة شخص واحد فكان ذلك سر من اسرار النجاح لاننا ـ ويا للاسف ـ لم نالف العمل مجتمعين ولو بدأ مشروع « معجم المؤلفين » عملا جمعيا لتعثر في اولى خطواته.

اما ما يمكن ان يقع من سهو او وهم او غلط ... فقد احس به المؤلف مبكرا ونص عليه منذ مقدمة المجلدة الاولى : « ... ان هذا المعجم الواسع المترامي الاطراف لا يمكن ان يبلغ حد الكمال ... » « ومن ثمة ، لا بد من الاستدراك ... » ويقع الاستدراك على عاتق المؤلف كما يقع على عواتق القراء والمؤلفين انفسهم واحتجز الاستاذ عواد مكانا لذلك في خاتمة المجلدة الثالثة .

لقد ادى الرجل الرسالة التي اختارها لنفسه ، وكان لنا من ثمارها « معجم المؤلفين العراقيين» فحصر بذلك المشتت وحفظ الضائع واستدرك ما لا يمكن ان يدرك لو تقادم الزمن ... وهيأ للباحثين ـ بذلك ـ منطلقا صالحا لعملهم ووفر لهم وقتا كان يمكن ان يضيع هباء فيما لم يكن من صميم جهدهم .

ووفر ـ كذلك ـ للمسؤولين والقائمين على الكتاب العراقي منطلقا لعمل جليل يمكن ان يؤدوه خدمة للكتاب والباحث والبلد والامة ... والحضارة ، الا وهو تاسيس مكتبة مركزية (او جناح من مكتبة مركزية) خاصة بالكتاب العراقي . وخير لنا ان نبدأ هذا المشروع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصغير الكبير منذ الآن ، والبداية بالممكن خير من انتظار معجزة الكمال ، ولن يدخر مؤلف « المعجم » وسعا في المساعدة والارشاد لان ذلك جزء من « هوايته » وثمرة لمشروعه .

ومن كان مثله لا يعرف الراحة الا فيما هو فيه ، ولا ولا يمكن ان نتصوره قد ودع « الكتاب العراقي » يوم نفض يده من تصحيح آخر ملزمة من ملازم كتابه الضخم ، لكاني به اذ انتهى من التصحيح بدأ مشروعا جديدا مكملا ومتمما ... فلا شك في انه سيكتشف مؤلفا او اكثر لم يتضمنهم معجمه وان اسما او اكثر دخل معجمه دون ان يكون من شرطه ... وان الغيارى على الكمال سيتقدمون اليه بملاحظاتهم وسيكون بين هذه الملاحظات ما لا بد من الاخذ به واذا ، فهو منذ ٢٦ـ ٢ ـ ١٩٧٠ مشغول بمستدرك جديد ، وهو منذ ذلك التاريخ ـ وقبله ـ مشغول بجزازات الكتب التي بدأت في الصدور ... ومن يدرينا ، فلعله رسم خطة خمسية . ولم لا ؟ لا نشك في ذلك ، واننا لنامل ان يظهر المعجم ـ يوما ما ـ في طبعة ثانية ـ ولم لا ؟

ان الاستاذ كوركيس عواد أهل لكل ثقة ، وان ما نعرفه عنه يكفي لان يذكي من آمالنا ويزيد في مطامعنا .

بغداد ـ كلية الآداب **علي جواد الطاهر**

●

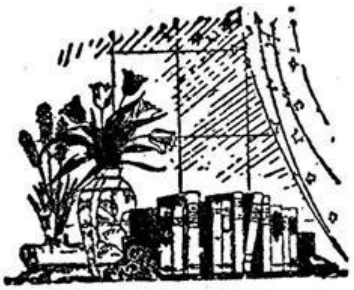
اردنـــا الحيـــاة

مجموعة قصصية ـ تاليف ناجية ثامر ـ ١٠٨ صفحة ـ منشورات دار الكتب الشرقية بتونس

اسعدني في الاشهر الاخيرة ان اتعرف على ادبية تونسية لم اكن قد قرأت لها من قبل الا قليلا . فاطلعت اولا على مجموعتها القصصية « اردنا الحياة » ثم على مجموعتها المسرحية « عدالة السماء » . وقد قدم للمجموعة الاولى احمد بلخوجة فعرفنا على الادبية التونسية التي فتحت مجالا جديدا امام اخواتنا التونسيات في دنيا التعبير الفني ، وسلكت سبيل الاقصوصة والمسرحية لهذا التعبير . واحب الآن ان اقف قليلا عند المجموعة القصصية .

لقد كان عنوان هذه المجموعة يعكس بدقة ما تضمنته من محتوى، فهي عبارة عن عرض بسيط لكثير من الاحداث والاخبار البطولية التي حفلت بها حياة الشعب التونسي الشقيق وهو يقاوم المستعمر ببسالة وشجاعة واباء ، ويسعى الى نيل حريته على جثث ابطاله ، وفي بحور من دماء ضحاياه ، وعلى حساب المآسي التي لا تحصى والتي كانت تحل في كل بيت تقريبا ، بين اب يترك اولاده للاقدار ويضحي بنفسه في سبيل حريتهم المستقبلة ، وبين زوج لم يكد ينعم بهناء الحياة الزوجية منذ سنة من الزمان حتى اقضت مضجعه الآلام والفواجع التي تعاني منها بلاده فلم يرض لنفسه هناء شخصيا بينما المستعمر يعبث بأمن وطنه وحريته فانخرط في صفوف المقاومة ضد الفرنسيين ، وبين امراة ارملة ربت وحيدها بعرق جبينها وخشيت عليه هبوب النسيم ان يعكر صفوه حتى اذا اصبح شابا سويا ابى لنفسه حياة التقاعس عن خدمة وطنه ، وان كان سيخلف وراءه اما ثكلى فاقدة كل امل لها في الحياة ... بين هذه المواقف والمآسي وامثالها كان الشعب التونسي يتطلع الى حريته ولا يضن على بلاده بشيء من التضحية مهما غلت في سبيل هذه الحرية . وكانت اديبتنا ترصد هذه الوقائع وتحاول عكسها في نتاجها الادبي .

واذا اردت مناقشة الافكار التي تركزت حولها قصص هذه المجموعة فانه يمكنني القول بانها افكار تصور المثالية بعينها . وربما



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

Tel : Dir : 223819 الادارة ٢٢٣٨١٩
Dle : 225139 المنزل ٢٢٥١٣٩ تليفون :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم تكن المؤلفة مبالغة او مغالية في عرض هذه الصور المثالية من بطولة شعبها ، لانني اعتقد ان اي شعب لا ينال استقلاله ويقهر اعداءه ما لم يتمتع افراده بما يمائل تلك النفسيات الابية المقبلة على البذل والتضحية عن طيب خاطر . وبالتالي فقد كانت شخصيات هذه القصص شخصيات مثالية كذلك ، الا انه ينقصها شيء من التحليل الدقيق لنسفياتها . فهي تعرض علينا عرضا عابرا لا تكاد تظهر فيه حتى تختفي . وربما استطعت القول بأن ما اوردته المؤلفة من قصص اشبه ما يكون بخلاصة او ملخص لقصص اطول منها واكثر تحليلا وتصويرا للشخصيات والبيئة . فالاحداث موجزة العرض ، والشخصيات لم نر منها الا ملامح بسيطة ترتكز جميعها على مفهوم واحد هو مفهوم التضحية والبذل والشرف والانفة ، او بعبارة ادق مفهوم الشهامة الوطنية بكل ما فيها من معان .

وربما كان مناسبا الآن ان اقول ان المجموعة لا تكاد تزيد على مئة صفحة من القياس الصغير ، عدا المقدمة . وان هذه الصفحات تحوي اربع عشرة قصة ، فكل قصة يشعر قارئها لا بايجاز احداثها ولكن بقصور التحليل للمواقف والنفسيات ، وضعف التصوير للشخصيات، كما في القصة الاولى « ولاء الى الابد » حيث تتلخص بأن ممرضة كانت تمرض الجرحى وتفكر في امر خطيبها الذي ذهب الى المعركة ، ثم انتهت المعركة ولم تسمع عن خطيبها خبرا فتأكدت لها وفاته وظلت محافظة على شرف عملها وفاء لمهده . فهذه القصة ، كما قلت ، لم تحو العرض الدقيق للاحداث ولا التحليل الكافي للنفسيات ، ولا التصوير الدقيق للشخصيات بالاضافة الى ان ختامها يكاد يبعدها عن المفهومات الفنية للقصة ، اذ اصبحنا خلاله في نطاق حديث اخباري مشجع غايته بث الوطنية في نفوس القراء ، وليس له ارتباط مباشر بحدث محدد او بشخصية معينة .

واسلوب الكاتبة سهل مرن شيق الا انه يخرج عن اسلوب السرد القصصي الى ما يشبه اسلوب الخطاب او المحاضرة في بعض الاحيان كما في قصة « ليلة ليلاء » حين تقول « ذلك هو شان القوي مع الضعيف ... انه لا يعرف الا لغة الحديد والنار يسكت بهما كل من يرفع اصبعه للاحتجاج على الظلم والطغيان .. » ص ـ ١٣ . علما بان هذه العبارة لم تأت على لسان احد من الابطال ، وانما جاءت هكذا اعتباطا بلغة المؤلفة فقط بين ثنايا القصة .

واخيرا فان الافكار والاحداث والشخصيات التي تضمنها الكتاب كلها تناسب فن القصة ، ولكن لم تأت بشكل قصص فنية بكل ما في كلمة الفنية من معنى .

فعسى ان تكون هذه المجموعة خطوة اولى في طريق واسع الخطوات مركز السير في عالم الفن الادبي والتعبير القصصي ، ليفيد جيلنا العربي في مختلف اقطاره من الروح المثالية التي تسعى الاخت ناجية الى بثها في نفوس قرائها .

دمشق — لطفية الشهابي

•

الامام علي بن أبي طالب

تاليف روكس بن زايد العزيزي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة النعمان بالنجف العراق

.اعرف ويعرف القراء كثيرين من غير المسلمين الذين كتبوا عن الاسلام ورجاله ، فمنهم مستشرقون انصفوا الاسلام ، او تحاملوا عليه ، ومنهم عرب مقيمون او نازحون .

ومن هؤلاء النازحين كثير من المهجريين ، الذين احسوا في بلاد الغربة بالانتماء الى كل ما هو عربي ، حينما احسوا بعزلة الغرباء ، وخافوا ان تذهب هذه الغربة بعروبتهم ، او تميع شخصيتهم ، او تذيبهم في تيار الحياة الجديدة .

ومعظم هؤلاء اشادوا بمحمد ومبادئه ومثله ، بعد ان تخلصوا من العصبيات الجاهلية ، وذابت من نفوسهم النعرات، وتقارب في خاطرهم الانسان والانسان ، فسقطت الحواجز ، وبقي جوهر الاديان يوحدهم كعرب .

وقد شاع ذلك في شعر كثير من شعرائهم ، وخاصة شعراء المهجر الجنوبي ، حتى اننا لنقرأ ذلك بغزارة في اشعار الشاعر القروي ، وجورج صيدح ، والياس فرحات ، وكثيرين من الذين كانوا يحتفلون في امريكا الجنوبية دوريا بمولد الرسول محمد ، وعيد الفطر ، وعيد الاضحى ، وغيرها من المناسبات الاسلامية التي كانت تقام لها المهرجانات ، يتبارى فيها الشعراء والكتاب والخطباء في تمجيد الرسول ، والاشادة ببطولاته ومعجزاته ورسالته ، والاستنجاد بمبادئه لوحدة العرب ونصرتهم ، وتخليصهم من المحن التي يقاسونها .

والحق ان هؤلاء الشعراء والكتاب والخطباء لم يكونوا يسلمون من ألسنة بعض السطحيين ، واقلام بعض المتعصبين .

على ان الذي يتأمل في انتاج هذه المناسبات يلاحظ انها تتسم بسمة معينة ، هي الاعتزاز بمحمد كبطل عربي صاحب رسالة ، وان دينه هو دين العرب ، وانه ارسل الى العرب كطلائع لنشر تعاليمه ومبادئه في البلاد العربية اولا ، ثم منها يشع النور حتى يغمر وجه الارض ، وهذا وحده كاف للاعتزاز بمحمد واصحابه .

على ان هناك نماذج فريدة من الباحثين في هذا الاتجاه ، يذكر منهم ـ على سبيل المثال ـ الشاعر الكاتب المهجري الياس طعمة ، الذي سمى نفسه باسم اسلامي ، هو « ابو الفضل الوليد » ، والذي كرس كل شعره ، او معظمه ، للاشادة بمحمد ورسالته ، لا كزعيم عربي فحسب ، بل كنبي ورسول الى العرب خاصة والى الناس كافة، ولقد اندمج هذا الكاتب في مبادىء الاسلام ومثله ، ووقف نفسه على الاشادة بها وبصاحبها ، والدفاع عنها ، حتى ليمكن ان يعد داعية اسلاميا ، اشجع واجرأ واكثر حماسة من كثير من أصحاب الدين ، وقد خصه الدكتور اسحق موسى الحسيني رئيس قسم الدراسات الادبية بمعهد الدراسات والبحوث التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة ببحث قيم مستفيض في محاضراته ، اوضح فيه جوانب حياته ، واشعاره ، ونضاله في سبيل الاسلام عن اقتناع ، وقد اتهمه بعض المتزمتين بالجنون .

وثاني هذه النماذج هو الدكتور نظمي لوقا ، الذي كتب كتابه «محمد .. الرسالة والرسول » الذي اثار ضجة كبيرة في بعض الاوساط ، لانه اوضح فيه بالمنهج العلمي ضرورة الرسالة الاسلامية للعالم اليوم ، وأشاد بصاحب الرسالة لا كشخص ممتاز ، ولا كبطل ، ولكن كرسول مبعوث من لدن السماء لهداية البشر الى ما يصلح اولاهم واخراهم .

اما النموذج الثالث فهو صاحب الكتاب الذي بين أيدينا ، وهو الكاتب الاردني الحر ، روكس ابن زائد العزيزي ، الذي اداد كتابه حول « الامام علي ـ أسد الاسلام » .

وعلي بن أبي طالب يعد في نظر الكثيرين من مفكري المسيحيين بطلا شجاعا مقداما ، ومحاربا لا يقهر ، ومناضلا يستحق التمجيد .

ولقد سبق الى هذا التمجيد الشاعر الفيلسوف اللبناني بولس سلامة في ملحمته « عيد الغدير » ، لكن سمة التمجيد العاطفي للبطولة الاسطورية شيء ، وما كتبه روكس العزيزي في هذا الكتاب شيء آخر ، فقد تناول المؤلف في كتابه جانبي سيرة علي بن ابي طالب ، الجانب البطولي ، والجانب العقائدي في أسلوب بالغ الغاية في

الحماس النابع من الايمان ، والتعاطف النبيل مع صاحب السيرة .

ولقد مهد لذلك بتمجيد علي فيما يشبه القصيدة الشعرية الرائعة ، وفي الباب الاول تناول اساسيات سيرته ، من الصورة التي تخيلها الى مولده وسجاياه ، وسجاياه الشخصية ، من الشجاعة ، والحلم ، والتسامح والانسانية ، والزهد ، والتواضع ، والكرم ، والعدالة ، وسداد الراي ، وصدق الفراسة ، ثم عاد الى عصره ، ونشاته في الجاهلية ، ثم دوره في كتابة القرآن وجمعه وترتيبه .

وعندما مس الاحداث التي جرت في حياة علي في الباب الثاني من الكتاب ، تحدث عن اضطهاد الامام ، والتحامل على سمعته ، وعن علمه ، وكيف بايع من سبقه ، ثم كيف بويع هو ، ثم حكمه وسياسته، وكيف عالج مشكلة الفقر ، كما تحدث عن حروبه وكيف كان يعامل خصومه في نبل .

وفي الباب الثالث تحدث عن الصلة بين علي والرسول ، ثم عن فلسفته الدينية ، وقيادته الحازمة والشيعة ، والخوارج ، وحديث الغدير ، وأسرة الامام ، وزهده ، والامام المعلم والمؤدب ، والمبتكر الذي سبق عصره ، وخدمته للاقتصاد العربي ، وعداوته للسفاهة ، ورايه في اصناف المتعبدين ، وترفعه عن المطامع .

وفي الباب الرابع تحدث عن الامام كمجدد عبقري ، وعن روح الدعابة فيه ، وعداوته للجمود ، وموهبته التنظيمية ، ثم تحدث عن الامام والرعية ، وسوابقه في تاكيد حقوق الانسان .

اما الباب الخامس فيكاد يكون مخصصا للابداع الادبي للامام ، ومن بينه حكم الامام التي لا تموت وشعره ، والعلوم التي نسبت اليه، واثر الامام في المثقفين العرب ، ثم تقييم المؤلف لهذا الانتاج ، واخيرا كلمة ختامية .

وبعد .. فهذا المام شبه كامل للعناوين التي ضمها هذا الكتاب، وليس من المستطاع في هذه الكلمة اشراك القارىء فيما تحت العناوين، لكن القارىء اذا قدر له ان يفتح هذا الكتاب فليس في مقدوره ان يتركه حتى يفرغ من قراءته ، ذلك لان وسائل الاستهواء التي يتمتع بها ذلك السفر القيم كثيرة ، ففيه اللوحات الرائعة المفعمة بعاطفة الحنان والبر بالامام ، عن اقتناع وحماس فياض .

ومن بين وسائل الاستهواء والتشويق ان هذا الكتاب ليس تاريخا للفترة وليس ترجمة لحياة علي بالمعنى الكامل ، ولهذا خلا من جفاف التاريخ وحركته البطيئة المملة ، واتخذ طريق اللقطات المضيئة للجوانب الرائعة في حياة البطل ، وترك للقارىء مهمة التسلسل والربط ، وذلك بالاستغراق في دنيا الامام المليئة بالطهارة والنبل والحكمة حيال الاحداث الجسام التي عاشها بالطول وبالعرض ، وقد كان لا بد لهذه المرحلة مرحلة التحول العنيف المفعمة بالصراع ـ كان لا بد لها من هذا البطل الذي يصون الدين ويحفظ على العرب والمسلمين وحدتهم وشخصيتهم وسط هذه العواصف العاتية .

واذا كان هذا الكتاب يشكل معرضا رائعا من اللوحات الشاعرية التي تجلي جوانب لامعة من شخصية الامام وعبقريته وعلمه وخلقه وخبرته بشؤون الدين والدنيا الى جانب مميزاته الشخصية فحسبنا هذا من مؤلف محب مشغوف بهذه الشخصية النادرة الفريدة على هذا العالم .

ومع ان القارىء قد يلاحظ ما يشبه التكرار في بعض الفصول ، وامكانية ان يكون هناك تنسيق اوفق بين هذه الفصول والابواب ، فانه ولا شك سيجد مواضع كثيرة قابلة للمناقشة ، حتى لا تؤخذ اقوال المؤرخين ماخذ النصوص الملزمة ، وحتى لا تمر الاحاديث الموضوعة دون مناقشة .

لكن البحث بالرغم من ذلك ماخوذ من وجهة نظر منهجية ، اذ ان المؤلف ـ مع شاعرية اسلوبه ـ لا يخترع ، ولا يلقي الحديث جزافا، ولا يخطو خطوة الا والشواهد النصية ومن ورائها المراجع نصحبه ، وتثبت اقدامه ، وان كانت هذه المراجع تحتاج الى تصفية وانتقاء ، حتى لا تجرنا بحسن نية الى افتراض مسبق او حكم موجه . كما ان هذه المراجع الكثيرة ومؤلفيها الاجلاء من عرب واجانب كنا نتمنى ان تظهر في ثبت مستقل في نهاية الكتاب .

واخيرا .. ومع هذه الملاحظات الصغيرة ، فاننا سعداء بصدور هذا الكتاب عن هذا المؤلف في هذا الوقت .

فنحن نؤمن ايمانا عميقا بشخصية الامام العبقرية وقدرته على النضال والتفاؤل حتى في احلك الظروف ، كما نحن مؤمنون بصدق توماس كارليل عن الامام علي وهو يقول : « لا يسع المرء غير المتعصب الا ان يعجب بشخصيته الملهمة المحبوبة للغاية ، لما عرف عنه من اخلاص تام ، وتفان متناه لمعلمه وسيده محمد صلى الله عليه وسلم» .

وها قد فعل الاستاذ روكس العزيزي ، فعل ما هو اكثر من الاعجاب ، فهو قد سجل باصدار هذا الكتاب شهادة ميلاد جديدة للقيم السامية والخالدة التي شرعها علي بن ابي طالب في حومة الصراع الرهيب التي خاضها ، والتي كان شعارها يومئذ : « الغاية تبرر الوسيلة » ولكنه لم يعتنق هذا الشعار ، وآثر ان يسير في طريق الحق ، وعلى صراط القوة المعلنة ، قوة الكلمة الصريحة ، وقوة الفعل الجريء ، واحتمل مسؤولية نتائجها بشجاعة مهما تكن النهاية ، وقد كانت النهاية مؤسفة بلا شك ، ولكن عليا بقي باخلاقه ، وبالقيم التي اثلها معلما من معالم الانسانية تهتدي به الاجيال عبرَ المئات والآلاف من السنين .

جزى الله روكس العزيزي عن القيم والانسانية خير الجزاء ، وبارك له في كتابه الذي يقول عنه : « ان كلماته لم يعوزها الاخلاص»، وهذا حق وصدق ، ونحن به سعداء ومرحبون .

القاهرة — رضوان ابراهيم

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

•

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ احمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعرة الانكليزية ايديث سيتويل

EDITH SITWELL

في ترجمة ايطالية جديدة

حمل الي البريد الايطالي اخيرا كتابا لطيف الحجم ، انيق الاخراج ، هدية من الصديقة الشاعرة والمحامية الايطالية السيدة لينا انجيوليتي. يقع الكتاب في مئة وثمانين صفحة من القطع الوسط ، وعنوانه « اغنية الوردة » . وهو يشتمل على ترجمات باللغة الايطالية لمجموعة من شعر الشاعرة الانكليزية ايديث سيتويل ، التي توفيت عام ١٩٦٤ . وقد ظهر في منشورات دار Guanda في مدينة Parma في ايطاليا هذا العام ١٩٧٠ .

للكتاب مقدمة طويلة كتبتها السيدة انجيوليتي ، وتقع في ٣٨ صفحة ، ترجمت فيها للشاعرة الانكليزية ، ونقلت الى اللغة الايطالية قسما كبيرا من مقدمة طويلة كانت الشاعرة الانكليزية قد كتبتها لمجموعتها الشعرية . وكان عنوانها « ملاحظات حول شعري الخاص ».

يشتمل الكتاب على ثلاثين قصيدة من شعر ايديث سيتويل منشورة بالنص الانكليزي ، وتقابله الترجمة الايطالية ، لاتاحة الفرصة لمن يرغب في مطالعة الشعر بلغته الاصلية او في المقارنة بين الاصل والترجمة . واخر القصائد الثلاثين قصيدة عنوانها « اغنية الوردة » وهو عنوان المجموعة الشعرية كلها ، وكان في الاصل الانكليزي . وجدير بالذكر ان الترجمة قريبة الى حد غير قليل من الاصل ، ولكن هذا لا يمنع من ان تكون هناك احيانا اخطاء في الترجمة ، ولكنها قليلة.

وليس هذا اول كتاب تترجمه الشاعرة لينا انجيوليتي عن الشاعرة الانكليزية ايديث سيتويل ، فهي ، كما يبدو ، معجبة بشعرها الرمزي الكثيف الغامض ، ذي الرموز التي لا يسهل حلها . لقد سبق ان صدر للسيدة لينا في اوائل عام ١٩٦٤ ـ العام الذي توفيت ايديث سيتويل في نهايته ـ كتاب آخر بعنوان « قصائد العصر الذري » (١) ـ وهي من القصائد التي كتبتها الشاعرة الانكليزية في اعقاب قنبلة هيروشيما . وفي ذلك الكتاب الاول اتبعت الشاعرة الايطالية الاسلوب عينه في تقديم النص الانكليزي ، وتقابله الترجمة الايطالية . وفي الكتابين : « قصائد العصر الذري » و « اغنية الوردة » ، كان الدافع لدى الشاعرة الايطالية الى الترجمة واحدا ، وهو شعورها بالنقص في المكتبة الايطالية التي تخلو من ترجمات لشعر هذه الشاعرة الانكليزية الكبيرة المعاصرة . ولذلك رأت ان تعوض هذا النقص بنفسها ، فترجمت الكتاب الاول عام ١٩٦٤ ، ثم تلته الآن بهذا الكتاب الثاني في هذا العام .

القصائد التي يشتمل عليها كتاب « اغنية الوردة » تعتبر اجود ما كتبته الشاعرة البريطانية الشهيرة من شعر في كتابها « قصائد اخيرة » خلال الحرب العالمية الثانية ، وهي جميعا قصائد تمجد الحياة ، ويربط بينها جميعا خيط واحد يجعل منها نصا واحدا . في هذه القصائد ـ كما تقول المترجمة ـ تجد « رهبة الحرب ، والعنف بشكل عام ، واحتقار المال باعتباره عامل افساد للقيم الخلقية ، وتأكيد المساواة بين البشر كأساس يقوم عليه المجتمع الجديد ، والقوة المعبرة ، والتوازن بين الشكل والمضمون ، وكل هذه المزايا تجعل من هذه المجموعة الشعرية عملا حيا مناسبا للزمن الحاضر ، يندمج بحق في نطاق حركية الثقافة العالمية » .

اما المترجمة ، السيدة لينا انجيوليتي ، فقد ولدت في مدينة فيرونا ، في الشمال الايطالي ، ونالت شهادة الحقوق ، وتعيش وتعمل مع زوجها وابنتها في ميلانو . ولها عدد من الدواوين الشعرية ، بينها واحد يشتمل على مجموعة قصائد اوحت بها فجيعتها بولدها الوحيد « سيرجيو » . ولها كذلك رواية بعنوان « ريبة معقولة » Un ragionevole Dubbio وهي تكتب في عدد من الصحف والمجلات ، وتتنوع كتاباتها بين القصة ، والرواية ، والشعر ، والنقد الادبي ، والترجمة من الآداب الانجلوسكسونية الحديثة بشكل خاص ، ومن شعر الطليعة بشكل اخص . ولقد اتيح لي ان اعرف هذه الشاعرة عام ١٩٦٠ ، وان تدعوني الى زيارتها في منزلها . وكان واسطة اللقاء الشاعر المرحوم سلفاتورة كوازيمودو ، الفائز بجائزة نوبل عام ١٩٥٩ ، وذلك في حفلة عشاء اقامها في ميلانو تكريما لي ، وكانت لينا انجيوليتي بين المدعوين .

اما ايديث سيتويل فهي واحدة من الثالوث الشعري الغربي الذي ترك آثارا واسعة في شعر الاجيال الجديدة في الغرب ، وكذلك في الشرق . وافراد هذا الثالوث الشعري هم : ايديث سيتويل ، عزرا باوند ، وت. س. ايليوت . ويعتمد شعرهم على الثقافة الواسعة ، ولا سيما الاسطورية ، وعلى كثرة الرموز المستوحاة من الاساطير القديمة ، ومن التوراة والانجيل بشكل خاص ، كما يعتمد على التحرر من القيود الشكلية الى حد غير قليل .

ومما هو جدير بالذكر ـ استطرادا ـ ان الشاعر العراقي المرحوم بدر شاكر السياب كان قد تاثر تاثرا مباشرا شديد الوضوح في شعره بالشاعرة ايديث سيتويل، وكذلك بالشاعر ت. س. ايليوت . ومن غرائب الصدف ان الثلاثة قد ماتوا معا في اقل من شهر واحد تقريبا : فقد توفيت ايديث سيتويل في منتصف شهر ديسمبر عام ١٩٦٤ ، ثم تلاها بدر شاكر السياب بعد نحو عشرة ايام ، في ٢٤ من الشهر عينه ، وجاء بعدهما دور ايليوت ، بعد نحو عشرة ايام اخرى ، في اوائل شهر يناير ١٩٦٥ .

لقد ولدت سيتويل في اسرة انكليزية عريقة عام ١٨٨٧ . ولها شقيقان شاعران ايضا . ولقد نهجت في شعرها نهجا جديدا ، فيه

١ ـ سبق ان راجعنا هذا الكتاب في عدد مايو ١٩٦٤ من مجلة « الاديب » (ع. ن) .

صدر حديثا

في الشعر المسرحي

احمد شوقي ، عزيز اباظة ، عدنان مردم بك

تاليف

عدنان بن ذريل

•

منشورات دار الاجيال بدمشق

وهو دراسة تحليلية موضوعية في المسرح

الشعري لهؤلاء الرواد الثلاثة ...

رمزية مغرقة ، فكانت لذلك عرضة للاقلام الناقدة التي لا ترحم ، مما اضطرها الى الدفاع الطويل عن مذهبها الفني لايضاح اسلوبها الرمزي للقراء . وبعد عام ١٩٣٠ انقطعت الشاعرة عشر سنوات عن كتابة الشعر ، وانصرفت خلال تلك المدة الى كتابة القصة ، والتاريخ ، والنقد . ولكنها لم تلبث ان عادت الى الشعر في أثناء الحرب العالمية الثانية ، بعد عام ١٩٤٠ . وفي عام ١٩٤٢ ظهر ديوانها « اغاني الطرق » ، ثم تلاه بعد عامين ديوان « الاغنيات الخضر » . وهذه القصائد التي كتبتها ايديث سيتويل من عام ١٩٤٠ فصاعدا جمعت بعدئذ تحت عنوان « قصائد اخيرة » في مجموعة قصائدها المسماة « القصائد المجموعة » والتي تقع في ثمانية اجزاء .

هذه ، باختصار ، هي الشاعرة الانكليزية ايديث سيتويل ، وتلك هي ، باختصار كذلك ، مترجمتها الى اللغة الايطالية الشاعرة لينا انجيوليتي ، وذلك هو كتابها الجديد الذي يضم ترجمات لعدد كبير من قصائد الشاعرة سيتويل ، قدمتها الى القراء الايطاليين في نطاق التبادل الثقافي بين الشعوب ، واغناء الثقافات المعاصرة .

عمان ـ الاردن **عيسى الناعوري**

●

تلك اللحظة من حياة العالم

مجموعة قصص ـ تأليف محمد جبريل ـ ١١٢ صفحة ـ لجنة النشر للجامعيين ـ مطابع رابطة الاصلاح الاجتماعي بالقاهرة

الاستاذ محمد جبريل ، قصاص وناقد شاب لا يتعدى الثانية والثلاثين من عمره ، له دراسات عديدة في القصة القصيرة ، نشرت في صحف ومجلات القاهرة ، وفي مجلة « الرواد » الليبية . وهذه هي مجموعته القصصية الاولى . يقول الاب جاك جومييه المستشرق الفرنسي في دراسته عن المجموعة والملحقة في ذيلها : « اذا اردنا ان نقيم فن محمد جبريل ، علينا ان نركز على تكنيكه الذي يثير من خلاله القضايا التي اصبحت تتناولها السينما بكثرة والتي تبرز منها قضية التعبير عن القيم السيكولوجية غير المباشرة .. وذلك بان تتكلم المواقف دون حاجة الى العبارات .

في هذا السياق نجد عند الكاتب اجابات ممتازة تتميز بثراء تكتسب قيمته من المكان والزمان اللذين يلفان في هذا السياق . وفي نفس الوقت يظهر الفنان مقدرة عالية .. وفكرا متفوقا واحساسا بالانسانية تجدر الاشارة اليه .

ومما لا شك فيه ان القارىء سيجد متعة حقيقية في قراءة هذه المجموعة القصصية ، لان خصائص الاسلوب .. واصالة الفكر تجعل من المجموعة عملا لا بد وان يكون موضع اهتمام وتقدير » .

والمجموعة تضم سبع قصص قصيرة هي : الخيوط ، وخارج الحدود ، والقرية التي عرفت الحب ، ويا سلام ، وموقف ، وبرج بابل ، وتلك اللحظة من حياة العالم .. نشرت كلها من قبل في مجلتي « القصة » و « الرواد » .

والشيء الذي يجدر بي ان اشير اليه ، ان عمل محمد جبريل كصحفي في جريدة « المساء » القاهرية ، اثر على اسلوبه في المعالجة فجعله يحتضن قضايا العالم المعاصر .. باسلوب لاهث سريع .. ولكنه ليس ركيكا .. ان هذه المجموعة كما يقول الاب جاك جومييه محاولة للمزج بين الفكر والفن .

القاهرة **حسين علي محمد**



● في الادب التونسي ـ تأليف محمد الحليوي ـ ٣٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية .

● ظهور الاسلام ـ تأليف محمد الحبيب شلبي ـ ٨٤ صفحة ـ سلسلة « اعلم » ـ منشورات الدار التونسية للنشر بتونس ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فلسطين وكبرياء الجرح ـ مجموعة شعرية ـ حسن عبد الله القرشي ـ صمم الغلاف الفنان بيكار ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الافرنج في حلب في القرن الثامن عشر ـ لم يذكر اسم المؤلف ـ تعريب وشرح وديع عبد الله قسطون ـ تقديم عبد الله يوركي حلاق ـ ٢٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الضاد بحلب .

● عودة الرجل المهزوز ـ مجموعة قصص ـ تأليف خضر عبد الامير ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار الكلمة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .

● العلاقات العامة ـ تأليف ج. شوميلي ود. هويسمان ـ ترجمة فريد انطونيوس ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ سلسلة مكتبة الفكر الجامعي ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● بابل الخاطئة ـ مسرحية ـ تأليف محفوظ ايوب ـ الغلاف للفنان مصطفى الارناؤوط ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطبعة الاداب والعلوم (؟) .

● ادبنا الضاحك ـ تأليف عبد الغني العطري ـ ٣٧٢ صفحة ـ منشورات دار النهار ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نظرة اجمالية في الادب المهجري ـ تأليف عيسى الناعوري ـ ٦٤ صفحة ـ منشورات مكتبة الاستقلال بعمان الاردن ـ المطبعة الاقتصادية بعمان .

● لتحترق الحدود ـ مجموعة شعرية ـ زياد نجيب ذبيان ـ ١٦٠ صفحة ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● كلمات مهاجرة ـ مجموعة شعرية ـ كمال نشات ـ مزينة بالرسوم بريشة سعيد المسيري ـ ٦٤ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة (فرع الساحل) ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة ـ تأليف محمد اسد شهاب ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار لبنان للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اضواء على الدبلوماسية ـ تأليف احمد عبد المجيد ـ ٣٠٤ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ مطابع سجل العرب بالقاهرة .

● المنبع ـ مجموعة قصص ـ تأليف علي كامل ـ ١٤٨ صفحة ـ منشورات عالم الكتب بالقاهرة ـ مطبعة مخيمر بالقاهرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● ضجة النهار ـ مسرحيـــة ـ تاليف عبد المجيد لطفي ـ الغـلاف بريشة سلمان داود ـ ٨٤ صفحة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجـف العـراق .

● دروس في مجال التفكير الاسلامي ـ تاليف غازي سعيد السعد ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع النعمان بالنجف الاشرف العراق .

● من وحي الفكر ـ تاليف محمد مزالي ـ تقديم البشير بن سـلامة رئيس تحرير مجلة الفكر ـ ٣٦٨ صفحة ـ منشورات الفكر ـ مطبعـة المصلحة الجغرافية « الدفاع الوطني » بتونس .

● ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة ـ تاليف الدكتور علي جواد الطاهر ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ مطبعة الارشاد ببغداد .

● معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠ ـ ١٩٦٩ ـ تاليف كوركيس عواد ـ المجلد الثاني (ز ـ ف) ـ ٥١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه ـ مطبعة الارشـاد ببغداد .

● معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠ ـ ١٩٦٩ ـ تاليف كوركيس عواد ـ المجلد الثالث (ق ـ ي) ـ ٧٠٤ صفحـة ـ حجـم كبـير ـ سـاعد المجمع العلمـي العراقي علـى طبعه ـ مطبعة الارشاد ببغداد .

● ابو نواس شاعر من عبقر ـ تاليف الدكتور زكي المحاسني ـ طبعة ثانية ـ ١٢٠ صفحة ـ سلسلة مفكرون من الشرق والغرب ـ منشورات دار الانوار ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● صلاة العطر ـ مجموعة شـعرية ـ تاليف عبد الخالق فريـد ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات مؤسسة الخانجي بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● مقدمة الادب الفلسطيني في المعركة ـ تاليف ثريا ملحس ـ ١٢٨ صفحة ـ يرصد ريعه للقضية الفلسطينية ـ (صدر في بـيروت) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● القمر في حياتنا وتراثنا ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش عضـو لجنة الفنون الشعبية ـ ٥٦ صفحة ـ الكتاب ٢٧ في سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات ـ طبع في دير الزور بسوريـة (لم يذكر اسـم المطبعـة) .

● قصائد من يفتوشنكو ـ مجموعة شعرية ـ مترجمة عن الروسية باشراف المستشرقة الينا استيفانوفا ـ راجعها نزار قباني ، ادونيس ، بلند الحيدري ـ الغلاف تصميم عبد القادر ارناؤوط ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات المؤسسة اللبنانية للنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● نداء الغاب ـ مجموعة شعرية ونثرية ـ وديع رشيد الخـوري ـ تقديم ايليا ابو ماضي ـ طبعة ثانية مزيدة ومنقحة ـ ٢٦٨ صفحـة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة دار الريحاني ببيروت ـ (لـم يذكـر اسـم المطبعـة) .

● حزب الاستقلال الجمهوري ، من المقاومة الوطنية ايام الانتـداب الفرنسي ـ تاليف عادل الصلح ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حين يقصر السـفر ـ مجموعـة قصصيـة ـ تاليف موفق هاشم الشديدي ـ صمم الغلاف حميد توفيق ـ ١٤٤ صفحة ـ ساعدت نقابة المعلمين على طبعه ـ منشورات دار الكلمة ـ مطبعة الغـري الحديثـة بالنجـف العـراق .

● الحلل السندسية في الاخبار التونسية تاليف محمد بن محمـد الاندلسي الوزير السراج ـ تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلـه ـ الجزء الاول ـ القسم الثاني ـ ٥٦٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلـة نفائس المخطوطات ـ منشورات الدار التونسية للنشر ـ مطابع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● صلعاء يا حبيبتي ـ قصة طويلة ـ تاليف عبد القادر بن الحـاج نصر ـ ٢٤٠ صفحة ـ نادي القصة ابو القاسم الشابي ـ سلسلـة قصصية يشرف عليها محمد العروسي المطـوي ـ منشورات الـدار التونسية للنشر ـ مطابع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● صدت الثلج ـ قصائد نثر ـ لؤي الزهيري ـ الغلاف بريشـة ستار الشيخ ـ ٤٠ صفحة ـ مطبعة الزوراء الحديثة (؟) (طبع فـي العراق) .

● سيزيف يتمرد ـ مجموعة شعرية ـ حياة جاسم ـ مصمم الغـلاف محمد سعيد الصكار ـ الخطوط لعزيز النائب ـ ٥٦ صفحة ـ مطبعـة الجمهورية (؟) ـ (صدر في بغداد) .

● الانهاء غير المشروع لعلاقات العمل ، محاولة لتاصيل الجـزاء ـ تاليف الدكتور مصطفى محمد الجمال مدرس القانون المدنـي بكليـة الحقوق بجامعة الاسكندرية وجامعة بيروت العربية ـ ١٥١ صفحة ـ و ١٧ صفحة باللغة الفرنسية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دراسة في قانون الضمان الاجتماعي اللبناني : المخاطر التي يغطيها ضمان طوارىء العمل ـ تاليف الدكتور محمد لبيب شمس الاستاذبكلية الحقوق بجامعتي بيروت العربية وعين شمس ـ ٦٤ صفحـة ـ و ٨ صفحات باللغة الفرنسية ـ منشورات جامعة بيروت العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دور الشباب في الحياة السياسية ـ كلمة الدكتور شمس الديـن الوكيل رئيس جامعة بيروت العربية ، في حفل افتتاح المؤتمر الدولي السادس للجمعية اللبنانية للعلوم السياسية ـ ١٤صفحة ـ منشورات جامعة بيروت العربية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اعلام في الادب الانساني ـ تاليف ابراهيم المصري ـ ٢٩٦ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ المطبعة الفنية الحديثة بالقـاهـرة .

● اوراق على رصيف الذاكرة ـ مجموعة شعرية ـ عبد الرزاق عبد الواحد ـ الغلاف والخطوط لمحمد سعيد الصكار ـ ٢٥٢ صفحة ـ طبع بمساعدة وزارة الثقافة والاعلام العراقيـة ـ مطبعة الاديـب البغداديـة .

● نهاية رئيس ـ مسرحية نثرية ـ تاليف هلال ناجي ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● العمدة : رسالة في الخط والقلم ـ تصنيف عبد الله بن علـي الهيتي المتوفي سنة ٨٩١ هـ ـ حققه وقدم له هلال ناجي ـ ٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● احمد بن فارس : حياته ، شعره ، اثاره ـ تصنيف هلال ناجي ـ ٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● ديوان العيد ـ يوسف العيد ـ الديوان مخطوط بريشة البـير شويري ـ ٢٠٦ صفحة ـ حجم كبير ومجلد ـ طبع في الارجنتين .

● اليك ـ مجموعة شعرية ـ هدى نعماني ـ ٩٢ صفحة ـ مع عـدة لوحات ـ دار النهار للنشر (؟) ـ (طبع في بيروت) (لم يذكـر اسم المطبعـة) .

● صور حاضرة فينيقيا ـ تاليف معن عرب ـ ٢٦٢ صفحة ـ حجـم كبير ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● جبران خليل جبران : مختارات ودراسات ـ جمعه وصنفه سهيل بديع بشروئي ـ قدم له اسطفان فيلد ـ ١٤٩ صفحة باللغة العربيـة ـ و ١٦٧ صفحة باللغة الانجليزية ـ منشورات دار المشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البلاغـة ومصطلحها اليوم

بقلم عدنان بـن ذريل

* * *

مصطلح (بلاغة) مصطلـح معايش ، ويقصد (علـم الاسلوب) ، أي فنية القول الإدبي ، وما به الادب أدب.

انه مصطلح حي الدلالة، اليوم، ومعبرها.. لانه لم يستنفد طاقات مدلولاته اللغوية والاصطلاحية ، خاصة ان حلاوة لقيانا به بعد تلك الحقب الطويلة التـي عاش فيها عيشات مختلفة بين نشوء وازدهار ثم خمود وجمود قد اسلمته لنا يدل على مجموعة العلوم الثلاثة : المعـاني والبيان والبديع .. وليس على علم واحد بمفرده منها ..

كانت هذه المصطلحات القديمة (المعاني والبيان والبديع) ، هي موضع الاستهلاك الاصطلاحي المتطور .. وكان وجودها ، وبالتالي استهلاكها في دلالات متطورة ، هو الذي دفع عن المصطلح (البلاغة) غائلة التفتت ، او التآكل ، او الابتذال ...

وقد كان بعضها ، مثل البديع ، او البيان يطلق عند البعض على البلاغة عامة كما سنرى .. ثم استقر كل منها على موضوع معين ، ومجال من البحث معين ، والشكل الذي تسلمناه عن هذه التحديدات هـو الذي لمحاولة « السكاكي » وشراحه تقسيم علوم البلاغة الى معـاني وبيان وبديع ..

اذ قسم « السكاكي » البلاغة الى علمين كبيريـن هما المعاني والبيان ، درس اثرهما المحسنات البديعية ، ثم جاء الخطيب القزويني فكرس قسم البديع كعلم ثالث، وعاشت البلاغة حتى يومنا بهذه الاقسام الثلاثة ..

كل ذلك جعل وطأة الاستعمال تخف عـن مصطلح بلاغة ، وبالتالي خفف من الاثر الذي كان يمكن ان يحدثه اي رد فعل حديث اليوم علـى مجالاتهـا القديمة ، او مناهجها القديمة ايضا ..

وليس ينكر اليوم ان العلامة امين الخولي قد عمل بروية وصبر ، لتصيير البلاغة فن القول ، فاطلق مصطلح (فن القول) علـى المباحث البلاغية الحديثة ، مجالاتها : موضوعاتها ، ومناهجها الحديثة ، وذلك على الخصوص في كتابه « فن القول » ، وهو محاضرات القيت علـى طلبة الدراسات العليا ، ونشرت عام ١٩٤٧ .

وليس ينكر اليوم ايضا ورود مصطلحات اخرى ، مثل (فن الكتابة) ، او (فن التاليف الادبي) ، او (فن الانشاء) ، او (علم الاساليب) للدلالة علـى البلاغـة ومباحثها .. وليس ينكر ان هذه المصطلحات الحديثـة تغري الدارسين والنقـاد المعاصريـن باستعمالها ، واستهلاكها بدلا من مصطلح (بلاغـة) ، خاصة ونهـا افضليات ظاهرة ، سواء من حيث دلالتها المباشرة علـى المجالات الجديدة التي للمباحث الاسلوبية التـي صارت البلاغة اليها اليوم ، او من حيث تسهيلها علـى المحدثين ورود هذه المباحث الجديدة ..

ومع ذلك لا نـزال مطمئنين ، متفائلين بالنسبـة لمستقبل مصطلح (بلاغة) العربـي القديم ، والمتجـدد الدلالة ابدا .. والذي لا يزال له رونقه وايحاؤه ، ودلالته الاصطلاحية التي تحمل اليـوم بيسر وسهولة دلالـة حديثة هي (علم الاسلوب) ، الذي تقصده اليوم فـي الاساس ، وسوف يعيش مصطلح (بلاغة) ان شاء الله الى جانب المصطلحات الفنية الحديثة ويتفوق عليها ..

العرب المحدثون في دراساتهم النقدية ، وخاصة في المجال التاريخي لعلوم الادب والبلاغـة يستعملـون التفرقة المتوارثـة بين (بلاغـة) ، و (فصاحة) ، او يوردونها بحكم عملهم على التراث المقروء ، او المنقـول ، وهي : ان البلاغة والفصاحة نعتان أو صفتان للكـلام ، والمتكلم ، فيقال : قصيدة فصيحة بليغة ، وشاعر فصيح بليغ بينما الفصاحة نعت او صفة للمفـرد ، أي للفظ المفرد ، فيقال : كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة (١) ..

وهـذه التفرقة قررها المتأخرون مـن البلاغيين كالخفاجي ، وابن الاثيـر ، والسكاكي ، والقزوينـي ، وغيرهم في مصنفاتهم سر الفصاحة ، والمثل السائـر ، والمفتاح ، والايضاح وغيرها .. فخصصت الفصاحـة لنعت الالفاظ ، بينما شملت البلاغة الالفاظ مـع افادة المعنى ، أي ما كانوا يسمونـه حسن التركيب ... او تقريرها الحاسم ، هذا التناقض الـذي حاول الخطيب القزويني في الايضاح حمله حملا ، وتأويله تأويلا (٢)..

ويمكن اليوم مع ذلك الاستغناء عن هـذه التفرقة القديمة ، وقد اشار اليها العلامة امين الخولي ، ورجـح امكان الاستغناء (٣) عنها ، ونحن نرجح الاستغناء عنها، خاصة ان السماع الحديث ، والاستعمال الحديث ايضـا يوسعان في مصطلحي بلاغة وفصاحة ، فيساويان بـين المصطلحين ، ويدلان بهما على البيان ، وعلى البراعة فيـه او ايضا الفن والشاعرية وقوة التعبير جميعا ..

ويمكننا ان نقرر اذن : ان مصطلح (بلاغة) اليـوم مصطلح نقدي ادبي علمي معايش ، يقصد فـي المجـال الاصطلاحي الحديث المباحث الاصولية لتبين فنية الادب، او لما يتوصل به الـى الاحسن والاجود مـن الاساليب الادبية المختلفة ..

الا انه في هذا المدلول الاصطلاحي يتعرض اليـوم المرة تلو المرة لهزات مختلفة رفيقـة او عنيفـة تحاول زحزحته عن مكانه .. كتلك الهزات التي تحدثها اليـوم مصطلحات : فن القول ، او فن الكتابة ، او علم الاسلوب،

او ايضا فن الانشاء ، او فن التاليف ، او فن الادب ، او ايضا فن الانواع الادبية ، وهذا المصطلح الاخير حاول بعض الدارسين العرب اليوم اصطناعه ، وطرق موضوعاته ، وجعله بابا رئيسيا من ابواب البلاغة الحديثة (٤) ..

هذه المصطلحات الجديدة الحديثة تنافس بالفعل مصطلح بلاغة ، الا ان هذه المنافسة على عنفها في بعض الاحيان ليست خطيرة بحمد الله تعالى .. والسؤال الذي يرد هنا هو ما هي الحال اليوم بالنسبة للمصطلحات الاخرى : المعاني ، البيان ، والبديع ؟..

ان دورة الزمان لا يمكن ان تعود الى الوراء ، وان الجديد كثيرا ما يغني عن القديم ، ويغطي عليه ، ولا بد لنا ان نتلاءم مع جديدنا المتطور ، وتراثنا المتجدد دائما.. ولذلك لنسجل ان استعمال المصطلحات البلاغية القديمة: المعاني والبيان والبديع نادر اليوم ، وهو مقصور اليوم بالاحرى على الدارس المتخصص الذي يجري وراء العلم في مظانه يؤرخ له او لتطوره ..

البديع : مثلا مصطلح فقد اليوم مدلوله البلاغي والادبي الذي كان له في القديم ، يوم كان في بعض الفترات يقصد البلاغة كلها ، والابداع الادبي كله ..

وكان اطلق ابن المعتز ، المتوفي عام ٢٩٦ هـ . مصطلح بديع على خمسة انواع ، مما نسميه اليوم صور البيان ، هي : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد اعجاز الكلام على ما تقدمه والمذهب الكلامي .. وذلك في كتابه الذي يحمل نفس المصطلح : البديع ..

وقد اضاف اليها محاسن الكلام والشعر ، وهي : الالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتاكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والهزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والافراط في الصفة وحسن التشبيه واعنات المرء نفسه اي لزوم ما لا يلزم وحسن الابتداء ..

وقد اعتمد (٥) قدامة بن جعفر المتوفي عام ٣٣٧هـ . هذه المحاسن ، واضاف اليها : التقسيم ، والترصيع ، والمقابلة ، والتفسير ، والمساواة ، والاشارة ، وائتلاف اللفظ مع الوزن والتمثيل والتوشيح والايغال وائتلاف المعنى مع الوزن وائتلاف القافية والارداف ... واعتبرها صفات للشعر ..

وقد اطلق عبد القاهر الجرجاني في : ـ اسرار البلاغة ـ ، (البديع) على التشبيه والاستعارة والتمثيل والتجنيس والحشو المفيد والطباق والمجاز اللغوي والعقلي وحسن التعليل (٦) ..

وقد لوحظ مع ذلك ان الجرجاني يطلق على بعض هذه الصور البيانية ، التي يقرنها بصور بيانية اخرى ترجع الى علم المعاني مصطلح (بيان) ، فيساوي بين المصطلحين ، وذلك في « دلائل الاعجاز » الذي الفه بعد اسرار البلاغة ..

ودلالة البديع على المحسنات اللفظية والمعنوية ترجع الى ابي يعقوب السكاكي المتوفي عام ٦٢٦ هـ . وشراحه .. وهي الدلالة التي شاعت واستلمناها يقصدها المصطلح ..

فقد جعل ابو يعقوب السكاكي ، كما سبقت الاشارة البلاغة علمين ، علم المعاني وعلم البيان ، درس الى جانبهما المحسنات (٧) ، وهي عنده : المطابقة ومراعاة النظير واللف والنشر والتقسيم والايهام والتجنيس والترصيع والقلب ورد العجز على الصدر ..

وقد سمي الخطيب القزويني المتوفي عام ٧٣٩ هـ . هذه المحسنات علم البديع ، وذلك في تلخيصه المفتاح (٨) ، وتوسع فيها من جديد فشمل صورا اخرى مثل التورية والمبالغة والسجع والموازنة وغيرها ... ثم لاقت دراستها كعلم بمفرده التأييد والذيوع من كافة الشراح الى اليوم .

واليوم اتجاه البلاغة الحديثة الى علم الاساليب

١ ـ يقرر سعد الدين التفتازاني في كتابه المختصر الذي يشرح به تلخيص المفتاح للقزويني هذه التفرقة ويعتبرها لتسهيل البحث ، ويؤكد بصراحة ان قصر (البلاغة) على المعاني دون تحققها في المفردات وهم حسب تعبيره ص ٦٣ ، لان بلاغة المفرد في نظره متضمنة في بلاغة المتكلم والكلام ، ويعود التفتازاني في تعريف البلاغة فيؤكد على قيمة التركيب ، وافادة المعنى ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

٢ ـ تكلم الخطيب القزويني في ذلك الايضاح، وسكت التفتازاني في المختصر عن ذلك ، ولكن البناني في التجريد اشار الى كلام الخطيب القزويني في ايضاحه ، المختصر ص ١١٢ .. وحاصل الحمل ان البلاغة عند الجرجاني ترجع الى اللفظ باعتبار افادته المعنى عند التركيب ، ص ١١٢ .

٣ ـ راجع (مناهج تجديد) للعلامة المرحوم امين الخولي ، مصر ، ١٩٦١ ، ص ٢٦٧ .

٤ ـ هو الاستاذ احمد الشايب في كتابه الاسلوب ، مصر عدة طبعات ..

٥ ـ البديع لابن المعتز ، ونقد الشعر لابن جعفر عدة طبعات ..

٦ ـ اسرار البلاغة ص ١٤ ، ١٥ ، ٣٠٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

٧ ـ مفتاح العلوم ص ١٧٩ وما بعدها ..

٨ ـ للتلخيص شرح حديث للاستاذ عبد الرحمن البرقوقي طبع مصر عام ١٩٠٤ ، قدم له الشيخ محمد عبده ، وقد ذكر الشارح في مقدمته انه قرأ على الامام الشيخ محمد عبده كتابي اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ..

٩ ـ راجع على الخصوص الدلائل ، ص ٤٠ وما بعدها ..

١٠ ـ راجع المفتاح ص ٧٠ ، والتلخيص ص ٣٧ ..

١١ ـ في مختصر السعد التفتازاني ، وتجريد البناني ص ١٢٣، وتهذيب الايضاح ص ٤٤ شروح ذلك ..

١٢ ـ حسب السكاكي وشراحه ، هو : ـ ما يحترز به عن التعقيد المعنوي ـ ، المختصر ص ١٢٣ ، تهذيب ص ٤٤ ..

١٣ ـ هذا المصطلح شائع اليوم ، ونجده عند امين الخولي ، وغيره ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعاكس هذا المصطلح القديم ومدلولاته المتطورة ، بحيث ان الانتباه اليوم منصرف بالاحرى الى ما يسمى (صور البيان) ، وليس الى تزيين او تحسين او بداعة .. واغلب الظن ان التقادم سيقصر استعمال مصطلح بديع على مدلول علمي متحفي ، اي الذي للدلالة على ابحاث طويت وتمثل بلاغي لها مضى ..

وان الاستعمال اليوم لنقل الادبي والدارج لنعت (بديعي) نسبة الى علم البديع القديم ، يقصد الزخرفي والتزييني .. واحيانا يقصد بهرج الصناعة اللفظية في الادب ، وهو بالفعل اليوم نعت متحفي لا غير ..

المعاني : كان مصطلحا من اهم مصطلحات البلاغة بعد عبد القاهر الجرجاني ، الذي اظهر القيمة والدور اللذين لمعاني النحو في البلاغة.. ومن هنا نشأة المصطلح: المعاني ، وكانت معاني النحو استحوذت دراستها على تفكير الجرجاني في الاسرار ، والدلائل على السواء(٩)..

وقد استهوى مبحث (المعاني) في نفس المداول تقريبا اهل المنطق من البلاغيين المتأخرين ، خاصة يوسف السكاكي .. وهو الذي كرسه كمبحث اساسي واول للبلاغة ، وتبعه في ذلك الشراح الى اليوم (١٠) ..

كان يقصد من علم المعاني عند السكاكي وشراحه ، الاحتراز عن الخطأ في التأدية البيانية للمعنى ، ويدرس الإسناد واحواله في الجمل .. اي احوال اللفظ بالنسبة لمقاصد التعبير ومقتضياته ، خاصة في الجملة الواحدة.

الا انه قد تبين اليوم للمشترعين والدارسين البلاغيين ان لا مجال في مباحث البلاغة الحديثة ، لدراسة الاسناد واحواله ، ولا الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى الا من زاوية الاسلوب وصور البيان فيه ، وقد فعلت ذلك في تصنيفي الحديث لصور البيان ..

البيان : اما مصطلح بيان فقد كان يقصد عند اوائل البلاغيين المشترعين مثل عبد القاهر الجرجاني البلاغة كافة ، كما نرى ذلك في دئل الاعجاز عنده ..

كما انه كان يشمل عند هؤلاء البلاغيين المشترعين (البديع) وصوره بالمصطلح القديم (١١) ، كما عند الجرجاني ، او عند الزمخشري المتوفي عام ٥٣٨ هـ . وابن الاثير المتوفي عام ٦٣٧ هـ .

وقد قننى المصطلح ابتداء من السكاكي وشراحه ، خاصة الخطيب القزويني ، وميزت موضوعاته نهائيا عن موضوعات البديع او المعاني.. وصار يدل على ما يحترز به عن التعقيد المعنوي ، وخاصة تأدية المعنى الواحد في صور مختلفة (١٢) ..

وقد فقد اليوم هذا المصطلح قيمته الاصطلاحية القديمة ، وصار الى مدلول عام للبلاغة والابانة ، هو من آلارث المتحفي للبلاغة القديمة ، يهم الدارس المتفحص لتاريخ البلاغة وتطورها ..

والاستعمال الحديث الشائع البيان ، كما في مصطلح (صور البيان) ، الشائع ايضا يعود بالمصطلح (١٣) الى مدلول بلاغي علام يقصد الابانة والتعبير ، وهما اللباب في العمل الابداعي في الادب ..

وقد آثرنا اصطناعه ، واطلقناه على مصطلحات اسلوبية حديثة مثل صور الاسلوب وصور التركيب وصور الفكر وصور التعبير وغيرها ترد اليوم الى لغة البلاغة ودراستها الاسلوبية .. وهي تشمل صورا بلاغية اسلوبية صنفناها تصنيفا حديثا ، ادخلنا اليها في موضوع التشبيه والاستعارة الرمز والرمزية بمفاهيم أدبية وبلاغية حديثة ..

ان تطور المعرفة والتفنن في المجتمع العربي الحديث هو الذي فرض اللون الجديد من الدراسة البلاغية مجالاته ، مناهجه ، وهو اللون الاسلوبي ان صح التعبير بدقائقه الفنية والنفسية والتعبيرية .. والذي يتعدى فصاحة الكلمة ، او صحة الجملة ، او ايضا التحسين اللفظي او المعنوي الى تجربة الاديب نفسه في ابداعه وفي تأليفه ، ثم الى المخاطبين والجمهور ..

لقد وسعت مجالات البحث البلاغي الحديث الى حدود ارحب افقا .. وسعت من حدود اللفظة، والجملة، الى المجالات الرحبة التي للنوع الادبي الواحد والاساليب المتنوعة في القول .. وصارت تشمل ما يكفل تبين ابداع الاديب ، او جمال ادبه ..

لنلاحظ اخيرا ان البلاغة كمصطلح فني ادبي حديث تشمل الاسلوب وعلمه .

الا انها الى جانب ذلك تتضمن الطاقة الادبية ، او الملكة ، او المقدرة على التعبير عند الاديب ، كما انها تقصدها ، وبذلك هي تتميز عن مصطلح اسلوب او علم اسلوب ..

وبالفعل اذا نحن قارنا بين مصطلحي بلاغة وعلم الاسلوب وجدنا ان مصطلح بلاغة يضعنا امام ملكة التعبير الادبي ، ثم التعبير الادبي ، كما تضعنا امام اصول الادب وجماله ...

بينما مصطلح علم الاسلوب ، علم الاساليب ، لا يتعدى ايحاؤه دراسة التعبير الادبي ، واساليبه .. ومصطلح (اسلوب) مصطلح حديث يقصد طريقة في التعبير ، خاصة بالاديب ..

يضاف الى ذلك ان مصطلح بلاغة يشمل ايضا بحث الذوق ، والذي ظل الاقدمون ينوهون به ، وهو اساسي ايضا في بحث المحدثين .. الامر الذي يقربنا من المجالات المختلفة التي للدراسة الادبية للتعبير الادبي ومطابقته مقتضيات احوال المخاطبين والجمهور ..

دمشق — عدنان بن ذريل

مصادر القفطي في «المحمدون»

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

نال السيد محمد عبد الستار خان شهادة الدكتوراه من الجامعة العثمانية بالهند لتحقيقه كتاب « المحمدون من الشعراء » للقفطي (١) .

والكتاب جدير بالتحقيق ، وقد بذل المحقق جهدا بينا تدل عليه نظرة سريعة الى الهوامش . وقدم له بما يدل على الاستقصاء والسهر لايجاد الحقائق والمزايا ... وقد يلاحظ الملاحظ حماسة اكثر مما يجب نحو المؤلف ، ورفعا لاعلى من المكان الذي له ـ وليكن .

ويصعب ان يحقق كتاب « كالمحمدون » ويسلم صاحبه من فوات هنا او فوات هناك .

تحدث المحقق (ص ٣٥) عن « المصادر التي استند اليها القفطي » فأضفى عليه ما ليس له من الامانة حتى لقد جعله « يصنع كما يصنع المحدثون بذكر الاسناد المتسلسلة لاثبات ترجمة الرجل ، وما عرف عنه ، وما نقل من كتبه ، وما وصل الى سمعه من حديثه وشعره وكتبه ... » والقفطي في ذلك شبيه بابن عساكر في تاريخ دمشق ، وبالخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . فالقفطي اذا نقل الاخبار والاشعار في هذه الطريقة لا يثبت خبرا الا يذكر المصدر الذي استقى منه ، ولم يورد شعرا الا وصف لنا الديوان الذي وصل اليه او الكتاب الذي قراه فيه ، ولم يسرد حديثا او حكاية الا قال : وكتب الي .. وبالاسناد قال .. وانبانا .. وسمعت وقرات .. الى اقصى ما يستطيع ان يصنعه رجل ثقة ومؤرخ حجة ومحدث ثبت وراو متقن حين يعمل التاريخ او ينقل الادب والاخبار . والقفطي بذلك حفظ اثمن ما في المصادر والكتب التي نفتقدها اليوم فلا نجدها » .

هذا كلام يمكن ان يستنبطه قاريء « المحمدون » ، ولكن الذي قرأ غير « المحمدون » ، وقرأ مصدرا مهما جدا اغار عليه القفطي ونقل عنه الكثير الكثير ولم ينص على اسمه الا قليلا وعلى كتابه الا نادرا مع ابقائه على مصادر ذلك المصدر كما هي : « كتب الي ... » « بالاسناد قال .. » « وانبانا .. » ولم يكتب الكاتب الى القفطي ، ولم يصل الاسناد الى القفطي ولم ينبه المنبيء ..

ذلكم الكتاب هو « خريدة القصر وجريدة العصر » الذي شملت مجلداته : العراق ، بلاد العجم ، بلاد الشام والجزيرة ، مصر والمغرب والاندلس .. وكان فيه من المحمدين الكثير (٢) ، وقد وجد فيه القفطي مرتعا خصبا ، ولكنه لم يسلك معه سلوك « رجل ثقة ومؤرخ حجة ومحدث ثبت » ، وانما الذي سلك السلوك الذي يؤهل صاحبه للاحترام والتقدير هو : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصبهاني (٥١٩ ـ ٥٩٧ هـ) ـ مؤلف الخريدة .

أجل ، كتب لي ان اقرأ « الخريدة » مخطوطة في اغلب مجلداتها وان أقرأ « المحمدون » مخطوطا كذلك فرأيت المسألة واضحة ورأيت فرق ما بين مؤلف ومؤلف ... وكم يؤسفني ان المحقق الفاضل لم يطلع على خريدة العماد هذه ، اذا لغير رأيه او خفف من حدته في الاقل ، ولما قال ـ فيما قال (ص ٢٥ ـ ٢٦) : « ... هناك ابن شبل محمد بن الحسين ابي علي البغدادي ، وقد تفرد القفطي بشعره في كتاب المحمدون من الشعراء من صفحة ٣٥٥ الى صفحة ٣٨٣ .. فأوجبت على نفسي ان أتناول بالدرس هذا الشاعر الجليل منفردا . ولذلك قسمت كتاب « المحمدون من الشعراء » في جزءين وافتتحت الجزء الثاني باشعار ابن الشبل البغدادي » .

وتقول لماذا ؟ واقول : ان ما جاء لدى القفطي في هذه الصفحات التي تقرب من الـ ٤٠ منقول عن العماد في الخريدة ، وكل ما في الامر ان القفطي لم يذكر مصدره وانما بدأ كتابه كما بدأ العماد خريدته : « كتب الي ابو الضياء شهاب بن محمود الشذباني اخبرنا ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي بالجامع القديم من كتابه قال : محمد بن الحسين بن عبد الله بن احمد بن يوسف بن الشبل بن اسامة ابو علي من اهل شارع دار الرقيق ببغداد ، احد الشعراء المجودين ... »

ولم يكتب ابو الضياء الى القفطي وانما كتب الى العماد الاصبهاني ، وكان الواجب يقضي ان يبدأ القفطي كلامه بما يجب : « قال العماد الاصبهاني في الخريدة : كتب الي ابو الضياء شهاب بن محمود الشذباني ... الخ » . ولكنه لم يفعل !

وانهى القفطي كلامه على ابن الشبل كما فعل العماد في الخريدة : « نقلت من خط ابن المارستانية وكتابه : مات ابن الشبل ... سنة ثلاث وسبعين واربعمائة ودفن في يوم الاحد ثانية بمقبرة باب حرب » .

وما نقل القفطي من خط المارستانية وكتابه ولكن العماد الاصبهاني نقل .

اما التفرد الذي اضفاه المحقق على القفطي بشعر ابن الشبل فهو للقوافي في « المحمدون » الا الشعر الكثير الذي حفظه العماد مرتبا على حروف الهجاء في الخريدة .

وللمرء ان يرجع الى الخريدة ـ قسم العراق ليرى ذلك جليا ، ولينظر من مخطوطاتها ما يشاء ، ولتكن

مخطوطة باريس رقم ٣٣٢٧ من الورقة ٩١ ب الى الورقة ١٠١ آ .

واذا كانت الخريدة المخطوطة بعيدة المتناول فاني سأسمح لنفسي ان اذكر كتابا طبع في بغداد بجزءين (١٩٥٨ ، ١٩٦٠) عنوانه : « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي » وفيه كلام على ابن الشبل (منه ١ : ١٧٣ ـ ١٧٧) ، جاء فيه : « ... واذا كانت الخريدة قد حفظت لنا ما كتبه الى العماد أبو الضياء شهاب بن محمود الشذباني عن السمعاني قراءة عليه ، فانها حفظت ايضا اخبارا ذات بال ، ومجموعة من الشعر تستغرق اكثر من خمس عشرة صفحة مرتبة على حروف الهجاء ـ تجدها عند القفطي ايضا ... ويعيد القفطي في « المحمدون » ما جاء في الخريدة دون ان ينص عليها . والنقل الحرفي يفضحه ، وكذلك السند ، يقول القفطي مثلا : روى لنا عنه ابو القاسم بن السمرقندي وابو الحسن بن عبد السلام الكاتب وابو السعادات بن العطار وابو سعد الزوزني ببغداد ومحمد ابن القاسم بن المظفر القاضي بالموصل . وما حدثه هؤلاء ولا كتبوا اليه ... ويمكن ان يشمل هذا القول ما ذكره عن .. خط ابن المارستانية وكتابه » .

ولا بد من الظن بأن الاستاذ المحقق لم يطلع على « الشعر العربي .. في العصر السلجوقي » ، وانه لم يقصر في البحث عن مظان ابن الشبل بدليل انه رجع الى مقالة لاحمد امين منشورة في المجلد الرابع من « فيض الخاطر » . ولا بد من انه كان على الغاية من حسن الظن بأحمد امين اذ جعله مقياسا للاهتمام والثقافة والعلم والادب ـ وما كان رحمه الله كذلك ـ . لقد كان احمد امين شبيها بسلفه القفطي ، لانه كتب مقالته عن ابن الشبل ولم يكلف نفسه ان يسأل عن مصادره ، ولا يمكن الكلام على ابن الشبل دون الرجوع الى خريدة العماد وهي قريبة منه : مصورة عن نسخة باريس في دار الكتب المصرية بالقاهرة . وكذلك كان القفطي مهتما كثيرا بابن الشبل ولكنه لم يفعل اكثر من انه نقل ما جاء في الخريدة نصا دون نص عليها او على مؤلفها .

انستطيع ـ بعد هذا ـ ان نتخذ « تأسف » الاستاذ الاديب احمد امين المصري « على ضياع آثار ابن الشبل الشعرية » مقياسا ؟ أنستطيع ان نقول : « وكان القفطي قبل الاستاذ احمد امين يهتم كثيرا بشعر ابن الشبل البغدادي . فالقفطي ... لم يبذل لاحد من الشعراء المحدثين .. عناية كعنايته الخاصة بهذا الشاعر .. وذلك ان القفطي اتى في كتابه هذا بمختارات شتى من شعره الجيد العالي من قافية الهمزة الى قافية الياء ... فلله در القفطي حيث جمع نحو مائتين وخمسين بيتا زائدا جديدا الى جانب مائة وخمسين بيتا الذي اخبر به الاستاذ احمد امين . وهذه مزية عظمى وفضيلة كبرى من مزايا الكتاب وفضائله ، والفضل بل كل الفضل للقفطي حيث قدر لهذا الشاعر الحكيم حق التقدير ، فجزاه الله عن الادب واهله خير الجزاء ! »

اذا قلنا هذا عن القفطي ، فماذا عسانا قائلون عن العماد صاحب الفضل الحقيقي ، المؤلف الامين الذي جد واجتهد حتى جاء القفطي بعد حوالي نصف قرن من الزمان واتخذه لقمة سائغة !

ويواصل الدكتور محمد عبد الستار خان حديثه عن مصادر القفطي ويقول (ص ٣٦) : « واما الاشخاص الذين اخذ عنهم القفطي فمنهم الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد ، وتاج الاسلام عبد الكريم السمعاني صاحب الانساب ، وابنه تاج الاسلام ابو المظفر عبد الرحيم السمعاني ، وابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي ، ومحمد بن محمد بن حامد المعروف بالعماد الاصبهاني ، وابو الضياء شهاب بن محمود الشذباني ، ومحمد بن هبة الله ... الشيرازي ، ومحمد بن سعيد بن يحى الدبيثي وغيرهم من الادباء الاثبات المتقنين » .

وهذا كلام غير مقبول في جملته لان « الكثير » من بين هؤلاء الاعلام من لم يرهم القفطي ومن لم ير الشام او مصر ولم تكن له واياهم مراسلة ... بل ان منهم من مات قبل ان يولد القفطي . ولك ان تتذكر ان القفطي ولد في قفط من صعيد مصر عام ٥٦٨ وان الخطيب البغدادي توفي عام ٤٦٣ وعبد الكريم السمعاني توفي عام ٥٦٢ . فكيف ؟ وكيف ؟

ثم يعدد الدكتور محمد عبد الستار خان الكتب والدواوين التي استقى منها القفطي فينسى « خريدة » العماد الاصبهاني ، وينص على « ديوان ابي علي ابن الشبل البغدادي » وقد بات امر القفطي ازاء هذين الكتابين معروفا : انه لم ير ديوان ابن الشبل ، وانه نقل كثيرا عن الخريدة ، ونقل ـ فيما نقل ـ كل ما اورد من اخبار ابن الشبل واشعاره .

لقد نسب الدكتور محمد عبد الستار خان الى القفطي من المفاخر ما لم يكن له ـ ومناسب ان يخفف محقق من غلواء اعجابه احيانا .

بغداد ـ كلية الآداب

علي جواد الطاهر

١ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند ، ج١ ، ١٩٦٦ ، ج٢ ، ١٩٦٧ .

٢ ـ طبع كثير من اجزاء الخريدة ـ ولم يرد لدى المحقق ما يدل على علم بذلك .

غصص الذكرى

قدحت ذكراك في النفس لظاها ... واعادت لوعة طال شجاها
ليس في الذكرى لنفس سلوة ... وجناها طاف بالمر جناها
شهدها الآلام ليست تنتهي ... ما انطوى ليل وما يجلى دجاها
نحسب النعمى بافياء المنى ... وشقاء النفس رهن بمناها
ليس في الاحلام ري يرتجى ... أي ري كان يرجى من جواها
ما عهدنا النار يوما نقعت ... غلة أو سال بالري جذاها

جئت مغناك ضحى اساله ... عن ليال واد البين صباها
كنت فيها السحر في ريقه ... والشذا يعبق فيها وحلاها
كم حديث لك حلو جرسه ... ماس كالانسام من لين وتاها
ملأ الاسماع سحرا فانثنت ... نحوه الاسماع تستجدي الشفاها
شفها ما سمعت من عجب ... لفظه الفتنة ليست تتناهى
ود من اعجابه حاسدها ... وهو الكاشح لو نال رضاها
وترى كل فؤاد حولها ... رف مشتاقا اليها واتاها

نشرت ذكراك اياما لنا ... غالها ريب العوادي وطواها
واعادت ما خبا من ثاقب ... لامان سطعت ملء سماها
فاذا الماضي كتاب ماثل ... بلياليه التي شع سناها
وتراءى ما انطوى من موكب ... لحياة فاح بالطيب شذاها
ونجلت امسيات لم تزل ... ملء عيني على الناي اراها
امسيات عبقت اعرافها ... حين سالت لرجيها يداها
سطعت مشرقة آفاقها ... بامانٍ كن للنفس حياها

أي نعمى يجتنى من أمل ... والمنى الآلام قد شب لظاها
ان ما فات من الامس انطوى ... كهباب ضل في داج وتاها
نخدع النفس ولا نصدقها ... ضلة منا كانا من عداها
ونطيل الشجو بالذكرى اسى ... كلما الايام جدت في سراها
ليس في الذكرى التي نشتاقها ... ما يسلي النفس او يشفي صداها
لم تكن غير سراب خادع ... يوغر الصدر ولا يروي الشفاها
ذوقت فتنتها اطيافه ... فجرى في فلكها طوع هواها

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقترب الطفل في حذر وفجأة القى بنفسه في حضن امه وتقافز في حجرها وهو يقول بصوته الباكي :

ـ عاوز آكل .. عاوز اتغدى .. بابا أتأخر .. حاروح لام اسماعيل.

واحتضنته الام في لهفة ثم دفنت راسه الصغير في صدرها واخذت تربت على ظهره بحنان .. ومر كل شيء في ذهنها كلمح البصر .. جوعان .. لقد فعلنا المستحيل منذ اسابيع ومحمد لا يجد عملا .. كان يعمل في أمان الله ولكن صاحب العمل صفى اعماله فجأة واختفى بأمواله ولم يترك لعماله سوى ذكرى محزنة ، وبدأت الاسرة الصغيرة تهتز .. صرفت كل مدخراتها .. ثم تبعت ذلك بما خف حمله وغلى ثمنه وهو شيء قليل ، ثم الاثاث ثم اصبح اللاشيء هو كل ما تملكه الاسرة .

وبدأت عمليات اقتراض واسعة النطاق .. وفجأة ايضا ضمر ذلك المورد وتجهمت الوجوه واختفت الابتسامات حتى كلمات التشجيع ضنت بها الافواه التي لم تعرف الجوع .. نعم الجوع .. عرفت طعمه منذ ايام .. تذكرت كل شيء .. كيف كانت تتحايل لتحضر لطفلها الطعام .. كم آلمها بكاء الطفل .. كم تمزق قلبها ألما وهي تراه يبحث في صندوق الزبالة الخاص بأم اسماعيل .. كانت تنهره بشدة .. تصرخ فيه فيرد بصوته البريء .. جعان .. وتحتضنه في لهفة .. تدفن المها في لحنه الطري وتسيل دموعها تبلل وجهه ويوقظها صوته الصغير وهو يقول :

ـ امي .. بتعيطي ليه .. ؟.. دموعك .. ويسكت ..

ولا تسكت هي .. تتمزق من الداخل .. الطفل يعرف الحنان .. يبكي من اجل امه.. يحس بدموعها .. يا له من طفل حبيب .. كيف تتركه يتلوى جوعا ستفعل المستحيل .. لن تنتظر زوجها .. لن تنتظر محمد .. لن يحضر .. انه يظل يدور ويدور لا أحد يريده .. فرص العمل قليلة هذه الايام .. آخر الموسم .. الطلب قليل رغم انه لم يعد يتمسك بعمل يشبه عمله السابق .. لا يريدون كتبة .. لا يهمهم المؤهلات وهو لم يعد يهمه أن يعمل كاتبا .. يريد ان يعمل اي عمل هذا ما قاله لها وكرره مرات ومرات .. انه يظل يدور ويدور في شوارع القاهرة الكبيرة بحثا عن عمل .. أي عمل .. لا يذوق طعاما لانه لا يملك ثمنه ولا يجد راحة لانه لا يملك ما يجلسه على احد الكراسي المريحة .. وفي نهاية المشوار الطويل يلجأ لاحد الاصدقاء وفي مرات كثيرة يعود بلا شيء سوى

ابتسامة في وجه الخطر

بقلم السيد ابراهيم

الحسرة .. سوى ما تزعليش يا امينة .. سوى دموع يسكبها في داخله ويعتصرها حزنا تنطق به كل جارحة من جوارحه .. سوى اليأس الذي يكاد ينتزع منه الانفاس .. لولا نظرة يلقيها على وجه طفله الصغير فتفرحه البراءة وتعطيه القدرة على مواصلة الكفاح والتشبث بالامل .

ونظرت الى وجه الطفل .. انه يشبه اباه كثيرا حتى تقطيبته البريئة تذكرها بأحزان ابيه .. الرجل ليس الا طفل كبير .. انت رجل يا مجدي .. رجلي واتمنى ان يكون حظك أحسن من حظنا .

ـ جوعان .. بابا اتأخر ...

ايقظتها الكلمات .. اعادتها الى الواقع .. اعادت اليها الشعور بالمرارة غلفت نفسها بالسواد .. انتفضت دون ارادتها .. بكت .. نكست راسها وحاولت ان تتجه الى حجرة أم اسماعيل .. لن تردها المراة خائبة .. ستقدم لها طبق الخضار وابتسامة واسعة .. كم تحب هذه السيدة .. خبرتها وقت الشدة ... غريب امر الانسان .. لم تكن تشعر بها .. كانت معرفتها بها سطحية .. صباح الخير صباح النور .. وفي محنتها طرقت عليها الباب استجابت لها ، استجابت بكل جوارحها .. منا ان تسمع صوت الطفل وهو يبكي الا وتجري الى حجرتها وتحضر له ما يريد .. رأتها مرة وهي تضع يدها على فم الطفل في محاولة ساذجة لاسكاته .. نهرتها بشدة وحملت الطفل وملأت معدته بطعام ساخن .. الطفل يحبها .. تعلق بها .. عندما ييأس من أمه ويكثر طلبه للاكل ولا تستجيب يقول بصوته الساذج ...

ـ ما فيش أكل عندكم .. اروح لام اسماعيل .

وكانها طعنة خنجر تحس بها تمزق احشاءها .. تحس بها تغوص الى الاعماق الدفينة التي لا تعلم عنها شيئا .. تحس بالكلمات في كل حركة من حركاتها والآن ماذا تفعل .. الوقت تأخر والجوع كافر كما يقولون .. وقال الطفل حاروح لام اسماعيل .. أم اسماعيل .. أم اسماعيل ؟.. اصبحت تخجل منها وتخجل من مجرد سماع اسمها .. الفقر مذلة .. شعرت به منذ اسابيع ... ، تذكرت اسرتها والسعادة التي كانت تعيش فيها.. لم تفكر في يوم من الايام انها ستحتاج للطعام ولن تجده .. كانت تحلم بطفل تجعل منه ملكا واليوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لديها الطفل وجعلت منه شحاذا يأكل من أيدي الغير وانهمرت دموعها ... ، وفجأة سمعت طرقات خفيفة على باب الشقة .. انها طرقات محمد .. لقد حضر مبكرا .. يا فرج الله .. اسرعت .. تعثرت في باب الحجرة .. فتحت الباب .. رأته يحمل ارغفة كثيرة واكياسا مليئة .. لم تتكلم .. مدت له ذراعيها واحتضنته بكل احماله .. سقط العيش على الارض .. جرى الطفل نحوها .. افترش الارض اخذ يقضم من كل رغيف لقمة .. امسك بأصابعه الصغيرة حبة طماطم ثم دسها في فمه وسال عصيرها على ملابسه .. ضحك الاب .. اسرعت نحوه الام .. عيب يا مجدي .. نهرها الاب بصوت رقيق :

ـ سيبيه ياكل .
ـ لكن ..
ـ مالكنش .
ـ عملت ايه ؟
ـ وجدت عمل ..
ـ عمل ..؟.. فين ؟
ـ في فرن عيش ..
ـ كاتب ؟..
ـ لا .. شيال .
ـ يا خبر ..
ـ نجوع ..؟
ـ لا ..
ـ خلاص ..

وانتهى الحوار في لمح البصر والتفت الاسرة حول الطعام البسيط وامتلأت البطون ولهجت الالسنة بشكر الله .. عمل خطير .. تشيل العيش على راسك وانت راكب عجلة ؟

ـ انا كنت في فرقة الدراجات في المدرسة .. اتمرنت النهاردة شوية وبكرة حاخرج مع واد ركيب.

ـ بكره ..؟ خد بالك ومن نفسك .. ما لناش حد ..

ـ ليكم ربنا ..
ـ ربنا معاك ..

غوايـة

تسائلني مـا الحب قلت غواية ... يحار بها عقل ويشقى بها قلب
تباريح وجد تترك القلب ظامئا ... فلا ظمؤها يروي ولا نارها تخبو
كهارب تسري بالجفون الى الحشا ... فتيارها لحظ واسلاكها هدب
فمن سالب يوري الفواد وميضه ... ومن موجب يذكيه من حيث لا يصبو
فما الحب الا توق روح الى السنا ... كما تتلاقى في تجاذبها الشهب

وديع ديب

ولاول مرة منذ اسابيع شعرت الاسرة بالامان وانفرجت الاسارير عن ابتسامة ... ابتسامة طال انتظارها ...

ـ بكرة صحيني بدري ..
ـ حاضر ..

وفي الصباح ودعته بابتسامة وخرج نشيطا يستقبل حياته الجديدة ... لم تكن هذه اول مرة يبدأ من جديد .. حقا لم يعرف الجوع .. لكن القدرة على مواصلة الكفاح .. فكر كثيرا .. العمل الجديد غريب .. بل وخطر ولكن عليه ان يتحمل .. نعم فليتحمل كل شيء في سبيل مجدي وام مجدي .. فليتحمل من أجل مستقبل افضل .. لن تكون الحياة دائما بهذه الصورة .. هناك امل .. امل كبير .. نعم سيكافح ..

واستقبله صاحب المخبز والقى اوامره ثم نادى بصوته الجهوري :

ـ واد يا شطا .. خد الافندي معاك .. علمه الركوب (بروفة) يا وله .. خد بالك منه .. لسه خام ..

ـ حاضر يا معلم .. هو سواق كويس .. اللي عاوز يتعلمه كويس انه يضبط قفص العيش فوق راسه ويحط عينه وسط راسه .. هأ هأ ..

ـ ياالله يا وله ..

وخرج محمد مع شطا وركبا دراجتيهما واخذا يشقان الشوارع الضيقة وعلى راسيهما اقفاص العيش ..

ـ خد بالك ما تبقاش غشيم .. هأ هأ .. شمال .. يمين .. كويس ... ، الاوتوبيس يا غشيم .. سوق يا وله ..

ـ حاضر .

ـ خد بالك .. فتح كويس .. الترماي .. صرخ شطا .. يا خبر يا ولاد .. واد يا محمد .. عملت ايه ..

ولكن محمد كان تحت العجلات .. هوى تحت عجلات الترام وتناثرت ارغفة العيش في كل مكان .. شطا يضرب كفا بكف .. يسأله الناس .. يقول بصوت باكي :

ـ اول يوم وآخر يوم .. خسارة يا جدعان ..

محمد يغالب سكرات الموت .. يقول من خلال الالم :

ـ شطا .. خد بالك من مجدي .. مجدي .. مجدي ..

بكاء واسئلة وصوت يقول :

حادثة .. واحد بتاع عيش كله الترماي ...

القاهرة — السيد ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

عبد اللطيف الطيباوي - محمود الحوت

سري برامكي - مؤيد ابراهيم ايراني

بقلم البدوي المتثم

* * *

١ ــ الدكتور عبد اللطيف الطيباوي

في جميع كلماته يعطي العقل والمكان الافضل لمعالجة الامور بروية ووضوح واتزان !

في طيبة بني صعب (قضاء طولكرم) رأى « عبد اللطيف » نور الحياة في عام ١٩١٠ وتعلم في كتابها وفي مدرسة طولكرم الاميرية ، وما لبث ان التحق بالكلية العربية في القدس ونال خلال دراسته فيها جائزة المسابقة التي اعدتها مجلة « الهلال » لاحسن مقال موضوعه « ما هي اعظم ساعة في تاريخ الشرق الادنى الحديث ؟ » .

ونظرا لتفوقه في دروسه اوفدته معارف فلسطين بعثة الى الجامعة الاميركية في بيروت حيث درس التاريخ والادب العربي ونال البكلوريوس عام ١٩٢٩ وعند تخرجه ربح جائزة مونرو (١) في موضوع دراسة اعدها بالانكليزية تحت عنوان « النصارى في عهد الرسول والخلفاء الراشدين » كما ربح جائزة هوارد بلس (٢) في موضوع دراسة اعدها بالعربية تحت عنوان « اخوان الصفا » وقد نشرت تباعا في مجلة « الكلية » التي كانت تصدر عن الجامعة الاميركية .

تميز « عبد اللطيف » بالذكاء وتوقد الخاطر ، ونشر وهو يطلب العلم في الجامعة الاميركية طائفة من المقالات القيمة في « الكلية » و « المقتطف » و « الكشاف » وغيرها . وبعد ان اكمل دراسته الجامعية عاد الى فلسطين وعين استاذا للتاريخ في ثانوية الرملة ، ثم رقي سكرتيرا خاصا بمدير المعارف العام فمساعد مفتش في القدس ، واولى الشؤون السياسية اهتماما خاصا وكتب مقالات انتقادية للسياسة البريطانية في فلسطين وقدم للجنة الملكية التي امت فلسطين عام ١٩٣٧ مذكرتين هامتين ، وقد تناول في الاولى « مراسلات مكماهون ــ الحسين » واثبت « عبد اللطيف » فيها ان فلسطين شملها الوعد البريطاني بالاستقلال . وتناول في الثانية « معاهدة فيصل ــ وايزمن » واثبت عدم صحتها . ونشرت ترجمة المذكرة الاولى في جريدة « الدفاع » اليافية بتوقيع مستعار اذ كان محظورا على الموظف في حكومة فلسطين الكتابة في الصحف ، كما نشرت بالانكليزية في جريدة « بالستين بوست » ردا على الدكتور وايزمن بتوقيع مستعار ، ونشر فصولا ومقالات وردودا سياسية نشرت في الصحف والمجلات البريطانية بتواقيع مستعارة .

ونقل « عبد اللطيف » مساعدا لمفتش معارف اللواء الجنوبي ، وهو اكبر لواء في فلسطين ، وكان اصغر زملائه سنا ، واولى مدارس اللواء اهتماما بالغا ، ونال محبة وتقدير الوجوه والمخاتير وتعاون معهم على زيادة عدد المدارس الاميرية ورفع مستواها ، وانشأ في المدارس صفوفا ليلية لايواء وتغذية وتعليم الاطفال المشردين ، واقنع البلديات في اللواء الجنوبي بضرورة تمويل هذا المشروع ، وشجع المعلمين على التطوع للعمل في الصفوف الليلية دون مقابل .

واستمر « عبد اللطيف » في الكتابة والتاليف والمحاضرة والاذاعة، ونشر عدة مقالات في مجلتي « المنتدى » و « القافلة » المقدسيتين ، واذاع سلسلة من الاحاديث الرائعة وقد تناول فيها التربية الاسلامية ونظام الجيش في الاسلام واساليب العرب في الحكم ، وانتدب لدراسة امكان ادخال الاذاعة في المدارس ، فوضع تقريرا نال تقدير المسؤولين ووكلوا اليه تنفيذه ، فجعل البرامج الاولى مقصورة على تاريخ العرب .

وعند اعلان قرار تقسيم فلسطين (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) كان « عبد اللطيف » مفتشا عاما في لواء القدس ، فعزم على السفر الى بريطانيا لدراسة انظمة التربية والتعليم فيها على ان يعود لخدمة بلاده في مجال التربية والتعليم ، لكن النكبة الاولى (١٩٤٨) حالت دون تجسيد اهدافه اعمالا ... فظل في بريطانيا بعيدا عن الوطن السليب ... وقرر الانصراف الى البحث العلمي ، واستمر في دراسة النظام البريطاني علما وعملا ، وزاول التعليم في جميع انواع المدارس الانكليزية ونال على دراسته درجة (الدكتوراه) في الفلسفة من جامعة لندن بعد ان قدم لها اطروحة بعنوان « المعارف في فلسطين : تحت الاحتلال والانتداب البريطاني من ١٩١٧ ــ ١٩٤٨ » .

وفي بريطانيا فتحت له كبريات المجلات العلمية صدرها ، فنشر مقالات متعددة الموضوعات في المباحث التي اختص بها ، وغدا اسمه معروفا في سائر الاوساط العلمية ، فمنحته جامعة لندن درجة (استاذ باحث) للتفرغ الى دراسة المصالح البريطانية الثقافية والدينية في فلسطين في القرن التاسع عشر. واستكمالا لهذا الموضوع زار استانبول ودمشق وبيروت وجمع المعلومات الوافية ونشر كتابا تم طبعه في مطبعة جامعة اكسفورد ، وقابلته الجامعات الكبرى بالاطراء والتقدير ، ودعته جامعة هارفارد في الولايات المتحدة ليكون (استاذا باحثا) وعهدت اليه باخراج كتاب مماثل عن المصالح الاميركية الثقافية والدينية في سورية في القرن التاسع عشر ، فانجز المشروع بعد رحلة قام بها الى المشرق العربي ، وقوبل اثره هذا باعجاب العلماء والمحافل العلمية والثقافية .

ومكافاة للدكتور الطيباوي على هذا الاثر العلمي منحته جامعة لندن درجة (دكتوراه في الادب) ، وهي درجة اعلى من درجة (دكتوراه في الفلسفة) ولا تمنح هذه الدرجة الا للعلماء المبرزين ، ولم ينلها عالم عربي حتى الان سوى الدكتور حسن ابراهيم حسن .

وبعد عودة الدكتور الطيباوي من الولايات المتحدة الى جامعة لندن انصرف بكليته الى البحث العلمي وتعليم حملة الماجستير

١ ــ جيمس مونرو (١٧٥٨ ــ ١٨٣١) الرئيس الخامس للولايات المتحدة (١٨١٧ ــ ١٨٢٥) . اساس نجاحه في الحياة السياسية صداقته لتوماس جيفرسون الذي درس عليه القانون (١٧٨٠ ــ ١٧٨٣) . هاجم الاتحاديين في اثناء عضويته بمجلس الشيوخ (١٧٩٠ ــ ١٧٩٤) . قام ببعثات دبلوماسية في فرنسا واسبانيا وانجلترا . عين وزيرا للخارجية (١٨١١ ــ ١٨١٧) ، ووزيرا للحربية (١٨١٤ ــ ١٨١٥) . عرفت فترتا رئاسته للولايات المتحدة بعهد الشعور الطيب، اذ حلت مسألة فلوريدا ومسألة الحدود مع كندا . شجع مشروع استيطان الزنوج الامريكيين ، اعلن مبدأ مونرو الذي اكد حق الولايات المتحدة بين أمم العالم ، القاضي بمنع التدخل من جانب الدول غير الامريكية في شؤون العالم الامريكي .

٢ ــ هوارد بلس : هو نجل القس دانيال بلس اول رئيس للجامعة الاميركية في بيروت من سنة ١٨٦٦ الى سنة ١٩٠٣ وقد خلف والده على رئاسة هذه الجامعة من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩٢٠ .

والدكتوراه .

من آثاره العلمية : نشر الدكتور الطيباوي عشرات المقالات والمراجعات في التاريخ والتربية ، وصنف كتبا اتسمت بالعمق والشمول باللغتين الانكليزية والعربية ، ومن كتبه بالانكليزية :

١ ـ التعليم العربي في فلسطين في عهد الانتداب ، طبع في لندن سنة ١٩٥٦ .

٢ ـ المصالح البريطانية في فلسطين ١٨٠٠ ـ ١٩٠١ ، طبع في اكسفورد سنة ١٩٦١ .

٣ ـ المصالح الاميركية في سوريا ١٨٠٠ ـ ١٩٠١ ، طبع في اكسفورد سنة ١٩٦٦ .

٤ ـ محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ج١ .

٥ ـ محاضرات في تاريخ العرب والاسلام ج٢ .

وله نشرات بالانكليزية عرفنا منها :

١ ـ مستشرقون ناطقون بالانكليزية ، طبع في لندن سنة ١٩٦٤ .

٢ ـ الغزالي في اللاهوت ، طبع في لندن سنة ١٩٦٥ .

التاسع عشر ، طبع في لندن سنة ١٩٦٦ .

ومن كتبه العربية التي وقفنا عليها :

١ ـ التصوف الاسلامي العربي . تولت نشره « دار العصور » بالقاهرة لصاحبها المرحوم اسماعيل مظهر .

٢ ـ محاضرات في تاريخ العرب والاسلام (ج١) طبع في بيروت سنة ١٩٦٣ .

٣ ـ محاضرات في تاريخ العرب والاسلام (ج٢) طبع في بيروت سنة ١٩٦٦ .

وفي سنة ١٩٦٩ نشر الدكتور الطيباوي كتابا بالانكليزية عنوانه « القدس » وتولت اصداره مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت. وفي هذا الكتاب حرص الدكتور الطيباوي على ان يوجه عناية الى مكانة القدس في نفوس المسلمين والمسيحيين العرب ردا على عشرات الكتب التي تناولتها وسائل الاعلام الاسرائيلي الصهيوني والتي تهدف الى اظهار مكانة روحية كبيرة للقدس عند اليهود ، تبريرا لاحتلالها وضمها .

وهذه الدراسة الموجزة ليست سوى عصارة لدراسات ومؤلفات وابحاث ووثائق عن المدينة المقدسة وعن دورها الاساسي في التاريخ العربي والاسلامي ويمكن تقسيم هذه الدراسة الى قسمين :

الاول : يتناول المرحلة الممتدة من سنة ٦٢٨ ، (عندما وافق عمر بن الخطاب على ان تستسلم له المدينة) حتى سنة ١٩١٤ .

الثاني : يتناول المرحلة الممتدة من ١٩١٤ ـ ١٩٦٧ .

وبين الدكتور عبد اللطيف في مؤلفه القيم هذا أهمية القدس عند المسلمين بانها اولى القبلتين وثاني الحرمين الشريفين ، وبانها المكان الذي انطلق منه النبي العربي محمد بن عبد الله في رحلة الاسراء والمعراج الى السموات .

ومن خلال وقائع التاريخ الاسلامي الديني والسياسي يظهر المؤلف كيف ان القدس كانت المدينة الاسلامية الثالثة بعد مكة والمدينة ، حتى ان معاوية نصب نفسه خليفة فيها ، وليس في دمشق التي كانت عاصمة حكمه . ويكشف الدكتور الطيباوي عن حادثة قد تبدو بسيطة في ظاهرها الا انها على درجة كبيرة من الاهمية على الصعيد الديني وهي ان « بلال » مؤذن الرسول الكريم توقف عن ممارسة الاذان منذ وفاة الرسول ، وذلك احتراما له ، والمرة الاولى والوحيدة التي خرج فيها عن هذا الالتزام كانت في القدس ، وبناء على طلب من الخليفة عمر .

وفي هذا الكتاب يوضح الدكتور الطيباوي كيف مارس المسلمون تعاليم دينهم بالتسامح مع أهل الكتاب من المسيحيين باحترام شعائرهم الدينية ، وبتأمين حرية الانتقال والوصول الى الاماكن المقدسة في المدينة ، وذلك خلافا لما كان عليه وضع القدس قبل الفتح الاسلامي ، وخلال الاحتلال الصليبي لها ، ذلك الاحتلال الذي انتهى على يد صلاح الدين يوم ٢٧ رجب من سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) وهو اليوم الذي صودفت فيه ذكرى الاسراء والمعراج .

ويخص المؤلف في هذا الجزء كذلك الهجرة اليهودية الى فلسطين بعناية ويعرض كيف ان اليهود الذي كان يحرم عليهم دخول القدس بدأوا يتوافدون اليها مستغلين التسامح الاسلامي في عهود صلاح الدين والمماليك والعثمانيين .

وعندما انشئت اول قنصلية بريطانية في القدس كان من مهماتها « حماية اليهود » الذين بدأوا في ذلك العهد محاولات حثيثة لاقامة اول معبد لهم ، ومن ثم للمطالبة في سنة ١٨٣٩ بحقوق مزعومة في حائط البراق الذي يسمونه « حائط المبكى » ويبين الدكتور الطيباوي كيف عارض المسلمون والعرب تلك المحاولات برغم مؤازرة القنصلية البريطانية لمطالب اليهود حتى اصدرت الحكومة العثمانية في ١٨٨٧ اوامر بمنع المهاجرين اليهود من الاقامة او التملك في القدس او في أي جزء من اجزاء فلسطين ، وبالسماح لهم فقط بزيارة المدينة المقدسة زيارة موقتة .

وخلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) كان اليهود في فلسطين الذين راوح عددهم بين ٦٠ و ٨٠ الفا ، حصلوا على وعد بلفور (٢ تشرين الثاني ١٩١٧) باقامة وطن قومي لهم في فلسطين ، وكان العرب كذلك حصلوا على وعد بالاستقلال استنادا الى رسالة مكماهون (٢٥ تشرين الاول ١٩١٥) ويبدي المؤلف كيف ان ذلك ادى الى زيادة النفوذ اليهودي ، حتى وقع في نيسان ١٩٢٠ اول اشتباك خطير بين العرب واليهود في مدينة القدس سقط فيه عدد من القتلى والجرحى من الجانبين .

ولما انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ بدأ الهجوم اليهودي على المدينة المقدسة ، ومع انه كان فاشلا اصاب عددا من الاماكن الاسلامية والمسيحية المقدسة باضرارة كبيرة .

اما في سنة ١٩٦٧ فيقول المؤلف ان الاردنيين تراجعوا امام قوات العدو المتفوقة ، كما سبق ان تراجع الاتراك في سنة ١٩١٧ .

ويتحدث الدكتور الطيباوي عن دور الامم المتحدة فيقول : « ان الجمعية العمومية اتخذت توصيتين في ٤ تموز ١٩٦٧ و ١٤ منه بعدم شرعية احتلال اسرائيل للمدينة المقدسة ، وان مجلس الامن نفسه اتخذ قرارا بهذا المعنى ايضا في ٢١ ايار ١٩٦٨ ، الا ان اسرائيل التي لم تحترم يوما قرارات الامم المتحدة ، ضربت بهذه ايضا عرض الحائط ! »

٢ ـ محمود الحوت

الحكمة التي آمن بها « محمود » واتخذها شعارا ، وظل يترنم بها قول القس مارتن لوثر كنج زعيم الزنوج في الولايات المتحدة الاميركية:

« سوف يأتي عصر رائع ، لن يطول انتظاره ، في الطريق الينا منذ امد بعيد .. بعيد ! » .

ولد « محمود »في مدينة يافا بفلسطين عام ١٩١٦ لاب بيروتي الارومة من آل الحوت المعروفين بالعلم والفضل في مدينة بيروت ولام يافية فاضلة تنتسب الى اسرة كريمة النبعة . ونشا « محمود » وترعرع في المدينة الجميلة التي رأى فيها النور ودرج في مغارس العز والدلال ، وهو القائل فيها بعد ضياع وطنه المغصوب :

ما تغنى من الطيور الجريح لا ولا خف للسباق الكسيح
فالرجاء الضحوك ما عاد في الافق على ربوة الاماني يلوح
اين رحب من السهول فسيح وزواه من الفراديس فيح
ابكتها من الهضاب الاعالي ورثتها من الجبال السفوح

ثم اين الشواطىء الطهر تغدو نشوة الروح فوقها وتروح
والبساتين مالها ؟ سل شذاها هل تحجرت يا شذى لا تفوح
والمروج المروج ما حل فيها غير ريح من الصحارى تنوح
ليس يجدي السؤال فالنفس ضاقت وتمنى الفراغ صدر رزيح
أين «يافا» العروس يا ويح «يافا» اسنحي بكاؤها ام شحيح
اقفرت وهي قطعة من جنان بعد ان حل عن حماها النزوح

انهى « محمود » دراسته الابتدائية والثانوية في « يافا » مسقط راسه والتحق بالجامعة الاميركية في بيروت ونال منها في عام ١٩٣٧ بكلوريوس في الادب العربي ، وعاد الى يافا وزاول عملا حرا . وبعد ان تفاقمت الاضطرابات السياسية في فلسطين عام ١٩٣٩ نزح الى بيروت ومنها قصد بغداد وعين مدرسا للادب العربي في ثانوية اميرية ، ولايثاره الهدوء عين استاذا في مدرسة « عنة » المتاخمة للحدود السورية الشمالية الشرقية .

وتطلعا الى مزيد من العلم عاد « محمود » الى بيروت والتحق بالجامعة الاميركية وحصل عام ١٩٤٠ على شهادة (استاذ في العلوم) وكانت (الاطروحة) التي قدمها بعنوان « في طريق الميثولوجيا عند العرب » وهو بحث نفيس مسهب في المعتقدات والاساطير العربية قبل الاسلام .

وعاد « محمود » الى يافا وعين مساعدا لمراقب البرامج العربية والنشر في محطة الاذاعة الفلسطينية بالقدس وبعد عام ونيف من عمله هذا استقال ليشغل وظيفة مفتش معارف في بلدية يافا ، ومساعد مفتش معارف اللواء الجنوبي ، وظل في عمله الحكومي هذا حتى انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ووقوع النكبة الاولى عام ١٩٤٨ فلجأ الى بيروت ومنها الى بغداد ليعمل استاذا للادب العربي ومحاضرا في كل من « الكلية التوجيهية » و « كلية الاداب والعلوم » و « كلية الملكة عاليه » وامضى ثلاث سنوات وما لبث ان عاد الى بيروت وعين استاذا للادب العربي في الكلية الاستعدادية بالجامعة الاميركية (١٩٥١ ـ ١٩٥٢) وما كاد هذا العام يمر حتى استدعته جامعة تكساس بالولايات المتحدة استاذا زائرا وانشا فيها دائرة للدراسات العربية والشرقية ، والقى عدة محاضرات باللغة الانكليزية معرفا الاميركيين بماضي العرب وتاريخهم وادبهم وبعدالة القضية الفلسطينية، الا ان ما أسدل على ابصار ابناء العم سام حال دون رؤيتهم نور الحق الابلج في كل ما يتعلق بقضايا الشرق العربي عامة وقضية فلسطين خاصة .

وفي اوائل عام ١٩٥٣ عاد « محمود » الى بيروت وعمل في حقل التعليم وبعد فترة قصد الكويت وعين مديرا للتلفزيون وما لبث ان عاد الى بيروت وعين استاذا للادب العربي في كلية المقاصد الخيرية .

ويقتضينا الانصاف ان نشير الى نشاط « محمود » في القطاع الادبي بيافا قبيل وقوع النكبة الاولى ، فقد أمها للمحاضرات عدد كبير من اعلام الادب والفكر في العالم العربي امثال العقاد والمازني والحكيم والشيخ فؤاد الخطيب ومحمد الشريقي وخليل مردم وعمر ابو ريشة وعبد الله العلايلي وامين نخلة وكرم ملحم كرم والحوماني والاخطل الصغير واحمد الصافي النجفي ومحمد الجواهري .

ويعود نشاط « محمود » الى عهد دراسته الثانوية في يافا والى عهد طلبه العلم في الجامعة الاميركية ببيروت اذ كان من ابرز اعضاء « العروة الوثقى » ونشر المقالات والقصائد في طائفة من الجرائد والمجلات العربية ، تارة بتوقيعه الصريح وتارة بتواقيع مستعارة مثل (م) و (م ح) و (فلسطيني) و (بحري) و (ربيع) و (نزيل بغداد) و (بعيد) الى غير ذلك ، وكان يستهويه نشر خواطره ونفثات قلمه في مجلة « الاديب » .

ومن الاحداث الممضة لشاعرنا الحوت ، وما زالت تحز في نفسه، فقده مجموعة كبيرة من شعره بعنوان « ربيع » اثناء رحلة قام بها من بيروت الى بغداد ، بالاضافة الى ذخائر شعرية وابحاث ومحاضرات ادبية خلفها في يافا في ربيع عام ١٩٤٨ واستولى عليها العلج الصهيوني غنيمة باردة .

من آثاره القلمية : عالج « محمود » القصيدة والقصة والمقالة والخرافة وصنف باقة من هذه الالوان في مقدمتها :

١ ـ المهزلة العربية : نشر فصولها في مجلة « الاديب » ثم حزمها كتابا صدر عام ١٩٥١ .

٢ ـ في طريق الميثولوجيا عند العرب : بحث مسهب في المعتقدات والاساطير العربية قبل الاسلام ، نشر فصوله تباعا في مجلة « الاديب » ثم حزمها كتابا صدر في عام ١٩٥٥ .

٣ ـ ملاحم عربية (شعر) صدر عام ١٩٥٨ .

٤ ـ قصة عائدة (لجون رسكن) (مترجم) صدر عام ١٩٦١ .

٥ ـ اللهب الكافر (شعر) صدر عام ١٩٦٣ .

٦ ـ الثورة والادب : بحث قدمه « محمود » الى مؤتمر الادباء العرب المنعقد في بغداد عام ١٩٦٥ .

٧ ـ صراخ الارض : (شعر) .

نماذج من شعره : ربطت بين المغفور له الامير عبد الله بن الحسين (قبيل التتويج) وبين المترجم له مودة لحمتها الادب ، فكان الامير الاديب يدعو « محمودا » الى عمان والشونة لقرض الشعر وتشطير القصائد ، وكان موضع تقديره وعطفه .

ومن المرويات التي ادخرتها لهذا الفصل ما يلي :

في اعقاب الشهر الثامن من عام ١٩٤٢ قام الامير عبد الله برحلة الى محافظة الكرك ولما مر موكبه بوادي الموجب انشد الاستاذ عبد المنعم الرفاعي قصيدة بين يدي الامير مطلعها :

حمدت ذا الدرب في اولى وآخرة لولا الذباب ولولا كبوة الفرس

وقد نسج الاستاذ الرفاعي على منوال قصيدة نظمها الامير الشاعر في تلك الرحلة . ولما تناهت القصيدة الرفاعية الى « محمود » رد عليها بقصيدة من نفس البحر والقافية وبعث بها الى الاستاذ الرفاعي:

ما كنت في ذكر وجدي غير محترس حتى بدا طيفها في هدأة الغلس
فرعا من النور وهاجا كما سطعت في ليلة القدر بشرى فجرها القدسي
مرت على خاطري رؤيا مجنحة اسرى بها في خيالي شارد النعس
لو كنت في الموكب السامي على فرس قباء تنهب درب المقفر الشاس
لما غدوت اناجي الليل في سهري وارقب النجم شأن العاشق التعس
«الموجب» الذعر خير من حواضرنا وأين دهري من ادهارك الدرس
أيام سار العلا والفخر في ضعة تحت الاشاوس من ابطالنا الحمس
هم الاولى شيدت للمجد صولتهم في ذروة الشمس حصنا خالد الاسس
ومر ذيل من النسيان فارتعدت فرائص الكون من آثارنا الطمس
فلا تقل قول واهي النفس متعبها او قول مكتئب حيران مبتئس
« يا ويح قلبي كم جفت نضارته حتى غدا قبسا يخبو على قبس»
ان قلت شعرا ولم يفهم له احد معنى لما فيه من سر وملتبس
فاعلم بان اخا الماضي يفسره وان تصدى له بالظن والحدس
لو كنت مثلي بيافا او بجارتها والغيد البن من غصن بلا يبس
تجري على الشاطىء المراح لاهية وتستبد بقلب السمح والشرس
لصرت يا شاعر الاردن طوع أسى وما رأيناك الا ضيق النفس
وقلت من دون ان تقضي الحياة بها او في مباهجها: يا طول محتبسي

وتناول الامير عبد الله قصيدة « الحوت » هذه فخاطبه بقصيدة على منوالها قائلا :

«ماكنت في ذكر وجدي غير محترس» يقوله شاعر قد هيض من شمس
قب شوازب في ركب مشين به يتبعن للعرب رأسا غير منتكس
فهاجه الشعر من بعد وعن كثب فجاء بالدر قولا طيب النفس
يا شاعرا ما عرفناه لساعتنا هلا تزور بلاد الاينق الكنس
فتستطيب رباها والفلا مرحا فتطرح الاين فيها لست بالخنس

بعيدة عن زحام الغير قد عربت ... فيها المكارم تحيا لسن بالدرس
ما كنت احسب ان القول مستمع ... حتى اجبت كلام الشاعر الانس
عبر الجبال وعبر القول تسمعنا ... ما هاج منك ضمير الحانق اليئس
ما هذه الدار الا بعض ارضكم ... لا تياسن لذكرى غابر طمس
من ينصر الله ينصره بلا مهل ... فمن مآثر اسلاف لنا اقتبس

ومن شعر « محمود » الفلسفي التاملي قصيدة بعنوان « نملة » تنطوي ابياتها على دروس في الحزم والتصميم ، وعظات في العمل الدؤوب المتواصل :

رأيتها نملة تسعى وقد حملت ... عبئا من الزاد تموينا وتخزينا
ولم يكن دربها سهلا ، ولا فرشت ... امامها الارض ريحانا ونسرينا
لكنها ثابرت ، حتى اذا اقتربت ... من مدرج النمل بعد الكد والتعب
توقفت اذ رأت يا هول رؤيتها ... سورا على البيت مضروبا من اللهب
وهكذا شعرت بالموت مشتعلا ... يحول دون دخول النمل بالنار
فاسقطت من يديها الحب وانصرفت ... تلف حول اندلاع النار في الدار
ولم يلن عزمها او تنقلب هربا ... وتهجر الوطن المحفوف بالخطر
بل جابهت صولة النيران عن كثب ... بصارم من اباء الثائر الحذر
حتى استقر بها سعي واوقفها ... على ممر وقد ماتت به الشعل
فاجتازت السور لم تخذل ارادتها ... ولا خبا في مطاوي نفسها امل
ورحب ارقب كالمذهول من عجب ... ما يدهش العين من مستحدث العبر
وقد مضت لحظة طالت وما ظهرت ... من المخارم حتى ضاق مصطبري
وكدت اياس لولا انها خرجت ... تسعى وتطلب شيئا غاب عن حدسي
واذ به كسرة القمح التي تركت ... مصطرة وهي تبغي بيتها القدسي
وعندما بلغتها بعد ان بحثت ... خلف الرماد، وما اعيت بها الحيل
عادت بها فسمعت النفس قائلة : ... هلا افادك حزم النمل والعمل

وخير ما ننهي به هذا الفصل قصيدة « العربي الفدائي » وفيها يصور ايمانه بربه ووطنه ، وقد وضع روحه على راحته واخذ يفتش عن العلج الدخيل على ارضه ، الطامع بوطنه :

قطعة من كدر
أين منه المفر ؟
يقذف الرعب في عروق الجماد
والردى طوع أمره في الجهاد
حيه ... حيه
يا اخي في الكفاح
فهو عن وعيه
غارق في السلاح
لا يرى غير ساحة الامجاد
واقفا للعدو بالمرصاد
ذائدا عن حماه كالآساد
سله عن صحبه
عن جنود الفدا
كيف صاخوا به
أين أين العدى ؟
وهو في دربه
باحث عن ردى
يا لقلب غدا عشيق النضال
قد في الصدر من صخور الجبال
أين منه أجنة الابطال ؟
حين تحمر ناصيات الليالي
يا له في الوغى
شعلة من لهب
هل تراه ابتغى
غير مجد العرب ؟
في اقتحام الصعاب كالبركان
وتحدي الحديد والنيران
والكفاح المرير في الميدان
وليكن ما يكون
في رحاب المنون
والهجوم المظفر الجبار
وانتصار العروبة القهار

وظل « محمود » يبكي وطنه المغصوب ، ويتفجع على « يافا » العروسة المفقودة ... ويقول منتحبا :

يافا، لقد جف دمعي فانتحبت دما ... متى اراك؟ وهل في العمر من أمد
امسي واصبح والذكرى مجددة ... محمولة في طوايا النفس للابد
كيف الشقيقات؟ واشوقي لها مدنا ... كانها قطع من جنة الخلد
ماحالها اليوم.. يا (يافا) وهل نعمت ... من بعد ان سلمت امسا يدا بيد
وكيف من قد تبقى في مرابعها ... وقد تركناه فيها ترك ملتحد
ما بال قلبي اذا ما سرت في بلد ... يصيح من وجده في الصدر وابلدي
مهما استقام له من عيشة رغد ... وجدته هازئا بالعيشة الرغد
تعبت.. لكنني ما زلت في تعبي ... اشكو الى الله لا أشكو الى احد

٣ ــ الدكتور متري برامكي

ظل الشعار الذي آمن به الدكتور برامكي وفاخر بترداده الحكمة القائلة : « ما زلت اشرب ولا ارتوي ، فلما عرفت الله ارتويت من غير شرب ! »

ولد في بيت المقدس عام ١٩٠٩ وانهى دراسته في مدرسة المطران بالقدس واحرز شهادة امتحان اوكسفورد وكمبردج بامتياز عام ١٩٢٥ والتحق بالجامعة الاميركية وامضى فيها سنتين واجتاز امتحان مترك لندن وامتحان الشهادة المتوسطة لجامعة لندن عام ١٩٣٠ ونال بكلوريوس آداب من جامعة لندن عام ١٩٣٤ وبعدها شهادة (الدكتوراه) من هذه الجامعة ، وكان موضوع الاطروحة التي قدمها « الثقافة والآثار في العهد الاموي » وهي دراسة مقارنة ذات اشارة خاصة الى نتائج الحفر في خربة المفجر .

وبعد عودته الى القدس عين مفتشا للآثار في المتحف الفلسطيني بالقدس ، ومثل حكومة فلسطين في مؤتمر المستشرقين المنعقد في روما عام ١٩٣٥ ورقي رئيسا للمفتشين في متحف الآثار الفلسطيني عام ١٩٤٥ ، وبعد حلول النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) عين استاذا مشاركا للتاريخ القديم في الجامعة الاميركية ببيروت ، وقام باعمال الحفريات الاثرية في تل الغسيل بين ١٩٥٦ و ١٩٦١ .

ومثل الجامعة الاميركية في بيروت في طائفة من المؤتمرات الاثرية المنعقدة في بعض الاقطار العربية ، وفي عام ١٩٥٨ رقي الى وظيفة استاذ في الجامعة الاميركية وندبته منظمة اليونسكو خبيرا في الآثار لفترة ما قبل التاريخ .

من آثاره القلمية : نشر الدكتور برامكي دراسات تاريخية شاملة في امهات المجلات العلمية الاوربية والاميركية وقد تناول فيها الاماكن التاريخية الاثرية في فلسطين والاردن .

ومن اشهر مصنفاته التاريخية التي وضعها بالانكليزية :

١ ــ مقبرة رومانية بيزنطية في شمال فلسطين
٢ ــ متحف الآثار في الجامعة الاميركية ببيروت
٣ ــ فينيقيا والفينيقيون (ترجم هذا الكتاب الى اللغة الالمانية)
٤ ــ الطريق الى البتراء (طبع هذا الكتاب ٩ طبعات)
٥ ــ دليل القصر الاموي في خربة المفجر (طبع هذا الكتاب عدة طبعات)
٦ ــ القوة والفخامة في الشرق القديم
٧ ــ اثر الاغريق في الشرق القديم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ ـ الآثار الفينيقية

٩ ـ التاريخ الثقافي للشرق الادنى

نموذج من نثره : « ان ما نعرفه عن آثار دولة بني امية في فلسطين وشرقي الاردن ، عدا الجامع الاقصى وقبة الصخرة المشرفة ، قليل جدا ، رغم وقوفنا على تاريخهم وفتوحاتهم وآدابهم ، وفي اعتقادي ان اهمالنا درس هذه الآثار هذا الاهمال ، يعد قصورا منا .

ان العصر الاموي من الوجهة الهندسية ، يقسم الى قسمين ، ففي القسم الاول ، كان الامويون يقطنون بيوت الشعر ، مؤثرين حياة البادية ، على المعيشة في القصور والمدن ، ومن ذلك قول ميسون امراة معاوية المأثور :

لبيت تخفق الارواح فيه احب الي من قصر منيف

وبعد ان قهروا اعداءهم المجاورين كالروم والفرس ، وكادوا يبيدون خصومهم ، واستقر سلطانهم في جميع الاقطار المجاورة اخذوا يعنون بأمور راحتهم ورفاهيتهم ، فراحوا يعمرون المساجد ويشيدون القصور المنيعة ، لا سيما الوليد بن عبد الملك الذي عمر المسجد الاموي في دمشق واتم زخرفه الانيق ، وابوه عبد الملك بن مروان الذي شيد الجامع الاقصى وقبة الصخرة المشرفة . ورغم ضرورة اقامتهم في دمشق عاصمة ملكهم ما زالوا يؤثرون حياة البادية ايام الشتاء ، ولكن حياة الرفاهية التي اعتادوها في المدن ، ابت عليهم المعيشة في بيوت الشعر ، لذلك اخذوا يشيدون القصور في البادية والاراضي المنخفضة التي تشابهها في المناخ . ومن هذه القصور في شرقي الاردن « المشتى » و « قصر خرانة » و « قصر عمرا » وفي فلسطين القصر الذي نعنى بالكشف عنه الآن في خربة « المفجر » قرب أريحا .

وقصر « المشتى » ، كما يتضح من اسمه ، كان مشتى للامير ويقع على بعد اثنين وثلاثين كيلو مترا جنوبي عمان ، وهو بناء مربع طوله وعرضه مئة واربعة واربعون مترا ، وهو محاط بثلاثة وعشرين برجا مستديرا ، وعلى جانبي المدخل الذي يقع في الجهة الجنوبية ، برجان منحسما الشكل . وجدران القصر من الخارج على جانبي المدخل ، مزينة بالنقوش حتى اول برج مستدير . نقلت هذه النقوش برمتها قبل الحرب العالمية الاولى الى برلين ، وهي موجودة الآن في متحف « كيزر فريديتش » وتعد من اهم محتوياته ، وتؤلف هذه النقوش من اثنين وعشرين مثلثا كل منها مزخرف بأسلاك الدوالي وفي وسطه زهرة كبيرة ، وبين المثلث والآخر مسدسة داخلها مزين باوراق شوك اليهود ، وهذه النقوش نالت اعجاب جميع الفنيين العصريين على اختلاف آرائهم وميولهم . وهناك عمارتان داخل السور الخارجي، الاولى قرب المدخل في الجنوب ، والاخرى في القسم الشمالي من القصر ، ويفصلهما صحن مربع، طوله وعرضه سبعة وخمسون مترا على وجه التقريب .

اما البناء الجنوبي فمؤلف من ايوان طوله سبعة عشر مترا وعرضه عشرة امتار ، محاط باروقة اقل اتساعا منه ، وغرف عديدة يظهر انها اعدت لحرس القصر . والبناء الشمالي يحتوي على ايوان مستطيل الشكل ، في آخره ثلاثة محاريب . وهذا البناء ايضا تحيطه الاروقة والغرف من الجهتين الغربية والشرقية ، غرفتان على جانب كل رواق . واساسات هذا البناء مبنية من الحجارة المنحوتة ، واما الجدران ، فمن الطوب عدا القوس الذي في اول الايوان المستطيل المبني من الحجارة المنقوشة فقط .

واما جانبا القصر الشرقي والغربي داخل السور ، فلم يتم بناؤهما ، ولكن يظهر انه كان في النية تعمير مسجد في الجهة الشرقية ، حيث وجدت آثار محراب في الحائط الجنوبي ، وربما كانت ثورة العباسيين سببا لعدم اتمام البناء » .

٤ ـ مؤيد ابراهيم ايراني

ولد في عكا عام ١٩١٠ ونزح مع والديه الى حيفا ودرس في « كلية الفرير » هناك واجاد ست لغات حية هي: العربية والعبرية والفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية بالاضافة الى الفارسية لغة والديه .

وبعد تخرجه من « كلية الفرير » عين موظفا في بلدية حيفا وتدرج في عمله الى ان اصاب وظيفة « كاتب المدينة » . وخلال دراسته قرض الشعر في سن مبكرة ونشر منظومه في « السياسة الاسبوعية » وفي الصحف الفلسطينية وعلى الخصوص مجلة «الفجر» اليافية .

ومن ابرز سمات شعره التشاؤم ومخاطبة « الليل » و «النجوم» و « الهموم » واليأس من « الحياة » ونفض اليد منها .

من آثاره القلمية :

١ ـ الدموع : ديوان شعره وقد طبعه في حيفا عام ١٩٣١

٢ ـ مجنون ليلى : مسرحية .

نماذج من شعره :

ايه يا ليل انت مرآة نفسي في ظلامين من شقاء ويأس
انت داج وان قلبي داج ايها الليل من هموم وبؤس
وبقلبي هواجس اليأس تدوي كدوي الرياح ليلة وكس
حجب البدر وجهه عنك يا ليل ولم تدرك نظرة خلس
كان بالامس والنجوم حواليه كأن السماء منه بعرس
كان يا ليل زاهيا كمليك ومقيما من السنى فوق كرسي
وهو الآن لا يلوح في الافـ ـق فهل تناسى حوادث أمس
انما هذه الحياة ليال تنقضي ما بين سعد ونحس

شبح اليأس قد ألم بنفسي يا لنفسي من يأسها يا لنفسي
وكأني به صديق حميم قائم تحت راحتي ولمسي
وكأني أرى الضياء ظلاما واخال اليقين حدسا بحدس
وكأن الاحداث جيش يشد الدهر فيه علي تحت الدرفس
لم أزل في بحر الشدائد أجري فمتى في ثغر الامان سارسي
وسفيني تسير نحو هلاكي في رياح شديدة العصف شمس
يا حديثا لليأس طي فؤادي يتتالى ما بين همس وجرس
رحمة بي فانني منك في بث شديد وفي ظلال ولبس
أنا في الشعر ما طلبت غذاء رحم الله عهد كعب وقس
ما حملت القيثار كي انسى شقاء ما كان يوما بمنس
انما الشعر لا يعود على الشا عر يوما بدانق او بفلس
فلماذا عشقته واذبت القلـ ـب فيه ؟ فهل صبت بمس
ربما احطم اليراع من الاحـ ـزان واليأس او اتلف طرسي
قد غرست الجميل يا ليل في ترب جديب ما ان يليق بغرس
ايها الليل ! هل ستبقى طويلا أم سيبدو الصباح منه بشمس
فتزحزح يا ليل وامش قليلا وتحسس ان كنت من غير حس
ليس الا الردى والا البلايا ما ارجي من الزمان الاخس
قد لبست الآلام ثوبا وغيري مرتد للهناء ثوب الدمقس
ذاك سيفي وذاك ترسي ولم آل الرزايا ضربا بسيفي وترسي
هي في بطشها تلج وتغلو وانا في بطشي الج ويأسي
انني في ربيع عمري تجرع ت من الهم والاسى كل كاس
قد بلوت الاحزان طيلة عمري لا معز بجانبي لا مواس
وبلوت الصحاب طرا فكانوا كابن آوى في ودهم وابن عرس

ان قلبي من شدة الوجد قد شاب وان لم يبيض بالشيب رأسي
وانا بعد كل ارزاء عمري مصبح في الاسى وفي الهم ممسي
بيد ان الزمان اظلم من ان يدع السعد لحظة تحت لمسي
فرماني بنحسه وشقاه وتعدى على بوارق انسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لزوم ما يلزم

مهداة الى العبقري محمد اديب العامري

اعدت سيرة (غندي) (١) واستقيت دمي ... وما رعى فيه (شوقي) رعية الحرم
« اديب » ، انت مدار الخلق في ادب ... يعطر الروح او يحطو لدى الذمم
تعال ننظر بتاريخ البيان هوى ... كان العفيف وفيه نخوة الهمم
هذا ابو الطيب المراح خاطره ... احيا الحماسة بين السيف والكرم
قبلت اشعاره حتى ملأت بها ... كتبي ، وعلمني الآداب في الشمم
وعشت في العصر ابغي فيه واشجة ... تبقى لدى سيرة العرباء في القيم
ألوذ بالشعر من « شوقي وحافظه » ... وما شدا فيه مطران على القمم
وما شدت فيه افذاذ غطارفة ... عاشت على « بردى » او وارف الهرم
وفي حمى « دجلة » ، من كل متشح ... برد الشهامة في الاشعار والحكم
والشعر كالجسم يصميه الضنا فعلى ... دنياه عاثت لئام الحرف والكلم
قال (العزيز) (٢) وقد كنا نرى بددا ... يهدد الشعر في معناه والنظم
فهل أسفت سماعا من شراذمة ... هاموا بتهديم حصن الضاد بالرجم
تسيل اقوالهم سوءا ومثلبة ... بها يهيجون شهوات على العرم
وحين شاموا لنا خصما أخا حرب ... دعاهمو الخجل المصفر للندم
فشقشقوا بحماسات مزيفة ... قد مازها السوق وانداحت الى العدم

بنت الذنوب لئن تابت فراجعة ... للسوء وهو بها داء من القدم
وللذئاب حنو ناسك لبست ... فيه المسوح لتخفي الفتك بالغنم

١ ـ اشارة الى المقال الافتتاحي الذي نشرته « الاديب » للاستاذ الكبير محمد اديب العامري في عدد يونيو ، ٢ ـ هو الشاعر الكبير عزيز اباظة .

دمشق — زكي المحاسني

ويسرف « مؤيد » في تشاؤمه ، ويعج شعره الفاحم بالشكوى واليأس والسأم ... ويتخذ من « نائح البان » ـ كما اتخذ (شوقي) من « نائح الطلح » وهو في منفاه باسبانيا ـ اليفا يبثه همه ويحسر عن جراحه وندوب قلبه ، ويشكو له غدر « ليلى » التي بانت ... ولم تقم وزنا لاناته وشكاته :

يا نائح البان هل ابكتك احزاني ... أم هل تكابد اشجانا كاشجاني
نصيبنا في الهوى العذري ان لنا ... احبة هجرونا كل هجران
انا على الارض اشكو البعد منتحبا ... وانت تشكو النوى من فوق اغصان
ابكي وتبكي ولا خل يساعدنا ... على البكاء ويغرينا بسلوان
أنستريح اذا حانت منيتنا ... من بعد حين وادرجنا باكفان
يا نائح البان ماذا نستطيع اذا ... هاج الحنين بنا يا نائح البان
نظل نلتاع من وجد ولا احد ... له علينا فؤاد المشفق الحاني
ان كنت تبكي اليفا طار في مرح ... الى مجاهل اشجار وافنان
او كنت تصبو الى واد تركت به ... يا طير الطف افراخ واوكان
فانني ايها الباكي انوح على ... حبيبة نسيتني اي نسيان

فها انا مرسل شعري الحزين لها ... على جناح النسيم النائح الواني
وها انا بعد ما بانت احن الى ... لقائها قبل موتي كل تحنان

رفقا شقيقة روحي بي فلي كبد ... حرى عليك وقلب في الهوى عاني
نايت عني وما باليت بي فجفا ... طيب الرقاد طوال الليل اجفاني
لو كان شانك شاني في الصبابة او ... رزقت في الحب وجدانا كوجداني
لراح قلبك يرثي لي ويرفق بي ... وكنت كالطير اشدو فيك الحاني
تمهلي ففدا يذوي جمالك من ... اشراقة وبهاء فيه روحاني
ويممي زهوه لولا يراع فتى ... يبقيه طيلة ادهار وازمان
يا ليتني كنت اعمى مذ ولدت فلم ... تشهد جمالك لي كالناس عينان
وكنت في هذه الدنيا أصم فلم ... تفتن بصوتك لي في الدهر اذنان
وليتني كنت مفقود الشعور بلا ... قلب فاحيا حياة الناعم الهاني
لكنما انا ذو سمع وذو بصر ... وذو شعور وذو قلب ووجدان

عمان ـ الاردن — البدوي الملثم



الدكتور احمد الشرباصي

صورة للدكتور محمد العلائي

بقلم الدكتور احمد الشرباصي

* * *

تناولت الملحق الادبي لجريدة « الاخبار » المصرية الصادرة بتاريخ ١٣ يوليه سنة ١٩٧٠ ففاجأتني فيها كلمة رثاء ووفاء بقلم الدكتور عبد الحي دياب ينعي فيها « فقيد الادب المصري والحضارة الاسلامية » الدكتور محمد العلائي استاذ الحضارة الاسلامية بكلية الآداب في جامعة عين شمس بمصر. ويذكر انه مضى عن الدنيا بلا احتفال، فلم تنشر نعيه الصحف ، ولم ترثه الاذاعة المسموعة ولا الاذاعة المرئية ، ومضى الى ربه في جلال الموت هادئا كما عاش في وقار العلماء هادئا .

يا حسرة علينا ، اهكذا يتخطف الموت احبابنا ، فنفقد انفسنا جانبا بعد جانب ؟. اهكذا يحول بيننا صخب الحياة ، وضجيج المدينة ، وشواغل الدنيا ، فلا نعرف موت الصديق او الحبيب الا وقد صار جزءا من التراب ؟. يا حسرة علينا .

اننا الآن في سنة ١٩٧٠ ، وقد عرفت الدكتور العلائي اول ما عرفته سنة ١٩٣٤ . اي منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما ، وها قد صار خبرا يروى وسيرة تتلى ، ونحن من ورائه على الطريق : ذات الطريق ، لا مفر ولا محيص .

في يوم من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٤ شددت رحلي ـ كما يقول القدماء ـ بمتاعي المتواضع من قريتي « البجلات » احدى قرى محافظة الدقهلية ـ وكانت المحافظة يومها تسمى مديرية ـ بالجمهورية العربية المتحدة ، الى مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية ، لاواصل طلب العلم في معهدها الديني ، وهو احد فروع الازهر الشريف ، وشاء القدر ان يجلس الى جواري في غرفة الدرس شاب هادىء ساكن ، تتالق عيناه ببريق غريب ، وتحدقان الى اعلى باستمرار ، واخذت اتعرف اليه ، وبصري معلق بعينيه ، كانه مشدود اليهما برباط وثيق ، وبعد قليل عرفت ان صاحبي مكفوف البصر ، وان اسمه هو « محمد علي ابراهيم أحمد » وهو الذي عرفه مجتمع الادب والعلم فيما بعد باسم « الدكتور محمد العلائي » عليه رحمة الله .

ولقد سجلت خطوات معرفتي للدكتور العلائي في الجزء الثاني من كتابي « في عالم المكفوفين » الذي صدر في سنة ١٩٥٩ ، وهانذا استمد مما كتبته حينئذ ما يعاونني على استكمال الصورة التي اريد ان ارسمها لذلك الصديق الراحل ، مضيفا الى حديث الامس الذي مضى عليه اكثر من عشر سنوات ما جد على الطريق من احداث ، او ما ثار في الخاطر من ذكريات .

لعل اكثر الذين قرأوا للدكتور العلائي ، وهو استاذ بالجامعة ، لا يعرفون انه ازهري ، وانه قضى في رحاب التعليم على الطريقة الازهرية المأثورة اكثر من عشر سنوات قارب فيها ان يكون شيخا من شيوخ الازهر : ذلك المعهد العملاق الرابض كالاسد على طريق الابد ، ولعل اكثر هؤلاء لا يعرفون ان اكثر مقومات شخصيته الادبية ـ وبخاصة ما يتعلق بالبيان والاسلوب ـ تتأثر بهذه المرحلة في تعلمه وتخرجه في الادب والعلم. ولعل اكثر هؤلاء ايضا لا يعرفون ان اسم « الدكتور محمد العلائي » هذا اسم ادبي ـ او اسم فني ـ فكلمة « العلائي » ليست اسما ولا لقبا له ولا لاحد من آبائه ، وانما ارتضاها الصديق الراحل وهو في نهاية الدراسة الجامعية بالقاهرة لامرين: اولهما ما فيها من نسبة الى ابي العلاء المعري عبقري المكفوفين ، والآخر هو ما فيها من شبه الانتساب الى ابيه وهو « علي » ، وحقيقة اسم الدكتور العلائي هو كما اسلفت « محمد علي ابراهيم احمد » .

وقد ولد الدكتور العلائي في ٨ سبمتبر سنة ١٩١٦ بقرية « كفر الحمام » بجوار مدينة الزقازيق ، وهو من عائلة تسمى عائلة « الفوايد » جمع فايد ، وكان والده شيخا مدرسا في المدارس الابتدائية ، ثم صار مفتشا في المدارس الاولية .

وكان العلائي يبصر في صغره ، ولكن نظره اخذ يضعف وهو في سن الحادية عشرة ، وظل يستطيع ان يقرأ ويكتب حتى بلغ الخامسة عشرة ، وعرضوه على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاطباء للعلاج ، ولكن ذلك لم يمنع استمرار البصر في الضعف ، مع عدم الجزم بسبب هذا الضعف ، اللهم الا ان يكون ضعفا في اعصاب البصر مجهول السبب ، ولما فقد بصره بقيت عيناه سليمتين كعيني المبصر ، حتى ان الذي لا يعرف امره يحسبه حين رؤيته له انه مبصر وليس بمكفوف .

وكان العلائي قبل فقد بصره قد اتجه الى التعليم في المدارس الحديثة ، ولما ضعف بصره تحول من المدرسة الى « المكتب » ليحفظ القرآن الكريم ، تمهيدا لدخوله سلك التعليم الازهري، وقد ساعده والده بثقافته الاسلامية والعربية، ودخل العلائي معهد الزقازيق الديني سنة ١٩٣٠ ، وفي سنة ١٩٣٤ انهى المرحلة الابتدائية في التعليم ، وبدأ المرحلة الثانوية حيث التقيت به كما اشرت ، وكان غير راض بالدراسة الازهرية لان مستقبلها غائم ، ولانه عرف طريق الدراسة المدنية اولا ، ولان الدراسة الازهرية طريق لجأ اليه مضطرا بعد اصابته في عينيه ، ولان نزعة التعليم الازهري غير موجودة في اسرته ، فأغلب من حوله فيها قد تعلموا تعليما مدنيا ، ولكنه شعر عقب فقد البصر انه بحاجة الى مغالبة هذا النقص الحسي ، ولا بد مما ليس منه بد ، فاقبل على دراسته .

وزاملت العلائي خلال الدراسة الثانوية ، ونلنا معا الشهادة الثانوية عام ١٩٣٩، وتجاورنا في فصل الدراسة اوقاتا كثيرة ، وكنا نشترك احيانا في القراءة ودراسة الادب . كنا ونحن طلاب في معهد الزقازيق نلتقي من ليلة الى اخرى ، فتجمعنا اقداح الشاي المتواضعة ، ولفائف التبغ الرخيصة ـ وكنت حينئذ مبتلى بالتدخين قبل ان اتوب منه التوبة النصوح ـ وكان العلائي مسرفا في التدخين ، ويمتد بنا المجلس ، نتنقل فيه من مراجعة لدروس العلم ، الى مذاكرة لاخبار الادباء ، الى مطالعة في مجلة « الرسالة » ، الى انشاد لقصائد الشعراء ، الى محاولة التهاجي بالشعر ، وفي هذه المرحلة تفجرت ينابيع الشعر في صدر العلائي ، وكان من امرها ما كان بعد ذلك ، على حين لم افلح في قول الشعر فانصرفت عنه بعد محاولات فيه هشة .

وكان لنا في معهد الزقازيق زملاء واصدقاء ، منهم السابقون ومنهم اللاحقون ، ومنهم المرافقون ، ويحضرني الآن من اسمائهم الاساتذة : عبد العليم عيسى ومحمد فهمي عبد اللطيف واحمد هيكل واحمد شلبي وجودة احمد سليمان واحمد عبد المجيد الغزالي والمهدي مصطفى ، واحمد عبد الرحمن عيسى ، وطاهر ابو فاشا، ومحمد متولي الشعراوي ، وعبد المعز عبد الستار ، وغيرهم كثير .

وتقبل العطلة الصيفية كل عام ، فامضي الى قريتي « البجلات » ، ويمضي العلائي الى قريته « كفر الحمام » وتكون شهور العطلة فرصة امامنا نتبادل فيها الرسائل حول امور تتصل بالادب والمجتمع ، يبثني شكواه ، واجاوبه على نجواه ، وكنت في العادة ابدأ خطاباتي اليه بكلمة : « يا ابا العلاء » ، وذلك لما كانت تتسم به افكاره ورسائله من ملامح تدنو من روح ابي العلاء ، وكان هو ـ برغم ضيقه وشكواه وتبرمه ووجوه الشبه بينه وبين ابي العلاء ـ يحاول ان يصرفني عن هذا التعبير او هذا النداء ، وقد ادركت انه حين يسمع قولي له : « يا ابا العلاء » ، يثور في نفسه شعور هو مزيج من الرضى والالم : انه يرضى في اعماقه بهذا النداء ، لاعتزازه بشخص ابي العلاء ، ولكنه يتألم في اعماقه ايضا من هذا النداء ، لانه يذكره بكف بصره ، وحرمانه رؤية الاشياء بعد ان كان النور يملأ عينيه في يفاعته .

وكان العلائي ميالا الى الصمت في اثناء الدرس ، لا يشارك زملاءه الاسئلة او المناقشة مع الاساتذة ، وحاولت ان اخرجه يومئذ من هذه العزلة بالنسبة الى الناس فلم استطع ، وكان هو يعوض هذا بانطلاقه في الحديث والحوار اذا ما ضمه مجلس الاصدقاء الضيق النطاق ، وكان من عادته اذا تحمس في الكلام رفع يده اليمنى او يديه معا الى اعلى ، وطمح ببصره البراق الحدقتين ـ وان كانتا لا تبصران ـ نحو السماء .

ثم فرقتنا الايام ، فصرنا لا نلتقي الا لماما . دخلت كلية اللغة العربية ـ حرسها الله معقلا للغة القرآن وادب العرب ـ وحاول العلائي ان يدخل كلية الآداب فلم يتيسر له ذلك ، فدخل كلية اصول الدين بجامعة الازهر ، وانتسب في الوقت نفسه الى الجامعة الامريكية بالقاهرة ليدرس فيها اللغة الانجليزية ، وبعد قرابة عامين قضاهما على هذا الوضع استطاع ان يقتحم ابواب كلية الآداب بمعاونة الاستاذ امين الخولي والدكتور طه حسين ، وقد تحمس الاستاذ الخولي عليه رحمة الله للعلائي وعني كثيرا به .

ودخل قسم اللغة العربية في كلية الآداب ، وتأثر خلال دراسته بالاساتذة : امين الخولي واحمد امين وطه حسين وعبد الوهاب عزام ، ونال درجة (الدبلوم) من الكلية سنة ١٩٤٥ ، وتطلعت نفسه الى بعثة علمية في الخارج ، واستجاب لهذا التطلع الاستاذ اسماعيل القباني فحوله الى معهد التربية ، حيث يقضي سنة دراسية يتجهز فيها للبعثة .

وفي اثناء دراسته الجامعية قال كثيرا من الشعر الحزين الباكي ، وقد نشرنا جانبا منه في مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » واخذ يقتصر في اسمه على كلمتي « محمد العلائي » وعرفته الاوساط الادبية بهذا الاسم ، وكنا نلتقي من حين الى حين في « كازينو طلعت » وهو ناد كان موجودا في ميدان « باب الخلق » بالقاهرة ، على خطوات من دار الكتب المصرية . ولذلك

عيناك

*

لا تسالينـي هـل احبهما
عيناك انـي منهما لهما
وشتيت اخبـاري مصورة
يومـا ويومـا فـي سوادهما
نهران مـن طيب ومن عسل
لـم أهـو نهـرا سال مثلهما
وضفيرتـان اذا تمايلتـا
ابصرت وجـه الحق خلفهما
عام وبعض العام قـد رحـلا
وانـا ألـم الضوء حولهما
كم جئت امسح كربتي بهما
فانـام والآهـات عندهما
الشمس منـذ غدوت غاربة
والارض غيـر الارض بعدهما
الآن احيـا ليس لـي قمـر
مـاذا ساغدو اليـوم دونهما

دمشق — غادة شلبي

كانت جمهرة من الادباء تلتقي فيه على اختلاف منازعها ، وصرت اختلف مع العلائي في الرأي كثيرا ، وكان اكثر هذا الخلاف يدور حول مسائل دينية ، ولكن اختلاف الرأي بيننا لم يمح ما توثق من صداقة .

ومن شعره الحزين الباكي قوله من قصيدة :

يا وحدتي بين نادي الصحب والآل — كل بمثل ، ولم اظفر بامثـال
انا الغريب ، ونفسي في مجاهلها — حيرى تلفت عـن قومي وآمالي
تهفو الى النور في جوع وفي ظمأ — كانها ذلـة فـي وجـه رئبـال
تمضي على الشكو، لا تشكو تعثرها — ولا يغزعهـا تحويـم اهوالـي
مضى الشباب سدى، ما كان اجمله — لو لم اقض سنيه بين اغلالـي
طويت ايامـه اثمـا وسخرية — اصانع الافك فـي حلي وترحالي
من يفهم النفس انافضت بقولها: — يا وحدتي بين نادي الصحب والآل

وفي سنة ١٩٤٧ سافر العلائي الى انجلترا ، وتعلم الكتابة بطريقة « برايل » وهي طريقة الكتابة البارزة ، ولكنه تعلمها بالانجليزية لعدم وجود مـن يعلمها لـه بالعربية ، وفي انجلترا تزوج العلائي من كريمة استاذه الشيخ امين الخولي ، ولكن الزوجين لم يتفقا فافترقا ، وترك هذا الافتراق لونا من المتاعب حدثني عنـه العلائي بعد عودته من انجلترا ، وقد تزوج العلائي مرة ثانية بعد عودته الى مصر ، ولكنه لم يكن في المـرة الثانية اسعد حظا من المرة الاولى .

ونال العلائي درجة الدكتوراه في الدراسات اللغوية سنة ١٩٥٠ ، ثم عاد فقدم رسالة ثانيـة للدكتوراه ايضا عن الحضارة ، وعاد فاشتغل مدرسا فـي كلية الآداب بجامعة القاهرة ، حتى صار فيهـا استاذا للحضارة الاسلامية ، وكتب لطلابه المفيد الممتع في هذا المجال .

عاد العلائي الدكتور ، ولكنه لم يتغير فـي هدوئه وعزلته وصمته ، وكنت اتحدث اليه مثلا بوساطة الهاتف (التليفون) ، ويطول بيننا الحديث ويطـول ، واحاول بهذا الحديث ان اخرجه مـن صمت صومعته الرهيب ، ولكني أظل طيلة الحديث اتخيله وهو قابع في ركن مـن غرفة ، فوق مقعد او سرير ، وقد غطى كـل جسمـه باغطية ، ولا يبدو منه الا عيناه وفمه ويـده النحيلة الممسكة بالهاتف ، ويأتي صوته الى اذني من بعيد ، فيـه رنة الحزن ومرارة الالم ، مع تهدج وخفوت ، واحرضه على ترك عزلته ، وادعوه ان يختلط بمجتمعه ، كما يفعل رفاق له واحباب ، فـلا يستجيب ويعتـذر بمختلف المعاذير ، او يعد ويخلف ، ويظل رهين محبسيه كما كان ابو العلاء .

وكأنه كان يصف حالته تلك ، بل كأنه كان ينعـي نفسه قبل ان ينعاه سواه حين قال من قصيدة له :

انا يا ليل خائف ، قـد تمشت — رعدة الموت فـي دمي وعظامي
هامد لا اطيق رجـع ظنونـي — والردى جاثـم علـى اوهامي
ذاهل انطوي علـى صرخـات — مزقتني ، وفزعـت احلامـي
لست اقوى على المسير ، فراسي — مائـل ، شلـه دوار الظـلام
وذراعي بجانبي ، ليس فيهـا — من حراك ، فالشوك في اقدامي
جسدي موجع ، وخلف لسانـي — حشرجات تـرد فـي كلامي
وبحلقي شجـا يقطـع انفـا — سي ، وفي مقلتي بريق الحمام
وبصـدري مواجـع الهبتهـا — وخزات المدى ونـزع السهـام
آه، خلف الضلوع جرح ساقضي — وهو خلف الضلوع دون التئام
لم يعد غير خفقة ، ثـم امضي — ليس خل هنا يوادي عظامـي !

وخفق قلب الشاعر الجريح خفقته ، ومضـى الى غايته ، الى غاية كل حي ، الى عالم الخلود والبقاء .

ان لدي في تضاعيف كتبـي المكدسة بقريتـي « البجلات » مجموعة من الرسائل تلقيتها مـن العلائي خلال الثلاثينيات ، في اثناء العطلات الصيفية ، فلعـل الايام تكون قد صانت حرمة هذه الرسائل ، فلم تـأت عليها ، حتى ترى النور ، فتكون ذكرى للصديق الراحل ، عليه رحمة الله ، واني لاتمنى ان أرى عما قريب شعـر العلائي مجموعا في ديوان ، مصدرا بسيرة مفصلة لحياته وادبه ، والله ولي التوفيق .

القاهرة — احمد الشرباصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هرعت اليك

ركضت بدربك المزحوم بالآهات والاشواك
ركضت وصوتك المبثوث في الاسلاك
يزغرد في شراييني
يناديني ..
يؤجج في فؤادي النار
فجئتك وادع القسمات أحلم :
لو تذيبيني
بنهرك ، لو تغطيني
بخصلات من الشعر الملفع بالهوى
والعطر والاسرار
وجئتك ضارعا أبكي
وجئتك خائفا منك
ومحزونا أتيتك ثم مطعونا
اتيتك عاريا عري الحقيقة علني
اجني ثمار الوجد والمتعة
اتيتك بائسا ، غرا ..
ومن كل الدروب أتيت
علي آوقد الظلمات من شمعه
تطل علي من عينيك كالدمعه
تزيح البؤس في قلبي ، تزيح البؤس
تواسيني ..
وتسقيني شراب العرس
ولكنـي رجعت
وصوتك المبثوث في الاسلاك
يجافيني ..
رجعت وفي فمي
طعم الاسى والحنظل المغلي والتنباك
ولم أجن سوى اللوعه !

هرعت اليـك
اشكو لهفة الاحباب
هرعت اليك احصد
ما زرعت بصدرك المزدان بالازهار والاعشاب
جريت ، لهثت ..
أتعبني صراخ القلب والتطواف
ولكني وجدت الباب
بوجهي سده العراف
وحنط لهفة الجواب
فعدت وفي فمي
طعم الاسى والحنظل المغلي والتنباك
عجوزا هده الانهاك
وقد غام الفؤاد ونام في السرداب !

وحين رجعت كان الهم
يبعثر حبي المشلول
يسرق من فؤادي الدم
وينهر حبك الهدار في الاضلاع
فصرت أجرجر الآلام والخيبه
وارقد في فراش الحزن والاوجاع
احدث نفسي السكرى
بنار الشوق واللوعة :
« قرير العين عدت .. ودونما رجعة .. »
ولكني رجعت
رجعت والهفي
وهانذا اسير بدربك المزحوم
بالآهات والاشواك
اسير وفي فمي
طعم الاسى والحنظل المغلي والتنباك
وفي العينين
سر بالغ الروعه !

عمان ـ الاردن — علي فوده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول شعراء الهجاء

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

في الاوساط الادبية اليوم ، حديث يكاد يستشرى ، حول اعادة تجديد الهجاء في الشعر العربي .. ويتظرف البعض بنظم مثل هذا الشعر ، يوجهه صديق لصديق ، او قل يوجهه عدو في ثياب صديق .. تحت ستار المعابثة البريئة ، والتفكه بين الادباء .

وقد ترددت في هذا المضمار اسماء لبعض كبار الشعراء المعاصرين ، وعلمت ان ناقدا ادبيا كبيرا هو الصديق الدكتور بدوي طبانة ، كتب مقالا في مجلة « البيان » الغراء ، التي تصدر في الكويت ، حول هذا الموضوع ، فذكر بعض تلك الاسماء ، ملحقا بها اسمي ، كواحد من الاصدقاء الذين يوافقون على هذه المحاولة ، او يشاركون فيها احيانا ..

وعلم الله ، انني لم اوافق يوما على هذه الفكرة ، ولا شاركت في تلك المحاولة ، طوال اربعين سنة مارست فيها نظم الشعر ، وبدأت اليوم — ولم يبق مع تقدم السنين بالمرء الا الجد — في تصفية كل ما نظمته ، لاستخلص منه الاجود ، الاصلح للبقاء ..

على انني في السنوات الاخيرة ، وجدت صديقا من اصدقاء الشعر — وهم عندي جميعا اعز ما منحته الحياة ، رغم اختلاف مشاربهم — وقد كان طوال تلك الفترة يلقاني لقاء الصديق ، الجاد ، واذا به ينذر فجأة بانه سيوجه الي ما هو معروف به ، من شعر الهجاء ، الذي يقول انه لا يوجهه لغير اصدقائه !

وقد ارتبت منذ اللحظة الاولى ، في هذا التحول المفاجيء ، حتى لقد حسبت انها حملة مدبرة ، ينفذها الصديق .. او انه يحاول تحطيم بعض اصدقائه ، في سبيل الوصول الى حطام دنيوي ، ارى انه وشعره — رغم جميع الاعتبارات — ارفع منه قدرا ..

لكنني اخذت الفكرة بمأخذ البساطة ، وحاولت ان اسمع ، ثم ارد .. والرد هنا بمعنى الدفع الهين ، الملتزم بما تفرضه حقوق الزمالة ، ومقتضيات العصر ، والمدنية التي تختلف دون شك عما كان عليه شعراء الهجاء ، في عصور الادب القديمة ..

ولما تبين لي ان الحملة اشد من ان تحتمل ، وان الزمام يوشك ان يفلت ، فيتحول هذا النوع من التظرف ، الى نوع من الاساءة الشخصية المجوجة السمجة .. حاولت ان الفت صديقي الشاعر الكبير الاستاذ العوضي الوكيل ، الى ذلك ، بأبيات جادة ، نظمتها من مشاعري الحقيقية ، ووجداني الصادق .. قلت فيها :

اخي العوضي ، قد اكثرت هجوي ... بما ابدعت من فحش وهجر
تقول على السجية قول سوء ... جبلت عليه من خبث ومكر
قصائد من عيون الشعر تبقى ... لتشهد انك اليوم .: المعرى
تجرد للذي اصبحت فيه ... فلن تجد التسامح عند غيرى
ولست تنال من قدري ، ولكن ... بهذا الهجو قد اعليت قدرى
ولا والله ما انكرت ردا ... قديما ، انت فيه صديق عمري
رفاق الشعر هم عدلاء نفسي ... وهم عيوني على الدنيا وذخرى
مناصب دولة قد فرقتنا ... لتجمع بيننا ندوات شعر
ولكني رايت الناس طرا ... قد احتشدوا على ظلمي وكفرى
كاني قد قتلت لهم قتيلا ... فليس لهم غريم .. كالبحيرى
هم بالصمت قد قتلوا وجودي ... وانت منوه فيهم بذكرى
كانك قد رثيت اليوم ميتا ... تحيط ضريحه بنضير زهر
سيضحكني رثاؤك حين اقضي ... ويؤنس وحشتي ، وينير قبرى
جريت مودتي بالهجو شرا ... جزاك الله عني كل خير
فزد هجوا ، ازدك اليوم مدحا ... يضاف اليه تقديري وشكرى

وقد اسعدني ان يستمع فريق من كبار الشعراء ، وجلتهم الى هذه الابيات .. فقال الشاعر الرائد الكبير الاستاذ عزيز اباظة ، انها كتبت بذكاء .. وقال لي الشاعر الكبير الصديق الاستاذ علي الجندي : هذا اخلق بك ! وقال لي الصديق الشاعر العوضي الوكيل نفسه ، وبنص عبارته :

— لقد قتلتني !

ووعدني الشاعر العوضي ان يرد على هذه القصيدة بقصيدة من وزنها وقافيتها ، يسد بها باب هذه المعابثات بين صديقين ..

ولكن طبعه الذي تمرس بشعر الهجاء ، طوال السنوات الماضية ، لم يمكنه من الوفاء بهذا العهد ، فلم يلبث ان عاد ، وباقذع مما سبق .. فاحتملت على مضض ، خاصة وقد كانت طريقته الا يوجه هذا الشعر الي ، الا بعد ان يكون قد اذاعه في جميع البلاد العربية .. بكافة الوسائل التي يملكها !

واخيرا ، وجهت اليه ، في كثير من الصبر ، والصدق ، والرغبة في الاحتفاظ . بمودته .. قصيدة طويلة ، مرتجلة ، يشهد بارتجالها صديق الطرفين الشاعر الكبير حسن كامل الصيرفي .. اذ قرأتها له بعد ساعة واحدة من التفكر في نظمها .. واستشفعت فيها للصديق العوضي ، ان يكف عني عبثه .. باعزة الابناء ، وجلال الاولياء .. فقلت :

اخي العوضي ذو ادب رقيق ... وذو فضل ، وذو كرم عريق
له صدر العلى من اصدقائي ... الا اكرم بذلك من صديق
قضيت العمر امنحه ودادي ... ومثل اخيك راع للحقوق
اذا رقى المناصب قلت اهلا ... تلاقى المجد بالرجل الخليق
وان نظم القصائد قلت مرحى ... بهذا الشعر من هذا الرحيق
ولكن حين آثرني بود ... يزيد على ملازمة الرفيق

شاعر في طائرة

★

شقي بي الافق البعيد البعيد ... فانت لا تدرين ماذا اريد
وصعدي في الغيب اسطورة ... كأنها في الجو جن مريد
مهما يطر وهمك عبر المدى ... فلست ارضى مرة بالحدود
انا هنا كالطيف ، لكنني ... رغم قتام السحب ماض عنيد
الشاعر المبحر في وهمه ... مهما يطر يصرخ : ألا من مزيد
لا تنتهي الاحلام في قلبه ... رغم ارتحال الروح، رغم الشرود
أنا الذي جرحي على ناره ... يخصب بالنار زكي الورود
هاتي الي القلب ، هاتي فمي ... فقد صحا في الروح همس النشيد
اتوق ان اشدو ، فلا تطفئي ... اشراقة الفجر النقي الوليد
اني صحوت الآن عبر المدى ... والنسر يصحو في اعالي النجود
شقي بي الافق .. فاني هنا ... في موطني، لست الغريب الوحيد
من كان لا يملك فوق الثرى ... عشا له ، بين زحام الوجود
فالجو اسمى موطن الذي ... يحيا على الدنيا غريبا طريد

جدة ـ السعودية — راضي صدوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واصبح قوله المنثور شعرا ... يصوغ الهجو في لفظ طليق
هناك كشفت عن داء دفين ... يلازمه ، وعن سر غليق
ففي رأي الصديق ، وذاك قول ... يماز به فريق عن فريق
بان الهجو للاصحاب مدح ... وترك الهجو من بعض العقوق
لذلك خصني منه بفيض ... من الاقذاح يهبط بالغريق
قصائد من قبيح اللفظ تترى ... لها شرر تطاير كالحريق
واصبح هجوه يلقى تباعا ... علي ، من الغروب الى الشروق
ولم اك عاجزا عن رد قول ... ولادفع الحجارة عن طريقي
ولكني انزه روح شعري ... ولفظي عن خنا ، او عن فسوق
فليس الهجو عندي ذا مقام ... يعد ، وليس ذا خطر حقيقي
فذلك قول اجلاف قدامى ... من الاعراب ، في ماض سحيق
اساءوا للقريض .. وكان احرى ... بهم ان ينسبوه الى سموق
انركب كل طائرة سموق ... ونشبه في المقال حداة توق
ويشتم بعضنا بعضا بهجو ... بذيء الثوب ، متسع الخروق
ونحن اولو الثقافة والمعاني ... واهل الفكر والشعر الرقيق
فيا عوضي .. يا اندى البرايا ... وان اسال سالت ابا دسوقي
ضرعت اليك بالبدوي يشوى ... ببلدته ، واضرع بالدسوقي
وكل ذوي المقامات الاعالي ... وكل ذوي المكانة والوثوق
الا فاكفف .. جزاك الله عني ... هجاء بات يشعرني بضيق
سألتك مرتين .. وانت احرى ... بتعجيل الاجابة يا صديقي

على ان الصديق ابت عليه جبلته .. فلم يأبه لاستعطافه مرتين بالشعر ! ولم يأبه بالاستشفاع عنده بكبار الاولياء ذوي المقامات العالية ! ولم يأبه لاستحلافه بأعز ولده !

ولست اريد ان اشير هنا الى ذلك « النوع » الذي يقوله من الهجاء المقذع ، الذي يقع تحت طائلة المسؤولية القانونية ! ولا الى تلك « الطريقة » التي يتبعها ليفرض شعره في مجالس الجد والعلم والفضل ، بالفاظ بذيئة ، تجري المحاورات الادبية في الاوساط العلمية ، حول امكان نشر مثيلاتها من الشعر القديم ، او التعفية على آثارها !

ولكني اسأل الادباء والنقاد العرب :

١ ـ هل هذا هو باب الهجاء في الشعر العربي القديم؟ وهل يصلح بابا من ابواب الشعر العربي الحديث؟

٢ ـ هل يوجد هذا الباب من البذاء ، والهجاء المقذع في الآداب العالمية الاخرى ؟

٣ ـ ما رأي النقد في المعاني التي اثرتها في القصيدتين السابقتين .. من وجهة النظر الادبية البحتة؟

اما الصديق المتظرف في مجالسه ، فاني اقاضيه امام الرأي العام الادبي الآن .. وان كنت احب ان اطمئنه على ان صداقته الشخصية باقية ، في مقام امين !

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

كانت مياه الامطار المتجمعة ، قد غمرت ارض الطريق ، عندما بدا « الاتوبيس » يتهادى وسط هذا الخضم من الماء ، وبرزت قطرات الماء المتماسكة على اوراق الشجر ، وكأنها لؤلؤ منثور يعكس للعين المجردة مختلف الوان الطيف السحرية ، وقد انتشرت الطيور تعزف ارق الالحان بأصواتها العذبة، فينتعش من لا يزال يعارك الكبرى بجفنه الوسنان .

وقد تعودنا ان ننطلق صباح كل يوم في هذا الاتوبيس من المدينة الى احدى الضواحي ، حيث العمل، مصدر الرزق والعيش ، وقد اكل الدهر وشرب على كاهله ، وكاد ان يصل نهاية عمره ، فقد رأى النور في الخمسينات من هذا القرن ، الكراسي العارية التي تشهد للدهر بقوته وجبروته ، وقد بدت زنبركاتها للعيان ، والسقف الذي يئن تحت وطأة الصدأ ، والذي نرى من خلال ثقوبه السماء ، وكأننا نجلس في « علية » على سطح احدى البيوت القديمة ، وليس للراكب الا قوة جبار لكي يغلق الباب او يفتحه .

مع كل هذا فقد رضينا به قرينا وصديقا ، لقد اصبح جزءا من كياننا ، لا يعرفنا اهل القرية الا به، ولا يصدق طلابنا وصولنا الا اذا رأوه قد وضع عصا الترحال امام المدرسة ، وسائقه « العم راجح » شيخ طيب القلب ، حسن المعشر ، وهو يسيره « على هوانا » ، كما يصرخ دائما لنا ولغيرنا ، وتراه في نهاية الدوام ينتظرنا عند البوابة الخارجية ، ولا اذكر يوما انه تخلف عن ذلك منذ عرفت المدرسة هذه .

وخرج « الاتوبيس » من المدينة، واشرف على الريف ، وشيخنا يتمتم ويقرأ الادعية ، راجيا ان يمر هذا اليوم بخير ، ولما سأله احدنا عن سبب ذلك ، قال بانه رأى حلما مزعجا في الليل ، وهو يتشاءم كثيرا من امثال هذه الاحلام ، ولم يكن يصدقنا عندما كنا نخبره انها مجرد خيالات واوهام ، وتصادف في صدقها مع الواقع ، وما يحدث للانسان انما هو قدر محتوم .

وصلنا المدرسة وغادرنا « العم راجح » ليطلب الرزق الحلال ، وحان وقت انتهاء الدوام المدرسي، ولكنا لم نره عند البوابة الخارجية كالعادة ، لقد توهم البعض ان « الاتوبيس » يقف خلف الجدار المحاذي للبوابة ، ولكن كذبت الحقيقة ذلك الوهم . ماذا حدث للعم راجح ؟.. هل نسينا اليوم ؟ ... ام انه انشغل « بنقلة » الى احدى القرى ، ولم يستطع المجيء في الوقت المعهود ؟... ام ان حلمه

اتوبيس العم راجح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم محمد قنديل

قد تحقق ؟.. لا سمح الله .

وتفرقنا بعد انتظار كاد ان يطول، فركب كل منا فيما اراد من السيارات التي تمر على الطريق الرئيسي ، ولكني كنت منفعلا ... لا يمكن ان يتأخر « العم راجح » بدون سبب هام ... انه لم يخلف وعده ولو مرة واحدة ، وكرهت سيارة « التاكسي » الفارهة التي كنت اركب ... وتمنيت لو ان مصانع السيارات قد توقفت بعد ان اخرجت للعالم « اتوبيس العم راجح » ... فقد رأيت فيه ، في



تلك اللحظة ، الانموذج الكامل للسيارات ، ورأيت في سيارة « التاكسي » انحرافا وافراطا في الاتقان .

وصلت البيت ، ومد الغداء ، وقبل ان ابدأ في تناوله ، سألت اكبر ابنائي :

ـ الم تسمع شيئا عن « العم راجح » ؟

وجاءني الجواب الذي كنت اتوقعه من زوجي :

ـ مسكين ... لقد اصطدم اتوبيسه بشاحنة كبيرة !

ـ وماذا حدث معه ؟!.

ـ يقولون ان حالته خطيرة ، وانه نقل للمستشفى المركزي !.

وقبل ان تكمل زوجي عبارتها ، كنت قد انتعلت حذائي ، وانطلقت فيما يشبه العدو ، افتش عن سيارة تقلني الى المستشفى .

والتقيت بافراد عائلته المنكوبين جلوسا امام غرفة الجراحة ، والدموع الغزيرة تملأ احداقهم ، وبعضهم يحاول التهدئة من روع البعض الآخر ، ويجأرون بالدعاء والرجاء للبه بأن يبقى سندهم وحاميهم ومعيلهم ، واخبرت بأن العم لا يزال فاقد الوعي ، ملتفا بالبياض من اخمص قدمه الى اعلى رأسه ، وانتظرت مع الجميع انتظار الرجاء ، وما هي الا لحظات حتى توافد اعضاء جمعية ركاب «اتوبيس العم راجح » المنكود .

مرت ساعتان ، خلت فيهما ان الدهر قد مر سريعا ، وان « العم راجح » قد امضى السنين ذوات العدد ، وهو فاقد الوعي ، واخيرا خرج الطبيب ، وقال والسرور باد عليه :

ـ الحمد لله على السلامة ، لقد افاق ، ونبضه طبيعي، ولكنه يحتاج للراحة قبل ان يدخل عليه احد !.

ووقفت زوج « العم راجح » في الحال وبدأت تطلق الزغاريد البلدية العذبة ، شكرا لله على عودة الحياة

العودة الى التراب

لان في عيوننا تراب
لان عمرنـا سراب
لاننا ننام في ارجوحة العدم
نهدهد الشقاء ، والجراح ، والالم
لان بعضنا يعانق التراب
نحب لـو نعود للتراب

نحب لو يلمنا ضياع
لو نشبع الظماء والجياع
لو نلتقي احبة في عالم الغياب
في مهرجان الموت والتراب ..

لو نسكب القصائد الدموع
لو نوقظ الحنين في الضلوع
نحب لو نحرق السحاب
لو نفرس الضياء في غلائل الضباب
ولو نعود ، خاشعين ، للتراب

اليـاس والرجـاء
والموت والبقـاء
وكل مـا يحب
وكل مـن نحب
مآله للتيه .. والفناء
ونحن طين الوهم والسراب ،
نحب لـو نعود للتراب

فوزي عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لزوجها ، سبحانه يحيي ويميت .

وفي المساء عدنا الى المستشفى ، ودخلنا غرفة المريض ، فوجدنـاه يلتفت براسه يمينا ويسارا ، فهنأه الجميع على السلامة ، فحمد اللـه واثنى عليه ، والتفت الينا يحدثنا عن ذلك الحلم المزعج ، الذي مر بـه ليلة البارحة ، وكيف انـه تحقق بالتمام والكمال . لقـد داهمتـه الشاحنة ، التي كانت تترنح يمينـا وشمالا ، عند المنعطف الذي تتفرع منه الطرق المؤدية الـى الضواحي والقرى ، وهو عائد من قريتنا التي نذهب اليها ، وقد حاول ان يتفلت منها ، ولكنه القدر المكتوب .

ومال « العم راجـح » براسه قليلا ، او كاد ، الى زوجه ، وسألها:
ـ ولكن ماذا حدث «للاتوبيس»؟!

ـ لا ادري ، الحمد لله علـى السلامة ، ان شاء اللـه تشفى بسرعة ، وتعوض « الاتـوبيس » بأحسن منه .

واخذ كل منا يحاول ان ينسيه هذا « الاتوبيس » ، ولكنـه كـان يواجه الجميع بهـز راسه احتجاجا على حديثنا .

فمنذ ان اتقن فن السياقة ، وهو يسير مع الاتوبيس فـي مسيرة الزمن الكبرى ، حتى لقـد اصبح اشهر من نار على علم في المدينة ، لقد بات يرى فيـه نصيبه مـن الحياة ، وقسمته التي كتبت له ، فاضحى اعز ما يملك لا يفرط فيـه حتى ولو كلفه تصليحه كـل مـا يجمعه من قروش وريالات .

مضت ثلاثة اسابيع وهو قابع في المستشفى ، سمح له الطبيب بعدها بالانتقال الى البيت ، على ان توفـر له العناية اللازمة ، واخـذ احـد المرضين يـزوره بـين الفينـة والاخرى ، ليغير له لفائفه ، ويمنحه مزيدا من العناية ، وبعـد شهرين ابل « العم راجح » من مصابه .

ومضت الايام فـي مسيرتهـا الخالدة ، وفي ظهر احـد الايام ، وبينما كنا على وشك انتهاء الـدوام الرسمي ، نظـرت صوب بوابـة المدرسة ، واذا « العـم راجـح » يجلس في أتوبيسه المعهود ، ممسكا بعجلة القيادة ، والسرور يطفح من تجاعيد وجهه ، لقد ظننت ذلـك حلما ، ولكنه كان الحقيقة .

الدمام ـ السعودية محمد قنديل



الدكتور محمد رجب البيومي

رباب وقصص الاطفال

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

جن نفر من الكتاب بحكاية قصص الاطفال ونشرها ، فطفقوا يملئون المكتبات ، ويشغلون المطابع بهذا النوع من التاليف ، وقد حسبوه سهلا هينا ، فاندفع الكثير منهم في الكتابة على غير منهج ، وحسبه ان تكون البضاعة رائجة ، فآلاف المدارس الابتدائية ، ومئات المدارس الاعدادية تمد ايديها الى الناشرين باحثة عما يفيد النشء تربية وتعليما وتثقيفا واولياء الامور كذلك يحرصون على تعهد اولادهم بالقراءة منذ يقيمون السنتهم بحروف الهجاء ، ولن يجدوا غير القصص وسيلة مشوقة ذات تسلية وترفيه ، فيتزاحمون على شراء هذه القصص تزاحما ظهر اثره في تعدد الطبعات على فترات قريبة من الزمن ، وكان النفع جزيلا لو تعاطى الكتابة ذوو الموهبة البصيرة ، والخبرة الحصيفة والغاية المثلى من حملة الاقلام ، ولكن ما يبدو للادعياء من سهولة التاليف القصصي للاطفال قد دفعهم الى ما لا يحسنون بل الى ما يضر النشء اكثر مما ينفع ، واكثر الناشرين تجار لا يفرقون تربويا وثقافيا بين الطيب والخبيث ، فتساهلوا في نشر الرديء وملئوا المكتبات والمطابع بهراء كثير .

لقد حسبوا ان الخيال لا ينمو لدى الطفل الا عن طريق الغرابة في الاحداث ، والروعة في المفاجآت والمبالغة في الاخطار ، فعمدوا الى المترجمات المخيفة التي تتحدث عن الوحوش والغيلان ، وتلقي الرعب بمآسي الدماء واللصوص والموتى ظانين في ذلك تكوينا للبطولة وتربية للشجاعة ، والهابا للخيال ، فقلدوا عن جهل ، وقدموا للنشء ما يفسد الطباع النبيلة حين ينحرف بها الى المغامرة الانانية في غير نفع يعود ، وكأن الشجاعة لا تكون في سيرة مكتشف يبحث عن الدواء للمريض ، او رحالة يرتاد المجهول من الارض ، او مصلح يهدي الانسانية للخير قدر ما تكون في هجمات الاشرار او حيل العصابات او كأن الخيال لا ينمو الا اذا تدفقت ينابيعه من اغوار الابالسة والغيلان .

لم يقتصر الامر على القصص المطبوعة بل تعداها الى القصص المعروضة للاطفال على شاشة التلفزيون اذ ان الكثير منها يعيش في اطار المحن المخيفة ، والاحداث الراعبة ، بحيث كنت ارى انفعالات الوجوه البريئة للاطفال ثائرة مهتاجة بل كنت ارى بعض الصغار يغمض عينه حين يتوقع حدثا كاربا ، وقد ينسحب بعض الوقت ليريح نفسه من عناء ثقيل ، ثم يدعوه حب الاستطلاع الى معاودة المشاهدة ليتعرض لهزات وجدانية قد تطفر بالدمع من عينه ثم تعود اشباحها اليه في احلامه فيفزع من نومه غضبان حنقا ، فتضطر الى ان توقد النور في الحنادس لتطرد ما يتخيله من الاهوال .

وقد الف بعض الاغرار ان يتعللوا في ذلك بانهم يعرضون مواقف اللؤم والغدر والفزع ليعرفها المشاهدون كبارا وصغارا فيتجنبوا عواقبها الكارثة بعد ان نصحتهم الخاتمة الاليمة للمجرم بما يحذر من امره ويدفع من شره، وهذا كلام ساذج لا يلتفت الى ما جبلت عليه النفس البشرية من حب التقليد ، واصطناع البطولة في حدود ما تقرأ وتشاهد ، وكل مذنب يعرف عاقبة امره في اكثر احواله ولكنه يندفع الى الذنب وراء تجاريب نفسية كونتها مشاهداته وقراءاته وخبراته ، ولو كانت المعرفة وحدها باعث الخير ، ودافع الشر لاصبح قراء الكتب المقدسة اطهارا ابرياء ، ولكن المعرفة شيء والسلوك شيء آخر ، فكيف نصور الفظائع والحيل لتعرف وتشتهر على رجاء ان يتجنبها القارئون والمشاهدون متعللين بوهم خادع هو السراب .

ان قصص البطولة الحقيقية لا تكون في حيوات الاسكندر ونابليون وقيصر وامثالهم ممن سيروا الجيوش الى دمار الانسانية ، وراء انانية مريضة تود الاستعلاء الكاذب على دماء القتلى واشلاء الشهداء حتى يجد الاطفال في صفحات جهادهم ما يفيد في بعث البطولة وايقاظ الشجاعة ، لان هؤلاء المتغطرسين يوحون لقارئهم بهوان الانسانية وتفاهة الجموع التي تحصد حصدا دون راحم وكأنها جراد خطر يهلك الحرث والنسل ويدعو الى الاستئصال ، واذا شب النشء على هذا الشعور الاناني المتغطرس ، فما اكثر ما ينتظر الانسانية من ويلات !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أليس في قصص المروءة والنجدة وغوث اللهيف ما يخلق اجيالا واما تدعو الى الخير وتنشد السلام ! اظن القلم قد جمح بي الى اكثر مما كنت اريد بهذا المقال ، اذ بداته راجيا ان نقتصر في قصص الاطفال على المشاهد الهادئة ، والاحداث المهدئة السارة ثم تداعت المعاني تداعيا لم املك دفعه ، فلاعد الى صميم الموضوع دون استطراد .

كنت نشرت في مجلة العالم العربي قصيدة متواضعة تحت عنوان « ولدي حسام » وقد اوحى بها مشهد حي لطفلي الصغير ـ كان ايامها طفلا ـ يحمل اصبعا من الموز في كفه الرقيقة ، وهو يجوب الحجرة رائحا غاديا فوقعت عينه على المرآة الناهضة امامه ليرى بها صورة طفل مثله تماما ، فظنه ضيفا يزوره ، وخطا نحو المرآة ليمد كفه اليه بالموز ، وكانت المفاجأة كبيرة لديه حين ابصر الضيف المزعوم يقدم هو الآخر موزة مرحبا ، فهرع الي ونظراته تفصح عن مشاعره في براءة حلوة ، فالهمني قصيدة تسجل حادثته الطريفة اذكر منها :

وطاف بالمرآة يرنو بها	صورة طفل ساذج طيب
صورة طفل ، انه ضيفه	ففيم تقصير الكريم الابي
فمد بالموز له كفه	مرحبا بالزائر الاجنبي
لكنه الفاه يعطي له	موزته فارتد كالمغضب
ايطعم الضيف مضيفا لقد	حاد عن المنطق هذا الغبي
حسام لا تعنف به هكذا	وان تخالف رايه فاعتب

وقد نشرت القصيدة مصحوبة بصورة حسام، فأخذ يباهي بها ويختال ، وهو في سنه الصغيرة لا يدري من الصفحة الشعرية غير صورته وحدها ! وكانت اختـه (رباب) اول من تاه عليها وشمخ ، فجاءتني تقول في براءتها العذبة :

بابا ، اشمعنا حسام ! بابا ، اشمعنا حسام !

ولم اكن بليغا اعرف مقتضى الحال ، فقلت للصغيرة التي لا تكاد تفهم شيئا ، انه الهمني بحادثته فنظمت القصيدة بتأثيره ، ففاجأني ردها الساذج يقول :

بابا ! حسام عمل ايه !

ورايت ان لا فائدة من النقاش ، غير اني عزمت على ان استلهمها موضوعا تكون هي الاخرى صاحبته لتعلم ان ليس احد افضل من احد .. وطاولتها الايام وقت غير قصير حتى سنحت الفرصة الآن .

مرضت الطفلة اللطيفة ذات يوم ولا شيء يبرح المنزل رجا غير مرض الاطفال وخلدت الى الراحة في السرير استجابة لامر الطبيب وقد ذهب اخوتها لمشاهدة السهرة في التلفزيون ، ورايت ان اقوم باينا سها ومحادثتها ، فسهرت معها اتحدث ، وقد خطر لي ان اقطع الوقت بحكاية بعض القصص التي تؤثرها ، وتود الاستمتاع بها كلما سنحت الفرصة ، وكم يطيب لي ان تنظر الي بعينيها الصافيتين مصغية مهتمة وملامح وجهها ترسم انفعالاتها الطيبة عقب كل كلمة تقال ، ولا ادري لم اخطاني التوفيق حين اخترت اقصوصة مؤثرة النهاية ، جعلت المريضة تبكي ثائرة وهي في حاجة ماسة الى البشاشة والابتسام ، كان ذلك لاني تسرعت فلم احسن الانتخاب الجيد مما ادخر واحفظ ، ولعل من حق القارىء ان الخص له ما تورطت في حكايته ليعرف مدى تأثير كل حادث سيء في نفس الطفل خيالا كان او حقيقة ، لان الصغير في مرحلة من حياته يلتبس بها الواقع مع الخيال كل التباس !

اذكر جيدا اني تسرعت فقلت ، ورباب تسمع :

« كان ابراهيم تاجر قماش يحمل بضاعته على عربة يجرها بغل شديد ، ثم يتنقل بها بين القرى المجاورة طيلة الاسبوع ، اذ ان لكل قرية يوما معلوما من الايام ، ينتظره اهلها ، ويعد لهم ما يطلبون ، وكان رفيقه الدائم كلبه الامين يصحبه في الذهاب والمجيء ، ويرى في وفائه انسا وبشاشة ، وقد عرف الكلب بتجربته الطويلة متجهات صاحبه ، فكان يسبقه في الطريق الى حيث يريد ، فاذا نزل سوق القرية تحول الى حارس يرمي البضاعة بعين ، والعربة بأخرى ، مكتفيا بما يقدمه ابراهيم اليه من نزر الطعام وانه لقليل !

وقد ساعد الحظ تاجر القماش ذات صباح ، فباع البضاعة في ساعات معدودة قبل ان يؤذن الظهر وسر لتوفيقه كثيرا ، وقاد العربة راجعا الى بلده ، ولكن حر الظهيرة قد شواه بنيرانه ، فلم يقو على مواصلة السير ، واضطر في منتصف الطريق ان ينعم بالراحة تحت ظل شجرة تقع على حافة غدير بين المزارع والحقول فجلس يتناول الغداء ثم هيأ لنفسه مضجعا للنوم ، تاركا عربته وبضاعته الباقية في حراسة الكلب كعادته ، وكان جهد الصباح قد اسلمه لرقاد اطول مما كان يتوقع ، فامتد به النوم حتى كادت الشمس تغرب ، وقد انتبه فجأة ليرى المساء يؤذن بالقدوم ، فأسرع متعجلا يهيىء عربته قبل ان يدهمه الظلام فيتعرض الى لصوص الطريق ! وقد سقطت حافظة نقوده وهو يتعجل الرحيل طاويا بساطه ، وجامعا ما بقي من قماش في سرعة تفقده الطمانينة والحذر .

ولكن الكلب ادرك سقوط الحافظة فارسل نباحه لينبه صاحبه دون جدوى ، وحين رأى التاجر يتهيأ للمسير ، اخذ يعترض البغل واثبا نابحا ليعوقه ما استطاع ! وكان ابراهيم ذا وجل يحذر التأخير ويعد الانتظار كارثة تؤذن بالشر فأخذ يدافع الكلب في غيظ ، وهو لا يكف عن النباح واثبا دائرا حتى ضاق به التاجر ذرعا ، وخاف ان يفطن اشرار الطريق الى نباح حارسه فيفقد ثروته الضئيلة بما يظنها حماقة رعناء يرتكبها الحيوان النابح الهائج على غير عادته ، فأطلق مسدسه في قلبه ليسلم له الطريق واسرع وجلا حتى ادرك قريته بعد العشاء ، واذ ذاك تفقد حافظته فلم يجدها في جيبه فطار طائر صبره ، واستعان ببعض اقاربه فرجعوا معه

التسامح

★

سالتك يا قلب لا تحقد ... لانك لست الحقود الردي
عرفتك يا قلب سمحا رقيقا ... كبرعم ورد طري ندي
وكل السماحة فيك تبدت ... كبحر اذا ما انتهى يبتدي
مليئك حب ورفق وعطف ... بك الناس يا خافقي تقتدي
ولولا المحبة لا شيء يغري ... بعيش كثير الغنى انكد
وان المحبة نور مضيء ... دجى ليل احقادنا الاسود
هو الصفح خير دواء وبرء ... لكل حقود مسيء ردي !
ومهما تجنى الانام فصفحا ... عن الذنب يا صاح لا تحقد
اذا ما صفحت فذلك كبر ... وذلك من شيمة السيد
وليس التسامح ضعفا ولكن ... هو النبل بل كرم المحتد

زحلة ـ لبنان — رياض معلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسلحين ، وكان المشهد مؤثرا حين رأوا الكلب صريعا فوق حافظة النقود ! وكأنه خاف عليها الانسان ، فواراها بجسده الصريع اذ لم يجد سواه !! »

لم اكد اصل الى هذا الموضع من القصة حتى وجدت عيني رباب تفيض بالدمع في ألم ، وتطلعت الي تقول في اهتياج ؟ بابا ! بابا .. لماذا يموت الكلب هذه الموتة ! حرام والله العظيم ! حرام ! ثم انخرطت في بكاء ترك موقعه الدامي من نفسي ، فقد حاولت ان ارفه عنها ، فابكيتها بما اخترت من الحكايات ! وعزمت أن اتركها بعض الوقت لتهدأ ، فخرجت من حجرتها واهمها ان حديث امها واخواتها من حولها سيمحو اثر القصة حين يتشقق من موضوع الى موضوع ! ولكني لم اكد ارجع بعد ساعتين حتى وجدت رباب تقل في ألم مؤثر :

بابا ـ بابا ! الكلب لا يستحق هذه المعاملة ! مسكين يا ناس هو عمل ايه ! ثم عادت المريضة الى البكاء بصورة اقوى واشد ! فرايت انه لا بد من انقاذ الموقف باضافة تسلم الباكية الصغيرة الى الهدوء والصبر ! فقلت في اتئاد القصة لم تنته يا رباب ! الكلب عاش في صحة جيدة لان التاجر رآه فوق حافظة النقود جريحا يتألم ، ولم يفارق الحياة ، فادرك خطأه وحمله سريعا الى طبيب قريب فضمد جراحه وتعهده حتى برىء واستعاد النشاط » .

تطلعت رباب في دهشة وقالت : ولم لم تقل ذلك من قبل ؟

قلت : رايت ان اختبر شعورك فقط ! فاخفيت الحقيقة بعض الوقت ! ثم اعلنتها الآن .

فصاحت الطفلة في بشاشة : الحمد لله : الكلب امين ويستاهل الحياة !

هذا موقف لا انساه اقدمه لسادتنا مؤلفي قصص الاطفال ليساعدوا القلوب البريئة على تنمية العواطف الشريفة متجهين بها الى معاني الخير والحق والجمال ! بعيدا عن البطولات الزائفة والخيالات الراعبة ! اذ اننا في هذا الطور الغض نربي الشعور والاحساس قبل أن نمد اللسان بالالفاظ والكلمات .

ولعل من الانصاف الحميد ان نعترف بالشكر لنفر من الاساتذة الاعلام ، كتبوا قصص الاطفال عن دراية واعية وخبرة فاقهة وفي طليعتهم الاساتذة الامائل كامل كيلاني ومحمد سعيد العريان والسيد شحاتة ومحمد عطية الابراشي ، اما انا فقد عالجت هذا الضرب من التاليف حينا من الدهر ، ولا استطيع ان احكم على ما اخرجت ، وعسى ان اجد من يحكم ، ولكن اين ؟

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

نزعة التجديد عند جماعة ابولو

بقلم واصف باقي

* * *



ظهرت في ادبنا الحديث مدارس واتجاهات ادبية وتيارات فكرية دعت الى التجديد في الفكر والادب والفن ، ورمت الى نبذ التقليد والمحاكاة للقديم الذي ولى ، تريد كل منها ان تنزع منزعا ابداعيا جديدا ، يواكب هذه الحضارة الانسانية الحديثة التي اطلت على العالم .

واخذت اصول الشعر القديم تهتزم امام هذه التيارات الجديدة ، فدعت هذه المدارس الى تجديد معالم الشعر ، وذلك في الاعراض عن القديم واستلهام الذات والاخلاص في العواطف وتصوير احاسيس النفس المباشرة ، وكان من ثمار ذلك شعر رومانسي جديد وقوي يغاير في اسلوبه ومنهجه الشعر الكلاسيكي القديم .

بدات حركة التجديد هذه في الشعر العربي المعاصر بدعوة خليل مطران في مستهل القرن العشرين . وترمي مرحلة التجديد هذه الى تحرير الشعر العربي من قيوده، وترددت هذه الدعوة حتى ظهور الديوان للعقاد والمازني وشكري ، والغربال لنعيمه ، وهو دستور التجديد في شعر المهجر ..

وجاءت مدرسة « ابولو » ، والتي كانت ـ في نظري ـ رد فعل مباشر لمدارس التجديد التي ظهرت آنئذ ، والتي مثلها مطران في مصر وابو شبكة في لبنان ، وكذلك جماعة الديوان ثم الرابطة القلمية والعصبة الاندلسية .

جاءت مدرسة ابولو لتكون اكثر تجديدا واقوى تحررا واشد تاثرا بالرومانسية الحديثة . وهؤلاء هم مجموعة من الشعراء الذين التفوا حول مجلة « ابولو » التي كان يصدرها الدكتور احمد زكي ابو شادي ، وهي مجلة عربية شهرية كانت تصدرها هذه الجماعة التي فسحت صدرها لكثير من الشعراء الشيوخ والشبان ، ولعبت دورا كبيرا في تطوير الشعر العربي وتخريج صفوة من الشعراء المعاصرين .

كانت جماعة ابولو في مصر عملا جماعيا له صورته العربية ، فقد ضمت شعراء شتى، من مقلدين ومجددين، من مصر وتونس والعراق والسودان والمهجر الامريكي ، امثال : ايليا ابو ماضي ورشيد ايوب ونسيب عريضة وفوزي المعلوف ، وكذلك ابو القاسم الشابي ومحمد مهدي الجواهري ... وكثيرون غيرهم .

وقد يكون صحيحا الى حد كبير ان هذه الجماعة لم يلتق افرادها على مذهب شعري واضح له خصائص مميزة ، ولكنها تتفق في الشعر الوجداني الذاتي .

لقد بدات بواكير اصدار مجلة هؤلاء الجماعة التي سميت باسمهم ، وذلك منذ مطلع عام ١٩٣٢ ، حيث ذكر فيها اسماء الاعضاء المشرفين عليها ، ونذكر منهم « احمد شوقي » الذي نصب رئيسا ، كما عين بعض نواب عنه كخليل مطران واحمد محرم ، وكان ابو شادي مدير هذه المجلة . اما اعضاؤها فاخصهم بالذكر : ابراهيم ناجي وعلي محمود طه واحمد الشايب وكامل كيلاني وحسن كامل الصيرفي وسواهم .

وعلى الرغم من ان الجماعة ضمت عددا من كبار الشعراء التقليديين ، فان الشباب الذي تحلق حولها وحول مجلتها كان يتطلع الى المجد الادبي عن طريق هذا التكتل امام ممثلي الاتجاه الكلاسيكي الذين كانوا مسيطرين على الجو الشعري آنذاك ...

وقد كانت جمعية ابولو ومجلتها بحق مظهرا باهرا من مظاهر التعاون الادبي ، فهي تؤمن بالتعاون ايمانا مطلقا لا يضحي بالشخصية ولا بالآثار الذاتية لاي فنان ، وانما تنزع الى التساند على اظهار المواهب المتنوعة وتعترف بأن صور الجمال غير محدودة ، وانها جميعها جديرة بأن تتبوأ مكانها تحت الشمس .

وكاني بهذه الجماعة قد حققت في الشعر العربي الحديث ترجمة امينة لما كانت تتطلبه جماعة الديوان المؤلفة من العقاد والمازني وشكري .

ففي ظل هذه المدرسة وتعاليمها ومنازعها ، خطا الشعر الحديث خطوته الاولى نحو التجديد ، نحو الخلاص من القافية المطولة ، نحو البحث عن المعنى قبل اللفظ ، نحو الخروج عن دائرة المديح والغزل المصطنع ، الى عالم النفس وكنهها المترامي الاطراف ، الى التدقيق في الزهرة ونشوئها ، وفي أعماق البحار وسرمد امواجها وجزرها في كبد السماء ، ومحاولة كشف خباياها واسرارها ، في الهمسة والصمت ، في النور وفي الظلمة، في الوجود وما حوى وفيما خفي وراءه وانطوى.

وقد اخذت « ابولو » على عاتقها تشجيع كل المحاولات التجديدية ، من شعر مرسل الى شعر حر الى شعر رمزي وقصصي ووصفي رومانسي ، وما الى ذلك.

وقد اثارت اتجاهات ابولو خواطر بعض المثقفين ، كما اثارت خواطر الشعراء التقليديين الذين يرون ان هذه الالوان الجديدة خرق وهذيان وتقليد معيب للشعر الاوربي ، اذ يقول بعضهم : « لم نعد نطيق هذه التيارات العنيفة القوية التي يحاولون ان يوجهوا بها الشعر العربي، والا فما هذه القصائد التي تبتدىء بقافية وتنتصف بقافية ثم تنتهي بقافية ؟ وهل نضبت اللغة على ان تدر قوافي متحدة لقصيدة واحدة » ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويرد ابو شادي بدوره على هؤلاء بهوادة الاستاذ المطمئن الى سلامة موقفه مبينا خطل آراء هؤلاء المحافظين .

ويلخص ابو القاسم الشابي (احد شعراء جمعية ابولو) اصول المعركة بين المحافظين والمجددين، في مقدمة كتبها لديوان ابي شادي « الينبوع » يقول فيه :

« اما المدرسة القديمة فهي تزعم ان للغة العربية مزاجا خاصا لا يسيغ الا ضروبا محدودة من التفكير والحس والخيال ، وهي تنقم على المدرسة الحديثة انها تستحدث في الادب العربي فنونا من البيان مشبعة بما في الروح الاجنبية وآدابها من طرائف التفكير والخيال والاحساس ، وهي تدعي ان ذلك لا يلائم طبيعة اللغة العربية ولا ينسجم مع ما تسميه : الاسلوب العربي الصميم » .

وتؤكد « ابولو » اتجاه مدرستها الى الاخذ بالثقافة العالمية ، فيترجم بعض شعرائها عن الانكليزية والفرنسية بعض القصائد ، بل ان بعض شعرائها كتب شعرا بالانكليزية كما فعل ابراهيم ناجي .. الا ان اتجاه شعراء ابولو بصورة عامة ظل اتجاها ذاتيا ، وقد ساعدت على بلورة هذا الاتجاه ظروف الحياة التي صاحبت نشأة حركة التجديد وعملت على ابرازها ... فقد كان العصر عصر قلق وتوفز وتردد بين ماض عتيق ومستقبل مريب ، وقد بعدت المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب ان يكون وبين ما هو كائن ، فما بالك بالشاعر ، وهو اوسع خيالا من سائر الناس والطفهم حسا ؟

ومن هنا كانت هذه الرومانتيكية التي ساعدت بيئة الحياة العصرية على نموها واطرادها ، والتي تمثلت في اجلى مظاهرها في شعر جماعة ابولو .

واذا كانت الكلاسيكية الغربية تسلم مقاليدها الى العقل يكبح جماح العاطفة حتى لا يطلق الشاعر العنان لمشاعره الفردية ، فان الكلاسيكية العربية كانت تسير في طريق مشابه ، فالاهتمام بالفكرة العقلية او المعنى كان اهم لدى الشاعر العربي من التعبير عن عاطفة معينة وبذلك كان العقل هو المسيطر على العمل الشعري ، وهكذا انتهى الشاعر العربي الى التعبير عن المعاني العامة التي كانت نهبا مشتركا بين أيدي الشعراء .

وكما قام الرومانسيون الغربيون يشيدون بسلطان القلب والعاطفة امام سلطان العقل الذي قدسه الكلاسيكيون ، قام مجددونا يدعون الى الوجدان الفردي والتعبير عن مكنونات قلب الشاعر وعواطفه المتباينة بعيدا عن الاتجاهات العامة التي ابعدت الشاعر عن التعبير الذاتي .

ويطول بنا الحديث والاستشهاد ان مضينا نعرض صورا رومانسية لشعراء جمعية ابولو لندلل على ان هناك مفهوما يتبعونه وطابعا مميزا يطبع شعرهم هو طابع الرومانسية بشياتها ومفاهيمها كما عرفها الغربيون . والآن اريد ان اخلص من ذلك الى ان شعراء ابولو مدرسة واحدة يجمعها اتجاه واحد هو الاتجاه الرومانسي، وان لم يتبلور اتجاها فلسفيا شعريا تدعو اليه ، فالتجانس الاتجاهي والصدور عن مفهوم شعري واحد تعتنقه جماعة من الشعراء يكونون جمعية معينة تربط بعضهم الى بعض بروابط الزمالة والصداقة واتحاد الاتجاه والمفاهيم ... كل هذا انشأ مدرسة شعرية متجانسة الاتجاه متحدة الهدف .

وقد جاهدت هذه المدرسة جهادا ميمونا ، ووقفت جريئة امام تحزب المحافظين ، وكان لا بد بعد هذا التكتل الجماعي واصدار مجلة تنطق بلسانه تخصص للشعر وابحاثه لاول مرة في تاريخ الشعر العربي — ان يتألب عليها الكارهون لها من المحافظين والخائفين من هذا المد الجارف على مراكزهم ومناصبهم الادبية ، وكانت اشهر معارك « ابولو » مع العقاد ومريديه . ولعل سبب الخلف الذي وقع بينهما هو تعرض كل منهما للاخر ، فكانت المغبة سيئة بالنسبة للطرفين المتنازعين على السلطة الادبية ..

واود هنا ان اقف وقفة خاطفة اقول فيها — بعد ان اطلعت على نقد بعض هذه الاطراف لمناوئيهم — : ان طابع المهاترة والبعد عن الموضوعية كان اللون الذي ساد هذه المعارك الادبية !...

لقد اخذتني الدهشة وانتابني العجب حينما مررت على طرف من هذه النقدات والمهاجمات التي يجب ان تكون — كما ارى — في منأى عن ادبائنا الرواد الذين يمثلون تراثنا الادبي المعاصر مستهل هذا القرن ، فما كان يليق بهؤلاء الاعلام الا التقدير والمسالمة والوفاء ووضع الحق في نصابه ، والتقرب من الموضوعية ، لانهم — بالاجمال — كانوا منارنا الادبي في العصر الحديث ، فكيف بهم يفتعلون امثال هذه التصرفات ؟ ولو ان الحق يدعونا الى القول ان امثال هذه الحركات ادت الى تنشيط حركة النقد الادبي وطورت اساليبه ، حيث شغلت بذلك اعمدة الصحف والمجلات الادبية والثقافية في العالم العربي بصورة عامة وفي مصر بخاصة .

نعود الى ابولو ونقول بأن مجلتها كانت اول مجلة شعرية عربية تخصصت في الشعر ونقده وتعتبر هذه الجماعة عصارة التطور الشعري كله ، في تطور مراحلها من الشعر التقليدي ، الى دعوة مطران ، الى جماعة الديوان ، الى جماعة المهجر ، وكانت بحق خلاصة هذا التطور كله وثمرته .

وهكذا نرى ، لاول مرة في تاريخ الادب العربي الحديث والمعاصر ، مدرسة شعرية تلتفت الى موضوع لم يلتفت اليه احد من قبل بهذا الفنى والتنوع ، وهو التفات مطرد عمره ثلاث سنوات او اربع ، يبدأ منذ ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباحث عن الذهب

•

الدكتور جميل مرسي بدر

•

نيويورك

يحكون في الماضي البعيد
عن قصة لمغامر جاب البلاد
وبكفه فأس ينقب في التراب
يقتص آثار الذهب

ويقال آب
من رحلة الاخطار في الارض اليباب
وحصانه المهزول مثقلة خطاه
مما حمل

وغدت له دار رحيبه
فيها الرياش وكل نادرة عجيبه
ويعيش ينفق في سخاء
حتى اذا نفد الذهب
بقي الرجاء
أوليس يدري وحده من أين جاء ؟

ومضى لطيته وقد عرف الطريق
لا تسألوا ماذا إستفاد وكيف عاد
لم يلف غير حجارة صفراء كاذبة البريق
...
ويلاه من برد الرماد
يبقى اذا انطفأ الحريق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدأت جمعية ابولو وينتهي بنهايتها .

ان التطور الطبيعي لشعرنا المعاصر جعل مدرسة ابولو تحقق كل ما طالبت به جماعة الديوان وسواها من الحركات التجديدية ، وكان هذا التطور الطبيعي يواكب تطورنا الاجتماعي والثقافي ، الذي كان يزداد اضطرادا كلما ازداد اتصالنا بأوربة وحضارتها ، وبذلك تحدد المجرى الجديد لاتجاهنا الشعري في الثلاثينات من هذا القرن .

وصفوة القول ، انه حينما تذكر في تاريخ الادب العربي الحديث جماعة ابولو ، يعيش الدارس مع افرادها سوانح حية ، يجد فيها النور مطلا ، حينما يجول في سبحات الفكر والخيال مع هذه الندوة الفكرية الثقافية التي عاشت ردحا من الزمن تعطي العالم العربي اطايب اغذية الروح ، وشعاع النفس ، ونفح العواطف .. حتى انطفأت مصابيح هؤلاء الشعراء ، وتفرقوا ، تاركين ادب العصر لمن جاء بعدهم من الادباء المبدعين .

حلب — واصف باقي



كمال رستم

اختلاف اساليب الاداء التمثيلي

بقلم كمال رستم

* * *

من الظواهر المألوفة في حياتنا الفنية والتي شاعت في الآونة الاخيرة بصورة تستلفت النظر سهولة انتقال الممثل من المسرح الى السينما والتلفزيون وبالعكس مما ظهر اثره في المستوى الهابط للاداء التمثيلي في الافلام والتمثيليات التلفزيونية التي يشترك فيها الممثلات والممثلون المسرحيون والمسرحيات التي يستعان فيها بالممثلات والممثلين السينمائيين .

هذه الظاهرة لم ينتبه اليها المسؤولون عن هذه الفنون عندنا ولا هي استرعت اهتمام واحد من نقادنا على كثرة ما يكتبون وينتقدون .

واحب قبل ان ادخل في تفصيلات هذه الظاهرة ان ادفع عن نفسي مظنة الدعوة الى مصادرة حرية الممثل في الانتقال بفنه الى اي مجال من المجالات السابقة طالما ان قدراته وامكاناته الفنية تؤهله للوقوف على قدميه في مجاله الجديد ، فمن المسلم به ان كل نوعية من هذه النوعيات لها مواصفاتها التي تنفرد بها على نحو ما سنفصله في السطور التالية :

في السينما ، مبدأ يقول بان ليس ثمة ما يهمنا كانفسنا ، وهذا المبدأ يعتنقه كبار الممثلين العالميين من امثال سوهترا تشاتيرجي ، ومارسيلو ماستروياني ومونيكا فيتي وغيرهم الذين يرون ـ كما يقول جون كروسبي ، ضرورة ان « يعيش » الممثلون ادوارهم لا ان « يمثلوها » ذلك انهم لا « يلعبون » ولكنهم « يكونون » . ومدرسة « المعايشة لا التمثيل » تعكس وجهة نظر صانعي الافلام تجاه الروايات الجديدة التي تحتاج الى معالجة فوق الواقعية . فهذه الروايات التي تتناول شريحة من الحياة تعتمد في بلوغها اوج الكمال الفني على درجة كبيرة من الاختيار المصحوب بالامانة في عرض ما تختاره وعلى ذلك فان اقل ايحاء بالتمثيل يدمر تأثير هذه الروايات .

والتزام هذا المبدأ يفسر لنا سبب تألق طائفة من الممثلين المجيدين من امثال « البرتو سوردي » و « فيتوريو جاسمان » وغيرهم ممن يكونون جزءا من مدرسة « البيبنج سكول » وهذا الاسلوب في الاداء تحكمه الخاصية الفضفاضة الغير مترابطة ظاهريا للرواية والتي تختلف سطور الديالوج فيها عنها في المسرح من حيث شيوع الاستعمال العادي لحياة كل يوم . هذا الاسلوب في الاداء يعتمد على الكاميرا وعلى الطريقة التي تترجم بها الحدث وهو ليس اسلوبا سهلا كما قد يبدو عند النظرة العجلى ـ وكذلك الممثلون الذين يتبعونه ليسوا اقل موهبة ولا تأثيرا من زملائهم الذين يصطنعون الاساليب الصارخة في الاداء ، بل ان الممثل الذي يتبع هذا الاسلوب يتفوق على نفسه من حيث ان الاسلوب هنا ينسجم مع مادته وينشر ابعاده ويدعو الى كبح جماح كل من صانع الفيلم والممثل .

واذا اردنا ان نقارن هذا الاسلوب المناسب تماما لطبيعة السينما وجوهرها باسلوب بعض ممثلاتنا وممثلينا ـ اقول بعض لا كل ـ الذين تسند اليهم الادوار في افلامنا لاذهلتنا المقارنة حيث نجد ان هذا البعض قد تقولبوا بقالب المسرح فلا يستطيعون منه فكاكا ، وهكذا بات من العسير ان لم يكن من المستحيل عليهم ان يصطنعوا اساليب الاداء السينمائي والمحصلة النهائية لهذا كله هي فشلهم في الحقل السينمائي بينما قد يكونون متسنمين القمم العالية في عالم المسرح ، وهذا يفسر لنا الرأي القائل بان المسرح نقمة على الممثل المسرحي الذي يتحول الى السينما او التلفزيون . هذا الممثل المتجمد في حدود اطر الاداء المسرحي يبدو كالنغمة النشاز في سيمفونية الفيلم من حيث ان اداءه يبدو مختلفا تماما عن اداء زملائه وليس عسيرا على احدنا ان يستعرض على ناظريه صور بعض ممثلينا وهم في حالة « اندماج » تام في ادوارهم بشكل لا يختلف كثيرا عما يفعلون على خشبة المسرح وكيف يثير اداؤهم فينا السخرية والاشفاق من حيث يتوقعون ان يظفروا باعجابنا وانبهارنا .

ان الفروق التي تفرق التمثيل المسرحي عن التمثيل السينمائي او التلفزيوني والتي سنأتي على ذكرها بعد قليل مع ملابسات العمل في كل مجال من مجالات الفنون السابقة هي التي يشكل تجاهلها او الجهل بها مسؤولية اخفاق الممثل في مجاله الجديد وهنا يبرز دور المخرج الذي عليه ان يحقق قدرا من الانسجام بين ممثليه ، واذا كانت الاراء تختلف في مدى سلطة المخرج في تغيير او تعديل اداء الممثل فمما لا شك فيه ان من هنا تنبثق نقطتان على جانب كبير من الاهمية الاولى ان صانع الفيلم يجب ان ينمي معرفته باساليب التمثيل المختلفة ليس فقط لكي يحدد مستوى الاداء لكل ممثل بل ايضا ليحقق الانسجام الذي اشرنا اليه آنفا بين كل الممثلين في الفيلم ذلك ان الممثلين يأتون من خلفيات مختلفة وهم مزودون بطائفة متباينة من التجربة والمران ويميلون الى استخدام بعض او كل تجاربهم السابقة في محاولة للبحث عن مفتاح لادوارهم اذا لم يكن هذا المفتاح قد اعد لهم من قبل ، وهذا ما يجب ان يعمله صانع الفيلم لان تفسير الممثل يجب ان يتلاءم مع وجهة نظر صانع الفيلم ، والنقطة الثانية ان صانع الفيلم يمكن ان يساعد الممثل من خلال مناقشة دوافع الشخصية ورغباتها ومقاومتها او صراعاتها ومن خلال وحدات الحدث وتأثيرها على الشخصية ودرجة ومستوى تشخيصها ونسبة السمات الرئيسية للسمات الثانوية في تركيب الشخصية والطريقة التي تكشف بها هذه العوامل قصة الفيلم .

ان مدرسة المعايشة التي المعنا اليها والتي تنتمي اليها النخبة الممتازة من الممثلات والممثلين السينمائيين لا تعني بالضرورة انها تصلح لكل انواع الروايات . فهي مثلا لا تصلح للروايات التاريخية . كل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما هناك اننا استشهدنا بها للتدليل على اختلاف اسلوب الاداء المسرحي عن اسلوب الاداء السينمائي كما يختلف عن اسلوب الاداء التلفزيوني نتيجة اختلاف نوعية كل من المسرح والسينما والتلفزيون ، ان الممثل المسرحي يحتل بؤرة الاهتمام وعليه تنعكس الاضواء واداؤه هو الوسيلة الدرامية التي تصنع منها مادة المسرحية ، فوسيلة الدراما هي الديالوج الذي يكتب ليقوله الممثلون ، وعلى عاتق الممثل تقع مسؤولية الاداء الذي لا يكون للمخرج دور فعال فيه .

فالممثلون لا يشبهون العازفين في الفرقة الموسيقية الذين يخضعون لقيادة قائد الاوركسترا بل ان كلا منهم لديه الاحساس بانه لا يصدر الا عن نفسه . والممثل المسرحي يستطيع ان يقولب نفسه تصورا وانفعالا في الاطار الذهني للدور الذي يؤديه امام جمهور يتجاوب مع ادائه وينميه . هذه الشروط التي يتم من خلالها الاداء المسرحي لا تتوفر للممثل السينمائي ففي الفيلم الذي لا يكون مجرد تسجيل سينمائي للمسرحية لا يشكل الممثل اهمية كبرى فهو لا يعدو ان يكون واحدا من فنيين عديدين تتوحد مواهبهم لانتاج عدد من اللقطات الفلمية .

وهذه اللقطات ـ وليس اداء الممثل ـ هي التي تكون الوسيلة الفلمية ليس فقط لان الممثل السينمائي يؤدي دوره من خلال الارشاد المباشر والمراقبة الفعالة للمخرج ، بل لان تاثير ادائه قد يتعدل عن طريق اداء زملائه وزاوية الكاميرا او الاضاءة التي يستخدمها المصور ، او بالطريقة التي يقطع بها المونتير الاجزاء المختلفة لاداء الممثل . واذا اضفنا الى ذلك ان المشاهد في المسرح مشاهد « ثابت » في « مكانه » وهو يقوم بعملية المشاهدة والاستماع للمشهد الذي يجري امامه ، وهو في هذا الوضع الجامد ، كان على الممثل اذا اراد ان يعطي تاكيدا معينا لحركة ما او تفسير ما ان يسترعي انتباه المشاهد اليه باتخاذ مكان ظاهر او اصطناع موقف او الاتيان بحركة او وقفة تدفع الممثلين الاخرين للنظر اليه . ومن هنا يتعين عليه ان يؤدي بوضوح كل ما يقوم به بحيث لا تفوت ملاحظته المشاهدين في اقصى الصالة . اما مكياجه وحتى همساته فيجب ان يبالغ فيها لنفس هذا الغرض .

اما في الفيلم فلا مكان لشيء من هذا كله فاذا اراد المخرج ان يؤكد شيئا فانه يقطع ليصور التفصيلة في لقطة مقربة وعن طريق المونتاج يتحرك المشاهد من نقطة في وسط الحدث الى حيث يريد المخرج ان يقوده ، ومن هنا القول بان المشاهد في الفيلم هو « مشاهد متحرك » . هذا الاختلاف الاساسي بين وسائل المسرح ووسائل الفيلم تتضمن اختلافات جوهرية بين تكنيك التمثيل المسرحي وتكنيك التمثيل السينمائي ، ففي المقام الاول اصبحت لا ضرورة اطلاقا للمبالغة التي يصطنعها الممثل المسرحي بل العكس هو الصحيح فانه بسبب امكان اقتراب الكاميرا لتعطي منظرا مكبرا لاقل تفصيلة ، اصبح المطلوب هنا هما الكبح وتجنب المبالغة . وفي هذا المعنى يقول جورج اوليس « لقد كنت اعتقد دائما ان التمثيل للسينما يجب ان يكون مبالغا فيه ولكني رأيت في هذه الومضة ان الكبح هو الشيء الاساسي الذي يجب ان يتعلمه الممثل في تحويل فنه من المسرح الى السينما .

وهكذا فان ما يبدو ضروريا ومؤثرا على خشبة المسرح مثل الحركات الانسيابية والمكياج والاسلوب الخطابي يبدو ولا مكان له في السينما ، او كما يقول بودفكين « اننا عندما نتحدث عن «المسرحة» غير الضرورية لاداء الممثل السينمائي فاننا لا نعني بذلك ان المسرحة تتضمن بالضرورة شيئا خاطئا في حد ذاته او كريها ، بل اننا نسجل ببساطة احساسا غير سار بعدم الملاءمة وبالتالي الكذب » .

وفارق آخر بين اداء الممثل المسرحي واداء الممثل السينمائي يكمن في تلك الحقيقة التي تغيب عن اكثر ممثلينا المسرحيين حصافة وذكاء واعني بها انه بينما تكون الاداة الرئيسية للممثل المسرحي هي صوته وان حركاته هي اشياء مصاحبة او امتداد لما يقوله ، نجد ان الممثل السينمائي يمثل بكامل ذاته وهذا يعني ان الممثل السينمائي يمارس درجة عالية من التحكم في ذاته ، وتبدو هذه الحقيقة اوضح ما تكون في حالة سوء اداء الممثل للشخصية التي يمثلها . فحيث يكون الجمهور هو المستقبل للاداء المسرحي نجد ان الكاميرا هي التي تقوم بعملية الاستقبال . وفي التلفزيون تجسم الخطأ تجسيما كبيرا ، ومن هنا كان الاداء الطبيعي الذي يتم في سهولة ويسر هو الاداء الاصلح للتمثيل السينمائي والتلفزيوني .

ومن الفروق الهامة التي تفرق الاداء السينمائي عن الاداء المسرحي ان الاداء السينمائي تتحكم فيه مقتضيات المونتاج من حيث تقطيع الحدث الى اجزاء صغيرة بغض النظر عن النسق الذي ستظهر فيه في آخر الامر ، ومعنى هذا انه خلال فترة التصوير التي قد تمتد من شهر الى اكثر يكرس الممثل جهد يوم كامل على حدث صغير ، وفي اليوم التالي على حدث « ثان » ، وبعد ثلاثة ايام يعمل الممثل في حدث ثالث وهكذا .

واذا كان يعمل في منظر خارجي فقد تعطل رداءة الجو التصوير لعدة ايام ، وعندما يعتدل الجو يظل على الممثل ان يستعيد نفس اللياقة الفنية للاداء ، وعدم اتصال عمل الممثل السينمائي على هذا النحو يجعل ادراكه واحساسه بدوره ككل امرا بالغ الصعوبة ومن هنا يفترق عمل الممثل في السينما ـ كما يقول بول مولي عنه في المسرح « حيث يكون لديك احساس قوي بالامن فانت متاكد من البروفات التي تستمر لمدة اربعة اسابيع مع كل الممثلين منذ بدء المسرحية الى نهايتها . وباستطاعتك ان تعمل تدريجيا في دورك متدبرا الوقت والايقاع تاركا العملية تجري لا شعوريا ، ثم في وقت متاخر يمكنك ان تلون وتغير وتضيف للشخصية التي تلعبها . ولكنك في التمثيل للسينما تفتقد هذا الاحساس بالامن ، الا ان الممثل السينمائي اذا اراد ان يقوم بادائه على الوجه الاكمل فانه يجب ان تتاحله فرصة تخيل نفسه وهو يقوم بدوره ككل ويجعله تعبيرا عن شخصيته وبهذه الطريقة فقط يستطيع ان يخلع على دوره الصدق والوحدة واستمرار التطور في الظروف المتغيرة لقصة الفيلم .

ان التضحية بميزات المونتاج لصالح الممثل تتادى بنا في النهاية الى الفيلم المسرحي واستغلال المونتاج الى حد تجاهل احتياجات الممثل كلية تنتهي بان يصبح الممثل مجرد انسان آلي بين يدي المخرج .

والاسلوب الكلاسيلكي والاسلوب الروماني والاسلوب الواقعي والاسلوب

وبعيدا عن الاساليب المختلفة للتمثيل (الاسلوب التقليدي الطبيعي) يمكن أن يكون التمثيل تعسفيا او ابتعائيا والتمثيل التعسفي ـ مهما كان الاسلوب ـ يلجا اليه عادة في الافلام الكوميدية. انه يعتمد على الحركات الفجائية واللقطات الفرديه والمزدوجة ورد الفعل المتردد الذي يفتقر الى التكامل الى غير ذلك مما يستهدف انتزاع ضحكة المشاهد .

اما التمثيل الابتعائي فانه يتسم بدرجة اكبر من التكامل وبحركات انعم واكثر ارتباطا بمبدأ العلة والمعلول ، وهذا الاسلوب من التمثيل يحاول الاقتراب من الحياة الواقعية . واذا اردنا ان نكون اكثر دقة من الاسلوب الطبيعي التام . ولقد تطور من التقليد الواقعي نمطان من التمثيل كانا موجودين في كل من المسرح والسينما في اواخر القرن الماضي وعلى امتداد القرن الحاضر الى يومنا هذا ، هما النمط الذاتي والنمط الموضوعي ، وفي التمثيل الموضوعي يعد الممثل نفسه لاداء دوره باصطناع السمات الخارجية لانماء الشخصية ، وضعف هذا النمط من التمثيل يكمن في مد الكلمات وتشكيلات الوجه والافتقار الى العمق ، وفي الوقت الحاضر قلما يلجا ممثل في الخارج باستثناء الممثلين الكوميديين الى هذا النمط من التمثيل في اداء دوره بينما نلاحظ ان هذا النمط هو الغالب على اداء اكثر ممثلاتنا وممثلينا المسرحيين الذين ينتقلون للعمل في السينما او التلفزيون .

نداء

يـــا صوت الهاتف يدعونـي
آه ، مـن صوتـك ، يغريني
من يهتف باسمي ، في همس
من خلف الصمت ، يناديني ؟
وتشف النبرة عـــن وجـد
والوجد يشف ، فيشجينـي

بالامس ، تركت الامس، مضى
وهجـرت دروب رباحينـي
واخترت الصمت ، ألوذ بـه
والوحـدة ، بيتـا يأويني
أسدلت علـى شجني سترا
هـل جئت ، تراك ، تعريني ؟

اللاذقية — نبيهة حداد

وهناك صلة حميمة بين التمثيل الموضوعي والتمثيل التعسفي لان الكوميديا تتطور بالعرض اكثر منه بالعمق فهي تستلزم قدرا من البراعة والخيال والاحداث المبتوتة الصلة بالحدث الرئيسي لا الاستبطان .

اما التمثيل الذاتي فقد صيغ على النموذج الواقعي واول من وضع تعريفا واضحا له هو ستانسلافسكي في سنة ١٨٨٩ ، وبعد ان اتجهت الحركة المسرحية بعد الحرب العالمية الاولى الى الواقعية ، اعيد احياء التقليد الستانسلافسكي من خلال جهود ستيلا ادلر وهارولد كليرمان من « الجروب ثياتر » . ففي خلال الثلاثينات روجت هذه الفرقة فكرة بناء الممثل لشخصيته من الداخل ومن خلال الادراك الذهني والانفعالي للنماذج والاثارة والبيئة التي تؤدي الى صياغة الشخصية .

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت حركة اخرى نلمس آثارها اليوم على يد « لي ستراسبرج » ويطلق عليها اسم التمثيل المنهجي ، وبعض تكنيكات ستانسلافسكي واضافات وجهود « الجروب ثياتر » نجدها في هذه الحركة السائدة في ايامنا هذه ، وفي هذا التقليد يكون التمثيل في العمق وتفحص الشخصية التي تلعب فحصا تفصيليا ، ولئن كانت الصلة بين هذا التطور وبين « البيبنج اكتج » الذي ظهر في الافلام الاوربية في الخمسينات والستينات غير واضحة، فاننا يمكن ان نقرر باطمئنان ان التمثيل المنهجي « الميثود اكتينج » هو جزء من التقليد التمثيلي المسرحي ، بينما الممثلون الذين يتبعون « البيبنج اكتج » هم جزء من الحركة العامة للفيلم .

الى هنا احسبني تحدثت طويلا عن الفروق التي تفرق الممثل المسرحي عن الممثل السينمائي . **وبالتالي عن الممثل التلفزيوني من** حيث ان التمثيل في التلفزيون لا يختلف كثيرا عن التمثيل في السينما الا من حيث اعتماد التلفزيون على اللقطات القريبة وبعض الصعوبات التي تكتنف عمل الممثل في التلفزيون ، ومع تسليمي بان البعض قد يعتبرها من ابجديات هذه الفنون فان السؤال الذي طالما الح على ذهني هو هل غابت هذه الابجديات عن ممثلينا وصانعي افلام السينما والتلفزيون عندنا ، أم انهم يعرفونها نظريا ويضربون بها عرض الحائط عمليا ، حقيقة استقطبت السينما والتلفزيون في بلاد كثيرة تأصلت فيها هذه الفنون كبار الممثلين المسرحيين ، وسجل هؤلاء الممثلون تفوقهم في هذا المجال كما سجلوا تفوقهم على خشبة المسرح . وعندنا ايضا عدد لا بأس به من الممثلات والممثلين المسرحيين الذين تألقوا في السينما والتلفزيون هؤلاء هم الذين استطاعوا ان يلقوا وراء ظهورهم بأساليب الاداء المسرحي في نفس اللحظة التي يقفون فيها امام عدسة الكاميرا .

وهم لا شك قلة قليلة تعد استثناء من القاعدة العامة التي تقول بأن المسرح نقمة على الممثل المسرحي الذي يتجه للعمل في السينما والتلفزيون ولكنه الاستثناء الذي يؤكد القاعدة التي في الطرف المقابل وهي ان الممثل المسرحي الذي يستطيع ان يتحرر من اساليب الاداء المسرحي ويصطنع أساليب الاداء السينمائي يتألق في هذا المجال الجديد تألقه في مجاله القديم ، ان على مخرجينا في السينما والتلفزيون ـ كما قلت ـ تقع مسؤولية اختيار الممثلات والممثلين الذين تتحقق فيهم المرونة والطواعية للتكيف مع طبيعة وملابسات العمل في هذين الحقلين ، وهكذا يتقدم من تؤهله كفاءته ومواهبه للتقدم ويتنحى من لا تؤهله كفايته وقدراته للعمل الجديد ، وليس هذا مما يحط من قدر الممثل المسرحي بل قد يكون سببا من اسباب انماء قدراته وترسيخ اقدامه على خشبة المسرح .

واحب الا افرغ من هذا المقال قبل ان اعرض لقضية اخرى هي من العمل السينمائي في الصميم ، تلك هي قضية اضطلاع الممثل بالادوار المختلفة بصدق واقناع ، يقول ديليس بويل « ان الممثل العظيم على المسرح لا يمكن في العادة تمييزه من دور الى آخر ، فنحن لا نجد لورانس اوليفييه وهو يمثل اوديب في لورنس اوليفييه وهو يمثل « العدالة الضحلة » الا ان التحول التام للشخصية على الشاشة نادر وفي السينما الامريكية في حكم المعدوم » .

بيد ان هذا الرأي يرد عليه كتاب آخرون بولهم ان تاريخ السينما يطلعنا على ممثلين افذاذ ، مثل بول موني وبيتي دافيز والروسي تشيكاسوف ، الذين اثبتوا بما لا يدع لنا مجالا للشك ان من الممكن ان يعبر الممثل عن شخصيته بطرق مختلفة في حالات مختلفة تماما ، وان يعطي في كل منها تفسيرا مقنعا ، يقول بول موني : انا شخصيا افضل الادوار التي لا تشبهني » وتقول بتي ديفيز « انني لم ابدا دورا لم اشعر انه لشخص مختلف جدا عني .. » .

بقي ان نشير اشارة عابرة الى الشق الثاني من الظاهرة التي دفعتنا الى كتابة هذا المقال ، والذي يتمثل في انتقال ممثل السينما للعمل على خشبة المسرح ، هذا الانتقال الذي انتشر مع انتشار الفرق الخاصة والذي تمليه اعتبارات مادية صرفة ، اذ تعتقد هذه الفرق ان الاستعانة « بنجم » من نجوم السينما كفيل بازدياد مبيعات شباك التذاكر ، ولكن ليس كل ممثل سينمائي قادرا بالضرورة على التحول الى ممثل مسرحي ناجح ، اذ تظل حقيقة اختلاف اساليب التمثيل في كل من هذين الحقلين واردة هنا ايضا ، اي أن الممثل السينمائي لا بد له لكي يرسخ اقدامه على خشبة المسرح ان يصطنع اساليب الاداء المسرحي ، وقليلون هم القادرون على اطراح اساليب الاداء السينمائي وراء ظهورهم ، وهنا ايضا تقع مسؤولية فشل بعض الاعمال الفنية التي قدمت وتقدم على هذه المسارح على عاتق مخرجي هذه المسرحيات ، كما تقع على عاتق نقادنا الفنيين الذين لم يفكروا حتى الآن في طرح هذه القضية للمناقشة والبحث .

والخلاصة ان ظاهرة انتقال الممثلين والممثلات الى مجالات المسرح والسينما والتلفزيون بحرية تامة وبغير ضوابط تضبطها هي ظاهرة غير صحية تنعكس آثارها الضارة على هذه الفنون .

ولا بد لنا اذا اردنا الاحتفاظ لهذه الفنون بمستواها الرفيع ان نحد من انتشار هذه الظاهرة حتى لا تستفحل شرورها ويعز العلاج .

القاهرة — كمال رستم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النهـر المسـافر

ولملم الالحان والاضواء ثم سار
هذا الذي ينام فوق كفه النهار
وينشر الوجود في طريقه الازهار :
فالصخر تحت خطوه يلين
وتنتشي وتورق الاحجار .
هذا الحبيب ودع الديار ثم سار
مخلفا وراءه الموات :
يـا ويحنـا .. !
رياضنا ، من بعده ، تحولت قفار
يحرقها الجفاف
يعيث في ربوعها البوار
.. منائح الخراب ، في سمائها ، تناوحت
واعول الدمار
وطيرها ، هذا المسالم الحنون ، طار
مفزعا يجابـه التيار
لعله في لجة الضياع
يقابل النهار .. !!

حتى النسيم الاخضر الرطيب
قـد احترق
تلوكه الرياح في نيوبها
كشهقة من الجحيم ،
في السماء تنطلق
فتشرب الندى
وتاكل الورق ..

يا أيها المهاجر الغريب
لـو عدت يـا حبيب
لعـاد للوجود
جمالـه المفقود ..

كم مرة بكى بها الجفاف
بمدمع الالم :
يا ايها المهاجر الطواف
اما تود ان تعود للضفاف
فتبعث الحياة في العدم
وتحصد الموات والسام ..
من يوم ان تحركت خطاك
وذاب في بحر الدجى ضياك

نسيمنا .. رياح
وضحكنا نواح
حتى الربيع .. لم يعد ربيع
حتى الصباح لم يعد صباح
فعمرنا مدامع فياضة الجراح ..

لو رقصة من موجك الحبيب
لو بسمة من ثغرك الرطيب
تنساب في الدروب
لاخصب الجديب

لو نغمة من عودك الفنان
ترف فـي حنان
لاستيقظت مشاعر الانسان في الانسان

الى متى يظل حقلي الرحيب
بـلا ثمر .. ؟
الى متى يظل ليلي الكئيب
بـلا قمر .. ؟
الى متى يحرقني السهاد .. والضجر ..؟
الى متى أذوب
لكم اود ان اصور الوجود ..
ابعثـر الانغـام
واجمـع الصور ..

لكنني يـا ايها الحبيب
خلال هجرك الرهيب
كقنوة بـلا صدى
كدوحة بـلا ثمر ..
عرائس الآمـال
ظمآى في دمي تثور تنتحر ..
هتافها المسعور .. هب عاصفا معربدا ..
ناحت بكفيه الحياة فاشتراها بالردى ..

يا ايها المهاجر المجد في الطواف
قل لي متى نودع الجفاف
متى نعود للسمر
وندفن الضجر

القاهرة — البيلي عبد الحميد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

حزمة من الحطب

ويقولون : حزمة (بكسر الحاء) من الحطب او غيره . والصواب: حزمة (بضم الحاء) من الحطب . جمعها : حزم (بضم الحاء وفتح الزاي) لانها اسم على وزن فعلة (بضم الفاء وتسكين العين) .

والمحزمة والمحزم (بكسر الميم وتسكين الحاء وفتح الزاي في الاسمين كليهما) ، والحزام والحزامة (بكسر الحاء فيهما كليهما) : اسم ما حزم به .

السهل والحزن

ويقولون : السهل والحزن (بفتح الحاء والزاي) . والصواب : السهل والحزن (بفتح الحاء وتسكين الزاي) . والحزن : هو ما غلظ وارتفع من الارض . وجمعها حزون (بضم الحاء) . اما الحزن (بفتح الحاء والزاي) ، فمعناه : الحزن (بضم الحاء وتسكين الزاي).

الحساء

ويقولون : شرب وسيم الحساء (بكسر الحاء) . ويريدون بالحساء ما تسميه العامة ب (الشوربا) . والصواب : شرب وسيم الحساء او الحسا (بفتح الحاء في كلتا الكلمتين) ، واضاف شمر بن حمدويه الهروي : الحسو (بفتح الحاء وتسكين السين) ، والحسية (بفتح الحاء وكسر السين وتشديد الياء المفتوحة) والحسو (بفتح الحاء وضم السين وتشديد الواو) كما روى التاج . واقتصر اللسان على ذكر الكلمات الاربع الاول ، وجميعها بفتح الحاء . وتجمع على حساء (بكسر الحاء) واحساء .

وتاتي الحساء (بكسر الحاء) مفردة ، وهي مياه لغزارة ، او موضع . وللعرب بلدان كثيرة يطلقون عليها اسم الاحساء . و (الاحساء) مقاطعة كبيرة في شرق المملكة العربية السعودية .

الامر

ويقولون : الامرالذي حملنا على نقل فلان الى المستشفى هو اصابته بالحمى . والصواب : ما حملنا على نقل فلان الى المستشفى هو اصابته بالحمى . او : اصابة فلان بالحمى حملتنا على نقله الى المستشفى ، لان استعمال كلمة (الامر) هنا ركيك جدا ، وليس عربي السبك والاصول ، وربما دخل الضاد باقلام ضعفاء المترجمين .

شديد الحساسية

ويقولون : هو شديد الحساسية . والصواب : هو شديد الاحساس ، او حساس ، او مرهف الحس .

الحشا

ويخطئون من يؤنث كلمة (حشا) بفتح الحاء . واللغة العربية تجيز تذكيرها وتانيثها ، وترى ان التذكير هو الاقوى . وقد قال الشاعر :

لا تعذل المشتاق في اشواقه حتى تكون حشاك في احشائه

والحشا والحشي : ما دون الحجاب مما في البطن كله من الكبد والطحال والكرش وغيرها .

تحشرج صوته

ويقولون : تحشرج صوته . والصواب : حشرج . ومعنى حشرج: ردد صوت النفس في حلقه من غير ان يخرجه بلسانه ، لان الحشرجة هي الغرغرة عند الموت ، او تردد صوت النفس .

حضر للامتحان

ويقولون : حضِر (بتشديد الضاد المفتوحة) الطالب للامتحان النهائي . والصواب : استعد الطالب للامتحان النهائي . اما الفعل (حضره) بتشديد الضاد المفتوحة ، فمعناه : جعله حاضرا .

الحضن

ويقولون : جعلت الام طفلها في حضنها (بضم الحاء) . والصواب : جعلته في حضنها (بكسر الحاء) . وجمعه : احضان . والحضن (بكسر الحاء) : هو ما دون الابط الى الكشح . والكشح (بفتح الكاف وتسكين الشين) : هو ما بين الخاصرة واقصر الاضلاع وآخرها . وقيل ان الحضن (بكسر الحاء) : هو الصدر والعضدان وما بينهما . والحضن (بكسر الحاء) هو ايضا :

١ ــ جانب الشيء وناحيته .

٢ ــ وجار الضبع ، ويجوز ان نضم الحاء هنا ونكسرها ، فنقول : حضن (بكسر الحاء) وحضن (بضم الحاء) .

٣ ــ أصل الجبل ، ويجوز هنا ضم الحاء وكسرها .

٤ ــ من الزرع : مقدار ما تحمله في حضنك . وهو من المجاز .

احطته علما بالامر

ويقولون : أحطته علما بالامر . والفعل (أحاط) فعل لازم يتعدى بالباء ، لذا نقول : احاط فلان بالامر علما . وهو من المجاز . وقد جاء في الحديث : « احطت به علما » . أي : احدق علمي به من كل جهاته . راجع الآية ١١٠ من سورة طه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحفـــاد

ويسمون اولا الاولاد أحفادا . والصواب : حفد وحفدة (بفتح الاحرف الثلاثة الاولى) وحفداء (بضم الحاء وفتح الفاء) . ومفرد الحفد والحفدة : حافد ، ومفرد الحفداء : حفيد .

وجاء في الناج : من المجاز حفدة الرجل : بناته او اولاد اولاده.

وقال الضحاك : الحفدة : بنو المراة من زوجها الاول .

وقد اخطأ شبلي الملاط حين قال :

كونوا ضرارا في الجهاد وخولـة ان الجدود تعيش فـي الاحفـاد

(راجع الآية ٧٣ من سورة النحل) .

حق لك ان تفعل كذا

ويقولون : حق (بفتح الحاء وتشديد القاف) لك ان تفعل كذا، اي : وجب عليك . والصواب : حق لك ان تفعل كذا (بضم الحاء). ويجوز ان نقول ايضا : حق (بفتح الحاء وتشديد القاف المفتوحة) عليك ان تفعل كذا ، وحققت (بفتح الحاء والقاف) بأن تفعل كـذا . راجع الآيتين ٢ و ٥ من سورة الانشقاق .

الحـلال والاسـلاب

ويقولون : استرد العرب مـن اسرائيل الحلال (بفتح الحاء) والاسلاب . والصواب : الحلال (بكسر الحاء) ، لان الحلال (بفتح الحاء) هو ضد الحرام . والحلال (بكسر الحاء) هو :

١ ـ متاع الرجل ، ٢ ـ السلاح . وهما المقصودان هناك .
٣ ـ مركب من مراكب النساء .
٤ ـ المجلس ، ٥ ـ المجتمع .
٦ ـ القوم الحلول : مفردها : حلة (بكسر الحاء) .
٧ ـ الثوب الجديد : والمفرد : حلة (بضم الحاء) .
٨ ـ قد يكون الحلال (بكسر الحـاء) ضد الحرام كالحـلال (بفتح الحاء) .

حلـق ضانـه

ويقولون : حلق ضانه . والصواب : جز ضانـه ، لان للضان صوفا يجز ولا يحلق . اما المعز فنقول : حلق معزه ، لان للمعز شعرا يحلق كشعر الانسان . ويحق لنا ان نقول : جز الصوف والشعـر والحشيش والنخل والزرع ، ولا نقول (حلق) الا للشعر .

الحلقـة

ويخطئون من يسمي كل شيء مستدير حلقة (بفتح الحاء واللام) ويقولون : ان الصواب هو حلقة (بتسكين اللام) . وقد اجاز ابـن سيده وكراع واللحياني والزمخشري واحمد رضا تسكين اللام وفتحها. وانا اوثر (الحلقة) بفتح اللام ، لانها فصيحة ويتلفظ بها عامة الناس، رغم ان تسكين اللام في قمة الفصاحة .

لحيـة حليقـة

ويقولون : لحية حليقة . والصواب : لحية حليق، لان (فعيلا) هنا بمعنى المفعول ، فيستوي فيها المذكر والمؤنث .

حـل فـي منزلنـا

ويقولون : حل فلان في منزلنا . والصواب : حل منزلنا ، او بمنزلنا ، يحل (بضم الحاء او بكسرها) حلا (بفتح الحاء) ، ومحلا (بفتح الحاء) ، وحلولا وحللا (بفتح الحاء واللام) . وقد قال ابـن سنيده : حل بالقوم وحلهم (بفتح الحاء واللام المشددة) واحتل بهم واحتلهم . أي : نزل بهم .

الحلـة

ويقولون : وضع الطعام في الحلة (بفتح الحاء وتشديد الـلام المفتوحة) . والصواب : وضع في القدر . وقد جاء في التاج : فـي اصطلاح مصر يطلق اسم الحلة (بفتح الحاء) على قدر النحاس ، لانه يحل فيها الطعام . وجاء في متن اللغة: الحلة (بفتح الحاء): الزبيل الكبير من القصب يجعل فيها الطعام (بغدادية) . (الزبيل : القفة).

حلـم فـي نومـه

ويقولون : حلم (بكسر اللام) في نومه كذا وبكذا . والصواب : حلم (بفتح اللام) في نومه كذا وبكذا ، يحلم (بضم اللام) حلمـا (بضم الحاء واللام) وحلما (بضم الحاء وتسكين اللام) . حلمـه (بفتح اللام) ، وحلم به ، وحلم عنه : رآه في المنام ، او رأى لـه رؤيـا .

ولولا حلم (بضف الاحرف الثلاثة) اليقظة فـي علم النفس ، لاقترحت على مجامعنا اللغوية ان تحذف من المعاجم شبه الجملة (في نومه) بعد الفعل حلم (بفتح الاحرف الثلاثة) ، الذي يعني : رأى في نومه .

الاقـدام الحمـر

ويقولون : الاقدام الحمر (بضم الحاء والميـم) . والصواب : الاقدام الحمر (بضم الحاء وتسكين الميم) ، لان الصفة اذا كانت من باب : أفعل فعلاء ، فقياس جمعها على فعل (بضم الفـاء وتسكين العين) . مثل : اعرج وعرجاء ، وجمعهما : عرج (بضم الاول وتسكين الثاني) ، واحمر وحمراء ، وجمعهما : حمر .

ويجوز ان نجمع احمر (ما لونه الحمرة) علـى احامر ، لانـه اخرج (بضم الهمزة) مخرج الاسماء ، كالاجدل (الصقر) جمعـه : أجـادل .

اما الاحمر (المصبوغ بالحمرة) فجمعه حمر وحمران (بضم الحاء وتسكين الميم فيهما) ، لانه ماخوذ ماخذ الصفات .

ولا يوجد في اللغة العربية حمر (بضم الحاء والميم) الا جمـع حمـار .

وقد فاتت صحة هذا الجمع شاعرا كبيرا حين قال في قصيدته العصماء مؤنبا الشاعر الخالد بشارة الخوري (الاخطل الصغير) :

خصاصة العيش ما مدت لنا يدها الا واقدامنا مـن سعينا حمـر

وليس وضع الضمة على الميم بدلا من السكون في كلمة (حمر) ضرورة من ضرائر الشعر الكثيرة جدا ، التي اوردها العلامة العراقي محمود شكري الالوسي في كتابه : (الضرائر ، وما يسوغ للشاعـر دون الناثر) . ولو سكن الشاعر الميم في (حمر) لاختل الوزن ، لان التفعيلة الاخيرة (فعلن) متحركة العين ، لا ساكنتها .

حمـر الدجـاجـة

ويقولون : حمر (بتشديد الميم وفتحهـا) الطاهي الدجاجة . والصواب : قلى الطاهي الدجاجة او شواها . لان من معاني حمـر (بتشديد الميم وفتحها) :

١ ـ حمره : صبغه بالحمرة . والدجاج يحمر بالقلي او الشي.
٢ ـ حمره : قال له : يا حمار !
٣ ـ حمره : قطعه كهيئة الهبر .
٤ ـ حمـر : تكلم بالحميرية ، وهي تخالف لغة سائر العـرب في الفاظ كثيرة .
٥ ـ حمر : ركب محمرا (بوزن منبر) ، اي : فرسا هجينا .

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني

المذكرات : خرجتُ من دار السينما بعد ان ارتوى قلبي من التأثر بمناظر الفيلم الغرامية . الحق ان قصة الفيلم رائعة . ما اجمل الحب ! الحب لا الزواج . ان الزواج شيء آخر . ان هذين زوجان بلا ريب ، فان المرأة تتابط ذراع الرجل. انهما يتبادلان ابتسامات عذبة وحديثا طليا . حديثهما تعليق على الفيلم السينمائي . يبدوان سعيدين . من يدري قد يكونان تعسين . اني على يقين بان الحياة الزوجية ملؤها الشقاء بسبب التنافر في الطباع والاخلاق . الآن هما سعيدان . قد ينشأ بينهما شقاق في المنزل لاتفه الاسباب . هذا ما لاحظته انا نفسي على الازواج . وقد علمت هذا من كثيرين من اصدقائي ومعارفي . لا . لن اتزوج في حياتي . يجب ان اظل عزبا . في ذلك حريتي وسعادتي . لا يقبل قيود الزواج الا المجنون .

(تعليق ــ منظر في الداخل : خرج راضي من دار السينما بعد ان شاهد فيلما يدور موضوعه حول قصة غرامية مؤثرة . خرج بين جموع من المتفرجين . منهم المتزوجون ، ومنهم الاعزاب والعوانس . وقد وقع نظر راضي على رجل وامرأة يهبطان درج دار السينما امامه . وكانت المرأة متأبطة ذراع الرجل فلم يشك انها زوجته . وبعد ذلك قطع مسافة طويلة على الطريق العام والزوجان يسيرن امامه) .

(تعليق ــ اصوات من الداخل : لا شك ان من اسعد ساعات الحياة الزوجية تلك الساعة التي يشاهد فيها الزوج مع زوجته فيلما سينمائيا غراميا كالفيلم الذي شاهدته الآن . انهما يشتركان في التمتع بلذته ، وفي الشعور بأن الناس يرونهما في حالة من حالات الوفاق الزوجي وهما جالسان احدهما بجانب الآخر في لوج دار السينما ، وفي السير معا بعد انتهاء الفيلم) .

المذكرات : وقع نظري في المحكمة على امرأة تمتاز بما تملك من وجه فاتن وقوام ممشوق . وقد علمت انها طلقت في المحكمة ولست ادري لطلاقها سببا . لا شك انها زوجة خائنة . ان الزوجات الجميلات مصيرهن كمصير تلك المرأة . كلهن خائنات . انهن يتكبرن على ازواجهن لما يمتزن به من جمال رائع . وهذا الجمال هو الذي يوقعهن في غرام المعجبين بهن من الشبان . لو لم تكن خائنة لما طلقها زوجها . هذا هو الذي ينفرني من الزواج . الخيانة الزوجية . لا شك ان تلك المرأة خدعت زوجها واوهمته انها

مذكرات وتعليقات

بقلم عبد الحميد الانشاصي

تحبه فاغدق عليها من ماله الشيء الكثير ودللها دلالا لا حد له . وهذه هي النتيجة : الطلاق . لو انه ظل عزبا ولم يقدم على الزواج لكان ذلك خيرا له . ولكن الانسان لا يتعلم بلا دروس في هذه الحياة . ان الرجل الفطن الذكي هو الذي لا يقع في شرك الحياة .

(تعليق ــ منظر في الداخل : دخل راضي المحكمة ليفتش عن محام اتفق معه على مقابلته هناك . وغرضه من ذلك استشارته في مشكلة عرضت له . وانه ليبحث عنه اذ رأى شابة فاتنة الوجه رشيقة القوام تسير في قاعة المحكمة متجهة نحو الباب الخارجي. مضت برهة وهو يتأملها . وقد سمع احد المراجعين الواقفين في قاعة المحكمة يقول لصديق له : « لقد طلقت هذه المرأة ») .

(تعليق ــ اصوات من الداخل : كيف طلق ذلك الغبي هذه المرأة الساحرة ؟ ان مئات من الرجال يتمنى كل منهم ان يتخذها زوجة له . امرأة تامة الخلقة ينبذها ذلك الرجل الاحمق . ليتها ترضى بي زوجا ! انها تسعد اشقى الرجال وتجلب السعادة الى اسوأ الشبان حظا في هذه الحياة) .

المذكرات : واخيرا التقيت امل. التقيتها هي وزوجها وطفلها . ان زوجها مغفل لا علم له بماضي حياتها . لقد كانت متدلهة في حبي . هه ! يا له من مغفل قليل الخبرة بالنساء وبالحياة ! كل الجيران يعلمون قصة غرامي بأمل . لقد كانت شبيهة بجوليت ، وكنت شبيها بروميو . اهل الحي لقبوني بروميو ولقبوها بجوليت ، ومع ذلك فهي تبتسم وهو يبتسم . مسكين ! أين كان في تلك الايام ؟ أليس هو من سكان هذه المدينة ؟

(تعليق ــ منظر في الداخل : اقبلت على راضي امرأة متوسطة الجمال ، وكانت تدفع امامها طفلها في عربة صغيرة ، وبجانبها زوجها يسير معها . ولما التقى نظر راضي نظر تلك المرأة التفتت الى زوجها مبتسمة ونطقت بكلمات غير مسموعة ، فابتسم الرجل ايضا . ولما مرت المرأة وزوجها براضي التفتت اليه . ونظر زوجها من مؤخر عينه مبتسما) .

(تعليق ــ اصوات من الداخل : انها امل تلك الفتاة التي كنت احبها وكانت تبادلني الحب . لا شك انها الآن تحب زوجها . من ابتسامتها افهم ذلك . لست ادري كيف

رضيت بذلك الرجل زوجا لهـا . لماذا استعجلت وتزوجت به ثم ولدت له ذلك الطفل الجميل ؟ انها سعيدة الآن فقد تزوجت واستراحت . ان وجهها يفيض غبطة وهناء . لماذا ابتسم زوجها ؟ لعلها سردت عليه نكتة عني فاضحكته) .

المذكرات : لقد وقعت عيناي في هذا اليوم على ولد صغير جميل الوجه يأكل شيئا ، انه الآن مطيع لابيه ساذج النظرات والتفكير مسل في تصرفاته وافعاله ، ولكنه متى شب وكبر تحول الى شخص آخر. غدا يصطدم قلب والده بخروجه على طاعته وتقاعسه عن مساعدته ومشاركته اياه في الانفاق على الاسرة . سوف يتخلى عن والده حينما يعجز هذا عن كسب رزقه . سوف يأتي ذلك اليوم الذي يضحي فيه هذا الولد الصغير شخصا غريبا عن والده لا يفكر الا فيما ينفعه هو كأن يفكر في فتاة يميل الى اتخاذها زوجة له ، وفي الانفصال عن اسرة ابيه لتكوين اسرة اخرى مثلها . وابو المسكين لاه عنه ببساطته وسذاجته ومداعباته الحلوة . انه لا يفكر في المستقبل . كل ما يفكر فيه هو الاهتمام بولده والعناية به والانفاق على تعليمه في المدارس والجامعات لكي يصبح طبيبا او مهندسا او محاميا . هذا هو كل ما يفكر فيه . مسكين !

(تعليق ـ منظر في الداخل : اقبل على راضي رجل ومعه ولده الصغير . ثم ان الرجل قدم الى ولده قطعة من الحلوى ، وواصلا السير . وكانت يد الاب ممسكة بيد الابن ، وقد ظهرت علامات الارتياح والعطف على وجه ذاك ، وعلامات الرضى والابتسام على وجه هذا) .

(تعليق ـ اصوات من الداخل : لو انني تزوجت لرزقت ولدا كهذا الولد منذ زمن طويل . ما اجمل وجهه ! انه غض البشرة مشرق الوجه والعينين . يأكل الحلوى في سذاجة ولذة . لا شك ان والده يفخر بوجود ولده بجانبه . انه ثمرة زواجه . يفخر بأنه اصبح والدا بعد ان كان زوجا فقط . منذ بضع سنوات كان هذا الرجل عزبا مثلي ، ولما حن الى الزواج تزوج) .

المذكرات : لقد شعرت بسرور عظيم يتساقط على قلبي « دوشا » منعشا مبهجا حينما جاءت حبيبتي ليلى لتصحبني في السير في احد



عبد الحميد الانشاصي

•

الشوارع المنعزلة . ان لتلك الفتاة السمراء جاذبية خاصة ومميزات خاصة . هي شديدة الشبه بدمية جميلة مصنوعة من الشوكلاتة . كل عضو منها دقيق ومتقن الخلقة . وعيناها الواسعتان تضيئهما نفسها المرحة المداعبة على الرغم من سواد حدقتيهما وسواد الاهداب المحدقة بهما . انها شبيهة بقطعة من المساء الذي هو بداية الليل ـ الزمن الذي تتفرغ فيه النفس لتذوق الحب والراحة . ولكن ليلى تبدو لي في بعض الاحيان ناقصة . انها تفتقر الى الشيء الكثير مما تمتلكه الفتاة البيضاء او الشقراء ذات الوجه المشرق والجسم الممتلىء حيث يجمل الامتلاء والنحيف حيث تستحسن النحافة . ان ليلى على ما فيها من مميزات ليست تلك الفتاة التي اتمنى الزواج بها . ان بشرتها لا تتجاوب مع الشمس . ان الشمس مشرقة صافية ، وبشرتها قاتمة عكرة . وعيناها السوداوان لا تتجاوبان مع النجوم . ان النجوم متلألئة يزدان بها الليل ، وعيناها مختبئتان تحت اهدابهما السود خلف تلي خديها . انني لا استطيع ان اعد ليلى بالزواج . فان كنت اشعر بشوق شديد اليها في هذه الايام فقد اشعر بملل شديد ان تزوجت بها . قد اكون الآن مأخوذا بسمرتها ، وقد اصحو بعد الزواج فألعنها والعن نفسي . الحق انني رجل بطر لا تعجبه الا فتاة كاملة الجمال . لذا اشعر بأنه من واجبي ان انصح ليلى بوضع حد لحبها وتحويل مجراه الى قلب ظامىء الى سمرتها .

(تعليق ـ منظر في الداخل : مرت براضي فتاة سمراء خفيفة الدم نحيفة القوام فتبعها . وما زال يسير وراءها حتى التفتت وراءها فوقع نظرها عليه . ثم واصلت السير . وفي شارع قليل المارة وقفت . ودنا هو منها مبتسما، ثم حياها فردت التحية بابتسامة فاتنة . وسارا يتحدثان) .

(تعليق ـ اصوات من الداخل : لقد انتظرتك كثيرا يا حبيبتي . لماذا تأخرت ؟ يسرني ان اسير بصحبة فتاة فاتنة مثلك . انك وان كنت سمراء البشرة الا ان الحلاوة المدخرة في سمرتك شبيهة بالحلاوة المدخرة في التمر والعسل . انك مليحة الوجه جذابة التقاطيع . اتمنى ان احادثك في الشارع العام ـ في هذا السوق العامر بالناس ، ولكنني اخشى ان يرانا احد من معارفي فيفضح امرنا . لقد سئمت الوحدة . سئمت محادثة الرجال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امثالي . اريد ان احادث امراة ـ فتاة خفيفة الجسم صغيرة الوجه مثلك . انك مثقفة ، وكذلك انا . منذ التقى نظري نظرك شعرت بكهرباء لذيذة تتمشى في اعضائي وتحولني الى شخص آخر ـ شخص سعيد يرى المصابيح الكهربائية اثمارا مشرقة من السعادة والهناء ، ويرى الواجهات التي تعرض فيها بضائع الحوانيت صدورا عامرة بالصحة والسرور ، ويرى الناس السائرين على ارصفة السوق اصدقاء يحتفلون بلقائنا لا غرباء يسعون لاغراضهم ، ويرى السيارات السائرة على الطريق حبات من عقد ثمين يمثل اجمل هدية اقدمها اليك ايتها الحبيبة الغالية).

المذكرات : لن انسى تلك السعادة الحالمة التي شعرت بها حينما جلست قمر بجانبي ولا الحنان الذي فاض من قلبي وعواطفي على راسها حينما القته على كتفي . شعرت في ذلك الوقت انني آويت اجمل راس في العالم . لذا كنت على استعداد لان اضحي بانفس ما لدي من اجل سلامته والفوز به . كانت نغمة كلامها وهي تحادثني منسجمة مع انغام تغريد العصافير التي تترجح على اغصان الاشجار . وكان الزخرف المرسوم على فستانها الجديد الانيق منسجما مع اشكال الازهار التي تحدق فينا من حولنا. لقد شعرت بالحرارة المدخرة في شعرها الاسود الغزير وهي ملقية راسها على كتفي ـ تنساب في خدي على الرغم من ان شعرها جاف ، وشعرت بنعومته الشبيهة بنعومة غطاء من حرير لمخدة وضعت تحت راسي قبيل النوم . محال ان ينشب شقاق او خلاف بيني وبين حبيبتي قمر . لن آتي ما يسخطها علي . وان ساءها من اعمالي شيء دون ان اكون متعمدا في ذلك رجوتها في ترض واستعطاف ان تصفح عني وتغتفر لي تلك الاساءة التي لم اسببها لها متعمدا . ولا بد ان يكون خضوعي وتذللي لها لذيذا ممتعا ، فانها فاتنة الجمال تستحق مني الذل والخضوع . وفي هذين من الحب مثل ما في رضائي عنها في الساعات التي تكون فيها هي ايضا راضية عني . لقد حببت قمر الزواج الي . لولاها لما فكرت في الزواج ، فلها الفضل في تفكيري جديا في الزواج وفي الاسرة التي اشتاق الى تكوينها . ولها الفضل ايضا في اشعاري بالحب الحقيقي الذي لم اكن اؤمن به من قبل . ولها الفضل ايضا في تقديم آيات من الجمال الكامل لم اكن احلم بامتلاكها قبل اليوم . انها بيضاء فاتنة كثيرة الضحك .

(تعليق ـ منظر في الداخل : راضي يجلس مع فتاة بيضاء تحت شجرة في مكان منعزل في مدينة نائية لا يعرفهما فيها احد . ولا بد ان تكون تلك الشجرة نائية عن المدينة وعن طرق المارة) .

(تعليق ـ اصوات من الداخل : احبك . احبك ! انت فتاة احلام يقظتي وتصوراتي . رسمتك في ذهني مرارا بريشة فن اشواقي فكانت صورتك اروع من صورة اية حسناء وقع عليها نظري في الكتب واجمل من اية فتاة فاتنة رايتها في المدينة . انك مثقفة وجميلة معا . انك اروع حسنا من ليلى . فيك مميزات لا تملك ليلى منها شيئا : بياض طغى على ظلمة تشاؤمي وبدد احزان نفسي ، وطول فيه شموخ طموحي ، ورشاقة في الاعضاء والحركات كرشاقة الاغنية المطربة ، وشعر غزير كاف لان ادفن فيه ماضي حياتي التعس . وجهك في نهار مشرق ، وشعرك في ليل دامس . حينما سمعت ضحكاتك خيل الي انك تسخرين مني لانني قضيت شطرا كبيرا من شبابي في الانقباض عن الزواج . نظرة واحدة القيها عليك كافية لان تسفه رايي وتحثني على الاسراع بالزواج . لماذا لم تعترضي طريقي من قبل ـ منذ سنين طوال قضيتها في الاوهام مدعيا انني كنت حرا وانا سجين ، وسعيدا وانا بائس ، وسيدا وانا عبد ، وغنيا وانا فقير ، ومالكا وانا محروم ، ويقظا وانا نائم ؟) .

المذكرات : انا الآن اشعر انني املك بيتا كاملا بمطبخه وغرفة الاستقبال وغرفة النوم بسريريهما الواسعين وبسرير الطفل الصغير وبالمرآة الكبيرة وخزانة الملابس المزدوجة وخزانة التواليت المنخفضة. واشعر كذلك انني املك ما هو خير من كل هذه الاشياء . املك دنيا مصغرة ـ شخصا حيا يمثل الحياة بأجمعها بما فيها من نعيم وملذات وفرح وغبطة وسعادة وفن وجمال. املك زوجتي قمر . اشعر بذلك كلما ضممتها الى صدري وطوقت خصرها بيدي المشتاقتين . انها لي وحدي . ابتسامتها الحلوة لي وضحكتها الموسيقية لي . وكذلك حديثها الطلي ومداعباتها الفاتنة . كلها لي . وهي ايضا تشعر انها تملكني كما املكها .

(تعليق ـ منظر في الداخل : قمر تجلس في غرفة النوم امام المرآة وهي تمشط شعرها وتصبغ شفتيها بالحمرة . والطفل باسم يبكي ويصرخ في سريره الصغير ، تمضي قمر الى المطبخ لتعد طعاما للطفل . يبدو عدد من الكنبات الفاخرة في غرفة الاستراحة ، وهناك تلفزيون من نوع ممتاز) .

(تعليق ـ اصوات من الداخل انا الآن سعيد . نعم هناك مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتقي . هناك هموم الاسرة التي تصدم قلبي من حين الى آخر ، ولكن هناك ايضا سعادة وهناء لم اكن اشعر بمثلهما وانا عزب . في حياة العزوبة شقاء وحرمان ، وفي الحياة الزوجية هموم وآلام ، ولكن فيها سعادة وهناء ايضا . وهذا ما تمتاز به

الليل والارق

ليلـــة زارنـــي بهـــا الارق ... فتشظـــى بنفسي القلـــق
بت فيهـــا والياس يصرعني ... فكـــأن الآفـــاق تختنـــق
أتنزى يضـــج بـــي ســـأم ... وبأحشـــاي تعبـث الحـــرق
يـــا لليـــل كـــأن أنجمه وهي حيرى.. بالصمت تصطفق
فالمـــدى للشقـــاء معتـــرك ... فيـــه ركب المأساة ينطلـــق
قافـــلات الذهول أبصرهـــا ... عبـــر هـــذا الفضاء تستبق

وتمـــور الاوهام فـــي لجـــج ... خاطري فـــي خضمها غرق
وترامـــي الاشبـــاح صاخبـــة ... ضجت الارض منـــه والافق
أتلظـــى فـــلا اشـــم شـــذى ... نسم ينتشـــي بهـــا العبـــق
لا الطيوف العـــذاب تفمرنـــي ... بارتمـــاء الـــرؤى فنعتنـــق
لا الصفـــاء الحبيب يبهجنـــي ... حين يفتـــر صحـــوه الالـــق
يـــا لقلب ذابـــت حشاشته ... حيث سدت بوجهـــه الطـــرق
اين عنه انطوى الرجاء وهـــل ... شافه يـــا لحيرتـــي الابـــق

آه يـــا ليلتي التي عبـــرت ... وانـــا فـــي شقائهـــا مـــزق
لا تعـــودي الـــي ثانيـــة ... ان غشاك الظـــلام والغسق
انـــا اهوى الصباح منبلجـــا ... يتصبـــى لنـــوره الشفـــق
وغنـــاء الطيـــور فـــي دعـــة ... منـــه وحـــي الابـــداع ينبثق

النجف ـ العراق — محمد رضا آل صادق

الحيـــاة الزوجية علـــى حيـــاة العزوبة) .

المذكرات : انا الآن اشعر بالابوة . ارتفعت نفسي قدرا في نظري ، فقد اصبحت والدا لطفلين . واشعـــر ايضا بفخر عظيم بل اشعر بما هـــو اهم من ذلك . اشعر بأننـــي كونت عالما آخر غير العالم الذي اعيش فيه انا وقمر . انـــه فـــي الواقع عالمـــي الصغير وليس اسرتـــي الصغيرة فحسب . لذا اعد نفسي اكبر مالك في العالم ، فانني املـــك زوجتي وهي دنيا مصغـــرة ، واملـــك ايضا دنيا اخرى من صنعي مؤلفة مـــن ولدين . وبعد ذلـــك يقولون : « ان الزواج شقاء ـ جحيم » . هذا مـــا يراه الرجال الفاشلون فـــي الحياة من اعزاب ومتزوجين . اما الرجال الناجحون فهم على يقين بأن الزواج ثمرة الحياة ، وان البيت السعيـــد الذي يضم الزوجة والاولاد هو جنة عدن على هذه الارض .

(تعليق ـ منظر فـــي الداخل : يظهر الطفل الكبير وهو يمشي فـــي غرفة النوم ، والطفل الصغير وهو ملقى في السرير . ويظهـــر راضي وهو يحدق في وجه هذا ويبتسم له ويداعبه بوضع اصبعه على ثغره. ثم يتجه الى الطفل الآخر ويناديه ، فيقبل عليه . وبعـــد ذلـــك يرفعه راضي بيديه ويضمه الـــى صدره ويأخذ في تقبيله ومداعبته) .

(تعليق ـ اصوات من الداخل : ما احلى الاولاد! ما اسعدني بولداي! انا الآن والد لطفلين جميلين . فـــي وجههما مزيج مـــن تقاطيع وجهي وتقاطيع وجه حبيبتي قمر . انهمـــا زينة بيتـــي وفخري . بدونهمـــا لا يساوي البيت شيئا . هما ثمرة زواجي) .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



اصول نقد النصوص ونشر الكتب

محاضرات المستشرق الالماني برجستر اسر بكليـــة الاداب (القاهرة) سنة ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ ـ اعداد وتقديم الدكتور محمد حمدي البكري ـ مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ بالقاهرة ـ ١٤٢ صفحة ـ مطبوعات مركـز تحقيق التراث ونشره .

كان المستشرق الالماني برجستر اسر قد دعي الى القاهرة سنة ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ فالقى سلسلة من المحاضرات في «نقد النصوص ونشر الكتب» ومضى الزمن دون ان تطبع هذه المحاضرات ، ويتحدث الناس عن اهميتها دون ان يحظوا بها .. وتقدم التحقيق العربـي خلال الـ ٤٠ سنة الاخيرة كثيرا ، وكتبت في قواعد التحقيق المقالات ونشرت الكتب، والقيت الدروس ... وظل ذكر محاضرات المستشرق الالماني طيبـا ، ولكن دون فائدة ، لاستحالة الوصول اليها ، حتى ان الاستاذ عبـد السلام هارون قال وهو يقدم لكتابه « تحقيق النصوص ونشرها » سنة ١٩٥٤ : « وعلمت انه قد القيت من قبل في كلية الآداب بجامعتنـا القديمة محاضرات تدور حول هذا الفن ، القاها المستشرق الفاضل برجستراسر ... فحاولت جاهدا ان اطلع على شيء منها فلم اوفق ».

ثم ، وعلى غير سابق اعلان تطبع هذه المحاضرات باعداد وتقديم الدكتور البكري فانقذ بذلكمحاضراتمنالضياع وحفظ تجارب لا يمكن للخلف ان يستغني عنها ، انها قيمة في اكثر من معنى ، واستحـق الاستاذ الناشر شكر التراثيين على هديته الثمينة مع مقدمته النافعة عن المؤلف .

وتبقى ـ بعد ذلك ـ في نفس القارىء اشياء ثانوية منها انه ود لو ان الدكتور البكري حدثه صراحة عن الطريقة التي وصلت بها اليه المحاضرات والطريقة التي اعدت بمقتضاها للطبع .

ثم ان القارىء يرى في صلب محاضرات براجستراسر ما يستحيل ان يكون منها ، وهذا يعني ـ فيما يعني ـ ان الناشر قد اضاف اليها اشياء يقتضيها السياق او يستدعيها الاستيعاب الزمني ، كان يذكر اعلاما وكتبا وطبعات واخبارا مما وقع بعد عام وفاة المؤلف (١٩٣٢) ـ قليلا او كثيرا .

من ذلك ما جاء على الصفحة ٨٨ ـ ٩١ : « واول ما نبدأ به هو معرفة ما اذا كان الكتاب قد سبق نشره ؟ ويعيننا على ذلك الاطلاععلى الفهارس والمعاجم المصنفة للكتب المطبوعة ، مثل كتاب « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع » ... و « الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بين عامي ١٩٢٦ ، ١٩٤٠ » .. وفهارس الكتب المحفوظة في دور الكتب وآخرها النشرة المصرية للمطبوعات التي يعدها قسم الايداع القانوني بدار الكتب المصرية من عام ١٩٥٦ .. حتى مايو ١٩٦٩ . فان كان الكتاب قد سبق نشره فقدنا هذه النشرة ... الخ» « فاما اذا كان الكتاب لم ينشر من قبل . او كانت نشرته فاسدة لسبب او لآخر . فان اول ما يجب علينا عمله هـو استقصاء النسخ الموجودة لمخطوطات الكتاب ...

وقد انشات جامعة الدول العربية اخيـرا معهدا للمخطوطات العربية لتصوير كل مـا يمكن الوصول اليه من المخطوطات العربية ، مستخدمة في ذلك طريقة الـ ميكرو فيلـم القليلة النفقات ، وقـد نشر « فهـرس المخطوطات المصورة » مشتملا علـى اسماء المخطوطات العربية التـي صورها معهـد المخطوطات من مكتبات استامبول ومصر حتى عام ١٩٥١ ـ القاهرة ، ١٩٥٤ وانشات لـه مجلة للبحث فـي شـؤون المخطوطـات ، والتعريف بها ، والتعريف بالدور التي تحفظ فيها هذه المخطوطات ».

فلا شك في ان كثيرا من هذه المعلومات ادخلهـا الاستاذ الناشر ضمن محاضرات المستشرق ، وهي مما لم يسمع بها ولم يجر شيء منها في حياته نظريا او عمليا ، وفي هذا ما لا ترتضيه طرق التحقيـق العلمي . ولا نقاش في ان المعلومات الزائدة نافعة ، ومكملة احيانـا ، وان المستشرق لو بقي حيا حتى عام ١٩٧٠ لزادها او زاد شيئا منها ، ولكن هذا شيء آخر غير المحاضرات وغير منهج النشر . وكان بامكان الدكتور البكري ان يجعلها هامشا على كلام المستشرق ثم يكتب عنـد نهايتها (الناشر) .

اقول : ثم يكتب ، لاننا رأينا محاضرات المستشرق المطبوعة غنية بالهوامش النافعة ، وان كثيرا من هذه الهوامش ما لا يمكن ان يكـون من عمل المؤلف نفسه فلم نميز ـ بعد ذلك ـ ما كان للمؤلف وما كـان للناشر ـ ولنتذكر دائما اننا ننشر كتابا في قواعد التحقيق والنشر .

وثمر بخاطر القارىء امور اخرى ... منها انه يقرأ اسمالمستشرق الالماني على الغلاف بالجيم = ج تحتـه ثلاث نقاط اي برجستراسر . وللجيم (ذي النقاط الثلاث) هذا لفظ خاص تعرفه اللغة الفارسية ـ مثلا ، هو اشبه بالـ CH الانكليزية . وهو بهذا لا يحـدد اللفظ الصحيح لاسم العلم .

ثم يقرأ الاسم نفسه على الصفحـة السادسة : برجستراسر ، بالجيم ولا يلفظه بما يقرب من الصحة الا المصريون لانه فـي الحقيقة Bergstrasser ـ بالكاف الفارسية اي الكاف ذي الخطين .

وليس هنا مجال الدعوة ـ او عدمها ـ الى ادخال حرف مثل هذا الى مطبعتنا ـ ولكن القارىء يطمع ان يرى رسم الاسم موحدا في كل مرة يرد عليها ، وعلى شكل اقرب الى الاصل .

وهذا يقتضي امرا آخر غير الكاف (الفارسية) وهو ان تكـون السين الاولى شينا . فيصبـح اسم المستشرق : برگشتراسر (او برجشتراسر ـ في اقل تقدير) .

واذا كان برگشتراسر هو المؤلف لهذه المحاضرات فلا معنى ـ بعد ذلك ـ لان يرد جديث عنه في متن المحاضرات ، وان يرد هذا الحديث بضمير الغائب . واذا جاز هذا ـ لسبب او لآخر ـ فلا معنى لان يرد اسم المؤلف نفسه في متن محاضراته مسبوقا بكلمة « الاستاذ » (ص ٢٧) او « المستشرق الالماني » (ص ٦٠) .

ويعثر القارىء هنا وهناك باشياء من هذا القبيل ، منها :

١ ـ Micro Fim التي وردت على كلمتين اول كل كلمـة حرف « كبير » ، وهي لدى التحقيق كلمة واحدة لا تقتضي حرفـا كبيرا في أي من حروفها : microfilm

٢ ـ ص ١٦ ـ ثقاة ، وصحيحها : ثقات .

٣ ـ ص ٨٨ ـ معجم المطبوعات العربية والمصرية ، وصحيحه : معجم المطبوعات العربية والمعربة .

٤ ـ ص ١٢١ ـ الطرماح بن حكيم بن تفر (بتاء مفتوحة تليها فاء ساكنة ، تليها راء) ، ص ١٢٩ ـ الطرماح ... بن تمز (بتاء تليهـا عين ساكنة تليها زاي) ، وصحيح الكلمتين : نفر (بنون مفتوحة ثم

فاء ساكنة ثم راء) .

٥ ـ ص ٣٦ ـ اخبار ابي خليفة بن الفضل بن الحباب ، ص ١٢٨ ـ ابو خليفة بن الفضل بن الحباب ، وصحيح ذلك : اخبار ابي خليفة الفضل بن الحباب ، وابو خليفة الفضل بن الحباب لان ابا خليفة هو الفضل بن الحباب نفسه ، وابو خليفة كنيته التي اشتهر بها .

٦ ـ ص ١٢٦ ـ الطباطبا ، صحيحها : طباطبا .

لا شك في ان كتاب « اصول نقد النصوص ونشر الكتب» سيلقى الرواج الذي هو أهله ، وان الطبعة الثانية منه ستاخذ بالمقبول من ملاحظات القراء تصحيحا للخطأ وسعيا في الكمال واعادة ما للمؤلف للمؤلف وما لغيره لغيره .

واذ راينا « نقد النصوص » مطبوعا ، فاننا لنزداد املا بان نرى في متناول ايدينا كتاب « التطور النحوي » ـ وهو المحاضرات التي القاها بركشتراسر سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ .

بغداد ـ كلية الاداب — علي جواد الطاهر

•

تحت سماء آسيا

شعر الياس الفاضل ـ ١٤٨ صفحة ـ نشر دار الاجيال بدمشق

فارق كبير بين من يخط الحروف والكلمات للهو والعبث، يبثها ضجره وسأمه ، عذابه وآلامه ، وبين من يخطها صورة من صور الجيل ، وعنوانا من عناوين الكفاح ..

وفارق كبير ايضا بين من يستسلم لليأس والحصر ، وبين من يناضل ويكافح ، ويشارك في نضالات عصره وهمومه وطموحاته ..

واليأس الفاضل شاعر طليعي موهوب ، الحروف والكلمات في يراعته الشاعرية ، حتى في حالات يأسه او ضجره وسيلة عزاء ، ووسيلة تحرر ..

قلت لكم اليأس اغنية

.

قلت لكم العصر مركبة مشت
على دروب النفي والتغرب
اليأس اغنيتي
العصر مركبتي
والشعر امنحه غدي وحنجرتي ..

حقا هذا الديوان الجديد : « تحت سماء آسيا » ، لالياس الفاضل يعكس ضياعا مرا ، يعانيه شبابنا المكافح نفسه ، ويحاول شاعرنا تعقيله :

أيها الشباب الذي يسير
على اطلال المدن الكبيرة
حيث الجوع والبغي والاجساد العارية
ورائحة العطر والمحارم الحزينة
أيها الشباب الذي يشبه النسر
يا قمة من التراب والحلم والمرارة
هل احببت امرأة ؟. لا .
هل نسيت شيئا ؟. لا .
هل اخذت شيئا ؟. لا .
مسافر كما النهر ،
يعشق البحر ،



الاديب

⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في امريكا وآسيا : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليضيع بين امواجه الصاخبة ..

الا ان تصعيد الجراح في نفسه ، او قبسهما الهامها ظاهران في الديوان :

ايتهـا الجراح
ايتها اللامعة كالخناجر المسنونة
كوني المنارات التي تهدي سفينتي ..

او :

في ظلال الخيبة استريح
الجراح احضنتي الاصيلة
عليها اسافر وحيدا الى آخر العالم ..

الياس الفاضل مثل كثير من شباب جيلنا عانى التشرد في سبيل العمر والكرامة والحرية ، وقد كان الشعر سميره في هـذا المشوار الذي اجتازه بسلام ، ومثلما استطاع ان يشق طريقه فـي الحياة ، استطاع ان يشق طريقه في الشعر حتى صار لـه من فنه وتجربته واسلوبه واخيلته رصيد يطمئن اليه الدارسون ..

انه من رواد الشعر المنثور ، نشر فيه منذ عشرة اعوام ديوانين : « اوراق جريحة » و « احزان القمر الاخضر » واليوم ينشر ديوانـه الثالث : « تحت سماء آسيا » ، وقد دلت تجربته وانتاجه على اصالة وقوة وابداع ...

ويقينا ان اية قصيدة من قصائد هذا الديوان الجديد : « تحت سماء آسيا » تنافس ، بل تتفرد بقوتها وسبكها واخيلتها في تنافسها اجواء القصائد الشعرية من سلفية او حرة او موشحة اليوم .. علاوة على ان المقدرة التي لالياس الفاضل في التعبير والتصوير وخلق الاخيلة والرموز مقدرة فائقة ومميزة ، يتحلى بها شعره ، وتكسب حروفـه وكلماته متانة ونصوعا معبرين ..

لقد وزع الياس الفاضل قصائد الديوان على اربعة اقسام كلهـا البوح ، ووصف الحال ، وشكوى الزمن ، والطموحات ، وتجربتها تجربة كفاح ومقارعة للايام من اجل الحرية والحياة الافضل ، يواكبها تمرد وطموح :

ايتهـا الكلمـات
صيري احجارا وبنادق
صيري خطايا ومثالب
واطلعي طوفانا وبعثا جديدا ..
ان اجراس الرحيل تفزع في دمي
وحارس الحدود يغط في نوم عميق ..

ان الياس الفاضل من فوق كل عقبة متفائل :

كنت احب ان اغني
بقلب اكثر فرحا
من حقل يموج بالسنابل
لكن سمائي معتمة
وكل مـا حولي
بحر تحدثه الاعاصير ..

ويسافر .. ولكنه لا ينسى وطنه :

اسافر وحيدا بلا عزاء
ومرفاي نقطة على خريطة الوهم
ثماني شهور بلا رداء
ثماني شهور بلا ماوى
ثماني شهور وانا احملك معي
يـا وطني
اشم رائحتك
واشتاق لعينيك ..

وكذلك لا ينسى اهله .. ومن انسانيته الواقعية المؤثرة خطابـه لابيه من غربته :

ههنا اعيش يـا ابي
اشم رائحة المـوت
واقاتل بالشوق والتبغ والدموع
ان ابتسامتـك
تلك الزهرة الشتوية النادرة
ما زالت تنشر عطرها الذكي في دمي ..

او خطابه لامه :

صلي كثيرا لاجلي يا امي
واقراي في عيني اخي الصغير
روعة البيارق المشرعة في الريح
وانسي يـا حنونـة
انسي عيني المغسولتين بالملح والاحلام ..

ومثلها خطابه لاخوته ، ورفاقه ، واصدقائه .

ومن نماذجه الانسانية خطابه فتاة صغيرة :

اخاف يا صغيرتي عليك من ظنوني
اخاف من عيوني
اخاف ان تكوني
كقطة تموء في السكون
اخاف يا صغيرتي عليك ان تكوني
واحـدة بينهمـو
بين القطيع التافه الهجين
عودي الى منزلك الامين
فالياس في جبيني
والياس في جفوني
والليل يا صغيرتي
يلفني بشاله الحزين ..

ومنها هذا الخطاب يصور فيه اخلاصه للحبيب :

لو في غد يموت زورق الرجاء
وتيبس العروق في خاصرة الضياء
لو انه ينكسر الجناح
تفياي عباءتي واختبئي ..
على جراحي اتكئي ،
فوجهـك الحبيب
نقشته في دفتر الرياح
اعطيته زيتي وقنديلي
منحته اسمي وانجيلي ..

ان تجربة الديوان حقا منوعة ، فيها طموح الشباب وفيها ايضا همومه ، ومن بديع تضميناتها :

وامس في بلد المبصرين
شاهـدت مناحـة
بلا دموع وبلا اكاليل
قيل ان صاحبها
حين يبست عينـاه
وضع في تابوت من الورق الاصفر
ودفن في قبر من الطين الحقير
صلاة المبصرين كانت هكذا :
« لقد وضعت الفاس
علـى اصل الشجـر
وكل شجرة لا تثمر
تقطع .. وتلقى في النار
اننا نريد شجرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تظل خضراء
نحلف باسمها
فتعطينا الاريج والثمار الناضجة » ..

ان هذا الديوان الجديد حقا صورة انسانية صادقة واسيانه من صور جيلنا الطامح المكافح ... وقد جلاها الياس الفاضل جريئة كلها الصدق ، وكلها الطموح الخير ، الى حياة افضل ..

واخيرا اترك للقارىء امر التعاطف مباشرة مع قصائد هذا الديوان القوية السبك ، المحكمة الصنع ، وتذوق صورها واخيلتها ورموزها واسلوبها .. انها اليوم من اجود ما نقرأ من شعر ، والى اللقاء في ديوان مقبل ..

دمشق — عدنان بن ذريل

●

اعلام في الادب الانساني

تاليف ابراهيم المصري ـ ٢٩٦ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة

اذا كان الاستاذ ابراهيم المصري من اقدر كتابنا على تاليف القصة ، وبنائها ، وتنسيقها ، وفق اكمل الشروط الفنية ، ومن اقدر كتاب الشرق على التحليل النفسي والنفاذ الى ابعد اغوار القلب البشري في اسلوب مبتكر يعبر عن ادق خلجات الوجدان ، فالاستاذ ابراهيم المصري من اقدر الكتاب العرب ايضا على كتابة الدراسات الادبية والتراجم . ولقد كانت الحاجة ماسة ـ في الثلاثينات ـ الى تلك الدراسات الادبية ، كي يستطيع ادباء العرب انتاج ادب يكون عربيا له مميزاته وخصائصه ، وفي الوقت نفسه عالميا يخاطب كل شعب . لذلك كان لا بد من ان يتمرس ادباؤنا بالفكر الاجنبي وبالدراسات المتنوعة عن كبار رجال الادب والفكر في مختلف ارجاء العالم ... ومن هنا انطلق ابراهيم المصري في وضع الدراسات الادبية ، فكان اول من كتب عن دستويفسكي وبودلير وزولا ومارسل بروست في مصر ، وذلك في مؤلفاته « الادب الحي » و « الفكر والعالم » و « وحي العصر » .

والواقع ان ابراهيم المصري عندما يعرض بالترجمة لكاتب عالمي ، يتناول حياة وفن هذا الكاتب بالتحليل العميق ، والدراسة المركزة التي تكشف عن الجوانب الرئيسية في شخصية الكاتب المترجم له .

وقد اتحفنا الاستاذ ابراهيم المصري بكتاب جديد من هذا النوع اسماه « اعلام في الادب الانساني » وهو اضافة جديدة الى تراث التراجم الغربية التي نحن احوج ما نكون اليها في حركتنا الادبية المعاصرة كي يستمد منها ادباؤنا الشبان تلك القيم الرفيعة التي اهتدى بها كبار ادباء العالم في وضع اعمالهم الخالدة .

ويمتاز هذا الكتاب بانه مقسم الى قسمين : القسم الاول يعرض شخصيات ادباء ينزعون الى ادماج الادب في الحياة الاجتماعية ، رجاء النهوض بها على قاعدة العدل الاقتصادي والاخاء البشري ، والقسم الثاني يعرض فريقا آخر ينزع الى خدمة الادب الخالص والفن الخالص رجاء النهوض بحياة الفكر والوجدان والروح .

فكل من الفريقين انساني النزعة وان اختلفت وسائله . اما الغاية فهي تقدم الانسان في وحدته الكاملة اي في جانبيه المادي والروحي .

فمن الادباء الذين دمجوا الادب في الحياة الاجتماعية ، يبرز في طليعتهم « مكسيم جوركي » الذي لقبه المؤلف بمصور الشعب ، والذي طاف بمختلف صور البؤس والالم البشري وتعذب بها ، فلم يستطع ان يسلم بان هذا العذاب لا بد منه للانسان . فثار عليه ونادى بانقاذ الشعب من بؤسه ، وضرورة الاعتراف بحقوقه ، واقرار العدل الاجتماعي الذي يحفظ عليه انسانيته وكرامته .

ثم يحلل المؤلف شخصية « ابتون سنكلير » الروائي الذي حمل لواء العدل الاجتماعي في امريكا كما حمله جوركي في روسيا ، وشخصية زميله الامريكي « سنكلير لويس » ناقد الحضارة الصناعية الراهنة ، سواء افي امريكا ام في العالم ، ومصور آثارها المادية النفعية في حياة الجماعات وفي نفسية الافراد ، ماديا هو الآخر بنظام انساني لا تطغى فيه المادة على نوازع الروح .

ويمضي بنا المؤلف فيقدم لنا شخصية « رومان رولان » الفرنسي بوصفه الاديب الفرد الذي حمل في مطلع هذا القرن مشعل العدالة والسلام والحرية ، وكذلك شخصية « تلستوي » الذي كان قصصيا عبقريا ، وكان فوق ذلك انسانا واسع الانسانية الى حد ان جمحت به انسانيته في اواخر ايامه ، فتغلبت في قصصه على النزعة الفنية.

ويحدثنا المؤلف بعد ذلك عن « اناتول فرانس » .. فنلمس كيف كان هذا الاديب في الحقبة الاولى من حياته عظيما في ادبه الكلاسيكي، وكيف كان في الحقبة الثانية من حياته عظيما في تحوله وكفاحه وعناده ، وفي الدعوة الانسانية القائمة على العدل الاقتصادي والتي ظل يدعو اليها ويخدمها فانعكس تاثيرها على ادبه فاكسبه نبضا مختلجا عميقا ، يتمثل في عدد كبير من قصصه .

ونقلب صفحات هذا الكتاب الرائع ، فنقرأ فوق ما تقدم عن اديبين لامعين هما « ماترلنك » البلجيكي ، و « ولز » الانجليزي الذي اتجه هو ايضا في ادبه وفنه نفس الوجهة الاجتماعية الاقتصادية ونادى بنظام عالمي يحقق الاخوة البشرية وينهض على الحق والعدل في ظل التعاون والسلام .

واما القسم الثاني من الكتاب فيقدم لنا فيه المؤلف عددا من الادباء والاديبات ممن تملقوا بالادب الخالص والفن الخالص رجاء النهوض بحياة الفكر والقلب والوجدان . فيرسم لنا صورة شائقة من فن الشاعر الهندي العظيم « طاغور » ، ويترجم لنا باسلوبه الحار

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

●

تجدون فيها روائع الكتب منها :

الحرب العالمية الثانية

تاريخ احمد باشا الجزار

الموسوعة اللبنانية المصورة

قطعا بديعة من شعر ذلك الشاعر العبقري ، ثم يتطرق الى شاعرة ايطالية نابغة هي « آدا نيجري » فيحلل حياتها البائسة ، وكفاحها المرير ، وشعرها النسوي المتقد بعواطف الحب والامومة والتضحية ، حتى يصل بنا الى اديبات محدثات امثال « مدام كوليت » الفرنسية التي صورت اعمق وابلغ تصوير سلطان الحواس والجسد وتاثيره على المراة ولا سيما عندما تعصف بها الكهولة ، فيلتهب كيانها الجثماني وتخالسها تصورات واخيلة قد توردها مورد الهلاك ، و « فرجنيا ولف» الروائية الانجليزية التي ماتت منتحرة ، والتي تاثرت بفلسفة برجسون وفن مارسل بروست ، فكانت في انجلترا اقدر روائية على تصوير مشاعر الانسان وهي تتبدد وتغيب في جوف الزمن وابعاده ، كي تتراءى الوقت بعد الآخر في ذكريات ابطالها وآمالهم وافعالهم مغشاة بذلك الضباب الزمني الغامض الذي ينحسر رويدا رويدا ، فتبرز من خلاله حياتهم الباطنية العميقة يخلع عليها الضباب الزمني حلة شعرية فاتنة .

ثم يرتد بنا المؤلف الى الماضي ، فيحدثنا عن القصصية الفرنسية الشهيرة « جورج صاند » وعن الصراع الذي نشب في نفسها وهي صبية غريرة بين ما كان يعتمل في قلبها من مشاعر الانثى ، وما كان يضطرم في فكرها من عقل وارادة وعزم الانسانة .

ويختم المؤلف الكتاب بصورة امراة فريدة في تفوقها وعذابها ، صورة امراة فذة عاشت في القرن الثامن عشر في فرنسا هي « جوليا دي لسبيناس » التي الهمت بذكائها عددا كبيرا من عباقرة عصرها ، والتي اخلصت للثقافة والفكر اخلاصا منقطع النظير ، ثم صبت نفسها الى الزواج والامومة ، ففدرت بها الاقدار ، فماتت شهيدة الفكر وضحية الاخلاص في الحب .

هذا كله وغيره عرضه ابراهيم المصري بوعي الفنان الذي ينفذ الى روائع الفكر العالمي بقدر ما ينفذ الى قلب الانسان . وهذا يرجع الى ان ابراهيم المصري قطب من اقطاب القصة العربية طالما عالج النفس الانسانية واطوارها وانفعالاتها ، واستطاع ان يستخدم فنه القصصي ومعرفته بجوهر النفس في استجلاء ما هو غريب وعميق في شخصيات اولئك الاعلام . وهذا ما يجعل من كتابه ذخيرة معنوية رائعة ، وتحفة يجب ان يقتنيها كل اديب .

القاهرة — **كرم عطا الطويل**

•

ماذا صنعت بالذهب ماذا فعلت بالوردة ؟

مجموعة شعرية ـ انسي الحاج ـ ١٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ دار النهار للنشر ببيروت ـ لم يذكر اسم المطبعة

ماذا يحدث داخل الحب ـ الفنان يصنع رجلا آخر ، والانسان الحقيقي يصنع الفنان ـ ثم يستعير الحب من الاخرين ليكتب ـ لان حبه للفن اقوى من حبه للانسان .

نحن لسنا امام حب ضائع ـ حب سعيد او حكاية حب ـ نحن نقرأ الشاعر الذي يحب ليكتب ـ وهو لن يتجاهل الحقيقة بل يواجهها لان الحب للابداع ـ والفن للحقيقة المجهولة ـ ولا حقيقة ولا فن بدون حب اصيل .

الحب يوجد في كل شيء ـ ومن كل شيء سيتفجر ـ من الحب، خارج الانسان ، الى داخل اعماقه ـ يطرح الشاعر امامنا تفاعلات جوهرية في كونه انسانا ، وفي رؤيته كرسام ، يلون حوله الموت ـ الفراغ ـ المسافات ـ يبدو كل شيء حوله متعلقا بعذابه المتفاعل في اكثر قصائد « السخرية السوداء » التي سيرد ذكرها فيما بعد ـ ومن الارض تتصاعد الالوان في المدى .

لكن هل يهجر انسي الحاج الحب عندما لا يوحي له شيئا للكتابة ـ لكن اذا هجر الشاعر الحب ، فماذا سيحل به ؟ رجل عادي يهرب من الحقيقة ـ لان « القديم » سيظل ، في رحاب الزمان ـ الشاعر في صراع مع الوقت .

انسي الحاج يحب كسائر الشعراء ، ويشير الى حبيبته ـ نحب شعره وجرأته لانه لم يتخذ موقفا عاديا في كتابته ـ انه يكتب عن الحب ، عن الانسان ، مواجها هذه الحقيقة التي هي اساس كل شيء ـ عندما يعتقد الانسان ان عليه التخلي عن الحب للوطنية ـ عندما يطارد الانسان حياته الخاصة في القضايا الخارجية ـ تصبح مبادئه هواية ـ التجارب الشخصية في الحب وفي السياسة لن ترفض لانها تجارب عامة ، لانها ابواب للجميع ـ ابواب مشرعة للاخرين ـ الداخلي يتبدل ، يتكامل على خطأ :

« صارت لغتي كالشمع واشعلت لغتي » . هكذا تتداخل لغته . هكذا يستعبد حبيبته حيث تستمر النار على الارض ، ومن الارض التي تضيق يصعد الى المدى ـ النار تصبح للخراب ضد الزمن ـ وذكائي يحرق حبي القديم معطيا حبي الجديد مجد العصور المجيدة ـ استعبدتها النار واستبدت بها الينابيع والاحجار الكريمة ـ النار هنا ، جاءت الوانا ، والاحجار الكريمة انسجاما .

« قرأت الكتب لاسرق اوصافا تعجبك ـ انتبهت الى الاحاديث لاتعلم كلمة تدهشك ـ السارق يخبيء سرقته ـ الفنان يعود الينا بشيء جديد ـ لن يلعب لعبة التظاهرات المقيدة ـ هذه اللغة السلسة التي تفتح الاذن للموسيقى .. الموسيقى الصحيحة المبنية على تنفس الحياة والشعور ـ التي تتفاعل مع كل شيء ، ليست من الفكر الى الفكر ، بل من جاذبية الاحساس المتمدن ، الى الفكر ، حيث نشعر بالموسيقى الداخلية ـ يتردد صوت اساسي وتتجاوب اصوات اخرى ـ « اسكت عندما تتكلمين لان سكوتي يصون نقائي » ـ « لقد ذبحوا كل شيء بالكلمات » .

صاف لانه يدرك ان التطور على الصعيد النفسي والاجتماعي هو السلامة في العقل واللغة (ص ٥٦) التي تختار من كلامي الكلام الذي انا اختاره ايضا التي انسى على اسمها الكلام ـ صرت استغرب الشعر ـ اقول عن الاطفال اطفال » .

والحقائق لا تبقى حقائق ذاتية متى قامت على جوهر مطلق يفهمه الشعراء وغير الشعراء . الشاعر يتعذب ، فيخرج الصحفي منه ، ليبقى الشاعر وحده في المعركة . ويعاتب الشاعر . لكن هل تاثر الشاعر بالصحفي او العكس هو الصحيح ؟ وعبر الحب في الصحافة استقامت له يومياته .. فان عاد الحب عاد الشاعر ولكن من الذي سيقيمهما ـ الشاعر والحب ـ انه الرجل الذي يكمن فيهما .. وما الذي يظل من الرجل بعد ان يضيع منه كل شيء ، وكل ما هو جوهري في المغنى ، وفي الحب ؟

« .. نقرأها ، نحفظها ونحفظ سواها » (ص ٨٠ ـ ٨١) .. « وتفور السعادة فيه عندما يراها فيغلق الكتاب ثم يتحول كل شيء الى مجرد كلمة تكتب (ص ١٠٧) . وما ان يتنفس حتى تختنق به الكلمات (ص ١١٨) ، اي انه بدأ يعاني من معنى الكلمة كما يقول « كلامي يعلن انا الكلام .. منذ قليل ومنذ كثير انا الكلام وآخر الكلام » (ص ١٤١) . يتلاعب بالكلمة لادراكه مدى سطوتها على الشاعر .

في هذه المجموعة يتحول الشاعر ويتطور وتأخذ قصائده شكلية اكثر انسجاما مع ابعاده النفسية . لو تاملنا « حتى السعادة » و « خلصيني .. خلصيني .. » الخ ... لوجدنا ان النغم او الفاصل الاهم الذي يؤدي حركة تتميز بسرعة اعجل ذات اصوات متفرعة آتية من المطلع او الاستهلال الذي يقوم في القصيدة كاهم فكرة في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التسلسل ، فدلالات الهبوط والتصاعد تتناغم وتتجاوب بين الشاعر ـ الرجل ، السؤال ـ الجواب ـ بين الحقيقة والشعر .. « ماذا صنعت بالذهب .. ماذا فعلت بالوردة ؟ .. » هو الفاصل القائم لدى الشاعر لاكتشافه طريقه الذاتي واسلوبه الخاص .

ومن خلال الحبر الابيض والاوراق البيض يتفجر حبه ويطفي على العالم ـ المطر ـ ونستمع اليه وهو يناديها من اقاصي الغربة . وتصير المسافة زمنا ـ يوما ، شهرا ، سنة ... قلبه اسود ـ لا تزال الكلمات بيضا .. وبعد ذلك يصير الاسود الايجابي في العمل والابيض السلبي .. فالبياض ثبت كل شيء حوله وفي داخله .. انه الحب في مدينة حمراء حيث يتلون غيابه من حبيبته ، غياب الشمس الاخيرة .. ثم يستعير الالوان من الارض والمسافات ـ الحب والمدى والكواكب ـ الرمل ـ القمح ـ الثلج .. كل شيء حوله يستريح في الالوان ويدور في العالم عبر القلق ثم يتخيلها فراشة (ص ٦٨) ، وفي ذات اللحظة تحلم هي ايضا بكونها فراشة (١٣٤) .

الكلمة والنور حالتان نفسيتان تطفيان على غالبية قصائده حتى يصير معه الضحك بياضا بلا سبب ، والبراءة مجرد مظهر « زنبقة الكآبة الزرقاء » .. لا تلبسين ثيابا زرقاء .. تلبسين الازرق في عيون الشعراء » « كلام الصحو الازرق » .

« الملك الازرق » « الكحل الاصفر » .. الالوان تصور الكتاب بأجلى مظاهره وتحمل عبر تناقضها المعاني الخفية التي توحي بها .

في عدد غير قليل من مقاطع قصيدة « ثوبها العاري » تتلمس يد الشاعر تلون العطاء ، وكذلك في « اجمل القارئات » حيث الكلمة ـ الضوء ـ النور ـ الضحك ـ الجسد الابيض ـ والابيض هنا رمز للبراءة ـ ، هي استعارات لونية تتجاذب العمل فاما اللون فيرمز الى اللون وذلك عبر تبادل مستمر .

تختلف رؤيته للكلمة ـ اللون ـ البحر ـ الزمن ـ الارض وتتفرع عبر هذه المفردات افكاره وينبض الزمن حيا .. ثم الزمن والحب .. ثم الزمن والمدى والارض .. الزمن والارض .. الموت .. الوقت ومن خلال كل ذلك يقوم الوقت بالمطاردة واللحاق به . « لن يبكيني احد حقا » وبعد ذلك » امراة باقية بعيدا ستبكيني وبكاؤها كحياتي جميل » . انه لا يؤمن بوجود امراة تقوم واقعا حقيقيا بل امراة يتمناها تدوم له . لماذا ؟ لان الشاعر اذ ينطلق عبر قصائده القزحية لا يواجه السخرية بل يصطدم بها كمعظم الفنانين والشعراء حيث المنطلق حس فلسفي يتناول فنيا القضية المتعلقة مباشرة بالفن وبالحالة الكامنة في النفس والمتفاعلة في ذات الان مع كل الناس في درجات مختلفة ، ولا احد يمكنه ان يعبر عن هذا المزج المتراخي بين الاشياء الا الفنان حيث يسافر الى اقصى البعد الرابض في المخيلة وعند عودته الينا يصطدم، وربما لان الشاعر اطال سفره وفقد الرجل « نزل الوقت » بكوننا لم نكن معه في رحلته القصية .

والزمن والحب من خلال ايجابيتهما ، ولانه لم يحدد معناهما ، ولان الكلمتين تأخذان معناهما عبر الممارسة الشعرية حيث تقوم الفكرة ولم يتسن لي ان افسر الزمن والوقت لان الشاعر اقام اهميتهما ضمن مشاعر متداخلة مع الجسد والكلمة والواقع ونقيضه .

ربما لم نستوعب ابعاد رموزه ولكننا نظل نتعاطف مع اجوائه ، لان اصالته تقوم قيادة مدركة الهدف تسعى اليه وعبر المراحل التفاعلية تصير مع الفكرة الوضاءة جزءا متحسسا لما يريد ان يقول به ، وندرك بوعي ، او بما هو وراء الوعي ، ابعاد التجربة التي يعانيها الشاعر ، ونتحسس رجوعه الينا وتعاطفه معنا .

في عقله الباطني يصير الهجس فكرة واضحة في الشعور من خلال الممارسة الفنية التي تقود العمل من الحلم الى الحقيقة ، الا ان « انسي الحاج » يبقى على الجانب الهجسي في استمرار مع الفكرة الواضحة ضمن تجاذب متلاحق في القصيدة ، فلا يموت الحلم في الكلمة ، كما لا تموت الكلمة في الحلم . ولذلك لا يشعر القاريء بالغموض حائلا بل حالة نفسية تؤكد الجو الشعري عند انسي الحاج في ديوانه الجديد .

وعلى سبيل المثال ، فانني لا اجد كلمة توضح بحره وتضم اطرافه ، ولن اجد المفردة التي تترجم الحالة ، ولكنني كنت اسبح في البحر بكثير من الشعور به مدى متحركا عميقا .

لقد كنت بعد قراءتي كتابه ، الارض التي غمرتها وبكيت كل الوانها وعندما حللت الكاتب اقمته في الذات وللرجال جميعا . وكان الذي لا يموت بعد الموت ولا النسيان في الموت المستحوذ على الذاكرة ولا تعذيب النسيان في الذاكرة لانه الحب ، ولانه الثمار التي قطفت ولم تقطف ، لانه الرجل والمراة .. لانه قديم قدمي انا .. وهي ... وهـنم ...

هدى أديب

•

فلسطيني كحد السيف

مجموعة شعرية ـ علي فودة ـ ١٢٨صفحة ـ منشوراتعويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت

لقد كان لحرب حزيران تأثيرات عديدة على شتى نواحي الحياة في عالمنا العربي . ولعل ابرز ظواهر هذا التأثير في عالم الادب هو بروز ادب جماهيري جديد يعرف بادب المقاومة . فلمعت اسماء جديدة لم تكن معروفة من قبل ـ علما بانها كانت موجودة فعلا ـ قبل حزيران ، من أمثال محمود درويش والقاسم والزياد واميل حبيبي وتوفيق فياض .. وقد اثبت هؤلاء وجودهم على مسرح الادب بشكل لافت للنظر ، فاعيدت طباعة دواوينهم اكثر من مرة وترجمت اعمالهم لاكثر من لغة . وقد نالوا التقدير اللائق حينما منح احدهم ـ محمود درويش ـ جائزة (اللوتس) لاحسن أديب بين ادباء اسيا وافريقيا لهذا العام .

وقد تفجر صوت اخر للمقاومة خارج الوطن المحتل ، هو بمثابة امتداد طبيعي لذلك الادب المقاوم في الداخل . فظهرت اصوات غاضبة تمردت على واقعها الفاسد ، بعد ان طلقت احزانها القديمة ولفظت البكاء الذي ما عاد يجدي نفعا . فحمل البعض راية السلاح ، بينما حمل البعض الاخر راية النضال بالكلمة . وشاعرنا « علي فودة » احد هؤلاء الشباب الذين ارتفع صوتهم غاضبا ليؤكد شخصية الانسان الفلسطيني . هذه الشخصية التي تضافرت كل القوى الاستعمارية لصهرها في عفن المنطقة ، تمهيدا لطمس معالمها . وهنا يكرس الشاعر « علي فودة » ديوانه ليؤكد هذه الشخصية ويبرزها على مسرح الاحداث بعد ان غابت عنه اكثر من عشرين عاما . ويجد القاريء للديوان الصبغة الفلسطينية واضحة في القصائد . وخصوصا في قصيدته الرائعة التي صدر بها ديوانه ، والتي حملت اسم الديوان . وهي قصيدة « فلسطيني كحد السيف » .

هذه القصيدة المطولة ـ التي سأقتصر في حديثي هنا عنها ـ هي بحق من اروع ما كتب في الشعر الفلسطيني . فهي لم تترك شاردة ولا واردة عن القضية الا وجاءت بها عبر مقاطع فنية رائعة ..

ولذا نجد الشاعر يصرخ في مطلع قصيدته بانه فلسطيني ، وكأنما ليؤكد للعالم اجمع فلسطينيته ...

فلسطيني على مر الدهور انا
فلسطيني ..
فلا شرق ولا غرب

والايـام تشفيني
اذا ما الكرب عشش في شرايـيني

ثم ينتقل الشاعر لينقل الينا بساطة الحياة والناس في الريف ، متمثلا ذلك في قريته « قنير » وهي قرية صغيرة بالقرب من حيفـا . وما زال شاعرنا يحن اليها ويغنيها في معظم قصائده بعد ان حرم منها منذ الصغر ، وكبر معه هذا الحرمان في الشباب .. لذا فهو يصـور غربته وضياعه ، ثم حنينه الى تلك القرية . ويسهب في التفاصيـل الدقيقة .. يصور لنا ببراعة كيف كان جده يجلس في ديوانه والناس من حوله ، يشربون القهوة ، ويروون الاقاصيص ، ويتحدثون عـن الارض والمستقبل .

فلسـطيني ..
وجدي كان يركب مهره الاشهب
يجوب الارض والاشجار والزرعا
ويبسم للثرى المجبول بالنوار .. لا يتعب
وعند الليل يجمع حوله القريـة !

ثم ينتقل الشاعر ليخبرنا عن اولئك الذين ضحوا واستشهدوا من أجل الارض ، متمثلا ذلك في ابيه ..

فلسـطيني ..
واختي تعرف الحارات في « قنير » مذ كانت
وتعرف ان والدهـا
.... القرية السمراء قـد كانـا
وحرائـا ...
يحب الارض تضحك وسطها الامواه غدرانـا

وهنا يأتي دور الام التي فجعت بزوجها . وام الشاعر هنا ليست ضعيفة متخاذلة . انها من اولئك الرهط الذي ضحى كثيرا وما زال يضحي في كل يوم ، ليخلق الجيل الجديد الذي سيعيد الحق الـى نصابه .. فبعد ان يصف لنا الشاعر امه « ياسمينه » ، كيف انهـا تعشق الطابون والنار ، وتجمع الحطب مـن البراري ، وتساهم فـي فلاحة الارض ، وكيف انها وفية مخلصة لكل من حولها . ينتقل الشاعر الى طريقة نعيها لزوجها الراحل ..

« بارودته بيد الدلال اريتها
لا عاش قلبي ليش ما شريتها
وبارودته لقطت صدى ع ترابها
لقطت صدى واستوحشت لصحابها » .

بهذا المقطع الشعبي الرائع ، جاء « علي فوده » لينقل الينا نعي امه لزوجها . ولا عجب فهذه الام نفسها ..

وتعرف كيف تضرم ثورة كبرى
وتشرب من دم الاعداء انهارا
وتعرف كيف تنشيء طفلها العادي
فتخلق منـه جيفـارا
يعيش ، يعيش حتى ياخذ الثارا

اذن ، فهذه هي ام الشاعر ، وذاك الاب ابوه ، وتلـك قريتـه وبلاده . نعم بلاده الوادعة التي ظلت تحلم بالسلام طيلة عشرين عاما . ولكن حزيران جاء لينسف كل شيء .

فلسـطيني ..
بلادي اليوم ترقب كالحمام
اسطورة « الدول المحبة للسلام » ولا سلام !

نعم . لا سلام بعد ما اظهر العدو وحشيته وقسوته . لا سـلام بعدما اظهر نواياه العدوانية . لذا كان ظهور الجيل الجديد طبيعيا ..

ودمدمة الرصاص تعانق الجرحى
وتضحك في خلايانـا
وارض السجن تنهش لحم (فاطمة)
وتندب حظ عزرائيل ان ما زار (سرحانا)

وتظل تنمو افكار القصيدة عبر مقاطع فنية رائعة تهز الوجدان . حتى تاتي النهاية الطبيعية . فيصرخ الشاعر ثائرا ..

فلسـطيني ..
فلسطيني كحد السيف كالمنجل
أصول ، اجول لا اسأل
واصرخ في الوجود : انـا
فلسطيني .. فلسطيني
أقول ، اقول لا أخجل !

كلمة أخيرة نقولها للشاعر « علي فودة » . وهي اننا ننتظر المزيد من انتاجه في هذا الميدان خصوصا وان الكلمة الاصيلة الهادفة قـد ندرت هذه الايـام !

عمان ـ الاردن — مصطفى صالح

●

أغـان من أرض كنعان

مجموعة شعرية ـ خليل خلايلي ـ ١٢٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشـق

مما وقع في يدي مؤخرا ديوان « أغان من ارض كنعان » للشاعر خليل خلايلي ، وقد طبع حديثا في « دار الاجيال » ويقع في (١٢٢) صفحة من القطع الصغير . قدم له المحامي عمر ابو زلام ، واستمرت المقدمة حتى الصفحة (٢٧) وتلتها بعد ذلك ابواب الديوان التي تنقسم الـى اربعة اقسام يجعلها بعنوانات : « اغنيات للوطن » ـ ٤ مقطوعات ، « اغنيات للحب » ـ ٨ مقطوعات ، « اغنيات للثورة » ـ ٨ مقطوعات ، « اخوانيات » ـ ٤ مقطوعات . أي يمكننا القول بأن المقطوعات القومية والوطنية تحتل نصف الديوان ، والعاطفية ثلثه ، والاخوانيات ثمنه .

وتحوي صفحة المغلف الاخيرة ترجمة موجزة للشاعر تعرفنا بانـه فلسطيني الاصل ، هاجر بعد نكبة ١٩٤٨ وهو فتى الى سورية وعاش فيها ودرس اللغة العربية في جامعتها .

وقد قرات الديوان اطلاعا وعدت الى قراءته تمعنا ، وكذلك فعلت بالمقدمة ، فوجدت « الاستاذ عمر ابو زلام » لا يصل الى حديـث مباشر عن الشاعر وشعره حتى اواخر الصفحة العشرين حين يعـرف الشاعر الفذ بشكل عام قائلا « انه الشاعر الذي يولد مع ثورات جبل النار والجليل ، انه الذي يتقطر دمه مع دير ياسين ومعركة القسطل ، انه الذي يولد في ليالي الوداع ، وداع البيت والبيارة ، والحقـل والمزرعة .. يولد مع المأساة ، يعيشها ، هو الذي ينتصر عليها ، هـو الذي يفعل في النفوس ما تعجز عن فعله الالـة » ثم يقـول : « ان شاعرنا الخلايلي هو احد الشعراء الذين تنعقد عليهم الامال » لانه عاش المأساة بكل ما فيها . وينتقل الى عرض محتويات الديوان ويقف قليلا عند بعض قصائده القومية ويعلق عليها قائلا : « هذا هو الجانـب المشرق من الديوان » وكذلك يخص المقطوعات الغزليـة والاخوانيـة باشارات خاطفة ، ويوضح ان غايته من المقدمة لم تكن المديح وانمـا التقييم والتاكيد على دور الشعر في المعركة .

واذا ما تركنا المقدمة لنقف عند المقطوعات القومية فاننـا نجـد شاعرنا يفخر في الاولى منها بوطنه الجميل :

ولسـت مفاخرا أحـدا بـانـي — من النسب الرفيـع على نصيـب
ولكنـي كفـانـي الفخـر انـي — مـن الوطـن المكلـل بالطيـوب

وفي الثانية يتغنى ببلاده التي هي موطن الاحرار منذ القـدم

وموئل الابداع الفني والادبي والعلمي ، ويتحدث عن جمالها الطبيعي وخيراتها وشجاعة رجالها وجمال نسائها . والذي يلفت الانتباه ان كل ذلك يأتي بشكل تعميمي لا يخص فيه فلسطين باية لمحة من لمحات الحنين او الوجد او التطلع الى رؤيتها او الامل بالعودة اليها . فكل بلاد العرب بلاده ، شامها واوراسها ونيلها واردنها عنده سواء :

بلادي جنة الدنيا ورمز جمالها المطلق
ضفاف النيل والاردن والعاصي الذي يدفق
ربوع الشام والصحراء والاوراس والجرمق

واشارتي هذه لا اقصد من ورائها انه يجب على مواطن كل قطر عربي ان يقصر غناءه على القطر الذي ينتمي اليه ، ولكنني مع الرجل الذي سئل عن احب اولاده اليه فاجاب : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يشفى ، والغائب حتى يرجع . واظن ان اشهى امنية الينا نحن العرب جميعا ان نتمكن من رؤية ربوع فلسطين ، وكانها في مخيلاتنا جنات النعيم، فكيف يكون الحال بالنسبة لابنائها الذين ارتحلوا عنها.

اما في المقطوعة الثالثة فيحدثنا الشاعر عن هجرته من موطنه جاعلا حديثه جوابا على سؤال من صغيره الذي يستفسر عن موطنهم الاصلي . ويعلن شاعرنا في نهاية قصيدته ايمانه بانهم لن يعودوا الى بلادهم ان لم يقاوموا اعداءهم ويقضوا عليهم .

بني نحن اناس نضيع دنيا ودينا
ان لم نخل المنايا تطوف بالفاصبينا

وفي المقطوعة الرابعة يتحدث الخلايلي عن الشام وحبه لها ، ويزعم انه في سبيل هذا الحب عاف دياره :

احببتها وعفت في سبيلها الديار

وهذا طبعا ينافي الحقيقة والمنطق ، فالشاعر رحل من دياره مكرها ، وليس من المعقول ان يترك انسان دياره غنيمة لاعدائه هيامًا منه بديار اخرى مجاورة مهما بلغت هذه الاخيرة من الجمال . فقد قيل « لولا حب الاوطان لخرب بلد السوء » فكيف والبلد المتروك هو فلسطين التي هي من اجمل بقاع الدنيا . ومن المؤكد ان غاية الشاعر كانت المبالغة في تعبيره عن حبه للشام على عادة الشعراء . هذا الا اذا كان يقصد بكلمة الشام مفهومها القديم الشامل .

واذا ما حاولنا الطواف في « اغنيات للثورة » فاننا لن نجد فيها اكثر مما وجدنا في « اغنيات للوطن » . واود الان ان اشير الى ابيات معينة من بعض القصائد التي استلفتتني هنا. ففي قصيدة «الصامدون» التي يتحدث فيها الشاعر عن الشهداء الابرار الذين يجودون بأرواحهم فداء لوطنهم ، يقول في نهايتها :

وطني سلمت فان غدرهم الذي قد حاولوه لنحرهم مردود
ما كان للجرذ الحقير ضراوة ان كان في حُوَم الفخار اسود

فهو كما نرى يجعل اعداءنا جرذانا ، وفدائيينا الشجعان اسودا. ولكنني اعترض بشدة ولا استسيغ هذه الصورة التي تجعل اسدا يقاوم جرذا . او ما كان من الافضل ان يقول : « ما كان للذئب الحقير ضراوة » لا سيما وان اعداءنا يتصفون بمكر الذئب وحيلته . وليس ضيعة لاسودنا ان يقابلوا ذئابا ويقضوا عليها .

وانتقل الى قصيدة اخرى ينظمها الشاعر في ذكرى ايار السوداء التي استولى فيها الصهاينة على ارض فلسطين الحبيبة واعلنوا قيام دولتهم المشؤومة ، فاراه يبداها بالابيات التالية :

ها قد اطل بسحره ايار فترنمت بغنائها الاطيار
والزهر فاح اريجه وعبيره خلل النسيم مدله معطار
... وصفا الزمان لاهله ، لكنما وطني تشب بمقلتيه النار

فاجد جمالا اخاذا في البيت الاخير ، ولكن لا اشعر بتناسق بينه وبين ما سبقه من الابيات . ويخيل الي ان الانسان لا يستطيع ان يرى جمال الطبيعة المبهج الا اذا كان مبتهجا . فالافضل للشاعر هنا ان يجعل الطيور تنوح لا ترنم ، اذا لكانت الطبيعة مشاركة له في احاسيسه . فنسيم ابن زيدون كان معتلا اشفاقا على شاعره الحزين :

وللنسيم اعتلال في اصائله كانه رق لي فاعتل اشفاقا

وقطرات الندى اصبحت عند هذا الشاعر الاندلسي دموع حزن فوق الازهار تعبيرا عن مشاركتها للشاعر في اساه وحزنه :

كان اعينه اذ عاينت ارقي بكت لما بي فجال الدمع رقراقا

هذه لمسات بسيطة تناولت من خلالها الوجه المشرق من الديوان ، كما يصفه الاستاذ ابو زلام . اما موضوعات الاخوانيات والغزل فلن اخصهما الا بشيء قليل من الحديث . وذلك لان الابيات الاخوانية لا تكاد تحوي جديدا يستلفت الانتباه ، فهي لا تزيد على تهنئة بمناسبة نجاح ، او رثاء او تعزية بفقيد ، او ذكر لميلاد طفل ، ولان اكثر القصائد الغزلية تميل الى التصوير المادي . ومع ذلك فلا بد من اشارة الى قصيدته الاخيرة في باب « اغنيات للحب » وهي قصيدة « هن الافاعي » التي يهجو فيها الشاعر الجنس اللطيف ويختمها بدعاء على المرأة :

لا كانت الانثى ولا حواء كانت امهن

وكان هذه النهاية في زاوية الغزل لديه طبيعية جدا ومتناسبة مع ما سبقها من غزل مادي فلما كان تعبيرا صادقا عن عاطفة حب جياشة حقيقية .

ونعود الى ما قاله كاتب المقدمة عن الشاعر بانه من الشعراء الذين تنعقد عليهم الامال فنجد بعد جولتنا في بعض جوانب الديوان انه لم يتحقق لنا من هذه الامال الا النزر اليسير ، وان امالنا ما زالت متطلعة الى مجموعة اخرى يصدرها الشاعر تصور واقع المأساة الكبرى التي عاشها بدقائقها ، وشاركه فيها كل الشعب العربي تفكيرا واحساسا وشعورا . ولكن بقاء املنا معلقا على امثاله وحدهم ناتج عن ايماننا بانه ما راء كمن سمع .

واعود الى صفة الجانب المشرق التي اطلقها الاستاذ ابو زلام على القسم القومي والوطني من الديوان فاجده محقا في هذا الوصف ، لا لان هذه القصائد تسمو فنيا على غيرها مما حواه الديوان ، ولكن لان العنوان يتقبلها اشد التقبل . فعبارة « اغان من ارض كنعان » لا تتحمل في هذه الفترة غير المعنى القومي . ذلك ان ارض كنعان الان ابعد ما تكون عن العواطف الذاتية ، ولا سيما الغزل المادي . ولقد عبر عن هذه العواطف الحقيقية ابناء فلسطين عموما سواء منهم المقيمون داخل الارض المحتلة او خارجها .

وليس ببعيد عنا الان ديوانا « عاشق من فلسطين » و « حبيبتي تنهض من نومها » لمحمود درويش . فرغم ان دلالة هذين العنوانين تبدو عاطفية الا ان العواطف كلها فيهما منصبة على هذا الوطن الحبيب .

ذلك هو مثال من دواوين الشعراء المقيمين في الارض المحتلة ، ولكن الذين عاشوا خارج ارضهم ليسوا اقل تدفقا في عواطفهم نحو هذا الوطن السليب . وتمر في بالنا سريعا اسماء دواوين « عودة الغرباء » لهارون هاشم رشيد ، و « عائدون » و « العيون الظماء للنور » او « واحة الجحيم » ليوسف الخطيب .

اجل ان « اغان من ارض كنعان » كان يجب ان تقتصر الحانها على الانغام الوطنية والقومية ليكون الديوان كله مشرقا ، ولا يقتصر الاشراق على جانب واحد منه . فعسى ان يعطينا الشاعر الخلايلي في مجموعة قادمة تصويرا ادق واجمل للتجربة التي يعيشها شعبنا العربي اليوم عموما وشعب فلسطين بصفة خاصة .

وللاخ الخلايلي اطيب امنياتي .

دمشق

لطفية الشهابي